شكر وتقدير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :
لما كان الشكر واجبا لأهل الفضل عرفانا بالجميل فإن كثيرين يستحقون الشكر مني ، وهو أقل القليل الذي أستطيع أن أقدمه لهم .
لذا أتقدم بوافر الشكر والدعاء لوالدي اللذين كان لهما الفضل الأول علي صغيرا وكبيرا ، فهما صاحبا الفضل بعد الله في تربيتي وتوجيهي لدراسة العلم الشرعي ، كما كان لوالدي حفظه الله الدور الأول في توجهي لدراسة النصرانية .
كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أختي أم خالد وزوجها الشهم الأستاذ أحمد سعود الذين صبرا طوال سنين دراستي وكانا خير عون لي في إتمام هذا الجهد .
وأتقدم بالشكر المكلل بالدعاء الخالص لأستاذي المشرف على الرسالة الدكتور محمد حسان كسبه الذي أفاض علي بنصحه وعلمه وتوجيهه ، وجاد علي بالكثير من وقته فجزاه الله عني خير الجزاء وجعل الله عملي هذا في ميزان حسناته .
وكثيرون آخرون لم يتسن لي ذكرهم في هذا المقام ، لكني أسأل الله أن يعلي ذكرهم في الآخرة ، وأن يجعل توجيههم ونصحهم في ميزان حسناتهم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المتقين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . وبعد :

فقد سطع فجر الإسلام على الدنيا قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، فآذن بميلاد الدين الأوحد الذي أتمه الله ورضيه للبشرية ديناً إلى قيام الساعة .

ومنذ اللحظات الأولى لبعثة محمد ﷺ بدأت جولة جديدة من جولات الصراع الأبدي بين الحق والباطل، بيد أن هذه الجولة كانت بين مشركي مكة ودعوة الإسلام الناشئة .

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى المدينة وجد مذاهب متعددة للشرك والوثنية ، فقام بدعوة هؤلاء جميعاً رجاء هدايتهم إلى دين الله القويم ، وبغية تبليغ دعوة الله وإقامة حجته على خلقه ، وهكذا كان ، فقد جادل النبي صلى الله عليه وسلم بالتي هي أحسن مذاهب الوثنية المختلفة ، ومن هؤلاء أهل الكتاب من يهود ونصارى .

ولحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ، فقام ورثته من علماء أمته بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة ونشر الدعوة ، واتجهوا بدعوتهم أيضاً إلى اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الشرك ، يحدوهم في ذلك كله قول الله عز وجل ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١) وقد أمرهم الله بمجادلة أهل الكتاب ودعوتهم ﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ (٢) وقوله ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٣).

وهكذا تواصل الجدل بالتي هي أحسن بين المسلمين والنصارى طوال قرون عديدة من تاريخ الإسلام ، وما يزال ، وسيبقى ما بقي الليل والنهار .

ومع دخول الجدال قرنه الرابع عشر وصل إلى منعطف هام ، تأتي أهميته وتبرز عند النظر إلى أمور منها وقوع العالم الإسلامي في براثن الاستعمار النصراني الذي استعان بجيوش المبشرين والمستشرقين ، فكان هؤلاء معاول هدم أريد منها إبعاد المؤمنين عن الإسلام وتجهيلهم بهذا الدين ثم إدخالهم في النصرانية .

وقام المستشرقون برصد حركة الأمة الإسلامية للوقوف على مكامن الضعف فيها واستغلالها ، والوقوف على مصادر القوة وتجفيفها وتحجيمها ، ويحرس زحفهم الهادئ جيوش المستعمرين التي كان في طليعتها رهبان الكنيسة يبشرون بما يسمونه رسالة المسيح .

ومما يعطي هذا القرن أهمية خاصة أيضا انتشار الطباعة مما سهل التواصل بين الأمم ، وكذا وسائل الإعلام التي أحالت الأرض إلى قرية صغيرة يسهل فيها تناقل الأخبار وتلاقي الأعداء ، ويجلو فيها صراع الحضارات والأديان .

---

(١) انظر : سورة النحل ، من آية : ١٦٥ .

(٢) انظر: سورة العنكبوت ، من آية : ٤٦ .

(٣) انظر : سورة آل عمران ، آية : ٦٤ .

وفي هذا الخضم المتلاطم قام أصحاب الردود الإسلامية من جديد يذودون عن دين الإسلام شبهات المبطلين ، ويبينون زيف المبطلين من أتباع كل دين ، ومن هؤلاء النصارى من أهل الكتاب والذين يبلغون ثلث سكان المعمورة ، ويتحكمون في ثرواتها ويبسطون سلطانهم على بلاد المسلمين ، فكان لابد من دعوتهم والعمل على هدايتهم وكشف عوار دينهم ، ورد شبهاتهم ، فكان فصل جديد من فصول هذا الصراع .

وقد رأيت أن أتقدم – في أطروحتي لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة – بدراسة جهود العلماء المسلمين المباركة في هذا القرن الهجري في الرد على النصارى ، وجعلتها بعنوان " جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري " (عرض ودراسة) ومقصودي عرض ودراسة جهود أبرز من تصدى للرد على النصارى من أهل العلم في القرن الرابع عشر الهجري سواء كان ذلك كتابة أو مناظرة ، وكل من علم مسألة فهو بها عالم .

والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع أمور منها :

١ – إيماني بأهمية الجدل بين الأديان وخاصة أهل الكتاب في وقت انحسر فيه صراع القوميات والمذاهب الفكرية ، وعاد الصراع بقوة من جديد إلى صراع بين الأديان ، ومثل هذا لايخفى على من تأمل الحروب التي تجري هنا وهناك ، وتمحور الصراع حول أكبر دينين على وجه الأرض وهما الإسلام والنصرانية فيما تظافر اليهود والنصارى ، وتهادن هؤلاء مع أهل سائر الأديان بل اتحدوا معهم وتعاونوا وتداعوا على ملة التوحيد والإسلام .

٢ – أن أهم مجالات الصراع هو الصراع الديني إذ هو الأساس الذي عنه يصدر الصراع الاقتصادي والعسكري والسياسي ، فهو المحرك لكل ذاك .

٣ – أن جهود علماء هذا القرن تمثل أهم فصل من فصول الجدال بين المسلمين والنصارى إذ كثرت هذه الجهود المباركة وتنوعت موضوعاتها ، ونضجت بتتابع الجهود طوال ثلاثة عشر قرناً فكانت هذه الحلقة المباركة التي وعت جهود السابقين ،وأضافت إليهم ما أثرى موضوعات الجدل الإسلامي النصراني .

وقد جهدت في رسالتي هذه في جمع كل ما تناهى إلى مسامعي من كتب تتحدث في هذا الموضوع ، وفي سبيل ذلك قمت برحلتين علميتين إلى مصر والأردن ، جمعت خلالها ما قدرت عليه من كتب ومخطوطات تتعلق بهذا الموضوع .

لكن ذلك جعلني أمام عدد هائل من المصادر والمراجع والجهود العظيمة التي تستحق الدراسة والعرض ، فاستعنت بالله ، فأعان إلى إخراج هذه الرسالة التي أرجو أن تسد فراغا في المكتبة الإسلامية وأن تكون عدة وعتادا لكل مسلم توجه لدعوة النصارى إلى الإسلام ، وأراد أن يبين فساد النصرانية وبطلان كتبها ومعتقداتها.

وقد درجت في هذا البحث على نقد النصرانية والتوراة والإنجيل ، ومقصودي من ذلك كله ليس ما أنزله الله من هدي ونور ، وإنما ما غيره البشر وابتدعوه ، ثم أضافوه إلى تلكم التسميات القديمة .

وعندما أضيف قولا إلى التوراة أو الإنجيل فإنما أضيفه إلى ما يسمى بذلك عند اليهود والنصارى ، وعندما أضيف نصا إلى الله – في غير المنقولات الإسلامية – أو إلى المسيح أو أحد حوارييه فلا يعني ذلك يقيني بصحة هذا القول ونسبته ، بل هو نوع من التنزل مع النصارى والتسليم لهم من هذا الباب فقط رجاء الوصول إلى الحقيقة التي نسعى لإثباتها .

ومثله ينطبق على ما نورده من شواهد توراتية أو إنجيلية مختلفة نوردها رداً على بعض ما يقوله النصارى مع أنه قد يكون ذلك النص مما ثبت لدينا بطلانه ، لكنا نرد على الخصم بما يعتقده ونبطل قوله بشيء من باطلة .

وقد أسندت جميع نصوص التوراتية والإنجيلية التي ساقها أصحاب الردود الإسلامية أو استشهدت بها إلى أماكن وجودها في الكتاب المقدس معتمداً في ذلك على النسخة التي بين يدي والمطبوعة بدار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، وقد أثبت النصوص التي نقلها أصحاب الردود الإسلامية عن الكتاب المقدس بنصها المثبت عندهم ، ثم أتبعت كل نص بتوثيقه ، فما وافق النسخة التي بين يدي أو قارنها – أي كان مرد عدم الاتفاق بين الألفاظ إلى الترجمة وعبارة المترجم – ما كان على هذا النحو أوثقه بقولي مثلاً :(يوحنا ٤/٢٠) ومقصودي أن العبارة أو مرادفها موجود في إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع في العدد ٢٠ حسب ترقيم الكتاب المقدس .

فإن كان في النص بعض تخالف مع ما بين يدي مع بقاء موضع الدلالة والاستشهاد قلت انظر يوحنا ٤/٢٠) ومثله إن اكتفيت عن النقل بذكر فكرة النص ، فإن اختفى موضع الدلالة والاستشهاد في النص الذي أنقله عن العلماء المسلمين في نسختي قلت (قارن يوحنا ٤/٢٠) .

كما نقلت عشرات الاقتباسات التي نسبها أصحاب الردود الإسلامية لقسس نصارى أو غيرهم من مفكري الغرب ، لكن الأسماء التي نقلوا عنها بقيت مجهولة ، لا نعلم عن بعضها سوى الأسماء ، وقد نقلت عن العلماء المسلمين ما أثبتوا في تعريف هذه الشخصيات كذكر مرتبته الكنسية أو اسم كتابه أو لقبه العلمي .... ولعلي في ذلك ما يلقي بالضوء على أهمية هذه المنقولات ، وينبه إلى أهمية قائليها .

كما ذكرت في هامش التوثيق أسماء الجهود العلمية التي أفدت منها ، وذكرتها مرتبة حسب الأقدم إلا أن أجد ما يدعوني إلى تقديم متأخر منها لسبب نقل عبارته أو زيادة في وضوح الفكرة عنده ... ولم أهتم بترتيب المراجع التي تعود لعلماء القرن الرابع عشر لصعوبة تمييز السابق فيها من اللاحق ،لتقارب الزمن بينها .

وقد جعلت هذه الدراسة على مقدمة وأبواب ثلاثة وخاتمة .

في المقدمة تحدثت عن أهمية البحث ودوافعي إلى اختياره ومنهجي فيه ، ثم موضوعاته .

في الباب الأول عرضت لجهود علماء القرون الثلاثة عشر السابقة ، وذلك في فصلين عرفت في أولهما بالعلماء المسلمين الذين ردوا على النصارى والموضوعات التي طرقوها وبينت ملامح المنهج الذي ساروا عليه في الرد على النصارى .

وفي الفصل الثاني بينت ما انتهى إليه أصحاب الردود الإسلامية في موضوعات الجدل بين المسلمين والنصارى الرئيسة من إثبات لبشرية المسيح وإبطال للتثليث ولصلب المسيح ، وأبرزت نقدهم للتوراة والإنجيل ، وما ذكروه في نبوة نبينا ﷺ .

وفي الباب الثاني تحدثت عن دوافع العلماء المسلمين التي دفعتهم في هذا القرن للرد على النصارى ، وعن اتجاهات هذه الردود .

ففي أول فصول هذا الباب تحدثت عن الحركتين الاستعمارية والتبشيرية لما لهما من أثر في تنبيه العلماء المسلمين إلى خطر النصارى ، وضرورة الرد عليهم .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن اتجاهات العلماء المسلمين في الرد على النصارى حيث لجأ بعضهم إلى التأليف في هذا الفن فيما لجأ آخرون إلى أسلوب المناظرة المباشرة مع النصارى .

وفي الباب الثالث أبرزت جهود العلماء المسلمين في الرد على النصارى والتي تمثلت في ست موضوعات رئيسة خصصت لكل منها فصلاً مستقلاً .

وأول هذه الفصول كان موضوعه عقائد النصارى (ألوهية المسيح والتثليث) .

وفي الفصل الثاني عرضت لما ذكره أصحاب الردود الإسلامية في إبطال صلب المسيح ،ثم إبطالهم لعقيدة الفداء والخلاص.

وفي الفصل الثالث عرضت لجهود العلماء المسلمين في نقد التوراة ، وإثبات ضياع توراة موسى ، وأن التوراة الحالية محرفة بشرية المنشأ والمضمون .

وفي الفصل الرابع عرضت لجهود العلماء المسلمين في نقد الأناجيل ورسائل العهد الجديد .

وفي الفصل الخامس عرضت لما ساقه أصحاب الردود الإسلامية في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم من أدلة كتابية ، توراتية أو إنجيلية .

والفصل السادس كان موضوعه الشبهات التي أثارها النصارى حول الاسلام .

قائمة الاختصارات المستخدمة في الإحالة إلى النصوص التوراتية والإنجيلية

سفر التكوين	التكوين
سفر الخروج	الخروج
سفر اللاويين	اللاويين
سفر العدد	العدد
سفر التثنية	التثنية
سفر يشوع	يشوع
سفر القضاة	القضاة
سفر راعوث	راعوث
سفر صموئيل الأول	صموئيل (١)
سفر صموئيل الثاني	صموئيل (٢)
سفر الملوك الأول	ملوك (١)
سفر الملوك الثاني	ملوك (٢)
سفر أخبار الأيام الأول	أيام (١)
سفر أخبار الأيام الثاني	أيام (٢)
سفر عزرا	عزرا
سفر نحميا	نحميا
سفر أستير	أستير
سفر أيوب	أيوب
سفر حجي	حجي
سفر ملاخي	ملاخي
سفر المزامير	المزمور
سفر الأمثال	الأمثال
سفر الجامعة	الجامعة
سفر نشيد الإنشاد	نشيد
سفر إشعيا	إشعيا
سفر إرميا	إرميا
سفر مراثي إرميا	مراثي
سفر حزقيال	حزقيال
سفر دانيال	دانيال
سفر هوشع	هوشع

سفر يؤئيل	يؤئيل
سفر عاموس	عاموس
سفر عوبديا	عوبديا
سفر يونان	يونان
سفر ميخا	ميخا
سفر ناحوم	ناحوم
سفر حبقوق	حبقوق
سفر صفينا	صفينا
سفر زكريا	زكريا
إنجيل متى	متى
إنجيل مرقس	مرقس
إنجيل لوقا	لوقا
إنجيل يوحنا	يوحنا
سفر أعمال الرسل	أعمال
رسالة بولس إلى أهل رومية	رومية
رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى	كورنثوس (١)
رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الثانية	كورنثوس (٢)
رسالة بولس إلى أهل غلاطية	غلاطية
رسالة بولس إلى أهل أفسس	أفسس
رسالة بولس إلى فيلبس	فيلبس
رسالة بولس إلى أهل كولوسي	كولوسي
رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي الأولى	تسالونيكي (١)
رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي الثانية	تسالونيكي (٢)
رسالة بولس إلى تيموثاوس الأولى	تيموثاوس (١)
رسالة بولس إلى تيموثاوس الثانية	تيموثاوس (٢)
رسالة بولس إلى تيطس	تيطس
رسالة بولس إلى فليمون	فليمون
رسالة بولس إلى العبرانيين	العبرانيين
رسالة يعقوب	يعقوب
رسالة بطرس الأولى	بطرس (١)
رسالة بطرس الثانية	بطرس (٢)

رسالة يوحنا الأولى	يوحنا (١)
رسالة يوحنا الثانية	يوحنا (٢)
رسالة يوحنا الثالثة	يوحنا (٣)
سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي	الرؤيا
رسالة يهوذا	يهوذا
إنجيل برنابا	برنابا

الباب الأول:

جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً

الفصل الأول:

عرض جهود علماء المسلمين
في الرد على النصارى
خلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً.

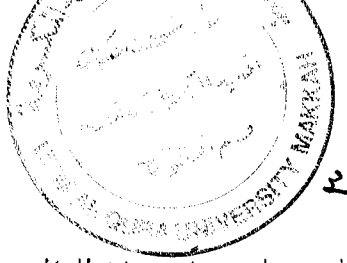

تمهيد

قبل أربعة عشر قرناً نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم نوراً وهداية للعالمين ،ومنه آيات بينات تأمر بنشر الخير والنور ، ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [1]،وقال ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾[2]،﴿ يا أيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[3].وامتثل النبي لأمر ربه ،فبلغ الدعوة وأقام الحجة وكشف الظلمة وأنار السبيل .

ثم قام ورثته من بعده يحملون مشعل الهداية إلى أمم قد اجتالها الشيطان وأجلب عليها بخيله ورجله ،فحادت عن الصراط المستقيم ،وتوالى المخلصون يتناقلون الأمانة جيلاً بعد جيل ،فأشغلوا أنفسهم بنصرة دين الحق ،فذادوا عن حياضه،وبينوا ضلال من خالفه ،وأقاموا حجة الله على خلقه،فسطرت كلماتهم بأحرف من نور يهدي من قصد سواء السبيل،فأنعم به من جهد ،وأحسن به من عمل.

وفي هذا الفصل نعرض بالذكر لهذه الجهود،ونبرز ملامح المنهج الذي اختطه أصحابها والموضوعات التي تناولوها في ردودهم على النصارى خلال ثلاثة عشر قرناً.

و لعله من لوازم القول أن أذكر بوجود الكثير من الجهود العلمية القيمة التي ردت على النصارى و التي ضاعت فيما ضاع من جواهر آبائنا العظام.و هذه الجهود من الكثرة بمكان، فهاهو الطبري و كتبه من أوائل الكتب التي وصلتنا يتحدث عن كثيرين كتبوا قبله فيقول: "و أسلك في ذلك سبيلاً أسدى و أجدى مما سلك غيري من مؤلفي الكتب في هذا الفن فإن منهم من قصر و بتر،و أدغم حجته و لم يفسر، و منهم من احتج على أهل الكتاب بالشعر و بما لم يعرفوه من كتبهم،و منهم من حشى دفتي كتابه بمخاطبة المسلمين دون المشركين ثم ترجم حججه بأوعر كلام و أبعده عن الأفهام " .[4]

و قد نقلت إلينا بطون الكتب المختلفة أسماء كثير من الجهود التي ضاعت ،فقد أورد الشرفي أسماء ثلاثين جهداً علمياً كتبت في القرون الأربعة الأولى وصل إلينا أسماؤها و غاب عن ناظرنا مكنونها.

وعلاوة على ذلك فهناك كثير من الجهود المتقدمة أو المتأخرة التي غابت و ذكرها العلماء في ثنايا كتبهم منها : "رد النصارى " لعوف بن عوض، و" رد النصارى " لأبي العباس السرخسي (ت ٢٨٦هـ)،ورد النصارى "لخلف الدمياطي،و" رد النصارى " لأبي بكر الطرطوسي (ت ٥٤٠هـ)، و " إفحام النصارى "ليحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي (ت ٤٩٣هـ)،و " رد النصارى " لأبي محمد عبد القادر الرهاوي (ت ٦١٢هـ)،و" الرسالة الناصرية " لمختار بن محمود الزاهدي (ت٦٥٨ هـ) ، و " مفتاح الدين والمجادلة بين النصارى والمسلمين "لمحمد القيسي (ت ٧٠٦هـ) و" صولة الضيغم على أعداء ابن مريم " لعلي الجاجموي ،ثم اختصره في " خلاصة الضيغم " و " خلاصة سيف المسلمين "لحيدر

---

(١) سورة النحل ، من آية : ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت ، من آية : ٤٦ .

(٣) سورة المائدة ، من آية : ٦٧.

(٤) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، تحقيق: عادل نويهض ، ط١ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ص ٣٥ .

القرشي ،و" الأنوار الإلهية في دحض خطأ النصرانية " لأحمد زين العابدين الأصفهاني "و " الرسالة الهادية " للحبر المهتدي عبد السلام الدفتري.[1] وغير ذلك من الجهود المباركة التي ضاعت من تراث أجدادنا العظيم .

ويضاف إلى ذلك ما بقي مخطوطاً حبيس الرفوف،ومنها ما ذكره محمود بن شريف حيث ذكر أسماء بعض المخطوطات وأماكن وجودها،مثل:" الرسالة الصمصامية في الرد على الطائفة النصرانية "لعبد الله دستان مصطفى،محفوظة بدار الكتب المصرية،برقم:١٢٤(عقائد)،و" البراهين الساباطية في الرد على النصرانية "لجواد بن ساباط (ت ١٢٥٠هـ)،برقم :٢٤٦،و" تقليب المطاعن " و " معدل اعوجاج الميزان"،وكلاهما لرحمة الله الهندي ،وغير ذلك من الجهود القيمة التي نأمل أن ترى النور قريباً.[2]

كما ثمة الكثير من الكتابات المباركة والتي كتبت بغير العربية فلم يتيسر لنا الاطلاع عليها ،وقد كتب كثير منها بلغات مسلمي الهند ، منها " تاريخ الصحف السماوية " لسيد نواب علي،و" المسيحية في ضوء القرآن والإنجيل " لعبد الوحيد خان ، و" اليهودية والمسيحية "لإحسان الحق رانا ،و " اليهودية والنصرانية " للمودودي ،كما كتب ثناء الله الأمر تستري كتباً ، منها :" الإسلام و المسيحية "و" تقابل ثلاثة ".[3]، وكتب ديدات كتابه " الاختيار ".

و لعله من نافلة القول أن أذكر بأن ما أسوقه خلال دراستي من أسبقية و أولوية في بعض المباحث، فإنما أعني به ما وصل إلي من كتب علمائنا الكرام .

و قبل أن نستعرض هذه الجهود المباركة لعلمائنا رأيت أن أقدم بالحديث عن الجدل النصراني في القرآن و السنة، إذ هما الأساس في دفع علمائنا إلى مجادلة النصارى كما قال الله تعالى ﴿ و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾.[4]

---

(١) انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى حاجي خليفة ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ٨٣٨/١ ، ٨٩٥ ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، تحقيق : محمد أحمد ملكاوي ،ط١ ، دار الحديث ، القاهرة ،١٤٠٤هـ ، ٣/ ٤،٧٤٣/١٣٧٩-١٣٨٠. وقد تحدث عن الكتب التي ذكرها الشرقي على أنها مفقودة ثم اجدها كما ثم اجد الكتب التي تحدث عنها مفقودة ثم اجدها موجودة في مصر وغم سفري في طلبها

(٢) انظر: الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، ط٥ ، شركة عكاظ ، جدة ، ص٢٢١-٢٢٣ .

(٣) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الدين الأعظمي ، ط١ ،مكتبة الدار ، المدينة ،١٤٠٩هـ ،ص٢٩-٣٠، ٤٤٥-٤٤٧ .

(٤) سورة العنكبوت ، آية : ٤٦ .

رغم قلة النصارى في المجتمع الإسلامي الأول في مكة و المدينة و الطائف إلا أن الموضوعات النصرانية شغلت ما نسبته ٣,٥% من عدد آي القرآن الكريم حسب ما ذكر الشرفي ،و هذه النسبة و لا ريب كبيرة قياساً بحجم تواجدهم في مهد الإسلام و مبعث الرسالة ،فقد انحصر وجودهم في أفراد قلائل كان عندهم شيء من علم أهل الكتاب كورقة بن نوفل و أمية بن أبي الصلت و آخرين تركوا دين الجاهلية و رفضوا عبادة الأصنام، و رأوا أن النصرانية خير لهم من ذلك منهم زوج سودة بنت زمعة الأول :السكران بن عمرو.و بنت أبي فكيهة وغيرهما.

ولا يمنع هذا من وجود أفراد من الإماء و العبيد النصارى، و يفترض بهؤلاء أن لا يكونوا من أصحاب الثقافة العالية منهم جبر غلام الفاكه بن المغيرة، و نسطاس عبد لصفوان بن أمية، ويوحنا وميناس عبدان لصهيب الرومي، و آخر يدعى أبو ميسرة [١].

ولا يفوتنا أن نذكر بأن العرب كانت لهم صلات بأهل الكتاب من خلال التجارة القائمة بين المجتمعات العربية و الشام الذي يغلب عليه النصارى .

لذا يمكننا الجزم بتسرب شيء من الثقافة الكتابية –و منها النصرانية–إلى هذه المجتمعات العربية وظهر ذلك جلياً في سماع العرب لبعض النبوءات الكتابية و انتظارهم لنبي آخر الزمان، بل و تشوق بعضهم لأن يكون هو النبي الموعود .[٢]

لكن أثر هذه العلاقة و الصلات بقي محدوداً إلى حد كبير في المهد الأول للدعوة الإسلامية ، و نراه يتسع كلما اتجهنا شمالاً أو جنوباً في أطراف الجزيرة ، فاليمن و الشام كانت بلاداً نصرانية ، أو على الأقل تواجد فيها النصارى بشكل مؤثر.[٣]

لذلك لا نكاد نجد أثراً للفكر النصراني في قبائل الجزيرة العربية و خاصة في مهد الدعوة الإسلامية، و نرى ذلك واضحاً من خلال خلو عقائد العرب من أي ذكر لمعاني التثليث الذي لم تعرفه مخيلة العربي الذي كان يعتقد بتعدد الآلهة ،ويعجب من حصرها ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾[٤]كما نلحظ استغراب العرب من إرسال الله لأحد من البشر و خصه بالرسالة ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾[٥].

كما نرى غياب عقيدة البعث بعد الموت والحساب كما الفداء عن الفكر العربي، بينما تمثل عقيدة الخلاص و الفداء أبرز قضايا الفكر النصراني،و الأمر الوحيد الذي قد يخالف في الحكم هو عبادة الأصنام

---

(١) انظر : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع (هجري)/ العاشر (ميلادي) ، عبد المجيد الشرفي ، الدار التونسية للنشر.تونس ، ص١٧٢ ، المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ٦٠٣/٦ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٤١٣هـ، ١١٧/١٠.

(٣) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، تحقيق: د.محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ، ص٨٤-٨٥ .

(٤) سورة ص ، آية : ٥ .

(٥) سورة الإسراء ، من آية : ٩٤ .

والصور فقد كانت موجودة عند النصارى، وهي عند اليهود قبل ميلاد المسيح بقرون عدة.

وعندما أدخلها عمرو بن لحي إلى العرب قيل أنه أخذها من عماليق الشام[1]. أما من الناحية الاجتماعية و الأخلاقية فقد كان البون كبيراً بين شرائع العرب من طلاق و نكاح و محارم و ظهار و إيلاء مقارنة مع التشريعات اليهودية و النصرانية.

وكذا أخلاق العرب كانت منسجمة مع طبيعتهم و طبيعة البيئة المحيطة بهم، و لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالنصارى أو غيرهم.

و قد سجل الجاحظ المنزلة المتميزة للنصارى عند العرب بسبب تنصر بعض ملوكهم، وتجارتهم مع الشام وكان يغلب عليها النصارى، ومنه أيضاً المدنية التي غلبت عليهم، و يظهر ذلك جلياً في المهن التي مارسوها كالكتابة و الطب والعصارة و الصرافة إلى غير ذلك من الأسباب[2].

بل إن هذه المنـــزلة لتعم حتى اليهود الذين كانت العرب تجلهم ،لأنها تعتبرهم أهل كتاب ،لذا أوفدت قريش إلى المدينة من يسأل يهودها عن أهدى الفريقين : محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أم قريش،فكان جوابهم ماذكره القرآن:﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾[3]

وكان أهم اتصال بالنصرانية – سوى هجرة المسلمين إلى الحبشة ومراسلة النبي صلى الله عليه و سلم لملوك النصارى في الشام و عمان و مضر – قدوم وفد نصارى نجران إلى المدينة و بقاؤهم فيها أياماً يناظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم و يصلون في مسجده [4]،و نزل في هذه الزيارة بضعاً و ثمانين آية في صدر سورة آل عمران عالجت أكثر الموضوعات النصرانية ،و من خلالها نستطيع أن نعرف الموضوعات التي دار حولها النقاش و المناظرة بين الرسول صلى الله عليه و سلم و أهل نجران .

و قد ذكرت السورة الكريمة في طياتها أغلب أغراض الجدل النصراني، كما ذكرت بعضاً مما يخص اليهود و غيرهم.

ومما ذكرته السورة مما يتعلق بنصارى نجران –و إن وردت في صيغة الحديث عن أهل الكتاب للعموم الوارد أن الآيات نزلت في نصارى نجران – قول الله تعالى﴿ وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس ﴾[5]، و توعد الله الكافرين بما أنزله فقال﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ﴾[6]،و ذكرت الآيات أن مما أنزله الله محكم و متشابه و ذكرت أصناف الناس في اتباع المحكم

---

(١) انظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين ، ط١ ، دار الريان للتراث ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ ، ١٧٤/٢ .

(٢) انظر: المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص٨٠-٨٦.

(٣) سورة النساء ، من آية : ٥١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٥/٤ وقد نقله عن ابن إسحاق في سيرته ، كما ذكر مثله ابن القيم في زاد المعاد عن أبي أمامة ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، ط١٥ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ ، ٦٣٠/٣-٦٣١ . والسماح للنصارى بالصلاة في مسجد النبي لايجوز ولايصح أن يكون دليلاً على جواز ذلك بإطلاق ، فهذا من خصوصية الوفد والسفارة.

(٥) سورة آل عمران ، من آية : ٢-٣ .

(٦) سورة آل عمران ، من آية : ٤ .

والمتشابه ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله ﴾[1] و الصنف الآخر هم الراسخون في العلم ، و هؤلاء يقولون ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾[2] و ذكرت الآيات ما فعله أهل الكتاب بكتاب ربهم ﴿ و إن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب و يقولون هو من عند الله و ما هو من عند الله و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون ﴾[3].

كما تحدثت الآيات عن عيسى عليه السلام فذكرت أنه مخلوق مصور في الأرحام كسائر الناس ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾[4] ،و أن الله صوره في رحم مريم التي اصطفاها الله و طهرها ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك و طهرك و اصطفاك على نساء العالمين ﴾[5] و أكرمها الله بالكرامات و منها﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾[6] و حكى القرآن عن كفالة زكريا لها بعد نذر أمها بأن يكون حملها محرراً لله، وقد أمرها الله عز و جل بعبادته ﴿ يا مريم اقنتي لربك و اسجدي و اركعي مع الراكعين ﴾.[7]

و قد حملت مريم بمولودها بعد أن بشرها الله به عن طريق الملائكة، و سماه لها ﴿ إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾[8] ،وذكرت الآيات أنه كلمة منه، و أن الله خلقه من غير أب، و أن ليس في ذلك ما يقتضي ألوهيته، فقد خلق الله آدم أيضاً على غيرالصورة المألوفة﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾.[9]

و تحدثت الآيات عن معجزات هذا المولود المبارك ﴿ و يكلم الناس في المهد و كهلاً و من الصالحين﴾[10]،و أنه كما حكى الله على لسانه﴿ أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله و أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله و أنبئكم بما تأكلون و ما تدخرون في بيوتكم ﴾[11]،و كل ذلك من عند الله و بإذنه جل وعلا.

و أشارت الآيات أيضاً إلى نزوله في آخر الزمان، فذكرت في سياق معجزاته أنه ﴿ يكلم الناس في المهد و كهلاً﴾[12]، و ليس في كلام الكهل إعجاز إلا إذا كان صاحبه قد رفع إلى السماء و لما يبلغ بعد سن الكهولة، أي أنه سيعود مرة أخرى، و يكلم الناس حال كهولته.

---

(١) سورة آل عمران ، من آية : ٧ .

(٢) سورة آل عمران ، من آية : ٧ .

(٣) سورة آل عمران ، من آية : ٧٨ .

(٤) سورة آل عمران ، من آية : ٦ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٤٢ .

(٦) سورة آل عمران ، من آية : ٣٧ .

(٧) سورة آل عمران ، آية : ٤٣ .

(٨) سورة آل عمران ، من آية : ٤٥ .

(٩) سورة آل عمران ، من آية : ٥٩ .

(١٠) سورة آل عمران ، آية : ٤٦ .

(١١) سورة آل عمران ، من آية : ٤٩ .

(١٢) سورة آل عمران ، من آية : ٤٦ .

و ذكرت الآيات وفاة عيسى عليه السلام[1]، و رفعه إليه ﴿ إني متوفيك و رافعك إلي﴾[2]،و أشارت الآيات إلى نجاته من الصلب في قوله ﴿ و مطهرك من الذين كفروا ﴾ [3]،وقوله﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾[4]

ونعت الآيات الكريمات على أهل الكتاب اتخاذهم لبعضهم أرباباً من دون الله و عبادتهم للمسيح و زعمهم أنه أمرهم بذلك﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون ﴾[5]،فدعوة الأنبياء هي التوحيد الخالص لله ﴿ قل آمنا بالله و ما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و ما أوتي موسى و عيسى و النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[6].

و أوضحت الآيات عقيدة التوحيد، ثم أمرت الرسول الكريم بمبا هلتهم إذا لم يذعنوا لهذا الحق﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[7].

و تحدثت الآيات عن الحواريين الذين آمنوا بعيسى عليه السلام فقالوا ﴿ نحن أنصار الله آمنا بالله و اشهد بأنا مسلمون ﴾[8].

و تحدثت عن يحيى عليه السلام ، فوصفته بأنه نبي وسيد ممتنع عن النساء ، و أنه من الصالحين ﴿إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله و سيداً و حصوراً و نبياً من الصالحين﴾[9].

و هذه الأخبار التي أخبر بها نبينا عليه السلام عن زكريا و يحيى و مريم و ابنها كل ذلك من الغيب الذي اطلع الله عليه محمداً صلى الله عليه و سلم، فدل ذلك على صدق نبوته﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك و ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم و ما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ [10].

---

(١) انظر خلاف العلماء في وفاة عيسى بين قائل بأنها بعد نزوله من السماء فيكون المعنى: إني رافعك إلي و مطهرك من الذين كفروا و متوفيك بعد أن تنزل من السماء ، و الواو في الآية لا توجب تأخراً في الزمن.

و قال آخرون متوفيك يعني: قابضك إلى السماء من غير موت ، و قال وهب بن منبه " توفى الله عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه " ، والصحيح كما صح عن ابن عباس و اختاره الطبري و غيره: أن الله رفعه إلى السماء من غير وفاة و لا نوم. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٤/٦٤-٦٥.

(٢) سورة آل عمران ، من آية : ٥٥ .

(٣) سورة آل عمران ، من آية : ٥٥ .

(٤) سورة آل عمران ، من آية : ٥٤ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٧٩ .

(٦) سورة آل عمران ، آية : ٨٤ .

(٧) سورة آل عمران ، آية : ٦١ .

(٨) سورة آل عمران ، من آية : ٥٢ .

(٩) سورة آل عمران ، من آية : ٣٩ .

(١٠) سورة آل عمران ، من آية : ٤٤ .

و الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم هو الوفاء بالميثاق الذي أخذه الله على سائر أنبيائه ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال أأقررتم و أخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾[1]،لأن الله لا يقبل من الناس إلا ديناً واحداً ﴿ إن الدين عند الله الإسلام﴾ [2]، ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات و الأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴾[3].

و قد سبق هذه الآيات الحديث عن دعوة إبراهيم الحنيفية، فإبراهيم ما كان يهودياً كما لم يكن نصرانياً ﴿ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾[4]،وأما ما يقوله هؤلاء و هؤلاء عن إبراهيم فذلك قول بغير علم و لا دليل و لا بينة .

و تبين الآيات أن أهل الكتاب حادوا عن الحق بعدما عرفوه ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل و تكتمون الحق و أنتم تعلمون ﴾[5]، و لم تبين الآيات المقصود بالحق هل هو نبوة النبي صلى الله عليه و سلم أم بشرية عيسى و رسالته ؟

كما ورد الحديث عن النصارى في ضربين من النصوص القرآنية الأخرى أولهما :ما جاء في الحديث عن عموم أهل الكتاب. و الثاني: ما جاء في النصارى خصوصاً.

فمما جاء في الحديث عن عموم أهل الكتاب –و إن كان سبب نزول كثير منه اليهود–أن أهل الكتاب قد عرفوا الحق و أعرضوا عنه حسداً لرسولنا صلى الله عليه و سلم ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾[6]،و لذلك فهم يكرهون كل خير للمسلمين﴿ قل يأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل من قبل و أن أكثركم فاسقون﴾ [7]،و لذلك لن يؤمنوا بهذا النبي و لن يرضوا بدينه ديناً ﴿و لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾[8].

كيف لا و هم يزعمون لأنفسهم مرتبة عظيمة فقد قالوا ﴿ نحن أبناء الله و أحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء﴾ [9]،فأحلامهم بالخلاص المزعوم باطلة،وليست إلا ضرباً من الأماني﴿ ليس بأمانيكم و لا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به و لا يجد

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٨٢ .

(٢) سورة آل عمران ، من آية : ٩١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٨٣ .

(٤) سورة آل عمران ، من آية : ٦٧ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٧١ .

(٦) سورة البقرة ، من آية : ١٠٩ .

(٧) سورة المائدة ، آية : ٥٩ .

(٨) سورة البقرة ، من آية : ١٢٠ .

(٩) سورة المائدة ، آية : ١٨ .

له من دون الله ولياً و لا نصيراً ﴾[1]

و دعتهم الآيات القرآنية إلى الالتزام بدين عيسى عليه السلام و هو توحيد الله عز و جل بعد أن بينت في مواضع كثيرة وحدة النبوات في الدعوة إلى التوحيد ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً و الذي أوحينا إليك و ما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه﴾[2] ، ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب﴾[3].

ووعدت الآيات المؤمنين من النصارى بالجنة ﴿ إن الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين من آمن بالله واليوم الآخر و عمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون ﴾[4].

كما فرقت الآيات بينهم و بين اليهود، و ذكرت قربهم النسبي للمسلمين ﴿ و لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾[5]

و قد ذكرت الآيات كافة الموضوعات الجدلية النصرانية :

ففيما يخص ألوهية المسيح حذرت الآيات من الغلو في عيسى ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم و لا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه ﴾[6]،فهذه هي حقيقة المسيح ،فهو لم يدع ألوهية نفسه قط ﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب *ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي و ربكم ﴾[7] ،فعيسى بشر رسول ، و أما مذاهب النصارى فيه فهي افتراء ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾[8]،و من افترائهم قولهم:﴿ المسيح ابن الله﴾[9]،و قول آخرين :﴿ إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم و أمه و من في الأرض جميعاً ﴾[10].

و عيسى رسول أرسله الله كما أرسل رسلاً قبله ﴿ و قفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ﴾[11] ، و رسالة عيسى تصديق وتتمة لرسالة موسى الكليم ﴿ و مصدقاً لما بين يدي من التوراة و لأحل لكم بعض

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٢٣ .

(٢) سورة الشورى ، من آية : ١٣ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٦٥ ، و قد تكرر المعنى في مواضع منها المائدة : ٦٥ .

(٥) سورة المائدة ، من آية : ٨٢ .

(٦) سورة النساء ، من آية : ١٧١ .

(٧) سورة المائدة ، ١١٦-١١٧ .

(٨) سورة مريم ، من آية : ٣٤ .

(٩) سورة التوبة ، من آية : ٣٠ .

(١٠) سورة المائدة ، من آية : ١٧.

(١١) سورة المائدة ، من آية : ٤١ .

الذي حرم عليكم ﴾[1]، لذا آتاه الله العلم بالتوراة ﴿ و إذ علمتك الكتاب و الحكمة و التوراة و الإنجيل ﴾[2]، و أنزل الله عليه الإنجيل ﴿ و آتيناه الإنجيل فيه هدى و نور ﴾[3]،و قد أيده الله بالمعجزات وجعل ميلاده من غير أب أول معجزاته عليه السلام ﴿ و جعلنا ابن مريم و أمه آية ﴾[4]،و آتاه من الآيات ما ينبغي أن يؤمن له قومه الذين أرسل إليهم ﴿و إذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني و تبرئ الأكمه والأبرص بإذني و إذ تخرج الموتى بإذني﴾ [5]،و من آياته أيضاً علمه ببعض الغيوب ﴿و أنبئكم بما تأكلون و ماتدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾[6]،و من آياته عليه السلام المائدة التي أنزلها الله عليه ﴿ قال الله إني مترلها عليكم ﴾[7]

و كما أيده الله بالبينات أيده بروح القدس جبريل عليه السلام ﴿و آتينا عيسى ابن مريم البينات و أيدناه بروح القدس ﴾[8]

و كانت رسالته عليه السلام إلى بني إسرائيل خاصة ﴿و رسولاً إلى بني إسرائيل ﴾ [9] ،فدعاهم ﴿ يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾ [10] ،و قد انقسم بنو إسرائيل حيال دعوته إلى مؤمن به و كافر ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل و كفرت طائفة ﴾[11].

و المؤمنون به هم حواريوه عليه السلام الذين قالوا ﴿نحن أنصار الله ﴾[12]،و سجل عليهم القرآن قولهم ﴿هل يستطيع ربك أن يترل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾[13].

و أما غيرهم من اليهود فكادوا عيسى ابن مريم و لم يؤمنوا به، فاستحقوا اللعنة و الغضب ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[14] ،و تحدثت الآيات أيضاً بوضوح عن نجاة عيسى من الصلب الذي لم تنف الآيات وقوعه، لكنها أكدت على أن المصلوب غيره عليه السلام ﴿و ما قتلوه و ما

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٥٠ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ١١٠ .

(٣) سورة المائدة ، من آية : ٤١ .

(٤) سورة المؤمنون ، من آية : ٥٠ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ١١٠ .

(٦) سورة آل عمران ، من آية : ٤٩ .

(٧) سورة المائدة ، من آية : ١٤٤ .

(٨) سورة البقرة ، آية : ٨٧ .

(٩) سورة آل عمران ، آية : ٤٩ .

(١٠) سورة الصف ، من آية : ٦ .

(١١) سورة الصف ، من آية : ١٤ .

(١٢) سورة الصف ، من آية : ١٤ .

(١٣) سورة المائدة ، من آية : ١١٢ .

(١٤) سورة المائدة ، ٧٨-٧٩ .

صلبوه و لكن شبه لهم ﴾[1] ،و أكدت الآيات قلة علم أهل الكتاب في هذا الموضوع و عدم تيقنهم منه ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن و ما قتلوه يقيناً ﴾[2]،و تذكر الآيات مصير عيسى عليه السلام ﴿بل رفعه الله إليه ﴾[3]،و تذكر الآيات أيضاً نزوله آخر الزمان وإيمان أهل الكتاب به﴿ و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾[4].

و من الموضوعات التي ذكرتها الآيات أيضاً عقيدة التثليث التي يعتقدها النصارى،فكفرت قائلها ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة و ما من إله إلا إله واحد و إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾[5]،و أما القول ببنوة المسيح فلقد كان إفكاً كبيراً ﴿ تكاد السماوات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * و ما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ﴾[6].

و كانت حقيقة وقدسية الكتب التي يتداولها النصارى أحد الموضوعات التي تعرض لها القرآن، فقد ذكر عنهم أنهم ﴿يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴾[7]، ثم بعد ذلك ﴿ يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾[8]

ثم مما يطعن في هذه الكتب ما اعتراها من النقص و النسيان ﴿و من الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكّروا به ﴾[9] .

كما ذكرت الآيات أنهم كانوا يخفون شيئاً من كتبهم التي ائتمنهم الله عليها ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾[10]،ونعت حالهم بتركهم التحاكم إلى الإنجيل الذي أنزله الله، و أمرهم بالتحاكم إليه إذ هو يوصلهم إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾[11]،ووصفت الآيات حالهم فبينت أنهم يعبدون الأحبار الذين يشرعون لهم كيفما شاءوا ،فيتبعونهم ﴿ اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله ﴾[12].

وكان من أهم الموضوعات الجدلية التي ذكرها القرآن البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم،

---

(١) سورة النساء ، من آية : ١٥٧ .

(٢) سورة النساء ، من آية : ١٥٧ .

(٣) سورة النساء ، من آية : ١٥٨ .

(٤) سورة النساء ، من آية : ١٥٩ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ٧٣ .

(٦) سورة مريم ، آية : ٩٠-٩١ .

(٧) سورة البقرة ، آية : ٧٩ .

(٨) سورة آل عمران ، من آية : ٧٨ .

(٩) سورة المائدة ، من آية : ١٤ .

(١٠) سورة الأنعام ، آية : ٩٥ .

(١١) سورة المائدة ، من آية: ٤٧ .

(١٢) سورة التوبة ، من آية : ٣١ .

فقد ذكرت الآيات بشارة عيسى به ﴿ و مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾[1]،و هو النبي الذي بشرت به النبوات ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم ﴾[2].

و لم تذكر الآيات تفاصيل كثيرة عن صفات هذا النبي المذكورة في التوراة و الإنجيل، ولكنها ذكرت نتيجة هامة هي ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و إن فريقاً منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون ﴾[3].

وقد ذكرت التوراة و الإنجيل أصحاب نبينا صلى الله عليه و سلم ، ووصفتهم ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله و رضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة و مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾[4].

و أكدت الآيات على بعثة هذا النبي لليهود و النصارى كما هو لسائر الناس ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير و لا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾[5].

و نلحظ مما سبق أن القرآن الذي جاءت آياته في مواضع كثيرة منه تدعو للتوحيد و تدل عليه اكتفى في غالب الآيات بعرض معتقد النصارى حيث يظهر قبحه بمجرد عرضه، و خلت هذه النصوص من المناقشات و الردود، و السبب في ذلك أن القرآن هو كتاب هداية و نور، و ليس بكتاب من شأنه الرد على كل مبطل و ناعق.

ولكن مع ذلك نقول:إن القران الكريم طلب من المسلمين مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ﴿ و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾[6]،وبين القرآن الكريم للمسلمين أصولاً للجدل و منهجاً فيه ،فأرشد إلى دليل فساد كتب النصارى و بشريتها بتناقضها ﴿ أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [7] ،فكان ذلك مرشداً للعلماء المسلمين في سبر الكتاب المقدس ودراسة نصوصه والوقوف على ما فيه من تناقض وتحريف.

و من ذلك أنه فند قولهم بألوهية المسيح بلفت النظر إلى أحواله البشرية من طعام و شراب ،و ما يلزم على ذلك عند البشر و سائر الحيوانات ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل

---

(١) سورة الصف ، من آية : ٦ .

(٢) سورة الأعراف ، من آية : ١٥٧ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٤٦ .

(٤) سورة الفتح ، من آية : ٢٩ .

(٥)سورة المائدة ، آية : ١٩ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية : ٤٦ .

(٧) سورة النساء ، آية : ٨٢ .

و أمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ [1].فقام العلماء المسلمون بدراسة كافة أحوال المسيح البشرية واستدلوا بها على عبوديته لله عز وجل.

و من ذلك أيضاً إبطال استدلالهم بميلاده المعجز على ألوهيته ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [2] '.وكذلك فإن سائر معجزاته عليه السلام تشبه بشكل أو بآخر ما أتى به إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

و القرآن نبه المسلمين إلى خلو دعاوى النصارى عن الدليل،وطالبهم به ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ [3] وفحص العلماء المسلمون دعاوى النصارى المختلفة ، فوجدوها مخافة ومناقضة لما بين أيديهم من الكتب والأسفار.

و نبه إلى دور أحبار النصرانية بإفساد العقيدة و الشريعة ﴿اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ [4]،و نبه أيضاً إلى ضعف أقوالهم و أنها لا تقوم على علم يقيني مؤكداً أنه ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن و ما قتلوه يقيناً ﴾[5].فتنبه العلماء المسلمون إلى المصدر الحقيقي لكافة مزاعم النصارى ومعتقداتهم الباطلة.

و قد أفاد المسلمون من هذه الخطوط العريضة التي أرستها الآيات في أسس مجادلة أهل الكتاب كما سنرى خلال استعراضنا لهذه الجهود .

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران ، من آية : ٩٣ .

(٤) سورة التوبة ، آية: ٣١ .

(٥) سورة النساء ، من آية: ١٥٧ .

الحوار مع النصارى في السنة النبوية

لم تنقل إلينا كتب السنة الكثير من موضوعات الجدال للنصارى،ويعود ذلك لغياب الصلة المباشرة بين المجتمع الإسلامي و المجتمعات النصرانية آنذاك.

وكان أكبر لقاء بين المجتمعين في الحبشة ،ونقلت كتب السنة وقوف جعفر بين يدي النجاشي وبيانه لقول المسلمين ومعتقدهم في عيسى[1] ، كما كانت زيارة وفد نجران للمدينة حدثاً مهماً في هذا الصدد ،فقد أقام الوفد في المدينة بضعة أيام يناظرون رسول الله ويجادلونه ونزل بسبب زيارتهم ما قارب المائة آية .

لكن كتب السنة لم تنقل لنا الكثير عما دار بينهم وبين رسول الله ﷺ ، ومما نقل في ذلك ما ذكره ابن جرير في تفسيره في حديث الربيع « أن النصارى أتوا رسول الله ﷺ ، فخاصموه في عيسى بن مريم ، وقالوا : من أبوه ؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

فقال لهم النبي : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ قالوا : بلى . قال : ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت ، وأن عيسى يأتي عليه الفناء ؟

قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى .

قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً ؟ قالوا : لا .

قال : أفلستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟قالوا : بلى .

قال : فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علم ؟ قالوا : لا .

قال : فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء . فهل تعلمون ذلك ؟ قالوا : بلى .

قال : ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث ؟قالوا : بلى.

قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته امرأة كما تحمل المرأة ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذي كما يغذى الصبي ، ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث ؟ قالوا : بلى .

قال : كيف هذا كما زعتم ؟ قال : فعرفوا وأبوا إلا جحوداً ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ألم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ » [2]

وجاء في رواية أخرى بعضاً مما جرى بين الوفد والنبي ﷺ فقد جاءه بعض الأحبار فقالوا : « أتريد منا أن نعبد كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال : معاذ الله أن أعبد غير الله ، أو آمر بعبادة غيره . ما بذلك بعثني ولا أمرني »[3] .

وفي حديث آخر أنه « جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ ، فعرض عليهما الإسلام ، فقال أحدهما : إنا قد أسلمنا قبلك . فقال : كذبتما . إنه يمنعكما عن الإسلام ثلاثة : عبادتكم الصليب ، وأكلكم الخنزير

---

(١) ذكره ابن خزيمة في صحيحه برقم: ٢٢٦٠ في١٣/٤ ، والحاكم في المستدرك برقم: ٣٢٠٨ في ٣٣٨/٢ ،ووافقه الذهبي على تصحيحه .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١، ٢ ، والحديث في جامع البيان في تفسير القرآن ، ابن جرير الطبري ، ط٢ ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٧٣هـ ، ٣ /١٦٣ .

(٣) رواه ابن هشام في سيرته ١٨٠/٢-١٨١ ، والطبري في تفسيره ، ٣٢٥/٣ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٣٨٤/٥ .

، وقولكم لله ولد . قال : من أبو عيسى ؟ وكان لا يعجل حتى يأتي أمر ربه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾[1] » .

وفي حديث آخر أن وفد نجران : « قالوا مالك تشتم صاحبنا ؟ قال : وما أقول ؟ قالوا : تقول : إنه عبد قال : أجل . إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول .

فغضبوا ، وقال : هل رأيت إنساناً قط من غير أب فإن كنت صادقاً فأرنا مثله »[2].فنزلت الآية .

وذكر الطبري بإسناده أن نصارى نجران قالوا:" ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه ؟ قال:بلى.قالوا:فحسبنا.فأنزل الله عز وجل ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ (٣) .

وروى الطبري في تفسيره بإسناده إلى ابن عباس أنه"اجتمعت نصارى نجران وأحبار اليهود عند رسول الله فتنازعوا عنده ،فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً. وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً.فأنـــزل الله ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ﴾ [4] "

كما ذكر المحدثون خروج النبي ﷺ لمباهلتهم ، ونكصهم عنها[5] ،وذكروا أيضاً خبر الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران في صلحه لهم[6].

ومما جاء في الجدال بين المسلمين والنصارى ما جرى للمغيرة بن شعبة وقد بعثه رسول الله إلى أهل نجران ، فقالوا له « ألستم تقرءون ﴿ يا أخت هارون ﴾[7] ، وقد علمتم ما بين موسى وعيسى ؟ فلم أدر ما أجيبهم ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : أفلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين قبلهم » [8].

ومما جاء في إرساء قواعد الجدل مع النصارى في السنة قول النبي ﷺ "ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم،وقولوا آمنا بالله ورسله،فإن كان باطلاً لم تصدقوه،وإن كان حقاً لم تكذبوه".[9]

وأخبر النبي ﷺ عن تحريف القوم لكتبه كما جاء في حديث ابن عباس الموقوف عليه "يا معشر

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٥٩.والحديث رواه ابن جرير في تفسيره ١٦٣/٣ ، و أبو نعيم في دلائل النبوة ، ط١ ، عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ ، ٢٥٨/٢.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ، ٢٩٦/٣ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١٧٧/٣ ، و الآية من سورة آل عمران ، من آية : ٧ .

(٤) الآية من سورة آل عمران ، من آية : ٦٧ ، والحديث رواه الطبري في تفسيره ٣٠٥/٣ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : المغازي ، باب: قصة أهل نجران ، برقم: ٤١١٩ .

(٦)أخرجه أبو داود في كتاب: الخراج ، باب: في أخذ الجزية ، برقم : ٣٠٤١ في ٦٧/٣ ١/،وضعفه الألباني في ضعيفة أبي داود .

(٧) سورة مريم ، آية : ٢٨ .

(٨)رواه مسلم في صحيحه ، كتاب : الآداب ، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم ، برقم: ٢١٣٥ ، والترمذي في جامعه في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة مريم ، برقم : ٣١٥٥ .

(٩) رواه أبو داود في سننه ، كتاب: أول العلم ، باب: رواية حديث أهل الكتاب ، برقم: ٣٦٤٤، وضعفه الألباني في ضعيفة أبي داود.

المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله محضاً لم يشب ؟وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله وغيروا،فكتبوا بأيديهم ،قالوا :هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ".(١)

وأما ما سوى ذلك فلا نكاد نجد لموضوعات الجدل النصراني في السنة ذكراً .

وقد جاء ذكر النصارى في السنة في نصوص كثيرة يجمعها محاور :

أولاً : أحاديث حذرت من فعل النصارى وبدعهم وغلوهم والتشبه بهم في الافتراق أو اتخاذ القبور مساجد.

ومن ذلك قول النبي ﷺ محذراً « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم.قلنا:يا رسول الله آليهود والنصارى؟قال :فمن؟»(٢) .

ويقول :" افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة،وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة".(٣) ،وفي حديث آخر أنه قال:"واختلف من كان قبلنا على اثنتين وسبعين فرقة ،نجا منها ثلاث،وهلك سائرها،فرقة وازت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى ابن مريم حتى قتلوا،وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك فأقاموا بين ظهراني قومهم فدعوهم إلى دين ودين عيسى ابن مريم فقتلتهم الملوك ونشرتهم بالمناشير ،وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهراني قومهم ،فدعوهم إلى الله وإلى دين عيسى ابن مريم ،فساحوا في الحال وترهبوا"(٤)

ويقول محذراً من صنيعهم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٥).

ثانياً : أحاديث تحدثت عن عيسى عليه السلام وصفاته الخلقية وكلامه في المهد ونزوله آخر الزمان وكسره للصليب وإحرامه بالحج ...

ثالثاً : ما جاء في السنة من قصص بعض النصارى السابقين للإسلام كقصة أصحاب الأخدود(٦) ، وقصة جريج الراهب(٧).

رابعاً : ما جاء في السنة من أخبار الوفود النصرانية التي قدمت على النبي كوفود تغلب ووفد الحبشة ووفود عدي بن حاتم الطائي و لم تحمل لنا هذه الأحاديث ذكراً لأي من أغراض الجدل النصراني !؟

---

(١)رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: التوحيد ، باب: قول الله ﴿كل يوم هو في شأن﴾ برقم: ٧٠٨٥ في ٢٧٣٥/٦ .

(٢) رواه البخاري في كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم" ، برقم : ٦٨٨٩ومسلم في كتاب: العلم ، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى ، برقم : ٢٦٦٩ .

(٣) رواه أبو داود في سننه ، كتاب: السنة ، باب: شرح السنة ، برقم: ٤٥٩٦ ، والترمذي في سننه ، كتاب: الإيمان ، باب: ما جاء في افتراق الأمة ، برقم: ٢٦٤٠ ، وابن ماجة في سننه برقم: ٣٩٩٣، وصححه الألباني في صحيحة أبي داود برقم:٣٨٤٢ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك برقم: ٣٧٩٠ في ٥٢٢/٢ ، و لم يوافقه الذهبي ، وأعله بعقيل بن يحيى، وهو منكر الحديث.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، برقم : ٤٢٥ ، ومسلم في صحيحه ، برقم : ٥٢٩ .

(٦) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الزهد والرقائق ، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ، برقم : ٣٠٠٥ ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب: الرقائق ، باب الأدعية ، برقم : ٨٧٣ .

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: أبواب العمل في الصلاة ، باب: إذا دعت الأم ولدها في الصلاة،برقم : ١١٤٨ .

(٨) وفي قصة عدي بن حاتم مرر الجزء ٢٥ في قوله « ما نصبوهم » فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أما كانوا يأمرونكم بالحرام فتحلونه ويحلونه لكم »

خامساً : ما جاء في السنة من حديث عن كتب رسول الله ﷺ لملوك النصارى كهرقل والمقوقس وغيرهما وفي ذلك كله دعوة لهم للإسلام وإتباع الدين الحق .

المؤلفين

عرض لجهود [illegible] المكتوبة خلال ثلاثة عشر قرناً

وفيما يلي تعريف بالجهود الإسلامية التي تيسر لي الإطلاع عليها مباشرة أو عبر بعض الكتب الإسلامية، لنقف على موضوعاتها ومنهج أصحابها في جدال النصارى و تفنيد باطلهم .

وتنتمي هذه الردود إلى ثلاثة مناهج متباينة، ولسوف نعرضها حسب انتماءات أصحابها العقدية، فنبدأ بأئمة أهل السنة والجماعة وعلماء السلف الذين ردوا على النصارى ، وسوف أجعل منهم أولئك الذين لم أجد في ترجمتهم من ألحقهم بالمذاهب المختلفة، كما لم يتبين لي أي انحراف في معتقدهم عن عقيدة السلف الصالح، والذي يدفعني لذلك إحسان الظن بالمسلمين وأن الأصل فيهم البراءة من الدخن .

ثم أتبع التعريف بردود الأشاعرة ثم المعتزلة. وننبه هنا إلى أن ذكرنا لهؤلاء لا يعني موافقتهم في كل مايذكرونه حتى في باب الرد على النصارى، فقد صدرهؤلاء في ردودهم عن مدارسهم الكلامية، لكنا نثبت ذلك عرضاً لهذه الجهود مراعاة للأمانة العلمية، ونحاول التنبيه على هذه المواضع ولو على سبيل الإختصار.

أولاً: الردود الإسلامية التي يعتقد أصحابها عقيدة السلف.

***علي بن ربن الطبري.**

و الطبري نصراني أسلم على يد المعتصم، و عمره سبعون سنة، وكان قد قربه المتوكل و جعله من ندمائه، وكانت وفاته بعد سنة مائتين و أربعين هجرية . (١)

وله كتابان :الأول : " الرد على النصارى "،وقد ذكره في كتابه الثاني " الدين و الدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه و سلم ". (٢)

الكتاب الأول " الرد على النصارى "،وهو أول كتابيه ،فقد ذكر هذا المؤلف في كتابه الثاني " الدين و الدولة " مرتين ، واطلع عليه الشرقي، وذكر بأن فيه بياناً وجيزاً لعقيدة الإسلام .أتبعه الطبري بذكر سبعة أسئلة تتعلق بالتثليث وألوهية المسيح والأمانة التي أصدرها مجمع نيقية.

وفي هذه الأسئلة كان الطبري يسأل ويجيب ناقداً عقائدها مستخدماً النصوص الكتابية،وقد فهمها وفق مقتضى أصحاب العقول الرشيدة .

ثم تحدث عن اثني عشر وجهاً تتعلق بصفات الله لا يختلف فيها اليهود و النصارى.

والكتاب الثاني : " الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم "، وقد ضمنه المؤلف مقدمة تحدث فيها عن وجوه الخبر و الإجماع، فجعل الأخبار على ضربين :حق و باطل. و بحسب أوقاتها ثلاثة : ماض و قائم و خبر منتظر قد يصدق وقد يكذب.

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، ص ٩/٩٠-٩٦ ، الفهرست ، ابن النديم ، ص٣٥٤.

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، تحقيق: عادل نويهض .ط١ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٣٩٣ .

و تحدث عن مراتب الإجماع العامي ، فذكر أن ما أجمعت عليه الأمم من حيث الكثرة خمس مراتب، ذكرها ،ثم توصل إلى نتيجة " أن قبول كل إجماع فتنة،ورد كل إجماع ضلالة،و أن الإجماع وحده ليس بكاف في تثبت النبوة دون شاهدات الحق و أماراته التي جمعها الله للنبي صلى الله عليه و سلم ،فمن أراد حقائق مثل هذه الأخبار و تعديلها،احتاج إلى أن يفهم الخبر الوارد عليه،ويتدبر غرضه و عواره، فإن وجد مكذبه فيه و مبطله معه لم يحتج إلى برهان غيره،و ذلك كخبر مسيلمة....."

فأكد الطبري على أن الخبر قد يحمل في ذاته دلائل كذبه و مثل له بأمثلة ، منها أن رجلاً سأل معاوية ألفي جذع لبناء داره " فقال له معاوية : على كم دارك؟قال: على فرسخين في فرسخين قال: هي في البصرة أو البصرة فيها ؟ قال: بل هي في البصرة. قال معاوية : فالبصرة كلها أقل من فرسخين فكان في نفس خبره ما يشهد ببطلانه ...فهكذا فليفعل من أحب تصفية أخبار الأنبياء و تميزها ،فليبحث عن شهادات الحق ومقاييس العبر " .

وقد و جد الطبري في نبوة النبي صلى الله عليه و سلم ما يشهد لصدقه، وذلك من خلال عشرة معاني وزعها على أبواب كتابه العشرة، ثم يختم مقدمته بسؤال النصارى عن علة تكذيبهم للنبي صلى الله عليه و سلم ،ويجيب عنهم بأن "ذلك لثلاث خصال **أولاهن** : أنا لم نجد أحداً من الأنبياء تنبأ عليه قبل مجيئه. و **الثانية** : أنا لم نجد في القرآن ذكر آية و لا نبوة لمن جاء به. **والثالثة** :أن المسيح أنبأنا أن لا نبي بعده"،وقد فند هذه الخصال الثلاث مستشهداً بكتب الأنبياء وما ورد فيها من بشارات.

وقد كانت موضوعات أبواب الكتاب كالتالي:

الباب الأول: في توحيده عليه السلام مع دعائه إلى ما دعا إليه إبراهيم و جميع الأنبياء ،و استدل لذلك بآيات كثيرة من القرآن الكريم تذكر توافق الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد.

الباب الثاني:في فضائل سننه و شرائعه، فذكر بعضاً من شرائع الإسلام كالزهد في الدنيا و الورع و الوفاء و..... و غيرها التي سبق إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم وطبقها بعمله،واستدل بكثير من آيات القرآن و أفعال رسول الله صلى الله عليه و سلم .

الباب الثالث:في آيات النبي صلى الله عليه و سلم التي ردها و جحدها أهل الكتاب وذكر فيه بعض معجزات النبي صلى الله عليه و سلم متفرقة كالإسراء،وكلام الذئب،و بركة طعامه صلى الله عليه و سلم.

الباب الرابع:في أنه عليه السلام حكى أموراً غائبة عنه تمت في أيامه كدخول المسجد الحرام،و إخباره خالداً ابن الوليد بمكان الأكيدر و حاله، وكذا إخباره بموت النجاشي في يومه.

الباب الخامس:في نبوءات النبي صلى الله عليه و سلم التي تمت بعد وفاته كما في ظهور دينه على سائر الأديان،و إخباره بشهادة عمر و عثمان وما جرى بين أصحابه الكرام و غير ذلك كثير.

الباب السادس: في أمية النبي صلى الله عليه و سلم، و أن الكتاب الذي أنزله عليه و أنطقه به آية للنبوة ،فذكر أن بلاغة النبي صلى الله عليه و سلم و عجائب كتبه اجتمعت مع أميته صلى الله عليه و سلم ،فدلت على نبوته، و قارن بين الأديان و ما في كتب النصارى و اليهود من حيث المحتوى ،فوجد أنه لو جاء بالقرآن أديب خطيب لكان ذلك آية من آيات الله ،كيف و قد اجتمع إليه ذلك عليه الصلاة و السلام وهو أمي، فإن ذلك يشهد بصدق نبوته و رسالته.

الباب السابع:في أن غلبة النبي صلى الله عليه و سلم آية من آيات النبوة. وذكر فيه غلبته و أمته على الدنيا و على الرغم من " أن الغلبة أمر مشترك في الأمم، و ما كان مشتركاً فليس بآية من آيات النبوة ،لكن غلبته كانت باسم الله، فنصره على عدوه إما أن يكون من الله أو من الشيطان، و لا يجوز عقلاً أن ينصر الشيطان من حاربه و أذله " .

الباب الثامن:في أن الداعين لدينه و الشاهدين بحقيقة أمره كانوا خيار الناس و أبرارهم ،فذكر فيه زهد أبي بكر و عمر و عثمان و علي و عمر بن عبد العزيز ،و غيرهم من السابقين إلى الخيرات .

الباب التاسع:في أنه لو لم يظهر النبي صلى الله عليه و سلم لبطلت نبوة الأنبياء ،و ذلك أنه وردت نبوءات عن هؤلاء الأنبياء تحققت في بعثة نبينا الكريم، فمن أنكر نبوته فقد منع تحقق هذه النبوءات ،و منها نبوءة لإبراهيم و اثنتان ألحقت بها لهاجر أم إسماعيل، و هذه البشارات خاصة بولده إسماعيل و ذريته، ثم ذكر بشارتان أخريان يدخل فيهما سائر أبناء إبراهيم .

الباب العاشر:و هو أطول أبواب الكتاب في نبوات الأنبياء عليهم و على نبينا أفضل الصلاة و السلام، و قد تابع في هذا الفصل ما قد بدأه في الفصل السابق من ذكر نبوءات الأنبياء عن الرسول صلى الله عليه و سلم، فوفاهنّ ستين نبوءة موزعة على كتب الأنبياء و المزامير و الأناجيل و ملحقاتها، و ختم هذا الفصل بالرد على بعض ما يثيره النصارى ،فرد على:

- من ذكر أن المهاجرين و الأنصار دخلوا في الدين من غير آية.
- من عاب الإسلام سنة من سننه و شريعة من شرائعه.
- من أنكر مخالفة النبي صلى الله عليه و سلم موسى و المسيح في تغير سنن التوراة و الإنجيل.
- من زعم أن القيامة لم يذكرها أحد غير المسيح عليه السلام، ثم ختم بالدعوة إلى الإسلام و مقارنة الإسلام بغيره من الديانات السابقة.

و الطبري في كتابه هذا يظهر معرفة كبيرة بالنصوص الكتابية إضافة إلى قدرته على توجيه هذه النصوص ،و بيان مواضع الدلالة فيها،هذا و أنبه إلى وجود اختلاف كبير في كثير مما نقله الطبري من نصوص كتابية عما ورد في الترجمات الحديثة للكتاب المقدس،ومرد ذلك ولا ريب يرجع إلى ما تعرض له الكتاب المقدس في طبعاته وترجماته الحديثة من التحريف والتبديل.وقد اعتمد على نصوص ابن ربن جل علمائنا الذين ردوا على النصارى .

***الحسن بن أيوب**

والحسن بن أيوب نصراني أسلم على يد المعتصم،قال عنه شيخ الإسلام: " من أعلم الناس بمقالاتهم،..كان من علمائهم ،وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم "، وكانت وفاته في سنة ثمان وسبعين و ثلاثمائة للهجرة .[1]

---

(١) انظر بعضاً من ترجمته في الفهرست ، ابن النديم ، ص٢٢١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١/ ٣١٣ .

وله رسالة كتبها لأخيه النصراني علي بن أيوب يدعوه فيها للإسلام .[1]

وقد أثبت هذه الرسالة المهمة شيخ الإسلام في كتابه القيم"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح "، وشغلت منه ما جاوز الأربعين صفحة .

ويذكر المؤلف في مقدمة رسالته أنه بقي عشرين سنة والشك يداخله في دينه ،وهو مستبشع له، وشرح أسباب انتقاله للإسلام ،فقال "فلم أدع كتاباً من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء والقرآن إلا نظرت فيه وتصفحته،ولاشيئاً من مقالات النصرانية إلا تأملته،فلم أجد للحق مدفعاً،ولا للشك فيه موضعاً،ولا للأناة والتلبث وجهاً،خرجت مهاجراً إلى الله عز وجل بنفسي ..."، ثم شرع يذكر الفرق النصرانية مبيناً ما اتفقوا عليه و ما اختلفوا،ثم ذكر الأمانة مبيناً ما فيها من مخالفة للمعقول.

ودعا النصارى للتأمل و التدبر في أحوال المسيح و المصلوب ،ليبطل من خلالها ألوهية المسيح و صلبه، و يذكر الحسن من أقوال معاصري المسيح ما يفند القول بألوهيته عليه السلام.

ثم ذكر النصوص الموهمة التي توهم منها النصارى ألوهية المسيح ،وتأولها على وجوه تنفي كل دلالة لها على معتقدات النصارى .

و هو يتوجه لأخيه النسطوري فيخاطبه مذكراً إياه بما يرفضه من معتقدات اليعقوبية و التي هي أقرب للأمانة من معتقدات سائر فرق النصارى ، وذكر تمثيل النصارى للتثليث بالشمس و ضوءها و حرها، وأبطله، ثم ناقش عقيدة الفداء ،و ذكر مخالفتها للنصوص الكتابية و ما يترتب عليها من أثر في حياة العُصاة .

و استعرض بعضاً من معجزات عيسى، و بين وقوع أمثالها من غيره عليه السلام، و أثبت بشريته من خلال أقواله و أفعاله و أقوال حواريه، ثم رجع لنقد النصوص المُشكلة و الموهمة ، و تأولها بعيداً عن تفاسير النصارى منتصراً لتأويله و مدللاً عليه بما جاء من نصوص كتابية أخرى اشتركت معها في ذكر ألفاظ الحلول، و النبوة، أو الأبوة، و لم يقل النصارى بألوهية من تحدثت عنهم هذه النصوص .

ثم ختم رسالته بدعوة أخيه إلى توحيد الله، و نبذ الشرك، و توجه إلى الله بالدعاء أن يتم عليه تسديده،و أن يحييه و يميته على الإسلام فهو على كل شيء قدير .

وتعتبر هذه الرسالة من أهم الردود الإسلامية في القرون الأولى، و أهميتها ليست فقط لإجادة مؤلفها للجدل العقلي، بل أيضاً لمعرفته الواسعة بالنصوص الكتابية و حجج القوم المختلفة و ممازجته بين هذين النوعين من الاستدلال، و هذا ما نراه واضحاً لأول مرة في الردود الإسلامية .

و قد أفاد من بعده كثيراً منه و خاصة شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أورد الرسالة كاملة في كتابه " الجواب الصحيح "، كما أفاد منها المهتدي نصر بن يحيى المتطبب في كتابه " النصيحة الإيمانية " .

***أبو الوليد الباجي**

والباجي هو الإمام سليمان بن خلف الأندلسي،قال عنه الذهبي: " الإمام العلامة الحافظ،ذو

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/٣١٣-٣/٤.

الفنون ،القاضي " ،وقد توفي سنة أربعمائة وأربع وسبعين للهجرة .[1]

وله في الرد على النصارى رسالة رد فيها على راهب فرنسا[2]،وقد كتب الباجي هذه الرسالة بعد أن وجه راهب فرنسا رسالة للمقتدر أمير سرقسطة يدعوه فيها للدخول في النصرانية ليحصل له النجاة في الآخرة ،و عظم النصراني في رسالته دينه مبرزاً دور عيسى في إنقاذ البشرية من هلكة إبليس بدمه الطاهر، و أكد أصالة عقيدة (الالتحام المقدس) حيث جاءت بها الكتب السابقة، و لم يذكر دليلاً عليه، و طلب جواباً على رسالته بكتاب فإن لم يتيسر ذلك فليكن الجواب عن طريق الرسولين حاملي رسالته، و الذي يظهر أن مهمتهما كانت ليس مجرد حمل الرسالة ،بل كانت مهمة الوفد " أن يوردا عليك — المقتدر — كلاماً إلهياً على ما يوفقهم الله إليه، و يشرحون إليك حقيقة دين النصارى ، و يقررون عندك معرفة المسيح سيدنا الذي لا ينبغي الإيمان بأحد سواه ...."

و أما جواب القاضي عليها فيبدأ بعبارات تلطف للراهب مذكراً إياه بأهمية الرجوع إلى الحق و الحرص عليه.

و يذكر الباجي أن ما أتى به رسل الراهب هذه المرة، و في مرات سابقة إنما هو من المحال الذي قد يظن الراهب أنه يجوز على ضعفاء المسلمين كما يجوز على النصارى، و كان جواب الأمير حينذاك الإعراض رجاء عودة الراهب للحق، ثم شرع يتعرض لموضوعات رسالة النصراني و يرد عليها ،و كان أهم ما تطرق له:

*عدم وجود أي نص يدل على الالتحام المقدس في الكتب السابقة.

*إثبات بشرية عيسى بدلالة أفعاله البشرية بل و حتى معجزاته حيث وقع من غيره من الأنبياء أمثالها.

*إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم بدلالة معجزاته و شريعته و أخلاقه عليه الصلاة و السلام.

*أهمية الفداء المزعوم و مبرراته و أثره على الإنسانية ،و ناقش بسخرية لاذعة القول بموت الإله من غير أن يراعي تفسيرات الفرق النصرانية لموت المسيح.

*أن الكتب النصرانية مليئة بالمتناقض و الغرائب و التلفيقات، واكتفى بمثال واحد للتناقض ألا و هو نسب المسيح بين متى و لوقا.

و في خلال طرقه لهذه الموضوعات تحدث الباجي عن قلة العلم عند النصارى ،وأن سببه بعدهم عن المناظرة و المحاورة، و دعاهم إلى الخروج عن الإلف و العادة، و النظر في شريعة الإسلام و الإيمان به، ودعا الراهب إلى عدم الحرص على مكانه في قومه.

و ختم الرسالة بذكر بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن عاقبة الاستكبار و الظلم بتكذيب آيات الله ،و تدعوه بدعوة القرآن لأهل الكتاب ﴿ قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٨ /٥٣٥ ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ٤٨/٢ ، تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، ١١٧٨/٣.

(٢) رسالة راهب فرنسا للأمير المقتدر بالله ، ورد الباجي عليها، تحقيق: محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ، ١٤٠٦هـ .

مسلمون ﴾ [1]

***أبو عبيدة الخزرجي.**

و أبو عبيدة الخزرجي هو أحمد بن عبد الصمد الخزرجي الساعدي، من فقهاء الأندلس، ولد في قرطبة، و اشتهر في شبابه بالذكاء و النبل و حفظ الأحاديث و الإلمام بالتواريخ و القصص و الأدب ، و انتقل إلى غرناطة ثم بجاية ثم استوطن فاس، و مات بها، و كانت وفاته سنة اثنتين و ثمانين و خمسمائة هجرية[2].

و له كتابه المشهور باسم " مقامع هامات الصلبان، و مراتع روضات الإيمان "، و قد حققه محمد شامة و طبعه بعنوان " بين الإسلام و المسيحية ، كتاب أبي عبيدة الخزرجي " [3] و ألجأه إلى ذلك ما وقع من خلاف في عنوان الكتاب بين نسخ الكتاب المختلفة.

و قصة هذا الكتاب كما أوردها ناسخ النسخة التي اعتمد عليها محمد بن شامة في تحقيقه و هي أنه " لما نفذ القضاء من الله تعالى على قرطبة باندثار ملكها و تفرق أهلها عنها لتتابع ضنكها ألحق بطليطلة صبياً من آل عبد الحق يوصف بالذكاء، و كان بها قسيس من القوط يكثر الاعتراض في الدين على نفر كانوا تابعين له من المسلمين، فجعلوا يرفعون أسئلتهم إلى الصبي فيجيبهم الصبي عليها، فيرجعون بذلك إلى القسيس، فأنكر إجابتهم لعلمه أنهم ليسوا من أهل الذكاء، فاستفتاهم فأعلموه بذلك، فكتب القوطي إليه كتاباً، و سألهم أن يوصلوه إليه، و يأتوا منه بجواب " و ساق رسالة كتبها القوطي إلى الخزرجي ثم " لما وقف الصبي على هذه الرسالة زجر موصليها ،و امتنع عن مراجعة القسيس تخوفا منه، لكونه يومئذ بين ظهرانيهم، و في كنه ديانتهم ،فألحوا عليه في الجواب.و في خلال ذلك حان موعد سفره عنهم ،فكتب هذا الجواب المسمى " بمقامع الصلبان، و مراتع روضات الإيمان "و تركه عندهم و مضى ".

و أما رسالة النصراني فهي تشتمل على عرض لمعالم الدين النصراني، و دعوة منه للخزرجي إلى الدخول في دينه كما فيه إثارة لبعض الشبهات يقارن فيها بين الإسلام و النصرانية، و يفضل فيها النصرانية من خلال هذه المقارنات التي كان موضوع بعضها الشرائع و أخرى المعتقدات.

و جاء كتاب الخزرجي رداً على النصراني في جميع ما أثارته رسالة القوطي النصراني، و بدأه بالاعتذار عن عدم مجاوبة القسيس مما يرى من ركاكة مقالة النصارى، و حكى بعضاً من أقوال العقلاء في ذم النصرانية على اختلاف مللهم، فذلك يرى عدم أهلية النصارى لسماع مقالته ، و لما يرى من أن " الالتفات إلى ما لديكم يخل بعقل الإنسان و دينه ".

ثم شرع في إبطال ما ورد في رسالة النصراني ،فأبطل أدلة النصارى على حلول الله في المسيح، و كذا النصوص التي توهم النصارى ألوهيته، و كذا أبطل الأدلة النصية على التثليث.

ثم تعرض لتناقضات الأناجيل، فذكر أمثلة لها، و تساءل عن الإنجيل الذي أنزله الله أين هو؟ و أين

---

(١) سورة آل عمران ، آية: ٦٤ .

(٢) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ، صلاح الصفدي ، ٦٦/٧ ، الديباج المذهب في معرفة أصحاب المذهب ، ابن فرحون المالكي ، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، ص ٢١٥-٢١٦

(٣) بين الإسلام و المسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، تحقيق: محمد شامة. مكتبة وهبة. القاهرة.

كلماته من بين هذه الكلمات؟ فما هذه الأناجيل " إلا حكايات و تواريخ و كلام كهنة و تلاميذ و غيرهم حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الأناجيل، و يعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين ، و إنما هو فكاهات المجالس ".

ثم تحدث عن حادثة الصلب ،و تعرض لها بنقد صارم أبطل من خلالها أن يكون المصلوب عيسى، و وضع احتمالات مختلفة لما حصل في تلك الليلة مستشهداً على صحة فكرته بالنصوص الكتابية و العقلية و التاريخية .

و هو بذلك ثاني رد إسلامي تعرض لنقد حادثة الصلب بعد القاضي عبد الجبار، ويمتاز الخزرجي بأنه قدم محاولة جريئة و ناجحة لنقد مسألة صلب المسيح اعتمد عليها جميع من جاء بعده ممن تعرض لهذه المسألة.

ثم أسهب في الرد على شبه النصراني فكان رده مشتملاً على عدد من قضايا إعجاز القرآن الكريم و معجزات نبينا محمد صلى الله عليه و سلم المختلفة .

و ذكر أيضاً من النصوص الكتابية الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه و سلم ما قارب الأربعين نصاً من الكتب المقدسة عند النصارى .

ثم ختم كتابه بخاتمتين ،و لعلهما أو أحدهما من قول الناسخ و المراجع للكتاب كما في بعض النسخ، الأولى :تتحدث عن أفعال عيسى البشرية و التي تنفي عنه الألوهية بكل حال، و الثانية: فيها بعض ما تعرض له المسيح من الأذى و السفه من اليهود، و كل ذلك مؤذن بعدم ألوهيته، بل ببشريته و رسالته.

***نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب المهتدي.**

و نصر بن يحيى طبيب نصراني أسلم بعد نظر و بحث و دراية، ثم كتب " النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية " [1] و اشتهر بالمهتدي [2]يقول محقق النصيحة: "و لم تذكر التراجم سنة وفاته، و لم تشر المخطوطة إلى عصره أو ما يدل عليه و لو تخميناً ".

و تحدثت كتب التراجم عن طبيب نصراني اسمه يحيى بن يحيى بن سعيد المتطبب توفي سنة خمسمائة و تسع و ثمانون هجرية ،وكان أديباً شاعراً عارفاً بالطب، و يفترض محمد الشرقاوي محقق الكتاب أنه مؤلف " النصيحة "، و أن تصحيفاً وقع بالاسم، و يستند في هذا الغرض إلى أن صاحب النصيحة عاش بعد سنة٤٤٩هـ ،لأنه نقل مقطوعة من شعر المعري، و أنه طبيب تجلى في كتابه الجزالة و الفخامة و حسن السبك و تخير العبارة مما يؤكد مقدرته الأدبية، فلو تحقق الافتراض فإن نصر بن يحيى كانت وفاته

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى المتطبب ، تحقيق محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٤٠٦.

(٢) انظر هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، ٤٩٢/٦ .وانظر ترجمة يحيى بن يحيى في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٨٦/٤ ، معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ٤٠/٢٠-٤١ ، معجم الأطباء ، أحمد عيسى بك ، ط١ ، مطبعة فتح الله إلياس نوري ، ١٣٦١هـ ، ص٥١٧ .

بالبصرة سنة٥٨٩ هـ.[1]

وتبدأ "النصيحة" بحديث عن فضل الله في هداية صاحبها بعد نشأته على ملة أبويه النصرانيين، وقدم لرسالته فذكر أنها "مختصرة توضح عقيدتهم،و تظهر أمرهم ،و تثبت كفرهم".

وأما فصول الكتاب الأربعة فتحدث في الأول منها عن فرق النصارى الثلاث و اعتقادهم في طبيعة المسيح، و أمثلتهم التي ضربوها للتثليث.و في المبحث الثاني من هذا الفصل أبطل معتقداتهم،ودحضها معتمداً على الدليل العقلي ،ثم ذكر أمانة النصارى ونقدها.

وفي الفصل الثاني من كتابه تحدث عن تناقض كلام النصارى و دعاويهم و اختلاف أقوالهم، فأبطل قولهم بالاتحاد على أي صورة، و نقد استدلالاتهم النصية معتمداً على النصوص الكتابية، و تعرض في خاتمة الفصل لعقيدة الفداء و الخطيئة .

و في الفصل الثالث ذكر معجزات المسيح عليه السلام و ادعاء النصارى ألوهيته، و ذكر ما كان لغيره من الأنبياء من المعجزات، و استعرض فيه معجزات عيسى، و ذكر أنها مسبوقة بمعجزات غيره من الأنبياء، و أن هذه المعجزات هي من الله.ثم سرد النصوص التي تثبت بشريته و نبوته بشهادة الأناجيل و الكتب الملحقة به مظهراً معرفة كبيرة بالنصوص الكتابية و قدرة كبيرة على استحضارها، ثم تعرض لبعض ما يتعلق به النصارى من نصوص فهموا منها ألوهية المسيح أو حلول الله فيه، و أبطلها بالنصوص الكتابية و الاستدلالات العقلية .

وأما الفصل الرابع فخصه المؤلف لذكر الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل و غيرهما .

وفي بداية هذا الفصل تعرض للشبهة التي يثيرها النصارى و هي أن محمد صلى الله عليه و سلم جاء بالسيف دون المعجزات، و أن أحداً من الأنبياء لم يبشر به، فرد عليها مذكراً بمعجزة القرآن الكريم، و أن مشروعية القتال كانت " بعد ظهور المعجزة و قيام الحجة و وضوح الدلالة " ،و قارن بين القرآن الذي وقع به التحدي و أخبار التوراة و الإنجيل التي تحوي الكثير من الغث، و ضرب لذلك الأمثال .

ثم ذكر أربع بشارات من العهد القديم استدل بها على نبوة نبينا صلى الله عليه و سلم ، و ختم كتابه بتكرار الحمد لله على نعمة الإيمان ، و ذكر بعض الآيات القرآنية التي يدعو بها لنفسه رحمه الله .

و قد أفاد نصر بن يحيى في كتابه هذا من رسالة المهتدي الحسن بن أيوب في مواطن مطولة من رسالته، و كذا كان من أهم مراجعه كتاب "الدين و الدولة" للطبري، و يجزم الدكتور الشرقاوي برجوع نصر بن يحيى إلى مؤلفات القاضي عبد الجبار لاتفاقهما في بعض المسائل و طريقة طرحها.

---

(١) ولا نرى لهذا الافتراض وجهاً، إذ من الصعب أن يتصحف يحيى إلى نصر،كما أن أصحاب التراجم لم يذكروا إسلامه،فضلاً عن أن يذكروا بأن له كتاباً في الرد على النصارى. انظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي ١٨٨/١٩ ، البداية و النهاية ، ابن كثير ١٧/١٢ ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعة ، تحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م ، .

*أبو البقاء صالح بن الحسين بن محمد الجعفري

لم يحظ الجعفري على أهمية كتبه بكثير رعاية عند أصحاب التراجم . فقد ذكروا أنه صالح بن الحسين الجعفري الزيني " كان رئيساً نبيلاً عارفاً بالأدب ، ولي قضاء قوص مدة " ، وكانت وفاته سنة ستمائة وثمان وستون هجرية .[1]

وله كتابات في الرد على النصارى : أولهما كتاب " تخجيل من حرف الإنجيل "[2] وقد طبع هذا الكتاب ونشر في مطلع هذا القرن ، ولم أستطع العثور عليه،وقد حقق وطبع مؤخراً ،ووصل إلى يدي والرسالة ماثلة للطبع . فاكتفيت باختصاره الموسوم " بالمنتخب الجليل " للسعودي ، وسيرد في محله ، كما يعتبر كتابه الثاني اختصاراً له وتنقيحاً لما فيه كما ذكر ذلك محققه . وهذا الكتاب أي الثاني هو " الرد على النصارى "[3] ،وأما كتابه الثالث فهو " العشر المسائل " وله عنوان آخر " الواضح المشهود في فضائح النصارى واليهود "[4] ، وهو أيضاً تلخيص للتخجيل.

وسبب تأليف الكتاب أن المؤلف " وقف على مسائل ذُكر أن الفرنج بعثوا يمتحنون بها أهل الإسلام ، فنظرت فيها فإذا هي خالية في الفوائد الدينية عاطلة عن المنافع الدنيوية ، أقرب الأشياء شبهاً بخرافات النسوان وترهات الولدان كسؤالهم عن الماء : هل له لون أم طعم أم لا ..."

لكن المؤلف اكتفى بالإجابة عنها باعتبار ما سألوه " هو صفر عن الفائدة ، خلي عن الحكمة ". كما أحالهم على إجابات " ضعفاء طلبة العلم وصغار الفقهاء في أصحابنا " ، وسبب تجاهله لأسئلتهم السخيفة انشغاله بإلقاء" مسائل في إنجيلهم " ومطالبته إياهم بالجواب عليها .

وكانت المسائل التي طرحها عليهم سبع مسائل كونت أبواب الكتاب السبعة حيث تناول في المسألة الأولى زعم النصارى بأن المسيح ابن الله وقلب المعاني المحتملة لهذه الكلمة ، ثم أبطلها جميعاً أو أبطل اختصاص المسيح بها مستخدماً الأدلة العقلية تارة والأدلة الكتابية تارة أخرى .

وفي المسألة الثانية ناقش مسألة الاتحاد ، مستخدماً السبر و التقسيم ،فذكر الوجوه المحتملة للاتحاد ، فأبطلها سوى معنى واحد هو الاتحاد على سبيل المحبة والموافقة بإجابة الدعوة ، ولكن ذلك يشركه فيه الأنبياء والمرسلون والصالحون الذين أجاب الله دعاءهم وأيدهم بالمعجزات كما وردت بذلك النصوص الكتابية .

وفي المسألة الثالثة تحدث في إبطال دعوى القتل والصلب ، واستلزمت منه هذه المسألة التحدث أولاً عن حقيقة المسيح الذي اختلفت فيه الفرق النصرانية ، وقد شكك الجعفري في زعم النصارى بصلب

---

(١) انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢٩ / ٤٣٨ ؛ الوافي بالوفيات ، ابن خلكان ١٦ / ٢٥٦ – ٢٥٧ .

(٢) انظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، السعودي . مخطوط له صورة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، برقم : ١٥ع .

(٣) الرد على النصارى لأبي البقاء الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين ،ط مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٩ هـ .

(٤) الكتاب ما يزال مخطوطاً وهو محفوظ بمكتبة المتحف البريطاني. انظر كلام محمد محمد حسانين محقق : " الرد على النصارى ، الجعفري "، ص ٩ .

المسيح ، واعتمد في ذلك على عدم تواتر القصة ، وأورد ثماني حجج استنبطها من الروايات الإنجيلية ليصل إلى نتيجة أن المصلوب ليس عيسى .

ثم عاد فنال من الروايات ، واعتبرها كذباً صراحاً بدلالة الكذب الذي لا يدفعه أحد ، وذلك في عدم تحقق آية يونان النبي في المكث في الأرض ثلاث ليال وثلاثة أيام (انظر متى ١٢/٣٨-٤٠)

وأما المسألة الرابعة فجعلها لإبطال دعوى الثالوث ،واستند في ذلك على عدم الدليل على حصر الأقانيم بثلاث ، وتساءل هل الإلهية لكل من الأقانيم الثلاثة أم الجميع إله واحد أم الإله واحد منها والباقي صفات له ؟ وذكر ما يلزم على كل قول منها من لوازم عقلية تنقض أمانة النصارى ودينهم .

وفي المسألة الخامسة تحدث عن تناقض الأناجيل وعرض ذلك من خلال دراسة ثلاثة عشر نصاً إنجيلياً تناقض فيه النص مع بعضه أو مع نص آخر أو كذبه الواقع.

وفي المسألة السادسة تحدث في إثبات بنوة المسيح عليه السلام ، وكان مقصده في هذه المسألة ترغيم أنوف اليهود والنصارى على السواء ، فكلاهما أبعد القول في المسيح ، فاليهود كذبوا معجزاته ورموه بالسحر مع أن كل ما قالوه في عيسى ينعكس عليهم في معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام .

وأما النصارى القائلون بألوهية عيسى فأقوال المسيح وتلاميذه تكذبهم وكذا أقوال معاصريه ، بل سائر النصوص الإنجيلية تثبت بشريته عليه السلام من خلال أقواله وأفعاله وتقريراته لما يشير ويؤكد بشريته

وخلال توجيه الجعفري لهذه النصوص يذكر بأنه لا يجوز غمز استدلاله بهذه النصوص لأن المسيح لا يسوغ له التقية في بعضها ، كما لا يسعه تأخير البيان في بعضها الآخر ،و في ذلك تضليل لأمته وإقرار لها على الكفر . والتأخر في تصحيح معتقدات الناس لا يليق نسبته إلى المسيح .

ويرى الجعفري أن الإلف ودعاة السوء هي التي أعمت بصائر النصارى عن هذه النصوص ، وبعد سرد عدد كبير من النصوص التي تشير إلى بشرية المسيح ونبوته يقول " فيقال لهم : أحق ذلك أم باطل ؟ فإن اعترفوا أنها حق تركوا التنصر ، وإن زعموا أنها باطل كفروا بالإنجيل وتركوا دين النصرانية . فهم كيفما أرادوا فارقوا ما هم عليه لا محالة " .

وأما المسألة السابعة فقد جعلها لإثبات نبوة محمد ﷺ ، فنبوته تتأتى من أصول ثلاثة ،أولها : دعواه النبوة . وثانيها : تحديه أولي الألباب بالخوارق الباهرة . والثالث : تنصيص الأنبياء المتقدمين عليه .

والأول ثبت بالتواتر، وكذا كثير من معجزاته عليه السلام التي لا يمكن الطعن فيها ، وإن جاز فالطعن بما ذكروه في آيات الأنبياء أولى .

وساق الجعفري عدداً من معجزاته عليه السلام المتواترة والآحادية، وقارنها بمثيلاتها من معجزات الأنبياء مبيناً فضله فيها عليه السلام على سائر الأنبياء .

وأما بشارات الأنبياء التي ذكر منها سبعاً وعشرين بشارة فيه عليه الصلاة والسلام ، فيرى الجعفري قوة دلالتها لأن هذه البشارات لازمة التحقق عند من يؤمن بقدسية هذه الكتب . وكعادة من سبقه وجه هذه النصوص مستعيناً بالقرآن والسنة والنصوص الكتابية الأخرى لمنع صرفها عن النبيﷺ .

والجعفري خلال كتابه " الرد على النصارى " يجمل في طرحه،ويشير إلى تفصيله لعدد من المواضع

المجملة هنا في كتابه " التخجيل " .

وقد أظهر المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب القيم معرفة رفيعة بالنصوص الكتابية قل أن تجد لها نظيراً عند غيره من أصحاب الردود الإسلامية ، وقد أضاف إليها تسلحه بالدليل العقلي فكان يلجم خصمه بالحجة السهلة التي لا تدفع .

*** الخطيب السكندري جعفر بن عبد الوهاب**

وله كتاب " أدلة الوحدانية في الرد على الملة النصرانية "[1] .

وقد نسب عبد الرحمن دمشقية الكتاب إلى القرافي مستنداً إلى ما جاء في تراجم القرافي من أنه له كتابًا يسمى " أدلة الوحدانية في الرد على الملة النصرانية " ، و لم يقدم أي دليل سوى ذلك يوثق نسبة الكتاب الذي حققه إلى القرافي . والصحيح عندي أن النص الذي حققه دمشقية هو كتاب غير كتاب القرافي ، وإن اشتركا في الاسم ، فهذا من توارد الخواطر .

ومؤلف هذا النص هو جعفر بن عبد الوهاب الخطيب السكندري والذي يدفعني لهذا الترجيح أمور :

أولاً : أن مخطوطة الكتاب التي بين يدي والمصورة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية صريحة في نسبة الكتاب للسكندري كما سطر ذلك ناسخها على غلاف المخطوطة وخاتمتها .

ثانياً : تباين الأسلوب الإنشائي بين الكتاب الذي بين أيدينا وكتاب " الأجوبة الفاخرة " المتميز بأسلوبه الإنشائي .

وسبب تأليفه أن المؤلف أراد أن يهدي السلطان هدية ورأى تفنن الناس في الإهداء عندها يقول : " أجلت طرف الفكر ميدان النظر أي فن أقصد إليه ، وأرجو من الله أن يثيبني عليه في الآخرة ، فظهر لي أن أول ما تصرف إليه الهمم ، وتتفاوت فيه القيم ، وتتنافس فيه الأفاضل ، ويتميز به المفضول في الفاضل الذب عن حوزة الدين ، وحراسة بيضة المسلمين بالبحث في الملل والأديان وإقامة الدليل على وحدانية الملك الديان ... فنظرت في أهل الشرائع والمذاهب ، وتفكرت فيمن هو فيها عن التوحيد ذاهب ،فلم أجد سوى مذهب النصارى الضالين الحيارى المتشبثين بخيوط العنكبوت ، القائلين بحلول اللاهوت في الملكوت ، ووجدتهم مع قلة علمهم وعدم فهمهم وكثرة جهلهم قد طبقوا أكثر الأرض ..." .

فكان هذا الكتاب وهو في أصول أربعة :

الأصل الأول : حكى فيه عقائد النصارى في فصول سبعة ، فذكر الاتحاد والتثليث وأدلته ، والصلب والفداء ، وفي الفصل السابع حكى عن عشرة مجامع كبرى للنصارى ، فذكر ظروف كل مجمع ، وماذا تنتج عنه وبعض ما جرى فيه الخلاف والتكفير في بعضهم للآخرين ثم عقب بقوله : "انظروا رحمكم الله بعين الاعتبار إلى هذه المجامع والحشود الذين يزعمون أنهم علماء النصرانية ومقدموهم ونقلة الدين إليهم كيف يكفر بعضهم بعضاً ؟ وكيف ارتكبوا في هذه المجامع الضلالات ؟ وقالوا باختلاط القديم

---

(١) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، نسبه المحقق للقرافي ، تحقيق عبد الرحمن دمشقية ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ.

بالمحدثات ، وكذبوا سائر الكتب والنبوات ، وجعلوا الثلاثة واحداً ، والرب ولداً والقديم محدثاً ، وهم حائرون في معرفة إلههم لم يستقر لهم قدم ، وكل من تأخر منهم يلعن من تقدم ، وكل منهم قد اتخذ إلهه هواه ، وباح باللعن والتبري ممن اتبع سواه " .

ويجدر هنا القول أن أول من تحدث بإسهاب عن المجامع من علمائنا هو الخطيب السكندري فقد أشار إليها القرافي في " الأجوبة " ،وفصلها السكندري في هذا الكتاب .

وأما **الأصل الثاني** فكان لإثبات مخالفة النصارى للنصوص الكتابية، ويرى الخطيب أن الخلل دخل على النصارى" في السبعين " الذين صنفوا " هذا الكذب والبهتان في خوفهم من القتل والهوان ، فأخذه قيصر ملك الروم بالتسليم ، وظن أنه مستقيم وسلمه للقسيسين والرهبان أهل الكفر والطغيان ، فاستنبطوا منه " تلك المعتقدات السقيمة " وقالوا لكم على كل قول في هذه الأقوال دليلاً تشهد به التوراة والنبوات والإنجيل " مع أنه " لا حرف واحد يشهد لكم إذا رجعنا إلى المحاكمة " وساق نصوصاً تثبت بشرية المسيح ووحدانية الله، وفند الأدلة التي اشتبهت على النصارى في التوراة والإنجيل ، فظنوا أنها دالة على الصلب أو التثليث أو غيره .

وفي سائر رده اعتمد على النصوص الكتابية في إبطال المعاني التي اعتقدها النصارى مع إفادته من الدليل العقلي خاصة في إبطاله عقيدة الفداء والخلاص، وقد توسع فيها فانتقدها في محاور عدة منها : إبطال القول بصلب المسيح وإبطال ما استدل به النصارى على ذلك في المزامير ، ومنها تعلق الذنب بصاحبه حسب النصوص الكتابية ، ومنها نقد تقديسهم للصليب حسب ما جاء في الرواية التاريخية المزعومة التي ابتدعها قسطنطين ، ومنها ما يترتب على هذه العقيدة في أثر في حياة الناس وفي إبطاله لعقيدة التجسد مفنداً استدلال النصارى بمعجزات عيسى ،ويرد الخطيب على الفرق النصرانية المختلفة وكذا عقيدة التثليث وأمانة النصارى ،ويبين ما فيها من تناقض .

ثم تحدث في هذا الأصل الذي شغل نصف كتابه ،فذكر عدداً من النصوص المستقاة من التوراة والمزامير التي تبشر بنبينا ﷺ ووجهها لتظهر دلالتها على نبينا ﷺ مستشهداً لذلك بالنصوص الكتابية الأخرى .

وفي **الأصل الثالث** أوجز الحديث عن الأناجيل مؤكداً غلط نقلتها لما فيها من تناقض بين نصوصها المختلفة أو ما فيها من أمور هامة وقصص ذكرها بعضهم وغفل عنها الآخرون ، فهذا كاف لرد الأناجيل وعدم اعتبارها نصوصاً موحاة من الله العظيم .

وأما **الأصل الرابع** فخصه لذكر بعض البشارات بنبينا ﷺ ، كما تحدثت بها الأناجيل ووجه هذه النصوص .

وأبرز ما يلاحظ على هذا الكتاب أنه ذكر نصوصاً نسبها للتوراة والإنجيل لم أجدها عند أحد أصحاب الردود قبله ، كما لم يذكرها أحد بعده كما في قوله أنه في الإنجيل " أن الله لم يلد و لم يولد و لم يأكل و لم يشرب ولا ينم ، ولا رآه أحد" ومثله " أنه لما حضرت يعقوب الوفاة قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ".

والسؤال هل هي مما ترجمه المؤلف بنفسه عن العبرية فلم يذكرها الآخرون؟أم أنه نقلها من مصدر

لانعرفه، ولا يبعد أن يكون النص أصيلاً، وأن مصدر المشابهة مع ما جاء في القرآن كون أصلها واحد كما قال الله ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾[1]

*** نجم الدين الطوفي**

والطوفي هو سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري ، فقيه حنبلي ، له مؤلفات عدة اتهم بفساد العقيدة ، قال ابن العماد : " كان مع ذلك شيعياً منحرفاً في الاعتقاد عن السنة حتى أنه قال عن نفسه : " أشعري حنبلي رافضي هذه إحدى العبر "، وقال المقدسي : "وقد امتحن في آخر عمره بسبب أشياء نسبت إليه ، الله أعلم بحقائقها ". وقال ابن حجر: " استقام أمره وأقبل على قراءة الحديث "، لكن ابن رجب كان قد شكك في توبته ، واعتبرها من نفاقه . ولم أجد في كتابه سوى ما يؤكد سلفية مذهبه خلا قوله بأن خبر الآحاد يفيد الظن"[2] .

وله في الرد على النصارى كتابان : أولهما " التعليق على الإنجيل " ، وهو كتاب مفقود أحال عليه مراراً في كتاب الثاني " الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية "[3] كما ذكر ابن رجب الحنبلي في ترجمته للطوفي أن له كتاباً ثالثاً هو " تعاليق في الرد على جماعة النصارى "[4] .

أما كتابه الأول المفقود فقد أحال عليه أربعة عشرة إحالة في " الانتصارات " وقد سماه في بعضها " التعاليق على الإنجيل " وفي أخرى " الفوائد والتعليق على الإنجيل " .

ومن خلال هذه الإحالات نستطيع أن نكون فكرة جيدة عن مواضيع الكتاب وأغراضه الجدلية النصرانية . ومنها :

- أن مما يقوله أهل الكتاب صدق لذا ينبغي عدم تكذيبهم في سائر أخبارهم .
- شناعة معتقد النصارى بأن المسيح هو الله ، وعجز النصارى عن إثبات ألوهية عيسى .
- خصص فصلاً لبشارة يوحنا بالفارقليط .
- بيان التناقض والاختلاف في التوراة والإنجيل ، وإثباته ، وبيان أسباب هذا الاختلاف بين الأسفار المقدسة .
- حديث عن صيام زكريا عليه السلام وتحرير سببه ، هل كان عقوبة أم آية ؟
- إثبات النعيم الحسي في الجنة والرد على منكريه .

وأما كتابه "الانتصارات" فيقول عن سبب تأليفه : " رأيت كتاباً صنفه بعض النصارى يطعن في دين الإسلام ، ويقدح به في نبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فرأيت مناقضته إلى الله ورسوله قرباناً ،

---

(١) سورة الأعلى ، آية: ١٧ - ١٨ .

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ، ابن العماد ٦ / ٣٩ — ٤٠ ؛ والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر ٢ / ١٥٤ — ١٥٩ ؛ ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي ٢ / ٣٦٦ — ٣٨٠ ؛ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، عبد الرحمن العليمي المقدسي ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ٥/٥-٧ .

(٣) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، تحقيق: أحمد حجازي السقا ، دار البيان ، مصر.

(٤) انظر ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي ، دار المعرفة ، بيروت ٢ / ٣٧٩ .

ورجوت بها مغفرة من الله ورضواناً ". وأما طريقته في تتبع كلام النصراني فيقول عنها : " فأوردت مناقضته ، حرفاً من كلامه فحرفاً ، وأبنت عن مقاصد السؤال والجواب على وجه لا يخفى ، مع تلخيص العبارة خشية الضجر والإملال وتخليص المعاني ونصوصيتها خيفة الإخلال والاختلال " .

ولم يذكر الطوفي اسم مجادله ولا اسم كتابه ، ولكن يظهر أنه عالم من علماء الأرثوذكس – اليعاقبة – ، وقدم لرده على النصراني بمقدمات كلية ثلاث " تتضمن مباحث جلية ، عليها ينبني معظم الجواب ، وبها يتيسر ظهور الصواب " .

– وفي المقدمة الأولى : ذكر أنه لا يستدل على المسلمين بما لا يسلمون بصحته من الكتب السابقة كما لا يستدل على النصارى ولا يحتج بالقرآن الذي لا يؤمنون به .

– وفي المقدمة الثانية : ذكر أن الشرع لم يأت بما ينافي العقل ، ولكن قد يضعف عن إدراك بعض ما تأتي به النبوات من الممكنات ، لذا لا يجوز رد قول الصادق لضعف في أمر قصر العقل عن إدراك مضمونه .

– وفي المقدمة الثالثة : ذكر أن الأدلة الشرعية متنوعة ، ولها مراتب مختلفة بحسب اختلاف مدلولاتها "ولا تثبت أصول الشريعة إلا بقاطع كالبديهيات والنظريات[1] والمتواترات "، لذا لا يقبل المؤلف من النصراني أن يورد عليه في الأصول مالا يقوم به العلم . وأما فروع الشريعة فتثبت بالخبر المستفيض وخبر الواحد والقياس الظني والاستحسان وغيره من أدلة الأحكام[2] .

وفائدة هذه المقدمات : أن الذكي الفطن إذا اقتصر في جواب كتاب هذا النصراني كله على هذه المقدمات كفاه ذلك ، مع أني لا أقتصر عليه ، بل سأجيب عن كل منه بما أمكن مفصلاً .

ثم شرع يرد كلام النصراني على شكل مقاطع ، ويذكر ما فيها من الحق وما دخلها من الباطل ، يرد عليه ، وقد كان أول ما قدم به النصراني كتابه نص متى في التحذير من الأنبياء المكذبة " احذروا من الأنبياء الكذابين الذين يأتونكم في لباس الضأن ، وهم في الباطن ذئاب مغيرة ، من ثمراتهم تعرفهم " (متى ٧ / ١٥ – ١٦) ومحل الشاهد عنده أن رسول الله – وحاشاه – من الكذابين الذين حذر منهم المسيح .

والطوفي يسلم بصحة معنى النص ، ولكن لا يرى سبيلاً يجعل النص في حق نبينا ، لأنه صادق وثماره أطيب الثمار وأنفعها.

فلما اختلفت الدعاوى كان لابد من وضع أصول يرجع إليها في معرفة النبي الصادق من الكاذب ، ورأى النصراني أن ذلك يظهر من خلال شروط أربعة يجب توافرها بالنبي الصادق ، ووافقه الطوفي وجعل لكل من هذه الشروط باباً مستقلاً أثبت من خلاله نبوة نبينا ﷺ :

الشرط الأول :الصدق في الحديث ، وقد قسم الطوفي البحث فيه إلى مباحث ثلاثة : – الأول: ما صدق فيه النصراني الرسول الكريم . والثاني : النصوص القرآنية التي يكذب بها النصراني .

---

(١) أي الثابتة بالاستقراء الكلي للأدلة النظرية، وهو مفيد القطع .

(٢) والصحيح كما قال علماؤنا أن خبر الواحد يفيد العلم إذا صح خرجه ، ولمزيد بيان انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ط :مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة ، ١٤١٥ هـ، ١٨/٤٨-٥٢ .

والثالث : في الأحاديث التي يكذبها النصراني .

فمن الآيات التي صدقها النصراني ، وزعم أنه إنما صدق فيها ﷺ ليخلط الحق بالباطل قوله تعالى﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾[1]، ، ويرى أنه ناقض نفسه في مواطن أخرى، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ لا مبدل لكلمات الله ﴾[2] وقد تناقض – بزعمه – مع قوله بتحريف التوراة والإنجيل إذ هي من كلام الله الذي لا يتبدل .

وفي المبحث الثاني الذي استغرق ثلث الكتاب يستعرض الطوفي آيات قرآنية كثيرة كذب بها النصراني كتكذيبه أن تكون مريم أختاً لهارون ، أو بنتاً لعمران كما جاء في سورة مريم.

وقد فند الطوفي كل مزاعمه ومنهجه في ذلك عدم التسليم بدعاوى النصارى التي تعتمد على كتبهم ، إذ هي ليست بحجة على المسلمين كما كان يذكر مثيلاً لدعواهم ترد عليهم ، ويطلب منهم أن يقبلوا فيها ما قبلوه في غيرها مما تعلق بدينهم ، كما كان يبين المعاني التي ترد في الخبر القرآني ، ويحاول التوفيق بينها وبين ما ورد في كتبهم من عام خصه القرآن،أو مفصل أجمله،كما دأب الطوفي على ذكر الاحتمالات التي ترد على النصارى لو حملنا معاني النصوص على المعنى الذي انصرف إليه النصراني،ونقده.

وتطبيق هذا المنهج واضح في مسائل كثيرة ،منها تكذيب النصراني سجود أم يوسف بين يديه بدعوى أنها ماتت قبل ذلك ، ثم لما جاء في التوراة أن يعقوب لم يسجد ليوسف،بل فتح ذراعيه ، وعانقه باكياً . (انظر التكوين ٣٥/١٨-١٩، ٤٦/٢٩).

فأول ما يتوجه إليه الطوفي هو التشكيك بالرواية التوراتية لما ثبت عنده من تناقض التوراة و تهافتها، و من ذلك اختلافها في سياق قصة يوسف عليه السلام ،فقد أشار في التكوين إلى موتها قبل رؤيته للرؤيا ،وأنها قبرت في بيت لحم، و لكن في آخر القصة لما طلب منهم يوسف أن يحضروا له أخاه قال لهم يعقوب: " إن أخاه قد مات و لم يبقى لأمه غيره " (التكوين ٤٤/٢٠)،فقد كانت أمه حية إذاً و صدق ما جاء في ظاهر القرآن.

و إن كان الأول هو الصحيح فإن التي سجدت له ليست أمه الحقيقة، لكنه سماها أماً كما قال أخوه يعقوب " ما هذه الرؤيا التي رأيت أجيء أنا و أمك و إخوتك، فنسجد لك على الأرض " (التكوين ٣٧/١١) مع أن أمه قد ماتت.

و هذا النوع من الإطلاق معهود عند الأمم فتسمى الخالة أماً-كما يسمى المربي أباً، و منه تسمية الأناجيل يوسف و مريم بأنهما أبوي المسيح.

و ذكر الطوفي عن الحسن أن الله سبحانه أحيا أم يوسف حتى سجدت له ،و لكن ذلك قول لا دليل عليه.

و في المبحث الثالث ذكر المؤلف بعض الأحاديث التي ينكرها النصراني و يستغربها، منها قوله

---

(١) سورة الحديد ، آية: ٤ .

(٢) سورة الأنعام ، آية: ٦٤ .

صلى الله عليه وسلم " إذا وضعت الجنازة... قالت قدموني" [1]،و منها حديث " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه " [2]، و غيرها من الأحاديث، و يتلخص منهج الطوفي هنا في أن هذه الأحاديث آحاد توجب العمل لا العلم، لا تثبت أصلاً، ولا تقدح في أصل، و مع ذلك فهي سهلة التوجيه، و من ذلك أن الحقائق لا تدرك بالعقل لقصوره ،و الإيمان بهذه الحقائق فرع عن الإيمان بالنبوة، و أيضاً ليس من شرط الإدراك الأدوات ،فإن العلماء نقلوا أنه لما كلم الله موسى أخذت الريح بأسماع الناس و إلا هلكوا، فيجوز لله تعالى أن يخلق الإدراكات في الجمادات كالميت و غيره كل بحسب ما أعطاه الله، و كل ذلك من الممكنات، و ليس بأعظم من قلب العصا .

و أيضاً يجوز أن تأول بعض النصوص على المجاز أو التقدير كما قلنا في سماع صوت الجنازة من قبل الناس أي " سمع صوتها كل شيء إلا الإنسان " أي لو كانت هذه الأشياء مما يسمع لسمعته، و يكون فائدة ذلك : الإخبار بصياح الميت عن ولع و حرقة تنبهاً على أسفه و شدة ندمه.

و أما **الشرط الثاني** فهو الطهارة التي زعم النصراني أنها لا تتحقق بفعل النكاح الذي اعتبره عاراً، فأظهر له الطوفي فوائده و دليل مشروعيته بما جاء في النبوات، و عليه فلا يعاب على نبينا عليه الصلاة و السلام في هذا بشيء.

و أما **الشرط الثالث** فهو الإعجاز حيث يرى النصراني أن من شرط النبي الصادق أن يأتي بالمعجزات، و زعم بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يأت بأي معجزة، و استشهد بقول الله ﴿ و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ [3]،لذا تحدث الطوفي عن أهمية المعجزة ،وذكر أمثلة عديدة لمعجزاته عليه السلام، وخص معجزته الخالدة(القرآن الكريم) بمزيد من العناية و الشرح.

و أما **الشرط الرابع** فهو اختبار الشريعة حيث طعن النصراني في بعض الأحكام الشرعية كإباحة النكاح و التعدد فيه، و حل الطلاق و العتق و العزل، و جعل شهادة الوقاع لا تقوم إلا بأربعة و غير ذلك.

فتعرض الطوفي لذلك كله ،و بين محاسن الشرائع و قيامها بمصالح العباد.

كما استطرد المؤلف خلال فصول هذا الكتاب و مباحثه، فذكر مباحثاً مهمة كبطلان صلب المسيح و ورود البشارة بالنبي صلى الله عليه و سلم في كتب الأنبياء.

و المؤلف في كتابه يظهر معرفة فريدة بكتب القوم كما له اطلاع على بعض مؤلفاتهم كـــ"تقرير الثالوث" لمطران حمص " ابن الأمثل " و غيره.

و يضاف إلى ذلك تمكنه من أساليب الجدل و المحاجة و طرق الاستدلال التي يحج بها الخصم، و لا عجب في ذلك فقد ألف فيه كتاباً عنوانه " علم الجذل في علم الجدل " .

و للمؤلف معرفة كبيرة بالكتاب و السنة و تفاسيرهما مكنته من رد شبهات النصراني و إبطالها.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الجنائز ، باب: كلام الميت على الجنازة.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الجنائز ، باب: قول النبي"يعذب ببعض بكاء أهله عليه" ، ورواه مسلم في كتاب: الجنائز ، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٣) سورة الإسراء ، من آية: ٥٩

و يتميز المؤلف بإنصاف للخصم قل أن تجد له نظيراً عند أصحاب الردود، ومما يوضح ذلك قوله:"ثم إن هذا المصنف جعل عمدته في كتابه " تفسير ابن عطية " ، فما باله لم يذكر ما قاله ابن عطية في تفسير قوله ﴿ و تمت كلمة ربك صدقاً و عدلاً لا مبدل لكلماته﴾[1]،و لكنه رآه فحاد عنه، و لعمري أنه معذور في ذلك فإن كتب المسلمين ليست عنده حجة، و إنما يذكر منها ما يذكر احتجاجاً عليهم و إلزاماً لهم و رمياً لهم بسهامهم كما نحتج عليهم بالتوراة و الإنجيل على هذا الوجه، و لا نعتقد صحة ما فيها ".

*** أحمد عبد الحليم عبد السلام ابن تيمية الحراني**

وابن تيمية هو أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني .قال عنه ابن كثير: " الإمام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد والمجاهد القدوة شيخ الإسلام...ما قطع في مجلس، ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه،ورآه عارفاً متقنًاه " ، وكانت وفاته سنة سبعمائة وثمان وعشرين للهجرة . [2]

وله كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح "[3] وله كتاب آخر مفقود عنوانه " التحجيل لمن بدل التوارة والإنجيل " ذكره حاجي خليفة وذكر أن أوله " الحمد لله الذي فطرنا على دين الإسلام .." [4]

وسبب تأليفه للجواب الصحيح « أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى فاقتضى أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب » وهذا الكتاب هو " الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم " لراهب صيدا الأسقف بولص الراهب، وقد أرسله من قبرص لبعض أصدقائه ،وكتاب النصراني يتكون من ستة فصول .

الأول : تحدث فيه عن خصوصية نبوة نبينا للعرب واستدلاله بالقرآن على ذلك .

الثاني : أن القرآن أثنى على دين النصارى بما استوجب أن يثبتوا عليه .

الثالث : أن دينهم شهدت له النبوات كما ذكرت التوراة والأناجيل والزبور ، و لم يعارضه شرع يرفعه ولا عقل يدفعه .

الرابع : تقرير التثليث بالمعقول والمنقول .

الخامس : أن النصارى موحدون ، وأن الأقانيم المتعددة هي من جنس ما عند المسلمين من ألفاظ يظهر فيها التشبيه والتجسيم .

السادس : أن المسيح جاء بعد موسى بغاية الكمال فلا حاجة بعده لشرع جديد .

---

(١) سورة الأنعام ، آية: ١١٥ .

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ، ابن كثير ، ١٤/١٤١-١٤٢ ، فوات الوفيات ، والذيل عليها ، محمد شاكر الكتبي ، ١/٣٥-٤٥ ، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، عبد الرحمن العليمي ، ٥/١٤-٤٤.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، مطبعة المدني ، القاهرة.

(٤) كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ، مصطفى حاجي خليفة ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ١ / ٣٧٩ - ٣٨٠ .

وقد قصد شيخ الإسلام من كتابه أن يرد على مقولات النصراني، ويبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن أو الكتب المتقدمة على القرآن ، أو عقلية ، لا حجة لهم في شيء منها ، بل الكتب كلها مع القرآن ، والعقل حجة عليهم لا لهم ، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول ، فهو نفسه حجة عليهم ويظهر منه فساد قولهم، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية و التي هي مقاييس عقلية.

وقد كان كتاب ابن تيمية للرد على هذه المسائل، فأثبت شيخ الإسلام من كلام النبي وأفعاله ما يدل على عموم رسالته ،و رد استدلالهم بما تعلقوا به من الآيات وأخذ عليهم تعلقهم بالمتشابه وعدم رده ، كما رد عليهم بعض ما شغبوا به من شبه يروها تحول بينهم وبين الإسلام كعجمتهم عن القرآن ولغة الرسالة ، وأنهم أتباع نبي ورسول فلا يتركونه .

ثم تحدث ابن تيمية عما تعلق به النصارى من تعظيم القرآن لكتبهم، وذكر أن فيها اختلافات تطول حتى تراجمها العربية ،وكذب أن يكون الحواريون هم الذين ترجموها، وأبان المعنى الحقيقي للآيات التي أثنت على التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله ،وأوضح شيخ الإسلام بأن تكذيب المسلمين لهذه الكتب ليس تكذيباً للنبوات ، بل هو تكذيب للنقلة وللمجامع التي جعلت من هذه الكتب كتباً مقدسة .

وذكر بأنه لا يمكن للنصارى الاحتجاج بمدحة الآيات لبعض النصارى ، لأنها ذكرت نعوتاً لا تنطبق عليهم ولا تلائم أحوالهم، فالثناء ليس عاماً لكل أجيالهم إلى يوم القيامة ، ثم فهمهم معارض بنصوص كثيرة من كتبهم تبالغ في ذمهم .

وأما الكتب المنسوبة للأنبياء فتحتاج لاعتبارها إلى مقدمات ثلاث: العلم بنبوة المنقول منه ،ولفظه الذي تكلم به، وترجمته الصحيحة .

ثم انتقل شيخ الإسلام لمناقشة عقيدة التثليث فأثبت أن لا دليل صريح عليها حتى من كتبهم بدليل اختلاف فرقهم في المراد من ألفاظ الابن والروح القدس ، ثم نقد شيخ الإسلام تعلقهم بدلالة بعض النصوص الكتابية عليها .

وأفاض شيخ الإسلام في نقد أمثلة النصارى المضروبة للتثليث ، وبين ما يلزم عليها عند اطراد الشبه مع التثليث .

ثم تحدث ابن تيمية عن عقيدة التجسد والحلول ،وبين بأن تكذيب العقل لها إضافة إلى عدم وجود نصوص كتابية تفيد هذا المعتقد ، وفند تعلقهم ببعض النصوص في ذلك .

وتطرق ابن تيمية لشبهة النصارى حين شبهوا قولهم بالأقانيم بقول المسلمين في الصفات ، فكما لا يؤدي إثبات الصفات عند المسلمين إلى التجسيم والتشبيه فإن أقانيم النصارى لا تؤدي إلى التعدد .

فأبان ابن تيمية في فصول عدة مذاهب المسلمين في الصفات، وأكد أصالة هذا المعتقد بعشرات الأدلة من الكتاب والسنة ، بينما تفتقر عقيدة النصارى المتطورة إلى نص يؤصل ما انتهت إليه المجامع وما صدر من تأليه للمخلوقات في هذه المجامع .

ثم تحدث في تفاصيل عقيدة التثليث ، فذكر معنى قولهم بأن لله جوهر ،وتحدث عن علاقة الجوهر بالأقانيم . ثم خص نبوة نبينا بما قارب ربع كتابه ، فأثبت نبوته عليه الصلاة والسلام بما جاء في البشارات

الكتابية الكثيرة التي انطبقت عليه وعلى دعوته وبلده ومعالم دينه ، وصدقت ما ظهر من أحواله ﷺ وكمالاته ثم معجزاته التي أظهرها للدلالة على صدقه ومنها معجزة القرآن الكريم .

ويعتبر ما كتبه ابن تيمية في هذا الكتاب من أثمن ما كتب في القرون السابقة إذ أبان فيه شيخ الإسلام عن معرفة جيدة بالكتب السابقة ،ولعلها ترجع إلى ما هو شائع عند المسلمين من نصوص كتابية وما تناقلوه في رسائلهم ومنها رسالة الحسن بن أيوب التي أثبت ابن تيمية نصها في كتابه وأفاد منها .

كما أظهر ابن تيمية قدراً بارعاً في المحاجة العقلية السلسة والتي توصل إلى إبطال حجة الخصم بأسرع السبل وأنجعها .

ويلاحظ على الجواب الصحيح افتقاره إلى التبويب والترتيب الذين يسهلان على طالب العلم والحق فهم ما يريده المؤلف وربطه ببعضه البعض .

***شمس الدين ابن قيم الجوزية.**

و ابن القيم الجوزية هو محمد بن أبي بكر محمد بن بكر بن قيم الجوزية.قال عنه ابن كثير:سمع الحديث واشتغل بالعلم،وبرع في علوم متعددة،لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين...لاأعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه "،وقد توفي رحمه الله سنة سبعمائة و إحدى و خمسين هجرية .[1]و له كتاب " هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى " [2]كما تعرض للنصارى مطولاً في كتابه " إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان " [3].

و سبب تأليفه لهداية الحيارى أنه"كان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين، فلم يصادف ما يشفيه و لا وقع دواؤه على الداء الذي فيه، و ظن المسلم أنه بضربه يداويه فسطا عليه ضرباً، و قال: هذا هو الجواب! فقال الكافر: صدق أصحابنا في قولهم:إن دين الإسلام إنما قام بالسيف لا بالكتاب.فتفرقا، و هذا ضارب و هذا مضروب، و ضاعت الحجة بين الطالب و المطلوب.

فشمر المجيب ساعد العزم..و لم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدل، و هذا فرار من الزحف " فكان هذا الكتاب، و هو يقع في قسمين أولهما: خصه لأجوبة المسائل .

و أتبعه بالثاني : نقد فيه عقائد القوم، و كانت هذه المسائل التي أخذها النصراني على المسلمين كالآتي:

أخذ النصراني على المسلمين أنهم يقولون: بأن أهل الكتاب ما منعهم من الدخول في الإسلام إلا الرياسة و المأكل، و قد رد عليهم ابن القيم بالحديث عن انتشار الإسلام بين أهل الملل ،وذكر الأسباب المختلفة المانعة من الدخول فيه كالجهل به أو الخوف على النفس أو الخوف على الرئاسة أو الحسد، و ضرب له في ذلك الأمثال .

والمسألة الثانية تبع للأولى،فقد تساءل النصراني لم لم يتبع الإسلام من لا رئاسة له؟فأجاب ابن

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ، ابن كثير ، ١٤/٢٤٦-٢٤٧ ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر ، ٣/ ٤٠٠ ، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، عبد الرحمن العليمي ، ٥/٥-٧ .

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٤هـ.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن القيم ، المكتبة القيمة ، مصر.

القيم بذكر سير من أسلم من أعيان أهل الكتاب كالنجاشي و سلمان و عدي و كرز بن علقمة أخو سيد نجران.ثم أتبعه بذكر من عرف الحق و لم يذعن له منهم كهرقل و المقوقس ،كما ذكر أنه أسلم من عوام اليهود و النصارى خلق كثير فاقوا من بقي على دينه منهم .

و أما المسألة الثالثة فكانت دعوى المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكور في كتب أهل الكتاب، و أنهم محوها و تمالؤوا على ذلك، و النصراني يرى أنه بعيد، و تلخص جواب ابن القيم على هذه المسألة بأن أحداً من المسلمين لا يقول إن اليهود و النصارى في جميع أقطار الأرض محوا ذلك الاسم و أسقطوه جملة من الكتابين و تواصوا بذلك بعداً و قرباً ،و شرقاً و غرباً....مع أنه لايمتنع اجتماعهم على التحريف قبيل انتشار نسخه في شتى الأرض ،ثم إنه صلى الله عليه وسلم موجود في كتبهم بما فيها من ذكر صفاته وأحواله ،ثم إن التحريف واقع في أسفار التوراة بدليل الاختلافات بين نسخ التوراة الثلاث ،كما أنه يبعد أن يقول رسول الله كاذباً لأتباعه وأعدائه أنه مذكور في كتب أهل الكتاب ،إذ هذا مما يظهر أعداءه عليه عند تكذيب أهل الكتاب له ، لكن أحداً منهم لم يكذبه ،بل اعترفوا بوجود البشارة بنبي عظيم الشأن ،لكنهم منعوا أن يكون هو ،وذلك يلزمهم أن يذكروا شيئاً عن هذا الذي ادعى أنه رسول الله كذباً فنصره الله .

و دلل ابن القيم من خلال اثني عشر وجهاً عقلياً على أن رسول الله مذكور في كتبهم، و ساق تسعة و ثلاثين نصاً من سائر أسفارهم تتحدث عن النبي صلى الله عليه و سلم ،بعضها تسميه و أخرى تصفه أو تصف أمته أو معالم دينه، و وجه هذه النصوص جميعاً.ثم شرع يذكر ما ورد في الروايات الإسلامية عن أهل الكتاب من صفات نبينا ، فهو كما وصفه كعب لأحبار " ليس بفحاش و لا صخاب بالأسواق ،و لا يكافئ السيئة بالسيئة ،و لكن يعفو و يصفح...وأمته الحمادون يكبرون الله على كل نجدة ،و يحمدونه في كل منزلة ،يأتزرون على أنصافهم، يتوضؤون على أطرافهم ، مناديهم ينادي في جو السماء، صفهم في القتال و في الصلاة سواء..." وهذا الوصف مقارب لما جاء في التوراة والإنجيل (انظر إشعيا ٤٢/١-٤) و (انظر متى ١٢/١٧-٢١).وساق في ذلك ابن القيم أخباراً كثيرة جلها عمن أسلم من أهل الكتاب.

ثم بدأ ابن القيم بنقد التوراة، و ذكر ما فيها من التحريف، و مثل له ،و ذكر سبب و وقوع هذا التحريف، ثم أتم بالحديث عن الأناجيل معرفاً بأصحابها ذاكراً أمثلة لتناقضهم.و أما ما ذكره النصراني من عدم إمكانية التواطؤ على تغيير ما في الكتب عقلاً فليس بصحيح ،و يظهر ذلك إذا عرفنا جهلهم بكتبهم و عدم حفظهم لها و كونها عند بعضهم فقط، و لا أدل على وقوع التلاعب فيها من اختلاف توراة السامرة عن توراة النصارى.

و من المسائل أيضاً مطالبة النصراني ابن سلام و كعب الأحبار و غيرهم ممن أسلم بأن يأتوا بالتوراة الصحيحة، لكي تشهد ببطلان و تحريف توراتهم التي بين أيديهم.

و منها أن النصراني يزري المسلمين بأنهم أخذوا علم الحلال و الحرام و الشريعة ممن سماهم النصراني " عوام الصحابة ". و يرى أنه كان الأجدر بهم أن يأخذوه من ابن سلام و أصحابه.

فأظهر ابن القيم مكانة الصحابة و علمهم كما أثبتته السنة الشريفة و أقوالهم في بعضهم و أقوال

من خلفهم فيهم.

ثم كر على النصارى فمثلهم هنا " « مثل عريان يحارب شاكي السلاح ، وفي سقف بيته زجاج وهو يزاحم أصحاب القصور بالأحجار » مذكراً إياهم ببعض مثالبهم التي لا يرضاها العقل كالقول بالتثليث ، والقول ببكاء الله وندمه ، عبادة خشبة الصليب .

وكانت آخر مسائل النصراني ما يزعم أنه رآه بين المسلمين وعلمائهم من فواحش وآثام وتكالب على الدنيا ، فرد شيخ الإسلام ابن القيم بتبرئة الأنبياء من آثام أتباعهم الذين يقعون في الذنوب بسبب جبلتهم البشرية .

ورأى بأن الذنوب قدر مشترك بين جميع الأمم بيد أن « ذنوب الموحدين من المسلمين في جنب عظائم اليهود والنصارى كتفلة في بحر » .

وشرع يعدد لهم بعض مخازيهم ومخازي أسلافهم الذين عبدوا العجل ، وقتلوا الأنبياء ، ، وقالوا في الله ما يستعظمه اللسان .

ثم فصل وفرق ، فذكر فصلاً لمخازي اليهود في معتقداتهم وكتبهم وشرائعهم ، ثم ثنى بالنصارى الذين يعتقدون " أن رب السماوات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمته وعرشه ، ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض فالتحم ببطنها ، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو وبول ودم وطمث ثم خرج إلى القماط والسرير كلما بكي ألقمته أمه ثديها .... ".

وكذا فروع دينهم فإنهم مخالفون للمسيح في جميعها ، وذكر أمثلة ذلك كترك الختان وتحليل الخنزير .... وهم في ذلك كله « كلما أرادوا إحداث شيء اجتمعوا مجمعاً ، وافترقوا فيه على ما يريدون إحداثه » ، وكانت الأمانة من أهم ما نتج عن مجامعهم ، فذكرها وذكر أهميتها ونقدها ، ثم أبطل ألوهية المسيح واستدلال النصارى وتعلقهم بما ورد في حق المسيح من ألفاظ موهمة كالابن والرب والإله ، فكل ذلك وارد في حق غيره كما تقول النصوص الكتابية وينبغي تأويله ، وقد اعتمد في هذا المبحث على ما ذكره شيخ الإسلام في " الجواب الصحيح " .

ثم ذكر أهمية الإيمان بنبينا ﷺ إذ بذاك فقط تتحقق نبوءات الأنبياء عليهم السلام ، فتصدق أقوالهم وتثبت نبوتهم وتعرف آياتهم ، لأن أخبار اليهود والنصارى لا يوثق بها علاوة على ما فيها.

ثم تحدث ابن القيم عن خلاف الفرق النصرانية في طبيعة المسيح ،وصور مذهب كل منها،من غير أن يرد عليها.ثم عقب بفصل عرض فيه صورة لما جرى في عشرة مجامع مهمة في تاريخ النصرانية،وكان قد عرض لتاريخ المسيحية قبل ذلك.

وأتبع ذلك ابن القيم بالحديث عن وجوب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لما جاء به من معجزات .

وبين أن من طعن في هذه المعجزات من أهل الكتاب يقال له " لا يمكن الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع جحود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكثرة آياته ،و لأنه وردت به البشارة، و لأن دعوته هي دعوة سائر الأنبياء فمن كذب نبياً كمن كذب جميع الأنبياء .

و نرى في كتاب ابن القيم رحمه الله معرفة جيدة بالنصوص الكتابية استخدمها في الرد على

النصارى ممهورة بالاستدلال العقلي القريب و القراءة الواعية لأحداث التاريخ ،فكان هذا العمل العظيم .

و قد أفاد المؤلف ممن سبقه في هذا المضمار و خاصة شيخ الإسلام ابن تيمية و القرافي و الخزرجي، و إن لم يصرح بذلك على عادة السابقين.

و أما كتابه " إغاثة اللهفان " و الذي تحدث فيه عن إغواء الشيطان لبني آدم بمصائده التي وصفها لهم و زينها، فقد ضمنه الحديث عن النصارى و دينهم المحرف الذي تلاعبوا به فحرفوه و غيروه به ، فأضافوا بدعهم التي لجأوا إليها بحجة التلطف بالمدعوين من الوثنيين الذين أخرجوهم من وثنيتهم إلى وثنية جديدة.

و تحدث ابن القيم عن المجامع العشرة التي ذكرها في " هداية الحيارى "، و ما حصل فيها من افتراق وكفر.

و يرى ابن القيم أن النصارى وقعت في محذورين: الأول :غلوهم في المخلوق حتى جعلوه خالقاً و إلهاً . و الثاني: تنقص الخالق و سبه و رميه بالعظائم من بكاء و جوع " و هذه طامة تكاد السماوات تتفطر منها لم يقل بها حتى عباد الأصنام " و ليست هذه آخر طوامهم التي لم يقل بها عباد الأصنام و لا غيرهم، بل كذلك قالوا بصلب الإله الذي نزل إلى الجحيم لإخراج الأنبياء منها .

و تعرض ابن القيم لشرائع النصارى ، و اعتبرها مخازي خالفوا فيها دين المسيح تقليداً لأحبارهم و رهبانهم الذين لجأوا للحيل و الخداع لإقناع الناس بدينهم المحرف.

و تعرض ابن القيم لعقيدة التجسد النصراني و أمثلتهم له، ثم كر على شرائع النصارى مرة أخرى كعبادة الصور و صوم هرقل و عيد ميكائيل، و بين صور تلاعب الشيطان بهذه الأمة بإغوائها و إبعادها عن دينها الحق .

و قد غلب على ما ذكره ابن القيم أسلوب الوصف ثم العجب و الإزدراء لهذه الأقوال التي لا تقبلها العقول ،و لم يعتمد فيه على النصوص الكتابية و لا الأساليب المنطقية.

***عبد الله الترجمان**

و الترجمان هو أحد المهتدين إلى الإسلام، فقد أسلم القس انسلم تورميدا ،و له من العمر خمس و ثلاثون سنة ،و تسمى بعبد الله الترجمان، و الترجمان لقب سببه أنه عمل مترجماً بين المسلمين و النصارى خلال عمله في البحر مع سفن المسلمين، فقد كان يتقن الإيطالية و الفرنسية و العربية، و قد كان الترجمان من علماء أهل الكتاب المتبحرين في علوم الإنجيل، فقد حفظ أكثر من شطر الإنجيل، و كانت وفاته سنة ثمانمائة واثنتين وثلاثين للهجرة . [1]

و له " تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب " .[2]

و التحفة يتكون من ثلاثة فصول خص الفصل الأول منها للحديث عن إسلامه ،و عن تبحره في

---

(١) انظر ترجمته في الفصل الأول والثاني من كتابه ، المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ابن أبي دينار ، تحقيق: محمد شحام ، ط٣ ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ص١٥٢

(٢) تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، عبد الله الترجمان ، تحقيق: محمود حماية ، ط٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٤م.

دراسة الإنجيل و عن رحلاته، و تتلخص قصة إسلامه في أن أصحابه في الدراسة اختلفوا في تفسير كلمة " البارقليط " في غيبة حبرهم. و لدى سؤاله عن معناها خصه الحبر بالإجابة ،فأخبره بمعناها، و أن المقصود بها محمد صلى الله عليه وسلم ،فعزم على السفر إلى بلاد المسلمين فسافر إلى تونس فاستقبله النصارى فيها أكرم استقبال ،ثم أسلم بين يدي السلطان و ذلك بعد أن سمع السلطان ثناء النصارى عليه و على علمه، ثم لما أعلن إسلامه قال النصارى :ما دفعه إلى ذلك إلى حب التزوج، لأن القسيس عندنا لا يتزوج.

و في الفصل الثاني تحدث عن بعض ما وقع له بعد إسلامه و محاولات النصارى الدائبة لرده إلى النصرانية، كما تحدث فيه عن أمير تونس الأمير أبي فارس عبد العزيز و محاسنه و عدله و غيرها من مآثره.

و أما الفصل الثالث فهو مقصود الكتاب فقد جعله في الرد على النصارى و ضمنه تسعة مباحث، تحدث في الأول منها على أصحاب الأناجيل الأربعة، و ذكر لكل منهم مثالاً يدل على كذبه، و اعتمد في مثاله على تحليل النص كما اعتمد علاقة أصحاب البشارات الأربع بعيسى.

و في المبحث الثاني ذكر افتراق النصارى و تعدد مذاهبهم و فرقهم ،و تحدث عن فرقتين فقط من فرقهم الملكية و اليعقوبية و ترك ما خلاهما للإيجاز، و قد رد على هاتين الفرقتين بالنصوص الكتابية التي تبطل أقوالهم في طبيعة المسيح و الاتحاد ،و عقب على النصوص بما يليق بالمقال.

و في المبحث الثالث تعرض لشرائع النصارى كالقربان و التغطيس، و الإقرار للقسيس بجميع الذنوب كما تعرض لعقيدة التثليث و الحلول، و فند ما توقع أن تستدل النصارى به على الحلول، و اعتمد في نقده على الاستدلال العقلي البسيط و المقنع و الأدلة الكتابية المختلفة، فعندما ناقش النصارى في قضية القربان-فطيرة الخبز التي تتحول إلى جسد المسيح و الخمر الذي يتحول إلى دمه-ذكر أن النصارى قد اعتمدوا فيه على نص متى (انظر متى ٢٦/٢٦-٢٨)، لكن النص كذب بدليل أن يوحنا الحواري لم يذكر عنه شيئاً و قد كان حاضراً يومذاك ،ثم عرض الترجمان لبعض خدع الرهبان التي يخدعون بها العامة من النصارى .

و في المبحث الرابع تعرض لأمانة النصارى فذكرها، و ذكر ما فيها من وجوه التناقض إضافة إلى كونها من صنع البشر.

و في المبحث الخامس أثبت بشرية المسيح من خلال النصوص الإنجيلية

و في سادس المباحث تحدث عن الأناجيل الأربعة و ما فيها من تناقض أو أخبار ذكرها أحد الإنجيليين الأربعة ،و غفل عنها الآخرون.

و في المبحث السابع برأ المسيح من أقوال النصارى ، و كفرهم بما ذكره أصحاب الأناجيل عن المسيح من أقوال ذكر فيها بشريته و عبوديته لله.

و في المبحث الثامن تعرض لبعض ما يعيبه النصارى على المسلمين من مسائل كقولهم بوجوب الختان، و أن أهل الجنة يأكلون و يشربون إلى غير ذلك من المسائل التي تعامى عنها القوم رغم وجودها في كتبهم .

و أما آخر مباحث هذا الفصل فكان لإثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، و اعتمد فيه على البشارات الواردة به في النصوص الكتابية المختلفة،و اكتفى بسرد النصوص حتى لا يطول الكتاب " .

و الكتاب في جملته يعتمد على معرفة المؤلف بالنصوص الكتابية و إطلاعه على أسرار الكنيسة و طقوسها، لكنه جاء مختصراً غير واف بمعرفة المؤلف بأغراض الجدل الإسلامية النصرانية و تمكنه منها، و قد أشار المؤلف إلى أنه اكتفى بتأليف " هذا المختصر السعيد " مع قدرته على استعراض عقائدهم و نقدها بالدليل النقلي و العقلي.

و سبب اقتصاره في استدلاله على النقول كما يقول " وجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين – رضي الله عنهم – قد سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من النصارى و اليهود مسلك مقتضيات العقول.....و أعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول إلا في نادر المسائل " .

و لم يستثن الترجمان من حكمه سوى ابن حزم " فإنه قدر عليهم بالمعقول و المنقول خصوصاً ما في كتبهم ".

و عليه نستطيع القول بأن الترجمان لم يطلع على كثير مما كتبه العلماء المسلمون، و عذره في ذلك حداثة عهده بالإسلام و عجمته و انشغاله عن طلب العلم بعد الإسلام بالجهاد في سبيل الله.

*** زيادة بن يحيى نصب الراسي**

وهو كما ذكر عن نفسه من أهل الكتاب ، وقد أسلم بعد أن تفرغ للبحث والمطالعة وبغيته الوصول للدين الصحيح ، وقد ترجح له الإسلام ، وحرر ما قد تحصل له من المقابلة والبحث في هذا الكتاب ، وقد ذكر الطيبي مختصر كتابه البحث الصريح أن المؤلف من علماء القرن الحادي عشر الهجري .[1]

وله في الرد على النصارى كتابان :الأول : " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " .[2]

والثاني : " الأجوبة الجلية لدحض الدعوات النصرانية " .[3]

وكتابه الأول " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " مخطوط ، وتوجد له مصورة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض .

وتقع هذه النسخة في سبع وخمسين لوحة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ما يقارب التسعة عشر سطراً ، وقد وقع نقص بعد الصفحة ، ٤٨ أ ، وهو سقط طويل إذ حوى الشك الثاني عشر ،وامتد السقط إلى الشك العشرين، ويقدر بخمس لوحات . ثم وقع نقص آخر بعد لوحة ٥٠ أ ، ولعل النقص لوحة أو لوحتان فقط ، فقد شمل النقص الشك ٢٥ – ٢٦ – ٢٧ ومقدمة الشك ٢٨ .

وقد اشتمل الكتاب في ثناياه على حواشي كثيرة قاربت أن تبلغ ربع الكتاب لكثرتها وطول

---

(١) انظر : خلاصة الترجيح للدين الصحيح ، الطيبي ، ص ٨٥٨ (مطبوع على هامش كتاب " إظهار الحق " (طبعة المطبعة الخيرية)

(٢) انظر البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ،زيادة بن يحيى الراسي ، مخطوطة وصورة بمكتبة جامعة الملك سعود.

(٣) ذكره ناسخ البحث الصحيح لوحة ٥٧ أ ،وقد اختصره الطيبي الدمشقي ، وصدر المختصر مطبوعاً بتحقيق : أحمد حجازي السقا ، مكتبة الإيمان ، المنصورة .

بعضها ، وهذه الحواشي كلها للناسخ كما يغلب على ظني ،فإنه نص على أن بعضها له ، وأهمل نسبة الباقين ، فلعلها أيضاً له ، و لم يذكر الناسخ اسمه ولا ما يدل عليه ، لكنه أعجمي كما يظهر في صياغته مطلع على كتب أهل الكتاب ، ملم بها عارف باللغة العبرانية ، والسريانية أيضاً ، وقد كانت نساخته للكتاب في سنة ألف ومائتين وثلاث وستين للهجرة .

يتكون الكتاب في مقدمة وفهرس لخص فيه موضوع كتابه وخمسة أبواب وخاتمة .

فقد عرف في المقدمة بسبب تأليفه للكتاب فقال : « لما كنت متفرغاً للبحث والمطالعة عن أيما هو الدين الصحيح بكل جهد وبغاية التنقيح قد نظرت أن أصحاب الملل من دأبها أن تفتخر على بعضها بسمو اعتقادها ، وكل منهم يتصور أن ما ذهبت إليه آل ملته هو الدين الصحيح ، وسواه على كل قبيح ، وقد رأيت أيضاً أن بعضهم راضٍ بدينه من دون فحص ولا معرفة ... والنادر منهم من يقابلها (قواعد دينه) على غيرها ... فحمدت أنا الرأي الأخير، وحددته حالاً من غير تأخير ، وبدأت أن أقابل كتابي ومعتقدي على كتابي المعتقدين الشهيرين ، وراجعتهما على أولياء العلم من دون تعصب مزاجي ... قصدت أن أحرر ما قد حصلته في المقابلة في تلك المسائل ، وأبينه لدى ذوي البصائر القادحة ... » ، فكان هذا الكتاب .

وفي الباب الأول : ضمّن المؤلف ثناياه ست بيانات تعرض فيها لست أدلة دعت النصارى للقول بألوهية المسيح ، فذكر بعض النصوص المشكلة على النصارى من الأناجيل والرسائل مما فهموا منه ألوهية المسيح ، فرد عليهم بذكر نصوص أخرى أبطلت استدلالهم ، وينبه مرة بعد مرة إلى أن فهم النصارى المغلوط لهذه النصوص فهم محدث لم يعرفه أوائل النصارى ، ولا يرضونه .

وفي الباب الثاني : ناقش احتجاج النصارى بمعجزات المسيح على ألوهيته ، فوجه هذه المعجزات لدلالتها الحقيقية مبيناً وجود معجزات أعظم لغيره من الأنبياء لم تقل النصارى بألوهيتهم .

وفي الباب الثالث : رد المؤلف على شبهة زواج نبينا ﷺ من زينب مطلقة متبناه قبل التحريم ، وكثرة زوجاته ، وشبهة إباحة قتاله أعداءه وقتله لهم ، فاستند المؤلف في هذا الباب الصغير على كتب أهل الكتاب التي نقلت عن أنبيائهم أموراً من جنس ذلك .

وفي الباب الرابع : ذكر المؤلف في أطول أبواب كتابه إحدى عشرة شهادة من شهادات الأنبياء بالنبي ﷺ وبشارتهم به .

فساق شهادات توراتية وإنجيلية مختلفة سُبق إلى عشرة شهادات منها ، والمؤلف بمعرفته بالعبرانية وترجمته لهذه البشارات عنها مباشرة يظهر كثيراً من المعاني التي ضاعت في الترجمات المتداولة ، كما أجاد في الربط بين البشارات المختلفة وتوحيد دلالاتها للوقوف فيها على صفات نبينا ﷺ في أسفار النصارى .

وأما الباب الخامس : وهو آخر الأبواب فقد ذكر فيه ثلاثين شكاً (أي نصاً مشكلاً)في التوراة والإنجيل .

وقد جعل الناسخ حواشيه بجوار كلام المؤلف ، فصل بينها وبين كلام المؤلف بقوله " حاشية " ، وجعل علامة نهاية الحاشية إقفال القوس . أو أن يبدأ كلام المؤلف بحروف بارزة ، وقد ألحقت تعليقاته في الباب الثالث الخاص بجهود علماء القرن الرابع عشر الهجري لمقاربته لها زماناً وتناولاً .

وقد اختصر هذا المؤلَف الشيخ محمد بن علي الطيبـــي الشافعي في رسالته له بعنوان : " خلاصة الترجيح للدين الصحيح "[1] وقد فرغ من اختصاره في ذي الحجة من عام ١٢٧٧ هـــ[2] .

وأما الكتاب الثاني للشيخ زيادة فهو " الأجوبة الجلية لدحض الدعوات النصرانية " . وسبب تأليفه أن الشيخ زيادة لما ألف كتابه البحث الصريح "أرسله إلى المنيع-و هو رجل من مجيبه بمصر و القاهرة- ليرشده إلى ذلك، و أورد عليه أسئلة تهدم – بظاهرها –هذا الدين الشريف، فعند ذلك توقف على الدخول فيه، و كتب تلك الأسئلة، و أرسلها إلى المرحوم [3](الشيخ زيادة) فعند ذلك ألف " الأجوبة الجليلة لدحض الدعوات النصرانية "، و أرسلها إلى محبه المتقدم، فغب الوقوف عليها، أسلم و حسن إسلامه باطلاعه على عين الحقيقة " .[4]

وكانت موضوعات الأسئلة التي أجاب عنها الشيخ :

- عموم رسالة محمد ﷺ للعالمين .
- ما جاء في مدح القرآن الكريم للإنجيل والنصارى .
- بيان معاني بعض الآيات التي أوردها النصارى ، وقصدوا بها التشكيك في نبوة النبي ﷺ ، مثل قوله : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾[5] ﴿ اهدنا الصرط المستقيم ﴾[6] ، فرأوا أنها تدل على شكه عليه الصلاة والسلام بنفسه .
- بيان معاني بعض الآيات التي أوردها النصارى ، وزعموا أن فيها ما يصحح عقيدتهم ،كقوله تعالى :﴿ هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾[7] .
- بيان معاني الآيات التي نقدها النصارى من خلالها شريعة محمد ﷺ كإباحة الطلاق وغيرها .
- طعن النصارى في القرآن الكريم من خلال ذكر القراءات المختلفة ، ومن خلال زعمهم أن في القرآن حديثاً لا يصح كقوله:﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾[8]،وما جاء في نعيم الجنة وأنه جسماني .أو أن في القرآن كلمات أعجمية تنافي دعوى كونه كتاباً عربياً ، وأن فيه ناسخاً ومنسوخاً .
- كما أورد شبهات متعلقة ببعض ما جاء في السنة مثل :

* تقسيم رسول الله لغنائم الأمم التي قهرها .

---

(١) مطبوعة على هامش إظهار الحق طبع المطبعة الخيرية .

(٢) انظر خلاصة الترجيح للدين الصحيح ، الطيبي الدمشقي ، ٢ / ١٦١ .

(٣) نسأل الله أن يكون كذلك ، ولاينبغي أن تكون العبارة بمعنى الحكم له بالرحمة ، فالله أعلم بمن يستحق رحمته ، وهو أرحم الراحمين .

(٤) مختصر الأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرلنية ، الطيبي الدمشقي ،ص ٣٣ .

(٥) سورة سبأ ، من آية : ٢٤ .

(٦) سورة الفاتحة ، آية : ٥ .

(٧) سورة غافر ، آية : ٦٨ .

(٨) سورة المائدة ، من آية : ٧٣ .

* أمره بقتل رجل عابه .

* أنه تعرض للأذى ، وأنه هزم في بعض معاركه .

* أنه لم خبر بالغيوب كما فعل عيسى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

*** عبد العزيز بن حمد آل معمر**

وهو عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر وهو -كما ترجم له محمد عبد اللطيف آل الشيخ- من علماء نجد في القرن الثالث عشر ، ألف كتابه " منحة القريب " في سن صغيرة، وكانت وفاته سنة ألف ومائتين وأربع وأربعين [1] .

وله كتاب " منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ". [2]

وسبب تأليفه رحمه الله لهذا الكتاب « سألني بعض الإخوان أيدهم الله تعالى أن أكتب جواباً عن أباطيل الكتاب الذي صنفه بعض الضالين من النصارى الجهلة الغافلين ، وسماه "بمفتاح الخزائن ومصباح الدفائن "» و لم يذكر اسم مؤلفه .

وموضوعات كتاب النصراني:

*صحة الشريعة المسيحية.

*صحة كتب العهد الجديد.

*الرد على اليهود.

*الرد على المسلمين.وهذا القسم هو ما انبرى المؤلف للرد عليه،وفي رده تحدث عن موضوعات: *تبديل دين المسيح،ودور المجامع.

*براءة القرآن من التحريف.

*الأدلة على صحة نبوة نبينا.

*إبطال البنوة و التثليث.

*معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

*فضل شرائع الإسلام.

وقد تعرض عبد العزيز آل معمر لهذه الموضوعات، وبدأ بالحديث عن تاريخ النصرانية ومجامعها وافتراقها ،ثم أكد نجاة المسيح عليه السلام من الصلب ،وذكر صلب أحد حواريه بدلاً عنه، وتحدث عن وجود التحريف في الكتاب المقدس، وأبطل ما تعلقت به النصارى من آيات فهمت منها - باطلاً - موافقة القرآن لما جاء في كتبهم .

ثم ذكر بعضاً من الحجج العقلية التي تبطل نسبة الولد لله، وتؤكد عبودية المسيح لرب العالمين .

---

(١) انظر ترجمته في مقدمة كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر.

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ط١ ، شركة فن الطباعة ، مصر ١٣٥٨ هـ .

وقد اعتمد المؤلف في كتابه على كتابي ابن تيمية و ابن القيم في كثير من موضوعات كتابه.ثم أفاض آل معمر في الحديث عن إثبات نبوة نبينا ﷺ مستدلاً بالبشارات الكتابية التي وجهها وبين معانيها ،ثم بالمعجزات التي جعلها الله على يديه خاصة منها معجزة القرآن الكريم.

ثم أبطل المؤلف أقوال النصراني المختصة بشريعة الإسلام حيث عاب النصراني بعض بشرائع الإسلام كالجهاد لإقامة الدين وغيره،وأبطله المؤلف ،وتحدث عما تعرضت له شرائع النصارى من التحريف

ثانياً: الردود الإسلامية للأشاعرة ومن وافقهم من المتكلمين

***أبو بكر الباقلاني.**

و الباقلاني هو أبو بكر محمد بن الطيب البصري قال عنه الذهبي " كان ثقة إماماً بارعاً...انتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري...مات في ذي القعدة سنة ثلاث و أربعمائة.."[١]

وله كتاب " التمهيد "[٢]،وخص النصارى فيه بفصل بلغ سبعاً و عشرين صفحة.

و يبدأ الباقلاني بمناقشة النصارى في زعمهم أن الله جوهر، و يذكر الأسباب التي دعتهم لذلك، فيرى أنها بسبب قياس الغائب على الشاهد.ثم ينتقل لمناقشة الأقانيم و علاقتها بالجوهر، و هل هي متفقة أم مختلفة؟فتحدث عن الاتحاد، واختلاف النصارى في معناه و صوره و أمثلته ،و رد على ذلك كله.

ثم شرع يورد على فرق النصارى المختلفة ما يرِد على أقوالهم من باطل القول الذي يخالف المنطق و هو خلال أسئلته يفترض إجاباتهم المحتملة و يفندها.

و في خضم هذا النقد المنطقي استعرض بعض الأدلة النصية للنصارى على ألوهية المسيح، و بين لهم اشتراك المسيح مع غيره في دلالات هذه النصوص،و استشهد لذلك بدلالات نصوص كتابية أخرى.

و قد ذكر الذهبي و غيره في ترجمته أنه قال لراهب الروم:"كيف الأهل و الأولاد؟ فقال الملك: أما علمت أن الراهب يتنـــزه عن هذا!فقال: تنـــزهونه عن هذا و لا تنـــزهون رب العالمين عن الصاحبة و الولد.

و قيل أن الطاغية سأله: كيف جرى لزوجة نبيكم؟(يقصد لمز عائشة رضي الله عنها بما رميت به من الإفك زوراً)فقال:كما جرى لمريم بنت عمران،و وبرأهما الله، ولكن عائشة لم تأت بولدٍ فأفحمه "[٣]

***ابن حزم الأندلسي**

وابن حزم هو أبو محمد علي بن أحمد القرطبي ، قال عنه الذهبي : " الإمام الأوحد،ذو الفنون والمعارف..توفي ..سنة ست وخمسين وأربعمائة ".[٤]

و له كتاب " الفصل في الملل و الأهواء والنحل " [٥] ،وذكر الذهبي له كتاباً آخر عنوانه " تأليف في الرد على أناجيل النصارى "[٦].

وفي كتابه " الفصل "خص ابن حزم النصارى والتوراة بثلاثة فصول شغلت ما جاوز المئتي صفحة من هذا الكتاب .

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٩٠/١٧ ، و تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ٣٧٩/٥ ، و وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٢٦٩/٤.

(٢) انظر التمهيد ، الباقلاني ، تصحيح : رتشرد مكارثي ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ١٩٥٧ م.

(٣) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٩١/١٧-١٩٢.

(٤) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ١٨٤/١٨ ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ٣٢٥/٣ ، لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ١٩٨/٤ .

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، ط١ ، المطبعة الأدبية ، مصر ، ١٣١٧ .

(٦) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ١٨ /١٩٧ .

أما أول الفصول الثلاثة فكان موضوعه نقل أقوال فرق النصارى في المسيح ونقدها، و استخدم في ذلك الاستدلال العقلي .

و أما الفصل الثاني فتحدث فيه عن اليهود و فرقهم، و عرف بفرقة " العيسوية " الذين يقولون بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم [1]، و أبان عن اطلاعه على تاريخ بني إسرائيل و حروبهم، وهذا الاطلاع تيسر له بعد قراءته لكتاب لهم جمعه رجل من نسل هارون يدعى يوسف بن هارون .

ثم شرع ابن حزم في الحديث عن التوراة و نسخها المختلفة (السامرية و العبرانية و اليونانية)، و تحدث عن نسخته المترجمة عن العبرانية، مبيناً عدد إصحاحاتها و أعداد أوراقها و سطورها و عدد الكلمات التقريبي في كل سطر .

ثم تحدث ابن حزم عن تاريخ التوراة بدءً بوفاة موسى عليه السلام و احتفاظ بني إسرائيل بنسخٍ قليلة منها، مروراً بما تعرض له بنو إسرائيل و هيكلهم من حرقٍ و ردةٍ عن الدين و عبادةٍ للأوثان، وتحدث بإسهاب عن بعدهم عن دين الله، وكفر كثيرٍ من ملوكهم، و أثر ذلك في ضياع التوراة، كما تحدث عن كتابة عزرا الوراق للتوراة من حفظه ،ثم انتشارها بعد ذلك ، ثم شرع ينقد التوراة التي بين يديه بدءً بالأسفار الخمسة المنسوبة لموسى ، ثم المزامير وكتب الأنبياء،ثم انتهى إلى نقد التلمود .

ولكنه رحمه الله كان تناوله لسفر التكوين مسهباً أفاض فيه،بينا كان نقده في بقية الأسفار مختصراً، وليته لم يفعل ،إذ كان جهده رحمه الله الأساس الصلب الذي قام عليه نقد التوراة والإنجيل في القديم والحديث ،فقد أظهر تناقض هذه الأسفار مع بعضها ،علاوة على ما فيها من الطوام والكذب.

وأما ثالث فصوله فقد تحدث فيه عن الأناجيل والرسائل الملحقة بها ،فذكر تاريخ هذه الكتب والظروف السياسية التي سببت ضياع الإنجيل الصحيح ، ثم شرع يذكر تناقضات الأناجيل ومخالفتها لعقائد النصارى في مبحثي الألوهية والصلب ،وقد أسهب في نقد إنجيلي" متى " و " يوحنا " ،وأوجز في نقده لبقية الأناجيل والرسائل ، وبلغ عدد مباحثه في هذا النقد سبعين مبحثاً.ويعتبر ما سطره ابن حزم أول نقد للكتاب المقدس عند النصارى .

ويعاب عليه السمة الظاهرية التي غلبت على دراسته في بعض المواضع من التوراة والأناجيل ،ومن مثل ذلك تعليقه على قول متى " آمين أقول لكم ،لو لم يولد من الآدميين أحد أشرف من يحيى المعمداني ،ولكن من كان صغيراً في ملكوت السموات ،فهو أكبر منه " (متى ١١/١١-١٢) قال أبو محمد : " تأملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيهم ،وقرة عيون الأعداء ،وهو لا يمكن أن يقوله ولا ينطق به صبي يرجى فلاحه ،ولاأمة كعاء إلا أن تكون مدخولة العقل : أثبت أنه لم يولد في الآدميين أشرف من يحيى ،وإذا كان كما زعم أن الصغير في ملكوت السماء أكبر من يحيى، فكل من يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو أكبر من يحيى، فوجب من هذا أن كل مؤمن من بني آدم فهو أكبر من يحيى، و أن يحيى أرذل و أصغر

---

(١) وهم أصحاب أبي عيسى الأصفهاني ، وكان في زمن المنصور ، زعم النبوة ، وقال بخصوصية العرب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٩٩/١ ، الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ٥٥/٢- ٥٦ .

من كل مؤمن " [1].

كما يعاب عليه تعرضه بالثلب والشتم لمن تسميهم الأناجيل التلاميذ الاثني عشر وكتاب الأناجيل، فقد نال منهم ابن حزم نيلاً شديداً ،كقوله : " مرتد " و " زنديق " و " يوحنا اللعين " و " متى الشرطي النذل " ، و" النذل باطرة " (بطرس) ، و " لوقا الفاجر "[2] .

فهو يعتبر ما نسب إليهم من الموبقات أو مما له تأويلٌ صحيح ،اعتبر ذلك عقيدة لهم يستحقون عليها هذا السباب، و ابن حزم حين يذكر هؤلاء بسوء فإنه يعتقد بأنهم ليسوا الحواريين الذين أثني عليهم القرآن الكريم [3].

***إمام الحرمين الجويني**

و الجويني هو عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي ،إمام الحرمين ،صاحب التصانيف ، قال عنه ابن كثير " صنف التصانيف الكثيرة في أنواع العلوم، وكان زاهداً شديد الاحتياط لدينه " وكانت وفاته سنة ثمان و سبعين و أربعمائة للهجرة .[4]

وله في الرد على النصارى كتاب " شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل " [5]،كما تعرض للنصارى في كتابه " الشامل في أصول الدين "[6] وكذلك خص النصارى بفصل صغير في كتابه " الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ". [7]

والموضوعات التي تصدى لها الجويني في الشفاء كانت كما يلي:

*دعوى اليهود و النصارى عدم تحريف التوراة و الإنجيل اعتماداً على ما ورد من ثناء عليهما في القرآن الكريم .

*وصف تاريخ تدوين التوراة من لدن موسى عليه السلام إلى كتابتها على يد عزرا.

*عقد مقارنة بين التوراة العبرانية و اليونانية(السبعينية) في أعمار الآباء الأوائل .

*ذكر بعض تناقضات الأناجيل، و اهتم منها بنسب المسيح و خلاف لوقا مع متى فيه.

---

(١) النص نبوءة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو الصغير لتأخره عن الأنبياء الذين سبقوه إلى أقوامهم عليهم الصلاة والسلام.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٢/٤٦،٣٠،٢٤ .

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٢/٣٨ .

(٤) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٨/٤٦٨ ، و انظر البداية و النهاية ، ابن كثير ، ١٢/٥٩ ، و ذيل تاريخ بغداد ، ابن النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١/٨٥.

(٥) شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، الجويني ، تحقيق: أحمد حجازي السقا ، ط١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ، ١٣٩٨هـ .

(٦) الشامل في أصول الدين ، الجويني ، تحقيق: علي سامي النشار ، وآخرين ، ط منشاة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٩م.ص٥٧١-٦٠٩ .

(٧) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، الجويني ، تحقيق : محمد يوسف موسى ، علي عبد المنعم ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٩٦هـ .ص٤٦-٥١ .

و قد أفاد الجويني في هذه الرسالة كثيراً من ابن حزم ،بل جاءت رسالته عرضاً مقتضباً لما تعرض له ابن حزم في" الفصل " .

وأما " الشامل في أصول الدين " فقد تعرض فيه الجويني لبعض الموضوعات النصرانية الأخرى،وذلك خلال أربعين صفحة منه،ومما طرقه فيه:-

*اعتراضه على تسمية الله بالجوهر ،وطلبه الدليل على ذلك.

*الأقانيم وعلاقتها بالجوهر .

*مذاهب النصارى في كيفية الاتحاد .

*إبطال الحلول بالعقل .

*إبطال القول بالامتزاج والاختلاط .

*نقد أمثلة الاتحاد .

*المعجزات وشبهة الحلول .

*تعلق النصارى ببعض الآيات القرآنية لنصرة مذهبهم .

*إبطال استدلالهم ببعض الأدلة النصية – من كتبهم – على ألوهية المسيح .

وفي رده يورد الجويني السؤال على النصارى ،ثم يورد الإجابات المحتملة،ويكر عليها بالرد واحداً تلو الآخر.مستخدماً ما أوتي من قدرة منطقية باهرة .

و في " الإرشاد " نقد تسمية النصارى للباري جل وعلا :جوهراً ،لأن الجوهر هو المتحيز، و تحدث عن علاقة الأقانيم بالجوهر، و نقد حصرهم الأقانيم في ثلاث،و تحدث عن علاقة الأقنوم الثاني بالجوهر و عن ما يترتب على تجويز الاتحاد بعيسى من أقوال لا يرتضيها حتى النصارى .

و اعتبر ما يرد في بقية أبواب كتابه من حديث عن الوحدانية رداً على النصارى ،و نقداً لتثليثهم.

***أبو حامد الغزالي**

و الغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي الغزالي،و قد أخذ العلماء عليه أموراً مردها تصوفه وإغراقه فيه، قال عنه الذهبي : " الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان....و كانت وفاته سنة خمس وخمسمائة ". (١)

و له كتاب " الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل " (٢) ، و لهذا الكتاب أهمية خاصة فهو أول كتاب متخصص في مناقشة النصارى في معتقد الحلول الإلهي والتثليث بشكل مستقل إضافة إلى جمع المؤلف رحمه الله بين الاستدلال العقلي والتمكن والخبرة بالنصوص الكتابية .

ويقدم الغزالي لكتابه بفصلين يرى أن أهل العلم يتفقون عليهما :

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٣٢٢/١٩ ، ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ٢١٦/٤ ، البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٢١٠/١٢ .

(٢) الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي ، ط٣ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٠هـ .

الأول : " أن النصوص إذا وافقت المعقول تركت [على] ظواهرها. وإن خالفت صريح المعقول وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة فيجب إذ ذاك ردها إلى المجاز " [1].

الثاني : " أن الدلائل إذا تعارضت، فدل بعضها على إثبات حكم ،وبعضها على نفيه ،فلا نتركها متعارضة إلا وقد أحسسنا من أنفسنا العجز باستحالة إمكان الجمع ،وامتناع جعلها متضافرة على معنى واحد ".

ثم بدأ بتطبيق ذلك على النصوص المشكلة التي توهم النصارى منها الحلول أو الألوهية ،ثم ناقش فرق النصارى في معتقدها بطبيعة المسيح بحوار منطقي رزين ،وناقش دلالة معجزات عيسى واعتبرها مثبتة لنبوته كما أثبتت مثيلاتها نبوة غيره من الأنبياء .

ثم خص الغزالي نصين من النصوص بزيادة بيان و دراسة، و سماهما معضلتين يتمسك بها النصارى أولهما مقدمة يوحنا " في البدء كان الكلمة، و الكلمة كانت عند الله...." (يوحنا١/١-١٥) .و ثانيهما قول المسيح " الحق أقول لكم : إني قبل أن يكون إبراهيم " (يوحنا٨/٥٦-٥٨).

و خلال دراسته الواعية و العميقة لهذين النصين رد على ما قد يرد على تفسيره لهما من شبهات.

و المنهج الذي رسمه الغزالي في الرد على النصارى في كتاب خصه لاستدلالات النصارى النصية على ألوهية المسيح يتلخص في أنه :سلم جدلاً للنصارى بصحة نصوصهم، و درس هذه النصوص مقارناً إياها بترجمات النص، في لغة أخرى هي القبطية، كما قام بتعليل هذه النصوص و تفسيرها بما تقتضيه نصوص أخرى أوضح منها في دلالتها و بما يقتضيه العقل الصريح، و تفسيراته مؤيدة بما يدعمها من دلالة الكلام عند العقلاء، و كذا النصوص الكتابية الأخرى، و كذا الأسلوب المنطقي الذي استخدمه الغزالي ،ويرى أنه لا يمكن للنصارى تجاوز مقدماته التي اعتمد عليها فوصل إلى نتيجة واضحة هي: أنه لا دلالة في النصوص على إلهية عيسى في الأناجيل.

و لا يخلو الكتاب من لمز النصارى و عقولهم التي تسلم بمثل تلك المعتقدات، و يختم كتابه الرائع بمناقشة شبهة النصارى و تعلقهم بتسمية القرآن لعيسى " الكلمة " ،و كذا تسميته " روح الله " ، فيفسر الآيات الكريمات بما تقتضيه دلالة الألفاظ في لغة العرب، و ما تفسره النصوص القرآنية الأخرى كقوله ﴿ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾[2] و غيرها من النصوص.

***ابن الأنباري.**

و ابن الأنباري هو أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري صاحب المصنفات قال عنه الذهبي : " الإمام القدوة شيخ النحو...." ، و قال ابن كثير"النحوي الفقيه العابد الزاهد...."

---

(١) هذه القاعدة يحاكم بها الغزالي الكتاب المقدس للنصارى، ولا يصح أن يظن القارئ صحة اطراد ذلك في النصوص الإسلامية فذلك خلل ، إذ هي تجعل من العقل حاكماً على الشرع والنصوص التي ثبت صحة نسبتها، وتجعل من النصوص الشرعية تابعاً له، كما لايصح افتراض وقوع المخالفة بين العقل الصريح وظاهر النقل الصحيح ،إذ الأصل في كل خطاب أن يكون بظاهر اللفظ إلا إن وجدت قرينة تصرف اللفظ عنه .

(٢) سورة البقرة ، من آية: ١١٧ .

و كانت وفاته سنة سبع و سبعين و خمسمائة هجرية [1].

و له كتاب " الداعي إلى الإسلام في أصول علم الكلام " [2] تعرض فيه لذكر الأديان المخالفة لجمع أهل الحق، و خص النصارى فيه و اليهود بفصلين، ثم ختم بفصل ضمنه إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

وفي الفصل الذي تحدث فيه عن اليهود ساق ابن الأنباري ما أثبت فيه تحريف كتبهم من الكذب و التناقض معتمداً على ابن حزم، ثم أشار إلى ما في هذه الكتب من بشارات بالنبي صلى الله عليه و سلم على الرغم من تحريفها.

و أما الفصل الذي خصه بالنصارى فقسم الكلام فيه إلى ثلاثة:

الأول:ذات الباري تعالى.

الثاني:ذات عيسى.

الثالث:قتل عيسى عليه السلام.

و في القسم الأول و الثاني أعاد ابن الأنباري الموضوعات التي كان قد سبقه إليها الباقلاني و الجويني، بل كاد أن يكون لبعض نصوصهم ناقلاً، و اهتم بالرد على بعض مذاهب النصارى في طبيعة المسيح و أمثلتهم المضروبة لذلك.

و أما القسم الثالث فقد سلك في الرد عليهم ثلاثة أوجه من الاستدلال العقلي، ثم استدل بأقوال المسيح على بشريته و نبوته و رسالته، ثم شرع يتحدث عن الأناجيل مبرزاً بعض صور التناقض التي وردت في الكتب السابقة المختلفة ،ثم ذكر النصوص الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، و خص القرآن منها بحديث طويل.

*** أبو عبد الله الرازي**

والرازي هو أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي قال عنه ابن خلكان : " فريد عصره ، ونسيج وحده ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات " .

وكانت وفاته سنة ستمائة للهجرة .[3] وله " مناظرة في الرد على النصارى " .[4]

و لم ترد هذه المناظرة ضمن مناظرات الرازي ، وقد أثبت الرازي مقاطع منها في تفسيره لسورتي آل عمران والنساء .

---

(١) انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١١٣/٢١ ، البداية و النهاية ، ابن كثير ، ٣٣١/١٢ ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ١٣٩/٣ .

(٢) الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، تحقيق : سيد حسن باغجوان ، ط١ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ.

(٣) انظر ترجمته في طبقات الشافعية ، السبكي ٨ / ٨١ ؛ وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ٤ / ٢٤٨ – ٢٥٢ .

(٤) مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، تحقيق عبد المجيد النجار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

وقصة هذه المناظرة أن أحد أكابر علماء النصارى – و لم يسمه الرازي – وفد إلى مدينة خوارزم ، فذهب إليه الرازي ، وناظره . وبدأت المناظرة بسؤال من النصراني عن الدليل على نبوة نبينا ﷺ وإجابة الرازي بدلالة المعجزات المتواترة ثم شرع النصراني يقرر ألوهية المسيح فأبطلها الرازي مستدلاً بصفات عيسى التي تنفي عنه الألوهية كالجسمية والتحيز والعبادة والأكل والشرب والقتل كما تقول النصارى .

وتساءل الرازي عن كيفية حصول الحلول ؟وهل هي حلول للكل أم للبعض؟ وبين ما يرد على كل قول من مآخذ يستقبحها العقل .

ورد الرازي الاستدلال بمعجزات عيسى على ألوهيته إذ ظهور المعجزات لا يفيد جواز المحال. ألا وهو الحلول. وإلا لجاز لكل أحد أن يدعي حلول الله فيه وإن لم يأت بمعجزة، فعدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول .

ثم قارن بين معجزات المسيح ومعجزات الأنبياء ، فبين أنها جميعاً من جنس واحد، ودلالتها واحدة أي في نبوة أصحابها . ثم تحدث النصراني في عدة قضايا :-

– عدم التسليم بمعجزات النبي كانشقاق القمر وغيره ، وتساءل لماذا تأخرت المعجزات إلى بلوغه سن الأربعين ؟ و لم لم ينبأ في طفولته ؟ ...

– أن قول النصارى بحلول الله في عيسى يشبه ما يقول المجسمة المنتسبون للإسلام في الله عز وجل كقولهم أن له جسم ،وأن عليه تاجاً من ذهب ... وكذا شبه النصراني دينه بما تقوله الباطنية وغلاة الصوفية من حلول الله ببعض البشر أو الجماد ، وقول هؤلاء أشنع من قول النصارى الذين يخصون عيسى بالحلول ، وفسر موت المسيح بأنه موت للجسد لا الروح ، وأن في ذلك إشارة من الله إلى نجاسة عالم الأجساد .

– بين النصراني أن معتقد النصارى في المسيح هو بنوته لله لا على سبيل الحقيقة بل التفخيم ، وشبهه بقول المسلمين: محمد حبيب الله .

– اتهم المسلمين بالحلول مستشهداً بحديث ظهور الله يوم القيامة لعباده في صورة ينكرونها . فكما أجازوا ظهوره على هذه الصورة ينبغي أن يجوزوا ظهوره على صورة موسى أو عيسى .

– أجاب النصراني عن قضية عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول بأن ألزم الرازي بأن لو قيل بأن مسيلمة نبي لعجزتم عن دفعه فعدم وجود دليل معه لا يلزم منه إبطال نبوته .

– عظم من شأن معجزات المسيح حيث فاقت بكثرتها آحاد ما جاء به الأنبياء .

ورد الرازي على أقوال النصراني بأمور :-

* بالحديث عن معجزة القرآن المتحدى به وسلامته عن المعارضة للمثل أو للبعض منه .

* تأخر الرسالة لسن الأربعين لا يدل على تأخر الفضل، فظهور المملكة على من كان راعياً فملك أعظم من ظهورها على من ورث الأمر ورثة .

واعتبر حديث ظهور الله في صورة حسنة أو غير ذلك من الأحاديث التي قد يتوهم منها التجسيم

* فرق الرازي بين الخلة والبنوة ،فالخلة ثابتة لجميع الأنبياء الصالحين .بينما إطلاق البنوة ممنوع ولو على سبيل المجاز لئلا يلتبس على الناس فهذه اللفظة مشعرة بالانفصال والجنسية .

* أما ما ذكره في مثال مسيلمة فإنه ممنوع ،لأن مسيلمة قد قام الدليل على كذبه لا أن أدلة صدقه مفقودة ،ثم انقطع النصراني ، وأقر بالغلبة وامتنع عن الإسلام لاعتقاده أن في علماء دينه من يستطيع دفع حجة الرازي .

ورد الرازي بأن هذا يدعو للتسلسل ، فكل مغلوب يستطيع أن يقول ذلك ، وبذا تضيع الحقيقة المرجوة ،ثم أورد النصراني أسئلة من صاحب له ، ووعد بالإسلام في حال الإجابة عنها وهي:

- ما قول المسلمين فيما تميز به المسيح عن محمد ﷺ كترك الزواج وميلاده العجيب وحياته في السماء كما لم يأت بالمتشابهات التي جاء بها القرآن والسنة والتي فرقت المسلمين أو بالمبهمات التي لا معنى لها كالحروف المقطعة .

واتهم الصحابة بقلة العلم والفهم والعجز ، وتساءل كيف صلح هؤلاء لصحبة النبوة وأمانة الرسالة .

- تحدث عن خلافات المسلمين الفقهية والكلامية ثم ظهور الفرق الباطنية ، ورأى أن هؤلاء جميعاً يدعون الحق ،ويرى النصراني أن اللبس طرأ على هؤلاء من الألفاظ المشكلة في الكتاب والسنة ، ويرى أنه كان يلزم رسول الله أن يجنب أمته هذا الخلاف فيشرح حقائق هذه الألفاظ، وتناسى النصراني الأسباب الأخرى الرئيسة التي أدت لظهور الفرق من شعوبية وزندقة وسوى ذلك.

ورد الرازي بأن قلب على النصراني دليله ، فما ذكره في حق رسولنا يقال في حق عيسى عليه السلام، فكيف يجيب النصراني ؟ ثم أكمل الرازي مناظرته بالدعوة إلى الإسلام وتفضيل النبي ﷺ على غيره من الأنام .

وذكر الرازي في ختام المناظرة إسلام النصراني وهدايته ، وأنه أصبح إماماً يقتدى به في العلم .

والمناظرة كما تبين من مباحثها مناظرة جادة ، وخصم الرازي فيها متمكن من أساليب الجدال والاستدلال لذا أرى أن ما سجله الرازي إنما هو بعض حوارات المناظرة لا كلها ، إذ لا يتوقع انتقال النصراني عن دينه لمجرد إفحامه في بعض المسائل .

***محمد بن أحمد القرطبي.**

والقرطبي هو أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي،قال عنه ابن العماد : " الحاكي مذاهب السلف

كلها،وما أكثر فوائده ؟وكان إماماً وعلماً من الغواصين على معاني الحديث،حسن التصنيف،جيد النقل..." [1]

و له كتاب " الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام، و إظهار محاسن دين الإسلام و إثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة و السلام " [2] ،و قد شكك في نسبة الكتاب للإمام القرطبي صاحب التفسير بسبب بعض التواريخ الخاطئة الواردة في مخطوطته،وقد أثبت فايز عزام الذي حقق هذا الكتاب صحة هذه النسبة .

و يذكر القرطبي سبب تأليفه للكتاب فيقول : "وقفت -وفقك الله - على كتاب كتب به بعض المنتحلين لدين النصرانية، سماه كتاب " تثليث الوحدانية " بعث به من طليطيلة أعادها الله إلى مدينة قرطبة حرسها الله...متعرضاً فيه لدين المسلمين، نائلاً فيه من عصابة الحق الموحدين، سائلاً عما لا يعنيه، و متكلماً بما لا يدريه ".

و كتاب النصراني ينبيء عن أن صاحبه "يهرف بما لا يعرف، و ينطق بما لا يحقق ،ناقض و لم يشعر، و عمي من حيث يظن أنه يستبصر....يلحن إذا كتب، و يعجم متى أعرب... و له بقوله على ضعف عقله...."

و بعد استخارة الله كتب القرطبي هذا الكتاب جواباً عليه، و هو في كتابه يجيب على ما كتبه النصراني " حرفاً حرفاً".

ثم يذكر القرطبي إعراض كثير من العقلاء عن مجادلة النصارى، و كاد أن يكون منهم " كنت عزمت على الاقتداء بالعقلاء في الإعراض، حتى أكثر هذا المتكلم من التعرض و الاعتراض، فتعين لذلك الجواب...إذ الإعراض عن الجاهلين شرعة رب العالمين على لسان سيد المرسلين، و أيضاً فمن لم يعرف شروط النظر، و لم يسلك مسالك البحث و العبر، فالكلام معه ضرب في حديد بارد، و عمل ليس منه جدوى و لاعايد ".

و أخذ القرطبي على نفسه " لا أتعرضهم بقزع السباب، و لا أنزل معهم إلى اعتذار و عتاب " ، لكن لا يكاد يخلو مبحث من مباحثه التي رد بها على النصراني من بعض السباب كقوله : " فهلا استرزقت عقلاً " و " لولا الله تعالى سلبكم عقولكم و ابتلاكم بظلمة التقليد الذي أفضى بكم إلى مكابرة العقول و إنكار البداهة، لما وجد هذا المذهب مستقراً في قلب مجنون " و " بل أتيت بكلام يشهد عليك عند العقلاء بالبلادة و قلة التحصيل، و عدم الإجادة "، و لربما لا يعده القرطبي من قزع السباب الذي التزم القرطبي بتركه .

طريقة القرطبي في كتابه بيَنها فقال:" أذكر كلام هذا السائل -كما بلغني- و أبين من خطئه و تناقضه ما شاء الله أن يفهمني، فأناقشه في لفظه، و أظهر سوء نقله و حفظه، فتارة أسأله، و أخرى أجاوبه...فأحكي مذاهبهم كما دونوها في كتبهم، و على ما تلقوها من أساقفتهم ".

---

(١) انظر ترجمته في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، التلمساني ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد ، ٢٣٣/٥ .

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، للقرطبي ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي.

و الكتاب من صدر و أربعة أبواب، يتعرض في الصدر لخطبة كتاب النصراني التي عرف بها بعنوان كتابه، فنقد القرطبي ألفاظه و معانيه، و أظهر عجز النصراني عن سياق الكلام كما ينبغي أن يكون و تناقضه.و أخذ على نفسه أن لا يتتبعه في سائر كتابه كما في المقدمة، لأنه بذلك يكون قد " خرج الأمر عن الاعتدال، و أدى ذلك إلى الكسل و الملال و ضياع الزمن في ضروب الهذيان ".

و الباب الأول في بيان مذاهبهم في الأقانيم و إبطال قولهم فيها، و يقع في خمسة فصول:

تحدث في الفصل الأول في نقض كلام النصراني الذي اعتبر أقانيم التثليث أسماءً لأفعال الله، و كشف القرطبي من خلال عرضه لكلام النصراني عجزه في أساليب المنطق ، و كان ذلك سبباً في قسوة القرطبي عليه و رميه له بالجهل.ونقض في الفصل الثاني تسميتهم للأقانيم بالقوة و العلم و الحياة، و نقد في الفصل الثالث تعليل النصارى لحصرهم التثليث بأن الصفات جميعاً إنما تعود إلى هذه الصفات الثلاث.ثم نقد في الفصل الرابع استدلال النصراني العقلي على صحة معتقد التثليث، ثم حكى في آخر فصول هذا الباب خلاف النصارى في الأقانيم، فأبطل أقوالهم بالدليل العقلي المنطقي .

أما الباب الثاني فخصه القرطبي لعقيدة الحلول و الاتحاد، و فيه ستة فصول: نقد في الأول منها حصر النصارى للاتحاد بالكلمة دون سائر الأقانيم، و نقد في الثاني معنى الاتحاد مظهراً ما ينطوي عليه من مخالفات منطقية، و أكذبه في دعواه بأن الاتحاد جاءت به النبوات.و عرض في الفصل الثالث تشبيه النصراني اتحاد الله بعيسى باحتجابه بالشجرة عندما كلم موسى، فأبطل مقدماته و النتيجة التي توصل إليها، وأكمل ذلك في الفصل الرابع الذي عنون له بتجسد الواسطة.و في خامس فصول هذا الباب عرض مذاهب الفرق الرئيسة في طبيعة التجسد، و أبطل أدلتهم النقلية على الاتحاد، و بين لهم ما يرد عليه من إلزامات لا يرتضونها في دينهم.و في آخر فصول هذا الباب حكى مذهب أغشتين في مسألة احتجاب الله بعيسى كما احتجب بالشجرة عندما كلم موسى.

و في هذين البابين يظهر القرطبي معرفة كبيرة بأساليب المنطق و سير الكلام و تقسيمه، كما يظهر معرفة بمذاهب النصارى و تمكناً من أقوالهم، فقد ذكر في سياق رده عدداً من كتب النصارى منها " المسائل " و أيضاً " الحروف " و " تثليث الوحدانية في معرفة الله" و " مصحف العالم الكائن " و جميعها لأغشتين مقدم النصارى و عظيمهم في تلك الأيام ، كما رد على غيره كحفص بن البر و الأسقف ليون و بليون الجاثليق و غيرهم .

و أما الباب الثالث فموضوعه النبوات، و قد قسم الكلام فيه إلى قسمين: القسم الأول: عرض فيه مجادلة النصراني في النبوات، و رد عليه، فذكر كلام النصراني في أن أهل كل ملة يدعون الحق في ملتهم و الخير في دينهم و يدعون إليه، و أن الحجة ينبغي أن تقام عليهم بما يتفق عليه من الكتب بينهم و بين مناظريهم، ثم تحدث في فصل آخر عن نبوة عيسى عليه السلام، فحكى كلامه من أن المسيح المنتظر الذي كان ينتظره اليهود و هو عيسى عليه السلام، فقد أوعدهم الله بالذلة في الدنيا، إن هم كفروا به و هذا هو حالهم .و جاء جواب القرطبي هنا مقتضباً لئلا يفرح اليهود به و يظنوا أن ذلك يثبت صحة معتقدهم، و رأى القرطبي أنه إذا كانت ذلة الناس دليل على فساد معتقدهم و كفرهم، فهذا مؤداه أن المسيح لما صفع و ضرب و صلب كان كذلك، و هو قول شنيع، ثم عاد القرطبي فوجه كلام النصراني و صححه بما

يستقيم معنىً و لفظاً، مثبتاً أن " الدليل الذي استدلت به اليهود – إذا سيق على الطريقة التي ذكرناها – و صح نقله عن الأنبياء بطريقة القطع هو حجة على اليهود لا مخرج لهم منها و لا محيص عنها ".

و في الفصل الثالث من هذا القسم ذكر كلام النصراني في الاحتجاج لنبوة عيسى بما ورد في كتب الأنبياء مما استدعى من القرطبي أن يتحدث حول صلاحية هذه الكتب للاحتجاج، ثم أتبعها بنقد الأناجيل بعد أن نفى العصمة عن أصحابها وأثبت أنها ليست بمتواترة و لا متطابقة ، و كانت محصلة هذا البحث الطويل " أن التوراة و الإنجيل لا تحصل الثقة بهما، فلا يصح الاستدلال بهما لكونهما غير متواترين و قابلين للتغير " و أما عن استدلال النصراني بها على نبوة عيسى " إن صح فهو زيادة في أنواع الأدلة على نفس اليقين ،فلذلك لا نباحثك فيها ، و لا نبالي بك، أتجهلها أم تديرها ؟ على أنا لو ناقشناك في تلك الأدلة لأظهرنا لك فيها الفساد و العلة ، و لكن ما لا يخالف غرضنا و لايقتضيه، فما بالنا نطول أنفاسنا فيه ؟ ".

ثم أورد فصلاً تحدث فيه عن اعتراض النصراني على إباحة الطلاق و كذا تحريم نكاح البائنة بالثلاث إلا بعد زواج صحيح برجل آخر. ثم نقد تفضيل النصراني لسارة و نسلها على هاجر و نسلها ، وذكر القرطبي ما غيبه النصراني من نصوص امتدحت هاجر، و وعدها بالبركة في ذريتها، و هذه البركة هي نبوة محمد صلى الله عليه و سلم .

و أما القسم الثاني من هذا الباب – الثالث – فجعله للحديث عن النبوات عموماً و عن نبوة محمد صلى الله عليه و سلم خصوصاً، و جعله من مقدمتين: الأولى تحدث فيها عن النبوة و تعريفها، و كذا المعجزة و وجه دلالتها على صدق النبي. و في المقدمة الثانية أثبت فيها من خلال نصوص كثيرة من الإنجيل نبوة عيسى و التي كانت هي المسألة التي آمن بها حواريوه و كفر بها آخرون ،ودار حولها الجدل يومذاك، و أما ما ظهر على يديه من معجزات فهي دلالات نبوته لا ألوهيته.

و أما الجزء الثالث من الإعلام فقد تابع الحديث فيه على النبوات، و جعله في إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .و ذكر القرطبي فيه أنواعاً من الاستدلال أولها : استدلاله بأخبار الأنبياء قبله، فذكر اثنين و ثلاثين نصاً كتابياً تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، و أفاد من ترجمة للزبور نسبها لوهب بن منبه، و اعتبر هذا الزبور " أصح ما يوجد من كتاب الزبور، فإنه أوثق و أعلم من كل ترجمة من سالف الدهور ".

و النوع الثاني من الاستدلال: الاستدلال بقرائن أحواله صلى الله عليه وسلم، فذكر بعض أحواله صلى الله عليه قبل البعثة، كما ذكر كمالاته صلى الله عليه وسلم الخلقية و الخلقية و بعض خصائصه كفصاحة لسانه و كريم نسبه ، و طهارة أرضه، و مزايا شريعته التي جاء بها مراعية لمصالح العباد، و ذكر اطلاع الناس على هذه الكمالات، فعرفها القريب كأبي سفيان، و البعيد كهرقل و المقوقس، ثم قارن بين ذلك كله و ما ترويه النصارى في أناجيلها عن المسيح مما لا يليق به كصياحه على الصليب و غيرها من القبائح .

و النوع الثالث من دلائل نبوته: الاستدلال بما ورد في القرآن الكريم على نبوته و القرآن الكريم كتاب معجز بشتى أنواع الإعجاز التي ذكرها القرطبي، فصح كونه دليلاً على نبوة محمد صلى الله عليه

وسلم .

و النوع الرابع من الاستدلال:الاستدلال بمعجزاته المختلفة صلى الله عليه وسلم، و يلحق بها كرامات أصحابه و تابعيهم .

و في الجزء الرابع من الإعلام آخر أبواب الكتاب ،و عنون له " بيان أن النصارى متحكمون في أديانهم " ،و تحدث في هذا الباب في فنين : الأول: في نقد شعائر النصرانية و بيان عدم أصالتها و ما لا يليق منها أن يلحق بالعبادات متسلحاً بما أوتي من ملكة أصولية و فقهية، و الذي دعاه إلى هذا العرض تهديد النصراني " إني أبعث إلى كل بلد كتاباً بنص شريعتكم و بكل ما نعرف فيها من الأقاويل التي لا تقدرون على إنكارها " .

و في الفن الثاني: ذكر محاسن الإسلام من خلال فصلين تحدث في الأول عن اعتقادات المسلمين و شرائعهم ، و في الفصل الثاني دافع عن الإسلام فيما عابه مجادله النصراني من شبهات حول الإسلام و شرائعه مقارناً إياها بما ذكروه في كتبهم من شرائع مبيناً فضل شرائع الإسلام في ذلك .و بذلك ختم كتابه الذي يعد من أهم ما كتبه علماؤنا في الرد على النصارى .

و القرطبي في كتابه يظهر معرفة جيدة في الكتب النصرانية المقدسة عند النصارى،و تاريخهم بل و كتب كبرائهم التي استخدمها في نقد استدلالات النصارى. و يظهر الكتاب معرفة أكبر و تمكناً في أساليب الجدل.و قد أفاد المؤلف في كتابه ممن سبقه و خاصة كتابي " بذل المجهود " للسمؤل و " مقامع الصلبان " للخزرجي .

*** أحمد بن إدريس القرافي**

هو أحمد بن إدريس القرافي المصري المالكي، فقيه أصولي عاش في القرن السابع، قال عنه الصفدي : " كان مالكياً إماماً في أصول الفقه ، وأصول الدين ، عالماً بالتفسير وعلوم أخر "، وله مؤلفات كثر أوصلها المترجمون له إلى خمسة وعشرين مؤلفاً . وكانت وفاته رحمه الله سنة ستمائة وأربع وثمانين من الهجرة .[1]

وله كتاب " الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة "[2] كما له كتاب آخر واسمه " أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية "[3] .

أما كتابه " الأجوبة الفاخرة " فهو رد على بعض النصارى ، وكان " قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيراً إلى أن غيره هو القائل ، وأنه هو السائل " ولكن الجديد هنا أن رسالة النصراني " مشتملة

---

(١) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ، الصفدي ٥ / ٢٣٣ ؛ الديباج المذهب في معرفة أصحاب المذهب ، ابن فرحون المالكي ، ص١/ ٦٢ – ٦٧ ؛ المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي ، يوسف بن تغري بردى ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ، مطبعة دار الكتاب ، ١٩٥٦م ، ١/ ٢١٥ – ٢١٧ .

(٢) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .

(٣) انظر : هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ٩٩/١ .

على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانية " ولما طالع المؤلف هذه الرسالة وجد أن النصراني " قد التبس عليه المنقول ، وأظلمت لديه قضايا العقول " .

وكان هذا الكتاب في خطبة وأربعة أبواب .

وقد تتبع في الباب الأول رسالة النصراني " حرفاً حرفاً إلى آخرها " وجعل جوابه على جهة الاختصار لأن " النصارى أمة عمياء وطائفة جهلاء ، قد غلب عليهم التقليد وتمنعوا بحجة النظر السديد " ، واستدل على ذلك بذكر بعض مثالب النصارى كتبديل أساقفتهم الدين في مجامعهم الكنسية وبعض خدعهم للعامة إلى غير ذلك من الأمور التي يستخفها العقلاء ، والتي لجأ إليها حزاقهم عندما علموا" أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه ، ولا أصل يرجع إليه " .

ثم بدأ بنقد كلام النصراني بعد أن ذكره على شكل مقاطع رد على كل مقطع منها في مكانه ، وكان مما التبس على النصراني مواضع في القرآن منها قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾[1] ، ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[2] ،وقوله تعالى: ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾[3] ﴿ ووالدٍ وما ولد ﴾[4] .يلحق بها أيضاً ما جاء في القرآن في تعظيمه لدين عيسى عليه السلام أو مدح وثناء لعيسى عليه الصلاة والسلام ، وكذا ثناء القرآن على حواريه ومتبعيه .

وفي عرضه لهذه الملتبسات يضم المؤلف الآيات إلى غيرها من الآيات المفسرة لها ، ويبين لهم حقيقة معناها ، وأن المعنى الذي استنبطه هؤلاء مخالف لما فهمه الرسول وأصحابه من الآيات التي نزلت بلغتهم وهم أعرف الناس بها .

كما رد المؤلف على اعتراضاتهم العقلية كقولهم : " ليس من عدل الله أن يطالبنا باتباع رسول لم يرسله إلينا ، ولا وقفنا على كتبه بلساننا ".

بينما جاءت اعتراضات أخرى الغرض منها شرح العقيدة النصرانية وجعلها أكثر معقولية كقوله " لو علم المسلمون مرادنا بالأب والابن وروح القدس لما أنكروا علينا ، فإن مرادنا بالأب : الذات ، والابن : النطق الذي هو القائم بتلك الذات ، وروح القدس : الحياة ، الثلاثة إله واحد ".

وختم المؤلف هذا الباب بفصل فضل فيه الإسلام على سائر الأديان من خلال ذكر بعض شرائع الإسلام وما فيها من حكمة ويسر، وأجرى مقارنات منها ما بين أذان المسلمين للإعلام بالصلاة و بين بوق اليهود من تنافر، وكذا ناقوس النصارى .

فالأذان " فيه الإشعار بالتوحيد ، وأنواع التمجيد بدوي الأصوات بين الأرض والسماوات على أعلى البنايات ، وأين هذا من النفخ في البوقات ، وقراقع الخشبات ". وخلال رد القرافي نقد الأناجيل بعد أن عرف بأصحابها وظروف كتابتها ولغاتها ، فذكر خمسة عشر وجهاً من التناقض فيها .وبذلك

---

(١) سورة إبراهيم ، من آية : ٤ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٢١٤ .

(٣) سورة النساء ، من آية: ١٧١.

(٤) سورة البلد ، آية : ٣ .

يكون القرافي قد استوفى الرد على رسالة النصراني " وهذا هو آخر الرسالة والجواب عنها " .

لكن القرافي اتبع رده على النصراني بأبواب ثلاثة استكمل فيها نقد النصرانية فالباب الثاني كان موضوعه الجواب عن أسئلة أخرى، فذكر خمسة عشر سؤالاً على لسانهم وأجاب عنها تكميلاً للفائدة .

وكانت موضوعاتها كالآتي :

- قضية صلب عيسى الذي تدعي النصارى تواتره .
- تجويز المسلمين وقوع النسخ في كلام الباري .
- قول النصارى باشتمال القرآن على ما ليس بصحيح .
- ألوهية المسيح بدلالة معجزاته .
- إثبات نبوة عيسى عليه السلام .
- تحريف التوراة .
- شغب بعض النصارى حول الكتاب الذي أراد رسول الله كتابته قبل موته .
- قول النصارى بأن الإسلام قام بالسيف والغلبة ، وزعمهم بأن القرآن بصدق أقوالهم بجواز الاتحاد .
- طعنهم في القرآن الكريم لتعدد قراءاته .

وفي كل سؤال كان المؤلف رحمه الله يجيب باقتدار كبير يظهر من خلاله قدرته الأصولية في الاستنباط من الأدلة ، كما يظهر معرفته بمقولات أهل الكتاب وتاريخ معتقداتهم إضافة إلى معرفة واسعة بالنصوص الكتابية.

وبعد أن رد على جميع الأسئلة التي ذكرها على لسانهم أتبعها القرافي بمائة سؤال وسبع ضمنها الباب الثالث .وتميزت هذه الأسئلة بقصر إجابته عنها ، وتنوع موضوعاتها، فقد شملت كثيرًا من أغراض الجدل النصراني كألوهية المسيح، وأدلة ذلك ،وأمانة النصارى، ومآخذ المسلمين عليها ، وعبادات النصارى وشرائعهم المختلفة ، وأيضًا موضوع الصلب والفداء والخطيئة الموروثة .

وفي هذه الأسئلة يورد القرافي السؤال موضحاً منه استدلال الخصم بشرح وافٍ وإجادة بليغة تصعب على كثير من النصارى ، ثم يبدأ في الإجابة مستعينًا بالأدلة الكتابية والعقلية .

وفي الباب الرابع ذكر المؤلف إحدى وخمسين بشارة بالنبي ﷺ وردت في الكتب المختلفة ، وهو في كل بشارة يشير إشارات سريعة إلى تحقق هذه البشارات في شخص النبي ﷺ .

وفي ثنايا الكتاب نصوص إنجيلية عبرية أوردها المؤلف ، وفسرها بالعربية . كما أن في الكتاب ما يظهر اطلاع المؤلف على كتب للنصارى ككتاب " مصحف العالم " لاغشتين وغيره . وهذا كله مكنه من الإكثار في جدال النصارى وإفحامهم . فيقول : " اتفق لي مع كثير منهم في المناظرة أن أطالبه بتصوير مذهبه كيف يمكنه إقامة الدليل عليه ....".

وقد أفاد المؤلف ممن سبقه كالخزرجي والجعفري ، وخاصة في موضوعي الصلب والبشارات الكتابية ، ويمتاز كتابه بأسلوب أدبي سهل ورائع وترتيب جعل هذا الكتاب بحق أجوبة فاخرة على تلك الأسئلة الفاجرة .

*** عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري**

والدميري فقيه شافعي ،صاحب مؤلفات وتصانيف قال عنه السبكي :" الشيخ الزاهد القدوة العارف صاحب الأحوال والكرامات والمصنفات والنظم الكثير "،وقال عنه أبو حيان :كان متقشفاً مخشوشناً يتبرك به الناس .وكانت وفاته سنة ستمائة وأربع وتسعين للهجرة [1].

وله كتاب " إرشاد الحيارى في ردع من مارى " [2] .

وتبلغ مخطوطة الكتاب تسع لوحات احتوت الكتاب في ست عشرة صفحة ، وكتبها محمد البسرة المنـــزلاوي في سنة ١٢٨٤ هـــ .

والكتاب يتكون من مقدمة مقتضبة وتسعة عشر فصلاً لا يتجاوز طول بعض هذه الفصول الخمسة أسطر .

وفي المقدمة صور معتقد النصارى ، ورد على بعض أقوالهم ، وذكر تسعاً من الأبيات الشعرية في نقدهم .

وفي فصول الكتاب تناول المؤلف ألوهية المسيح وأدلتهم عليها وعلىقولهم بالاتحاد والتثليث ، ورد عليها بمناقشة عقلية بحتة ، و لم يستخدم الرد بالنصوص إلا نادراً .

*** محمد بن سعيد البوصيري**

وهو محمد بن سعيد الصنهاجي المشهور بالبوصيري ،صاحب البردة الشهيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها من الغلو والشرك مالا يخفى ،ومنه قوله مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

قال الصفدي عنه: " أظن أن وفاته كانت في سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وستمائة " (٣) .

وله " منظومة في الرد على اليهود والنصارى " [4] وقد شرحها وفصل ما أجمله من معانٍ فيها ، وقصيدته من بحر الكامل ، وهي مائتان وخمسة وتسعون بيتاً .

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية ، السبكي ، ١٩٩/٨-٢٠٠ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد ، ٤٥٠/٥ ، حسن المحاضرة ، السيوطي ٢٣٨/١

(٢) إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، مخطوط مصور عن مكتبة الهيئة العامة للكتاب المصري بالقاهرة .

(٣) انظر ترجمته في : الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ٣ / ١٠٥ – ١١١ ؛ فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد شاكر الكتبي ، ٣/ ٣٦٢ ؛ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م ، ٦ / ٣٩.

(٤) منظومة الإمام الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، ط١ ، مكتبة المدينة ١٣٩٩هـــ .

وسبب تأليفه لمنظومته وشرحها كما يقول : " لما رأيت كتب النصارى الآن مشحونة بما ينكرون من بعث النبي ﷺ ، وفيها من القول بخلاف ما يدعونه في إلهية المسيح وفي صلبه وإثبات رسالته التي نعتها اليهود والنصارى بما لا يخفى .تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ما سهل نظمه في ذلك " وأما شرحها "وأردت أن أورد تحت كل أبيات ما أشارت إليه من النصوص التي لا يستطاع ذكرها بالنظم بلفظها " .

وأما الموضوعات التي تناولتها القصيدة فكانت :

* ذم اليهود والنصارى لتفريطهم أو إفراطهم في حق عيسى عليه السلام .

* رفض إلهية المسيح بخصاله البشرية من نوم وتعب وموت .

* رد دعوى أن الصلب أنقذ من الجحيم الأنبياء .

* رد التثليث الذي يجعل الكثير قليلاً مخالفة للمنقول والمعقول .

* تعرض لليهود وخلالهم واستحلالهم المحرمات وتمثيلهم الله بمخلوقاته ، وذكر بما في كتبهم من ضلال كمصارعة يعقوب لربه وضرب الطبول ليسمع الرب ويعرف أنهم سيحاربون فينصرهم على عدوهم، وذكر بعض مثالب الأنبياء التي زعمها اليهود كفراً وبهتاناً .

* وذكر بعض شرائعهم التي تنكروا لها كتحريم السبت وتحريم الصور وجواز النسخ .

* ذكر البشارات التوراتية بنبينا صلى الله عليه وسلم، وأطنب في ذلك فاستغرقت تسعاً وأربعين بيتاً من القصيدة ، ذكر فيها ما قارب الثلاثين بشارة .

وأما الجزء الأكبر من قصيدته والذي شغل مائة وخمس عشرة بيتاً ختم بها قصيدته فكان موضوعه معجزات محمد ﷺ وخصاله التي جعلت البوصيري محباً له يملئ قلبه .

وقد ذيل البوصيري – كما سبق – أبيات القصيدة بشرحه الذي أوضح فيه بعض ما أشار إليه في الأبيات كما في قوله :

من مثل موسى قد أقيم لأهله ... من بين إخوتهم سواه رسولا

أو أن أخوتـــهم بنـــو عيسو ... الذي نقلت بكارته لإسرائيلا

تالله ما كان المراد به فتى ... موسى و لا عيسى ولا صمويلا

إذ لن يقوم لهم بني مثله ... منهم و لـــو كان النبي مثـــيلا

وقد ذيله في الشرح بذكر النص التوراتي ورد على من جعل دلالة النص على غير نبينا بما دلت عليه نصوص أخرى من أنه لن يقوم نبي آخر في بني إسرائيل مثل موسى ،وهكذا في سائر أبيات القصيدة .

ولا يمنع هذا من وجود استطراد في الشرح بما لم يذكره في قصيدته كما في حديثه في التوراة الموجودة في أيديهم ، وأنه ليس فيها ذكر للبعث ولا القيامة ولا الدار الآخرة ولا الجنة ولا النار ، وإنما يتعلق الجزاء فيها في الدنيا ، فقد زعموا أن جزاءهم على الطاعة إنما يكون بطول العمر والنصر على الأعداء وسعة الرزق ،كما تطرق المؤلف لتحريف الأناجيل وأسبابه ودور قسطنطين في تغيير الديانة النصرانية .

ولعل من أهم ما ذكره البوصيري في قصيدته سبقه إلى الاستشهاد بالمزامير على نجاة المسيح في قوله:

أفتجعلون دليلاً مدخولاً(١) شهد الزبور بحفظه ونجاته
أو من أشيد بنصره مخذولاً أيكون من حفظ الإله مضيعاً

وبين في شرحه أنه جاء في الزبور " أن الله ربي سبحه واستجاب له في سماء قدسه " (انظر المزمور ٢/٥ – ٦)، وكذا جاء في مزمور آخر " إن الله أوصى ملائكته بك ليحفظوك " (المزمور ٩١/١١) فإذا لم يكن ذلك الحفظ من النجاة والصلب والقتل . فمن ماذا يكون ؟

والمنظومة وشرحها يظهران معرفة كبيرة للبوصيري في تاريخ النصارى يضاف إليها خبرة واسعة في النصوص الكتابية التي كانت مجالاً خصباً لتناول الأغراض النصرانية ، ولعله من المهم أن نذكر بأن البوصيري لم يعتمد في ذكره للنصوص الكتابية على نسخة واحدة ، بل ربما أسند النص إلى ثلاث نسخ ، وذكر ما ورد في كل منها مما يؤيد المعنى الذي يريد .

*** علي بن محمد الباجي**

والباجي هو علي بن محمد الباجي ، ولي قضاء الكرك ، قال عنه السبكي " إمام الأصوليين في زمانه ، لما رآه ابن تيمية عظمه ، ولم يجر بين يديه بلفظة ، فأخذ الشيخ علاء الدين يقول تكلم نبحث معك ، وابن تيمية يقول : مثلي لا يتكلم بين يديك أنا وظيفتي الاستفادة منك " ، وكانت وفاته سنة سبعمائة وأربع عشرة للهجرة .(٢)

وله في نقد النصارى كتاب " على التوراة " .(٣)

و كتابه " على التوراة " خصه لنقد التوراة اليونانية التي كانت بيد نصارى الروم (الملكانيين) الذي كان يرد عليهم .

وسبب تأليفه له أنه نظر "في توراة موسى عليه السلام – المعربة – التي بيد النصارى الملكية – على ما زعموا ، وهي خمسة أسفار فسنح بخاطري أسئلة على ألفاظها فذكرتها على ترتيبها " .

وقد استغرق المؤلف في هذا الكتاب الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام فقط ، وقد أسهب وأطال في نقد السفر الأول (التكوين) فاستوفى نصف كتابه ولما يبلغ القراءة (الإصحاح) السابعة والعشرين ، وهو في كل ذلك يذكر النص التوراتي ، ثم يذكر عدداً من وجوه النقد التي رآها في النص ، وقد يتوسع في بعضها أو يقصر بحسب ما يقتضيه السياق .

---

(١) ولعل الصحيح : أفتجعلون دليله مدخولاً .

(٢) انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ، السبكي ، ٦ / ٢٢٧ ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر ٢ / ١٧٦ ؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد ٦ / ٣٤٠ .

(٣) على التوراة ، الباجي ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، ط١ ، دار الأنصار ، ١٤٠٠ هـ .

ولما طال المقام في نقده لسفر التكوين رأى أن يعمد إلى الاختصار فقال :"لنقتصر من الآن – الإصحاح السابع والعشرين – على إيراد بعض ما يحتمله لفظ التوراة من الأسئلة حذرًا من التطويل " وقد وفى بذلك ، فلقد وجه لبعض الإصحاحات سؤالاً واحداً ، ونقده في وجه واحد فقط .

وقد جاء نقده للتوراة على محاور عدة :

– ما تناقض فيه النص التوراتي مع نفسه أو غيره من النصوص .

– ما خالف فيه النص التوراتي الواقع .

ما خالف فيه النص مقتضيات العقول السليمة .

– ما خالف النص من معتقدات النصارى وشرائعهم .

– ما يرد في النص من ألفاظ مشكلة وملبسة المعاني .

–ما يرد في النص من تكرار وأخطاء بيانية أو سياق للكلام على غير النسق الصحيح .

– ما يرد في النص من أخطاء نحوية في ترجمته العربية .

والباجي خلال نقده للتوراة يتصفح نسخة موجودة بيده وينقدها ، وقد وصفها وعدد قراءاتها(إصحاحاتها) ، وبين أنها نقصت سبع اصحاحات لم ينلها حظها في النقد ، أو لعلها قد أضيفت إلى غيرها من القراءات .

كما قارن الباجي بين هذه النسخة ، ونسخة أخرى عبرانية ، وقد يذكر ما بينهما من الفروق .

ورغم أن كتابه في نقد التوراة ، فإنه قلما يذكر عقائد اليهود أو يناقشهم ، لكنه كان يتعرض لعقائد النصارى كما في تعليقه على ما ورد في التكوين " لأن أباك (أي الله) قال لي : احذر أن تكلم يعقوب برديء " (التكوين ٢٩/٣١) فقد قال الباجي عندها : " ثم اعلم أن هذا النص يبطل مذهب النصارى في التمسك على أن عيسى ابن الله بإطلاق لفظ الأب على الله تعالى بالنسبة إلى عيسى في الإنجيل ، فإنها قد أطلقت هنا على الله سبحانه بالنسبة إلى يعقوب ، وليس هو ابناً لله بإجماع الطوائف كلها ،بل هي مجاز على المربي ونحوه " .

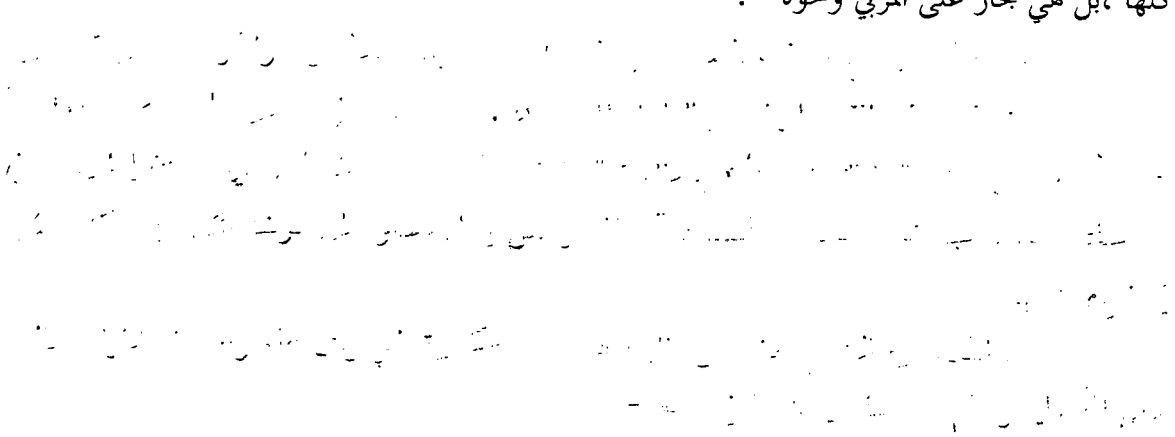

***أبو الفضل السعودي**

وله كتاب " المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل "[1] وهو مختصر لكتاب أبي البقاء

(١) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، السعودي ، مخطوط في مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى

الجعفري والذي أشرت له آنفاً .

و لم يحدد السعودي منهجه وطريقته في اختصار التحجيل، لكنه أشار إلى شيء من ذلك بقوله " فجمعت من أدلة الإنجيل مما نقله من أناجيلهم وبيَّنه من أباطيلهم وأظهره في الأدلة السالمة من التحريف والتبديل الدالة على توحيد الجليل ، والعبودية لسائر مخلوقاته من أرضه وسماواته " .

وقد تعرض السعودي لجميع الأغراض النصرانية في كتابه الذي حوى مقدمة وعشرة أبواب .

وفي مقدمته المسهبة عرف بالأناجيل الأربعة وأصحابها ، ثم انطلق للحديث عن علاقتها بما في النصرانية من انحراف ، فذكر أن الخلل إنما دخل « على النصارى وغيرهم ممن بضاعته في العقول مزجاة من جهلهم بمقتضيات الألفاظ وعدم المعرفة بوجوه الكلام ، ولقصور أفهامهم بمعاني تأويل الظواهر ، فلم يحملوها على بعض محتملاتها بالدليل ، وليس ذلك بصواب ، بل ينبغي حراسة ما دل عليه دليل العقل الذي لا احتمال فيه ، فإذا أورد لفظ عرضي ظاهره على ما ضبطه دليل العقل ، فإن لم يُنْبُ عنه استعمل الظاهر من اللفظ و لم يؤول ، وإن لم يحتمله طلب له وجه يحمل عليه ليجمع بين اللفظ ومقتضى العقل ، إذ الشرع في كل ملة [صحيحة] لا يرد بخلاف ما يقتضيه العقل ، فإن العقل أصل الشرع بمعنى أنه شاهد بصحة النبوات والرسالات ، وافتقار العلم إلى ذلك ، فإذا جاء الشرع بخلاف العقل فقد كذب أصله الشاهد له » . ثم بدأ في تطبيق هذا المنهج في دراسة النصوص المشكلة . و رأى أن النصارى إنما أتوا من قبل ألفاظ أربعة : الرب والإله والابن والأب .

وهذه الألفاظ لا يسلم السعودي بصحة ورودها في حق عيسى ،"ولكن لو نسبناهم إلى التحريف والتصحيف لأغريناهم بطغيانهم ، وحسمنا عنهم مادة إيمانهم ، بل نتكلم بمقتضى اصطلاحاتهم ومنقولهم ، فعسى أن يكون أقرب لعقولهم ".

وهكذا بدأ يفسر النصوص الكتابية متأولاً إياها بعيداً عن المعاني التي يرومها النصارى مستدلاً لتأويله بالنصوص الكتابية المختلفة التي حوت نصوصاً مشابهة يتأولها النصارى ، وهو يظهر معرفة بارعة في كتب القوم قل أن تجد لها بين أصحاب الردود نظيراً .

وهكذا كانت أغلب استدلالاته نصية لأن "الخوض معهم في أدلة المعقول فشيء لا يحتمله قواهم ، ولا يلائم هواهم" .

ومع ذلك فلم تخل مناقشاته من الاستدلال العقلي خاصة وهو يتحدث عن طبيعة الاتحاد ، وخلاف الفرق النصرانية فيه .

والمؤلف شاعر مجيد فقد كان يعقب على بعض فقراته وردوده بشئ من الشعر ، وقد بلغ مجموع ما ذكره من شعره ما قارب المائتي بيت كما نقل شيئاً من بردة البوصيري في حديثه عن نبوة نبيناﷺ ومعجزاته وأما أبواب الكتاب العشرة فكانت كالآتي :

الباب الأول : ما سلم من التبديل من ألفاظ الأناجيل ذكر فيها النصوص التي صرحت بعبودية المسيح لله عز وجل ، ورد على ما توهم النصارى منه ألوهيته وربوبيته .

برقم (١٥ عقيدة) .

وفي الباب الثاني : كان موضوعه في تعريف مواطن التحريف ، وتحدث فيه عن الصلب وما رافقه من أحداث تبطل قوله ، كما تحدث فيه عن تناقض الأناجيل ، وذكر صوراً لهذه التناقضات والتي تبطل الاستدلال بهذه الكتب .

وفي الباب الثالث : أبطل الاتحاد وأسهب في هذا الباب بعرض أدلة النصارى على الاتحاد من خلال النصوص الكتابية ، فاستعرضها وأبطلها جميعاً مستدلاً بنصوص أخرى أو ترجمات أخرى لنفس النص مذكراً بوجود أمثال لهذه النصوص في القرآن والسنة لم يفهم منها المسلمون الاتحاد ، ثم تحدث عن فرق النصارى المختلفة في طبيعة الاتحاد فصور مذاهبهم ، ثم أبطل مذهب كل فرقة منهم بالدليل العقلي المصحوب بالدليل النصي الإنجيلي .

وأما رابع أبواب الكتاب : فكان موضوعه إبطال الأمانة ، ذكر فيه السعودي صيغة الأمانة وقضية وضعها ، ثم أبطلها بما فيها من تناقضات وما فيها من تكذيب لما جاء في التوراة والإنجيل ، واعتبرها من وضع من قصد السخرية بدين النصارى والإزراء بهم وإبداء عوارهم .

وأما الباب الخامس : فكان موضوعه : إثبات نبوة عيسى صلى الله عليه وسلم ورسالته بما أظهر من معجزات وآيات ونصوص إنجيلية ونصوص وردت عن أصحابه وأعدائه تشير إلى بشريته ونبوته وقعوده عن مقام الألوهية ، وساق نصوصاً كثيرة في كل ذلك .

وأتم في الباب السادس حديثه عن معجزات عيسى التي لم تكن بأعجب من معجزات إخوانه الأنبياء ، والذين جاء بعضهم بأعجب مما جاء به المسيح و لم يقتض ذلك ألوهيتهم وربوبيتهم ، وقارن بين بعض هذه المعجزات ومعجزات نبينا ﷺ المشابهة لها .

وفي الباب السابع : تحدث المؤلف عن المسيح وأنه ما قتل وما صلب ، وإن قُصد وطُلب وسرد فيه أحداث الصلب كما ذكرها الأناجيل ، ونقدها لما فيها من تناقض وغرائب ، واعتبر القصة برمتها ملفقة من قبل اليهود أرادوا بها أن يضحكوا على النصارى ، فاخترعوا قصة " قبر الرب " .

وفي الباب الثامن : أثبت المؤلف أن الأدلة تقول بأن المصلوب هو الشبه ، واستدل لذلك بالأحداث التي رافقت حادث الصلب في ظلام الليل وعدم معرفتهم بالمسيح وغيرها مما يصعب على النصارى تبريره ، فلا يسعهم حينذاك إلا أن يوافقوا السعودي على أن المصلوب شبهه ، وأنه حواري افتدى المسيح بنفسه ، واستدل لذلك روايات إنجيلية عضدت رأيه وأيدته .

وناقش أيضاً مسألة الفداء والخلاص مطولاً ، فتحدث عن الخطيئة الموروثة ، فأبطلها بتوبة آدم ، وبذكر الله تارة ، وبالنصوص الكتابية تارة أخرى .

وفي الباب التاسع تحدث عن نصائح النصارى واليهود وحيل الرهبان وما رووه من الكذب والبهتان ، وما اقترفه اليهود على أنبياء الله الأبرار وصفوته الأطهار . فذكر خبر كنائسهم وخداع الرهبان للعامة بإظهار بعض الخوارق عن طريق الحيلة والمخادعة ، كما تعرض لأعيادهم وعباداتهم المحدثة التي لا أصل لها عن المسيح ولا عن تلاميذه .

والباب العاشر : خصه للحديث عن البشارة الإلهية والغرة المحمدية .ويقع هذا الباب في قسمين ، ضمن القسم الأول تسعاً وعشرين بشارة كتابية تحدثت عن النبي ﷺ ، ووجهها واعتبر هذه البشارات"

إنما هو مما أغفله اليهود والنصارى [هكذا] عن إسقاطه من كتبهم أو حملوه على غير محمله بغضاً وعناداً "، وقد ذكر في قليل من هذه البشارات نصه العبراني .

كما ذكر كثيراً من الروايات الإسلامية عن أهل الكتاب وغيرهم تدل على أن النبي ﷺ هو النبي الذي بشرت به كتب الأنبياء وانتظرته الأمم جيلاً بعد جيل .

وفي القسم الثاني من هذا الباب تحدث عن معجزات النبي ﷺالتي بلغت الألف وخصائصه التي تثبت نبوته عليه السلام .

وفي الكتاب مثلمة على أهميته وتقدمه على كثير من كتب هذا الفن ، فقد نثر فيه المؤلف قليلاً من شطحات الصوفية وأخبارهم التي لا طائل من ورائها، علاوة على ما فيها من نكارة وتكلف ممجوج ، منها ما ذكره عن أستاذ كبير لهم « حكى عن نفسه أنه كان هو ابن ثلاث سنين أو نحوها يكون مضطجعاً بجانب أبويه ، فينقلب طيراً فيطير إلى أعلى البادهنج[1] فينظر إلى اتساع الوجود فيخاف أن يتوه عن أبويه إذا أمعن في الذهاب ، فينزل إليهما وينقلب آدمياً كما كان » .

---

(١) كلمة غير مفهومة هكذا رسمها .

ثالثاً: ردود المسلمين من المعتزلة

***القاسم بن إبراهيم الحسني الرسي**

و الحسني شيعي معتزلي،و هو مؤسس مذهب القاسمية في الفقه،وله كتاب في الرد على الرافضة،توفي سنة مائتين و ستة و أربعين هجرية .[1]

و له كتاب عنون له " الرد على النصارى ".[2]

وقد نشر كتابه في مجلة الدراسات الشرقية بروما سنة ١٩٢٢،١٩٢١م، و قد شغل سبعاً و عشرين صفحة .

و يحتوي الكتاب على ثلاثة أقسام :

الأول:تعرض فيه لعقيدة التوحيد،و أبطل التولد عن الله بحجج منطقية و قرآنية، و رفض مبدأ البنوة لأن فيه تناقض و استحالة .

الثاني:عرض عقائد النصارى في الثالوث و التجسد، و بين الفرق بين فرق النصارى الثلاث في طبيعة المسيح كما تحدث عن معتقد النصارى في الخطيئة الأولى المورثة، و ذكر قولهم صعود المسيح إلى السماء بعد الصلب ثم نزوله ليدين الأحياء و الأموات .

الثالث:خصص هذا القسم ليرد على هذه العقائد، و خاصة منها الأبوة و البنوة، و اعتمد في ذلك على الحجج العقلية، وبين أن تلك المعتقدات مؤسسة على فساد تأويل النصوص، و مثل لبعض النصوص التي تتأولها النصارى على معان باطلة، و أولها بخلاف ما يؤولونها .

ونلحظ فيه أسبقية الحسني في نقد النصارى اعتماداً على تصحيح تأويل النصوص الإنجيلية .

***عمرو بن بحر الجاحظ**

و الجاحظ هو عمرو بن بحر ،و هو معتزلي تنسب إليه إحدى فرق المعتزلة، صاحب مصنفات و تآليف ،قال عنه الذهبي " كان من بحور العلم، مات سنة مائتين و خمس و خمسين من الهجرة النبوية ".[3]

و له في الرد على النصارى كتابان :

الأول: " الرد على النصارى "[4] ،و الثاني " الرسالة العسلية ".[5]

---

(١) انظر ترجمته في الفهرست ، محمد بن اسحاق النديم ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ ، ص٣٣٢

(٢) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ١٣٥-١٣٦.

(٣) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة ، ٥٢٦/١١ ، لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، ط مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد ، ٢٤٧/٣ ، تاريخ بغداد ، لخطيب البغدادي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢١٢/١٢

(٤) المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ تحقيق محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ، القاهرة ١٤٠٥.

(٥) و هي رسالة مفقودة ذكرها القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق: عبد الكريم عثمان ، دار العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ص١٨٩ .

و الكتاب الأول جاء رداً على رسالة أرسلها مسلم إلى الجاحظ يسأله فيها عن مسائل أثارها بعض النصارى، فأدخلت بعض الشبه في قلوب الأحداث ،فأراد هذا السائل أن يسمع دحض الجاحظ لهذه الشبهات.

وهذه المسائل تدور في جملتها على تكذيب القرآن الكريم في بعض ماذكره عن أهل الكتاب ، ومن ذلك : نسبة القول بألوهية مريم للنصارى ، وكذا القول بأن هامان كان وزيرًا لفرعون مع أنه أتى بعده بدهر طويل .

ومنها: أن القرآن ذكر بأن يحيى لم يكن له سمي ،وهم يجدون كثراً قد تسموا باسم يحيى من قبل مثل يوحنا بن فروخ وغيره.

ومنها: أن القرآن ذكر كلام عيسى في المهد ،ولا يقوله أحد من طوائف النصارى مع غلوهم فيه ،وقوة الإعجاز بهذا .

ومنها: أن القرآن نسب لليهود القول بأن يد الله مغلولة ،وهم لا يقولونه .

كما أشكل على السائل تفسير قوله تعالى ﴿ و ما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[1]، فقد فسره النصراني بأن أهل الذكر هم النصارى ،وهم يكذبون القرآن ،ويقولون بنبوة النساء أيضاً .

وقد تعهد الجاحظ بالرد فقال :" سنقول في جميع ما ورد علينا من مسائلكم ،وفيما لا يقع إليكم من مسائلهم بالشواهد الظاهرة ،والحجج القوية ،والأدلة الإضطرارية "

ولكن اختيارات عبيد الله بن حسان -التي حفظت لنا رسالته - لم تحمل إلينا ردود الجاحظ على بعض هذه المسائل مع أنه ذكر في خاتمة رسالته أنه فعل ذلك،فقال : " و نستقصي لهم في جواباتهم كما سألنا لهم أنفسنا و استقصينا لهم مسائلهم " [2] وبذلك يكون قد وفى بوعده.

و قد شرع الجاحظ يعرض لأهم الأسباب التي جعلت النصارى أحب إلى عوام المسلمين من المجوس و اليهود ،فذكر من ذلك بعد ديارهم عن جزيرة العرب مما قلل التوتر معهم مقارنة باليهود الذين سكنوا بين المسلمين ،فأورث هذا الجوار العداوة و البغضاء، و منها إيواء نصارى الحبشة للمسلمين،و منها التأويل الخاطئ عند بعض المسلمين لقوله تعالى ﴿ لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾[3]،فيؤكد الجاحظ أن هذه الآية ليست في الملكية و لا اليعقوبية ،و إنما هي في أمثال بحيرا و الرهبان الذين خدمهم سلمان،و منها أن بعض ملوك العرب كانوا من النصارى، و كذا كانت نساؤهم أمهات لبعض ملوك الإسلام، و منها تجارة العرب إلى بلاد الشام،و منها وجود أطباء و منجيمين و متكلمين من أهل البلاد النصرانية ،و لو علم العرب أن كتاب المنطق و الطب كجالينوس و أرسطاليس ليسوا بروم و لا نصارى، إنما هم وثنيون قدماء تلقف النصارى كتبهم لقرب المكان،فلو علم العرب ذلك

---

(١) سورة الأنبياء ، آية: ٧ .

(٢) الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص١٢٥.

(٣) سورة المائدة ، من آية: ٨٢ ، و انظر تفسيرها في تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ٨٥/٢ .فقد ذكر بأنها نزلت في النجاشي وأمثاله من المؤمنين.

لما فرقوا بينهم و بين اليهود و غيرهم،كما ذكر أسباباً أخرى أيضاً.

كما نقد الجاحظ إضلال النصارى لعوام المسلمين بالتلبيس عليهم بالمتشابه من الآيات و الضعيف من الأحاديث.

و تعرض لقبح بعض ما يفعلونه ،ويعدونه ديناً،كترك النكاح وفعل الخصاء و أكل الخنزير، و عدم الغسل من الجنابة وإتيان الحائض وترك اللحم، و ذلك تأثراً منهم بالزنادقة و الصائبة و غيرها من المذاهب القديمة.

ثم تحدث عن عقائدهم الفاسدة التي لا يفهمها العقل مهما جهد،و ذكر خلافهم فيها الذي لا يضبطه ضابط،بل ضابطه عندهم التسليم لما في الكتب و التقليد للآباء ،ثم يزعمون أن الدين " لايخرج في القياس و لا يقوم على المسائل،و لا يثبت في الامتحان " ذلك كله دعاهم للقول بأن "من خالف دينهم و لم يتعمد الباطل فهو معذور عند الله ".

ثم شرع يرد على بعض مسائلهم:

*إنكارهم كلام عيسى في المهد.

*هل قال القرآن على اليهود ما ليس بحق؟

*زعمهم بأن عيسى ابن الله، وتحدث عن رفض المسلمين حتى لمعنى الأبوة بالتبني أو غيره، و تعرض لمعجزة ميلاد عيسى من غير أب.

ثم خير النصارى بين القول بأن المسيح إنسان بلا إله، أو إله بلا إنسان، أو إنسان و إله ، وبين ما يرد على كل من الأقوال الثلاثة من القبول أو عدمه و مسوغات ذلك.

*رد مجهول المؤلف[1]

و يقع مطبوع هذا الجهد في سبع صفحات ،وذكر الشرفي أن المخطوط نقص منه صفحة في أوله و أخرى في آخره.

و يظهر من قراءة المخطوط أن لصاحبه معرفة جيدة بالعقائد النصرانية و النصوص الكتابية.

و تتكون هذه الرسالة من أربعة أقسام:

القسم الأول :رد فيه ألوهية المسيح مستدلاً بحياته و صفاته البشرية، و ناقش استدلال النصارى بميلاده و معجزاته عليه السلام.كما رد في هذا القسم معتقد النصارى في الخطيئة الموروثة.

القسم الثاني :نقد سلوك النصارى وعباداتهم ونعى عليهم تقليدهم للآباء ،و ذكر بعض النصوص التي أهملها النصارى في حياتهم ،وتتحدث عن العفو والصوم والإخلاص والزهد في الدنيا .

القسم الثالث :أجاب على اعتراضات وردت من النصارى على المسلمين ،وموضوعها لمز النصارى بعض

---

(١) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص١٦٠ ، و يرجح الشرفي بالنقد الظاهري للورقة و الخط و كذا متن الكتاب أنه مكتوب في أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع الهجري.

ويسوق على احتراز افتراضاً بأن تكون هي الرسالة العسلية التي كتبها الجاحظ ، و استدل لذلك بتشابه أسلوبها و تعبيراتها مع أسلوب الجاحظ.

شرائع الإسلام ،كالتوجه نحو الكعبة ،وتعدد الزوجات ،وتعدد زوجات النبي صلى الله عليه و سلم .

القسم الرابع: تحدث عن النبي صلى الله عليه و سلم من خلال طريقين :

أولهما :أنه أخرج العرب من الجهالة إلى التوحيد والفضيلة.

ثانيهما :أنه مكن للمسلمين بحول الحق وقوته من قهر أعظم الأمم .

***عبد الله بن محمد الأنباري.**

و كنيته أبو العباس و شهرته " الناشئ الأكبر "، من المعتزلة ،قال عنه ابن خلكان : " كان عالماً في عدة علوم من جملتها علم المنطق "، وقال عنه ابن كثير :" كان جيد الذهن... يرد على المنطقيين" الأئمة ، وكانت وفاته سنة مائتين و ثلاث و تسعون للهجرة.(١)

وله في الرد على النصارى كتاب " الأوسط في المقالات " (٢) ، وقد وصل إلينا من كتابه ما احتفظ به الكاتب النصراني ابن العسال (ت قبل ١٢٦٠م) في كتابه " مسائل الإمامة " حيث نشر فيه فصلاً تحدث فيه ابن الأنباري عن النصارى، و يقع هذا الفصل في إحدى عشرة صفحة عرض فيها لعقيدة ألوهية المسيح، و بين أن النصارى فيهم الموحد و فيهم المثلث ،و استعرض آراء مختلف الفرق المثلثة بشكل موجز واصفاً خصائص كل فرقة .و لم يحتفظ العسال بشيء عن الفرق الموحدة إلا بما قاله عن الأريوسية، وذكر أن هناك ستاً غيرها.

و إثر هذا العرض رد على المثلثين بضربيهم :وبدأ بالذاهبين إلى ظاهر الإنجيل،و المقلدين لأسلافهم،و هؤلاء لم يكترث بهم لضعف حججهم و تهافتها ،فلم يرد في رده سوى إشارات إلى عدم صحة تخصيصهم المسيح بمعاني الألفاظ المشتركة، كما نبه إلى أن ألفاظ : الجوهر و الأقانيم لا دليل عليها في الأناجيل بل هي واردة من فلسفة اليونان.

و أما المجادلون بالمقاييس العقلية فقد اهتم ببيان فساد حججهم، و أثبت تناقضهم في الاتحاد من وجوه عديدة أثبت من خلالها بطلان الاتحاد و صوره المختلفة.

***أبو عيسى محمد بن هارون الوراق**

و أبو عيسى الوراق من معتزلة بغداد ،قال عنه ابن النديم :من المتكلمين النظارين ،كان معتزلياً وانتهى به التخليط إلى أن صار يرمى بمذهب أصحاب الاثنين ،وعنه أخذ ابن الرواندي (الملحد)، واعتبره القاضي عبد الجبار من الملاحدة، توفي سنة سبع وأربعين ومائتين.(٣)

---

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ، ابن خلكان ٢٧٧/٢ ، طبقات المعتزلة ، أحمد المرتضى ، تحقيق: سوسنة ديفلد ، نشر: دار فرانز شتايز ، فيسبادان ، ١٣٨٠هـ ، ص٩٢-٩٣ ، البداية والنهاية، ابن كثير ١٠٧/١١ .

(٢) انظر "مسائل الإمامة"و مقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات للناشئ الأكبر ، حققهما : يوسف فان ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ١٩٧١م.

(٣) انظر ترجمته في الفهرست ، ابن النديم ، ص٣٠١ ،تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ص١٢٨-١٢٩، لسان الميزان ، ابن حجر ، ٤١٢/٥، وقد كتب كتابه هذا قبل تخليطه بلا ريب، وذكره هنا ليس شهادة له بالإسلام ، و إنما للإفادة مما كتبه قبل ردته عافانا الله من ذلك.

و له كتب ثلاثة في الرد على النصارى " الكبير " و " الأوسط " و " الأصغر " إضافة إلى كتاب آخر مفقود تعرض فيه للنصارى كما أشار يحيى بن عدي النصراني و اسمه " المقالات " .[1]

و كتبه الثلاثة في الرد على النصارى أيضاً مفقودة ، لكن يحيى بن عدي احتفظ لنا ببعض ما جاء في أحد هذه الكتب في رده المسمى" تبين غلط محمد بن هارون " حيث أثبت نصاً للوراق على شكل فقرات، ثم رد عليها. و لا يعرف من أي هذه الكتب الثلاثة أثبته يحيى بن عدي ،ورد عليه.

ويحوي رد الوراق أقساماً ثلاثة:

١-عرض معتقدات الفرق النصرانية الكبيرة دون الفرق الثانوية التي ذكر أقاويلها في"المقالات"

٢-الرد على مقالات النصارى في التثليث، و قد جاء من خلال محاور ثلاثة:

أ/ نقد مقالة اليعقوبية و النسطورية "أن الأقانيم هي الجوهر،والجوهر هو الأقانيم ".

ب/ نقد مقالة الملكية "أن الأقانيم هي الجوهر ،والجوهر غير الأقانيم "،كما نقد مختلف مظاهر موافقة الجوهر للأقانيم ،وبين مخالفته لها .وأكد أن الجوهر رابع الأقانيم في العدد ،وتحدث عن الفعل والمشيئة عند الجوهر .

ج/ نقد الفرق الثلاث في قولهم بثلاثة أقانيم " أب وابن وروح ".وتحدث فيه عن:

*العلة في اختلاف الأقانيم.

*العلة في اختصاص كل أقنوم بصفة.

*نقد قولهم " إن الله جوهر حي ناطق واحد بجوهره ،ثلاثة بالحياة و النطق و الولادة ".

*الألوهية و العدد، و الأقانيم و الكمال.

*العلم عند الجوهر و الأقانيم.

*مفهوم الولادة و ما يقتضيه من تشبيه.

*نقد تحديد الأقانيم بأنها خواص أو صفات.

٣-نقض آراء النصارى في المسيح و هو على بابين:

الأول:(لم يذكر الشرفي له عنواناً)و ذكر الوراق فيه:

-اختصاص الاتحاد بأقنوم واحد هو أقنوم الابن.

-زمن اتحاد الكلمة بالإنسان.

-بمن اتحدت الكلمة بالإنسان الكلي أم الجزئي؟

-آلام المسيح و صلبه و موته.

الثاني:(لم يذكر الشرفي له عنواناً) ،وذكر الوراق فيه:

-طبيعة الاتحاد و نقد الصيغ المختلفة له.

-فعل المسيح و مشيئته.

-علاقة الأقانيم بالجوهر، مع التركيز على أقنوم الابن.

---

(١) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص١٤٦.

-نقض اعتقاد اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد.

-أفعال عيسى البشرية تنافي الألوهية.

-نقد تمثيلهم بالفحمة و الجمرة و الدينار و نحو ذلك.

و قد اعتمد الوراق في نقده لمعتقد النصارى على الحجج المنطقية، وخلا إلا قليلاً من الشواهد النصية الكتابية أو القرآنية، و قد نوه في كتابه إلى أنه ينوي الرد على الفرق النصرانية الثانوية في كتاب مفرد.

***القاضي عبد الجبار الأسدأبادي.**

والقاضي عبد الجبار،هو عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ،أبو الحسن المعتزلي، قال عنه الذهبي : " العلامة المتكلم شيخ المعتزلة...صاحب التصانيف،من كبار فقهاء الشافعية...مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة و أربعمائة . "[1]

و قد تعرض للنصارى في ثلاث من كتبه :-

الأول :" المغني في أبواب التوحيد والعدل " [2] حيث خص النصارى في فصل قارب السبعين صفحة ضمن ذكره للملل غير الإسلامية.

والثاني من كتبه : " تثبيت دلائل النبوة " [3] و في هذا الكتاب يستعرض القاضي عبد الجبار دلائل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، و في هذا السياق يعرض للنصارى بما يقارب المائة و العشرين صفحة حيث يذكر أن من معجزاته صلى الله عليه و سلم إخباره عن اختلاف فرق النصارى و إخباره بنجاة المسيح من الصلب.

و خلال ذلك تعرض القاضي عبد الجبار لعدد من الموضوعات النصرانية:-

١-كيفية وضع الأمانة و صيغتها.

٢-عرض أقوال الفرق النصرانية الرئيسة.

٣-تشبيه بعض النصارى الولاد بولاد الكلمة و العقل.

٤- بين القاضي عبد الجبار المعاني المجازية للبنوة ،و نقد أدلة ألوهية المسيح المختلفة،وأكد على نسبة المعجزات التي صنعها المسيح لله .

٥-المسيح لم يصلب و إخبار النبي صلى الله عليه و سلم بذلك من معجزاته العظيمة،إذ أتى بخلاف المشهور عند الآخرين ،ولو كان دعياً لوافقهم،كما تعرض القاضي عبد الجبار لبعض غوامض قصة الصلب التي تلقي بظلال الشك على شخصية المأخوذ(في قصة الصلب).

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٢٤٤/١٧ ، تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ١١٣/١١ ، لسان الميزان ، ابن حجر ، ٣٨٦/٣.

(٢) المغني في أبواب التوحيد و العدل ، القاضي عبد الجبار ، تحقيق : محمود الخضيري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، ٨٠/٥-١٥١.

(٣) تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، تحقيق: عبد الكريم عثمان ، دار العربية ، بيروت.

٦- ثم نقد شرائع النصارى ،فتحدث عن مخالفة النصارى لدين المسيح في الفروع كما الأصول ،و نعى عليهم اتباعهم لبولس الذي أصل المحرمات ثم قسطنطين الذي ابتدع تعظيم الصليب، ثم نقد عقيدة الاعتراف.

٧- تحدث عن انتشار النصرانية ،و بين أنها لا تصلح دليلاً على صدق العقيدة ،و رد أسباب انتشار النصرانية إلى سيف النصرانية الذي تسلطت به على الأمم،ثم إلى تروم النصرانية، إذ أخذت الكثير من أديان الروم فلم ير الروم فيها ما يخالف دينهم، و ذكر القاضي بأن تثليث النصارى مأخوذ من فلسفة الروم القائلة بأن العقل و العاقل و المعقول تصير شيئاً واحداً، ووافقت هوىً عند الناس بسبب عقيدة الفداء التي تقيل الإنسان من تبعات عمله .

٨-شنع على أحبارهم و قسسهم ادعائهم المعجزات عبر الحيل و استغلال جهل العوام، و أخذهم المال لقاء الاعتراف بالذنوب .

٩- وتحدث القاضي عما نسبه القرآن للنصارى من قول بتأليه مريم ،فبين أن ذلك لم يجر مجر الخبر حتى يحتمل الصدق والكذب،ولو كان كذلك فإن اليعقوبية يصفون مريم بأنها " أم الله " .

و في ذلك كله يعمد القاضي إلى مناقشة النصارى بأدلتهم النصية بعيداً عن الأساليب المنطقية .

وأما كتابه الثالث : " شرح الأصول الخمسة " [1] ،ففيه خص القاضي النصارى بفصل بلغ عشرة صفحات تعرض فيها لمبحثين : التثليث ثم الاتحاد .

وذكر في حديثه عن التثليث ماذكره النصارى عن علاقة الأقانيم بالجوهر،وأثبت تناقضهم فيها ،وتحدث عن تفسير بعضهم الأقانيم بالصفات،فأبطل حصرها بثلاث،وألزمهم قصرها على أقنوم واحد فقط .

ولما تحدث عن الاتحاد فرق بين فرق النصرانية ،وأعاد ماكان قد فصله في " المغني ".

وختم هذا الفصل بذكر " السبب الذي أداهم إلى القول بالاتحاد،وهو أنهم رأوا أنه ظهر على عيسى عليه السلام من المعجزات مالا يصح دخوله تحت مقدور القدر..وذلك يوجب عليهم أن يكون متحداً بالأنبياء كلهم ..والقوم لايقولون بذلك،فيجب أن يقولوا في المسيح أيضاً ".

و في" المغني " يبدأ القاضي عبد الجبار بعرض مذاهب النصارى المشهورة مبيناً ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه في الجوهر، وعلاقته بالأقانيم، وحقيقة الأقانيم الثلاثة و تفسيراتهم لها ،وهل المسيح جوهر أم جوهران ؟ و هل المصلوب هو الناسوت أم اللاهوت ؟ إلى غير ذلك من المسائل.

و الفصل الثاني من رده على النصارى خصه لإبطال ما عرضه في الفصل السابق، فبين ما يلزم على هذه الأقوال من لوازم منكرة كتعدد الآلهة وإثبات ثلاث ذوات أو تسلسل الآلهة أو جسمية الإله أو تركيبه.

كما بين لهم ما ينتج عنه من متناقضات ككون الإله متغايراً من وجه، غير متغاير من وجه آخر، وكون الثلاثة واحداً، و الواحد ثلاثة.ونقد تمثيلهم للأقانيم بالشمس و الضوء و الحرارة و تمثيلهم بالإنسان

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، تحقيق : عبد الكريم عثمان ، ط١ مكتبة وهبة ، ١٣٨٤هـ.

و نطقه و حياته.

ثم ذكر أقوالهم في حقيقة الاتحاد، فرد على من قال :أنه بمعنى التبني و الكرامة. فبين عدم اختصاص عيسى بذلك ،و بين ما يلزم على ذلك من معاني مستقبحة .

و نقد الاستدلالات النصية لهم على بنوة المسيح لله،فلئن صحت تلك النصوص فإنه يجب حملها على ما يليق من المعاني.

و خص إبطال الاتحاد و ما يتصل به بفصلٍ عرض فيه مختلف صور الاتحاد، مبطلاً إياها بالدليل العقلي، وخص الحديث عن الاتحاد بالمشيئة بفصلين أثبت من خلالهما تغاير مشيئة الله و مشيئة عيسى، و أن مشيئة عيسى توافق مشيئة الله كما هو حال جميع الأنبياء و المرسلين، ثم أبطل في فصلين قول من قال باتحاد الممازجة و المجاورة مستخدماً الاستدلال العقلي ،وذكر بأنه يلزم بتجويز اتحاد الله بعيسى تجويزه مع غيره ،ولا مخصص لعيسى عن غيره ،ثم أبطل القول بالحلول وفند أمثلة النصارى له في فصلٍ أتبعه بإبطال قول اليعاقبة الذين يقولون باتحاد الجوهرين بجوهرٍ واحد، مبيناً ما يلزم عليه من محالات عقلية .

ثم بعد إسهاب في الرد العقلي على بعض النصارى الذين يعولون " في هذا الباب على اتباع من سلف، والرجوع إلى الكتب، و تقليد التلاميذ الأربعة " فهؤلاء قولهم ساقط، لأنه و حسب رأي القاضي -وهو معتزلي-" الكلام في صفة القديم عز وجل، و ما يصح عليه و ما لا يصح، لا يجوز أن يرجع فيه إلى السمع "(١) ثم " لو ثبت ما ادعوه سمعاً لوجب أن يتأول على وفق ما يقتضيه ،فكيف و موضوع مذهبهم التقليد و الرجوع إلى خبر الأربعة، و لا يجوز أن يقع بخبر الأربعة العلم ".

و لا يسلم القاضي بأن دينهم مأخوذ عن المسيح " لأنا نعلم كذبهم في ذلك، و نقطع على أنه لم يأت إلا بما دل عليه العقل عليه من التوحيد دون التثليث، و نعلم أنهم أخطأوا من جهة النقل و التأويل " .

وتعرض القاضي في سطور معدودة لموضوع الصلب و اعتبره من الغلط في الأخبار لأنه وافق فقدهم لعيسى عليه السلام.

و بناء على ما سبق أن عرضه القاضي في إبطال صور الاتحاد المختلفة ختم بذكر فصل في نقد عبادهم للمسيح، و اعتبر أن ما بينه في إبطال أقوالهم في الاتحاد "يبطل جميع ما يذهبون إليه من أن المسيح يعبد ويخلق... لأن الكلام في ذلك فرع عليه ،و فساد ذلك يغني عن فساده ".

و أما طعون النصارى في القرآن و اعتراضاتهم على ما جاء فيه فقد ذكرها في موطن آخر مستقل عند حديثه عن المعجزات ، وذلك في مجلدته السادسة عشرة ، حيث عرض لكل الشبهات المثارة في هذا الباب .

وقد أظهر القاضي معرفة واسعة بالمنطق أبطل بها كل ما قاله النصارى ،بل وما قد يقولونه من أقوال .

وقد أفاد من كتابي الجاحظ ،ونقل عن الجبائي كثيراً من إلزاماته للنصارى ،و لم يبين هل نقلها عن شيخه مشافهة أم من كتاب له .

---

(١) وهو كلام ساقط ، إذ ليس من شيء أحق أن يرجع فيه إلى السمع من الحديث عن حقائق الغيوب، وأهمها الحديث عن الله العظيم وصفاته، بل إن هذا الباب مما ليس للعقل أن يقول فيه بشيء، فكيف يجعله المعتزلة الأصل الأصيل؟!

ولا تغيب أصول المعتزلة عن القاضي ،وهو يرد على النصارى في بعض المواطن ،كما سبق أن أشرنا إلى بعضه .

و يظهر معرفة كبيرة بالنصوص الكتابية، فقد أورد الكثير من النصوص التي لم نجدها عند من سبقه من أصحاب الردود كتكذيبه لقصة توبة بولس، و تكلم التلاميذ بالألسنة المختلفة، و بعض تفصيلات حادثة الصلب.

ويشغب على هذه المعرفة الواسعة ماذكره في " المغني" في سياق حديثه عن الصلب حيث ذكر أن " الصلب بعد القتل قد يغير صورة المصلوب، ويشبه حاله بغيره ". ومن المعلوم أن أياً من الأناجيل لا يقول ذلك، كما ذكر في التثبيت أن المصلوب قتل طعناً بالرماح، وليس بصحيح ، وذكر أن توبة يهوذا كانت بعد صلب المسيح ، وقد ذكر متى أنها كانت قبل ذلك وفي وقت المحاكمة المزعومة للمسيح.

وقد كان رد القاضي في " المغني " و" التثبيت " من أهم الردود في هذا الباب ،وقد اعتمد عليهما أكثر من جاء بعده من أصحاب الردود خاصة كتابه " المغني " وذلك ممن سلك مسلكه المنطقي في الرد والنقد والمناقشة.

وفي خاتمة هذا الفصل الذي استعرضنا فيه موضوعات ومنهج الجدل الإسلامي للنصارى نرى لزاماً أن نذكر ببعض الملاحظات .

أما ما يتعلق بموضوعات الجدل الرئيسة فلقد كانت جميع الموضوعات النصرانية موضوعاً لدراسة علمائنا لكن موضوع ألوهية المسيح كان الأكثر طرقاً لبالغ أهميته عند المسلمين فيما لم تحظ عقيدة الفداء والخلاص بكثير عناية منهم .كما نلحظ تأخر ظهور النقد لبعض الموضوعات إلى زمن متأخر، فمثلاً سجل الخزرجي في القرن السادس أول محاولة حقيقية في إبطال صلب المسيح، فيما كان ابن حزم بحق رائد موضوع نقد التوراة والإنجيل ،وذلك في القرن الخامس .

وأما ما يتعلق بمناهج علمائنا في النقد فقد ظهرت ثلاث مدارس كان أولها المدرسة التي اهتمت بالردود العقلية ، وكان روادها المتقدمون خاصة المعتزلة كالوراق والقاسم الرسي ثم الدميري في القرن السابع .

كما ظهرت مدرسة ثانية تعنى بالنقد العقلي والنصي (التوراتي والإنجيلي) ومن روادها الحسن بن أيوب وابن تيمية والغزالي والجعفري وغيرهم ، ومعظم الردود تتبع هذا المنهج .

إلى جانب ما تقدم وجدت مدرسة طغى عليها الاستدلال النصي،ومن روادها السعودي والبوصيري .

وأما النصوص الكتابية التي استخدمها علماؤنا في الرد على النصارى فمعظمها كما يبدو كان شائعاً في أوساط علمائنا ،ولعل ما يتعلق منها بالنبوءات قد اعتمد أصحاب الردود فيه على ابن ربن الطبري في كتابه " الدين والدولة "، و لم يكونوا جميعاً حال نقدهم ينقلون عن التوراة والإنجيل .

فيما ذكر بعض أصحابنا بالردود نصوصاً كثيرة لم يسبقوا إليها مما دل على امتلاكهم لنسخة من التوراة والإنجيل ، بل إن بعضهم ذكر ذلك عن نفسه كابن حزم والباجي .

وقد قابل بعض هؤلاء الترجمة العربية على ترجمات أخرى كما صنع زيادة النصب الراسي والغزالي .

وقد كان للمسلمين المهتدين من ضلالات النصرانية دور بارز في عملية الجدل الإسلامي النصراني ، وكانت ردود هؤلاء تتفاوت بحسب معرفتهم بدينهم الأول قبل إسلامهم واندفاعهم للذب عن دينهم الجديد وقد أنار الله بصائرهم إليه ، وهؤلاء هم ابن ربن الطبري ، الحسن بن أيوب، نصر بن يحيى ، عبد الله الترجمان ، زيادة النصب الراسي .

فيما كان الدافع لبعض الردود الإسلامية الأخرى الذب عن الدين والرد على كتابات نصرانية وكشف عوارها كما فعل الباجي والطوفي والقرطبي وغيرهم ، ونلحظ هنا إغفال علمائنا لأسماء من ردوا عليه ولا يستثن من ذلك إلا ابن تيمية الذي رد على رسالة راهب صيدا بولص ،و أبو الوليد الباجي وقد كانت رسالته رداً على رسالة راهب فرنسا .

ومن الحق أن نسجل للمعتزلة حضوراً قوياً في مدافعة النصارى وإبطال أصولهم ومن هؤلاء الجاحظ والقاضي عبد الجبار والجبائي وابن الأنباري وغيرهم .فيما سجل الرافضة غياباً كبيراً في هذا الباب ، و لم يذكر لأحد منهم مشاركة في هذا الجدل ، بينما كان للزيدية مشاركة تمثلت بالقاسم بن إبراهيم الحسني الرسي .

واستكمالاً للفائدة فإنه يجب علينا أن نعرض للثمرة التي غرسها علماؤنا خلال ثلاثة عشر قرناً في نقض الأصول النصرانية وهو ما نراه في الفصل الثاني من هذا الباب .

الفصل الثاني :

خلاصة الجدل الإسلامي النصراني

خلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً

تمهيد

بعد أن تعرفنا في الفصل السابق على جهود علمائنا خلال ثلاثة عشر قرناً، كان لزاماً علينا أن نذكر ما انتهت عليه عملية الجدل الإسلامي النصراني خلال هذه القرون الطويلة.

و مما سبق رأينا الموضوعات الرئيسة التي كانت محـــوراً لذلكـــم الجـــدل الطويـــل،و يجمعـــها نقاط خمسة:

أولاً:نقد ألوهية المسيح.

ثانياً:نقد عقيدة التثليث.

ثالثاً:تكذيب صلب المسيح ،و نقد فكرة الخلاص و الفداء.

رابعاً: إبطال قداسة التوراة و الأناجيل الموجودين بين يدي النصارى وملحقاتهما.

خامساً: إثبات نبوة نبينا الكريم صلى الله عليه و سلم .

وسوف نعرج بإذن الله في هذا الفصل على المباحث الخمسة، فنذكر خلاصة جهود علمائنا وأبرز ملامحها خلال هذا الجهاد الطويل.

المبحث الأول :ألوهية المسيح

تمهيد

تمثل عقيدة ألوهية المسيح العمود الفقري الذي يقوم عليه فهم النصارى لعقيدتهم في تثليث الإلـــه، التي تقول بألوهية الآب و الابن و روح القدس، و مقصود النصارى من " الآب" :الله عز و جل و هـــو الأقنوم الأول ،أما الابن فهو الأقنوم الثاني من أقانيم الإله،و هو المتحد بعيسى الناســـوت عـــن طريـــق التجسد الذي تم بواسطة الأقنوم الثالث ،و هو روح القدس.

و يرى النصارى أن هذه الأقانيم الثلاثة تشكل و حدة إلهية واحدة تجعل من هذه العقيدة المثلثـــة عقيدة موافقة للتوحيد الذي نصت عليه التوراة و الأناجيل.

و نرى أن ألوهية المسيح هي العصب الذي قامت عليه عقيدة التثليث. لأننا لا نكاد نرى ذكـــرا أو اهتماما يذكر بالأقنوم الثالث من الأقانيم إذ هو مجرد حشو ذكروه لتتفق عقائد القوم مع الفلســـفات السابقة التي كانت تدعو لعبادة الثالوث.

و لعله من المهم أن نذكر بأسبقية القول بألوهية المسيح على القول بالتثليث ،إذ يفصـــل بينـــهما زهاء قرنين من الزمان.

و من هنا كان اهتمام علمائنا بعقيدة ألوهية المسيح اهتماما بارزا يليق بمكانة هذا المعتقـــد عنـــد الفرق النصرانية المثلثة.

و قد جاء نقد علمائنا لهذا المعتقد من خلال محاور تمثل بمجموعها هذا المبحث ،ويمثل كل منـــها مطلبا،وأعرضها على النحو التالي:

المطلب الأول:إبطال أدلة النصارى على ألوهية المسيح.

المطلب الثاني:النصوص الكتابية التي تشهد ببشرية المسيح وتنفي ألوهيته.

المطلب الثالث:معجزات المسيح.

المطلب الرابع:إبطال ألوهية المسيح بالاستدلال العقلي.

المطلب الخامس:خلاف الفرق النصرانية في طبيعة المسيح.

المطلب الأول: إبطال أدلة النصارى على ألوهية المسيح .

أدلة النصارى على ألوهية المسيح

يعتمد النصارى في زعمهم ألوهية المسيح على الاستدلال بالنصوص الكتابية التي دلت على ألوهية المسيح الذي يرى النصارى أن العقول تجيزه و لا تحيله[1].

حيث زعموا أن هذا المعتقد قد وردت به البشارة في النصوص التوراتية كما في النصوص الإنجيلية ،و مما احتجوا به من الشواهد التوراتية ما ذكره أغشتين في كتابه " مصحف العالم " [2]و منها قول إرمياء " يا رجاء بني إسرائيل و مخلصه من الغم لم ستكون في المستقبل كرجل صالح لا يقوى أن يخلص" (انظر إرمياء ١٤/٨-٩)، و أيضا قول إشعيا " إن العذراء ستحمل و تلد ولدا، و يدعى ولدها : عجيبا مدبرا إلها قويا والدا ، مقبل الدهر العالم ، يكثر ملكه ، و لا يكون لسلطانه انقطاع، و لا آخر" [3] (إشعيا ٧/١٤،٩/٦-٧)و منها أيضا قول يعقوب لبنيه " لا ينقضي الملك من سبط يهوذا، و لا يزال منهم أمير، حتى يأتي الذي هو مرسل، و هو يكون رجاء الأجناس " (انظر التكوين ٤٩/١٠) ، و أيضا قول إرمياء " يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور يملك الملك، ويلم ويفهم، و يقيم الحق و العدل في الأرض، و يخلص من آمن به من اليهود و من بني إسرائيل و غيرهم، و يبقى بيت المقدس بغير مقاتل، و يسمى : الإله " (انظر إرمياء ٢٣/٥-٦).

فالنصارى يرون المسيح عليه السلام هو الذي تحققت فيه هذه البشارات التي اعتبرته من أبناء داود ــ و المسيح أمه من أبناء داود ــ و اعتبرته إلها قويا "و يسمى : الإله ".

و أيضا فإن النصارى يستدلون بنصوص توراتية و إنجيلية كثيرة، يرومون منها تأصيل هذا المعتقد، و إثبات صدقه، و من هذه النصوص تلك التي وصفته بأنه ابن الله .[4]

منها قول جبريل لمريم " لا ترهبي يا مريم فقد فزت بنعمة ربك، منها أنت تحبلين و تلدين ابنا، و تسميه يسوع، و يكون كبيرا، و يسمى ابن الله العلي " (لوقا ١/٢٨-٣٥).

إلى جانب عشرات النصوص التي ملأت جوانب الأناجيل و تسمي المسيح ابن الله.

و أيضا وصفته النصوص في مواطن عديدة أنه" إله " و "رب " ،منها قول إشعيا " إن غلاما ولد لنا، و إننا أعطيناه الذي رياسته على عاتقيه، و بين منكبيه، و يدعى اسمه ملكا عظيم المشيئة مشيرا عجيبا

---

(١) انظر : رسالة راهب فرنسا ص ٥٢،٥٣ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ١/٦٢ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٩١ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص٩٧ ، ١٤٦.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ١٤٦-١٤٧ ،

(٣) جمع القرطبي النص من موضعين من إشعيا و هما في الإصحاح السابع و التاسع.

(٤) انظر : رسالة الحسن بن أيوب مضمنة في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٣٢١ ، وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٦ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، ٣أ .

إلها قويا مسلطا، رئيس السلامة في كل الدهور، و سلطانه كامل ليس له " (إشعيا ٦/٩)
و مثله قول إشعيا " العذراء تحبل و تلد ابنا و يدعى اسمه عمانويل، وتفسيره :معنا إلهنا " (إشعيا ١٥/٧، متى ٢٢/١-٢٣)

و كذا سمته النصوص ربا في مواطن عدة منها قول إشعيا " رب الملائكة سيولد من البشر " (لم أجده في الترجمات الحديثة) .

كذا يزعم النصارى أن عيسى أضحى ربا و إلها بعد أن حل فيه الرب أو كلمته (الابن)، و يستدلون لذلك بنصوص توحي بالحلول، منها ما جاء في مقدمة يوحنا " الكلمة صارت جسدا، و حلت فينا " (يوحنا ١٤/١)،و مثله ما جاء في يوحنا " قال له فيلبس: يا سيد أرنا الآب و حسبنا، فقال له يسوع:أنا معكم كل هذا الزمن و لم تعرفني يا فلب، من رآني فقد رأى الآب " (يوحنا ٩/١٤-٨)، و مثلهما ورد عن المسيح أنه " تضرع إلى الله في تلاميذه، و قال : ياأيها الرب القدوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني ليكونوا هم أيضا شيئا واحدا، كما أنا شيء واحد، و كما أنك أرسلتني إلى العالم ، و كذلك أرسلهم أنا أيضا...إني قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني و منحتني، ليكونوا أيضا شيئا واحدا، كما أنا شئ واحد، فأنا بهم ،وأنت بي" (يوحنا ١١/١٧-٢٣)

كما يرى النصارى أن النصوص شهدت بإلهيته عندما أسندت له أفعالا وصفات لا يوصف بها إلا الله عز و جل النصارى ،منها قوله عن نفسه " أنا قبل إبراهيم "(يوحنا ٥٨/٨) ،فدل النص على قدمه،ومنها قوله للمقعد الذي جاءه " قم .فقد غفرت لك " (لوقا ٢٠/٥)،وكذا صعد المسيح للسماء " ولا يصعد للسماء إلا من نزل من السماء " (يوحنا ١٣/٣)،ولما سجدت له المرأة الكنعانية،وسمته ربا لم ينكر عليها.(قارن متى ٢٥/١٥).

و من هذا أيضا معجزاته الباهرة، و التي أفادت أن له أفعالا إلهية بدءا من ميلاده العجيب من غير أب، و مرورا بإحيائه للموتى و إبرائه المرضى، و تكثيره للطعام، و تحويله الماء إلى خمر، و مشيه على الماء، ...إلى غير ذلك من المعجزات، بل إن معجزاته قد تعدت شخصه إلى أشخاص تلاميذه و حواريه، فأحيوا باسمه الموتى و قاموا بالعجائب.

كما تعدت معجزاته إلى الخواص من الأشياء، فقد أحيت خشبة الصليب الذي صلب عليه ميتا، و ذلك في زمن قسطنطين بعد المسيح بسنين طويلة، يقول مجادل الخزرجي " أحيا الموتى، و كفى بذلك دليلا على أنه هو الله، ثم أنه أيد بإحياء الموتى بعض الحواريين ،فأحيوا الموتى كمثل ما فعل المسيح" .[1]

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ص٦٣ ، و المعجزات من الأدلة العقلية و إن وردت في النصوص ، إذ أنها من جهة دلالتها على ألوهية المسيح عقلية ، و لسوف نفرد لها مطلبا منفردا عن الاستدلالات العقلية و النصية.

إبطال أدلة النصارى على ألوهية المسيح .

و قد تتبع أصحاب الردود المسلمين سائر النصوص الكتابية التي استند إليها النصارى ليقفوا على مكمن الخطأ و الزلل فيها، حيث وجدوا أن هذه النصوص التي فهم النصارى منها ألوهية المسيح معارضة بمئات النصوص التي تقرر بشرية المسيح، و رأوا أن إثبات تلك النصوص على ظاهرها من غير تأويل يقتضي تناقض الكتب المقدسة، و إبطال الاستدلال بها ، فالتأويل لا خيار فيه حتى لا تتناقض النصوص.

كما يلزم من إثباتها على ظاهرها محالات لا يجيزها العقل بحال من الأحوال، و هذا النوع من الأخبار أو المعتقدات لا تأتي به النبوات أبدا.لذا كان لعلمائنا منهج واضح في التعامل مع هذه النصوص.[1]

و يتلخص هذا المنهج بادئ ذي بدء في رفض أصحاب الردود المسلمين قداسة النصوص الكتابية ، و عليه فلا يصح أن يعتمد عليها في إثبات تقرير العقائد.، ثم تنزل أصحاب الردود المسلمين مع مجادليهم من النصارى، و درسوا هذه النصوص في ضوء النصوص الكتابية الأخرى و معطيات العقل السليم ،فوجدوا أن هذه النصوص لا يجوز تركها على ظاهرها لما سبق بيانه، فبحثوا وجوه التأويل المناسب[2]، فوجدوها من غير تكلف و لا تعسف، وجدوها متناسبة مع كلام العقلاء، و أهم منه أنها تجعل النصوص الكتابية في وحدة موضوعية واحدة.

كما لاحظ أصحاب الردود المسلمين تلاعب النصارى بدلالات الألفاظ، فحين يأتي لفظ " الابن" مرادا به عيسى فهو يعني بنوة الألوهية ، و عندما يرد اللفظ ذاته في حق غيره تتحول البنوة إلى بنوة مجازية يراد منها بنوة المحبة و الرعاية.

و عليه فإن الإشكال طرأ من تفسيرات النصارى لنصوصهم لا من النصوص الكتابية، فخيروا النصارى بين إثبات المعاني المجازية للنصوص جميعا – و ذلك هو الصحيح الذي يقبله العقل – و الذي يرد مثله فيما جاء به الأنبياء ،و منه ما هو موجود في القرآن الكريم ،كما جاء أيضا في حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم، و لم يفهم منه المسلمون ما وقع به النصارى من الحلول أو الإلهية لمن أطلقت عليه تلك الألفاظ،و إما أن يثبتوا (أي النصارى) معاني حقيقية للجميع فتبطل عقائد النصارى، و إما أن ينكروا قداسة هذه النصوص و يكفوا عن الاستدلال بها.

و كانت النتيجة التي توصل إليها علماؤنا: أن القول بألوهية المسيح قول لا دليل عليه في كتب النصارى المقدسة، بل هو من وضع النصارى، و تلاعب الشيطان بهم، و هذا المنهج الذي اختطه أصحاب الردود الإسلامية طبقوه بصرامة و براعة تامة على النصوص التي أشكلت على النصارى .

---

(١) انظر : معالم هذا المنهج في الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص ١١٦ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٦١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٩٩-١٠١.

(٢) لا يسمي شيخ الإسلام هذا الضرب تأويلا ، لأن التأويل هو صرف الكلام عن ظاهره ، بينما التفاسير التي جاء بها علماؤنا توافق ما دلت عليه ظواهر اللغة المعروفة في خطاب المسيح و سائر الأنبياء. انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٩٩.فقولهم"فلان أسد" إذا فهم منه أن فلانا شجاع فليس ذلك بتأويل ، بل هو ما ينصرف إليه الذهن.

ففي إبطالهم للنصوص المتعلقة ببنوة المسيح، أو أبوة الله له ذكر السعودي أن عدم فهمهم لمعاني هذه النصوص هو أحد أهم أسباب ضلال النصارى .[1]

فالنصوص المشكلة معارضه بعشرات النصوص التي أطلقت على المسيح " ابن الإنسان " فلئن كانت تلك دالة على ألوهيته فإن هذه مؤكدة لبشريته، منها قول متى " للثعالب كهوف ،و للطير أوكار، و ليس للإنسان حيث يرمي برأسه " (متى ٨/٢٠)، و أيضا قوله " سيلقى ابن الإنسان ما كتب له " (مرقس ١٤/٢١)بينما سماه في مواطن أخرى" ابن داود " (انظر مرقس ١٠/٤٧).

وعليه يرى ابن حزم أن النصارى يلزمهم تأويل النصوص التي وصفت المسيح بأنه ابن الله و إلا وقعوا في " الحمق و المحال " و هو " أن يكون (المسيح)إله و ابن إنسان، أو أن يكون ابن إله و ابن إنسان معا "[2]

و أطبق أصحاب الردود الإسلامية على إيراد نصوص كثيرة وسمت آخرين غير المسيح بأنهم أبناء الله، أو أن الله أبوهم ، و مع ذلك لا يقول النصارى بألوهيتهم. من ذلك ما جاء في حق إسرائيل في سفر الخروج" أنت ابني بكري " (الخروج ٤/٢٢)، و قوله لداود " أنت ابني، أنا اليوم ولدتك " (المزمور ٢/٧)، و قول المسيح للحواريين" أريد أن أذهب إلى أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم " (يوحنا ٢٠/١٧)، و قول المسيح "و تفعلون أفعال أبيكم " (يوحنا ٨/٤١)،و أيضا قول متى " أبانا الذي في السماوات " (متى ٦/٩)، و قول يوحنا " انظروا إلى محبة الآب لنا كيف أعطانا أن ندعى له أبناء" (يوحنا(١) ٣/١) وقول المسيح أيضا " كونوا كاملين مثل أبيكم " (متى ٥/٤٨)[3].

و يشبه القرافي تعامي النصارى عن هذه النصوص بفعل الفأر الأعور يرى الخبز و لا يرى القط.[4]

فلئن قال النصارى في هؤلاء الذين سماهم الله أبناءه ، أو سموا الله أباهم ، لئن كان هؤلاء أبناء على جهة الرحمة، فكذلك المسيح ،و إلا يثبت لهم جميعا ما أثبته النصارى للمسيح من ألوهية و ربوبية سواء بسواء .

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي لوحة ٣أ ، مقالة القاسم الرسي ، الفكر الإسلامي للشرفي ص١٣٦.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٢/٥٣ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٨٣ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة ، القرافي ص٦٩ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٥٥.

(٣) انظر : الوسط من المقالات للناشئ الأكبر ص٨٢ ، رسالة الحسن بن أيوب ص٢/٣٣٩ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ١/٥٦ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ص١٧١-١٧٣ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٨٣ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص١٢٠ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٥٩-٦٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص١٠٠-١٠٢ ، على التوراة ، علي الباجي ، ص٤٠-٤١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/١٠٠-١٠١ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٥٠ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي لوحة ٤أ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي لوحة ٦أ.

(٤) انظر : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص١٠٢.

يقول السعودي " فما نرى الإنجيل زاد المسيح على أن ساواه بداود و إسرائيل، و أولاده الصلحاء...فإن لم يصح النقل فلا بنوة، و إن صح فلا مزية ".

لكن النصب الراسي يذكر أن ثمة لعيسى من بين هؤلاء خصوصية، ألا وهي البكورية التي وصفته بها الأناجيل ،وهي أيضا بكورية مجازية تفيد تقدم المسيح على غيره مع استوائه معهم في حكم البشرية.

ويؤكد زيادة أن هذا الفهم هو مافهمه أوائل النصارى من الأناجيل،وأن إثبات البنوة الحقيقية لم يكن معتقدا للنصارى خلال القرون الثلاثة الأولى،ولادليل عليه وإن ذهب إليه المتأخرون منهم.(١)

بل إن هذا المعنى من البنوة-المجازي -ليس لغة للإنجيل جاءت في كثير من نصوصه فحسب، بل هو أيضا لغة للنصارى في التعبير عن المحبة و الطاعة، كقولهم لقسسهم " أبونا فلان "، فإن قالوا تميز المسيح عن هؤلاء باتحاد الكلمة به، فأصبحت بنوته حقيقة و بنوة أولئك تشريفية فذلك كما يرى السعودي محال، لأن الصفة إذا فارقت موصوفها حل ضدها، فيلزم على قولهم حلول الجهل على الله عز و جل.(٢)

و قد رفض الجاحظ و القاضي عبد الجبار بادئ ذي بدء إطلاق لفظ البنوة لله عز و جل بأي وجه من المعاني أريد سواء كان على الحقيقة أو بالتبني و الرعاية و غيرها، و اعتبروا هذا الإطلاق إساءة أدب مع الله عز و جل، و لو جاز أن يكون أبا ليعقوب لجاز تسميته جدا ليوسف و عما و خالا و هكذا...(٣)

كما رفض هذا الإطلاق بالنسبة لله (الأبوة و البنوة) الرازي ،و علته في ذلك أنه يتبادر منه إلى الذهن الحقيقة الجنسية، وإن كانت غير مرادة، و هو قبح و شناعة بحق الله عز و جل.(٤)

لكن ذلك لم يمنع آخرين من القول بالمعاني التي يحتملها هذا اللفظ المشترك،فابن الله قد يراد منها مجرد نسبة تشريف كقولنا:"بيت الله"، و منه قوله جل و علا ﴿ ناقة الله ﴾(٥) .

و الجعفري لا يقر هذا اللفظ إلا جدلا، لأنه لادليل عليه ،ولا يشفع له وروده فيما يقدسه النصارى من الكتب لعدم الثقة بها، و أيضا يرى أنه لا دليل على اختصاص المسيح بمعنى البنوة المجازي.

و يذكر النصارى بنهي المسيح عليه السلام عن تسميته : " ابن الله " و ذلك كما في إنجيل مرقس " خرج يسوع إلى البحر و تبعه جمع كثير، فأبرأ أعلالهم و شفاهم، فجعلوا يزدحمون عليه و يقولون : أنت ابن الله. فكان ينهاهم " (قارن مرقس ١١/٣) ،وفي إنجيل لوقا " فكان ينهرهم و لا يدعهم ينطقون بهذا "(لوقا ٤١/٤).

ويتساءل السعودي لماذا نهاهم المسيح عن تسميته:" ابن الله "؟ ثم يورد إجابة النصارى المحتملة

---

(١) تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، ص ١٢٠ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤أ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة٦أ .

(٢) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٦٤أ .

(٣) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص١٠٤-١٠٥ ، و انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٠٨/٥.

(٤) انظر : مناظرة الرازي ، ص ٤٨ .

(٥) سورة الشمس ، آية:١٣ ، وانظر : رسالة الحسن بن أيوب ٣٢٢/٢ ، الجواب الصحيح ، ابن تيمية١٢٨/٢ .

و يفندها.فإن قالوا :خوفا من اليهود فعلى أي شيء يخاف و قد تعين و نزل ليقتل إيثارا لهم، و لكم خالف اليهود، و فعل و فعل ، و لم يخف منهم.

و إن اعترض معترض على تأويلات المسلمين لمعنى الابن فقال : لماذا نهاهم عن هذه التسمية ما دام متعارفا تسمية الصالحين بأبناء الله، و يجيب السعودي على هذا الاعتراض:بأن اليهود عندما رأوا منه أفعالا عجيبة، حينذاك نسبوه إلى الله فالنسبة حقيقة، فلذلك نهرهم و زجرهم، أو أنه فهم منهم المدح و الثناء في مقابل معروفه، فكرهه لأنه لا يقبل على المعروف أجرا .[1]

و لاحظ الجعفري أن لفظ البنوة يتجوز به عن العبودية و الاجتهاد في الخدمة، و دليله على ذلك أنها لم ترد في كتبهم إلا مقرونة بالعبادة غالبا كقوله " إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني "(انظر الخروج ٤/٢٢-٢٣)،و قوله لداود " أنت ابني، و أنا اليوم ولدتك سلني أعطك " (المزمور ٢/٧-٨)،فنبه على العبودية بالسؤال،و مثله ما جاء في يوحنا " إني ذاهب إلى أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم " (يوحنا٢٠/١٧) ، فقرنها بذكر ألوهية الله المتضمن لمعنى العبودية بحق عيسى عليه السلام .[2]

و أيضا أبطل علمائنا استدلال النص بالنصوص التي سمت المسيح ربا و إلها، من ذلك ما زعموه من نبوءة التوراة به عليه السلام " رب الملائكة سيولد من البشر " (لم أجده في الترجمات الحديثة).

و بداية فإن ابن القيم يجزم بأن النص من الكذب، بينما يتنزل شيخ الإسلام في جداله مع النصارى، و يرى أن النص لا يراد منه رب العالمين، لأنه لو أراد ذلك لما أفرده فقال" رب الملائكة "، و المراد هو المعنى المجازي الذي يفهم من كلمة " الرب "، و هو السيد، فيكون معنى النص :يولد من البشر من يكون سيدا للملائكة تخدمه، و تكرمه، كما سجدت لأبي البشر آدم .و دليله في صحة هذا التأويل ما جاء في متى أن ابن الإنسان يرسل ملائكته،و يجمعون كل الملوك ربا على الأمم ، فيلقونهم في أتون النار " (قارن متى ١٣/٤٩-٥٠).

و ينقل شيخ الإسلام و تلميذه ابن القيم عن بعض أهل الكتاب - و لا يسميه - أنه لا يراد من النص أن المسيح هو رب الأرباب، و لا أنه خالق الملائكة. بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح بشهادة النبي القائل " إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك " (المزمور ٩١/١١)، ثم شهادة لوقا أن الله أرسل له ملكا من السماء ليقويه(انظر لوقا ٢٢/٤٤)، و قال "وإذا شهد الإنجيل باتفاق الأنبياء و الرسل بأن الله يوصي ملائكته بالمسيح فيحفظونه، علم أن الملائكة تطيع المسيح بالأمر [3]، و هو و الملائكة في خدمة رب العالمين".[4]

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩ب ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦٠.

(٢) انظر : الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/١٢٣ ، ٢٤٧.

(٣) النص في المطبوع هكذا :"علم أن الملائكة تطيعه للمسيح بالأمر".

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٦-٢١٧ ، وانظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٥٤ .

و نص متى الأخير (١٣/٤٩-٥٠) الذي أورده شيخ الإسلام تعتبره النصارى من أدلة ألوهية المسيح إذ جعل له ملائكة. بيد أن السعودي يبين أن النسبة هنا نسبة صحبة و تشريف، لا نسبة ملك كما في الإنجيل " لا تحتقروا أحد من هؤلاء الصغار المؤمنين، فإن ملائكتهم ينظرون وجه أبي الذي في السماوات.."(متى ١٨/١٠)، ثم قد يكون المقصود ب"ابن إنسان"الحواري المصلوب الذي افتدى عيسى بنفسه، و يكون المعنى :أي ينتقم الله له يوم القيامة من قاتليه. و قد ثبت في الإنجيل أن الحواريين يجلسون يوم القيامة على كرسي مجده و يحاسبون بني إسرائيل(انظرمتى ١٩/٢٨)[1].

ولا يرى الحسن بن أيوب وغيره بأسا من إطلاق لفظ الرب على غير الله تعالى إذا قصد منها معناها المجازي اللغوي بمعنى :السيد و المعلم و المدبر و القيم. كيف لا و قد جاءت النصوص القرآنية و الكتابية بذلك.

فمما ورد في كتب أهل الكتاب ما جاء في إشعيا " عرف الثور من اقتناه و الحمار مربط ربه، و لم يعرفه بنو إسرائيل " (إشعيا ١/٣) ،و مثله أن لوطا لما رأى الملكين قد أقبلا لهلاك قومه قال:" يا رب مهلا إلى منزل عبدكما " (قارن التكوين ١٩/٢)، و مثله أيضا ما جاء في التوراة أن الله قال لموسى " قد جعلتك ربا لهارون، و جعلته لك نبيا "(انظر الخروج ٤ /١٦)، و مثله قول شمعون الصفا " إن الله جعل المسيح ربا " (أعمال ٢/٣٦) أي وكل إليه تدابير أصحابه.

و مما ورد في القرآن قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام لصاحبه في السجن ﴿ اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ [2]

و أما استدلال النصارى بإشعيا (٧/١٥) فهو أيضا مردود من وجوه عدة :-

أولها -أن النص لم يرد في المسيح و لا أمه كما ذكر أهل الكتاب بل هو بشارة متعلقة بقصة جرت قبل المسيح بقرون عدة و قد ساق الخطيب القصة بتمامها في " الأدلة ".[3]

ثانيها-إننا لو قلنا أن النص بشارة بولادة المسيح، فليس فيه ذكر لألوهيته، إذ النص يتحدث عن ولادة مريم لابن، و لم يقل عنه بأنه خالق السماوات و الأرض و لا سوى ذلك، بل هو مولود كسائر ما تلد النساء بيد أن اسمه " عمانويل "، و معلوم أن الاسم غير المسمى، و هذا الاسم يكثر النصارى من التسمية به، بيد أنه لم يرد إطلاقه على المسيح في شيء من الأناجيل أبدا.

و يذكر زيادة الراسي أنه قد وردت تسميات مشابهة لغير المسيح و لم تقتض ألوهية أصحابها ، فإيليا اسم عبري معناه : إله أبدي. و أطلق على أحد الأنبياء ،و مثله اليشع و معناه : إله مخلص.فلم يدل الاسم على ألوهيتهم عند النصارى و لا غيرهم.

ثالثها-النص الذي ذكر اسمه (عمانويل) وتفسيره :(الله معنا)، و المعية هنا معية نصر و إعانة و تأييد، و ضرب شيخ الإسلام وتلميذه أمثلة لهذه المعية مما جاء في القرآن الكريم.

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٠أ-٤٠ب

(٢) سورة يوسف ، من آية :٤٢.

(٣) انظر : أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ص٨٥-٨٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١١-٢١٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٥٧.

رابعها-و يرد احتمال آخر، و هو أن تسميته بهذا الاسم قد جاءت تبركا و تيمنا به[1].

ويورد ابن الأنباري تخريجات أخر للنص بعد أن يؤكد على ضرورة تأويلـــه ، لأن النصـــارى لا يعتقدون بولادة الإله، إنما يقولون بولادة الناسوت.فإن صح النقل وجب التأويل، فيحتمل أنه سمي بذلـك عن طريق الاستعارة و المجاز، لما كان يدبر أمته و يرشدهم إلى الخير.

و يحتمل أيضا أن المراد من بالنص أن مريم تلد من يزعم قومه أنه إله، فهذا من الإخبار بـــالغيب. و تسميته إلها - بهذا الوجه - معروف في لغة العرب، فإن العرب سمت الشمس (الآلهـــة)، لأن قومـــا اعتقدوا عبادتها. و ذلك لا يقتضي بحال صدق ألوهيتها.[2]

وإطلاق لفظ (إله) على غير الله إطلاق معهود في الكتب المقدسة عند النصارى، فقـــد ورد في نصوص عدة منها قول الله لموسى " جعلتك إلها لفرعون " (الخروج ٧/١) أي: مسلطا عليه. و مثله قول داود في مزاميره " إنكم آلهة، و بنو العلي كلكم " (المزمور ٨٢/٦)،و هذا الذي استشهد به عيسى عندمـا قال " أليس هذا مكتوب في ناموسكم : إني قلت لكم إنكم آلهة " (يوحنا ١٠/٣٤)، ومثله " الله قام في مجمع الآلهة " (المزمور ٨٢/١)، و مقصده أشراف بني إسرائيل، و مثله ما جاء في المزامير " ربنا أفضل مـن جميع الآلهة و الملائكة " (المزمور ١٣٥/٥).

وعليه فلا دلالة على ألوهية المسيح بمجرد إطلاق لفظ الإله على أحد من الناس، لوجـود دلالات متغايرة للكلمة، و التفريق بين المتماثلات بغير دليل ممنوع عند أهل النظر و البصيرة، و عليـــه فينبغـــي أن يصار إلى تأويلها كسائر مثيلاتها، أو إثبات الألوهية للجميع، و هو ما لا يرتضيه النصارى.

وهكذا يرى أصحاب الردود المسلمين أن الحق في هذه المصطلحات المشكلة كـــالأب و الابـــن و الرب و الإله أنها مصطلحات كتابية يجب فهمها وفق اصطلاحات الزمن الذي كتبت فيه، و حســـب السياقات و الدلالات التعبيرية السائدة حين كتابتها.[3]

كذلك كانت النصوص التي فهم النصارى منها حلول الله في عيسى محل نقد علمائنـــا الكـــرام. و اعتبر الغزالي مقدمة يوحنا (١٤/١)إحدى معضلات النصارى التي يتمسكون بها [4] " الكلمة صـــارت

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢١١/٢-٢١٣ ، هدايـــة الحيـــارى في أجوبـــة اليـــهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٥٧ ، وانظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٣٤٠/٢ ، البحث الصريح في أيما هو الديـــن الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٥ب.

(٢) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٨١ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبـــد العزيـــز الدمـــيري ،ص٦-٧.

(٣) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٣٤٠/٢ ، التمهيد ، الباقلاني ص١٠١ ، الرد الجميل لإلهية عيســـى بصريـــح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ١٦٨-١٦٩ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص١٢٠ ، إرشـــاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيميـــة ٢١٢/٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ، ابن القيم ، ص١٥٠-١٥١ ، المنتخب الجليل من تخجيـــل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨أ-٨ب ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمـان ص١٠٣ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٥ب .

(٤) انظر : الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ص١٧٥.

جسدا و حل بيننا "، فيستعرض النص من أوله " في البدء كان الكلمة، و الكلمة كان عند الله، و إله هو الكلمة، كان هذا قديما عند الله، كل به كان...و الكلمة صار جسدا ،و حل بيننا و رأينا مجده " (انظر يوحنا ١/١-١٤)، فيرى الغزالي أن " الكلمة " في النص معناها: الذات الموصوفة بالعلم أو العقل. و عليه فليس في النص سوى إشكالين " تزل عندهما القدم ".

-الأول : وصف عيسى أنه نور، و هو معنى يسلم به الغزالي، إذ عيسى بنبوته هو نور من نور الله و معرفته و هدايته و ذلك مصداق لقوله " إنما جئت نور العالم "(يوحنا ١٢/٨)

-الثاني:قوله " الكلمة صارت جسدا "، و لكن هذا الإشكال ساقط، لعدم صحة النص و لتحريفه، ليس فحسب لأن الكتب النصرانية لا يثبت منها شيء، بل قد تعرض هذا النص بالذات للتحريف، ففي الأصل القبطي هو كالآتي " اوه يباجي أفار أوصر كيس " و معناه :الكلمة صنع جسدا.

و قد اعترف للغزالي بعضهم بصحة اعتراضه، و اعتذر أن سبب عدولهم عن الترجمة الظاهرة إلى ترجمة أخرى، إنما كان لاشتراك اللفظ عما هو واجب الإرادة، و حمله على ما يقتضي صريح العقل بعدم إرادته، ليحصل له بذلك أن الإله العالم صار جسدا.

و هكذا فالغزالي لا يتوقف الغزالي موقف القرطبي الذي اكتفى برد النص لأن عموم الأناجيل ليست محل ثقة، و لأن أصحابها غير معصومين البتة[١].

و قريبا من المعنى الذي تنبه له الغزالي ما ذكر السعودي حين شكك بالنص، حيث أورد احتمالا بأن يكون أصل النص " الكلمة أصارت جسدا " ،فلووا الكلام عن حقيقته[٢]. فتفسير السعودي مستساغ لو كان التحريف في الترجمة العربية فقط.

و كعادة علمائنا لم يتوقفوا عند هذا الحد من رد الدليل، بل تفحصوا النص، و سلموا بصحته جدلا، فوجد القرطبي أنه لا يعني حلول الله بالجسد، لأن النص من أوله يتحدث عن المؤمنين الذين توالدوا من الله. فالمعنى مجازي في حق المؤمنين، كما هو في حق عيسى، و إلا وجب إثبات الاتحاد للجميع، و هو ما لا يرتضيه النصارى بحال.

كما يورد السعودي تأويلا آخر هو أن المقصود بالكلمة : جبريل عندما ورد على مريم فحملت، أو أن المقصود هو بطرس الذي أحله المسيح مكانه بعدما رفع إلى السماء، أو أن المقصود هو المسيح الذي كفر به اليهود، ونسبوه للجنون فشرفه الله و سماه كلمة، و أقامه بين أظهرهم ما أقامه فلم يعرفوا له قدره.[٣]

كما رد أصحاب الردود المسلمين احتجاج النصارى بما ورد في يوحنا " من رآني فقد رأى الآب " (يوحنا ١٤/ ٩)، فيذكر الحسن و الغزالي و السعودي بأن رؤية الله غير ممكنة في الدنيا،فلا يؤخذ النص على ظاهره، بل المعنى أن الله قد أقام نبيه مقام نفسه، فبأمره يأمر و عن منهياته ينهى. كما يقول رسول

---

(١) انظر : المصدر السابق ١٧٩-١٨١ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص٩٤.

(٢) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ.

(٣) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ٩٤-٩٥.

الرجل: أنا و من أرسلني واحد، فكذا من رأى أفعال المسيح التي أظهرها الله على يديه (المعجزات)، فقد رأى أفعال الله عز و جل .

و استدل الغزالي لهذا التأويل بقول بولس " الله واحد هو، و الوسيط بين الله و الناس واحد هو الإنسان يسوع المسيح " (تيموثاوس(١) ٢/٥)[١].

ويورد الغزالي احتمالا آخر هو أن المسيح أنكر على السائل طلب رؤية الله، بينما هو لم يستطع التعرف على المسيح. و معلوم أن معرفة الإنسان ممكنة. فكيف يتصور أن يعرف الإله الذي لا تتصور معرفته بحاسة البصر،، و لا يتبين كنهه و حقيقته بالأجناس و الفصول، ثم بين له المسيح أن الإله إنما تطلب معرفته، ليكون المكلف واثقا بأن هذه الأحكام صادرة عنه، فقال " من رآني فقد رأى الآب " ، أي : أنا أخبر عنه.

و استدل الغزالي لهذا التأويل بما جاء في متى " ليس أحد يعرف الابن إلا الأب، و لا أحد يعرف الأب إلا الابن " (متى ١١/٢٧)[٢].

ويصحح ابن تيمية هذا التأويل، و يعتبره نوعا من الحلول الذي تجيزه النبوات،و يسميه بحلول " المثال العلمي"، ﴿و له المثل الأعلى في السماوات و الأرض﴾ [٣].

فهذا النوع من الحلول هو الحلول الوارد في الكتب السابقة، و هو مثبت لكثيرين غير المسيح كما في مناجاة داود " و ليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد، و يبتهجون، و تحل فيهم ، و يفتخرون "(قارن المزمور ٥ /١١)، فقد أخبر أنه يحل في الصالحين.و من ذلك ما جاء في التوراة " ظهر الله في طور سيناء ، و أشرق من ساعير، و استعلن من جبال فاران"(انظر التثنية ٣٣/١-٢)و المقصود رسالته. و منه قول بولس"إن يسوع حال فيكم"(كورنثوس(٢)١٣/٥) ،و مثله جاء في القرآن في قوله ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾[٤]،و كذا قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه " فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ،و رجله التي يمشي عليها "[٥]

و على هذا المعنى من الحلول، فإن الله تعالى يحل في بيوته كما يحل في الأنبياء و الرسل، و أيضا فإن هذا النوع من الحلول معهود في كلام العقلاء كما هو في كلام الأنبياء، و ذلك كمثل قول الرجل : " أنت قلبي "، فلا يفهم منه عاقل حلولا حقيقيا. فهذا النوع من الحلول إن ادعته النصارى في عيسى، فإن سائر المسلمين يقبلونه كما هو مقبول بحق سائر الأنبياء و المرسلين من غير تخصيص[٦].

---

(١) انظر : رسالة الحسن بن أيوب٢/٣٤٠ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص١٩٥ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، السعودي ، لوحة ٣٨أ

(٢) انظر : :الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ص١٩٥-١٩٧.

(٣) سورة الروم ، آية: ٢٧.وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية٢/١٧٩-١٨٠ ، ١٩٧-١٩٨ .

(٤) سورة الفتح ، من آية:١٠.

(٥) الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الرقاق ، باب التواضع.

(٦) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/١٩٣ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٥٢ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٨أ-٣٨ب .

و أما النوع الآخر من الحلول فلم يرد مثله في كتب الأنبياء، و لم يرد إلا عن المسيح الدجال الذي يأتي آخر الزمان[1].

و يرى ابن الأنباري أن النص لا يصح الاستدلال به لكونه محرف، و لو سلم به فواجب التأويل لأن أحدا من النصارى لم يقل بأنه إذا رأى عيسى فقد رأى الآب[2]، لأن الكلمة المتحدة غير مرئية، و إنما المرئي هو صفة الناسوت،كما أن المتحد هو الابن ،وليس الأب.

كما يورد ابن الأنباري معان أخر محتملة لرؤية الآب – قريبا مما ذكره الآخرون من أصحاب الردود – حيث قد يقال بأن رؤية الآب المقصود بها بره و إحسانه.كما قال تعالى ﴿ فأمه هاوية ﴾[3]أي أنها بمنزلة أمه، فإليها موئله، و منها طعامه و شرابه، فإن رفضوا التأويلات فقد كذبوا كتبهم، فقد جاء في الإنجيل " إن الله لم يره أحد " (يوحنا١/١٨)، و لزمهم أن اليهود و النصارى و سائر الكفار بل و الحمير و غيرها قد رأى الله تعالى، و هذا قبيح و مستهجن[4]. كما يكذبون بذلك ما جاء في أعمال الرسل " إن الله خالق العوالم بجميع ما فيها، و هو رب السماوات و الأرض، لا يسكن الهياكل التي طبعها الأيدي ، و لا يحتاج إلى شيء من الأشياء " (أعمال الرسل ٤/٢٤)، و هذا القول نص في عدم وقوع الحلول على الوجه الذي تقوله النصارى.

و كذا كان للنصوص التي نسبت للمسيح أفعالا و صفات توهم منها النصارى ألوهيته حظ وافر من ردود علمائنا.

منها ما أورده يوحنا على لسان المسيح أنه قال " إن إبراهيم تشوق إلى أن يرى يومي هذا، فقد رآني و ابتهج بي، من قبل أن يكون إبراهيم كنت أنا " (يوحنا ٨/٥٦-٥٨).قال السعودي :" هذا أقوى ما يتمسك به النصارى في ربوبية المسيح ".

و بداية:فإن القاضي عبد الجبار يكذب هذا الخبر جملة في حين أن المهتدي نصر بن يحيى يلمز ظاهر هذا الخبر، و يرى ضرورة تأويله فيقول:"إن صح عن المسيح فله في التأويل مستساغ...و هو أن يكون إبراهيم أعلمه الله تعالى بذلك...يقال رأيت بمعنى علمت.

و جاء في الخبر أن اليهود أنكرت هذا القول على المسيح فقالوا:" إنك لم تبلغ بعد أربعين، و تزعم أن رآك إبراهيم !! فقال المسيح:نعم أقول لكم:هذا حق ". ثم وصل الكلام ...فقال: "من قبل أن يكون إبراهيم كنت أنا ؟ "،فجعله استفهاما و ليس خبرا كما يقول النصارى ، كأنه لما قال:إن هذا هو الحق على الوجه الذي أولته، و نفى ما ظنوا أن يكون رآه من طريق المعاينة و المشاهدة بهذا التوبيخ الذي خرج مخرج الاستفهام، و لم يفهم اليهود ، و نفروا منه فانصرف من بينهم.

و مما يؤكد ما قلناه أن متى قال في إنجيله كان مولد يشوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم (انظر متى١/١-١٦)،فإن المسيح لا يكون قبل أبيه، ثم كيف يصح أن يكون قبله – على قولهم – و هو في هذه

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/١٦٩.

(٢) سوى اليعاقبة فأنهم يقولون بذلك.

(٣) سورة القارعة ، من آية:٩ .

(٤) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٨ب.

الحالة لحم و دم، و لم يكن- عندهم - قبل إبراهيم لحم أو دم. و لو قالوا ذلك لنقضوا تسبيحة إيمانهم " أنه تجسد من مريم بعد نزوله. ففي هذا كفاية " [1].

ثم زاد رحمه الله على الكفاية، فأورد ما أورده الحسن من نصوص مشابهة لم يقل النصارى بألوهية أصحابها، أو قدمهم فهذا سليمان يقول في حكمته " أنا قبل الدنيا،و كنت مع الله حيث بدأ الأرض " (انظر الأمثال ٨/٢٢-٢٥)، و كذا قول داود " ذكرتك من البدء يا رب في البدء، و هديت بكل أعمالك " (المزمور ١٤٣/٥).

يقول الحسن : " فإن تأولتم تأولنا، و إن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان و داود ، و إلا ما الفرق " [2].

و يعود السعودي للنص، فيرى إمكانية تأويل النص من غير تكلف و لا تعسف، فيقول بأنه يحتمل أن الله أرى إبراهيم أيام المسيح، كما أرى آدم جميع أيام أولاده، و كما أرى موسى ما يكون بعده في بني إسرائيل، و ذلك بالروح المدركة، لا بالعين الباصرة، و يكون معنى النص : أن الله قدر الاصطفاء للمسيح في سابق علمه ، و أعلم إبراهيم به، و أنه من ذريته، فاشتاق لرؤيته، فكشف له عن روحه الزكية، فرآه و فرح به.[3]

و يوافق بذلك الغزالي في هذا التأويل و تشبيهه بقول بولس " لكننا ننطق بحكمة الله الخفية، بالسر الذي لم يزل مستترا، و كان الله قد تقدم فقررها قبل العالمين " (انظر كورنثوس (١) ٢/٧-٨)، بينما استدل السعودي لهذا التأويل بقول مشابه للنبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :" كنت نبيا و آدم منجدل في طينته "[4].

فلم يفهم منه المسلمون ما فهم منه النصارى، بل عمدوا إلى تأويله. قال شيخ الإسلام " مراده صلى الله عليه وسلم أن الله كتب نبوته و أظهرها و ذكر اسمه" [5]،و أمثال هذا في أحاديث الناس كثير.

و هذا التأويل مال إليه أيضا زيادة النصب الراسي حيث قال بأن هذه النصوص يفهم منها أن أرواح هؤلاء الأنبياء مخلوقة قبل الأرض، أو أنه قد تقرر ذلك بقدر الله السابق للمخلوقات. واستدل لهذا التأويل بما جاء في سفر الرؤيا في وصف المسيح " الخروف الذي ذبح منذ إنشاء العالم " (قارن ٨/١٣).

---

(١) تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، ص ١١٤ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص٨٢-٨٣ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ.

(٢) رسالة الحسن بن أيوب٢/٣٤١ ، و انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ١٢٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٦-١٢١٨ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٦ب-٧أ.

(٣) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص ١٥٨-١٦٠ .

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند٤/٦٦ ، و الترمذي من حديث أبي هريرة برقم ٣٦٨٨ وحسنه ٥/٤٥ ، و قال الذهبي في تاريخ الإسلام"لولا لين في الوليد بن مسلم لصححته"١/٤١.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٦ ، و انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ.

و الباقلاني سبق شيخ الإسلام إلى هذا التأويل ، و أورد احتمالات أخرى، و ذلك بقوله إن معنى النص " أنا معروف عند قوم من الملائكة، أو أنا مبعوث إلى البشر قبل إبراهيم "[1] و نلحظ في تأويلي الباقلاني الأخيرين تجاهلا لمقدمة النص في سبيل الوصول للنتيجة الصحيحة التي لا مناص منها عند أصحاب العقول السليمة.

و من النصوص المشكلة عند النصارى أيضا قول المسيح للمقعد " قد غفرت لك " (لوقا ٥/٢٠، مرقس ٢/٥)،و هذا الأمر عند النصارى مشعر بألوهيته إذ قد غفر له من غير أن يدعو الله بذلك، وهذا بزعمهم من خصائص الألوهية.

لكن أمورا مشابهة جرت مع غير المسيح، و حصل مرادهم من غير دعاء الله عز و جل، هذا ما تقصه علينا النصوص الكتابية.[2] فكيف لا يقول النصارى بألوهيتهم ؟

من هذه النصوص ما أخبرت به التوراة أن إلياس أمر السماء أن تمطر فمطرت من غير أن يدعو الله في ذلك الوقت(انظر ملوك(١) ١٨/٤١-٤٥).و كذا فإن اليسع أمر نعمان الرومي أن يغتسل في نهر الأردن ليشفى من غير دعاء و لا تضرع(انظر ملوك(٢) ٥/١٠-١٥)، ثم إن الأناجيل ذكرت في مواطن أخرى دعاء المسيح لربه و تضرعه بما يشعر بأن الفعل إنما يكون منه بقدرة الله و حوله " يا أبي.أشكرك على استجابتك دعائي،و أعلم أنك في كل وقت تجيب دعوتي، لكن أسألك من أجل هذه الجماعة، ليؤمنوا بأنك قد أرسلتني" (يوحنا ١١/٤١-٤٢).

و تذكر التوراة أيضا أن بعض ملوك بني إسرائيل يغفر الذنوب فلم لا تقول النصارى بألوهيته؟ فقد جاء فيها " أخرج أنت شعبك الذي أخرجت من مصر، و أنا أجعل معكم ملكا يغفر ذنوبكم " (لم أجده في الترجمات الحديثة).

و السعودي الذي سلم بصحة النص جدلا يورد احتمالا ممكنا، وهو أن المقعد كان يؤذي المسيح، ثم جاء فطلب منه المغفرة . فالمغفرة هنا حق متعلق بالإنسان، و هو يملكها كما في سؤال بطرس للمسيح " إلى كم أغفر لأخي إذا أخطأ ؟ " (متى ١٨/٢١)، و لما أنكر عليه اليهود قال لهم " ألم تعلموا أن ابن الإنسان قد جعل له أن يغفر الخطايا "، و مثله قول المسيح لتلاميذه " إذا قمتم إلى الصلاة فاغفروا لمن لكم عليه خطيئة " (مرقس ١١/٢٥)،و بذلك يبطل استدلال النصارى بهذا النص كما بطل بغيره، فلم يعد أمام النصارى بد من الاعتراف بعبودية المسيح لله عز وجل الذي أكرمه بنبوته و رسالته.[3]

---

(١) التمهيد ، الباقلاني ص١٠٢-١٠٣ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٧أ.

(٢) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٣/٣٣٩ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحى ص١٢١.

(٣) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٧ب-٣٨أ.

لمطلب الثاني:نصوص كتابية تشهد ببشرية المسيح وتنفي ألوهيته

وقد عمل أصحاب الردود المسلمين بعد إبطال أدلة النصارى النصية على الاستدلال لصحة ما ذهبوا إليه حينما قالوا ببشرية المسيح، فأمعنوا النظر في كتب القوم فوجدوها مليئة بما يؤيد مذهب المسلمين و معتقدهم في المسيح، بالغ الحسن بن أيوب حين قال بأن في الأناجيل و ملحقاتها نحوا من عشرين ألف نص " كلها تنطق بعبودية المسيح، و أنه مبعوث مربوب، و أن الله اختصه بالكرامات، ما خلا آيات يسيرة مشكلات قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد، و تركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته، فلو كانوا قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة اليسيرة – التي يوجد لها من التأويل خلاف ما يتأولونه – على الواضحات الكثيرات التي قد بانت بغير تأويل، لأنه إنما يجب أن يقاس الجزء على الكل، و يستدل على ما غاب بما حضر، و على ما أشكل بما ظهر " .[1]

و قد أطبق أصحاب الردود الإسلامية على ذكر هذه النصوص، و لم يشذ عن ذلك سوى بعض الردود القديمة التي اكتفت بالمحاجة العقلية سبيلا لإبطال معتقدات النصارى.

و لدى التأمل في هذه النصوص نجدها أنها على ضروب أربعة، قد تتداخل فيما بينها في بعض الأمثلة.

الضرب الأول:هو تلك النصوص التي تبين عجز المسيح، و قعوده عن مقام الألوهية و الربوبية، و عليه فهو ليس بإنسان تام و إله تام كما يقول النصارى، إنما كان فقط إنسانا تاما .و في ذلك نصوص كثيرة ذكرها أصحاب الردود المسلمين .[2]

منها جهل المسيح بأشياء كثيرة أهمها جهله بيوم القيامة، فقد قال حين سأل عنه " لا أعلم ذلك، و لا يعلمها الملائكة الذين في السماء، و لا يعلم ذلك إلا الآب وحده " (مرقس ١٣/٢٢) فكيف تدعي النصارى بعد ذلك ألوهيته، فالجهل بالغيب مبطل لها.

و ليس ما يجهله المسيح هو موعد القيامة فحسب ، بل كل ما غاب عنه فهو غيب يجهله إلا ما أطلعه الله عليه، و لذلك نجده عندما أراد إحياء لعاذر يسأله " أين دفنتموه ؟ " (يوحنا ١١/٣٤)، و لما جاءه رجل يريد منه شفاء ابنه من الجنون قال له المسيح " منذ كم علقه هذا الجني ؟ فأجابه الأب:منذ صباه " (مرقس ٩/١١)، و لما قتل هيرودس يحيى المعمداني لم يعلم بذلك المسيح، حتى أعلمه تلاميذه فحزن عليه و جزع، و خرج من وقته من الموضع الذي كان منفردا (انظر متى ١٤/١٣).

---

(١)رسالة الحسن بن أيوب ٢/٣٧٠

(٢) انظر : الرد على النصارى للطبري ، الفكر الإسلامي ، الشرفي٣٨٥ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص١٢٤ ، الرد على النصارى ، الجعفري ص٦٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص١٠٦ ، و منظومة الأبوصيري ص٢٣-٣٨ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص٧٩-٨٠ ، ١٢٢ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١٤أ-١٦ب.

و المسيح أيضا و هو يظهر معجزاته الباهرة يشير إلى افتقاره لله و عجزه عن هذه المعجزات لولا معية الله و نصرته فيقول: " لا أستطيع أن أصنع شيئا و لا أتفكر فيه إلا باسم إلهي "(يوحنا ٣٠/٥)، و يؤكد هذا المعنى فيقول: " إنكم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ أني أنا هو، و شيء من قبل نفسي لا أفعل،و لكن كل شيء كالذي علمني أبي " (يوحنا ٢٨/٨)،و في نص آخر " لم آتي لأعمل بمشيئتي ، و لكن بمشيئة من أرسلني "(يوحنا ٣٨/٦)، و في آخر يقول لليهود " حقا أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يعمل أو أن يصنع إلا ما رأى أباه يصنع " (يوحنا ١٩/٥).

و المسيح أيضا لا يملك لنفسه -فضلا عن غيره-نفعا و لا ضرا إلا أن يتغمده الله برحمته و قد كان، فالله وعده بالعاقبة الجنة كما وعد غيره من المؤمنين به، و لذلك بشرهم فقال :" فأما أنتم الذين صبرتم معي في بلائي و فخاري، فإني أعدكم كما وعدني أبي الملكوت " (انظر لوقا ٢٨/٢٢-٢٩).

و لما جاءته أم ابني زبدى و كانا من تلاميذه " فسألها ما تريدين؟ قالت : أريد أن تجلس ابناي أحدهما عن يمينك، و الآخر عن شمالك،في ملكوتك. فقال:ليس إلى ذلك سبيل، لأنه ليس لي أن أعطيه، و لكن من أبي " (متى ٢٠/٢٠-٢٢)، وقد أشار إلى عجزه في مواطن كثيرة متعددة منها قوله " أنا ذاهب إلى إلهي الذي هو أعظم مني "، فدل ذلك كله على عجزه وعلى أنه بشر لا يصل إلى مقام الألوهية و لا يبلغها ،خلافا لما تقوله النصارى.

الضرب الثاني: هو النصوص التي تحدثت عن أحوال المسيح البشرية التي يشترك فيها مع سائر الناس من طعام و شراب و عبادة لله و تذلل و .....

فقد عرض بعض علمائنا سيرة المسيح[1]-كما عرضتها الأناجيل-منذ بشارة أمه إلى حمله، و ولادته في المزود، ثم لفه بالخرق، ثم ختانه، و من ثم نشأته و تعليمه مع الصبيان، ثم تعميده على يد المعمداني إلى أن ذكروا نهايته المزعومة على الصليب بعد أن جزع و تذلل لله ليصرف عنه هذا الأمر... فوجدوا أن لا يفترق في شيء عن سائر الناس، فقد ولد و كبر، و أكل و شرب، و مات. فما الذي يميزه بالألوهية عن غيره ؟ و ساق أصحاب الردود المسلمين عددا من النصوص التي ذكرت أحوال المسيح البشرية .[2]

منها أن المسيح مكون من لحم و دم كسائر الناس، فليس بإنسان روحاني، كما أنه ليس بروح صرفا، بل هو مركب من سائر ما خلق الله من الحيوان (انظر لوقا ٣٦/٢٤-٣٩)، ومعلوم أن اللحم

---

(١) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ٣٢٠/٢ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ١٠٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٥٠ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١٩ب-٢٠أ.

(٢) انظر : رد الوراق ، و الرد مجهول المؤلف.الفكر الإسلامي ، عبد المجيد الشرفي ص ، ١٦١ ، رد الباجي على راهب فرنساص٦٥-٦٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٠٠-١٣٥ ، الرد على النصارى ، للجعفري ص٦٥ ، و منظومة الأبوصيري ص٣٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٧٦/٢ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ١٠٢/٨-١٠٨ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص١٥٨ ، ١٧٦-١٧٧ .

و الدم إنما يتكونان من الأغذية و الأشربة المحدثة و التي لا يرضى عاقل أن يتكون منهما الأزلي أو المتحد معه.[1]

و المسيح قد جاع أيضا، و بحث عن طعام يأكله(انظر متى ٢١/١٨،١٩)، و هذا الطعام يتقوى به، و ينمو به جسمه طولا و عرضا[2].كما يقتضي الطعام خصيصة أخرى لا يليق أن تنسب لمقام الألوهية، ألا و هي التبول و التغوط، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

و هذا المعنى كما يرى الخزرجي هو مفهوم قوله تعالى﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾ [3] فكل من طعم و شرب احتاج لإخراج ما طعم، و لا يليق نسبة هذه المنقصة و لا غيرها لله عز و جل الذي لا يشارك الناس هذه الدنايا و الخسائس[4].

و تذكر الأناجيل حزن المسيح ليلة الصلب و غيرها " إن نفسي حزينة حتى الموت " (مرقس ١٤/٣٢-٣٦)، ثم لما جزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه،ثم لما وضع على الصليب جزع و قال: " إلهي إلهي لم تركتني " (مرقس ١٥/٣٤)

و ذكرت الأناجيل أيضا تذلله و خضوعه لله عز و جل و تضرعه بين يديه " و كان يصلي يا أبتاه، إن أمكن أن تعبر عني هذا الكأس، ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت"(متى ٢٦ /٣٩)،و من تضرعه ما ذكره يوحنا " أن المسيح رفع عينيه إلى السماء، و تضرع إلى الله الواحد الخالق، و قال :يجب على الناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الخالق، و أنك أرسلتني " (يوحنا ١١/٤٠-٤١)، وكان يصلي متواريا و صار عرقه كعبيط الدم (انظر لوقا ٢٢/٤٤)، و التضرع و العبادة نوع من دلائل العبودية لا يجوز نسبته لله أو للمتحد معه، إذ الأناجيل شهدت بعبوديته و التزامه بناموس موسى عليه السلام، فقد ختن عليه السلام في اليوم الثامن من ميلاده (انظر لوقا ٢/٢١) و كذا في سائر أحواله.

و أخيرا تقول النصارى بموته فلو كان إلها لما عجز عن دفع أعدائه أو أعداء ناسوته، و لو كان ذلك مراده فلم جزع منه و طلب أن يصرف عنه. ويتساءل الباجي في سخرية لاذعة من فكرة الإله الذي يطرأ عليه الموت، فيتساءل هل كل من يموت إلها ؟![5]

و النصارى لا ريب لا ينكرون هذه الأحوال البشرية للمسيح ،بل يثبتونها و يختلفون في تفسيرها طبقا لاختلافهم في طبيعة المسيح.

فاليعاقبة أصحاب القول بالطبيعة الواحدة يصعب عليهم تبرير مثل هذه الأعمال من الله الذي تجسد في جسد المسيح.

أما القائلون بالطبيعتين:(النساطرة و الملكية)، فهم يثبتون هذه الأفعال للطبعة الناسوتية، و لا يرتضون إضافته للإله الذي لا يأكل و لا يشرب و لا يجهل و لا يحزن...فالذي أكل و شرب و... هو

---

(١) انظر: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص١٠٥.

(٢) انظر : المصدر السابق ص١٠٥.

(٣) سورة المائدة ، آية: ٧٥.

(٤) انظر : بين الإسلام و المسيحية ، للخزرجي ، ص ١٣٠.

(٥) انظر : رد الباجي على رسالة راهب فرنسا ، ص٨١ ، و مناظرة الرازي ، ص ٢٣.

ناسوت المسيح فقط .

و يرى السعودي أن وجود هذه النصوص في الأناجيل هو مما أغفلهم الله عن تبديله منها، و ليبقى في أيديهم شيء من النقل الصحيح الدال على عبودية كل شيء سوى الله عز و جل.[1]

و لا ريب أن وجود هذا كله في الأناجيل طبيعي، لأن ظهور الأناجيل التاريخي متزامن مع ظهور فكرة ألوهية المسيح، و سابق لتبلورها و نضوجها، فالنصارى لم يصدروا في معتقدهم بالمسيح عن هذه الأناجيل، إنما قالوا ما قالوا، ثم ذهبوا يبحثون عن دليل لهم في الأناجيل المختلفة.

و القول بوقوع هذه الأحوال من الناسوت دون اللاهوت تفريق لا يرتضيه أصحاب الردود الإسلامية، و يرونه مبطلا للاتحاد، فالسعودي لا يقبل أن يقال " أن هذه النقائص دخلت على ناسوته دون لاهوته، لأن الاتحاد جعلهما متحدين، فصار شيئا واحدا، و لا يقال للشيء الواحد جاع و لم يجع، مات و لم يمت " .[2]

و بذا يكون النصارى وقعوا فيما حذر منه مقدسهم بولس حيث قال: " و لم يعرفوا الله، و لكن أظلمت قلوبهم التي لا تفقه، فجهلوا و استبدلوا بالله الذي لا يناله فساد صورة الفاسد...فبدلوا حق الله بالكذب، و عبدوا الخلائق و آثروها على خالقها " .[3] (رومية ١/٢١-٢٥).

الضرب الثالث: هو النصوص التي بينت ذهول معاصريه من حواريه و أعدائه عن فكرة ألوهيته و ربوبيته، مما يدل على أن الفكرة لا علاقة لها بالمسيح و لا أتباعه.بل هي من مخترعات لاحقة لذلك العهد، و ذلك يكفي للإعلان عن بطلانها.

و ساق أصحاب الردود المسلمين في ذلك نصوصا كثيرة [4] منها قول شمعون الصفا (بطرس) وهو أقرب التلاميذ إلى المسيح " يا رجال بني إسرائيل :اسمعوا مقالتي :إن يسوع الناصري رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة و الأيدي و العجائب التي أجراها على يديه " (أعمال الرسل ٢/٢٢)، فلم يشر في خطبته المهمة إلى شيء من الألوهية للمسيح.

و هو ما نجده أيضا عند غير شمعون فقد عرض المسيح بعد الصلب المزعوم لرجلين من أصحابه قد حزنا عليه فسألهما عن سبب حزنهما فقالا: " كأنك أنت وحدك غريب ببيت المقدس إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الأيام من أمر يسوع الناصري، فإنه كان رجلا نبيا قويا في قوله و فعله عند الله و عند

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣ب.

(٢) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١٤أ ، و الرد على النصارى ، للجعفري ص٦٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص٦٧.

(٣) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٥أ ، ومن العجيب أن يقول بولس ذلك ، و هو الذي تولى كبر ما تقوله النصارى من كفر و شرك .

(٤) انظر : الرد على النصارى ، للطبري ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ص٣٣٥ ، رسالة الحسن بن أيوب٢/٣٢١-٣٣٦ ، ٣٥٤ ، و بين الإسلام و المسيحية الخزرجي ص١٣٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص٦٦-٦٨ ، منظومة الأبوصيري ص ٢٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٥٠ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص٨٢-٨٢ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٨ب-٦٦أ.

الأمة، أخذوه و قتلوه " (لوقا ٢٤/١٩-٢١)،فليس في قولهما حديث عن ناسوت مقتول، و لا عن لاهوت متجسد نجا من الموت.

و أيضا عجب منه تلاميذه لما رأوا بعض معجزاته ، و لو كانوا يرونه إلها لما كان في معجزاته أي عجب ،فقد مر يسوع عليه السلام بالشجرة و قد جاع فقصدها، فلم يجد فيها سوى الورق. فقال : لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيبست الشجرة لوقتها، فتعجب التلاميذ فقالوا : كيف يبست ؟! فقال: الحق أقول لكم :إن كان لكم إيمان بغير شك و قلتم للجبل: تعال و اسقط في البحر لفعل "(متى ٢١ /١٨-٢٢).فدل عجبهم على أنهم كانوا لا يدركون شيئا مما تعتقده النصارى اليوم من ألوهية المسيح.

و هذا يوحنا المعمداني(يحيى) الذي لم تقم النساء على مثله(انظر متى ١١/١١)، يرسل إلى المسيح رسلا بعد أن عمده ليسألوه " أنت الذي تجيء أو تتوقع غيرك ؟ " فكان جواب المسيح " ارجعوا فأخبروه بما ترون من عميان يبصرون، و زمنى ينهضون، و صم يسمعون، فطوبى لمن لم يغتر بي، أو يذل في أمري" (متى١١/٣-٦)،و يتساءل السعودي هل جهل يحيى ربه عندما أتى ليعمده ؟إن قصارى ما قاله يحيى للمسيح عندما عمده " أنا أحق بالتعميد منك " (انظر متى ٣/٤) وهو منه إظهار للتواضع على عادة الأنبياء والمؤمنين، لكن المسيح لم يقبل منه ذلك.

فيحيى المعمداني مع جلالة أمره لم يظن في المسيح أنه أكثر من النبي المنتظر الذي كانت تنتظره بنو إسرائيل.و إجابة المسيح لا تدل بحال على ألوهية ،فقد أخبر بمعجزات نبوته، ثم عقب بالتحذير من الغلو فيه -كفعل النصارى – أو التفريط كفعل اليهود الذين كذبوه و آذوه و هموا بقتله.[1]

ثم لما جاءته المرأة التي قال لها : " صدقت طوبى لك " لما قالت له" أنت ذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه " (انظر يوحنا ٤/١٩/٢٦)، و ما زادت على ذلك فما صحح لها معتقدها، بل صدقها وأثنى عليها، فكان هذا معتقدا يعتقده عامة الناس كما اعتقده تلاميذ المسيح و حواريوه.

و هاهم أعداؤه من اليهود يلاحقونه، و يطلبون منه آية، فأخبرهم بأنه لن تأتيهم سوى آية يونان النبي (يونس) (انظر متى ١٢/٨ ، ٢٨ -٢٩)، فهم لا ريب يبحثون عن آية تدل على نبوته التي يدعوهم إلى الإيمان بها، و إلا لما رضوا منه بذلك، بل و لطالبوه بآيات أعظم من آية يونان، و غيره من الأنبياء.

و لما أرادوا قتله كانت جريمته عندهم دعواه النبوة لا الربوبية فقد قالوا لنيقوديموس " اكشف الكتاب، ترى أنه لا يجيء من الجليل نبي " (يوحنا ٧/٥٢).

و الشيطان أيضا لم ير المسيح إلا بشرا، لذلك فقد حصره في الجبل أربعين يوما من غير طعام و لا شراب ،و هو في ذلك يمتحنه و يمنيه بإعطائه الدنيا في مقابل سجدة واحدة له (انظر متى ٤/٩-١٠)، فهل كان الشيطان يعد الرب بالدنيا؟!!.

ثم إن بشرية المسيح موجودة ليس في أقوال معاصريه بل حتى في النبوءات السابقة التي يؤمن النصارى بها، ويقولون أنها تحققت فيه عليه السلام، فهذه النبوءات لم تتنبأ بقيام رب أو إله ، وإنما تنبأت بنبي و رسول صالح ،من ذلك ما جاء في كلام عاموس النبي " ثلاثة ذنوب أقبل لبني إسرائيل، و الرابعة لا

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تحجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١١أ.

أقبلها و هي بيعهم الرجل الصالح " (انظر عاموس ٦/٢).

فالخزرجي يبين أن النص حجة للمسلمين، فهو لم يقل في بيعهم إياي، و لا بيع إله متساو معي في الجوهر،بل سماه رجلا صالحا.

و مثله قول داود " من هذا الرجل الذي ذكرته،و جعلته دون الملائكة قليلا ؟ "[1](المزمور ٨/٤-٥).

و أنبه إلى أنه وردت بعض النصوص الكتابية التي تشغب على هذا المعنى و التي قد يفهم منها أن بعض معاصري المسيح كانوا يقولون بألوهية المسيح، منها قول يوحنا عندما هم اليهود أن يرجموه بالحجارة قائلين " لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك و أنت إنسان تجعل نفسك إلها " (يوحنا١٠/٣٣)، ومثله لما كثر الكلام عن المسيح سأل يسوع التلاميذ ماذا تقولون أنتم ؟ فأجاب سمعان: " أنت المسيح ابن الله الحق . فأجابه المسيح طوبى لك " (متى ١٦/١٦-١٧).

فأمثال هذه النصوص كان لعلمائنا منها أحد موقفين:

الأول:تجاهلها و عدم الوقوف عندها، و هذا الموقف لا يضرهم، إذ لا يؤمنون بقدسية هذه الكتب، و إن استدلوا بها على الخصم لإبطال حججه.

الثاني:اعتبارها من النصوص المشكلة، و منع ظاهرها و تأويلها كما سبق أن بينا.

الضرب الرابع: هو النصوص التي شهدت للمسيح بالنبوة، و يضاف إليها ما سيأتي ذكره - مستقلا- من معجزات المسيح عليه السلام.

فقد استخرج أصحاب الردود المسلمين من الأسفار المقدسة نصوصا كثيرة تعتبر المسيح نبيا و رسولا.[2]

و إثبات النبوة و الرسالة له مبطل للألوهية.من هذه النصوص قوله " من عند الله أرسلت معلما" (يوحنا ١٣/١٣)، و قوله عن نفسه " اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبي لا يجل في مدينته " (متى ١٣/٥٧) .

و لما خوفه الفريسيون من هيرودس قال لهم " لا يهلك نبي خارجا عن أورشليم " (لوقا ١٣/٣٢).

و لما أظهر المعجزات لقومه قرنها بدعوى نبوته قائلا و هو يناجي الله: " و لكن أسألك من أجل هذه الجماعة، ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني " (يوحنا١١/٢٦).و لما أرادوا قتله قال: " تريدون قتلي، و أنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله " (يوحنا ٨/٤٠)

و لما رأته امرأة قالت له إنك كذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه. فصدقها في كلامها و لم يقل لها :أنا الله . بل قال لها :" صدقت. طوبى لك " (انظر يوحنا٤/١٤-٢٦).

---

(١) انظر : بين الإسلام و المسيحية ، الخزرجي١٣٦.

(٢) انظر : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٣٣٧ ، رسالة الحسن بن أيوب٢/٣٣٤ ، بين الإسلام و المسيحية ، الخزرجي ص١٣١-١٣٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة ، القرافي ص١٠٠ ، تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، ص ١١٩ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٤٧ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٨أ-٦٧أ.

ولما بعث تلاميذه للدعوة قال لهم: " كما بعثني أبي، كذلك أبعث بكم "(يوحنا ٢٠/٢١)، و قال لهم مشبها لنفسه " أنا الراعي "(يوحنا ١/١١)،و الراعي لا يملك الغنم بل يرعاها فقط. و رعايته خاصة في بني إسرائيل " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " (متى ١٥ /٢٤).و ننبه هنا أن النص في يوحنا يعتبر الراعي صاحبا للغنم، و يفرق بينه و بين المستأجر (انظر يوحنا١٠/١٢).

و لما خاطب أورشليم التي تدعي النصارى قتله و صلبه فيها قال لها: " يا قاتلة الأنبياء، كم من مرة أريد أن أجمع بنيك حولك " (متى ٣٣/٣٧)فلم يقل لها :يا قاتلة الإله.فذلك أبلغ لو صح.بل أراد أنكم تريدون قتلي كما قتلتم غيري من الأنبياء .

و في النص دلالة أخرى هي عجزه عن تنفيذ مراده في جمع بني إسرائيل ، بينما موسى نجح في ذلك و لم يعجز.

و نبوته هي معتقد الناس عامة فيه، و قد صرحوا بذلك أمامه فلم يخطئهم، فعندما أحيا المسيح ابن الأرملة في نايين، قال الناس" قام فينا نبي عظيم و تعاهد الله شعبه " (لوقا ٧/١٣). و لما أطعم الخمسة آلاف إنسان من خمسة أرغفة قالوا : " إن هذا هو النبي الآتي إلى العالم " (يوحنا ٦/١٤).

و كان مقصد علمائنا من ذكر النصوص الدالة على نبوته ليس فقط إبطال ألوهية المسيح، بل و أيضا ترغيم أنوف اليهود الذين جحدوا نبوته، و آذوه عليه الصلاة و السلام.

و رأينا من الضروب الأربعة ما قام فيه دليل و برهان واضح على عبودية المسيح لله، و أنه رسول عظيم من لدن ربه جل و علا، لكن النصارى لم يعجبهم ذلك، فهم ما رضوا " بقوله في نفسه، و لا بقول تلاميذه فيه، و لا بقول من تنبأ عليه من الأنبياء ، و لا قول جموعه الذين تولوه لمن سألهم من مخالفيهم عنه "[1]

---

(١) رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/٣٥٥.

المطلب الثالث:معجزات المسيح.

رأينا أن النصارى يستدلون بمعجزات المسيح على ألوهيته، و المسلمون يؤمنون بالمسيح عليه السلام، و أنه مؤيد بالمعجزات بيد أن هذه المعجزات تدل على نبوته و رسالته كما هو الحال في سائر الأنبياء، و قد آتاهم الله المعجزات، فمحل الخلاف ينحصر في دلالة هذه المعجزات على النبوة، أو الألوهية.

و النصارى يكثرون الاستدلال بمعجزات المسيح، لذا اهتم أصحاب الردود المسلمين بدراستها، فوجدوها من جنس سائر معجزات الأنبياء الذين تحدثت عنهم التوراة و الأناجيل، و مع ذلك لا يثبت النصارى ألوهية لهؤلاء الذين شاركوا المسيح في جنس معجزاته، و لربما كانت معجزاتهم أبهر و أعظم.

و لما كان ميلاد المسيح العجيب من غير أب، و إحياؤه للموتى أعظم آيتين آتاهما الله للمسيح اهتمت بهما سائر الردود الإسلامية.[1]

معجزة الميلاد.

الميلاد من غير أب أعجوبة و لا ريب، لكنها لا تقتضي الألوهية بحال، و لو اقتضها لاقتضى ألوهية آدم و حواء، فقد ولد آدم من غير أب ولا أم، و ولدت حواء من آدم و لا أم لها، و ذلك هو ما نبه إليه القرآن الكريم ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾[2]

و رغم المثلية القائمة بين آدم و عيسى من جهة ميلادهما من غير أب إلا أن آدم يتميز عن عيسى بأمور منها :أن آدم عليه السلام لم يخرج من بين نحو و طمث، و أيضاً فإن الله أسجد له ملائكته، و علمه الأسماء من علمه، كما كانت السماء داره، و الجنة منزله، و الملائكة خدمه،و قد تولى الله مناجاته بنفسه دون أن يرسل إليه رسولاً إلى غير ذلك مما لم يكن لعيسى و لا غيره. فما دام مميزاً بكل هذه المميزات، فلم لا تقول النصارى بألوهيته ؟![3]

و ينبه الدميري والترجمان إلى أن هذا اللازم أيضاً يلزم النصارى بحق الملائكة فهم أيضاً خلقوا من غير أب و لا أم، بل و لا طين، لكن النصارى لا تسميهم آلهة.[4]

---

(١) انظر : رد مجهول المؤلف الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ١٦١ ، المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص١١٦ ، ١١٧ ، رسالة الحسن بن أيوب ، ٣٤٢/٢ ، مناظرة الرازي ، ص٢٧ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٧ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٣٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٨-١٤٩ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص٨٦.

(٢) سورة آل عمران ، آية:٥٩.

(٣) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ص ١١٦ ، ١١٧. وهذا الكلام من الجاحظ قد يفهم منه تفضيل آدم على المسيح عليه السلام، ، إذ المسيح أحد أولي العزم من الرسل.

(٤) انظر : إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٧ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص٨٦ .

معجزة إحياء الموتى.

و معجزة إحياء الموتى معجزة عظيمة من معجزات المسيح التي أثبتها القرآن، و أخبر بأنها من عند الله ﴿ وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ [1]،و هو ما يتفق أيضا مع الإنجيل ،فقد قال عيسى للذين شاهدوه " لست أفعل من ذاتي شيئا، لكنني أحلم بما أسمع، لأني لست أنفذ إرادتي، بل إرادة الله الذي بعثني " (يوحنا ٣٨/٦).

لكن النصارى يصرون على أن إحياء الموتى يدل على ربوبية المسيح و ألوهيته،و يتجاهلون نصوصا كتابية أسندت ذات الفعل لغير المسيح.فلم لا تقول النصارى بألوهيتهم ؟! فلئن كان المسيح أحيا لعاذر (انظر يوحنا ٤١/١١-٤٤)، فإن إلياس أحيا ابن الأرملة (انظر ملوك (١) ١٩/١٧-٢٤)، واليسع أيضا أحيا ميتين أحدهما حال حياته، و الآخر بعد وفاته، فقد أحيا ابن الإسرائيلية التي جاءته(انظر ملوك (٢) ٣٢/٤-٣٦)،كما أحيا ميتا وضعه أهله على قبر اليسع، فعاد حيا(انظر ملوك(٢) ٢١/١٣).

و يرى الحسن بن أيوب أن إحياء اليسع لميت و هو ميت لا تقل عن دعوى النصارى بأن ميتا لصقت به خشبة الصليب فعاش.[2]

وحزقيال النبي أحيا بشرا كثيرا إذ فر قومه و هم ألوف حذر الوباء، فأماتهم الله ثم جاءهم نبيهم ، فقال لهم: " لتحيوا بإذن الله، فحيوا و رجعوا، سحنة الموت على وجوههم حتى ماتوا بآجالهم ". (انظر حزقيال ١/٣٧-١٠).

و كذا فإن معجزة موسى عليه السلام عندما قلب العصا إلى حية أكبر من معجزة عيسى الذي أحيا ميتا، إذ بث الحياة من الجماد أعظم من بثه من الميت الذي يقبل الحياة[3].

و يعجب القرافي من استدلال النصارى بإحياء الموتى لإثبات ألوهية المسيح مع أنهم أثبتوا هذه القدرة للحواريين، بل و لكل من استقام على الشريعة و مقصود القرافي ما جاء (متى ١٠/١)، و (مرقس ١٧/١٦-١٨)، و لوقا ١٩/١)، و (أعمال ٣٦/٩-٤١).فقد جاء في أعمال الرسل أن بطرس أحيا طابيثا بعد أن ماتت و غسلها أهلها(انظر أعمال ٣٦/٩-٤١).

يقول مرقس " و هذه الآيات تتبع المؤمنين، يخرجون الشياطين باسمي، و يتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئا ميتا لا يضرهم، و يضعون أيديهم على المرضى فيبرءون " (مرقس ١٧/١٦-١٨).

وهكذا يرى أصحاب الردود أن النصارى يلزمهم أن يقولوا بألوهية كل من أحيا ميتا أو يدعوا ذلك كله، و يعترفوا بأن هذا فضل الله يعطيه من يشاء من أوليائه.[4]

---

(١) سورة آل عمران ، من آية:٤٩.

(٢) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ٣٤١/٢.

(٣) انظر : الإرشاد ، الجويني ص٥٠ ، مناظرة الرازي ص٢٧ ، ٤١ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٩.

(٤) انظر : معجزة الإحياء في رسالة الحسن بن أيوب٣٣٢/٢ ، و شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص ٢٩٨ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٥٦/١ ، رد الباجي على راهب فرنسا ص٦٧ ، بين الإسلام

و يذهب القرافي إلى أبعد من ذلك، فيرى أنه ينبغي عليهم أن يعترفوا بأن لله أبناء كثر يقولون بألوهيتهم لاحتمال أن تكون لهم قدرة على إحياء الموتى .فالعقل" جازم بأنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فلا يلزم من عدم علمهم بأن زيدا أو عمرو يحيى الموتى أن لا يكون ابنا الله تعالى لجواز أن يكون كذلك ، و لم يظهر الدليل الدال عليه " [1].

معجزات أخرى.

و من معجزات المسيح العظيمة إبراؤه الأكمه و الأبرص، و قد أثبت القرآن -كما الأناجيل- هذه المعجزة له عليه السلام . أما المسلمون فقالوا : بأنها معجزة تدل على نبوته. وقال النصارى بل ألوهيته.

و مرة أخرى وجد أصحاب الردود المسلمين أن في الأسفار المقدسة معجزات من جنس هذه المعجزة أثبتتها النصوص لغير المسيح، و تساءلوا لم لا تقول النصارى بألوهيتهم ؟ فلئن كان عيسى قد أبرأ الأكمه فإن موسى أوجد بعصاته حية ذات عينين مبصرتين، و معلوم أن الجماد لا يقبل الإبصار ، فذلك أعظم من إبصار الأكمه، لأنه ممكن أصلا(انظر الخروج ٤/٣، ٩/٧)، كما أنه عليه السلام ضرب الرمل بعصاه فانثال قملا ملأ أرض مصر ، و لكل واحدة منها عينان (الخروج ١٦/٨)،كما تذكر التوراة أن يوسف أبرأ عيني أبيه بعد أن فقد الإبصار بهما(التكوين ٢٨/٤٥)، و كل هؤلاء لا تقول النصارى بألوهيتهم، فلماذ ؟![2]

وعلى هذا المنوال نسج أصحاب الردود المسلمين في سائر المعجزات.[3]

فلئن كان عيسى قد شفى الأبرص (انظر متى ٣/٨) فإن اليسع شفى أبرصا، و أمرض آخر و ذريته من بعده بالبرص(انظر ملوك (٢) ٥/١٠-٢٧)،و لئن كان المسيح قد حول الماء إلى خمر(انظر

و المسيحية ، الخزرجي ص ١٣٧ ، الرد على النصارى ، الجعفري ص ٦٨ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٣٥ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ص ١٠٢ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة ، القرافي ص ٦٥ ، ١١٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٢٧٣-٢٧٤ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٩ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص٨٦-٨٧ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٦٧ب-٦٩أ .

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة ، القرافي ص١١٩.

(٢) انظر : معجزة شفاء الأكمه في رسالة الحسن بن أيوب ٢/٣٣١ ، و الرد على النصارى ، الجعفري ص٦٨-٧٠ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ص١٠٢ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٦٨أ.

(٣) انظر : رسالة مجهولة المؤلف ، الفكر الإسلامي ص١٦١ ، ٣٤٨ ، و رسالة الحسن بن أيوب ٢/٣٣١-٣٣٩ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحى ، ص٧٣ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٥ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦٨-٧٠ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٤٩. ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص٨٦-٨٩ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ١٢أ-١٣ب.

إن طعـــم بـــبركة المسيح خمسمائة من خمسة أرغفة (انظر متى ١٤/١٩-٢١)فقد أطعم الله عز و جل بني إســـرائيل - و هـــم زهـــاء ستمائة ألف - المن و السلوى أربعين سنة ،و كل ذلك ببركة موسى عليه السلام(انظر الخروج ١٦/٣٥-٣٦).و هكذا في سائر المعجزات كالمشي على الماء، و الصعود إلى السماء و غيرها من المعجزات.

بـــل إن النصوص تتحدث عن معجزات عظيمة وقعت على أيدي الأنبياء لم يقم المسيح بمثلها ، و مـــن ذلـــك مـــا ذكره زيادة النصب الراسي، و منها تحويل بحار المصريين إلى دم على يد موسى عليه السلام و كذا شق البحر، و نجاة دانيال من جب الأسود، و سوى ذلك من معجزات كثيرة .

و لم يكـــن مقصـــود في هذا المبحث النيل من معجزات المسيح عليه السلام أو الحط من قيمـــتها، بـــل هي آيات باهرات أقام الله بها الحجة على صدق نبيه، و لكن الغرض هو إبطال استدلال النصارى بها على ألوهية المسيح لاشتراكه في العلة مع غيره ممن أتوا بأفعال إلهية (المعجزات)، و لا تقول النصارى بألوهيتهم، " فإن صح وقوع ذلك (المعجزات) من غير اتحاد به ليجوزن وقوعه من غير اتحاد بعيسى...و في هذا إبطال هذا القول " .[1]وكلا الأمرين الذين يقترضهما الباقلاني باطل، لكنه يعرضه من باب إلزام الخصم بحجة من جنس حجته، ولا يشترط في مثل هذا الحال أن يعتقد صحة ما يحتج به.

و لو كانت المعجزات تفيد حلول الله بأحد لكان ذلك في الذين وقع منهم الفعل(الأنبياء) ليس بأولى من أن يكون في المحل الذي وقع فيه الفعل ، يقول القاضي عبد الجبار " فلم صار بأن يكون متحداً بعيســـى لهذه العلة بأولى من أن يكون متحداً بالجسم الذي أحياه الله على يديه، و في عين الأكمه الذي أبرأه الله على يده " [2].

وهـــذه المعجزات التي أعطاها الله لعيسى هي منحة منه جل و علا كما أقر عيسى عليه السلام بذلك " رب أعلم أنك تعطيني كل شيء، و لكن أقول من أجل الجماعة الواقفة ليؤمنوا و ليصدقوا أنك أرسلتني " (يوحنا ١١/٤١).

و الآيات و المعجزات" لا تقتضي تجويز المحال و إحالة الجائز الممكن ". [3]

و بذلك تكون نتيجة هذا البحث هو أنه لا دليل البتة في نصوص أهل الكتاب على ألوهية المسيح.

و يـــبقى الســـؤال قائماً كيف عرف أهل الكتاب أن الله حل في المسيح و هم قطعاً لم يروا هذا الحلول." فإن قلتم قد رآه الناس و عاينوه، فهذا مخالف للحس و الشرع و العقل.

أما الحس فإن أحداً ممن رأى المسيح لم ير شيئاً يتميز به المسيح عن غيره من البشر، غير العجائب التي ظهرت على غيره منها ما هو أعظم مما ظهر عليه.

و لم يـــر إلا بدن المسيح الظاهر، و لم ير باطنه، لا قلبه و لا كبده و لا طحاله، فضلاً عن أن

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٢٤.

(٢) المصدر السابق ٥/١٢٤.

(٣) رد الباجي على رسالة راهب فرنسا ص ٦٧.

به أو حالا فيه،...

و أما الشرع فموسى و المسيح و غيرهما من الأنبياء، أخبروا أن أحدا لا يرى الله في الدنيا.

و أما العقل، فإن رؤية بعض ملائكة الله، أو بعض الجن يظهر لرائيها من الدلائل و الأحوال ما يطول وصفه، فكيف بمن رأى الله....

و أيضا فمعلوم أن من رأى الله إما أن يعرف أنه الله أو لا يعرف. فإن عرف أنه الله كان الذين رأوا المسيح قد علموا أنه الله، و لو علموا ذلك لحصل لهم من الاضطراب ما يقصر عنه الخطاب، و إن كانوا لم يعرفوه، فهذا في غاية الامتناع، حيث صار رب العالمين لا يميز بينه و بين غيره من مخلوقاته..."[1]

و يصدق على أدلة النصارى قول الله عز و جل و هو يقول عن أهل الكتاب ﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾[2] ﴿ و أما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ﴾[3].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٦٥-٦٦ ، و انظر : الأوسط في المقالات ، الناشيء ، ص٨٣.

(٢) سورة المائدة ، من آية: ٤١.

(٣) سورة آل عمران ، من آية:٧

المطلب الرابع : إبطال ألوهية المسيح بالاستدلال العقلي.

عرفنا فيما سبق أن النصارى يستدلون على ألوهية المسيح بالنصوص التي أبطل الاستدلال بها علماؤنا،ويقولون أن العقل يجيز هذا الاتحاد، فالله على كل شيء قدير،وإذا شاء أن يحل في عيسى حل.

و تضرب النصارى لهذا الأمثال لتقرب هذا المعتقد إلى العقل البشري الذي يعجز عن تصور الإله يحل في شخص من الأشخاص، ثم يزعمون أنه يجوز.

النصرانية و العقل البشري

و قبل أن نشرع في إبطال استدلالاتهم العقلية على جواز الاتحاد رأيت لزاما أن أذكر بمقدمة أطبق أصحاب الردود المسلمين على ذكرها تتعلق بغياب العقل، و عجزه عن فهم المعتقدات النصرانية، بل و استحالة قبولها به، هذا العسر في الفهم دفع راهب فرنسا لوصف النصرانية، بأن " الإحاطة بكنهها مما يعجز عنه إدراك الإنسان، و ملك الله أجل و أعظم من أن يدركه فهم الإنسان أو يصل بعلم الكلام... إلا بآية من آيات الله القادر على كل شيء، أن يشرح صدور الآدميين، و يدخل روح العلم في قلوبهم ليتمكن الإيمان في نفوسهم " .[1]

و بغير هذه الآية العظيمة من الله العظيم لا يدخل إيمان بالنصرانية في جوف أحد كما زعموا، و ذلك لاستحالة فهم هذا المعتقد في العقول ،و هو ما عبر عنه آخر " هذا فوق العقل " [2]

و قد بين علماؤنا موقف العقل مما أتت به النبوات و موافقته لها فيما جاء بحدود طاقته البشرية، و ذكر شيخ الإسلام أنه يجب التفريق بين ما يعلم العقل امتناعه و بطلانه، و بين ما يعجز العقل عن تصوره و إدراكه.

فالأول :هو محالات العقول كقولنا :الجسم أبيض و أسود، أو هو عينه بمكانين في زمان واحد. فهذا من جنس قول النصارى . و الأنبياء مترهون عن مثل هذا القول .

و الثاني:مجازات العقول. فإذا أخبرت النبوات بشيء مما يتغيب عن العقل تصوره قبل منهم، لأنهم يعلمون بعلم الله ما يعجز عن معرفته غيرهم، لكن شيئا من مثل هذا لا ترفضه العقول السليمة، بل تسلم بجواز وقوعه، و إن عجزت عن تصوره و معرفته.[3]

و لا يمكن للنصارى أن يدعوا أن معتقداتهم من جنس هذا النوع، لأن شيئا منها لم يصح عن الأنبياء، و إن استنبطوها من بطون أسفارهم المقدسة.

و قد نبه العلماء المسلمون إلى استحالة فهم مذهبهم بالعقل، يقول الجاحظ: " و لو جهدت بكل جهدك، و جمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية،

---

(١) رسالة راهب فرنسا لأمير سرقسطة ، ص٥٢.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٦٩.

(٣) انظر : الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٣/١٣٠-١٣١ ، الإعلام بما في دين النصارى ، القرطبي ، ص٩٨.

و خاصة قولهم في الألوهية " [1]،

ويقول النوبختي " مذهب النصارى لا يكاد يتحصل " [2]

و العجز عن فهم حقيقة معتقدات النصارى ليس حصرا على المسلمين و علمائهم، بل إن علماء النصارى ليعجزون عنه.

فها هو القرافي يصف عجزهم عن روم المستحيل فيقول" اتفق لي مع كثير منهم في المناظرة أن أطالبه بتصوير مذهبه، كيف يمكنه إقامة الدليل عليه فيتوقف. فلو كان للقوم فطنة بكوا على عقولهم قبل أديانهم " [3]، و لذلك فأحبار النصارى " ينهون جمهورهم عن البحث و المناظرة لعلمهم أن العقل الصريح متى تصور دينهم علم أنه باطل " [4]

و أما أحبارهم " فالخوض معهم في أدلة المعقول ...شيء لا يحتمله قواهم و لا يلائم هواهم "[5].

و يصف الرازي دين النصارى فيقول:" لا ترى مذهبا في الدنيا أشد ركاكة و بعدا عن العقل من مذهب النصارى "، و سبب ذلك أنهم " لا يعولون فيها إلا على التقليد المحض عاضين على ظواهر أطلقها الأولون، و لم ينهض بإيضاح مشكلها لقصورهم الآخرون " [6]، و هم يزعمون أن الدين لا يخرج في القياس، و لا يقوم على المسائل، و لا يثبت في الامتحان، إنما هو التسليم لما في الكتب و التقليد للأسلاف، و لعمري أن من كان دينه دينهم ليجب عليه أن يعتذر بمثل عذرهم، فهل يستحسن عاقل أن يبقى على اعتقاد مثل هذه الأباطيل و الخرافات و التناقضات "[7].

فماذا كان أثر بعد دينهم عن العقل ؟ و عجزهم و عجز غيرهم عن تصوره ؟! يجيب الترجمان: " جعلهم الله به أضحوكة لجميع العقلاء و العارفين، و قرة لعيون الشياطين" [8].

و كانت هذه الفضائح سببا في دخول الناس الإسلام، إذ بضدها تتميز الأشياء يقول القرافي : " كفى بهذه الفضائح لمن يريد الإسلام نصائح، و لهذا صار كثير من النصارى يسلمون قبل اطلاعهم على محاسن الإسلام فرارا من هذه القبائح " [9].

و يخلص القاضي عبد الجبار إلى نتيجة هامة يستخلصها من دين النصرانية ألا و هي فساد هذا الدين " و كفى بالمذهب فسادا أن يصعب على العلماء ضبطه " [10]

و لما وصف لأحد ملوك الهند الملل الثلاثة قال عن النصارى : " أما النصارى فإن كان مناصبتهم من أهل

---

(١) المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ص٩٥.

(٢) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، ص٢٩١.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص١١١.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٩٤/٢ ، و انظر : رد الباجي على راهب فرنسا ، ص٧٤.

(٥) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣أ.

(٦) الرد الجميل ، الغزالي،ص١٠٥ .

(٧) الرد على النصارى ، الجاحظ،ص٩٥ .

(٨)تحفة الأريب ، الترجمان،ص٩٧ .

(٩) الأجوبة الفاخرة، القرافي ،ص١١٩ .

(١٠) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، ص ٢٩١.

الملل يجهدونهم بحكم شرعي، فلقد أرى ذلك بحكم عقلي...فإنهم قصدوا مضادة العقل، و ناصبوه العداوة، و استحلوا بيت الاستحالات " [1]

الاتحاد عند النصارى .

تجتمع الفرق النصرانية المثلثة على القول بالاتحاد و الحلول بين اللاهوت و ناسوت عيسى، و تفترق فيما بينها في طبيعة هذا الاتحاد، و يقول جمهور الفرق النصرانية بأن الحال هو الأقنوم الثاني من أقانيم الثالوث، و هو الابن(الكلمة)، و أنه تجسد و اتحد بالمسيح.

و عرفنا أنهم يستندون في تقرير هذه العقيدة إلى النصوص، و على جواز ذلك بالفعل إذ مثل هذا لا يستدل عليه بالعقل .[2]

و يجمع النصارى على أن الاتحاد وقع في زمن حدوث المسيح، و يختلفون هل كان قبل الولاد أم بعده، و لكنه في زمن حادث بإجماع.

و يرون أن الحكمة من الاتحاد أن الله كلم خلقه بذاته حتى تقوم حجته عليهم و تنقطع حجتهم عنه، و لما كان لا يخاطب إلا بحجاب ظهر محتجبا بالإنسان.

وعللوا اختصاص الكلمة بالاتحاد، دون الأقنومين الآخرين بأن المسيح اتخذ للموعظة، و لو اتخذ جسما ليخلق الخلق لسماه أبا ، علاوة على أن هذا الأمر متعلق بالإرادة، فالله على كل شيء قدير.

و خص مجادل القرطبي المسلمين بمزيد بيانه عن دينه، فذكر أن كيفية الاتحاد لا ينبغي أن يسأل عنها، لأن حكمها حكم الصفات عند المسلمين، و مثل له بصفة الاستواء على العرش. و رأى أنه يجوز الاتحاد كما جاز أن يكلم الله موسى من الشجرة التي احتجب بها ، كذلك كلم الله خلقه عن طريق عيسى و قد احتجب به.

و هذا الحجاب كما يرى أغشتين إله ينبغي أن يعبد،كما هو الحال في الصوت الذي سمعه موسى من الشجرة، فقد سمع منها حروفا مقطعة- و يزعم أغشتين أن المسلمين ينزهون الله عن ذلك -،فقد سمع موسى من الشجرة ﴿ أنا الله ﴾، و ما سمعه هو صدى لكلام الله فسجد له، و خاطبه على أنه الله، فقامت الواسطة مقام الله[3].

و ذكر القاضي عبد الجبار تمثيل بعضهم للحلول بقول المسلمين بحلول الله في كل مكان،

---

(١) بين الإسلام و المسيحية ، الخزرجي ص١٢٣ ،و انظر : هداية الحيارى ، ابن القيم ، ص ٢١ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢٨.

(٢) و لا يلتفت إلى مثل قول أبي قرة الملكي بأن"الله يحب أن يكون رئيسا ، و لا يجوز أن يكون متحدا بالرئاسة على خلقه لأن ذلك يوجب أن لا منة له عليهم إن كان خلقهم ليرؤس فيجب أن تكون رئاسته قديمة...يجب أن يكون المرؤوس مثل الله في الجوهر....و لا يجوز أن تكون رئاسته بالقهر....و لا يجوز أن تكون عن تراض ... فثبت أنها طبيعية ، و هي كرئاسة الآباء على الأبناء ، و كرئاسة آدم على هابيل فثبت أن له إبنا و أنه مثله". فمثل هذا الكلام لا يليق أن يوصم بأنه استدلال.انظره و رده في المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٤٤-١٤٧.

(٣) انظر : :بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص٦٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ٩٣ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ،ص٣٤-٣٨.

و مقصدهم علمه و حفظه[1].

إبطال العلماء المسلمين لجواز الاتحاد بالعقل.

كان الإبطال لمذهب النصارى بالعقل محور عدد من الردود الإسلامية التي لم تلجأ إلى النصوص إلا قليلا.و خاصة الردود القديمة التي تلحظ النزعة الاعتزالية في أصحابها. و هذا يفسر لنا اهتمامهم بهذا النوع من الاستدلال الذي نراه أيضا عند غيرهم كالغزالي و القرطبي و شيخ الإسلام عليهم رحمة الله .

و قد نبه أصحاب الردود المسلمين بادئ ذي بدء إلى خطورة القول بجواز تجسد الإله و حلوله في محدث متصف بصفات النقص، لأنه إن جاز فإنه يجوز أيضا تجسده في كل أحد و خاصة الأنبياء و المرسلون.

فالرازي يرى أنه لا يمكن للنصارى إبطال قوله لو قال بأن الله قد تجسد فيه فإن قالوا :يلزمك إقامة دليل على ذلك قال : عدم الدليل لا يلزم منه بطلان المدلول فبقيت الدعوة قائمة .[2]

و عليه أيضا فينبغي أن لا يلوم النصارى عباد الأوثان و لا اليهود عندما عبدوا العجل لجواز اتحاد الإله به، و قد رأى اليهود منه نوعا من خرق العادة، فلا يجوز للنصارى الإنكار عليهم إلا إذا أقاموا دليلا على أن الله لم يحل بالعجل أو الأوثان أو الرازي. فإن احتج النصارى بإنكار موسى على عباد العجل، فإنكار النصوص على بعض النصارى أكثر.[3]

و تساءل أصحاب الردود المسلمين عن سبب تخصيص المسيح بالاتحاد ما دام الاتحاد جائزا، فالقول بالتخصيص لا دليل عليه، و قد كان أولى من الاتحاد بعيسى أن يتحد بإبراهيم مثلا الذي عاصره و شاهده و كلمه أبناؤه الأنبياء كإسماعيل و إسحاق و يعقوب، و هم أفضل من عوام النصارى و مكذبي المسيح من اليهود الذين رأوا المسيح و عاصروه.

لكن ذلك لم يكن إما لامتناعه، أو لأن عزة الله و حكمته أعلى من ذلك مع عدم الحاجة فهو لا يفعله مع المسيح من باب أولى و أحرى. أو للاثنين معا.

كما أن اتحاده بالملائكة أولى من اتحاده ببشر كالمسيح، فاتحاده بجبريل الذي أرسله للأنبياء أولى من اتحاده بالمسيح الذي يخاطب عوام النصارى و اليهود .[4]

و يرى القاضي عبد الجبار أنه يلزم النصارى القول باتحاد الابن بمريم، لأن عيسى بعض لها، و هو ما قالت به فعلا فرقة المريمانية من النصارى،وسماها ابن حزم :البربرانية.[5] كما حكى القرآن الكريم عنهم

---

(١) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٢٣/٥.

(٢) انظر : مناظرة الرازي ص ٢٧ ، و انظر : رد الباجي على راهب فرنسا ص٦٨.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٧٥/٣-١٧٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ١٥٢ ، و الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ١٥٦/١١.

(٤) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٧٤/٢ ، ١٧٨ ، ١٨٥.

(٥) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٤١/٥ ، الفصل في الملل و الأهواء والنحل ، ابن حزم ، ٤٨/١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٩٦/٢ ، ٤٣/٣.

﴿ و إذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ [1]

كما أبطل أصحاب الردود المسلمين القول بالاتحاد لاختلاف خصائص المتحدين، لأن حصول الاتحاد متوقف على المجانسة، فالماء و النار هما جسمان، لكنهما لا يتحدان لعدم تجانسهما، فكيف يتحد الجسم بما ليس بجسم ؟[2]

و إن كان المقصود من الاتحاد ما أسماه بعضهم (التدرع) بأن يصبح اللاهوت درعا للناسوت أو العكس، فكلاهما محال و باطل إذ الأول مستلزم تجويف القديم و تشكله بشكل الجسم اللابس له، و الثاني محال لأن ما قبل الحادث فهو حادث، و الله لا يوصف بالحدوث.[3]

وتساءل أصحاب الردود المسلمين عن الوقت الذي حصل فيه الاتحاد بعد أن رأوا إجماع النصارى على أن الاتحاد فعل حادث، و إلا لزم القول بأزلية ناسوت المسيح، و هذا الذي صوره مجادل القرطبي حينما قال بأن الاتحاد " قديم بالقوة حادث بالفعل ".[4]

و رد القرطبي عليه بأن هذا القول لا يعقل، و أنه من الجمع بين النقائض، لأنه لا فرق بين القوة و الفعل، و أقول بل التفريق بينهما هو قول المسلمين في أبواب أخرى كالخلق و الكلام، فالخلق صفة أزلية لله، و لكن مخلوقاته لها أول، فهي ليست أزلية، بل حادثة.

و لكن قول النصراني باطل لأن الاتحاد محال عقلا، لأنه لا يكون إلا بارتكاب محالات منها انتقال الصفة، و حلولها في غير موصوفها، و تجسيم الإله..إلى غير ذلك .

متى حصل الاتحاد؟

و قد تتبع أصحاب الردود النصارى لمعرفة زمن حصول الفعل الحادث هل هو قبل حمل مريم بعيسى، أم حينه، أم ساعة ولادته، أم عند بلوغه الثلاثين و تعميد يوحنا المعمداني له و إتيان روح القدس له على شكل حمامة، و وجدوا أن جميع هذه الأقوال المحتملة توصل لنتيجة واحدة هي استحالة حصول هذا الاتحاد بين الأزلي و الحادث.

فالقول بأنه حصل حين الحمل و قبل الولاد يقتضي نموه يوما بعد يوم، و الزيادة و النماء لا روح فيها، فهل يرضى الناس بألوهية كل جماد ظهرت منه العجائب ؟

---

(١) سورة المائدة ، آية:١١٦ .

(٢) قال ابن القيم:" فلفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتا، فتكون له حرمة الإثبات ، ولا نفيا فيكون له إلغاء النفي، فمن أطلقه نفيا أو إثباتا سئل عما أراد به، فإن قال: أردت الجسم معناه في لغة العرب، وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى جسم سواه،..فهذا المعنى منفي عن الله عقلا وسمعا، وإن أردتم به المركب من المادة والصورة أو المركب من الجواهر المفردة فهذا منفي عن الله قطعا...وإن أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى بالأبصار ويتكلم ويكلم...فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى ، وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما.." الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، ٩٣٩/٣ .

(٣) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ص١٢٦-١٢٧ ، الرد على النصارى ، الجعفري ، ص٦٥-٦٦.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص٩٦.

والقول بالاتحاد مع الميت لازم لجمهور النصارى الذين يقولون بأن جسد المسيح صلب و مات و فارقته الروح... و لم يفارقه الإله المتحد به، بل بقي حتى صعد للسماء، و قعد عن يمين أبيه.

و القول بأن الكلمة تجسدت في جوف مريم لساعتها يقتضي عدم الإنسانية، لأنه لا ناسوت إذا ولا اتحاد، و هو ما ينطبق أيضا على القول بأن الاتحاد قبل الحمل و الولاد، فهو مبطل مقولة النصارى " باتحاد القديم الإنسان التام " إذ لا اتحاد مع العدم.

و إن قال النصارى بأن الاتحاد كان في حال الحمل من غير زيادة و لا نقصان، لأنه متحد ببعض أجزائه دون أكثر جسمه الذي كان يزيد و ينمو، فهذا الرأي يجعل المولود أكثره ليس بمسيح.[1]

و أما القول بأن الاتحاد حصل بعد الولاد فلا يمكن أن ينسب لغير النساطرة الذين يقولون بأن مريم لم تلد إلها بل ولدت إنسانا، و هو قول كسائر الأقوال لا دليل عليه، و يخلص الوراق من هذا التقسيم إلى نتيجة و هي أن النصارى " لا يمكنهم أن يجعلوا بين الإله و الإنسان فرقا ".[2]

و أما القول بأن الاتحاد كان بعد تعميد المعمداني للمسيح و إتيان روح القدس على شكل حمامة، فهو قول لا يقول به النصارى، و إنما هو افتراض وضعه المسلمون للاتحاد بالمعنى المقبول عندهم، و هو حلول علم الله و حكمته و نبوته على عيسى عليه السلام عندما بلغ الثلاثين.

أين حصل الاتحاد؟

و القول بأن الإله اتحد بعيسى في مكان هو أيضا مبطل له، " فلئن كانت الكلمة اتحدت بالإنسان الكلي – على مذهب الملكية – فلا تخلو أن تكون اتحدت به في مكان أو لا فإن كان اتحادها لا في مكان...فليس بينها و بين الجسد المأخوذ من مريم إلا ما بينها و بين سائر أجساد الناس..و لا مزية لمريم و لا الجسد (أي ليس هناك اتحاد)..و إن كان اتحاد الابن بالكلي اتحادا به في مكان ما...فيجب أن يكون الكلي محصورا في ذلك المكان الجزئي...ذلك لو جاز لجاز اشتمال العدد القليل على العدد الكثير..

و إذا علمنا بأوائل العقول فساد ذلك علمنا أيضا استحالة اتحاد الابن بالكلي إن كان ههنا كلي في مكان صغير جزئي ".[3]

وإبطال الاتحاد بالنظر إلى مكانه لجأ إليه القاضي عبد الجبار فإن كل شيء وجد لا في محل يستحيل وجوده في محل، فبطل قولهم بأنه حل في عيسى بعد أن لم يكن حالا فيه.

فإن قالت النصارى يصح حلوله في محل بعد أن كان لا في محل ،فيخيرهم القاضي بين وجهين لا ثالث لهما: الوجه الأول: القول بوجوبه. و الوجه الثاني: القول بجوازه و جواز خلفه.

و لا يمكن للنصارى القول بالوجوب، لأن الحلول لم يكن دائما ، فقد مر زمن لم يكن فيه حلول

---

(١) إطلاق كلمة المسيح كما سيمر إنما يقصد به عند النصارى جسد عيسى الذي اتحد به اللاهوت.

(٢) انظر : رد الوراق . الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ص٣٥٤-٣٥٥ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٦٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٦٣/٣.

(٣) التمهيد ، الباقلاني ، ص٩٥.

" ولأنه إذا كان باقيا (المسيح) و يصح أن يحل فيه، فقد جرى مجرى الجواهر الذي في حال بقائه يصح أن يحصل في جهة مع جواز ألا يحل، لأن ذلك يوجب كونه حالا فيه لمعنى، و ليس ذلك بمذهب للنصارى، لأنهم يقولون:إن القديم اتحد بعيسى، و إنهما كانا جوهرين و طبيعتين منفصلتين، ثم صار الشخص يحتوي عليهما و لا يثبتون أمرا ثالثا ". [1]

و مما يدل على أن كل شيء وجد لا في محل يستحيل وجوده في المحل:أن الجوهر لما استحال حلوله في المحل استحال ذلك فيه على كل وجه، و أما العرض لما صح حلوله في المحل وجب كونه حالا فيه في كل حال، فبطل قول النصارى بالحلول في مكان بعد أن لم يكن.[2]

وأما الوجه الثاني –و هو القول بجواز الاتحاد لا في محل، وجواز خلفه ــ فهذا يبطله القاضي أيضا، لأن ذلك يوجب كونه حالا فيه لمعنى، وليس ذلك بمذهب للنصارى، لأنهم يقولون: إن القديم تعالى اتحد بعيسى، وإنما كانا جوهرين وطبيعتين منفصلتين، ثم صارا كشخص واحد، فهم لا يثبتون أمرا ثالثا [3]

ما هي آثار الاتحاد؟

كما استدل أصحاب الردود المسلمين على بطلان حدوث الاتحاد بالنظر في آثار هذا الاتحاد، إذ لا يمكن أن يحصل مثل هذا الاتحاد العظيم، ثم لا يكون له أثر كبير يظهر على المتحد به ، و على البيئة التي حصل بها الاتحاد.

ونبه شيخ الإسلام إلى الأثر الملحوظ الذي نراه في الإنسي إذا حل به الجني، و البدن إذا حل به الروح، لكنا لا نرى أي أثر للاتحاد المزعوم بين الله و جسد عيسى، فالمسيح يأكل و يشرب، و يجوع و يحزن، و يصفع و يصلب، ثم يموت.[4]

بينما تذكر التوراة أن الله عندما كلم موسى ظهر لذلك الحدث أمور كبيرة، فقد أشرق ما حول العوسجة التي كلمه الله عندها، و اضطربت النيران في الجبل، و التبس وجه موسى كالنور الساطع حتى كان يتبرقع إن جلس بين يدي بني إسرائيل بعد ذلك(انظر الخروج ٣٤/٣٣-٣٥)، كل ذلك حصل بسبب تجلي ساعة من غير حلول، بينما لا تذكر النصارى أثرا في اتحاد و حلول استمر سنين طويلة، فدل ذلك على كذب النصارى في هذه الدعوى.[5]

و هذا داود عليه السلام يقول"يا رب إنك حيث عبرت ببلاد سينين تزلزلت الأرض منك،

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣١/٥ ، إرشاد الحيارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٥.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٠/٥.

(٣) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، القاضي عبد الجبار،١٣١/٥ .

(٤) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣١/٥-١٣٢ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٤٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٨٥/٢ ، ١١٠/٣ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص٨١ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٥أ.

(٥) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٣٢٥/٢ ، و انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٧٠/٢ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ١٣أ.

و انفطرت من هيبتك " (المزمور٧٧/١٨-١٩)، و يقول و هو يخاطب الجبال و البحر " ما لك أيها البحر هاربا، و أنت يا نهر الأردن لم وليت راجعا، و ما لك أيتها الجبال تنفرين كالأبابيل، و مالكن أيتها الشوامخ و الهضبات تنزوان نزو الشياه " ،ثم قال كالمجيب عنها :" من قدام الرب تزلزت البقاع " (المزمور ١١٤/١-٨) .

و يتساءل الحسن بن أيوب إن كان المسيح هو الإله الأزلي أو المتحد به ،فكيف لم ترجف بين يديه الجبال، و لا ظهر أثره في البحار، و لم تظهر منه آيات باهرات أجل من آيات الأنبياء بل هو يأكل و يشرب....[1]

و لو قال قائل من النصارى بأن أثر الاتحاد تجلى فيما صدر عن عيسى من أفعال إلهية معجزات فهذا قول ركيك، فقد سبق ما يلزم النصارى بالقول بألوهية سائر الأنبياء الذين ربما فاقت معجزاتهم معجزات المسيح. بل و يلزم أيضا جواز حلوله في الجماد.

و لا وجه يمنع من ذلك إلا و هو يمنع حلوله بعيسى، بل و يجب على النصارى أن يجوزوا حلوله في كل حي و إن لم يظهر منه أفعال الفعل الإلهي لأن اللاهوت يجوز أن يتحد بالجماد و غيره و يظهر على يديه أفعالا إلهية كما كان " يخترع على يد عيسى و عند قوته الأفعال الإلهية فإذا جاز وجوده فيما لم يزل، و إن لم يظهر منه ذلك...فقد صح بهذه الجملة بطلان قولهم بأنه اتحد بعيسى على سبيل الحلول ".[2] كما يجوز ظهور الفعل الإلهي من غير اتحاد.

كما أن المسيح لم تظهر منه المعجزات في سائر لحظاته، أي مر عليه زمن و هو متحد به و لم تظهر منه أفعال إلهية، فكما جاز ظهورها و غيابها، فلعلها تظهر لغيره و تغيب، و نرى حال الغيبة و يخفى علينا حال الظهور.

و قول النصارى بأن الفعل الإلهي صار له بعد أن لم يكن " يوجب كون اللاهوت قدرة، عند وجوده صار المحل (المسيح) قادرا على ما لم يكن قادرا عليه، و صح منه ما لم يصح منه من قبل، و في بطلان ذلك دلالة على بطلان هذا القول ".[3]

لم اختصت الكلمة بالاتحاد؟ ولم اختص به المسيح؟

و تساءل أصحاب الردود المسلمين عن سبب تخصيص النصارى الملكية الكلمة بالاتحاد بالمسيح دون الأقنومين الآخرين ،و يرفض القرطبي زعم مجادله " بأن المسيح اتخذ للموعظة، و لو اتخذ جسما ليخلق الخلق لسماه أبا " و يرد القرطبي بذكر أفعال المسيح التي لا علاقة لها بالموعظة إذ هو أبرأ و أحيا وخلق ، و هذه الأمور كلها لا تقع إلا بالإرادة و القدرة فكان ينبغي القول بأنهما أيضا اتحدتا بالمسيح و ليس الكلمة فحسب، أو أن يقول النصارى أنه كان يفعل هذه الأمور من غير قدرة، أو أن يثبتوا للابن جميع ما أثبتوه للأب من صفات،و يلزم عليه تعدد الآلهة الذي تفر منه النصارى كما يلزم على

---

(١) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٣٢٥/٢.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٥/٥-١٣٦.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٢/٥.

قول النصراني أن كل الأنبياء و العلماء اللذين اتخذوا للموعظة قد اتحدت بهم الكلمة .[1]

ثم هل كان تكليم الله للأنبياء عن طريق الملائكة كافيا أم لا ؟و هل كان تبلغيه الأوامر للناس عن طريق الأنبياء و الملائكة كافيا أم لا؟

فإن كان كافيا فالمسيح كغيره من الأنبياء أمكن أن يوحى إليه من غير اتحاد، و إن لم يكن كافيا فالواجب أن يتحد الابن بمن سبقه من الأنبياء لحاجة أقوامهم إلى ذلك. فبطل حينذاك الاتحاد بسبب الموعظة كما لا دليل عليه في الكتب المقدسة عند النصارى .

و أيضا فالله عز و جل لم يكلم أحدا من الأنبياء إلا من وراء حجاب لامتناع الرؤية و استحالتها في الدنيا، و الحلول أولى بهذا الامتناع.

و إن كان الاتحاد بعيسى إنما تم بعد أن أعطي القوة لذلك ،فإن الاتحاد جائز مع كل أحد إذا أعطي القوة لذلك، و ليس للقول باختصاص المسيح عمن قبله أو بعده وجه، لكن ذلك محال للمسيح و لغيره.

أما تكليمه للبشر فلما كان ممكنا خص به الأنبياء من بين البشر. و أما الحلول فكما كان محالا بحق سائر الناس من الأنبياء و غيرهم، فهو محال في حق المسيح عليه السلام. و تنفي النصوص التوراتية أيضا رؤية الله عز و جل في الدنيا فالحلول منفي من باب أولى.[2]

إبطال الاتحاد بلوازمه العقلية.

و يلزم على القول بالحلول لوازم غير مقبولة عقلا، و هذه اللوازم تلزم النصارى إن قالوا بحلول الابن(الكلمة) (العلم) في جسد عيسى، و إن لم تكن لهم مذهبا، و من هذه اللوازم التي تفسد مقالتهم

أنه يجب على قولهم بالتجسد للكلمة تجويز انقلاب الحقائق، و المعاني لا تتجسد و لا تنقلب إلى حقائق، فلئن جوز النصارى ذلك ليجوزن انقلاب كل حقيقة، فيجوز حينئذ كون الحادث قديما، و القديم حادثا و الجسم عرضا..و هذا كله من المحال .[3]

و إذا صح وقوع الحلول فيلزم أن تلحق الحال أحكام ما حل فيه، فيجوز عليه العدم و التغير و الانتقال و غير ذلك من النقائص التي لا تقوم إلا بالمحدثات.[4]

كما يلزم جواز انفصال الصفة عن موصوفها و هو محال لأن الصفة لا تفترق عن موصوفها لا في

---

(١) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص٩٣ ، ١٣٩-١٤٠ ، و المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٤٠/٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص٣٥ ، ١١٥ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦١/٢ ، ١٦٦.

(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦٦/٢-١٧٤ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص٩٥.

(٣) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص٩٨ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٦٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦/٢ ، ١٥٨ ، ١٦١.

(٤) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٢/٥ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٣.

الذهن المجرد و لا في الوجود الحقيقي، و لا يمكن ذلك إلا بأن تتحول الصفات إلى جواهر، و هو أيضا محال يلزم منه تعدد الآلهة الذي تفر منه النصارى [1].

ثم لا تخلو الذات التي حلت أو حل جزء منها في جسد عيسى عليه السلام من أحوال:

الأول : أنها بقيت بعد حلولها في الجسد كما هي، و عندها نستطيع القول بأنه لا حلول.

الثاني : أنها نقصت بعد حلولها في جسد عيسى، و عليه فهي لا تصلح للألوهية لنقصانها.

الثالث : أن يقول النصارى بأن الذات خلت تماما عن موصوفها الذي اتصف بعد انفصال العلم بالجهل و هو قبيح و مستنكر.

الرابع : أن يزعم النصارى بأن الصفة حلت في عيسى من غير أن تفارق موصوفها ،و هو محال لأن الصفة لا تحل في مكانين، و لو صح حلول العلم في مكانين لصح أن يكون المرء موصوفا بنصف علم و ذلك محال لأنه لا يتبعض، كما يترتب عليه محال آخر هو الجمع بين النقيضين، فلو قلنا: الله عالم، وعيسى عالم،و العلم بينهما واحد، فينبغي إذا علم الله أن نفسه قديما باقيا موصوفا بصفات الكمال أن يعلم أنه كذلك، و إذا علم عيسى نفسه متغوطا بائلا مصفوعا فينبغي أن يعلم الله أيضا في نفسه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

و يطرح شيخ الإسلام تساؤلا على النصارى إذ لا يخلو في اتحاد الكلمة أن يقولوا بأحد أمرين الأول: أن المسيح علم جميع علم الله، و الثاني:أنه علم بعضه. و الأول يكذبه الإنجيل، و الثاني يجعله كغيره من الأنبياء فأي الرأيين يختاره النصارى ؟!

الخامس: أن يقولوا بأنه بقي عالما بغير العلم الذي اتحد بالمسيح ،و عندئذ يستطيع النصارى القول بأنه قامت به صفة حادثة، و هذا مفض إلى القول بحدوث الأقانيم .[2]

من اللوازم أيضا التي تلزم من قال بالتجسد أن يقول باستحالة الإله المتحد وتغيره، لأن الاتحاد يصير الاثنان واحدا ، فثبوت أحدهما ينفي الآخر ، و إن قالوا بتجانسهما على حالهما فلا اتحاد ، أو يلزمهم القول بالاستحالة و التغير، و يصدق حينذاك تمثيلهم للاتحاد - كما سنرى - بالامتزاج بين الماء و الخمر أو اللبن و الماء .[3]

---

(١) انظر : الإرشاد ، الجويني ص٥١ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص٣٥ ، ١١٥ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦١/٢-١٦٦ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص ٣-٤.

(٢) انظر : الإرشاد ، الجويني ص ٤٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص ١٣٨-١٤٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٦٧/٢ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٤.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٦٧/٢ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٩-١٠.

مغالطة النصارى في تشبيه مذهبهم في الاتحاد بقول المسلمين في الصفات.

و تعرض أصحاب الردود المسلمين لأمثلة ثلاث ضربها النصارى للتمثيل على الاتحاد و خصوا بها المسلمين.

الأول: تشبيههم الاتحاد بأنه كقول المسلمين في الاستواء على العرش ،و القرطبي ذكر هذا من كلام مجادله و رد عليه بتأول صفة الإستواء و حملها على الاستيلاء، و لكن لا مزية فيه ليس على غيره لأن الله متحد – حينذاك – مع عيسى و سائر الخلق .

و نـــبه القرطبي إلى أن هذا القول تلبيس منهم لأن أحداً من المسلمين لا يسمي هذا اتحاداً أو غير ذلك مما يطلقه النصارى في هذا الباب .[1]

و لعل الذي أراده النصراني من هذا التشبيه و التمثيل أمر آخر لم ينتبه إليه القرطبي أو أعرض عنه ألا و هـــو: كمـــا أن المســـلمين يؤمنون بالاستواء من غير مماسة كذلك يؤمن النصارى بالاتحاد من غير اســـتحالة و لا تغير، أو بعبارة أخرى:كما يؤمن المسلمون باستواء يجهلون كيفيته، فإن النصارى يجهلون كيفية حصول الاتحاد الذي يؤمنون به.

والفرق كبير بين الاستواء و الاتحاد، فالمسلمون حين يقولون بالاستواء فإنهم يفرقون بين حقيقتين متباينتين. الذات الإلهية و العرش. بينما النصارى يتحدثون عن خلطة و امتزاج حقيقتين متباينتين من غير استحالة، فهذا وجه لا يعقل أبداً .

الثاني: الذي مثله النصارى للمسلمين هو تشبيههم الحلول و التجسد بالصوت الذي سمعه موسى من الشجرة عـــندما كـــلم الله، فكما جعل الله الشجرة حجاباً لإرادته كذلك جعل المسيح حجاباً لإرادته. و الله لا يعجزه شيء و هو على كل شيء قدير .

و كما أنزل موسى الصوت المسموع منـــزلة الرب جل و علا- و الصوت كما يزعم النصراني لا يكون إلا فعلاً خلقه الله في الشجرة، و إلا يقع المسلمون بزعمه في التشبيه – فكذا جعل المسيح حجاباً ليبلغ دعوته بنفسه فاتخاذ حجاب من الصورة مثل اتخاذ حجاب من الصوت ،و رد القرطبي على هذا المثال بأمور:

_ أن مذهب النصارى هو التشبيه و التجسيم و هو ما يلزم على هذا القول

_ لـــو سلمنا جدلاً بأن الله قد احتجب بالصوت الذي سمعه فكان حجاباً لإرادته. فهل لو خلق الله خطوطاً على حجر نستدل بها على إرادته. هل نقول إن الإرادة احتجبت بجماد ينبغي عبادته ؟ و مثال هذه المسألة لو كتبنا على ورقة لفظ " النار " فهذا نوع من الحلول لا يتخيل عاقل أنه يحرق الورقة.

_ لـــو سلمنا جدلاً بأنه يصح أن تظهر إرادته بحجاب الصوت، فما الدليل على جواز احتجابه بحجاب الصورة ؟وما الجامع بينهما ؟

---

(١) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص ١٣٢.

_ الاستدلال بأن الله على كل قدير استدلال باطل، لأن قدرة الله إنما تتعلق بالممكنات لا بالمستحيلات. و المستحيل لا يوصف الله بالقدرة عليه أو العجز عنه.ثم يعود القرطبي ويقلب عليهم دليلهم فيقول: هل يقدر الله أن يظهر نفسه من غير صورة ؟ فإن قالوا:لا. نسبوا العجز لله ، و إن قالوا: نعم. فلا فائدة لهذا الظهور.

و يرى شيخ الإسلام أن تمثيلهم هذا مبطل لألوهية المسيح فكما أن الشجرة لا توصف بشيء من الألوهية مع أن المسموع منها كلام الله. فكذا عيسى ليس بإله علاوة على أن المسموع منه هو صوت ناسوت.

و مفارقة أخرى لا يرتضيها النصارى عند اطراد القياس : أن الكلام المسموع من الشجرة هو كلام الله وحده و ليس للشجرة منه شيء. و عند تطابق المثال يكون الذي يكلم الناس في ناسوت المسيح هو الله نفسه جل و علا، و النصوص ترد ذلك وتمنعه.

و أمر آخر إن الكلام الذي سمعه موسى من الشجرة كان كلاماً يفيد الربوبية ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني و أقم الصلاة لذكري * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾[1] و ﴿ إني أنا الله رب العالمين ﴾.[2] بينما الكلام المسموع من المسيح كله إقرار بالعبودية و الضعف و العجز، و التسوية بين هذين الأمرين من الضلال المبين .

و ثمة أمر آخر يخاطب به النصارى :هو قعود معجزات عيسى عليه السلام عن معجزات أخيه موسى عليه السلام، فكيف أعطى اللاهوت لموسى -و قد كلمه فقط- ما لم يعطه لعيسى و قد حل به ؟

و ينبه شيخ الإسلام أيضا إلى أن الله لم يحل بالشجرة باتفاق الأمم، إنما كلمه منها، فلا صار هو و هي جوهراً واحداً، و لا اتحد بها، فلم يصح تمثيل ذلك بالحلول الذي تقوله النصارى في عيسى.

و أما الكيفية التي كلم الله بها موسى من الشجرة فإنما هي من جنس ما أخبر بنزوله إلى الدنيا و نزوله يوم القيامة لحساب الخلق، أي أن الكيف مجهول، و التخرص به لا يخلو من التشبه بالمخلوقات، و القياس عليهم، كما لا يخلو من القول على الله بغير علم .[3]

الثالث:من الأمثلة ما ذكره القاضي عبد الجبار من تمثيل بعضهم للحلول الذي يقوله المسلمون لله في كل مكان، و مقصدهم علمه و حفظه جل و علا.

و يرى القاضي أن مقصود النصارى من هذا التمثيل: أن المسلمين ينبغي عليهم أن يسلموا للنصارى بجواز الحلول و الاتحاد بعيسى على غير سبيل المجاورة و الممازجة، كما يقول المسلمون بحلول الله في كل مكان لا على سبيل المجاورة و الممازجة.

و لكن ذلك لا يشبه قول النصارى الذين أثبتوا لله مجاوراً على الحقيقة لا المجاز ،ثم جعلوه مختصاً بعيسى دون غيره، من غير دليل على هذا التخصيص ،فكما صح اتحاده بعيسى كان ينبغي أن يصح بمن ظهرت على يديه الأفعال الإلهية (المعجزات).بل و ينبغي أن يحل فيمن ظهرت به المعجزة الإلهية و انتفع

---

(١) سورة طه ، آية ١٤: ، ١٥.

(٢) سورة القصص ، آية :٣٠.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢٧٢-٢٧٦.

، لكن ذلك لا يشبه قول النصارى الذين أثبتوا لله مجاورا على الحقيقة لا المجاز ،ثم جعلوه مختصـــا

المطلب الخامس:

خلاف الفرق النصرانية في طبيعة المسيح، و نقد أمثلتها المضروبة للاتحاد.

إن وقوع الخلاف بين الناس في كثير من الأبواب وارد و طبيعي، لكن وقوعه في أصول عظيمة مع اتحاد المخرج الذي صدر عنه المختلفون أمر لا يعقل.

لقد كان اختلاف النصارى أمرا لحظه علماؤنا،و استدلوا به على بطلان دين النصارى، و قبل أن نفصل في أقوال الفرق النصرانية المختلفة نعرض لبعض كلام علمائنا عن الافتراق عند النصارى.

إن اختلاف النصارى لا يكاد يوقف له على نهاية لكثرة الأمور التي يختلفون عندها، و هي في أصول الدين لا فروعه،و يصور بعض العقلاء كثرة اختلافهم بأنه " لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولا ".(١)

و هذا الخلاف تجده بين أفراد المذهب الواحد فإنك " لو خلوت و نصراني نسطوري فسألته عن قوله في المسيح لقال قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه و أبيه، و هو نسطوري مثله، فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه و ضده، و كذلك جميع الملكانية و اليعقوبية ،و لذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان ".(٢)

و أسباب هذا الخلاف و كثرته متنوعة فمنها أنه"كان أصل اعتقادهم جهلا و ضلالا، ليس معهم علم و لا نقل، و لا عقل " .(٣) و منها الألفاظ التي عليها مدار دينهم من أقانيم و جوهر و غيرهما " لم ينطق به — عندهم – كتاب، و لم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم، و لا في كلام الحواريين، بل هي لفظة ابتدعوها ".(٤)

و لهذه الاختلافات الكبيرة في الأصول لها مدلول عند المهتدي الحسن بن أيوب إذ يقول: " هذا أيضا من سوء الاختبار، و ذهاب القلوب عن رشدها، و انصرامها عن سبيل حقها...و دل اختلافهم في مقالاتهم، و ما بينها مما في كتبهم على أنها باطلة ".(٥)

و عند العودة إلى ظاهرة الافتراق عند النصارى نجدها واضحة في تحذير رسول الله صلى الله عليه و سلم عن فعلهم و افتراقهم حيث يقول:" تفرقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة، أو اثنتين و سبعين فرقة، و النصارى مثل ذلك، و تفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة ".(٦)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٥٥/٢ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٥.

(٢) المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص٩٥.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦٤/٣ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٢ب.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٠٠/٢.

(٥) رسالة الحسن بن أيوب ٣/٣-٤.

(٦) رواه أبو داود في سننه٥٠٣/٢ ، و الترمذي في جامعه٣٦٧/٣ ، ابن ماجة في سننه٤٧٩/٢ ، و أحمد في المسند ١٠٢/٤ ، و كل ذلك عن جمع من الصحابة منهم أنس و أبو هريرة و معاوية.

و يأخذ الشهرستاني و الترجمان بظاهر الحديث أي أن النصارى قد افترقوا على اثنتين و سبعين فرقة تحديدا، لكن الترجمان لا يذكر في رده سوى فرقتين لاشتهارهما، و يضرب الصفح عن باقي الفرق. كما ترك الحديث عنها سائر أصحاب الردود الذين اهتموا بالفرق الرئيسية الأربع و تركوا ما سواها من الفرق ،فلربما لم يذكر لبعضها سوى الاسم.(١)

و من هذا الفرق التي وردت في كتب أصحاب الردود من غير تفصيل في الحديث عنها المريمانية، والإليانية، البليارسية، و المقدانوسية، و السبالية، و البوطينوسية و البولية و البربرانية....

و بعض هذه الفرق فرق انقرضت، و بعضها فرق متشعبة عن الفرق الرئيسية الأربع .(٢) و كان محور خلاف هذه الفرق هو طبيعة المسيح بعد الاتحاد غالبا.

و الفرق الرئيسة الأربع في النصرانية ثلاث منها: مثلثة، و الرابعة: موحدة ،فالفرق المثلثة هي:

١-اليعقوبية: أتباع يعقوب السروجي، و يسمى البردعي راهب القسطنطينية، و هم كما وصفهم نصر بن يحيى فرق كثيرة.

و تقول اليعقوبية بأن المسيح مكون من طبيعتين:إلهية و ناسوتية. تركبتا في طبيعة واحدة. و قالوا: هو جوهر من جوهرين، و أقنوم من أقنومين، فالمسيح إله كله و إنسان كله، و هو شخص واحد.

و تقول اليعاقبة بأن مريم ولدت الله الأزلي فهو المحدث بعينه.و يرى بعض اليعاقبة أن الاتحاد على سبيل الممازجة و المخالطة.

و اليعاقبة كسائر الفرق النصرانية المثلثة تؤمن بالأمانة التي تتحدث عن أقانيم ثلاثة، لكنهم يقولون :إن الكلمة انقلبت لحما و دما، فصار الإله هو المسيح و هو الظاهر بجسده بل هو هو .(٣)

و قد افترقوا عن الفرق الأخرى عند مجمع القسطنطينية الثاني، و تعتبر فرقة الأرثوذكس الموجودة الآن امتدادا لهذه الفرقة ،و ينتشر مذهبهم في مصر و الحبشة و صربيا و روسيا.

٢-الملكية(الروم).فيقولون :الاتحاد أثمر جوهرين بأقنوم واحد له طبيعتان و مشيئتان. فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الله، بها أحيا الموتى و بها أقام سائر المعجزات، و له بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم و داود و سائر الناس، فبها يأكل و يشرب...

و تقول الملكية بأن المولود من مريم هو المسيح الذي اتحد به الابن، و أن المصلوب هو الناسوت

---

(١) انظر : الملل و النحل ، الشهرستاني ط دار المعرفة ، بيروت ، ٢٢٢/١ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص ٧١ .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٨/١ ، الملل و النحل ، الشهرستاني ، ٢٢٢/١ ،

(٣) انظر : رد الطبري و الحسني و الوراق في الفكر الإسلامي ، الشرفي ص٢٩٠ ، ٢٩٤ ، رسالة الحسن ٣١٥/٢ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٩/١ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص٥٨ ، الملل و النحل ، الشهرستاني٢٢٥/١-٢٢٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ١٦٤ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٣ب ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٢٦.

وحده لأن اللاهوت لا يموت.

و تقول أيضاً بأن المتحد به هو الإنسان الكلي لا الجزئي.... و لو كان اتحد بإنسان واحد لكان إنما أراد تخليص ذلك الواحد لا الكل.(١)

وتعتبر فرقة الكاثوليك المعاصرة امتداداً لهذه الفرقة ،وينتشر مذهبهم في عامة دول أوربا وكثير من البلاد النصرانية المختلفة.

٣ـ النسطورية: أتباع نسطور الذي كان يقول: يستحيل أن يصير الأزلي زمانياً، و الزمني أزلياً بجهة من الجهات جوهراً كان أم أقنوماً. بل المسيح معنيان أحدهما زمني، و الآخر أزلي، فالابن متحد بالمشيئة و الإرادة ،و الفعل منهما واحد يظهر في جسم عيسى.

و بهذه المثابة يعتبرهم القرافي أقرب مذاهب النصارى للصواب.

و لكن مذهب النسطورية تطور بعد نسطور فقالوا: المسيح جوهران أقنومان باقيان على طبيعتهما، و زعموا أن الأب ولد إلهاً ابناً، فوافقوا الملكية بذلك ، و قالوا بأن مريم ولدت إنساناً، و أن اللاهوت لم يفارقه قط من اتحد به.

ويرى النسطورية أن المصلوب هو الناسوت فقط ،و قد انتشر مذهبهم في العراق و الموصل و الجزيرة بالشام.(٢)

أما الفرقة الموحدة فتدعى" الأريوسية " نسبة إلى أريوس الاسكندراني في القرن الرابع الميلادي ، و قد كان يقول بأن الله واحد و سماه أباً، و أن عيسى عبد الله و ابنه على جهة الاصطفاء ،و نبوته كسائر النبوات التي ذكرها الكتب المقدسة كما يعتقد أنه مخلوق فوضه الله فكان خالقاً للسماوات و الأرض و ما بينهما كما قالت الأناجيل بذلك.(٣)

و الأريوسية يوافقون النصارى على الألفاظ (الآب و الابن و روح القدس) من غير أن يقولوا بألوهية المسيح أو روح القدس .

و قد بالغ القرطبي في مدحهم حين قال " و لا يكاد مذهبهم يخالف مذهب المسلمين إلا في

---

(١) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٨٣/٥-٨٤ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٩/١ ، الملل و النحل للشهرستاني ٢٢٢/١-٢٢٤ ، الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص١١٠ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٦٥ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٥ب ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٢٦.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٨٤/٥ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٩/١ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص٥٩ ، و الملل و النحل الشهرستاني ١١٤/١-٢٢٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤١ ، ١٠٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣١٤/٢ ، ٣٦/٣-٤٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٦٥.

(٣) ما نذكره هنا وبعد عن الفرق الموحدة، إنما نعني به القول بأن الله واحد لا ثالوث، ورفض ألوهية المسيح والروح القدس، واعتبارهما عبدين من عباد الله فحسب، وما يرافق هذا القول من أقوال مبتدعة وقد يستلزم بعضها الكفر والشرك لا نوافقهم عليه إن صح نسبته إليهم ، ولا يمكننا الجزم بذلك ولا رفعه لأن كل ما ينسب إليهم إنما نقل إلينا من أقوال مخالفيهم الوثنيين من النصارى.

كما نقول بتعويض عيسى عليه السلام
خالق السماوات والأرض

إنكارهم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ".

بينما كان الخطيب أكثر دقة في تصوير مذهب الأريوسية حين ذكر موافقتهم لنا على نفي التثليث و مخالفتهم لنا في نسبة الخلق لمحدث هو عيسى عليه السلام من غير وجود دلالة حقيقية في النص الإنجيلي المزعوم[1].

و النص الذي استند إليه أريوس حين نسب الخلق للمسيح-كما نقل ابن حزم- ما جاء في الأناجيل " الأب يخلق، و أنا أخلق " (لم أجده في الترجمة الحديثة من كلام المسيح،وإن وجدت نصوصا لبولس قد يفهم منها هذا المعنى)[2] و قوله " إن أنا لم أعمل أعمال أبي فلا تصدقوني" (يوحنا١٠/٣٧).

وعليه نستطيع القول بأن هذه الفرقة بقيت دهرا من تاريخ النصرانية، و شاعت قبل أن تغلبها النصرانية المثلثة، و قد كان على مذهبها بعض ملوك الروم، و يؤكد زيادة نصب الراسي وجود التوحيد طوال تاريخ النصرانية و بقاءه حتى أيامه في بلاد شتى من الأرض، كأمريكا و استراليا و غيرهما من البلاد.[3]

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٨/١ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٢٧ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ص٣٤ ، ٩٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٩٤/١ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٢٧.

(٢) انظر :كولوسي ١٦/١-١٧ ،وأفسس ٩/٣ .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٨/١ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٣أ-٣ب.

إبطال مذاهب الفرق النصرانية في الحلول.

مذهب اليعقوبية.

يعتبر مذهب اليعقوبية - وفق العقيدة الإسلامية -أشد مذاهب النصارى كفرا إذ أنه جعل الله هو المسيح عليه السلام كما قال الله عنهم ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾[1].

و يعرض الخطيب لطبيعة الاتحاد عند اليعاقبة، و يتساءل عن معنى هذا الاتحاد، و يطرح الوجوه المختلفة المحتملة " إن أردت به أن يرجع الاثنان واحدا فمحال.

و إن أردت به الاختلاط كما يتوهم المتوهم اختلاط الأجسام فهو أيضا محال، إذ الاختلاط لا يتصور في الأجسام، و إنما هي مجاورة ".

فالاحتمال الأول:أن يرجع الاثنان واحدا محال، لأن الأعراض و هي أعراض لو اجتمعت في محل واحد لم تصر شيئا واحدا ،و تفسيره لا يخرج عن حالتين:أحدهما الاحتمال الثاني الذي أورده الخطيب، و ثانيهما :احتمال ثالث أورده بعد ذلك.

و الاحتمال الثاني و هو القول بالممازجة و هو قول بعض اليعاقبة ،و يشبهون له بالنار و الفحمة حيث يصيران جمرة، و ربما شبهوا له بخلطة الماء باللبن أو الماء بالخمر. و لا ريب أن الخلطة هنا خلطة حقيقية لا يصح معها قول الخطيب بأن الخلطة ممتنعة في الأجسام و الذوات إلا في باب المجاورة.

و يبطل السعودي هذه الخلطة الفاسدة لأنه إن كان الجوهران و الأقنومان سليمان في المسيح لم يصدق قول من قال: إنهما صارا شيئا واحدا بالعدد. و إن كانا تفاسدا فينبغي أن لا يوجد المسيح بل يتلاشى. و إن كان الجوهران و الأقنومان قد صارا واحدا، فيجب أن يبطل كل منهما فعل الآخر، فيبطل فعلهما، و التغاير في الأفعال واجب، و لازم لتغير الطباع، لأن مختلفي الطباع إذا تركب منهما طبع آخر لم يبن فعل الأول و لا الثاني فيجب أن لا يظهر للمسيح فعل لاهوتي و لا ناسوتي، و عليه فالمسيح ليس بإنسان و لا إله، بل هو شيء آخر عجيب.

و يمثل السعودي بمثل لا يصح، و هو أن الأشياء تتركب من التراب و الهواء و الماء و النار، و هي مع ذلك ليست بتراب و لا ماء...فيكون المسيح لا إله و لا إنسان.

و يلزم القائلين بالخلطة أيضا الجمع بين حقيقتين متنافرتين، و هو كالجمع بين الثلج و النار، فصيرورتهما جوهرا واحدا مستحيل في العقل مع اشتراكهما في أصل الجوهرية، و صيرورة خالق الجواهر أولى بالاستحالة.

و إن كان أحد الجوهرين قد أبطل الآخر فتلك رزية كبرى، لأن إبطال اللاهوت للناسوت لم يتحقق بشهادة الأناجيل و الواقع، و ينبغي أن لا يصدر من المسيح أي فعل إنساني.[2]

و أما الاحتمال الثالث -الذي أورده الخطيب منفصلا -فهو قول اليعاقبة " صار الأزلي هو المحدث بعينه،

---

(١) سورة المائدة ، آية :١٧

(٢) انظر : الأوسط في المقالات ، الناشئ الأكبر ص ٨٣ ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٣٧-١٣٩ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ،ص ٩٥ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ .

و صار المحدث هو الأزلي بعينه، فقد قلبت حقيقتهما " و هذا الاحتمال هو قول جمهور اليعاقبة ،و هو أيضا " محال لأن القديم الذي لا أول لوجوده ، لا يتصف بالزمان و لا بالمكان، و لا يتصور في الخواطر،ولا الأوهام.

و حقيقة الحادث ما له أول ،و يصح وصفه بالزمان و المكان، و يتصور في الخواطر و الأوهام، فقد جمعت بين نقيضين"[1]

و يبطل القاضي عبد الجبار و الترجمان و السعودي هذا الاحتمال أيضا من وجوه مختلفة يحيلها العقل و يرفضها:

- منها أنه لو صح هذا المعنى لوجب أن يستحيل الموت على الناسوت لخروجه عن الطبيعة الناسوتية و كذا كل فعل يختص به الإنسان لا يجوز عليه كالأكل و الشرب....و إلا فلا فائدة للاتحاد ولا معنى له.[2]

- و منها استحالة انقلاب الإله إلى جسد ،لأنه إن كان المسيح خالقا أزليا و هو مكون من لحم و دم، فهذا يعني أن بعضه أزلي و بعضه مخلوق، فالأغذية و الأشربة كانت أصلا له و هو خالقها.

- و منها أن المسيح قلم أظافره و قص شعره فبانت منه هذه الأجزاء و تلاشت و فسدت، و من فسد بعضه و تلاشى فالفساد واصل إلى كله،و من كان له بعض و كل، فهو مفتقر و ليس بغني. و الله لا يكون كذلك.

- و منها أن المسيح محدود بحدود الزمان و المكان فكيف يكون الزمان قبل خالقه، و كيف يحيط المكان بخالقه.[3]

- و منها انه يلزم اليعاقبة أن يجمعوا بين التناقضات المتنافرات و يسووا بينهما ،فطبع الخلق غير طبع المخلوق فكيف يقال هو هو. هذا محال.و قولهم بمثابة من يقول: الحركة هي السكون، و السواد و هو البياض.[4]

- و منها إن كان جوهر الأزلي و أقنومه قد تغير فقد أصبح زمنيا ،وهذا مستحيل ،لأنه نوع من الاستحالة الممتنعة ،و يلزم عليه أن يكون المسيح ليس بإله، و إن كان الذي استحال هو جسد المسيح فقد أصبح أزليا فهو أيضا يستحيل عند العقلاء و يلزم عليه أن المسيح ليس إنسان، و إن كانت الاستحالة بهما معا فالمسيح ليس بإله و لا إنسان.و إن لم يستحيل شيء من الإنسان و لا الإله فهذا ليس بقول اليعاقبة، بل هو قول النسطورية.[5]

---

(١) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ، ٨٢/٥ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٩٥-٩٦ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٤.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٨/٥

(٣) انظر : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص١٠٥-١٠٨ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٤ب.

(٤) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٤أ-٤٥أ.

(٥) انظر : الأوسط في المقالات الناشيء ص٨٣ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ، ص٤٩ ، إرشاد

- و منها أن القائل بالطبيعة الواحدة يلزم من قوله إبطال طريق معرفة الإله إذا سلم للنصارى هذا القول ، لأنه من قول بعض النصارى -و منهم اليعاقبة- أن عيسى يموت في الحقيقة، و إذا مات خرج اللاهوت من أن يكون متحدا به، و ذلك يوجب كونه غيرا له لجواز انفراده عنه عند موته، و هذا علامة التغاير، بل و يجب على هذا القول أن يجوز على اللاهوت الفناء و الموت، و لصح عليه أيضا جميع الآلام و سائر ما يجوز على المحدثات.فكيف لنا بعد ذلك أن نثبت و نعلم حدوث الأجسام، لأنه جاز كل منهما أن يكون قديما " و في هذا إبطال طريق معرفة الإله أصلا فضلا عن أن يقال أنه ممن يجوز عليه الاتحاد، أو لا يجوز ذلك عليه ".[1]

- و منها أنه حال الاتحاد كان فعل الناسوت هو فعل اللاهوت، و متى جاز ذلك جاز أن تكون قدرتهما واحدة، فوجب كونهما مثلين إن قدر الناسوت لذاته أو قدر اللاهوت بقدرة الناسوت.

- و منها أن المسيح كان عابدا لنفسه حال عبادته و هو مستحيل لأن العبادة كالشكر، فكما لا يجوز أن يشكر نفسه فكذا لا يجوز أن يعبدها.[2]

و يلزم الملكية و اليعقوبية قبيحة لقولهم بأن مريم ولدت الإله، و هذا الإلزام أنه يجوز خروج الرب -تعالى الله عن ذلك - من كل ثقب، كما جاز أن يخرج من فرج مريم.

فإن قيل: خرج من مكان طاهر. نقول : ليس بأطهر من أفواه الأنبياء و غيرها من الثقوب، ولو قال أحد من الناس: إن جبلا خرج أو صخرة من فرج امرأة لضحك الناس من قوله و عقله، فكيف بمن يدعي ذلك لرب العالمين .[3]

والقول بالطبيعة الواحدة تكذبه النصوص و يمجه العقل،فقد تحدثت النصوص طويلا في التفريق بين الرب و المسيح والمغايرة بينهما ،ومن ذلك قول المسيح: " أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم " (يوحنا ١٧/٢٠)، فالذاهب غير المذهوب إليه، ومثله أن المسيح جهل يوم القيامة ،وفوض العلم فيه إلى الله . (انظر مرقس ٣٦/٢٤)، والشيء الواحد لا يمكن أن يثبت لبعضه من الحكم ما يجب نفيه عن الآخر. ومثل ذلك في الأناجيل كثير.[4]

مذهب الملكية

اعتبر ابن تيمية مذهب الملكية أشد أقوال النصارى فسادا وتناقضا،فاليعقوبية مثلا تقول :ولد الإله ومات.والنسطورية تقول: لم يولد،و لم يمت.وهذان القولان متجانسان رغم فسادهما،في حين أن الملكية

الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٤.

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٩/٥ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ١١.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٤٠/٥-١٤١.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣-٤٩ ، ٨٧.

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٥٥/١ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص٧١-٧٣ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٤ب.

تتناقض حين تقول:ولد الإله،و لم يصلب و لم يموت،بل مات الناسوت الذي اتحد به،وكان ينبغي عليهم كما أجازوا عليه الولاد، وهو من عوارض البشر أن يجوزوا عليه الموت والصلب،فالاتحاد كان قائما عند كل هذه العوارض.

و مثله في التناقض عندما رفضوا قول اليعقوبية الذين زعموا أن الجوهر الأزلي صار محدثا و رفضوا قول النسطورية الذين جعلوا المسيح جوهرين متباينين.

ثم قالوا بأفسد منهما إذ قالوا بأن الابن اتحد بعيسى من جهة الأقنومية فقط فهذا القول أفسد من سالفيه، لأن الاتحاد مع الجوهرية و كونها موجودة مستحيل فهو في جهة الأقنومية أشد استحالة لأنها خاصية من خصائص الجوهر .[1]

و يذكر السعودي سبب ردهم الاتحاد إلى الأقنومية لا الجوهر، فيرى بأنه سبب علمهم باستحالته بالنسبة للجواهر[2].

و أما قولهم بأن المسيح جوهران و طبيعتان و مشيئتان و أقنوم واحد، فهو كلام غير معقول لأنه إن كان الاتحاد اتحاد امتزاج فقد صارت الحقيقتان حقيقة واحدة و هو مذهب اليعقوبية .و إن أريد بأن الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحد فهذا حلول و ليس باتحاد، و هو ممتنع لأن المحل أصغر من الحال... و عليه يكون بعض البشر ممن هو أكبر خلقه من المسيح أكبر من الله تعالى.

و إن كان المقصود سوى ذلك من معاني الاتحاد فهو أيضا مما لا يعقل .[3]

ثم كيف تسمي الملكية مذهبها اتحاد مع قولها بأن المسيح طبيعتان و مشيئتان، فالاتحاد إذا مجرد تسمية، و لا أثر لها في المسيح.

و لو كان الاتحاد حقيقيا للزم أن تكون مشيئتهما واحدة، لأن الواحد لا يكون له إلا مشيئة واحدة، و لو كان له مشيئتان للزم أن تكون متماثلتين فتغني أحدهما عن الأخرى، أو مختلفتين فتبطل إحداهما الأخرى، و إن قصدوا من غير صيرورة الأقنومين واحدا - من غير تنافي طبيعتهما - فهو اتحاد الامتزاج و الاختلاط فهذا يلزم عليه تغير الإله و استحالته، و هو باطل و محال.

ثم ما بعد الاتحاد إما أن يكون نقصا أو كمالا فإن كان كمالا فلم لم يتصف به الله قبل الاتحاد ؟ و إن كان نقصا فلا يجوز وصف الله به، ويبقى المخرج من هذا كله إبطال الاتحاد من أصله.

و القول عن شخص المسيح بأنه: قديم محدث. قول قبيح لا يقره العقل، و هو قول الملكية عندما زعموا بأن المسيح جوهرين قاما بشخص واحد.

يلزم على قول الملكية أيضا أن المسيح عندما كان يعبد-كما في الأناجيل-كان يعبد بعضه و هذا مستحيل كما سبق بيانه عند الحديث عن اليعقوبية.[4]

---

(١) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٩٧.

(٢) انظر: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٥ب.

(٣) انظر : :الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص١١٠.

(٤) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٤٠/٥ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٥ب-٤٦أ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٥.

و النصوص الإنجيلية تحدثت عن المسيح طويلا لكنها في كل ذلك كانت تتحدث عن طبيعة واحدة هي الطبيعة البشرية، و معجزات المسيح لا تخرج عن هذا الباب لما سبق بيانه.

مذهب النسطورية.

فرق أصحاب الردود المسلمين في الرد على النسطورية بين مذهب نسطور و مذهب النسطورية من بعده، فالتفريق بين ما قد يصح عقلا أو شرعا و ما لا يصح واجب.

فقول نسطور مقبول حين قال :بأن الأزلي يستحيل أن يصير زمانيا، و الزماني يستحيل أن يصير أزليا .فهذا قول صحيح يتناقض مع قول النسطورية بعده بأن المسيح معنيان أزلي و زمني ، لأن من صفة الأزلي أن لا يقبل الزمني ، و هذا القول يتناقض مع قول نسطور بامتناع تغير الأزلي .[1]

و قول النسطورية بأن المسيح جوهران باقيان على طبيعتهما لا يخلو أن يكون مكونا من شخص أو شخصين.و الأول: ممتنع لامتناع وجود طبيعتين متغايرتين في محل واحد.و الثاني: مخالف للضروريات ومؤد للسفسطة، فإن المسيح واحد كما تقدمه سائر الأناجيل و منه قول بطرس " يسوع الناصري رجل جاء من الله " (أعمال ٢/٢٢)، و قول بولس " واحد هو الله، و واحد هو المتوسط بين الله و الناس" (تيموثاوس(١)٢/٥)، فشهد بأنه شيء واحد و أنه غير الله.[2]

و هذان الجوهران لا يخلوان أن يكونا قديمين، أو محدثين، أو قديم و محدث.فإن كانا قديمين فقد أثبتوا قديما رابعا لثالوثهم هو جسد المسيح و ناسوته.و إن كانا محدثين فقد قالوا بحدوث الابن الأزلي، و عبدوا ما ليس بإله حين عبدوا المسيح، و إن قالوا: أحدهما محدث و الآخر قديم. فقد عبدوا القديم و المحدث حين عبدوا المسيح و هو مجموع الجوهرين، فعبدوا بذلك ما لا يستحق العبادة.[3]

و قولهم ببقاء كل أقنوم على طبيعته و جوهره مبطل للاتحاد إذ لا ثمرة له في الواقع. بل لا يجوز تسميته اتحادا، و لو جاز تسميته لجاز تسمية العرض إذا حل في المحل اتحادا ،فهو بذلك أحق لوجوده في المحل ،لكن أيا من العقلاء لا يسميه اتحادا.[4]

و هذان الأقنومان و الجوهران المتحدان مع بقاء كل على طبيعته لا يخلوان أن يكونا متداخلين أو متجاورين، و القول بتداخلهما يعرض الإله للنقائص التي تعرض لها الناسوت من أكل و شرب وصفع و...فيلزمهم بذلك ما يلزم الملكية و ما هو بالحقيقة مذهب اليعقوبية.

و أما القول بتجاورهما فيلزمهم منه أن أقنوم الإله مدروعا ، و له كمية و قدر.

كما أن كل شيئين تحاذيا لا بد أن يتساويا، أو يتفاوتا، و تساويهما يقتضي مساواة الإله للإنسان ،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٣٨.

(٢) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٦ب.

(٣) انظر: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤١ب-٤٢أ .

(٤) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٤٢.

و تفاوتهما بأن يكون الإنساني أكبر لازم لأنه درع له، و هذا منكر لا يقبل..[1]

و أما قول النصارى بأن الاتحاد كان على وجه المشيئة فهو لا يخلو من أقوال ثلاثة:

١-أن مشيئة عيسى موافقة لمشيئة الرب جل و علا.

٢-أن مشيئة الرب موافقة لمشيئة عيسى، أو هي هي.

٣-أن مشيئتهما متغايرة و لكن يجب اتفاقهما بها.

فالأول: مثبت لجميع الأنبياء، بل و يثبته الغزالي أيضا للأولياء .[2] فلا خصوصية لعيسى عليه السلام في هذا الباب.[3]

و الثاني: قول لا يقبله العقل و لا تستسيغه الأفهام، إذ كيف تكون مشيئة الله الأزلي موافقة لمشيئة إنسان، و هو أيضا ما تكذبه الأناجيل في مواطن كثيرة منها النصوص التي أثبتت تغايرا في المشيئة بين الله و عيسى[4]،و منه تغاير إرادة المصلوب مع تغاير إرادة الله حيث تضرع، و قال:إن كان يستطاع فلتعبر عني هذه الكأس، و ليس كإرادتي و لكن كإرادتك"(متى٢٦/٣٩) فصرح بتغاير الإرادتين.

و نحوه تبرمه على الصليب و سؤاله عن سببه " إلهي إلهي لما تركتني " (لوقا ٢٧/٤٦، متى ٢٧/٤٦)، فعدم معرفته السبب تدل على عدم تعلق مشيئته بوقوعه.

و لما تعلقت مشيئته بمتابعة بني إسرائيل له و أراد جمعهم على الهدى، و لم تتعلق مشيئة الله بذلك بل تعلقت بعدمه، لم تتحقق مشيئته عليه السلام، و لم يتبعه بنو إسرائيل (انظر متى٢٣/٢٧).

و أحيانا كانت مشيئة الله مجهولة لعيسى فضلا عن أن تكون موافقة لها، فقد قصد شجرة التين ليأكل منها، و تعلقت مشيئة الله أن يجدها غير مثمرة، و لم يعلم هو بذلك.(انظر متى ٢١/١٨-٢٢)، و مثله الساعة تعلقت مشيئة الله أن تكون في زمن مخصوص و هو غير عالم به.(انظر متى ٢٤/٣٦).

و لا يمكن أن تكون مشيئة الله هي مشيئة عيسى بدلالة العقل أيضا لتغاير علمهما، فكما جاز تغاير علمهما جاز تغايرهما في الإرادة والمشيئة،و لو اتحدا في العلم لم يلزم منه أن تكون مشيئتهما واحدة[5]، "و لو وجب الاتحاد باتفاق المشيئة دون العلم بالشيء، أو الإدراك له، حتى يقال :إن كل من علم ما علمه أو أدرك ما أدركه يجب أن يكون تعالى متحدا به ، و إذا لم يجب ذلك منه، فكذلك في المشيئة ".[6]

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٧أ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٤٢ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٩.

(٢) و ذلك لا يوافق عليه لعدم عصمة الأولياء ، فلا تكون مشيئتهم دائما موافقة لمشيئة الله جل و علا. بل وحتى الأنبياء قد يقع منهم ما لا يوافق مراد الله عز وجل كما في قصة أسارى بدر.فعصمتهم ليست مطلقة.

(٣) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٢١ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص١٦٥.

(٤) انظر : الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص١٦٥-١٦٦ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٧أ-٤٧ب.

(٥) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١١٧.

(٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١١٧.

كما أن مشيئة الله حالة في بعض المسيح ، و ما يحل في قلب المسيح لا يجوز أن يوجب الحكم للقديم لأنه لا يختص به، و لأن ذلك يوجب أن سائر ما يحل في قلبه يوجب الحكم له، و في ذلك إيجاب للندم و الجهل..و ذلك محال بحق الله عز و جل.[1]

و كيف يجيز عقل النصارى أن توافق مشيئة الله و إرادته التي لا تتعلق بمحل. كيف توافق إرادة الجسم و مشيئته المتعلقة بمحل. بل قد تكون في بعضه.

و مما يبطل هذا القول أيضا أن مشيئة الله سابقة في الزمن على المسيح و مشيئته، فقد مر زمن لم تكن مشيئة الله متعلقة بمشيئة المسيح، و عليه فالمسيح لم يوافقه في جميع الإرادات، فهل يقبل النصارى بعدها أن يقول أحد: بأن فلانا قد اتحد به الله، لأنه قد وافق الله في مشيئة واحدة أو مشيئة و إرادة مخصوصة.[2]

و الثالث: و هو القول بوجوب أن تتفق مشيئتهما مع كونها متغايرة ،وقد أبطله القاضي لأن من حق كل قادرين تصح منهما الإرادة و المشيئة أن لا يمتنع أن يريد أحدهما خلاف ما يريد الآخر، و القول بوجوب اتفاق أفعالهما باطل كما اختلفت دواعيهما في الأفعال.[3]

نقد علماء المسلمين لأمثلة النصارى المضروبة للحلول و الاتحاد.

و قد مثلت الفرق النصرانية لأقوالها في المسيح بأمثلة تقربها إلى عقول الناس بعد أن شعروا بصعوبة أو استحالة فهم هذه العقيدة، و إدراك مراميها، و تنوعت هذه الأمثلة طبقا لتنوع الآراء في طبيعة المسيح و تجسد الابن فيه.

فمن أمثلة النسطورية التمثيل بظهور نقش الفص بالشمع، و ظهور الوجه بالمرآة من غير أن ينتقل النقش للشمع، و لا الوجه للمرآة.[4]

و من أمثلة الملكية ما ذكره سعيد البطريق الملكي حيث شبه الاتحاد بخلطة النار بالحديد، فالحديدة الممحماة تحرق و تقطع و تضيء، و ليس ذلك من فعل الجهة الحديدية وحدها إذ هي لا تحرق و لا تضيء ، كما ليس من فعل الجهة النارية وحدها إذ هي وحدها لا تقطع الحديد.

و شبه البطريق حلول الكلمة في جسد عيسى بحلول الروح في البدن أو الكلام في القرطاس، فالكلمة كلها حالة في القرطاس من غير أن تفارق العقل الذي ولدت منه ،و شبه غيره الحلول بحلول ضوء الشمس و شعاعها في الأشياء.[5]

بينما كان مذهب اليعاقبة أوضح المذاهب للفهم و أقلها حاجة للبيان، و إن كان أشدها كفرا ، وقد شبهوا الله في تجسده بانقلاب الحديدة أو الخشبة إلى جمرة إذا ألقيت في النار، فالجمرة ليست نارا

---

(١) انظر : المصدر السابق ١٢١/٥.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١١٨/٥ ، ١٢١.

(٣) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١١٧/٥.

(٤) انظر : التمهيد ، الباقلاني ، ٨٧-٨٨ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص١٣٢.

(٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣٩/٣ ، ٥٢ ، ١٠٧.

خالصة و لا فحمة خالصة.

و شبهه من يقول بالممازجة و الاختلاط منهم بخلطة الماء و اللبن ،أو الماء و الخمر.[1]

و قبل أن نشرع بالنقد المفصل لهذه الأمثلة نتوقف مع نقطة هامة :إن المثال لو ثبتت صحته، فإن غاية ما يدل عليه إمكان الاتحاد والحلول في الأجسام ،و لا يدل بحال على صحة وقوعه فيما وراء ذلك. إذ الله عز و جل لا يقاس على مخلوقاته.

و تتبع أصحاب الردود المسلمين أمثلة النصارى فوجدوها على ضربين: أمثلة صحيحة للاتحاد الصحيح استشهد النصارى بها في غير محلها، و أمثلة لا تصح أن يستدل بها النصارى، لأنه عند اطراد المثال في أوجه الشبه كافة فإنه يلزم معاني و صور لا يقر بها النصارى،فهم في أمثلتهم يتخيرون ما وافق هواهم و مرادهم، و يدعون ما سوى ذلك.

فتشبيه الحلول بحلول الشمس بالطين و الماء أو غير ذلك من الأشياء تشبيه صحيح لحلول الله في عيسى عليه السلام و سائر الأنبياء، فهو يحل فيهم بشيء من علمه و حكمته التي يظهرها على أيديهم ، و ليس في عيسى أي خصوصية على غيره.

فالحال هنا ليس جرم الشمس إذ المسافة بينها و بين الأجسام لا يقدرها إلا الله عز و جل، كما ليس الحال صفة قائمة بالذات. إنما هو صفة قائمة بغيره ،فالله عز و جل لم يحل في قلوب أنبيائه بذاته و لا بصفاته القائمة به كالسمع و البصر و الحياة إنما حل بصفة قائمة بغيره جعلها في قلوبهم كالحكمة و العلم كما قال الله تعالى ﴿الله نور السماوات و الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾[2]. قال أبي بن كعب: " مثل نوره في قلوب المؤمنين ".[3]

و بالطبع ليس المعنى الذي توصل إليه ابن تيمية مقصود النصارى لكن مثالهم لا يصح إلا إذا صح قول من يقول:" أن الله بذاته في كل مكان كشعاع الشمس الذي يظهره في الهواء و الأرض ".

لكن هذا بخلاف قول النصارى الذين يرون حلولا خاصا بعيسى دون سائر المخلوقات. و لا يصح هذا المثال وفق مفهومهم إلا أن يقولوا: بأن الله ساكن في المسيح كما الشمس ساكنة في موضع صغير من الأرض.فإن كانت الشمس و صفاتها القائمة بها لا تتحد بغيرها، فالله عز و جل بذلك أولى.

و أما تعلقهم بهذا التشبيه فلأنه لا استحالة فيه و لا تغير، فالشمس لا تتغير و لا تستحيل إذا حلت في الأجسام.[4]

و يشبه هذا المثال في القبول مثال الفص الذي ينقش في الشمع أو ظهور صورة الوجه في المرآة، ففي كلا المثلين لم يحل الحال بحقيقته، فلم يحل الرجل في المرآة و لا فص الخاتم في الشمع حلولا حقيقيا، بل حل صورة الرجل و أثر الخاتم، و هو الحلول المقبول عند المسلمين، و الذي لا يختص به المسيح كما

---

(١) انظر : التمهيد ، الباقلاني ، ص٨٧ ، و النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص٥٨ ، رد الوراق ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٩٥.

(٢) سورة النور ، من آية : ٣٥.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١٠٥/١٨ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٨٥/٣-٨٧ ، ١١٥-١١٦.

سبق بيانه.[1]

و يرى القرطبي أن مثال المرآة قد يصدق – على قول النصارى – لو كان الحال (الابن) (العلم) صورة محسوسة بالبصر ، وكان جسد المسيح صقيلا تنطبع فيه صورة المقابلات ، و ذلك معدوم في مسألتنا بالضرورة .

و ينبه إلى عدم صحة المثال لأنه لا تتمثل ذات الحياة و الادراكات في المرآة، و كذلك لا تتمثل الكلمة في جسد المسيح.و إذا جاز انطباع علم الله (الكلمة) في جسد بشري جاز في كل ما يشبهه من الجسدية و البشرية.

و ابن الأنباري يبطل تمثيلهم لأن الناظر في المرآة إنما شهد نفسه بجري العادة، و لم يحدث في المرآة أمر لم يكن.[2]

و أما مثال نقش الخاتم الذي ينحفر في الشمع، فالقرطبي لا يتصوره –كما العقلاء – إلا في الأجسام ،و إن جاز في غيرها فتلزم عليه لوازم أن يكون كل منهما مؤثرا في الآخر أو متدرعا به.

و النقش في الخاتم يوضع فيه مقلوب الكلمات لتنطبع مستقيمة في الشمع، و لو وضعت مستقيمة لطبعت منعكسة، و لو صدق مثالهم لما بقت حقيقة العلم على ما كانت عليه[3]، كما أن الطابع و المطبوع غيران يصح وجود أحدهما دون الآخر، و ظنهم أنهما واحد جهل و تخليط[4].

و أما مثال الحديدة فهو يقتضي القول باستحالة المتحدين كما يقتضي وقوع جميع الأحكام على المتحدين حتى يصح الاتحاد و ينطبق المثال.

فالحديدة لو طرقت فإن الطرق يكون على الحديدة و النار معا، و يلزم من تطابق المثل مع قول النصارى الملكية أن ما يجري على الناسوت يجري على اللاهوت، فيقع منه الأكل والشرب و الجوع، و عليه يقع الصلب و الموت و هو قول اليعاقبة ،لكنه لازم للملكية و لكل من قال بالاتحاد، لأن الاتحاد لا بد أن يخرج شيئا جديدا ثالثا، و لا يلزم النسطورية إن قالوا بأن الاتحاد في المشيئة فقط.

و يغفل النصارى عن ملاحظات أخرى هامة في هذا المثال منها أن الحديد إذا اتحد بالنار استحال فليس بحديد محض و لا نار محض، بل هو جوهر ثالث و طبيعة ثالثة هي التي تحرق و تقطع و ... ولا علاقة لها بالطبيعتين الأصليتين فهل يرتضون ذلك في حق المسيح و هم الذين يفرقون بين أفعاله فينسبون بعضها للطبيعة الإلهية و بعضها للإنسانية ؟

---

(١) انظر : التمهيد ، الباقلاني ص٨٨ ، و الشامل ، الجويني ص٥٨٩-٥٩٠ ، و الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٧٢ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص٧٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١١.

(٢) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٧١ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٣٢ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٤.

(٣) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص ١٣٢ .

(٤) انظر : التمهيد ، الباقلاني ص٨٩ ، و الشامل ، الجويني ص٥٩٠-٥٩١ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص٢٧٣.

و أيضا إذا بردت الحديدة المحماة (بطل الاتحاد)،فإنها لا ترجع كما كانت ، فالنار تذهب خبث الحديد ، و تغير خواصه فلا يعود كما كان. فهل يقول النصارى بمثل ذلك في المسيح ؟ [1]

و قريبا من مثال الحديدة يأتي مثال الفحمة التي ألقيت في النار، فيرى القرطبي أنه تمثيل غير مستقيم ، لأن الفحمة مهما صارت نارا فقد حدثت النارية و انعدمت الفحمية ، و هو لا يساوي قول اليعاقبة – الذين يستشهدون به – " صار الحادث إلها "، لأنهم شبهوا القديم بالنارية الطارئة الحادثة على الفحمة.

و من ساوى بينهما لزمه أن يكون الحال في الناسوت حادثا كما النارية قديمة، و عندها ترتفع الفحمية، و هذا محال بالضرورة.[2]

و ثمة أمر آخر يرفضه النصارى كما يرفضه غيرهم، لكنه يلزم النصارى عند تطابق المثال مع الاتحاد المزعوم، و هذا الأمر هو حاجة النار إلى الحديدة، و كذا في كل حلول، و عند اطراد القياس ينتج كفر من أعظم الكفر .[3]

و أما المثال الذي ذكره سعيد البطريق حيث مثل حلول الكلمة في عيسى بحلول الكلمة في القرطاس من غير أن تفارق العقل الذي ولدت منه.فقد رد عليه شيخ الإسلام بأن لا خصوصية لعيسى في ذلك بل هو كحال سائر الأنبياء فهم جميعا قد حلت بهم كلمة الله أي علمه.

و لكن هذا الحلول لا يشبه بحال قول النصارى الذين يعتبرون كلمة الله إلها خالقا، و يشبهونه بالمكتوب بالقرطاس، و الجميع متفق على أن المكتوب بالقرطاس صفة قائمة بالغير، و ليست جوهرا قائما بنفسه كما المسيح، فهو عندهم جوهر قائم بنفسه.

و أيضا وجود الكلام في القلب و اللسان يختلف عن وجوده في القرطاس، فهو في القلب علم و طلب و خبر، و في اللسان حروف و أصوات، بينما هو في القرطاس مداد، و هو ليس بعلم و لا خبر و لا أمر.فهذا ليس نفس المعنى القائم بقلب المتكلم، فكيف السبيل إلى القول بأن الكلمة بالقرطاس كلها، و كلها في العقل الذي ولدها.و القرطاس لا يعدو أن يكون واسطة في معرفة الكلام.

و مثله في حديث الناس كثير كقول الرجل :الشمس في الماء . أنت في المرآة.

فالمتكلم يعلم أن جوهر الشمس و جرمها ليس في الماء، كما لم يحل الوجه بالمرآة، و مثله لم يقم القرطاس بما قام به الكلام من المعاني و الأصوات، و كما كانت المرآة واسطة لرؤية الوجه كان القرطاس واسطة لتحقق وجود الكلام و معرفته.

و المكتوب في القرطاس لا يعدو أن يكون صورة المعنى القائم بالذات و المعبر عنه بالألفاظ، فالمكتوب هو اللفظ المطابق للمعنى القائم بالذات و هذا لا يعقل، و يشبه قول بعض المنتسبين إلى الإسلام الذين يقولون:كلام الله القديم حل في المصحف، لكن هؤلاء لم يقولوا أبدا بأن كلمة الله خالقة أو مولودة

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢٥٨ ، ٢٩٧ ، ٣/٤١-٤٢.

(٢) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص١٠١-١٠٢.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٧١.

قبل الدهور[1].

و من الأمثلة التي نقدها أصحاب الردود المسلمين أيضا تشبيهم حلول الكلمة في المسيح بحلول الروح في البدن، فهذا النوع من الحلول خلطة لا استحالة فيها و لا تغير، لأنها بين كثيف و لطيف.

و يجيب شيخ الإسلام عن هذا المثال بأنه مستلزم لما لا يرتضيه جمهور النصارى ألا و هو وقوع الألم و الجوع و الصلب على اللاهوت، و ذلك أن الروح بعلاقتها بالبدن تتألم لتألمه، كما تفرح لفرحه فهما يشتركان في الأحاسيس و الأفعال كالعبادة و التضرع، و لا يمكن التفريق بحال بين أفعال الروح و أفعال البدن.بينما النصارى تميز في أفعال المسيح بين أفعال لاهوتية و أخرى ناسوتية.

و أيضا فالروح جوهر قائم بنفسه و ليس عرضا من أعراض الإنسان، فالإنسان مركب من جسد و روح.

و عند تطابق المثال يلزم أن يقال أن المسيح مركب أيضا فنصفه لاهوت و نصفه ناسوت ،و هو ما لا يقوله أحد من النصارى.

و ثمة أمر آخر أن البدن قبل اتحاده مع الروح هو نوع من الموات، فالله خلق آدم من تراب و ماء صار صلصالا كالفخار، و بقي على ذلك لا حياة فيه حتى أعطاه الله الروح فأصبح إنسانا و كذا ذريته من بعده. فإذا فارقت الروح الجسد يصبح الجسد ميتا.

و ثمرة هذا أن للروح حال اتحادها مع الجسد تغيرا و استحالة، إذ لا تغير أعظم من الانتقال من حال الحياة إلى الموت، أو من الموت إلى الحياة[2].

و لا يصح الجواب الأخير لشيخ الإسلام إلا إذا كانت الروح تتغير بحلولها في البدن كما يتغير البدن بحلول الروح، لأن النصارى يسلمون بتغير المسيح بالحلول، و لا يرتضون كغيرهم القول بتغير الإله و استحالته.

و لا يصح هذا المثال لأمر آخر لأن النصارى الملكية يقولون:المسيح إله تام، و إنسان تام، و الإله إله قبل الاتحاد، و الإنسان إنسان قبل الاتحاد.

فالمسيح إذا بعد الاتحاد إله تام كما كان، و الإنسان تام كما كان"فنظير هذا أن يكون الإنسان المركب من بدن و نفس نفسا تامة و بدنا تامة... و هو باطل، بل الإنسان مركب من نفس و بدن، و الإنسان اسم للمجمع، ليس للإنسان روحا،و (لا)الإنسان بدنا.

فلو كان الاتحاد حقا لوجب أن يقال:أن المسيح نصفه لاهوت و نصفه ناسوت، و هو مركب من هذا و هذا ".[3]

و في المثال أمر آخر لا يرتضيه النصارى في اتحادهم ألا و هو حاجة كل من الروح و البدن إلى الآخر، و هو قائم في كل حلول، فكل حال محتاج إلى ما يحل به سواء أكان حلول صفات أم حلول

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٩٠-٩٤.

(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢٧٨ ، ٣/١٠٩-١١٢.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/١١٠.

ذوات. و القول بحاجة الإله و افتقاره كفر يعلم بصريح العقل[1].

و أما تمثيلهم الاتحاد بخلطة الماء و اللبن، أو الخمر و الماء، فيرده القرطبي لأن الممازجة إنما تصح بين الجواهر بحيث يحتفظ كل من الجوهريين بحيزه ، و الابن (العلم) ليس بجوهر،فاستحال عليه الاختلاط و الامتزاج.

و لو سلمنا جدلا بجوازه، للزم عليه أنواعا من المحالات منها:قيام الصفة بغير موصوفها، و قيامها بنفسها، و انتقالها، و بقاء جوهر الله عريا عنها، أي اتصافه بالجهل، و يلزم عليه أن لا يكون العلم أزليا، بل حادثا مخلوقا، و أن حاله تغير عليه بعد الاختلاط....[2]

و هذا النوع من الخلطة -و الذي تقوله اليعاقبة- يعتبره سعيد البطريق الملكي من خلطة الطبائع الثقيلة، و أنه مؤد إلى الاستحالة و الفساد. فلا يجيزه ابن البطريق الملكي، إذ هو لا يجيز إلا خلطة بين كثيف و لطيف-كما سبق بيانه في مثال الروح و البدن، و الحديد و النار.

كما يلزم على القول بالممازجة و الاختلاط تميز الأقنوم و مجاورته للآخر، و هو مستحيل بحق الله عز و جل[3].

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٧١ ، ٨٢.

(٢) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٣٠ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ٣٦٩ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص ٨ .

(٣) انظر : التمهيد ، الباقلاني ص٨٩ ، الشامل ، الجويني ص ٥٨٧-٥٨٧ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ٣٦٩-٣٧٠..

المطلب السادس: شبهات النصارى

أورد النصارى وأثاروا في وجه علمائنا شبهات زعموا فيها أن القرآن يصدق عقيدتهم وقولهم في المسيح، وأنه ابن الله. واستندوا في ذلك إلى متشابه الآيات التي فهموها وفق مرادهم، وإلى ما في الآيات الكريمة من ثناء على المسيح وأمه والحواريين والمؤمنين من النصارى.

فقد زعم بعضهم وجود بنوة المسيح في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ووالد وما ولد ﴾[1]

وألوهيته باعتبار كلمة الله وروحه كما في قوله ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾[2]، وكما في قوله ﴿وأيدتك بروح القدس ﴾[3] وزعموا أن معتقدهم في الاتحاد أقر به القرآن في قوله تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ [4]

وبالغ النصارى في استدلالهم بالآية الأخيرة " وكان سؤالهم الذي عليه يعولون، وبه يصولون ".[5]

كما تعلق النصارى بالآيات التي مدحت المؤمنين منهم، فظنوا أن هذه المدحة تشملهم، وتشمل ما هم عليه من الباطل . وذلك في مثل قول الله عز وجل ﴿ وجاعل الذي اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾[6] وقوله ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[7]

وكذا تعلقوا في تقدم ذكر البيع والصوامع على المساجد في قوله ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾[8]

ومن ذلك أيضا ما ورد في القرآن الكريم من تعظيم لعيسى وأمه والحواريين، وذلك كثير لا يخفى.[9]

وكان النهج الذي خطه أصحاب الردود المسلمين في إبطال ما تعلق به النصارى من شبهات – وإن كان بعضها لا يرقى لتسميته شبهة – واضحا محكما لا لبس فيه.

وكان أول ما واجهوا فيه النصارى تنبيههم إلى أنه لا يجوز لهم الاحتجاج بشيء من القرآن على

---

(١) سورة البلد ، آية: ٣.

(٢) سورة النساء ، آية :١٧١.

(٣) سورة البقرة ، آية: ١١٠.

(٤) سورة القصص ، آية:٣٠ .

(٥) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٩١.

(٦) سورة آل عمران ، آية : ٥٥ .

(٧) سورة الحج ، آية :٦٩.

(٨) سورة الحج ، آية:٤٠ .

(٩)انظر:: هذه الشبهات في بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٦٢ ، والأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦-٢١.

صحة معتقدهم، لأنه كتاب يجحدونه ويكذبونه، ويدعون أن صاحبه قد ادعاه من عند نفسه، فغاية ما يثبت به - وفق اعتقادهم - موافقة رجل لبعض ما جاءوا به.

لكن النصارى حين يذكرون ما ذكروا من الآيات، فإنهم لا يذكرونها استدلالا لدينهم ومعتقدهم وإنما يذكرونها تبكيتا للمسلمين فحسب.

ومنعنا إياهم من الاستدلال بكتابنا لا يمنع المسلمين من الاستدلال بما في أيدي القوم من كتب لاختلاف الحال، فالمسلمون يؤمنون بما ورد في كتب القوم التي أنزلها الله على أنبيائهم، ورغم قولنا بتحريف هذه الكتب فإنا نعتقد بأنها لم تخلو من أثارة من علم صادق التمسه أصحاب الردود المسلمين ليردوا من خلاله الركام الكبير الذي طوته هذه الكتب بسبب التحريف والتبديل والابتداع. وعليه فيصح استدلالنا بها بلا مراء.

وفي مواجهة شبهات النصارى واستدلالهم ساق أصحاب الردود المسلمين آيات كثيرة تكفر النصارى، وتبين فساد عقيدتهم، ثم أكدوا الوحدة الموضوعية للآيات عندما بينوا المعاني الصحيحة للآيات المشكلة، وذلك بوضع النص في سياقه أو توضيح معناه من خلال سبب نزوله أو بيان معاني ألفاظه، وأوضحوا ذلك كله ،وبينوه بما فهموه من النص حسب دلالات اللغة العربية التي هم أعلم الناس بها.

وأخذوا على النصارى استدلالهم بشطر الآية أحيانا، وإعراضهم عن شطرها الآخر، لأنه ينقض غرضهم، وهذا عيب كبير لا يقبل في الاستدلال.

فإن رأى النصارى أن شطر الآية الذي استدلوا به يعارض شطرها الذي تركوه، كان ينبغي عليهم أن يضربوا عن النص لتناقضه، والتناقض دليل الكذب، ولا يصح الاحتجاج بكلام الكاذب .[1]

وفيما يلي أتناول بالتفصيل بعض تطبيقات هذا المنهج من خلال أهم ما استدل به النصارى في آيات قرآنية.

كان أهم ما تمسك النصارى وتعلقوا به قول الله تعالى ﴿فنفخنا فيه من روحنا ﴾[2].وقوله ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾[3]

فلقد فهموا من هذين النصين أن عيسى هو روح الله القائمة به، وهو كلمته أي كلامه جل وعلا.[4]

فيكتفي القرطبي لدحض هذه الشبهة أن ينكر على النصارى استدلالهم بآية وكتاب لا يصدقون به، كما ينكر عليهم استدلالهم بشطر الآية وفي تمامها ما يرد عليهم ، فالآية بتمامها ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم

---

(١) انظر: معالم هذا المنهج في الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ١٠٦ ، ١٣٧ ، ١٨٧ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٣٨ ، ٩١ ، و الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣٤٦/١ ، ٥٥/٢ ، ١٧٣ ، ١٨١.

(٢) سورة التحريم ، آية: ١٢.

(٣) سورة النساء ، آية: ١٧١.

(٤) انظر: رسالة مجادل الخزرجي ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٦٢.

وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا * لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا ﴾[1]

ويبين ابن الأنباري معنى الآية فيفسر: الروح بأن المراد به جبريل عليه السلام، كما سماه الله عز وجل في آية أخرى: ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾[2]

والمسيح إنما خلق بنفحة منه ﴿ فنفحنا فيها من روحنا ﴾[3] فأضاف الفعل إليه لأنه هو الآمر بذلك كما في قوله ﴿ يوم ننفخ في الصور ﴾[4]

وهذا المعنى هو ما ورد في حق آدم ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾[5] فهي إضافة تشريف وتكريم، ولو أوجبت هذه الإضافة معنا خارجا عن الإنسانية لكان آدم أولى بذلك.[6]

ويضيف شيخ الإسلام معنى موافقا آخر، وهو أن الروح ما يترل على أنبياء الله من الوحي والتأييد. ودليل صحة هذين المعنيين، وأن ليس المراد بالروح صفة لله : أنه أخبر بأنه أرسله، وأنه تمثل لها بشرا سويا، فدل على أن المراد ليس صفته (حياته).

وهذا معهود في لغة العرب كقول القائل: (شل طرفك) يريد طرف الخشبة، فجعله طرفا للحلفل، وكذلك فينسب كل روح لله ،لأنه جل وعلا سببها وخالقها ،ويدل أيضا على هذا الاختلاف قوله تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾[7]، ومثله قول موسى " إن روح الله مع كل أحد " (العدد ١١/٢٩) وانظر (أعمال ٢/١٧).

والشبهة وردت على النصارى بسبب جهلهم، وقياسهم معنى الروح على روح الإنسان، فإنها معنى قائم بنفسه يتركب الإنسان منه ومن البدن. والله منزه عن التركيب .[8]

وينبه الجاحظ والقرافي إلى وجوب أن تفهم هذه الكلمة وفق سياقها العربي، فالعرب أعرف الناس بلسانهم، وإضافة الكلام وتقييده واستعمالاته، ومن لم يكن كذلك فليقل بقول أهل العربية العلماء بلغتهم فيما ذهبوا إليه من معاني.

ويلفت إمام الحرمين النظر إلى عدم تطابق المعنى الذي ذهبوا إليه من فهم الآيات مع المعتقد النصراني إذ " ليس من أصلهم أن الروح حل بالمسيح، وإنما حله العلم (الكلمة) ، والروح عندهم

---

(١) سورة النساء ، آية: ١٧١-١٧٢.

(٢) سورة البقرة ، آية:٨٧.

(٣) سورة الأنبياء ، آية: ٩١.

(٤) سورة طه ، آية: ١٠٢ ، والآية وفق قراءة أبي عمرو ، وهي وفق قراءة حفص :﴿يوم ينفخ في الصور﴾.

(٥) سورة الحجر ، آية :٢٩.

(٦)انظر: الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي،ص ١٢٨.

(٧) سورة الشورى ، آية: ٥٢.

(٨) انظر: المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ص ١٢٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي، ص ١٥ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/١٤١-١٤٢ ، وإرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ١٢.

هو الحياة ".[1]

وأما بخصوص تسمية عيسى بالكلمة، فإن " الكلمة " لها معان كثر متغايرة منها: الآية، ومنه قوله ﴿ ما نفدت كلمات الله ﴾[2]، وهذا المعنى صحيح في الإطلاق على المسيح الذي جعله الله بميلاده آية للعالمين ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾[3]

ومن المعاني أيضا: الجملة المفيدة لمعنى، ومنه قوله ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾[4] وعيسى ليس كذلك، كما أن لله كلمات كثر، ولكن أيا منها ليس بخالق، ولكن يصح إطلاق هذا المعنى على المسيح بمعنى أن الله خلقه بكلمته " كن " .

وسبب تخصيصه بتسمية الكلمة كما يرى الغزالي أن المخلوقات جميعا خلقت بكلمة الله وأمره، وقد جعل الله لكل منها سببا مباشرا هو الأب.

ولما لم يكن لعيسى سبب قريب لخلقه نسب للسبب البعيد، وهو الله عز وجل، فسمي: كلمة الله.

وينبه ابن الأنباري إلى أن النصارى لا يجوز لهم التمسك بلفظ (الكلمة) لأنهم لا يريدون بها الكلام، وإنما يريدون بها العلم، ولا يسمون العلم قبل الاتحاد بالمسيح ابنا، بل المسيح ما تدرع به الابن .[5]

وعليه فسد استدلالهم وتعلقهم بلفظ الكلمة من غير باب ،ثم هذا وغيره مما توهم فيه النصارى موافقة لمعتقدهم معارض بآيات كثيرة مصرحة بكفرهم نبه إليها الدميري .

كقوله تعالى﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ﴾[6] وقوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[7].

وأما زعمهم أن عيسى ابن الله يفهم من قوله ﴿ووالد وما ولد ﴾[8] فيرده القرافي ويعتبره من الافتراء على الله والتسلط بالتحريف على كتاب المسلمين كما هو حالهم مع كتابهم، ثم يبين المعنى الصحيح للآية، وهو الإقسام بآدم وذريته[9] ولا دليل البتة على تأويلهم الذي ذهبوا إليه.

---

(١) انظر: المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٢٢ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦ ، الشامل ، الجويني ، ص ٥٩٤-٥٩٥.

(٢) سورة لقمان ، آية :٢٧.

(٣) سورة الأنبياء ، من آية :٩١.

(٤) سورة الكهف ، من آية: ٥.

(٥) انظر: الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص ٣٧٦ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١٣٦/٢-١٤٠ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص١٦٦، وإرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ١٢.

(٦) سورة المائدة ، من آية :٧٣.

(٧) سورة التوبة ، آية :٢٩ ، وانظر: إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، الدميري ، ص ١٣.

(٨) سورة البلد ، آية: ٣.

(٩) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٣٨.

المبحث الثاني: التثليث

﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد و لم يولد * و لم يكن له كفوا أحد ﴾[1] تمثل الآية أحد أهم المعتقدات التي يعتقد بها المسلمون والتي يعتبر التثليث النصراني أحد أكبر نقائضها التي ظهرت بين البشر.

وتعبر الآيات بوضوح عن حقيقة وأهمية هذا الخلاف ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾[2]

ولذا كان من أهم الأغراض الجدلية التي ثار حولها الجدل بين المسلمين والنصارى عقيدة التثليث النصراني.

وسنعرض لما انتهت إليه جهود علمائنا في هذا المبحث من خلال مطالب.

المطلب الأول: الجوهر والأقانيم

تزعم النصارى بمختلف فرقها الرئيسة أن الله عز وجل جوهر واحد، لكنه أقانيم ثلاثة، هذه الأقانيم هي :الآب والابن وروح القدس.

ويرون أن هذه الأقانيم الثلاثة تشكل وحدة واحدة تتلائم والتوحيد الذي وردت البشارة به في نصوص التوراة والأناجيل.

وتفترق الفرق النصرانية في العلاقة بين الجوهر والأقانيم، فاليعقوبية والنسطورية يعتبرون الجوهر هو الأقانيم الثلاثة، والأقانيم الثلاثة هي الجوهر، بينما تزعم الملكية أن الأقانيم هي الجوهر، والجوهر غير الأقانيم.

وزعمت الفرق مجتمعة أن الأقانيم الثلاثة متفقة في الجوهرية، مختلفة في الأقنومية ،وأن كل واحد منها جوهر خاص يجمعها الجوهر الواحد العام .[3]

وأول ملاحظة يسجلها أصحاب الردود الإسلامية على النصارى الإطلاقات البدعية التي لم ترد في شيء من الكتب المقدسة عند النصارى كلفظة الأقنوم والجوهر.

فهذه العبارات وتفسيراتها لا أصل لها في كتب القوم المقدسة، و لم ترد في شيء من كلام الأنبياء.

ويشنع القرطبي عليهم تسمية الله: جوهرا، فيقول " كيف تسمونه جوهرا وليس في كتابكم، ولو سمي لأحدكم ولده بغيره أمره لأنف من ذلك " .[4]

---

(١) سورة الإخلاص.

(٢) سورة المائدة آية ٧٣.

(٣) انظر: رد الوراق ، وقد رفض يحي بن عدي التسليم بصحة ما نسبه الوراق للنسطورية واليعقوبية في أنهم يقولون الجوهر هو الأقانيم.انظر : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٠.

(٤) انظر: الأوسط في المقالات الناشئ الأكبر ، ص ٨٢ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤٢ ،

فما الذي دعا النصارى لإطلاق لفظ الجوهر على الله؟

يجيب الباقلاني بأن أدلة النصارى على أن الله جوهر أربعة أمور:

أولها: أن " الأشياء كلها في الشاهد والوجود لا تخلو من أن تكون جواهرا أو أعراضا"، وبما أن "القديم ليس بعرض، فوجب أن يكون جوهرا ".

ثانيها: أن " الأشياء كلها لا تخرج عن قسمين: إما قائم بنفسه (جوهر)، أو قائم بغيره (عرض) فلما فسد... أن يكون قائما بغيره، وأن يكون عرضا، ثبت أنه قائم بنفسه، وأنه جوهر من الجواهر ".

ثالثها: أن " الأشياء كلها على ضربين، فضرب منه الأفعال وهو الجوهر، وضرب يتعذر منه ويمتنع منه الأفعال، وهو العرض، فلما ثبت أن القديم فاعل وممن يتأتى منه الأفعال ثبت بأنه جوهر ".

رابعها: أن " الأشياء على ضربين: شريف، وهو الجوهر القائم بنفسه، المستغنى في الوجود عن غيره، وخسيس قائم بغيره ومحتاج إليه، وهو العرض.

فلما لم يجز أن يكون القديم سبحانه من قبيل الخسيس ثبت أنه شريف، وأنه قائم بنفسه " .[1]

ويرفض أصحاب الردود الإسلامية هذا التقسيم لأن فيه " قضاء على الغائب بمجرد الشاهد " ويمثل له الباقلاني بحالة " من نشأ في بلد الزنج فلم يشاهد به إلا ماءً عذباً، ولا إنساناً إلا أسود، ولا زرعاً إلا أخضر، فيقضي أنه لا ماء ولا إنسان ولا زرع إلا كما وجد و شاهد ".[2]

ويرى الشرفي أن بين المسلمين والنصارى في هذه المسألة (إطلاق لفظ الجوهر على الله) سوء فهم مرده اختلاف معنى الجوهر عند الفريقين.

فالجوهر عند المسلمين " ما شغل حيزاً وقبل عرضاً " وهو " المتحيز الذي يقبل الحركة والسكون " بينما هو عند النصارى " القائم بنفسه" و " ليس هو في موضوع " و " غير مفتقر في وجوده إلى غيره ".[3]

ويعيب القرافي هذا الخلط في التعاريف عند النصارى ويعتبره " كلام من لا يعلم الجوهر، ولا يعرف العرض، ولا يضبط علماً من العلوم، كأنه نصراني، فإنه خصيصتهم " ، وذلك أن المفتقر حد الممكن لا العرض، وغير المفتقر حد للواجب لا الجوهر.

بينما الجوهر لا حد له عند القرافي سوى "المتميز لذاته الذي لا يقبل القسمة" وإطلاق لفظ الجوهر بالتعاريف المنطقية له يقتضي الحدوث لقبوله الأعراض ولقبوله الحركة والسكون، وكلاهما في خصائص

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١٦١/٣ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٧٨ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٥٢ب.

(١) التمهيد ، الباقلاني ، ص ٧٥-٧٦ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٩٨/٥-٩٩ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤٢.

(٢) التمهيد ، الباقلاني ص ٧٦-٧٧ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٩٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٧٨.

(٣) التمهيد ، الباقلاني ، ص ٧٦-٧٧ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٩٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص٧٨.

المتغير الحادث .[1]

وإذا كان قول النصارى بأن الله جوهر لم يحظ بكثير من الاهتمام عند علمائنا، فإن القول بتعدد أقانيم الإله كان محور الردود الإسلامية.

فقد نبه شيخ الإسلام إلى بدعية لفظ الأقنوم، وذكر احتمال أن يكون أصل الكلمة رومية، وذكر خلاف النصارى في تفسيرها، فهم يفسرونها بالأصل تارة، أو بالشخص، أو بالذات مع الصفة، أو بالخاصة، أو بالصفة، أو بالجوهر .[2]

وسنرجئ الحديث عن تفسيراتهم للأقانيم لحين الحديث عن صيغ التثليث، ونكتفي هنا بإيراد نقطتين تتعلقان بالأقانيم.

الأولى: اختلاف الأقانيم واتفاقها:

رأينا فيما سبق إجماع النصارى على القول بوحدة الجوهر، واختلافهم في الأقنومية ،لذا تساءل أصحاب الردود الإسلامية كيف يمكن أن يكون " الإله متغايرا من وجه، غير متغاير من وجه آخر؟... يلزمهم أن يقولوا في القديم أنه مختلف متفق، لأنه من حيث كان أقانيم، يجب أن يكون مختلفا، ومن حيث كان جوهرا واحدا يجب كونه متفقا، وكون الأشياء متفقة مختلفة مستحيل، ولا يمكنهم القول بأنها متفقة في الذوات ،مختلفة في الصفات التي لا ترجع إلى الذوات، بل ترجع إلى المعاني، وما جرى مجراها، لأن قولهم أن جوهر الأب يستحيل أن يكون إلا أبا عالما حيا، وكذلك قولهم في كل أقنوم، فقد صح ما ألزمناهم من القول بأنها متفقة في الذوات مختلفة، وهذا يوجب نفي الشيء وإثباته " .[3]

تعتبر النصارى الأقانيم الثلاثة أزلية، وأمانتهم التي سطرتها مجامعهم وجعلتها أصلا للدين تعتبر أقنومين علة للأقنوم الثالث، وذلك تناقض كما يرى الناشيء الأكبر " وذلك بين الاستحالة جدا من قبل أن الأشياء إنما تتميز في الفعل، حتى يكون للواحد منها ما ليس للآخر، إذا وجدها الفعل مختلفة في أنفسها، أو وجد للواحد منها ما خالف بينه وبين الآخر، فأما إذا وجدها متفقة لا تختلف بأنفسها، وليس فيها أمور تختلف بها، وليس منها شيء يقدم صاحبه بذات ولا طبيعة ولا مرتبة ولا كثرة ولا زمان، فليست له سبيل إلى أن يزعم أن واحدا منها علة، والآخر معلول، ولا شيء أبين مما قلنا.

ألا ترى أن القوم قالوا: ثلاث قنومات متفقات، متفقة في الجوهر لا اختلاف بينها، متفقة في القدم لا يقدم شيء منها شيئا، وليس فيها خلاف في أنفسها، ولا في شيء منها يخالف به صاحبيه، ثم ادعوا أن هذا أب ليس بابن ولا روح، وهذا روح ليس بأب ولا ابن، وهذا ابن ليس بأب ولا روح، وأن

---

(١) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤٢-٤٣ ، الإرشاد ، الجويني ، ص ٤٦-٤٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١١٧/٢. وقول القرافي بأن الحركة والسكون من لوازم المحدثات غير صحيح ، بل هما من أحوال وصفات من قامت به حياة، ونزول الله عز وجل الذي أخبرت به النصوص الثابتة هو نوع من الحركة التي تليق بجلال الله وعظمته.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤٢-٤٣.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨٩.

هذا علة هذين ليس بمعلول، وهذان معلولان ليسا بعلة " [1] .

ويرى الخطيب السكندري أن هذا" لا جواب لهم عنه ". [2]

والنصارى محيرون بين القول بتساوي الأقانيم أو تفاوتها، ولكن ذلك كله مبطل لها، فالقول بتفاوتها وتفاضلها يجعل المفضول ناقصا عن غيره، فلا يجوز إدخاله في الآلهة .[3]

ومثله دليل التمانع الذي ألزم به الجبائي النصارى، فما دام جوهر الأقانيم واحدا فينبغي أن تكون جميعا قادرة، وذلك يصحح التمانع بينها، وذلك يوجب عجزها وضعفها، أو ضعف بعضها .[4]

الثانية: اختصاص الأقانيم

تعتبر النصارى الأقانيم جوهرا واحدا ،وتطلق على كل من الأقانيم اسما مغايرا للآخر، وتخص كل منها بما لا تخص به الآخرين، وكل ذلك من غير دليل، يقول الباقلاني " وكان الأب جوهره جوهر الابن، وجوهر الروح من جوهرهما، فلم كان الابن والروح بأن يكونا ابنا وروحا خاصين للأب أولى من أن يكون كل واحد أبا، وأن يكون الأب خاصا لهما.... فلا يجدون إلى تصحيح تحكمهم سبيلا ".

ويرى القاضي أنه لا يصح بحال أن تختص بعض الأقانيم بما لا يكون للبعض الآخر " لأن هذه الأقانيم إذا كانت قديمة فيجب أن لا يصح أن يختص الأب بما يستحيل على الابن والروح، ولا يصح اختصاصهما بما يستحيل عليه، ولا اختصاص كل واحد منهما بما يستحيل على الآخر" .[5]

فإن رفضوا هذا الإلزام فإن النتيجة هي عدم الأقانيم جملة وانتفاء القدم عن الأب ، يقول القاضي عبد الجبار " ليجوزن خروج الأب من أن يكون أبا، والابن من أن يكون ابنا.... لأن إثبات مثل الشيء في جوهره مع مخالفته له في صفته الراجحة (لعلها: الراجعة) إلى جوهره إذا صح صح أيضا خروج الشيء عن جوهره، وهذا يوجب عليهم أن لا يأمنوا عدم الأب والابن ، خروج الأب من أن يكون أبا قديما " .[6]

ويعالج الوراق هذه المسألة بافتراض أمرين: أولهما أن الأب يستحق من صفات القدم والربوبية والقدرة الإلهية شيئا لا يستحقه الابن.

والثاني: هو أن الأب لا يستحق من تلك الصفات شيئا لا يستحقه الابن، فالأول يقتضي إلزام الابن بالنقص، والثاني لا يبقى فيه وجه لبقاء الأب أبا، من غير أن يكون ابنا.

---

(١) الأوسط من المقالات ، الناشئ الأكبر ، ص ، ٨٤ ، وانظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٩٥.

(٢) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٩٤.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص ٢٩٥ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحى ، ص ٦٤.

(٤) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٤١.

(٥) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/٨٦-٨٧ ، التمهيد ، الباقلاني ص ٨٦-٨٧.

(٦) انظر: الوراق الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢١٩ -٢٢٠ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/٥٠.

وعليه فلا وجه لقول النصارى بخصوصية الابن بالاتحاد، دون الأب والروح ما دام الجوهر واحدا، ولا مخصص، وقولهم علاوة على أنه لا دليل عليه فإنه نوع من التحكم، فكما صح اتحاد الابن ينبغـــي أن يصح اتحاد الجميع، وإلا فيلزم القول بتغايرها إذ جاز اتحاد بعضها دون بعض .[1]

(١) انظر: التمهيد ، الباقلاني ص ٨٦ ، والإرشاد ، الجويني ، ص٥٠ ، رسالة الحسن بن أيوب ٢/٣٥٦-٣٥٧.

المطلب الثاني: نقد الأمانة

كان من الطبيعي أن يتعرض أصحاب الردود الإسلامية لأمانة النصارى التي تمثل خلاصة ما انتهى إليه فكرهم خلال أكثر من ثلاثة قرون من نشأة النصرانية.

وقد ذكر عدد من أصحاب الردود الإسلامية صيغتها فاتفقوا على أنها كالآتي: " نؤمن بالله الواحد الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، ولد من أبيه قبل العوالم كلها، ليس بمصنوع، إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم كلها، وهو خالق كل شيء، من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، وصار إنسانا، وحملت به مريم، وولد من مريم البتول، فأوجع وألم، وصلب في أيام بيلاطوس الملك، ودفن وقام في اليوم الثالث من بين الموتى مثل ما كتب بذلك الأنبياء، ثم صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بالروح القدس الذي يخرج من الأب و الابن،وبه كان يتكلم الأنبياء،والتغطيس هو غفران الذنوب، ونؤمن بقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين " .[1]

و لم تختلف صيغة الأمانة – عندما ذكرها أصحاب الردود الإسلامية – إلا في أمور بسيطة مرد الاختلاف فيها إلى الترجمة أو الاختصار.

وقد اهتم أصحاب الردود الإسلامية بالأمانة اهتماما بالغا تجلى ذلك في الكثرة التي تناولتها من الدراسة والتمحيص وكان اهتمامهم بها نابعا من أمور: أولها :إدراكهم منزلة الأمانة عند النصارى ، وأنها " أصل دينهم.. لا يتم عيد ولا قربان إلا بها ".[2]

وثانيها: أن الأمانة تجمع عليها سائر الفرق النصرانية، ويقول القرافي: " أجمع عليها جميع فرق النصارى والروم، واليعاقبة، والنسطورية "، ويؤكد الترجمان أن النصارى " متمسكون بها إلى يوم القيامة، ولا يتركها إلا قليل منهم ".[3]

وثالثها: أن المسلمين وجدوا في الأمانة رأيا واضحا، وهدفا بينا يستطيعون نقده، بينما غاب هذا

---

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٦ ، وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٥٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ١١١-١١٧ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ، ٩٨-١٠٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢١٩/٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩ب.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٢ ، وانظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٦٩.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٢ ، و هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٣ ، و المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩ب ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٥ ، ولا ريب أن الأريوسية من هذا القليل.

في مواطن أخرى كتفسير الجوهر والأقانيم وسوى ذلك مما يشرق النصارى به ويغربون ،ولا يوقف لهم فيه على رأي مستقر.

وكان أول نقد وجه للأمانة هو الطعن في مشروعيتها بعد تتبع تاريخها ، فالأمانة وضعت لا من كلام المسيح ولا أقوال تلاميذه ،بل هي من كلام رجال بعدهم بدهر طويل، ونسبها الترجمان لرجل من أهل روما اسمه: بيطر. بينما ذكر آخرون من أصحاب الردود واتفقوا على أنها من نتائج مجمع نيقية، حيث اجتمع أساقفة النصارى سنة ٣٢٥م ،واختلفوا اختلافا عظيما، واتفق منهم ثلاث مائة وثلاث وعشرون أسقفا على رأي واحد ،وناظروا بقية الأساقفة فظهروا عليهم، فباركهم الملك، وسلطهم على مملكته، ثم وضعوا الأمانة في صيغتها الأولى .[1]

ثم زادوا عليها في مجمع القسطنطينية بعد نيقية بست وخمسين سنة قولهم: " وبروح القدس الرب المحي الذي من الأب منبثق، الذي مع الأب والابن"، وكان الذي اضطرهم لهذه الزيادة انتشار مقالة مقدونيس الأريوسي الذي كان يقول بأن روح القدس مخلوق وليس بإله .[2]

ومن ذلك ثبت أن الأمانة جهد بشري مبتدع " بل هي أراء قوم مغفلين، وتلفيقات جماعة مشكلين، عليها من الركاكة الظاهرة، والعبارة القبيحة والمعاني السمجة، ظلمات بعضها فوق بعض ".[3]

فالأمانة تذكر أمورا غاية في الأهمية كالقول بأن عيسى خالق السموات والأرض، وأنه من جوهر الله، وأنه تجسد من اللاهوت، وأنه صلب من أجل تكفير خطايا البشر...

فمثل هذا لا يقبل إلا إذا ورد عن طريق نبي من الأنبياء. أما أن يقول ذلك أناس برأيهم فهو مما لا يقبل بحال.

ثم كيف عرف هؤلاء هذه الأمور العظيمة التي لم توجد فيما بين أيديهم من الكتب، بل كيف لم تذكر الكتب بصراحة مثل هذه المعتقدات العظيمة ؟بل على العكس صرحت بخلافها في مواطن عدة ،منها أن التوراة تصرح بوحدانية الله خلافا للأمانة المثلثة ففي التوراة " أنا ربك الذي أخرجتك من مصر بيد القوة لا يكن لك إله غيري، ولا تشبهني بشيء مما في السماء، ولا مما في الأرض، ولا مما في البحار، أنا إله واحد" (الخروج ٢٠/٢-٥، التثنية ٥/٦-٩)، وكذا في إشعيا " قال إله إسرائيل: أنا الأول، أنا الأخر، وليس غيري " (إشعيا ٤٤/٦) ومثله أيضا فيما ذكرت التوراة في تحمل كل مسؤولية عمله – وسيرد في بابه – وسوى ذلك.

ومما تخالف فيه الأناجيل والأمانة، فهو مبطل لأحدهما، نسبة الخلق لعيسى، فذلك تكذبه الكتب

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ١١٢ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٥ ، والمنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩أ.

(٢) انظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص٦٩-٧٠ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٢ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٣٧ ، ٤٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ١٨٠.

(٣)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٢ ، وانظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩ب.

المقدسة كما في أعمال الرسل " إن الله خلق العوالم بجميع ما فيها، وهو رب السماوات والأرض، لا يسكن الهياكل التي طبعها الأيدي " (انظر أعمال ٧/ ٤٨-٥٠)[١] وسوى ذلك في النصوص.

وأما قول داود " بكلمة الله خلقت السماوات والأرض " (انظر المزمور ١٤٨/٥) فهو موافق لقول المسلمين ،وقد جاء في القرآن ﴿كن فيكون﴾[٢] فكلا النصين يفيد بأن الخلق تم بكلمة .ولا يقول بأن كلمة الله هي الخالقة .[٣]

ويورد القرافي تساؤلا في هذا المبحث: هل كان آدم وإبراهيم وإسماعيل يعرفون المسيح عليه السلام ويعتقدونه خالقهم أم لا ؟

فإن قالوا: لا. كفروا بهذه الأنبياء عليهم السلام.

و قولهم بأن المسيح جوهر مساو لجوهر الأب يقتضي تعدد الجواهر، لأن الجوهر لا يساويه إلا جوهر آخر، فهي ثلاثة جواهر، ثم تناقض الأمانة فتقول عن المسيح أنه "إله حق من جوهر أبيه".[1]

ومن التناقض أيضا ما صرحت به الأمانة في قولها عن الله :" صانع ما يرى وما لا يرى " ثم تقول عن المسيح :" بيده أتقنت العوالم كلها، وهو خالق كل شيء".فأيها الخالق الله أم المسيح ؟

فإن كان الله خالق كل شيء .فأي شيء خلقه الابن؟ وكذا العكس!![2]

ويلزم أيضا على هذا أن يكون المسيح وروح القدس مخلوقين، لأنهما لا يخرجان عن أن يكونا مما يرى أو مما لا يرى.

وهذا يناقض قول الأمانة عن المسيح أنه " غير مصنوع" فكيف يكون ذلك؟![3]

قولهم :" غير مصنوع " مناقض لما وصفته الأمانة بقولها " بكر الخلائق "، لأن قولهم: " بكر الخلائق " يقتضي أنه أحد الخلائق المصنوعة بيد أنه أولها، وذات المعنى يفهم قول الأمانة " ولد من أبيه قبل العوالم ".

فالولاد والبنوة يشعران بتأخر زمني عن الأب، وعليه فالمسيح والابن ليسا بأزليين، والمسيح هو بكر المخلوقات المحدثة، لأنه أما أن يكون الأب ولد شيئا موجودا أو غير موجود. فإن كان موجودا فهو لم يلد شيئا، إن كان غير موجود فقد أوجد عدما وخلقه، فهو مخلوق.[4]

كما يلزم على لفظ الولادة وجود الصاحبة، وهو ما ينكره جمهور النصارى. ويلزمهم هذا ،لأن الولادة لا تعرف إلا بين أصلين انفصل عنهما ثالث ،سواء كان حيوانيا كولادة سائر الحيوان، أو غير حيواني كولادة النار من الزنادين.

وتوسع في استعمال لفظ الولادة ،فأطلق على ما يحدث عن الشيء وإن لم يكن بانفصال جزء منه كتولد الشعاع في النار. ولكنه لا يقوم بنفسه.

أما ما يحدث من شيء واحد فلا يعرف تسميته ولادة إن قدر وجود ذلك ،ويمتنع إطلاق هذا اللفظ على صفات الموجود فكيف بصفات الله الأزلية القائمة به أزلا، فلا يصح قول القائل :إن لون السماء متولد عنها، ولكن يقال عن شعاع الشمس القائم بالجدران أنه متولد عنها ،لأنه نتج عن أصلين.[5] ويستدل شيخ الإسلام على إفادة لفظ الولاد معنى الحدوث بالرجوع إلى اللفظ في سائر مواضع

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٠أ.

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٣ ، و تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٦.

(٣) انظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحى ، ص ٦٩ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٦ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩ب.

(٤) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٥٧-٣٥٨ ، و النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحى ، ص ٧٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٣ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٧ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة٩أ.

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ١٨١.

ويستدل شيخ الإسلام على إفادة لفظ الولاد معنى الحدوث بالرجوع إلى اللفظ في سائر مواضع وروده في التوراة والإنجيل. فهو دائما يعني ولادة حادثة، ولا يوجد في هذه الكتب أبدا حديث عن ولادة أزلية .[1]

وذم أصحاب الردود الإسلامية استعمال لفظ "الولاد" وهم يعلمون أن النصارى لا تقر بولادة حيوانية، بل تشبه هذه الولادة بولادة الكلمة في العقل، وحر الشمس منها ،فهذه ليست كولادات المتناسين .[2]

لكن سائر ذلك من الممكنات التي جميعها مقدورة بقدرة الله الذي أحدثها، وهذه جميعا لا يقال عنها متولدات. بل يقال: مخلوقات .[3]

كما يستلزم لفظ الولاد مفارقة المولود لوالده، وبالتالي خلو الوالد عنه.

وكما عبر كثير من النصارى عن الابن بأنه صفة الكلمة (العلم) فوجب عليه أن يكون الأب جاهلا ،كما يستلزم هذا القول حدوث الصفات .[4]

ومن صور التناقض أيضا في الأمانة تناقضها في موجب غفران الذنوب، هل هو بالتغطيس كما في الأمانة " التغطيس هو غفران الذنوب " أم بالصلب جاء في الأمانة أيضا " ومن أجل خلاصنا نزل من السماء " ، وأن نزوله كان لتحمل خطايا البشر فأحد الفعلين (الصلب والتغطيس)، نوع من العبث لا طائل منه .[5]

الأمانة في ضوء العقل

ومن عجائب الأمانة أنها تفرق بين المتماثلات، وتسوي بين المختلفات :-

فأما تسويتها بين المختلفات:فهو الخلط الذي تجده في الأمانة بين الناسوت واللاهوت الذي اتحد بالناسوت (الابن).

فالأمانة تعتبر :" المسيح ابن الله الواحد... ولد من أبيه قبل العوالم... ليس بمصنوع.. خلق كل شيء... نزل من السماء ..." فهذا كله إنما يراد به الابن أو اللاهوت المتجسد ،لكن تتابع في حديثها عن المسيح فتقول:" المسيح... صار إنسانا ،وحملت به مريم، وولد.. وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث ". فالحديث هنا عن ناسوت المسيح المتأله.

وبسبب هذا الخلط تساءل أصحاب الردود كيف يخلق المسيح أمه وهي سابقة عليه في الوجود كما هو حال كثير من المخلوقات؟[6]

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ٦٠.

(٢) انظر: رد الوراق. الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠١ ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨١ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٥٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٣.

(٣) انظر:الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص٧٠.

(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٣.

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٧.

(٦) انظر: رد الباجي على راهب فرنسا ص ٨٣-٨٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٣-١١٤ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/٢٩٣ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد

وعند طرحهم لهذا السؤال فإن أصحاب الردود الإسلامية كانوا على علم بأن النصارى تنسب الأفعال اللاهوتية للابن ولا تنسبها لجسد المسيح الذي تقول النصارى بحدوثه.

لكن أصحاب الردود الإسلامية أرادوا بذلك إيضاح الخلط الكبير والزلل الذي وقع به واضعو الأمانة ،ومثل هذا لا يقبل في شريعة إيمان عليها مدار الإيمان وأصله.

ومثله التساؤل الذي طرحه بعض أصحاب الردود :لماذا لا تقر النصارى بأن الذي صلب هو الذي ولد كما في الأمانة ؟ و لم لا يقولون بصلب اللاهوت وموته .[1]

ومثل هذا التخبط أيضا يظهر في عدم تفريق الأمانة بين النازل من السماء المتجسد وبين الجسد الأرضي " المسيح ابن الله.. نزل من السماء ،وتجسد من الروح القدس، وصار إنسانا، وحملت به مريم ،وولد من مريم البتول "، فالمفترض أن النازل هو الكلمة ،والمولود والمصلوب هو الناسوت.

وهذا الخلط لا يوصم به – في هذه المسألة –فرقة اليعقوبية، لأنها تعتبر الابن الأزلي هو المولود والمصلوب.. ولذلك يعتبرهم الحسن بن أيوب أقرب إلى الأمانة من سائر فرق النصارى.[2]

وأما تفرق الأمانة بين المتماثلات:فيتضح من خلال تفريق الأمانة بين الابن وروح القدس، وكلاهما من الصفات. عند من يعتبر الأقانيم صفات... فالأمانة تصف المسيح بأنه ابن الله، ولا تصف الروح القدس بذاك، كما لا تقول بولادة من الله ،ولا تسمى الأمانة المسيح روح الله.

ثم تقول الأمانة عن روح القدس أنه" منبثق من الله "، بينما تعتبر المسيح ابنا،و الانبثاق في الكلام أظهر منه في الحياة (روح القدس).

كما يلحظ شيخ الإسلام على كلمة " منبثق " ملحظا آخر هو أن الانبثاق يعني التجزئة والتبعيض. ثم لا يمكن أن يكون روح القدس صفة الله، لأنه منبثق عنه، وحياة الله ليست منبثقة عنه .[3]

والأمانة تخالف المعقول في عدد من المسائل:-

منها: أن الأمانة تصف المسيح بأنه " تجسد من روح القدس " وهذا القول يقتضي أن المسيح ابن الروح القدس وليس لله كما يزعم النصارى ،فلم نسبوه لله ؟ ويتساءل القرافي كيف تجسدت الكلمة من روح القدس، وهو لم يأته قبل التعميد فكيف يقال تجسد حينذاك، والجسد موجود قبل ذلك؟ثم كيف يتجسد روح القدس وهو عند هؤلاء صفة الله .[4]

كما يلزم التبعيض والتجزيء على الأمانة حين تقول " صعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه "

الله الترجمان ، ص ٩٧ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥ ب.

(١) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/٣١١ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٧٤-٣٧٨ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٧٢ ، ٧٤.

(٢) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٨ ، ٣ ، ٣٤١ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٥ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥١أ.

(٣) انظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٩٥ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١/ ١١٤-١١٥ ، ٢/ ١٥٩ ، ٣/ ٥٩.

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٥.

فالجالس هو اللاهوت المتحد بالناسوت، فالاتحاد ما زال قائما، وهذا الجالس على اليمين مغاير للاهوت غير المتحد ومنفصل عنه، وغايته أن يكون مماسا له، وهذا هو التبعيض والتجزيء الذي لا يطرأ إلا على الحوادث .[1]

وينكر السعودي على الأمانة زعمها بأن المسيح جلس في السماء عن يمين أبيه بعد أن صعد إلى السماء. فهذا زعم لا دليل عليه ،إذ لم يره أحد من النصارى ،ولم يرد له ذكر حتى عند أصحاب الأناجيل الذين غاية ما ذكروه أن المسيح صعد إلى السماء (انظر يوحنا ١٨٠١٧/٢).[2]

ومن خلال هذا العرض نرى إغفال علمائنا لعدد من المسائل أهمها: قول الأمانة " ودفن وقام في اليوم الثالث من بين الموتى مثل ما كتب بذلك الأنبياء " إذ لم يرد مثل هذه الدعوى في كتب الأنبياء.

كما أغفلوا الحديث عن قيامة الأبدان والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين والعودة الثانية للمسيح وكذا أن روح القدس به يتكلم الأنبياء ؟،ولعل سبب إغفالهم لبعضها أن هذه المواضع ليست موضع نزاع بين المسلمين والنصارى.

كما نقد أصحاب الردود الإسلامية الأمانة في مواطن عدة ذكرت في مواضعها في المبحث كالقول بأن الله جوهر، أو أن المسيح صلب، أو قام في اليوم الثالث من موته، أو أنه سيقضي بين الناس في يوم القيامة، إضافة إلى الحديث عن التجسد والاتحاد ،وكل ذلك مبثوث في مواضعه.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١٥٧٨.

(٢) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٣أ ، والصحيح أن جلوس المسيح عن يمين الأب ذكر في مرقس (١٩/١٦) ، لكن هذه الجملة من الجمل الملحقة بمرقس غير موجودة في المخطوطات القديمة انظر: التوراة والانجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ترجمة :حسن خالد ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٠هـ ، ص ٨٦-٨٧.

المطلب الثالث: نقد أدلة التثليث

يزعم النصارى أنهم قالوا بالتثليث وذهبوا إليه لأن النصوص جاءت بذلك في مواضع عدة منها ما جاء في سفر التكوين " لنخلق خلقا على شبهنا ومثالنا " (انظر التكوين ٢٦/١)، فاستخدم صيغة الجمع للدلالة على تعدد أقانيمه، كما أن شبهه ومثاله هو كلمته وروحه.

ومنها أيضا ما جاء في التكوين عن إبراهيم " أنه كان يوما قاعدا عند باب فسطاط له، وأبصر ثلاثة رجال واقفين على مقربة منه ،فجرى إليهم وسجد ،وقال :يا سيدي إن كنت راضيا عني، فلا تخلف عبدك، حتى أسوق ماء تغسلون به أرجلكم وتستريحون تحت هذه الشجرة، وأقدم لكم كسرة تقوون بها قلوبكم، وبعد ذلك تذهبون " (انظر التكوين ١٨/١-٥) فقد سجد إبراهيم للثلاثة ،وخاطب واحدا .

كما استدلوا بقول الله لموسى حين ناجاه قائلا :" أنا إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب " (الخروج ٦/٣).

بينما لاحظ أصحاب الردود الإسلامية أنه كما خلت التوراة من ذكر التثليث فقد خلت الأناجيل، حيث لم يرد فيها سوى نص واحد[١] استدلت به النصارى ،وهو ما ورد في متى المسيح قال لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء: " اذهبوا إلى جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب، والابن، وروح القدس ". (متى ١٩/٢٨)[٢]

ويعتبره شيخ الإسلام عمدة القوم على الأقانيم الثلاثة .[٣]

ولا تستدل النصارى بالعقل على صحة التثليث، بل يهرب من ذلك بعضهم، ويرى أن التثليث " فوق العقل ".[٤]

في حين استدل آخرون بعموم قدرة الله على كل شيء، ويرون أن العقل لا يرى مانعا من أن يجعل القادر على كل شيء ثلاثة أقانيم، وإلا لزم وصفه بالعجز، وهو ما يليق بالعبيد فحسب.

وقد فاتهم أن قدرة الله إنما تتعلق بالممكنات لا بالمستحيلات، التي لا يتعلق بها قدرة أو عجز .[٥]

---

(١)أما ما جاء في رسالة يوحنا قال: " فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب ، والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد " (يوحنا (١) ٧/٥) فهذا نص ملحق لا وجود له في المخطوطات والتراجم القديمة كما سيتبين لنا في حينه ،وأقدم ذكر له يعود للقرن السادس عشر الميلادي، ولهذا السبب خلت منه الردود الإسلامية.

(٢)انظر: تصوير استدلال النصارى بهذه النصوص في رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣١٧ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١١٨/١ ، ١٣٠-١٣٢ ، على التوراة ، الباجي ، ص ٢٥-٢٦ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٤٤-٢٤٥ ، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام** ، القرطبي ، ص ٦٧ ؛ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٣٣ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٢٧-٢٨ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٠-٢٣٩.

(٣)انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٣١.

(٤) انظر: التمهيد ، الباقلاني ص ١٦٥ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩١.

(٥) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٢٨.

وقد نقد أصحاب الردود الإسلامية النصوص التي أوردها النصارى في استدلالهم على التثليث، وكان منهجهم في نقدها أن يمنعوا صحة الاستدلال بهذه الكتب بادئ ذي بدء.

كما أنه ألزموا النصارى إثبات صحة الترجمة العربية ودقتها، ثم ألزموهم إثبات صحة المعنى الذي ادعوه.

وعندما تنزل أصحاب الردود الإسلامية مع النصارى تنزل الخصم، وغضوا الطرف عن وضعية هذه الكتب درسوا استدلالات النصارى وجدوها مليئة بالتعسف والتكلف، ورأوا النصوص لا تشير إلى التثليث إلا على وجوه بعيدة متكلفة.

كما وجدوا أن هذه النصوص - والتي لا يرقى بعضها لأن يعتبر مشكلا - معارضة بكثير من النصوص الموحدة الصريحة والقوية في دلالتها على التوحيد.

فبين أصحاب الردود الإسلامية المعاني الصحيحة لهذه النصوص المشكلة، وأبطلوا تأويلات النصارى وتكلفهم في الاستدلال، وطبقوا ذلك على سائر هذه النصوص، فقد كذب شيخ الإسلام ورود نص التكوين بالصورة التي ذكرها النصارى " لنخلق خلقا على شبهنا ومثالنا " واستند إلى ما جاء في ترجمات أخرى وفيها " نصنع آدم كصورتنا شبهنا " أو " نختلق بشرا على صورتنا وشبهنا" .[1]

وفائدة استبعاده للترجمة المتداولة عنده الخلوص من لفظة: "مثالنا"[2].

وقد أورد ابن حزم والقرافي النص خاليا من كلمة " مثالنا "،وشككا في لفظة " شبهنا "،واعتبراها من الكذب المضاف إلى النص، وقال ابن حزم بأن المثلية والشبه " معناهما واحد "، وكذا رفض الباجي صيغة النص، واعتبره نصا كاذبا، أو عدل فيه عن اللفظ الحسن إلى لفظ موهم لا تليق نسبته لله[3].

ويفرق شيخ الإسلام بين المثلية والشبه، ويرى أن الشبه يكون في بعض الوجوه دون بعض ،ولا يقتضي ما يقتضيه التماثل من الاشتراك في الأحكام كالجواز والامتناع، كما لو قيل هذا حي عليم قادر، وهذا حي عليم قادر تشابها في الاسم، و لم يوجب ذلك المماثلة في المسمى، بل هناك قدر مشترك، وهو معنى كلي، ثم لكل من المشتركين خصوصيات، فعلم العبد مغاير لعلم الله، وحياة الله الأزلية لا تماثل حياة المخلوق، وكذا القدرة.أما المغايرة بين المتشابهين فهي واضحة.

وهذا النص لا يصلح دليلا على التثليث، لأن النص ورد في آدم، وليس فيه ما يخص المسيح بشيء، وهو يشبه قول النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله خلق آدم على صورته ".[4]

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٥.

(٢) لم ترد هذه اللفظة في الترجمات الحديثة.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ١١٨ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٤٧ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧١ ، على التوراة ، الباجي ، ص ٢٥-٢٦.

(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٥ ، والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، برقم : ٢٦١٢في ٢٠١٧/٤ ، وابن حبان في صحيحه برقم:٥٦٠٥ في٤١٩/١٢ .

ويفسر الخطيب النص التوراتي بأن معناه " نصنع آدم على صفتنا أي حيا عالما قادرا مريدا..." .[1]

واستدلال النصارى بورود النص بصيغة الجمع على أن المراد منه تثليث الآلهة استدلال غير صحيح ،لأن استخدام صيغة الجمع للواحد أمر معروف في سائر اللغات يراد منه التعظيم والتفخيم، فيطلق على الواحد المطاع العظيم بصيغة الجمع.

استدلال النصارى على التثليث بهذا النص يشبه ويماثل ما قاله نصارى نجران حينما احتجوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ورد في القرآن ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾[2]

فوصمهم الله عز وجل بترك المحكم واتباع المتشابه ابتغاء الفتنة.[3]

وثمة أمر آخر يجعل النص التوراتي غير صالح للاستدلال هو أن النص بمفهومه التثليثي يتعارض مع ما تقوله أمانة النصارى التي نسبت الخالقية تارة لله، وتارة للابن، و لم تنسب شيئا للمجموع.

وأما سجود إبراهيم للثلاث ومخاطبته للواحد فهو أيضا لا دلالة فيه، فابن حزم يعتبره من الكذب كسائر ما في الكتب المقدسة عندهم، ويرفض الخطيب هذا الاستدلال أيضا لأنه اعتبره من الكذب حيث قال بوجود تحريف في الألفاظ لا تقره اليهود الذي نزل عليهم .[4] قلت: بل اليهود يقرونه ولا ينكرونه، وهو في توراتهم العبرانية. ويصر الخزرجي وابن حزم – إن غض الطرف عما في النص من فضائح وكذب، وسلم بصحته – يصران على أن المقصود من النص :ملائكة حلوا ضيوفا على إبراهيم، والقول بأن الذي حل ضيفا على إبراهيم هو الله غاية في القبح والكذب .[5]

وعلماؤنا لم يذهبوا إلى اعتبار ضيوف إبراهيم من الملائكة موافقة لما في القرآن الكريم فحسب، بل أن النص محال أن يقصد سوى ذلك، أو من السخف كما يرى الخزرجي القول بأن المراد هو الله، لأن في النص ما يحيل ذلك كما في غسيل إبراهيم لرجليه، وأنه قوى قلب ضيفه بكسرة خبز، وهي ما وصفها ابن حزم بأنها " التي لا سوي لها، ولا بقية بعدها، والتي تملأ الفم ".[6]

وأيضا في النص أمور أخرى لا تتفق ومعتقدات النصارى منها القول بشخوص ثلاثة ،ومنها أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن، ومنها جهله بمن في الخباء، وسؤاله إبراهيم عمن فيه، ومنها تكذيب سارة لمن زعموا ألوهيته عندما سأل إبراهيم عن سبب ضحك سارة، فأنكرت أنها ضحكت.[7]

---

(١) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٢.

(٢) سورة الحجر ، آية:٩

(٣) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٥.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ١٣٠ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٢.

(٥) يصح قول علمائنا بأن المقصود في النص هم الملائكة ، فقد جاء النص في التوراة السامرية وفيه: أن ضيوف إبراهيم كانوا من الملائكة.

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ١٣١ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٤٥ ، ومنظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢٦.

(٧) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ١٣١-١٣٢.

(انظر التكوين ١٨/٦-١٥).

وأما قول الله لموسى:" أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب " (الخروج ٣/٦).فلو أريد بلفظ: " إله إبراهيم " الأقنوم الأول، و" إله إسحاق " الأقنوم الثاني، و" إله يعقوب " الأقنوم الثالث لكان كل أقنوم من الأقانيم مختصا بربوبية نبي من الأنبياء، وباقي الأقنومين ليسا بإلهين له، وهو كفر عندهم وعند غيرهم.

والعطف يكون تارة لتغاير الذوات، وتارة لتغاير الصفات، وهنا في النص تغاير صفات، وفائدة هذا التكرار الدلالة على أن كلا من الأنبياء الثلاثة قد عبد الله عز وجل.

والقول بتعدد الأرباب لا تقره النصارى، والاستدلال بهذا النص على التثليث يفيد التعدد لا محالة.

ومثل هذه الصياغة معهودة في كلام العقلاء، كقول الرجل: هذا أمير كذا، وأمير كذا، وأمير كذا، وهو أمير واحد، ومثله كثير في القرآن الكريم، وكتب القوم، ولا دلالة فيه على ما زعموا البتة .(١)

ومن استعراض هذه النصوص يثبت أن عقيدة التثليث غير موجودة في التوراة، وهذا وحده يكفي لإلقاء ظلال الشك في أصالة هذه العقيدة التي يقر النصارى بعدم وجود نص صريح لها في التوراة، ونرى أنه لا وجود لنص صريح أو غيره في الدلالة عليها .(٢)

لكن العجب في النصارى يزداد لعدم ورود هذا المعتقد في الأناجيل سوى ما ورد في متى، فكان القشة التي تعلق بها النصارى.

ولكن وجود هذا النص لا يكفي للدلالة على عقيدة التثليث، ليس لأنه نص وحيد فحسب، بل لأمور منها عدم تسليم سائر النصارى بهذه الدلالة، فأريوس وأتباعه الذين يسلمون بصحة هذا النص لا يسلمون ولا يقرون بعقيدة التثليث، فدل ذلك على احتمالية دلالة النص،وأمر كهذا لا تثبت به عقيدة بمثل مرتبة التثليث .

ثم على عادة علمائنا تعاملوا مع النص بواقعية يفرضها الحوار والجدل، فسلموا جدلا بصحة هذا النص رغم انفراد متى به، وكونه وحيدا لا مثيل له في الأناجيل الأربعة إضافة إلى تأخره في دعوة المسيح حيث قاله المسيح لأتباعه بعد الصلب المزعوم والقيامة، وقبيل صعوده إلى السماء، ولم يرد لمثله ذكر طوال حياة المسيح ودعوته.

غض أصحاب الردود الإسلامية الطرف عن ذلك كله، وبحثوا عن موضع الدلالة فيه على التثليث، فوجدوها أوهى من بيت العنكبوت، ولفهم النص استخدموا ما يسمى في الفكر الإسلامي بالتفسير بالمأثور ،فتتبعوا ألفاظ: " الآب " و " الابن " في أماكن ورودها في الكتب المقدسة ،ونظروا في معانيها، فوجدوها تطلق على معاني لا تخرج عن ربوبية الله الأب الذي يرحم ويسدي نعمة على عباده المؤمنين الطائعين، والذين منهم عيسى ولا ريب.

وأما لفظة روح القدس، فوجدوها تطلق على معنيين متكاملين: الأول: جبريل عليه السلام. والثاني: الوحي والهدي والتأييد الذي يتزله الله بواسطة الملك أو غيره على الأنبياء والصالحين، ومنه قول

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٩-٢٤٢.

(٢) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣١٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٣٤.

داود: " روحك القدس لا تنـــزع مني " (المزمور ٥١/١١) وقوله " واسكب روحي على كل قديـــس " (يوحنا ٢/ ٢٨).[١]

وهذا المعنى هو الذي ورد أيضا في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ أولئك كتـــب في قلوبهـــم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾[٢]

وبناء على ما تقدم وجه أصحاب الردود الإسلامية النص إلى معان أخر مقبولة عند المسلمين، يقول الخطيب السكندري في معناه " أن يدعو الناس باسم الله وباسم المسيح وباسم الملك الذي أيده بـــه هـــو وروح القدس، فجمع الثلاثة في اسم الدعوة، ويكون معناها في الدعوة مختلف، فيكون الباري عز وجـــل هو المعنى بأنه الرب المعبود، ويكون روح القدس هو المعنى بأنه المرسل إلى عيسى من عند ربه، ويكـــون عيسى معنيا بأنه الرسول إلى الخلق بجامع الثلاثة في اسم الدعوة، إذ كانوا جميعا بها آمرين " .[٣]

ويقارب هذا المعنى المعنى الذي قاله الحسن بن أيوب ثم قاله شيخ الإسلام : " مـــروا النـــاس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذي أرسله، وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به، فيكون ذلـــك أمـــرا لهـــم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله " .[٤]

وتفسير الألفاظ على هذا النحو بتتبعها في مواضع وردودها " تفسير ظاهر ليـــس فيـــه تكلـــف، ولا هو من التأويل " ، وهو " يوافق سائر ألفاظ الكتب التي عندهم "، وهو أيضا " أولى من تفسيره بمـــا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول " .[٥]

ويفسر القرطبي والخطيب نص متى بمعنى أوضح ، وهو: " أن يجمع لهم بركات من ذكر ".[٦]

ويطرح القرطبي معنا آخر للنص، لكنه بعيد ولا يراعي معاني الألفاظ كما جاءت بها النصـــوص المختلفة ،وهذا المعنى هو أنه " أراد بالأب هنا الملك الذي نفخ في مريم أمه الروح، إذ نفخه سبب علـــوق أمه، وحبلها به، وأراد بالابن نفسه.... " .[٧]

ويبقى أوضح المعاني وأكثر قبولا هو القول بأن المراد بالنص البركة، وهذا المعـــنى مقبـــول عنـــد النصارى، فهو كقولهم عند إرادة الدعاء لأحد " اسم فلان النبي معينك على أمورك، وصـــلاة القديـــس تكون معك، تريدون بذلك البركة لمن تدعون له ".[٨]

وبالنظر في الأدلة النصرانية التوراتية والإنجيلية يتبين لنا مقدار التعسف الذي أراده النصارى مـــن

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٧-٩٨ ، ١٢٤ ، ١٣٢.

(٢) سورة المجادلة ، آية: ٢٢.

(٣) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٢.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٨ ، وانظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٤٣.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٩.

(٦) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٣ ، وانظر: الإعلام بما في دين النصارى مـــن الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٦٤.

(٧) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٦٤.

(٨) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٣ وهذه الصيغة لا يقرها المسلمون كمـــا لا يخفى.

هذه النصوص، فقد أرادوها أن تدل على ما لا دلالة عليه.

ثم يدعى سائر البشر للإيمان بعقيدة قامت على مثل هذا التكلف الذي لم نجد له مثيلا حتى عند حديثنا عن أدلة الحلول والاتحاد النصية.

ولعل مرد ذلك هو أن النصوص التوراتية والإنجيلية سابقة لعقيدة التثليث بقرون عدة، بينما كانت نظرية الحلول وألوهية المسيح مزامنة لكتابة الأناجيل، بل ولربما سابقة لصيغتها الأساسية.

وهذه الاستدلالات النصرانية المتهافتة في موضوع التثليث تقابل بنصوص كثيرة مصرحة بالتوحيد، جلية فيه.

نصوص التوحيد في التوراة

اهتم أصحاب الردود الإسلامية بالنصوص الموحدة الكثيرة المبثوثة في التوراة والإنجيل لقوة دلالتها، وساقوها لإبطال عقيدة التثليث[1] منها ما جاء في الوصايا العشر لبني إسرائيل ففي أولاها " أنا الله ربكم الذي أخرجتكم من أرض مصر، من بيت العبودية، لا يكون لكم إله غيري " (الخروج ٢/٢٠). وجاء في التوراة أيضا " أنا الرب إلهك فلا تعبد إلها غيري، ولا تشبه بي شيئا مما في الأرض، ولا مما في السماء، ولا مما تحت الماء " (قارن الخروج ٣/٢٠).

وقال موسى لبني إسرائيل " اسمعوا يا بني إسرائيل، الله ربنا إله واحد " (متى ٢٩/١٢). ، وجاء في نبوة إشعيا " قال إله إسرائيل: أنا الأول، وأنا الآخر، وليس غيري " (إشعيا ٦/٤٤)، ومن ذلك أيضا ما جاء في متى " أن رجلا قال للمسيح أيها الخير، فقال له المسيح: لم سميتني: الخير؟ ليس الخير إلا الله وحده " (متى ١٧/١٩)، وكذا قول يوحنا " أن المسيح رفع بصره إلى السماء، وتضرع إلى الله وقال: إن الحياة الدائمة تجب للناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الحق، وأنك أنت أرسلت يسوع المسيح " (يوحنا ٣/١٧)، ولما جرب الشيطان يسوع وقال له: " اسجد لي أعطك ملك الأرض، قال له يسوع:اذهب عني يا شيطان، إن الله أمر في التوراة أن لا يسجد لغيره، ولا يعبد إلها سواه "(متى ١٠/٤، ولوقا ٨/٤) وقال المسيح لليهود " أنتم تفعلون أفعال أبيكم. فقالوا :إنا لم نكن من زنا، وما لنا إلا أب واحد، وهو الله وحده، فقال لهم المسيح: لو كان أبوكم كنتم تحيبونني ، لأني من عند الله خرجت وجئت " (يوحنا ٤١/٨-٤٢).

والتوحيد معتقد تلاميذ المسيح وتلاميذهم، فهاهم عن بولس ينقلون " الله ملك العوالم والدهور الذي لا يفسد ولا يرى، وهو الله وحده، له الكرامة والمجد إلى أبد الآبدين" (تيموثاوس (١) ١٦/١-١٧).

وعند المقارنة بين أدلة التثليث ونصوص التوحيد في الكتب المقدسة عند النصارى يظهر جليا أصالة التوحيد في النصرانية التي أنزلها الله، ويظهر بدعية التثليث والشرك الذي ظهر في مرحلة لاحقة، ثم بحث النصارى عما يسنده من النصوص الكتابية .ويظهر من ذلك كله أن لا دلالة على التثليث من كلام عيسى ولا غيره، كما لم ترد هذه العقيدة في كتب الأنبياء، ولو كانت صحيحة وأصيلة لأطبقت على ذكرها كما أطبقت على ذكر التوحيد .[2]

والسؤال الذي يطرح نفسه من أين وردت هذه العقيدة على النصارى وقد كانت مجهولة في أيام المسيح وأيام تلاميذه ؟

---

(١) انظر: الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٧٨ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٨ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٥٨-٦١ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢١ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٤ب.

(٢) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣١٧ ، التمهيد ، الباقلاني ، ص ١٦٥ ، تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، ص٦٩ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٠٦.

لم يشغل هذا السؤال أصحاب الردود كثيرا لأنه لا يؤثر في اتجاهات الرد على النصارى بعـــد أن أثبتوا عدم أصالة هذا المعتقد،لكن القرافي اعتبر بولس " هو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيـــث " [1] ،و لم يقدم دليلا على ذلك سوى ذكر بعض التحريفات التي أدخلها بولس على النصرانية، ووثوق النصارى بـه واتباعهم لرأيه.

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٢٤.

المطلب الرابع: نقد تفسيرات النصارى للأقانيم

يؤمن النصارى بالله والابن و روح القدس، والأب عندهم هو الله، والابن عندهم هو الأقنوم الثاني المتحد بجسد عيسى، والأقنوم الثالث هو روح القدس.

وتختلف الفرق النصرانية في تحديد ماهية عناصر التثليث الثلاث، هل هي أشخاص أم ذات وصفات، أم خواص أم سوى ذلك؟

وهذا الخلاف وحده مؤذن ببطلان نظرية التثليث، وبيان حقيقة ما ترتكز عليه فهي لا تستند على نقل ولا يسلم بها عقل.

ويرى الجعفري أن للتثليث صيغا ثلاثا مفترضة لا يخرج عنها:-

١)أن يكون الثلاثة آلهة، وهو ما يقول به بعض النصارى وتقتضيه ألفاظ الأمانة وإن زعمت أنهم جوهر واحد حيث يقول هؤلاء بأن الأقانيم أشخاص " يومأ إليها ، ويقع عليها الحد " ووفق تعبير الكندي " أشخاص بجوهر واحد، كل منها موجود في خاصته ".

٢)أن الجميع إله واحد ،والواحد من الثلاث ليس بإله، ولا يقول بهذا أحد من النصارى.

٣)القول بإله واحد، والباقي صفات له أو خواص له .[١]

وهذه الصيغة يرتضيها المسلمون إن بقيت في إطارها المنطقي السليم .

والصيغة الأولى التي تعرف الأقانيم بأنهم أشخاص أصدق الصيغ في التعبير عن حقيقة الثالوث النصراني، وهي لازمة لكل من قال بالأمانة، إذ هي موافقة لها، فالأمانة تفرق بين الأب والابن وروح القدس، وتقول بانفصال الابن عن الأب وتجسده في بشر، ثم جلوسه عن يمين أبيه، وتسند له أفعالا مغايرة عن أفعال أبيه، وتسميه جوهرا مساو لجوهر الأب، ولا يساوي الجوهر إلا جوهر آخر، فلزم تعدد الآلهة.[٢]

وهذه الصيغة تواجه بسائر ما ذكرنا من النصوص الموحدة التي تمتلئ بها الكتب المقدسة.

ونبه أصحاب الردود الإسلامية إلى أن من يقول بأن الأقانيم أشخاص يلزمه التشبيه والتجسيم، ويرى الوراق بأنه لا فرق بين القول بأن الأقانيم أشخاص أو أشباح أو أجسام ،والقول بالجسمية مفض إلى القول بالحدوث.[٣]

وينطوي القول بثلاثة أشخاص مع القول بوحدة الإله على خطأ رياضي جسيم، إذ هو يجعل

---

(١) انظر: الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٧٨ ، رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٥٢ ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ،عبد المجيد الشرفي ، ص ٢١٢ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٥٧ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٨٧ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٥ب.

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٨٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٧.

(٣) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٧-٢١٢.

الثلاثة واحد، وهذا لا يكون إلا مع القول بالتركيب كما في قول من مثل لوحدة الأقانيم بالنوع الذي يندرج تحته آحاد متفرقة ، فالإنسان مثلا يندرج تحته محمد وزيد وخالد ، وهم واحد بالنوع. والقول بالتركيب ينافي الأزلية .[1]

وينقد الكندي أيضا هذه الصيغة بطريق آخر، فالأقانيم عندهم أشخاص بجوهر واحد، وكل منها موجود بخاصته التي يخالف فيها الأقنومين الباقيين، فكل منها مركب من مشترك وخاص، مركب من الجوهر الذي عم الأقانيم والخاصة التي خصته دون سائر الأقانيم، وكل مركب معلول، وكل معلول ليس بأزلي، فإذا لا الأب أزلي ولا الابن ولا الروح القدس ، ثم تقول النصارى عنهم بأنهم أزليون، فهذا من أشنع المحال .[2]

ويرى الحسن بن أيوب وغيره من أصحاب الردود أن هذه الصيغة تفضي إلى تسلسل الأقانيم إلى ما لا نهاية يقول الجعفري " أتثبتون كل واحد في التثليث إلها حقيقة أو مجازا ؟

فإن ادعوه حقيقة قلنا لهم: أتجوزون خلو الإله الحقيقي عن الحياة والعلم أم لا؟

فإن قالوا: نعم. قلنا: فلا حاجة إلى الأقانيم، إذ الإله مستغن عنها.

فإن قالوا: لا بد للإله أن يكون حيا عالما. قلنا: فيجب وصف كل واحد من الأقانيم بالحياة، وحينئذ يصبح التثليث تسبيعا ،إذ حياة كل واحد من الأقانيم وعلمه قنومان له ،ثم كل واحد من الأقانيم (السبعة)...إن كان إلها حقيقة وجب أن يكون حيا عالما، وتسلسل إلى غير نهاية ".

ويرى ابن تيمية أن الكفر الذي يرد في هذه الصيغة أكبر من الكفر الذي يرد على الثنوية، لأنه يثبت من الآلهة أكثر مما يثبته الثنوية .[3]

وقد يؤخذ على المسائل التي أوردها الكندي ما يؤخذ على الاستدلالات المنطقية في عدم تسليم الحد الأوسط ولزوم إثباته.

وأما الصيغة الثالثة وهي القول بإله واحد و أقنومين صفتين له أو خاصتين لتلك الذات التي لا تقبل التبعيض. فهذا القول دون القول السابق في نكارته. ولو كان عرض النصارى له ضمن ما يقتضيه المنطق السليم لما كان لعلمائنا سوى ملاحظة واحدة تتعلق بعدم وجود دليل على حصر الصفات بثلاث كما لا دليل على أن الابن والروح القدس من صفات الله.

وأول نقد يتوجه لهذه الصيغة إنكار التسميات المبتدعة الموهمة لصفات الله والتي لم يرد شيء منها حتى في كتب النصارى المقدسة.

فالابن في سائر أماكن وروده في الأسفار النصرانية يطلق على العباد والصالحين ،والروح القدس يطلق على ما يحل في الأنبياء وما يؤيدون به من الله.و لم يرد في شيء من الكتب اعتبار الابن صفة لله

---

(١) انظره: في رد الكندي .الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٨ ، ٢١٠.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٨ ، ما بين القوسين في المطبوعة (التسعة) ، انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٥٢ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، ص ٥٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ٥٤.

ولا الروح .[1]

ولا يعتبر القرافي هذا الإطلاق من الكفر، ولكنه يحذر من هذا الإطلاق لأنه لا دليل عليه إضافة إلى أنه موهم بالحدوث للابن والولاد لله عز وجل ،فلفظ الأبوة والنبوة ألفاظ عرضية تفيد معاني محدثة، فكيف تطلق على الأقانيم الإلهية الأزلية التي لا مجال فيها للحدوث والأعراض ؟[2]

ولفظ الأبوة والنبوة إما أن يريد به النصارى الحقيقة أو المجاز، والقول بأنها على الحقيقة يفيد الأبوة والبنوة المعتادة عند سائر الحيوان، وهذا لا يقوله أحد .والقول بأنهما على المجاز أيضا مردود لأنه لا يجوز إطلاق اللفظ إلا بجامع بين الحقيقة والمجاز .[3]

ثم هذا اللفظ الموهم جعل بعض النصارى يعتقدون أن بنوة المسيح بنوة حقيقية، وأن مريم هي زوجة الله جل وعلا، وهو ما أنكره القرآن بقوله ﴿ يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾[4] وسمى ابن البطريق الملكي هذه الفرقة (المريمانية) [5] .

ولإظهار نكارة إطلاق ألفاظ النبوة والأبوة وقبح هذا الاستعمال يطلب شيخ الإسلام من النصارى أن يسموا مريم زوجة الله وصاحبته، ثم ليتأولوها كما تأولوا الولاد، وليقولوا الأب أب للاهوت دون الناسوت، ومريم أم للناسوت دون اللاهوت.[6]

وقد أدرك أصحاب الردود الإسلامية أن النصارى يعنون بالنبوة والأبوة ولادا غير حقيقي (غير حيواني) وأنهم يقولون بولادة لاهوتية -كما أسمتها النصارى- ولكن هذه أيضا تقضي بانفصال جزء من اللاهوت عنه، وهو منكر ومستلزم نقص الإله كما هو مستلزم التبعيض والتجزيء، وإلا فلا ولاد ولا بنوة ولا أبوة، ولم يرد في شيء من كتب النصارى القول بتولد الصفات الإلهية عنه.[7]

ويرفض القرافي تشبيه بعض النصارى استعمالهم لهذه الألفاظ الموهمة بما ينسبه المسلمون لله عز وجل من صفات لا تشبه صفات المخلوقين وإن اتحدت التسميات ،إذ المسلمون أطلقوا هذه الصفات على الله عز وجل بعد ما قام الدليل القطعي على أن الله سمى ووصف بها نفسه، فقد نقلنا ذلك عنه من كتابه الكريم الذي نقل إلينا بالتواتر، وأما تسميات النصارى فلا دليل عليها أصلا في كتبهم الذي تحتاج

---

(١) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٩ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٥٧.

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٣٥ ، ٤٢ ، رد الحسني .الفكر الإسلامي في الرد على النصارى عبد المجيد الشرفي ، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٦٨.

(٤) سورة المائدة ، آية: ١١٦.

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ٢٢ ، ٤٣.

(٦) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٢٩.

(٧) انظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٥٧ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٩٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٥٧-١٥٨.

هي أيضا لدليل يثبت صحتها وقداستها .[1]

وحصر النصارى الأقانيم (الصفات) بثلاث لا دليل عليه، وقول بعضهم أن الثلاثة أتم الأعداد، لأنها تجمع بين الفرد والزوج، فوجب الله أن يكون كذلك. فمثل هذا القول لا يرقى لأن يعتبر دليلا في إثبات مثل هذه المسألة.

وابن حزم يرد هذا القول بوجوه عدة منها:-

-أن الباري علا و جل لا يوصف في باب الإضافة بكمال وتمام، فهذا يوصف به من يطرأ عليه العجز وينزاح بما أضيف إليه.

-كل الأعداد التي بعد الثلاثة أكمل أتم، لأنها إما أن تجمع زوجين أو زوجين وفرد. فيلزم من قول النصارى أن يكون الرب أعدادا لا تتناهى، وهو فاسد ومحال.

وعليه يمكن أن نقول بأن الأقانيم أقنومين فحسب، لأن الاثنين تجمع بين فردين وهي زوج، وهذا كله من الهراء.

-وهذا القول مناقض لمعتقد النصارى في التثليث حيث يقولون الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، فثلاثتهم ليست مكونة من زوج وفرد، أي ليست مجزئة، بل الكل فيها هو الجزء، والجزء هو الكل، بينما في قولهم هذا الثلاثة مكونة من زوج وفرد (جزئين) يكونان كلا، فالكل ليس الجزء، والجزء ليس الكل.[2]

والنصارى حين يقولون بأن الأقانيم صفات يختلفون اختلافا كبيرا في تحديد معاني هذه الصفات.

فالبعض منهم اعتبر الأقانيم الثلاثة صفات، وسماها بعضهم أسماء أفعال في حين اعتبرها آخرون مكونة لذات وصفتين. ثم اختلفوا في تحديد هذه الصفتين أو الثلاث على صيغ كثيرة نقدها علماؤنا.

ومن هذه الصيغ التي تفسر معنى الأب، والابن ،وروح القدس ما يلي (الذات والنطق والحياة)، (الوجود والعلم والحياة) ، (الوجود والحياة والعلم) ، (القدرة والعلم والإرادة) ، (العلم والحياة والقدرة)، (الجواد الحكيم القادر) ، (الذات والعلم والحياة)... وقد أبدلت صيغ أخرى كلمة العلم بالنطق أو الحكمة أو الكلمة .[3]

وأول ملاحظة ترد على هذه التفسيرات هي كثرة الخلاف الذي يبين ويكشف عن مصدر هذا الكلام و موثوقيته، إذ لم يرد مثل هذا في كتب القوم ،وإلا لما وقع مثل هذا الخلاف الكبير.

كما لاحظ أصحاب الردود الإسلامية عدم وجود علاقة بين الألفاظ المفسرة وتفاسيرها المختلفة ،والتناسب بينهما ممتنع في الدلالات اللغوية والتفسيرات الكتابية الاصطلاحية حيث لا يصح لا في اللغة

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤١-٤٢.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٢-٥٣.

(٣) انظر: هذه التفسيرات في رسالة الحسن بن أيوب ٢/ ٣٤٣ ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجباره/ ١٤٣ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٠-٥١ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٦٣ ، الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٧ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩١ ، ١٥٨ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ٢.

ولا في اصطلاحات الأناجيل تسمية علم الله أو كلمته ابنا، أو تسمية حياته روحا للقدس أو سوى ذلك. بل إن الأناجيل تخالف هذه التفسيرات ،فلئن كان النصارى يقولون الابن هو الكلمة فإن الإنجيل يقول: " الكلمة هو الله " (انظر يوحنا ١/١).[١]

وكذب ابن حزم تبرير بعضهم بأن علم العالم يسمى ابنه حسب اللغة اللاتينية، لأنه يرى الإنجيل أصله عبراني، ونقل للسريانية، وهذا غير موجود في اللغة العبرانية .[٢]

ويحاول مجادل القرطبي إثبات مناسبة بين الألفاظ وتفاسيرها النصرانية فيقول " إنما خاطبنا بمثل تعاملنا، فجعل هذه الأسماء كاختلاف قضايا تلك الأفعال... فأول القضايا خلق الله الجميع بيد سماها: أبا، و أضافها إلى القدرة ، وأضاف قضية وعظ المسيح للناس إلى العلم ، وسماه :ابنا ، لأن العلم لايوقع عليه حتى يتولد كلاما ، أضاف قضية فناء جميع الدنيا ومكافأة أهلها بأعمالهم إلى الإرادة ، وسماها :روح القدس ".[٣]

ولكن هذا تبطله التفسيرات الأخرى، كما تبطله الأمانة التي أناطت الحساب والخلق بالابن، وأناطت تجسد المسيح وكلام الأنبياء بالروح القدس.

والحق أن النصارى صدروا في جميع هذه التفسيرات عن عقولهم، واعتمدوا في تقريرها على تقليد قسسهم وأسلافهم وتقليدهم على غير علم، ولذا " لما سئل أحدهم لم جعلت أقنوم العلم ابنا دون أقنوم الحياة قال: لأنه مذكر. فقيل له: هلا قلت: الحياة ابنة الله ؟".[٤]

ويلزم من قال بأن الأقانيم صفات ثلاثة: القدرة والعلم والإرادة، أو الجواد والحكيم القادر.. فيلزمه أن يثبت ذاتا تتصف بهذه الصفات، فيصبح التثليث تربيعا[٥]. وهذا إنما يلزم من قال : الجوهر غير الأقانيم.

أما الذين يثبتون ذاتا وصفات فهؤلاء يلزمهم أيضا إثبات صفات كثيرة، لأن الله موصوف بصفات كثيرة فيبطل التثليث .[٦]

ولكن مجادل القرطبي علل حصرهم الصفات بالقدرة والعلم والإرادة مع كثرة الصفات بأن هذه الصفات الثلاث أصل لجميع التسميات " وفيها تنبثق ، وفيها تندغم ، فعزيز وقوي وغلوب وقاهر وما أشبهها أصلها : القدرة ، ومنها تنبثق ، وفيها تندغم. وغفور رحيم راضي وساخط ومعاقب أصلها الإرادة .[٧]

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/٥٥.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٠.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٦٣.

(٤) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٤٣ ، الفصل ، ابن حزم ١/ ٥٦.

(٥) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد ، القاضي عبد الجبار ،٥/٩٦-٩٧ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٦٥ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ٥.

(٦) انظر: رسالة الحسن بن أيوب٢/ ٣٥٤ ، المغني ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٤١ ، الإرشاد ، الجويني ص ٤٨ ، الأجوبة الفاخرة ،القرافي،ص ١١٩، الجواب الصحيح، ابن تيمية ، ٢/١٣٤ ،إرشاد الحيارى،عبد العزيز الدميري،ص ٥.

(٧) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٧١.

لكن القرطبي يرى أنه بنفس منهج النصراني بالاستدلال يلزم إثبات أصول أخـــرى لأن الســمع والبصر مثلا لا ترجع إلى العلم والإرادة والقدرة لذا يجب أضافتها للتثليث، وأرى أن الســـمع والبصـــر يرجعان إلى العلم،بينما لايستطيع النصارى القول بأن صفة الحياة أو الأولية التي يتصف بها الله تعـــود إلى العلم أو القدرة أو الإرادة.

كما لا يسلم أحد من العقلاء بأن أسماء مختلفة الفهوم ترجع إلى معنى واحد، ولو صح ذلك لصـح أيضا أن يقال بأن الإرادة ترجع للعلم، وأن العلم يرجع للتجرد عن المادة، وأن القدرة ترجـــع للوجـــود، وذلك كله مبطل للتثليث .[1]

ويعلل آخرون من النصارى إصرارهم على إثبات النطق والحياة أن الأشياء لا تخلو أن تكون حيـــة أو غير حية، ناطقة أو غير ناطقة، ورأوا أن الواجب يحتم أن يكون الباري ناطقا حيا.

ورد ابن حزم بإبطال هذا التمثيل الذي يشرك الله عز وجل في الحكم مع المخلوقات المركبة مـــن جنس وفصل ،فهي محدثة مركبة، والباري غير ذلك.[2]

ولما كانت اكثر الصيغ تداولا (الذات والعلم والحياة) فقد ألح أصحاب الردود الإسلامية على إثبات صفات أخرى، وخصوا القدرة والإرادة، واعتبروها لا تقل ضرورة بحال عن العلم والحياة، فالخلق مثـلا لا يكون إلا من قادر، والتخصيص لا يكون إلا من مريد .[3]

فإن قال النصارى بأن القدرة هي الحياة. قيل لهم: العلم هو الحياة.

وإن قالوا ليس العلم الحياة، لأنه قد يكون حي وليس بعالم كالمجنون. قيل لهم :قد يكون حي ليـس قادرا كالمغشي عليه ونحوه، فالقدرة ليست الحياة .[4]

والنتيجة التي ألجأ النصارى إليها أن لا دليل على تخصيص الأقانيم بثلاث، ومن قال بذلك يلزمـــه الدليل " ولن يقدروا عليه أبدا، فدل ذلك على أنهم ليســـوا علـــى ديـــن ولا في شـــيء مـــن أمرهـــم على يقين ".[5]

ويلزم على كافة الصيغ والتفسيرات النصرانية التفريق بين الذات والصفات، فالصفات لا تقـوم إلا بذواتها، ولا تنفصل عنها، لكن النصارى يقولون بأن الابن هو العلم أو الحكمة أو الكلمة، وأنـــه اتحـــد بجسد عيسى.

ويلزم أيضا على هذا القول محالات أخرى منها أن الصفة مساوية للموصوف، وهذا ما لا يقول به عاقل، إذ الصفة لا تساوي الموصوف، والذات الموصوفة بصفة لا تساويها نفس الذات عندمـــا تتصـــف بصفة أخرى مع أن الذات واحدة.

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٧٢-٧٣.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥١-٥٢.

(٣) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٥٤ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حـــزم ١/ ٥١ ، الأجوبـــة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٥٢.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥١.

(٥) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٩.

وإن تجاهل النصارى ما ذكرنا يلزمهم القول باتحاد الأب كما قالوا باتحاد الابن[1].

وأما تفسير الأقانيم بأنها خواص، فينكره القرطبي، ويرى أن النصارى لا تقول به. بينما يرى الوراق أن تفسير الأقانيم بأنها خواص لا يخرج عن ثلاثة وجوه:-

الأول: أن الأقانيم خواص لمعنى رابع هو غيرها، وهذا خروج عن التثليث.

الثاني: أنها خواص لأنفسها، ومعنى ذلك أن الشيء خاصة نفسه، ولأن خاصته عندهم توجب مخصوصا، ومخصوصا يوجب خاصة، فيلزم كون حي هو حياة نفسه، وأن الحياة هي الأقنوم الحي لا غير، والنطق هو الأقنوم الناطق لا غير.

الثالث: أن الأقانيم بعضها خواص لبعض، وإذ ذاك فالابن خاص للأب، والأب خاص للابن، ويكون الشيء خاصة لخاصة، وصفة لصفته. وفي هذا من التخليط ما فيه.

كما يلزمهم أن يكون الأب ابنا لابنه، وأن يكون الابن أبا لأبيه، وأن يكون الابن نطقا لنطقه وكلمة لكلمته، وحياة لحياته، وكذلك القول في الروح.

ويرى الوراق ذلك ضربا في الهوس والتخليط العظيم، وأن رده السابق يلزمهم حرفا بحرف، إن سموا الأقانيم صفات، فالقصة واحدة، واستعارة الألفاظ لا تغير المعاني[2].

ويورد القرطبي على القول بأن الأقانيم خواص ما أورده على من قال بأنها صفات في عدم جواز حصره بثلاث فقد تكون اثنين أو أربع أو غير ذلك، وكل ذلك يبطل التثليث[3].

وأما ما ذكره شيخ الإسلام من تفسير الأقانيم عند بعضهم بأنها أسماء لإله واحد ورب واحد، وأن الأب عندهم هو ابتداء الاثنين، والنطق عندهم هو الابن المولود منه كولادة النطق من العقل، والحيلة هي روح القدس[4].

فهذا لا يقبل ممن يقول بالأمانة كما سبق عرضها، فما هو إلا حيدة وتلاعب بالألفاظ، وتغيير لمعانيها إلى معان أخر.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٨-١١٩.

(٢) انظر: رد الوراق الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢١٣-٢١٤ ، التمهيد ، الباقلاني ، ص ٨٦.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٨٦-٨٧.

(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٢.

المطلب الخامس: نقد أمثلة النصارى للتثليث

تعتبر مسألة التوفيق بين التوحيد الذي جاءت به نصوص التوراة والإنجيل وعقيدة التثليث النصراني إحدى أكبر العقبات التي تواجه الفكر النصراني ،فهذه المسألة لا يمكن تصورها بالعقل كما لم يقم عليها دليل من النص.

ولتقريب هذه المسالة من العقول ضرب النصارى لذلك الأمثال، فشبهوا التثليث بالإصبع الواحد الذي يتكون من عدة عقد، وهو إصبع واحد .[1]

ويشبه هذا المثال قولهم: " صح عندكم كون الآحاد الكثيرة عشرة واحدة، والأبعاض الكثيرة إنسانا واحدا وذاتا واحدة... فهلا أجزتم لنا القول بأنه جوهر واحد وثلاثة أقانيم .[2]

ومثله أيضا قولهم " بأن البياض والسواد قد يتحققان بأنهما لونان، ويختلفان بأنهما سواد وبياض، وليس بينهما شيء يخالف بينهما .[3]

ومثل آخرون للتثليث فقالوا " كما تقول: الخياط خيط الثوب، ويد الخياط خيطت الثوب، ولا يلزم أن يقال خياطان، بل خياط واحد، كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد ".

ويشبه هذا المثل مثل آخر فسر الأقنومية بالصفة، فقد شبه يحيى بن عدي الأقانيم بقول القائل : " زيد الطبيب الحاسب الكاتب. ثم يقول: زيد الطبيب، وزيد الحاسب، وزيد الكاتب ".ومثله أيضا تمثيلهم بالإنسان ونطقه وروحه .[4]

وكان أكثر الأمثلة شهرة وتداولا عند النصارى تشبيههم التثليث بالشمس وضوءها وحرها .[5]

ويظهر جليا في استعراض هذه الأمثلة بعد التثليث الذي تذهب إليه النصارى عن أن يكون له مثال أو شبيه، فكل من هذه الأمثلة تلزم عليها لوازم تبطل الاستدلال بها وتمنعه،وإن صح التمثيل به تبطل عقيدة التثليث، وتنقض في أصلها.

فالتشبيه بالإصبع والعشرة يلزم عليه إثبات تغاير الأقانيم. ففي مثال العشرة يقول القاضي عبد الجبار " إنا نثبت آحاد العشرة متغايرة في الحقيقة ونصفها بقولنا " عشرة "، لتبين بهذه الجملة من سائر الأعداد وجملها، ونقول واحدة لتبين أنها من هذه الجملة مرة واحدة، وليس في ذلك تناقض إذا وقعت

---

(١) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٢٨.

(٢)المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨٩.

(٣) المقالات ، الناشئ الأكبر ، ص ٨٥.

(٤) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٣٤ ، وانظر: رد الحسني .الفكر الإسلامي في الرد على النصارى عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٣٧ ، و الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٨ ، ٢٤٥.

(٥) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٢٩ ، و المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ، ٥/ ١٠٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٣٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٢٠.

على المعاني التي أوردناها .[1]

ويتوافق مع القرافي في أن مثال الإصبع ذو العقد إنما هو مثال للأصل و الفرع، والنصارى لا تقول بذلك، بل تقول بأن الأقانيم متساوون في الجوهر، وأنهم جوهر واحد .[2]

ويعتبر الناشيء تمثيلهم بالبياض والسواد المتفقان بأنهما لونان دليلا على جهلهم، لأن اتفاقهما يراد به أن البصر أدركهما، فها هنا شيء قد جمعهما. و لم يوفق بينهما سوى هذا المعنى، وعند تطابق المثل يجب أن تكون الأقانيم مختلفة، لا تتفق إلا لشيء آخر يوفق بينها. وهذا يهدم فكرة الوحدة الأقنومية التي يقتضيها الإيمان المسيحي.[3]

ويلزم على مثال زيد الطبيب الحاسب الكاتب أن الأقانيم جوهر واحد متصف بصفات، وأن هذا الجوهر يلحقه صفة تغاير حكمه عند اتصافه بصفة أخرى.

والأمانة تقول بأن الأب جوهر، والابن جوهر، فهي لا تثبت جوهرا واحد، كما أن عاقلا لا يقول " أن الصفة مساوية للموصوف في الجوهر، ولا أن الذات مع هذه الصفة تساوي الذات مع الصفة الأخرى في الجوهر، لأن الذات واحدة، والمساوي غير المساوى، ولأن الذات مع الصفة هي الأب، فإن كان هذا هو الذي اتحد بالمسيح، فالمتحد هو الأب.... اقتضى ذلك أن يكون الإله الحق المساوي للأب في الجوهر صلب وتألم " [4].وهذا ما ترفضه جل الطوائف المسيحية.

وأما مثال الشمس وحرها وضوئها ، فقد رده الحسن بن أيوب ، واعتبره من التمويه الذي لا يصح " لأن نور الشمس لا يحد بحد الشمس ، وكذلك حرها لا يحد بحد الشمس ، إذ كان حد الشمس: جسما مستديرا وضيقا مسخنا وأثرا في وسط الأفلاك دورانا دائما.. ولو كان نورها وحرها شمسا حقا من شمس حق من جوهر الشمس كما قالت الشريعة (الأمانة) في المسيح :" إنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه ". لكان ما قلتم له مثلا تاما، والأمر مخالف لذلك، فلا يشبهه ، ولا يقع القياس عليه، والحجة منكم فيه باطلة ".[5]

ويوجه شيخ الإسلام سعيد البطريق إلى تصحيح مثاله، ويرى أن التمثيل بالشمس وضوءه وشعاعها أكبر خطأ وإغرابا من التمثيل الذي قال به آخرون، حيث مثلوا بالشمس وحرها وضوءها، لأن الحر والضوء صفات قائمة بالشمس، بينما الشعاع صفة قائمة بغيرها، قائمة بالجدران وبسائر ما يقع عليه الشعاع، ولأن الشعاع يتجزأ، بينما النصارى يؤمنون بثالوث لا يتجزأ ولا يتبعض.

والقول بالشمس وحرها وضوئها لا يطابق قول النصارى في التثليث، لأن النصارى جعلوا كل

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨٩-٩٠.

(٢) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨٩-٩٠ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٣.

(٣) انظر: الأوسط من المقالات ، الناشئ ، ص ٨٥.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٨-١١٩.

(٥) رسالة الحسن بن أيوب ٢/ ٣٢٩ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٠٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٥٢.

أقنوم من الأقانيم جوهرا قائما بنفسه، وليس مجرد صفة قائمة بالذات .[1]

وأما التمثيل بالإنسان وروحه ونطقه، فهو أيضا تمثيل باطل، لأن الروح أيضا جوهر قائم بنفسه وليس عرضا من أعراض الإنسان.

ويلزم عند تطابق المثال مع كلام النصارى "أن تكون روح الله جوهرا قائما بنفسه مع جوهر آخر نظير بدن الإنسان، ويكون الرب سبحانه وتعالى مركبا من بدن وروح، وليس هذا قول أهل الملل: لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى .[2]

ويعاب على سائر هذه الأمثلة أنها جميعا تقيس القديم على المحدث.[3]

وهكذا توصل أصحاب الردود إلى أن عقيدة التثليث عقيدة لا دليل عليها في النصوص، ولا شبيه لها في الوجود، وأن ما ضربه النصارى لها من أمثلة إنما هي مخادعة من علمائهم " لتوهموا جهلاءكم أن لتلك البشائع التي تعتقدونها، وتنطق بها ألسنتكم أسرارا وأصولا ثابتة في الحقائق ".[4]

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي، ص ٣٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٥٥.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٥٤ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القلضي عبد الجبار ٥/ ١٠٤.

(٣) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٠٤.

(٤) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٤١.

المبحث الثالث :الصلب والفداء

تعتبر قصة صلب المسيح إحدى أهم ما ينادي به النصارى.

والمسلمون يسلمون بتعرض كثير من الأنبياء للقتل والتشريد، ولولا أن الله ذكر نجاة عيسى من الصلب لما كان عند المسلمين أي حرج من القول بذلك.

لكن النصارى يعتبرون قضية صلب المسيح مسألة دينية يرتبون عليها عقيدة الفداء والخلاص حيث يعتبرون الإله إنما تجسد من أجل أن يصلب تكفيراً عن خطايا البشر،فالصلب ليس مجرد قصة تاريخية.

والمسلمون حين ينكرون وقوع الصلب فإنهم لا ينكرونه لإبطال عقيدة الفداء والخلاص، وإنما ينكرونه لأنه قد قام دليل قطعي على عدم حدوثه.

وقد عنت ردود المسلمين بكلتا القضيتين فجاءت ردودهم عبر مطلبين:

الأول :في إبطال القول بصلب عيسى.

الثاني :في إبطال عقيدة الفداء والخلاص.

المطلب الأول: إبطال القول بصلب عيسى

تتحدث الأناجيل الأربعة بإسهاب عن مكر اليهود بعيسى ومحاولتهم قتله وصلبه، وتتحدث عن نجاحهم بالقبض عليه ومحاكمته ثم صلبه ودفنه وقيامته من قبره وصعوده إلى السماء.

وتختلف الأناجيل في عرض بعض التفاصيل ،وقد يصل الاختلاف بينها إلى التضاد والتناقض فماذا تقول الأناجيل عن حادثة الصلب ؟

سنعرض لذلك بشيء من التفصيل، ونعرض للموضوع عبر تتبع أحداث قصة الصلب المزعوم الذي تذكره الأناجيل:

المسيح قبل الفصح[1]

يتحدث متى عن جلوس المسيح مع تلاميذه قبل الفصح بيومين، بينما يجعل لوقا ذلك قرب الفصح ولا يحدده بيوم معين، يجعله يوحنا قبل عيد الفصح.

وحسب متى فإن المسيح أخبر تلاميذه أن ابن الإنسان يسلم ليصلب، ويذكر يوحنا أنه عند العشاء ألقى الشيطان في قلب الاسخريوطي أنه يسلمه.

حينذاك كان رئيس الكهنة ورؤوس الهيكل في دار قيافا رئيس الكهنة ،واتفقوا - حسب متى ومرقس - على قتل المسيح، وعلى أن يكون ذلك في غير العيد حتى لا يكون شغب، ويذكر الإنجيليون الثلاثة[2] أن يهوذا ذهب إلى الكهنة وفاوضهم على تسليمه، وأنه صار يبحث عن فرصة لتسليمه، والفرصة - كما ذكر لوقا - أن يجده بعيداً عن جميع الناس. أما الثمن فلم يذكر يوحنا عنه شيئاً فيما ذكر لوقا أنه

---

(١) عيد الفصح أحد الأعياد اليهودية، يحتفل به اليهود والنصارى فيه تبع لهم، وذلك في الرابع عشر من شهر نيسان، ويسمى أيضاً عيد الفطير.انظر قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك،ص ٦٧٩.

(٢) أينما ذكرت الثلاثة ، فالمقصود متى ومرقس ولوقا.

أول أيام الفصح:

في أول أيام الفصح أراد المسيح أن يأكل في الفصح مع تلاميذه، وطلب منهم -حسب متى - أن يكون على العشاء في المدينة عند فلان، و لم يذكر اسمه، لكنه ذكر أن المسيح سماه لهم.

أما مرقس ولوقا فيذكران أن المسيح طلب من اثنين من التلاميذ أن يذهبا إلى المدينة، فيلقيان فيها إنساناً يحمل جرة ماء، فيتبعانه ،وحيث يدخل فعليهما أن يقولا لرب البيت: أن الفصح سيكون في بيته حيث سيريهما صاحب البيت علية كبيرة مفروشة ومعدة لهذا العشاء، وسمى لوقا التلميذين :بطرس ويوحنا.وذهب التلميذان وصنعا كما قال المسيح.

العشاء الأخير

تذكر الأناجيل هذا العشاء، وتميزه تماماً عما سبق الحديث عنه قبل الفصح بيومين غير أن يوحنا لا يفرق بين المجلسين، ويجعلهما مجلساً واحداً.

وفيما المسيح والتلاميذ على العشاء أخبرهم المسيح - حسب يوحنا - أن أحدهم سيسلمه، ويذكر الثلاثة أنه توعد هذا الذي يسلمه، وقال متى ومرقس بأنه قال عنه: " خير له ولو لم يولد " .

فماذا كان ردة الفعل التلاميذ؟

أما متى فذكر أن كلاً من التلاميذ كان يسأل المسيح:" أنا هو يا رب ؟" وفي مرقس:" هل أنا ؟" فأخبرهم أن الذي يغمس يده في الصحفة هو الذي يسلمه.

ويذكر متى أن يهوذا سأله :" هل أنا ؟ " فقال له المسيح : " أنت قلت ".بينما ذكر لوقا أن تساؤلهم كان فيما بينهم عن هذا الذي سيسلم المسيح.

بينما ذكر يوحنا أن التلاميذ نظروا إلى بعضهم وهم محتارون، وأن تلميذا يحبه المسيح - لم يذكر اسمه -كان متكئا في حضن المسيح، فأومأ سمعان بطرس إليه أن يسأله: من عسى أن يكون هذا الذي يسلمه ؟ فاتكأ التلميذ المحبوب- الذي لم يذكر اسمه(يوحنا الإنجيلي) -- على صدر المسيح ، وسأله عن التلميذ الخائن، فقال المسيح:" الذي أغمس اللقمة وأعطيه "، وغمس لقمة وأعطاها ليهوذا الاسخريوطي، " وبعد اللقمة دخل الشيطان يهوذا " بينما يفهم من لوقا أن الشيطان دخل يهوذا قبل العشاء، وطلب المسيح منه أن يعمل ما يريد عمله بأكثر سرعة، و لم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه بذلك، وظنوا أنه طلب منه أن يشتري حاجات العيد، وأنه طلب منه أن يعطي شيئا للفقراء، وذلك لأن الصندوق كان معه، ثم خرج يهوذا.

وهنا يسوق يوحنا موعظة طويلة ساقها في ثلاث إصحاحات من إنجيله (١٤،١٥،١٦).

لكن يوحنا يغفل تماما قصة العشاء الأخير التي قصها الثلاثة، فقد ذكروا أن المسيح أعطاهم خبزا ،وشكر وكسر، أعطاهم إياه قائلا:" هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم ،وأعطاهم الكأس فشربوا منها كلهم، وقال لهم: هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين " . وأخبرهم أيضا أن ما يشربه معهم لن يشربه إلا في الملكوت. ويذكر متى ولوقا أنه وعدهم أن يشربه معهم في الملكوت.

المسيح يتنبأ بإنكار بطرس له

ثم خرجوا إلى جبل الزيتون فأخبرهم المسيح أنهم سيشكون به جميعا في هذه الليلة - كما في متى ومرقس -، فاعترض بطرس بأنه لن ينكر المسيح.

وذكر لوقا قوله باستعداده للتضحية والذهاب مع المسيح للسجن أو الموت. وفي يوحنا أنه أراد أن يتبع المسيح،وأبدى استعداده لأن يضع نفسه عنه. كما ذكر متى ومرقس إظهار جميع التلاميذ استعدادهم للفداء والتضحية.

فأجاب المسيح بطرس بأنه سينكره ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك، وانفرد مرقس بأنه علق إنكار بطرس ثلاث مرات بصياح الديك مرتين.

ويذكر لوقا أنه أمرهم بشراء سيوف ، ولو باعوا في سبيل ذلك ثيابهم، فأخبره التلاميذ بوجود سيفين، فاكتفى بهما.

هذا ويجعل لوقا النبوءة بإنكار بطرس قبل خروجهم إلى جبل الزيتون.بينما يوحنا يلحق تنبؤ المسيح بإنكار بطرس إلى الجلسة التي كانت قبل عيد الفصح، وذكر متى ومرقس أن المسيح أخبر تلاميذه بأنه سيقوم، وأنه سيسبقهم إلى الجليل.

على جبل الزيتون

وتذكر الأناجيل – الأربعة – ذهاب المسيح بعد ذلك إلى ضيعة سماها يوحنا :بستاناً عبر وادي قدرون ، وسماها متى ومرقس: جثماني، ولوقا: جبل الزيتون، وكان ذهابه برفقة تلاميذه.

وذكر يوحنا أن يهوذا كان يعرف الموضع ،لأن يسوع اجتمع كثيراً مع تلاميذه هناك، وأي من الإنجيلين الأربعة لم يذكر كيف عرف يهوذا أنهم قد ذهبوا إلى تلك الضيعة ،وفي الضيعة أمر المسيح تلاميذه بالجلوس حتى يصلي، وأخذ معه بطرس وابني زبدي –حسب مرقس–، وبدأ يحزن ويكتئب، وأخبرهم – كما ذكر متى ومرقس – أن نفسه حزينة حتى الموت، وطلب منهم أن يسهروا معه، وتقدم وخر ساجداً قائلاً –كما ذكر الثلاثة – :" إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت ".

ويضيف لوقا أنه ظهر له ملك يقويه " إذ كان في جهاد ،وكان يصلي أشد لجاجة، وكان عرقه كقطرات الدم ".

ثم جاء للتلاميذ فوجدوهم نياماً، ويبرر لوقا – دون صاحبيه – نومهم بأنه كان بسبب حزنهم.

ثم قال لهم المسيح معاتباً– كما في متى –:" أهكذا ما قد تم أن تسهروا معي ساعة واحدة ". ومرقس جعل الكلام والعتاب خاصاً ببطرس.

ويذكر الإنجيليون الثلاثة أنه أمرهم بأن يصلوا لئلا يدخلوا في تجربة. ويواصل متى ومرقس فيصفان حال المسيح " أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف "، وأن المسيح عاد للصلاة ثانية داعياً الله أن تعبر عنه هذه الكأس ،ثم رجع لتلاميذه فوجدهم نياماً، فتركهم ومضى يصلي، ويطلب من الله أن تعبر عنه هذه الكأس، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم :" ناموا الآن واستريحوا ،قد أتت الساعة ،هوذا ابن الإنسان يسلم إلى الخطاة، هوذا الذي يسلمني قد اقترب ".

يهوذا والجند

وفي أثناء كلامه أقبل جمع كثير معهم يهوذا التلميذ –كما في الأربعة – ،وهذا الجمع كان يحمل سلاحاً– كما في يوحنا – . وذكر متى ومرقس أن معهم سيوف وعصي.

ويبين يوحنا أن هذا الجمع الكثير كان جنداً وخداماً عند رؤساء الهيكل وفريسيين، وأنهم كانوا

يحملون مشاعل ومصابيح وسلاحاً.

وينفرد يوحنا بذكر تفاصيل أهم لحظة في الحدث ،وهي لحظة اللقاء والقبض على المسيح ،فيذكر أن المسيح " خرج إليهم ، وقال: من تطلبون ؟ فأجابوه :يسوع الناصري . فقال: أنا هو. فلما قال لهم ذلك رجعوا إلى الوراء ،وسقطوا على الأرض، فسألهم ثانية: من تطلبون؟ فقالوا يسوع الناصري.

فأجاب: قد قلت لكم: أنا هو، فإن كنتم تطلبوني فدعوا هؤلاء يذهبون ".

أما متى ومرقس فيذكران أن يهوذا أقبل وسلم على المسيح، وقبله، وقد جعل ذلك علامة للجند ليقبضوا عليه.

ويذكر متى أن عيسى سأله لماذا جئت يا صاحب ؟

أما لوقا فيذكر أن عيسى قد ابتدر يهوذا بقوله: " أبقبلة تسلم ابن الإنسان ؟ " ،و لم يذكر أن قبله.

ماذا صنع التلاميذ؟

ويذكر الإنجيليون – الأربعة – أن أحد التلاميذ استل سيفه، وقطع أذن عبد رئيس الكهنة، وأن المسيح أمره برد السيف إلى الغمد، ويضيف متى بأن أمره برد السيف ،" لأن الذي يأخذون بالسيف ، به يهلكون "، ولأنه يستطيع أن يطلب من الأب مدداً ، فيرسل له اثنى عشر جيشاً من الملائكة، لكنه لن يفعل لكي تكمل به النبوءات ، وفي يوحنا أنه صرفه ليشرب الكأس التي أعطيت له ، ويسمى يوحنا التلميذ بأنه : " بطرس " ،ويعين الأذن المقطوعة بأنها: اليمنى . وأن اسم العبد هو : " ملخس " .وأضاف لوقا – منفرداً عن بقية الإنجيليين – بأن عيسى لمس أذن العبد فردها كما كانت.

ويذكر الإنجيليون الثلاثة بأن عيسى لام أعداءه لإحضارهم لكل هذه الجموع، كأنهم جاءوا للقبض على لص، وقد كان بإمكانهم أخذه في كل يوم حيث كان يجلس في الهيكل.

ويذكر متى ومرقس: أن التلاميذ كلهم هربوا بعد ذلك. وينفرد مرقس بذكر قصة الشاب الذي تبع المسيح، وهو لابس إزاراً على عريه، فأمسكه الشبان فترك الإزار، وهرب منهم عرياناً.

إنكار بطرس

ويجمع الإنجيليون الأربعة أن المسيح ذهب به إلى دار رئيس الكهنة، وأن بطرس تبعه، وينفرد يوحنا بذكر ذهابه قبل ذلك إلى حنان حما قيافا، وأن بطرس لم يكن وحيداً في اتباعه للمسيح، بل تبعه تلميذ آخر لم يسمه، وهذا التلميذ كان معروفا عند رئيس الكهنة[1] وقد استأذن لبطرس ليدخل، فأذن له رئيس الكهنة، فدخل وجلس بين الخدم، ويذكر مرقس هنا أن المحاكمة كانت ليلاً بعد أخذه مباشرة.

ويذكر الإنجيليون الأربعة تحقق إنكار بطرس للمسيح في تلك الليلة ثلاث مرات، ويختلفون في سرد أحداث ذلك.

فالإنكار الأول كان بعد أن قالت جارية: " أنت من تلاميذه ؟ " ، فأنكر قائلاً :" ذاك لست أنا " – حسب يوحنا –، وفي متى ومرقس قال:" لست أدري ماتقولين "، وفي لوقا:" لست أعرفه " .

والإنكار الثاني ذكر متى أنه خرج إلى الدهليز، فقالت جارية أخرى للذي هناك:" هذا كان مع يسوع الناصري، فأنكر مقسماً بأنه لا يعرفه".

---

(١) هذا التلميذ هو يوحنا صاحب الإنجيل كما يظهر في خاتمة إنجيل يوحنا.

وفي مرقس أنه لما خرج للدهليز قالت الجارية نفسها: أن هذا منهم، فأنكر، و لم يذكر قسماً.وفي لوقا أن الذي رآه رجل، وقال:" أنت منهم. فقال: يا إنسان لست أنا ". في يوحنا أنهم سألوه: أنت من تلاميذه ؟ فأنكر ذاك.

وأما الإنكار الثالث: ففي الأناجيل الثلاثة قالوا لبطرس: أنت منهم، لغتك تظهرك ،فابتدأ يلعن ويحلف بأنه لا يعرفه ،و لم يذكر لوقا سوى الإنكار ، وأنه لا يعرف ما يقولون ، وفي يوحنا أن الذي عرفه كان عبداً لرئيس الهيكل ، وكان نسيباً للعبد الذي قطعت أذنه ، فلما رآه قال له: " أما رأيتك أنت معه في البستان ؟" فأنكر.

وتجمع الأناجيل – الأربعة- على أن الديك صاح بعد ذلك، ويزيد مرقس صياحاً آخر للديك قبل الإنكار الثاني. وينفرد لوقا فيذكر أنه بعد صياح الديك التفت المسيح ، ونظر إلى بطرس ، فتذكر بطرس كلامه ، ويذكر الأربعة أن بطرس قد بكى بعدها بكاء مراً ، وذكر مرقس البكاء فقط من غير مرارة .

كما يذكر الأربعة – ما عدا مرقس – أنه في الصباح اجتمع مشيخة الشعب رؤساء الكهنة لمحاكمة عيسى ،ويذكر متى ومرقس أن رئيس الكهنة أو أنهم –حسب لوقا – سألوه: هل أنت المسيح؟، أو المسيح ابن الله – حسب متى –، أو المسيح ابن المبارك – حسب مرقس – الذي جعل المحاكمة في الليلة السابقة ، فأجاب المسيح –حسب متى – : " أنت قلت ". وحسب مرقس: " أنا هو ".

ويذكر الثلاثة أنه قال لهم بعد ذلك: " منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً على يمين القوة آتياً على سحاب السماء "، ويضيف لوقا أنه قال: " إذا قلت لا تصدقوني، وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني ".

ويذكر لوقا أنهم قالوا له حينذاك :" أفأنت ابن الله ؟ فقال لهم: أنتم تقولون: إني أنا هو ".

ويذكر الثلاثة أن الجمع أو رئيس الكهنة اعتبروا المسيح مذنبا حينذاك، ولا داعي لشهادة الشهود ، واعتبروا قوله من التجديف.

وكانت متى ومرقس قد ذكرا أنهم كانوا يبحثون عن شهود وزور ليقتلوا المسيح ، فلم يجدوا مع أنه جاء شهود زور كثيرون لم تتفق شهادتهم.

كما تقدم شاهدان، فقالا بأنها سمعا المسيح يدعي قدرته على هدم الهيكل وبنائه في ثلاثة أيام، وزاد مرقس أنه يبنيه غير مصنوع بأياد. والمسيح ساكت لا يجيب .

ولما ثبت لديهم – على طريقتهم – أنه قد جدف سأل رئيس الكهنة رؤساء الهيكل " ماذا ترون ؟ فأجابوه: الموت ، وبصقوا في وجه المسيح، ولكموه، وهم يقولون: تنبأ من ضربك ؟ "

أما يوحنا فقد عرض الأمر بصورة مختلفة تماما. فقد ذكر بأن رئيس الكهنة سأل يسوع عن تلاميذه وتعليمه، فأجابه يسوع " أنا كلمت العالم علانية، أنا علمت كل شيء في المجمع، وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود ،وأنا في الخفاء لم أتكلم بشيء. لماذا تسألني أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ؟ هوذا هؤلاء يعرفون ما قلت ".

ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدم قائلا: أهكذا تجاوب رئيس الكهنة " فأجابه يسوع: " إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردي، وإن حسنا فلماذا تضربني ".

المسيح في دار الولاية

وأخذ في الصباح إلى دار الولاية حيث بيلاطس، ويذكر يوحنا أن اليهود لم يدخلوها حتى لا يتنجسوا، فخرج إليهم بيلاطس، وسألهم عن شكايتهم على يسوع، فقالوا: " لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك "، فقال لهم بيلاطس: " خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم " فقال له اليهود :لا يجوز أن نقتل أحداً ".

ثم دخل بيلاطس لدار الولاية وأدخل المسيح وقال له :" أأنت ملك اليهود؟" فأجابه المسيح أن مملكته ليست في هذا العالم....

فخرج إليهم بيلاطس ، وأخبرهم أنه لم يجد فيه علة ، وعرض عليهم أن يطلقه لهم كعادته في كل فصح، فثاروا وهتفوا يريدون إطلاق باراباس.

وأما متى ومرقس ولوقا فذكروا أن رؤساء الكهنة جعلوا يتهمون المسيح أمام بيلاطس بأنه يمنع من إعطاء الجزية لقيصر،وحسب لوقا فقط أنه يدعي أنه ملك اليهود.

فسأله بيلاطس:" أأنت ملك اليهود؟ فقال: أنت تقول ". وكان رؤساء الكهنة يشتكونه فلا يرد عليهم حتى تعجب الوالي من حمقه، ووصل إلى نتيجة هي أنه لا علة له، فعرض عليهم أن يؤدبه ويطلقه لهم، فهاجوا أو هيجهم رؤساء الكهنة ليختاروا باراباس.

وباراباس – حسب لوقا ومرقس – محبوس في فتنة جرى فيها قتل، وليس لصاً – كما في يوحنا – .وينفرد لوقا عن الإنجيليين ، فيذكر أن المسيح حمل إلى هيرودس المسئول عن الجليل ،وكان موجوداً في أورشليم ، وأن هيرودس قد فرح بلقائه لما سمع عنه ، وسأله هيرودس بكلام كثير ، فلم يجبه المسيح ، فاحتقره هيرودس، واستهزأ به، ورده إلى بيلاطس .

ويذكر متى أن بيلاطس أرسلت له امرأته وهو جالس في دار الولاية تقول: إياك ودم هذا البار، لأنها حلمت بحلم تألمت فيه كثيراً لأجل المسيح.

وينفرد متى بأن الوالي لما رأى إصرار اليهود على قتل المسيح خاف من حدوث شغب وفتنة ، فأخذ ماء وغسل يديه ، وقال: " أنا بريئ من دم هذا البار " ، فقال اليهود: " دمه وعلينا على أولادنا ".

وتتفق الأناجيل على إطلاق باراباس ، وأن الوالي أسلم المسيح إليهم ليصلبوه . ويذكر متى ومرقس ويوحنا أن الوالي جلده قبل ذلك ، وأن عسكره وضعوا على رأسه شوكاً ، واستهزءوا به ، وهم يقولون : " يا ملك اليهود ".

المسيح على الصليب

وخرج الجند بيسوع ومعه صليبه – حسب يوحنا –، وعند الثلاثة أنهم وجدوا قيروانياً اسمه سمعان فحملوه الصليب.

وسارو به إلى – ما أسماه متى ومرقس ويوحنا – موضع الجمجمة ،وبالعبراني (جلجثة)، وذكر يوحنا أن المكان قريب من المدينة.

ولما صلبوا المسيح اقتسم العسكر ثيابه اقترعوا على قميصه، وكتبوا على الصليب علة قتله، واختلفت الأناجيل في المكتوب ، ففي متى أنه: " هذا هو ملك اليهود " . وفي مرقس: " ملك اليهود " .وفي يوحنا :

" يسوع الناصري ملك اليهود ".

وذكر يوحنا ولوقا أن المكتوب كان مكتوبا بثلاث لغات: العبرانية واليونانية واللاتينية.

واتفقت الأناجيل على أنه صلب وسط اثنين صلبا معه، وذكر متى ومرقس أنهما :لصين، بينما اكتفى لوقا ويوحنا بأن قالا: بأنهما مذنبين. و لم يحددا ذنبهما.

وذكر يوحنا أن رؤساء الهيكل راجعوا بيلاطس في المكتوب على الصليب ، فقال لهم: كتبت ما كتبت.

وأما زمن الصلب فهو عند يوحنا بعد السادسة بزمن ليس بيسير، وعند مرقس في الساعة الثالثة ، و لم يحددها متى ولوقا.

وذكر الإنجيليون الثلاثة أن المجتازين كان يعيرون المسيح فيقولون - حسب متى ومرقس -: " إن كنت ابن الله انزل عن الصليب " ،وحسب لوقا " إن كنت المسيح مختار الله..." ،وكذلك كان المجتازون يقولون ومعهم رؤساء الكهنة :" إن كان ملك إسرائيل فليترل عن الصليب حتى نؤمن به ".

كما ذكر متى ومرقس أنهم كانوا يهزءون به ،ويقولون : " يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك " ، وذكرا أيضا أن اللصين كانا يعيرانه ويستهزئان به، أما لوقا فذكر أن أحدهما كان يعيره، والآخر كان يرد على صاحبه، ويذكره ببراءة يسوع، كما طلب منه المسيح أن يذكره متى جاء في الملكوت، فوعده أن يكون معه اليوم في الفردوس.

وينفرد لوقا فيذكر أن المصلوب قال "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ".

ومما ذكره الإنجيليون عن أحوال المصلوب أنه عطش وقال: أنا عطشان. وحسب يوحنا فجاءوا بإناء مملوء خلا وملئوا اسفنجة وسقوه، وبعدها: أسلم الروح، ونكس رأسه.

أما متى ومرقس فلم يذكرا عطشه إنما ذكرا أنه " صرخ بصوت عظيم: إلوي إلوي لما شبقتني. الذي تفسيره :إلهي إلهي لماذا تركتني ؟، وعندها سقاه أحد الحاضرين الخل ،ثم صرخ بصوت عظيم ، وأسلم الروح " ، لكن لوقا يظهر المسيح بتماسك أكبر "ونادى يسوع بصوت عظيم ،وقال :يا أبتاه في يديك استودع روحي " .

وقد ذكر مرقس أن المسيح في بداية الصلب أعطي خمرا ممزوجة بخل ليشرب، فلم يقبل بينما ذكر متى أنه أعطي خلا ممزوجا بمرارة، فلما ذاقه لم يرد أن يشرب.

أحداث بعد موت المصلوب

وذكر الإنجيليون الثلاثة أنه حصلت ظلمة على الأرض من الساعة السادسة إلى التاسعة، وأن إسلامه للروح كان في التاسعة، وأنه عندها انشق حجاب الهيكل، وانفرد متى فأضاف أن " الأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين ".

وذكر متى أن قائد المائة (من الجنود) وجنوده خافوا بسبب العجائب التي حصلت، ويذكر متى أنه قال حينذاك (القائد): " هذا ابن الله حقا ". وفي مرقس أنه قال : "حقا كان هذا الإنسان ابن الله ". بينما ذكر لوقا أنه قال: " كان هذا الإنسان بارا ".

وذكر أن الجموع التي اجتمعت لرؤية الصلب لما أبصروا ما كان رجعوا، وهم يقرعون صدورهم.

أما يوحنا فيعرض في إنجيله صورة أخرى لموت المصلوب، فيذكر أن اليهود أرادوا أن ينزلوا المصلوبين عن الصليب قبل أن يدخل عليهم السبت، فطلبوا من بيلاطس أن تكسر سيقان المصلوبين، فوافقهم، فجاءوا إليهم، فوجدوا المسيح قد مات، وكسروا ساقي اللصين، وأما المسيح فلا حاجة للكسر لموته." لكن واحدا من العسكر طعن جنب المصلوب بحربة، وللوقت خرج دم وماء ".

ويذكر متى ومرقس أن نساء كثيرات كن ينظرن من بعيد من بينهم مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وأم ابني زبدي. بينما يذكر يوحنا أن أمه وأختها ومريم المجدلية وقفوا عند الصليب، ومعهم التلميذ الذي أحبه المسيح (لم يذكر اسمه ثانية) فقال المسيح لأمه: يا امرأة هوذا ابنك .وقال للتلميذ: هوذا أمك. وذلك التلميذ أخذها لخاصته في تلك الساعة.

دفن المسيح

جاء غني من الرامة (من تلاميذ المسيح) فطلب من بيلاطس على خوف من اليهود - كما يقول يوحنا - أن يأخذ الجسد ليدفنه فأذن له بذلك.

ويذكر مرقس أن بيلاطس تعجب من موت المسيح سريعا، وسأل قائد المائة ليتأكد من موت المسيح،ثم أذن بيلاطس بالدفن، فحمله يوسف - ومعه آخر يدعى نيقوديموس حسب يوحنا - وحنطه ولفه بالكتان كما يكفن سائر اليهود، ثم وضعه في قبر قريب جديد منحوتا في الصخر، أو كان قد نحته قريبا في الصخر -كما في متى -.

ويذكر متى ومرقس أنه دحرج على القبر حجرا كبيرا وعظيما، فوضعه على باب القبر.

ويذكر متى أن يوسف مضى بعد ذلك، و في لوقا أنه كان هناك نساء كثيرات ينظرن إلى القبر وكيفية وضع المقبور فيه، بينما ذكر متى ومرقس مريم المجدلية ومريم أم يعقوب فقط.

وذكر لوقا أنهن رجعن بعد رؤية المقبور ، وأنهن أعددن حنوطا وأطيابا ، وأنهن استرحن في السبت حسب الوصية.

ضبط قبر المسيح

لا تتحدث الأناجيل- سوى متى - عما حصل في يوم السبت فيذكر أن رؤساء الكهنة اجتمعوا إلى بيلاطس قائلين: " يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي :إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب :إنه قام من الأموات. فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى. فقال لهم بيلاطس: عندكم حراس.اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس ،وختموا الحجر ".

قيامة المسيح

تذكر الأناجيل عدد النساء الذاهبات لرؤية القبر بعد استراحة السبت حسب الوصية ،ويحدد لوقا ومتى موعد ذلك بأنه عند الفجر، ويوحنا يقارب فيصف بأن" الظلام كان باقيا "، أما مرقس فيذكر شراء النسوة للحنوط، ثم ذهابهن للقبر باكرا وقد طلعت الشمس.

وأما زائرات القبر فعند متى هما: المريمين. وعند مرقس: المريمين وسالومة. بينما ذكر يوحنا مريم المجدلية فقط ،وأما لوقا فذكر النساء الكثيرات اللاتي كن قد أعددن الحنوط والأطياب قبل السبت ومنهن مريم

المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب.

وهدف الزيارة – عند مرقس ولوقا – أن يدهن الميت ،و لم يذكر لهن متى ويوحنا هدفا ،كما لم يذكرا شيئا عن الحنوط والدهن الذي أعد لهذه الزيارة، ويذكر مرقس تساءل الزائرات الثلاث فيما بينهن عمن سيدحرج لهن الحجر عن باب القبر ؟

وذكر أصحاب الأناجيل –عدا متى – اكتشاف الزائرة أو الزائرات أن الحجر قد دحرج، ولكن متى ذكر أنه عند مجيء الزائرات " حدثت زلزلة عظيمة ،لأن ملاك الرب قد نزل من السماء ودحرج الحجر ،وجلس عليه "،و لم يذكر أي من الإنجيليين – سوى مرقس – موعد خروج المسيح من القبر، ولا حتى متى الذي جعل الدحرجة والزلزلة بعد مجيء الزائرتين. وقد جعل مرقس ذلك " باكرا في أول الأسبوع " أي فجر الأحد.

ووصف مرقس بأنهن شاهدن شابا جالسا على اليمن، بينما ذكر لوقا أن الزائرات رأين رجلين. واتفق متى ومرقس على أن الرجل كان يلبس حلة بيضاء، واتفق متى مع لوقا على ثياب الرجل براقة.

أما الحرس فلم يتحدث عنهم سوى متى، فذكر أنهم ارتعدوا وخافوا، وصاروا كالأموات، و وصف متى شعور الزائرات بالخوف، ومرقس بالدهشة، ولوقا بالحيرة والخوف.

أما يوحنا فذكر أن مريم لما نظرت الحجر مرفوعا عن القبر ركضت، وجاءت إلى سمعان بطرس والتلميذ الحبيب وأخبرتهما قائلة: " أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه ". فخرج الاثنان يركضان وسبق التلميذ بطرس إلى القبر فنظر الأكفان و لم يدخل، ثم جاء سمعان بطرس فدخل، ونظر الأكفان الموضوعة، ورأى المنديل الذي كان على رأس المسيح ليس موضوعا مع الأكفان، بل ملفوفا في موضع وحده ، ثم دخل التلميذ وآمن، و لم يذكر بماذا آمن، لكن ذكر أنهم " لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات "، ثم رجع التلميذان إلى موضعهما ، وبقيت مريم خارجا عن القبر تبكي، ثم التفتت للقبر ، فرأت ملاكين بثياب بيض، جالس أحدهما عن الرأس ، والآخر عند الرجلين في المكان الذي وضع فيه المسيح.

أما الحوار الذي دار بين الزائرات والرجل أو الرجلين أو الملكين ففي متى أن الرجل قال :" لا تخافا فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع الناصري "، وفي مرقس " لا تندهشن أنتن تطلبن يسوع الناصري " ، وفي مرقس" لماذا تطلبن الحي بين الأموات ". واتفق الثلاثة على أن المتحدث أخبر بأن المسيح قد قام، وأنه ليس ههنا ،وأن ذلك تحقيق لما كان المسيح قد قاله ،وفصل لوقا النبوءة بأن قيامته في اليوم الثالث بعد الصلب، وأن ذلك كان عندما ذهب المسيح إلى الجليل ،وذكر مرقس بأن الشاب قال لهن: " هوذا الموضع الذي وضعوه فيه "، وفي متى أنه طلب منهن أن ينظرن إلى المكان الذي كان الرب مضطجعا فيه.

وأما يوحنا فذكر أن الملاكين قالا لمريم :لماذا تبكين ؟ فقالت: " إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفا و لم تعلم أنه يسوع، قال لها يسوع: يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين، فظنت تلك أنه البستاني. فقالت يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه. قال لها يسوع: يا مريم. فالتفتت تلك وقالت له: ربوني الذي تفسيره :يا معلم ". قال لها يسوع: " لا تلمسيني، لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ". فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ.

واستمرت الأناجيل الثلاثة في إكمال الحوار بين الشاب والزائرات، ففي متى ومرقس أنه طلب منهن أن يبلغن التلاميذ بسرعة عن قيام المسيح، وأنه سيلتقيهم في الجليل، وسيسبقهم إلى هناك. وذكر مرقس أنه كان قد قال لهم ذلك قبل صلبه.

ويصف متى حال الزائرات بعد ذلك بأنه خوف وفرح عظيم ،ويصفه مرقس بالرعدة والحيرة ويجتمعان في خروجهن السريع من القبر ،وينص متى ولوقا - ويفهم من يوحنا - أن الزائرات أبلغن الرسالة التي فيها مكان الاجتماع بين المسيح والتلاميذ للتلاميذ، أما مرقس فيذكر أنهن لم يقلن شيئا، لأنهن كن خائفات.

وينفرد متى بذكر أن المرأتين تقدمتا إلى المسيح فسجدتا له، أمسكتا بقدميه وأنه قال لهما: لا تخافا. وأنه طلب منهما أن يخبرا التلاميذ بلقياه في الجليل.

وينفرد متى أيضا بالحديث عما حصل مع حرس القبر حيث ذهبوا إلى المدينة " وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان ،فاجتمعوا مع الشيوخ ،وتشاوروا ،وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا: إن تلاميذ أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيام، وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفكم ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة، وفعلوا كما علموهم، فشاع ذلك القول عند اليهود إلى هذا اليوم ".

الظهور الثاني للمسيح

ويذكر مرقس ظهور المسيح أيضا لاثنين من التلاميذ وهما منطلقان إلى البرية ،وقد ظهر لهما " بهيئة أخرى" ،وذهبا فأخبرا الباقين.

ويروي القصة نفسها لوقا بتفاصيل أوسع " وإذا اثنان منهم كانا منطلقين في ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس، وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث، وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه، وكان يمشي معهما، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته، فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به، وأنتما ماشيان عابسين ؟ فأجاب أحدهما: الذي اسمه كليوباس، وقال له :هل أنت متغرب وحدك في أورشليم، و لم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام ؟ فقال لهما: وما هي؟ فقالا: المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك. بل بعض النساء منا حيرننا إذ كن باكرا عند القبر..." ، واستمر في الحديث معهما ،وكلمهما عن موسى وجميع الأنبياء ،واتكأ معهما وأخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما " فانفتحت أعينهما، وعرفاه ،ثم اختفى عنهما " ،وعاد الاثنان لأورشليم وأخبرا التلاميذ الأحد عشر.

وأما كيفية استقبال التلاميذ لخبر قيامة المسيح، فيذكر مرقس ولوقا انهم لم يصدقوا، ويذكر لوقا أن بطرس مضى بنفسه إلى القبر ليتأكد في رواية النساء، فرأى الأكفان موضوعة فعاد متعجبا، وأما يوحنا فقد أعرض عن هذا و لم يذكره.

الظهور للتلاميذ مجتمعين

تذكر الأناجيل الأربعة: أن المسيح اجتمع بالتلاميذ، ويحدد متى فقط أن الاجتماع كان في الجبل في

الجليل حيث أمرهم المسيح، وتختلف الأناجيل في تحديد عدد وهوية التلاميذ المجتمعين أما يوحنا فذكر أنهم التلاميذ الأحد عشر عدا توما، والمجتمعون – حسب متى ومرقس – هم التلاميذ الأحد عشر .بينما عند لوقا هم الأحد عشر ومعهم آخرون منهم التلميذان اللذان لقيهما المسيح في الطريق، وقد كان يشرحان للتلاميذ ما أخبرهما به وفعله المسيح وهو معهما.

وذكر يوحنا فقط أن الأبواب كانت مغلقة بسبب خوف التلاميذ من اليهود.

واتفق مع لوقا على نوع من المفاجأة في ظهور المسيح في وسط التلاميذ، وأنه قال لهم :سلام لكم.

وأما ما صنعه التلاميذ فذكر متى أنهم سجدوا له، وأن بعضهم شك و لم يذكر من هذا البعض، و لم يذكر مرقس شيئا عن ذلك. وأما لوقا فذكر بأن التلاميذ جزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحا ،فقال لهم: " ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم. انظروا إلى يدي ورجلي. إني أنا هو جسوني .وانظروا ، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه، وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبين قال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزء من سمك مشوي وشيئا من شهد عسل ، فأخذ وأكل قدامهم ". وأما يوحنا فذكر فرح التلاميذ بعدما أراهم المسيح يديه وجنبه. لكن توما لم يكن معهم ، فقال له التلاميذ بعد ذهاب المسيح: " قد رأينا الرب. فقال لهم :إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أومن ".

الوصية الأخيرة

وتختلف الأناجيل في الوصية التي أوصى بها التلاميذ ففي متى أنه قال لهم " دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض ،فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر ".

وفي مرقس أنه وبخهم لعدم إيمانهم وقساوة قلوبهم حيث لم يصدقوا الذي نظروه قد قام ، وقال لهم : " اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ، ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيات ، وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرض فيبرءون ".

أما لوقا فيذكر أمورا أخرى فيقول: " وقال لهم: هذا هو الكلام الذي كلمتكم به، وأنا بعد معكم، أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير... هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم، وأنتم شهود لذلك، وها أنا أرسل إليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة في الأعالي ".

وأما الوصية الأخيرة حسب يوحنا فهي " كما أرسلني الأب أرسلكم أنا، ولما قال هذا نفخ وقال لهم: أقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت ".

ويتوقف متى عند الوصية الأخيرة في الجبل، ويذكر مرقس أنه بعدما كلمهم ارتفع المسيح للسماء، وجلس عن يمين الله. أما لوقا فيذكر أن المسيح أخرجهم خارجا إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم، وأصعد إلى السماء فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم.

ظهور آخر عند يوحنا

أما يوحنا فيذكر ظهور آخر للمسيح مع التلاميذ بعد ثمانية أيام، وفيه تأكد توما وآمن ووضع يديه في جنب المسيح، ويذكر يوحنا مرة أخرى أن المسيح دخل والأبواب مغلقة، ووقف في الوسط.

ثم يذكر يوحنا ظهورا آخر للمسيح بعده عند بحيرة طبرية حيث ظهر لتلاميذه ، وتغدى معهم " و لم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت ؟ إذ كانوا يعلمون أنه الرب " ، و لم يذكر يوحنا شيئا عن صعوده للسماء.

التوراة وحادثة الصلب

وفي ثنايا القصة يربط الإنجيليون بين كثير من جزئياتها ونبوءات أشارت لهذه الجزئيات في الكتب السابقة أو في أقوال سابقة للمسيح.

وعلماء النصارى يستشهدون على وقوع صلب المسيح بهذه النبوءات[1] من ذلك قول داود " نج نفسي من الحربة، ومن فم الأسد " (المزمور ٢٢/٢٠-٢١) . ومثله " أعطوني في مطعمي المرار، وسقوني الخل " (المزمور ٦٩/٢١).

وخلافا لهذه الجزئيات، فإن لوقا ذكر بصراحة أن حادثة الصلب بعمومها، قد وردت الإشارة إليها في كتب الأنبياء حيث يقول : " لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير، حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب، وقال لهم: هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم " (لوقا ٢٤/ ٤٤-٤٨).

ونقل الطوفي عن مجادله بأن في كتب الأنبياء بشارات كما في دانيال، و لم ينقل منه نصا معينا، وكما في إشعيا " ولكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبجبره شفينا، كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه أثم جميعنا، ظلم أما هو فتذلل، و لم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها، فلم يفتح فاه، من الضغطة، وفي الدينونة أخذ، وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضرب من أجل ذنب شعبي، وجعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته، على أنه لم يعمل ظلما، و لم يكن في فمه غش "[2]. (إشعيا ٥٣/ ٤-٩).

ونقل الخزرجي عن النصارى استشهادهم لوقوع صلب المسيح بأنه قد جاءت الإشارة إلى الصلب في فعل يعقوب عليه السلام لما جاءه ابنه يوسف بابنيه " منسي " و " افرايم " ليبارك له عليهما، فجعل يوسف ابنه " منسي " - وهو الكبير من ولديه - عن يساره كي يكون عن يمين يعقوب إذا وقف به أمامه، وجعل " افرايم " عن يمينه لكي يكون عن يسار يعقوب ثم قربهما إليه.

فخالف يعقوب بذراعيه، وجعل يده اليمنى على رأس الأصغر واليسرى على رأس الأكبر ،ثم بارك

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٧٦ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٧.

(٢) الانتصارت الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٥.

على يوسف وعلى ولديه. (انظر التكوين ٤٨/ ١٣-٢٠).

فاعتبر مجادل الخزرجي فعل يعقوب إشارة لحادثة الصلب التي ستقع بعد قرون عدة. ونقل الخزرجي أيضا عن مجادله احتجاجه بما ورد في كلام عاموس النبي[١]" ثلاثة ذنوب أقبل لبني إسرائيل ، والرابعة لا أقبلها ،وهي بيعهم الرجل الصالح " (عاموس ٢/ ٦).

ويستدل النصارى أيضا على وقوع الصلب للمسيح بتواتر الأمم المختلفة على وقوعه ويرونه أنه يوافقهم فيه اليهود والمجوس، ولا يخالفهم فيه سوى المسلمون، ويرى النصارى أن التواتر يستند إلى الحس، ولو لم يصلب عيسى لم يبقى على المحسوسات اعتماد[٢].

إبطال استدلالات النصارى على صلب المسيح

رأينا أن أدلة النصارى على صلب المسيح تنحصر في ثلاثة أمور

١-ما جاء في الأناجيل

٢-البشارات السابقة به

٣-وتواتر الأمم عليه.

فأما البشارات السابقة فلا يجد علماؤنا بها أي دليل على صلب المسيح، إذ لا يعدو ما فيها من أن يكون اتفاقا مع ما تقوله الأناجيل في بعض كلمات النصوص.

بل ونستطيع القول بأن أصحاب البشارات الأربع قد فصلوا رواياتهم بما يتلائم والكلام المنثور في سائر العهد القديم، ليصبح بشارة بما كتبه هؤلاء عن صلب المسيح.

وقد تناول الخطيب استدلالهم بما جاء في سياق عرض قصة مبارزة داود للرجل الفلسطيني الطويل الذي خرج للمبارزة، فناجى داود ربه بهذه الكلمات " نج نفسي من الحربة" فقد أراد من الله ودعاه أن ينصره على هذا الجبار، وليس للمزمور أي علاقة بحادثة الصلب أو المسيح[٣] وأما قول داود " أعطوني في مطعمي المرار وسقوني الخل" فهذا تعبير عن ضجره وسخطه من قومه، ومثل هذا يكثر في كلام الناس .[٤]

وأما ما جاء في إشعيا فلا يجوز الاحتجاج به في قبل النصارى، لأن النص من أوله يتحدث عن عبد، وليس عن إله، فأوله " هوذا عبدي " (إشعيا ٥٢/١٣).

وعليه فيخير الطوفي النصارى بين القول بعبودية المسيح وصلبه، أو القول بألوهية المسيح، وعليه فلا علاقة له بالنص من قريب أو بعيد، فيقول "فإن قلتم بمجموع الأمرين أعني عبوديته وقتله، فقد خالفتهم دينكم في القول بالعبودية، وإن ألغيتم الأمرين و لم تعتدوا بهما، فقد سقط عنا إشكال الإخبار بالقتل، وإن قلتم بأحدهما دون الآخر وهو القتل كان ذلك ترجيحا من غير مرجح، واحتجاجا بكلام تقدحون في (بعضه)، ثم

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٣٦ ، ١٧٤.

(٢) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠١ ، والكلام المثبت ليس لنصراني ، بل هو من كلام السهروري الزنديق في كتابه " التنقيحات " ، وقد استشهد به مجادل الطوفي.

(٣) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٠-٧١.

(٤) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص ١٧٦.

نقابلكم بمثله، فنقول بالعبودية دون القتل ".[1]

كما أن في النص ما يشير إلى نجاة المسيح لو كان دالا عليه، وذلك في قوله: " وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء " ، وفيه أيضا :" نحن حسبناه مصابا مضروبا..".

وأما قصة يعقوب مع حفيديه، فيرى الخزرجي أن الاستشهاد بها شيء من الهذيان، ورأى أن الأولى من تأويل النصارى للنصارى تأويله بأن يقال " أن مخالفة يعقوب بيديه عند البركة إعلام بأن الله سيخالف بهذه البركة عن ولد إسحاق إذا أسخطوه بالعصيان، ويصيرها في ولد إسماعيل".[2]

وهكذا يغلق الخزرجي في وجه النصارى تعسف النصوص، وتحميلها من المعاني والدلالات ما لا تتحمله، فإنهم إن أصروا على هذا النوع من الاستدلال جاز لمخالفيهم أن يتعسفوها أيضا، ويفهموها على عكس ما فهمه النصارى.

ولو تأمل النصارى في دليلهم وتصوروه، لعرفوا أن ما فعله يعقوب بيديه لا يشبه الصليب بحال إلا إذا غيرنا في النص ،وقلنا بأن حفيديه كانا أمامه تماما.

وأما كلام عاموس النبي فهو أيضا يتحدث عن رجل صالح، وليس عن إله تساوى مع الله فإن كان المسيح عيسى، فهو ليس بإله .[3]

وينبه الطوفي إلى أن ذلك كله إنما ورد في كتب القوم التي لا يسلم المسلمون بصحتها،فلا يصح الاحتجاج بها على المسلمين .[4]

وإذا كان النصارى يستشهدون بالكتب لإثبات صلب المسيح فإن علماءنا يرون في هذه الكتب ما يبطل صلبه يقول الأبوصيري في منظومته:

" شهد الزبور بحفظه ونجاته ... أفتجعلون دليله[5] مدخولا

أيكون من حفظ الإله مضيعا ... أو من أشيد بنصره مخذولا "

وفي شرحه يقول الأبوصيري " في زبور داود عليه السلام " إن الله ربي سبحه، واستجاب له من سماء قدسه" (المزمور ٦/٢٠) وكذلك قوله "إن الله أوصى ملائكته بك ليحفظوك" .[6] (المزمور ١١/٩١) وأما الأحداث التي سردها الأناجيل عن الصلب فهي جميعا أخبار لا تصح ولا يصح الاستدلال بها، ويؤكد الأبوصيري أنه لا توجد رواية صحيحة لصلب عيسى، لأن اليهود لم يعرفوه، والنصارى لم يحضروه .[7]

وذكر الحسني أن ما يورده النصارى في قصة الصلب له تأويلات صحيحة لا يعمى عنها إلا من لم

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص ١٧٦.

(٢) بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص ١٧٦.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ١٣٦.

(٤) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٧.

(٥) في المطبوع: دليلا ، والصواب: ما أثبته. انظر: منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٨.

(٦) منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ص ٢٤.

(٧) انظر: الرد على النصارى ، الجعفري ص ٧٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٥٣ ، ومنظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ص ٢٤.

يقبل عن الله بيانا ولا نصيحة، لكن الحسني لم يتعرض لتفاصيل تلك التأويلات .[1]

وأما القول بتواتر صلب المسيح بين الأمم، فهو مما لا يسلم به المسلمون وإن كانوا لا يمنعون أن تكون قد وقعت حادثة صلب بالفعل،لكن المصلوب ليس المسيح، وذلك هو ظاهر القرآن الكريم حيث يقول :﴿وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾[2]

بل إن الطوفي يسلم للنصارى أن اليهود أرادوا قتل المسيح ، وأنهم اقتادوه للصلب ، وأخذوه ، ولكن الله عز وجل نجاه بعد ذلك .[3]

والتواتر المزعوم ينقضه علماؤنا بأمور

١) أن هؤلاء الذين يقولون بصلب المسيح لم يشهدوا صلبه، وإنما رددوا ما قاله قوم لا يستحيل تواطؤهم على الكذب، فحصل الغلط منهم.

وشهود الصلب إنما كانوا من اليهود والجنود ورؤساء الكهنة، وهؤلاء أعداء للمسيح ،ولا يبعد عنهم أخذ الرشوة والكذب في هذه الدعوى.

ويرى ابن حزم أن شيوخ الهيكل هم الذين شبهوا على الناس، وأدخلوا الشبهة عندما ادعوا أنهم قتلوا وصلبوا المسيح، وهم يعلمون أنهم ما قتلوه وما صلبوه،وإنما فعلوا ذلك بمن تمكنوا منه، وهو غير المسيح.

والحواريون كانوا ممن غاب عن الصلب فقد هربوا ،وجحده بطرس وهو من خيارهم ،فانخرمت سائر أقوالهم، والذي شهدوه من أتباع عيسى من النساء وقفن بعيدا عن الصليب.

كما أن مكان الصلب كان خارجا عن المدينة في بستان، فلم يصل إليه كثير من الناس، كما أن جسده لم يبق على الصليب سوى ست ساعات من النهار ،ثم أنزل بعد ذلك.

ووقوع الخطأ من الكواف وقع به القوم عندما قالوا بقدسية كتبهم التي نسبت الفواحش للأنبياء.[4]

٢)أن التلبيس على الحس ممكن. ومدارك العلم: ثلاث الحس أو العقل أو المركب منها. وكلها قد تخلف مع وجود المعارض، والحس منها يلبس عليه كما في التخييلات السحرية والشعوذة، وكعدم إدراك الصوت للصم، أو عدم إدراك الطعام لحرارة في فم الآكل..

وهذا التلبيس وارد الوقوع في قصتنا، لأن المسيح أخذ في ليل عند تفرق الناس من الفصح .[5]

وقد يكذب البصر، ويستشهد ابن حزم بما حصل ليلة الهجرة مع رسولنا صلى الله عليه وسلم حيث خرج من بين ظهراني مائة رجل من قريش حجب الله أبصارهم عنه فلم يروه .[6]

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٣٨٤.

(٢) سورة النساء ، آية : ١٥٧.

(٣) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ، ص ١٠٣.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٩-٦٠ ، والرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٣ ، الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٢ ، بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص ١٦٨ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٢أ.

(٥) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٣ ، و الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٩-٦٠.

(٦) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٦٠ ، وانظر: السيرة النبوية ، ابن هشام ١/ ٤٨٣ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير ٣/ ١٧٥.

ويضرب ابن حزم مثلا للشبه الذي وقع بن النصارى بما حصل معه فقد خرج والمسلمون لدفن هشلم بن الحكم المؤيد " فرأيت أنا وغيري نعشا فيه شخص مكفن، وقد شاهد غسله شيخان جليلان حكمان من حكام المسلمين ومن عدول القضاة في بيت وخارج البيت... ثم صلينا في ألوف من الناس عليه، ثم لم يلبث إلا شهورا نحو السبعة حتى ظهر حيا، وبويع بعد ذلك بالخلافة، ودخلت عليه أنا وغيري، وجلست بين يديه ورأيته"[1].

٣) أن تواتر الأمم لا يسلم، فالمجوس إن وافقوا النصارى، وقالوا بصلب المسيح، فلربما فعلوا ذلك مخالفة للمسلمين، وموافقة للنصارى، ودعاهم إلى ذلك أنهم لم يجدوا في الإسلام عورة يقدحون بها، فوافقوا النصارى في قولهم محادة للقرآن الكريم.ولا يخفى ما في هذا الرأي من إغراب .

ثم إن إنكار الأمم للصلب، ثم إيمانها بالنبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد نبوته، وتصديقه بعد صلب المسيح يدل على أن القضية لم تكن مسلمة عند هؤلاء، وإلا لحالت بينهم وبين الإيمان[2].

وهنا سؤال يطرح نفسه على علمائنا الذين ردوا صلب عيسى :من أين حصل اللبس على النصارى؟

القرطبي والأبوصيري يريان أن القوم أتوا من أناجيلهم التي لا ترقى لأن تعتبر من أخبار الآحاد فضلا عن غيرها، لفقدها اتصال السند فضلا عن أن اليهود لا يعرفونه وقد يكذبون، والنصارى لم يحضروا أخذ شبيهه، فنشئ الالتباس ،ويذكر شيخ الإسلام أن بعض النصارى يوافقون المسلمين على صلب شبه المسيح، ونجاة المسيح عليه السلام[3].

ويرى الأبوصيري والخزرجي أن قسطنطين بن هيلانة هو الذي كتب ما كتب في الإنجيل، وهدفه من ذلك انه أراد جمع كلمة الروم عليه، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلوكهم ويؤلف متفرقهم، فاستشار من لديه من أهل النظر، فوقع اختيارهم على أن يتعبد قومه بطلب دم، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه، وآكد بجدهم في نصره، وساعده على ذلك ما قرأه في تاريخ اليهود من فقدهم لعيسى، واختلاف أرائهم فيه بعد ذلك.

أما السعودي فيرى أن القصة من وضع اليهود أرادوا أن يسخروا خلالها من النصارى، واستدل على ذلك بما في القصة من ألفاظ منكرة كالحديث عن جزع المصلوب ،وكذا قول الملاك "هذا قبر الرب" (قارن متى ٦/٢٨) وغير ذلك من القبائح.

وأما ابن حزم فقد اتهم بالقصة رؤساء اليهود النصارى وشرطهم، واعتبرهم شيوخ السوء، وأنهم سبب ضلالة الناس بعدهم بالقول بصلب المسيح[4].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٩.

(٢) انظره في تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار ،ص ١٢٢.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٤١١ ، ومنظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٣٥ ، و الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٤.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٦٠ ، بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص١٧٢ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ص ٣٥ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٢أ.

نقد روايات الصلب في الأناجيل

و لم يمنع اعتقاد المسلمين تحريف الكتب النصرانية، لم يمنعهم من دراسة قصة الصلب فيها لعلهم أن يجدوا فيها ثغرات يتبين من خلالها أن المصلوب ليس عيسى كما هو معتقد المسلمين.

والمسلمون يعتقدون بأن صلبا قد وقع، وأن هذا المصلوب ليس عيسى، وتختلف المصادر الإسلامية في تحديد شخصية المصلوب.

فقد اعتبرته بعض الروايات يهوذا الخائن وأن الله مكر به لأن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله.

وذهب جمهور المفسرين إلى أن المصلوب أحد الحواريين، وأنه افتدى المسيح بنفسه وسمته بعض المصادر: جرجيس، وأخرى: يهوذا[1].

لكن أيا من الرأيين لا يمكن اعتباره رأيا إسلاميا يدين به المسلمون، لأنه لا سند له في الكتاب والسنة الصحيحة.

ولدى دراسة المسلمين لقصة الصلب في الأناجيل وجدوا أن في القصة ثغرات كثيرة تفتح الباب أمام احتمالات عدة لما حصل في ذلك اليوم، وهذه الاحتمالات كلها تحوم بالشك حول حقيقة شخصية المصلوب.

وهذه الثغرات جاءت على محاور عدة:-

أولا: أن في القصة نقاطا غامضة وتساؤلات تؤكد الشك بحقيقة المصلوب منها:

-أن اليهود والذين أتوا لأخذ المسيح معهم من الجنود لم يكونوا عارفين لشخص المسيح ،ولذلك جاءوا بيهوذا ليدل عليه، واتفقوا معه على أن يقبله، فيعرفوه ويأخذوه (انظر متى ٢٦/٤٨).

وفي يوحنا أن يسوع خرج إليهم وسألهم "من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري فقال: أنا هو" وكرر عليه ذلك فهم لا يعرفونه، فلا جزم بحقيقة المأخوذ[2] ويعجب القرافي من ذلك فيقول: "الإنجيل ناطق بأن المسيح عليه السلام نشأ بين أظهر اليهود ،وكان في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظهم ويعلمهم ويناظرهم، ويعجبون في براعته وكثرة تحصيله.... وإذا كان في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، وقد نص الإنجيل على أنهم وقت الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهما ليدلهم عليه... فقال له رئيس الكهنة: استحلفك بالله الحي أنت المسيح؟ فقال له المسيح: أنت قلت ذاك... فهذا اللبس العظيم بعد تلك الشهرة العظيمة بعد ثلاث[3] سنين من المحاورات العظيمة، والمجادلات البالغة ألا يدل[4] في وقوع الشبه قطعا"[5].

---

(١) انظر: جامع البيان ، الطبري ، ٩/٣٧٠-٣٧٤ ، التفسير الكبير ، الرازي ، ١١/١٠٠ ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ١/٥٧٤-٥٧٦

(٢) انظر: تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ص١٢٢ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٨ ، الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٣ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢٤.

(٣) في المطبوع ثلاثين ، والصحيح ما أثبته.

(٤) في المطبوع "أبدل" والصحيح ما أثبته.

(٥) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٦ ، انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٦٦-١٦٧ ،

-ومنها أن ظلام الليل حجب عنهم صورة المأخوذ فقد ثبت في يوحنا أن الذين جاءوا للقبض عليه كانوا يحملون المصابيح والمشاعل[1] (انظر يوحنا ٣/١٨).

كما ذكر علماؤنا أمرا آخر أشبه على الناس فلم يعرفوا حقيقة المصلوب هو أنه قد ضرب على رأسه وجلد (انظر مرقس ١٥/ ١٥-١٩)، وهذا يخفي معالم وجهه ومحاسنه[2].

ومنها أنه لما أخذ المأخوذ إلى بيلاطس، وسأله بيلاطس لم يجبه، بل بقي صامتا حتى تعجب منه الحاكم كثيرا. (انظر مرقس ١٥/ ١-١٥) ، يقول الخزرجي: "وفي تلك السكتة تتعين النكتة"[3]

ولعل مقصود الخزرجي أن المأخوذ كان مشدوها مما حصل، وكيف اختلط الأمر على الكهنة والشيوخ حتى ظنوه المسيح، إذ لا ينفع في مثل هذه الحالة إنكاره لشخص المسيح، وقوله بأنه آخر ،وأن الأمر قد اختلط عليهم.

-ومنها أن الأناجيل تذكر عجائب عديدة حصل بعضها في ليلة القبض على يسوع، وبعضها لحظة موته على الصليب، وهذه الأمور التي ذكرها علماؤنا بعضها غير موجود في سياق قصة الصلب وذلك مثل قولهم بأنه في ليلة القبض على المسيح وبينما هو يصلي تغير وجه منظره عما كان عليه، وابيضت ثيابه، وصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له وجاءت سحابة فأظلتهم وقد ذكر ذلك متى، ولكن ذلك لا علاقة له بحادثة الصلب ،فقد جرت قبل حادثة الصلب بزمن ليس بيسير(انظر متى ١٧/ ١-٧).

كما ثمة أمور أخرى ذكرها الأناجيل صاحبت أحداث الصلب، استرعت انتباه علمائنا مثل وقوع النوم على التلاميذ. (انظر مرقس ١٤/٤٠) ، وظهور الملاك ليقويه . (انظر لوقا ٤٢/٢٢).

ويرى القرافي أن وقوع هذه الأمور جميعا دليل ظاهر على رفع المسيح إلى السماء ونجاته، وإلا فلا معنى لظهور هذه الآيات، ووقوع هذه الأحداث[4].

ويرى الطوفي - ولا دليل لديه - أن الملائكة أطلقت المسيح، وربطت شبهه في اللحظة التي جرت بها ظلمة على الأرض[5] (انظر متى ٢٧/ ٤٥).

والطوفي حسب هذا الأخير يعتبر المسيح قد صلب، ولكنه لم يمت على الصلب، وبذا يكون قد

الرد على النصارى ، الجعفري ص ٧٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٣ب.

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٦ ، الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٥أ.

(٢) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٦ ، الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٥أ.

(٣) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٩. وانظر: تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار،ص١٤١ .

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٥٤ ، الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٣أ ، ٩٤ب.

(٥) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٣.

خالف ظاهر الآية التي نفت عنه القتل والصلب.

وأما ما ترويه الأناجيل في تفاصيل دقيقة لبعض الأحداث الجانبية في خبر الصلب كزيارة المريمين للقبر وماذا رأين ووجدون.. فإن ذلك كما يرى الخزرجي نوع من تغييب الحقيقة بكثرة الكذب الذي إنما ينطلي على رعاع الأعاجم[1].

مما يدل على أن المسيح وقع عليه شبه غيره أن الأناجيل تذكر أنه بعد الصلب قابل عددا من تلاميذه فلم يعرفوه، ومن ذلك أنه تبع رجلين من أتباعه من أورشليم وماشاهما و لم يعرفاه حتى عرفهما بنفسه (انظر لوقا ٢٤/ ١٢-٢٧) ولما دخل على تلاميذه لم يعرفوه (قارن لوقا ٢٤/ ٣٦-٤١) فدل ذلك كله على وقوعه شبه آخر عليه، كما وقع شبهه على آخر صلب عنه[2].

ثانيا: تناقض واضطراب الروايات الإنجيلية في عرض بعض جزئيات القصة

درس علماؤنا روايات الصلب ولاحظوا تعارضها، وهو بلا شك يلقي بظلال الشك على جملة روايتها[3] فقد اختلفت الأناجيل فيمن حمل الصليب وهل هو المسيح (انظر يوحنا ١٩/ ١٧) أم رجلا قيروانيا يدعى سمعان (انظر متى ٢٧/ ٣٣)

كما اختلفت في موقف اللصين من المسيح ، فقد ذكر مرقس أن اللصين استهزأا به (انظر مرقس ١٥/٣٢) ،بينما ذكر لوقا أن أحدهما استهزأ به والآخر نهره ، فوعده عيسى الملكوت . (انظر لوقا ٢٣/ ٣٩، ٤٢).

كما اختلفت الأناجيل في تحديد من جاء لزيارة قبر المسيح يوم الأحد هل هو المريمين (انظر متى ٢٨/ ١) أم نساء كثر ؟ (انظر لوقا ٢٤/ ١-١١).

ومما انفرد به متى في رواية الصلب ولو كان حقا لأجمعت عليه الأناجيل، ولأطبقت على ذكره الأمم أن أهل القبور خرجوا من قبورهم وظهروا للناس، وأن الصخور تشققت والأرض تزلزلت (انظر متى ٢٧/ ٥١-٥٣).

كما تكذب الأناجيل عندما تتحدث عن أن المسيح سيمكث في الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال ليحقق آية يونان النبي كما وعد (انظر متى ١٢/ ٣١-٤١، ٢٠/ ١٨-١٩)، ثم تجده على الحقيقة لم يمكث سوى ليلتين ويوم، وذلك أنه صلب يوم الجمعة، وقبل الغروب أنزل عن الصليب (يوحنا ١٩/ ٢١-٤٢)، ولما جاءت النسوة إلى قبره فجر الأحد لم يجدنه فيه (انظر لوقا ٢٤/ ١-٣).

---

(١)انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٧٨.

(٢)انظر: الرد على النصارى ، الجعفري ص ٧٥ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٥ب.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/ ٤٩-٥٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٤أ- ٨٥ب.

ثالثا : ما يتعلق بيهوذا

يهوذا يعتبر من أهم شخصيات قصة الصلب، ومع ذلك تكتنف هذه الشخصية ودورها في تسليم المسيح بعض النقاط الغامضة والتساؤلات المحيرة التي أيضا تلقي بظلال الشك على جملة الروايات الإنجيلية، وذلك كما يلي:

١)أن يهوذا أحد التلاميذ الاثنى عشر الذين شهد لهم المسيح بالسعادة وأثنى عليهم حيث قال لهم ويهوذا معهم... الحق أقول لكم، متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كل شيء، تجلسون أنتم الذين تبعوني على اثنى عشر عرشا لتدينوا عشائر إسرائيل الاثنى عشر" (متى ١٩/ ٢٧-٢٨).

والقول بخيانة يهوذا يكذب المسيح، ويلزم عليه القول بتحريف الكتب، ولا مناص حينئذ من القول بأن يهوذا قد دخل على غير المسيح.

ولاحظ الخزرجي أن المسيح خص يهوذا بثناء خاص عندما جاء ليدل عليه، فقال المسيح له: "يا صديق، ويا صاحب لم أقبلت؟" (متى ٢٦/ ٥٠) فلو كان مصرا على الفساد لما سماه المسيح صاحبا[١].

٢)توبة وندم يهوذا فقد تنبه الخزرجي والقرطبي أن متى ذكر ندم يهوذا ،وأنه وأرجع الفضة إلى رؤساء الكهنة ثم شنق نفسه ، فمن حسن توبته أن لا يدلهم على المسيح، بل على غيره، فالخزرجي ومن تابعه يفترضون أن توبة يهوذا كانت بعد أخذ الدراهم وقبل مجيء الجند لأخذ المسيح[٢].وهي في الأناجيل ليست كذلك.

ويغفل الخزرجي والقرطبي عن أن ندم يهوذا كان بعد محاكمة المسيح والحكم عليه، ولا ينفع الندم حينذاك في تغير الواقع يقول متى "فلما رأى يهوذا الذي أسلم يسوع أنهم حكموا عليه ندم، ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، وقال لهم: أخطأت حين أسلمت دما بريئا" (متى ٢٧/ ٣-٥).

ومما يجدر ذكره هنا أن سفر أعمال الرسل يذكر نهاية أخرى ليهوذا، خالف فيها متى الذي زعم أنه رد الثلاثين من الفضلة وخنق نفسه (انظر متى ٢٧/ ٢-٩).

وفي أعمال الرسل أنه " اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها " (أعمال ١/١٨)

٣)أن قول النصارى بخيانة يهوذا، وأنه الشاهد الوحيد الذي دل على المسيح يقدح في الشهادة ، فإن خيانته ترد شهادته[٣].

وشهادة يهوذا الخائن مردودة لو طلب إلينا تقييمها، ولكن شهادته كانت معتبرة عند الذين أمسكوا المسيح وأخذوه ،فلا دلالة فيما قال الخزرجي في هذه النقطة.

وهنا يجدر التذكير بأمر هام لم يعن به أصحاب الردود، وهو: أن إنجيل يوحنا يبرئ ساحة يهوذا

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٦١-١٦٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٤ أ - ٨٤ب.

(٢) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٦١-١٦٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٥٨ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ص ٢٤ ، الإعلام بما في دين النصارى ، القرطبي ص ١٥.

(٣) انظر: تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ص١٤١، بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٦٠.

بعض الشيء فقد جاء فيه دلالة يهوذا على البستان الذي فيه المسيح ثم "خرج إليهم يسوع، وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم: من تطلبون؟ فأجابوه: يسوع الناصري.قال لهم يسوع: أنا هو..." (يوحنا ١٨/ ٤-٨) فقد كان بإمكان المسيح أن يهرب أو غير ذلك مما قد يندفع به شر هؤلاء الجند.

رابعا: ما يتعلق بالمصلوب

كما وجد علماؤنا عدة أمور تحيل أن يكون المصلوب هو المسيح عليه السلام فمن ذلك:

-جزع المصلوب وصراخه على الصليب ،وهذا أمر لا يليق أن يصدر من المسيح ،وهو يخالف ما ترويه التوراة عن احتضار الأنبياء السابقين ،فقد كانوا مستبشرين بذلك مع أنهم عبيد لله، فكان ينبغي أن يكون المسيح- الذي تدعي النصارى ألوهيته -أصبر من ذلك.

ويعقد الحسن بن أيوب مقارنة في هذا الخصوص بين سلوك المصلوب على الصليب وسلوك شهداء المسيحية، وخصوصا جرجيس حيث نالهم الحرق والقتل والنشر، فما ظهر منهم جزع ولا خوف[١].

ويستغرب السعودي هذا الجزع من الموت مع اعتقاد النصارى أنه تجسد من أجل أن يموت ويكفر بذلك الخطايا[٢].

-وأيضا المأخوذ قبل الصلب أقسم عليه رئيس الكهنة وهو يسأله "استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قلت" (متى ٢٦/ ٦٣).

فهو لم يجب رئيس الكهنة بالإيجاب ،ولو كان هو المسيح لأجاب: نعم. يقول الجعفري: "ذلك من أدل الدلالة على أن المأخوذ ليس هو السيد المسيح، ولو كان هو المسيح نفسه لم يوار في الجواب، ويستعمل الحيدة عن إجابة الكاهن"[٣].

وإن قال أحد من النصارى بأن المأخوذ أيضا لم يصرح بأنه غيره، فعندها يقال لهم: لعل الدهشة أخذت بلسانه، أو لعل الله أسكته، أو لعله من أتباع المسيح، وقد افتداه من الموت[٤].

- وأيضا قد عطش المصلوب وطلب الماء ، فملأ الجند اسفنجة من الخل ، وسقوه (انظر يوحنا ١٩/ ٢٨-٢٩).

ويرى الخزرجي أن هذا يتعارض مع ما ذكرته الأناجيل من أن المسيح كان يطوي أربعين يوما وليلة بغير طعام ولا شراب ،وكان يقول للتلاميذ :إن لي طعاما لستم تعرفونه (انظر متى ٤/ ١-٢).

فكيف يظهر الحاجة والذلة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد أو بعض يوم[٥].

---

(١) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ٢/ ٢٩٨ ، تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ص ١٤١، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٧٤ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٦٧.

(٢) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٣أ ، ٩٦ب.

(٣) الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٤.

(٤) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٤أ.

(٥) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٦ب.

- وأيضا تزعم النصارى ألوهية المسيح ، ثم تزعم صلبه فمن الإله ؟ ومن المصلوب ؟ ويتساءل علماؤنا كيف يكون الإله قاتلا لنفسه ؟ ومن كان يدبر العالم عند الصلب إلى قيامته بعد ثلاثة أيام كما يدعون؟

وهذا التساؤل يجب طرحه على اليعاقبة الذين يقولون بأن الله هو المسيح. أما الكاثوليك فلا، لأنهم يفرقون بين الأب والابن المتحد بجسد عيسى.

-وأيضا لا يمكن أن يكون المصلوب عيسى الإله الذي قال في توراتهم: "وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل، وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم،لأن المعلق ملعون من الله" (التثنية ٢١/ ٢٢-٢٣) فكيف يلعن نفسه أو لم يكن يعلم أنه أو ابنه سيصلب وتحيق به اللعنة[١].

-وأيضا فإن مما يحيل أن يكون المصلوب عيسى اختلاف اليهود والنصارى في مسألة فورية الصلب.

فالنصارى تقول بفورية صلبه عقب المحاكمة وقبل السبت، ولكن الأبوصيري ينقل عن اليهود أنهم صلبوا المسيح بعدما سجنوه بأربعين يوما[٢].وإن صحت الرواية فالمصلوب غير المسجون.

-وأيضا لا يمكن أن يكون المصلوب هو المسيح، لأنه دعا الله وبالغ في الدعاء أن يصرف عنه هذه الكأس فكيف تقول النصارى بأن الله لم يستجب وهم يقولون بأنه قد استجاب لحزقيال عندما دهمه الموت فطلب من الله أن يزيده في العمر، فزاده خمس عشرة سنة[٣].(لم أجده في التراجم الحديثة)

وأخيرا يرى الجعفري أنه المصلوب ليس بعيسى، لأن ذلك يمنع تحقق وعد الله لمريم حين بشرها وهي بالناصرة: أن المسيح سيكون ملكا لبني إسرائيل ويجلس على كرسي أبيه داود (انظر لوقا ١/ ٣١-٣٣) والصلب والمهانة شيء والملك والسيادة شيء آخر[٤].

ولا تسلم النصارى بصحة هذا الاستدلال، لأنهم يرون تحقق ذلك إنما يكون في العودة الثانية للمسيح.

وهنا يقال أين هم بنو إسرائيل، وقد اختلطت أنساب الأمم فكيف يملك عليهم من جديد ؟

ومن خلال هذا كله رأي علماؤنا أن سياق القصة في الأناجيل التي تقول بأن المصلوب هو عيسى، هذا السياق يفتقد في طياته حلقات مهمة، ويفرض تساؤلات كثيرة لن يستطيع النصارى الإجابة عن أكثرها ما دام يقولون بأن المصلوب هو عيسى عليه السلام.

وما دام الحال كذلك فقد افترض الخزرجي احتمالات وافتراضات لما جرى في ذلك اليوم (يوم الصلب)، وقد وافقه أو نقل عنه بعضها القرافي والقرطبي والطوفي، وهذه الاحتمالات تنصب على سد ثغرات القصة الإنجيلية والتوفيق بين تناقضاتها.

وتتراوح هذه الاحتمالات قوة وضعفا، لكنها تبقى أسئلة لا يستطيع النصارى القفز عليها إلا بعد أن

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٧٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ١٠٥ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٨ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٨.

(٢) انظر: منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢٤.

(٣) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩١أ.

(٤) انظر: الرد على النصارى ، الجعفري ص ٧٦ ، و المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٦أ.

يجيبوا عن الحلقات المفقودة في قصة الصلب وهذه الاحتمالات هي كالآتي[1].

-أن يهوذا الاسخريوطي دل الجند على غير المسيح، وتحديدا دلهم على أحد تلاميذه الذي افتدى سيده بنفسه.

- أن الأعوان الذين أطلقوا الشاب الذي جرى ورائه بالرشوة[2] (انظر مرقس ١٤/ ٥١-٥٢) فهؤلاء قد يطلقون المسيح برشوة، فهم ليسوا أكثر نزاهة من يهوذا التلميذ الذي باع المسيح بثلاثين من الفضة.

- ويحتمل أيضا أن الله قد صور للجند شيطانا أو غير ذلك على صورته ، ولذلك لما سألوه سكت ولم يجب.

- ولعل الله قد ألقى شبه المسيح على يهوذا الخائن، كما هي سنة الله في نجاة أوليائه وفي إهلاك أعدائه ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾[3].

وتستند هذه الاحتمالات على أساسين يلزم النصارى القول بهما:

الأول: إمكان وقوع الشبه على الغير، فالله على كل شيء قدير، والتوراة مصرحة بما هو أعظم من وقوع الشبه من غير استحالة، فهي تذكر استحالة العصاة الجامدة إلى حية بعد أن ألقاها موسى عليه السلام (انظر الخروج ٤/٣) ، كما الإنجيل يصرح بأن عيسى قلب الماء إلى خمر (انظر يوحنا ٢/ ٧-٩). فما دام قلب الحقائق يقول به النصارى، فيلزمهم من باب أولى أن يوافقوا على إمكانية وقوع الشبه على الغير.

الثاني: إمكانية الرفع إلى السماء، فالمسلمون يعتقدونه لعيسى كما النصارى، لكن المسلمين يقولون بأن رفعه إلى السماء كان من غير صلب ولا إهانة، بينما تجعل النصارى رفعه بعد الصلب والموت والإهانة، والقول برفع المسيح لا يجعله أول من رفع إلى السماء من أهل الدنيا -عند أهل الكتاب- بل قد سبق رفع النبي أخنوخ (إدريس) (انظر تكوين ٥/٢٤).فدل ذلك على أن رفع المسيح جائز بلا خلاف.

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٧-١٧٠ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٤١٤- ٤١٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٨ ، الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٢.

(٢) والرشوة هنا هي رداؤه الذي أمسكوا به فهرب عريانا ، فتركوه لما ظفروا بردائه.

(٣) سورة النمل ، آية :٥٠- ٥١.

المطلب الثاني: عقيدة الفداء والخلاص

إن عقيدة الفداء أهم ما ينادي به النصارى في كل عصر وحين، بل تكاد هذه العقيدة أن تكون الركن الأول للنصرانية.

فما هي عقيدة الفداء والخلاص كما يعرضها النصارى؟ وما هي ردود علمائنا على هذا المعتقد المهم في معتقدات النصراني الذي يعتقد بأن الله أو الابن قد تجسد في عيسى من أجل غاية هي أن يموت على الصليب فيتحمل عن الناس الخطايا؟.

عقيدة الفداء عند النصارى

ويصور مجادل الخزرجي جانبا من جوانب هذه العقيدة فيقول عن المسيح: "فدانا بدمه المقدس، ومن عذاب جهنم وقانا، ورفع عن أعناقنا الخطيئة التي كانت في أعناق بني آدم بسبب أكله من الشجرة التي نهي عنها، فخلصنا المسيح بدمه، وفدانا بدمه، ومن عذاب جهنم وقانا، أهرق دمه في مرضات جميع ولد آدم، إذ كان الذنب باقيا في أعناقهم جميعا، فكلهم تخلص منه إلا من كفر به وشك فيه"[1].

وقد يسأل سائل لما لم ينتقم الله من عبده آدم وقد عصاه؟ ويجيب مجادل القرطبي "لأنه لما لم يكن في الحكمة الأزلية أن ينتقم الله من عبده العاصي آدم الذي ظلمه واستهان بحقه، فلم يرد الله الانتقام منه لاعتلاء منزلة السيد، وسقوط منزلة العبد.

أراد أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله، فانتصف في خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح الذي هو إله متساو معه"[2].

ويقول بابليون الجاثليق في رسالته لليون الملك "أسرتنا لا يمكن أن تحل إلا بأن يطلع إنسان من جنسنا وطبيعتنا لا تضبطه معصية الذنب ضد آدم، ومن بدمه الظاهر تمحو أزلات الريق المهلك (هكذا) الذي حتمه الله قضى به منذ البدء، فتم ذلك الفعل عند انقضاء الزمن المحدد، وذلك ليتم الوعد الموعود"[3].

ويرى النصارى أن الفداء إنما تحقق بصلب المسيح وبخروج الماء والدم اللذين خرجا عندما صلب المسيح، وطعنه يودس بالحربة[4] (انظر يوحنا ١٩/ ٢٤).

وفي رسالة راهب فرنسا للمقتدر بالله يذكر له أن الدخول في النصرانية هو سبيل النجاة في الآخرة حيث أنقذ عيسى الناس من هلكة إبليس اللعين[5].

والفداء منصوص عليه في أمانة النصارى وفيها "ومن أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من

---

(١) بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي، ص ٥٩-٦١.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ،ص٤١٠.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ،ص٤١٠.

(٤) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري،ص ٢٦.

(٥) انظر: رسالة راهب فرنسا للمقتدر بالله، ص٥٠ .

السماء، وتجسد من الروح القدس...."[1].

ويقول بولس "ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا" (غلاطية ١/٣-٤) ويزعم بولس أن هذه العقيدة منصوص عليها في الكتب السابقة فيقول "أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب.. "(كورنثوس (١) ١٥/٣) وفي إنجيل يوحنا أن المعمداني قال عن المسيح "هو ذا حمل الله،الذي يرفع خطيئة العالم" (يوحنا ١/٢٩).

ويعلل النصارى سببين آخرين للفداء هما أن يكون في سفك دمه سنة القرابين التي أمر الله بها موسى عليه السلام، ولكي ينقذ الأشياء والصالحين من الذنب الذي كانوا به معاقبين[2].

ويقول النصارى "إن سر الصلب محو خطيئة آدم، وأن الله تعالى فداه بابنه، كما فدى إسحاق بالكبش، فضرب المسيح عليه السلام عوضا عن رفاهية آدم، وإهانته بدلا من ثمرة التي أكلها بالخلود في الجنة، وصلبه على خشبة لتناوله الشجرة، وسمرت يداه لامتداد يد آدم عليه السلام إلى الثمرة، وسقي الخل والمر عند عطشه لاستطعام آدم حلاوة ما أكله، ومات بدلا عن موت المعصية التي كان آدم يتوقعه[3].

ومن خلال هذه الأقوال نستطيع أن نستخلص النقاط الآتية:

*أن خطيئة آدم مستوجبة عقوبة النار لذريته.

*أن الأنبياء والصالحين عوقبوا بخطيئة آدم حتى أنقذهم المسيح.

*أن سبب نزول الابن وتجسده هو خلاص الناس من خطيئة آدم.

*أن الله أراد أن ينتقم من آدم فانتقم بشخص المسيح، لأنه لا يليق بالإله أن ينتقم من عبد.

*أن البشر لا يخلصهم من خطيئة آدم إلا بشر مثلهم، فكان المسيح هو الفادي.

*أن الخلاص من خطيئة آدم جاء به المسيح لكل الناس، لكن لا ينتفع به سوى المؤمنون به.

*أن فداء المسيح بنفسه سنة للقرابين.

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى، ص ٦٨.

(٢) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري،ص ٦٩.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص ١٠٦.

نقد عقيدة الفداء

وقد تناول علماؤنا بالرد هذه العقيدة وكان ردهم مشوبا بكثير من العجب والسخرية.

وقد سلكوا من ذلك مسالك ، فوضحوا أن كتب الأنبياء خلت من الحديث عن خطيئة آدم التي يتوارثها الأحفاد عن الأباء كما يزعم النصارى. وأمر عظيم كهذا لا يجوز أن تخلو عنه الكتب السابقة

وأما ما استشهد به النصارى من نصوص يتأولونها، فإنها كما يرى الخزرجي لا يخفى على العواجز ضعفها، ولا يستر على عقول الولدان سخفها[1].

ويصفها الخطيب بأنها "كلام من ليس له عقل سليم وهو يحتاج إلى سامع يسمعه فضلا أن يلتزم ما يرده ويدفعه"[2].

ويتساءل القرافي والسعودي هل تاب آدم من ذنبه أم لا؟

فإن قالوا: نعم. بطل الصلب.

وإن قالوا: لا. كذبتهم النصوص المصرحة بتوبته.

و لم أجد فيما بين يدي نصا كتابيا يشير إلى توبة آدم وإن وجدت ما دل على عقوبته وعقوبة حواء وإن قالوا: تاب و لم يجزئه التوبة، فلا بد من القتل .ويقال هل كانت التوبة مجزئة عن غيره أم لا ؟ فإن قللوا: نعم فلم لم تجزئ عن آدم.

وإن قالوا: لا. فلم طلب الله التوبة من المؤمنين، وقد جاء في كلام "قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا" (متى ٢/٣).

وكذا قول بولس "أولا تعلم أن إهمال الله لك من العقوبة، إنما هو ليقبل بك إلى التوبة"[3] (رومية ٤/٢).

ويتساءل السعودي لو لم يتب آدم فهل كان قتل المسيح كافيا لخلاصه؟ فإن قالوا: نعم .فلا فائدة من التوبة. وينبغي إذا أن يخلص فرعون ومسلموه إلى القتل من اليهود، وهذا لا يقوله النصارى ،وإن قالوا :لا .فلا فائدة من قتل المسيح.

وإن قالوا: تم الخلاص بالأمرين: فالسعودي يرى بأنه يستوجب أن دم المسيح لم يكن كافيا لإنقاذ آدم إلا بالتوبة، ولولاها لعجز عن خلاص آدم ،فهو عن خلاص غيره أعجز.

وإذا كان لا بد من عقوبة آدم فلما لا تكون بغير الصلب، هل كان الله قادرا عليه بغير صلب؟ إن قالوا: نعم. فالصلب لا أهمية له ولا ضرورة ،وكفروا بنسبة الظلم والحيف لله عز وجل ،إذ صلب المسيح من غير ضرورة ملحة على ذنب لم يرتكبه .

وإن قالوا: لا. كفروا لأنهم نسبوا الضعف والعجز لله عز وجل[4].

ويرى الخزرجي وغيره أن الظلم متحقق في قولهم بأن الله لم يشأ الانتقام من عبده العاصي آدم لاعتلاء

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي، ص ١٧٥.

(٢) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري، ص ٦٤- ٦٥.

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي ،ص١٠٦، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩١ب.

(٤) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٣أ.

مترلة السيد وسقوط مترلة العبد.

فإذا كان كذلك "فالأولى أن يعفو عن الذنب، ويتوب على المذنب، وإن الأبعد عنه عز وجل أن يعاقب أحدا بذنب غيره، إن هذا لغاية الظلم ونهاية الجور"[1].

ويرى الباجي أنه لو كان عيسى إلها قادرا لما احتاج إلى فدائهم بدمه، بل كان خلقهم مؤمنين، ولو شاء ألا يعصي ما خلق الفتن والشيطان، ولو علم الغيب لما بذل دمه لغاية لم يتحصل له منها أثر[2].

ويتساءل الخطيب أما كان يستطيع الإله(المسيح) أن يخلص هؤلاء من ذنبهم من غير أن يتعرض لما تعرض له من هوان وصفع وصلب؟

فلئن كان عاجزا فتلك رزية الرزايا، وإن كان قادرا وفعل بنفسه ما ترويه النصارى ،فهذا عبث يتعالى عنه الله الحكيم، وأي حكمة تنسب لمن أسلم ابنه لأعدائه ومكنهم من تنفيذ رغباتهم، وذلك كله من أجل أن يخلص البشر من ذنوبهم التي ورثوها[3].

وإذا كان لابد من الفداء فالفداء ينبغي أن يكون بهابيل أو بأحد ذرية آدم من صلبه، وليس بعبد من أحفاده أو بإله ليس من جنسه، فكما أخطأ بشر ينبغي أن يفتدي خطأه بشر.

ثم يقول النصارى واليهود بأن الله فدى إسحاق بكبش ،ففداء آدم من خطيئته بكبش أولى من فدائه بما سوى ذلك"[4].

ويرى علماؤنا أن النصارى لايسعهم القول بأن فداء البشرية قد تم بفاد من جنسها،وذلك أنهم يعتقدون بأن المصلوب هو ناسوت المسيح دون لاهوته ،وقد زعم النصارى أن المسيح وحده يستطيع الفداء،لأنه بلاهوته يعدل البشر جميعا،فيحمل عنهم خطيئتهم،فلما كان المصلوب الناسوت فقط"فإلى الآن لم ينتقم الله ولا انتصف من إله مثله – كما قلت – ،إنما انتصف وانتقم من إنسان من نسل آدم ...كيف أجزت لنفسك أن تقول انتصف من إله مثله". (٥)

وإذا كان لا بد من تكفير عن تقصير آدم، فينبغي أن يكون التكفير من جنس التقصير لأن القضاء استدراك لمصلحة الأداء ، فكما فوت آدم مصلحة الكف عن أكل الشجرة كان ينبغي أن يكون القضاء بصوم المسيح لا بقتله[6].

ويشبه الخزرجي قصة النصارى في الفداء بـ "رجل أخطأ عبده في حقه، فبقي بعده مدة غاضبا عليه، ساكتا على معاقبته، حتى ولد لنفسه ولد فعمد إلى قتله بذنب العبد الذي كان أذنب له، ألست ترى ذلك – من قتله ولده– أنه أراد أن يشفي نفسه على ذلك العبد فأصبح ذلك زائدا على كربه، وداعيا إلى دوام حزنه.

---

(١) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص ١٧٣.

(٢) انظر: جواب الباجي على رسالة راهب فرنسا، ص ٧٩.

(٣) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري،ص ٦٨ ،هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،ابن القيم، ص ١٣٩.

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص ١٠٦-١٠٧.

(٥) بين الإسلام والمسيحية،أبو عبيدة الخزرجي،ص ١٧٣

(٦)انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٩ب.

وهل يحدث هذا على نفسه عاقل؟"[1].

فالله تعالى يتنـــزه عن مثل هذا العبث من باب أولى، بل إن القوم بقولهم الفاسد ينســـبون لله غائلـــة وحقدا يتعالى عنه كرام البشر.

ثم عودة إلى ما ارتكبه آدم من خطأ، هل يستحق هذا الخطأ كل ما تقوله النصارى؟ إن التوراة وهـــي تروي القصة لا تشعر بعظم هذا الذنب كما لا تقول بوراثته ،فقد جاء في قصة آدم أنه "كانت الحية أحيـــل جميع حيوانات البرية، التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة: أحقا قال الله: لا تأكلا من كل شجرة الجنـــة، فقالت المرأة للحية. من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة قال الله: لا تأكلا منـــه ولا تمساه لئلا تموتاه، فقالت الحية للمرأة :لن تموتا، بل إن الله عالم أنه يوم تأكلا منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ،فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شـــهية للنظـــر، فأخذت من ثمرها، وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها، فأكل.. فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت" (التكوين ٣/ ١-١٢) فلئن صح النص ولن يصح فإن آدم قد غرر به، و لم يقصد أكـــل الشجرة ،ثم قد عوقب هو امرأته "وقال للمرأة: تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك ،وهو يسود عليك، وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتـك قائلا :لا تأكل منها ملعونة، الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل حياتك، وشوكا وحسكا تنبت لـــك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. (التكويـــن ٣/ ١٦-١٩) فقد عوقب كل من الأبوين. فما وجه وراثة الذنب بعد العقوبة.

وينبه زيادة الراسي إلى ما جاء في (تكوين ١٧/٢) " لأنك يوم تأكل منها موتـــا تمـــوت " ، فـــهذه عقوبة آدم ، وقد نالها بزعمهم بالنفس والجسد ، واستمرت في أبنائه من بعده، فأي خلاص نال آدم وذريتـــه في الصلب ؟[2].

وينقل القرافي قول النصارى في ثاني جمعة لهم من الفطر:" إن فخرتنا إنما هو بالصليب الذي ذهب بـــه سلطان الموت،وصيرنا إلى الأمل والنجاة "، ويقابل القرافي ذلك بالسخرية ، فيقول:" ينبغي لهم أن يمدحـــوا اليهود ويعظموهم ، لأنهم سبب فخرهم ، ولولا اليهود لم يكن لهم فخرة ولا جلالة...وهذه مرابع الناس قـد خلت من الموت ،والآمال قد تكدرت من خوف الفوت ، ولكن لما كان النصارى لايمـــوت منـــهم أحـــد اعتقدوا أن الناس كلهم كذلك ".[3]

وفكرة الفداء تكفير عن الخطيئة لا تنسجم مع النصوص المنسوبة للمسيح والداعية إلى التسامح ففـــي متى " وأنا أقول لكم: لا تكافئوا أحدا بسيئة، ولكن من لطم خدك اليمنى، فانصب لـــه خـــدك اليســـرى، ومن أراد مغالبتك وانتزاع قميصك، فزده رداءك.. " (متى ٥/ ٢١-٤٤) فإن كان هذا الفعل خلقا ســـاميا فلم لا ينسبون لله العفو والكرم والرحمة بآدم ، إذ كان ينبغي أن يصفوا الرب بما هو أكمـــل ممـــا ارتضـــوه

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ،الخزرجي،ص١٧٣.

(٢) انظر: البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، زيادة النصب الراسي،لوحة١٤ب.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،القرافي،ص ١٣٧،وانظر:النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانيـــة،نصـــر بـــن يحيى،ص١٠١ .

لأنفسهم من كريم الصفات والخصال[1].

المسئولية عن الأعمال والفداء

كما لا تقبل التوراة أن يتحمل البريء مسئولية عمل الآخرين[2] فقد جاء فيها " لا يعاقب أحد بذنب غيره " (التثنية ٣٤/ ١٦).

وفي الإنجيل ما يحمل الإنسان مسئولية عمله، فقد جاء أن المسيح قال :" إني جامع الناس يوم القيامة عن يمنتي وعلى ميسرتي ، فأقول لأهل الميسرة: إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريبا فلم تروني ، ومحبوسا فلم تزوروني ، ومريضا فلم تعودوني فاذهبوا إلى النار المعدة لكم قبل تأسيس الدنيا، وأقول لأهل الميمنة :فعلتم بي هذه الأشياء ، فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيا " (انظر متى ٢٥/ ٣١-٤٣)[3].

ويحمل النص على المجاز،فالمقصود منه إطعام الجائع وتأنيس الغريب...،لكنه قول محكم في أن من بني آدم ناجين عندالله كما فيهم هالكين بسبب تقصيرهم وذنوبهم.ولايمكن صرفه إلى غير المؤمنين بالمسيح – حيث تعتقد الكنيسة بهلاكهم – لأنه قد جاء في نص آخر ما يؤكد هلاك بعض المؤمنين العصاة ، فقد قال المسيح:"ما أكثر من يقول لي يوم القيامة:ياسيد أليس قدسنا باسمك وأخرجنا الشياطين ؟ " فيقول مجيبا : " اغربوا أيتها الفجرة العادون ، فما أن عرفتكم قط " (متى ٧/ ٢٢)فهذا نص صريح في هلاك بعض المؤمنين بالمسيح ،وهم الذين حال فجورهم وعملهم دون خلاصهم ونجاتهم ، وعليه فلا خلاص يوم القيامة إلا بالعمل الصالح ، كما قال الله لقابيل:"إن أحسنت يقبل منك ، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك " (التكوين ٤/٦-٧)،وكذا جاء في المزامير " يا بني البشر حتى متى أنتم ثقيلي القلوب،لماذا تهوبون الباطل ، وتبتغون الكذب ، اغضبوا ولا تأثموا، والذي تهتمون به في قلوبكم اندموا عليه في مضاجعكم:اذبحوا لله ذبيحة البر، وتوكلوا على الرب " (المزمور ٤/٢-٥)، فطلب الرب منهم القربى والعمل الصالح ليحصلوا على النجاة. [4]

آثار عقيدة الفداء

وتحدث علماؤنا عن الآثار المزعومة التي يرتبها النصارى على مسألة صلب المسيح ، فثمة آثار لا تصح ، منها زعمهم أن خلاص الأنبياء كان مرهونا بالمسيح المصلوب حيث حبسوا في الجحيم إلى أن نزل المسيح إلى الجحيم ، وأخرجهم منها بدمه المسفوك الفادي ، فهذا قول مستقبح يرى الخزرجي أن لادليل عليه في أسفار التوراة،كما يرفضه العقل ويمجه ،فكيف يقبل أن يقال بأن إبراهيم الخليل أو موسى الكليم

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي ص ١٨٢.

(٢) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري، ص٦٥

(٣) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،الخطيب السكندري،ص١٠١-١٠٢

(٤) انظر:الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،القرافي،ص ١٠٧،أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،الخطيب السكندري،ص١٠٢،المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل،أبو الفضل السعودي،لوحة ٩١ب

كانا معذبين في النار بسبب ذنب لم يقترفاه.[1]

ومن الآثار التي لم تتحقق: فداء البشرية من الخطيئة، إذ مازال البشر يخطئون ، و لم يتغير شيء من أحوالهم و لم ينطفئ شيء من فتن الشيطان كما زعم النصارى ، بل يرى القرافي أنه "مازال اليهود والفرس وعبدة الأوثان وأنواع الضلال من العالم ،بل ازدادت الضلالات ،وكثر الكفر والجهل والعناد بوجودهم بين أظهر العالم ، و لم يظهر من ولد آدم لهم شبيه فيما هم عليه من خلط الكفر بالجنون".[2]

لكن ثمة آثار سيئة لهذه العقيدة ، منها أنها تشجع على فعل المنكرات ، إذ كيف تؤول حياة الناس إذا عرفوا أن مجرد إيمانهم بواقعة الصلب المزعوم ، وأنه حدث لتكفير خطاياهم ،يقول الخطيب مخاطبا النصارى :" وكذلك من قتل منكم وسرق وزنا وفسق وركب سائر الذنوب ، يجب على هذا القول أن لايكون مؤاخذا بخطيئته ولا مأثوما على فعله ".[3]

ونلحظ من خلال ما نقله علماؤنا عن النصارى أن الحديث إنما هو عن خطيئة آدم وغفرانها، و لم تذكر نصوص علماء النصارى الذنوب التي يقع بها العباد.

لكن ردود علمائنا أبطلت أن يكون لذرية آدم علاقة بخطيئة آدم، كما أبطلت أن يكون الصلب قد خلصنا من ذنوبنا وخطايانا ، فقد فهم علماؤنا بأن المقصود عند النصارى من إبطال الصلب لخطيئة آدم إبطال جنس الخطيئة التي ورثها الجنس البشري عنه.

فإذا بطلت خطيئة آدم بتحمل المسيح للصلب، وآلامه وموته عليه تبطل الخطيئة من فعل أبنائه، وبطلانها هنا ليس بطلان الفعل، لأن عاقلا لا يقول بأن البشر لا يخطئون ولا يذنبون، وإنما هو بطلان أثر هذه الخطايا وتبعاتها في الآخرة.

---

(١) انظر:بين الإسلام والمسيحية،أبو عبيدة الخزرجي،ص ١٧٤،أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،الخطيب السكندري،ص ٦٩،منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ،ص ٧،الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام،القرطبي،ص ٤١٧،هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،ابن القيم،ص ١٣٩

(٢) انظر جواب الباجي على رسالة راهب فرنسا،ص٨٧،النصيحة الإيمانية في فضيحة النصرانية،نصر بن يحيى،١٠١،الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،القرافي،ص١٣٦ .

(٣) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري،ص١٠١ .

المبحث الرابع: التوراة

﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾ [1]﴿و أنزل التوراة و الإنجيل من قبل هدى للناس ﴾ [2] تلخص الآيتان بوضوح عقيدة المسلمين في كتاب الله الذي أنزله على موسى عليه السلام.

و لدى التأمل في التوراة التي يتداولها اليهود و النصارى اليوم يتبين بجلاء تام إنها ليست هي التوراة التي يؤمن بها المسلمون.

إذ لا نجد في أسفار التوراة الهدى و النور إلا قليلاً، بل نجد فيها ما يزكم الأنوف، و يأنف العاقل أن يصدق بأن ما يقرأه هو وحي الله إلى نبيه موسى عليه السلام.

كان من الطبيعي أن تتجه دراسات علمائنا الذين ردوا على النصارى لدراسة التوراة، إذ التوراة الحقة هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى، وجاء به عيسى مصدقاً له فقال :﴿ إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾. [3]

و النصارى يعتبرون الأسفار التوراتية الخمسة المنسوبة لموسى و بقية أسفار العهد القديم المنسوبة للأنبياء يعتبرون هذه الأسفار جميعاً أسفاراً مقدسة يسمونها :العهد القديم، بينما يسمون الأناجيل و ملحقاتها: العهد الجديد.

و تذكر نصوص العهد الجديد أن عيسى عليه السلام اعتبر التوراة كتاباً مقدساً ،و أنه لم يبعث لنقضه فيقول " الحق أقول لكم :إلى أن تزول السماء و الأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة من الناموس حتى يكون الكل "(متى ٥/١٨)، و يقول " ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمل " (متى ٥/١٧).

لذا اهتمت الردود الإسلامية المجادلة للنصارى بمحاكمة التوراة التي يحملها النصارى، و كان نقدهم للتوراة بعمومه موجهاً للنصارى أكثر من اليهود، بل إن الباجي تحدث في نقده عن "توراة النصارى" و مقصده الترجمة اليونانية التي بقيت معتمدة لدى سائر النصارى إلى القرن الميلادي السادس عشر، و كان نقد علمائنا للنصارى من خلال النص اليوناني (السبعيني و ترجماته إلى العربية) ، و لعل السبب في ذلك التباين بين طبيعتي الدين النصراني و اليهودي حيث انطوت اليهودية على أتباعها، فيما خرج النصارى لنشر دينهم ، فألفوا الكتب لنشر الاستدلال له و النيل من الإسلام، فاستوجب ذلك دراسة دينهم و منه توراتهم التي يؤمنون بها.

فما هي التوراة التي يؤمن بها المسلمون ؟ وماذا عن التوراة التي بين أيدي النصارى ؟

التوراة اسم يطلقه المسلمون على الكتاب الذي أنزله الله على موسى، ويطلقه أهل الكتاب على الأسفار الخمسة،و على مجموع أسفار العهد القديم التي تنسب للأنبياء و غيرهم .

و المسلمون لا يمنعون أن يكون الله قد أنزل على بعض الأنبياء وحياً إذ هو ما يفهم من قوله تعالى:

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية:٣.

(٣) سورة الصف ، آية:٦.

﴿قولوا آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق ويعقوب و الأسباط و ما أوتي موسى و عيسى و ما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون ﴾ [1].

و يؤكد ابن حزم وجود كتب الأنبياء مستدلاً بقوله ﴿و إنه لفي زبر الأولين﴾ [2]

و لا يعني هذا أن علماءنا يسلمون بصحة نسبة أسفار العهد القديم المنسوبة للأنبياء، فإن ذلك مشروط بثلاث أمور.

١-العلم بالنبوة المنقول عنه.

٢-أن يعلم لفظه الذي تكلم به.

٣-أن تعرف ترجمته الصحيحة.[3]

و لا ريب أن بعض أسفار العهد القديم لا ينسب للأنبياء كبعض المزامير المنسوبة لآساف و بني قورح.

و يحتوي العهد القديم على خمسة أسفار حسب التوراة السامرية، و هي الأسفار المنسوبة لموسى(التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية)و يضاف إليها سفران آخران يعتبرهما السامريون من أدبيات بني إسرائيل المعتبرة من غير القول بأي قداسة لهما، و هما: يشوع و القضاة.

بينما يحتوي العهد القديم العبراني-و الذي يؤمن به عامة اليهود و النصارى-على أربعة مجموعات من الأسفار:

١-الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى.

٢-الأسفار التاريخية التي تتحدث عن بني إسرائيل بعد موسى، وحتى رجوعهم من السبي البابلي، و تنسب إلى عدد من الأنبياء.

٣-الأسفار الشعرية:و تضم هذه المجموعة سفر المزامير و الأمثال و نشيد الإنشاد.

٤-أسفار الأنبياء و تضم أسفار الأنبياء الكبار و هم إشعيا إرمياء و دانيال و حزقيال و هوشع.ويضاف إليها أسفار الأنبياء الصغار و هم: يوئيل و عاموس و عوبديا و يونان و ميخا و ناحوم و حبقوق و صفنيا و حجي و زكريا و ملاخي.

و أما أتباع الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية فيزيدون على هذه الأسفار سبع أسفار تسمى الأسفار الكاثوليكية ،و التي يسميها اليهود و البروتستانت أسفاراً خفية" أبوكريفا " ،و هي: باروخ، طوبيا، يهوديت، الحكمة، الجامعة، المكابيين الأول، المكابين الثاني.

و قد تركزت جهود علمائنا المسلمين و دراستهم للتوراة على الأسفار الخمسة، بل إن الباجي مثلاً لم يتعرض لغير هذه الأسفار، فيما تعرض ابن حزم في نقده إلى أسفار الأنبياء بصورة مقتضبة فيما أفاض في نقد الأسفار الخمسة و خاصة سفر التكوين.

و قد كان لأصحاب الردود المسلمين من التوراة موقف واضح استمدوه من كلام الله عز و علا،

---

(١) سورة البقرة ، آية١٣٦.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢١٢/١ ، و الآية في سورة الشعراء آية: ١٩٦.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤٩/٢-٥٠

و قد أخبر بالحق عن اليهود و تلاعبهم في التوراة فذكر بأنهم ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه و نسوا حظاً مما ذكروا به﴾ [1] كما أخبر تعالى أنهم كتموا بعضاً مما أنزل الله عليهم ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب و يشترون به ثمناً قليلاً..﴾ [2] و أن الله بعث نبيه ومعه بيان ما أخفوه ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ [3]كما ذكر القرآن الكريم أن الله وكل إلى أهل الكتاب حفظ كتابهم﴿ بما استحفظوا من كتاب الله و كانوا عليه شهداء ﴾ [4]

ثم كانت إحدى أكبر سوءاتهم أنهم كانوا يكتبون كتباً من عندهم ثم ينسبونها لله عز و جل ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون ﴾ [5]

و خلص علماؤنا من هذا كله إلى أن التوراة حرفت، و فقد كثير منها، و وضع اليهود كثيراً غيره مما لو تفحصه اللبيب لأذعن بأن هذا الكلام ليس من كلام الله و لا وحيه و في إثبات هذه الحقائق القرآنية كان نقد علمائنا للتوراة.

و قد تمحورت ردود علمائنا و نقودهم للتوراة على محورين:

الأول:تاريخ التوراة ، و سندها.

الثاني:نقد متن التوراة.

وقد أفردت لكل من المحورين مطلباً خاصاً به.

---

(١) سورة المائدة ، آية:١٣.

(٢) سورة البقرة ، آية:١٧٤.

(٣) سورة المائدة ، آية:١٥.

(٤) سورة المائدة ، آية:٤٤.

(٥) سورة البقرة ، آية:٧٩.

المطلب الأول:تاريخ التوراة و سندها.

تساءل علماؤنا عن مصير التوراة التي أنزلها الله، وعن أسباب ضياعها، و عن علاقة التوراة المتداولة بالتوراة التي أنزلها الله.

و لا تسعف كتب التاريخ في الوصول إلى الإجابة على هذه الأسئلة لذا لجأ علماؤنا للتوراة المتداولة بحثا عن إجابة لهذه الأسئلة، فقد استعرض ابن حزم تاريخ تدوين التوراة من خلال نصوصها ،و توقف مليا عند ثلاث ملاحظات:

١-أن موسى عليه السلام دفع التوراة إلى بني لاوي بن يعقوب حاملي تابوت عهد الرب ، و قال لهم:" خذوا هذا المصحف،و اجعلوه في المذبح،و اجعلوا عليه تابوت عهد الرب إلهكم ، ليكون عليكم شاهدا "(التثنية ٣١/٢٦).

و قد شمل هذا الأمر جميع التوراة عدا سورة واحدة أمر موسى عليه السلام أن تكتب و تعلم لجميع بني إسرائيل ليحفظوها، و يقوموا بها، و قد ذكر ابن حزم هذه السورة بنصها(انظر التثنية ٣٢/١-٤٣).

و قد نبه إلى إنه رغم أهميتها و اهتمامهم بها إلى أنها كانت عرضة للتحريف بدليل ما ورد فيها مما يعتبره ابن حزم لا يليق بالله عز و جل.

فقد جاء فيها "و أخفي وجهي عنكم"(التثنية٣٢/٢٠)و أيضا "أما هو أبوكم الذي خلقكم"(التثنية ٣٢/٦).و أرى أنه ليس ثمة ما يردع اليهود عن تحريف هذه السورة بيد أن ما نقمه ابن حزم تصح له وجوه من التأويل المستساغ.

و من هذا كله ثبت إمكان ضياع التوراة لعدم شهرتها بين عوام اليهود.[1]

٢-تتبع ابن حزم تاريخ بني إسرائيل و سيرة ملوكهم في مملكتي يهوذا في جنوب فلسطين، و مملكة إسرائيل في شمال فلسطين. و قد تكونت المملكتان بعد سليمان عليه السلام حين ثار الأسباط على رحبعام ابن سليمان،و انشئوا المملكة الشمالية فيما توارث أبناء سليمان مملكة يهوذا الجنوبية.

و لاحظ ابن حزم أنه قد تغلبت الوثنية على بني إسرائيل و ملوكهم ،و تتابع الأنبياء يدعونهم إلى التوحيد، فقتلوا من قتلوا منهم و استمرءوا عبادة الأصنام، و لقد كان هذا حال بني إسرائيل و ملوكهم من بعد سليمان عليه السلام إلى سقوط مملكتهم على يد البابليين.

و لم يشذ عن ذلك سوى سنين قليلة عاد فيها بنو إسرائيل إلى التوحيد بسبب صلاح بعض ملوكهم، كما عد لهم ابن حزم سبع ردات بين موسى و طالوت أول ملوكهم، كان مقدار عبادتهم للأصنام فيها مائة و سنتان .

و كانت قاصمة الظهر عندما وقع على بني إسرائيل السبي إلى بابل بعد حرق الهيكل و تدميره، فضاع كل أمل في الحصول على التوراة.

و بعد العودة من سبي بابل نشط عزرا الوراق لإعادة كتابة التوراة، فأعاد كتابتها مصححا ما فيها

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/٢٠١-٢٠٣ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص١٤٦.

من الخلل الكثير و اعتمد فيها على حفظه .

و يؤكد ابن القيم بأن لا يوجد دليل على نبوة عزرا و عصمته.

و بعد كتابة عزرا انتشرت التوراة انتشارا خفيفا، ثم ترجمت إلى اليونانية في عهد بطليموس (ق٣ق.م)، و انتشرت بعد ذلك.

و يؤكد ابن حزم أن ما ترجمه السبعون ليس توراة عزرا (العبرانية)بدليل مخالفتها في أعمار الآباء الأوائل.

و يعترف اليهود بأن السبعين الذين ترجموا التوراة لليونانية قد بدلوا ثلاثة عشر موضعا في التوراة، ويرى الخزرجي أن من كان هذا فعله حسب إقراره، فإنه لا يؤمن بأن يكون قد غير و بدل، و لم يذكر ذلك[1].

٣- و من الأمور التي ساعدت على ضياع النص الأصلي من التوراة الترجمات العديدة، فقد ترجمت التوراة لليونانية ثم ترجمت للسريانية ثم القبطية و لغات أخرى.

و خلال الترجمات المتعاقبة ضاعت الأصول، ذلك أن أهل الكتاب يعتمدون في كتبهم على الرواية بالمعنى.و معلوم أن الترجمة لا تكون كالأصل بحال من الأحوال ،إذ تختلف باختلاف دلالات الألفاظ في اللغات.[2]

هذه العوامل و غيرها كانت سببا في ضياع التوراة التي أنزلها الله على موسى.

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١٩٤/١-١٩٨ ، و المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٤/٦ ، و بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٣٨ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٧٨-٨٠ ، و هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٠٦ ، ١٠٩

(٢) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ٩٢ -٩٣ ، المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٠٢.

المطلب الثاني :نقد متن التوراة.

و أما التوراة الموجودة بين أيدي علمائنا فإنهم يقطعون بأنها ليست التوراة التي أنزلها الله، بل تعرضت للكثير من التشويه.

و قد اختلف علماؤنا في حجم و نوعية التحريف الموجود في التوراة، فرأى البعض و منهم البخاري و الرازي ،و إليه مال ابن كثير أن التوراة حرفت بلي اللسان و صرف الألفاظ عن معانيها من غير أن تتعرض الألفاظ للتغير.

و ذهب جمهور العلماء إلى وقوع التحريف الفظي و المعنوي في أسفار التوراة [1]،وهو الصحيح الذي لايحيد عنه من وقف على نسخة من نسخ التوراة.

وقد استدل علماؤنا لصحة قولهم بتحريف التوراة بأمور :

أولها : أنه توجد ثلاث نسخ متباينة للتوراة ، وهي:العبرانية التي يسميها ابن حزم :توراة عزرا.واليونانية التي ترجمها السبعون ، والسامرية التي ذكر ابن حزم أنه لم يطلع إلا على جزء يسير منها ، فحكم باختلافها عن التوراتين المشهورتين ، ونبه ابن حزم إلى أن التوراة السامرية سبعة أسفار فقط (الخمسة ويشوع والقضاة).

و يذكر أصحاب الردود الإسلامية تبادل السامريين و العبرانيين الاتهامات في مسألة التحريف، فكل فريق يتهم الآخر به[2].

وقد ذكر ابن حزم أمثلة كثيرة اختلفت فيها توراة العبرانيين عن التوراة اليونانية ،منها أنه جاء في العبرانية أن أينوش ولد و لأبيه شيت مائة و خمس سنين (انظر التكوين٥/٦) بينما تزعم التوراة اليونانية أن عمر شيت يومذاك مائتي سنة و خمس سنين.

و بالمزيد من المقارنات في أعمار الأباء الأوائل تبين لابن حزم و الجويني من بعده استحالة القول بأن هذين التوراتين توراة واحدة، إذ الفرق بينهما في عمر الدنيا يقارب الألف و الثلاثمائة عام.

و ذكر الباجي مثالا آخر من خلاف التوراتين و هو أن اليونانية جعلت ولادة إبراهيم بعد ثلاثة آلاف سنة من خلق آدم، بينما تجعله التوراة العبرانية بعد ألف و تسعمائة و ثمان و أربعين سنة[3]

و يذكر زيادة النصب الراسي أن ما بين آدم و المسيح يبلغ حسب العبرانية ٤٠٥١سنة ، بينما يبلغ حسب اليونانية ٥٥٠٨سنة.

---

(١) انظر : التوراة ، محمد شلبي شتيوي ، ص٦٥-٦٨ ، وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٥/٢ ، ٣٦١-٣٦٨

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١٢٧/١ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٣٩ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٠٦ ، ١١٤.

(٣) يذكر سفر التكوين أن بين مولد سام و مولد إبراهيم ما مجموعه أربعمائة و تسعين سنة (انظر : التكوين١١/١-٣٢) و قد كانت ولادة سام بعد خلق آدم بألف و خمسمائة و ست و خمسين سنة (انظر : التكوين ٥/١-٣٢) فتكون ولادة إبراهيم بعد ألفين وست و أربعين سنة من خلق آدم.

و هذه الخلافات و غيرها تسقط الاستدلال بالتوراتين حتى يقيم النصارى التوراة الصحيحة منهما أو من غيرهما[1] .

الثاني : لدى دراسة التوراة تبين لعلمائنا استحالة صحة نسبة هذه الأسفار إلى الله عز و جل، فقد حوت ضروبا من الخلل تدل على تحريفها كالتناقضات فيها، و الكذب، و الركاكة الغوية...فسائر هذه الأمور إن ثبت وجودها في التوراة بطلت نسبتها لله عز و جل.

و هذا الذي وجده أصحاب الردود الإسلامية و ذكروا بعضا منه، فمنه :-

أـــ أن التوراة حوت من الكفر ما لا يليق أن ينسب إلى الله في كتاب من كتبه ،و يتمثل ذلك في إساءة التوراة المتكررة للذات الإلهية، و الأنبياء الكرام.

ومن إساءتها لمقام الألوهية تجسيمهم الله عز و جل و اعتقادهم مشابهته للبشر، فقد جاء في سفر التكوين أن الله قال"و أصنع أبناء آدم كصورتنا كشبهنا"(التكوين ٢٦/١).

و يرى ابن حزم أن لو كان النص مقتصرا على ذكر الصورة لكان له وجه حسن ومعنى صحيح،فتكون إضافة الصورة لله كإضافة الخلق والملك. [2]

لكن قوله" كشبهنا "منع التأويلات،وأوجب شبه آدم لله عز و جل، و هذا مما يقدح العقل ببطلانه، كما تذكر التوراة لله ظلما يتنزه عنه في قولها:" إني أنا الله الثقف آخذ الأبناء بحوب الآباء " (انظر الخروج ٧/٣٤) ، والظلم يتنزه عنه الخالق بدليل قول الشرع والعقل.

وتتحدث التوراة عن الله عز وجل كما لو كان كائنا بشريا ، وفي ذلك صور كثيرة ذكرها ابن حزم ،منها القول بمصارعة يعقوب لله بعد تجسده على الأرض (انظر التكوين ٣٢/٢٤ـ٣١).

و أيضا ما جاء في إشعيا أنه رأى الله شيخا أبيض الرأس و اللحية(لم أجده في الترجمات الحديثة، وانظر الرؤيا١/١٢-١٩) ، و أنه قال "من سمع قط مثل هذا، أنا أعطي غيري أن يلد ، و لا ألد أنا، أنا الذي أرزق غيري أفأكون أنا بلا ابن " (لم أجده في الترجمات الحديثة).

و مثله في التجسيم قول التوراة في وصف ذهاب السبعين لسماع كلام الله فتقول:" و نظروا إلى إله إسرائيل، و تحت رجليه كلبنة من زمرد فيروزي، و كسماء صافية، و لم يمد يده إلى خيار بني إسرائيل " (انظر الخروج ٢٤ /٩-١١)، و من التجسيم في التوراة حديث التوراة عن مشي الله في الجنة ، و سماع آدم لوقع خطواته (انظر التكوين ٨/٣)، و مثله ما جاء في إشعيا " هذا هو الله الرب، يأتي بعزه...شبر السماء بشبره، و كال تراب الأرض بكفه " (إشعيا ١٢/٤٠).

و نقل القرافي عن التوراة قولها بأن الله لما خلق الخلق في ستة أيام استراح في اليوم السابع

---

(١)انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٨/٢-٩ ، و شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، الجويني ، ص ، و المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٦/١٦ ، و على التوراة ، علي الباجي ، ص ٦١ ، و بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٣٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣٨٠/١ ، و البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٥أ.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١١٧/١-١١٨ .

(انظرالتكوين٢/٢-٣)، قال القرافي: " و في هذا جهالات منها التجسيم، و منها ضعف القدرة لطرآن التعب و النصب، و منها أنه يلزم أن يكون إلههم حادثا....

و هذه المواضع و شبهها من أعظم الأدلة على تبديل التوراة، وأن الموجود في أيدي النصارى ليست التوراة المنزلة من عند الله تعالى، و هذا يجزم به كل عاقل".

و تقدم التوراة صورة ساذجة عن الله لا تليق بعظمته و جلاله، بل هي بالكائن البشري أليق، و من ذلك أن الله تعالى قال لموسى: " لست أنزل معكم لأنكم قساة الرقاب" لكن موسى ترجاه قائلا :" إن كنت سيدي عني راضيا،فأنا أرغب إليك أن تذهب معنا...سأخرج بنفسي بين يديك " (انظر الخروج ٣٣/١٢-١٤).ومثله ما جاء في سفر التكوين ،وفيه " فقال الله لقايين:أين هابيل أخوك؟ فقال:لا أدري.أرقيب أنا على أخي؟ " (التكوين ٤/٩)فمثل هذه الوقاحة في مخاطبة الله لاتصدر عن مخلوق كائنا من كان،ثم من ذا الذي يخاطبه الله؟و لم ؟ و سوى ذلك من القبائح و النقائص التي لا يصح أن ترد بحق الله في كتبه و لا كتب غيره[1].

و تسيء التوراة إلى أنبياء الله، و تنسب إليهم قبائح يتنزه عنها كرام الناس فضلا عن أنبياء الله و صفوة خلقه، و من ذلك القول بسكر نوح و تعريه(انظر التكوين٩/٢٠) ثم دعائه الظالم و لعنه لكنعان بغير ذنب أذنبه، بل بسبب أن أباه حام بن نوح عندما كان صغيرا رأى عورة أبيه فلم يحسن التصرف(انظر التكوين٩/٢٥).

و لا يليق أيضا ولا يصح بحال قول التوراة بزنى داود بزوجة أوريا الحثي(انظر صموئيل(٢)١١/٢-٢٦) ومثله القول بأنه قتل أبناء شاول الملك انتقاما من أبيهم شاول(طالوت)فلم ينجو من بطشه سوى طفل صغير منهم (انظر صموئيل (٢)٣/١-١٨) ،و أن داود عليه السلام خاطب ربه فقال" أصغ إلي سمعك يا رب" (مزمور١٧/٦)، و من القبح و المحال أيضا القول بزنا لوط بابنتيه (انظر التكوين ١٩/٣٠-٣٧) و حاشاهم جميعا من ذلك ، و كذا تذكر التوراة أن هارون هو الذي صنع لهم العجل ليعبدوه (انظر الخروج ٣٢/٢-٥)،و كذا تذكر التوراة أن إبراهيم قال لله لما أراد إهلاك قوم لوط " أنت معاذ أن تصنع هذا الأمر، لا تقتل الصالح مع الطالح " (التكوين ١٨/٢٣). و مثله أن داود شبه الله بما لا يليق فقال:" الرب قام كالمنتبه من نومه، كالجبار الذي يقربه أثر الخمار " (مزمور ٧٨/٥٦)فلا يمكن لنبي أن يقول بمثل هذا التشبيه السخيف في حق الله عز و جل إذ هو يصور قيامه بقيام الكسل المخمور الذي يتمدد و يتمطى قبل أن يقوم..

و مثل ذلك الأسلوب الجاف في الطلب من الله أو التشبيه لا يصدر من أنبياء الله الكرام، فدلت نسبة هذه القبائح و غيرها إلى الأنبياء على أن هذا الكتاب ليس كتاب الله جل و علا.[2]

---

(١) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٠٧ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١١٧ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ٢٠٩ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٤٥ ، ٢٥٠-٢٥٢الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٤٧-١٤٨ ، و منظومة الأبوصيري ، ص٩ ، و الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص١٦١-١٦٧ ، على التوراة ، علي الباجي ، ص ٢٥-٣٥.

(٢) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٠٧ ، و الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١٣٣ ، ١٦١-١٦٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٦ ، و بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٢٠ ، ٢٤٦-٢٥٦ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٤٦ ، ١٥١ ، و منظومة الأبوصيري ص١٠ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٨ب.

ب – حوت التوراة العديد من الأغلاط أو الأكاذيب التي لايجوز أن تنسب لله عز وجل،فإن الغلط فرع عن الجهل والضعف،والرب العظيم يتنزه عن ذلك.

فدل وجود هذه الأغلاط على صدور التوراة من بشر ضعيف جاهل، و من هذه الأغلاط التي ثبت بطلانها بالواقع ما جاء في سفر التكوين "و نهر يخرج من عدن فيسقي الجنان، و من ثم يفترق فيصير أربعة أرؤس، اسم أحدها النيل، و هو محيط بجميع بلاد زويلة الذي به الذهب، و ذهب ذلك البلد جيد، و بها اللؤلؤ و حجارة البلور، و اسم الثاني:جيحان و هو محيط بجميع بلاد الحبشة و اسم الثالث: الدجلة، و هو السائر شرق الموصل، و اسم الرابع:الفرات"(التكوين٢/١٠-١٤).

فيرى ابن حزم كذب هذا النص في أمور هي أن هذه الأنهار من أنهار الدنيا، و يعرف أماكنها و منابعها، و نسبتها لجنة عدن من الكذب.و أيضا: فإن نهر جيحان من أنهار الروم، و القول بأنه في الحبشة خطأ كبير.

ولهذا النص ولاريب أصل صحيح تحرف عنه، ففي صحيح مسلم" أربعة أنهر يخرجون من أصلها ، نهران ظاهران ونهران باطنان، أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات " أي أن الأصول التي خرجت منها هذه الأنهار في الجنة، لا أنها متصلة الآن بالجنة.

كما تذكر التوراة أن الملائكة لما مرت بإبراهيم أطعمهم خبزا و لحما، و سقاهم لبنا و سمنا، ثم لما رجعوا من مدائن لوط عشاهم فطيرا.(انظر التكوين ١٨/٦-٨،١٩/٤)[1].

و يرى القرافي أن القول بأن الملائكة تأكل و تشرب من الكذب و الغلط إذ الملائكة أجسام روحانية لا تأكل و لا تشرب ،و قد جاء في الإنجيل أن أهل الجنة كالملائكة لا يأكلون و لا يشربون(انظر متى ٢٢/٣٠).

و كذا تذكر التوراة أن الله وعد إبراهيم في ابنه أن يرث ما بين النيل و الفرات فقال:" لنسلك أعطي هذا البلد، من نهر مصر الكبير إلى نهر الفرات : (التكوين ١٥/١٨-١٩)و هذا الوعد لم يتحقق طوال التلويخ في أبناء إسحاق، و لن يتحقق في المستقبل إذ اختلط بنو إسرائيل بغيرهم من الأمم، فهيهات أن يعودوا بعد هذه القرون.

فإن قالوا بأن بني إسماعيل حققوا الوعد فهذا مهرب فاسد ،إذ ما ملكه بنو إسماعيل أكثر من ذلك بكثير، فلو كان المراد بالوعد إسماعيل و أبناؤه فليس في ذكر القليل و ترك الكثير ما يليق بالوعد، ثم إن مما يصرفه أيضا النصوص الأخرى التي أكدت أن الوعد في إسحاق(انظر التكوين ١٧/٢١).

و من الغلط أيضا قول التوراة أن الله قال لإبراهيم " و أنت تسير لآبائك بسلام، و تدفن بشيبة صالح، و الجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ههنا " (التكوين ١٥/١٥-١٦) أي الشام.

و الواقع التاريخي يكذب هذا النص فقد كان الجيل الثالث و الرابع من إبراهيم و هم الأسباط و أبناؤهم، كانوا هم الداخلين إلى مصر، لا الخارجين منها، و أما الخارجون منها فهم الجيل السادس من أبناء

---

(١) و في التراجم الجديدة ما يفيد أن ضيوف لوط هم الرب جل و علا و اثنين من ملائكته فقد جاء فيه "و ظهر له الرب عند بلوطات ممرا... يا سيد إن كنت وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك " (التكوين١٨/١-٣٣).

إبراهيم[1].

و من الكذب أيضا ما ذكرته التوراة عن تخلي إبراهيم عن زوجته بعدما فتن بها الملك أبيمالك ملك جرار،فتقول بأن إبراهيم خشي على نفسه الموت ،فقال هي أختي.(انظر التكوين ٢٠/١-٥)، ويستدل ابن حزم في تكذيبه للنص بما جاء في سفر سابق يتحدث عن سارة و قد جاوزت التسعين ، و وعدت بإسحاق (انظر التكوين ١٧/١٧)،و قد ولدت إسحاق بعد تعرض أبيمالك لها(انظر التكوين ٢١/١-٤)، و يتساءل ابن حزم كيف لامرأة قد جاوزت التسعين أن تفتن ملكا، فهذا دليل باهر على كذب الرواية[2].

وأصل القصة رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء فيها أن إبراهيم قال للطاغية " هي أختي "، وذلك أنه علم أن عرضه محفوظ بحفظ الله لجميع أعراض الأنبياء، فلن يصل إليها بسوء، كما كان صنيعه غيرة على الدين وخوفا من اندراس التوحيد ،لا خوفا على ذاته،فقد جاء في الحديث " والله إن على الأرض مؤمن غيري "، و لم يذكر الحديث شيخوخة سارة يومذاك، فهذا باطل بلا ريب.[3]

و من الكذب أيضا الوعد الذي تنسبه التوراة لله في أنه قال" لا تنقطع من يهوذا المخصرة، و لا من نسله قائد حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء الأمم " (التكوين ٤٩/١٠)و قد ثبت الكذب بانقطاع الملك من بني إسرائيل عند غزو بختنصر، و لم يرجع الملك بعد العودة من السبي إلى سبط يهوذا[4].

و من الكذب و الغلط ما جاء في سفر الخروج :" قال السيد لموسى:قل لهارون:مد يدك بالعصا على مياه مصر و أنهارها و أوديتها و مروجها و جناتها لتعود دما، و تصير ماء في آنية التراب و الخشب.ففعل موسى و هارون ما أمر به السيد...و صار الماء في جميع أرض مصر دما " (الخروج ٧ /١٩-٢١) ثم بعد ذلك يقول السفر :" ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم، و اشتد قلب فرعون، و لم يسمع لهما على حلل " (الخروج ٧/٢٢).

و يتساءل ابن حزم عن الفائدة من هذه الآية الباهرة إذا كان السحرة قد استطاعوا أن يأتوا بمثلها، و بذلك زاد كفر فرعون و ضلاله[5].

و من الكذب أيضا ما ذكرته التوراة في أعداد بني إسرائيل فتتحدث عن أعداد بني إسرائيل عندما وصلوا إلى سيناء فإذا هم قد بلغوا الألفي ألف ،و هم الذين دخلوا مصر قبل ما يقارب المائتي سنة ، و عددهم واحدا و خمسين رجلا(والصحيح أنهم سبعون.انظر التكوين٤٦/٢٧).فتكاثر هؤلاء حتى يصلوا إلى الألفي ألف في هذا الوقت الوجيز من غاية المحال.

و مما يدل على المبالغة في هذه الأعداد أن التوراة ذكرت أنهم كانوا يعملون بصنع اللبن فأمر فرعون بمنع التبن الذي يصنع منه اللبن عنهم"فتفرق الشعب في كل أرض مصر ليجمعوا قشا عوضا عن التبن (انظر الخروج ٥ /١٢).

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١١٨/١ ، ١٢٤_١٢٩ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٤٨-١٤٩.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١٣٥/١.

(٣) رواه البخاري برقم:٢٠٦٥، وأبو داود برقم:١٨٩١ .

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١٥٢/١.

(٥) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١٥٦/١-١٥٧.

فهل يعقل أن يقال بأن هؤلاء المليونين كانوا يعملون في صناعة اللبن؟أم أن الصحيح هو أن هـــؤلاء القلة كانوا يعملون ذلك[1].

ج ـ و حوت التوراة أبوابا من التناقضات في بعض التفاصيل التي تذكرها.

و هذا التناقض دليل على بشرية التوراة، و أنها ليست من وحي الله عز و جل إذ كلام الله لا ينقـض بعضه بعضا ﴿أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[2].

و في التوراة تناقضات عديدة جاءت على أنواع ثلاثة:

١-ما تناقض فيه النص مع بعضه،و منه ما نبه إليه الباجي فقد ذكر سفر التكويـــن أن الله خلـــق في اليوم الأول السماوات و الأرض ،ثم ذكر بعده ما يفيد أنه خلق السماء في اليوم التالي " قال الله ليكن جلـــد وسط الماء ...و صنع الله الجلد سماء " (التكوين ١/٦-٧)

و مثل ابن حزم له بما جاء في سفر التكوين عن الطوفان فقد قال " و كان المطر على الأرض أربعـين يوما و أربعين ليلة...و تعالى الماء على الأرض مائة و خمسين يوما"(التكوين ٧/١٧-٢٤)[3].

و لكن هذا يمكن الجمع فيه بأن الأربعون زمن هطول المطر، و المائة و الخمسين زمن بقاء الماء علـى الأرض فلا تناقض.

و من صور تناقض النص مع بعضه ما جاء في سفر التكوين أن هابيل بن آدم كان راعي غنم (انظـر التكوين ٤/٢)ثم تذكر التوراة بعد سطور أن يابال، و يعتبر من الجيل السابع لآدم قد كان أول مـــن ملـك الماشية(قارن التكوين ٤/٢٠).

٢-ما تناقض فيه النص التوراتي مع النصوص الأخرى، فثبت بها كذب أحد النصـــين أو تكذيـب النصين حتى يتبين الصحيح منهما، أو من غيرهما.

و من ذلك ما ذكره زياد النصب الراسي في أعمار بعض ملوك بني إسرائيل فإن التوراة ذكرت بـــأن عمر أخزيا عندما ملك على بني إسرائيل كان اثنان وعشرون سنة(انظر ملوك(٢)٨/٢٦)ثم ذكرت أنه ملـك و عمره اثنان وأربعون سنة(انظر الأيام(٢)١٢/٢)فأي النصين هو الصحيح[4].

و منها أنه جاء في سفر التكوين في الإصحاح السادس أن البهائم التي نجت مع نوح اثنين اثنين مـــن كل ما يدب على الأرض "من البهائم، و من كل الوحوش، و من كل جسد اثنين اثنين...من كل دبيـــب يدب على الأرض اثنين اثنين يدخلون معك " (التكوين ٦/٢٠-٢١)، ثم نقض ذلك في الإصحاح الســـابع فقال : " من الدواب الطاهرة سبعة سبعة، و من غير الطاهرة اثنين اثنين " (التكوين ٧/٢-٣)[5].

و تذكر التوراة زواج موسى ابنة يثرون المديانية (انظر الخروج ٢/٢١)، ثم يذكر في موضع آخر أنهـا

---

(١) البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٨أ.

(٢) سورة النساء ، آية:٨٢

(٣) على التوراة ، علي الباجي ، ص ٤٩.

(٤) البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٨أ.

(٥) انظر : على التوراة ، علي الباجي ، ص ٤٥.

حبشية (كوشية) (انظر العدد ١٢/١).

و لا يمكن أن تكون زوجته حبشية مديانية في وقت واحد، و هي ليست زوجة ثانية ،و قد جاء في قاموس الكتاب المقدس "كانت امرأة موسى كوشية...و ربما كانت نفس صفورة المديانية"[١].

و من التناقض أيضا تناقض سفر التثنية مع سفر الخروج في وراثة الذنب ففي التثنية أن الذنب لا يورث، و كل مسئول عن عمله (انظر التثنية٢٤/١٦)، و في الخروج أن الذنب يورث للجيل الثالث و الرابع (انظر الخروج ٢٠/٥).

٣-ما تناقض فيه النص و تخالف مع عقيدة النصارى و أصول دينهم ،و يخبرهم علماؤنا بين إنكار أصولهم و معتقداتهم أو إنكار النص، و عدم القول بقدسية الكتاب الذي ورد فيه.

و من ذلك قول التوراة: " و إن أذنب رجل ذنبا فليقتل، و ليصلب على خشبة، و لا يبات جسده على الخشبة، و لكن يدفن من يومه من أجل أنه من الله ملعون كل مرفوع على الخشبة " (التثنية ٢١/٢٢-٢٣).

قال الباجي فإن هذا نص يقتضي أن عيسى عليه السلام لم يصلب على خشبة،و إنما شبه لهم، و بيانه أنه لو صلب على خشبة لكان ملعونا من الله، فلم يصلب.

أما المقدمة الأولى (أن المصلوب ملعون) فبمقتضى هذا النص، و أما الثانية (أن عيسى لا يمكن أن يكون ملعونا من الله) فبالإجماع منا و من النصارى، و هذا أمر لا مخلص منه أصلا، و لا جواب عنه البتة"[٢].

كما لاحظ الباجي مخالفة النصارى للأحكام التي في التوراة التي لا يقولون بنسخها كتحريم الطلاق، و التوراة تقول " و أي رجل منكم نكح امرأة فلم يرزق منها حيا، أو وجد عليها غيره، فيخلي سبيلها بالمعروف، و ليكتب لها كتاب الطلاق " (انظر التثنية ٢٤/١).

قال الباجي:" هذا نص صريح في شرعية الطلاق بأحد هذين السببين، مع أن النصارى لا يقولون به، فقد خالفوا كتابهم " [٣].

و ليس مقصود الباجي أن يبين بعدهم عن شريعتهم، إذ ليس هذا موضوع كتابه، و إنما مقصوده لفت النظر لما في أيديهم من الكتاب المحرف الذي سهل عليهم الخروج من أحكامه لما علموا بشرية وضعه و أحكامه.

كما تطرق أصحاب الردود الإسلامية في نقدهم للتوراة إلى عيوب ترجماتها، و لاحظوا ركاكة تعابيرها، و سوء أسلوبها البياني.

و رأى الجاحظ بأن وجود العبارات المشكلة في التوراة سببه الترجمة الركيكة و الجهل بمقاصد الألفاظ[٤].

و كذا تعقب الباجي كثيرا من النصوص التوراتية بالنقد منها ما جاء في سفر التكوين " و أبدع الله

---

(١) انظر :الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١٨٣/١ ، قاموس الكتاب المقدس ، بطرس عبر الملك و آخرون ، ط٩ ، دار الثقافة ، ١٩٩٤م ، ص٧٩٩.

(٢) على التوراة ، علي الباجي ، ص ١٣٨ ، و انظر : منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٢٥.

(٣) على التوراة ، علي الباجي ، ص ١٤٠.

(٤) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٠٦.

الإنسان على صورة الله، صنعه ذكرا و أنثى، صنعهما و باركهما الله " (التكوين ١/٢٧-٢٨)

قال الباجي :" فإنه لا يحسن أن يقال :" باركهما "، بل يقال:بارك فيهما. لأنه فعل لازم لا يتعدى إلا بحرف جر "[١].

و كذا عاب النص بما فيه من أخطاء بيانية كما في قوله " لنصنع إنسانا كصورتنا " (قارن التكوين ١/٢٦).فصيغة الأمر إنما تتجه نحو المأمور المخاطب أو الغائب، لأن أمر الآمر لنفسه ممتنع سواء كان أمر تكوين كهذا، أو أمر تكليف[٢].

كما نبه الباجي إلى التكرار الكثير الذي تمتلئ به الأسفار الخمسة التي نقدها، و جله مما لا فائدة فيه، و لا يليق أن يكون في وحي الله مثل ذلك التكرار الذي ليس له فائدة.

و منه ما جاء في سفر التكوين من ذكر للفساد خمس مرات متتالية " و فسدت الأرض قدام الله، و امتلأت الأرض ظلما، و نظر الرب الأرض قد فسدت، و أن كل جسد قد أفسد على الأرض...الأرض قد امتلأت من جورهم " (التكوين ٦/١١-١٣).

و لإثبات مدى التحريف و التلاعب الذي تعرضت له التوراة بين أيدي المترجمين[٣]،قارن ابن حزم بين نسختين في نص واحد ففي إحدى النسخ النص يقول :" و أسكن في شرقي جنة عدن الكروبيم، و لهيب سيف متقلب بحراسة شجرة الحياة " (التكوين ٣/٢٤).

و النص في نسخة أخرى ..." و وكل بالجنان المشتهر إسرافيل، و نصب بين يديه رمحا ناريا ليحفظ طريق شجرة الحياة "

قال ابن حزم "إن لم يكن أحدهما خطأ من المترجم، و إلا فلا أدري كيف هذا؟"[٤].

---

(١) على التوراة ، علي الباجي ، ص ٣٨ .

(٢) انظر : على التوراة ، علي الباجي ، ص ٢٥.

(٣) انظر : على التوراة ، علي الباجي ، ص ٢٤.

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١٢١.

المبحث الخامس:العهد الجديد.

كان من الطبيعي أن يهتم أصحاب الردود الإسلامية بدراسة العهد الجديد الذي يؤمن به النصارى على أنه بقية كلمة الله التي كتبها تلاميذ المسيح بإلهام من الروح القدس.

و يتكون العهد الجديد من مجموعات:

١-الأناجيل الأربعة (متى مرقس و لوقا و يوحنا).

٢-الرسائل و تنسب أربعة عشر لبولس و ثلاث ليوحناو اثنتان لبطرس و رسالة إلى يعقوب و أخرى ليهوذا ،ثم رؤيا يوحنا اللاهوتي، و قبل ذلك كله سفر أعمال الرسل المنسوب للإنجيلي لوقا [١].

و المسلمون حين يؤمنون بالإنجيل فإنهم يؤمنون بالإنجيل الذي أنزل الله على عيسى ، والذي بشر به عليه السلام، وهو الإنجيل المذكور في الأناجيل المختلفة بين أيدي النصارى

أما الأناجيل التي في أيدي النصارى فهي قصة تاريخية ألفها بعض التلاميذ أو تلاميذهم عن المسيح وضمنوها أقواله وأفعاله .

ويصفها الخزرجي فيقول:" فأناجيلكم حكايات وتواريخ، وكلام كهنة وتلاميذ ،حتى إني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلا من الإنجيل ،ويعتمد عليه العاقل أكثر مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن تنبني عليه شيء من أمر الدين ،إنما هو من فكهات المجالس " [٢].

وفي إبطال قدسية أناجيل النصارى درس علماؤنا تاريخ الإنجيليين الأربعة ، وأبانوا الموقف من كتاباتهم ،ثم درسوا هذه الأناجيل ،وأقاموا من ذلك كله الدليل على تحريف إنجيل المسيح الذي يؤمن به المسلمون .وكان جهدهم في مطلبين.

المطلب الأول :تاريخ الإنجيليين

لا يسلم المسلمون بقدسية الأناجيل الأربعة، لأنها مؤلفات لبعض البشر، و إن زعمت النصارى قربهم من المسيح لكنها على كل حال ليست إنجيل المسيح المنزل من السماء و الذي تذكره الأناجيل الأربعة،كقول مرقس " اذهبوا إلى جميع الدنيا، و بشروا جميع الخلائق بالإنجيل، فمن آمن يكون سالما..." (مرقس ١٦/١٥)،فأين هذا الإنجيل الذي دفعه المسيح لتلاميذه ؟ و هو قطعا ليس إنجيل مرقس و لا غيره من الأناجيل"[٣].و ما تحويه هذه الأناجيل من أقوال و أفعال المسيح إن صحت فلا يلزم أن تعتبر من وحي السماء"لأن المسيح كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، و من مقتضى الطباع البشرية و غير ذلك، فهذا

---

(١) ذكر القرافي وجود إنجيل خامس غير مشهور عندهم يسمى إنجيل الصبوة (الطفولة)و ينسب لبطرس عن مريم ، و يصفه القرافي بأن فيه زيادة و نقصان عن الأناجيل الأربعة ، و أنه سقط منه كثير من معجزات المسيح ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٢١-٢٢.

(٢) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٧.

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٢ ، ٥٥ ، و الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٠٤ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ص٩٨-٩٩.

ليس كله من عند الله"[1].

و لا يمنع المسلمون صحة بعض ما تحويه هذه الكتب من أخبار المسيح و أقواله و وصاياه، و لكن ذلك لا يمكن الجزم به بل يعرض على الثابت عن الله و وحيه كما تضمنته نصوص الكتاب و السنة فما وافقها قبلناه، و ما خالفها رددناه، و توقفنا فيما سوى ذلك[2].

و يرجع ابن حزم و البوصيري اختفاء إنجيل عيسى إلى الظروف المحيطة بدعوة المسيح، فقد اكتنف دعوته إيذاء اليهود له، و القلة التي آمنت به، و التي لم يتجاوز عددها المائة و العشرين رجلا مات كثير منهم قتلا على يد اليهود أو الرومان أو الوثنيين، و استمر هذا الحال في الأجيال اللاحقة إلى مطلع القرن الرابع حيث تنصر الإمبراطور قسطنطين فتبدل حال النصارى من الخوف إلى الأمن، و من الذل إلى العز.

و يرى أصحاب الردود الإسلامية أن هذه الاضطهادات كانت سببا في ضياع الإنجيل فلم يتميز قط، و لم تعرف له صورة، و لا سمع منه كلمة، بل غايته ما سمعه التلاميذ من المسيح[3].

ثم كتبت هذه الأناجيل فيما بعد، و لم تكن نسخا لهذا الإنجيل و لا صورة له بل كانت اجتهادات منسوبة لبعض تلاميذ المسيح أو تلاميذهم.

و ثمة سؤال يطرح نفسه، من أين أتي النصارى في أناجيلهم؟هل أتوا من مؤلفيها أم من مترجميها ؟ أم من تلاعب السنين بها في ظل فقد الإسناد ؟ أم أن الخلل كان فيمن أعطى لهذه الكتابات صفة القداسة بعد كتابتها بعشرات السنين... أم من ذلك كله؟.؟

رأى أصحاب الردود الإسلامية الخلل الجسيم الذي تكتنفه هذه الأناجيل ،و ذهب جمهورهم إلى اتهام الإنجيلين الأربع، و اعتبارهم مصدر الخلل و البلاء.

و لهذا نجد ابن حزم ينعتهم بأسوء النعوت فيسمهم بالكذب و الكفر و الفسق .

و نبه أصحاب الردود الإسلامية إلى أن اثنين من كتاب الأناجيل لم يريا المسيح أصلا، و هما لوقا و مرقس ، وعجب القاضي عبد الجبار لثقة النصارى فيهما، و لما يقفوا على حالهما.

ثم أن هؤلاء الأربع لا يؤمن عليهم الخطأ و النسيان، و لا عصمة لهم عن الكذب و التواطؤ عليه.

و يرى السعودي الخلل في نقلة الأناجيل و الرواة الذين حرفوا ما كتبه الحواريون و زادوا عليه و فيه، و لذا فهو يوثق هؤلاء الكتبة، بل يمتد توثيقه لبولس أيضا.

و يعود الجعفري باللوم على تراجم الإنجيل، و يرى أنه نشأ عن هذه التراجم الغير دقيقة سوء فهم العبارة، و مثل له بقول متى عن يوحنا المعمدان:" إنه أفضل من نبي " (متى ١١/٩)[4].

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٧.

(٢) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص ٣٨

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٤-٥ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٩٩ ، و منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٣٥ ..

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، و المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ٩٩ ، و الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٩١ ، تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ،ص ١٥٥ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٢ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٤ب-٢٦ب ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٨٢ .

و ذكر السعودي و الترجمان تعاريف موجزة بالإنجيلين الأربع و أناجيلهم، فمتى هو أحد الحواريين الذين لقوا المسيح و تابعوه في السنة التي رفع فيها كما ذكر الترجمان، و أن إنجيله قد كتبه في الإسكندرية، و يخالفه السعودي فيرى كتابته في فلسطين، و بالسريانية.

و أما مرقس فهو أحد الذين لم يلقوا المسيح، و لم يؤمن به حال دعوته، بل تنصر على يد بولس بعد رفع المسيح بسنوات عديدة، فبولس أيضا لم يلق المسيح، و تنصر بعد رفعه.

و أما لوقا الذي هو ثالث الإنجيلين فهو من الأمم، و ليس عبرانيا، كما أنه لم يلق المسيح، و كتب إنجيله باليونانية في مدينة الإسكندرية.

و أما يوحنا فهو كما وصفه السعودي: " حبيب المسيح "،و ذكر الترجمان أنه ابن خالة عيسى، و تذكر الأناجيل أن عيسى حضر زواجه، و فيه حول الماء إلى خمر ، فكان ذلك باكورة معجزاته.(قارن يوحنا ٢/١-١١)،و قد كتب يوحنا إنجيله باليونانية في مدينة أفسس[١].

و أدرك أصحاب الردود الإسلامية أن الثقة بهؤلاء الأربع تنخرم حال إثبات الكذب على واحد منهم ،فذكر الترجمان لكل منهم أمثلة رآها تدل على كذب أصحابها.

فاتهم متى بالكذب في قصة المجوس الذين جاءوا إلى المسيح بعد ولادته..ثم قصة هرب والدة المسيح به من مصر (انظر متى ٢/١-١٥).

فيرى الترجمان أن متى كذب بهذه الرواية بدليل انفراده بها دون سائر الإنجيليين ، ثم إنه لم يحضرها،كما أن بيت المقدس يبعد عن بيت لحم خمسة أميال، و لو كان الملك هيرودس خائفا من هذا المولود كما يذكر متى لسار مع المجوس بحثا عنه، أو بعث معهم من ثقاته من ينصح في البحث عنه.

و يطرح الطبري تساؤلا يشكك من خلاله بصدق الرواية، و هو: كيف علم هؤلاء المجوس بولادة المسيح؟ هل هم أنبياء؟هل علموه من الوحي؟ أم من الشيطان؟ أم أدركوه بالنجوم....

فإذا لم يصح وجه من الوجوه فالخبر باطل و كذب متى[٢].

و أما كذبة مرقس قوله "أن في كتاب إشعيا النبي عن الله تعالى:إني بعثت لك ملكا أمام وجهك" (قارن مرقس١/٢) (والصحيح أنه في متى ٣/٢)و العزو إلى إشعيا ليس بصحيح، بل النص في سفر ملخيا (انظر ملاخي ٣/١) فاعتبر الترجمان غلط مرقس من الكذب الذي يرد إنجيله[٣].

و أما كذبة لوقا فيراها الترجمان في الخبر الذي ذكره لوقا عن توبة بولس عدو النصرانية بعد رؤياه الغريبة التي رآها حال يقظته (انظر أعمال ٩/٣-١٥).

و أما يوحنا فيشهد عليه ابن حزم أمام الله بالكذب، و يعتبر إنجيله أعظم الأناجيل كفرا.

و من كذبه قوله عن المسيح على لسان يوحنا المعمدان " هذا خروف الله " (انظر يوحنا ١/٢٩)،

---

(١) انظر : المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١ب ، و تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٢-٦٧.

(٢) انظر : تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٤ ، و الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٤٢١.

(٣) انظر : تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٧ .

ثم بعده بيسير يقول"شهدت بأن هذا سليل الله"(انظر يوحنا ٣٤/١)[١].

واتهام علمائنا لهؤلاء الإنجيليين بالكذب و الخيانة لا يتناقض مع الثناء المذكور في القرآن لحواري المسيح كما في قوله تعالى﴿قال الحواريين نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل و كفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾[٢].

لا تناقض لأن ابن حزم و الترجمان لا يعتبران أن هؤلاء الأربعة و بولس من الحواريين الذين أثنى الله عليهم، و ندين الله بمحبتهم و ولايتهم على أنا لا نعرف أسماءهم[٣].

و نرى أن التتبع التاريخي الدقيق لتاريخ ظهور هذه الأناجيل يثبت براءة هؤلاء التلاميذ من الكتب المنسوبة إليهم.

و لم ينس أصحاب الردود الإسلامية التذكير بمكامن الخلل الأخرى و التي منها الجهل بصحة نسبة هذه الأناجيل لأصحابها غير المعصومين من الخلل و النقص، إذ أن هذه الأناجيل لم تنقل عنهم بأسانيد متواترة، و لا آحاد، كما أنه لا يعرف مترجموها و لا أحوالهم و لا دقة ترجماتهم لفقد الأصول التي ترجموا عنها[٤].

و نبه شيخ الإسلام إلى مصدر آخر للخلل، و هو المجامع النصرانية التي قدست تلك المذكرات التاريخية و الرسائل الشخصية التي لم يزعم أصحابها أنهم كتبوها بإلهام من قبل الله، و لم يقل أحدهم هذا هو الإنجيل الذي أنزله الله[٥].

و دعوى العصمة التي ألحقت بهؤلاء الأربعة لا دليل عليها، و لئن كانوا أنبياء يجب الاستدلال لنبوتهم.

و إن قالوا وقعن منهم المعجزات و شهد لهم عيسى بحسن الإيمان فإن هذا مردود، لأن هذه الشهادات و الأعاجيب مذكورة في الأناجيل و الرسائل و هي محل الخلاف فلا يحتج بها في رفعه، كما أن هذه المعجزات لو ثبتت فهي أخبار آحاد خالية عن دعوى النبوة.

و أما ما جاء في مدحهم على لسان المسيح فهو معارض بما جاء على لسانه في ذمهم و نهرهم[٦].

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٦٤/٢

(٢) سورة الصف ، آية:١٤

(٣) انظر : الفصل في الملل ، ابن حزم ٣٩/٢ ، و تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٢.

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٦/٢ ، و الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٢١ ، ٩٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢١٩/٢ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٦٥-٦٦.

(٥) انظر : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٩٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣٥٦/٢ .

(٦) انظر :الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢١٩/٢ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٩٤.

المطلب الثاني:نقد متن الأناجيل.

و لإثبات تحريف هذه الكتب درست الردود الإسلامية الأناجيل، و تفحصوا أسفارها فوقفوا على ما أثبت لهم بشرية محتواها و أصالتها، و خلوها عن هدي الوحي و سماته و ذلك من خلال عدة ملاحظات:

أولا:انفراد بعض الأناجيل بأخبار لا يعقل أن يغفلها الآخرون لأهميتها فدل إغفالهم لها على عدم صحتها.و من ذلك أن يوحنا زعم أن أول آيات المسيح تحويله الماء إلى خمر في عرس قانا (انظر يوحنا ٢/١-١١).فلم يذكر هذه المعجزة - على أهميتها لأنها أول المعجزات - غيره،فهل علمه الوحي ما نسي أن يعلمه للآخرين، أم ذكر ما غابوا عنه؟ أم حفظ ما نسوه من معجزات المسيح، أم أن أصحاب البشارات اعتبروا معجزة تحويل الماء إلى خمر من الكذب فتركوه.

و مثله صنعوا بترك ما زعمه يوحنا من المسيح غسل أقدام جميع التلاميذ و مسحها بمنديل كان مشدودا في وسطه(انظر يوحنا ١٣/٤-١٠) فلم يذكرها غيره و لو كانت حقا لسارعوا إلى ذكرها.

و أيضا انفرد لوقا بذكر جزع المسيح ليلة الصلب حتى نزل من السماء ملاك ليقويه بعد أن صار عرقه كعبيط الدم (انظر لوقا ٢٢/٤٤)[1].

ثانيا:أن في النصوص كذبا و مخالفة للواقع، فثبت من ذلك براءة الوحي منها إذ يستحيل أن يصدر الكذب من الله أو حفظة وحيه.

و منه ما ذكره لوقا في صدر إنجيله حيث يقول : إن جبريل حين بشر مريم أم المسيح به قال لها: " إنك ستلدين مولودا يجلسه الرب على كرسي داود أبيه، و يملك على بيت يعقوب إلى الأبد، و لا يكون لملكه انقضاء " (لوقا١/٣١-٣٣).

و يكذب الجعفري لوقا إذ لم يملك المسيح اليهود يوما واحدا، و لا جلس على كرسي داود.

و يستغرب الباجي نسبة عيسى لداود، و هو ليس من ذريته، بل الذي من ذريته هو يوسف النجار، و ليس بينه و بين يوسف النجار أي علاقة نسب و نسبة متى و لوقا المسيح له من الغلط البين.

و كذلك كذب متى في قوله أن المسيح قال:" أقول لكم أن قوما من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته " (متى ١٦/٢٨)و قد انقضت أجيال، و مات حاضرو هذا الكلام و لم يرجع المسيح الذي لا يكذب، فالكذب من متى كما لا يخفى.

و من كذب يوحنا المبالغة الممجوجة و الغلو في المسيح حين قال في خاتمة إنجيله " لقد فعل يسوع أمورا كثيرة لو أنها كتبت واحدة واحدة لم يسعها العالم صفحا مكتوبة " (يوحنا ٢١/١٤).

يقول السعودي :"و هذا من الكذب الفاحش، و الغلو الزائد إذ العالم أوسع أكفانا و أبعد أطرافا من أن يضيق عن أوراق تتضمن معجزات نبي و آيات رسول"[2].

و من الكذب أيضا ما قاله متى حين قال:"فكما أن يونس النبي كان في بطن الحوت ثلاثة أيام

---

(١) انظر : المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٢ب.

(٢) انظر : الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٨٠ ، رد الباجي على راهب فرنسا ص ٨٣-٨٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٤ب-٢٥أ.

و ثلاث ليال كذا يكون ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها "(متى ١٢/٤٠).

قال ابن حزم : " و هذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها، لأنهم مجمعون و في أناجيلهم أنه دفن قرب مغيب الشمس في يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت و قام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد، فلم يبق في جوف الأرض إلا ليلة و بعض أخرى، و يسيرا من يوم ثاني فقط، و هذه كذبة لا خفاء بها فيما أخبر به المسيح، لا بد منها أو كذب أصحاب الأناجيل، و هم أهل الكذب " [(١)].

و مثله ما ذكره يوحنا على لسان المسيح أنه قال معرضا بالأنبياء :" أنا الباب، فمن دخل علي سلم، و يجد مرعى أبدا ...آمين أقول لكم إني أنا باب الضأن و القادمون عليكم كانوا لصوصا و سراقا، و لا يقبل اللص إلا ليسرق شيئا و يقتل، و أنا قدمت لتحيوا و تزدادوا خيرا " (يوحنا ١٠/٧-١٠).

و يرى الخزرجي أن النص أوقع النصارى بكثير من الحرج حتى أن أوغستين قام يعتذر عنه، لكن الخزرجي يصف اعتذاره عن النص بأنه هذيان[(٢)].إذ لا يمكن لنبي كريم أن يسب أنبياء الله الذين سبقوه في دعوة الناس لعبادة الله و مرضاته.

و من الكذب الذي ينبغي أن يقره النصارى لا محالة أن المسيح قال لتلاميذه الاثني عشر و فيهم يهوذا الاسخريوطي الخائن الذي أسلمه بثلاثين درهما قال لهم:" كل ما حرمتموه على الأرض يكون محرما في السماء، و كل ما حللتموه في الأرض يكون محللا في السماء " (متى ١٨/١٨).

و هذا يجعل ليهوذا منزلة لا يقرها عاقل، كما أن في النص نقضا لناموس موسى الذي بعث المسيح لإكماله و أخبر أنه لا يزول منه حرف واحد.(انظر متى ٥/١٧-١٨)[(٣)].

و من الكذب أيضا قول يوحنا (مرقس) في إنجيله "و هذه الآيات تصحب الذين لا يؤمنون، و هي سيماهم على اسمي، ينفون الجن، و يتكلمون باللغات الجديدة، و يقلعون الثعابين، و إن شربوا شربة قتالة لم تضرهم، و يضعون أيديهم على المرضى فينقهون " (مرقس ١٦/١٦-١٨).

و يعتبر ابن حزم هذا من الكذب الصراح بدليل أن أحدا من الحواريين لم يفعل ذلك، بل إن يوحنا الإنجيلي مات بالسم كما قال النصارى، و حاشا لله أن يأتي بمواعيد خاسئة كاذبة[(٤)].

و هكذا فإن الكذب في الأناجيل كفيل بإبطال زعم النصارى أنه من الوحي و يثبت ذلك بإثبات كذبة واحدة، فكيف و الحال أنها كذبات كثر.

ثالثا:تتناقض النصوص الإنجيلية و هي تتحدث في موضوع واحد، و التناقض يحيل كلا النصين أو أحدهما إلى الكذب، إذ الحق لا يقبل- في مثل المسائل التي ذكرها الردود الإسلامية - التعدد.

و التناقض دليل على بشرية الكتب و كذب أصحابها و قصورهم كما قال الله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٣٣ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٧٦ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٨ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩ب-٤٠أ .

(٢) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٤٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٠٦.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٢٢.

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٥٥.

القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [1].

و كان من أبرز صور التناقض التي ذكرها العلماء المسلمون خلاف متى و لوقا في نسب المسيح حيث ساق كل منهما نسبا للمسيح يختلف عن الآخر و يختلف عما جاء في التوراة أيضا

و هذا الخلاف ليس في الأسماء فقط، بل في عدد الأجيال فقد ذكر متى للمسيح أربعين أبا فيما ذكر لوقا ستة و خمسين أبا، و كل ذلك فيما بين يوسف النجار و إبراهيم.

و يستغرب ابن حزم كيف يقال عن هذه الأنساب بأنها أنساب المسيح، و هي ليست لوالده إذ لا والد له، و لا والدته، إذ لم ترد في سلسلة النسب بل هي ليوسف النجار خطيب مريم. فما علاقة المسيح بهذه السلسلتين كما لاحظ أصحاب الردود الإسلامية أن في شجرة متى إسقاطا لبعض الأسماء.

فهو يقول بأن عزيا ابن ليورام (انظر متى ١/٨)و في التوراة أن عزيا بن أمصيا بن آش بن أخزيا بن يورام (انظر مواضع متفرقة من سفر الأيام الثاني)فقد أسقط متى ثلاثة من آباء عزيا، و نسبه لجد جده.

كما ذكر متى في إنجيله أن بين الرحلة (العودة من السبي) و المسيح أربعة عشر أبا ،ثم لم يذكر سوى اثنا عشر فشهد على نفسه بالكذب.

و من الأمور التي ترد في هذا الباب و لا إجابة عنها هل المسيح من نسل ناثان بن داود كما أخبر لوقا، أم من سليمان بن داود كما أخبر متى؟[2].

و من التناقضات أيضا خلاف الإنجيليين في بيان الهدف الذي بعث من أجله المسيح.

فقد جاء في متى أن المسيح قال :" لا تحسبوا أني جئت لأدخل بين أهل الأرض الصلح لا السيف، إنما قدمت لأفرق بين المرء و ابنه، و بين الابنة و أمها، و بين الكنة و ختنتها، و أن يعادي المرء أهل خاصته " (متى ١٠/٣٥-٣٦).

و في لوقا الأمر مختلف حيث يقول المسيح.:". لم نبعث لتلف الأنفس لكن لسلامتها " (لوقا ٩/٥٦)، و بين النصين تعارض بين.

فإن أراد النصارى الجمع بينهما بتأويل النص الثاني و القول بأن مقصود النص بأن المسيح لم يبعث لتلف الأنفس المؤمنة بل لسلامتها.

فهذا التأويل يرده ابن حزم بدليل حادثة ورود النص فقد بعث المسيح رسله إلى السامرة، فلم يؤمنوا به فلما رأى يعقوب و يوحنا قالا له "يا سيدنا أوافقك أن تدعو فتنزل عليهم نارا من السماء، و تحرق عامتهم كما فعل إلياس، فرجع إليهم و انتهرهم، و قال: الذي أنتم له أرواح لم يبعث لتلف الأنفس لكن لسلامتها (لوقا ٩/٥٤-٥٦)،فهذه نفوس غير مؤمنة لم يبعث المسيح بتلفها، فكيف يوفق إذا نص لوقا مع النص الذي في متى ؟[3].

---

(١) سورة النساء ، آية:٨٢ .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/١٠-١٥ ، و رسالة أبي الوليد الباجي لراهب فرنسا ص٨٦ ، و النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ،ص ٨٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٦٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٢ب.

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٢٨ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٨٦ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١١٣ ،

و يذكر الإنجيليون أن المسيح صلب بين لصين، و يذكر متى أن كلا اللصين استهزأ بالمسيح بينما نهاه اللص الآخر ،فوعده المسيح أن يكون معه في الفردوس (انظر لوقا ٢٣/٢٩-٤٣).

و يظهر الاختلاف هنا في موقف اللص الثاني من المسيح، فقد جعله متى هالكا مستهزء بينما جعله لوقا صاحبا حريصا على المسيح[١].

ومن التناقض تناقض الأناجيل مع التوراة،ومنه أن يوحنا ذكر قول اليهود بأن بناء الهيكل استغرق ستا وأربعين سنة (انظر يوحنا ٢/٥٠)،وهو مناقض لما جاء في سفر الملوك، وفيه أن بناء الهيكل استغرق سبع سنوات فقط.(انظر ملوك(١) ٦ /٢٨)[٢].

و كما ذكر أصحاب الردود الإسلامية بعض النصوص التي اعتبروها متناقضة رغم إمكان الجمع بينها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في يوحنا أن المسيح قال:" إن كنت أشهد على لنفسي، فشهادتي غير مقبولة، و لكن غيري يشهد لي " (يوحنا ٥/٣١).

و هو كما يرى الخزرجي ومن تابعه مناقض لقول المسيح في موضع آخر:" إن كنت أشهد لنفسي، فشهادتي حق لأني أعلم من أين جئت، إلى أين أذهب " (يوحنا ٨/١٤)فظاهر النصين واضح في التعارض[٣].

لكن الجمع كما أرى ممكن فالنص الأول يتحدث عن شهادته لنفسه فهي غير مقبولة عند الناس لكنها حق كما يقول في النص الثاني.

رابعا:تناقض النصوص أيضا مع معتقدات النصارى و شرائعهم و ذلك مبطل للنصوص أو الدين أو لكليهما معا.

و أمثلة ذلك كثيرة أهمها النصوص المتكاثرة التي ساقها علمائنا في إثبات بشرية المسيح و نبوته و عجزه و ضعفه عن مقام الألوهية، أو النصوص الموحدة المبثوثة في التوراة و الإنجيل أو النصوص التي تحدثت عن جزع المصلوب على الصليب حتى نزل ملاك ليقويه ،فهذا يتناقض مع حال الألوهية كما يتناقض مع دعوى النصارى أن نزول المسيح إنما كان من أجل أن يصلب فتغفر للبشرية خطيئتها، و كيف يصنع ذلك الجزع و هو القائل :" من أحب أن يقفو أثري فليوهب نفسه " (انظر مرقس ٨/٣٤-٣٥)[٤].

و من أمثلته أيضا أن المسيح يقول " ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمله " (متى ٥/١٧) ، و يؤكد

الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٨٢ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٣أ.

(١) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٨٦ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٨١-٨٢ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١١٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٣ب.

(٢) انظر : البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٧أ .

(٣) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٤٦ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٨٢ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٤٠٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١١٢ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٢أ.

(٤) انظر :الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٦١.

أنه " لا يزول منه حرف واحد و لو بادت السماوات و الأرض " (متى ٥/١٨)[١].

لكن أصحاب الردود الإسلامية وجدوا في الأناجيل نصوصا كثيرة يتخذها النصارى دينا لهم تعارض الناموس و تناقضه فإما أن يكذبوا هذه أو تلك.

و من أمثلة هذا اللون ما نبه إليه ابن حزم أن متى و بعد سطور قليلة من النص السابق يقول:" قد قيل من فارق امرأته، فليكتب لها كتاب طلاق، و أنا أقول لكم: من فارق امرأته إلا لزنا فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا، و من تزوج مطلقة فهو فاسق " (متى ١٩/٧-١٢)، فتحريم الطلاق إلا بسبب الزنا نقض للناموس.

و مثله ماساقه الخزرجي" أما بلغكم أنه قيل للقدماء العين بالعين و السن بالسن ؟ و أنا أقول لكم:لا تكافئوا أحدا بسيئة، و لكن من لطمك على خدك اليمنى فانصب له خدك اليسرى ،و من أراد انتزاع قميصك فزده أيضا رداءك " (متى ٥/٣٨-٤٠).

و أرى أنه ليس في النص نقض للناموس بل هو إضافة أخلاقية - معيبة - تأمر بالتذلل و الانكسار حتى للظالم، و لكن ذلك لا يغير حكم الناموس في القصاص حال الخصومة و القضاء.

و نقض الناموس لم يقتصر على المسيح، بل إن بولس نقضه أيضا مرات عديدة ،منها نهيه عن الختان أو بالأحرى إذنه بترك الختان (انظر غلاطية ٥/٦،٦/١٣) و كذا فعل يعقوب عندما حرم كل لحم حرمته التوراة عدا المخنوق (انظر أعمال ١٥/٢٠).كما نقض النصارى السبت فلم يعظموه مع أن الناموس أمر بتعظيمه، و يلحق ذلك كل ما يصدر عن الكنائس من تحريم و تحليل[٢].

و نلحظ أن ابن حزم كما نقد الأناجيل تعرض لرسائل بولس و الحواريين، و كان تعرضه لها سريعا، و مما أخذه على هذه الرسائل ما فيها من الكفر كمثل قول شمعون (و الصحيح يوحنا) " يومئذ يأتي الرب كمجيء اللص " (قارن الرؤيا ١٦/١٥) يقول ابن حزم " فلعمري لقد شبه ربه تشبيها هو أولى به...."[٣].

و أيضا لحظ ابن حزم تناقض بولس مع نفسه في قوله :" نشهد لكل إنسان يختتن أنه يلزمه أن يحفظ شرائع التوراة كلها"(غلاطية ٥/٣).وكان قبل يقول: " إن اختتنتم فإن المسيح لا ينفعكم " (غلاطية ٥/٢).يقول ابن حزم :" فاعجبوا لهذا، و اعلموا أنه قد ألزمهم دينين، أما من كان مختونا فإن شرائع التوراة كلها تلزمه و لا ينفعه المسيح، و أما من كان غير مختون فالمسيح ينفعه و لا يلزمه شرائع التوراة.

و هو و سائر التلاميذ كانوا بإجماع من النصارى مختونين كلهم فوجب أن المسيح لا ينفعهم"[٤].

و لا أرى بولس متناقضا مع نفسه إذ يرى أن للناموس لعنة لصعوبة تطبيقه كاملا ،فالذين يريدون أن لا يقعوا في لعنة الناموس فعليهم بالختان و بجميع وصايا التوراة.

أما الذين يؤمنون بالمسيح فإن الإيمان بالمسيح يغنيهم عن الختان كما يغنيهم عن الشريعة كلها .

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٢١ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٤.

(٢) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١١٣.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٧٠.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٧٠.

شبه النصرانية حول سلامة التوراة و الإنجيل من التحريف والتبديل

تعلق النصارى ببعض الآيات التي أثنت على التوراة و الإنجيل، فرأوا فيها - باطلا - أن القرآن يثني على ما في أيديهم من الكتب، و استدلوا بذلك بتأول باطل لبعض الآيات كقوله ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذين أسلموا و الربانيون و الأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ﴾[1] ،و قوله ﴿ و ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾[2]، فلو كان باطلا لما أمر بالتحاكم إليه، و قوله ﴿ و لو أن أهل الكتاب أقاموا التوراة و الإنجيل و ما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم ﴾[3]، و قوله ﴿ و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ﴾[4] و إذا صدقها لا تكون مبدلة.

و استدلوا أيضا بقوله تعالى﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[5]،فزعموا أنه الإنجيل بدلالة قوله : ﴿ فقد كذبت رسل من قبلك جاءوا بالبينات و بالزبر و بالكتاب المبين ﴾[6]، و قوله: ﴿ قل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾[7]

كما استدل النصارى على سلامة كتبهم من التحريف و التبديل بقوله ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون﴾[8] و اعتبروا أن كتبهم هي الذكر فقد سماهم الله تعالى أهل الذكر فقال:﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[9] .

كما استدلوا بقوله تعالى ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾[10] إذ التوراة و الإنجيل من كلمات الله التي لا يستطيع أحد أن يغيرها.

كما استدلوا برجم الرسول صلى الله عليه و سلم للزانيين بما وجده في كتبهم من نص يأمر برجم الزاني[11] .

و من خلال هذه النصوص قال النصارى بأن القرآن أقر بعصمة التوراة و الإنجيل ،و طالب الأحبار بالتحاكم إليها، و توعد الذين لا يفعلون ذلك، و هذا كله مؤذن بسلامة هذه الكتب من التحريف و التبديل و مبطل لدعوى المسلمين في ذلك.

---

(١) سورة المائدة ، آية:٤٤ .

(٢) سورة المائدة ، آية:٤٧ .

(٣) سورة المائدة ، آية:٦٦ .

(٤) سورة المائدة ، آية :٤٨ .

(٥) سورة البقرة ، آية:٢ .

(٦) سورة فاطر ، آية:٤.

(٧) سورة الشورى ، آية:١٥.

(٨) سورة الحجر ، آية:٩.

(٩) سورة الأنبياء ، آية:٧ .

(١٠) سورة الأنعام ، آية:١١٥.

(١١) الحديث رواه البخاري في كتاب:التفسير ، باب: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ برقم:٤٢٨٠ ، ورواه مسلم في كتاب:الحدود ، باب:رجم اليهود أهل الذمة في الزنى برقم:١٦٩٩ .

و لإبطال استدلال النصارى بهذه الآيات كان لعلمائنا منهج تتلمس فيه أهم نقاطه:

١-أن المسلمين يجوز لهم الاستدلال بالتوراة و الإنجيل، لأنها كتب يؤمن المسلمون بأن لها أصلا سماويا، فالذي يؤمنون به هو أثارة من ذلك الأصل السماوي.

و لكن لا يجوز للنصارى الاحتجاج بالقرآن الكريم و آياته لأنهم لا يؤمنون بنبوة نبينا أصلا، و عليه فالقرآن عندهم عمل بشري يدعي صاحبه أنه جاء به من عند الله، فأي فائدة من الاستدلال به حينذاك إذ لا يجوز الاستدلال بالدليل الباطل.

٢-أن أهل الكتاب تركوا النصوص المحكمة التي ذكرت تبديل كتبهم و منها قوله تعالى : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾[١] وقوله: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ﴾[٢]وقوله :﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ﴾ [٣] تركوا هذا كله ،و اتبعوا التشابه الذي عمدوا إلى تأويله بما لم ينقل عن المسلمين الذين هم أعلم الناس بكتابهم و بدلالة آياته، و انطوت تأويلات النصارى على كثير من الجهل و الإغراب لمعاني الآيات و مقاصدها، فقوله ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ أجمع العلماء على أنه القرآن الكريم، و" ال" هنا للعهد، و تفيد أن المقصود هو الكتاب المعهود، و مثله قوله : ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ فالنص ورد في سياق الرد على عباد الأوثان و هم يردون دعوة القرآن الكريم للإيمان به، ثم لو سلمنا أن المقصود بكلمات الله التوراة و الإنجيل، فأنا نقول بأن ما أنزل الله فيها من خبر و حكم و وعد و وعيد حق لا يتبدل.أما ما خطه النصارى و اليهود فهي أخبار و توراخ و سير محرفة.

و بين الطوفي لمجادله أن القرآن و إن سمى التوراة و الإنجيل ذكرا، فقد سمى القرآن كذلك في قوله ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم ﴾[٤] ، و لما كانت آية سورة الأنبياء في مجادلة كفار قريش بطل حمل الآية على التوراة و الإنجيل، كما بين الطوفي معاني كلمة "ذكر" المختلفة كما جاء في القرآن الكريم[٥].

٣-إن الكثير من النصوص التي استدل بها النصارى تحمل ثناء على التوراة و الإنجيل، و هو ثناء يستحقه كلام الله المنزل على موسى و عيسى، و لا ينطبق هذا على ما في أيدي اليهود و النصارى من كتب محرفة أقام علمائنا الأدلة على تحريفها و تلاعب الشيطان بأصحابها.

و أما دعوة أهل الكتاب لإقامة التوراة و الإنجيل فهي لإقامة المنزل من عند الله، و يؤكد ابن حزم أن هذا لا يكون إلا باتباع محمد صلى الله عليه و سلم[٦].

و أرى أن في أحكام التوراة الموجودة اليوم الكثير من الحق الذي أنزله الله كما فيه التحريف و التبديل، و قد دعاهم الله للتحاكم إلى الحق الذي في صحفهم مثل رجم الزاني (انظر التثنية ٢٢/٢٢)

---

(١) سورة المائدة ، آية:١٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية:١٧٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية:٧٩ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية:٧ .

(٥) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص ٧١-٧٣.

(٦) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/٢١١-٢١٤ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٤٠ و ما بعدها.

و قتل القاتل (انظر الخروج ١٢/٢١)،ومثله أحكام القصاص :العين بالعين والسن بالسن...(انظر الخـــروج ٢١/٢٣-٢٤).

فكل هذه الحكام موجودة في التوراة ،و يدبر عنها النصارى ،فيعطلون الشريعة التي أنزلها الله، لـــذا يدعوهم القرآن للعودة إلى شريعة الله و إقامة أحكامها.

و قد ذكر شيخ الإسلام بأن المسلمين لا يكاد أن يوجد فيهم من يقـــول بوقـــوع التحريـــف في الأحكام، و الصحيح كما أرى وقوع التحريف فيه، إذ في التوراة أحكام لم يكن لينـــزلها الله في شـــريعته، و من أمثلة ذلك قتل الرجل بجريرة ثوره (انظر الخروج ٢٩/٢١)،وإباحة الربا لليهودي مع غير اليهودي (انظر التثنية ٢٠/٢٣)،وقتل من عمل عملا بالسبت (انظر الخروج ١٥/٣١)

و ذكر ابن حزم و الخزرجي أن الربانيين كانوا يحكمون بالتوراة قبل وقـــوع التحريـــف فيـــها أو بالصحيح منها، أو لعله كان يوحى إليهم بالصحيح منها[1].

و مما تقدم كله ثبت بأن التوراة و الإنجيل محرفان، فمثل هذا الكلام التي تمتلئ به صفحاتهما لا يصدر عن الله و لا عن وحيه الذي يصدق فيه قول الله عز و جل ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور ﴾[2].

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢١٤/١ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجـــي ، ص ٢٤٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣٦٩/١.

(٢) سورة المائدة ، آية:٤٤

المبحث السادس: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

كان موضوع إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم أحد أهم القضايا التي دار الجدل فيها بين المسلمين و النصارى،فالمسلمون يؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم،و يرون رسالته خاتمة الرسالات، و التي بشر بها الأنبياء و منهم عيسى عليه السلام.أما النصارى فهم يؤمنون بسائر الأنبياء الذين تحدثت عنهم التوراة ،و إيمانهم لا ريب مشوب بما تسطره التوراة من أخبار مستقبحة و منكرة عن هؤلاء الأنبياء.

و لا يؤمن النصارى بمجيء نبي خاتم للبشرية جمعاء، و غاية ما يقوله من يلزم الحجة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن يعتبره نبيا خاصا بالعرب، و يتناقل النصارى كما اليهود كراهية نبينا صلى الله عليه وسلم حسدا لأمة العرب أن يظهر فيها هذا النبي ، لذا وصف مجادل الرازي قاعدة دينه فقال:" قاعدة ديننا مبنية على تكذيب محمد، و العمل على عداوته حتى لو وجد في عصرنا لقتلناه أنجس قتلة...نحن متى لم نعتقد أن فعل ذلك من أعظم العبادات و أفضل القربات لم يصح لنا دين النصرانية...لهذا نعمل صورة محمد على هيئة بدوي راع، و نعلم الأطفال من صغرهم على عداوته و الفرار منه، و نأمرهم بسبه و شتمه و التبصق في وجهه..."[1]، و هكذا يسفر مجادل الرازي عما يكنه النصارى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

و لهذا التبيان كان من الطبيعي أن تحفل ردود المسلمين بهذا المبحث، لذا جاءت كتبهم تحمل الكثير من أدلة إثبات النبوة، بل كان هذا الموضوع المبحث الذي لأجله كتبت بعض هذه الردود كما في " الدين و الدولة في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم " للطبري، و " هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى " لابن القيم، و " منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب " لعبد العزيز آل معمر.

و علاوة على هذا فإن عشرات من المؤلفات الإسلامية كتبت لإثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم من أن يكون غرضها الرد على النصارى.

و يرى ابن ربن الطبري أن ما يحول بين النصارى و الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم أمور ثلاثة: " أولاهن : أنا لم نجد أحدا من الأنبياء تنبأ عليه قبل مجيئه. و الثانية: أنا لم نجد في القرآن ذكر آية و لا نبوة لمن جاء به. و الثالثة: أن المسيح أنبأنا أنه لا نبي بعده "[2].

و لم تتوقف ردود المسلمين عند الأخيرة التي لا دليل عليها في كتب النصارى ،و لم أجدها عند أحد من علمائهم ،و قد اعتبرها الطبري من غش بعض الكتبة، و ردها مستدلا بتسميتهم بعض الحواريين أنبياء و رسلا، فيما رأى نصر بن يحيى أن ما جاء في يوحنا عن مجيء الفارقليط بعد عيسى يدحض هذا القول (انظر يوحنا ١٦/١٢-١٤)[3].

و توقف أصحاب الردود مليا في إثبات معجزات نبينا و وجود البشارة به في كتب الأنبياء، و لم يقتصروا على هذين المسلكين في إثبات نبوته بل كان لهم في ذلك مسالك جعلنا لكل منها مطلبا.

---

(١) مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، ص ٥٢ .

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٤٨ ، و انظر : النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٣٨.

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٥٢ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٤٠.

المطلب الأول: معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

النبوة دعوى تحتاج إلى برهان، و قد جعل الله المعجزات أحد أهم الأدلة التي يتوصل بها إلى صدق دعوى النبوة " ما من نبي من الأنبياء إلا و قد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، و إنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "[1].

و يعرف شيخ الإسلام المعجزة بأنها الآيات و البراهين الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الخارقة للعادة. و يعرفها الطوفي بتعريف المتكلمين فهي " الأمر الممكن الخارق، المقرون بالتحدي، الخالي عن المعارض " [2].

و يرى الخزرجي أنه ليس للنصارى نفي نبوة النبي إن جاءت خلوا عن المعجزة ،إذ في أنبياء بني إسرائيل من لم ينقل له معجزة كداود وغيره.

و نبه الخزرجي إلى أن هذا المسلك في إثبات النبوة ليس الوحيد، كما أنه قد تغني عنه المسالك الأخرى عند المدعوين أو بعضهم[3].

و لئن كان النصارى يرون أن لا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فإن ابن الأنباري يرى أن معجزاته صلى الله عليه وسلم تزيد على الألف[4].

و قد تحدثت الردود الإسلامية عن أنواع متعددة من معجزاته صلى الله عليه و سلم:

أ_المعجزات الحسية :و هي معجزاته يدركها المرء بحواسه، و قد وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة منها ما دل عليه القرآن الكريم كانشقاق القمر ،و منها ما ورد بأخبار آحاد صحح علماء الإسلام مخرجها و أثبتوا بأسانيدهم صحة وقوعها ،و من ذلك نبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم[5]،و حنين الجذع إليه[6]،و بركة الطعام بين يديه[7]...و سوى ذلك من المعجزات الحسية[8].

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب:كيفية نزول الوحي برقم:٤٦٩٦ ، و مسلم برقم:١٥٢ في ١/١٣٤.

(٢) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ٦٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١/٦٧-٧٠ ، ٤/٢٥٠.

(٣) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٠-٢١٣ ، ٢٣٥ ، الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٩٠.

(٤) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٩٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١/١٤٠.

(٥) انظره : في صحيح البخاري ، كتاب: الوضوء ، باب:التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ، برقم١٦٧ ، وفي مسلم برقم :٢٢٧٩ في ٤/١٧٨٣ .

(٦) انظر : في صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب: علامات النبوة ، برقم ٣٣٩٠-٣٣٩٢.

(٧) انظره : في صحيح البخاري ، كتاب: المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام برقم:٣٣٨٥ ، ومسلم في صحيحه برقم ٢٠٤٠ في ٣/١٦١٢ .

(٨) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٣٢ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٩٨-٢١٠ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٣٤٨-٣٧٠ ، مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، ص ٢١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/ ١٣٧-٢٠٢ ، الانتصارات الإسلامية في كشف

و قد كان وقوع هذه المعجزات موضع تشكك النصارى الذين لم يسلموا بصحة أخبارها و تذرع مجادل الرازي بأنها أخبار آحاد لا يعتد بها.

و هذه الدعوى مردودة إذ كثير من هذه المعجزات قد نقلت بالتواتر لتواتر القرآن الذي نقلها أو لتواترها في كتب السنة التي أخرجت هذه الأخبار على اختلاف مخارجها، و شهرة هذه المعجزات فاقت كثيرا من الأمور المهمة لدى المسلمين كمواقيت الصلاة وغيرها مما يجعلونه دينا يتعبدون الله به.

و من هذه المعجزات ما تواتر جنسه و إن لم يتواتر آحاده كتواتر تكثير الطعام ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ،فقد وقع منه صلى الله عليه وسلم مرارا، و منها ما تواتر عند علماء أمته صلى الله عليه وسلم ففاقت هذه الأخبار في شهرتها ما قيل في شجاعة عنترة التي لا ينازع في حصولها.

و أما ما جاء في روايات الآحاد فيرى ابن الأنباري أنها اشتهرت من غير معارضة فكان ذلك دليلا على صدق وقوعها[1].

و مما يشهد بصدق هذه المعجزات أن رواتها هم رواة القرآن الكريم الذي وصل إلينا سالما من التحريف و التبديل و الزيادة و النقصان، فشهد لهم ذلك بالأمانة و حسن الأداء.

و الطعن برواية هؤلاء الأثبات يسد باب إثبات المعجزات لجميع الأنبياء ،إذ لم تظفر معجزة لنبي بمثل هذه الأسانيد الموثقة، و يقارن الجعفري فيقول:"فإن أنكر ذلك يهودي قلنا له: ما الدليل على أن موسى أطعم في البرية جمعا كثيرا من أصحابه منا و سلوى؟ و إن ارتاب معه نصراني قيل له: ما طريق معرفتك بأن المسيح أطعم جموعا كثيرة من حوتين و خمسة أرغف؟

فإن أسند ذلك إلى نقل خلفهم عن سلفهم قيل لهم: اقنعوا منا بمثل هذا الإسناد، فمن رام قدحا في نقلنا لم يسلم من ذلك في نقله، فما أجاب به فهو لنا جواب...و كما لا يقدح في آية عيسى تكذيب اليهود فكذلك لا يقدح في آية محمد تكذيبها..." [2]

و أما ما جاء في هذا الباب من روايات ضعيفة كتسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم[3] و قول العوام أن الغمام كان يظله دائما أو أنه إذا وطأ حجرا أثر فيه، و إذا وطيء رملا لم يؤثر فيه فهذا و أشباهه " لم ينقله أهل العلم بأحواله، و لا واحد منهم، بل هو كذب عليه"[4]، و هذا لا يعتد به و لا يمنع

شبه النصرانية ، الطوفي ، ٢٤٣-٢٤٦ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٨٩-١٩٢ ، ٢٠٢-٢٠٦.

(١) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٥١ ، مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، ص ٢١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/ ٢٠٤٢ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢١٥-٢١٧.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٧٥ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١٠١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١/١٧٥.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦/٦٤ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ، ص ٣٦٩ ، وقال ابن حجر : " وأما تسبيح الحصا فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها " فتح الباري ، ابن حجر ، ٦/٦٨٥ .

(٤) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٣٢-٤٣٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/٢٣٤.

صحة الصحيح و دلالته.

ب- المعجزات المعنوية: و هي تلك الأحداث التي يشهد العقل بدلالتها المعجزة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم و من ذلك حماية الله له من كيد أعدائه، و غلبته على أعدائه بعد ضعف و قلة أتباعه و نصرته بالرعب، و إجابة دعائه[1].

و أعظم هذه المعجزات كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه فهو رسالة الله و حجته في كل حين.

و من إعجازه نسقه البديع الخارج عن أوزان العرب، و يرى ابن الأنباري فيه عشر ضروب من بلاغة هي :الإيجاز و التشبيه و الاستعارة و المبالغة و التجانس و الفواصل و التفصيل و التضمين و التلاءم و حسن البيان، و ضرب لكل منها الأمثال[2].

و كيف لا يكون القرآن معجزا و قد تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله ، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة، فعجزوا لإدراكهم عظمة هذا القرآن و عزيز بيانه[3].

و يسوق القرطبي شهادات لبعض من آثر الكفر في حق هذا القرآن العظيم، و من هؤلاء عتبة بن ربيعة و الوليد بن المغيرة، فقد لمس هؤلاء و غيرهم من أهل العربية جزالة القرآن و عظمة بيانه مما جعله متميزا عن سائر كلام الناس[4].

و يؤكد ابن تيمية بأن قعود العرب عن معارضة القرآن ليس بسبب الصرفة التي يدعيها المعتزلة فهذا من ضعف الأقوال، و إنما قعد العرب عن معارضة القرآن لما رأوا بلاغته و جزالته[5].

و يرى ابن تيمية أن إعجاز القرآن في معناه أعظم من إعجازه في لفظه فقد جاء في القرآن إخبار عن الله و صفاته و ملائكته و ...

و يقارن ابن ربن الطبري بينه و بين أسفار النصارى المقدسة و التي لا تختلف في نسقها أو موضوعها عن كتب المؤرخين و الأدباء و الفلاسفة، إذ أسفار التوراة ما هي إلا حديث عن تاريخ بني إسرائيل و أنسابهم و رحلاتهم، بينا نجد الإنجيل مجرد سيرة للمسيح مع شيء من أقواله و آدابه الحسنة، و أما القرآن " فلن يوجد فيه حرف مما يشبه ذلك، بل منسوج بالتوحيد و التهاليل و التحاميد و السنن و الشرائع و الخبر و الأثر و الوعد و الوعيد و الرغبة و الرهبة و النبوات والبشارات بالأمور الجميلة التي تليق

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٠٨-١١٣ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٠٢-٢٠٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٣٦٧-٣٨١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/٢٠٥-٢٠٢ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢٠٧-٢١٥.

(٢) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٠١.

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٠٤ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٤١ ، ٣٩٦-٣٩٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/٧١-٧٣ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٧٣.

(٤) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٣٣٣-٣٣٥ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٧٥-١٧٦.

(٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/٧٥-٧٦.

بجلال الله و حكمته و طوله و بسط الأمل في الغفران و الرأفة و قبول التوبة و المعني التي ترتاح لها الأنفس و تستريح إليها الآمال لذلك استحق أن يقال :إن هذا الكتاب آية من آيات النبوة إذ لم يكن له نظير منذ خلق الخلق و خط في الرق " [1].

و من إعجاز القرآن ما تحدث عنه من غيوب حصلت مصدقة لقوله، فكان الواقع مصدقاً لما أعلن عنه القرآن من غيوب، و من ذلك إخبار القرآن بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين، و إنباء الصحابة عن دخولهم مكة،و مثله الإخبار بغلبة هذا الدين،و انتصار يوم بدر و سوى ذلك من الغيوب التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم فوقعت كما قال بعد موته أو قبله،فدل ذلك على صدقه صلى الله عليه وسلم و أنه رسول من قبل الله.

كما أخبر القرآن عن غيوب سابقة ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لولا أن الوحي أخبره بها، إذ كيف قليل الأسفار أن يعلم أخبار الغابرين إن هو إلا وحي رب العالمين[2].

و كما أثبت علماؤنا المسلمون إعجاز القرآن فإنهم تصدوا لما أثاره النصارى من شبهات حوله راموا منها الطعن في نسبته لله.

فقد زعم النصارى أن في القرآن أخباراً غير صحيحة كقوله﴿ يا أخت هارون﴾ [3]و بين هارون و مريم قرون طويلة، و كذا سمى أباها عمران، و زعم النصارى أن اسم أبيها في الأناجيل: يعقيم، (لم يذكر في الأناجيل اسم أبي مريم)، كما كذبوا القرآن في قوله: أن يحيى لم يكن له سمي، و هم يرون قبله من شاركه باسمه، و كذا كذب النصارى سجود أم يوسف له ،لأن التوراة تذكر موتها قبل ذلك .(انظر التكوين ١٨/٣٥-١٩).

و أيضاً يرى النصارى أن القرآن نسب إليهم أقوالاً لا يعرفونها و لا تصح نسبتها إليهم كالقول بتأليه مريم﴿ أ أنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله﴾ [4]، و نسب لليهود القول بأن يد الله مغلولة، و ذكر كلام المسيح في المهد و لا يوجد هذا في كتبهم، و لو كان حقاً لكانوا أسبق الناس إلى إذاعته و نشره، فكل هذه الأمور يراها النصارى من الباطل الذي يزري بالقرآن و يمنع قدسيته.

و نلحظ هنا أن إثارة الشبهات دأب قديم للباطل يلجأ إليه كلما عجز عن مقارعة الحق و مصاولته، فيشغب عليه بمثل هذه الشبهات التي تثار على العوام.و قد رأينا بعض الشبهات تثار في عهد النبي صلى

---

(١) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٠٣ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٤٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٧٨/٤ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٧٧-١٨٥.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٨٠-٩٧ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٢٨-٤٢٩ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٠٧-٢١٠ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٣٣٧-٣٤٥ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص ٧٤-٩٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٣٣/١-١٦٠ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٨٠-١٨٨ ، ١٩٣-٢٠٢.

(٣) سورة مريم ، آية: ٢٨.

(٤) سورة المائدة ، آية: ١١٦.

الله عليه وسلم فقال بعضهم عن القرآن﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ و كان الجواب ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين ﴾ [1].

و قد سلك أصحاب الردود الإسلامية في إبطال شبهات النصارى منهجاً متكاملاً.

و بادئ ذي بدء فإن العلماء المسلمون رفضوا أن تكون كتب النصارى و ثقافاتهم المخلطة حكماً على القرآن و أخباره، فهذه الكتب لا يسلم المسلمون بصدقها فلا يحتج عليهم بها، و كيف يحتج بها و قد أقام علماؤنا الدليل تلو الدليل على تحريفها، فالكتاب الذي أخطأ و أحدث نسباً للمسيح الذي ليس له من جهة يوسف النجار نسب مثل هذا الكتاب لا يبعد أن يخطئ في اسم أبي مريم[2].

و حاول أصحاب الردود الإسلامية ما أمكنهم الجمع بين نصوص القوم و القرآن الكريم إذ ليس كل ما يعده النصارى مناقضاً لكتبهم هو كذلك، فإن في كثير مما ينكره النصارى زيادة علم على ما في التوراة و الإنجيل، و هذا لا يعتبر مناقضاً و لا مخالفاً، و من ذلك كلام عيسى في المهد، فهذا زيادة علم أوردها القرآن، و غفل عن ذكرها الإنجيليون كما غفلوا عن كثير من التفاصيل و الأخبار الهامة سواها[3].

و أحياناً يكون التعرض موهوماً لحمل النصوص على الحقيقة غير مراده بالنص فيحتمل أن تكون نسبة مريم إلى عمران نسبة بعيدة كما تنسب البشرية لأبيها آدم فيقال: هذا ابن آدم. و مثل هذا معهود في الأمم ، بل و في التوراة ،كما قد يكون عمران اسماً لأبيها و يكون "يعقيم" لقباً له أو العكس، و قد يكون اللبس ناشئاً عن الترجمة فاسم المسيح في الإنجيل " يسوع "، و العرب تعربه " عيسى " و هذا كثير مثله[4].

و من الممكن أيضاً حمل أخوة مريم لهارون على المجاز أي هو أخوها في الصلاح و العبادة و مثله جاء في القرآن في قوله﴿ و ما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها ﴾ [5] أي قرينتها.أو أن مقصد القائل لها ﴿ يا أخت هارون ﴾ سبها حيث قرنها برجل عاهر يسمى هارون، و هذا لا ريب بعيد.كما يحتمل أن تكون من ذرية موسى أخ هارون فقيل لها﴿ يا أخت هارون ﴾ [6]. و هذا خلافاً لما جاء في الكتاب المقدس حيث جعلها من ذرية يهوذا بن يعقوب بينما موسى عليه السلام من سبط لاوي (انظر الخروج ٢/١-١٠).

كما أخذ علماؤنا على النصارى تحريفهم معاني النصوص و سوء فهمها، و من ذلك ظنهم بأن القرآن قد جعل القول بنبوة عزير قولاً لكل اليهود، و مثله القول بأن يد الله مغلولة، فهذان من أقوال اليهود، و لا يفهم من الآية أن كل اليهود تقوله.

و من الفهم السيء فهمهم أن المراد بأخوة مريم لهارون الأخوة الحقيقية، و هو ليس بصحيح و لا

---

(١) سورة النحل ، آية: ١٠٣.

(٢) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٥٩ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص٧٦ ، ٨٣.

(٣) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص ٨٧.

(٤) انظر : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٦٢ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ٧٧-٧٩.

(٥) سورة مريم ، آية: ٢٨.

(٦) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٦٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٦٢-٦٣.

يقوله المسلمون، و قد أوردوا ذلك على المغيرة بن شعبة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فحار جواباً، فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره قال له "ألا أخبرهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم و الصالحين قبلهم"[1].

و في رد علمائنا على شبهة النصارى بأن في آيات القرآن تجسيماً لله أو تشبيهاً بخلقه، في رد هذه الشبهة اختلفت الردود الإسلامية تبعاً لاختلاف مذاهب المسلمين في ذلك، فالرازي تأول النصوص تبعاً لرأي الخلف، فبطل الاحتجاج بهذه النصوص على التجسيم، فيما أبطله الطوفي بإثبات النصوص و تفويض العلم بكيفها إلى الله عز و جل، معتبراً العلم بالكيف مما اختص الله عز و جل بعلمه و ما على المؤمنين إلا تصديق ذلك من غير اعتقاد للمشابهة أو الجسمية أو المثلية، فكل ذلك ممنوع كما تفيد آيات القرآن الكريم.

ثم كيف للنصارى أن ينكروا التجسيم و التشبيه و كتبهم تمتلئ بمثل ذلك[2].

و مما يدحض هذه الشبهات جميعاً إيمان علماء أهل الكتاب بالإسلام كعبد الله بن سلام و العاقب سيد نجران، و النجاشي، و قد اطلع هؤلاء على هذه النصوص فلم يروا فيها ما يمنع من دخول الإسلام لعلمهم أن ما في كتب النصارى محرف لا يعول عليه[3].

كما أن الواقع و لنصوص يشهدان بإبطال بعض هذه الشبه فقد عجب النصارى لذكر القرآن فضيلة الجهاد، و نسبة ذلك إلى التوراة في قوله ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون و يُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة و الإنجيل و القرآن ﴾[4]،فيرى مجادل الخزرجي كذب هذه النسبة، و استدل بقول نسبه للتوراة، فذكر أن فيها"لا يكون قتال بين بني آدم، فإن القاتل و المقتول في النار " (لم أحده في الترجمات الحديثة)، و في رده تساءل الخزرجي عن جهاد موسى لأعدائه، أما كان جهاداً مشروعاً في طاعة الله يستحق عليه الأجر و الثواب أم كان عصياناً من موسى لربه فهذا من المحال[5].

و يلحق المسلمون بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم في دلالتها على نبوته ما جعله الله لأصحابه و أتباعه من الكرامات الخارقة لعادة الناس فهي دليل آخر يشهد لهؤلاء بأنهم قد آمنوا بالدين الحق و أن الله أيدهم و أعطاهم خرق النواميس المعهودة عند البشر، فكرامة الولي معجزة لنبيه[6].

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب :الآداب ، باب :النهي عن التكني بأبي القاسم برقم ٢١٣٥ ، و رواه الترمذي في كتاب التفسير ، باب :و من سورة مريم برقم٣١٥٥ ، و انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٢) انظر : مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، ص ٦٩-٧٠ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ١٥٧ ، ١٦٢-١٦٣.

(٣) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ١٩٣. الإصابة، ابن حجر،٣٠٩/٤.

(٤) سورة التوبة ، آية: ١١١.

(٥) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٦٤.

(٦) انظر : الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٣-١١٤ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٨٣-٢٨٤ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢٥٣-٢٥٨.

ومن أمثلة ذلك عبور العلاء الحضرمي وجيشه نهر دجلة حتى صاح الفرس :ديـــوان ديـــوان .أي: مجانين .[1] وكذا نجى أبو مسلم الخولاني من النار التي قذفه بها الأسود العنسي[2].وغير ذلك من الكرامات .

(١)انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ٦/٢٦٦ .

(٢) انظر : لبداية والنهاية ، ابن كثير ٦/٢٧٢ .

المطلب الثاني:المسلك الشخصي والنوعي في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

و ليست المعجزة الباب الوحيد لإثبات النبوات، إذ يتوصل إلى معرفة صدق النبي من كذب الدعي بالتدبر في أحواله و أقواله، و للعاقل ميزان لا يخيب يكشف الدعي و يذعن للنبي.

والعقلاء قد يكتفون بالنظر في حال مدعي النبوة -عن المعجزات-كما صنع غير واحد، منهم السابقون الأولون إلى الإسلام، فقد أسلموا قبل ظهور المعجزات على يديه صلى الله عليه وسلم و منهم خديجة رضي الله عنها فقد قالت للنبي صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي"و الله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، و تصدق الحديث، و تحمل الكل، و تقري الضيف، و تسكب المعدوم، و تعين على نوائب الحق"[1].

فكانت أول المسلمين، و استدل لنبوته بما عرفته من أحواله التي تستلزم نفي كذبه و فجوره، و نفي تلاعب الشيطان به.

و لما جاء عبد الله بن سلام لرؤية رسول الله حين قدم المدينة أسلم و قال" فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب"[2].

فيما استدل آخرون على صدق النبي حين تبصروا في حقيقة دعوته ،و منهم الجنلدي ملك غسان فقد قال" لقد على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، و لا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، و إنه يغلب فلا يبطر، و يغلب فلا يضجر، و يفي بالعهد، و ينجز بالموعود، و أشهد أنه نبي، و بمثل هذا الاستدلال استدل هرقل حين سأل أبا سفيان عن النبي و نسبه و صفاته و أحواله و أحوال أتباعه ثم قال:"إن يكن ما تقول فيه حقا: إنه لنبي، و قد كنت أعلم أنه خارج، و لم أكن أظنه منكم، و لو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه..."[3].

و كذا لما جاء ضماد فسمع من النبي صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة قال:"لقد سمعت قول الكهنة، و قول السحرة، و قول الشعراء، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء، و لقد بلغن ناعوس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام فبايعه"[4]،فهؤلاء وغيرهم أدركوا صدق النبي في دعواه النبوة،واستغنوا عن المعجزات بما عرف من مسلكه وخصائص دعونه وشريعته صلى الله عليه وسلم.[5]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب: تفسير سورة إقرأ برقم: ٤٦٧٠ ، ومسلم في صحيحه برقم:١٦٠ في ١٤٢/١ .

(٢) رواه الترمذي في سننه برقم: ٢٤٨٥ في ٦٥٢/٤ ، وابن ماجة في سننه برقم:٣٢٥١ في١٠٨٣/٢ ، والحاكم في المستدرك ١٧٦/٤ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، باب: كيفية بدء الوحي ، برقم ١٧٧٣ في١٣٩٣/٣ .

(٤)رواه مسلم في صحيحه برقم برقم:٨٦٨ في ٥٩٣/٢.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣٠٤/٤-٣٠٦ ، ٣١٤-٣٢٠ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢٤٠-٢٤٦ .

المطلب الثالث:البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم

و لئن نقل الطبري امتناع النصارى عن الإسلام بحجة عدم البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم فإن علماءنا المسلمين يردون هذه الحجة الباهتة بالعشرات من النصوص المبشرة بالنبي آخر الزمان و صفاته و أحواله، بل و اسمه.

و بداية فإنه ليس من شرط النبي أن يبشر به نبي سابق، و إلا بطلت نبوة نوح و إبراهيم و داود و إشعيا إذ لم ترد فيهم بشارة سابقة[1].

ثم إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبر بوجود البشارة به في كتب الأنبياء حتى أضحى أهل الكتاب ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و إن فريقا منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون ﴾ [2].

و لقد تعرضت كتب النصارى لما سبق بيانه من التحريف و التلاعب، فهل بقي من تلك البشارات ما يشير إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ؟

في الكشف عن ذلك تلمس علماؤنا الحقيقة في بحر زاخم من الأكاذيب و المفتريات منسوبة لله ولأنبيائه، تلمسوها في هذه الكتب يحدوهم الأمر القرآني ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ [3]، فهاهي الكتب لم تخلو من آثار النبوة و قبس الهداية، و قد قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم مثبتا وجود صدق فيها" لاتسألوهم عن شيء ،فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به"[4]

و قد تتبع علماؤنا هذه البشارات في الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى، ثم أسفار الأنبياء، ثم الأناجيل يبحثون عما يشير إلى الميثاق الذي أخذه الله على أنبيائه ﴿ و إذ أخذ الله النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال أ أقررتم و أخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين﴾ [5]، فلا بد من أن يترك هذا الميثاق صدى في تلك الأسفار التي لاتخلو من قبس صادق عن الأنبياء.

و يدلل ابن القيم لوجود هذه البشارات في الكتب السابقة باثني عشر وجها من الدليل العقلي منها أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الإخبار بوجود البشارة من أعظم أدلة صدقه في نبوته، و يستحيل أن يصدر هذا إلا من جازم بصحة و يقين ما يقول، و قد صدقه في وجودها أحبار أهل الكتاب الذين أسلموا و تبعوا دينه كابن سلام، كما صدقه أحبارهم الذين لم يسلموا، و صرحوا بأنه النبي المبشر به كما صنع أسقف نجران و حيي بن أخطب.

و أيضا فإن أهل الكتاب لا ينكرون وجود البشارة بني عظيم في كتبهم، غير أنهم ينفون أن يكون محمدا النبي المبشر به، ثم يختلفون في تحديد النبي الذي يرونه عيسى تارة، و يوشع تارة، و سوى ذلك.

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٤٨-٤٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٧٧/٣-٢٧٨.

(٢) سورة البقرة ، آية:١٤٦.

(٣) سورة آل عمران ، آية:٩٣.

(٤) رواه أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله ٣٨٧/٣ .

(٥) سورة آل عمران ، آية: ٨١.

و أيضا فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم أتباعه و أعداءه من مشركي مكة بوجود البشارة بـــه في كتب أهل الكتاب، و لو كان ذلك باطلا لكان تسليطا منه للمشركين حيث يسألون أهل الكتاب فيعرفـــون كذبه.

و إخباره بوجود البشارة به تضاف إلى كثير من أخباره عليه الصلاة و السلام التي عهد فيها الصدق، فلم يظفر أعداؤه له بكذبة قط، فما كان له أن يكذب في هذه.

و لا يصح أن يغيب عن صحف أهل الكتاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم -سواء صـدق في دعواه أم كذب-إذ أمره أمر عظيم لم يطرق العالم مثله منذ خلق، و قد علمنا الأنبياء يحذرون من الدجـال الذي لن يمكث في الأرض سوى أربعين يوما فكيف يعقل أن لا يذكر خبر هذا الذي ادعى النبوة في كتـــب الأنبياء.

و ساق ابن القيم قصص من صدق النبي و عرفه من أهل الكتاب ممن أسلم به أم لم يسلم[1].

و لدى دراسة أسفار الكتاب المقدس رأى العلماء المسلمون بشارات كثر تنبئ ببعثة نبينا صلـــى الله عليه وسلم ، و قد ذكر ابن تيمية أنها تربو على المائة، فكثرتها تتناسب و أهمية الموضوع الذي تبشر به[2].

و قد تناقل علماؤنا في ردودهم على النصارى ما طوف على السبعين بشارة جاء منها في الأســـفار الخمسة سبع بشارات، و في المزامير اثنتا عشر بشارة، بينما نقلت الردود الإسلامية عن كتب الأنبياء خمســـا و ثلاثين بشارة ،و عن الأناجيل اثنتا عشرة بشارة، و في أعمال الرسل و رسائل بولـــس و بطـــرس أربـــع بشارات.

و قبل أن نشرع بعرض نماذج لهذه البشارات ننبه على أن علماءنا حين ذكـــروا هـــذه البشـــارات اهتموا بتوجيهها و بيان معانيها و مقاصدها، و ردوا تأولات النصارى لها، و حملهم إياها على غـــير نبينـــا صلى الله عليه وسلم .

و استدل العلماء المسلمون لصدق انطباق هذه البشارات على نبينا صلى الله عليه وســـلم بدلالـــة نصوص كتابية أخرى أو قرآنية.

كما ننبه إلى بعض البشارات التي أوردها الردود الإسلامية وقع فيها التصريح باسم نبينا صلـــى الله عليه وسلم كما جاء في إشعيا"إنك جعلت اسمك محمدا يا محمد، يا قدوس، لأنك أنت الرب أبونا، و مخلصنـا و اسمك موجود منذ الأبد"، و تسميته بالرب لا على معنى الربوبية بل على معنى السيد أو المربي، و هو صلـى الله عليه وسلم مخلص البشرية من الشيطان و الشرك.

و مثله جاء التصريح باسم النبي في قوله " إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد ".

و قد اختفى هذان النصان - كما اختفت نصوص مشابهة - ذكرها أصحاب الردود الإسلامية[3] من

---

(١) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٣٧-٥١ ، المنتخب الجليل في تخجيل مـــن حـــرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٧ب و ما بعدها.

(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٩٤/٤ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمـان ، ص ١٤٠.

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٥٣ ، ١٦٦ ، الرد علـــى النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١٢٠ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القـــرافي ، ص ١٧٦-١٧٩ ، الجـــواب

الترجمات الحديثة للكتاب المقدس، و لو بقيت هذه النصوص لرفع الخلاف بيننا و بين النصارى ، إذ دلالتها صريحة لا ينازع فيها.

و اختفى من نصوص أخرى مواضع الدلالة فيها و منه ما نقله القرطبي عن إشعيا و فيه " ها أنذا مؤسس بصهيون، و هو بيت الله حجراً مقره في زاوية مكة، فمن كان مؤمناً فلا يتعجل " فيرى القرطبي أن صهيون كلمة عبرية معناها الجبل، فالنص بشارة عن نبي يبعث في جبل مكة بجوار بيت الله[1]،و قد ضاعت هذه الدلالة في التراجم الحديثة و فيها " و يكون مقدساً و حجر صدمة و صخرة عثرة لبني إسرائيل و شركاً لسكان أورشليم..."(إشعيا ٨/١٤).

و هنا يطرح تساؤل هل اطلع أصحاب الردود الإسلامية نقلة البشارات على الكتاب المقدس ؟ و هل كان نقلهم لهذه النصوص مباشراً أم أنهم تناقلوا نصوصاً اشتهرت في أوساط الردود الإسلامية؟.

و الذي يظهر لي أن بعض أصحاب الردود كان ينقل من نسخة خطية للتوراة و الأناجيل بين يديه، و منهم ابن ربن الطبري الذي كان يسند النصوص إلى أماكنها و يعين رقم الإصحاح الذي نقل عنه النص.

لكن غالب أصحاب الردود كانوا في الحقيقة يتناقلون نصوص الطبري أو غيره ممن اطلع على الكتاب المقدس. و هذا ما يفسر التكرار الكبير في إيراد البشارات ثم توجيهها.

و نلاحظ أن هذه البشارات قد طغى عليها الرمزية و الإشارة ،لكن هذا لا يمنع من الاستدلال بها فسائر ما يستدل به النصارى من نبوءات في العهد القديم عن المسيح هي من هذا الباب.

و قد تراوحت قوة الدلالة في هذه النصوص المبشرة قوة و ضعفاً، و ذلك متعلق بحسن الترجمة أو سوءها، كما يتعلق بمدى التحريف و التبديل الذي تعرض له النص.

لكن جملة هذه البشارات تتحدث عن نبي عظيم قاهر لعدوه يزهو دينه و يدوم إلى الأبد، و هو ما لا ينكره أهل الكتاب؟ و لكن من ذا يكون هذا النبي إن لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم .

و قد جاءت النبوءات الكتابية على أنواع:فمنها ما هو بشارة بمجيئه كما جاء في متى " فهذا هو إيليّا المزمع أن يأتي من له أذنان للسمع فليسمع " (متى ١١/١٤)،و مثله قول المسيح " لا تروني الآن حتى يأتي من تقولون له مبارك الآتي على اسم الله " (متى ٢٣/٣٩).

و من النصوص المبشرة بمجيئه أيضاً و إن وردت في سياق البشارة بغيره ما جاء في سفر التكوين ، فقد قال الملاك لها مبشراً بإسماعيل: " ها أنت تحبلين و تلدين ابناً اسمه إسماعيل، لأن الله قد سمع تذللك و خضوعك، و ولدك يكون وحش الناس، يده فوق يد الجميع، و يد الكل به، و يكون مسكنه على تخوم جميع إخوته " (التكوين ١٦/١١-١٢)، والنص يبشر هاجر بابن قوي يمتد سلطانه على الكل، و هذا الأمر بلم يتحقق في إسماعيل كما لم يتحقق في ذريته حتى يبعث النبي صلى الله عليه وسلم و بذل سلطانه على كل أحد فيهم بني إخوتهم من اليهود[2].

الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣/٤ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧٢-٧٤ ، ٨١-٨٢.

(١) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٨٠.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٣٠-١٣٣ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٧ ، ٢٢٢ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٥ ، الإعلام بما في

و تحدثت نصوص أخرى عن اسم هذا النبي القادم منها ما جاء في تسميته بالفارقليط في أربعة نصوص نسبها يوحنا للمسيح، و ذكر صفات للفارقليط الآتي بعده لا تنطبق إلا على النبي صلى الله عليه وسلم فهو يأتي بعد المسيح، و يمكث للأبد ،و يخبر بالغيوب و الحوادث، و يوبخ العالم على الخطيئة...

و الفارقليط كلمة يونانية لا تخرج عن معان : الحامد و الحماد، أو المخلص أو المعزي. و يختار علماؤنا المعنى الأول و يستدل الطوفي لهذا الاختيار بما قاله النبي يوشع"من عمل حسنة يكون له فارقليط جيد" (لم أجده في التراجم الحديثة)، أي: حمد جيد، و رأى أصحاب الردود الإسلامية في هذه النبوءة تصديقا لما جاء في القرآن الكريم من البشارة باسمه ﴿ و إذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة و مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [1].

و رغم وضوح هذه البشارة بما جاء من صفات الفارقليط يمتنع معها صرف النص إلى المسيح أو الألسنة النارية التي نزلت على الحواريين، رغم ذلك نرى بعض التكلف في توجيه هذه البشارة فالطبري يرى أن لفظة الفارقليط تساوي حسب حساب الجمل اليهودي ما يجتمع من حروف قولنا " محمد رسول حبيب طيب "، و مثله فإن كلمة الفارقليط تساوي ما يجتمع من حروف قولنا:" محمد بن عبد الله النبي الهادي ". و يدرك الطبري ضعف هذا الاستدلال فيسنده بدلالة قوية خارجة عنه فيقول:" فإن قال قائل:قد يمكن استخراج هذا الحساب بغير هذه الأسماء لم يكن له ذلك حتى يحضرنا شهادة من هو كالمسيح في قوله"إن الفارقليط الذي يرسله روح الحق الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم كل شيء " و لن يجد إلى ذلك سبيلا"[2].

و من النصوص التي تنبأت باسمه ما سبق الإشارة إليه، و منها أيضا ما جاء في المزامير " إن ربنا عظيم محمود جدا، و في قرية إلهيا قدوس، و محمد قد عم الأرض كلها فرحا ".

و مثله جاء في إشعيا " افهمي أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد و ذكر اسمي، و أنا في الرحم،

دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٥-٢٦٦ ، ٢٧٠ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة ، القرافي ، ص ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٩٦ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ١١١-١١٢ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٣٢-٣٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٥٤-٦٤ ، ٨٥-٨٦ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١٣٣ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٢٢ب-٢٣أ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٨٣.

(١) سورة الصف ، آية:٦.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٨٥ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحى ، ص ١٣٩-١٤٢ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٢٠ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١٢٤ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة ، القرافي ، ص ١٦٥-١٦٨ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ١١٠ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ١٣٩-١٤٢ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ١٢١-١٢٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/٧-١٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٥٥ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١٣٦ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٢٣ب-٢٥أ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٧٤-٧٧.

و جعل لساني كالسيف الصارم... و قال لي :أنت عبدي ، فصرفي و عدلي حق قدام الرب و أعمالي بين يدي إلهي، فصرت محمدا عبد الرب، و بإلهي حولي و قوتي " [1].

و ذكرت النصوص الكتابية مبعث هذا النبي و أنه في أرض الحجاز، ومن قول موسى كما جاء في سفر التثنية " أقبل الله من سيناء، و تجلى من ساعير، و ظهر من جبال فاران، و معه ربوات الأطهار، عن يمينه نار شريعة لهم " (التثنية ٢/٣٣).

و مثله قول حبقوق النبي:"و القدوس من جبل فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد " (انظر حبقوق ٣/٣).

فأرض فاران هي الحجاز التي نشأ في جنباتها إسماعيل الذي تقول عنه التوراة "و سكن في برية فاران " (التكوين ٢١/٢١)، و النص يتحدث عن أماكن النبوات الثلاثة فسيناء مهد ديانة موسى، و سعير في فلسطين مهد ديانة المسيح ،فيما فاران لم تعرف دينا و لا شريعة ولا ألوف الأطهار إلا عند بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم.

و يرى علمائنا في هذه البشارة مشابهة لما جاء في القرآن الكريم﴿ و التين و الزيتون * و طور سنين * و هذا البلد الأمين﴾ [2].

و من النصوص التي دلت على بلاد هذا النبي ما جاء في "إشعيا " يقول الرب:إنك ستأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، و من أرض البادية..." (قارن إشعيا ١٣/٢١-١٤)، و التيمن كما يقول زيادة النصب الراسي هي القبلة أي أن النبي قادم من البلاد التي جعلها الله قبلة.

و قد بشر بطرس بمكة و مجدها فقال:" أنه قد حان أن يبتدأ الحكم ابتداء من بيت الله " (بطرس(١) ١٧/٤) و المقصود حكم رسول الله منها لا حكم بيت المقدس حيث لم يحكم اليهود و لا المسيح فيه، و قلل ميخا النبي عن مكة و البيت الحرام و إتيان الناس للحج عند جبل عرفات " يكون في آخر الأيام بيت الرب مبنيا على قلل الجبال، و في أرفع رؤوس العوالي يأتين جميع الأمم، و يقولون :تعالوا نطلع إلى جبل الرب" (ميخا ١/٤-٢).

كما رمز لمكة في نص آخر بالعاقر فقال:" سري و اهتزي أيتها العاقر التي لم تلد و انطقي بالتسبيح، و افرحي و لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي ".

و يرى مؤلفو الردود الإسلامية أن في النص مقارنة لمكة بأورشليم فسمى مكة بالعاقر كما يقول ابن القيم :" لأنها لم تلد قبل محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، و لا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس، لأنه بيت الأنبياء و معدن الوحي" [3]،لكن هذا الاستدلال يرده أو يضعفه أن نبوة إسماعيل كانت في مكة، فلا تسمى

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٣٩ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٤٦ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٨ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٧-٢٦٨ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٧٣ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣١٩/٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧١.

(٢) سورة التين ، آية:١-٣ .

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٥٨ ، النصيحة الإيمانية في

حينذاك عاقرا إلا إذا أريد منه مقارنة نسبية مع أنبياء أورشليم .

كما أشارت النصوص إلى بعض صفات و خصائص هذا النبي، فهو أمي قوي غالب لعدوه، تخر الممالك أمامه، صاحب شريعة .

و من ذلك قول المزامير عنه " و يجوز من البحر إلى البحر، و من منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار، و أنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويجلس بالتراب، و يأتيه ملوك بالقرابين، و تسجد له، و تدين له الأمم بالطاعة و الانقياد، لأنه يخلص المظلوم من الظالم، و ينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، و يرأف بالضعفاء و المساكين، و يدوم أمره إلى آخر الزمان " (المزمور ٧٢/٨-١٨)، و مثله في المزامير أيضا " بارك الله عليك إلى البدء، فتقلد أيها الجبار السيف، لأن البهاء لوجهك، و الحمد الغالب عليك اركب كلمة الحق و الدعة و التأله، فإن ناموسك و شرائعك مقرونة لهيبة يمينك، و سهامك مسنونة ، و الأمم يخرون تحتك " (المزمور٤٥/١-٥)فمن ذا الجبار ذو الشريعة الذي أذل الأمم بقوته و سهامه المسنونة، إنه محمد صلى الله عليه وسلم[1].

و هكذا فمن صفات النبي الآتي الظفر على عدوه، و هو ما تحقق لنبينا صلى الله عليه وسلم و أمته، و لا يمكن الله لكاذب و دعي للنبوة بمثل هذا التمكين و قد جاء في كلام دانيال النبي عن الكذابين" لا تمتد دعوتهم، و لا يتم فرقانهم، و أقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل، و لا يقيم لداع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة " (لم أجده في الترجمة الحديثة)[2].

و قد قال موسى عنه لقومه "الرب إلهكم يقيم نبيا مثلي من بينكم و من إخوتكم فاسمعوا له...أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم و أجعل كلامي في فمه، و أيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه " (التثنية ١٨/١٨-١٩)، و إخوة بني إسرائيل هم العرب، فالنبي منهم يأتي بعد موسى ، فلا يمكن أن يكون هذا النبي يوشع أو عيسى لأن يوشع كان خادما لموسى، مؤكدا لشريعته، و لم يكن مثله

فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحى ، ص ١٤٤ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٦-٢١٧ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٦ ، ١٢٠ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦٥ ، ١٧٨ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٨٣ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٣٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٣٠٠-٣١٣ ، ٣٢٧-٣٣١ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٥٣-٥٤ ، ٦٧-٦٩ ، ٧٣-٧٤ ، ٨١ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١٣٥ ، ١٣٨ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٣٩ب-٤١أ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٨٨-٨٩.

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٣٩ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٢٦-٢٦٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٧١ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٣ ، ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٣١٨-٣١٩ ، ٣٢٢-٢٣٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧١ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٨٩-٩٠.

(٢) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٢٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٢٧ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٨.

أو بعده، و كذلك كان عيسى تابعا لشريعة موسى فهو ليس مثله، و التوراة تقول:" لا يخلف من بني إسرائيل نبي مثل موسى " ، و في نسخة أخرى :" لا يقوم من بني إسرائيل نبي..." (قارن التثنية٣٤/١٠).

ثم عرض علماؤنا لصفات كثيرة تماثل فيها محمد صلى الله عليه وسلم مع موسى فيما لم يتماثل المسيح الذي ادعى النصارى أنه النبي المبشر به في هذه الفقرة، و من صور التماثل، ميلادهما و وفاتهما و كونهما صاحبي شريعة و ملك، و قد تزوجا و أنجبا و .....

و أما قول بعض النصارى بأن النص جاء على صيغة استفهام إنكاري بمعنى: أأقيم لهم ؟ أي لا أفعل. فهذا قول ركيك يكذبه السياق و هو من تحريف الكلم عن مواضعه[1].

و مما جاء في صفة هذا النبي أن بين كتفيه علامة رئاسته، و هي كونه خاتم الأنبياء ، فقد جاء في إشعيا:" عبدي برضى نفسي أعطيه كلامي، فيظهر في الأمم عدلي،.....و هو من نور الله الذي لا يطفأ، أثر سلطانه على كتفه " (لم أجده في التراجم الحديثة)، و في نص آخر يقول إشعيا " ولد لنا مولود، و وهب لنا ابن سلطانه على كتفه "، و يرى زيادة الراسي أن الترجمة الصحيحة كما ترجمها بنفسه عن العبرانية هي "سيادته على كتفه"كما يرى في تكملة النص تكملة للنبوءة ففيه "و يدعى اسمه عجيبا طايقا جبارا، أبا الأخير، سيد سلام، ليكثر سلطانه، و لسلام ليس قياس على كرسي داود (هكذا) و على مملكته يجلس ليرتبها و ليساعدها بالعدل و الصدق..." (إشعيا ٩/٦-٨)، ففي النص أن اسم هذا الرسول عجيب حيث لم يتسمى به أحد من قبل كما أنه عجيب لأنه من أمة العرب، و هو " أبا الأخير " أي سلطانه يدوم أبد الدهر لأن لا دين ينسخ دينه ،و هو "سيد السلام" أي رئيس المسلمين، و سلطانه يكثر و يدوم ،و ليس له حد أو قياس. و كل هذا ينطبق على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، و لا يمكن انطباقه على عيسى أو غيره من الأنبياء الكرام لأنه لم يكن لهم دولة و لا سلطان و خاصة مملكة يهوذا التي ما ورثها أحد من بني إسرائيل، بل ورثها الوثنيون كطيباروس و غيره، و هؤلاء لا يمكن أن يكونوا الموعود بهم، ثم ورثها المؤمنون بعدهم[2]...

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٣٧-١٣٨ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٤٤-١٤٥ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٤-٢١٥ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦٤ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٨٢ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٣٤ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ١٢٠-١٢١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٩٣/٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٥٢-٥٣ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١٣٤ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٢٠أ.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٤٦-١٥٠ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٢٧ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٨-١١٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٧٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٧٢-١٧٥ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٩ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٤ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٢٣/٣ ، ٢٢٧ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧٢ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة

و هو النبي الراكب الجمل الذي حطمت خيول أصحابه أوثان بابل التي لم تزل تعبد حتى مجيء الإسلام ، و قد قال النبي إشعيا " قيل لي:قم ناظرا فانظر فما ترى؟ قلت: أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار، و الآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه:سقطت بابل و أصنامها النخرة " (إشعيا ٢١/٦-٩).

و تحدثت النصوص أيضا عن أصحاب هذا النبي و أتباعه فقد ذكر زيادة الراسي بأن العشرة المبشرين بالجنة قد ذكروا في سفر زكريا، و فيه حسب ترجمته التي أثبتها بجوار النص العبري:" يقول الله رب الجنود:في تلك الأيام ينجمعوا (هكذا) عشر رجال من كل لسانات الشعوب، و يتمسكون بذيل رجل حميد ،أعني أبو حميد، و يقولون:لنذهب معك، لأننا سمعنا أن الله معك " (زكريا ٨/٢٣)، و يتساءل الراسي متى ذكر لنبي عشر من الأتباع من الأمين (أي من غير بني إسرائيل)، و هم من " لسانات الشعوب " أي من وجوه أقوامهم على وزن فعيل بمعنى: أحمد و محمد، فهذا نص صريح باسم النبي، و ذكر لصحابه العشرة.

و النص في الترجمة الحديثة مقارب لما ترجمه الراسي و فيه " يتمسكون بذيل رجل يهودي" أي من أبناء يهوذا، و يهوذا كلمة عبرية كما ذكر قاموس الكتاب المقدس " يهوذا اسم عبري معناه حمد"، فقد ترجموا الاسم المذكور للنبي ،و حولوه إلى نسبة فضاعت دلالة النص[1].

و مما جاء في وصف أصحابه ما جاء في إشعيا"إني رافع آية للأمم من بلد بعيد، و أصفر لهم من أقاصي الأرض صفيرا، فيأتون سراعا عجالا لا يملون و لا يثرون و لا ينعسون و لا ينامون و لا يحلون مناطقهم و لا ينقطع معقد خفافهم، سهامهم مسنونة، و قسيهم موترة، و حوافر خيلهم كالجلميد صلابة، و عجلهم مسرعة مثل الزوابع، و زئيرهم كنهيم الليوث، و كشبل الأسد الذي يزأر، و ينهم للفريسة فلا ينجو منه ناج، و يرهقهم مثل دوي البحر و اصطكاكه، و يرمون بأبصارهم إلى الأرض فلا يرون إلا النكبات و الظلمات، و ينكسف النور عن عجاج جموعهم " (إشعيا ٥/٢٦-٣٠)، فحكى هذا النص شجاعة أصحابه صلى الله عليه وسلم كما قال الله ﴿ محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ..﴾[2].

و قد جاء في المزامير في وصفهم " ليفرح إسرائيل بخالقه، و بنات صهيون من أجل أن الله اصطفى لهم أمة، و أعطاهم لنصر، و أيد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحون الله على مضاجعهم، و يكبرونه بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه، و يوثقون ملوكهم بالقيود، و أشرافهم بالأغلال " (انظر المزمور ١٤٩/٢-٨)، فهذه صفة محمد و أصحابه ،فهم يكبرون الله بالأذان في اليوم خمس مرات، و هم الأمة التي أذلت الملوك الذين لا يعبدون الله، فكانوا أداة لانتقام الله، و سيوفهم ذات شفرتين و قد كان من السيوف العربية كذلك ،و لم يعهد مثل هذه السيوف عند غير العرب[3].

٣٣ب-٣٦أ.

(١) انظر : البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٣٢أ-٣٣ب.

(٢) سورة الفتح ، آية:٢٩.

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٤٢-١٤٣ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٨ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٧ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٢٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٧٠ ، منظومة

و هكذا فإن محمداً صلى الله عليه وسلم يشرق في الكتاب المقدس كالشمس في رابعة النهار، فقد ذكرت الكتب اسمه و صفاته و صفات أصحابه و أمته ، فكان ذكره في ذلك كله دلالة لنبوته و صدقه ، و صدق الله إذ يقول ﴿ الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و إن فريقاً منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون ﴾ [1].

الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٣١٤ ، ٣٢٧ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧٠-٧٤.

(١) سورة البقرة ، آية:١٤٦.

الباب الثاني:

دوافع واتجاهات علماء القرن الرابع عشر الهجري في الرد على النصارى

الفصل الأول:

دوافع علمائنا

في الرد على النصارى

المبحث الأول : التبشير

التبشير لفظة مشتقة من بشر بمعنى فرح وتهلل ، ومنه البِشَارة ، وهي الخبر السار الذي لايعلمه المخبَر ، والبُشرى هي ما يبشَّر به أو ما يعطاه المبشَّر .

والتبشير بالمعنى الاصطلاحي يطلق على دعوة النصارى الآخرين إلى النصرانية .[1]

ويزعم النصارى أن هذا الأمر صدر لهم من المسيح حين قال : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " (متى ٢٠/٢٨) فيزعم النصارى أنه بموجب هذا الأمر كان لابد لهم أن يسيروا لتبليغ النصرانية إلى الأمم . وهكذا خرج دعاة النصرانية يكرزون الأمم ، وانتشرت النصرانية في ربوع أوربا ، كما انتشرت في بعض مناطق أفريقيا كالحبشة ومصر .

ولما ظهر الإسلام دخلت الأمم في دين الله أفواجاً ، ودخل الإسلام إلى مهد النصرانية في بلاد الشام ثم مصر ثم آسيا الصغرى ، ثم بعد حين توقف عند أبواب فرنسا .

وطوال قرون عديدة تواصلت الحروب الصليبية تروم العودة إلى البلاد المباركة ، ولكن من غير ما فائدة .

يقول فليب حتى : " كان من نتائج الحروب الصليبية فكرة اجتذاب المسلمين إلى اعتناق المسيحية عن طريق الإقناع ، بدلاً من طريق القوة والإكراه .. إن الخيبة التي منيت بها الحملات الصليبية في الوصول إلى غايتها وموت الدوافع التي كانت تدفع الناس للالتحاق بها مهد الطريق لفكرة جديدة : استمالة المسلمين واجتذابهم بطرق سلمية وودية ، وهذه الفكرة هي أساس بند التبشير المسيحي " ، وأكد هذا المعنى وليم طرابلسي حين قال عام ١٢٧٠: " نريد مرسلين ، لاجنوداً لاسترداد الأرض المقدسة " .[2]

وانقضت عصور الظلام الأوربية ، وبدأت الأمم النصرانية متأثرة بعلوم المسلمين في النهوض والمشاركة في ركب الحضارة ، لكن الهاجس الذي سيطر على هذه النهضة هو كيفية خنق العالم الإسلامي والسيطرة على ثرواته .

وبدأت حركة الكشف الجغرافي في صورة أخرى من صور الحرب الصليبية ، ووصلت البعثات والجيوش النصرانية إلى شواطئ إسلامية بعيدة في الهند وأندنوسيا وغيرها في القرن الميلادي السابع عشر . أما قلب العالم الإسلامي فقد وقفت الدولة العثمانية بما بقي لها من نفوذ وسمعة في وجه الأطماع النصرانية ، فلجأ النصارى إلى إرسال بعثات دينية تمارس العمل الديني ، وتكون طليعة للغزو الاستعماري .

وكان البارون دوتيز (١٦٤٤م) من أوائل الداعين للاهتمام بالتبشير ، ودعا لتأسيس كلية لتخريج المبشرين ، ولكن نداءه لم يلق مجيباً .

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ط٢ ، دار الفكر ، ٥٨/١ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني،ط١، دار القلم ، بيروت ، ص ٢٩ .

وفي عام ١٧٩٥م تأسست جمعية لندن التبشيرية بقيادة المبشر كاري ، ثم تأسست مثيلاتها في عدد من الدول الأوربية .

وتوالى تأسيس الجمعيات التبشيرية فأنشأت في عام ١٨٥٥م جمعية الشبان المتطوعين للتبشير في البلاد الأجنبية ، ثم تنوعت جمعيات التبشير ، وتخصصت كل جمعية بلون مرحلة من مراحل العمر ، فأنشأت جمعيات لتبشير النساء ، وأنشأ في عام ١٩٠٢م جمعية تبشير الشبان ، ثم في ١٩٠٧م تأسست جمعية تبشير الكهول .... [١]

وقد اتجه المبشرون إلى العالم الإسلامي خلال سنين طويلة متباعدة ، وكان أرخبيل أندنوسيا هو باكورة النشاط لهم حيث وصل المبشر المشهور فرنسيسكوس اكسافيريوس في ١٥٤٦م ، ثم تتابع المبشرون مع وقوع البلاد تحت الاستعمار البرتغالي ثم الهولندي ثم الإنجليزي ، وقد كان الجهد المبذول في تبشير أندنوسيا عظيماً ، فقد وصل عدد الكهنة الكاثوليك عام ١٩٧٣م إلى ١٣٠ كاهناً ، ويضاف إلى ذلك ٢٢ أبرشية ، ٩ هيئات للرهبان والراهبات ، و٣٣ مطرانية ، فيما وصل عدد الكاثوليك إلى مليون وربع كاثوليكي .[٢]

وفي القرن الثامن عشر توافدت البعثات التبشيرية على أراضي الخلافة العثمانية مستغلة المعاملة الخاصة التي يكفلها الباب العالي للأجانب ، وقد حرص المبشرون على التبشير بين المذاهب النصرانية المخالفة .

ثم اتجه التبشير إلى المسلمين مع ضعف الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها ، حيث وضعت بلاد المسلمين تحت الاستعمار بأنواعه المختلفة .

وقد تجمعت فلولهم في مالطة عام ١٨١٥م (١٢١٣هـ) ووضعوا برامج للتبشير في الدول العربية استجابة لبرنامج إنجليزي اسمه " مشروع تنصير بلاد البحر الأبيض المتوسط " وأرادوا من خلال انتشارهم في الشرق الإسلامي تعويض الخسارة التي لحقت بالكنيسة في أوربا أمام موجة الحضارة الجديدة الناشئة في الغرب .[٣]

ففي عام ١٨٣٠ غزت فرنسا الجزائر ، وقد صحب الجنرال الفرنسي بورمنت ستة عشر قسيساً ، وقال لهم بعد سقوط مدينة الجزائر : " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للنصرانية في أفريقيا ، ونأمل أن تنبع قريباً الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع .

فيما وصل أول المنصرين إلى السودان عام ١٢٦٥هـ (١٨٤٨م) بأمر من البابا جريجوري السادس ، وكان قد أمر عام ١٢٦٣هـ بإنشاء نيابة أفريقيا الوسطى الرسولية . وكانت الإرساليات التبشيرية قد زعمت أنها أتت لمحاربة تجارة الرقيق التي استشرت في أوربا ، ورأت أن الوسيلة المثلى للقضاء عليها هي تتبعه في أماكن تصديره كما نص على ذلك مذكرة بوكستن المقدمة للحكومة البريطانية عام ١٢٥٤هـ .

---

(١) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٦٠ - ٦٤ .

(٢) انظر : غارة تبشيرية جديدة على أندنوسيا،أبو هلال الأندنوسي،ط٣ ،دار الشروق ،جدة،١٣٩٩هـ،ص ١٧ - ٢٠ .

(٣) انظر : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ٥٥ ، التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي ، أحمد فون دنفر ،ص ٣ .

وقـــد مني التبشير والاستعمار بنكسة كبيرة بسبب ثورة المهدي ١٣٠٢هـــ فقتل الجنرال غوردون ، وعلقت لجنة إدارة الإرساليات نشاطها في السودان ، ثم عادت مع عودة الجيش البريطاني بقيادة كتشنر .

وقد عمل المستعمر البريطاني على قسم السودان أمام الإرساليات التبشيرية إلى قسمين : أولهما : القسم الشمالي وهو منطقة شبه محرمة يمنع العمل التبشيري فيها إلا في حدود ضيقة ، وقد سمح للمبشرين بالاهتمام بتحرير العبيد ودعوة الوثنيين . ثم سمح لهم بإقامة مراكز طبية في الخرطوم ، والذي دفع المستعمر البريطاني لهذا التضييق هو خشيتهم من ثورة مشابهة لثورة المهدي في القسم الشمالي المسلم .

وأمـــا القسم الثاني فهو جنوب السودان ، وقد فتحت أبواب التبشير فيه على أكمل وجه ، وتقاسمته الإرســـالية الـــبريطانية والأمريكية ، وكان العمل في جنوب السودان على مرحلتين : أولاهما : التخلص من الوجـــود الإســـلامي بمحاربة العرب ولغتهم وإبعادهم بواسطة أوامر إدارية (من المستعمر) تنقل الموظفين المسلمين إلى الشمال المسلم ، كما منعوا وصول التجار المسلمين إلى الجنوب ، وشجعوا اللغة الإنجليزية على حساب العربية .

وتنفيذاً لهذا كله قامت الكنيسة بفصل أسقفية الجنوب عن مصر وشمال السودان في عام ١٣٤٥هـــ ، وألحقت بهذه الأسقفية الجديدة (أسقفية أعالي النيل) كنيسة أوغندا ، ورسم أول أسقف سوداني في الجنوب عام ١٩٥٥م ، وهو الأسقف دانيال ينج .[١]

وفي مصر تحولت الإرساليات التبشرية عن العمل في كتلكة الأرثوذكس إلى تنصير المسلمين بعد وصول القـــوات البريطانية عام ١٣٠٠هـــ ، وفي عام ١٣٢٠هـــ (١٩٠٢م) أجاز المؤتمر العام للكنيسة المسيحية بمصر مشروع تنصير المسلمين ، وقد أكد مؤتمر القاهرة ١٣٢٤هـــ على " أن الهدف الأساسي للإرسالية في مصـــر هو إقامة كنيسة وطنية من المسلمين المتنصرين " وقد أصبحت هذه السياسة أكثر وقاحة بعد القضاء على الثورة ١٣٣٩هـــ ، ويؤكد المبشر مارسون التابع للكنيسة البريطانية (١٣٤٦هـــ) هذا الاتجاه ويبين أن ســـببه فشو الإسلام بين الأقباط ، فيقول : " تؤكد الاحصائيات حتى في هذه السنين بأن الذين يتحولون من الكنيسة القبطية للإسلام لايقلون عن خمسمائة قبطي سنوياً " .[٢]

وفي ســـوريا بدأ التبشير خارج إطار النصارى بعد دخول الاحتلال الفرنسي ، حيث دخل الفرنسيون إلى جبال العلويين (النصيريين) ، واستكتبوا نصيرياً يدعى محمد تامر زعم أن النصيريين من أحفاد الصليبيين وقد تنصرت اثنتان وعشرون أسرة (قرابة ٨٠ شخصاً) .

وعمدوا في جنينة (حديقة) رسلان في أغسطس عام ١٩٣٠م ، ثم ذهب الأب شانتور رئيس الجامعة الأمـــريكية بعـــد ذلك بشهرين مع خمسة من المبشرين ، وأسسوا ثلاث مراكز للتبشير في المنطقة . وكانت

---

(١) انظر : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإســـلامية ،١٤٠٧هـــــ ،ص ١٣٠ – ١٥٤ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، منشورات المكتبة العصرية ،صيدا ،١٩٨٣م ،ص ٢٣٨ – ٢٤٠ .

(٢) انظر : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٠١ – ١٠٥ ، ١١٥ .

فرنسا والولايات المتحدة قد وقعتا في عام ١٩٢٤م اتفاقاً يسهل عمل المؤسسات التبشيرية ويمنع تقييد عملها في المناطق المحتلة من قبل فرنسا . [١]

أهداف التبشير

أما الأهداف التي انطلقت البعثات التبشيرية لتحقيقها فتتلخص في تنصير المسلمين وبناء كنائس وطنية وإذا لم يتحقق ذلك فلا أقل من إبعاد المسلمين عن دينهم وجعلهم يألفون رؤية النصارى وكنائسهم وكتبهم لعل ذلك أن يساهم في نشر النصرانية ولو بعد حين ، وقد عبر عن هذين الهدفين زعيم التنصير في المنطقة العربية القس صمويل زويمر حين قال : " إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين : مزية تشييد ، ومزية هدم ، أو بالحري مزيتي تحليل وتركيب " فالهدف الأول هو إبعاد المسلمين عن دينهم والهدف الثاني هو إدخالهم في النصرانية ، وكثيراً ما اكتفى المبشرون بالهدف الأول بعد أن أعياهم تحقيق نتائج إيجابية في الهدف الثاني . يقول زويمر في مؤتمر القدس مخاطباً المبشرين الذين يشكون من قلة المتنصرين : " إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ... لكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً . وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ... فقد جاء النشئ الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار لا يهتم بعظائم ويحب الراحة والكسل ... " .

ويؤكد الأنبا شنودة على أهمية هذا الهدف فيقول : " يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية ، إذ أن الخطة التبشيرية التي وضعت على أساس اتفق عليه للمرحلة القادمة هو زحزحة أكبر عدد ممكن من المسلمين عن دينهم والتمسك به ، على ألا يكون من الضروري اعتناق المسيحية ، فإن الهدف هو زعزعة الدين من نفوسهم وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم وصدق محمد .... " وكما يقول مبشر آخر " وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد أو مصطفى أما الهداية (التنصر) فينبغي البحث عنها في مكان آخر " ويقول المنصر فيليب : " إن فرصتنا الوحيدة للعمل التنصيري في مصر وغيرها من البلاد العربية هو الإسراع في إزالة المظاهر التقليدية للمجتمع الإسلامي وجعل هذا المجتمع في حالة القابلية للغزو الحضاري الغربي والإنجيل ، وهي السياسة التي اتبعها المنصرون بقوة وبمساعدة الإدارة البريطانية " .[٢]

---

(١) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٥٤ - ٥٧ .

(٢) انظر : الغارة على العالم الإسلامي ، شاتليه تعريب:محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ،ط٤ ،الدار السعودية للنشر و التوزيع ، جدة ،١٤٠٥هـ ، ص ١٧ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ط١، دار العمير للنشر ،جدة ،١٤٠٦هـ،ص ١١٦ ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٢٢ ، ١٢٦ ، تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ط١، دار النفائس ، الرياض ،١٤١٠هـ ،ص ٢٢ - ٢٣ ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٣٧ .

ولتحقيق زحزحة أكبر للمسلمين عن دينهم تنادى المبشرون وتداعوا إلى وسائل عدة منها :

- التشـــكيك بعقـــائد الإســـلام وشـــرائعه ، ومن ذلك أن زويمر جمع تلاميذه المسلمين حول مجسم للكرة الأرضية ، وجاء بنور قوي سلطه عليها يريد أن يثبت أن الأمر بصيام شهر رمضان غير رباني المصدر ، لأنه يـــتعذر أداء هـــذه الفريضة في بعض البلاد ، ودعت جميعة التبشير الكنسية إلى إثارة الشبهات حول وضع المـــرأة في الإســـلام وقالت في تقرير لها : " إن في الإسلام عيباً فاحشاً ، وهو حطه من شأن المرأة " ودعا ديكـــاردز في بحـــثه المقدم لمؤتمر كولورادو إلى أن يطرق التبشير موضوعات مثل حقوق المرأة ، والكتاب المقدس والمرأة " .[1]

- العمـــل عـــلى إقصاء اللغة العربية الفصيحة عن أن تكون لغة التداول بين العرب والمسلمين ، وقد تبنت الجمعيات التبشيرية الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني تارة والنطق بالعامية تارة ، وقد تولى الدعوة للكتابة بالحرف اللاتيني المستشرق الفرنسي لويس ماسينون الموظف في وزارة الخارجية الفرنسية ، وأيده فيها بعض العرب منهم الدكتور أنيس فريحة أستاذ اللغات بالجامعة الأمريكية فقال : " يطالب – مثلاً – بعض الناس بتـــبني الحرف اللاتيني تسهيلاً للقراءة ، وتخفيضاً لنفقات الطباعة ... ونحن من المؤمنين بهذه النظرية ، ولا نـــرى حلا للكتابة إلا بتبني الحرف اللاتيني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة .لماذا يثور الناس كلما طالبنا بالتيســـير ؟ ولماذا يتهمونا بالخروج ؟ الأمر بسيط لا يدركون أن هناك مشكلة ، ولماذا لا يدركون ؟ الأمر بسيط : الجهل ، الجهل عدو العرب الأكبر ... " ولما ربط المصلحون الغيورين هذه الدعوة بالمكر والكيد في الإســـلام والقـــرآن قال فريحة : " اللغة .. ظاهرة إنسانية لا علاقة لها بالآلهة ، و لم تهبط من عَلِ ، بل نشـــأت من أسفل " ، وقد كانت منظمة جمعية حملة المسيح ويرأسها البروفسور دون مير في كينيا وغانا وآريتريا وجيبوتي رائدة في محاربة العربية ، ومثلها مراكز الشبيبة المسيحية التي مركزها ألمانيا ولها فروع في البلدان العربية .

كمـــا تبنى عدد من النصارى الدعوة إلى العامية ، وكتب الأب رفائيل نخلة " قواعد اللهجة اللبنانية الســـورية " وكتب شكري الخوري " التحفة العامية في قصة فنيانوس " وكتب الخوري مارون غصن " في متلو ها الكتاب ؟ " (هل يوجد مثله هذا الكتاب) .[2]

- كمـــا عمـــل المبشـــرون على التلون للمسلمين بمظاهر إسلامية وحقائق نصرانية أو أن يقربوا المعتقدات النصـــرانية الـــتي يســـتحيل على المسلم أن يصدق بها ، فيتأولونها على وجوه تخفف من شذوذها ، فقد أصـــدرت لجنة المبشرين عام ١٩٣٢م كتاباً بعنوان " التفكير الجديد في أمر الإرساليات " جاء فيه نصيحة للمبشـــرين في أن يقبـــلوا بعقـــائد تخالف العقيدة المسيحية ، فيتأولوا بنوة الله على أنها بنوة روحية ، وأن يقولـــوا للوثـــنيين بأن الله له تجسدات مختلفة ، وأن يقولوا للشعوب الفقيرة المفتونة بوعود الشيوعية بأن

---

[1] انظر : مناظرة العصر ، أحمد ديدات ، ص ٦٠ – ١٣٤ ، تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٨٥ – ٨٦ .

[2] انظـــر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٨ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، المطبعة العسكرية ،كررى ، السودان ،١٩٨٣م ،ص ٣٧ .

الشيوعية صادقة وأن الرأسمالية نظام باطل .....

ودعا بشير عبد المسيح في بحثه المقدم لمؤتمر كولورادو بعنوان " استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح وسلوكه " دعا إلى مثل هذا التلون مع المسلمين فقال : " جسد الرسول بولس المسيحَ في شكل يهودي كي يصل إلى اليهود ، وجسده في شكل وثني كي يصل إلى الوثنيين . فهل لدينا الجرأة على سلوك مسلك يسوع والرسول بولس وأن ندعو إلى مسيح متجسد في شكل إسلامي كي نصل إلى المسلمين " .

ويقول بشير عبد المسيح : " لماذا لا نطلق على المكان الذي يلتقي فيه المسلمون العيسويون (المنصَرون) مسجد عيسوي ؟ فلربما قبل المسلمون في النهاية المسجد العيسوي كفرع طبيعي ضمن الثقافة الإسلامية " .

ويقول : " نقترح أن تترك الأحذية عند الباب في المسجد العيسوي ... وأن تكون أوضاع متعددة للصلاة عامة (والكتاب المقدس يسمح بالركوع ورفع الأيدي) ، وأن لاتكون هناك مقاعد ، وأن تستعمل حصائر للصلاة إذا رغب المصلون بذلك ، ولكن المصلين لن يولوا وجوههم نحو المشرق ، ولن يكون هناك أي إشعار أو دعوة للجهاد على حيطان المسجد العيسوي ، ولو أن المسلمين العيسويين قد يقررون مستقبلاً كتابة شيء عن المسيح على تلك الحيطان ..... " .[1]

فهذه الموضوعات وغيرها كانت موضوعاً تدارسه المبشرون النصارى بغية إبعاد المسلمين عن دينهم وقرآنهم تمهيداً لتنصيرهم عندما تحين الفرصة لذلك .

وأما النتائج التي حققها التبشير ضمن الهدفين السابقين فنجمل بالقول بأن جيوش المبشرين عجزت عن أن تجعل للنصرانية في بلاد المسلمين موطئاً ، ولا يخرج عن هذه النتيجة سوى أندنوسيا حيث استطاع النصارى كما يقول المبشر أدوين بلس في كتابه " مشروع التبشير " بأنهم استطاعوا تنصير ١٠٠٠٠٠ مسلم قبل عام ١٧٢١م . ويقول دون مكاكري : " في أندنوسيا حيث انتشر الكتاب المقدس فعلاً من خلال هذه الوحدات الثقافية ، نجد أن مجتمعات بأكملها قد تنصرت في وقت واحد ، ويقال أنه في أحد الأماكن تم تحويل ٢٥ مسجداً إلى كنائس .[2]

وأما في غير أندنوسيا فكانت نتائج التنصير في تحويل المسلمين إلى النصرانية مخيبة لآمال الكنيسة وغير متناسقة مع مصروفاتها والجهد الخارق المبذول من الآلاف من رجال الكنيسة .

فأول متنصر في المغرب تنصر عام ١٣١٧هـ (١٨٩١م) في مدينة طنجة ، واسمه إدريس ، وأقيم بمناسبة تعميده احتفال كبير .

وبعد أربعين سنة من العمل في البحرين عمد عشرة أشخاص عام ١٩٣٤م فيما يتحدث فرانك كولي في بحث له قدمه لمؤتمرات التبشير بعنوان " مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في جنوب شرق آسيا " فيقول

---

(١) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٩٦ - ٩٨ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٣٢ ، الغارة على العالم الإسلامي ، شاتليه ، ص ٢٣ .

: " خلال الخمس سنوات الأخيرة تم تعميد ٢٨ مسلماً تايلندياً ، ومن هؤلاء رجع اثنان منهم إلى الإسلام ، وبقي عشرون آخرون في عضوية الكنيسة " .

وبعد ما يقرب من خمس وثلاثين سنة في السودان كان أول المتنصرين من المسلمين مواطن سوداني اسمه إبراهيم تنصر في مستشفى أم درمان . (١)

وبالمقابل فإن سيد أحمد يذكر أن الاحصاءات الدقيقة تتحدث عن أن كل متنصر إفريقي يقابله إسلام ٨٧ أفـــريقي ، وهو ما دعا مجلة " الكريستيان مونيتور " للقلق فقال محررها : " أخشى أن نظل هكذا ننفق الأمـــوال الطائـــلة ، ونبعث بأبنائنا إلى مجاهيل إفريقيا في الوقت الذي تسلم فيه قلاع المسيحية في أفريقيا إلى الإسلام " . (٢)

ومـــا يـــزيد في خيـــبة أمل المبشرين دراسة أوضاع هؤلاء المتنصرين قبل تنصرهم يقول فرانك كولي في الـــبحث المشار إليه آنفاً " الملاحظ أن المسلمين الذين أبدوا استجابة أكثر كانوا من الذين تم الاتصال بهم من خلال العيادات الطبية لمعالجة الجذام " . (٣)

ويقـــول ديفيـــد فريـــزر في بحثه " تطبيق مقياس إينكل في علمية تنصير المسلمين " الذي قدمه مؤتمر كولـــورادو التبشيري : " الدعوة إلى المسيح لا تجد استجابة إلا من الأشخاص الهامشيين أو المنحرفين الذين ينتمون إلى القطاعات الفقيرة نسبياً في المجتمع الإسلامي " .

ويقـــول زويمـــر في مؤتمر القدس التبشيري . إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المســـيحية لم يكونـــوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة : إما صغير لم يكن له من أهله من يعـــرفه مـــا هو الإسلام ، وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته ، وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وإما آخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية " . (٤)

لذا يعترف جورج يتترز بضغف النصارى أمام الإسلام في بحثه المقدم لمؤتمر كولورادو التبشيري بعنوان " نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة في وسط المسلمين " فيقول : " لدي انطباع بأن الإسلام هو أولاً وقـــبل كل شيء قوة روحية ، وصيغة لاهوتية ، وبناء ديني سيواجه بجرأة كل الخبرات الفنية والضغوط التي نستطيع تنظيمها " ويتابع فيذكر حقيقة هامة نعجب كيف لم تدخله في هذا الدين ، وهي أن هذا الدين يسير بهـــدي الله وتوفيقـــه فيقول : " إنني أميل إلى الاتفاق مع فندر زويمر وفريتاك وآخرين فيما ذهبوا إليه من أن الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية ، مخططة تخطيطاً يفوق قدرة البشر لمقاومة إنجيل ربنا يسوع المسيح .

إن الإســـلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية ، وترفض بكل وضوح

---

(١) انظـــر : التبشـــير المسيحي في منطقة الخليج العربي ، أحمد فون دنفر ،ص ١٦ ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٤٢ ، ١٦٥ .

(٢) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٦٠ .

(٤) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٢٢ ، ٢٧ .

وموثوقية صحة الإنجيل ، وأبوة الرب ، وأن المسيح ابنه ، وضرورة موته " وينصح مركز الشبيبة التنصيري في كتاب أصدره بعنوان " ماهي الصعوبات التي تحول دون تنصير المسلمين " بالعمل في مناطق غير ناطقة بالعربية أي ضعيفة في مجال الثقافة الدينية ، والتي غالباً ما تدون بالعربية .[1]

وأمـــام هذه الخيبة يزعم زويمر أن حظ المبشرين من التغيير " هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه ، ولا ينبغي أن نعتمد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين ، لأننا هنا واقفـــون عـــلى مجـــرى الأمور ، ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزع الدين الإسلامي من قلوبهم ، واعتنقوا النصرانية من طرف خفي " .

ولكـــن العزاء للمبشرين إنما هو في النتائج الإيجابية التي حققها التبشير بين الوثنيين ، فقد أمكن تحويل ثمـــاني ملايـــين وثني في أوغندا إلى المسيحية ، فيما استطاعت خمسة عشر ألف بعثة تبشيرية قصدت كينيا أن تجعل نسبة المسيحين فيها ٦٥% من السكان .

يقـــول جيرالـــد سوانك في بحثه " مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في وسط وجنوب أفريقيا " : " النصـــرانية تحقق الآن نجاحاً في التنصير في وسط أصحاب الديانات التقليدية بصورة أكبر من الإسلام ... النصرانية تزداد بصورة أسرع ، وبمعدل أكثر من ٦% في السنة " . [2]

والعـــزاء الآخـــر هو نجاح النصارى في تحقيق هدفهم الثاني المتمثل في إبعاد المسلمين عن دينهم ونشر الجهـــل بـــين عوامهم ، وهو ما عبر عنه زويمر بقوله : " ينبغي للمبشرين إلا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمســـلمين ضـــعيفة ، إذ مـــن المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء " .[3]

---

(١) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ١٤٩ - ١٥٠ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ١٧ .

(٢) انظر : الغارة على العالم الإسلامي ، شاتليه ، ص ١٧ ، تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ١٢٣ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ٨٥ .

(٣) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١١٦ .

مؤتمرات التبشير

وبحث المنصرون في مؤتمرات عديدة ظروف التبشير بين المسلمين بغية تحقيق نتائج أفضل ، فانعقد لذلك عدد من المؤتمرات التبشيرية أهمها : مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م برئاسة القس المبشر صمويل زويمر ، ثم انعقد المؤتمر التبشيري العالمي بأدنبره باسكتلندا في عام ١٩١٠م برئاسة زويمر ، ووزعت في ختامه على المؤتمرين رقاع تذكارية مكتوب عليها " اللهم يا من يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية ، وألهمها الخلاص بيسوع المسيح " ، كما انعقد مؤتمر آخر للمبشرين في نفس العام في بيروت .

وفي عام ١٩٢١م عقد مؤتمر التبشير الدولي ثم انشأ بأمر من البابا بيوس (١٩٢٢ - ١٩٣٩م) معهد لتأهيل المبشرين .

وفي عام ١٩٢٥م عقد مؤتمر تبشيري وسمي " مؤتمر حركة الحياة والعمل " ، ثم آخر باسم " مؤتمر حركة الإيمان والنظام " سنة ١٩٢٧م .

ثم انعقد في القدس ثلاثة مؤتمرات في ١٩٢٤م ، و ١٩٢٨م ، و ١٩٣٥م وحضر الأخير منها ١٢٠٠ مندوباً ، وعقد مؤتمر الكنائس البروتستنتية في لوزان بسويسرا عام ١٩٧٤م ثم عقد مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين في كولورادو في عام ١٩٧٨م وحضره ١٥٠ مشتركاً ، وقرر المؤتمر لتحقيق مهمته جمع مليار دولار ، ووضع المؤتمر استراتيجيات جديدة في تنصير المسلمين .

وقد أودع المبلغ المطلوب بعد جمعه في أحد البنوك الأمريكية ، وشرع في تنفيذ الخطة المقررة ، وعقد في ١٩٨١م المؤتمر العالمي للتنصير في السويد لدراسة ومتابعة تنفيذ مقررات كولورادو .

وكانت الكنائس النصرانية المختلفة قد أنشئت مجلساً للتنسيق بين عمل الكنائس والإشراف على عملها وذلك في عام ١٩٦١م وسمي : " مجلس الكنائس العالمي " . (١)

وقد درست هذه المؤتمرات نتائج التنصير المخيبة للآمال نسبياً ، ودرست عوامل النجاح الذي تحقق في أندنوسيا وغيرها ، وكان مما لاحظه المبشرون أن التنصير لا ينجح في بيئة مستقرة فيقول المبشر فريزر في بحثه " تطبيق مقياس إينكل في عملية تنصير المسلمين " والذي قدمه في مؤتمر كولورادو : " لكي يكون تحول ، فلابد من وجود أزمات معينة ومشكلات وعوامل إعداد ، وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها ، وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية كالفقر والمرض والكوارث والحروب ، وقد تكون معنوية مثل التفرقة العنصرية ..... وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة ، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية " . (٢)

وأكد فريزر على أهمية استغلال العوام وسذاجتهم فقال : " إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا

---

(١) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٩ - ١٤ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ٤٦ .

(٢) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٢٣ .

هـــم مـــن الذيـــن يعتـــنقون مـــا يطلق عليه الإسلام الشعبي ، وهم أرواحيون يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن ، ويعرفون القليل جداً عن الإسلام الأصل ، كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التي يعتقدون أنها تمدهـــم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها ... لقد سمعت أكثر من قصة مؤثرة عن تنصر أعداد كبيرة من المســـلمين أكـــثر ممـــا تم بواسطة طريقة الوعظ على يد قسيس قبطي له القدرة على العلاج الروحي وطرد الأرواح الشريرة " .

وأكـــد فريـــزر نجاح التنصير بهذه الأساليب التي تقوم على الشعوذة والدجل بعيداً عن العلم والعقل والدليـــل ، فأكد هذه الصورة بالنجاح الذي يحققه المبشرون في الباكستان " الذين يتبعون الأساليب الفعالة ، ويتمتعون بالقدرة المؤثرة ، فخلال عملهم في القرى الريفية على علاج الناس ، وطرد الأرواح الشريرة أحاط بهم المسلمون من كل حدب وصوب " .[1]

ويقترح بول برخت اقتراحاً يخدم الأهداف التبشيرية وهو أن تسرع الكنيسة الأوربية إلى إنشاء كنائس وطـــنية تـــتولى العمل التبشيري بدلاً من المبشرين الأوربيين الذين كانوا طرفاً من الاستعمار فيقول : " لابد للكنيســـة في دول العالم الثالث وأمريكا اللاتينية أن تحذو حذو وزارة الخارجية البريطانية في دول الكومنولث ... أي أن يكـــون الـــرجل الأسود (في أفريقيا) في مكان المبشر الأبيض ، وأن تكون الكنيسة الوطنية هي الكنيسة الأم " . [2]

---

(١) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٧٢ - ٧٣ ، ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) انظر : التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ٢١ .

مجالات جديدة للتبشير

وبعـــد فشـــل الوســـائل التقليدية من – حرب صليبية وتبشير قسيس – في تحقيق نتائج ذات بال بين المسلمين لجأت المؤسسات الكنسية إلى طرق جديدة ذات فعالية مستغلين حاجة الشعوب الإسلامية وضعف الإمكانيات المادية والتقنية ، وقد استغل التبشير عدة مجالات من الأنشطة لتحقيق الأهداف التبشيرية .

أولاً : التعليم

اتجهـــت المؤسسات الكنسية التبشيرية إلى استغلال مجال التعليم منذ بداية القرن الهجري الثالث عشر ، وأسســـت مدارس تعمل لهذا الهدف ، وقد كان عدد طلاب هذه المدارس في سوريا – مثلاً – عام ١٨٩١م مائة وأربعة وسبعون مدرسة .

وفي عام ١٩١٢م بلغ عدد المؤسسات التبشيرية ثمان وثمانون مؤسسة تتولى بعضها إدارة عدة مدارس .

وفي أندنوسيا كان عدد المدارس التي افتتحتها الكنيسة حتى عام ١٩٧٤م (٥٤٠٤) مدرسة ، إضافة إلى ٣٣ معهد لإعداد المعلمين الدينيين ، ويضاف إلى ذلك ١٩٦ معهد لاهوتي .

وفي أفـــريقيا أعـــلن المبشر دانيال كمبوني في القرن التاسع عشر مشروعه الذي سمي باسمه حيث افتتح عشـــرات المـــدارس في أنحاء متفرقة من أفريقيا منها مدارس لرياض الأطفال ومنها ما هو مخصص للكبار أو للتعليم العام .

وكان من أهم المؤسسات التعليمية التبشيرية الجامعة الأمريكية في بيروت وكلية روبرت في استانبول ، وكلية الاستانة التي كان التعليم فيها مختلطاً بين الذكور والإناث . [1]

وقد كان الهدف من افتتاح المدارس والجامعات في البلاد الإسلامية التبشير فحسب ، وهو ما عبر عنه المبشـــر هـــنري جسب بقوله " التعليم في الإرساليات التبشيرية إنما هو وسيلة إلى غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية .

ولكن حين يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه ... فإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول : إن رســـالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري إلى مدى علماني محض ، إلى مدى علمي دنيوي ، مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرغ وكمبردج وهارفر وشيفيلد لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية فحسب " .

ويقول المبشر رايد متحدثاً عن خدمات الكنيسة التعليمية والصحية : " أنا لا أحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ لي في الإنسانية ، ولولا أنني أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت عرضت له لأساعده " .

---

(١) انظـــر : التبشـــير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٧٩ ، ٩٤ – ٩٦ ، غارة تبشيرية جديدة على أندنوسيا،أبو هلال الأندنوسي،ص ٢٠ – ٢٢ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ١٢٢ .

ويقول دابي " كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية " .

ويقـــول بـــتروز رئيس الجامعة الأمريكية (التبشيرية) في بيروت : " لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان " .

ولمـــا زارت المبشرة أنا ميلجان كلية البنات بالقاهرة قالت : " ليس ثمة طريق إلى دحض الإسلام أقصر مســـافة مـــن هـــذه المدرسة " وقد رأى المبشرون أهمية خاصة لقطاع التعليم لأنه يؤمن لهم الاتصال بأبناء المســـلمين في سن مبكرة قبل اكتمال نضجهم العقلي وتوسع درايتهم الدينية مما قد يسهل مهمة تنصيرهم ، يقـــول المبشـــر جون موط : إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً ، من أجل ذلك يجب حمل الأطفال الصغار إلى المسيحية قبل بلوغهم سن الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية " [1]

وكـــتأكيد لهـــذا الاتجـــاه التبشيري في التعليم أجبرت الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية في بيروت) طلابها المسلمين على حضور دروس التوراة والدخول إلى الكنيسة ، وقد احتج الطلبة المسلمون على إلـــزامهم دخـــول الكنيســـة فرد عليهم مسؤلو الجامعة بأن الجامعة منشأة مسيحية ، وفتحت بدعم وأموال المســـيحيين ، ثم وفي عـــام ١٩٠٨م أعطـــي طلاب الكلية الحرية في الحضور ، ثم عادت فأجبرت الطلاب المســـلمين عـــلى حضور درس التوراة دون الحضور إلى الكنيسة ، وفي عام ١٩٢٢م كان للطلاب المسلمين الخيار في الاستماع إلى درس في الأخلاق أو درس في التوراة ، لكن درس الأخلاق لم يكن يختلف كثيراً عن درس التوراة من حيث مضمونه وإن اختلف العنوان . [2]

ومـــن المهمـــات التي عمل التبشير من خلالها على استغلال التعليم تجفيف منابع التعليم الديني ، وقد تركـــزت جهودهم على الإضرار بالأزهر ، فقد قدم كرومر خطته التي زعم أنها لتطوير الأزهر ، فيما كانت في الحقيقة تهدف إلى تفريغ مضامينه ، وقد بحثت مقترحات كرومر في مؤتمر القاهرة التبشيري عام ١٩٠٦م .

كمـــا أوصى كرومر بالاهتمام بالتعليم العام ورفع كفاءته حتى ينافس الدراسات الأزهرية ويسبقها ، فينصرف الناس بذلك عن المعاهد والمدارس الأزهرية ، وهو ما مضى إلى تحقيقه فيما بعد .[3]

كمـــا عمـــل المبشرون على استغلال المبتعثين من المسلمين ، والذين ذهبوا إلى الغرب بغية التحصيل العـــلمي فاستقبلت الجمعيات التبشيرية بشكل أو بآخر هؤلاء الطلاب ، وعملت على تنصيرهم أو تغريبهم ليعودوا مسوخاً بدم عربي أو مسلم وحقيقة غربية أو نصرانية ، وعادة ما يعود هؤلاء ليكون لهم زمام القيادة والإدارة في قومهم .

يقـــول أحد دعاة التبشير : يجب أن نتذكر جيداً أن الطالب الذي يعود ليعمل كمبشر بين شعبه ، من

---

(١) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٦٦ – ٦٨ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ط١ ،مكتبة وهبة ، القاهرة ،١٤٠١هـــ ،ص ١٦٦ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحى ، ص ١١٧ ، ١٢٥ .

(٢) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٨٠ – ٨٢ ، ١٠٦ .

(٣) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحى ، ص ١٢٠ .

المحتمل أن يكون أفضل بكثير من أي أجنبي آخر " .[1]

وقد عقد المبشرون عدة مؤتمرات تبشيرية هدفت إلى متابعة النشاط التعليمي وغيره ، فقد كان التعليم موضوعاً لعدد من المؤتمرات التبشيرية منها مؤتمرات عقدت عام ١٩٢٤م في القدس وبرمانا (لبنان) وقسطنطين (الجزائر) وحلوان وبغداد .

وفي مؤتمر القدس ١٩٣٥م قرر المؤتمرون أن يستغل كل درس في سبيل تأويل مسيحي لفروع العلوم كتالتاريخ وعلم النبات .....[2]

ثانياً : المجال الصحي

وفي الربع الأخير من القرن الثالث عشر تنبه المستشرقون إلى وسيلة جديدة يطرقون من خلالها أبواب المجتمعات التي يودون تبشيرها ، فانطلقوا يحملون الدواء في كف والإنجيل في الأخرى مستغلين حاجة المجتمعات الفقيرة إلى الدواء والعلاج وعدم وجود رعاية صحية في هذه المناطق .

فقد افتتح البروتستنت في أندنوسيا حتى عام ١٩٧٤م ما مجموعه ٢١٤ مستشفى ، كما افتتح في الخليج العربي عدداً من المؤسسات الصحية من مستشفيات ومستوصفات ، فقد أسس عام ١٩٠٢ مستشفى البعثة الأمريكية في البحرين ، وافتتح آخر في الكويت عام ١٩٢٠م ثم في قطر عام ١٩٤٨م ، ثم أسست البعثة المتحدة الإنجيلية مستشفى في عام ١٩٦٠م في الإمارات ثم أسست الحملة العالمية للتبشير المسيحي مستوصفاً في الشارقة ، وآخرى في الفجيرة ، وفي عام ١٩٦٥م أسسوا مستشفاً في واحة البريمي يعمل فيه عشرون مبشراً .

وفي بلاد الشام بدأت البعثات الطبية منذ عام ١٨٧٥م وأنشأت عدداً من المستشفيات والمراكز الصحية .

وكذلك أنشأت الأرساليات السبع العاملة في مصر مراكز طبية في مختلف المدن المصرية .

واهتمام المبشرين بالرعاية الصحية - كما أسلفنا - لم يكن نابعاً من إنسانيتهم ، بل كان وسيلة لاستغلال أوجاع الناس وآلامهم بغية تنصيرهم .

ولقد جاءت تصريحات المبشرين واضحة في تقرير هذه المسألة ، فالمنصر زويمر يقول " إن جميع العاملين في ميدان التبشير متفقون على أن الطبيب القدير والجراح الماهر يحمل جوازاً يفتح الأبواب المغلقة ، ويغزو القلوب مهما كانت عنيدة " .

فأول الخطوات التي يقوم بها الأطباء المبشرون إقامة الجسور المفقودة وغرس محبة هؤلاء المبشرين في نفوس المرضى ، يقول ستورم : " لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى

---

(١) انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٧ .

(٢) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٧٩ ، ١٠٥ .

الصـــداقة وأداة لتحطيم المعارضة " . ويؤكد المبشرون أن الهدف من تقديم العلاج " تخفيف الآلام الجسمانية لتـــتمكن الـــنفس من إدراك القوى الكامنة في العقيدة عن طريق إزالة عقبة المريض ، وغرس روح الاعتراف بالجميل والعرفان للمعاملة التي قدمت إليه " . (١)

أمـــا الهـــدف البعيد الذي يصبو إليه المبشرون فهو تحويل المرضى وغيرهم إلى النصرانية ، يقول المبشر الطـــبيب بـــول هاريسون (١٩٤٣م) في كتابه " طبيب في بلاد العرب " : " إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشـــفى ولـــو بلغت منافع هذه المستشفى منطقة عمان بأسرها ، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالهـــا ونساءها نصارى " ، وتقول إيرا هاريس ناصحة الطبيب المبشر : " يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المســـلمين وقلوبهم ، فتكرز لهم بالإنجيل . إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات ، فإنه أثمـــن تـــلك الفرص على الإطلاق ، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه " . (٢)

وقد اكتنف نشاط المبشرين الطبي على صور سيئة ممجوجة ، فمن ذلك أن المبشرين في مستوصف بلدة الناصر بالسوادن كانوا لا يعالجون المريض إلا إذا اعترف بأن المسيح يشفيه ، وفي الحبشة كانت المعالجة تبدأ بعد أن يركع المريض ويسأل المسيح الشفاء ، كما كان من عادة الارساليات أن تعلن عن وصول طبيب قبل وصوله بعدة أيام لتقوم بتبشير المرضى وذويهم الذين يمكثون أياماً وهم ينتظرون ذلك الطبيب .(٣)

ثالثاً : الأنشطة الاجتماعية

وفي غزو المبشرين للمجتمعات الإسلامية لجأوا لاستغلال المناشط الاجتماعية ، وتمثل ذلك بأمور منها إقامـــة مـــلاجئ للأيتام والفقراء يمارس التبشير فيها بعيداً عن رقابة الأهل وسلطانهم ، وتغدق الهدايا في هذه الملاجئ على هؤلاء الفقراء .

وقـــد ساعد في الوصول إلى هذا الوضع الحركة الاستعمارية التي ساهمت في انتشار اليتم والفقر ، كما كانوا سبباً في عمليات التهجير الداخلي حيث يجبر المسلمون على مغادرة أوطانهم أو أقاليمهم ، فيهربون إلى كماشـــة التبشـــير والفقـــر حيث تقدم لهم المؤسسات الكنسية الرعاية والخدمة بغرض تقريبهم للنصرانية أو إدخالهم فيها ، أو حتى التشكيك في الإسلام ، وإثارة الشبهات عنه .

---

(١) انظر : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٠٨ ، الإسلام والتحدي التنصيري ، عمر بابكور ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) انظـــر : التبشـــير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٦٣ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومـــته ، ســـيد أحمد يحيى ، ص ١٨٣ ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ٢٧ ، الإسلام والتحدي التنصيري ، عمر بابكور ، ص ٢٩٧ .

(٣) انظـــر : التبشـــير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٦٢ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٨١ .

فقد بنى في أندنوسيا مثلاً ٢٩ داراً للأيتام وأنشأ عدد من الملاجئ في الجزائر يقول عنها دوغلاس :" إن هذه السبل (الملاجئ) لا تجعل الأطفال نصارى ، لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم " .

كما أخذ المبشرون بعض أبناء المسلمين للغرب حيث تبناهم بعض النصارى أو مؤسسات كنسية ، وتولوا تعليمهم وتربيتهم وفق المبادئ المسيحية ، يضاف إلى ذلك ابتعاث البعض للدراسة في أجواء مشحونة بكراهية الإسلام . (١)

والأنكى من ذلك ما نشرته الصحف عن أن نصارى لبنان باعوا ألفين من أطفال المسلمين إلى مؤسسات تنصيرية .(٢)

وغالب الصرف على هذه المناشط كان يتم بأموال الموسرين الأوربيين وهي - أو بعضها - نتاج جهد المستعمر في بلادنا المختلفة ، كما ثمة مصدر آخر هو المؤسسات الاقتصادية التي كانت تديرها الكنيسة وتتركز حول تجارات وفيرة وسريعة الربح مثل التجارة في الخمور والعقارات والسينما ، ويذكر إحسان حقي مصدراً آخر في رسالة بعث بها إلى مجلة (المسلمين) وفيها " وقد بلغ من تعسف المستعمرين في أفريقيا أنهم كانوا يستعينون بأموال المسلمين للعمل على تنصير المسلمين ، فكانوا يأخذون أموال الأوقاف الإسلامية ، ويتبرعون بها للكنائس ، لا بل لقد ارتكبت بعض الحكومات أفظع من ذلك ، إذ أنها كانت تنتزع من أموال الأوقاف مبالغ طائلة تدفعها للمسيحيين لإطعام حمام الكنائس ، بينما أهل البلاد يموتون جوعاً في الطرقات.،. لكنهم فشلوا في كسب أحد من أهل البلاد اللهم إلا من الوثنيين أو أطفال الفقراء من المسلمين الذين كانوا يأخذونهم أيام القحط والمجاعات ، فيربونهم وينشئونهم على المسيحية . وقد قدم امبرطور الحبشة منحة للمبشرين السويديين وهي عبارة عن ٢٥ ألف هكتار من أخصب الأراضي الزراعية التي اغتصبت من المسلمين في مقاطعة القراقي .(٣)

وقد اهتم المبشرون في هذا الحقل بقطاعين هامين من المجتمع المسلم وهما المرأة والشباب .

فقد شرعت المؤسسات التبشيرية في تنظيم مناشط محببة إلى الشباب ، فأسست في بلاد المسلمين عدداً من الجمعيات والمنظمات والنوادي ، ومن أهم المؤسسات النصرانية العاملة في هذا المجال منظمة الرجاء ، ومركزها شتورجات بألمانيا ، وبعثة الصداقة التي لها فروع في لبنان وهولندا وألمانيا وفرنسا ، ومركز الشبيبة النصراني ، ومركزه في ألمانيا .

وقد أكد مؤتمر القدس التبشيري (١٩٣٥م) على أهمية تأسيس منظمات الشبان المسيحيين والشابات

---

(١) انظر : غارة تبشيرية جديدة على أندنوسيا،أبو هلال الأندنوسي،ص ٨٨ - ٩٥ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٩٤ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ٩٠ ، ١٣٣ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) انظر : أحنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٠٥ .

(٣) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ٨٥ - ٨٦ ، غارة تبشيرية جديدة على أندنوسيا،أبو هلال الأندنوسي،ص ٩٥ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ٢٣ الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ط٢ ، الدار السعودية للنشر، جدة ،١٣٨٩هـ ،ص ٧٦ .

المسيحيات ، كما أكدوا على فعالية الاستفادة من الحركة الكشفية ومعسكراتها ، و لم ينقضِ ذلك العام حتى نظمت الحزمة المغربية - بالتعاون مع اللجنة التبشيرية - لشبان فرنسا مخيماً شارك فيه ستون من زعماء التبشير في فرنسا وسويسرا .

كما عقد آخر في جيبوتي في نفس العام اشترك في الإعداد له ستون مبشراً .

وفي عام ١٩٣٨م عقد مؤتمر للكشافين والمرشدات دارت برامجه حول " التوراة كلمة الله " .

كما نشرت المؤسسات الإجتماعية للكنيسة السينما في بلاد المسلمين ، وأرادت من ذلك نشر الخلاعة والرذيلة بينهم لإبعادهم عن دينهم ، وكثيراً ما كانت تعرض في مقديشو أفلام السينما في وقت صلاة المغرب وتستمر إلى ما بعد العشاء .[١]

وهذه النشاطات الاجتماعية المختلفة لون من ألوان التبشير يقول عنها كتاب " مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين " : " نحن نعنى بالعمل الاجتماعي المسيحي تطبيق مبادئ يسوع المسيح في جميع الصلات الإنسانية ... فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتممه ، فلنبدأ بالصلات اليومية التي تتصل بالطفل والمرأة ، ثم فتوسع في تلك الصلات حتى نبلغ إلى المبادئ الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم " وأكد المؤتمر أن " مما يجب أن يهتم به المبشرون : إصلاح الأحداث - الحيلولة دون الزواج المبكر - الحيلوة دون تشغيل الأطفال - محاولة إصلاح الأحوال العامة للعمال فيما يتعلق بساعات العمل وبالأمور الصحية في المعامل ، وبالأجور - الرفق بالحيوان " .[٢]

والقطاع الثاني الذي اهتم به المبشرون هو المرأة حيث أكد مؤتمر القاهرة على أهمية تبشير المرأة ، وأصدر سبع توصيات بشأنها في عام ١٩٠٦م، وفي مؤتمر قسطنطينة دعا المؤتمرون لوسيلة جديدة في تبشير النساء ذوات الحاجة ، وخص منهن المطلقة والأرملة الصغيرة ، فأوصى ببناء مساكن كبيرة يسكن فيها هؤلاء النسوة ، وقال المؤتمر " نرى أن أمثال هؤلاء النسوة يقعن أثناء مكثهن في هذه البيوت تحت تأثير الإنجيل ، ثم إننا نختار منهن أولئك اللواتي يرجى أن ينصرن أكثر من سواهن ، ليكن بدورهن مبشرات بين قومهن " .[٣]

رابعاً : الأنشطة الإعلامية

واهتم المبشرون باستخدام الوسائل الاعلامية المختلفة في نشر ما يسمونه " رسالة الإنجيل " وتركز اهتمامهم على نشر الكتاب المقدس وتوزيعه بين المسلمين ، ويذكر محررو مجلة " تايم " أنه في منتصف القرن العشرين جرت حملة تبرعات تهدف إلى إعادة طبع الكتاب المقدس بعد نفاذ نسخه في أندنوسيا بسبب تنصر

---

(١) انظر : أحنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٠٦ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٢١٢ - ٢١٥ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١٣٤، ١٣٥ - ١٣٨ .

(٢) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) انظر : أحنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٧٢ .

٢٥٠٠٠٠ كما زعمت المجلة .

وفي هذا الصدد نشطت الكنائس في توزيع الكتاب المقدس وبعض الكتب والمنشورات التي تتعلق به ، وأسسوا مكتبات تتولى تسهيل وصولها إلى الجمهور بالبيع أو الإهداء ، فمن ذلك أن رجل الأعمال الإيطالي بويرو افتتح مكتبة في مقديشو توزع فيها الكثير من الكتب النصرانية مجاناً .

وفي البحرين أنشأ المنصرون مكتبة " العائلة " وتصل مبيعاتها السنوية إلى $\frac{1}{2}$ مليون دولار ، ومكتبة أخرى في عُمان تصل مبيعاتها لمليون دولار سنوياً كما افتتحوا مكتبة في كل من قطر وأبو ظبي ودبي .

وربما أصدرت المؤسسات الإعلامية التبشيرية بعض النشرات باسم متنصرين تقرباً إلى المواطنين واستمالة لهم .[١]

كما أنشأ المنصرون عدداً من الصحف والمجلات مثل صحيفة " الفارو " في الصومال ومجلة " النور " الشهرية والمجانية التي تصدر في مقديشو . وأصدروا في القاهرة صحيفتي " بشائر السلام " و " الشرق والغرب" .

وقد اتخذ البروتستنت من القاهرة مركزاً لهم للطباعة والتزيع والنشر في المنطقة فيما اتخذ الكاثوليك من بيروت قاعدة لهم ، وأنشأوا فيها المطبعة الكاثوليكية عام ١٨٧١م .[٢]

وقد أصدر المبشرون عدداً من الكتب التي تنال من الإسلام وعقائده منها " ميزان الحق " للقس فندر ، " والهداية " لجمعية المرسلين الأمريكية بالقاهرة و " تنوير الأفهام في مصادر الإسلام " و " الباكورة الشهية في الروايات الدينية " و " أصول الإيمان " و " دعوة الحق " و " منار الحق " الذي طبع ثمان عشرة طبعة ويوزع بالمجان حالياً من النمسا و " الصليب في الإنجيل والقرآن " وكتب اسكندر جديد كتابيه : " الإنجيل في القرآن " و " القرآن في الإنجيل "وكتب الأنبا ايسيد روح "الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة" ، وكتب غيره"المسيحية في الإسلام" و"التثليث في القرآن".[٣]

وأنشأ المنصرون أيضاً عدداً من الإذاعات تبث بلغات مختلفة برامج تبشيرية منها إذاعة مونت كارلو – وإذاعة صوت الغفران – وإذاعة مركز النهضة من قبرص – وإذاعة منظمة الشبيبة العالمي والتي تبث من قبرص إلى إفريقيا بلغات متعددة – وإذاعة فيبا بجمهورية السيشل في المحيط الهندي – وإذاعة صوت الإنجيل في الحبشة .[٤]

---

(١) انظر : التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي ، أحمد فون دنفر ،ص ٦ – ٧ ، ٢٧ – ٣٠ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١٣٣ – ١٣٥ ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ٣٤ – ٣٥ .

(٢) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١٣٥ ، تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٧٨ .

(٣) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٠٨ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ٢٨.

(٤) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٠٥ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ٥٩ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ١١٥ .

كمـــا حرص المبشرون على غرس كنائس النصرانية في كل مكان تطؤه أرجلهم ، ولو لم يكن فيه من النصـــارى ســـواهم ، وحرصـــوا على دعوة الناس لزيارة هذه الكنائس ، وقد تعددت هذه الكنائس لتعدد المذاهـــب النصـــرانية ، حيث كانت هذه المذاهب تتسابق وتتنافس في بناء الكنائس ، كما تتنافس في دعوة الزوار لها .

وقـــد أنشـــأت البعثات الكنسية في البحرين مثلاً ٥ كنائس، و٣ كنائس في كل من عُمان والكويت وقطر فيما بلغ عدد كنائس البروتستنت في أندنوسيا ٢٦١ كنيسة [١].

(١) التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي ، أحمد فون دنفر ،ص ١٧-٣٠ .

المبحث الثاني : الاستعمار

الاســـتعمار لفظه محدثة مشتقة من عَمَر ، واستعمره في المكان أي جعله يعمره ، ومنه قوله ﴿ هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها ﴾ [1]

فالأصـــل الـــلغوي يفيد معنى طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران ، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي .

ويعرف الشهابي وحبنكة الاستعمار موافقين لما جاء في المعجم الوسيط بأنه استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار مرافقه المختلفة .[2]

وهـــذا التعريف يشمل أنواع مختلفة من الاستعمار لاتختلف عن بعضها إلا بالأسماء وبعض الأشكال ، فمـــن أشكال الاستعمار أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها من حريتها بقدر ما يتناسب مع قوة هذه الدولة وضعف تلك ، وفي الأغلب يكون للدولة المحمية شبه سيادة داخلية يمارسها حكام وطنيون تديـــرهم الدولة المستعمرة من خلف ستار ، ومن أمثلة هذا الشكل للاستعمار ما فعلته فرنسا في تونس حيث وقعـــتا معـــا معاهدة حماية في ١٨٨١/٥/١٢م ، ثم جددت في ١٨٨٣/٦/٨م ، وبموجب بنود هذه الحماية فقـــدت تونـــس سيادتها الخارجية وحقها في التمثيل الدبلوماسي المستقل ، كما سلبت حق إبرام المعاهدات الخارجية ، وعينت فرنسا آلاف الموظفين يرعون مصالحها يرأسهم المقيم العام .

وما حصل في تونس كررته فرنسا في مراكش بموجب معاهدة ١٩١٢/٣/٣٠م وفعله الإنجليز في مصر خلال احتلالهم لها بين عام ١٩١٤ - ١٩٢٢م . [3]

وبعـــد الحـــرب العالمية الأولى ظهر شكل جديد من أشكال الاستعمار أقرته عصبة الأمم المتحدة التي تكونـــت حيـــنذاك كمـــنظمة أممية لنشر السلام ومنع الحروب ، فقد كرست عصبة الأمم نوعاً جديداً من الاســـتعمار وهـــو الانتداب حيث ورد إجازته في المادة ٢٢ لميثاق عصبة الأمم التي اعتبرته طريقة للنهوض بالشـــعوب القاصـــرة والأخذ بيد هذه الأمم لتكون قادرة على تسيير أمورها ، لكنه في الحقيقة كان مظهراً للاستعمار ووسيلة لامتصاص خيرات الشعوب .[4]

وفـــيما عـــدا هذين الوجهين أسفر الاستعمار عن وجهه الكالح ، فأعلن عن ضمه لبعض الدول إلى مستعمراته كما فعلت فرنسا بالجزائر .

---

(١) سورة هود ، آية : ٦١ .

(٢) انظر : المعجم الوسيط ، ٦٢٧/٢ ، أحنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٥١ ، محاضرات في الاستعمار ، مصطفى الشهابي ، ص ٢٣ .

(٣) انظر : محاضرات في الاستعمار ، مصطفى الشهابي ، ص ١٥ - ٢٠ .

(٤) انظر : محاضرات في الاستعمار ، مصطفى الشهابي ، ص ٢٠ - ٢١ .

وقـــد بـــدأ الأستعمار الغربي للعالم مع بداية عصور النهضة في أوربا حيث استفاقت أوربا على طبول الإصلاح الديني والسياسي في القرن الخامس و السادس عشر .

ومـــنذ أفـــاقت أوربا بدأت تحركها للإطباق على العالم الإسلامي ، فانتشرت المراكب الاستكشافية تجوب البحار بحثاً عن تحقيق أهداف الاستعمار المختلفة الدينية والسياسية والاقتصادية .

وفي عـــام ١٤٩٩م توصـــل فاســـكودي جاما إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، فوصل البرتغاليون إلى الشواطئ الهندية بعيداً عن المرور في الأراضي الواقعة في سلطة الخلافة العثمانية .

وشـــرع الـــبرتغاليون يؤسسون مستعمرات ومراكز تجارية في أماكن مختلفة من السواحل التي وصلوا إليها ، و لم يكد النصف الأول من القرن السادس عشر ينقضي حتى كان البرتغاليون قد أحكموا السيطرة على شواطئ شرق أفريقيا وغربها إضافة إلى شواطئ الخليج وفارس والهند . (١)

وفي عـــام ١٦٠٠م أنشـــئت بـــريطانيا أول جهـــاز استعماري لها تحت مسمى شركة الهند الشرقية البريطانية ، ومثله صنعت فرنسا عام ١٦٦٤م فأنشئت ما أسمته بشركة الهند الشرقية الفرنسية ، وبدأ الصراع والتـــنافس بـــين الدولـــتين ، وانتهى بانتصار الإنجليز عام ١٧٧٥م (١١٧١هـــ) وخروج فرنسا من الهند والصين .

وفي عام ١٧٩٨ (١٢١٣هـــ) وصل نابليون يقود الحملة الفرنسية على مصر ثم حاول السيطرة على بـــلاد الشـــام ، فغادر وهو يحمل أدراج الخيبة لكثر من قتل من جنوده هناك ، ثم ما لبث أن عاد إلى فرنسا ولحقته جيوشه عام ١٨٠١م .

وفي عام ١٨٢٧م أعلن الملك شارل العاشر اعتزام فرنسا إنشاء مستعمرة ذات شأن في شمال أفريقيا ، وزحفت الجيوش الفرنسية لاحتلال الجزائر عام ١٨٣٠م ، واستتب الوضع لهم عام ١٨٥٧م وهو نفس العام الذي قضت فيه بريطانيا على الإمارة الإسلامية المنغولية في الهند، وقد ألحقت فرنسا الجزائر بها عام ١٨٨١ م ، وهـــي نفـــس السنة التي أعلنت فرنسا وضعها تونس تحت الحماية الفرنسية بموجب ميثاق باردو، ثم السنغال ومدغشقر عام ١٨٨٢م ، في عام ١٨٨٧م (١٢٩٥هـــ) وقع مؤتمر برلين لاقتسام مواقع النفوذ في الوطن العربي . وتوالى بعد ذلك سقوط البلاد العربية والاسلامية في قبضة الاستعمار .

فسيطر الفرنسيون على المغرب سنة ١٩١٢م ، وعلى سورية سنة ١٩٢٠م .

وأما الإيطاليون فاحتلوا الصومال وأريتريا عام ١٨٨٧م ، وزحفت إيطاليا لاحتلال الساحل الليبي عام ١٩١٤م ، وأكملت الاحتلال عام ١٩١٤م .

فـــيما احتلت انجلترا مصر ووضعتها تحت الحماية عام ١٨٨٢م ، وكانت قد احتلت بلاد البنغال عام ١٧٥٧م ، والبـــنجاب عام ١٨٤٩م ، ثم احتلت نيجيريا عام ١٨٥١م . وفي عام ١٨٩٨م احتلت بريطانيا

---

(١) انظـــر : أجـــنحة المكـــر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٦٥ - ١٦٧ ،الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ، محمد البهي ،ط٤ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،١٣٨٤هـــ،٢٩ — ٣٠ .

السودان ثم العراق ١٩١٩م ، ثم الأردن عام ١٩٢٠م .

وفي المشـــرق الإســـلامي انقـــض الروس الأرثوذوكس على بلاد المسلمين فأخذوا ما يحاذيهم منها ، وضموه إلى بلادهم ، ففي ١٦٧٠م دخل الروس بلاد الأورال ، وأحكموا السيطرة على مسلميها ، وفي عام ١٨٥٩م ضـــمت روســـيا طشـــقند ، ثم القوقاز عام ١٨٦٤م ، ثم بخارى عام ١٨٨٢م ، فيما دخلت بلاد التركستان تحت سيطرة الروس عام ١٨٨٤م . (١)

وقد استمرت السيطرة الروسية على بعض هذه البلاد إلى يومنا هذا فيما نجت بلاد أخرى ، وشكلت حكومات مستقلة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠م .

فـــيما تحـــررت البلاد الإسلامية جملة من الاستعمار الفرنسي والإنجليزي والإيطالي (العسكري) في أواسط القرن العشرين .

دوافع الاستعمار الأوربي

نســـتطيع القول بأن ميل البشر إلى الصراع والطموح إلى الأفضل جبِلّة بشرية جاءت النبوات لتهذيبها وجعلها عبادة يراد منها إقامة دين الله وإزالة الطغيان .

وعليه فالسيطرة من القوي على الضعيف ليس بجديد ، و لم يكن الأوربيون أول من مارسه ، وإن كان للـــتوقيت والمكان الذي انطلقوا إليه مرامي ينبغي أن لاتغيب عن أذهاننا كما لاينبغي أن يفوتنا بعض أسباب القسوة والهمجية التي تميز بها الاستعمار الأوربي .

فقســـوة الأوربي في المســـتعمرات التي بسط سلطانه عليها - كما يرى الغزالي - منسجم مع قسوة الغربيين وجلافتهم وقرب عهدهم بالهمجية والتخلف .

وتـــزيد هـــذه الوحشية ضراوة عند النصارى عن غيرهم بسبب ما تحدثه عقيدة الفداء من آثار سلبية إذ هـــي تمـــنح النصـــراني اعتقاداً بنجاته على الرغم مما يحدثه من ذنوب وفظائع ، إذ يكفيه الإيمان بالمسيح ليـــنجوا ، أو يكفيـــه أن يحصل على صك غفران من أحد آباء الكنيسة ليدخل في ملكوت الله ، وعليه فهو لايبالي بالوحشية والقسوة التي يتعامل بها مع الشعوب المستضعفة .

وينبه الغزالي إلى أن ثمة أمراً مهماً يحتم على النصارى الاتجاه إلى الاستعمار وهو فقد النصرانية لوسائل الإقناع وعجز رجال الكنيسة عن شرح العقائد النصرانية في ضوء المعطيات العقلية .

---

(١) انظـــر : التبشـــير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٤٨ ، رسالة الطريق إلى ثقافتنا ، محمـــود شـــاكر ، دار المدني ، جدة ، مكتبة الخانجي ،مصر ،١٤٠٧هـــ ،ص ٩٣ — ٩٤ ، ١٠٥ — ١٠٨ ، ملامح عن النشـــاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٦٠ - ١٦١ ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبـــنكة الميداني ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والإجتماعي والثقافي ، أنور الجندي ط١ ، دار المعرفة ، ١٩٧٠م ، ٤١٦ - ٤١٧ .

فـــإذا أراد النصـــارى بعد ذلك نشر النصرانية لم يجدوا سوى السيف بديلاً يستجيب الناس من خلاله لمنطق القوة الغالبة ، فكان الاستعمار حلاً ناجعاً لقصور العقائد والعبادات النصرانية .[1]

وبدراسة الحملة الفرنسية وتحليل تاريخها يتوصل محمود شاكر إلى أمر هام مفاده أن الاستعمار يتحرك باتجـــاه البلاد الإسلامية ليس طمعاً في ثرواتها فحسب ، وليس بهدف تبشيرها فقط ، بل إنه يقرأ مسيرة الأمة الإسلامية من خلال الدراسات الاستشراقية الغربية ، فإذا ما وجد محاولة جادة للنهوض بهذه الأمة من كبوتها تحرك لوأد هذا المولود قبل أن يكبر ويعيد ما كان قبل قرون .

وحملة نابليون على مصر أحد الأحداث الهامة التي يرى بعض المستغربين من أبناء المسلمين أنها كانت انطلاقـــة نحـــو النهضة ، ولذا رأينا قبل شهور احتفالات هؤلاء بذكرى مرور مائتي سنة على دخول نابليون مصر.

وفي بيـــان حقيقـــة ما صنعه نابليون – وهو نموذج استعماري تكرر بشكل أو بآخر – يذكر محمود شـــاكر أن نهضة مصر إسلامية بدأت تعم عدداً من الأقطار الإسلامية وذلك في مطلع القرن الحادي عشر ، ومـــن رواد هـــذه النهضة عبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـــ) صاحب " خزانة الأدب " وحسن الجبرتي (الجـــبرتي الكبير) (ت ١١٨٨هـــ) وكلاهما كان في مصر ، ومحمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـــ) في الجزيرة العربية ، والمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـــ) صاحب " تاج العروس " في الهند ومصر ، ومحمد على الشوكاني (ت ١٢٥٠هـــ) في اليمن .

فقد كان كل واحد من هؤلاء في موطنه معلماً من معالم النهضة الجديدة ، فالجبرتي يقول ابنه الجبرتي (الصغير) في تاريخه وحضر إليه طلاب من الإفرنج ، وقرأوا عليه علم الهندسة .... وأهدوا إليه من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة ، وذهبوا إلى بلادهم ، ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت .... "

وهـــذه النهضـــة وإن كـــانت متباعدة الديار فإنها كما يصف محمود شاكر " قريبة التواصل وشيكة الالتئام".

وأرســـلت نذر الاستشراق في بلاد المسلمين إلى أوربا مطالبة إياها بالتحرك قبل فوات الوقت ، وكان مـــن هذه الدعوات دعوة الكونت سان بريست سفير فرنسا في الأستانة ١٧٦٨ – ١٧٧٨م ، والبارون دي تـــوت الـــذي عاد من تركيا سنة ١٧٧٦م ناصحاً باحتلال مصر ، ومنهم التاجر مجالون الذي أقام في مصر ثلاثـــين سنة ، ثم عاد إلى فرنسا عام ١٧٩٧م ، ثم سرعان ما عاد في ركاب حملة نابليون بعد أن قدم تقريراً ينصح فيه بغزو مصر ، لكن هذه الدعوى المتكررة والملحة التي صدرت عن القناصل والتجار المبشرين لم تجد – في بادئ الأمر – صدىً عند ساسة أوربا ، وحين قامت الثورة الفرنسية أصاخ نابليون إلى نذر الاستشراق الذيـــن دعـــوه للقدوم إلى مصر بحجة قمع المماليك الذين أشاعوا مظالم استوجبت غضب العلماء والعامة ، وكان بعض علماء الأزهر قد أطفئوا فتنة على المماليك أثارها العامة ، فاستتابهم بعض علماء الأزهر من ذلك ، لكنهم سرعان ما عادوا إلى ظلمهم وفسادهم . فحضر ومعه المستشرق الذي قضي في بلاد المسلمين أربعين

---

(١) انظر : الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٦ .

سـنة (كليبر) إلى مصر عام ١٧٩٨م فعاث في مصر الفساد ، وتصدى له العلماء وتلاميذهم فأحدث فيهم القـتل ، وحكى الجبرتي في تاريخه أنه في كل يوم كان يقتل خمسة أو ستة من الثائرين على فرنسا ، ويطاف برؤسـهم في شـوارع القاهرة . وهؤلاء كما يؤكد محمود شاكر هم ورثة حركة النهضة من تلاميذ الجبرتي والزبيدي .

وقـد أصـاخ الفرنسيون مرة أخرى إلى جيش الاستشراق الذي رافقهم ، فادعى قائد الحملة - بعد رحيـل نابليون ومقتل كليبر - القائد مينو الإسلام في عام ١٨٠٠م (١٢١٥هـ) وتزوج ابنة أحد أعيان رشيد .

وسرعان ما اضطرت فرنسا تحت الضغط الشعبي للثورة العارمة التي يقودها علماء الأزهر ، أن يخرجوا في عام ١٨٠١م وهم يحملون أنفس كتب المسلمين ، يقول الجبرتي بعد أن عدد أسماء لكتب تاريخ كانت في القاهـرة : " هذه أسماء من غير مسميات ، فإنا لم نر من ذلك كله إلا بعض أجزاء مدشتة بقيت في خزائن الأوقـاف بـالمدارس مـع تداولـته أيدي الصحافين ، وباعها القومة والمباشرون ، ونقلت إلى بلاد المغرب والسودان، ثم ذهبت بقايا البقايا في الفتن والحروب ، وأخذ الفرنسيون ما وجدوه إلى بلادهم .

وأسـلم العـلماء المنتصرون قيادة مصر إلى ضابط تركي هو محمد علي ششمة ، فغدر بالعلماء ونفى بعضـهم وتقرب إليه قناصل الاستعمار ، وأصبحوا بطانته وخاصته ، فأكملوا بسيفه وخيانته ما عجزت عنه حمـلة فرنسـا ، فأغـروه بالبعثات العلمية إلى فرنسا ، فكان رفاعة الطهطاوي أحد أفراد أول بعثه مصرية استقبلها المستشرق جومار في فرنسا عام ١٨٢٦م ، وصاغها هو وأعوانه من المستشرقين وفق خطتهم لتدمير النهضة الإسلامية .

ثم طلـبوا إلى محمـد عـلي أن يسير بجيوشه للفتك بدعوة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ، فسارت جيوشه تحارب الدعوة الإصلاحية لمدة ثمانية أعوام (١٢٢٦ - ١٢٣٥هـ) (١٨١١ - ١٨١٩م) وفي ذلك كله ما شغل النهضة الإسلامية عن التكامل والتواصل ، وشغلها أيضاً عن مواصلة حركتها العلمية بحمل السلاح والدفاع عن الحرمات والأوطان ، وهكذا اتسع الفارق بين الغرب والمسلمين من جديد .[1]

فمن هذه الدراسة الواعية لمحمود شاكر نرى بوضوح تجربة من تجارب الاستعمار ، وأنموذجاً من الكيد الاستعماري الذي استمر طوال قرنين من الزمان .

---

(١) انظر : تاريخ عجائب الآثار ، الجبرتي ١/١١ ، ٢/١٩٦ - ٢١٢ ، رسالة الطريق إلى ثقافتنا ، محمود شاكر ، ص ٩٢ - ١٤٥ .

أعمال الاستعمار

وخـــلال تـــاريخ الحركة الاستعمارية الغربية للعالم الإسلامي وبقية المستعمرات أظهر المستعمر الغربي صوراً قاتمة كالحة ملؤها الظلم والقهر والاستغلال .

فعـــلى الصعيد الإنساني ارتكب المستعمرون مجازر بحق الشعوب التي قامت تدافع عن دينها وخيراتها ، فقـــد بـــلغت أعداد قتلى المسلمين في الهند حتى عام ١٨٨٠م مليون مسلم سقطوا على يد الإنجليز ، ومثله كـــانت الجزائر بلد المليون شهيد . وكان البرتغاليون قد أحدثوا مجازر عند سيطرتهم على الشواطئ الهندية ، ويسجل القائد البرتغالي البوكيرك بفخر بعضاً منه وهو يخاطب ملك البرتغال مهنئاً إياه بالسيطرة على مقاطعة جـــوا الهندية فيقول : " وبعد ذلك أحرقت المدينة ، وأعملت السيف في كل الرقاب ، وأخذت دماء الناس تـــراق أياماً عدة .... وحيثما وجدنا المسلمين لم نوقر معهم نفساً ، فكنا نملأ بهم مساجدهم ، ونشعل فيها الـــنار ، حـــتى أحصينا ستة آلاف روح هلكت ، وقد كان ذلك يا سيدي عملاً عظيماً رائعاً أجدنا بدايته وأحسنا نهايته " .

وفي مدغشـــقر قتلت القوات الفرنسية ثمانين ألف في ضربة واحدة للثائرين من سكان الجزيرة ، فيما أعمـــل الإنجـــليز القتل في قبائل ماو ماو الأفريقية ، ثم ادعوا أن وحوشاً مفترسة ظهرت في المنطقة وتخطفت الآلاف إلى مصارعهم .

وفي الجزائر يقول الجنرال الفرنسي شان : " إن رجاله وجدوا التسلية في جز رقاب المواطنين من رجال القبائل الثائرة في بلدتي الحواش وبورقيبه " .

ويخط الماريشال سانت أرنو إلى زوجته بعض ما صنعه وجنوده في الجزائر فيقول : " إن بلاد بني منصر بديعة ، وهي من أجمل ما رأيت في أفريقيا ، فقُراها متقاربة ، وأهلها متحابون ، لقد أحرقنا فيها كل شيء ، ودمـــرنا كل شيء ... أكتب إليك يحيط بي أفق من النيران والدخان ، لقد تركتني عند قبيلة البزار فأحرقتهم جميعاً ، ونشرت حولهم الخراب ، وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشيء نفسه ولكن على نطاق أوسع " .

ويقـــول مونـــتياك في كتابه " رسائل جندي " وهو يصف إحدى المذابح التي حضرها : " لقد كانت مذبحـــة شنيعة حقاً ، كانت المساكن والخيام في الميادين والشوارع والأفنية التي انتشرت عليها الجثث في كل مكان ، وقد أحصينا في جو هادئ بعد الاستيلاء على المدينة عدد القتلى من النساء والأطفال فألفيناهم ألفين وثلاثمائة ، وأما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر لسبب هو أننا لم نترك جرحاهم على قيد الحياة " .

وقد بلغ عدد القتلى في مدينة سطيف في مايو ١٩٤٥م ما يقرب الأربعين ألفاً .

ويشنع الكونت هيريسيون على هذه القبائح التي لا مبرر لها فيقول : " فظائع لا مثيل لها ، أوامر الشنق تصـــدر مـــن نفوس كالصخر يقوم بتنفيذها جلادون قلوبهم كالحجر ... في أناس مساكين جُلُّ ذنبهم أنهم لايستطيعون إرشادنا إلى ما نطلب إليهم أن يرشدونا إليه " .

وقد تفنن المستعمرون في طرق إبادة هذه الشعوب ، ومما أبدعوه في هذا الباب طريقة يسمونها "جهنم"

حيث يتبع الجنود الهاربين من النساء والأطفال والرجال إلى الكهوف فيشعلون عند باب الكهف ناراً عظيمة ، فيموت من بداخله حرقاً أو خنقاً " . [1]

ومـــن الناحية الدينية فقد عمل الاستعمار والتبشير في بلاد المسلمين جنباً إلى جنب - كما سيتبين لنا تفصيله - وقد بدأ المبشرون بالتحول عن تنصير الفرق النصرانية المخالفة إلى تنصير المسلمين مع خروج الدول الإسلامية عن سيطرة الخلافة العثمانية ووقوعها في براثن الاستعمار .

وقـــد كـــان محاربة الإسلام هدفاً أصيلاً للمستعمر ، ومن صوره ما ذكره الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانســـيس جانسون فقالا : " لعل العبث بالدين الإسلامي كان هو المجال المفضل لدى القائد الفرنسي في (الجزائر) روفيجو ، فقد وقف هذا القائد الفاجر ، ونادى في قومه : إنه يلزمه أجمل مسجد في المدينة ليجعل مـــنه معبداً لإله المسيحيين ، وطلب إلى أعوانه إعداد ذلك في أقصر وقت ممكن " ثم أشار إلى جامع القشاوة فحولوه إلى كنيسة بعد شلالات من الدم ، وسمي " كادرائية الجزائر " . [2]

ومـــن أعمال المستعمر أيضاً إيجاده للفرق الإسلامية الضالة ورعايته لها ، فالقاديانية والبهائية نشأتا في ظل الاستعمار ولتحقيق أهدافه ، فقد نشأت القاديانية في الهند إبان الاستعمار الإنجليزي ١٩٠١م ، وكان من أهم دعاوى غلام القادياني المتنبئ الكذاب أن زعم بوجوب موالاة الإنجليز وتحريم قتالهم وإبطال الجهاد بعد أن كـــانت حركة ابن عرفان الشهيد قد أقضت مضاجعهم عام ١٨٤٢م ، فكتب غلام قاديان في مقدمة كتابه " تـــرياق القلوب " يقول : " لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها ، وقد ألفت في مـــنع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة "

ولمـــا أراد أحمد خان بهادر (من الهند) أن يتقرب إلى المستعمرين الإنجليز كتب في عام ١٨٦٢م كتاباً تحدث فيه عن أصالة الكتب المقدسة عند النصارى وعدم تحريفها ، ثم نادى بالإلحاد ، وكتب تفسيراً للقرآن ملأه بالتحريف والتخريف ، ثم بنى مدرسة سماها مدرسة المحمديين تغريراً بالمسلمين .

وظهـــرت البهائية في حين سيطرة الروس على شمال إيران ، ولما قتل الباب عام ١٢٦٦هـــ ، ظهرت البهائية على يد تلميذ الباب ،وما تزال إلى هذا اليوم برعاية دولة إسرائيل،ولها مركز في مدينة حيفا المحتلة .[3]

كما قد رعى الاستعمار الأقليات الخارجة عن الإسلام ، فتولى الإنجليز حماية الدروز وتعليمهم ومدهم بالسلاح في سورية ولبنان ، وكان لهم وللفرنسيين الدور الأكبر في إثارة الفتنة التي اجتاحت لبنان بين عامي ١٨٤٠ - ١٨٦٠م ، وقـــد اســـتثمرت دول النصارى هذه الفتنة فتدخلت فرنسا لحماية الموارنة فيما يذكر

---

(١) انظـــر : أجـــنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٧٥ ، الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٤ ، ٤٦ - ٤٩ ، ٥٦ ، ٣٠٢ .

(٢) انظر : الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٧ .

(٣) انظـــر : أجـــنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٢٧٣ - ٢٨٠ ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ، محمد البهي ٤١ - ٤٢ ، ٤٩ ، ٦٣ - ٦٥ .

المبشر هنري هاريس أنه بسبب هذه الفتنة أمكن جمع الإعانات للتبشير في لبنان ومد يد العون للنصارى فيه .

وعـــلى هذا المنوال نسج المستعمرون في كل بلد نزلوا فيه ، فاثاروا الفتن الداخلية والدعوات الشعوبية أو القبلية أو المذهبية بغية تمزيق الأمة وإضعاف وحدة الشعوب المغلوبة لتحقيق أكبر المكاسب الممكنة .[1]

وفي سورية سمح الفرنسيون للنصيريين بتأسيس دولة في جبال العلويين ، واستمرت بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٣٦م . ولدى خروج المستعمر من بلاد المسلمين سلم مقاليد الأمور إلى أصحاب الولاءات المختلفة ، ففي الهند التي حكمها المسلمون عشرة قرون ، وعملوا سنين طويلة على طرد المستعمر وبذلوا في ذلك الغالي ، ولمـــا تحقق الاستقلال عام ١٩٤٧م أسلم الإنجليز مقاليد السياسة والجيش والتعليم إلى الهندوس ليبدأ هؤلاء في إذلال وتجهيـــل المسلمين . وفي عام ١٩٤٨ أعطى الإنجليز أرض فلسطين للعصابات اليهودية لتؤسس ما يسمى اليوم بدولة إسرائيل فيما ألحقت جزيرة زنجبار المسلمة بدولة تنـــزانيا النصرانية .

وقريـــباً مـــن هذا المكر ضاعت جهود المسلمين في سائر الحركات الجهادية التي قامت في بلاد العرب تحـــارب المستعمر ، فحين القطاف تسلم الوطنيون والاشتراكيون وغيرهم من المستعمر ثمرات جهاد المسلمين ونتاج بطولاتهم .[2]

كما قد حرص المستعمرون على إفساد الحياة الدينية والاجتماعية للمسلمين وهو ما عبر عنه نابليون في رســـالته إلى نائبه في مصر كليبر حيث يقول :" كنت قد طلبت مراراً جوقة تمثيلية ، وسأهتم اهتماماً خاصاً بإرســـالها لك ، لأنها ضرورية للجيش ، وللبدء في تغيير تقاليد البلاد " ، كما طلب إليه في نفس الرسالة أن يجمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخص من المماليك أو العمد أو المشايخ وأن يرسلهم إلى فرنسا " يحجزون لمدة سنة أو سنتين يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا ، ولما يعودون إلى مصر يكون لنا فيهم حزب يضم إليه غيرهم " .[3]

ولمـــا دخل الفرنسيون لبنان فتحوا خمسين حانة لشرب الخمر وعدداً كبيراً من بيوت الدعارة ، ففشى السكر والدعارة إلى حد لم يكن معهوداً من قبل .[4]

كما عمل المستعمرون في البلاد التي احتلوها على القضاء على اللغات الوطنية ، وخصوا العربية بمزيد مـــن حـــربهم ، فقـــد فرضت فرنسا اللغة الفرنسية في مستعمراتها خاصة الجزائر ، فيما شجعت إنجلترا اللغة الإنجليزية في جنوب السودان على حساب العربية .

---

(١) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٤٠ - ١٤٣ ، التبشير والاستشراق ، محمـــد عزت الطهطاوي ، ط١ ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٤١١هـــ ،ص ٨٦ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٤ - ١٧٧ .

(٢) انظر : أحنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٧٥ - ١٧٩ ، الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٣) انظر : رسالة الطريق إلى ثقافتنا ، محمود شاكر ، ص ١٠٩ .

(٤) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٩٩ .

وأمـــا الـــناحية الاقتصـــادية فقد انطلقت الدولة الاستعمارية في نهب واستغلال خيرات وأبناء البلاد المستعمر ، ففرضت على السكان الضرائب الباهظة ، وسلبتهم أراضيهم ومحاصيلهم الزراعية بثمن بخس وفي أحيان كثيرة بلا ثمن ، ففي الجزائر مثلاً أظهرت إحصائية ١٩٥٠م أن الأغلبية الساحقة من الفلاحين المسلمين لا يمـــلكون أرضاً كافية لتأمين قوتهم بسبب ما صودر من تلك الأراضي . وفي السنغال استولت الشركات الاســـتعمارية على مليوني هكتار من الغابات ، ومثله الكثير ..... فيما سيطر المستعمرون على مليوني هكتار من الغابات في أفريقيا السوداء . [١]

وفي مصـــر فـــرض نابـــليون وجـــلادوه الضرائب في مصر ، وينقل الجبرتي في تاريخه صوراً لما صنعه الفرنسيون فيقول : " دخل الافرنج (الفرنسيون) المدينة كالسيل ، ومروا في الأزقة والشوارع لايجدون لهم ممانع ، كأنهم الشياطين أو جند إبليس ، وهدموا ما وجدوه من المتاريس ... ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول ، وتفوقوا (أي قاءوا) بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته، وعـــاثوا بالأروقـــة والحارات ، وكسروا القناديل والسهّارات ، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهـــبوا مـــا وجدوه من المتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها .

وأحدثوا فيه وتغوطوا ، وبالوا وتمخطوا ، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه " . [٢]

وفـــرض نابليون الضرائب على المصريين فكان لكل شيء ضريبة ، فعلى المولود ضريبة ، وعلى الميت ضريبة ، وكل ما كان بينهما من معاملات رسمية عليها ضرائب .

كمـــا تحدث الجبرتي عن سرقة أموال المماليك ونهب قصورهم وبيع الأمان لمن بقي من نسائهم بأعلى الأثمـــان ، وكـــان مـــنهن من اشترت الأمان مرات ومرات ، ولما كثر سطو الفرنسيين على المتاع والدواب اشـــترى بعضـــهم الأمان لدوابهم وثيرانهم ، وقد طلب نابليون من أعضاء الديوان الذي شكله من المصريين لـــيحكم من ورائه طلب منهم أن يجمعوا له سلفة من التجار تبلغ ٥٠٠ ألف ريال ، دفعها التجار بالقوة ، ثم مـــا لـــبث بعد يومين فقط أن طلب مبالغ أخرى يعجز عنها هؤلاء المساكين ففعلوا الأفاعيل وسرقوا ما في الدكاكين والبيوت.....[٣]

وفي جنوب أفريقيا سيطر الاستعمار ففرض القوانين الجائرة والضرائب ، ومنح البيض في عام ١٩١٣م ٨٨% مـــن أراضي جنوب أفريقيا وفرض على السود دون البيض مصروفات الدراسة ، وأمر بأن يدفع كل أسود بين سنة ١٢ - ٦٥ سنة ضريبة عن نفسه وأخرى عن كوخه .

وقـــد أضـــر المستعمرون بمصالح المزارعين حين أمروهم بزراعة بعض المحاصيل دون بعض ، ثم شروها

---

(١) انظـــر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ترجمة :محمد عيتاني ،مكتبة المعارف ، بيروت ، ص ٢٧ ، ٨٩ - ٩٠ .

(٢) انظر : تاريخ عجائب الآثار ، الجبرتي ٢/٢٢٠ - ٢٢١ ، رسالة الطريق إلى ثقافتنا ، محمود شاكر ، ص ٩١ .

(٣) انظر :تاريخ عجائب الآثار ، الجبرتي ، ٢/١٩٦ - ١٩٧ .

منهم بأبخس الأثمان .

ففـــي عـــام ١٩٥١م باع فلاحو الجزائر قنطار الزيتون بـــ ٢٠٠٠ فرنك في حين كانوا يبيعونه قبل دخول فرنسا بـــ ٥٠٠٠ فرنك فرنسي .

وأجـــبر الفرنســـيون الســـكان في أفريقيا الاستوائية على زراعة القطن عام ١٩٥٥م ، ثم باعوه لأربع شـــركات اســـتعمارية بما ثمنه ٧٢ -٦٠ فرنكاً للكيلو ، فيما باعه المستعمرون بسعر ٢٤٥-٢٨٥ فرنكاً في مرفأ التصدير .

وقـــد كـــان كيلو القطن المستورد في فرنسا يماثل - في مراكش - أربعة مرات كيلو القطن المصدر ، وذلك في عام ١٩٣٨م ، ثم ارتفع إلى ست مرات في عام ١٩٤٩م ومثله يقال في القطن التونسي .

وفي نـــيجيريا يباع الخشب أكثر من سعره بـــ ٣٠ - ٤٠ % ، وباعت بلجيكا كيلو زيت النخل في مستعمراتها بـــ ١١٠ فرنكاً بدلاً من ٧٥ فرنكا .[١]

وتعـــترف إحـــدى مجلات الاستعمار بهذا الاستغلال فتقول : " المستهلكون في البلاد المستعمرة كانوا يتـــلقون عام ١٩٥٣م ما يبلغ ٨٠% من مستورداتهم بأسعار أكثر أرتفاعاً بـــ ٢٠ - ٥٠ % ، وأحياناً أكثر أيضاً من الأسعار التي كانوا يحصلون عليها لو أتيح لهم أن يستوردوا بضائهم من بلد آخر غير فرنسا .[٢]

وفي مظهـــر آخـــر للاســـتعمار وظف المستعمر أبناء جلدته في مؤسسات الدول المستعمرَة ، وأبعد الوطـــنيين، ومـــن ذلـــك أن فرنسا وظفت في الجزائر في الدوائر العقارية ٢٠٠ موظف منهم ثمانية فقط من الجزائـــريين ، فيما لم يبلغ عدد المغاربة في وزارة الشئون الإجتماعية في المغرب سوى أربعة من الحُجَّاب فيما قارب الفرنسيون المائتين والخمسين .[٣]

وأجبر الوطنيون تحت مظلة المستعمر على العمل بأبخس الأجور ، ففي حين كانت الأسعار في الجزائر مقاربة للأسعار في فرنسا كان العامل الجزائري يحصل على ٤٠ - ٧٠ فرنكاً لقاء عمله اليومي ، في حين أن العـــامل الفرنسي يحصل على أكثر من ضعف المبلغ في فرنسا ، وقد كان سعر كيلو الخبز يومذاك في الجزائر ٤٨ فرنكاً وكيلو السكر ٩٤ ، واللبن ٢٥ فرنكاً فيما كان اللحم الردئ يباع الكيلو منه بـــ ٤٠٠ - ٥٠٠ فرنك فرنسي .

وكتب النائب الأسقفي في داكار عاصمة السنغال يشكو الظلم الذي يقع على العمال الذين يسميهم بالمؤقـــتين والذين يحصلون على أجر شهري يتراوح بين ٨٠٠ - ١٢٠٠ فرنكاً في حين أن أحقر كوخ كان يؤجر بـــ ٣٥٠٠ فرنك شهرياً إضافة إلى ما يدفعه من ضرائب تصل إلى ١٨٠٠ فرنك سنوياً .[٤]

---

(١) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٣٤ ، ١٣٥ - ١٣٨ .

(٢) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ١٧ - ١٩ .

(٣) انظر : التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٩٠ .

(٤) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٣٩ - ٤٥ .

وقد كان العمال في صفاقص من عمال شركة الفوسفات الفرنسية يسكنون بمعدل ١٠ عمال في كل كـــوخ ، فـــيما تحدثت الصحف الفرنسية عن مدينة التنك (مراكش) حيث يسكن ٢٠٠٠٠٠ من العمال وعوائلهم في بيوت أو أكواخ من التنك أو الخشب الذي يلتقطونه من مخلفات الشحن ، وقد تحدثت إحدى الصـــحف الفرنسية عن القسوة البالغة التي يعيشها العمال المغاربة وعائلاتهم في هذه البيوت من غير توفر أي إجراءات تضمن صحتهم وسلامتهم .[١]

ونتيجة لضعف رواتب العمال في مراكش وانتشار الفقر بأبشع صوره كتب أحد أطباء وادي الداد في جنوب مراكش : " إن الأطفال في هذه البلاد يأكلون التراب . لماذا ؟ أذلك من الفقر أو الجوع أم أنها عادة مجهولة المنشأ ؟ لا أستطيع أن أقول شيئاً ، ولكن هذا الواقع ماثل هنا . إن الأطفال يأكلون التراب ويصابون بالأمراض الخطيرة : فقر الدم وتضخم الطحال .... " .[٢]

وقد اقتصر غذاء الأسرة المراكشية في الغالب على عدة أقراص من الشوفان ، فيما ذكرت إحصائيات فرنســـية في عام ١٩٤٥م أنه " من أصل المليون والثلاثمائة عائلة جزائرية تعيش من الزراعة وتربية المواشي ثمة ٨٠٠ ألف إلى مليون يجب أن تعتبر عائلات محتاجة ومعوزة " .[٣]

وأمـــا المشاريع التي أقامها الاستعمار في البلاد المستعمرة فإنما أقامها لحماية مصالحه " فالجهود المبذولة لكي سربة المراكز الثانوية والريفية يجب أن يكون مفهوماً أن التجهيزات المنتظرة إنما يجب أن تقتصر فقط على المشروعات ذات الدخل المضمون .

أمـــا بـــرنامج النقليات فعليه أن يقتصر في الدرجة الأولى على إنشاء وسائل النقل وطرق المواصلات المرتـــبطة مباشـــرة بـــأهداف الانـــتاج المعينة في المشروع والتي تؤلف على كل حال أحد العوامل الجوهرية لنجاحه "[٤]

ورغـــم الاســـتغلال الواســـع للموارد الطبيعية والقوى البشرية فإن المستعمر لم يقدم أبسط الخدمات الإنـــسانية وهي الصحة والتعليم ففي الجزائر التي اعتبرها فرنسا جزءً منها لم يستطع سوى ١٢% من أطفال الجزائر ممارسة عملية التعلم ، وانخفضت النسبة في مراكش إلى ١٠% ، وفي أفريقيا الغربية إلى ٧,٦ % ، وفي تشاد إلى ٤,٧% ، فيما ارتفعت في أفريقيا السوداء إلى ١٨% من أطفال تلك البلاد .

ويخـــلص هـــنري كلود إلى أن نسبة التعليم في المستعمرات الفرنسية جملة لا يتجاوز ٩ % من أطفال المستعمرات الفرنسية .[٥]

وأمـــا الخدمات الصحية فجرى تأمينها في المناطق التي ينتشر فيها الفرنسيون فيما كان لكل ١٠٠٠٠

---

(١) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٢٤ .

(٢) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٥١ .

(٣) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٤١ ، ٤٩ .

(٤) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٧ – ٨ .

(٥) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٢٠ – ٢١ .

جزائـــري طـــبيب واحـــد ، وتصل هذه النسبة في الأقاليم الجنوبية للجزائر إلى ١/٣٠٠٠٠ ، وفي مراكش ١/٤٥٠٠٠ فيما لكل ٥٠٠٠٠ شخص في غينيا طبيب واحد .

ونتـــيجة لذلـــك ارتفعت نسبة الوفيات بين الأطفال في المستعمرات عنها في البلاد المستعمِرة أو بين المستعمِرين ، ففي حين يموت من أطفال الأوربيين في الجزائر ما نسبته ٥,٤ % يموت من أطفال الجزائر ١٨ % ، وفي تونس يموت للأوربيين من أطفالهم ما نسبته ٥,٩% فيما يموت للتونسيين ما نسبته ١٩,٣% فيما تصـــل النســـبة في بعض مناطق أفريقيا الريفية إلى ٦٠% ، وكتب الدكتور بريسو مقرر ميزانية الصحة عام ١٩٥٤م في الجزائـــر أن من بين ١٢٠ مريضاً يراجعون عيادة السل في مستشفى مدينة الجزائر لا يلقى العناية منهم سوى ٣٠ . أما الباقون فأسلموا إلى الموت . (١)

وننـــه أخيراً إلى أن كل ما سمعناه عن الاستعمار الفرنسي مما سطره لنا هنري كلود ورفاقه ينطبق تماماً على الاستعمار البريطاني والإيطالي والبرتغالي وسوى ذلك من جنسيات الاستعمار الأخرى .

---

(١) الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٢٢ - ٢٣ .

المبحث الثالث : العلاقة بين التبشير والاستعمار

ويطـــرح السؤال نفسه هل ثمة علاقة بين العلاقة الاستعمارية والحركة التبشيرية ؟ وهل من الممكن أن يلتقي الجنود القساة الذين يقتلون الأبرياء ويسرقون قوت الشعوب هل من الممكن أن يلتقي هؤلاء مع الذين أمروا بمحبة أعدائهم ومباركة لاعنيهم (انظر متى ٥/٤٤)

و ما الذي يجمع المبشر وهو يحمل رسالة دينية مع المستعمر الذي يحمل رسالة دنيوية ؟ وهل اللقاء بين الجانـــبين مجـــرد لقاء عابر فرضته ظروف وحدة المنشأ بين التبشير والاستعمار (أوربا) أمر أن هناك علاقة حقيقية تجمع هاتين الحركتين ؟

وفي الإجابة عن هذا كله نقول بأن التبشير والاستعمار وجهان لعملة واحدة ، فالمبشرون هم الواجهة الدينية للمستعمر ، والاستعمار هو الحقيقة الاقتصادية والسياسية للمبشرين .

وهـــذا الأمر يتضح عند دراسة العلاقة الحميمة بين الحركتين اللتين تزامنتا طوال التاريخ المسيحي ، بل إن الحروب الصليبية التي شنت على العالم الإسلامي طوال قرون طويلة هي حلقة من سلسلة الترابط والوحدة بـــين التبشير والاستعمار ، فلقد قام ملوك أوربا بتلك الحروب بمباركة الكنيسة ، ولبى الأوربيون نداء الملوك لهذه الحروب طمعاً في الملكوت الذي وعدهم به بابوات الكنيسة .

وقد بدأت خطوات الاستعمار تدب من جديد مع بداية حركة الكشوف الجغرافية التي قادها الأسبان والبرتغال ، وانطلقت سفنهم تمخر البحار وهي ترسم على أشرعتها شعار الصليب .

وقـــد أصـــدر البابا نيقولا الخامس مرسوماً في عام ١٤٥٤م يعطي البرتغاليين حقاً في أراضي حقاً في أراضـــي الكفرة على الساحل الغربي لإفريقيا ، وأكد ذلك البابا كالكستس الثالث عام ١٤٥٦م ، ثم أصدر الـــبابا اســـكندر الثالـــث في عام ١٤٩٣م مرسوماً يمنح التاج الأسباني الحق المطلق في المتاجرة مع البلاد التي اكتشفت ، ووضع قيداً ، وهو أن تجلب تلك الشعوب إلى المسيحية . [1]

ومن جانب آخر فإن الحركة التبشيرية وليدة أطماع استعمارية ، وقد وضع أسسها الملك لويس التاسع حينما كان في سجن المنصورة فكتب داعياً إلى " تحويل الحملات العسكرية الصليبية إلى حملات صليبية سلمية تســـتهدف الغـــرض نفسه ، لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة .... تجنيد المبشـــرين الغربـــيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ، ثم القضاء عليه معنوياً ، واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب .

وقد أجاب المبشرون إلى هذه الحرب الصليبية الجديدة فيقول القس ميز : " إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه " .

---

(١) انظـــر : أجـــنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٢٩ .

ويقـــول اليسوعيون " ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ... أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشـــيري والـــتحدي المسيحي ... وهكذا تستطيع الكنيسة المسيحية بلا حرب أن تسترد تلك المناطق التي خسرتها منذ أزمان طوال " . [1]

وقد ارتبطت الكثير من الأسماء الاستعمارية المشبوهة بحركة التبشير وحضور لقاءاتها والتصريح بتحقيق أهدافهـــا مـــنهم رئـــيس وزراء بريطانـــيا غلادستون ، والجنوال البريطاني جوردون ، والكتشف البريطاني لفنجستون ، والرئيس الأمريكي روزفلت ، والوزير البريطاني بلفور وغير ذلك من الأسماء .[2]

وفي المقـــابل فإن عدداً من الأسماء الكنسية عملت تحت مظلة الاستعمار ، ودارت في فلكه ، فقد تولى الراهب دولا فورست طلب الامتيازات للفرنسيين من الباب العالي ، وكان أول سفير لفرنسا في الأستانة عام ١٥٨٣م ، كمـــا عـــين الأمريكيون المنصر ناثالنا قنصلاً للولايات الأمريكية بالإنابة في طنجة ، وعين المنصر تاهنســـال قنصلاً للنمسا في الخرطوم سنة ١٢٩٣هـــ ، وكان المنصر لا فيجري الفرنسي رئيساً للبعثة المرافقة للجـــيش الفرنسي المحارب في القرم ، وتولى المنصر جون فان أيس خلال الحرب العالمية الأولى أمر القنصلية الأمريكية في البصرة . [3]

وقـــد أكـــد المســـتعمرون على أهمية عمل المبشرين ، وصرحوا بالمهمات المنوطة بهؤلاء الرهبان فقال نابلـــيون الأول في جلســـة مجلس الدولة عام ١٨٠٤م : " إن في نيتي إنشاء مؤسسة الارساليات الأجنبية ، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً لي في آسيا وأفريقيا وأمريكا ، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطـــار . إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية " . ولما عقد مؤتمر الكنائس المسيحية في ســـالونيك بالـــيونان (١٩٥٩م) أكـــد المؤتمر على مساهمة الكنائس للجاسوسية لحساب المستعمر ، فطالب "الكنائس في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أن تراقب خطة التنمية ، فتميز بين ما يتفق وإرادة الله وبين عمل الشـــيطان " وفي مؤتمـــر دلهـــي (١٩٦١م)قـــالوا "الكنيسة يجب أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة في أي وطن ،وتحت أي نظام سياسي"[4]

ويـــنقل المبشـــر جاك مندلسون قول ملك فرنسا " الدين ضروري لكل الناس ، لكنه أكثر ضرورة في المســـتعمرات الآهلة بالعبيد التي لايمكن أن تحوي أملاً في حياة أفضل إلا بعد الموت " فالدين يستعمله هؤلاء الساسة في تخدير الشعوب ، وليكون مطية يحكمون من خلالها الخناق على الشعوب .

ويـــنقل القس المبشر مندلسون ثانية شعور المستضعفين الذي سرقت بلادهم وثرواتهم من قبل تحالف

---

(١) انظـــر : حقـــيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٥٤ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٢٧ .

(٢) انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ، ملامح عن النشاط التنصـــيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ٤٨ - ٤٩ ، المسيحية ،أحمد شلبي ، ط١٠ ،مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣م ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٤) انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

الاستعمار والتبشير فيقول : " إن المبشرين جاءوا إلينا وقالوا : إننا نريد أن نعلمكم العبادة ، وقلنا : حسناً . إننا نريد أن نتعلم العبادة . وطلب المبشرون منا أن نغلق أعيننا ، وفعلنا ذلك ، وتعلمنا التعبد ، وحينما فتحنا أعيننا وجدنا الإنجيل في يدنا ، ووجدنا أراضينا قد اغتصبت " ثم يواصل مندلسون فيقول " لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين ، لا لمصلحة المسيحية ، وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية " .ويقول رئيس الأساقفة لونـــز ماركس في عام ١٩٦٠م عن نشاط الإرساليات الذي يديره في موزمبيق : " إن النشاط الإرسالي يمنح البرتغال فخراً في المنظمات العالمية السامية ، ويكون سنداً قوياً للسيادة البرتغالية " .[١]

ومن المهمات التي أداها التبشير للاستعمار تجميل صورته القبيحة التي رسمها بظلمه وجبروته عند الناس يقول رينيه بوتيه في كتابه " الكاردينال لا فيجيري " : " إن العمل الوطني الذي قام به لافيجيري بدأ مع عمله التبشـــيري ، بدأ بنشره على السوريين تلك العطايا التي تمنحها الكنيسة الكاثوليكية ، إنه جعل فرنسا محبوبة (لـــدى الســـوريين) ، وأضاف إلى الحقوق القديمة التي كنا نملكها نحن الفرنسيون على تلك المنطقة حقوقاً جديـــدة .... في الجزائـــر استطاع أن يهب كل ما في استطاعته لإظهار حبه لفرنسا .... أراد لافيجري أن يحبب فرنسا إلى الناس باسم المسيح " .[٢]

ويقـــول القـــس سيمون في مؤتمر لكنو في الهند (١٩١١م) : " إن العامل الذي جمع هذه الشعوب (الإســـلامية) وربطهـــا برابطة الجامعة الإسلامية هو الحقد الذي يضمره سكان البلاد للفاتحين الأوربيين ، ولكـــن المحـــبة التي تبثها إرساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة ، وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبي " .[٣]

وقد كان إغراء الساسة ببلاد المسلمين واستعمارها أحد أعمال المبشرين ، يقول المبشر إشعيا بولمان في مجلـــة " العالم الإسلامي " بأن الخوف من الإسلام ينبغي أن لا ينساه الغربيون ، ذلك أن الإسلام كما يقول إشـــعيا بومان يتسع دائماً متسلحاً بالجهاد ، وما من أمة حاولت قهره إلا وخسرت أضعاف ما خسر ، ولذا فهو يقترح اتفاق فرنسا وبريطانيا على سياسة السيطرة على الشواطئ الإسلامية حتى تصل بسهولة الإمدادت العسكرية .

وهذا ما صنعه الإيطاليون حين جاءوا إلى ليبيا ، وغيرهم فعل مثله عند احتلالهم بلاد المسلمين .[٤]

والذي دفع حركة التبشير إلى التفاني في خدمة الاستعمار والتمكين لهم إيمانهم بأن نجاح التنصير متوقف عـــلى نجاح الاستعمار وبقائه ، وهو ما عبر عنه المنصر لورانس براون حين قال " لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية في قطر ما إلا بعد أن يخضع ذلك القطر لحكومة غربية مسيحية " .[٥]

---

(١) انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٢٦ .

(٣) انظر : الغارة على العالم الإسلامي ، شاتليه ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٤) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٨٥ .

(٥) انظر : الإسلام والتحدي التنصيري ، عمر بابكور ، ص ١١٦ .

ولما وقع التنافس بين المستعمرين على اقتسام الكعكة انعكس ذلك على الآباء المبشرين الذين كانوا في الحقيقة جنوداً مدنيين للاستعمار ، فوقع بين المبشرين الفرقة ، ودب بينهم ما بين الساسة من تخالف وتنافس ، كما حصل بين الإرساليات التبشيرية في لبنان والتي كان كل منها يتبع دولة استعمارية معينة ، ولذا أيضاً استأصلت انجلترا وفرنسا جميع المبشرين الألمان من مناطق نفوذهما ، و لم تسمح انجلترا في وقت لاحق لغير مبشريها بالعمل في مناطق نفوذها إلا حين الحصول على إذن مسبق .

يقول المبشر هنري جسب : " إن المبشرين استغلوا جهودهم لخدمة دولهم .[1]

وفي المقابل فإن المستعمرين ردوا الجميل للمبشرين بأن فتحوا لهم البلاد على مصاريعها فيقول بوجو سكرتير الحاكم الفرنسي في الجزائر مخاطباً القس سوشيه الوكيل العام لأسقف الجزائر : " إن آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أية حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد .

أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً " . [2]

و لم يكتف المستعمرون بالكلام ودغدغة العواطف ، بل شرعوا يصدورن المراسيم والقوانين التي تسهل عمل المبشرين ، ففي عام ١٩٠٠م أمر الاستعمار البريطاني لكينيا أن يكون التعليم في العاصمة ممباسا إجبارياً، وتولت البعثات التبشيرية تعليم الطلاب في ممباسا حيث افتتحوا أربعة مدارس ابتدائية ، ثم أسندت السلطات لهؤلاء المتعلمين في مدارس التبشير وظائف رسمية حكومية بحجة أنهم متعلمون .

وفي عام ١٩٣٠م أقيم مؤتمر كنائس في قرطاجة بمناسبة مرور ١٦٠٠ سنة على موت القديس أوغسطينوس ، وأجبرت تونس على قبول ذلك المؤتمر على أراضيها المستعمرة من قبل فرنسا حينذاك ، دفع التونسيون من خزينتهم على مليوني فرنك فرنسي ، وحين ثار المسلمون على عقد هذا المؤتمر في بلد إسلامي تولت الجيوش الاستعمارية الفتك بالشباب الثائرين ، وزجت بهم في السجون .

وفي عام ١٩٣١م أصدر شوفلر مسئول فرنسا في بلاد العلويين قراراً يسهل الانتقال إلى النصرانية ، فسهل الإجراءات أمام المتنصرين ، وجعل ذلك يتم في جلسة لمحكمة عادية ، وألغى الإجراءات المعقدة التي كانت قائمة حينذاك .[3]

وفي الجزائر دفع القائد الفرنسي روفيجو بأجمل مساجد الجزائر ليحوله إلى كادرائية الجزائر ويتحدث القس سوشيه الوكيل العام لأسقف الجزائر في كتابه " رسائل مفيدة ومشوقة عن الجزائر " فيقول واصفاً الجنرال الفرنسي فاليه : " إنه يرغب أن يستتب الدين المسيحي ، وأن يحترمه الجميع إنه يريد أن يضاعف من عدد الصلبان والكنائس في الجزائر . إن مولاي – الملك – يستطيع أن يفعل ما يشاء مع رجل مثل المسيو فاليه

---

(١) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٥٨ ، ٢٤٢ – ٢٤٤ .

(٢) انظر : الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٩ .

(٣) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٥٢ ، ١٥٧ ، التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٨٨ – ٨٩ .

الذي اختار أجمل مسجد في قسطنطينة ليجعل منه أجمل كنيسة في المستعمرة " .[1]

و لم تـــتوقف العلامـــة بـــين حـــركتي التبشير والاستعمار عند نقطة المصالح المشتركة بل إنا نجد أن الأخلاقيات السيئة للاستعمار من قتل وبطش قد حصلت بمباركة وأحياناً بمشاركة رجال الكنيسة .

ويقـــول المســـيو أوجين يونج وكيل حكومة التونكين الفرنسية في كتابه " استعباد الإسلام – الحرب الصليبية الجديدة " بأن بابا الفاتيكان يخطط دون ملل وكلل لحروب صليبية جديدة .

كمـــا أن الـــنظرة الاستعمارية الفوقية للشعوب المستعمرة هو أمر آخر تأثرت به حركة التبشير ، وفي ذلك يقول ستيفن نيل : " في القرن التاسع عشر خضع المبشرون إلى العقد الاستعمارية التي تقول بأن الرجل الغـــربي فقـــط هو الإنسان بكل ما تعنية هذه الكلمة ... فحتى عام ١٩١٤م لم يكن لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكـــية أي أسقف من أصل غير أوربي – سوى أربعة – .... طالما كان الجنس الأبيض في استطاعته أن يقـــدم مورداً لا ينضب من الأساقفة فإنه لا يمكن أن يوجد رجل واحد من الأجناس الصفراء والحمراء والبنية والسوداء يستطيع حمل ثقل الأسقفية " .[2]

---

(١) انظر : الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٩ .

(٢) انظـــر : حقـــيقة التبشـــير بـــين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٤١ ، التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٨٤ .

الفصل الثاني

اتجاهات علماء المسلمين

في القرن الرابع عشر

في الرد على النصارى

المبحث الأول : تأليف الكتب في الرد على النصارى

كان الكتاب وما يزال أهم طرق الاتصال بين الأفراد والشعوب والحضارات، وقد شهدنا طوال قرون الإسلام السابقة عشرات من الكتابات جعلت من النصرانية وعقائدها وكتبها موضوعاً للدراسة .

وفي هـــذا القـــرن ، ومع ظهور الطفرة التقنية التي طالت أدوات الطباعة والكتاب ظهرت من جديد كتابات العلماء المسلمين في معالجة الأغراض النصرانية وكانت هذه الكتب من الكثرة بمكان .

ولـــو شـــئنا أن نقسم هذه الكتب بحسب ظهورها الزمني فإنا نقول بأن ثمة كتب محدودة ظهرت في النصف الأول من هذا القرن يتقدمها كتاب " إظهار الحق " لرحمة الله الهندي ، وثم "الجواب الفسيح لما لفقه عـــبد المسيح "، للألوسي البغدادي ، ثم "السيف الصقيل في الرد على كتاب البرهان الجليل "،وقد ألفه بكر التمـــيمي ، ثم " الفارق بين المخلوق والخالق " لعبد الرحمن باجي زادة البغدادي ، وكتب العلمي " سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس " .

وفي أواسط هذا القرن كتب محمد رشيد رضا تفسيره وضمنه مقاطع هامة في الرد على النصارى كما كتـــب كـــتابه " عقيدة الصلب والفداء " ، وكتب محمد توفيق أفندي نظرية في الصلب [1]إضافة إلى كتابه " دين الله في كتب أنبيائه "، وكتب محمد طاهر التنير " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " ، ومحمد وصفي " المسيح بين الحقائق والأوهام " ، ومحمد أبو زهرة " محاضرات في النصرانية " .

ومع أفول القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ظهرت كتابات كثيرة ، وتميز من كتاب هذه المرحلة اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب ،وأصدر مجموعة من الدراسات المتعلقة بالنصرانية بلغت عشرة كتب هي " طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون " و " البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين " و " إسرائيل حرفـــت الأناجـــيل " و " المسيح في مصادر العقائد المسيحية " و " الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام " و " النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام " و " حقيقة التبشير بين الماضي و الحاضر " و " اخـــتلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية " وتعدد نساء الأنبياء " ، و " الإسلام والأديان الأخرى "

كما أصدر باللغة الفرنسية كتابه " بين المسيحية والإسلام " .[2]

وأصـــدر الدكتور أحمد حجازي السقا عدداً من الدراسات المتعلقة بالنصرانية بلغت ثمانية كتب علاوة عـــلى الكتـــب التي قام بتحقيقها وإضافة مقدمات سابغة عليها ، والكتب التي أخرجها هي " البشارة بنبي

---

(١) أثبتها محمد رشيد رضا وضمنها في كتابه عقيدة الصلب والفداء،محمد رشيد رضا، الفتح للإعلام العربي ،١٤١١هـــ ،ص ٦٤ - ١١٢ .

(٢) ذكـــره في قائمـــة كتبه المنشورة في كتابه: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب، ط١ ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٧هـــ ،ص ١٣١ .

الإســـلام في التوراة والإنجيل " و " أقانيم النصارى " و " حقيقة النصرانية في الكتب المقدسة " و " اللقاء بين الإســـلام والنصرانية " و " نقد التوراة " و " يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية " و " المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم " و " العناية الإلهية بين المسلمين وأهل الكتاب " .

وكتـــب المستشار محمد عزت الطهطاوي في موضوع الجدل مع النصارى عدة كتب وهي " محمد نبي الإســـلام في الـــتوراة والإنجيل والقرآن " و " الإسلام و النصرانية " و " النصرانية في الميزان " و " الميزان في مقارنـــة الأديان " ، وكتب الدكتور محمد الشرقاوي " في مقارنة الأديان " ،وقام بتحقيق العديد من الردود القديمة وعلق عليها .

وكتـــب أحمـــد ديدات كتابات ترجم منها إلى العربية " ماذا يقول الكتاب المقدس والغرب عن محمد صـــلى الله علـــيه وسلم ؟ " و " مسألة صلب المسيح " و " هل الكتاب المقدس كلام الله " و " من دحرج الحجر " إضافة إلى عدد من الكتيبات الصغيرة التي تخدم هذا الباب .

وكتب الدكتور محمد علي الخولي ثلاث كتب هي" مقارنة بين الأناجيل الأربعة " و " تحريف التوراة " و " حقيقة عيسى المسيح " .

وكتـــب الدكتور محمد علي البار " الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم " و " المدخل إلى العهد القديم " .

وكتب الدكتور محمد شلبي شتيوي كتابيه " التوراة " و " الإنجيل " .

وكتب الدكتور كامل سعفان " دراسة عن التوراة والإنجيل " و " مسيحية بلا مسيح " .

وكتـــب محمد عوض كتابيه "الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة " و " معجزات المسيح ".

فـــيما كتـــب عشـــرات من العلماء المسلمين كتابات مباركة لم يشاركوا بسواها في موضوع الجدل الإسلامي النصراني .

وكان للمهتدين من النصرانية جهود مباركة منها ما كتبه إبراهيم خليل أحمد وهي ثلاثة كتب " محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن " و " الغفران بين المسيحية والإسلام " و " محاضرات في مقارنة الأديان " .

وكتب موريس بوكاي كتابه " التوراة والإنجيل والقرآن والعلم " فيما كتب محمد مجدي مرجان كتابيه " الله واحد أم ثالوث ؟ " و " المسيح إنسان أم إله ؟ " .

وكتب محمد زكي النجار " المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة " . [1]

وكتـــب القس الآشوري السابق عبد الأحد داود كتابيه " الإنجيل والصليب " و " محمد ﷺ في التوراة والإنجيل " .

وأما دوافع التأليف عند العلماء المسلمين لهذه الدراسات والكتب القيمة فقد كان القيام بواجب الدعوة

---

(١) ذكـــره شـــلبي في كتابه: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي، ط٣ ،دار التوحيد ،١٤٠٥هـــ ،ص ٢٩٣ .

وتبليغ الإسلام إلى البشرية التي تاهت عن الطريق فعبدت بشراً سمته ابن الله ، وقد امتثل بذلك العلماء المسلمون إلى دعوة القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[1]

ويقول تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[2]

ومن الدوافع أيضاً ما رآه العلماء المسلمون من هجمة على الإسلام من المبشرين والقسس الذين ما تركوا طريقاً في استمالة الناس إلى باطلهم إلا وسلكوه ، فكانت كتاباتهم دافعاً لعلمائنا في الذب عن دين الله .

فقد أقبل رحمة الله الهندي على تأليف كتابه " إظهار الحق " ، ومناظرة القس فندر بعد أن رأى تسلط نصارى الإنجليز على الهند وقيام قسسهم بدعوة المسلمين إلى النصرانية ، واتجه ديدات إلى دراسة النصرانية بعد أن آذاه طلاب كلية أدمز اللاهوتية في شبههم عن الإسلام ، وكتب محمد عزة دروزة كتابه " القرآن والمبشرون " رداً على أربعة كتب كتبها قسيس يدعي لنفسه اسم الحداد نال في كتبه من الإسلام واختلق عليه الأكاذيب .

ويذكر التنير في مقدمته لكتابه " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " أن مما حفزه على كتابة كتابه القيم ما رآه من تطاول القسس على الإسلام في كتابات ذكر عناوين بعضها .

وكانت بعض الردود الإسلامية رداً على بعض كتابات النصارى ، فقد كتب نعمان الألوسي كتابه " الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح " رداً على كتاب قديم للكندي يطعن في الإسلام ، وكتب عبد السلام محمد وعبد العظيم المطعني كتابيهما " الكتاب المقدس في الميزان " و " مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه " رداً على كتاب " استحالة تحريف الكتاب المقدس " لوهيب خليل .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٦٤ .

(٢) سورة النحل ، آية : ١٢٥ .

موضوعات الجدل بين المسلمين والنصارى

وقد تمحورت ردود العلماء المسلمين على النصارى حول موضوعات رئيسية وهي كالتالي :

أولاً : ألوهية المسيح والتثليث .

وفيه نقد العلماء المسلمون أدلة النصارى الكتابية على هذين المعتقدين ، وكشفوا عن استحالة الاستدلال بهذه الكتب على ألوهية المسيح أو الروح القدس .

كما تحدثوا عن أصالة التوحيد في النصرانية من خلال استعراضهم للنصوص الكتابية وتاريخ الفرق النصرانية ، ثم أبانوا عن تسبب بولس في انحراف النصرانية بما أضافه إليها من معتقدات باطلة اقتبسها وتلاميذه من الوثنيات القديمة .

ثانياً : عقيدة الصلب والفداء .

وفيه نقد العلماء المسلمون روايات الصلب وأثبتوا ضعف الاستدلال بها والصدور عنها في مسألة صلب المسيح ، وأثبتوا نجاة المسيح من الصلب ، بما دلت عليه بنوءات التوراة والإنجيل ، وقدموا تصورات عن كيفية نجاة المسيح من مؤامرة اليهود .

ثم نقد العلماء المسلمون عقيدة النصارى في الصلب والفداء أبانوا عن انتحال النصارى في هذا الصدد مجموعة من الأساطير الوثنية القديمة التي لا دليل عليها في كتب القوم المقدسة ، بل إن في النصوص ما يدحض هذه العقائد .

ثالثاً : نقد التوراة .

ولما كان النصارى يؤمنون بأسفار التوراة درس العلماء المسلمون تاريخ التوراة وسندها ، فتبين لهم عظيم الانقطاع بين التوراة المتداولة وموسى عليه السلام ، ونقلوا اعترفات التوراة المتداولة بضياع توراة موسى عليه السلام ، ثم أقاموا الأدلة على بطلان نسبة هذه الأسفار للأنبياء بدليل موضوعاتها ومضامينها التي لا تتفق وهدي الأنبياء كما تبعد عن مضامين وحي السماء .

رابعاً : نقد الأناجيل .

ودرس العلماء المسلمون النصوص الإنجيلية المختلفة ، وأبطلوا صحة نسبة هذه الأناجيل لأصحابها، وبينوا ما اشتملت عليه من التحريف والتناقض والعبث الذي تتنزه عنه كتب الوحي ، وخلصوا إلى أن كثيراً مما كتبه الإنجيليون من أخبار إنما هو تخرصات لا دليل عليها ولا موثق لها ، وكثير منها منقول عن أساطير الوثنيين .

خامساً : نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد تناول العلماء المسلمون في إثبات معتقدهم في هذا الباب ما ورد من نبوءات تتحدث عن مقدمه عليه الصلاة والسلام في كتب النصارى ، وخلت كتب أصحاب الردود – أو كادت – من الحديث

عـــن المعجـــزات أو المسلك النوعي والشخصي في إثبات هذا الباب ، إذ قد يطعن النصارى بصدق الـــروايات الإســـلامية المـــتحدثة عن معجزات نبينا أو خصائصه ، غير أن الأمر يختلف تماماً بالنسبة للروايات المبثوثة في كتبهم المقدسة عن النبي الخاتم .

سادساً : شبهات النصارى حول الإسلام .

ولما كان من صفات الدين الحق أن يكون جامعاً للحسن ، مانعاً من أن يورد عليه ما يدل على ضعفه أو بطلانـــه ، لـــذا شمـــر العلماء المسلمون في الذب عن مفتريات النصارى على الإسلام ونبيه وقرآنه وشرائعه، وكشفوا عن التلبيس أو سوء الفهم أو التحريف الذي وقع به علماء النصرانية وهم يتحدثون عن الإسلام أو نبيه .

وإضـــافة إلى هـــذه المباحـــث الرئيســـة فإن علماءنا تناولوا مباحث أخرى لا يخلو بعضها من علاقة بالموضوعات الرئيسة السابقة ،وأهم هذه المباحث هو مقارنات بين الإسلام والنصرانية في موضوعات محددة .

ومـــنه مـــا كتبه عبد الله المشوخي في كتابه " موقف الكنيسة من العلم " وعرض فيه للفرق بين نظرة الإسلام للعلم ، ونظرة النصرانية متمثلة بموقف الكنيسة من العلم والحركة العلمية خلال القرون الماضية .

وفي هـــذا الـــباب أيضـــاً كتب أحمد عبد الوهاب مقارنات بين الإسلام والنصرانية في مسألة الوحي والملائكـــة والجن في كتابه " الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام " ثم ذكر مقارنة بين الإسلام والنصـــرانية في موضوع النبوات السابقة وبيان موقف القرآن والتوراة من الأنبياء السابقين ، وذلك في كتابه " النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام " .

وهـــذا الموضـــوع – الأخير – كتب فيه محمد البار كتابه " الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في الـــتوارة والعهد القديم ، ويظهر لنا من العنوان طرف ثانٍ في المقارنة ألا وهو صفات الله عز وجل بين القرآن والكتاب المقدس .

وكتب السقا في مقدمة تحقيقه لكتاب الغزالي " نفخ الروح والتسوية " مقارنة بين الإسلام والنصرانية في مســـألة البعـــث وكيفيته .... كما كتب في هذه المقدمة مقارنة في موضوع السحر بين التوراة والإنجيل والتـــلمود والقرآن ، وكتب للمقارنة بين موقف الإسلام والنصرانية من النبي يحيى كتاباً خاصاً أسماه " يوحنا المعمـــدان بين الإسلام والنصرانية " ، وكتب في المقارنة بين موقف المسلمين وأهل الكتاب من عقيدة القضاء والقـــدر كتابه " العناية الإلهية بين المسلمين وأهل الكتاب " . وعقد فرج الله عبد الهادي أبو عطا الله مقارنة بين الأديان الثلاثة في معتقد اليوم الآخر بعنوان " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام " .

وكتب محمد الغزالي مقارنة بين الإسلام والنصرانية في مسألة التعصب الديني والحرب المقدسة في كتابه " التعصـــب والتســـامح بين المسيحية والإسلام . " وفي كتابه " الإسلام والنصرانية " تحدث الطهطاوي عن عالمية رسالة الإسلام وخصوصية رسالة المسيح التي جعلها بولس بعده عامة .

وعقـــدت عـــزية طـــه مقارنات بين الأناجيل وكل من الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة بل والموضـــوعة ، وتـــبين لها من خلال دراستها " منهجية جمع السنة والأناجيل " قعود الأناجيل عن مستوى

القبول والاحتجاج ومشابهتها إلى حد بعيد للأحاديث الموضوعة على نبينا صلى الله عليه وسلم .

ومن المقارنات التي عقدها العلماء المسلمون أيضاً حديثهم عن وجود النَسْخ في الأناجيل والتوراة والقرآن ، وفيه كتب رحمة الله الهندي في كتابه " إظهار الحق " ، ومثله صنع السقا في " نقد التوراة " ، وعقد الشرقاوي في كتابه " في مقارنة الأديان " فصلاً عن مقومات الشخصية الاسرائيلية كما تذكرها الكتب الثلاثة ، وتوصل إلى تطابقها في ذم اليهود ، ووصفهم بخسيس الأخلاق والصفات .

ومن المقارنات أيضاً المقارنة التي أجراها عبد الرحيم محمد في كتابه " قراءات في الكتاب المقدس " وذلك في أدلة القرآن والأناجيل على مسألة براءة مريم ، ووجد أن الروايات الإنجيلية تلقي بظلال الشك على طهارة مريم فيما تظهر براءتها جلية في القرآن الكريم .

وأما إبراهيم خليل فقد عقد فصلاً مطولاً ذكر فيه النصوص التي يراها متفقة بين التوراة والإنجيل والقرآن في موضوعات الألوهية - الوحي والرسالة - ضياع التوراة - جزاء الإيمان - حيثيات استحقاق وراثة الأرض - الوعد والوعيد - النبوة الخاتم .

وفي هذه الدراسات المقارنة بيَّن العلماء المسلمون ما تتفق عليه النظرة الإسلامية والنصرانية وما لاتتفق ، وركز العلماء المسلمون على نقاط الاتفاق معتبرين إياها دليلاً على وجود مصدر واحد أصيل خرجت عنه أصول كتب أهل الكتاب والقرآن الكريم ، ثم عمد أهل الكتاب إلى تحريف كتبهم فظهر ما ظهر من التباين بين هذه الكتب والقرآن الكريم .

والموضوعات التي تناولها العلماء المسلمون في كتبهم تقسم هذه الكتب إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى : الكتب المتخصصة في أحد موضوعات الجدل النصراني

وهي سمة أكثر الكتابات التي ظهرت في هذا القرن .

ففي نقض عقائد النصرانية كتب العلمي كتابه " سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس، وكتب أحمد شلبي كتابه " المسيحية " . ومحمد حسن عبد الرحمن " براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح " وكتب محمد مجدي مرجان كتابيه " المسيح إنسان أم إله " و " الله واحد أم ثالوث " وكتب السقا " أقانيم النصارى " .

وكتب كامل سعفان دراسة موسعة عن تاريخ الكنيسة النصرانية ، وسماه " مسيحة بلا مسيح " وكتب عن موضوع التوحيد والموحدين في النصرانية أحمد عبد الوهاب في كتابه " طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون " وكتب حسنى الأطير " عقائد النصارى الموحدين " .

ومن الكتب المتخصصة في موضوع الصلب ما كتبه محمد رشيد رضا بعنوان " عقيدة الصلب والفداء " وقد ضمنه أيضاً نظرية صديقه محمد توفيق أفندي في مسألة صلب المسيح ، ومنها أيضاً كتاب " قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة " لمحمد أبو الغيط الفرت ، وكذا " مسألة صلب المسيح " لديدات ، وكتاب " هل مات المسيح على الصليب " لسليم الجابي .

وفي موضوع الفداء كتبت أميمة الشاهين " الخطيئة بين اليهودية والمسيحية والإسلام " .

ونقد التوراة دون الإنجيل كتب منها كتاب الخولي " التحريف في التوراة " ، ومحمد شلبي شتيوي " التوراة " ، وفؤاد حسين علي " التوراة عرض وتحليل " .

وفي نقد الإنجيل دون التوراة كتب الخولي " مقارنة بين الأناجيل الأربعة " ،ومحمد شلبي شتيوي " الإنجيل " ، وكتب محمد عبد الرحمن عوض في المقارنة بين الأناجيل وإنجيل برنابا كتابه " الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة ، وكتب عبد الحليم أبو السعد دراسة نقدية لإنجيل مرقس سماها " دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس " .

فيما خلطت أكثر الكتابات بين التوراة والإنجيل واعتبرتها وحدة واحدة موافقة بذلك اعتقاد النصارى بأن الكل يشكل الكتاب المقدس ومن هذه الكتابات " قراءات في الكتاب المقدس " لعبد الرحيم محمد ، و " الكتاب المقدس في الميزان " لعبد السلام محمد ، و " حول موثوقية الأناجيل والتوراة " لمحمد السعدي ، و " الكتب السماوية وشروط صحتها " لعبد الوهاب طويلة ، و " الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف " ليحيى ربيع ، و " هل الكتاب المقدس كلام الله " لأحمد ديدات ، وكتب كامل سعفان كتابه " دراسة عن التوراة والإنجيل " .

ومن الكتب المتخصصة في موضوع النبوءات كتابي عبد الأحد داود " الإنجيل والصليب " و " محمد ﷺ في التوراة ، وكتب أحمد حجازي السقا أحد أهم مراجع هذه الموضوع في كتابه " البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل " وأعاد هذه الموضوعات أو بعضها في أجزاء متفرقة من كتبه ، ومنها " المسيا المنتظر " و " اللقاء بين الإسلام والنصرانية " .

وكتب الطهطاوي كتابه " محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن " .

وتخصصت بعض كتابات المسلمين في الرد على شبهات النصارى ومنها القرآن والمبشرون " لمحمد عزة دروزة ، و " الإسلام في قفص الاتهام " لشوقي أبو خليل ، و " أدلة اليقين في الرد على مطاعن الملحدين و المبشرين " لمحمد شوقي عبد الرحمن الجزيري .

المجموعة الثانية : الكتب غير المتخصصة في أحد موضوعات الجدل النصراني

وفي مقابل ذلك فإن بعض الردود الإسلامية شملت مواضيع متعددة من موضوعات الجدل الإسلامي النصراني ، فكتب رحمة الله الهندي كتابه العظيم " إظهار الحق " متحدثاً عن جميع الأغراض – سوى الصلب والفداء – ، واستعراض البغدادي في كتابه " الفارق " الأناجيل وخاصة متى ، ونقد خلالها هذه الكتب كما نقد روايات الصلب وألوهية المسيح . ومثلهما صنع علاء أبو بكر في كتابه " المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح " ونجد أن بعض عناوين الردود الإسلامية لا تصور بدقة الموضوع الذي يتناوله صاحب الكتاب " فالفارق بين المخلوق والخالق " كتاب اهتم باستعراض نصوص الأناجيل وما فيها من تناقض وخاصة موضوع الصلب ، وفيه أيضاً نقد لعقيدة ألوهية المسيح ، وكتاب " الغفران بين المسيحية والإسلام " ليس

خاصاً بهذا الموضوع بل هو أحد موضوعاته فحسب ، ونحوه صنع إبراهيم خليل في كتابه الثاني " محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن " فقد امتلأ الكتاب بنقد الأسفار المقدسة ، ومثله كتاب " حقيقة عيسى المسيح " للخولي وقدم فيه عرضاً مقتضباً لكثير من الموضوعات الجدلية بين الإسلام والنصرانية ، فتحدث عن ألوهية المسيح والتثليث والصلب والتوراة والإنجيل .

وأيضاً كتب نبيل الفضل كتابه " هل بشر المسيح بمحمد " وفيه تحدث عن موضوع النبوءات والألوهية والتوراة والإنجيل والصلب والفداء .

وقفة في تقييم هذه الجهود

وجميع الجهود التي كتبها العلماء المسلمون جهود مباركة نسأل الله أن يثيبهم عليها غير أن بعض هذه الجهود متميزة بقوة حجتها وجدة أمثلتها ووضوح برهانها ، ويأتي في مقدمة هذه الجهود المتميزة " إظهار الحق " الذي يعتبر عمدة في المسائل التي تناولها وخاصة في موضوع نقد التوراة والإنجيل ، فيما كتب منصور حسين دراسة جادة رائعة في إبطال صلب المسيح في كتابه " دعوة الحق بين المسيحية والإسلام " ، وفي التمييز بين التراجم الكتابية المختلفة وبيان ما فيها من التزوير والتلاعب كتب أحمد عبد الوهاب " اختلافات في تراجم الكتاب المقدس " .

وفي المقابل نجد في بعض الجهود إعادة لما سبق عرضه من غير إضافة تستحق الذكر كما صنع بكر التميمي في كثير من مباحث كتابه " السيف الصقيل في الرد على الرهان الجليل " ، فقد كان عالة على رحمة الله الهندي في كتابه " إظهار الحق " .

ومثله لكتاب العلمي صنع الطهطاوي في كتابه " النصرانية في الميزان "، فقد كان كتابه إعادة صف وطباعة " سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس " من غير إشارة في المقدمة إلى حقيقة ما صنع ، وقد اكتفى بأن ذكر اسم كتاب العلمي في قائمة المصادر والمراجع مع كتب ومراجع أخرى .

فيما عمد علي الجوهري – أو دار الفضيلة للنشر – إلي ما يستحق أن نسميه خيانة علمية حين أعادوا إصدار كتاب " حقيقة النصارى في الكتب المقدسة " لأحمد حجازي السقا الذي طبعته دار الفضيلة ، أعادوا تصوير نفس الطبعة بنفس العنوان مع تغيير وحيد حيث جعلوا الكتاب من تأليف علي الجوهري ، ثم أعادت دار الفضيلة تصوير الكتاب ، ونسبته للسقا وغيرت عنوانه فجعلته " الأدلة الكتابية على فساد النصرانية " .

ومثل هذ الصنيع لا يقبل من الجوهري ودار الفضيلة ، وقد تصديا لتلفيق اليهود والنصارى وعبثهم في عدد من الكتب التي صدرت بترجمة وتعليق الجوهري وبطباعة دار الفضيلة .

وأما المنهج الذي اختطه العلماء المسلمون في ردودهم على النصارى فأبرز ملامحه أنه اعتمد على نقد كتب القوم وعقائدهم بإبراز الأدلة النصية الكتابية التي يؤمنون النصارى بقدسيتها وبيان تعارضها أو نقضها لمعتقدهم .

واختفت الردود الكلامية والمناقشات المنطقية التي رأيناها في جهود العلماء المسلمين المتقدمين ، والسبب في ذلك تراجع استخدام الأساليب المنطقية والكلامية عند المسلمين والنصارى على السواء ، بل وعند غيرهم أيضاً .

وقد أظهر العلماء المسلمون في نقولهم عن كتب أهل الكتاب أمانة علمية ودقة متناهية ، إذ عرضوا النصوص كما هي من غير بتر ولا تشويه ولا تغيير ، فلم يسلكوا المسلك الذي سلكه أهل الكتاب في التلاعب بالنصوص الإسلامية وليها وتحريفها ليصلح الاستدلال بها على ما يرددونه من النتائج الباطلة .

ولكن يشذ عن ذلك ما صنعه محمد وصفي حين أورد نص مرقس ٥/٦ مستدلاً به على عدم وقوع المعجزات من المسيح في بعض أحواله ، وأهمل ما جاء في بقية السياق والنص كاملاً ، " و لم يقدر أن يصنع

هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم ، وتعجب من عدم إيمانهم " (مرقس ٦/ ٥ - ٦) وقد نقل وصفي من النص صدره مستدلاً به على عجز المسيح في بعض الأحيان عن فعل المعجزات [١].

وأمانة العلماء المسلمين في النقل لا تمنع من وقوع الخطأ في فهم بعض هذه النصوص ، ومنه ما وقع به الخولي وهو يقول معلقاً على ما جاء في الأناجيل من أن المسيح قد وجد قبل العالم فقال " كيف كان عيسى قبل أن يولد ؟ كيف يكون أحد قبل أن يكون ؟ عيسى ولد حين ولد ، فكيف تكون العالم به ؟ والعالم مخلوق قبل عيسى بملايين السنين " .[٢] ومن المعلوم أن النصارى لايقولون بوجود أرضي سابق لعيسى على ولادته ، وإنما يقولون بوجود أزلي للابن وهو الأقنوم الثاني ، والذي اتحد بعيسى حال وجوده الأرضي .

كما أخطأ العثماني حين ذكر مواضع من إنجيل يوحنا ، ورأى أنها تدل على أن كاتب يوحنا ذو مكانة مرقومة في المجتمع اليهودي ، والحق أن هذه النصوص - سوى واحد - ليست في الحواري يوحنا ، بل هي في نيقوديموس تلميذ المسيح .[٣]

وأحياناً وقع بعض العلماء المسلمين في تمحل الاستدلال بالنصوص الكتابية وهو أمر لا يقبل ، ومنه ما صنعه السقا وتابعه علاء أبو بكر في تفسير نبوءة " رجسة الهلاك " (انظر دانيال ٩/٢٠ - ٢٧) ففي هذه الفقرات قال جبرائيل لدانيال :" سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك على مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ، والكفارة الإثم ، وليؤتى بالبر الأبدي ، ولختم الرؤيا والنبوة ، ولمسح قدوس القديسين ، فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أروشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً يعود ويبني سوق وخليج في ضيق الأزمنة ، وبعد اثنتين وستون أسبوعاً يقطع المسيح وليس له ، وشعب رئيس آت .... "(دانيال ٩/٢٤ - ٢٧) .

ويرى السقا أن النص يتحدث عن موعد ظهور نبي آخر الزمان فقد سماه:(المسيح الرئيس) (قدوس القديسين) ،وقد حدد زمن ظهوره بمرور ٦٩ أسبوعاً من تجديد الأمر ببناء أورشليم ، ويرى السقا أنه يعني ٤٨٣ سنة (٦٩×٧) إذ المقصود بالأسبوع هنا سبع سنوات ،وهذا ما يوافقه عليه علماء الكتاب المقدس الذين يرون في النص نبوءة عن المسيح الذي ظهر بعد ٤٨٣ من أمر الملك ارتحششتا إلى عزرا ببناء الهيكل في السنة السابعة من حكمه (انظر عزرا ٧/١٢ - ٢٦) .

لكن السقا يجعل ابتداء الأسابيع التسعة والستين منذ أمر أوريانوس بخراب الهيكل عام ١٣٢م فيصبح الحساب ١٣٢ + ٤٨٣ = ٦١٥ ، وهو ما يوافق البعثة النبوية عام ٦١١هـ ، ثم يعيش هذا النبي ٦٢ أسبوعاً قبل أن يقطع ويموت ، والأسبوع هنا كما يرى السقا يقصد به سنة ، ويتجاهل السقا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاش ٦٣ سنة وليس ٦٢ سنة ، كما رأينا تأريخه للتسعة والستين أسبوعاً ابتداء من تدمير

---

(١) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام، محمد وصفي، دار الفضيلة ،ص ٨٠ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد علي الخولي ، دار الفلاح للنشر ، عمان ، ص ١٤٢ .

(٣) انظر : ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ،١٩٨٤م ،ص ١٤٣ .

الهـيكل لا أمر بنائه ، ويزيد من الإغراب والتمحل حين يذكر تفسيراً آخر لنص دانيال يراه محتملاً ، إذ يبدأ حساب التسعة والستين أسبوعاً – وفق هذا التفسير – من عام ٩٠م حين سلم اليهود في مجمع يمنية أسفارهم إلى النصارى فيكون المجموع ٩٠ + ٤٨٣ = ٥٧٣ ،وهو ما يعادل تقريباً مولد الرسول صلى الله عليه وسلم عام ٥٧٠م ، ولا نحتاج إلى كثير من الدراسة لنقف على مقدار التكلف في الاستدلال .[١]

وتمحل السقا هنا في الاستدلال لايختلف كثيراً عن تعسف النصارى لهذا النص ،والذي يبدو بحق نبوءة بالنبي الخاتم ،لكنه فقد دلالاته الصحيحة بسبب ما تعرض له من التحريف على يد اليهود ،فالنص وفق الألفاظ الكتابية لايصح في الدلالة على أحد ،وما زعمه النصارى متكلف وبعيد ،لأنه قد صدرت أربع أوامر ببناء الهيكل ،فاختاروا أحدها بلا مرجح ،ثم إن الكثير من الأمور التي ذكر النص أنها ترافق المسيح الرئيس و لم يحصل شيئاً منها حين بعثة المسيح(انظر دانيال ٢٦/٩) كما أن المسيح لم يذكر أنه صاحب النبوءة ،بل ذكر مايفيد أنها تكون بعده ،فقد ذكر علامات تكون دونها (انظر متى ١٥/٢٤-٣١).

كما نقل العلماء المسلمون الكثير من الاعترافات الصادرة عن مؤسسات كنسية أو أفراد من السلك الكهنوتي أو حتى من أحرار الفكر الذين اعترفوا بوجود قصور في التوراة والإنجيل تارة ، وبتحريفهما تارة أخرى كما نقلوا عنهم شهاداتهم بتخالف وتناقض النصارى مع النصوص المقدسة أو المعطيات العقلية الصريحة.

وقد ساعد بعض أصحاب الردود معرفتهم باللغات الحية ، فكانت دراسات أحمد عبد الوهاب متميزة لإجادته اللغة الإنجليزية وربما الفرنسية أيضاً ، ومثله يقال في دراسات العلامة رحمة الله الهندي والتنير وأحمد ديدات وأحمد شلبي ، فيما كانت معرفة عبد الأحد داود السريانية والعبرية معيناً على الوصول إلى نصوص أوثق من تلك التي يتداولها النصارى باللغة العربية والإنجليزية ، ومثله نراه عند ناسخ البحث الصريح الذي يجيد العبرانية.

وقد التزم العلماء المسلمون في مناقشتهم الموضوعية العلمية ، وترفعوا عن السباب الذي لايقدم في باب الجدل الديني بل يؤخر ، وابتعدوا في ردودهم عن التكلف والإسهابات الإنشائية غير العلمية وإن وقع بعضهم في ذلك أحياناً ، ومنه قول ابن الخطيب في الرد على كاهن كنيسة نصراني : " بمثل هذا ينطق رجل كاهن كنيسة ، مفترض فيه أن يعلم على الأقل ما يعلمه صبيان الكتاتيب ، ومثل هذا الكلام لا يحتاج إلى رد ، ولكن ما الحيلة ونحن حيال رجل كنيسة لم يجد من العلم ما يستطيع أن يسمعه لأبناء ملته ، فانطلق بقذارة علمه- لا بغزارته - يلوث كل ما يلمسه من مقدسات طهرها الله .. وياليته تكلم عالماً ... أما وقد تكلم جاهلاً متكبراً معتوهاً فليس له لدينا سوى التقويم باللسان ، فإن لم يقومه المنطق ، فليقومه السجن الذي أعد لأمثاله من الخارجين على النظام والدين والقانون .... " [٢]

---

(١) انظر : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل ، أحمد حجازي السقا ، دار البيان العربي ، القاهرة ،١٩٧٧م ، ٢١٠/٢ - ٢١٨ .

(٢) انظر : هذا هو الحق،ابن الخطيب، ط٢ ، المطبعة المصرية ،١٣٩٩هـ ،ص ٦٤ .

ولكـــنا نلـــتمس العذر لابن الخطيب، إذ أن النصارى قد خرجوا في نقاشهم وجدالهم عن الموضوعية والمنهجية العلمية، ومثل هؤلاء لا يجدي معهم الحوار والنقاش الذين يهتدي بهما من أراد الحق وبحث عنه، لا من رأى الشمس فأنكرها وجحد نورها.

كمـــا وقـــف بعض أصحاب الردود عند مسائل لا يحسن الوقوف عندها لضعف الحجة فيها ، ومن ذلـــك قول الخولي في تعليقه على قول يوحنا " التلميذ الآخر الذي يحبه يسوع " (يوحنا ٢/٢٠) فلم يذكر اسمـــه ، ولكن يفهم من تتبع مواضعه أن المراد به : يوحنا التلميذ ، الذي يفترض أن يكون صاحب الإنجيل ، لكـــن الخولي يتجاهل ذلك ويقول " من هو ذاك التلميذ ؟ ولماذا لا اسم له ؟ وهل هناك أحد من الناس بلا اسم ؟ ما السر في أمره ؟ كان الأولى أن يكون اسمه معروفاً وخاصة أن عيسى كان يحبه حباً خاصاً . لا أحد يدري لماذا ذاك بلا اسم ؟ ولماذا تنكيره ؟.... " . [١]

ومـــن الأمـــثلة لجانبة الموضوعية العلمية ما صنعه دمشقية وهو يرد على القس أنيس شروش في تعليقه عـــلى مـــناظرة ديدات معه حيث زعم القس بأن القرآن منحول من أشعار العرب فكان رده أن نقل عن طه حســـين قوله عن الشعر الجاهلي : " إن قليلاً من النقد لما يضاف إلى هؤلاء الشعراء ينتهي بك إلى جحود ما يضاف إليهم من خبر أو شعر " [٢] فمثل هذا الكلام لا يصح وقد قصد به الكيد للغة العرب ، ولا يخفى مثل هذا على دمشقية.

ولاريـــب أنه كان في بعض أشعار الجاهلية ما هو منحول ، يقول محمد الخضر حسين في رده على طه حســـين : " أما هذا الشعر المضاف إليه (امرؤ القيس) فقد نقده علماء الأدب ، ونفوا عنه قسماً ذكروا أنه محمول عليه ، نفوا عنه أبياتاً من قصائد ... وارتابوا في قصائد بجملتها .. فنفوا ما قام الدليل من رواية منظر على أنه منحول ، وكفوا عن البقية ، لأنها جاءت من طريق الثقات " .

والقول بوجود بعض الشعر المنحول المنسوب للجاهليين كان قد أشار إلى وجوده ابن سلام في كتابه " طبقات فحول الشعراء " ويغلب على ظني أن الأبيات التي استشهد بها القس شروش من الشعر المنحول إذ لم ترد في ديوان امرئ القيس الذي جمعه وحققه مصطفى عبد الشافي .[٣]

ومن الأمور التي تؤخذ على بعض العلماء المسلمين استدلالهم بالأحاديث التي تقعد عن درجة الاحتجاج ففي رد شوقي أبو خليل على النصارى في شبهتهم حول إجازة الإسلام للطلاق أراد أن يبين كراهية الإسلام لهـــذا الأمر الذي أجازه للمصلحة فنقل ثلاثة أحاديث لا تصح في ذم الطلاق والتحذير منه وهي: " لعن الله كل مزواج مطلاق " [٤]

---

(١) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ١٦٨ .

(٢) القرآن الكريم والكتاب المقدس. أيهما كلمة الله ؟ أحمد ديدات ، ص ١٠٠ .

(٣) انظـــر : طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، شرح وتعليق : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ،٤/١ ، في نقض كتاب " في الشعر الجاهلي " ، محمد الخضر حسين ، المطبعة السلفية القاهرة ، ١٣٤٥هـــ ، ص ٣٠١ ، وانظر ديوان امرئ القيس ، ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ١٤٠٣هـــ .

(٤) ذكره السخاوي بلفظ " إن الله يكره الرجل المطلاق الذواق " وقال : لا أعرفه .كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، العجلوني

و " تزوجوا ولا تطلقوا " [1] و " الطلاق يهتز له العرش " .[2]

ومن المآخذ المهمة التي يأخذها الباحث على العلماء المسلمين ما صنعه أحمد حجازي السقا وهو يحاول إثبات صور تقارب بين الكتب الثلاثة ومعتقدات الأديان الثلاثة فقال منزهاً التوراة عن التجسيم والتجسيد : " نجد في التوراة آيات متشابهات :١) آيات تذكر ان لله وجهاً وعينين وأجفاناً وأذنين ...٢) وآيات تنسب صفات الإنسان وأفعاله ومشاعره إلى الله ....٣) وآيات تذكر أن الله تعالى ظهر لبعض الناس ظهوراً شخصياً وتكلم معهم فما تفسير ذلك ؟ "

وأجاب السقا بأنه ينبغي أن ترد هذه المتشابهات إلى حكم التوراة الذي يصف الله بأنه ليس له مثيل ولا شبيه. ويفصل فيقول " وعن الأمر الأول نقول : ... هذه الآيات تؤول وتفسر بالمعنى المجازي لا بالمعنى الحقيقي ، فاليد كناية عن القدرة و .... وعن الأمر الثاني نقول : الآيات التي تنسب صفات الله وأفعاله ومشاعره إلى الله ، هذه الآيات جاءت على سبيل المشاكلة ، مشاكلة الفكر للفكر للقرب والاستئناس "[3] " عن الأمر الثالث ..... إن كاتب التوراة حينما يتحدث عن ظهور الله شخصياً يفسر ذلك في موضع آخر بأن الذي ظهر ليس الله نفسه ، بل ملاك من ملائكته ... "

وهذا الذي يقوله السقا مرفوض من قبل المسلمين قبل غيرهم من النصارى، إذ تأويل الصفات مذهب للخلف ذهبوا إليه تأثراً بالمنطق اليوناني وسواه من الفكر الدخيل على المسلمين، فيما يثبت سلف هذه الأمة ومن لدن الصدر الأول، كما جاء عن الصحابة والتابعين هذه الصفات التي وردت في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة على كيفية تليق بجلال الله وذاته العلية، ولا يرون في ذلك أدنى مشابهة للمخلوقين، بل يرون كفر من شبه الله بخلقه.

والذي يصنعه أهل التأويل إنما هو نوع من التعطيل أوقعهم فيه وقوعهم في التشبيه ابتداء، وكما ورد عن السلف :كل معطل مشبه.

ثم مثل هذا الاعتذار للنصوص الكتابية من السقا لا يوافقه عليه حتى النصارى ، يقول القس أنيس شروش وهو يتحدث عن قدرة الله حتى على الأكل والشرب ، فيذكر قصة زيارته لإبراهيم وتناوله للطعام عنده فيقول : " في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين ، وهو يخبرنا أن ثلاثة زوار لإبراهام (إبراهيم) ، وأحدهم يخاطبه أبراهام بإعتبار أنه إله ، ولقد كان أبراهام يقف أمامهم وهم يأكلون .. ربما تكون المشكلة – يا سيدي العزيز (ديدات) – كامنة في أنك رغم قولك بكل تأكيد وبكل إيمان كل يوم : الله أكبر ، أكثر من أربعين مرة فإن الله عندك ليس كبيراً إلى حد أن ينجز الله مثل هذه المعجزة التي تفوق خيالك " فالقس شروش يعتبر تجسد الله على هيئة رجل ثم طعامه من ضيافة إبراهيم معجزة إلهية ، ويقول

، المقاصد الحسنة ، السخاوي ،مكتبة الخانجي ،مصر، ١٣٧٥هـ ،ص ٤٥٨ .

(١) – (٢) وهما حديث واحد أورده ابن عدي في الكامل ١٧٦٤/٥ وقال عنه ابن الجوزي : موضوع . المقاصد الحسنة ، وانظر الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ص ١٨٥ .

القـــس شوبرج معلقاً على قصة إبراهيم وضيوفه " لقد قلتم هنا - أي ديدات - إن عيسى لم يكن إلهاً لأنه كان يأكل ، ولكن حيث إن الله والملائكة أكلوا من النذر حسب رواية العهد القديم .... " وتسمية شروش للعمـــل الإلهي معجزة هي نوع من الخلل الذي تؤديه فكرة تجسد الإله ، فيتعامل المخلوق مع الخالق على أنه صورة بشرية تأكل وتشرب ... وتأتي بالمعجزات التي يأتي بها الأنبياء .

ولئن كان السقا يرى أن المقصود من " الرب " أو " الله " : الملائكة فإن عوض سمعان يذكر في كتابه " الله " طـــرقه إعلانـــه عن ذاته " أن كلمة " ملاك " أو " ملاك الرب " التي تنسب إليها بعض الأفعال في الكتاب المقدس إنما يراد بها الله عز وجل ، ويستشهد بما جاء في سفر التكوين " الله الذي رعاني ، الملاك الذي خلصني" (التكوين ٤٨/١٥-١٦) ، ويعلل فيقول " اصطلاح " ملاك الرب " معناه حسب الأصل : المبلغ لرسائل الرب ، ولما كان الرب هو خير من يقوم بتبليغ رسائله " يحق أن يسمى الرب من جهة ظهوره لتبليغ رسائله ملاك الرب ، بمعنى : المعلن لمقاصده ، أو المعلن لذاته " . [1]

---

(١) انظـــر : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، ط١ ، دار الكتب الحديثة ،١٩٦٥م ،ص ١٩٣ - ١٩٥ .

المبحث الثاني : المناظرات مع النصارى

المـــناظرة : لغة من النظير .والنظير : المثل ، قال الجوهري : نظير الشيء مثله، ويقال ناظرت فلاناً أي صرت له نظيراً في المخاطبة.

وقـــد تكـــون من النظر بالبصيرة ، وعرفها الجرجاني بأنها : "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب" . [1]

والمـــناظرة بمعـــناها السائد هي المباحثة المباشرة بين طرفين في مسألة من المسائل ، وهي لون من ألوان الدعـــوة اســـتخدمه العلماء المسلمون في الرد على النصارى قديماً وحديثاً ، وكان أهم المناظرات التي قام بها علماء القرن الرابع عشر مناظرة رحمة الله الهندي للقسيس فندر عام ١٢٧٠هـــ في مدينة أكرا .

وكانـــت قد جرت مناظرة في بيت القسيس فرنج بين رحمة الله الهندي وعضده محمد وزير خان وبين القس فزنج وكئي ، وذلك في نفس العام .

وتأثـــر بهـــذا الأســـلوب أحمـــد ديدات ، وأجرى سلسلة من المناظرات كان أهمها مع القس جيمي سويجارت في عام ١٩٨٥م قد ناظر القس فلويدا يجلارك ثم ناظر القس روبرت دوجلاس في عام ١٩٨٦م .

وفي مـــناظرة ديـــدات لدوجلاس وقف القس شروش داعياً ديدات للمناظرة ، فقبل ديدات التحدي وناظـــره في قاعة ألبرت في لندن مرتين ، وفي عام ١٩٩١م ناظر ديدات باستر ستانلي شوبرج كبير قساوسة السويد ، وعاد لمناظرة ثانية في الليلة التالية .

ثم أرســـل ديـــدات إلى بابا روما يطلب منه المناظرة ، وبعد إلحاح وافق بابا روما على لقاء ديدات في سكرتارية الفاتيكان ، ولما أخبره ديدات بأنه ثمة حضوراً من المسلمين يريدون مشاهدة الحوار وتسجيله نكص الـــبابا عـــن لقـــاء ديدات وأرسل إليه صورة للبابا وهو يضع يديه على عينيه ، ويفهم منها استصغاره لشان العلامة ديدات .[2]

وفي عـــام ١٩٨١م جرت مناظرة في الخرطوم بالسودان بين مجموعة من القسس النصارى وثلاثة من عـــلماء الإسلام وهم اللواء أحمد عبد الوهاب ، والاستاذ إبراهيم خليل أحمد ، ومحمد جميل غازي ، وانتهت بإسلام القسس .[3]

---

(١) انظـــر : لسان العرب ، ابن منظور ، ط دار صادر ، بيروت ، ٢١٦/٥ ، التعريفات ، الجرجاني ، المكتبة الفيصلية ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٢) أحمـــد ديدات بين الإنجيل والقرآن (حوارات مختلفة مع ديدات) جمعها دار المختار الاسلامي ، ص٥٥ - ٥٨ ،خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس ، أحمد ديدات ،ص ١٦-١٨ .

(٣) انظـــر : مـــناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ط٢ ، طبعت بإشراف الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد ، مكتبة ابن خزيمة ، الرياض ، ١٤١٢هـــ .

ويضـــاف إلى ذلـــك الكـــثير من المناظرات التي لم تخرج إلى العلن لكونها قد جرت بين جدران أحد البـــيوت، ومنه مناظرة الدكتور أحمد حجازي السقا لقس آشوري لم يذكر اسمه ، ومناظرة الدكتور حافظ الجعبري لأحد القسس في مدينة الخليل إلى غير ذلك مما لم يتيسر لنا الاطلاع عليه أو على تفاصيله .

والمـــناظرة لون من ألوان الجدل له طابع خاص وظروف خاصة ، إذ فيه من دواعي التحدي ما يدفع لمشاهدة المناظرة أو قراءة أحداثها مما لا يتوافر لكثير من الكتب التي كتبت في نفس الموضوع .

فالمـــرء عندما يقرأ في كتب الجدل الديني ويسمع حجة أحد الفريقين يتساءل في قرارة نفسه عن حجة الفـــريق المقـــابل ، وعن مدى قدرته على تفنيد ما زعمه خصمه ، وهذا الأمر يبعد في أسلوب المناظرة حين يسمع المرء حجة الفريقين .

وفي المقابل فإن المناظرة يشغب عليها اعتمادها على معلومات الطرفين القاصرة والتي لا يمكن استدراك نقصـــها في وقت المناظرة ، كما يسهم في أثرها وحجة أطرافها شخصية المتناظرين وطلاقتهما وقدرتهما على البرهان الواضح وفي وقت قصير .

وأمـــا ترتيب هذه المناظرات فقد كان أمراً متروكاً للمتناظرين ، ففي مناظرة فندر ورحمة الله الهندي ، ومـــن خلال مراسلات مطولة بينهما اتفق الاثنان على موعد المناظرة وموضوعها ونظامها ، وقد اتفقا على أن يكـــون الشيخ رحمة الله الهندي معترضاً في مسائل النسخ والتحريف والتثليث وألوهية المسيح فيما يكون القـــس فـــندر مجيـــباً ، وعلى أن يحصل العكس في مسألتي النبوة وإعجاز القرآن وقد عقدت جلستان فقط للمناظرة كان موضوعها مسألتي النسخ والتحريف ، ثم انقطع القس فندر عن المناظرة .

وفي المـــناظرات الـــتي أجراها ديدات برعاية بعض المؤسسات الإسلامية اتفق مع مناظريه على اقتسام وقت المناظرة وتوزيعه بالتساوي على المتناظرين ، واللجوء إلى القرعة لتحديد الطرف الذي يبدأ بالحديث .

ثم لكـــل من الطرفين أن يقول ما يراه مهماً في موضوعه ، ثم يترك الحكم بين المتناظرين للمشاهدين الذين يمنح بعضهم فرصة لطرح أسئلتهم على الطرفين بالتساوي أيضاً .

ولا ريـــب أن الطريقة الأولى التي اتبعها رحمة الله الهندي أحكم وأفضل من الناحية العلمية إذ يتجادل المتناظران في مسألة فيفرغان منها فينتقلان لأخرى وهكذا .

وأمـــا الـــنوع الثالـــث فهو تلك المناظرة التي أجريت في الخرطوم وتقدم فيها الطرف المسيحي بأسئلة أجاب عنها مناظروهم المسلمون بما هو أشبه بالمحاضرة منه للمناظرة .

وتـــبقى مشـــكلة التلاعب بنصوص المناظرات مشكلة تواجه علماءنا ، فعندما ناظر رحمة الله الهندي القس فندر نشر القس نصاً للمناظرة محرفاً ، وأما مناظرات ديدات فقد أجريت جميعاً برعاية هيئات إسلامية ، فـــلم تـــتعرض للقص والإضافة (المونتاج) ، ولكن عند طبع هذه المناظرات وترجمتها تعرضت للكثير من التشـــويه والـــتحريف رغـــم أن الترجمة تمت بأيدٍ إسلامية ، وكمثال لذلك ترجم علي الجوهري ورمضان الصـــفناوي مـــناظرة ديـــدات الأولى مـــع القس أنيس شروش ، وفي كل من الترجمتين ما ليس بالأخرى ، والخـــلاف بينهما ليس مجرد خلاف في اختيار اللفظ ، بل أهمل كل منهما - وخاصة الجوهري - أفكاراً لم

تروق له .

وإذا وقع هذا الصنيع من مسلمين تصدوا لدعوة النصارى وتخصصوا في هذا الباب فماذا عساه يكون لو كان المتولي لشأن ترجمة وتوثيق هذه المناظرات من النصارى ؟

والحـــق أن جمـــيع المـــناظرات التي أجراها العلماء المسلمون كانت محل توفيق من الله ، فقد رأينا من هدوئهـــم وثـــباتهم وقوة حجتهم ما يليق بصاحب حق لا يشك في ظهور حقه ، وفي المقابل رأينا من ثرثرة مخالفيهم ومغالطيهم واضطراهم ما يناسب ضعف حجتهم وهوان أمرهم .

فلقـــد أبان العلماء المسلمون في هذه المناظرات عن معرفة بأساليب الجدل ودراية واسعة في موضوعات الجدل النصراني فاقت معرفة كبار رجال الكهنوت في مسائل تتعلق بدين النصارى ، ففي حين رأينا رحمة الله الهـــندي يذكر النصوص الكتابية ويحيل إلى أماكن وجودها في الكتاب المقدس فإننا نرى عند المناظر النصراني جهلاً مطبقاً يصل إلى حد ذكر أقوال لا أصل لها ينسبها للكتاب المقدس ، ومنه قول كبير قساوسة السويد " عـــندما يتكلم الإنجيل عن سليمان أو شمشون فإن الإنجيل يقول : " إن الله قاضٍ ولا توجد مغفرة إن لم تكن هناك توبة " (لم أجده) وفي موضع آخر يقول : " لقد ورد بسفر نحميا بالعهد القديم مقولة أنا أعرفك قبل أن تكـــون في رحم أمك " ، والصحيح أن النص في سفر إرميا وليس نحميا (إرميا ١/٥) ، وأيضاً لم يتنبه القس شوبرج إلى التماثل التام بين ما جاء في (ملوك (٢) ١٩/١ - ١٢) و (إشعيا ٣٧/١ ١٢) .

وكشـــف العـــلماء المسلمون عن المغالطات التي يفرض النصارى من خلالها الوصول إلى الباطل وقلب الحقـــائق يقول ديدات وهو يصحح خلل التفكير عند النصارى : " يقول الدكتور (شروش) إما أن يكون المسيح كذاباً أو إلها . ويقول إما أن يكون المسيح مجنوناً أو إلهاً .

لماذا يضع الدكتور المسألة بهذا الشكل ؟ ولماذا لا يكون عيسى المسيح رسولاً من رسل الله ؟ هل كلمة " الله " هـــي عكس كلمة " الكذاب .... " .[1] ومن المغالطة ما قاله شروش تعليقاً على عدم قدرة المسلمين على فهم كيفية تجسد الإله وممارسته للنشاطات البشرية من طعام وشراب وختان وتجسد ، فيقول شروش : " لـــو قبلنا بحقيقة أن الله قادر على كل شيء ويستطيع أن يفعل أي شيء لا نحلت المعضلة ..... نؤمن بأننا ننـــتقص مـــن قـــدرة الله لو اعتقدنا أنه لايستطيع أن يصبح إنساناً " ومغالطة شروش أنه علق قدرة الله بأمر مستحيل ، وقدرة الله إنما تتعلق بالممكنات ، لذا فإن العلامة ديدات ذكر له صوراً مستحيلة لا يستطيع القس شـــروش أن يدعي بأن الله يصنع أياً منها فيقول ديدات : إن الدكتور (شروش) قد ذكر بين أيديكم أن الله يستطيع ويقدر أن يصبح رجلاً ، لقد قال : إن الله يستطيع أن يعمل أي شيء . وأنا أتحدى أن يتصور أحد أن يخلـــق الله إلهـــاً آخر ... إن الله لا يستطيع أن يرمي أحداً خارج ملك الله . أين يرمي الله به وقد وسع ملكه السماوات والأرض ؟ هناك أشياء كثيرة تتنافى مع الألوهية لا يعلمها الله ... إن الله جل جلاله يعمل الأعمال اللائقة بالألوهية ، وهو الله تبارك وتعالى لا يعمل الأعمال غير اللائقة بالألوهية " وهكذا أبطل ديدات تعليق

---

(١) انظر : مناظرة العصر ، أحمد ديدات ، ترجمة :علي الجوهري ، دار الفضيلة ، ص ٧٨ .

النصارى قضية التجسد بقدرة الله المطلقة .[1]

ومثله صنع سويجارت حين برر وجود خبر وفاة موسى في توراته فقال : " نعلم أن للرب ، وأنا أعلم أن الإسلام أيضاً يؤمن أن للرب من القدرة ، بحيث يوحي إلى موسى بالضبط الكيفية التي يموت بها ، ويوحي إليه بدقة الهيئة التي تكون عليها جنازته ، وهذا ليس بمعضل على الرب " وفي رده على هذه المغالطة يبين ديدات أن السياق في سفر التثنية يتحدث عن أفعال بصيغة الماضي (مات – دفن – كان عمره مائة وعشرين عاماً حين مات " .

ومن المغالطة والكذب ما قال شوبرج بأن الإنجيل تنبأ بأحداث حصلت في هذا القرن فيقول : " نستطيع أن نقرأ ما قاله المسيح عن المستقبل عندما نتأمل ما يحدث في عالمنا اليوم ، عندما يعود اليهود إلى دولة إسرائيل بأرض إسرائيل عندما تتجمع كمية من الصراعات في الأرض .. وعندما تغيم الشمس فوق الكويت بعد الحرب هذا هو بالضبط ما تنبأ به يسوع " وشوبرج دعي كذاب ، إذ لا يوجد في الأسفار المقدسة شيء من ذلك .[2]

وكشفت المناظرات عن جرأة النصارى في تطوير الدين واختراع عقائد كلما لزم الأمر ، فالقس أنيس شروش يعتقد ألوهية المسيح ، ويرى أن مما يشهد لها ميلاده من غير أب ، لكن ملكي صادق كاهن سالم في عهد إبراهيم ليس له أب ولا أم كما ذكر العهد الجديد (انظر عبرانيين ٧/٢ – ٣) فهو كما يقول ديدات " لو صح ذلك يكون مستحقاً أن يعتبر إلهاً أعظم من يسوع " ، لكن شروش يقول قولاً لم يسبق إليه فيقول : " ملكي صادق هذا الذي كان ملكاً لمملكة سالم كان في حقيقة أمره ظهوراً آخر ليسوع ، وتجسد باعتبار أنه كاهن الله " .[3]

فأي من الفرق النصرانية لم يقل بأن ابن الله قد سبق تجسده أو سيعاد تجسده عبر إنسان آخر غير عيسى .

وقد حرص العلماء المسلمون في مناظراتهم إلى بيان حقيقة الإسلام وتصحيح الفكرة التي وضعتها الكنيسة في أذهان أتباعها ، ونجد هذا المسعى واضحاً في جميع مناظرات ديدات .

وفي مقابل الإيجابيات الكبيرة التي حققها العلماء المسلمون في مناظراتهم للنصارى فإن ثمة أموراً تذكر بالسلب في هذا الباب

المناظر المسلم يستدرج للحديث في موضوعات لا يجيدها ، فيتوقف تاركاً الكثير من إشارات الاستفهام، وهذا وقع بالفعل في مناظرة ديدات الثانية للقس أنيس شروش والتي كانت بعنوان " القرآن الكريم والكتاب المقدس أيهما كلام الله " فالقس أنيس شروش الفلسطيني والذي يجيد العربية إلى حد ما فاجأ

---

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ترجمة:علي الجوهري ،دار الفضيلة ،ص ٢٤ – ٢٥ ، ٤٧ ، ١٤١ .

(٢) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ،ص ١١٨ .

(٣) انظر : مناظرة العصر ، أحمد ديدات ، ص ٤٦ ، ٤٧، وموضع الشاهد لم يذكره رمضان الصفناوي في ترجمته للمناظرة ، ولأهميته ذكر الجوهري نص كلام القس باللغة الإنجليزية .

العلامة ديدات – وهو لايجيد العربية – بسيل من الشبهات تتعلق بعربية القرآن الكريم ، فذكر وجود كلمات وجمل أعجمية، كما ذكر أن فيه أخطاء نحوية وعلمية ، وأنه منحول من شعر أمرئ القيس ..... [1] ولم يجد ديدات ما يرده عليه ، ومثل هذه الشبهات ما كان لها أن تنطلي على عربي ملم بالعربية وقواعدها وأساليبها، وإن أهمل الرد على بعضها عبد الرحمن دمشقية في تعليقه على المناظرة ورده شبهات القسيس الورادة فيها .

كمـــا يؤخذ على أسلوب المناظرة أنه قد يخرج من المناظر سبق لسان لا يريده ولا يعتقده كما حصل في مناظرة ديدات الأولى مع القس شروش حين قال وهو يتحدث عن زعم النصارى بأن الله يتجسد في البشر فالبشر مخلوقات خلقها الله على صورته ، وهو يتجسد بهذه الصورة البشرية ، فيقول ديدات في الرد على هذا " الله كمـــا يعتقد أخي شروش وكثير من المسيحيين في صورة بشر .... كيف انحرفوا عن الطريق المستقيم ، يعزون إلى الله طبيعة حيوانية أنه كالبشر ، فنحن مخلوقون على صورة . أي صورة ؟ هذه الصورة صورة قرد، كلنا قرود محسنة ، فبعضنا يشبه الشمبانزي ، والبعض الآخر يشبه السعدان ، والبعض يشبه الغوريلا . أهذه الصـــورة الـــتي يتحدث الله عنها ... إذن يجب أن يكون له أسنان ولسان وحنجرة ... كيف تنزلون الله هذه المنزلة الوضيعة وتشبهونه بالبشر " . [2]

فقول ديدات بأننا صورة محسنة عن القرود يوهم بأنه دارويني ، وهو بالطبع ليس كذلك ، فهو مؤمن بالقرآن الذي تحدث عن خلق آدم من طين .

وســـواء أراد من قوله ذاك استغلال شيوع فكرة الداروينية بين المستمعين أو أنه أراد أن يجعل لعقيدة التجســـد صورة منفرة يشمئز منها الذوق ، أياً كان فإن هذا الكلام غير مقبول ، ونحمله على أنه فلتة لسان منه غفر الله له .

كمـــا أنـــه ثمة موضوعات لا يمكن للسامع أن يعيها إلا من خلال دراسة مطولة لا يتسع مجال ووقت المـــناظرة لإثباتها إذ قد يلزم طرح الكثير من المقدمات دونها ، ولضيق الوقت وجهل الجمهور بالمقدمات يبقى الســـؤال من غير إجابة شافية ، ومنه السؤال الذي وجه لديدات عن سبب إحراق عثمان للمصاحف [3] ، فبـــيان هذا الأمر بما يشفي يستلزم مباحث مطولة عن الأحرف السبعة ومعناها كما كتابة المصحف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ..... وذلك كله لا يتيسر في مدة الدقائق المعدودة الممنوحة للسؤال .

---

(١) انظر : القرآن الكريم والكتاب المقدس. أيهما كلمة الله ؟ أحمد ديدات ، ص ٩٦ – ١٢٢ .

(٢) المـــناظرة الكبرى بين الشيخ أحمد ديدات والقس أنيس شروش ، ترجمة رمضان الصفناوي ، ص ٨٦ ، وأنبه هنا إلى أن الجوهري أغفل هذا النص فلم يترجمه ضمن ترجمته للمناظرة .

(٣) انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٢٢ .

الباب الثالث :

جهود علماء المسلمين

في الرد على النصارى

في القرن الرابع عشر الهجري

الفصل الأول :

عقائد النصرانية

(ألوهية المسيح و التثليث)

المبحث الأول: ألوهية المسيح.

﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾[1] ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه و جعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾ [2] ﴿ و قالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * و ما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات و الأرض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم و عدهم عداً * و كلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾ [3].

توضح الآيات بجلاء و وضوح معتقد المسلمين في المسيح عليه السلام ،فهو رسول أرسله الله لهداية الناس كما أرسل كثيرين قبله و محمداً بعده.

أما النصارى فيقولون ببنوته لله و يقول بعضهم بأنه الله فمن أين استدلوا لهذا المعتقد،و هل في كتبهم ما يؤيد ذلك ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[4].

و أتى القوم ببرهانهم، فقد تذرعوا بما جاء في كتبهم من نصوص رأوا أنها تؤله المسيح فألهوه، وانبرى علمائنا في تفحص هذه النصوص التي لا يسلمون بقداستها أصلاً، لكنهم تنزلوا في سبيل الكشف عن الحقيقة فكان هذا الجهد في مطلبين:

الأول: الأدلة النصية للنصارى على ألوهية المسيح.

الثاني: الأدلة العقلية للنصارى على ألوهية المسيح.

---

(١) سورة المائدة، آية:٧٥.

(٢) سورة الزخرف، آية:٥٩.

(٣) سورة مريم، آية:٨٨-٩٥.

(٤) سورة الأنبياء،آية:٢٤ .

المطلب الأول:أدلة النصارى على ألوهية المسيح.

تؤمن الفرق النصرانية- على اختلافها في طبيعة المسيح-تؤمن بأن المسيح إله متجسد، و تؤيد دعواها بعشرات النصوص التي وردت في العهد الجديد أو القديم، و تتحدث عن إلهيته ، منها النصوص التي سمته ربا و إلها أو ابنا لله، و منها النصوص التي أفادت أن فيه حلولا إلهيا، و منها النصوص التي أضافت خلق المخلوقات إليه ثم ما ظهر على يديه من معجزات إلهية كتنبؤه بالغيب و إحيائه الموتى...[1]

فهذه المسائل كلها تدل على ألوهية المسيح، كما أن البعض من النصارى قد يستدل ببعض الدلالات العقلية في هذه المسألة التي لا مدخل للعقل في إثباتها. و لذا فإن هذا البعض كاد أن يكون نادرا.

و رغم أن جميع ما يحتج به النصارى في هذه المسألة لا يسلم المسلمون بصحته، بل يجزمون بتحريف كثير منه، رغم ذلك فإن علماءنا درسوا دلالة النصوص التي أوردها النصارى، و رأوا أن لا حجة فيها و لا متعلق في مسألة ألوهية المسيح.

و سجل علماؤنا ملاحظات هامة في هذا الباب:-

*أنه لا يوجد نص واحد في الكتاب المقدس يصرح فيه المسيح بألوهيته أو يطلب من الناس عبادته، و في هذا الصدد يتحدى ديدات كبير قساوسة السويد قائلا:"أضع رأسي تحت مقصلة لو أطلعتموني على نص واحد قال فيه عيسى عن نفسه: أنا إله. أو قال: اعبدوني".

و في المقابل توجد عشرات النصوص المصرحة بعبوديته لله عز و جل ،و يعترف النصارى بعدم وجود هذا الدليل الصريح، و يتلمسون لذلك الأعذار، فيقول القس شروش مبررا اختفاء هذا النص الصريح: إن ملكة بريطانيا لا تحتاج إذا دخلت مكانا أن تقول بأنها ملكة بريطانيا. و هذا صحيح لأن أحدا لا ينازع في كونها ملكة لبريطانيا و الكل يعرف ذاك، لكن شأن المسيح شأن آخر.

و يورد كتاب" شمس البر" تبريرا آخر فيقول:"لأنه لو قال: أنا الله. يجمع إلى إقنومه أقنوم الأب و الروح، و هما معه أقنومان ممتازان في اللاهوت، بل قال: أنا ابن الله، لنعرف نسبة الأزلية إلى الأقنوم الأول"

و لا ريب أن مثل هذا يقعد عن مرتبة الجدال و الحجاج.

أما القس فندر فيقول في كتابه"مفتاح الأسرار" مبررا عدم تصريح المسيح بألوهيته في العهد الجديد:"ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة و الوحدانية قبل قيامه و عروجه...فلو قال صراحة لفهموا أنه إله بحسب الجسم الإنساني...إن كبار ملة اليهود أرادوا أن يأخذوه و يرجموه ،و الحال أنه ما كان بين ألوهيته بين أيديهم إلا عن طريق الألغاز".

---

(١) انظر كلام القس شروش و القس شوبرج في مناظرتيهما لديدات، و كذا ما نقله السقا عن إلياس مقار. انظر أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ص١٠٩-١٢٢، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١١٣-١١٨،١٥٦، مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٤٩-٥٧، ٨٠.

وبالفعل لو كان المسيح قد ادعى الألوهية لاستحق القتل بموجب الشريعة التوراتية(انظر التثنية ١٣/١-٥)، وحينئذ يجب على النصارى أن يوافقوا اليهود في قتلهم المسيح .

و يرى رحمة الله الهندي و الألوسي هذا الكلام متهافتا إذ عدم الفهم من التلاميذ لألوهية المسيح لا علاقة له بالقيامة فلو صح أنهم فهموه بعد القيامة فلم غاب عنهم قبلها؟

و أما الخوف من اليهود فلا يقبل نسبته للإله أو حتى للمسيح الذي رأيناه يواجه اليهود مررا فيقول:"الويل لكم أيها الكتبة و الفريسيون المراءون...أيها العميان...لأنكم تشبهون القبور المكلسة، أيها الحيات و الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم" (متى ٢٣/١٣-٣٤)،فكيف له بعد ذلك أن يغمض على البشرية في إظهار حقيقته، ففي ذلك إضلال و تلبيس[1].

* ثم إن أقوى ما يتعلق به النصارى من الدليل لا يوجد إلا في إنجيل يوحنا و رسائل بولس، بينما تخلو الأناجيل الثلاثة من دليل واضح ينهض في إثبات ألوهية المسيح.

بل إن خلو هذه الأناجيل عن الدليل هو الذي دفع يوحنا –أو كاتب يوحنا–لكتابة إنجيل عن لاهوت المسيح، فكتب ما لم يكتبه الآخرون، و جاءت كتابته مشبعة بالغموض و الفلسفة الغريبة عن بيئة المسيح البسيطة التي صحبه بها العوام من أتباعه.

و رغم ذلك فإن ممدوح جاد يعتبر أن هذا الإنجيل "متهم ظلما بلاهوت المسيح" إذ هو مليء بما يثبت بشرية المسيح و إن توهم من بعض مجازاته و غموضه ألوهية المسيح. و يرى رحمة الله الهندي أن ما جاء في هذا الإنجيل لا يخرج عن أمور ثلاثة:

١–قسم لا دلالة فيه و تعلقهم فيه مجرد زعم.

٢– قسم وجه الدلالة فيه تفاسير النصارى و تأويلهم الذي لا يوافقون عليه.

٣–قسم به الدلالة على ألوهية المسيح لكن يجب تأويله باتفاق بيننا و بينهم، و نوجب أن يكون التأويل بما لا يخالف البراهين و النصوص.

*إن عدم الدليل الصحيح جعل النصارى يحرفون في طبعات الأناجيل و من ذلك إضافتهم نص التثليث الصريح الوحيد في (يوحنا (١) ٥/٧) و أيضا جاء في تراجم الإنجيل الجديدة في وصف المسيح "المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى أبد الآبدين"(رومية ٩/٥).

و النص حسب ترجمة الملك جيمس– و التي عنها ترجم الكتاب المقدس إلى اللغات العالمية– يغاير

---

(١) انظر:تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ١١ب،إظهار الحق،رحمة الله الهندي،تحقيق:محمد أحمد ملكاوي،ط١،دار الحديث،القاهرة،١٤٠٤هـ، ٣/٧١٨-٧٢٤،الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي،ط١،دار البيان العربي،القاهرة،١٤٠٨هـ، ١/١٨٩-١٩٠،سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ط١،١٣٩٠هـ،ص ٣٥٢-٣٥٤،براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ط١،دار الكتاب الحديث،١٤٠٩هـ،ص ٥٧،مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٦٠-٦١،مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٣٥،دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،دار الفضيلة،القاهرة،ص ٢٣٥ .

فيقول:"حسب الجسد المسيح الذي فوق الجميع أيها الملك المبارك للأبد آمين" فالنص لا يصف المسيح إنما جاء في سياق دعاء الله عز و جل.

و مثله يلحظ ناسخ البحث الصريح تحريفا في قول بولس عن المسيح "الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع و طرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثا لكل شيء، الذي به أيضا عمل العالمين، الذي هو في بهاء مجده و رسم جوهره..."(عبرانيين ١/١-٣).

و النص محرف إذ هو في الترجمة العبرانية يتحدث فيه بولس عن المسيح،فيصفه بأنه:"لوكادها كابود"أي كالزهرة المجيدة،بينما تصفه التراجم العربية المترجمة عن اليونانية بأنه" بهاء مجده " ،وتعود بالضمير إلى الله عز وجل،ثم تصف المسيح بأنه "رسم جوهره"والمفروض أن يعود الضمير-إذا صحت الترجمة-على كوكب الزهرة .

و مثله في قول بولس "الله ظهر في الجسد" (تيموثاوس(١)٣/١٦) فالفقرة كما قال المحقق كريسباخ: محرفة، إذ ليس في الأصل كلمة "الله" بل ضمير الغائب "هو" و من الممكن أن يعود على الله أو على غيره.

و مثله جاء في التراجم القديمة"عظيم هو سر التقوى الذي ظهر في الجسد"فأحالته الترجمات الحديثة إلى دليل على الحلول فقالوا:"عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد" (تيموثاوس(١)٣/١٦).[1]

*كما أن عدم الدليل في هذه المسألة جعل النصارى يصدرون بقول جديد مفاده أن المسيح لم يعلن ألوهيته لتلاميذه في بدء دعوته، بل تدرج بهم حتى كشف لهم عنها بعد قيامته.

و من القائلين بهذا الرأي بترسمث في كتابه الشهير"سيرة المسيح الشعبية"، فيقول عن مريم و موقفها من ابنها "هل حسبته إلها ابن الآب الأزلي... إن رواية الإنجيل تجعل هذه الفكرة محالة، كما أن العقل لا يسلم بها، و إلا كيف استطاعت أن تؤنبه على توانيه في الهيكل مع أحبار و علماء اليهود؟ و كيف عالجت شؤونه كلها كطفلها الخاضع لها...

كلا إن العذراء لم تفكر في ولدها كإله... لم تدرك سر ألوهيته الهائل الذي لم تفطن إليه و لم تعرفه إلا مؤخرا، و حتى التلاميذ أنفسهم لم يدركوا هذا السر الهائل إلا قبيل نهاية حياته...لكنهم لم يفطنوا إليه و يدركوه تماما إلا بعد موته و قيامته و صعوده بمجد و إرساله الروح القدس.

عندئذ أخذوا يرجعون بذكرياتهم إلى الوراء خلال ثلاث سنوات تقضت في صحبته، و يتعجبون كيف أمسكت عيونهم عن معرفة ما عرفوه الآن"

إذن كانت ألوهية المسيح استنتاجا عقليا توصل إليه التلاميذ بعد رفع المسيح.

لكن سمث يتحدث عن ومضات أشار بها المسيح إلى ألوهيته من غير تصريح فيقول "فإنه كإنسان اكتسب عقلهم و إعجابهم و احترامهم، و تدريجيا أخذت أحاسيسهم تتعمق و تزداد في الدهشة و الرهبة،

---

(١) انظر:تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ٩أ ،إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٤٦٠/٢ ،المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،١٣٩٣هـ،ص ٩٨،١٢٦-١٢٧ .

في الحيرة و التردد، و قد حاروا في أمرهم، و لم يرد هو ما غمض عليهم، لكنه تحفظ بالسر الإلهي، حتى عند من لمحوا وميضا منه منعهم من أن يتكلموا، و حتى بعد التجلي أمرهم أن يصمتوا إلى يقوم ابن الإنسان من الأموات، و لم يبدأ بإعلان ذاته إلا قبيل نهاية حياته...و لم يشرف عليهم فجر هذا الإعلان إلا بعد القيامة و الأربعين يوما التي قضاها مترددا عليهم".[1]

وهذه الدعوى من النصارى تثور في وجهها تساؤلات عدة منها: لم أخفى المسيح هذه الحقيقة ؟ و لم لم يعلنها منذ اليوم الأول ؟ إن إخفائه المزعوم جعل الكثيرين —من معاصريه و من بعدهم من الذين تسميهم الكنيسة بالهراقطة- يقولون ببشريته و حق لهم ذلك.

و نتساءل هل كان إخفائه لحقيقته خوفا من اليهود؟ كيف يخاف و هو رب العالمين الذي نزل ليصلب؟

و نتساءل ماذا إذن عن النصوص التي أوردها يوحنا في بداية بعثة المسيح و تتحدث بما يعتبره النصارى أدلة على الألوهية كما في ٣/١٠-١٨ ،و٤/٩-١٤،و٦/٣٢-٣٨ ،و٦/٦١-٦٢ ،فكيف سطر يوحنا ذلك؟

ثم إن المتتبع لآخر أحاديث المسيح لا يجد أي مفارقة عما سبق الصلب من أقوال كما لا يجد في أحوال التلاميذ ما يدل على أنهم اكتشفوا ما لم يدروه من قبل ،فلوقا يذكر أن المسيح على الصليب قال:"يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون"(لوقا ٢٣/٣٤)، و كان ينبغي أن يجهر فيقول :سأغفر لكم .لكنه بشر يعجز عن ذلك، و أيضا قال للص المصلوب:"تكون معي في الفردوس"(لوقا ٢٣/٤٣)، و لو كان إلها لقال:أنعمت عليك بالفردوس.

و ها هو المسيح بعد القيامة يقول:"إني ذاهب إلى أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم"(يوحنا ٢٠/١٧)، و ها هم تلاميذه بعد القيامة يعتبروه إنسانا فقط فيقول اثنان منهم :"الناصري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل و القول أمام الله و أمام الناس" (لوقا ٢٤/١٩)، و كذلك قال عنه بطرس بعد رفعه"يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من الله بقوات و عجائب"(أعمال ٢/٢٢)، و قال في مرة أخرى"يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس و القوة..."(أعمال ١٠/٣٨)[2].

و نقول هنا إن مجرد الحديث عن تدرج إعلان ألوهية المسيح يطعن في كل ما تورده النصارى من أدلة على ألوهية المسيح من التوراة و الأناجيل ،إذ هذه الأدلة كلها و غيرها لم يجعل تلاميذه يقولون بألوهيته، فهم عندما أسموه ابن الله أو الرب أو الله ما كانوا يقصدون الحقيقة ،إنما كانوا يريدون المجاز، و هكذا في جميع ما يتعلق به النصارى في موضوع ألوهية المسيح.

---

(١) دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ط٢،مكتبة علاء الدين،الاسكندرية،١٩٧٢م،ص ٤٢٩-٤٣٢،وانظر :المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،ص ١٢.

(٢) انظر: دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٧١-٤٧٦، ٤٧٣، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،ص ١٢،٢٧.

نصوص نسبت إلى المسيح الألوهية و الربوبية

و يستمسك النصارى بالألفاظ التي أطلقت على المسيح لفظ الألوهية و الربوبية، و يرونها دالة على ألوهية المسيح و من ذلك ما اعتبروه نبوءة عنه في إشعيا "يدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا"(أشعيا٩/٦) ومثله قول بولس "المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد"(رومية٩/٥) و قول توما للمسيح:"ربي و إلهي "(يوحنا ٢٠/٢٨)، قال بطرس له:"حاشاك يا رب"(متى ١٦/٢٢)، و قال أيضا:"هذا هو رب الكل"(أعمال ١٠/٣٦)، و جاء في سفر الرؤيا عن المسيح" و له على ثوبه و على فخذه اسم مكتوب :ملك الملوك و رب الأرباب"(الرؤيا ١٧/١٤) و غير ذلك من النصوص مما أطلق على المسيح كلمة رب أو إله، فدل ذلك عندهم على ألوهيته و ربوبيته.

لكن هذه الإطلاقات ما كان لها أن تجعل من المسيح ربا وإلها ،إذ كثير منها ورد في باب التسمية،وتسمية المخلوق إلها لا تجعله كذلك.فقد سمي بولس و برنابا آلهة لما أتيا ببعض المعجزات"فالجموع لما رأوا ما فعله بولس رفعوا أصواتهم قائلين:إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا."(أعمال ١٤/١١)،فقد كان من عادة الرومان تسمية من يفعل شيئا فيه نفع للشعب :إلها،و لا تغير التسمية في الحقيقة شيئا،وقد سمي إسماعيل باسم عبراني معناه"الله يسمع"،ومثله يهوياقيم أي "الله يرفع"،ويهوشع "الرب خلص"،وغيرهم ... و لم تقتض أسماؤهم ألوهيتهم.

وجاء في سفر الرؤيا:"من يغلب فسأجعله في هيكل إلهي ،ولا يعود يخرج إلى خارج،وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي- أورشليم الجديدة -النازلة من السماء من عند إلهي واسمي الجديد" (الرؤيا ٣/١٢)، وجاء في التوراة:"فيجعلون اسمي على بني إسرائيل"(العدد ٦/٢٧).

فكما أطلق إرمياء على المسيح "الرب برنا"(إرمياء٢٣/٦)أطلقه أيضا على أورشليم في(إرمياء ٣٣/١٤-١٦)،وسماها حزقيال:"يهوشمة"(حزقيال ٤٨/٣٥)وهي كلمة عبرانية معناها:"الرب برنا"،وترجمها قاموس الكتاب المقدس:"الرب هناك".[1]

ثم إنا لا نسلم بصحة صدور تلك العبارات من التلاميذ،فقد كانت محلا للتحريف المقصود كما وقع في(يوحنا (١)٥/٧-٨)،كما قد يقع التحريف بسبب سوء الترجمة وعدم دقتها،فكلمة "الرب"التي ترد كثيرا في التراجم العربية كلقب للمسيح هي في التراجم الأجنبية بمعنى: "السيد"أو"المعلم"،فالمقابل لها في الترجمة الإنجليزية هو:lord،و معناها: السيد، و في الفرنسية :"le mait "،و معناها :المعلم، و هكذا في سائر التراجم كالألمانية والإيطالية و الأسبانية.

و ما أتت به الترجمة العربية ليس بجديد، بل هو متفق مع طبيعة اللغة التي نطق بها المسيح و معاصروه

---

(١) انظر سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٥٥-١٦٤،النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ط١،دار القلم،دمشق،١٤١٦هـ،ص ٨٩-٩٣،قاموس الكتاب المقدس،لمجموعة من العلماء اللاهوتيين،دار الثقافة،ص١٠٩٧

فكلمة"رب"عندهم تطلق على المعلم، و تفيد نوعا من الاحترام و التقدير كما قالت المرأة السامرية للمسيح:"يا رب أرى أنك نبي"(يوحنا ١٩/٤).

و في إنجيل يوحنا أن المسيح كان يخاطبه تلاميذه :يا رب، و مقصودهم: يامعلم، فها هي مريم المجدلية تلتفت إليه و تقول:" ربوني الذي تفسيره: يا معلم...و أخبرت التلاميذ أنها رأت الرب"(يوحنا ١٦/٢٠-١٧)، و خاطبه اثنان من تلاميذه:"رب الذي تفسيره: يا معلم"(يوحنا ٣٨/١).

و لم يخطر ببال أحد من التلاميذ المعنى الاصطلاحي لكلمة الرب حين أطلقوها على المسيح ، فقد كانوا يريدون :المعلم و السيد، و لذلك شبهوه بيوحنا المعمدان حين قالوا له:" يا رب علمنا أن نصلي كما علم يوحنا تلاميذه"(لوقا ١/١١). يقول برادلي :"الحواريون لم يؤلهوا عيسى، إنما كانوا يطلقون عليه: lord ، وهي كلمة منقولة عن أصل إغريقي بمعنى "السيد"، ثم تغير معناها عند الأقباط بعد ذلك فصارت تعني :"الرب" أيضا"

و أما قول توما للمسيح "ربي و إلهي" فهو لم يقع منه في مقام الخطاب للمسيح، بل لما رأى المسيح حيا و قد كان يظنه ميتا استغرب ذلك فقال متعجبا :"ربي و إلهي"(يوحنا ٢٨/٢٠)، و مما يؤكد صحة هذا الفهم أنه أخبر في نفس السياق بأنه سيصعد إلى إلهه (انظر يوحنا ١٧/٢٠)، و عليه فالألوهية هنا لو أريد بها المسيح فهي مجازية غير حقيقية.

و استعمال لفظة الرب بمعنى :السيد شائع في اللغة اليونانية يقول ستيفن نيل:"إن الكلمة اليونانية الأصلية التي معناها:"رب" يمكن استعمالها كصيغة للتأدب في المخاطبة، فسجان فلبي يخاطب بولس وسيلة بكلمة"سيدي" أو "رب" (انظر أعمال ٣٠/١٦)...و كانت اللفظة لقبا من ألقاب الكرامة... و لهذا السبب ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ "الرب"أطلق أولا على يسوع في الجماعات الأممية الناطقة باليونانية، وذلك لأنه هو الوصف الذي خلعوه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية"[1].

ثم لو صح الإطلاق و الترجمة فإنه ليس من دلالة للفظ على ألوهية المسيح، فإطلاق كلمة الرب و الإله معهود على المخلوقات، و قد وردت نصوص مختلفة في ذلك منها(الخروج ١/٧،المزمور ١/٨٢،٦،١٣٥/٥،يوحنا ٣٤/١٠)،و منه أيضا إطلاق لفظة "الرب" و الإله" على الملائكة فقد جاء في سفر القضاة و هو يحكي عن ظهور ملاك الرب لمنوح و زوجه" و لم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته، حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب، فقال منوح لامرأته:نموت موتا لأننا قد رأينا الله"(القضاة١٣/٢١-٢٢)

---

(١) انظر:إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٧٠٠/٣، ٧١٢_٧١٣، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٤٣، ما هي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٣٧، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٤٤،٣٧، ١٧٠، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،تحقيق:عبد الرحمن دمشقية،مكتبة الحرمين،ص ٨٢، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢٢٠/٢-٢٢١، النصرانية،مصطفى شاهين،دار الاعتصام،ص ١٣٥-١٣٦، المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ١٧٣-١٧٥، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حماد،ص ٣،٣٥،٨٤-٨٥، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة،محمد أبو الغيط الفرت،ط١،دار الطباعة المحمدية،١٤١٠هـ،ص ١١٨، الإنجيل ،محمد شلبي شتيوي،ط١،دار الفلاح،الكويت،١٤١٦هـ،ص ٥٩، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام،أميمة الشاهين،دار زهراء الشرق،القاهرة،ص ٢٣١.

و مراده ملاك الله.

و ظهر ملاك الله لسارة و بشرها بإسحاق"و قال لها ملاك الرب...فدعت اسم الرب الذي تكلم معها:أنت إيل رئي"(التكوين ١٦/١١-١٣)فأطلقت عليه اسم الرب.

و أطلق اللفظ على الأنبياء فقد قال الله لموسى عن أخيه هارون"هو يكون لك فما، و أنت تكون له إلها" (الخروج٤/١٦)، و قد عهد تسمية الأنبياء الله مجازا أي رسل الله فقد"كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: هلم نذهب إلى الرائي. لأن النبي اليوم كان يدعى سابقا الرائي" (صموئيل(١)٩/٩).

و أطلقت لفظة "الله"و أريد منها القضاة، لأنهم يحكمون بشرع الله، ففي سفر الخروج"إن قال العبد...يقدمه سيده إلى الله، و يقربه إلى الباب..."(الخروج٢٠/٥-٦)، و في السفر الذي يليه فيه"و إن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم هل لم يمد يده إلى ملك صاحبه...فالذي يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه"(الخروج ٢٢/٨-٩)، و في سفر التثنية "يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة أمام الرب أمام الكهنة"(التثنية١٩/١٧).

و قد سمى بولس الشيطان إلها، كما سمى البطن إلها، و أراد المعنى المجازي فقال عن الشيطان: "إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح"(كورنثوس(٢)٤/٥)، و قال عن الذين يتبعون شهواتهم و نزواتهم"الذين إلههم بطنهم، و مجدهم في خزيهم..." (فيلبي٣/١٩).

و جاء في الترجمة العبرية عن قايين ابن آدم "و ولدت له قايين، و قالت اقتنيت رجلا الذي هو الرب" و في الترجمة العربية"من عند الرب"(التكوين ٤/١)[1].

و يؤكد رحمة الله الهندي و هو يورد الكثير من هذه الإطلاقات بأن هذه اللغة في الاستعارة والمجاز معهودة جدا في التوراة كما قال كتاب "مرشد الطالبين":و أما اصطلاح الكتاب المقدس فإنه ذو استعارات وافرة غامضة خاصة العهد العتيق...و اصطلاح العهد الجديد أيضا هو استعاري جدا، و خاصة مسامرات مخلصنا، و قد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمي النصارى شرحوها شرحا حرفيا..."[2]

و إن تعلق النصارى بهذه الألفاظ:"الرب" و "الإله" عندما أطلقت على المسيح قد أريد بها ألوهية حقيقة بدليل فهم السابقين لها، فإن رحمة الله الهندي يرد هذا الاعتراض بذكر نصوص كثيرة تشهد لخطأ الفهم الذي وقع به التلاميذ و الاستغلاق الذي وقعوا فيه في فهم بعض أقوال المسيح(انظر يوحنا ٣/١٣،٦/٣٢-٦٥، ٨/٢١-٥٢،١١/١١-١٤)و سوى ذلك من الأمثلة[3].

كما أن المسيح و هو يسمع بمثل هذه الاستعارات و الآلهة المجازية أوضح بأن هناك إلها حقيقيا واحدا

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٦٦-٧٠٨، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/١٧٥-١٧٧، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٣١-١٥٤، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٣٥، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٧٩-٨٨.

(٢) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٠٢، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/١٧٨.

(٣) انظر:إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٠٨-٧١٢.

هو الله فقال:"الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت، أنت الإله الحقيقي وحدك، و يسوع المسيح الذي أرسلته"(يوحنا١٧/٣)[1].

نصوص بنوة المسيح لله.

و تتحدث نصوص إنجيلية عن المسيح ابن الله يتمسك بها النصارى، و يستدلون بها على ألوهية المسيح فهل يصح هذا الاستدلال؟

أول ما يلفت علماؤنا النظر إليه أنه لم يرد عن المسيح-في الأناجيل- تسميته لنفسه بابن الله سوى مرة واحدة في يوحنا ١٠/٣٧، و فيما سوى ذلك فإن الأناجيل تذكر أن معاصريه و تلاميذه كانوا يقولون بأنه ابن الله، و يذكر الخولي باستغراب بأن أول من نادى المسيح بهذا اللقب هما المجنونان الهائجان الخارجان من القبور (انظر متى٨/٢٩).

لكن المحققين يشككون في صدور هذه الكلمات من المسيح أو تلاميذه، يقول سنجر في كتابه "قاموس الإنجيل":ليس من المتيقن أن عيسى نفسه قد استخدم ذلك التعبير".

و يقول شارل جنيبر:"المسيح لم يدع قط أنه المسيح المنتظر، و لم يقل عن نفسه بأنه ابن الله، فهذه لغة استخدموها المسيحيون فيما بعد في التعبير عن عيسى".

و تقول دائرة المعارف الكتابية و هي تبرر عدم استخدام هذا اللقب في الإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل (١-١٢) فتقول "التفسير الوحيد لذلك هو أن الكنيسة الأولى في أورشليم-فيما قبل بولس-كانت تفضل عدم استخدامه... لعل استخدام هذا اللقب في الكرازة لليهود كان يثير حفيظتهم و يؤدي إلى الاصطدام بهم، و هو الأمر الذي كانت تحاول الكنيسة في أيامها الأولى-قبل استشهاد استفانوس-أن تتجنبه:كانوا يذكرون تحفظ يسوع في استخدامه كما يظهر ذلك في إنجيل مرقس".

و قد تناسى أصحاب هذا القول شيوع لفظة البنوة في الفكر اليهودي، و يراد بها المعنى المجازي، فالتوراة تجعل شعب إسرائيل كله أبناء لله.

لكن ما قاله العالم كولمن بخصوص هذا اللقب كان أكثر دقة فقد قال:"إن الحواريين الذين تحدث عنهم أعمال الرسل تأسوا بمعلمهم الذي تحفظ على استخدام هذا اللقب و لم يرغب به فاستنوا بسنته" وهذا كما ترى أميمة الشاهين دال على عدم أهمية هذا اللفظ من الناحية العقدية و أنه لفظ مجازي أريد منه الثناء على المسيح فحسب.

و يرى جنيبر أن المفهوم الخاطئ وصل إلى الإنجيل عبر الفهم غير الدقيق من المتنصرين الوثنين فيقول:"مفهوم "ابن الله" نبع من عالم الفكر اليوناني".

و يوضح القس السابق سليمان مفسر كيف وجدت عبارة "ابن الله"و ذلك بالعود إلى الأصل اليوناني

---

(١) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٤٢.

للكلمة pais و معناها "ولدا" أو "ابن" بمعنى خادم أو مرافق أو وكيل. و لم تكن بهذا اللفظ و بالمعنى المجازي لتثير مشكلة عند اليهود لكن حين دخل الوثنيون في المسيحية ضاعت دلالة اللفظة، و فسرت تفسيرا هيلينيا[1].

و يرى مصطفى شاهين أن بولس هو أول من استعمل الكلمة، و كانت حسب لغة المسيح (عبد الله) و ترجمتها اليونانية servant فأبدلها بالكلمة اليونانية pais بمعنى طفل أو خادم تقربا إلى المتنصرين الجدد من الوثنيين[2].

ثم أن هذا اللفظ الذي أطلق على المسيح أطلق على كثيرين ،منهم آدم الذي قيل فيه"آدم ابن الله"(لوقا ٣/٣٨)، و سليمان فقد جاء في سفر الأيام "هو يبني لي بيتا ...أنا أكون له أبا ، و هو يكون لي ابنا"(الأيام (١)١٧/١٢-١٣)، كما سمي الملائكة أبناء الله "مثل الملائكة و هم أبناء الله "(لوقا ٢٠/٣٦).

كما يطلق هذا اللقب على الشرفاء والأقوياء (انظر التكوين ٦/٢،٦/٤،المزمور ٢٩/١، أيوب ١/٦)، و من الممكن أن يعم كل شعب إسرائيل (انظر هوشع ١/١٠،١١/١، إشعيا ٣٠/١،٤٣/٦)، ويمكن أيضا أن يعم كل نصراني على وجه الأرض (انظر المزمور ٨٩/٦، متى ٥/٩)، و عليه فلا يمكن النصارى أن يجعلوا من النصوص المختصة بالمسيح أدلة على ألوهيته ثم يمنعوا إطلاق حقيقة اللفظ على آدم وسليمان و ... فتخصيصهم المسيح بالمعنى الحقيقي يحتاج إلى مرجح.

و يؤكد علماؤنا أن المعنى المقصود للبنوة في كل ما قيل عن المسيح و غيره إنما هو معنا مجازي بمعنى حبيب الله أو مطيع الله.لذلك قال مرقس وهو يحكي عبارة قائد المائة الذي شاهد المصلوب وهو يموت فقال:"حقا كان هذا الإنسان ابن الله "(مرقس ١٥/٣٩)،ولما حكى لوقا القصة نفسها أبدل العبارة بمرادفها فقال:"بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا"(لوقا ٢٣/٤٧)،ومثل هذا الاستخدام وقع من يوحنا حين تحدث عن أولاد الله فقال:"وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا :أولاد الله.أي المؤمنين باسمه"(يوحنا ١/١٢) ومثله يقول :"الذي يسمع كلام الله من الله"(يوحنا ٨/٤٧).

و مثل هذه الإطلاق المجازي للبنوة معهود في الكتب المقدسة التي تحدثت عن أبناء الشيطان، و أبناء الدهر(الدنيا)...(انظر يوحنا ٨/٤٤، لوقا ١٦/٨).

و هذا الاستخدام المجازي معروف حتى عند الأمم السابقة لليهودية و النصرانية، فقد جاء في ابتهالات اخناتون الموحد المصري "أنت في قلبي، و لا أحد يعرفك غير ابنك اخناتون"[3].

---

(١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٦٣-٢٦٤، عيسى رسول الإسلام، سليمان مفسر،ص٤٤-٤٧، المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ١٨٦، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ط١،دار المنار،القاهرة،١٤٠٩هـ،ص ١٠٠، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ٣١.

(٢) انظر: النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٤٧،الخطيئة الأولى بين اليهودية و المسيحية و الإسلام، أميمة الشلهين، ص١٢٥-١٢٧.

(٣) انظر إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٥٢-٧٥٨، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٠١-٢٠٤، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ٦٤-٧٥،٢٠٠-٢٠١، دين الله في كتب أنبيائه،محمد صدقي

لكن النصارى يرون تميزا مستحقا للمسيح في بنوته عن سائر الأبناء، فهم لا ينازعون في صحة الإطلاق المجازي عندما ترد لفظ البنوة بحق سائر المخلوقات.

لكن النزاع إنما يكمن في تلك الأوصاف التي أطلقت على المسيح ويثبتها النصارى على الحقيقة محتجين بأمور، منها: أنه قد جاء وصف المسيح بأنه الابن البكر أو الوحيد لله (انظر عبرانيين ٦/١،يوحنا١٨/٣) أو أنه سمي ابن الله العلي(انظر لوقا ٣٢/١،٧٦)، أو أنه ابن ليس مولودا من هذا العالم كسائر الأبناء بل هو مولود من السماء، أو من فوق (انظر يوحنا ١٨/١) و لكن ذلك كله تثبت النصوص أمثاله لأبناء آخرين.

فالبكورية وصف بها إسرائيل" إسرائيل ابني البكر" (الخروج ٢٢/٤-٢٣)، و كذا افرايم "لأني صرت لإسرائيل أبا، و افرايم هو بكري"(إرميا ٩/٢١)، و كذا داود "هو يدعوني: أنت أبي و إلهي وصخرة خلاصي، و أنا أيضا أجعله بكرا، فوق ملوك الأرض عليا"(المزمور ٢٦/٨٩-٢٧).

و لئن قيل في المسيح أنه ابن الله العلي فكذلك سائر أبناء بني إسرائيل "و بنو العلي كلكم" (مزمور ٦/٨٢)، و منهم تلاميذ المسيح " أحبوا أعداءكم...فيكون أجركم عظيما، و تكونوا بني العلي"(لوقا ٣٥/٦).

و لئن قيل بأن المسيح قد أتى من فوق أو من السماء و "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع" (يوحنا ٣١/٣)، فالمقصود منه إتيان المواهب و الشريعة، و هو أمر يستوي به مع سائر الأنبياء و منهم يوحنا المعمدان فقد سأل المسيح اليهود "معمودية يوحنا من أين كانت من السماء؟ أم من الناس؟ ففكروا في أنفسهم قائلين:إن قلنا من السماء .فيقولوا لنا :فلماذا لم تؤمنوا به؟ و إن قلنا من الناس نخاف من الشعب..."(متى ٢٥/٢١-٢٦).

و المؤمنون بالمسيح مولودون من فوق بما أعطاهم الله من الإيمان فهم كسائر المؤمنين "الحق الحق أقول لكم إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يوحنا ٣/٣)"كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله"(يوحنا (١) ١/٥).

أفندي،ط١،دار المنار،١٣٣٠هـ،ص ٢٣-٢٥، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١١١-١١٥، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٨٠-٨٤، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص٣٠-٣٢،١١١، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢٢١/٢، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٨٣-٨٤، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٤١-٤٤٣، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٢٩-١٣٤، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٢٠-٢٥، المسيح في الإسلام، أحمد ديدات،ترجمة:علي الجوهري، ص٦٤-٦٥، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٥٧، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٣-٣٧،٩٥، هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ط١،مطبعة رباض الريس للكتب والنشر،١٩٩٠م،ص ٤٤-٤٥، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢١٨، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ط١،الدار السعودية للنشر،جدة،١٤١٣هـ،ص ٨٢-٨٣، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ١٠٣-١٠٥، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٨،٣١،٤٩، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٩٤-٩٧.

و تسمي الأناجيل التلاميذ مولودين من الله أي مؤمنين به ففي يوحنا "و أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه"(يوحنا ١٢/١)" أن كل من يصنع البر مولود منه"(يوحنا (١)٢/٢٩)، فالمقصود بالولاد الولاد الروحي" بحيث يتغير قلب الإنسان الخاطئ تغييرا عظيما كاملا مستمرا، كأنه ولد ثانية، و يحدث ذلك عند توبته و إيمانه".

و أما تسمية المسيح بالابن الحبيب فهي أيضا مما اشترك به مع الآخرين، فقد قيل في بنيامين" حبيب الرب يسكن لديه آمنا "(التثنية ١٢/٣٣)، و قال جبريل لدانيال:"أنا جئت لأخبرك أنك محبوب" (دانيال٩/٢٣)، و كذا سليمان "كان محبوبا عند إلهه"(نحميا ٢٦/١٣)، "فولدت ابنا فدعا اسمه سليمان، والرب أحبه، و أرسل بيد ناثان النبي و دعا اسمه يديديا من أجل الرب"(صموئيل(٢)١/١٤-٢٥)أي حبيب الرب.

و أما الحضانة التي تنسبها النصارى لله في حق عيسى فقد نسبتها الأسفار في حق آخرين كبنيامين" حبيب الرب، يسكن لديه آمنا يستره طوال النهار و بين منكبيه يسكن"(التثنية ١٢/٣٣)، و مثله جاء عن بني إسرائيل ":الذين حضنتهم وربيتهم، و أفناهم عدوي" (مراثي ٢٢/٢) و مثله كثير، فهذه كناية عن القرب و المكانة الرفيعة التي شارك فيها غيره فبطل تعلق النصارى بها على ألوهية المسيح[1].

نصوص الحلول الإلهي في المسيح.

و يرى النصارى أن بعض النصوص تفيد حلولا إلهيا في عيسى، و منها "لكي تعرفوا و تؤمنوا أن الآب في و أنا فيه"(يوحنا ٣٨/١٠)، و في موضع آخر "الآب الحال في "(يوحنا ١٠/١٤)، و منها قوله "الذي رآني فقد رأى الآب"(يوحنا ٩/١٤)، و قوله "أنا و الآب واحد"(يوحنا ٣٠/١٠).

فهذه النصوص أفادت أن المسيح هو الله أو أن فيه حلولا إلهيا حقيقيا.

و قد تتبع علماؤنا هذه النصوص فأبطلوا استدلال النصارى بها ،فأما ما جاءت من ألفاظ دلت على أن المسيح قد حل فيه الله-على ما فهمه النصارى- فإن فهمهم لها مغلوط .ذلك أن المراد بالحلول حلول مجازي كما جاء في حق غيره بلا خلاف ،ونقول مثله في مسألة الحلول في المسيح.

و هو ما أشارت إليه نصوص أخرى منها ما جاء في رسالة يوحنا "من اعترف بأن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه، و هو في الله، و نحن قد عرفنا و صدقنا المحبة التي لله فينا، و من يثبت في المحبة يثبت في الله، و الله فيه"(يوحنا(١)٤/١٥-١٦)و مثله في (يوحنا(١) ٣/٢٤) و (يوحنا(١)٤/١٢-١٣)

فقد أفادت هذه النصوص حلولا إلهيا في كل المؤمنين، و هذا الحلول هو حلول مجازي بلا خلاف

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٥٩، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ٢٠٥، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٠٢-١٢٥، ٢٧٧-٢٧٨، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٨٤، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٤٧، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٤٤-٥٥، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٨٧.

و مثله الحلول في المسيح.

كما تذكر التوراة حلول الله-و حاشاه-في بعض مخلوقاته على الحقيقة، و لا تقول النصارى بألوهية هذه الأشياء، و من ذلك ما جاء في سفر الخروج "المكان الذي صنعته يا رب لسكنك" (الخروج ١٧/١٥)، و في المزامير"لماذا أيتها الجبال المسمنة ترصدون الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه، بل الرب يسكن فيه إلى الأبد"(المزمور ١٦/٦٨).

و المعنى الصحيح لما جاء في (يوحنا ٣٨/١٠) أن الله يكون في المسيح أي بمحبته و قداسته و طاعته، و مثله مثل ما جاء عن حلول التلاميذ في المسيح في نصوص منها قوله لتلاميذه:" أنا الكرمة، و أنتم الأغصان، الذي يثبت في، و أنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير" (يوحنا ٥/١٥)،أي :يحبني و يطيعني و يؤمن بي فهذا يأتي بثمر كثير[1].

و أما استدلال النصارى بقول المسيح "الذي رآني فقد رآني الآب" (يوحنا ٩/١٤) فقد أبطله علماؤنا بالعود إلى أصل السياق.

فالسياق من أوله يخبر عن أن المسيح قال لتلاميذه "أنا أمضي لأعد لكم مكانا، وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم " وقصده بالمكان الملكوت .

فلم يفهم عليه توما فقال :" يا سيد لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق " فقال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة "(يوحنا١٤/١-٦).

وعند تحليل النص يرى ديدات أن المسيح يحدث تلاميذه عن الطريق الموصل إلى الله وجنته، فظنوا أنه يحدث عن رحلة مكانية. ثم طلب منه فيلبس أن يريهم الله، فنهره المسيح وقال له:" ألست تعلم أني أنا في الأب ،والأب في، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الأب الحال في هو يعمل الأعمال..."(يوحنا ١٠/١٤) أي كيف تسأل ذلك يا فلبس وأنت يهودي تعلم أن الله لا يرى، فالذي رآني رأى الآب "فالرؤية هنا معنوية بدليل أن عيسى لم يدع قط أنه الآب، فالمعنى الحقيقي القريب مرفوض.

ومما يؤكد أن الرؤيا معنوية أنه قال بعد قليل " بعد قليل لا يراني العالم أيضا أما أنتم فترونني" (يوحنا ١٤ /١٩).

ويرى رحمه الله الهندي ضعف هذا الدليل للنصارى من وجهين:

أ-أن رؤية الله ممتنعة في الدنيا فيصير النص إلى رؤية المعرفة.

ب-أنه قد وردت نصوص تفيد الحلول المجازي كما في قوله عن التلاميذ" أنا فيهم ،وأنت في" (يوحنا ١٤ /١٩)، ومثله يقول بولس: "فإنكم أنتم هيكل الله الحي،كما قال الله:إني سأسكن فيهم، وأسير بينهم ، وأكون لهم إلها، وهم يكونون لي شعبا" (كورنثوس (٢)١٦/٦-١٧) فالحلول في كل

---

(١) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ٢٠٧/١-٢٠٨، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٦٨-٢٧٣، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١٦٦-١٧١، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٦٣-١٦٤.

ذلك مجازي.

ويرى العلمي أن معنى قوله :"الذي رآني فقد رأى الآب ":أن من يرى المسيح يرى ما أراد الله إعلانه بواسطته من أقوال و أفعال، ومن رأى حنو المسيح على المساكين رأى عفو الله عن الخطاة.....[1]

و يشبه نص يوحنا (١٤/٨-١٤)ما جاء في موضع آخر، و فيه أن المسيح قال:"أنا و الآب واحد" (يوحنا ١٠/٣٠)، ففهم منه النصارى أنه أراد وحدة في الجوهر و الحقيقة.

و نعود للنص من أوله فنرى بأن المسيح كان يتمشى في رواق سليمان في عيد التجديد فأحاط به اليهود و قالوا :"إلى متى تعلق أنفسنا. إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرا. أجابهم يسوع: إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي، و لكنكم لستم تؤمنون، لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم، خرافي تسمع صوتي، و أنا أعرفها فتتبعني، و أنا أعطيها حياة أبدية، و لن تهلك إلى الأبد، و لا يخطفها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، و لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا و الآب واحد"(يوحنا١٠/٢٤-٣٠).

فالنص من أوله يتحدث عن قضية معنوية فخراف المسيح و تلاميذه يتبعونه فيعطيهم الحياة الأبدية، ولن يستطيع أحد أن يخطفها منه لأنها هبة الله التي أعطاه إياها، و لا يستطيع أحد أن يسلبها من الله الذي هو أعظم من الكل، فالله و المسيح يريدان لها الخير، فالوحدة وحدة الهدف لا الجوهر، و قد نبه المسيح لهذا حين قال بأن إرادة الله أعظم من إرادته.

و هذا الأسلوب في التعبير عن وحدة الهدف و المشيئة معهود في النصوص خاصة عند يوحنا فهو يقول على لسان المسيح:"ليكون الجميع واحدا كما أنت أيها الآب في، و أنا فيك، ليكونوا(أي التلاميذ) هم أيضا وحدا فينا.. ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد... أنا فيهم و أنت في"(يوحنا ١٧/٢٠-٢٣)، فالحلول في المسيح و التلاميذ حلول معنوي فحسب، و إلا لزم تأليه التلاميذ.

و في موضع آخر ذكر نفس المعنى فقال عن التلاميذ" أيها الأب القدوس، احفظهم في اسمك الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما نحن"(يوحنا ١٧/١١)، و مثله "تعلمون أني أنا في أبي، و أنتم في، و أنا فيكم"(يوحنا ١٤/٢٠).

و قد تكرر هذا الأسلوب في التعبير عن وحدة الهدف و المشيئة في نصوص كثيرة منها قول بولس " أنا غرست وأبلوس سقى،...الغارس و الساقي هما واحد فإننا نحن عاملان مع الله"(كورنثوس(١)٣/٦-٩)، و مثله قوله:"إله و آب واحد للكل الذي على الكل و بالكل و في كلكم"(أفسس ٤/٦)، و مثله جاء في التوراة في وصف الزوجين "يترك الرجل أباه و أمه، و يلتصق بامرأته، و يكونان جسدا واحدا"(التكوين ٢/٢٤)، و غير ذلك من أمثلة وحدة المشيئة و الهدف.

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٦١-٧٦٤، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٨٢-٢٨٥، مناظرة العصر، أحمد ديدات، ٨٧-٩٠، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١٨٠-١٨٢.

لكن اليهود في رواق سليمان كان فهمهم لكلام المسيح سقيما أشبه ما يكون بفهم النصارى له ، لذا " تناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه، ...لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها"

فعرف المسيح خطأ فهمهم لكلامه واستغرب منهم كيف فهموا هذا الفهم وهم يهود يعرفون لغة الكتب المقدسة في التعبير المجازي فأجابهم" أليس مكتوبا في ناموسكم:أنا قلت إنكم آلهة" ومقصده ماجاء في مزامير داود"أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم" (المزمور٨٢/٦).

فكيف تستغربون بعد ذلك مثل هذه الاستعارات ؟! فالمسيح أولى بهذه الوحدة من سائر بني إسرائيل"إن قال: آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله.. فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم،أتقولون له إنك تجدف لأني قلت:إني ابن الله. إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي.." (يوحنا١٠/٣٧)،وهكذا صحح المسيح لليهود ثم للنصارى الفهم السيء والحرفي لوحدته مع الآب[1].

وتتحدث النصوص الإنجيلية عن حلول آخر في المسيح، وهو حلول الروح القدس عليه عند تعميده حيث جاءه على شكل حمامة "و أما يسوع فرجع ممتلئا من الروح القدس"(لوقا ٤/١)، و لكن هذا لا يعني إلاهيته بحال، إذ شاركه فيه كثيرون ذكره العهد القديم و الجديد، منهم داود حيث "استوت روح الرب على داود"(ملوك (١)٦/١٣)، و مثله عزريا حيث "كان إلى عزريا روح الله"(الأيام(٢)١٥/١) و أيضا "سمعان عليه روح القدس"(لوقا ٢/٢٥)و كذا استفانوس و برنابا و يوحنا المعمدان (انظر أعمال ٦/٥، ١١/ ٢٢-٢٤، لوقا ١/١٥).[2]

و من أدلة النصارى على ألوهية المسيح ما قاله بولس عنه"مجد المسيح الذي هو صورة الله"(كورنثوس(٢)٤/٤)، و في فيلبي "المسيح يسوع أيضا الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائر في صورة الناس".فيلبي ٢/٦-٧)و يقول عنه أيضا "الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة"(كولوسي ١/١٥).

لكن هذه الأقوال صدرت عن بولس و لا نراها عند أحد من تلاميذ المسيح و حواريه و هذا كاف لإضفاء نظرة الشك والارتياب عليها.

---

(١) انظر تعليق الناسخ على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ١٠أ،إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٦٠-٧٦١،الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٠٦-٢٠٧ ، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٦٣-٢٨٦، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٨٦ المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حماد،ص ٥٤-٥٦-٦٣، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٢٣-٢٢٤، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ١٩٩، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١٦٠-١٦٥، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٢٨-١٢٩، المسيح في الإسلام، أحمد ديدات،ص ٧٤-٨٢، مناظرة العصر، أحمد ديدات،٧٣ص-٧٤،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ٥٢.

(٢) انظر الفارق بين المخلوق و الخالق، عبدالرحمن باجي، ص ٥٦٤-٥٦٥، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، عبد الله العلمي، ص ٦١-٦٨، براهين تحتاج في ألوهية المسيح، محمد حسن، ٥٨-٦١، النصرانية في الميزان، محمد عزت الطهطاوي، ص١٣٥-١٥٢.

ثم إن الصورة تغاير الذات، و صورة الله هنا تعني نائبه في إبلاغ شريعته كما قال بولس في موضع آخر عن الرجل" فإن الرجل لا يتبقى أن يغطي رأسه لكونه صورة الله و مجده، و أما المرأة فهي مجد الرجل"(كورنثوس(١)١١/٧)، و معناه أن الله أناب الرجل في سلطانه على المرأة.

كما أن كون المسيح على صورة الله لا يمكن أن يستدل به على ألوهيته، فإن آدم يشاركه في هذه الصورة كما جاء في سفر التكوين عن خلقه"قال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الإله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه"(التكوين ١/٢٦-٢٧).

فإن أصر النصارى على الجمع بين الصورة و ألوهية المسيح فإن في الأسفار ما يكذبهم فقد جاء في إشعيا "اجتمعوا يا كل الأمم...لكي تعرفوا و تؤمنوا بي... قبلي لم يصور إله، و بعدي لا يكون. أنا أنا الرب و ليس غيري مخلص"(إشعيا ٤٣/٩-١١)[1].

نصوص أزلية المسيح.

ويقول النصارى بأن المسيح كائن أزلي أبدي، فدل ذلك على الألوهية، كيف لا و قد قال عنه النبي إرميا في نبوءته:"أنا أعرفك قبل أن تكون في رحم أمك"(إرميا ١/٥)ويقولون بأن سليمان تنبأ عنه حين قال:"أنا الحكمة أسكن الذكاء،وأجد معرفة التدابير...الرب قناني أول طريقه ،من قبل أعماله منذ القديم ، منذ الأزل مسحت ،منذ البدء ،منذ أوائل الأرض،إذ لم يكن ينابيع كثيرة المياه،ومن قبل أن تقرر الجبال أبدئت..."(الأمثال ٨/١٢-٢٥).

فيرى النصارى بأن سليمان كان يريد بكلامه المسيح بدليل قوله"منذ الأزل مسحت".و يقول يوحنا عن المسيح: "هوذا يأتي مع السحاب، و ستنظره كل عين، و الذين طعنوه...أنا هو الألف و الياء، البداية والنهاية"(الرؤيا١/٧-٨).أي الأول و الآخر.

كما جاء في مقدمة يوحنا ما يفيد وجودا أزليا للمسيح قبل خلق العالم" في البدء كانت الكلمة، الكلمة كان عند الله، و كان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله"(يوحنا١/١-٢).فهذه النصوص مصرحة بأزلية المسيح و أبديته،و عليه فهي دليل ألوهيته.

و يتساءل ديدات عن ماهية وجود المسيح و يقول:"إن تصور يسوع-جسما و روحا-كان موجودا مع الله قبل بدء الخليقة، ثم قال له الله: اذهب يا بني. في بدء العام الأول للتاريخ الميلادي و أخرج من رحم العذراء مريم... هو تصور غير معقول ،هل كان في تصوركم هكذا ؟ على هذا النحو؟ كيف كان يسوع موجودا مع الله بجسمه و روحه؟ كيف يمكن تصور ذلك؟ هل كان موجودا كوليد أم كطفل أم كشاب ويفع...؟".

---

(١) انظر:سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٧٦-٣٧٨،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٥٩،النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٥١-٣٥٢،المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ط٢،مكتبة وهبة،القاهرة،١٤٠٨هـ،ص ٣١٢ .

لكن أحدا من النصارى لم يقل بوجود قديم للجسد الأرضي، إنما الحديث عن الابن عند الكاثوليك ،و الآب الذي سيتجسد عند الأرثوذكس.

و يخالف علماؤنا في النتيجة التي توصل إليها النصارى فما جاء في نبوءة إرميا هو عن معرفة بالمسيح قبل وجوده، و هي مما اطلع الله عليه ذلك النبي و لا تقتضي وجود المسيح أيام إرميا[1]. فمثله قال بولس عن نفسه و أتباعه " كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين"(أفسس ١/٤) أي اختارنا بقدره القديم.

و أما ما جاء في أمثال سليمان فيراه العلمي نصا في الحكمة المعطاة من الله و التي مسحها أي كرسها في صدور العالمين، كما جاء في رسالة يوحنا "و أما أنتم فلكم مسحة من القدوس، و تعلمون كل شيء... وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها ثابتة فيكم"(يوحنا(١)٢/٢٠-٢٧).

ثم إن كلمة "منذ الأزل مسحت" لا تدل على المسيح إذ لفظ "المسيح" لقب أطلق على كثيرين غير المسيح عيسى ممن مسحهم الله ببركته من الأنبياء كداود و إشعيا (المزمور ٤٥/٧،و إشعيا ٦١/١)، فلا وجه لتخصيص المسيح بهذا اللقب ، ثم إن الحكمة لم تطلق أصلا على المسيح و لم يختص بها، فلا وجه في الدلالة على ألوهية المسيح بهذا النص قطعا[2].

و أما نص الرؤيا في أن المسيح هو الأول و الآخر فيراه ديدات و جميع هذا السفر مجرد رؤيا منامية غريبة رآها يوحنا، و لا يمكن أن يعول عليها، فهي منام مخلط كسائر المنامات التي يراها الناس فقد رأى يوحنا حيوانات لها أجنحة و عيون من أمام و عيون من وراء، و حيوانات لها قرون بداخل قرون...(انظر الرؤيا ٤/٨)، فهي تشبه إلى حد بعيد مايراه في نومه من أتخم في الطعام و الشراب، و عليه فلا يصح به الاستدلال.

و العلمي يكتفي في إبطال ما جاء في سفر الرؤيا بتأخر إقرار هذا السفر، و تشكك المجامع النصرانية فيه،ثم اعتراف المحققين بوقوع زيادة فيه في الفقرة ١١/١ و فيها أن المسيح قال:"أنا هو الألف و الياء، الأول و الآخر"(الرؤيا ١١/١)، فكما حصلت الزيادة في هذا النص فإنه من الممكن أن تقع في أشباهه في المعنى الوارد في نفس السفر في (٨/١، ٦/٢١، ١٣/٢٢).

و النص الأخير منها (١٣/٢٢)، يراه ممدوح جاد من قول الملاك فقد جاء قبله:"أنا يوحنا الذي كان ينظر و يسمع هذا، و حين سمعت و نظرت خررت لأسجد أمام رجلي الملك الذي كان يريني هذا، فقال: انظر لا تفعل لأني عبد معك ...و قال لي:...ها أنا آتي سريعا و أجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله، أنا الألف و الياء، البداية و النهاية، الأول و الآخر، طوبى للذين يصنعون وصاياه..."(الرؤيا ٨/٢٢-١٤).

---

(١)انظر:مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٤١، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٦٠-٦١.

(٢) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٤١-٣٤٢، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣١٧.

و قد لا يسلم النصارى بأن القائل هنا هو ملاك الله فيرون كلام ملاك الله قد انقطع، و عاد السياق مرة أخرى على لسان المسيح، و قد يكون كذلك لكن ليس في النص من قرينة لفظية تشير إلى انتقال الكلام من الملاك إلى المسيح.

فإذا صح أن القائل هو ملاك، فلا يصح تعلق النصارى بمثله في الدلالة على ألوهية المسيح، فالملاك عبد، و قال مثله[1].

و أما ما جاء في مقدمة يوحنا "في البدء كان الكلمة..." فقد كان لعلمائنا معه وقفات عديدة ومهمة منها أن منصور حسين يرى في النص تغايرا مع ما قامت عليه الأدلة الصارخة في بشرية المسيح، ولذا فإنه يرفض هذا الرأي من يوحنا و لا يراه ناهضا في وجه تلك الأدلة.

و أما ممدوح جاد فيرى اللبس ناشئا عن تحريف في الترجمة،و يفترض -بلا دليل- أن أصل النص..كان الكلمة الله هذا في البدء و كان عند الله".

و أما ديدات فينبه إلى أن هذا النص قد انتحله كاتب الإنجيل من فيلون الاسكندراني(ت٤٠م)، كما ينبه ديدات إلى أن ثمة تلاعبا في الترجمة الإنجليزية ، و هي الأصل الذي عنه ترجم الكتاب المقدس إلى لغات العالم، و لفهم النص على حقيقته نرجع إلى الأصل اليوناني و فيه ماله صلة بفقه اللغة التي كتب بها الإنجيل أصلا ثم التي ترجم إليها.

فالنص في الترجمة اليونانية تعربيه هكذا "في البدء كان الكلمة، و الكلمة كان عند الله"(و هنا يستخدم النص اليوناني كلمة (hotheos)وفي الترجمة الإنجليزية تترجم (God) للدلالة على أن الألوهية حقيقة.

ثم يمضي النص فيقول "و كان الكلمة الله" (و هنا يستخدم النص اليوناني كلمة(tontheos) و كان ينبغي أن يستخدم في الترجمة الإنجليزية كلمة (god) بحرف صغير للدلالة على أن الألوهية مجازية، كما

حصل ذلك في نص سفر الخروج "جعلتك إلها لفرعون"(الخروج ٧/١)، فاستخدم النص اليوناني كلمة (tontheos) و ترجمت في النص الإنجليزي(god) مع وضع أداة التنكير(a).

لكن الترجمة الإنجليزية حرفت النص اليوناني لمقدمة يوحنا فاستخدمت لفظة (God) التي تفيد ألوهية حقيقة بدلا من (god)التي تفيد ألوهية معنوية أو مجازية، فوقع اللبس في النص ،و هذا و لا ريب نوع من التحريف[2]، و لو غض علماؤنا الطرف عن ذلك كله فإن في النص أمورا ملبسة تمنع استدلال النصارى به على ألوهية المسيح.

---

(١) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٧٤-٣٧٥، مناظرة العصر، أحمد ديدات، ص٦١-٦٢، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٦٢، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٥٠-٣٥١.

(٢) انظر: دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٧٠-٤٧١، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جلد،ص ٣٠، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٣٥-١٣٧، المسيح في الإسلام، أحمد ديدات، ص٨٤-٨٧.

أولها: ما معنى كلمة "البدء"؟ و يجيب النصارى أي الأزل لكن ذلك لا يسلم لهم ،فإن الكلمة وردت في الدلالة على معان منها وقت بداية الخلق و التكوين كما جاء في (التكوين١/١)، و ترد بمعنى وقت نزول الوحي، كما في قول متى"و لكن من البدء لم يكن هذا"(متى١٩/٨)، و قد تطلق على فترة معهودة من الزمن كما في قول لوقا "كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء"(لوقا١/٢)، أي في أول رسالة المسيح، و مثله في يوحنا٦/٦٤،٨/٤٤، و مواضع أخرى.

و عليه فلا يجوز قول النصارى بأن المراد بالبدء هنا الأزل إلا بدليل مرجح. و يرجح العلمي بأن المعنى هنا هو بدء تنزل الوحي على الأنبياء أي أنه كان بشارة صالحة عرفها الأنبياء كما في (إرميا ٣٣/١٤).

ثانيها: ما المقصود بالكلمة هل هو المسيح؟ أم أن اللفظ يحتمل أمورا أخرى، و هو الصحيح .فلفظة "الكلمة" لها إطلاقات في الكتاب المقدس منها الأمر الإلهي الذي به صنعت المخلوقات كما جاء في المزامير"بكلمة الله صنعت السماوات"(المزمور١٣/٦)، و مثله ":و قال الله: ليكن نور فكان نور" (التكوين١/٣).

و منه سمي المسيح كلمة لأنه خلق بأمر الله من غير سبب قريب ،أو لأنه أظهر كلمة الله ،أو أنه الكلمة الموعودة على لسان الأنبياء.

و أما المعنى الذي يريده النصارى بالكلمة و هو الأقنوم الثاني من الثالوث، فلم يرد في كتب الأنبياء البتة.

ثالثها:"و كان الكلمة الله" غاية ما يستدل بها أن المسيح أطلق عليه:الله، كما أطلق على القضاة في(المزمور٨٢/١)، و الشرفاء في (١٣٨/١)، و غيرهم.

و لا يمكن الخروج عن التأويل، لأن التوراة تقول ليس الله إنسان فيكذب، و ليس ابن إنسان فيندم(العدد٢٣/١٩)، و المسيح هو ابن الإنسان، فليس الله بحال من الأحوال. و المعنى الصحيح كما يراه مصطفى شاهين: كان رب الكلمة الله. فحذف المضاف في اللغة معهود.

رابعها:"و الكلمة كان عند الله"، و العندية لا تعني المثلية. إنما تعني أن الكلمة خلقت من الله كما في قول حواء:"اقتنيت رجلا من عند الرب"(التكوين ٤/١)، و جاء في موضع آخر" و أمطر الرب على سدوم و عمورة كبريتا و نارا من عند الرب" (التكوين١٩/٢٤)[1].

---

(١) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٥٩-٢٦٢، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٣٠،٤٣، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٣٠-١٣١، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١٥٧-١٦٠.

نصوص أسندت الخالقية للمسيح.

كما أسندت بعض النصوص الخالقية للمسيح، فتعلق النصارى بها ،و رأوها دالة على ألوهيته و منها قول بولس عن المسيح:"فإن فيه خلق الكل: ما في السماوات وما على الأرض، ما يرى و ما لا يرى، سواء أن كان عروشا أم رياسات أم سلاطين، الكل به و له قد خلق"(كولوسي١/١٦-١٧)، و في موضع آخر يقول:"الله خالق الجميع بيسوع المسيح"(أفسس٣/٩)، و مثله ما جاء في مقدمة يوحنا "كان في العالم، و كون العالم به، و لم يعرفه العالم"(يوحنا ١/١٠)، و مثله في (عبرانيين١/٢).

و لا يسلم علماؤنا أن المقصود من هذه النصوص أن المسيح خلق الخلائق خلقة الإيجاد بل المقصود الخلقة الجديدة، و هي خلقة الهداية التي تحدث عنها داود و هو يدعو الله"قلبا نقيا أخلق في يا الله، و روحا مستقيما جدد في داخلي" (مزمور٥١/١٠)، و مثله قال بولس عن المؤمنين بالمسيح:"إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة"(كورنثوس(٢)٥/١٧)، و قال:"لأنه في المسيح ليس الختان ينفع شيئا و لا الغرلة، بل الخليقة الجديدة"(غلاطية٦/١٥)، و في موضع آخر يقول"تلبسوا الإنسان المخلوق الجديد بحسب الله في البر" و قال عن المسيح"بكر كل خليقة" (كولوسي١/١٥)، أي أنه أول المؤمنين و أول المسلمين، و على هذا الأساس اعتبر يعقوب التلاميذ باكورة المخلوقات فقال"شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه"(يعقوب١/١٨).

و عليه فإن المقصود من خلق المسيح هو الخلق الروحي إذ جعله الله محييا لموات القلوب و قاسيها.

لكن النصوص التي يتعلق بها النصارى لا تتعلق بالبشر فقط ،إذ فيها أنه خلق ما في السماوات والأرض ،وهذا يمنع صرف النص إلى الخليقة الجديدة. لكن العلمي يرى في هذه النصوص مبالغة معهود مثلها في النصوص التوراتية والإنجيلية ،ومن ذلك قول موسى لبني إسرائيل :"هوذا أنتم اليوم كنجوم السماء في الكثرة" (التثنية١/١٠)،ومثله في (القضاة٧/١٢)،و(متى ٢٧/٥١)،و(مرقس ١/٣٣)،و(يوحنا ٢/١٩، ٢١/٢٥) ...

ومراد بولس أن المسيح قد آمن بدعوته الأمراء والرؤساء والعامة ،ومن المعلوم أن بولس كتب رسائله بعد ظهور المسيحية في آسيا وأوربا.[1]

---

(١) انظر:سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٥٥-٣٦١،المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٣٢،النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٢٧-٣٣٥ .

النصوص المناقضة لألوهية المسيح

ورأى علماؤنا أن الأحوال البشرية المختلفة التي رافقت المسيح طوال حياته تمنع قول النصارى أن المسيح هو الله أو ابنه إذ لا يليق بالإله أن يولد ويأكل ويشرب ويختن ويضرب و....ثم يموت.

ولإظهار بشاعة القول بألوهية المسيح فإن ديدات ومن بعده علاء أبو بكر يسردان العشرات من الأحوال البشرية للمسيح وقد عنونا لها بإضافة اسم الإله بدلا من المسيح.

ومن هذه العناوين:رضاع الإله، فقر الإله،صنعة الإله،نوم الإله،جوع الإله.....كفن الإله...فكل ذلك مما يستبشعه الذوق ويمجه العقل ويعتبره من الهراء والعبث.

ولا يشفع للنصارى قولهم بأن هذه الأفعال صدرت من الناسوت لا اللاهوت، لأنهم — كما ينبه باجة —لا يقولون بأن تجسد الإله في المسيح كان كالجبة أو العمامة يلبسها المسيح أحيانا ويترعها أخرى، فما صدر منه إنما صدر من الإله المتجسدكما زعموا، وإلا لزمهم الاعتراف ببشريته، وهو الصحيح.

وأورد علماؤنا عشرات النصوص التي تتحدث عن ضعف المسيح البشري وتحكي قعوده عن مرتبة الألوهية كتواضعه وجهله بالساعة وصلاته وتذلله بين يدي ربه ،كما أوردوا عشرات النصوص التي صرح فيها المسيح برسالته ونبوته وعبوديته ، ونقلوا أيضا شهادات تلاميذه ومعاصريه في أنه بشر فحسب.وقد سبق بيان ذلك كله .[1]

ونتوقف مع بعض هذه النصوص منها تلك التي صرحت بأن المسيح عبد، وهذا التصريح ينقض دعوى الألوهية ويجعلها ضربا من المحال.

ومن ذلك ماجاء في متى في وصف المسيح"هذا هو عبدي"(متى ١٢/١٨)، وفي سفر أعمال الرسل

---

(١) انظر:إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٣٦-٧٥٠،الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ٥٧-٦٠، ٥٦٦-٥٩٢،ومواضع أخرى متفرقة،سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٦١-٣٦٢، ٣٨١-٣٨٦،التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١١٠-١١٢،المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٩٧-١٠٣،قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢/٢٢٠،المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ٦١-٦٦، ١٧٦-٢٠٨،مناظرة العصر ،أحمد ديدات،ص ١٧، ٧٠،مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٤٣-١٤٥،الإله الذي لاوجود له، أحمد ديدات،ترجمة:رياض هبري،ط٢،بيت الحكمة،القاهرة،١٤١٣هـ،ص ٨-٢٨،محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ط٢،دار المنار،القاهرة،١٤١٢هـ،ص ٩٩-١٠١،أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ٧٧-٨١،الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام،أميمة الشاهين،ص ١٢٨-١٣١،المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،ص ٧، ٢٣، ٢٧، ٣٢،ومواضع أخرى متفرقة،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ٤٩-٥١،دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٢٦-٢٢٧،الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٠٧-١١٠،براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٥٤-٥٦،معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ط٤،عالم الكتب للنشر والتوزيع،الرياض،١٩٨١هـ،ص ٨٢،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣٩-١٥٠

"قد مجد عبده يسوع"(أعمال٣/١٣)،" فإليكم أولا أرسل الله عبده"(أعمال ٣/٢٦)،"عبدك القديس يسوع "(أعمال ٤/٣٠)[١].

وقد استبدلت لفظة (عبد)بجميع هذه النصوص بكلمة "فتى"الموهمة، وذلك في التراجم العربية المختلفة ومما قاله المسيح ويؤكد أنه مجرد بشر أن المسيح أخبر أنه سيشرب في اليوم الآخر ويأكل حيث قال " الحق أقول لكم:إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديدا في ملكوت الله " (مرقس١٤/٢٥)فهل سيتجسد الابن ثانية يوم القيامة؟ وما الحكمة من التجسد حينذاك؟أم أن المسيح سيعود ككائن بشري عادي ؟

ومما يبطل قول النصارى بألوهية المسيح قوله " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة "(متى١٠/٦).

ومثله قصة المرأة الكنعانية التي رفض شفاء ابنتها لأنها ليست من شعبه (انظر متى ١٥/٢١-٢٨) .

ومثله الوعد الذي وعده كما جاء في لوقا "وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه، ويملك على آل يعقوب إلى الأبد" (لوقا١/٣٢-٣٣)، فهل هو إله خاص ببني إسرائيل، فلو كان إلها لما صح اختصاصه بشعب دون شعب ، فهذا شأن الأنبياء.[٢]

وأيضا لما كان المسيح راجعا مع والدته ويوسف النجار حصل مايدل على جهل والدته بمقامه، فإن جهلت والدته ألوهيته فمن ذا الذي يعلمها، فقد جاء في لوقا"وبعدما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما، إذ ظناه بين الرفقة،ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل بين المعلمين يسمعهم ويسألهم ... يا بني لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين"(لوقا ٢/٤١-٤٨)، و يذكر يوحنا أن المسيح لما صلب ذهبت والدته لتذرف عليه الدمع(انظر يوحنا ١٩/٢٥)، أفلم تكن تعلم حين ذاك أن ولدها هو الله أو ابنه؟ ثم يذكر يوحنا أن للمسيح إخوة، و منهم يعقوب الذي كان حماسه لدعوة المسيح فاترا، فلم يؤمن إلا بعد رفعه، فهل غفل أخوه أيضا عن أحواله الإلهية.

و أيضا إذا كان المسيح إلها فلماذا طلب من تلاميذه أن لا يعلنوه (انظرمتى١٦/٢٠)، و لما طلب إخفاء معجزاته (متى ١٢/١٥-١٦)، فهذا يدل على ضعفه ثم يسبب غواية الناس و جهلهم بحقيقته فكيف

---

(١) انظر: براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ١٤٣-١٤٤

(٢) انظر: المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،ص ١٠،١٤، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٣٥-٣٦، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ط١،مكتبة وهبة،القاهرة،١٤١٨هـ،ص ٢٣٢، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ٤١٤

يكون هذا من الإله؟![1].

ثم إن كان المسيح إلها متجسدا فكيف نفهم تبريرا لخيانة يهوذا و هل يخان الإله؟ و كيف نفهم بطرس إنكار بطرس له ثلاث مرات، بل إن كل ما قيل في سيرة المسيح يصعب فهمه مع القول بألوهيته، و يترك علامات استفهام لا إجابة عنها[2].

(١) انظر:الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ضبط وتعليق:عصام فارس الحرستاني،ط١،مكتبة دار عمار،عمان،١٤٠٩هـ،ص٢٠٥-٢٠٦، المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ٦٣-٦٥، ،مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ٣٨،المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٢) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١١١،طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،مكتبة وهبة،القاهرة،ص ٣٨-٣٩،المناظرة الإسلامية النصرانية،ص ١٦٥-١٦٦.

المطلب الثاني: أدلة النصارى العقلية على ألوهية المسيح.

معجزات المسيح

و تذكر الأناجيل الكثير من معجزات المسيح وتستدل بها على ألوهيته كولادته من غير أب وإحيائه للموتى وشفاءه للمرض وتنبؤه بالغيب....وقد درس علماؤنا المعجزات المنسوبة إليه وتوقفوا عند ملاحظات أهمها:

*أن ثمة معجزات ذكرها القران الكريم للمسيح لم تذكرها الأناجيل وهي معجزات ثلاث: معجزة تكلم المسيح في المهد، ومعجزة نزول المائدة عليه وعلى التلاميذ ثم معجزة خلق الطير في هيئته من الطين ، وقد ذكرت معجزة تكلم المسيح في المهد في إنجيل توما، وهو من الأناجيل التي لا تقرها الكنيسة .[1]

*أن المعجزات لا تصلح دليلا على الألوهية بل غايتها أن تدل على نبوة صاحبها، وقد أوتيها الكثير من الأنبياء فكانت معجزاتهم من جنس ما أتى به المسيح ،وأحيانا كانت معجزات بعضهم تفوق معجزات المسيح من غير أن يؤدي ذلك إلى القول بألوهية هؤلاء الأنبياء.

ومثل علماؤنا لكثير من معجزات الأنبياء التي فاقت معجزات المسيح مما سبق بيانه[2]ومن ذلك أيضا قول النصارى بأنه حول شجرة التين إلى حطام يابس (انظر متى ٢١/١٨-١٩) وكذلك أوتي سلطانا على العناصر الطبيعية فالرياح والبحر يطيعه (انظر متى ٨/٢٣-٢٨) وكذلك أوتي سلطانا على الشياطين (انظر متى ١٢/٢٧-٢٨)،و قد تنبأ بكثير من الغيوب فكانت كما قال (انظر مرقس ١٤/١٢-١٦، يوحنا ١٤/١٨-٢٠)، و قد قال له بطرس"يا رب أنت تعلم كل شيء"(يوحنا ٢١/٧١).

و كذا فإن المسيح صام أربعين يوما لم يجع خلالها، و هو ما لا يطيقه بشر (انظر متى ٤/١-٢).

و يرى علماؤنا أن للأنبياء -الذين لا يقول النصارى بألوهيتهم-معجزات مماثلة فدل ذلك على أن هذه المعجزات و أمثالها لا تقتضي الألوهية بحق المسيح و لا غيره، فلئن كان المسيح قد حول شجرة التين إلى يابس فإن موسى حول العصا اليابسة إلى حية (انظر الخروج ٧/٩)، و هو أعظم إذ قد يدخل يبس الشجرة في قانون الطبيعة لكن تحويل العصا إلى حية معجز بكل حال.

---

(١) انظر عقيدة الصلب والفداء،محمد رشيد رضا،ص ٩٢

(٢) انظر تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ١٣ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٠٩ ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٦٥-٧٦٦ ، حقيقة النصرانية،أحمد حجازي السقا،دار الفضيلة،القاهرة، ص ٣٨-٧٤ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٤٠-١٤٢ ، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٢٤-٢٣٠ -٢٥٢ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ط١،مكتبة الدار،المدينة،١٤٠٩هـ،ص ٢٤٧ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٧٨-٧٩، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ص٢٢٥، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان، ص٨١، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص١١٣ .

و أما الظلمة التي يدعي النصارى حصولها عند صلب المسيح فربما تكون كسوفا طبيعيا ،و هي ليست –بكل حال– بأكبر من الظلمة التي استمرت على أرض مصر ثلاثة أيام بسبب كفرهم بموسى (انظر الخروج ١٠/٢٢-٢٣)[١].

و أيضا فإن يشوع لما حارب الأموريين و كادت ليلة السبت أن تدخل ناجى ربه فقال:"أمام عيون إسرائيل :ياشمس دومي على جبعون، و يا قمر دوم على وادي أيلون. فدامت الشمس و وقف القمر حتى انتقم الشعب....فوقفت الشمس في كبد السماء و لم تعجل للغروب نحو يوم كامل"(يشوع١٠/١٢-١٣)، و هذا الذي حصل ليشوع لا يقتضي ألوهيته و هو أعظم من غياب الشمس ثلاث ساعات.[٢]

ثم لئن كانت الطبيعة تطيع المسيح فإن ذلك قد حصل مع الأنبياء أيضا فإيليا أطاعته النار حتى قال: " إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء تأكلك أنت و الخمسين الذين لك، فنزلت نار الله من السماء و أكلته هو و الخمسين الذين له"(ملوك(٢)١/٩-١١)، و كذا أطاعه البحر"و أخذ إيليا رداءه، و لفه، و ضرب الماء فانفلق إلى هنا و هناك فعبر كلاهما (يشع و إيليا) في اليبس"(ملوك(٢)٢/٧-٨)، وقد رأينا كيف أطاعت الشمس و القمر يشوع[٣]

و أما صيام المسيح أربعين يوما فلا يدل على ألوهيته إذ أنه "جاع أخيرا"(متى ٤/٢)، فلئن كان صومه و صبره يدل على ألوهيته فإن جوعه يكذبه و يدل على بشريته و نبوته كما حصل مع موسى حيث يقول:"أقمت في الجبل أربعين نهارا و أربعين ليلة لا آكل خبزا ولا أشرب ماء"(التثنية ٩/٩)،ومثله حصل مع النبي إيليا حين أكل أكلة ثم"سار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة إلى جبل الله" (ملوك (١)١٩/٧-٨)[٤].

و لئن قال النصارى برفع المسيح للسماء و جلوسه عن يمين الله فإن مثل ذلك حصل مع إيليا الذي رفع من غير أن يصلب أو أن يصفع أو أن يصاب بسوء (انظر ملوك (٢)٢/١١-١٢)، و مثله حصل مع اخنوخ(انظر التكوين ٥/٢٤)

و أما الجلوس عن يمين الله فقد ألحقته الكنيسة بإنجيل مرقس (انظر مرقس١٦/١٩)، فلا يكمن حمله على الحقيقة بل غايته أن يقال بأنه جلوس معنوي أي برفع مكانته كما جاء في كلام ميخا"لقد رأيت الرب جالسا على كرسيه، و كل جند السماء وقوف بين لديه عن يمينه و يساره"(الأيام (٢)١٨/١٨).

ثم ليس المسيح وحده الذي تنبأ بالمغيبات فقد تنبأ قبله يعقوب فقال لأبنائه:"اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام..."(التكوين٤٩/١-٢٧)، و مثله تنبأ صموئيل و إيليا (انظر صموئيل(١)١٠/٢-٩،ملوك (١)٢١/٢١-٢٤)، و قد تحققت نبوءتهما في (ملوك (٢)١٠/١-١٧، ٩/٣٠-٣٧)، و مثل هذا كثير في الأسفار المقدسة(انظر صموئيل (١)١٩/٢٣-٢٤،ملوك ٤/٨-١٨،٨/١٢-١٣، يوحنا ١١/٤٩-

---

(١) انظر: تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ١٣أ-١٣ب.

(٢) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٣٩

(٣) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٣٦-٢٣٩

(٤) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٥٦-٢٥٧.

٥٢)، و قد جاء في وصف بلعلم بن بعور-و ليس نبي- بأنه "يعرف معرفة العلي الذي يرى رؤيا القدير"(العدد٢٤/١٥-١٩).

ثم إن المسيح كما تنبأ بالغيوب فإنه عجز عن أخر و جهلها، إذ لم يعرف بالخبز و عدده (انظر متى ١٥/٣٤)، كما جهل موعد الساعة(انظر مرقس ١٣/٣٢-٣٣)، ثم يرى ديدات أنه لا يجوز للنصارى أن يذكروا شيئا عن مغيبات أخبر عنها المسيح و هم ينسبون إليه الكذب عندما تنبأ بعودته السريعة قبل انقضاء جيله(انظر مرقس ١٣/٢٦، ٣٠، متى ١٠/٢٣)[1]و هو ما لم يحدث حتى يومنا هذا.

و أما إخراج المسيح للشياطين فإنه معجزة قام بها غيره، فعندما اتهمه اليهود بأنه يخرج الشياطين بمعونة رئيسهم قال:"إن كنت أنا أخرج الشياطين ببعزبول، فأبناؤكم بمن يخرجونهم؟"(متى ١٢/٢٧)[2]، ثم إن بعض المخلوقات يشاركن المسيح في صورة إحدى أعظم معجزاته ألا وهي ولادته من العذراء، من غير أب، فإن أصول سائر المخلوقات و منهم البشر لا أب لهم و لا أم، و وجود آدم خلقا سويا أكبر و أكمل من خلقة المسيح الذي خلق جنينا في بطن أمه ثم كبر بعد ذلك و نما.

وممن فاق المسيح في هذه المعجزة ملكي صادق كاهن ساليم في عهد إبراهيم ،فإن بولس يزعم أن لا أب له ولا أم ولا بداية ولا نهاية،يقول:"ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي...بلا أب،بلا أم ، بلا نسب،لا بداءة أيام له ولانهاية حياة،بل هو مشبه بابن الله ،هذا يبقى كاهنا إلى الأبد"(عبرانيين ٧/١-٣)،فلم لا يقول النصارى بألوهية ملكي صادق ؟

لكن القس أنيس شروش يجيب ،فيأتي بالعجيب فيقول بما لم يقله أي من فرق النصارى المختلفة فيقول:"هذا الذي كان ملكا لمملكة ساليم كان في حقيقة أمره ظهورا آخر ليسوع وتجسد باعتبار أنه كاهن الله العلي".

أما ياسين منصور فيتعلق بمعجزة الميلاد العذراوي للمسيح ،فيقول:"لو لم يولد المسيح من عذراء لكان مجرد إنسان "وهو كذلك.[3]

وعندما أتى المسيح بما أتى به من المعجزات أكد بأنها من الله عز و جل، و لم ينسبها إلى نفسه فقال:"أنا بروح الله أخرج الشياطين"(متى١٢/٢٨)، و قال:"كنت بإصبع الله أخرج الشياطين "(لوقا ١١/٢٠)،وعندما جاء لإحياء لعازر "رفع يسوع عينيه إلى فوق ،وقال:أيها الآب أشكرك ،لأنك سمعت

---

(١) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢١٤-٢٢٤، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٤٦، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ١١٦، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٢١١.

(٢) انظر سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٤٩-٢٥١.

(٣) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٦٥-٧٦٦،الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٠٩،مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٤٦،٥٦-٥٧،التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ٣٣،المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ١٦٧-١٧٠، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٧٧،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،دار الفضيلة،١٩٩٤م،ص ٦٢،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٨٦

لي،وأنا أعلم أنك في كل وقت تسمع لي"(يوحنا ١١/٤١-٤٢)،ولما أراد إطعام الجمع من الأرغفة الخمس أيضا"رفع نظره نحو السماء ،وبارك وكسر"(متى ١٤/١٩)،ولما جيء له بالأصم"رفع نظره نحو السماء وأن وقال:افثأ.أي انفتح،وفي الوقت انفتحت أذناه،وانحل رباط لسانه،وتكلم مستقيما"(مرقس ٧/٣٤-٣٥)،وقال:"دفع إلي (أي من الله)كل سلطان في السماء وعلى الأرض"(متى ٢٨/١٨)،وأيضا قال:"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا "(يوحنا ٥/٣٠)ويقول :"الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي"(يوحنا ١٠/٢٥).[1]

و أما الذين رأوا معجزات المسيح فقد عرفوا أنما يصنعه إنما هو من المعجزات التي يعطيها الله لأنبيائه و لم يفهم أحد منهم ألوهية صاحب هذه المعجزات، فعندما شفي الصبي من الروح النجس "بهت الجميع من عظمة الله" (لوقا ٩/٣٤)، و لما شفى المرأة المقوسة الظهر " استقامت (أي المرأة)و مجدت الله"(لوقا ١٣/١٣)، و لما أقام المفلوج و رأت الجموع ذلك "تعجبوا و مجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا"(متى ٩/٨)، و هذا تلميذه بطرس يقول:"يسوع الناصري رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات و عجائب صنعها الله بيده"(أعمال ٢/٢٢)[2].

و تحكي الأناجيل ما يؤكد أن هذه المعجزات لم تكن إلا هبة من الله، و كان المسيح يحذر أن لا يؤتاها في بعض المواطن لذلك لما تقدم إلى لعازر الميت"قال بعض منهم:أ لم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت؟ فانزعج يسوع أيضا في نفسه"(يوحنا ١١/٣٧-٣٨).

و في مرات أخر طلب منه الفريسيون آيات "فتنهد بروحه، و قال لماذا يطلب هذا الجيل آية؟الحق أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل آية، ثم تركهم و دخل السفينة و مضى"(مرقس ٨/١١-١٣)،و لما تكاثرت جموع اليهود عليه تطلب آية لم يعطيهم بل قال:"جيل شرير و فاسق يطلب آية و لا تعطى له آية"(متى١٢/٣٨-٣٩)[3].

ثم لو كان ما يصدر من المسيح من آيات تدل على ألوهيته فلم يأمر بإخفائها و هي السبيل الذي يدل الناس على حقيقته؟ فقد قال المسيح للأبرص لما شفاه" انظر لا تقل لأحد شيئا"(مرقس١/٤٤)، و لما شفى الأعميان قال:"انظرا لا يعلم أحد"(متى ٩/٣١)، و قال للأعمى الثالث لما شفاه:"لا تدخل القرية، ولا تقل لأحد في القرية"(مرقس٨/٢٦).

---

(١)انظر:المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ٧١-٧٣،سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣١٤-٣٦٨،معجزات المسيح، محمد عوض ،ص٣٧،المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٧٩،القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات،ص ١٨٨-١٨٩،المسيح في الإسلام ،أحمد ديدات، ص٩٦-٩٧،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص٥٤ .

(٢) انظر:المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ٧٤-٧٥، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١١١-١١٢،شهادة الإنجيل، عبد الرحمن عبد الخالق،ط١،الكويت،١٩٩٤م،ص٣٩.

(٣) انظر :المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٨٠،المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ٨١-٨٥،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٦٠-٦١ .

فالمسيح بإخفائه للمعجزات يريد أن لا ينشغل الناس بالمعجزات عن دعوته و جوهرها[1].

ثم إن ما تعرضه الأناجيل من معجزات يحوي الكثير من المبالغات التي أريد منها إبراز صورة المسيح غلوا منهم فيه عليه الصلاة و السلام فقد شفى عميانا و عرجا و صما كثر ثم إن "جموعا كثيرة جاءت ليسوع فيهم العرج و العمي و الخرس و الشل، فطرحوا عند قدمي يسوع فشفاهم"(متى١٥/٢٩-٣١)، وفي مرة أخرى"و تبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعا"(متى١٢/١٥).

و يعجب شلبي لكثرة هذه الجموع المريضة حتى ليوشك عددهم أن يتجاوز سكان فلسطين، و يرى أنه بذلك تخرج المعجزة عن دورها في إقامة الدليل على صدق النبي في دعواه، و تتضح المبالغة عند المقارنة بين حديث الإنجيليين عن المعجزة الواحدة، فلقد تحدث مرقس عن شفاء أعمى واحد في أريحا و أخرس واحد فقط (انظر مرقس ١٠/٤٦-٥٢، ٩/١٥-٢٧).

لكن متى بالغ فجعل الأعمى الذي في أريحا أعميين، و جعل الأخرس مجنونا أيضا (انظر متى٢٠/ ٢٩-٣٤،٣٣/٩،٣٢-٣٤)، و مثله في المبالغة ما صنعه يوحنا حين ختم إنجيله في قوله:" و أشياء أخر كثيرة صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة"(يوحنا ٢١/٢٥)[2].

ثم كيف للنصارى أن يعتبروا دلالة في معجزات المسيح و هو يقول:"الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا و يعمل أعظم منها"(يوحنا ١٤/١٢).

أدلة عقلية أخرى على ألوهية المسيح

و أما الأدلة العقلية-فيما سوى المعجزات-التي يستدل بها النصارى على ألوهية المسيح فمنها:قول الأب بولس إلياس الخوري:" استباح السيد المسيح حق تعديل الشريعة و تكميلها فصارح سامعيه" قد سمعتم أنه قيل للأولين: لا تقتل. فإن من يقتل يستوجب الدينونة أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب..."(متى٥/٢١-٢٢)، و الله هو الذي قال ذلك للأولين و قد وضع عيسى نفسه بذلك موضع الله الذي شرع، فلابد أن يكون هو الله".

و يقول آخر بأن الأفلاك قد أعلنت عن المسيح، و تحدثت عن صلبه و قيامته في أسمائها، فبرج العذراء يتحدث عن ميلاده من العذراء، و الميزان يرينا أن البشر ولدوا فوزنوا فكانوا ناقصين، و برج العقرب (في البروج الإنجليزية يسمى الحية) يرينا الحية القديمة التي جاءت بالخطيئة، وبرج القوس يرينا المسيح الظافر الذي سحق الحية بالخلاص، و برج الدلو يتحدث عن المسيح ينبوع الماء الحي، و الحوت يرينا المدفون في بطن الأرض ثلاث أيام و ثلاث ليال...

و يرى سويجارت بأن قدرته على شفاء المرضى و كذا ما يقوم به القساوسة من معجزات باسم

---

(١) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ١٠١، معجزات المسيح، محمد عوض ص٤٠.

(٢) انظر: المسيحية،أحمد شلبي،ص ٤٤-٤٦، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٢٠.

المسيح دليلا على صحة معتقدهم بالله.

و بداية فإن رد علمائنا جاء مشوبا بالسخرية اللاذعة من هذا النوع من الاستدلال الضعيف الساذج.

و يرد ديدات على سويجارت بأن فعل العجائب لا يدل على الصدق فإن المسيح ذكر بأن كذبة سيفعلون المعجزات و يزعمون أنهم باسم المسيح فقد ذكر متى أن المسيح قال:"ليس كل من يقول لي : يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات، و كثيرون سيقولون في ذلك اليوم: يا رب أخرجنا الشياطين باسمك، و صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط، فاذهبوا عني يا فاعلي الإثم"(متى٧/٢١-٢٣)[1].

و حق لعلمائنا أن يترفعوا عن مثل هذا السفاف إذ أنه حق تبديل الشريعة الذي يخصه بولس إلياس بالمسيح تجعله الكنائس الأرثوذكسية و الكاثوليكية حقا لكل بابوات الكنيسة، و علاوة على ذلك فإن المسيح أعلن عن أنه لن ينقض الناموس فما جاء بعد إنما هو-حسب دينهم-إضافات أخلاقية على ما جاء في شرائع موسى، و أما دليل الأبراج فكل أهل ملة و دين يستطيع أن يقول مثل هذا الهراء في معبوده و إلهه سواء كان حجرا أم شجرا أم بشرا.

---

(١) المناظرة الحديثة،أحمد ديدات،ص ١٦٠-١٦١،١٨١، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٤٨-١٤٩، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ط٢،المركز العربي للنشر والتوزيع،ص ١٥٧، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٣٣.

المبحث الثاني:عقيدة التثليث

﴿قل هو الله أحد*الله الصمد* لم يلد و لم يولد* و لم يكن له كفوا أحد ﴾[1] تقرر هذه السورة باختصار معتقد المسلمين في الله عز و جل ،و هو المعتقد الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم و الأنبياء قبله ﴿و ما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[2].

لكن النصرانية اليوم تخالف هذا المعتقد الذي بشر به الأنبياء نبيا تلو نبي و منهم المسيح عليه السلام. ويقولون :أن الله ثالوث في وحدة ،و وحدة في ثالوث،فمن أين لهم هذا المعتقد؟ و هل لهم في ذلك من شبهة أم محض تخرص و ظنون لا دليل عليها؟

والثالوث النصراني يتكون من الآب والابن والروح القدس، والآب كلمة سريانية معناها: إعطاء الشيء بمعنى : موجد الموجودات، أو الأصل(الله) . وقد نقلت الكنيسة اللفظة بمعنى الآب ، فانتقل من معنى التكوين والإيجاد إلى الأبوة والولاد.

وأما الابن فهو الأقنوم الإلهي الثاني، وهو عند الأرثوذكس المسيح. وأما الروح القدس فهو أغمض أطراف الثالوث، و لم يرد هذا اللفظ في العهد القديم سوى ثلاث مرات.

ويرى عبد الأحد داود أن أول من دس معنى الأبوة والتوالد الراهب المصري التأثر بالأفكار اليونانية: أوريغنورس، وقال : إن المسيح إنسان باعتبار أنه من جنس البشر، وهو من جنس الله باعتبار أن الله أبوه.

ويلخص محررو قاموس الكتاب المقدس عقيدة النصارى الكاثوليك في التثليث، فيقولون:"الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله...شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى..التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتا أو ظاهريا ، بل أبدي وحقيقي.. التثليث لا يعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد...الشخصيات الثلاث متساوون".[3]

في بيان الحقيقة سطر علماؤنا الكثير من الكتابات التي تكشف الحقيقة لكل ذي عينين ،و لكل ذي لب أمين يبحث عن الحقيقة.و قد جاءت جهودهم في هذا المبحث في مطالب خمسة:

الأول: أدلة النصارى النصية على عقيدة التثليث.

الثاني:نشأة التثليث في النصرانية.

الثالث نقد عقيدة التثليث.

الرابع: التوحيد في التاريخ النصراني.

الخامس: عقائد الفرق النصرانية المعاصرة.

---

(١) سورة الإخلاص .

(٢) سورة الأنبياء،آية:٢٥ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص٢٣٢،النصرانية في الميزان، محمد عزت الطهطاوي،ص ١٧-١٨.

المطلب الأول: أدلة النصارى النصية على عقيدة التثليث.

النصوص التوراتية و عقيدة التثليث.

و قد تعلق النصارى ببعض النصوص التوراتية و زعموا أنها إشارات إلى التثليث منها استخدام بعض النصوص صيغة الجمع العبري (ألوهيم) عند الحديث عن الله كما في مقدمة سفر التكوين"في البدء خلق الله السماء و الأرض"(التكوين١/١)، و في النص العبري"ألوهيم" أي (الآلهة) و مثله في استخدام ما يدل على الجمع في أفعال منسوبة لله كقول التوراة أن الله قال:"هلم نترل و نبلبل هناك لسانهم" (التكوين١١/٧).

و من الإشارات التوراتية أيضا لتثليث الأقانيم قول الملائكة "قدوس، قدوس، قدوس، رب الجنود" (إشعيا٦/٣)، فقد كرر ذكر كلمة قدوس ثلاث مرات، و مثله قالت الحيوانات التي رآها يوحنا في رؤياه:"قدوس، قدوس، قدوس، الرب الإله القادر على كل شيء"(الرؤيا ٤/٨)، و يتساءل القس شروش لم تكرر الهتاف ثلاث مرات و ليس أربعا أو خمسا؟ ثم لا يجد جوابا إلا أن النص إشارة إلى التثليث.

و مثله يراه في خطاب الرب لبني إسرائيل الذي حوى ثلاث جمل إذ قال:"يباركك الرب و يحرسك، يضيء الرب عليك و يرحمك، يرفع الرب عليك وجهه و يمنحك سلاما" (العدد٦/٢٤-٢٦).

و أيضا جاء في مقدمة سفر التكوين أن الله قال: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"(التكوين١/٢٦) يقول القس شروش:"هل كان الله يكلم نفسه أم كان يتكلم إلى شخص آخر في إطار الثالوث العظيم الذي نسميه: الله .إن الله كان يتكلم حقا و فعلا إلى الأقنومين الآخرين" و مثلها عندما قال:"هلم نترل و نبلبل..."(التكوين١١/٧).

و كذا فإن في الأمثلة الرمزية في التوراة ما يشير إلى التثليث ،ومنه قول إبراهيم: خذ لي عجلة ثلاثية وعترة ثلاثية و كبشا ثلاثيا"(التكوين١٥/٩).

وكذلك فإن اليهود يقسمون الليل إلى ثلاثة أجزاء(انظر القضاة ٧/١٩) و غير ذلك من الأدلة التي يراها النصارى مشيرة إلى التثليث الذي أعلنت عنه الأناجيل فيما بعد[1].

و يعترف النصارى بأن ليس في هذه النصوص ما نستطيع أن نعتبره دليلا صريحا على التثليث الذي تنقضه النصوص التوحيدية الصريحة، كما لم يفهم سائر قراء العهد القديم- من لدن الأنبياء الأوائل لبني إسرائيل -شيئا عن تلك التي يعتبرها النصارى إشارات على التثليث.

يقول القس بوطر:"بعدما خلق الله العالم، و توج خليقته بالإنسان لبث حينا من الدهر لا يعلن له

---

(١) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢١٧-٢٢٣، مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٣٧-٤٢، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣١٦،٣٢٨، ٣٣٧ -٣٣٩ .

سوى ما يختص بالوحدانية كما تبين ذلك من التوراة على أنه لا يزال المدقق يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية، لأنك إذ قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات "كلمة الله" أو "حكمة الله" أو "روح الله" و لم يعلم من نزلت إليهم التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد، إذ يجدها تشير إلى أقانيم اللاهوت...فما لمحت إليه التوراة صرح به الإنجيل"[1].

نقد النصوص التوراتية

و نظر علماؤنا فيما أسمته النصارى إشارات التوراة، فوجدوا من النصارى لها تمحلا لا تقبله الأذواق السليمة، و لا ترتضيه دلالات الكلام و تناسق السياق.

فاستخدام صيغة الجمع و إرادة الواحد فقط معروف حتى في لغة الكتاب المقدس ،و منه أن بنو إسرائيل لما عبدوا العجل سموه آلهة، فقد جاء في سفر الخروج"فصنعه عجلا مسبوكا فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل" (الخروج ٤/٣٢)، و في موضع آخر قال:"فصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب" (الخروج ٣١/٣٢)، و جاء في صموئيل أن المرأة رأت روح صموئيل و قالت: رأيت آلهة يصعدون من الأرض" (صموئيل(١)١٣/٢٨)، و لم تر سوى روحه.

و أما لفظة "ألوهيم" فهي صيغة تعظيم لا تعداد، ومثله عند المسلمين في قول الله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون﴾ [2].

وأما التكرار ثلاث مرات في قول الملائكة أو الجمل التي خوطب بها بنو إسرائيل وأمثال ذلك فلا يصلح في الدلالة في شيء.فلو اطرد الاستدلال على هذه الكيفية فلسوف نرى تربيعا وتخميسا وغير ذلك من التعداد للآلهة ، فلئن وردت كلمة "قدوس"مثلثة مرتين في الكتاب المقدس ، فإنها وردت مفردة نحو أربعين مرة ، وإنما يراد من التكرار التأكيد كما في نصوص إنجيلية وتوراتية كثيرة.(انظر لوقا ٢١/٢٣،يوحنا١٥/٢١-١٧)....

ولئن كان بنو إسرائيل قد قسموا الليل إلى ثلاثة أجزاء، فإن الرومان قسموه إلى أربع (انظر مرقس ٤٨/٦)فهل تصبح الأقانيم أربعة ؟

وأما ما قيل لإبراهيم ،فقد جاء في بقية النص ما يجعل التثليث تخميسا ،ففيه:"خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة"(التكوين ٩/١٥).

ثم إن العدد (٤) قد تكرر مرات عديدة ففي عدن أربعة أنهر، و ذكر حزقيال أربعة حيوانات عظيمة، و ذكر سفر الأعمال أربعة من العسكر حرسوا بطرس في سجنه (انظر التكوين١٠/٢، حزقيال ٥/١-٦،

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد،الرياض،١٤٠٤هـ،ص ١٢١، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) سورة الحجر، آية:٩، و انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣١٦-٣١٨، مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٧٥، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٨٩-٢٩٠.

أعمال ٤/١٢).

و على هذه الشاكلة نستطيع إخراج أمثلة عددية كثيرة من التوراة و الإنجيل، و كل ذلك لا علاقة له بموضوع التثليث تصريحا و لا إشارة[١].

النصوص الإنجيلية و عقيدة التثليث.

و يرى النصارى أن ثمة أدلة على التثليث في أسفار العهد الجديد أصرح و أوضح من تلك التي وردت في التوراة منها أنه" لما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، و إذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة، و آتيا عليه، و صوت من السماء قائلا: هذا هو ابني الحبيب و الروح الذي سررت به"(متى ٣/١٦-١٧).

فقد جمع النص الآب و الابن الحبيب و الروح النازل مثل الحمامة. و مثله يقول بولس:"بنعمة ربنا يسوع المسيح، و محبة الله، و شركة الروح القدس مع جميعكم. آمين" (كورنثوس (٢)١٣/١٤).

و يستدل القس شروش بأمور حصلت ثلاث مرات، فقد أحيا المسيح ثلاثة أشخاص كما أنكر بطرس المسيح ثلاث مرات ثم أعلن حبه له ثلاث مرات، و شهد صعوده للسماء ثلاثة من التلاميذ، استمرت دعوة المسيح على الأرض ثلاث سنوات، ثم لما صلب كان أحد ثلاثة مصلوبين. فهذه الثلاثات ما كان لها أن تتكرر دون أن يكون لتكرارها مغزى ألا و هو التثليث[٢].

و يرى العلمي في نص متى ثلاث ذوات تمايزت بالأسماء و الأعمال فكيف بعد ذلك يقال عنها بأنها وحدة واحدة.

ثم أن النصارى يقولون بحلول الابن في عيسى، و هنا يتحدث النص عن حلول الروح عليه، و في مواضع أخرى أكد ذلك (انظر لوقا٣/٢٢، متى ١٢/١٨)، فيما جاءت مواضع أخرى تتحدث عن حلول الله الأب فيه (انظر يوحنا ١٧/٢١، ١٤/٩-١٠)، فأي الأقانيم إذا الحال في المسيح.

و أما نص بولس فيرى العلمي أن ليس فيه دلالة على عناصر التثليث لأنه لم يذكر فيه الابن الذي حل في جسد عيسى، إنما ذكر اسم يسوع، و هو اسم للجزء الناسوتي من المسيح، كما أن كلمة المسيح هي اسم للجسد الممسوح بالزيت فلا يمكن أن يقال عنه بأنه الابن، و ليس في النص ما يدل على أن الروح القدس إله، أو أن الثلاثة متساوون أو ذات واحدة[٣].

---

(١) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٢٣، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٣٨-٣٢٩، ٣٣٩-٣٤٠، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٠٣-٣٠٤، ٣١٥-٣١٦.

(٢) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٢١، ٣٢٥، مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٤١-٤٢، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٩٣، ٢٩٩.

(٣) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٢٥-٣٢٧، النصرانية في الميزان،محمد

و ليس في الكتاب المقدس سوى نصين فقط ذكر فيهما عناصر التثليث الثلاث جنبا إلى جنب أحدهما هو ما جاء في رسالة يوحنا الأولى في قول يوحنا:"فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة و الروح القدس. و هؤلاء الثلاثة هم الواحد" (يوحنا(١) ٥/٧).

فهذا النص صريح في جعل الثلاثة إلها واحدا غير أنه غير موجود في سائر المخطوطات القديمة للكتاب المقدس بل و غير موجود حتى في أول نص مطبوع، فقد أضيف لاحقا ،و قد اعترف بإضافته علماء النصرانية و محققوها و منهم هورن، و جامعو تفسير هنري واسكات، و آدم كلارك، و فندر ،وخلت ردود القديس أكستاين(ق٤)من هذا النص على الرغم من مناظرته لفرقة ايرين المنكرة للتثليث،كما قد كتب عشر رسائل في شرح رسالة يوحنا لم يذكر في أيها هذا النص.

و قد حذفته النسخة القياسية المنقحة(R S V)من نسختها الإنجليزية، كما حذفته بعض التراجم العالمية، و ما يزال موجودا في غالب التراجم و منها العربية يقول بنيامين ولسن مترجم المخطوطات اليونانية:"إن هذه الآية التي تشمل على الشهادة بالألوهية غير موجودة في أي مخطوط إغريقي مكتوب قبل القرن الخامس عشر، إنها لم تذكر بواسطة أي كاتب اكليركي (إغريقي) أو أي من الآباء اللاتينيين الأولين حينما يكون الموضوع الذي يتناولونه يتطلب بطبيعته الرجوع إليها، لذلك فهي بصراحة مختلقة"[1].

و أما النص الثاني فهو ما جاء في خاتمة متى أن المسيح قبيل صعوده إلى السماء "كلمهم قائلا: دفع إلي كل سلطان في السماء و على الأرض، فاذهبوا و تلمذوا جميع الأمم و عمدوهم باسم الآب و الابن وروح القدس، و علموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. و ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين" (متى٢٨/ ١٨-٢٠).

و أول نقد يتوجه لهذه الفقرة أنها رغم أهميتها لم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى التي اتفقت على إيراد قصة دخول المسيح أورشليم راكبا على جحش .فهل كان ركوبه على جحش أهم من ذكر التثليث فلم يذكره سوى متى.

و عليه فإن ناسخ البحث الصريح يعتبرها شهادة آحاد، فهي ضعيفة في دلالتها. ويتجاهل بأنها قد وردت في كتاب مقدس لاتضره آحاديته إن صحت قداسته، ثم إن الفقرة وردت في أحداث ما بعد القيامة، و قصة القيامة برمتها و لكثرة الاختلاف في روايات الأناجيل لها-كما سيأتي-يعتبرها علماؤنا قصة مزورة ملفقة[2].

عزت الطهطاوي،ص ٢٩٩-٣٠٢.

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٢/٤٩٧-٥٠٤، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٠٦-١٠٧، خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، أحمد ديدات، ترجمة:رياض هبري،بيت الحكمة،القاهرة،ص١٢.

(٢) انظر: تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ٥أ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ٢٤، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٩٧، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ط١،دار الأنصار،القاهرة،١٤٠٥هـ،ص ٩١، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ١٠١-١٠٢.

ثم عند تفحص الفقرة يكشف عما يكذبها فقد سبقها حديث عن الحواريين بأنهم شكوا .

يقول متى:"و لما رأوه سجدوا له، و لكن بعضهم شكوا" (متى ١٧/٢٨)، و كان مرقس قد ذكر في هذا الموضع أن المسيح ظهر للتلاميذ"و وبخ عدم إيمانهم و قساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام، وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع، و اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"(مرقس١٦/١٤-١٥)، و لم يذكر شيئاً عن عناصر التثليث.

و يرى عبد الرحمن البغدادي أن مما يكذب القصة برمتها في متى و مرقس اتهام الحواريين بعدم الإيمان و قساوة القلوب فلئن كان هذا شأن الحواريين فماذا يكون شأن سائر الناس.

و يؤكد عبد الرحمن باجة أن العبارة مضافة إلى الإنجيل بدليل أن يوحنا المعمدان قد قال –و حسب متى-:"أنا أعمدكم بماء التوبة، و لكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني... هو سيعمدكم بالروح القدس والنار" (متى ١١/٣)، فلم يذكر الآب و لا الابن.

و القول بأن هذه الفقرة دخيلة هو قول لعلماء الغرب أيضاً، يقول ويلز: ليس دليلاً على أن حواريي المسيح اعتنقوا التثليث".و يقول أدولف هرنك:"صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الآب و الابن و الروح القدس، غريب ذكرها على لسان المسيح، و لم يكن لها وجود في عصر الرسل،...كذلك لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة في من التعاليم النصرانية ما يتكلم به المسيح و هو يلقي مواعظ و يعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات،إن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا ".[1]إذ هو لم يستشهد بقول ينسبه للمسيح يحض على نشر النصرانية بين الأمم .

ويؤكد تاريخ التلاميذ عدم معرفتهم بهذا النص إذ لم يخرجوا لدعوة الناس كما أمر المسيح، ثم لم يخرجوا من فلسطين إلا حين أجبرهم الظروف على الخروج "و أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية و قبرص و أنطاكيا و هم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط"(أعمال ١٩/١١).

و لما حدث أن بطرس استدعي من قبل كرنيليوس الوثني ليعرف منه دين النصرانية، ثم تنصر على يديه. لما حصل ذلك لامه التلاميذ فقال لهم:"أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه، و أما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس"(أعمال ٢٨/١٠)، لكنه لم يذكر أن المسيح أمرهم بذلك بل قال "نحن الذين أكلنا و شربنا معه بعد قيامته من الأموات، وأوصانا أن نكرز للشعب"(أعمال ٤٢/١٠)، أي لليهود فقط.

و عليه فبطرس لا يعلم شيئاً عن نص متى الذي يأمر بتعميد الأمم باسم الأب و الابن و الروح القدس. و لذلك اتفق التلاميذ مع بولس على أن يدعو الأمميين ،وهم يدعون الختان أي اليهود يقول بولس:"رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة (الأمم)كما بطرس على إنجيل الختان...أعطوني وبرنابا يمين

---

(١) انظر:الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ٢٤،٥٠٦،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٦٦،المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٦١،عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٩٢،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٧٤

الشركة لنكون نحن للأمم،وأما هم فللختان" (غلاطية٢/٧-٩)فكيف لهم أن يخالفوا أمر المسيح -لو كان صحيحاً نص متى-ويقعدوا عن دعوة الأمم ،ثم يتركوا ذلك لبولس وبرنابا فقط؟

وجاءت شهادة تاريخية تعود للقرن الثاني مناقضة لهذا النص إذ يقول المؤرخ أبولونيوس :"إني تسلمت من الأقدمين أن المسيح قبل صعوده إلى السماء كان قد أوصى رسله أن لايبتعدوا كثيراً عن أورشليم لمدة اثني عشر سنة".[١]

فكل هذه الشواهد تكذب نص متى، و تؤكد أنه نص مختلق لا تصح نسبته للمسيح، ثم عند غض الطرف عن ذلك كله فإنه ليس في النص ما يسلم بأنه حديث عن ثالوث أقدس اجتمع في ذات واحدة، فهو يتحدث عن ثلاث ذوات متغايرة قرن بينها بواو عاطفة دلت على المغايرة، و المعنى الصحيح للنص كما يرى محمد حسن و غيره:"اذهبوا باسم الله و رسوله عيسى و الوحي المنزل عليه بتعاليم الله عز و جل".

و لهذه الصيغة مثل لا يصرفه النصارى للتثليث يذكره ناسخ البحث الصريح، فقد جاء في بعض رسالة بولس إلى تيموثاوس"أناشدك أمام الله و الرب يسوع المسيح و الملائكة المختارين..."(تيموثاوس(١)٥/٢١) فإن أحداً لم يفهم من النص ألوهية الملائكة أو أنهم الأقنوم الثالث، ويقال في نص متى ما يقال في نص بولس[٢].

و هذا الأسلوب في التعبير معهود في اللغات و الكتب و قد جاء في القرآن مثله﴿يا أيها الذين آمنوا أمنوا بالله و رسوله و الكتاب الذي نزل على رسوله و الكتاب الذي أنزل من قبل﴾ [٣] و غير ذلك من الآيات القرآنية.

---

(١) انظر :عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٣٠،طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٩١-٩٤،مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٧٨،حول موثوقية الأناجيل والتوراة،محمد السعدي،منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،ليبيا،١٤٠٦هـ،ص ١٧.

(٢) انظر: تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ٥أ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ٩٧/١، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٦، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٨٢.

(٣) سورة النساء،آية:١٣٦.

المطلب الثاني:نشأة التثليث في النصرانية.

و الحق أن كل ما يقوله النصارى من أدلة على التثليث لا يسوغ الاستدلال بها، لأن من تنسب إليهم هذه الأسفار لم يعلموا عن التثليث شيئاً.

فأول من أدخل تعبير الثالوث إلى النصرانية ترتليان (٢٠٠م تقريباً)، كما ذكر ذلك قاموس الكتاب المقدس، و قد خالفه كثيرون من آباء الكنيسة حينذاك منهم سبيليوس و غيره، و قد انتصر التثليث بعد تنصر قسطنطين في القرن الرابع. و أما ما قبل ترتليان فليس للتثليث أي ذكر[1].

و قد أصبح التثليث عقيدة رسمية للنصرانية في أعقاب مجمعين قرر في الأول منهما تأليه المسيح، وفي الثاني تأليه روح القدس.

أولاً:مجمع نيقية:انعقد مجمع نيقية عام ٣٢٥م بأمر من الإمبراطور الوثني قسطنطين الذي كان قد أعلن قبل بضع سنوات قانون التسامح الديني في الإمبراطورية.

و رأى قسطنطين النزاعات بين الكنائس النصرانية تفتت شعب الإمبراطورية و تزعج كيان الدولة، فقرر الدعوة إلى مجمع عام تحضره الطوائف النصرانية المختلفة، و قد عقد المجمع بإشرافه الشخصي، و قام بافتتاحه، و حضره ٢٠٤٨ أسقفاً من مختلف الكنائس المسيحية، و استمرت المداولات ثلاثة أشهر من غير أن يصل المجتمعون إلى رأي موحد.

و قد كان المجتمعون على ثلاثة محاور رئيسة:

أ-موحدون منكرون لألوهية المسيح يتزعمهم آريوس الاسكندراني و أوسابيوس و معهم زهاء ألف من الأساقفة.

ب-القائلون بأن للمسيح وجوداً أزلياً مع الأب و أنه من ذات جوهره و إن مثّل أقنوماً مستقلاً عنه، وذكر هؤلاء بأن المسيح لو لم يكن كذلك لما صح أن يكون مخلصاً، و من القائلين بهذا الرأي بابا روما الاسكندروس، و الشاب الوثني المتنصر أثناسيوس الذي يقول عنه كتاب التربية الدينية المسيحية:"كلنا يعلم ما للقديس أثناسيوس الرسول من مكانة ممتازة في الكنيسة المقدسة على مر العصور... لقد حضر هذا القديس مع البابا الاسكندروس مجمع نيقية... فكان القديس أثناسيوس هو الجندي الصالح ليسوع المسيح، وكان للقديس أثناسيوس أيضاً الفضل في صياغة قانون الإيمان... و في أواخر سنة ٣٢٩م بطريركاً خليفة للبابا الكسندروس".

ج- و أراد بعضهم التوفيق بين الرأيين و منهم أوسابيوس أسقف قيسارية حيث قال بأن المسيح لم

---

(١) انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤١١،٤١٦، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ١٠، الميزان في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١١٠.

يخلق من العدم، بل هو مولود من الآب منذ الأزل و عليه ففيه عناصر مشابهة لطبيعة الآب.

و لا يخفى أن هذا الرأي-الذي زعم التوفيق-لا يكاد يختلف عن رأي أثناسيوس، و قد مال الملك إلى هذا الرأي الذي مثله ثلاثمائة و ثمانية عشر قساً، و خالف بقية المجتمعين الذين كانوا يشايعون آريوس أو مجموعات تتبنى آراء أضعف في المجمع كالقائلين بألوهية مريم أو أن الآلهة ثلاثة صالح و طالح وعدل أو غير ذلك.

و قد أصدر القسس الثلاثمائة و الثمانية عشر قرارات مجمع نيقية و التي كان من أهمها إعلان الأمانة التي تقرر ألوهية المسيح، كما أمر المجمع بحرق و إتلاف كل الكتب و الأناجيل التي تعارض قراره.

و أصدر قراراً بحرمان آريوس والقائلون برأيه، و قراراً آخر بكسر الأصنام و قتل من يعبدها ،و أن لا يثبت في الديوان إلا أبناء النصارى[1].

و يجدر بالذكر هنا أن قسطنطين الذي بارك قرارات هذا المؤتمر كان يومئذ على وثنيته، إذ هو لم يتعمد إلا على فراش موته و على يد أسقف آريوسي، إذ كان يومئذ قد نقل عاصمة ملكه إلى القسطنطينية التي غلب عليها الأريويسيون[2]

و حصل لآريوس و أتباعه ما كان قاله المسيح:"سيخرجونكم من المجامع،بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله، و سيفعلون هذا لكم، لأنهم لم يعرفوا الآب و لم يعرفوني"(يوحنا ١٦/٢-٣).

و يرى وصفي أنه من البدهي أن تكون هذه نبوءة لما جرى لآريوس و أتباعه، إذ المسيح يتنبأ بأحد أهم أحداث المسيحية[3].

و قد أغفل مجمع نيقية الحديث عن الروح القدس و لم يبحث ألوهيته فاستمر الجدل حولها بين منكر ومثبت حتى حسمت في مجمع القسطنطينية.

---

(١) انظر: الإنجيل والصليب،عبد الأحد داود،القاهرة،١٣٥١هـ،ص ١٨-٢٢، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١١٦-١١٧، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٠٢-٣٠٦، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١٠٦، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ١٠١، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٠١-١٠٢، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٧٩-٨٢، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٣-٢٥، منهجية جمع السنة والأناجيل،عزية طه،ط١،دار البحوث العلمية،الكويت،١٤٠٧هـ،ص ٢٣٤، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،دار الشواف،١٩٩٢م،ص ١٧٠-١٧١، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢١٢-٢١٦.

(٢) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢١٦، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٥.

(٣) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١١٧، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٤.

ثانياً: مجمع القسطنطينية.

انعقد المجمع عام ٣٨١م للنظر في قول مكدونيوس أسقف القسطنطينية الأريوسي و الذي كان ينكر ألوهية الروح القدس و يقول:"إن الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، و ليس أقنوماً متميزاً عن الأب و الابن".

و قد أمر بعقد المجمع الإمبراطور تاؤديوس (ت٣٩٥)، و حضره مائة و خمسون أسقفاً قرروا فيه:

١-عدم شرعية المذهب الأريوسي، و فرضوا عقوبات مشددة على أتباعه.

٢-أن روح القدس هو روح الله و حياته، و زادوا في قانون الإيمان فقرة تؤكد ذلك، و بذلك أصبح التثليث ديناً رسمياً في النصرانية.

٣-لعن مكدونيوس و أشياعه.

٤-وضعت بعض القوانين المتعلقة بنظام الكنيسة و سياساتها[1].و قد ذكر القائلون بألوهية روح القدس في المجمع بأنه"ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، و ليس الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن الله مخلوق".

و يتعلق النصارى بتأليهه بما جاء في إنجيل يوحنا:"إن الله روح"(يوحنا ٤/٢٤)، كما يرونه الروح الموجودة منذ بدء الخليقة"في البدء خلق الله السماوات و الأرض...و روح الله يرف على وجه الماء" (التكوين ١/١-٢).

و لكن روح القدس في الكتاب المقدس من أغمض المصطلحات الكتابية، لكنه على أية حال لا يتفق مع المعنى الذي قدمه مجمع القسطنطينية فقد ورد هذا الإطلاق على معان متعددة:

١-الروح التي هي مادة الحياة و منه ما جاء في سفر التكوين" فقال الرب لا تحل روحي على إنسان أبداً، لأنه جسد" (التكوين٦/٣)، و قال عن آدم"و نفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حياً" (التكوين ٢/٧).

٢-الروح التي تحل على الأنبياء فتلهمهم و منه"داود قال بالروح القدس"(مرقس ١٢/٣٦)، و انظر متى ٢٢/٤٣) ومثله "و امتلأ زكريا أبوه من الروح القدس"(لوقا ١/٦٧).

٣-الروح التي تحل على غير الأنبياء من الصالحين فتنصرهم و تؤيدهم و تهديهم و منه"كان الرجل في أورشليم اسمه سمعان، و هذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل، و الروح القدس كان عليه"، وكذلك أيد روح القدس التلاميذ في اليوم الخمسين"فامتلأ الجميع من الروح القدس و ابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا" (أعمال ٢/٤)، "روحي قائم في وسطكم .لا تخافوا" (حجي ٢/٥).

---

(١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢١٨-٢٢١، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٠٧، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٤٨، ٨٢، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٣٤-١٣٥.

٤-القوة غير المعتادة و منه قول التوراة: "و ملأته من روح الله" (الخروج ٣/٣١)، و عن مريم يقول:"وجدت حبلى من الروح القدس"(متى ١٨/١).

٥-الحكمة و منه قول فرعون لعبيده:"هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله" (التكوين ٣٨/٤١)، إلى غير ذلك من المعاني ،لكن جميع هذه المعاني غير مرادة عند مؤلهي روح القدس يقول ياسين منصور:"هو الأقنوم الثالوث في اللاهوت، و ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة، بل هو ذات حقيقي، وشخص حي، و أقنوم متميز، و لكنه غير منفصل، و هو وحدة أقنومية غير أقنوم الأب و غير أقنوم الابن، وهو مساو لهما في السلطان و المقام، و مشترك و إياهما في جوهر واحد و لاهوت واحد"[1].

و لم يقدم النصارى دليلاً صريحاً واحداً على تأليه الروح القدس .

و تحكي أسفار العهد الجديد عن تجسدات عدة للروح القدس منها تلك التي تحمل على الحلول المجازي (انظر إشعيا ١١/٦٣، خروج ١/٣١-٢)، و أخرى حلولات حقيقية منها نزوله على شكل حمامة على المسيح و هو يصلي" نزل عليه الروح القدس بهيئة جسيمة مثل حمامة" (لوقا٢٢/٣).

و في مرة أخرى أتى على شكل ألسنة نارية، و ذلك حين حل على التلاميذ يوم الخمسين"و صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، و ملئ البيت حيث كانوا جالسين، و ظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، و استقرت في كل واحد منهم، و امتلأ الجميع من الروح القدس..."(أعمال ١/٢-٤)[2].

و أما ما يتعلق به النصارى على ألوهية روح القدس في قوله "إن الله روح"(يوحنا ٢٤/٤)، و القول بأن روح القدس هو المقصود بما جاء في مقدمة سفر التكوين، فهذا كله غلط في فهم النصين.

إذ مقصود يوحنا أن الله روح أي لا يرى إذ ليس هو جسداً مادياً مكوناً من لحم و عظم و قد قال لوقا:"و الروح ليس له لحم أو عظام" (لوقا ٣٩/٢٤).

و أما ما جاء في مقدمة سفر التكوين فإن في الترجمة لبساً أوهم هذا الخلط، فالنص كما ينقل اسبينوزا عن مفسري اليهود يقصد منه رياح عظيمة أتت من عند الله فبددت ظلمات الغمر.

و مثله يقول و هو يصف الريح المدمرة"يبس العشب، ذبل الزهر، لأن روح الرب هب عليه" (إشعيا ٧/٤٠).

و نسبة الروح لله نسبة تعظيم لا تأليه كقوله "جبال الله" (المزمور ٦/٣٦)، و "أرز الله" و هي ليست أقانيم بالاتفاق[3].

---

(١) انظر: أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٤٢-٤٤، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١١٦-١٢٥، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٨٥ -٨٦،مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) انظر:المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١١٢-١١٤ .

(٣) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٤٥-٣٤٧، أقانيم النصارى، أحمد

و هكذا يرى علماؤنا أن التثليث صياغة بشرية قامت بها المجامع بأهواء البابوات و الأباطرة من غير أن تستند إلى دليل يؤكد أصالة هذا المعتقد الذي لم يعرفه الأنبياء و لم يذكره المسيح و لم يدركه الحواريون، و قد صدقت الموسوعة الكاثولوكية الحديثة حين قالت:"إن صياغة الإله الواحد في ثلاثة أشخاص لم تنشأ موطدة و ممكنة في حياة المسيحيين و عقيدة إيمانهم قبل نهاية القرن الرابع"[1].

حجازي السقا،ص ٤٤، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٣٤، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٢٢-٣٢٣.

(١)الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ٩٥.

المطلب الثالث: نقد عقيدة التثليث.

النصوص الموحدة

رأى علماؤنا غرابة دعوة التثليث و أصالة التوحيد في النصرانية و تناقلوا عشرات النصوص التي تؤكد بأن معتقد المسيح و تلاميذه هو توحيد الله عز و جل، و لسوف نذكر هنا ما لم يسبق لنا ذكره في الباب الأول.

فمن هذه النصوص ما جاء في سفر التثنية"اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك و من كل نفسك و من كل قوتك، و لتكن هذا الكلمات التي أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، و تكلم بها حين تجلس في بيتك، و حين تمشي في الطريق و حين تنام و حين تقوم، واربطها علامة على يديك، و لتكن عصائب بين عينيك، و اكتبها على قوائم أبواب بيتك و على أبوابك" (التثنية ٦/٤-٩)، و جاء في مزامير داود "كل الأمم الذين صنعتهم يأتون و يسجدون أمامك يا رب ويمجدون اسمك، لأنك عظيم أنت و صانع العجائب. أنت الله وحدك" (مزمور ٨٦/٩-١٠)، و جاء في إشعيا:"يقول الرب:...قبلي لم يصور إله، و بعدي لا يكون. أنا أنا الرب، و ليس غيري مخلص، أنا أخبرت وخلصت و..."(إشعيا ٤٣/١٠-١٢)، و "أيها الرب إلهنا خلصنا من يده، فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك" (إشعيا ٣٧/٢٠)، "أنا الرب صانع كل شيء، ناشر السماوات وحدي باسط الأرض، من معي؟!"(إشعيا ٤٤/ ٢٤)، "أنا الرب و ليس آخر، لا إله سواي"(إشعيا ٤٥/٥)، و مثله كثير في أسفار العهد القديم(انظر ملاخي ٢/١٠، ملوك(١)٨/٢٧،...).

و كذا جاءت أسفار العهد الجديد تؤكد تفرد الخالق بالألوهية و الربوبية و تذكر ذلك على لسان المسيح و حواريه.

فمما جاء على لسان المسيح أنه قال:"لا تدعو لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات، و لا تدعو معلمين لأن معلمكم واحد المسيح" (متى ٢٣/٩-١٠)، و في (يوحنا ٥/٤٤)، كما قال مخاطباً ربه"الحياة الأبدية أن يعرفونك أنت الإله الحقيقي وحدك، و يسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧/٣).

و مما جاء على لسان تلاميذه قول يعقوب"أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل" (يعقوب ٢/١٩)، و يقول "واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص و يهلك" (يعقوب ٤/١٢)، و يقول يهوذا:"الإله الحكيم الوحيد مخلصنا" (يهوذا ٢٥)، و يقول أيضاً:"و ينكرون السيد الوحيد: الله، و ربنا يسوع" (يهوذا ٤).

بل و حتى بولس نجد له بعض النصوص التي تعترف لله بالوحدانية، و من ذلك قوله "يوجد إله واحد و وسيط بين الله و الناس:الإنسان يسوع المسيح" (تيموثاوس(١)٢/٥)، و يقول"لكن الله واحد" (غلاطية

٣/٢٠)[1].

فهذه النصوص و كثير مثلها تتحدث عن الإله الواحد، و ليس في واحد منها أو غيرها حديث عن الإله المتعدد الأقانيم المتوحد في الجوهر الذي يدعيه النصارى.

و إزاء هذه النصوص الموحدة كان لا بد للنصارى أن يفلسفوا عقيدهم المثلثة التي استقروا عليها في أواخر القرن الرابع الميلادي، فظهرت فكرة: التثليث في وحدة ،والوحدة في تثليث.

الجمع بين التوحيد و التثليث.

و في محاولة من النصارى للجمع بين التثليث و الوحدانية ضرب النصارى الأمثال، و منها تشبيههم التثليث الموحد بالدماغ: فهو العالم و المعلوم و أداة التعلم، و يشبهه آخرون بالتفاحة لها طعم و لون ورائحة، أو بالشجرة لها جذر و ساق و أوراق أو بالمثلث له ثلاثة أضلاع، إلى غير ذلك من الأمثال التي لا تصح بحال.

فالمثال الذي ضربه أغسطينوس (مثال الدماغ) التوحيد فيه اعتباري غير حقيقي بينما تثليث النصارى حقيقي فالمصلوب جوهر واحد من الثالوث و ليس هو الثالوث كله[2].

و أما مثال التفاحة فهو يتحدث عن ذات واحدة لها ثلاث صفات، و ليس عن ذوات منفصلة كالتثليث.

و مثال الشجرة و المثلث يتحدثان عن ذات مكونة من أجزاء، و القول بأن الإله مركب من ثلاث ليس قولاً للنصارى ،و يلزم منه الفقر إلى بقية الأجزاء كما يلزم منه الجسمية، ثم أين كانت هذه الأجزاء في الأزل؟ و من الذي ركبها؟.

و يؤكد هاشم جودة بأن التركيب لازم للنصارى إن قالوا باشتراك الأقانيم في وجود واحد مع استقلال كل من الأجزاء عن الآخرين، فإن أبوا فقد وصفوا كل من الثلاثة بالكمال المطلق و القدرة المطلقة

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٦٨٢، ٧٣٦، ٧٤٢، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/١٩٦-٢٠٠، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٤٩-٣٥٢، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٠٩-١١٢، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ٣٨، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٢٦-١٣٨، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٣١٢-٣١٦، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ١٠٠-١٠١، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٧٧-٨١،المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم،أحمد حجازي السقا،ط١،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر،١٣٩٨هـ،ص ٢٧، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ٦٧، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٨٨-٨٩، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٢٠-١٢١، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حماد،ص ١٤٣-١٤٤، النصرانية من التوحيد إلى التثليث،محمد أحمد الحاج،ط١،دار القلم،دمشق،١٤١٣هـ،ص ٧٠-٧٤،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ٤٥-٤٦.

(٢) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٥٢-٥٣.

و هذا مفض إلى التخالف و الاستقلالية.

و القول بعد ذلك بأن هذا التثليث هو وحدة جمع للنقيضين ،و النقيضان لا يجتمعان بحال[1].

و أمام ضعف هذه العقيدة أمام العقل البشري الذي يعجز عن تصورها، بل يرفضها لا يجد النصارى من سبيل إلا القول بأن تثليثهم سر من الأسرار التي لا يمكن للعقل أن يقف على كنهها،بل يعترف البعض منهم بتعارض المسيحية والعقل فيقول القديس سان أوغسطين :"أنا مؤمن لأن ذلك لايتفق و العقل"،ويقول كير كجارد:"إن كل محاولة يراد بها جعل المسيحية ديانة معقولة لابد أن تؤدي إلى القضاء عليها"،و قد جاء في "التعليم المسيحي": لا يجوز التدخل في أسرار الله، لأننا لا نستطيع إدراك أسرار الإيمان.

و يقول زكي شنودة:"و هذا سر من أسرار اللاهوت الغامضة التي لا يمكن إدراك كنهها بالعقل البشري"، و يقول الأب جيمس تد:"العقيدة المسيحية تعلو على فهم العقل"، و مثله أقر به كثيرين و منهم القس أنيس شروش:" واحد في ثلاثة، و ثلاثة في واحد، سر ليس عليكم أن تفهموه، بل عليكم أن تتقبلوه".

و نختم بقول مفسر نصراني للكتاب المقدس يقول:"نعم قد يعسر علي-كمفسر للبيبل(الكتاب المقدس)- أن أشرح لك أو حتى لنفسي كيف أن الله واحد في ثلاثة أقانيم و رغم هذا فلا أستطيع أيضاً أن أنكر أقانيم الثالوث حتى أرضي عقلي أو العلم، و نحن نعلم أن الدين و العلم لا يتفقان".

ولذلك كانت صيحة الكنيسة لقرون عديدة كما نقل الجبهان:"الجهالة أم التقوى"و"أطفئ مصباح عقلك و اعتقد وأنت أعمى".[2]

ويفلسف اسكندر جديد هذا الإفلاس لعقيدته فيقول بأن الإيمان بهذه الطريقة نوع من الإيمان بالغيب.ويجيب الجبهان بأن الغيوب منها ماهو حق ،ومنها ماهو باطل،فمن أقام الأدلة الصحيحة على غيوبه فقد صدق إيمانه ،وأما من قال بما قامت الأدلة على بطلانه فهذا إيمانه باطل،وهذا ما ينطبق على أقوال النصارى التي لايستسيغها عقل كمثل قولهم بأن الثلاثة واحد أو أن الله –تعالى عن ذلك–قد خرج من فرج امرأة...[3]

---

(١) انظر:إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٢٥-٧٢٧ التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٠٤-١٠٥، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٣٦-١٣٧، ١٤٨-١٥١، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١١٩، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٥٦.

(٢) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٣٩، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١١٧، منظرة العصر،أحمد ديدات،ص ١٠٥، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٥٣، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٧٠-٧١، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٢٢-٢٣، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٣٤، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٦١-٦٣، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٥٧-٢٥٨، ٢٨٤-٢٨٨،دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٣٥،معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٤٦-٤٧.

(٣)معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير،إبراهيم الجبهان،ص ١٤٢ .

حقيقة الأقانيم و الجوهر عند النصارى

ما هي الأقانيم؟ و ما علاقتها بالجوهر؟

حاول علماؤنا فهم مايريده النصارى بالأقانيم و ما هي علاقة هذه الأقانيم بالجوهر؟ غير أنهم لم يجدوا رأياً نصرانياً موحداً ،فالبعض يرى الأقانيم مجرد أسماء لجوهر واحد.

و أما الفرق النصرانية الكبرى فالأرثوذكس يرون الأقانيم مراحل لإله واحد في الجوهر، فالأب هو الابن و هو روح القدس، يقول الأسقف سابليوس عن الله:"ظهر في العهد القديم بصفته آب، وفي العهد الجديد بصفته ابن، و في تأسيس الكنيسة بصفته روح القدس".

و إذا تساءلنا عن سبب اختلاف الأسماء في هذه المراحل للجوهر الواحد فإن القس توفيق جيد يجيب:"إن تسمية الثالوث باسم الآب و الابن و الروح القدس تعتبر أعماقاً إلهية و أسراراً سماوية لا يجوز لنا أن نفلسف في تفكيكها و تحليلها، أو نلحق بها أفكاراً من عندياتنا...".

و ما دامت هذا الأقانيم مراحل للجوهر الواحد، فإن ياسين منصور يقول عنها بأنها "ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة، متساوية فائقة عن التصور"، و يقول أثناسيوس بالتساوي بين الأقانيم"فلا أكبر ولا أصغر ،و لا أول و لا آخر، فهم متساوون في الذات الإلهية و القوة و العظمة".

أما الكاثوليك فيعتبرونها ثلاث شخصيات أو ثلاث ذوات لكل منها مهام منفصلة، و ترجع إلى ذات واحدة موجودة في الأزل، و هي غير متساوية، فالأب أعظمها ثم الابن ثم روح القدس. يقول الأسقف أبولينراس:"الأقانيم الثلاثة الموجودة في الله متفاوتة القدر، فالروح عظيم، و الابن أعظم منه، و الأب هو الأعظم...ذلك أن الأب ليس محدود القدرة و الجوهر، و أما الابن فهو محدود القدرة لا الجوهر، والروح القدس محدود القوة و الجوهر"[1].

و يثير علماؤنا على هذه الصيغ بعض التساؤلات العقلية ،فالذين يقولون بتساوي الأقانيم لم لايجيزون الاختلاف في ترتيب الثالوث؟ لم يعتبرون القول باسم الروح القدس و الابن و الآب هرطقة؟ فهذا المنع دال على عدم التساوي،والأمر بالمحافظة على الترتيب مشعر بأهمية بعضها على بعض .

ثم إن المتأمل في بعض الأرقام التي أوردها ياسين منصور يشعر بعدم التساوي وينقض الترتيب الذي تفرضه الكنيسة ،إذ أن الله دعي رباً في العهد الجديد ١٤٤ مرة فيما دعي الابن إلهاً ٤١٢ مرة، و دعي روح القدس إلهاً خمس مرات فقط. و لو كان كل من الأقانيم على درجة الآخر منزلة و فضلاً لكان ينبغي أن يتقاربوا بالذكر لا أن يتفاوتوا هذا التفاوت الكبير.

فالابن في المسيحية يحتل مكانة لا يصل إليها سائر الأقانيم وهو ماعبر عنه قول ياسين منصور في رسالة"التثليث و التوحيد":إن موضوع الكرازة و التبشير والتعميد و التعليم و الوعظ للدين المسيحي هو المسيح نقدمه للجميع في كل الكنائس و المدارس و البيوت في كل جهة و لكل إنسان".

---

(١) انظر: الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٤٥-٤٧، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٢٠-٤٢٤، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٣٢-١٣٣.

و يقول القس توفيق جيد عن "الابن" :"رب القدرة المعجزية، و هو مصدر البركات الروحية، وهو موضوع الصلاة التعبدية، و موضوع الآمال الأبدية"، ثم إن كان هناك ما يمنع هذا التساوي المزعوم ألا وهو النصوص الإنجيلية التي تعتبر الابن مرسلاً من قبل الله كما يعتبرون الروح القدس هو "الفارقليط" المرسل من قبل الابن و المسيح يقول:"الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده، و لا رسول أعظم من مرسله" (يوحنا ١٣/١٦) .

ثم ماذا عن قول المسيح الذي يفيد المغايرة في الحكم بينه وبين أقنوم آخر وهو الروح القدس وذلك في قوله:"من قال كلمة على ابن الإنسان(المسيح)يغفر له ،وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له"(لوقا ١٢/١٠).

و أخيراً فما وجه تسمية كل منها باسم مختلف ما دام المسمى واحداً [١].

و أما القائلون بتفاوت الأقانيم و اختلاف وظائفها و اختصاصاتها(الكاثوليك) فهم يقولون الأب وظيفته خلق العالم و المحافظة عليه، و الابن كفارة الذنوب و تخليص البشر،و الروح القدس تثبيت قلب الإنسان على الحق و تحقيق الولادة الروحية الجديدة.

و هنا السؤال هل يمكن لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة أن يقوم بما اختص به القنومان الآخران؟ فإن أمكن أن يقوم بعمل الأقنومين الآخرين جاز بأن يقال بأن الابن ابن لنفسه و أب لنفسه...و هذا مرفوض وإن قيل لا لزم كل أقنوم العجز فبطلت ألوهيته.

و النصارى يمنعون هذا السؤال بقولهم بأن الأقانيم جوهر واحد يمثلون ذاتاً واحدة، فليس لأحدهم سبق في الزمان أو تفرد بالمشيئة، فلهم عقل واحد و مشيئة واحدة و علم واحد.

لكن ما يقول النصارى مرفوض إذ هم يؤمنون حقيقة بذوات منفصلة لكل منها مشيئة خاصة ووجود خاص و مهمات خاصة كما يتضح ذلك من أسفار العهد الجديد.

فإن قيل بألوهية الجميع فيتساءل هاشم جودة ماذا يحدث لو أن أحد الأقانيم كالأب قام بعمله المناط به و هو العدل في طائفة من خلقه، و قام الابن بالعفو عنهم و الرحمة . فأي الحكمين ينجز؟

فإن قيل لكل منهما طائفة فهذا تحديد لقدرة الإله، و إن قيل يتفقان على تنفيذ مرادهما معاً (أي العدل و الرحمة) فهذا تناقض[٢].

و هكذا فإن القول بالأقانيم الثلاثة يراه علماؤنا نوعاً من تعدد الآلهة الذي لو وجد لأفضى إلى فساد

---

(١) انظر: مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٦٥، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٧١، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٤٨-٤٥، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٦٥-٦٦، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،ص ٧٣، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٣٨-١٤١.

(٢) انظر: التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١١٨-١١٩، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٨١،١٥٤، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٠٨، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٤٦.

الكون كما قال الله تعالى ﴿لو كـــان فيـــهما آلهـــة إلا الله لفســـدتا فســـبحان الله رب العـــرش عما يصفون﴾ [1].

مبررات تجسد الابن.

كما تساءل علماؤنا في هذا الباب عن سبب تجسد الابن دون الأب و روح القدس؟ وتساءلوا لم كان التجسد الإلهي على صورة بشر؟ ما ضرورته؟ لماذا نزل الابن من عليائه ليدخل جوف امرأة ثم يخـــرج مـــن فرجها؟ لم كان هذا كله.

اجتهد في الإجابة عن هذه الأسئلة رجال الكهنوت،ولما يجدوا لها إجابة في ثنايـــا كتـــابهم أعملـــوا عقولهم ،فصدرت عنهم أقوال مختلفة، كل بحسب ما أداه إليه عقله إذ كما لم يجدوا في العهد الجديد ما يؤكد قول بولس بأن الإله قد تجسد أيضاً لم يجدوا في هذه الأسفار تبريراً له.

و قد انحصرت إجاباتهم في ثلاثة أقوال:

أولها:أن هذا السر لا نفهمه و ينبغي أن نؤمن به.

ثانيها: أن التجسد كان لردم الهوة بين الله و البشرية و إيناسها برؤية الإله.

ثالثها: أن التجسد كان ضرورة للتوفيق بين عدل الله و رحمته حيث اقتضى عدل الله موت البشـــرية و تسلط الموت عليها و اقتضت رحمته حياتها.

و في ذلك يقول أثناسيوس و هو أحد أهم رجال مجمع نيقية :"لهذا كان أمـــام كلمـــة الله أن يـــأتي بالإنسان الفاسد إلى عدم فساد، و في نفس الوقت أن يؤمن مطالب الأب العادل المطالب به الجميع، وحيـــث أنه هو كلمة الأب و يفوق الكل، فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدد خلقه كـــل شـــيء و أن يتحمل الآلام عن الجميع لدى الآب...لأجل ذلك نزل إلى عالمنا كلمة الله الخالي من الجسد، العديم الفســـاد وغير المادي...و إذ لم يتحمل أن يرى الموت تصير له السيادة لئلا تفنى به الخليقة، و تذهب صنعـــه أبيـــه في البشر هباء، فقد أخذ لنفسه جسداً لا يختلف عن جسدنا...لأنه لو لم يكن الرب مخلص الجميع ابن الله قـــد جاء إلينا و حل بيننا ليوفي غاية الموت لكان الجنس البشري قد هلك".

و يرفض أصحاب الردود الإسلامية هذا التبرير لأنه يظهر الإله العظيم عاجزاً عن العفـــو و الغفـــران حائراً بين عدله و رحمته، و مثل هذا لا يقع به الحكماء من الناس فضلاً عن رب العالمين.

ثم ماذا بعد الجسد هل تغير حال البشر فلم يعد الموت متسلطاً عليهم؟

فيجيب أثناسيوس"بجسد إبليس دخل الموت إلى العالم...و عندما تم ذلك بدأ البشر يموتون، و صـــار عليهم من الفساد في ذلك الوقت فصاعداً، و صار له سلطان على الجنس البشري أكثر من سلطانه الطبيعـــي، لأنه أتى نتيجة تهديد الله في حال العصيان".

---

(١) سورة الأنبياء، آية:٢٢.

لكنا لم نعرف ما هو السلطان الطبيعي للموت؟ و لا ندري ما الفرق بين موت الناس قبل المسيح وبعده...[1] كما يحق لنا أن نتساءل هنا عن سر تسلط الموت على غيرنا كأنواع الحيوانات المختلفة.

كما يذكر أثناسيوس سبباً آخر للتجسد فيقول:"عندما خلق الله الضابط للكل الجنس البشري بكلمته، و رأى ضعف طبيعتهم، و أنها لا تستطيع من نفسها أن تعرف خالقها، أو أن تكون فكرة عن الله على الإطلاق...لهذا تحنن الله على الجنس البشري على قدر صلاحه و لم يتركهم خالين من معرفته لئلا يروا أن لا منفعة على الإطلاق من وجودهم في الحياة".

لقد كان الهدف من التجسد إذن أن تأنس البشرية برؤية و معرفة ربها و أن تنهدم الهوة الواسعة بين الخالق و المخلوق و هو ما عبر عنه سنوت في كتابه "المسيحية الأصلية" حيث يقول:"توجد فقط هوة واسعة لا حد لها... و لو لم يكن الله بادر و تدراك الأمر لبقيت الحالة على ما هي عليه، و لظل الإنسان بلا رجاء يتخبط في دياجير اللاإرداية، و لكن الله تكلم، و لقد بادر و أعلن عن نفسه".

و هنا يتساءل الخطيب كيف كانت صلة الأنبياء بربهم مع هذه الهوة؟ هل عرفوا ربهم المعرفة التي تدفعهم لعبادته و طاعته؟ أم كان إيمانهم باهتاً؟ و ماذا تغير في حياة البشرية بعد تجسد الإله هل آمن الناس و عرفوا ربهم؟ و هل زال الإلحاد من البشرية؟

ثم أين الإيناس للبشرية في رؤيتها للرب و هو يصفع و يضرب و يجلد. إن هذا من شأنه أن يقلل من مقام الألوهية عندهم" فالنفس البشرية طلعة تتوقد أشواقها إلى المجهول، و تتحرك نزعاتها إلى عالم الغيب، فإذا انكشف لهم المجهول أو ظهر لهم ما وراء الغيب سكنت نزعاتها و بردت أشواقها نحو هذا الشيء الذي كانت تسعى إليه و تجد في البحث عنه".

ثم ماذا عن باقي أجيال البشرية التي لم تأنس بمعرفة هذا المتجسد .هل من العدل أن تحرم منه ؟وكيف لها أن تعرف ربها و لم تراه ؟!

ثم لم كان أنسنا بالإله حال طفولته وشبابه فقط،و لم نأنس به أيضاً حال كهولته و هرمه.فلماذا؟![2]

و يرى شارل جنيبر ضعف هذه التبريرات، و يقرر أن بولس هو الذي قرر تجسد الإله و جاء بالفكرة بعد أن أدرك"أن الاتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول فضيحة الصلب، و أنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة-و التي لم يكف الأعداء بطبيعة الحال عن الرجوع إليها-تفسيراً مرضياً-يجعل منها واقعة ذات مغزى ديني عميق.

و أعمل الحواري(بولس) فكره في هذه المشكلة...و وضع حلاً كان له صدى بالغ المدى قد تجاهل فكرة عيسى الناصري التي أغرم بها الاثنا عشر، و لم يتجه إلا إلى عيسى المصلوب، فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه في الوجود، و تمثل نوعاً من التشخيص...و قد عثر الحواري على العناصر الجوهرية في

---

(١) انظر: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ١٥٨-١٦٠.

(٢) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب، ص١٣٠-١٣٢،١٦٠-١٧٠، النصرانية ، مصطفى شاهين ، ص ٢٥٤-٢٥٥.

الأسرار، عثر عليها في غالب الظن دون أن يبحث عنها..."

و يضيف الخطيب بياناً فيرى أن ثمة حرجاً واجهه بولس و غيره كيف انتهت حياة المسيح على الصليب و التوراة تنص على لعن كل مصلوب (انظر التثنية ٢١/٢٣).

كيف يصبح السيد المسيح ملعوناً، فرأى بولس أن يجعل من الملعون مثلاً أعلى في التضحية، و أن يجعل منه إلهاً نزل و تجسد ليفدي البشرية من خطاياها فصار لعنة ليفتديهم من لعنة الناموس ،و كما قال بولس:"ولكن الله من محبته لنا ،لأنه و نحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيراً و نحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب، إنه و إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه.."(رومية ٥/٨-١٠)[1].

و أخيراً فإن محمد مجدي مرجان يرى في هذا الذي تقوله النصارى في الرب جل و علا من تعدد وتجسد نوعاً من العبث الإنساني و جرأة صارخة على مقام الرب جل و علا وتطاول مستغرب فإن "المثال حين يصنع تمثالاً فإنه يستطيع أن يهدمه و لا يتصور أحد أن يدعي التمثال أنه من جبلة صانعه، أو أنه جزء أو عنصر من هذا الصانع.

و لكن الإنسان الضعيف أحد مخلوقات الله تطاول على صانعه، ثم أخذه الغي و لعبت برأسه نشوة الضلال ،فقلب الوضع و عكس الآية، فقام بإعادة تكوين و تشكيل صانعه، ثم راح يعيد تقسيم خالقه إلى أقسام ثلاثة ابتدعها خياله جاعلاً كل قسم منها إلهاً قائماً بذاته، محولاً الإله الواحد إلى ثلاثة...ثم قام بتقسيم الأعمال و الأعباء و الوظائف بين آلهته الثلاثة التي صنعها عطفاً و إشفاقاً من أن يتحمل كل تلك الأعمال والأعباء و الوظائف إله واحد. حقاً ما أشقى الإنسان".

ويرى منصور حسين أن فكرة التجسد النصرانية أحد أسباب انتشار الإلحاد بين البشر،فإن الإنسان يميل بفطرته وعقله إلى تعظيم الخالق وتنزيهه عن الشبيه والمثيل،فيما تجعله النصرانية إنساناً خرج من فرج امرأة من بني إسرائيل...

يقول كيرانس ايرسولد:"أما من وجهة نظر العلم فإنني لاأستطيع أن أتصور الله تصوراً مادياً بحيث تستطيع أن تدركه الأبصار أو أن يحل في مكان..".

وعندئذ يخير الناس بين المعتقد الخاطئ والفطرة الصحيحة المؤيدة بسلطان العقل فلا يجد كثير منهم مفراً من الكفر بإله الكنيسة المصفوع والمصلوب،فيكثر الإلحاد. [2]

تعالى الله عما يقول هؤلاء علواً كبيراً.

---

(١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٦٥، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٤-١٣٦.

(٢) الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٢٥،طائفة الموحدين من المسيحين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص٣٨-٣٩،٤٥،دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٥٠٨،المناظرة الإسلامية النصرانية،ص١٦٥-١٦٦ .

ومن الآثار السيئة التي تتركها عقيدة التجسد إضعاف المثل والقيم التي جاء بها المسيح ودعا إليها،ثم كان بسبقهم إليها قدوة صالحة لأتباعه،لكن أثر هذا الخلق يضيع مع القول بالألوهية،إذ لن يتصور البشر إمكانية تطبيق هذه المثل التي سبقهم إليها إله.

وصدقت دائرة المعارف الأمريكية في قولها:"لو كان إلهاً فإن المثل التي ضربها لنا بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من القيمة حيث أنه يمتلك قوى لا نملكها.إن الإنسان لا يستطيع تقليد الإله".ويقول توماس أكمبسفي كتابه"على خطى المسيح":"إذا كان المسيح إلهاً فإن المرء لا يستطيع اقتفاء أثره والسير على منهجه".

المطلب الرابع:التوحيد[1] في التاريخ النصراني

رأينا فيما سبق شهادة أسفار العهد القديم و الجديد على أن التوحيد هو دين الله الذي نادت به الرسل، و أن عيسى هو عبد الله و رسوله و إذا كان الأصل في ديانة عيسى كذلك فأين أتباع المسيح و متى انضوى التوحيد عن الوجود في حياة الملة المسيحية؟ و هل من الممكن ألا يكون لكل تلك الدلائل الموحدة أثر في النصرانية على مر العصور؟ للإجابة عن هذه الأسئلة قلب علماؤنا صفحات التاريخ القديم و الجديد وهم يبحثون عن عقيدة التوحيد و تاريخها خلال عشرين قرناً من الصراع مع وثنية بولس.

التوحيد في ما قبل مجمع نيقية.

نشأ الجيل الأول بعد المسيح مؤمناً بتوحيد الله و عبودية المسيح و أنه كان نبياً رسولاً، و رأينا ذلك في ما سطره الإنجيليون و القديسون بما فيهم بولس من نصوص موحدة.

لذا نستطيع القول بأن الجيل الأول من تاريخ النصرانية كان موحداً بشهادة التاريخ حيث يقول بطرس قرماج عن بطرس و مرقس:"كانا ينكران ألوهية المسيح".

و تقول دائرة المعارف الأمريكية:"لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جداً في التاريخ أو في حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين".

وتقول دائرة معارف لاوس الفرنسية :"عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد ولا في عمل الآباء الرسوليين ولاعند تلاميذهم المقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستنتي يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان...إن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبة طيلة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكونت عن اليهودية اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مبتدعون وملحدون، فكان فيالقرن الثاني مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح ، ويعتبرونه إنساناً بحتاً ..وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد لم تكن موجودة من قبل".

ويقول عوض سمعان :" إن المتفحصين لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان ...لأنهم كيهود كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان. نعم كانوا ينتظرون المسيّا ،لكن المسيا بالنسبةإلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز يأتي من عند الله، وليس هو

---

(١) عندما نتحدث عن التوحيد النصراني فإنما نعني به عدم تأليه عيسى أو مريم أو الروح القدس، ولا ينفي هذا صفة الكفر عن أولئك الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كما وقد تصدر منهم عبادات أو أفكار نراها ناقضة للتوحيد الصحيح الذي دعا إليه الأنبياء.

بذات الله"[1].

و تؤكد دائرة المعارف الأمريكية بأن الطريق بين مجمع أروشليم الأول الذي عقده تلاميذ المسيح ومجمع نيقية لم يكن مستقيماً، و يتحدث الكاردينال دانيلو عن انتشار التوحيد حتى في المواطن التي بشر بولس بها كأنطاكية و غلاطية حيث واجهته مقاومة عاتية.

و كشف في عام ١٩٦٦م عن وثيقة مسيحية قديمة- لم يذكر أحمد شلبي وعلاء أبو بكر معلومات وافية عنها-نشرت في جريدة "التايمز" في ١٥يوليو ١٩٦٦م وتقول إن مؤرخي الكنيسة يسلمون أن أكثر أتباع المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبي آخر لبني إسرائيل.

و يقول برتراند رسل الفيلسوف الإنجليزي:"تسألني لماذا برتراند رسل لست مسيحياً ؟و أقول رداً على سؤالك:لأنني أعتقد أن أول و آخر مسيحي قد مات منذ تسعة عشر قرناً، و قد ماتت بموته المسيحية الحقة التي بشر بها هذا النبي العظيم"[2].

لكن هذا لم يمنع من انتشار دعوة بولس الوثنية في أوساط المتنصرين من الوثنين الذين لاقوا في دعوته مبادئ الوثنية التي اعتادوها إضافة إلى بعض المثل و الآداب التي تفتقرها الوثنيات الرومانية و اليونانية.

و قد عورضت دعوة بولس من لدن أتباع المسيح -كما سيأتي بيانه-، و استمر الموحدون يواجهون أتباع بولس، و ظهر ما تسميه الكنسية في تاريخها بفرق الهراقطة وهم الخارجون عن أراء الكنيسة الدينية ،ومنهم الفرق التي كانت تنكر ألوهية المسيح.

و من أهم هذه الفرق: الأبيونية و تنسب لقس اسمه أبيون وقيل: الأبيونية هم:الفقراء إلى الله، فسموا بذلك لفقرهم و زهدهم.

و قد ظهرت هذه الفرقة في القرن الأول الميلادي من أصل يهودي، و قد نشطت هذه الفرقة بعد عام ٧٠م.

و قد ذكر معتقدات هذه الفرقة المؤرخون الأوائل خلال نقدهم لعقائد فرقة الأريوسية المتأخرة، فيقول بطريرك الإسكندرية (عام ٣٢٦م) عن عقيدة آريوس:"فهذا التعليم الثائر على تقوى الكنيسة هو تعليم أبيون و أرطيماس و هو نظير تعليم بولس السمياطي".

و يقول كيرلس الأورشليمي (٣٨٨م) عن الهراقطة:"فكرنثوس صنع خراباً في الكنسية، و أيضاً ميناندر و كربوقراط و أبيون".

و يقول ايريناوس في كتابه "ضد الهرطقات" (١٨٨م)"و الذين يدعون باسم الأبيونية يوافقون على أن الله هو الذي خلق العالم، و لكن مبادئهم عن الرب مثل كرنثوس ومثل كربوكرات...و هم يستخدمون

---

(١) النصرانية في الميزان ، محمد عزت الطهطاوي ،ص ٢٧-٢٩.

(٢) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٢، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٣٢-١٣٣، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٥٣، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١٠٤،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣٦.

إنجيل متى فقط، و يرفضون بولس الرسول، و يقولون عنه: إنه مرتد عن الناموس، يحفظون الختان، و كل العوائد المذكورة في الشريعة".

و يقول أوسابيوس القيصري (ت٢٤٠م) في تاريخه:"قد كان الأقدمون محقين إذ دعوا هؤلاء القوم(أبيونيين)، لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة و وضيعة، فهم اعتبروه إنساناً بسيطاً عادياً قد تبرر فقط بسبب فضيلته السامية". كما كان الأبيونيون يقولون بردة بولس و كانوا يتهمونه بالتحريف.

و تذكر المصادر أن هؤلاء استخدموا إنجيل متى أو إنجيل العبرانيين- و لعل الاسمين لمسمى واحد،فلعلهم استخدموا الأصل العبراني لمتى- و لم يبالوا بغيره، و يرى بعض المؤرخين أنه بسبب هذه الفرقة دعي يوحنا لكتابة إنجيله الذي يقرر فيه لاهوتية المسيح.

و قد كان لهذه الفرقة شأن إذ اتسعت حتى شمل نفوذها-باعتراف أعدائهم-فلسطين و سوريا وآسيا الصغرى و وصل إلى روما، و استمر وجودهم إلى القرن الرابع الميلادي حيث يفهم من كلام القديس جيروم في القرن الرابع أنهم كانوا في حالة من الضعف و الاضطهاد، و ذلك بعد مخالفتهم لأوامر قسطنطين و مجمع نيقية.

و يرى البار أن هذه الفرقة هي التي عناها الله بقوله ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ [1]، و يرى أنهم من عناهم المسيح بقوله:"طوبى للمساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السماوات، طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض، طوبى للحزانى فإنهم يتعزون، طوبى للجياع و العطاش فإنهم يشبعون..."(متى ٥/٣-٩)[2].

و في فترة نشأة هذه الفرقة (٧٣م) ظهر الداعية -الذي سبق ذكره- كرنثوس، و يسميه المؤرخ أوسابيوس :زعيم الهراقطة. حيث كان يعتقد أن المسيح كان مجرد إنسان بارز، كما رفض الأناجيل عدا متى(أي بالنص العبراني المفقود).

و في أواخر القرن الثاني ظهر أمونيوس السقاص بدعوته بأن المسيح إنسان خارق للعادة حبيب لله، عارف بعمل الله بنوع مدهش، و أن تلاميذه أفسدوا دعوته، وبمثل هذا نادى كربوكراتس، و يعرف أتباعه بالمعلمين أو المستنيرين، لكنهم بالغوا في إثبات بشرية المسيح حتى قالوا كان كسائر الحكماء، و يقدر جميع الناس أن يفعلوا مثله، و يسلكوا سلوكه[3].فكانت ردة فعلهم على قول القائلين بألوهيته غير صحيحة ، ففي زحمة إنكارهم لألوهيته هضموه وأنقصوه عن حقه.

و في أواسط القرن الميلادي الثالث ظهرت فرقة البولينية و هم أتباع بولس الشنشاطي، و الذي تولى

---

(١) سورة الصف، من آية:١٤.وفي تفسير الآية قال قتادة:"ظاهرين:غالبين بالحجة والبرهان".الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي، ٥٩/١٨.

(٢) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٣٠، ٤١-٥٣، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم،محمد البار،دار القلم،دمشق،١٤١٠هـ،ص ٢٦٨-٢٧٣، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٩٧، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٨٣، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣١.

(٣) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٨-٣٢.

أسقفية إنطاكية عام ٢٦٠م كما كان يشغل منصباً كبيراً في مملكة تدمر.

و يلخص القس كيرد(ت ١٣٢٤م) عقيدة الشنشاطي، فيقول في كتابه"مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة":"ملة تدعى البولية أو البوليانيون، و هي ملة بولس السميساطي بطريك إنطاكية، وهم الذين يؤمنون بأن الله إله واحد، جوهر واحد، أقنوم واحد، و لا يسمونه بثلاثة أسماء، و لا يؤمون بالكلمة أنها مخلصة، و لا أنها من جوهر الأب، و لا يؤمنون بروح القدس المحيي، و يقولون: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت مثل خلق آدم، و كمثل واحد منا في جوهره، و أن الابن ابتداؤه من مريم...و نظروا إلى كل موضع من الكتب فيه ذكر أزلية الابن و لاهوته و أقانيم ثالوثه، فغيروا و كتبوا مكانه غيره كما يحبون، وعلى ما يوافق ديانتهم، و لم يغيروا أسماء الكتب و لا أسماء الرسل و لا حديثهم".

و قد عقدت الكنسية ثلاث مجامع خلال خمس سنوات لإقناعه بالعدول عن مذهبه، آخرها مجمع في إنطاكية عام٢٦٨م، و حضره بولس، و دافع فيه عن مذهبه، فطرد و عزل من جميع مناصبه، و اختفى ذكره بعد انتصار أوريليانوس على مملكة زنوبيا و دخوله تدمر، لكن أتباعه استمر وجودهم إلى القرن الميلادي السابع[1].

كما ظهر في بداية القرن الميلادي الرابع عالم مترهب يدعى لوسيان، و كان يرى أن المسيح كائن سماوي أخرجه الله من العدم إلى الوجود، و تجلى فيه العقل الإلهي في كيفيته الشخصية، فكانت روحه غير بشرية لكنه لم يكن الإله على الإطلاق[2].ويظهر في هذه الفرقة أثر العقائد المنحرفة ،إذ لايخلو قولهم في المسيح من شيء من الغلو في المسيح عليه السلام .

التوحيد فيما بعد مجمع نيقية

في عام ٣٢٥م صدر أول قرار رسمي يؤله المسيح بعد تبني الإمبراطور الوثني قسطنطين لهذا الرأي، ورفض ما سواه ،واعتبر آريوس-الذي عقد المجمع من أجله- هرطوقياً.

و آريوس من رهبان الكنيسة ،وكان يقول كما نقل عنه منسي يوحنا في كتابه"تاريخ الكنيسة القبطية":"إن الابن ليس مساوياً للأب في الأزلية، و ليس من جوهره، و قد كان الأب في الصل [3]وحيداً، فأخرج الابن من العدم بإرادته، و الآب لا يمكن أن يراه أو يكيفه أحد، و لا حتى الابن، لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي، و الابن إله بحصوله على لاهوت مكتسب".

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٥٥-٦٤، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٩٨، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣١، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٥٧.

(٢) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٦٣-٦٤، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٥٧.

(٣)الصل :كلمة عبرية مشتق معناها من الظل.و المراد من النص أنه كان معه قبل بداية الخلق حيث لم يكن نور ولاحياة.انظر قاموس الكتاب المقدس،ص٥٤٦ .

و قد توفي آريوس ٣٣٦م، لكن دعوته انتشرت بعد وفاته، و أصبحت كما يقول الأطير"أوشك العالم أن يكون كله أريوسياً-حسب قول الخصوم- لولا تدخل الأباطرة في العمل على ضرب تلك العقيدة و استئصال تبعيتها".

و يقول أسد رستم في كتابه "كنيسة مدينة الله العظمى":"كان آريوس فيما يظهر عالماً زاهداً متقشفاً يجيد الوعظ و الإرشاد فالتف حوله عدد من المؤمنين، و انضم إليه عدد كبير من رجال الاكليروس" و يؤكد كثرة الأريوسيين ابن البطريق، و ينقل أن أكثر أهل مصر كانوا أريوسيين.

و مما يؤكد قوة مذهب آريوس إبان حياته، و بعد موته أن الكنيسة عقدت مجامع عدة لبحث عقيدته، كما كان لآريوس و أتباعه مجامع منها مجمع قيسارية ٣٣٤م و صور ٣٣٥م الذي قرر فيه المجتمعون عزل أثناسيوس البابا -الداعي لألوهية المسيح و الذي كتبت الأمانة بإشرافه في مجمع نيقية-كما نفوه إلى فرنسا ثم عقدوا مجمعاً آخر في إنطاكية عام ٣٤١م حضره سبع و تسعون أسقفاً أريوسياً قرروا فيه مجموعة من القوانين التي تتفق مع مبادئهم و معتقداتهم.

ثم أعاد الإمبراطور الروماني الأسقف أثناسيوس إلى كرسي البابوية، فاحتج الأريوسيون لذلك، وأثاروا اضطرابات عدة، ثم عقدوا مجمعاً في آرلس بفرنسا عام ٣٥٣م و قرروا فيه بالإجماع -عدا واحد- عزل أثناسيوس، ثم أكدوا ذلك في مجمع ميلانو ٣٥٥م فعزل، و تولى الأسقف الآريوسي جاورسيوس كرسي الإسكندرية، و في عام ٣٥٩م عقد الإمبراطور مجمعين أحدهما للغربيين في "ريمني"، و الآخر للشرقيين في "سلوقيا"، و قرر المجمعان صحة عقائد الأريوسية، و باتت الكنائس الغربية آريوسية.

و يذكر المؤرخ ناسيليف أن الإمبراطور قسطنطين قد تحول إلى المذهب الأريوسي ممالأة لأفراد شعبه وذلك بعد نقل عاصمته إلى القسطنطينية، و قد تعلق بذلك الأنبا شنودة و هو يبرر كثرة أتباع المذهب الأريوسي، فذكر بأنه بسبب معاضدة الإمبراطور له.

و في مجمع إنطاكية ٣٦١م و ضع الأريوسيون صيغة جديدة للأمانة و مما جاء فيها:"الابن غريب عن أبيه، و مختلف عنه في الجوهر و المشيئة"، و في نفس العام عقدوا مجمعاً في القسطنطينية وضعوا فيه سبعة عشر قانوناً مخالفاً لما تم في مجمع نيقية.

و في هذا العام أيضاً تولى الإمبراطورية يوليانوس الوثني، فأعاد أثناسيوس و أساقفته إلى أعمالهم، وجاهر بعبادة الأصنام، وسلم الكنائس للنصارى الوثنيين، ثم خلفه الإمبراطور يوبيانوس ٣٦٣م، ففعل كما فعل سلفه، و عادى الأريوسيين، و فرض عقيدة النصرانية الوثنية، و مما قاله مخاطباً شعبه و أركان دولته: " إذا أردتم أن أكون إمبراطوركم كونوا مسيحيين مثلي"، ثم حرم مذهب الأريوسيين، و تبنى قرارات نيقية، و طلب من الأسقف أثناسيوس أن يكتب له عن حقيقة الدين المسيحي الذي كان قد أجبر الناس عليه قبل أن يقف على حقيقته[1].

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٦٦-٨٤،طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٢-٣٣، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب،ص ١٠٦-١١٠،اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٩٨، النصرانية من التوحيد إلى التثليث،محمد أحمد الحاج،ص

و امتداداً لآريوس و فرقته ظهرت في القرن الخامس فرقة تسمى :البولسية ،وهي أيضاً من الفرق المنكرة لألوهية المسيح، فقد كانوا يرونه ملَكاً أرسله الله لإصلاح الدنيا بعد أن ولد من مريم، وسمي ابن الله لما كساه الله من جلاله، وانتشرت هذه الفرقة في تركيا، وأرمينيا، و لم تحظ بقبول عام في الأوساط النصرانية لغرابة قولها في المسيح[1].

و في القرن الخامس ظهرت فرقة النسطورية على يد أسقف القسطنطينية نسطور الذي شايعه بعض الأساقفة و الفلاسفة، و كان نسطور يقول: إن في المسيح جزء لاهوتياً، لكنه ليس من طبيعة المسيح البشرية، فلم يولد هذا الجزء من العذراء التي لا يصح أن تسمى أم الله.

و يرى نسطور أن اتحاد اللاهوت بعيسى الإنسان ليس اتحاداً حقيقياً، بل ساعده فقط، و فسر الحلول الإلهي بعيسى على المجاز أي حلول الأخلاق و التأييد و النصرة . و قال في إحدى خطبه:"كيف أسجد لطفل ابن ثلاثة أشهر؟" و قال:"كيف يكون لله أم؟ إنما يولد من الجسد ليس إلا جسداً و ما يولد من الروح فهو روح. إن الخليقة لم تلد الخالق، بل ولدت إنساناً هو إله اللاهوت".

و قد عقد في أفسس ٤٣١م مجمع قرر عزله و نفيه، فمات في صحراء ليبيا، يقول عنه المؤرخ سايرس ابن المقفع في كتابه"تاريخ البطاركة":" إن نسطور كان شديد الإصرار على تجريد المسيح من الألوهية إذ قال: إن المسيح إنسان فقط. إنه نبي لا غير".

و ذكر ابن المقفع أنه عند نفيه أرسل له البطارقة أن إذا اعترف بأن المصلوب إله متجسد فسوف يعفون عنه، فيقول ابن المقفع"فقسا قلبه مثل فرعون و لم يجبهم بشيء".

و قد تغير مذهب النسطورية بعد نسطور فأشبه مذاهب التثليث إذ يقول النسطورية:إن المسيح شخصية لها حقيقتان بشرية و إلهية، فهو إنسان حقاً، إله حقاً، و لكنه ليس شخصية قد جمعت الحقيقتين، بل ذات المسيح كانت تجمع شخصيتين!![2].

و يلحظ الأطير على هذه الفرق النصرانية الموحدة إنكار بعضها للميلاد العذراوي و اعتقادهم بوجود أبوين أرضيين للمسيح هما يوسف النجار و مريم، كما قال بعضهم بأن المسيح قد صلب، و أنكر بعضهم تسمية المسيح بالكلمة.

لكن الأطير يعتذر لهؤلاء بأمور: منها أن عدم قولهم بعذرواية مريم لربما يرجع إلى عدم وجود دليل عليه عندهم، و لم يتردد هذا في الأوساط الكنيسة إلا في حوالي عام ١٥٠م، كما أن القول بالعذراوية استخدم دليلاً على ألوهية المسيح، فلعل ذلك كان أحد أسباب نفورهم من هذه المسألة.

١٦٨-١٧٠، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٥٧، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢١٧-٢١٨، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٢٥-١٢٩، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٣٩ مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١١٢،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣١.

(١) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٦٥-٦٦.

(٢) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٣٤-٣٧، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٤٠.

و أما قولهم بصلب المسيح فهو يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم عن أن الصلب شبه لهم، فجاز عليهم الشبه كما جاز على غيرهم إلى أن جاء القرآن فأظهر هذه الحقيقة.

و أما إنكارهم تسمية المسيح بالكلمة، فإنما ينكرون المعنى الشائع للكلمة الذي أطلقه يوحنا، وأراد به أن المسيح كائن إلهي مكون من كلمة الله التي تجسدت في جسد أرضي.

و عليه فلا يرى الأطير مانعاً من أن يقول - بجرأة لا نوافقه عليها - عن هذه الفرق الموحدة أنهم "بحق مسلمون قبل المسلمين".

ويرى أن ثمة انحرافاً وقع فيه آريوس لم يقع فيه الآخرون، فلقد سلم آريوس -و لو جدلاً- لمخالفيه بصحة ما لديهم من الكتب فسلم بمقولات غريبة مثل أن المسيح خلقه الله قبل العالم و فوض إليه أن يخلق العالم، لكنه ليس مساوياً لله بل هو مجرد إنسان.

فيما نرى أن نسطور و الأبيونية أنكروا صحة الكتب، و ردوا رسائل بولس، و برؤا مما يلزم عنها، فكانت حجتهم أقوى و موقفهم أصلب من آريوس، و إن كان الكل قد قصد أن يصل إلى التوحيد الخالص[1].

الطوائف النصرانية الموحدة بعد ثورة الإصلاح الديني

و طوال قرون تعاقبت على النصرانية في ظل سيطرة الكنيسة لم ينقطع الموحدون و إن ضعف نشاطهم و تواجدهم بسبب محاكم التفتيش و قوة الكنيسة و سلطانها.

و عندما ضعف سلطان الكنسية و اضمحل، عادت الفرق الموحدة للظهور، و بدأت عقيدة التثليث بالاهتزاز و هو ما عبر عنه لوثر بقوله:"إنه تعبير يفتقد إلى القوة، و إنه لم يوجد في الأسفار".

فيما قال عنه فالبر في كتابه"تاريخ الموحدين":"إن كالفن قد أعلن قانون الإيمان الذي صدر عن مجمع نيقية كان يناسبه أن يغنى كأغنية بدلاً من أن يحفظ كبيان عن العقيدة".وعندما ألف كالفن كتابه"خلاصة العقيدة"(١٥٤١م) لم يذكر فيه التثليث إلا نادراً.

و شيئاً فشيئاً عادت الفرق الموحدة للظهور و ازدهر نشاط الموحدين في أوربا حتى أن ملك المجر هوجون سيجسموند (ت١٥٧١م) كان موحداً.

و في ترانسلفانيا ازدهر التوحيد كما تذكر دائرة المعارف الأمريكية، و كان من الموحدين المشهورين فرانسس داود الذي أدخل السجن بعد وفاة الملك جون و تولي الملك ستيفن باثوري الكاثوليكي، و توفي سنة ١٥٧٩م، و كان الملك الجديد قد منع الموحدين من نشر كتبهم دون إذن منه[2].

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ١٩٢-٢٠٠، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٤٣-٢٤٥.

(٢) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٤-٣٦، ٤٢-٤٥.

كما ظهر في هذا القرن سوسنس الموحد في بولونية، و كان له أتباع يعرفون بالسوسنيون أنكروا التثليث، و نادوا بالتوحيد، و فر بعضهم من الكنسية إلى سويسرا، و نادى سرفيتوس بالتوحيد في أسبانيا فأحرق حياً عام ١٥٥٣م و كان يقول في كتابه"أخطاء التثليث":"إن أفكاراً مثل الثالوث و الجوهر و ما إلى ذلك إنما هي اختراعات فلسفي، لا تعرف عنها الأسفار شيئاً"(١).

كما ظهر في ألمانيا مذهب الأناباست الموحد، و استطاعت الكنيسة سحقه.

ثم ظهرت جمعيات تحارب التثليث منها "الحركة المضادة للتثليث"، و أنشأت في شمال إيطاليا في أواسط هذا القرن، تلتها" الحركة المعادية للتثليث" و التي ترأسها الطبيب المشهور جورجيو بندراثا عام ١٥٥٨م، وفي عام ١٥٦٢م عقد مجمع بيزو، و كان القسس يتكلمون عن التثليث فيما كان غالبية الحضور من المنكرين له(٢).

و في القرن السابع عشر قويت بعض الكنائس الموحدة على قلة في أتباعها ،و أصدر الموحدون عام ١٦٠٥م مطبوعاً مهماً جاء فيه"الله واحد في ذاته و المسيح إنسان حقيقي، و لكنه ليس مجرد إنسان، والروح القدس ليس أقنوماً لكنه قدرة الله".

و في عام ١٦٥٨م صدر مرسوم طردت بمقتضاه جماعة موحدة في إيطاليا. و كان من رواد التوحيد يومذاك جون بيدل(ت ١٦٦٢م)، و سمي:"أبو التوحيد الإنجليزي". و كان قد توصل من خلال دراسته إلى الشك في عقيدة التثليث، فجهر بذلك و سجن مرتين، ثم نفي إلى صقلية.

و في عام ١٦٨٩م استثنى مرسوم ملكي الموحدين من قانون التسامح الديني. و ذلك لا ريب يعود لكثرة هؤلاء و تعاظم أثرهم ،و هو ما يعبر عنه بردنوفسكي في كتابه "ارتقاء الإنسان"، فيقول:"كان العلماء في القرن السابع عشر يشعرون بالحرج من مبدأ التثليث"(٣).

و في القرن الثامن عشر سمي هؤلاء الموحدين بالأريوسيين و منهم الدكتور تشارلز شاونسي (ت ١٧٨٧م) راعي كنيسة بوسطن، و كان يراسل الأريوسيين الإنجليز، و كذا ناضل الدكتور يوناثان ميهيو بشجاعة ضد التثليث، و نشر الدكتور صموئيل كتابه"عقيدة التثليث من الأسفار" و وصل فيه إلى نتيجة:"أن الآب وحده هو الإله الأسمى، و أن المسيح أقل منه رتبة"، و رغم إنكاره بأنه آريوسي، فإنه يصعب التميز بين أقواله و تعليم آريوس، و مثله العالم الطبيعي جون بربستلي (ت١٧٦٨م)، و قد طبع رسالته"التماس إلى أساتذة المسيحية المخلصين الموقرين" و وزع منها ثلاثين ألف نسخة في إنجلترا فأرغم على مغادرتها، فقضى في بنسلفانيا.

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٧١، النصرانية من التوحيد إلى التثليث،محمد أحمد الحاج،ص ١٩١، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص٣٤-٣٦،١٣٦، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٤٠.

(٢) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٨-٥٠.

(٣) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٧-٥١، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٣٤.

و اعتزل ثيوفليس ليندساي (ت١٨١٨م) الخدمة الكنيسة، ثم ما لبث أن تحول إلى كنيسة موحدة، كما عين زميله الموحد توماس بلشام في منصب كبير في كلية هاكني اللاهوتية، ثم أسسا معاً "الجمعية التوحيدية لترقي المعرفة المسيحية و ممارسة الفضيلة عن طريق توزيع الكتب".

ثم بعد إقرار الحقوق المدينة كون الموحدون اتحاداً أسموه"الاتحاد البريطاني الأجنبي للتوحيد"[١].

و في القرن التاسع عشر الميلادي أسس في مناطق متعددة عدد من الكنائس الموحدة التي اجتذبت شخصيات مهمة مثل وليم شانتج (ت١٨٤٢) راعي كنيسة بوسطن ،و كان يقول :بأن الثلاثة أقانيم تتطلب ثلاثة جواهر، و بالتالي ثلاثة آلهة. و كان يقول :"إن نظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح والتعليل لا ثلاثة، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية".

ومثله قال القس جارد سباركس راعي كنيسة الموحدين في ليتمور و الذي صار فيما بعد رئيساً لجامعة هارفرد ،و تكونت عام ١٨٢٥م جمعية التوحيد الأمريكي، و في منتصف هذا القرن أضحت مدينة ليدن الهولندية و جامعتها مركزاً للتوحيد، و كثر عدد الموحدين الذين عرفوا باللوثريين أو الإصلاحيين.

و مع مطلع القرن العشرين تزايد الموحدون، و زادوا نشاطهم، و أثمر بوجود ما يقرب من ٤٠٠ كنيسة في بريطانيا و مستعمراتها، و مثلها في الولايات المتحدة إضافة إلى كليتين لاهوتيتين تعلمان التوحيد هما مانشستر و اكسفورد في بريطانيا، و كليتين في أمريكا إحداهما في شيكاغو، و الأخرى في بركلي في كاليفورنيا، و ما يقرب من مائة و ستين كنيسة أو كلية في البحر و غير ذلك في كافة دول أوربا النصرانية[٢].

و في عام ١٩٧٧م اشترك سبعة من علماء اللاهوت في كتاب عنونوا له "أسطورة الإله المتجسد" ومما فيه "أنها قبلت التسليم بأن أسفار الكتاب المقدس كتبها مجموعة من البشر في ظروف متنوعة، ولا يمكن الموافقة على اعتبار ألفاظها تنزيلاً إلهياً...إن المشتركين في هذا الكتاب مقتنعون أن تطوراً لاهوتياً آخر لا بد منه في آخر هذا الجزء الأخير من القرن العشرين".

ثم أصدر ثمانية من علماء اللاهوت في بريطانيا كتابا أسموه "المسيح ليس ابن الله" ، أكدوا فيه ما جاء في الكتاب الأول و قالوا :"إن إمكانية تحول الإنسان إلى إله لم تعد بالشيء المعقول و المصدق به هذه الأيام"[٣].

و في مقابلة تلفزيونية جرت في إبريل ١٩٨٤م في بريطانيا ذكر الأسقف دافيد جنكنز و الذي يحتل المرتبة الرابعة بين تسع و ثلاثين أسقفاً يمثلون هرم الكنيسة الأنجليكانية فكان مما قاله بأن ألوهية المسيح ليست حقيقة مسلماً بها.

و كان لكلماته صدى كبير ،فقامت صحيفة"ديلي نيوز" باستطلاع رأي واحد و ثلاثين أسقفاً -

---

(١) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٥١-٥٢.

(٢) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٥-٥٣.

(٣) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١١٣، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٧٩-٨٠، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٧٥-٢٧٦.

من الأساقفة التسعة و الثلاثين-حول ما قاله الأسقف دافيد، ثم نشرت نتيجة الاستطلاع في عددها الصادر في ١٩٨٤/٦/٢٥م و كانت نتيجته "أصر ١١ فقط من الأساقفة على القول بأنه يجب على المسيحيين أن يعتبروا المسيح إلهاً و إنساناً معاً، بينما قال ١٩ منهم بأنه كان كافياً أن ينظر إلى المسيح باعتباره الوكيل الأعلى لله" فيما أكد ١٥ أسقفاً منهم "أن المعجزات المذكورة في العهد الجديد كانت إضافات ألحقت بقصة يسوع فيما بعد"[١].أي أنها لاتصلح في الدلالة على الألوهية.

و كان قد عقد في عام ١٩٢١م مؤتمر حضره عدد كبير من رجال الدين في اكسفورد برئاسة أسقف كارليل الدكتور راشدل الذي ذكر في خطاب ألقاه فيه:أن قراءته للكتاب المقدس لا تجعله يعتقد أن عيسى إله، و أما ما جاء في يوحنا مما لم تذكره الأناجيل الثلاثة فلا يمكن النظر إليه على أنه تاريخي، و رأى أن كل ما قيل في ميلاد المسيح من عذراء أو شفائه الأمراض أو القول أن روحه سابقة للأجساد كل ذلك لا يدعو للقول بألوهيته. و قد شاركه في آرائه عدد من المؤتمرين.

ويقول إيميل لورد فيج:" لم يفكر يسوع أنه أكثر من نبي، و ليس بقليل أن يرى نفسه في بعض الأحيان دون النبي، و لم يحدث أبداً من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر و آمال فوق خواطر البشر و آمالهم... يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله: إنه ابن الإنسان، و قديماً أراد الأنبياء أن يلفتوا الأنظار إلى الهوة الواسعة التي تفصلهم عن الله، فكانوا يسمون أنفسهم بأبناء الإنسان..."[٢].

و من كل ما ذكرنا يتبين لنا أن التوحيد حركة أصيلة في المجتمع النصراني، تتجدد كلما نظر المخلصون منهم في أسفارهم المقدسة، فتنجلي الفطرة عن غشاوتها،و تعلن الحقيقة الناصعة أن لا إله إلا الله.

---

(١) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١١٤-١١٥.

(٢) انظر: دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٣٤-٢٣٥، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٨١-٢٨٢.

المطلب الخامس: عقائد الفرق النصرانية المعاصرة

تجمع الفرق النصرانية المثلثة اليوم على القول بأن الإله إنما هو من ثلاثة أقانيم و تجمع أيضاً على أن أول هذه الأقانيم هو الآب و ثانيها هوالابن و ثالثها هو روح القدس. و الثلاثة إله واحد.

لكن هذه الفرق تختلف اختلافاً بيناً في تحديد طبيعة المسيح، فلقد صدر عن مجمع نيقية تأليهه، ثم حار النصارى في تحديد ماهية هذه الألوهية.

و نتوقف بعض الشيء مع الفرق النصرانية الكبرى، و نذكر أوجه الاختلاف بينها و ظروف نشأة كل منها، ثم نذكر شيئاً من ردود علمائنا في إبطال هذه المذاهب خصوصاً.

أولاً:الأرثوذكس.

و هم أتباع الكنائس الشرقية (اليونانية)، و كلمة "أرثوذكس" كلمة لاتينية معناها:"صحيح العقيدة" أو "مذهب الحق".

و ينتشر أتباع الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا و عموم آسيا و صربيا و مصر والحبشة، و يتبعون أربع كنائس رئيسة لكل منها بطريك (القسطنطينية ثم الإسكندرية و أنطاكيا و أورشليم)، و تشكل العقيدة الأرثوذكسية امتداداً صادقاً لما جرى في مجمع نيقية إذ تتفق معتقداتهم مع ما جاء في رسائل أثناسيوس الذي ولي البابوية بعد مجمع نيقية.

يقول الأنبا غريغورس ملخصاً معتقدهم بالثالوث :"المسيحيون يؤمنون بإله واحد، أحدي الذات، مثلث الأقانيم والخاصيات، فالتوحيد للذات الإلهية، وأما التثليث فللأقانيم، وللأقانيم خاصيات وصفات ذاتية، أي بها تقوم الذات الإلهية، فالله الواحد هو أصل الوجود، لذلك فهو الآب- والآب كلمة ساميّة بمعنى الأصل -..والله الواحد هو العقل الأعظم.. تجلى في المسيح ..لذلك كان المسيح هو الكلمة..والكلمة تجسيد العقل، فإن العقل غير منظور، ولكنه ظهر في الكلمة، وهو أيضاً الابن- لا بمعنى الولادة في عالم الإنسان -، بل لأنه صورة الله غير المنظور ، والله هو الروح الأعظم، وهو آب جميع الأرواح، ولهذا فهو الروح القدس، لأن الله قدوس".[1]

و أبرز معتقدات الكنيسة الأرثوذكسية و فروقها عن الكنائس الأخرى:

*أن المسيح (الابن) هو الله و هو روح القدس.

*أن الابن (الإله المتجسد) أقل رتبة من الإله من غير تجسد.

*أن المسيح طبيعة واحدة إلهية، و يرى بعضهم أن فيه طبيعتان مجتمعان في طبيعة واحدة كما قرر عام

---

(١) اللقاء بين الإسلام والنصرانية، أحمد حجازي السقا، ص٦٩.

٤٥١م في مجمع خلقدونية حيث انشقت الكنيسة المصرية عن الكنائس الأرثوذكسية الرومية القائلة بالطبيعتين.

*أن روح القدس نشأ من الأب فقط.

*يؤمن النصارى الأرثوذكس بأسرار الكنيسة السبعة (المعمودية-الميرون المقدس-القربان المقدس – الاعتراف –مسحة المرضى- الزواج-الكهنوت)[1].

و قد اهتم علماؤنا بمناقشة الطبيعة الواحدة للمسيح و التي تقول بها الكنيسة الأرثوذكسية المصرية (المرقسية)، و في بيانها يقول حبيب جرجس عميد الكلية الاكليريكية بمصر موضحاً عقيدة الأرثوذكس المصريين في مسألة الطبيعة الواحدة :"إن فادينا العظيم قد تنزل عن سماء مجده، و قبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسداً حقيقياً بنفس عاقلة ناطقة، فحبل به بقوة الروح القدس...و اتحادهما بدون اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصاً واحداً ذا طبيعة واحدة...صار المسيح ذاتاً واحدة جوهراً واحداً طبيعة واحدة، مشيئة واحدة".

و عجب علماؤنا كيف جعل أتباع هذا المذهب الله بشراً؟ فالقديم لا يصير محدثاً، و لا يجري عليه ما يجري على البشر من عوارض كالنوم و النسيان و الأكل و الشرب و كونه يرى...

و قد جاءت نصوص توراتية تنزه الله عز و جل عن مثل هذه العوارض التي يتصف بها البشر ومنهم المسيح فالمسيح نام في السفينة (انظر مرقس ٤/٣٥-٣٨)، أما الله "إنه لا ينعس و لا ينام حافظ إسرائيل" (المزمور ١٢١/٤)، و المسيح كان جسداً مرئياً و الله لا يرى (انظر يوحنا ١/١٨)،بل لا تقدر الأجسام أن تراه، و من رآه يموت (انظر الخروج ١٠/٢٨) فكيف يزعم هؤلاء بأن البشر رأوه ،و أن جسداً بشرياً قد اكتنفه في بطنه إلى حين ولادته، و المسيح هيكل بشري سكن الأرض و الله غير ذلك"العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي" (أعمال ٧/٤٨). و المسيح صلب و مات ،والله عن نفسه يقول"حي أنا إلى الأبد"(التثنية ٣٢/٤٠)"أقسم بالحي إلى أبد الآبدين" (الرؤيا ١٠/٦).

و و يعجب السقا لما جاء قداسهم المسمى تسبيحة"الثلاثة تقديسات" و فيه "قدوس الله، قدوس الحي الذي لا يموت...يموتك يا رب نبشر..." فجمعوا في تسبيحة واحدة بين أبديته و موته[2].

كما أفادت نصوص أخرى عجزاً للمسيح وقعوداً عن مرتبة الألوهية فدل ذلك على أنه ليس الله فقد جهل موعد الساعة (انظر مرقس ١٣/٣٢)، ثم قال:"أنا لا اقدر أن أفعل من نفسي شيئاً "(يوحنا ٥/٣٠) لذا عجز أن يعد ابني زبدى بالملكوت (انظر متى ٢٠/٢٣)، و لما سماه أحدهم صالحاً قال:" لم تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد، و هو الله"(لوقا ١٨/١٨-٢٠)، و ذكر بولس أن للمسيح شركاء"من أجل ذلك مسحك الله بزيت الابتهاج أكثر من شركائك" (عبرانيين ١/٨-١٠).

---

(١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٦١، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٠٦-٤٠٧، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٤٩-٢٥٠، محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ١١.

(٢) أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٦٧-٦٨.

فهل هؤلاء شركاء له حتى في الألوهية؟.

كما ثمة نصوص أفادت بأن المسيح عبد له إله غيره ، ناداه و هو على الصليب:" إلهي إلهي لماذا تركتني" (متى ٢٧/٤٦)، وقال عن الله" أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم" (يوحنا ٢٠/١٧)، كما كان المسيح يعبد ربه و يصلي له ،و من ذلك صلاته ليلة أن جاء الجند للقبض عليه (انظر متى ٢٦/٣٩)[1]. وقال للشيطان لما طلبه أن يسجد له:"مكتوب:للرب إلهك تسجد، و إياه وحده تعبد:"(متى ٤/١٠).

كما تثبت النصوص تغايراً بين المسيح و الله، و تذكر عشرات النصوص أن المسيح مرسل من الله والمرسَل غير المرسِل منها "الكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني" (يوحنا ١٤/٢٤)، ويقول "أرسلتني إلى العالم...ليؤمن العالم أنك أرسلتني..."(يوحنا ١٧/٢١-٢٤).

و من النصوص التي أفادت المغايرة قول بولس عن المسيح"الذي أقامه من الأموات" (كولوسي٢/١٢)، و يقول بولس "نشكر الله أبا ربنا يسوع المسيح" (كولوسي ١/٣)،و يقول المسيح: "كما أحبني الأب" (يوحنا ١٥/٩)، "ما سمعته من أبي"(يوحنا ١/١٥)، "أبغضوني أنا و أبي"(يوحنا ١٥/٢٤).

و مما يفيد المغايرة بين الأقانيم الثلاثة قول بطرس:"يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس و القوة الذي جال يصنع خيراً" (أعمال ١٠/٣٨).

و جاءت نصوص تقول بأن المسيح بعد القيامة"ارتفع و جلس عن يمين الله" (مرقس ١٦/١٩)، ويقول بولس:"المسيح جالس عن يمين الله" (كولوسي ٣/١)فالذي عن اليمين غير للذي عن شماله.

كما أن هذه الغيرية تنطوي على عدم تساوٍ بين الله و المسيح فقد قال المسيح "أبي أعظم مني" (يوحنا ١٤/٢٨). كما يتغاير الابن مع روح القدس و لا يتساويان لذا يقول المسيح:"و من قال كلمة عن ابن الإنسان يغفر له، و أما من قال عن روح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم، و لا في العالم الآتي" (متى١٢/٣٢).

فدل النص على أن روح القدس أفضل من المسيح وهو أيضاً مخالف لترتيب صيغة التثليث الذي يقدم المسيح على الروح القدس .[2]

---

(١) انظر دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٥٥-٤٦٠، اللقاء بين الإسلام والنصرانية،أحمد حجازي السقا،دار البشير،القاهرة،ص ٤١، ٩٠، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٢٧، ٣٣-٣٤، ٣٧، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٢٩-٣١، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حماد،ص ٤٣، ١٣٠.

(٢) انظر دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٥٠-٤٦٩، اللقاء بين الإسلام والنصرانية،أحمد حجازي السقا،ص ٩٦-٩٧، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٢٦، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حماد،ص ٣٩-٤٢، ١٢١-١٢٢، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٢٦-٢٨.

ثانياً:الكاثوليك.

و هم أتباع الكنائس الغربية التي يرأسها بابا الفاتيكان في روما.

و كلمة:" الكاثوليك" كلمة لاتينية، قال إبراهيم خليل بأن تعريبها:"الجامع الحر الفكر" و قال الأعظمي: هي كلمة يونانية تعريبها "العام أو العالمي"، و قال شلبي بأن معناها "الثابت على المبدأ القويم"،ولعله معنى :"الأرثوذكس".

و ينتشر أتباع هذه الكنيسة في بقاع كثيرة من العالم و يشكلون عدداً كبيراً من سكان أوربا.

و قد وجدت هذه الكنيسة بعد أن انشقت عن الكنيسة الأم بعد صراع سياسي ديني طويل يمتد إلى القرن الخامس الميلادي، فحين قسم الإمبراطور تيودواسيوس امبراطوريته عام ٣٩٥م بين ابنيه، فتولى أكاديوسيوس الشطر الشرقي و عاصمته القسطنطينية، فيما تولى نوريوس الشطر الغربي و عاصمته روما.

و بدأ الصراع و التنافس بين المركزين، و في عام ٤٥١م و عقب مجمع خلقدونية انفصلت الكنيسة المصرية (أول الكنائس الأرثوذكسية) عندما قالت بطبيعة واحدة للمسيح منكرة ما ذهب إليه المجمع من أن للمسيح طبيعتين و مشيئتين، ثم انفصلت بقية الكنائس الشرقية عقب مجمع القسطنطينية الرابع ٨٦٩م، والخامس ٨٧٩م ، بسبب إصرار الغربيين على اعتبار الروح القدس منبثق من الأب و الابن معاً[1].

وأما أبرز ما تختلف فيه الكنيسة الكاثوليكية عن الأرثوذكسية فهو :

*قولهم بأن المسيح له طبيعتان و مشيئتان:إلهية و إنسانية، فهو عند الكاثوليك إله تام و إنسان تام، وفيه اتحد الابن بناسوت المسيح.

*الأب و الابن و روح القدس هي الأقانيم الأزلية للإله، و المتحد منها هو الابن فقط.

*روح القدس انبثق من الأب و الابن معاً، و هو مساوٍ للأب و الابن.

*الأرواح الخاطئة لن تدخل الجنة حتى تتطهر في جحيم صغير في مكانٍ ما من الأرض يسمى:"المطهر" تتطهر به أرواح العصاة، ثم تكون أهلاً لدخول الفردوس.

* صلوات الكهنة ترفع العذاب عن النفوس الخاطئة، و منه نشأت فكرة صكوك الغفران التي أقرها المجمع الثاني عشر المنعقد عام ١٢١٥م.

*القول بعصمة بابا روما، و بأنه وريث سلطان بطرس، و بذلك تسمى أيضاً كنائس الكاثوليك بالكنائس البطرسية.

*تقدس الكنسية الكاثوليكية مريم، وتسميها (والدة الإله) و(خطيبة الله)، وتخصها ببعض الصلوات والابتهالات.

---

(١) انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٩٨، المسيحية،أحمد شلبي،ص ٢٠٠-٢٠١، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٤٠، محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ١١، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٤٨-٢٤٩.

وتعترف الكنيسة الكاثوليكية بسائر العبادات و الطقوس الأرثوذكسية كالتعميد والاعتراف والعشاء الرباني....و يجيز الكاثوليك عبادة الصور[1].

و قد تناول علماؤنا بالنقد عبادة الصور و مريم، والصليب، و اعتبروا ذلك ضرباً من الوثنية التي أحدثها النصارى.

و قد تمثلت عبادتهم لمريم في عدد من الصلوات التي تؤدى لها، و منها "صلاة مريم" و فيها يقولون:"يا خطيبة مختارة من الله، يا أيتها المستحقة الاحترام من الجميع.... يا باب السماء... يا ملكة السماء التي جميع الملائكة يسجدون لها، و كل شيء يسبحها و يكرمها... فاستمعينا يا أم الله، يا ابنة، يا خطيبة الله، يا سيدتنا ارحمينا و أعطينا السلام الدائم...لك نسجد و لك نرتل".

و يقول القس توما اللاهوتي:"أما العذراء الطاهرة المجيدة، و هي الممتلئة من الاستحقاقات فلها أن تخلص جميع البشر، و يقول القديس لويس ماريدي:" التكريم أن نهب ذواتنا بكليتها إليها، كأسرى لمريم وليسوع بواسطتها على أن تقوم جميع أعمالنا مع مريم، و بواسطة مريم، و في مريم، و لأجل مريم".

و في مجمع أفسس ٤٣١م سميت مريم" والدة الإله" و زيد في أمانة نيقية فقرة تخصها، فيها" نعظمك يا أم النور الحقيقي، و نمجدك أيتها العذراء القديسة، والدة الإله...".

و في هذا القرن أيضاً ظهرت جماعة وثنية-تعبد الزهرة- اعتنقت النصرانية و اعتقدوا أن مريم ملكة السماء أو آلهة السماء بدلاً عن الزهرة، و أصبح تثليثهم (الله، مريم، المسيح)، و قد حاربت الكنيسة هذه البدعة، فاندثرت في القرن السابع الميلادي.

يقول الأنبا غريغوريوس الأرثوذكسي عن مريم:" إننا لن نرفعها إلى مقام الألوهية كما فعل الكاثوليك... و كما أخطأ الكاثوليك فرفعوها إلى مقام الألوهية و العصمة ،كذلك ضل البروتستانت ضلالاً شنيعاً حين احتقروها، و جهلوا و تجاهلوا نعمة الله عليها و فيها، و لكن الكنيسة الأرثوذكسية قد علمت العذراء عليماً مستقيماً، فلا نؤلهها و لا نحتقرها"[2].

و هذا الذي ذكرناه مصدق لما جاء في القرآن عن اتخاذ النصارى مريم إلهاً، و مكذب لجحد بعض النصارى له، و صدق الله إذ يقول ﴿ و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أ أنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ [3]

كما سرت في القرن الرابع الميلادي عبادة الصليب، و كان أول من أوجدها الملك قسطنطين حين

---

(١) انظر يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٦١-٢٦٢، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٠٣-٤٠٦

(٢) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٢٧-٢٢٨، اللقاء بين الإسلام والنصرانية،أحمد حجازي السقا،ص ٩٩-١٠٠، ١٠٩، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١٩٨-١٩٩، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٢٨-٢٩، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٠٢-١٠٢، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ١٤٢.

(٣) سورة المائدة، من آية:١١٦.

زعم أنه رأى في المنام صليباً في السماء مكتوباً عليه أو حوله:"بهذا تغلب"، فجعل الصليب شعاراً لجيشه في معركة ملتيوس التي انتصر فيها على خصمه مكنتيوس، ثم بدأت والدته هيلانة في البحث عن صليب المسيح، و ادعت أنها وجدته،و من ثم بدأ تعظيم الصليب، و عظموا جنس الصليب، و عللوا ذلك بأنه كان وسيلة خلاصهم.

و تعظم الكنائس النصرانية-عدا البروتستانت- الصليب، و تعتبر منكر عبادته مرتداً، و تصنع لذلك الصلبان الذهبية و المعدنية و الخشبية، و يسجدون لها، ومن صلواتهم قولهم في ترنيمة السبت(بعد جمعة الآلام):"للثالوث الأقدس، و لصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح، و للعذراء المباركة الدايمة البتولية، ولجميع القديسين ليكن الحمد الدائم و الكرامة و الثناء و المجد في كل الخليقة، و لنا مغفرة جميع خطايانا إلى أبد الآبدين".

و ينقل كرنيلوس فانديك في كتابه "كشف أباطيل عن عبادة الصور و التماثيل" ينقل ترنيمة أخرى تقال في السبت الذي يلي جمعة الآلام "السلام لك أيها الصليب و الرجاء الوحيد، زد نعمة الأتقياء، وهب للمذنبين مغفرة الخطايا".

يقول فانديك:"لكن كهنة الرومانيين يقولون هذا باللاتينية الميتة، و عامة الشعب لا يفهمون ما يبربرون به"، و يقول:"إن ثلثي النصارى في عصرنا هذا هم عبدة أصنام".

و في القرن الرابع أيضاً كان الشرارة التي عنها نشأت عبادة الصور و التماثيل، فقد أمرت أم الإمبراطور -هيلانة- بإحضار جثة النبي دانيال، و بعدها أحضرت جثث لوقا و اندرواس و تيموثاوس في عهد الامبرطور قسطنس.

و في عهد أركاديوس أحضروا جثة صموئيل ثم إشعيا في عهد ثيودوسيوس، و أحضرت جثة مريم المجدلية و لعاذر في عهد لادن السادس ثم نعلي المسيح و رداء إيليا و...

و قد وضعت هذه كلها في الكنائس، و تسابق الناس إليها طلباً للشفاء و البركة، و اختص بعض هذه الأضرحة بعلاج بعض الأفات فالقديس أوتيميوس اختص ضريحه بالرجال الذين لديهم مشكلات جنسية فيما يذهب النساء إلى قبر القديسة ميزونيا وسادت الإمبراطورية قصص الخرافات و التنبؤ بالغيب و غير ذلك مما يظهر في مثل تلك الأجواء الوثنية.

و في مجمع قسطنطينية ٧٥٤م حضرت وفود شرقية و غربية تفاوضت لمدة ستة أشهر ، ثم قررت أن استعمال الصور و التماثيل في العبادة مطلقاً رجوع للوثنية و مناقض للنصرانية.

و في مجمع نيقية الثاني ٧٨٧م و بأمر من الملكة إيرينا انعقد المجمع ،وقرر ٣٥٠ أسقفاً غربياً وجوب استعمال الصور و التماثيل في الكنائس، ثم قرر البابا جريجوري الثاني و الثالث حرمان و مروق الجماعات التي تناهض وجود التماثيل و الصور في الكنائس، و هو ما أكده مجمع القسطنطينية عام ٨٤٢م.

وهكذا تناقلت المجامع النصرانية هذه المسألة ،فأحدها يوجب ،والآخر يكفر،ولاندري كيف يستقيم هذا مع قول النصارى بعصمة المجامع ،لاعتقادهم بحلول الروح القدس على أصحابها .

كما لم تبال الكنيسة بمخالفة قرارها لما جاء في الناموس في (الخروج ٤/٢٠، التثنية ٢٥/٢٧، ١٥/٤-٢٤).

و هو أيضاً ما نقل عن المسيحيين الأوائل، فقد مر أسقف قبرص ايفانيوس بمكان في فلسطين، و رأى سترة عليها صورة للمسيح فمزقه قائلاً :"إن مثل هذا عيب على الشعب المسيحي"[1].

و يذكر المعلم ميخائيل مشاقه صوراً مزرية لهذه الوثنية في كتابه"أجوبة الإنجيليين على أباطيل التقليدين" فيقول:"و ربما صوروا بعض قديسين على صورة لم يخلق الله مثلها، كتصويرهم رأس كلب على جسم إنسان يسمونه القديس خريسطفورس، و يقدمون له أنواع العبادة، و يطلقون البخور، و يتلمسون شفاعته.

فهل يليق بالمسيحين الاعتقاد بوجود العقل المنطقي و القداسة في أدمغة الكلاب؟ أين هي عصمة كنائسهم من الغلط" كما ذكر المعلم ميخائيل تصويرهم الآب و الابن و الروح القدس في صور و تماثيل يقومون بعبادتها.

و يتساءل رحمة الله الهندي لم لا يعبد النصارى جنس الحمير، فقد ركب المسيح على حمار و هو يدخل أورشليم ،و ليس الخشب (حادثة الصلب) بأولى بالعبادة و التقديس من الحمار إذ هو حيوان،بينما الخشب جماد لا حياة فيه.

فإن كان عبادهم للصليب لأنه كان سبيل نجاتهم، فكذلك كان يهوذا، فلولا تسليمه المسيح لما أمكن صلبه و حصول الفداء، ثم هو مساوٍ للمسيح في الإنسانية، و ممتلئ من روح القدس قبل خيانته. فلم كانت هذه الواسطة (يهوذا) ملعونة و تلكم مباركة؟!.

و إن قيل سال دمه على الصليب فكذلك الشوك الموضوع على رأسه فلم لا يعبد؟.

و يعجب رحمة الله الهندي من تصوير النصارى الله في كنائسهم فكيف عرفوا صورته؟ و من رآه منهم، و كيف يسجد البابا لمثل هذه الصورة ثم يمد رجله لإنسان يقبل حذاءه و هو أيضاً صورة الله؟![2].

وعاب العلماء المسلمون على الكاثوليك أيضاً ما يصنعونه في شريعة العشاء الرباني حيث يأكلون الخبز ويشربون الخمر ويعتقدون استحالة الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه، لأن المسيح حينما تعشى مع تلاميذه قال لهم وهو يناولهم الخبز:"هذا هو جسدي"،ولما ناولهم الخمر قال"هذا هو دمي"(مرقس ٢٢/١٤-٢٤)، وقال يوحنا" من يأكل هذا الخبز النازل من السماء لا يموت ، أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء: والخبز الذي أعطيه هو جسدي: الحق الحق أقول لكم : إن كنتم لا تأكلون جسد ابن الإنسان ولا تشربون دمه فلن تكون فيكم الحياة، ولكن من أكل جسدي وشرب دمي فله الحياة الأبدية..." (يوحنا ٥٠/٦-٥٤)

وزعموا أن المسيح أمر بتجديده وفعله فقال:" هذا هو جسدي الذي يبذل من أجلكم، اعملوا هذا

---

(١) انظر:المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي ١٢٢-١٢٥،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان ص ٩٤-١٠٠

(٢) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٨٤٤/٣-٨٤٦.

لذكري "(لوقا ٢٢/٢٠).

وقصة تجديد العشاء المزعوم على أهميتها لم يذكرها يوحنا التلميذ في إنجيله، وما جاء في لوقا من أمر التجديد مدسوس على الإنجيل كما نبه أحمد عبد الوهاب، وقد حذفته النسخة القياسية المراجعة النص من نسختها واعتبرته نصاً دخيلاً ، ويقول المفسر كيرد:إن الفقرة أدخلت في زمن مبكر ، وقد اقتبسها أحد الكتبة من مرقس (١٤/٢٤) و(كورنثوس(١)١١/٢٤-٢٥).

وقد شنع العلماء المسلمون طويلاً على فكرة الاستحالة التي يمجها العقل ولا يستسيغها، ومن ذلك تساؤل ممدوح جاد عن الإله الذي يؤكل بالبقدونس والخبز.

وقد كانت عقيدة العشاء الرباني أحد أهم ما اعترض عليه البروتستانت حين انفصالهم عن الكنيسة الكاثوليكية.

ويرى أصحاب الردود الإسلامية أن الفكرة وثنية المنشأ، حيث كانت تصنعها عدد من الأمم الوثنية، ومنهم الفرس الذين اعتقدوا أن متراس يمنح البركة للخبز والخمر في العشاء .

وكما كان عباد يونيشس وأتيس يجتمعون في عيد الحب في مساء أحد السبوت صنع النصارى أيضاً، حيث كان العشاء ينتهي بقراءة فقرات الكتاب المقدس، وفي آخر الطقوس قبلة الحب بين الرجال والنساء، وقد ندد ترتليان بهذه العادة القبيحة، واعتبرها موصلة للإباحة الجنسية.(١)

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي ١/٢٤٠ ،المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي ١٢٦-١٣٤،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان ص ٨٣، ماهي النصرانية، العثماني،ص١٦٨، المسيحية ، أحمد شلبي، ص١٤٨-١٤٩، حوار صريح، عبد الودود شلبي ،ص ٤٦-٤٩، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص١٦-١٧، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، ص١٣٦.

ثالثاً: البروتستانت.

و هم في الأصل من أتباع الكنيسة الكاثولوكية و كلمة"بروتستانت" كلمة إنجليزية معناها "مقيم الحجة" و ترجمها آخرون: (المحتجون).

و قد انشق البروتستانت عن الكنسية الكاثولوكية في منتصف القرن السادس عشر و بعد عدة احتجاجات على ممارسات بابوات الكنيسة التي زكمت الأنوف .

و هنا يجدر بنا الحديث عن بعض هذه الدعوات الإصلاحية التي ظهرت في أوربا. بدأت هذه الدعوات للإصلاح على يد جيرارد في كنيسة لورين في عام ٩١٤م و عاصرها دعوة أخرى تسمى حركة كلوين.

ثم ظهرت في جنوب فرنسا حركتا الكاتاريين و الوالدنيين و تمكنت البابوية من القضاء عليهما.

و في القرن الثالث عشر ظهرت حركة الرهبان (الإخوان)، و دعت للبساطة و حماية الكنيسة من الهراقطة، و تدعيم البابوية عن طريق الأتباع المخلصين، لكن مع نهاية هذا القرن وقع رواد الحركة فيما حذروا منه فأصبحوا من الأثرياء ،و جر الثراء إلى ما يسوء ذكره.

و في عام ١٣٨٣م توفي داعي الإصلاح حنا بعد أن طرد و أتباعه،ثم نادى حناهس بإيقاف صكوك الغفران التي استعان بها البابا حنا الثالث و العشرون في حربه ضد مملكة نابلي، و قد أحرق حناهس حياً عام ١٤١٥م .

و في أوائل القرن السادس عشر نادى آزرم بالإصلاح، و احتفظ بعلاقات طيبة مع الكنيسة والبابا ليو العاشر، و مثله فعل معاصره تومس مور.

و في بداية هذا القرن أيضاً ظهر مارتن لوثر و هو قس ألماني ذهب إلى الحج في روما طالباً بركات البابا فيها، و في ذهنه صورة من النقاء و الطهر و الخشوع.

لكنه فوجيء في روما بواقع آخر ،فجعل يصيح بأن ليس هذا دين عيسى، و عاد لألمانيا يدعو للإصلاح و هاجم صكوك الغفران و اعتبرها دجلاً، وانضم إليه أتباع سموا بالمحتجين (البروتستانت).

ثم تأثر بلوثر الفرنسي كالفن المولود عام ١٥٠٩م، ثم السويسري زونجلي ،و أسس كلفن التنظيم الكنسي البروتستانتي.

و قد انتشرت أراء هذه المدرسة الإصلاحية في ألمانيا و أمريكا و اسكتلندا و النرويج و هولندا.

و يأخذ شلبي على هذه الدعوات الإصلاحية اتجاهها لإصلاح الكنسية و أنظمتها الكهنوتية وبعض طقوسها المبتدعة،و غفلتها عن إصلاح دين الكنيسة ،إذ لم تتطرق هذه الدعوات للموضوعات المهمة التي لا تكاد تجد دليلاً لها من الكتاب المقدس كالتثليث و الفداء و سلطة المجامع.

و أهم ما تتميز به فرقة البروتستانت.

*الإيمان بأن الكتاب المقدس فقط (و ليس البابوات) هو مصدر النصرانية، لكنهم لم يطبقوه فيما

سوى مسألة صكوك الغفران و عصمة البابا.

*إجازة قراءة الكتاب المقدس لكل أحد، كما له الحق بفهمه دون الاعتماد في ذلك على فهم بـــابوات الكنيسة.

*عدم الإيمان بأسفار الأبوكريفا السبعة، و اعتماد التوراة العبرانية.

*عدم الاعتراف بسلطة البابا و حق الغفران و بعض عبادات و طقوس الكنيسة الكاثوليكية كالعشـــاء الرباني و عبادة الصور و تقديس مريم، و عذاب المطهر، و عموم الأسرار الكنيسة.

*يعتبرون الأعمال الصالحة غير ضرورية للخلاص.

*لكل كنيسة بروتستانتية استقلالها التام.

*يمنع البروتستانت الصلاة بلغة غير مفهومة كالسريانية و القبطية، و يرونها واجبة باللغة التي يفهمـــها المصلون.

*يمنع البروتستانت التبتل ،و يوجبون زواج القسس لإصـــلاح الكنيســـة. و يوافـــق البروتســـتانت الكاثوليك في انبثاق الروح القدس من الأب و الابن كما يوافقونهم في أن للمسيح طبعيتين و مشيئتين[1].

و هذه الطوائف الثلاث هي الطوائف الرئيسة في النصرانية التي تمتاز بكثرة غـــير محـــدودة في عـــدد طوائفها ،ففي أمريكا اليوم مائتين و خمسين فرقة مسيحية.

و في عام ١٩٥٧م أعلن مندوب وكالة الأنباء العالمية أنه بعد تقصيه للفرق المسيحية في أفريقيا وجـــد أنها تربو على الألف و الأربعمائة.

و يسجل محمد مجدي مرجان ملاحظة على ظاهرة الافتراق في النصرانية فيقول:"إنما تدل بوضـــوح على الغموض تلك العقيدة و عدم اقتناع أصحابها بها لمخالفتها لمنطق عقولهم، و سوية فطرتهم، ممـــا يجعـــل أصحاب الثالوث أنفسهم في صراع دائم بين منطق عقولهم و حكم ظروفهم، بين عقـــول فطـــرت علـــى التوحيد و ظروف فرضت التثليث"[2].

---

(١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٦٢-٢٧٠، المسيحية،أحمـــد شـــلبي،ص ٢٠٢، ٢١٧-٢١٩، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٠٨-٤١٠.

(٢) الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٥٢، و انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٩٧.

المبحث الثالث: مصادر النصرانية

﴿و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أ أنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب* ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي و ربكم و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم و أنت على كل شيء شهيد﴾ [1].

و إذا لم يكن المسيح قد قال بألوهية نفسه كما لم يقل بتثليث الإله، فمن أين وفدت هذه العقائد على النصرانية؟

و في الجواب نقول ﴿ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون به قول الذين كفروا قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [2].

بحث علماؤنا عن المصادر الحقيقية لعقائد النصارى المحرفة ،فوجدوها تنحصر في أمرين هما بولس اليهودي المتنصر والوثنيات القديمة،وقد خصصت لكل منها مطلباً:

الأول:بولس، و أثره في النصرانية.

الثاني: الوثنيات القديمة.

---

(١) سورة المائدة،آية:١١٦-١١٧

(٢) سورة التوبة،من آية: ٣٠

المطلب الأول: بولس و أثره في النصرانية.

من هو بولس ؟

و لد بولس لأبوين يهوديين في مدينة طرسوس في آسيا الصغرى ، و نشأ فيها و تعلم حرفة صنع الخيام، ثم ذهب إلى أورشليم، فأكمل تعليمه عند رجل يدعى غمالائيل أحد أشهر معلمي الناموس في أورشليم(انظر أعمال ٢٢/٣٩، ١٨/٣،٢٣/٣)، و قد أسماه والده "شاول "و معناه:"مطلوب" ،ثم سمى نفسه بعد تنصره "بولس" و معناه "الصغير" (أعمال ١٣/٩).

و لا تذكر المصادر النصرانية لقيا بولس المسيح، و أول ذكر لبولس فيما يتصل بالنصرانية شهوده محاكمة استفانوس أحد تلاميذ المسيح، و يذكر بولس أنه كان راضياً عن قتله(انظر أعمال ٨/١).

ثم يحكي سفر الأعمال عن اضطهاد بولس للكنيسة و أنه"كان يسطو على الكنيسة و هو يدخل البيوت، و يجر رجالاً و نساءً ، و يسلمهم إلى السجن"(أعمال ٨/٣)، و يدل على علو مقامه عند الدولة الرومانية أو عند رؤساء الكهنة كما صرح أعمال ٢٦/١٠.

و يذكر سفر الأعمال تنصر بولس بعد زعمه بأنه رأى المسيح بينما هو ذاهب إلى دمشق في مهمة لرؤساء الكهنة فكان مما قاله المسيح له:"ظهرت لك لأنتخبك خادماً و شاهداً بما رأيت، و بما سأظهر لك به، منقذاً إياك من الشعب، و من الأمم الذين أنا أرسلك إليهم، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلماتٍ إلى نور، و من سلطان الشيطان إلى الله ، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا و نصيباً مع المقدسين" (أعمال ١٦/١٦-١٨).

و مكث بولس ثلاثة أيام في دمشق ،ثم غادرها إلى العربية[1]،ثم عاد إليها"ثم بعد ثلاثة سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً" (غلاطية ١/١٨).

ثم بدأ دعوته في دمشق فحاول اليهود قتله، فهرب إلى أورشليم فرحب به برنابا، و قدمه للتلاميذ الذين يصفه أعمال الرسل بأنهم "يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ"(أعمال٩/٢٦).

ثم ذهب للدعوة في قيصرية(جنوب حيفا) ،ثم سافر مع برنابا إلى آسيا الصغرى، ثم حضر مجمع أورشليم، ثم رجع إلى أنطاكيا، و اختلف فيها مع برنابا بسبب إصراره على اصطحاب مرقس معهما في رحلتهما التبشرية، و عندها افترقا.

و استمر بولس يدعو إلى المسيحية في أماكن عدة من أوربا سجن خلالها مرتين إحداهما في روما سنة ٦٤م ،ثم ثانيةً عام ٦٧ ،وقتل عام ٦٨م، وتذكر بعض المصادر أنه أسر مرة واحدة عام ٦٤م وفيها مات[2].

---

(١)يطلق اسم العربية في الكتاب المقدس ويراد منه جزيرة العرب كما قد يراد به بعض المواقع شمال الجزيرة كسيناء وجنوب الشام.انظر قاموس الكتاب المقدس،ص٦١٥.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٥-١٩٩.

بعض الملامح في شخصية بولس

و حاول علماؤنا سبر هذه الشخصية الهامة في تاريخ المسيحية بقراءة الرسائل المنسوبة إليه أو ما جاء عنه في سفر أعمال الرسل، و توقفوا عند ملاحظات هامة.

منها أنهم اعتبروا قصة رؤية بولس للمسيح إحدى كذبات بولس و أوهامه، واستدلوا لذلك بالمقارنة بين روايات القصة في العهد الجديد حيث وردت القصة ثلاث مرات:أولاها في أعمال الرسل٩/٣-٢٢، من رواية لوقا أو كاتب سفر الأعمال، و الثانية من كلام بولس في خطبته أمام الشعب(انظر أعمال ٢٢/٦-١١)، و الثالثة أيضاً من رواية بولس أمام الملك أغريباس (انظر أعمال٢٦/١٢-١٨)، كما أشار بولس للقصة في مواضع متعددة في رسائله.

و لدى دراسة علمائنا للقصة في مواضعها الثلاث تبين لهم تناقضها في سبع مواضع، و الحق أن بعضها لا يصل لدرجة أن يسمى تناقضاً.

و التناقضات التي أوردها علماؤنا هي :

*جاء في الرواية الأولى(أعمال/٩) "و أما الرجال المسافرون معه، فوقفوا صامتين يسمعون الصوت، ولا ينظرون أحداً"(أعمال٩/٧)، بينما جاء في الرواية الثانية(أعمال٢٢)"المسافرون لم يسمعوا الصوت"(أعمال ٢٢/٩)، فهل سمع المسافرون الصوت ؟أم لم يسمعوه؟.

*جاء في الرواية الأولى والثانية أن المسيح طلب إلى بولس أن يذهب إلى دمشق حيث سيخبر بالتعليمات هناك(انظر أعمال٩/٦،٢٢/١٠)، بينما يذكر بولس في الرواية الثالثة (أعمال٢٦) أن المسيح أخبره بتعليماته بنفسه، فقد قال له"قم و قف على رجليك، لأني لهذا ظهرت لك، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت و بما سأظهر لك به، منقذاً إياك من الشعب و من الأمم الذين أن الآن أرسلك إليهم..."(أعمال

مؤسس المسيحية الحقيقي[1].

و يلحظ الأطير أن رواية لوقا في (الأولى)توافق رواية بولس (الثانية)، أما الرواية الثالثة نلحظ فيها الاختلاف بيناً، و هو اختلاف لم ينشأ عن ضعف في الذاكرة، بل هو تغير متعمد.

و يرجح الأطير أن بولس كتب روايته الأولى ثم كتب لوقا ما نقل عنه، ثم عدل بولس عندما كتب ثاني روايتيه(الرواية الثالثة).

و يفترض الأطير أن أحداً قال لبولس:إن ما رأيته من نور أحاط بك دون رفقتك في السفر، و أنت الذي سقطت و سمعت و رأيت، و أصحابك لا علم لهم بذلك، فلربما كان ذلك من توليد خاطرك أو سقم أصابك عندها عدل بولس الرواية، و أشرك الآخرين فأسقطهم و أسمعهم...

و يؤكد الأطير أنه لا يقبل من النصارى القول بنسيان بولس ،فمثل هذا الحدث لا ينسى بتقادم الزمان كما أنه عذر لا يقبل ممن يكتب بإلهام، و عليه فإما أن يكذب لوقا أو بولس، أو يقال بأن النص تعرض للتحريف على يد النساخ، و كل هذه عند القوم من الطوام.

و يرى الخولي أنه عند غض الطرف عن تناقض رواية رؤية بولس للمسيح، فإنه يمكن القول بأن ما حصل هو حدث نفسي ناتج عن الخوف من البرق و تأنيب الضمير،و تذكر الله عز و جل، ثم إرهاق السفر، و أما العمى الذي أصابه فكان عمىً نفسياً.

لكن محمد عوض يرى أنه ينبغي رد الرواية برمتها، فبولس اندفع للنصرانية بسبب يأسه من هزيمة أتباع المسيح، فقد رآهم يثبتون على الحق رغم فنون العذاب الذي صبه عليهم، و هذا الشعور يراه واضحاً في قول بولس أن المسيح قال له"صعب عليك أن ترفس مناخس"(أعمال ٢٦/١٤)[2].

و يرى محمد عوض أن قصة الصيام ثلاثة أيام و فقد البصر ثم رجوعه على يد حنانيا و سقوط القشور من عينيه، كل هذه أحداث أريد منها أن تؤكد على أن بولس تعرض لشيء غير عادي ،ثم خلصته المعجزة من محنته فأصبح رسولاً ،و أما المسافرون فيفترض محمد عوض أنهم وقعوا تحت تأثير شاول الذي أوهمهم بالأحداث التي اختلقها.

و يستغرب محمد عوض كيف ينقل شخص من الكفر و العداوة إلى القديسية والرسالة من غير أن يمر حتى بمرحلة الإيمان [3].فمن الممكن تصديق التحول من فرط العداوة إلى الإيمان ،أما إلى النبوة و الرسالة من غير إعداد وتهيئة فلا،ومن المعلوم أن أحداً من الأنبياء لم ينشأ على الكفر،فهم معصومون من ذلك .

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٢٢٥/١-٢٢٦، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٨٨-١٨٩، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١٠٣، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٨-٣١،عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٩٩-١١١.

(٢) انظر عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ١٠٩-١١١، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٨٨، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٤٠-٤١.

(٣) انظر الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،دار البشير،القاهرة،ص ٣٣-٤٠، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٩٩-١٠٠،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ١٣٨-١٣٩.

و يؤكد علماؤنا على كذب القصة بما يثور حولها من أسئلة ملحة لا جواب عليها منها ما نقله أحمد عبد الوهاب عن ماكوبي في كتابه"صانع الأسطورة بولس و اختراع المسيحية" فقد تساءل كيف يمكن فهم العلاقة الحميمة التي تربط بولس و هو فريسي برئيس الكهنة و هو صدوقي، و بين الفريسيين والصدوقيين عداوة لا يخمدوا أوارها؟

ثم كيف يطلب رئيس الكهنة من بولس أن يسوق أناساً موثقين من دمشق ،فمن أين له هذه السلطة القضائية في مدينة غير يهودية ،إذ دمشق في تلك الأزمنة كانت في سلطة الرومان ؟

و يتساءل ممدوح جاد كيف لبولس أن يجزم بأن من رآه في السماء و كلمه كان المسيح، إذ هو لم يلق المسيح طوال حياته [1].

و من الأمور التي وقف عليها علماؤنا في شخصية بولس تلونه و نفاقه و احترافه للكذب في سبيل الوصول لغايته.

فهو يهودي فريسي ابن فريسي (انظر أعمال ٦/٢٣)، لكنه عندما خاف من الجلد قال:"أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً"(أعمال٢٢/٢٥)، و بولس يستبيح الكذب و التلون للوصول إلى غايته فيقول:"صرت لليهود كيهودي...و للذين تحت الناموس كأني تحت الناموس...و للذين بلا ناموس كأني بلا ناموس...صرت للكل كل شيء"(كورنثوس(١)٩/٢٠-٢١).

و تلون بولس لم يقتصر على رسائل الدعوة، بل تلون حتى في مبادئها كما سيتبين لنا، و يستبح بولس الكذب فيقول:"إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أدان بعد كخاطئ"(رومية ٣/٧)[2].

و تمتلئ رسائل بولس بثنائه على نفسه و من ذلك قوله:"بولس رسول لا من الناس و لا بإنسان، بل بيسوع المسيح و الله الآب الذي أقامه من الأموات"(غلاطية ١/١)، و في رسالة أخرى يقول :"بولس عبد الله و رسول يسوع المسيح...و إنما أظهر كلمته الخاصة بالكرازة التي أؤتمنت أنا عليها بحسب أمر مخلصنا الله"(تيطس ١/١-٣).

---

(١) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١٠١، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٢٩٣-٢٩٦، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٥٠، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ص ١٦٣-١٦٤، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٩٦، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،ص ١٠٧، المسيحية،أحمد شلبي،ص ٢٤٤.

(٢) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ١٩١-١٩٤، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ٢١٨،تعدد نساء الأنبياء،ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،مكتبة وهبة،القاهرة،١٤٠٩هـ،ص ٢١٨،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٧، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ط١،دار النهضة العربية،القاهرة،١٣٩٩هـ،ص ٥٥، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٩٥-٩٦، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،ص ٩٣، في مقارنة الأديان،محمد الشرقاوي،ط١،دار الجيل،بيروت،١٤١٠هـ،ص ١٥٢، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس،محمد عبد الحليم أبو السعد،ط١،١٤٠٤هـ،ص ٢١٦، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٢٠.

و يظن بولس أن عنده روح الله فيقول :"أظن أني أنا أيضاً عندي روح الله"(كورنثوس(١)٧/٤٠).

و يرتفع بنفسه إلى درجة القديسين الذين -كما يرى-سيدينون العالم بما فيهم الملائكة فيقول:"ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟...ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة"(كورنثوس(١)٦/٢-٣)فهو سيدين الملائكة الذين كان قد ذكر بأن المسيح دونهم بقليل(انظر عبرانيين ٢/٩)، و يقول أيضاً مفاخراً بنفسه:"اختارنا الله قبل تأسيس العالم لنكون قديسين و بلا لوم قدامه في المحبة"(أفسس١/٤).

و رغم أنه لم يلق المسيح فإنه يعتبر نفسه في مرتبة التلاميذ، لا بل يفوقهم "الإنجيل الذي بشرت به، إنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان و لا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح... لم استشر لحماً و لا دماً و لا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية(شمال جزيرة العرب)ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس"(غلاطية١/١١-١٨).

و هكذا يستمر في هنجهيته وغروره -كما وصفه المؤرخ رينان-و يؤكد بولس على تميزه عن سائر التلاميذ و انفراده عنهم ،و يصفهم بالأخوة"الكذبة المدخلين خفية، الذين دخلوا اختلاساً...الذين لم نذعن لهم بالخضوع و لا ساعة، فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء، بل على العكس إذ رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان"(غلاطية٢/٤-٧).

و هكذا يؤكد بولس بأن ما يحمله في تبشيره لم يتلقاه عن تلاميذ المسيح بل هو من الله مباشرة.

و يتساءل المحققون لماذا لم يذهب بولس بعد تنصره مباشرة إلى التلاميذ ليتلقى عنهم دين المسيح؟ بل ذهب إلى العربية و مكث بعيداً عن التلاميذ ثلاث سنين، ثم لقى اثنين منهم فقط لمدة خمسة عشر يوماً(انظر غلاطية ١/١٨-١٩).

تقول دائرة المعارف البريطانية في الإجابة عن هذا السؤال:"إن ارتحاله إليها كان لحاجته إلى جو هادئ صامت يتمكن فيه من تفكير في موقفه الجديد، و أن القضية الأساس عنده هي تفسير الشريعة حسب تجاربه الحديثة".

و يقول المؤرخ جامس كينون في كتابه "من المسيح إلى قسطنطين":"إنه ارتحل بعد تحوله الفكري إلى العربية، و كان الغرض المنشود من وراء ذلك-كما يبدو من التبشير-أن يدرس مضمونات عقيدته الجديدة، ثم ذهب بعد ذلك بثلاثة أعوام إلى أورشليم حتى يجتمع ببطرس و يعقوب".

و يبرر جاكسون موقف بولس فيقول:"كان بولس يؤمن أن الله قد وهبه ميداناً محدداً للعمل، و لا يجوز لرجل أن يتدخل في شئونه مادام روح الله بدورها هادية له"[1].

---

(١) ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٧٠-١٧٤، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،ص ١١٠-١١٢، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١١٠-١١٢، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١٨-١٩.

بولس الرسول

كما يرفض علماؤنا وسم النصارى لبولس بالرسول فقد رفضوا كما أسلفنا قصة تحلي المسيح لـــه، كما وجدوا في أقواله ما لا يصدر من نبي و رسول.

فمن ذلك إساءته الأدب مع الله في قوله:"لأن جهالة الله أحكم من الناس، و ضعف الله أقـــوى مـــن الناس"(كورنثوس(١)١/٢٥)

فلا يقبل أن يقال بأن لله ضعفاً أو جهالة من أحد سواء كان رسولاً أو غير رسول، و صـــدور مثلـــه عن الرسل محال ،إذ هم أعرف الناس بربهم العليم القوي المتعال.

و مثله يقول بولس"لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (كورنثوس(١)٢/١٠) و يقـــول مستحلاً المحرمات"كل الأشياء تحل لي"(كورنثوس(١)٦/١٢).

و هذا يتطابق مع ما جاء به من إلغاء الناموس و احتقاره و وصفه بالعتق و الشيخوخة كما ســـيتبين لنا في محله ،و مثل هذا الموقف لا يكون من الأنبياء و الرسل الذي تأتي دعوتهم لتؤكد على طاعة الله وتدعـــو إلى السير وفق شريعته[1].

و يحكي بولس عن نفسه و ضعفه أمام الشهوات فيقول:"لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل مـــا أريد، بل ما أبغضه فإياه أفعل..لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعـــل.. أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، و يسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي، و يحـــي أنـــا الإنسان الشقي"(رومية ٧/١٥-٢٤)[2].

و مما يدحض نبوته و رسالته وقوعه بالخطأ في التبليغ و التشريع-سيرد تفصيلـــه في محلـــه- (انظـــر عبرانين٩/ ١٩، و قارن مع الخروج ٢٤/٣-٨) [3].

و تساءل علماؤنا عن المعجزات التي أتى بها بولس ليثبت فيها نبوته و رسالته، فهو عندمـــا عمـــي لم يستطع شفاء نفسه، إذ يفترض فيه و قد حل عليه روح القدس أن يكون كسائر التلاميذ أصحاب المعجـــزات و الذين يتكلمون ألسنة شتى فيما يستعين بولس بمترجمين في رسائله كما يظهر من (فليمون ٢٥)مثلاً.

و عدم إتيان بولس بالمعجزات يدل ليس فقط على عدم نبوته و رسالته ،بل يراه كـــامل ســـعفان دالاً على قلة إيمانه ،إذ جاء في متى أن المسيح قال:"فالحق الحق أقول لكم:لو كان لكم إيمان مثل حبـــة خـــردل

---

(١) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٦٢،حقيقة التبشير بين الماضي والحـــاضر،أحمـــد عبـــد الوهاب،ص ٣٦-٣٩، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ٢٠٩-٢١٠، المســـيحية الحقـــة الـــتي جـــاء بهـــا المسيح،علاء أبو بكر،ص ١١٠-١١٢، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٤٧، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمـــن الأعظمي،ص ٣٠٨، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٨٥.

(٢) انظر: في مقارنة الأديان،محمد الشرقاوي،ص ١٦٠-١٦١، المسيحية الحقة التي جاء بها المســـيح ، عـــلاء أبـــو بكـــر، ص ١١٢-١١٣.

(٣) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٦١-٦٢.

لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل و لا يكون شيء غير ممكن لديكم"(متى١٧/٢٠).

و لكن ما ذكره كامل سعفان ينقضه ما جاء في سفر أعمال الرسل في أن بولس و برنابا صنعا عجائب في رحلتهما إلى أيقونية(انظر أعمال ١٤/٣).

كما شفى بولس الرجل الذي ولد مقعداً في مدينة ليكأونية(انظر أعمال ١٤/٨-١٠).

و كذلك أحيا أفتيخوس بعدما مات و سقط من الطابق الثالث و هو يستمع لخطبة بولس(انظر أعمال ٢٠/٩-١٢).

و يغرب الخولي و هو يشكك في إمكانية حصول معجزة المقعد، و يرى أن ما فعله بولس كان تأثيراً نفسياً على مريض ارتبط مرضه بالخوف أو الوهم[1].

لكن محمد وصفي و الفرت يريان في بولس و عجائبه ما حذر منه المسيح حين قال:"انظروا لا يضلكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح، ويضلون كثيرين...و يقوم أنبياء كذبة كثيرون و يضلون كثيرين...

سيقوم مسحاء كذبة و أنبياء كذبة، و يعطون آيات عظيمة و عجائب، يضلون لو أمكن المختارين أيضاً"(متى٢٤/٤-٢٥).

و قد حذر المسيح من خداع هؤلاء الكذبة للعوام بما يزعمونه من معجزات،وبين المسيح كيفية معرفة هؤلاء الكذبة حين قال:" ليس كل من يقول لي :يا رب، يا رب يدخل ملكوت السماوات،بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات.

كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم:يا رب،يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ؟ وباسمك أخرجنا شياطين ؟وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟فحينئذ أصرح لهم:إني لم أعرفكم قط .اذهبوا عني يا فاعلي الإثم .

احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتون بثياب الحملان...من ثمارهم تعرفونهم"(متى٧/٥-٢٣).

و يقول يوحنا محذراً منهم:"قد صار الآن أضداد المسيح، منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا...من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح، هذا هو ضد المسيح...احذروا الذين يضلونكم"(يوحنا(١)٢/٢٢).

و قد حذر بطرس أيضاً فقال:"كان أيضاً في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة، الذين يدسون بدع هلاك..."(بطرس(٢)٢/١-٣)[2].

---

(١) انظر: المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،ص ١٠٨، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٨١، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٤٦-٤٧، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٥٨-٥٩.

(٢) انظر:قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة،محمد أبو الغيط الفرت،ص ٣٦-٤٠، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٤٩-٥١،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ١٥٢ .

و قد كانت ثمار بولس بدع الهلاك التي أدخلها في المسيحية:ألوهية المسيح، الصلب و الفـــداء، عالمية النصرانية، إلغاء الشريعة .

فكان بولس "الصغير"هو الذي أخبر عنه المسيح في قوله:"الحق أقول لكـــم :إلى أن تـــزول الســـماء والأرض لا يزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هـــذه الوصايـــا الصغـــرى وعلم الناس هكذا يدعى: أصغر في ملكوت السماوات"(متى ٥/١٧-١٩)،و قد دعـــي بولـــس في الدنيـــا بالصغير، و لسوف يدعى في الآخرة أصغر جزاء تبديله للناموس و الوصايا.

بولس و العقائد النصرانية.

تقوم النصرانية المحرفة و عمادها الرئيس رسائل بولس ،فقد كانت رسائله أول ما خط من سطور العهد الجديد الذي جاء متناسقاً إلى حد ما مع رسائل بولس لا سيما إنجيل يوحنا، فيما رفضت الكنيسة النصرانية تلك الرسائل التي تتعارض مع نصرانية بولس التي طغت على النصرانية الأصلية التي نادى بها المسيح و تلاميذه من بعده.

و هذا الأثر الذي تركه بولس في النصرانية لا يغفل و لا ينكر، مما حد بالكاتب مايكل هارت في كتابه"الخالدون المائة" أن يجعل بولس أحد أهم رجال التاريخ أثراً إذ وضعه في المرتبة السادسة بينما كان المسيح في المرتبة الثالثة.

و قد برر هارت وجود النبي صلى الله عليه و سلم في المرتبة الأولى، و تقدمه على المسيح الذي يعد المنتسبون لدينه الأكثر على وجه الأرض، فقال:"فالمسيحية لم يؤسسها شخص واحد، و إنما أقامها اثنان: المسيح عليه السلام و القديس بولس، و لذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذان الرجلان.

فالمسيح عليه السلام قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، و كذلك نظراتها الروحية و كل ما يتعلق بالسلوك الإنساني.

وأما مبادئ اللاهوت فهي من صنع القديس بولس"،ويقول هارت:"المسيح لم يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح".وينبه هارت إلى أن بولس لم يستخدم لقب "ابن الإنسان"الذي كان كثيراً ما يطلقه المسيح على نفسه.

وقد خلت قائمة مايكل هارت من تلاميذ المسيح الذين غلبتهم دعوة بولس مؤسس المسيحية الحقيقي، بينما كان الامبرطور قسطنطين صاحب مجمع نيقية(٣٢٥م) في المرتبة الثامنة و العشرين[1].

و قد تعرض علماؤنا بالذكر للعديد من البدع التي أحدثها بولس في عقائد النصرانية و شرائعها، وبينوا اعتماداً على كتب العهد الجديد براءة المسيح من هذه البدع.

بولس و ألوهية المسيح.

و إذا خلت الأناجيل-سوى ما قد يقال عن إنجيل يوحنا- من تقرير عقيدة ألوهية المسيح فإن رسائل بولس تمتلئ بالغلو في المسيح، و النصوص التي تعتبر المسيح كائنا فريداً عن البشر.

فماذا في أقوال بولس عن المسيح؟ و هل يعتبره رسولاً أم إلهاً متجسداً أم ...

---

(١) انظر: الميزان في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٤١٢-٤١٦، المسيح في الإسلام، أحمد ديدات ٥٨،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ١٤٢-١٤٣،تعدد نساء الأنبياء،ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ١٩٦-١٩٧،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٢-٤٣، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢/٢٧٥-٢٨٠.

عند التأمل في رسائل بولس نجد إجابة متناقضة بين رسالة و أخرى، إذ ثمة نصوص تصرح ببشرية المسيح، و ثمة أخرى تقول بألوهيته فهل هذا التناقض يرجع إلى تلون بولس حسب حالة مدعويه أم أنه متوافق مع تطوير بولس لمعتقده في المسيح أم يرجع التناقض إلى ما تعرضت له الرسائل من تغير وتبديل...هذا كله يبقى محتملاً من غير ترجيح.

فمن النصوص التي تحدثت عن المسيح كعبد من البشر يتميز عنهم بمحبة الله له و اصطفائه قول بولس:"يوجد إله واحد، و وسيط واحد بين الله و الناس: الإنسان يسوع المسيح" (تيموثاوس (١)٢/٥)، ومثله يقول معترفاً بوحدانية رب الأرباب "أن تحفظ الوصية بلا دنس و لا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح، الذي سيبينه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد، ملك الملوك، و رب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت..."(تيموثاوس(١)٦/١٤-١٦) فالمسيح رب لكن الله وحده رب الأرباب.

و المسيح بشر متميز بتقديم الله له يقول عنه بولس "مدعو من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق" (عبرانيين ٥/١٠)، و هو "الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد و دموع طلبات، و تضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، و سمع له من أجل تقواه" (عبرانيين ٥/٧).

و يقارن بولس بين منزلته و منزلة مخلوقات مثله يفضلها عليه تارة ،و يفضله عليها أخرى فيقول:"لكن الذي وضع قليلاً عن الملائكة :يسوع نراه مكللاً بالمجد و الكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد"(عبرانيين ٢/٩).

و في مواضع آخر يقارن بينه و بين موسى فيقول:"لا حظوا رسول اعترافنا و رئيس كهنته المسيح يسوع حال كونه أميناً للذي أقامه كما كان موسى... موسى كان في كل بيته كخادم...، و أما المسيح فكابن على بيته، و بيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء..." (عبرانين٣/١-٦).

فهذه النصوص و غيرها تحدث بها بولس عن المسيح كبشر متميز بمحبة الله له و اختياره ليكون وسيلة في إبلاغ وحيه.

لكن لبولس نصوص أخرى تبالغ في وصف المسيح حتى تكاد تجعله ابناً حقيقياً لله لكثرة ما فيها من الغلو والتأكيد على خصوصية المسيح مما يفهم منه أن البنوة هنا تختلف عن سائر ما ورد في الكتاب المقدس، ويتضح ذلك من مواضع أخرى يعتبره فيها صورة لله، أو الجسد الذي تجسد فيه الإله.

يقول بولس" فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة"(رومية ٨/٣)، ويقول:"الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله..."(رومية ٨/٣٢)، و يقول"أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة (غلاطية ٤/٤)، ويفهم من النص بنوة حقيقية يراها بولس للمسيح ، وإلا فجميع المؤمنين أبناء الله (على المجاز) مولودون من جنس النساء ، ويقول :"الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع و طرقٍ كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه" (عبرانيين ١/١-٤).فهو كما يرى بولس نوع مختلف عما سبق من الأنبياء السلبقين، والذين هم جميعاً أبناء الله بالمعنى الكتابي المجازي للكلمة.

و يقول بولس عن المسيح" هو صورة الله الغير المنظور، بكر كل خليقة" (كولوسي ١/١٥)، ويقول"إذ كان في صورة الله لن يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبده،

صائراً في شبه الناس"(فيلبي٢/٦-٧)، و يقول جاعلاً المسيح هو الله:"عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد"(تيموثاوس(١)٣/١٦)، ويقول"أظهر كلمته في أوقاتها الخاصة بالكرازة التي أؤتمنت أنا عليها بحسب أمر مخلصنا :الله" (تيطس ١/٣)[١].

و تحدث علماؤنا أيضاً عن البيئة التي جعلت بولس يندفع للقول بألوهية المسيح، و تحدثوا عن المصادر التي استقى منها بولس هذه العقيدة.

أما البيئة التي بشر بها بولس فقد كانت بيئةً مليئة بالخرافات التي تنتشر بين البسطاء و السذج الذين هم غالب أفراد مجتمع ذلك الزمان، يضاف إليه أن تلك المجتمعات وثنية تؤمن بتعدد الآلهة و تجسدها و موتها، ففي رحلة بولس و برنابا إلى"لستر" صنعا بعض الأعاجيب "فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا أصواتهم بلغة ليكاونية قائلين: إن الآلهة تشبهوا بالناس، و نزلوا إلينا، فكانوا يدعون برنابا: زفس .وبولس: هرمس"(أعمال ١٤/١١-١٢)، و زفس و هرمس كما أوضح محررو قاموس الكتاب المقدس :اسمان لإلهين من آلهة الرومان: أولهما: كبير الآلهة. و الثاني: إله الفصاحة.

و هكذا رأى هؤلاء البسطاء الوثنيون في بولس و برنابا إلهين بمجرد أن فعلا بعض الأعاجيب،بل ويحكي سفر الأعمال أيضاً أن الكهنة قربوا إليهما الذبائح،وهموا بذبحها لولا إنكار بولس وبرنابا عليهم. (انظر أعمال ١٤/١٣-١٨) .

فماذا يكون قول هؤلاء في الذي كان يحيي الموتى، و أشيع أنه قام من الموتى و أتى بالأعاجيب والمعجزات[٢].

و فكرة تجسد الآلهة مقبولة عند الوثنين الذين حددوا مواسم و أعياد معروفة لولادة الآلهة المتجسدة وموتها، و بعثتها، لذلك فإن بولس أنزل الإله للأرض ليراه الرومان.

و يرى حسني الأطير أن الذي دفع بولس لإظهار ألوهية المسيح هو الامبراطور الروماني طيباروس قيصر (٣٧م).

و يستدل لذلك بما أورده المؤرخ أوسابيوس القيصري (٣٤٠م)، عن طيباروس حيث بلغته أخبار المسيح، فأراد إضافته إلى الآلهة، و لكن و حسب المتبع لا بد أن يحال الأمر إلى مجلس الأعيان للمصادقة عليه، إذ لا يجوز للامبراطور أن يضيف إلهاً إلا بواسطتهم لكن المجلس رفض ذلك، و بقي طيباروس متمسكاً برأيه.

و يوافق أوسابيوس بذلك ما جاء عن المؤرخ ترتليانوس (ق٣م) إذ يقول :"و طيباروس نفسه لو

---

(١) انظر:الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل ص ٨٩-٩٩، أقانيم النصارى، أحمد السقا،ص ١٣٤-١٣٦، محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ١٠٥-١٠٦، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) انظر: أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٩٠-٩١، ١٣٤-١٣٥،المسيح إنسان أم إله ؟محمد مجدي مرجان،ص ١٧٠-١٧٢، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٨٥-٤٨٧، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٦،النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٣٧، قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٢٦، ٩٩٩.

أمكن أن يكون قيصراً و مسيحياً معاً لكان آمن به".

و يرى الأطير أن بولس ربما كان أحد أهم أدوات اتخذها الامبرطور لنشر فكرته الجديدة عن المسيح كإله، و بقي هذا الوضع قائماً بعد طيباروس حتى تولى القيصرية نيرون، فكان -كما يقول أوسابيوس- "أول امبراطور أعلن العداء للديانة الإلهية"[1]

و أما استخدام مصطلح "ابن الله" من قبل بولس فيراه شارل جنيبر غير كاف للحكم بأنه أراد الألهية منه ،فقد"بدا تصور بولس له مشوباً بالكثير من التردد و النقص بحيث لم يقدر له مقاومة الزمن ،واتجهت تقوى المؤمنين في قوة- دونما إدراك للعقبات -إلى تنشيط الإيمان بالوحدة بين السيد والله".

وفسر شارل جنيبر ذلك بأن لفظ البنوة معروف في الفكر اليهودي، و قد أطلق على كثيرين أنهم أبناء الله، لكن ظهر للكلمة مفهوم البنوة الحقيقية في مرابع الفكر اليوناني في طرسوس التي كانت مركزاً للثقافات المختلفة، و منها نقل بولس كثيراً مما أدخله في النصرانية كما سنبين تفصيله في بابه.

و انضاف إلى ذلك ظروف الترجمة إلى اللغة اليونانية فيذكر غراج أن مصطلح البنوة يعني بالآرامية:"الحب الشديد. و هو أمر لا يخص المسيح"، و يتحدث شارل جنيبر عن تطور الكلمة العبرية"عبد" حيث كثيراً ما تترجم بكلمة "خادم" و "طفل" في اللغة اليونانية."و تطور كلمة "طفل" إلى كلمة"ابن" ليس بالأمر العسير".

ويشكل هنا حديث جنيبر عن اللغة العبرية في حين أن اليهود في عهد المسيح كانوا يتكلمون الآرامية. ولإزالة الإشكال ننقل ما جاء في قاموس الكتاب المقدس حيث يقول عن اللغة العبرانية:"فقدت اللغة نقاوتها ،وأضيفت إليها تعابير آرامية حتى قامت في العبرية لهجة عامية..وكانت تلك العامية تخضع للآرامية خضوعاً مباشراً ".[2]

و يحاول النصارى تأصيل فكرة ألوهية المسيح و ردها إلى المسيح و تلاميذه مستدلين بما جاء في متى ١٦/١٦، و الذي يقضي بأن بطرس أول من قال بتأليه المسيح، و لم ينكر عليه المسيح إذ لما سألهم المسيح" أنتم من تقولون إني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس و قال :أنت هو المسيح ابن الله الحي.فأجاب يسوع:طوبى لك يا سمعان بن يونا..."(متى ١٦/١٥-١٦).

لكن الأطير يعتبر ما جاء في متى محرفاً بدلالة ما جاء في وصف الحدث نفسه، ففي مرقس"فأجاب بطرس، و قال له: أنت المسيح"(مرقس ٨/٢٩)و لم يذكر البنوة، و في لوقا:"فأجاب بطرس، و قال مسيح الله"(لوقا ٩/٢٠).و بذلك يكون متى قد خالف مرقس و هو ينقل عنه كما سيتبين لنا تفصيله.

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٢٤-٢٢٧، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٤.

(٢) انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٢٧، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام،أميمة الشاهين،ص ٢٣٢-٢٣٣، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٨٣-٢٨٤، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٤، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٤٠،قاموس الكتاب المقدس،ص ٥٩٨ .

و لا يمكن قبول ما جاء في متى لفقد أصله العبراني فلا نعلم مدى الدقة التي التزمها المترجم في ترجمة العبارة [1].

بولس و عالمية النصرانية.

و مما أضافه بولس إلى النصرانية أن جعلها رسالة عالمية، بينما قام المسيح بدعوة اليهود فقط، وأوصى تلاميذه بذلك في نصوص كثيرة منها ما جاء في(متى١٩/٢٧-٣٠، و متى١٥/٢٤، و متى ١٠/٥-٦، لوقا ١/٣١-٣٣، يوحنا ١/١١)،و لم يرد عن المسيح ما يفيد عالمية دعوته سوى ما جاء في خاتمة متى، وقد سبق بيانه.

يقول دين انج عن رسالة المسيح:"عيسى كان نبياً لمعاصريه من اليهود، و لم يحاول قط أن ينشيء فرعاً خاصاً من بين هؤلاء المعاصرين، أو ينشئ له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم"[2].

أما النصوص التي أوردها بولس في عالمية النصرانية فلا تستغرب كثرتها ممن جعل نفسه رسولاً للأمم و منها قوله" أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم" (أفسس٣/٨)، و يقول"لأننا جميعاً بروح جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، و جميعنا سقينا روحاً واحداً" (كورنثوس(١)١٢/١٣)"كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح، ليس يهودي و لا يوناني، ليس عبد و لا حر، ليس ذكر و أنثى، لأنكم جميعكم واحد في المسيح يسوع" (غلاطية ٣/٢٧-٢٨)، ويقول عن المسيح " لأجل اسمه قبلنا نعمة و رسالة، لإطاعة الإيمان في جميع الأمم"(رومية ١/٥)ويقول:"إيمانكم ينادى به في كل العالم" (رومية ١/٨)، و غير ذلك كثير.

و قد أشار وليم باتون في كتابه"أديان العالم الكبرى" إلى دور بولس في عالمية النصرانية فقال:" لم يفقه التلاميذ الأولون أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت، و لكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت إلى تضاعف الرسالة من هذه الناحية، و عرف أنها لليهودي و الأممي و البربري و اليوناني الذكر والأنثى على السواء".

و قد كان موقف التلاميذ من دعوة العالمية التي نادى بولس واضحاً إذ لم تذكر الأسفار أن أحداً من أحداً من الاثني عشر خرج من أورشليم للدعوة خارج نطاق اليهودية.

و أما ما تناقله المؤرخون عن رحلة إلى روما قام بها بطرس فهذا ما يشكك به الأطير رغم وروده عن عدد من مؤرخي القرن الأول و الثاني، و يستدل لرأيه بعدم ورود قصة سفره في العهد الجديد رغم الحديث عن رحلات مرقس و برنابا و بولس، كما أن الاتفاق الذي أجراه بولس مع بطرس في مجمع أورشليم يجعل روما في نطاق دعوة بولس المفرز لدعوة الأمم، و أيضاً خلت رسالة بولس إلى أهل رومية من أي ذكر أو

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٠٤-٢٠٦ .

(٢) انظر: الإسلام والنصرانية،محمد عزت الطهطاوي،ص٢٩٣-٢٩٦، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس،محمد عبد الحليم أبو السعد،ص ٣٨٧-٣٨٩.

تعقيب على دعوة بطرس في روما مما يدل على عدم صحة هذا الزعم.

و أما ما قيل عن دعوة بطرس كرنيليوس الرومي فلا يدل على أن هذا كان اتجاهاً لبطرس، إذ أن كرنيليوس هو الذي استدعى بطرس و طلب إليه أن يبين له مرامي دعوته،لذا لما لامه التلاميذ على دعوته احتج بأن روح القدس حل على كرنيليوس قبل قبولهم له (انظر أعمال ١٠/١٩-١١/ ١٨)[١].

و قد ألحق بولس تبعاً لهذه النقلة محدثات أخر تجعل من النصرانية ديناً يلائم الوثنيين المتنصرين كإباحة ترك الختان (انظر غلاطية ٦/١٣، و انظر رومية ٢/٢٥-٢٨، كورنثوس(١)٧/١٩).وقال أيضاً بضعف الشريعة و الغناء عنها (انظر عبرانيين ٨/٧-١٣) و قال بأن الناموس والشريعة لعنة افتدى المسيح البشرية منها (انظر غلاطية ٣/١٣، أفسس٢/١٥)، بولس هو القائل بعقيدة الفداء كما سيأتي بيانه.

كما نبع القول بألوهية المسيح و تجسد الله مراعاة لذات السبب و هو تقريب النصرانية من وثنية الرومان.

بولس والتثليث

دأب الكثير من علمائنا على اتهام بولس بوضع التثليث في النصرانية من غير أن يقدموا على ذلك بدليل من أقوال بولس ،مكتفين بما عرف عن دور بولس في صياغة سائر المعتقدات النصرانية،وهذا الاتهام لاأراه محقاً إذ خلت رسائل بولس من تأليه الروح القدس كما خلت من ذكر عناصر التثليث مجتمعة إلا في نص واحد لايفهم منه خالي الذهن ما يعتقده النصارى من التثليث،وقد جاء ذلك في قوله"نعمة ربنا يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم"(كورنثوس(٢)١٣/١٤).

فليس في النص ما يفيد ألوهية الروح القدس، ومما يؤكد غفلة بولس عن التثليث التأمل في ترتيب عناصر التثليث المذكورين في النص ،إذ يقدم المسيح على الأب،وهو ما تعتبره الفق النصرانية هرطقة،ويضاف إلى ذلك أنه سمى الأقنوم الأول :الله. فيما تسميه صيغة التثليث :الآب.كما سمى الأقنوم الثاني : المسيح.فيما هو عندهم : الابن.

والصحيح أن التثليث لا علاقة له ببولس ،فقد كان ظهوره في مرحلة متأخرة جداً عن بولس،وأول من ذكره هو ترتليان(٢٠٠م)،وأصبح عقيدة رسمية عام ٣٨١م في مجمع القسطنطينية ،و لم يرد له ذكر حتى في قرارات مجمع نيقية(٣٢٥م).[٢]

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٣٠-٢٣٢، المسيحية،أحمد شلبي،ص ٦٤-١٠٣،الإسلام والنصرانية،محمد عزت الطهطاوي،ص٢٩٩-٣٠٠ .

(٢)انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٧٣،اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٠٨،المسيح في الإنجيل بشر،ممدوح حماد،ص ١٠٨-١٠٩،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٠٤-١٠٥.

موقف التلاميذ من بولس.

و إذا كان بولس قد أنشأ البدع في النصرانية، و بدل دين المسيح كيفما شاء، فما هو موقف التلاميذ منه، و هل شاركوه التغير و التبديل؟ و بداية نذكر بأن بولس لم يتلق شيئاً عن النصرانية من المسيح أو تلاميذه فهو لم يصحبهم بل لم ير منهم سوى بطرس و يعقوب و لمدة خمسة عشر يوماً ،و ذلك بعد ثلاث سنين من تنصره، ثم عاد مرة أخرى أورشليم، و عرض عليهم ما كان يدعو به بعيداً عنهم يقول بولس:"ثم بعد أربع عشر سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا...و إنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم"(غلاطية ٢/١-٢)فماذا كان ردة فعل التلاميذ؟

يقول بولس:"فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء بالعكس إذ رأوا أني اؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان..أعطوني برنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، و أما هم للختان..و هذا عينه ما كنت اعتنيت أن أفعله" (غلاطية ٢/٧-١٠).

إذا كان ما يقوله بولس صحيحاً فإن التلاميذ أبعدوا بولس بعيداً عن اليهود الذين بعث إليهم المسيح و أوصى تلاميذه مرة بعد مرة أن يقوموا بدعوتهم، و أما إرسال برنابا معه فيبدوا أنه للتوجيه و الإصلاح لبولس و هو يقوم بدعوة الوثنيين الغلف في الغرب.

ثم يسجل بولس في رسائله آراء تلاميذ المسيح في مبادئه الجديدة و دعوته فيقول:جميع الذين في آسيا ارتدوا عني"(تيموثاوس(٢)١/١٥)، و قد انفض عنه الجميع ،لذا يستنجد بتيموثاوس فيقول:"بادر أن تجيء إلي سريعاً، لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر، و ذهب إلى تسالونيكي...لوقا وحده معي، اسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة، ليجازه الرب حسب أعماله، فاحتفظ منه أنت أيضاً، لأنه قاوم أقوالنا جداً، في اجتماعي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني"(تيموثاوس(٢) ٤/٩-١٦)"لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء و الأخذ"(فيلبي٤/١٥).

و يحذر بولس أنصاره من التلاميذ فيقول:"كونوا متمثلين بي،...لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، و الآن أذكرهم أيضاً باكياً و هم أعداء صلب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطونهم، و مجدهم في خزيهم..."(فيلبي٣/١٧-١٩).

و في أنحاء متفرقة من رسائله يتحدث عن أولئك الرافضين لدعوتهم من غير أن يسميهم فيقول في بعض ما تمتلئ به رسائله موصياً تيموثاوس"طلبت إليك أن تمكث في أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية، لكي توصي قوماً أن لا يعلموا تعليماً آخر، و لا يصغوا إلى خرافات و أنساب لا حد لها، تسبب مباحث دون بنيان الله في الإيمان"(تيموثاوس(١) ١/٣-٥)و يقول:"إن أحد يعلم تعليماً آخر، لا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة، و التعليم الذي هو حسب التقوى فقد تصلف، و هو لا يفهم شيئاً، بل هو متعلل بمباحثات و ممحاكات الكلام التي منها يحصل الحسد والخصام و الافتراء و الظنون المروجة، و منازعات أناس فاسدي الذهن عادمي الحق، يظنون أن التقوى تجارة تجذب مثل هؤلاء"(تيموثاوس(١) ٦/٣-٥)،"انظروا الكلاب...انظروا فعلة الشر..."(فيلبي٣/١٢).

و على هذا المنوال تمتلئ رسائله بالهجوم على معارضيه النصارى فيتهمهم بسائر أنواع التهم من كفر

ونفاق و ...(انظر كولوسي ٤/١٠-١١، فيلبي٢/١٩-٣١، تيطس ١/٩-١١، تيموثاوس (١) ١/٣-٧، ٦/٢٠-٣٤، ٢/٢٣، ..).

و يقول عن التلاميذ:"لكن بسبب الإخوة الكذبة، المدخلين خفية، الذين دخلوا اختلاساً ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا، الذين لم نذعن لهم بالخضوع و لا ساعة.."(غلاطية ٢/٤-٥).

و ينال بولس من بعض تلاميذ المسيح الذين يقول عنهم المسيح:"ليس أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم و أقمتكم، لتذهبوا و تأتوا بثمر، و يدوم ثمركم"(يوحنا ١٥/١٦)، و منهم بطرس و برنابا، وقد أثنت الرسائل عليهم مراراً(انظر لوقا ٢٢/٣١-٣٢).

لكن بطرس يتهم بطرس و لوقا بالرياء فيقول:"لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً...، حتى أن برنابا انقاد إلى ريائهم، لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس..."(غلاطية ٢/١١-١٤).

و يقول منذداً و محذراً من أولئك الذين تركوا دعوته"و أما الأقوال الباطلة الدنسة فاجتنبها، الذين ينصرفون إلى أكثر فجور..الذين منهم هيمينايس و فيليتس الذين زاغا عن الحق"(تيموثاوس(٢)٢/١٦)[1].

و أما موقف برنابا من بولس فهو في غاية الأهمية إذ لبرنابا علاقة متميزة ببولس،إذ هو الذي قدمه للتلاميذ المتشككين في توبة شاول الذي اضطهد الكنيسة ثم ادعى النصرانية.(انظر أعمال ٩/ ٢٦)، ثم صحبه ست سنوات في رحلته التبشيرية في قبرص و أنطاكية، ثم اختلفا بعد ذلك، و انفصل كل منهما عن الآخر فما سبب الاختلاف؟

يقول سفر أعمال الرسل:"قال بولس لبرنابا:لنرجع و لنفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم!، فأشار برنابا أن يأخذ معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس، و أما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما...لا يأخذانه معهما، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، و برنابا أخذ مرقس و سافر في بحر قبرس"(أعمال ١٥/ ٣٦-٣٩).

و لكن هل يعقل أن يكون هذا هو السبب في مشاجرة برنابا و بولس؟

يرفض علماؤنا هذا التبرير، و يرون أن الأمر أكبر من ذلك ،فهو كما يقول برنابا يعود إلى ضلالات بولس التي ينشرها في تبشيره فقد جاء في مقدمة إنجيله:"كانوا عديمي التقوى و الإيمان الذين قلوا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر، داعين المسيح ابن الله ،و رافضين الختان الذي أمر به الله، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم بولس"(برنابا مقدمة/٢-٧)[2].

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢١١-٢٢٠، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٦٦، ١٧٣، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حماد،ص ١١٢-١١٣، ١٢٧، ١٢٩، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢/٢٠٤-٢٠٥، ٢١٦، ٢١٨، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٠١، ١٠٤-١٠٨، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٦-٥٧، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٩٩-٣٠٢.

(٢) انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٢٩٨، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد

و يرفض العثماني ما جاء في أعمال الرسل في تحرير سبب الخصام بين برنابا و بولس، و يرى أنه محاولة لإخفاء السبب الحقيقي، و هو الذي ذكره برنابا في إنجيله، و يستدل لرأيه بأمور:

-أن الكلمات التي دلت على الخلاف و كشفته في أعمال الرسل كلمات قاسية و عنيفة ،و يصفها جامس روزن بأنها لاذعة حادة.

فقد استعمل لوقا كلمة يونانية قاسية لم تستعمل في كتب العهد الجديد ثانية إلا في سفر الرؤيا(١٤/٦)، و لم أجد في أعمال الرسل أو الرؤيا تلك الكلمة القاسية و اللاذعة، فلعل ذلك في الأصل اليوناني، و قد خففت من شأنه الترجمة العربية.

-لا يعقل أن ينفصل الصديقان و يتشاجران بسبب اختلافهما فيمن يرافقهما، ثم إن بولس رضي فيما بعد برفقة يوحنا فقد أرسل إلى تيموثاوس يقول له:"خذ مرقس، و أحضره معك، لأنه نافع لي للخدمة"(تيموثاوس(٢) ٣/١٠).

و هو يوصي أخيراً فيقول :"يسلم عليكم استرخس المأسور معي، و مرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا، و إن أتى إليكم فاقبلوه"(كولوسي ٣/١٠)، و رغم تراجع بولس لم نسمع بتاتاً عن تحسن العلاقة بين بولس و برنابا.

و يرى العثماني أن الخلاف بينهما كان بخصوص مسائل فكرية منها دعوة الأمميين للنصرانية ،ثم اتخاذ قرار مجمع أورشليم بجواز ترك الختان ذريعة لجواز ترك الشريعة بكاملها، و قد اعترف القس يترسن سمث بأن الخلاف بين الرجلين كان خلافاً فكرياً[1].

إذن نستطيع القول بأن تلاميذ المسيح قد عارضوا دعوة بولس وقفوا في وجهها، و دليل ذلك اختفاء ذكرهم عن عالم المسيحية بعد ظهور بولس، فقد اختفت كتاباتهم و حوربت، و لم ينج منها إلا إنجيل برنابا ورسالة يعقوب المضمنة في رسائل العهد الجديد و التي تمتلئ بمخالفة بولس و خاصة في مسألة الفداء[2].

كما اختفى ذكر الحواريين و التلاميذ من أعمال الرسل إلا قليلاً، فلا نكاد نعرف شيئاً عن هؤلاء الذين أرسلهم المسيح و عن دعوتهم سوى ما نقل إلينا لوقا عن مقاومة أهل أنطاكية لتبشير بطرس المخالف لبولس، و عن رحلة برنابا مع بولس، ثم اختفاء ذكرهما من رسائل العهد الجديد بعد مشاجرتهما مع بولس، و هكذا فالعهد الجديد وضعه بولس و تلاميذه، و أبعدوا عنه كل ما يعترض نهجه و أفكاره.

و أما تلك الرسائل المنسوبة للتلاميذ كرسائل يهوذا فإنها منسوبة إليهم و لا تصح نسبتها، و هي لا

عبد الوهاب،ص ٥٦-٥٧، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،ص ٩٤-٩٥.

(١) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٧٦-١٨٤، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،ص ٥٧-٦٠.

(٢) انظر: المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٠٩-١١١.

تخرج عن مدرسة بولس و صناعتها و مبادئها[1].

و يشكل هنا ما جاء في رسالة بطرس من ثناء على بولس فقد قال عنه:"كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له"(بطرس (٢) ٣/١٥)فها هنا وصية بطرس بمبادئ بولس و ثناء عليه.

لكن هذا الإشكال يزول إذ قرأنا تشكك المحققين في صحة نسبة الرسالتين الأولى و الثانية إلى بطرس بالنظر في محتوياتها التي تسجل أموراً تتعلق بأحداث حصلت بعد وفاة بطرس، و قد جعل العلماء ما جاء فيها من ثناء على بولس دليلاً على عدم أصالتها إضافة إلى غرابة إسلوبها و فكرتها عن الرسالة الأولى و سائر رسائل العهد الجديد.

كما يلفت العثماني النظر إلى تأخر الاعتراف بهذه الرسالة إلى القرن الثالث حيث اعترف بها في الاسكندرية، و لم تقبل في روما إلا في القرن الرابع فيما قبلتها كنيسة سوريا في القرن السادس، و قد اعترف أوريجن بوقوع النزاع في صحتها،و هو أول من اعتبرها من تأليف بطرس.

و يتساءل ممدوح جاد كيف عرف بطرس بما في رسائل بولس التي كان يرسلها إلى المدن المختلفة ولما يلتق بولس سوى مرة واحدة (و الصحيح أنها مرتين)[2].

---

(١) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٢١٠-٢١٧، ١٩٨-٢٠٠، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،ص ٨١-٨٢.

(٢) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٢٠٧-٢١٠، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٣٨.

المطلب الثاني:الوثنيات القديمة

تكاملت عقائد النصارى في القرن الرابع الميلادي بتأليه المسيح ثم روح القدس و إقرار الكتاب المقدس، و نشأت مسيحية جديدة صنعها بولس و من بعده، فمن أين استقى هؤلاء معتقداتهم الجديدة؟

في الإجابة عن هذا السؤال نستعرض بعضاً من آثار الديانات السابقة للمسيحية، و نقف فيها على تشابه كبير بين هذه الوثنيات و الوثنية المسيحية ،و هذا التشابه طال الأصول و الفروع، و منه نعرف الأصل و المصدر الذي نقلت عنه المسيحية.

تجسد الإله في الوثنيات القديمة

فالقول بإله متجسد يمثل الأقنوم الثاني، و أنه تجسد من أجل خطايا العالمين قول قديم و معروف في كافة الوثنيات البدائية، ومنها وثنيات الهنود حيث يقول المؤلف ألن في كتابه"الهند":"أما كرشنا فهو أعظم من كافة الآلهة التي تجسدت، و يمتاز عنها كثيراً، لأنه لم يكن في أولئك إلا جزء قليل من الألوهية، أما هو (كرشنا)فإنه الإله فشنو ظهر بالناسوت".

و جاء في كتاب"بهاكافات بورون"الهندي أن كرشنا قال:"سأتجسد في متوار بيت يادوا، و أخرج من رحم ديفاكي، أولد و أموت، قد حان الوقت لإظهار قوتي، و تخليص الأرض من حملها".و كذلك فإن الهندوس اعتبروا أوتار تجسداً إلهياً يجعله أهلاً للعبادة ،و هكذا نستطيع القول بأن القول بإله متجسد أمر أطبقت عليه الوثنيات القديمة السابقة للمسيح

أما بوذا فيقول عنه المؤرخ دوان:"الإله بوذا المولود من العذراء مايا الذي يعبده بوذيو الهند و غيرهم و يقولون عنه:إنه ترك الفردوس، و نزل و ظهر بالناسوت رحمة بالناس كي ينقذهم من الآثام،و يرشدهم صراطاً مستقيماً".

و يذكر دوان أن الأوربيين اندهشوا عندما ذهبوا إلى رأس كومورين جنوب الهند من رؤية السكان يعبدون إلهاً مخلصاً يدعونه سليفاهانا المولود من عذراء.

و من البشر الذين قيل بتجسدهم فوهي في الصين، و كذا وستين نونك وهوانكتي و غيرهم، و أما الإله برومسيوس فقد قيل عنه:كان إنساناً حقيقياً و إلهاً حقيقياً. (١)

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ٤٧-٥٦، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤١٣-٤١٤، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ١٠٢، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢١٢،المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٧.

التجسد من أجل الخلاص والغفران

و كذا يذكر النصارى في الهدف و الغرض من التجسد ما تذكره الوثنيات القديمة فالنصارى يقولون إن التجسد كان ليموت المسيح و يفدي خطايا البشرية و مثله ينقل العلامة هوك فيقول:"يعتقد الهنود بتجسد أحد الآلهة و تقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة"، و ينقل قريباً منه عن بوذا الذي يقول عنه المؤرخ وليمس في كتابه "ديانة الهنود":"و من رحمته (أي بوذا) تركه للفردوس و مجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان و شقائهم كي يبرأهم من ذنوبهم، و يزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه".

و ينقل دوان تسمية الهنود لبوخص ابن المشتري بفادي الأمم، و مثله قيل في هيركلوس و مترا فلدي الفرس، و باكوب إله المكسيكيين المصلوب و سواهم من البشر الذين اعتقد أتباعهم أنهم آلهة تجسدت لمغفرة الخطايا[1].

المتجسد والخالقية

و كما اعتقد النصارى بأن المسيح الابن هو الخالق كانت الوثنيات قد اعتقدت من قبل في آلهتها المتجسدة فقد جاء في كتب الهنود"كرشنا ابن الإله من العذراء ديفاكي، و هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، خلق السماوات و الأرض بما فيها، و هو عندهم الأول و الآخر".

و في كتاب "بهكوات جيتا" المقدس أن كرشنا قال لتلميذه أرجون:"أنا رب كل المخلوقات ومبدعها، خلقت الإنسان...فاعرفني أنا المصور و الخالق للإنسان".

و يعتقد الصينيون أن الأب لم يخلق شيئاً، و أن الابن لاتوثو المولود من عذراء خلق كل شيء.

و في صلوات الفرس لادرمزد يقولون:"إلى أدرمزد أقدم صلواتي، فهو خالق كل شيء مما هو كان وما سيكون إلى الأبد، و هو الحكيم القوي خالق السماء و الشمس و القمر و النجوم...".

و مثله يعتقد الآشوريون في الابن البكر"نرودك" و كذا مؤلهو"أدوني"و "لاؤكيون" و غيرهما.

و مثله في التراث المصري القديم أن الإله "أتوم"خلق كل شيء حي بواسطة الكلمة التي خلقت كل قوى الحياة، و كلما يؤكل، و كل ما يحبه أو يكرهه الإنسان.[2]

الأزلية والأبدية

و وصف يوحنا في رؤياه المسيح بأنه الأول و الآخر و الألف و الياء. و هذا وصف يتطابق تماماً مع وصف الوثنيين آلهتهم المتجسدة التي يعتقدون أزليتها و أبديتها، ففي كتاب "كيتا"الهندي أن كرشنا قال:" لم يأت زمان لم أكن فيه موجوداً، أنا صنعت كل شيء، أنا الباقي و الأبدي ،و المبدىء و الكائن قبل كل شيء أنا الحاكم القوي على الكون، أنا الأزل و وسط و آخر كل شيء".

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ٢٩-٣٨،المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٥١،١٥٨، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٩٤-٩٥.

(٢) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١١٩-١٢٠،

و من توسلات أرجون لكرشنا:"أنت الباقي العظيم، الواجبة معرفتك، أنت القابض على الكائنات... أنت الإله الكائن قبل الآلهة".

و يصفه كتاب "فشنو بوراني":"إنه بغير ابتداء و وسط و انتهاء"، و جاء في كتابات الهنود عن بوذا " هو الألف و الياء، ليس لوجوده ابتداء و لا انتهاء، و هو الرب المالك القادر الأبدي"، و مثله قيل في لاؤكين و لاوتز و ارمزد و زوس المدعو"الألف و الياء" و غيرهم كثير.

و جاء في نقوش على عملة معدنية هندية أثرية عثر عليها مؤخراً :"أنا مرشدكم و حاميكم، أنا الألف و الياء"[1].

تاريخ ميلاد الآلهة والعبادات والطقوس

و كما تشابهت عقائد النصارى الوثنية هنا و هناك تشابهت عباداتها و تواريخها إذ يعتقد الوثنيون على اختلاف في آلهتهم أن آلهتهم المتجسدة و لدت في ٢٥ ديسمبر، منهم الإله مثرا و غيره.

و هو ما يقوله النصارى الأرثوذكس في تواريخهم أيضاً، و قد جرى تحديده بهذا اليوم الموافق لأعياد الوثنين عام ٥٣٠م على يد الراهب ديونيسيوس اكسيجوس، و أراد منه إبعاد المتنصرين عن احتفالات الوثنيين، و شغلهم باحتفال مسيحي. و هو ما تكرر فعله في عدة أعياد وثنية أخرى استعار النصارى منها التواريخ والطقوس...".

وينقل الراهب بيد في كتابه"تاريخ الكنيسة الإنجيلية"خطاباً للبابا جريجوري الأول (٦٠١م)يستشهد فيه بنصيحة المستشار البابوي مليتس الذي كان ينهى عن هدم المعابد الوثنية،ويرى تحويلها من عبادة الشيطان إلى عبادة الإله الحق كي يهجر الشعب خطايا قلبه ،ويسهل عليه غشيان المعاهد التي تعود ارتيادها. وهكذا لايجد المتنصر كبير فرق في المكان والمضمون بين النصرانية وبين ما كان يعتقده من قبل ،ويكون ذلك ادعى في انتشار النصرانية .

كما أن يوم الأحد (يوم الشمس) مقدس عند عدد من الأمم الوثنية أهمها الفرس و فيه يعبدون الشمس في يومها ،و مثله فعلت النصرانية فجعلت هذا اليوم يوم العبادة مخالفة سبت اليهود الذي جاء في الناموس الذي التزمه عيسى عليه السلام[2].

و كذلك الصليب تقدسه النصارى، و أول من نادى بتقديسه قسطنطين، فالصليب في الامبرطورية الرومانية رمز قديم للحياة تلقفه النصارى منهم.

و أيضاً يقدس النصارى السيدة مريم، و يعبدها الكاثوليك تبعاً لصنع الوثنيين في أمهات آلهتهم المتجسدة، فعيد التطهير المسيحي للعذراء في ٢ شباط هو في الأصل عيد جعله المصريون للعذراء نايث، وما

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٢٠-١٢١.

(٢) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٦٧-٧٢، محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ٢٢-٢٣، المسيحية،أحمد شلبي،ص ٨٣، منهجية جمع السنة والأناجيل،عزية طه،ص ٢٢٤-٢٢٥، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٩١-١٩٢.

الصور التي تمتلئ بها الكنائس للعذراء و ابنها إلا تكرار لما في معابد الوثنين لآلهتهم و أمهاتها العذارى.

و ما تسمية مريم بأم الإله و والدته إلا تبع لهذه الوثنيات مما حدا بنسطورس إلى القول في مجمع أفسس بأن لقب "والدة الإله" له مذاق وثني.

و يلحظ القديس أبيفانيوس هذا التشابه بين ما تقوله النصارى في مريم و ما تقدمه لها من ألقاب وأعياد و تراتيل و صور و ما هو معهود في الوثنيات فيعلل و يقول:"إنه لا ريب قد جاءهم وحي منذ القدم عن العذراء و حبلها".

و من هؤلاء الأمهات الأم ديفاكي(أم كرشنا) و العذراء مايا (أم بوذا) و فريجيا (أم أوديـن) و...[1].

ثم إن أهم عبادات النصرانية ما هي في الحقيقة إلا محاكاة لعبادات الوثنيين و طقوسهم، فمعمودية التوبة و طقوس الرش بالماء و التطهير به، و تقديس هذا الماء، و العشاء الرباني، كلها منقولة عن المصريين القدماء كما ذكر ل. ج لافلييه في كتابه "عبادة الآلهة في اسكندرية".

و في مدينة أفلاطون المفترضة تحدث عن ضرورة تنقية الروح بمحاربة اللذات الجسدية و إنكارها كي تسمو الروح و تزكو، و هو ما نجده في تفضيل العزوبة على الزواج في كلام بولس و ظهور الرهبنة بعد ذلك[2].

التثليث في الوثنيات القديمة.

و هذا التشابه بين عموم ما جاء في الوثنيات و النصرانية يمتد إلى لب النصرانية المتمثل بالتثليث، فالقول بإله مثلث يعود إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد قال به البابليون حين قسموا الآلهة إلى ثلاثة مجموعات (إله السماء، إله الأرض، إله البحر).

ثم تبلور التثليث على نحو مااتخذته النصرانية في القرن العاشر قبل الميلاد حين قال الهنود بثالوثهم(براهما-فشنو-سيفا)و هؤلاء الثلاثة هم إله واحد.

جاء في ابتهالات التقي أتنيس"أيها الأرباب الثلاثة. اعلموا أني اعترف بوجود إله واحد، فأخبروني أيكم الإله الحقيقي لأقرب له نذري و صلاتي، فظهرت الآلهة الثلاثة و قالوا له: اعلم يا أيها العابد أنه لا يوجد فرق حقيقي بيننا، و أما ما تراه من ثلاثة فما هو إلا بالشبه أو الشكل، و الكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات".

و قد وجد في آثار الهنود صنم له ثلاثة رءوس على جسد واحد تعبيراً منهم عن الثالوث، و سرت

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ٥٣-٦٢، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١٩٨.

(٢) انظر: منهجية جمع السنة والأناجيل،عزية طه،ص ٢١٨-٢١٩، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٨٧-٢٨٨، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس،محمد عبد الحليم أبو السعد،ص ٨٨.

عقيدة التثليث في الوثنيات القديمة كالمصرية المتمثلة في الثالوث(أوزيريس، ايزيس، حورس)، وكذا عند الفرس(أورمزد، متراس، أهرمان)، و الاسكندنافيين (أووين، تورا، فري) و المكسيكيين (تزكتلبيوكا، اهوتزليبوشتكي، تلاكوكا)، ثم فلاسفة الأغريق الذين كانت وثنية النصارى أشبه بهم من سائر الوثنيات الأخرى، فقالوا بثالوثهم المكون من (الوجود، العلم، الحياة)[1].

عدا ذلك يوجد كثيرون يطول المقام بذكرهم .

و حتى صيغة الأمانة التي انبثق عنها مجمع نيقية هي صيغة منحولة عن الوثنيات السابقة فقد نقل مالفير عن كتب الهنود أنهم يقولون:"نؤمن بسافستري (الشمس)إله ضابط الكل، خالق السماوات و الأرض، و بابنه الوحيد آني(النار)، نور من نور، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، تجسد من فايو(الروح)في بطن مايا العذراء، و نؤمن بفايو الروح المنبثق من الأب و الابن الذي هو الأب، و الابن يسجد له ويمجد"[2].

و تذهب دائرة المعارف البريطانية إلى أن "القالب الفكري لعقيدة التثليث هو يوناني الأصل، وصيغت فيه تعليمات يهودية، فهي من ناحية التركيب مركب عجيب للمسيحيين، لأن التصورات الدينية فيها مأخوذة من الكتاب المقدس، و لكنها مغموسة في فلسفات أجنبية.

و اصطلاحات (الأب و الابن و الروح القدس) تسربت من اليهود، و الاصطلاح الأخير(الروح القدس) لم يستعمله المسيح إلا نادراً".

و يقول ليون جوتيه:"إن المسيحية تشربت كثيراً من الآراء و الأفكار في الفلسفة اليونانية، فاللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذي صبت فيه نظرية أفلاطون الحديثة، و لذا نجد بينهما متشابهات كثيرة".

و قد انتقلت كما يرى الأعظمي فلسفة اليونان عن طريق الاسكندرية حيث ظهر أفلوطين الإسكندري (ت ٢٠٧م) و كان يقول بالثالوث (الله، العقل، الروح)، و لذا كان أساقفتها(الإسكندرية) من أوائل المؤمنين بالتثليث و المدافعين عنه.

و قد اعتبر آخرون أن الوثنيات قد تسربت إلى النصرانية عبر روما، و من هؤلاء ولديورانت حيث يقول:"لما فتحت المسيحية روما انتقل إلى الدين الجديد دماء الدين الوثني القديم:لقب الحبر الأعظم، عبادة الأم العظمى...".

و يؤيد هذا الأستاذ روبرتسون في كتابه"وثنية المسيحيين" و يرى أن هذه المعتقدات وصلت إلى روما

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٣-٢٣، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٤٣-١٤٥، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١١٨-١٢٠، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٢٨،النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٩-٣٠، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٨٧-٢٨٨، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤١١-٤١٥، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٥٨، ١٥٢-١٥٣، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٧٩-٨١.

(٢) انظر: معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٥٢، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام،محمد الغزالي،ط٣،دار الكتب الحديثة،القاهرة،١٣٨٤هـ،ص ٧٠.

من الفرس عام ٧٠ق.م.

و يرى آخرون كما نقل المجذوب و أحمد شلبي أن هذه المعتقدات انتقلت عن طريق الفكر الفرعوني القديم و الذي انتقل إلى النصرانية بسبب ظروف الجوار.

فيما يرى الأطير بأن التسرب لهذه الأفكار كان عن طريق طرسوس و التي كانت مدرسة كبرى للأدب الإغريقي ،ونشأ فيها بولس ،وانعكست تعاليمها فيه .

وقد أغرب السقا حين قال بأن التثليث انتقل لليهود عبر السبي البابلي ،فقد عاد المسبيون من بابل وهم يحملون الفكر التثليثي ،وهذا لايوافق عليه لتطاول البعد بين السبي البابلي(القرن السادس قبل الميلاد)وظهور التثليث بعد الميلاد.[1]

و لما كان تسرب المعتقدات الوثنية إلى النصرانية حقيقة ساطعة كالشمس كان لا بد أن تعترف بها بعض الأقلام الجريئة المنصفة و هو ما تناقله علماؤنا.

فمن هؤلاء المهتدية إلى الإسلام مريم جميلة التي تقول:"لقد تتبعت أصول المسيحية القائمة فوجدتها مطابقة لمعظم الديانات الوثنية القديمة، و لا يكاد يوجد فرق بين هذه الديانات و بين المسيحية سوى فروق شكلية بسيطة في الاسم أو الصورة ".

و يقول أستاذ الحفريات جارسلاف كريني في كتابه "ديانة قدماء المصريين":"إن التثليث دخيل على النصرانية الحقة، و أنه مستورد من الوثنية الفرعونية".

و ينقل شلبي عن العلامة روبرستون في كتابه"وثنية المسيحيين" ، الذي تحدث فيه ملياً عن اقتباس عقائد النصرانية من الوثنيات فيقول:"يسرني أن أسجل أن من بين المسيحيين الذين تعرضوا لكتابي هذا بالنقد و المناقشة لا يوجد واحد عارض الحقائق التي ذكرتها به، تلك التي قادتني إلى أن أقرر أن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية".

و يقول كتاب "أسطورة تجسد الإله" .بمثل ذلك فيقولون:"إن الاعتقاد بأن المسيح هو الله أو هو ابن الله أو تجسد فيه الله ليست سوى خرافة من خرافات الوثنيين و أساطيرهم الأولى"[2].

و كعادة النصارى و ولعهم بغريب النتائج يقول صابر جبرة و هو يقرر التشابه بين تثليث النصرانية وتثليث قدامى المصريين، فيقول:"إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث في

---

(١) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٤٩-٥٠،العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٧٣ ، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٢٢-١٢٣، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٢٩٩، ٤١٤-٤١٥، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٨٢، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٥٠،أقانيم النصارى،أحمد حجازي السقا،ص ٨٧.

(٢) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٦٧،٧٣، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٧٥-٢٧٦، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣٩ المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٥٢، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٩٤،المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٧،عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ١٩-٢٠.

المسيحية"[1] ،المسيحية التي لم يذكر فيها التثليث إلا مرة واحدة و على استحياء في آخر إنجيل متى.

من ذلك كله استدل علماؤنا على أنها منحولة من تلك الديانات الوثنية التي ضلـــت عـــن الفطـــرة ،وابتعدت عن هدي النبوات و عبدت غير الله العظيم.

و صدق الله العظيم و هو يخبرنا عن مصدر الكفر الذي وقع به النصارى فيقول ﴿و قالت اليهود عزيـــر ابن الله و قالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلـــهم الله أنى يؤفكون﴾ [2].

(١) المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٥٠.

(٢) سورة التوبة، من آية: ٣٠.

الفصل الثاني :

الصلب والفداء

بين يدي الفصل :

وكان من أهم المباحث التي جرى فيها النقاش والحوار والمناظرة بين المسلمين والنصارى :

مسألة صلب المسيح ، التي يقررها النصارى، وينكرها المسلمون .

وكانت عقيدة الفداء والخلاص، أهم ما دعت إليه النصرانية ، واعتبرته رسالتها التي تحملها للعـــالم ، وتبشر بها هنا وهناك .

وقد بنت هذه العقيدة المهمة من عقائدها على مسألة الصلب ، حيث اعتبر صلب المســـيح كفـــارة وفداء للخطايا .

لذا اهتم علماؤنا بنقد المسألتين ، فكان هذا الفصل تبياناً لجهود علمائنا في:

أ) إبطال القول بصلب المسيح .وهو المبحث الأول .

ب) إبطال عقيدة الفداء والخلاص.وهو المبحث الثاني .

المبحث الأول : إبطال القول بصلب المسيح

وفيه تمهيد وسبعة مطالب

صلب المسيح عند النصارى :

يعتبر النصارى حادثة صلب المسيح أحد أهم أحداث المعمورة ، حيث صلب السيد المسيح ، وتحمل عن البشر خطيئة أبيهم آدم ، بل وخطاياهم جميعا . وتؤكد الأناجيل - في إصحاحات مطولة - صلب المسيح، ذاكرة الكثير من تفاصيل القبض عليه، ومحاكمته، وصلبه، ثم دفنه، ثم قيامته ، فصعوده إلى السماء .

وهكذا يرى النصارى أيضا أن تجسد الإله في المسيح هذا الحدث العظيم -كان من أجل أن يصلب الإله ، ويصور هذا توما الأكويني فيقول : " توجد أراء مختلفة ، فيزعم البعض أن ابن الله كان سيتجسد حتى لو لم يخطئ آدم ، ويرى البعض خلاف ذلك ، ويبدو من الأصوب الانتماء إلى الرأي الثاني ... الكتاب يقول لنا دائما : إن خطية الإنسان الأول هي الدافع لتجسد ابن الله ، وعليه يظهر أن هذا السر إنما رتبه الله كدواء للخطيئة ؛ بحيث إنه لولا الخطيئة لما كان التجسد "[1]

وهكذا نرى أن أهم عقائد النصرانية — ألا وهي ألوهية المسيح - قامت على فكرة الصلب فداء للخطيئة .

ويصور الكاردينال إلانجليزي (منينغ) أهمية حادثة الصلب في كتابه " كهنوت الأبدية" فيقول: " لا تخفى أهمية هذا البحث الموجب للحيرة ، فإنه إذا لم تكن وفاة المسيح صلبا حقيقية ، فحينئذ يكون بناء عقيدة الكنيسة قد هدم من الأساس ، لأنه إذا لم يمت المسيح على الصليب ، لاتوجد الذبيحة ، ولا النجاة ، ولا التثليث .. فبولس والحواريون وجميع الكنائس كلهم يدعون هذا ، أي أنه إذا لم يمت المسيح لا تكون قيامة أيضا " .[2]

ويقول (جوردن مولتمان في كتابه) " الإله المصلوب " : " إن وفاة عيسى علي الصليب هي عصب كل العقيدة المسيحية .

إن كل النظريات المسيحية عن الله ، وعن الخليقة ، وعن الخطيئة ، وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب " .[3]

وهذا ما أكد عليه (بولس) حين ألغى دور الناموس معتمدا على أن المسيح صلب عن الخطيئة، وأنه افتدانا بذلك من لعنة الناموس، فيقول : " وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل كرازتنا، وباطل أيضا إيمانكم " (كورنثوس (١) ١٥/١٤).

---

(١) المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص١٥٠

(٢) الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ص ١٠ ، وانظر النصرانية في الميزان ، الطهطاوي ص ٢٥ .

(٣) انظر: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات،ترجمة:علي الجوهري،دار الفضيلة ، ص ١٠ .

صلب المسيح عند المسلمين.

وأما الرأي الإسلامي فيتلخص في أن المسيح عليه السلام لم يصلب كما يدعي اليهود والنصارى .

وقد استند علماؤنا – في هذا الرأي المخالف لما أجمعت عليه الأناجيل – إلى آيات القرآن الكريم وهي تقرر ذلك .

فقد أشارت الآيات إلى المؤامرة التي جرت للمسيح، وقررت أمورا يلحظها قارئ الآيات ، فقد أشارت الآيات لنجاته في قوله :﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلا ﴾[1] والمعلوم أن المسيح رفع وهو في الثلاثينيات من عمره ، والكهولة في اللغة مقترنة بالمشيب[2] ولما يدركه المسيح حال وجوده الأول ، فدل على أنه سيعيش ويبلغ الكهولة، ويكلم الناس حينذاك ، ولو صرفت عن هذا المعنى لما بقي لذكر الكهولة – وكلامه فيها – وجه ، إذ ذكرت بين معجزات المسيح ، والكلام في الكهولة كل أحد يطيقه ، ولامعجزة في ذلك .

وقد أشارت آية أخرى لنزوله في آخر الزمان وهي قوله ﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها﴾[3] وقرأ مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وابن عباس { وإنه لعلم للساعة } ، وقد رأى العلماء في أرجح وجوه تأويلها أنها ناطقة بنزول المسيح في آخر الزمان، وهذا – ولا ريب – دليل لنجاته .[4]

ومثله قوله تعالى﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ .[5]

وتتحدث الآيات أيضا عن نجاة المسيح من مؤامرة أعدائه، فقد قال تعالى – في معرض تعداده لنعم الله على المسيح :﴿ وإذ كففت بني إسرائيل عنك ﴾[6] ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾[7] فقد أنجى الله نبيه –المسيح–من مؤامرتهم وكيدهم .

وتخبر الآيات عن بعض ملامح هذه المؤامرة التي حاكها اليهود ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾.[8]

وثمة آية أخرى تشير إلى رفعه ونجاته ، وهي قوله تعالى: ﴿ إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٦ .

(٢) انظر: لسان العرب ، ابن منظور ،ط١،دار صادر،بيروت،١١/٦٠٠ .

(٣) سورة الزخرف آية ٦١ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ١٣٢/٤ . ، والقراءة شاذة ، وليست في القراءات العشر.

(٥) سورة النساء آية : ١٥٩ .

(٦) سورة المائدة ، آية : ١١٠ .

(٧) سورة آل عمران ، آية : ٥٤ .

(٨) سورة النساء ، ١٥٧-١٥٨ .

كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ [1]إذن القرآن ناطق بنجاة المسيح من مكر الماكرين، ورفعه إلى السماء ، وأن أعداءه الذين أرادوا صلبه وقعوا في الشك، فرفع المسيح ، ثم يعود قبيل الساعة، فيكون علامة على قرب انقضاء الدنيا .

ولاتذكر النصوص القرآنية ولا النبوية أي تفصيل عن كيفية نجاة المسيح ، لذا فقد حاول علماؤنا تلمس الحقيقة التي أخبر عنها القرآن في النقول التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب أو نقبوا بحثا عن الحقيقة في طيات أسفار أهل الكتاب بحثا عن هذه الكيفية التي نجى بها المسيح، فأفرزت دراستهم اتجاهين متباينين في فهم النصوص القرآنية .

الاتجاه الأول : ويمثله جمهور أهل العلم والمفسرين منذ قرون طويلة، وتحدث أصحاب هذا الإتجاه عن نجاة المسيح من الصلب ، وتعليق غيره على خلاف في هذا الغير ، هل هو يهوذا الخائن أم حواري فدى سيده المسيح من القتل .[2]

وقد استند هؤلاء إلى أن النصوص القرآنية يفهم من ظاهرها وقوع صلب لغير المسيح اشتبه أمره على المجرمين ﴿ ولكن شبه لهم ﴾ وشهرة هذا القول وقدمه يغنيان عن الإطالة في شرحه .

الاتجاه الثاني : ويمثل اتجاها جديدا في فهم النصوص القرآنية يقول بأن المسيح علق على الصليب و لم يصلب ، أي لم يمت عليه ، بل أنزل حيا ، ودفن بعناية، ثم أخرج من قبره المحوف في الصخر ، فنجا بذلك من المؤامرة .

يرى القائلون بهذا الرأي أن الشبه الذي أثبتته الآيات هو المنفي في السياق﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ أي شبه لهم أنهم قتلوه وصلبوه .[3]

وقد اعتمد هؤلاء على أن المعنى اللغوي للصلب هو الموت على الصليب، وهو ما نفاه القرآن بقوله ﴿ وما صلبوه ﴾ أي ما مات صلبا [4] .

والصلب كما قال ابن منظور : " مصدر صلبه يصلبه صلبا ، وأصله من الصليب، وهو الودك .. وبه سمي المصلوب لما يسيل من ودكه . والصلب : هذه القتلة المعروفة ، مشتق من ذلك ، لأن ودكه وصديده يسيل ... وفي التنزيل العزيز ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ [5].

---

(١) سورة آل عمران : آية ٥٥ .

(٢)) انظر : جامع البيان الطبري ٩/٣٧٠ - ٣٧٤ ، وزاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٢٤ - ٢٤٥ ، والتفسير الكبير ، الفخر الرازي ١١/١٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ١/٥٧٤ - ٥٧٦ .

(٣) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ، هل مات المسيح على الصليب، سليم الجابي،ط١،١٩٩٥م ، ص ٣٦.

(٤) لسان العرب ، ابن منظور ١/٥٢٩ .

(٥):سورة النساء ، من آية : ١٥٧ .

ويرى سليم الجابي أنه لايجوز في اللغة أن يقال بأن ﴿ شبه ﴾ يعود ضميرها على الذي وقع عليه شبه المسيح إذ لايعود الضمير على غير مذكور في الآية ، ولا في القرآن كله . وعليه فالشبه بمعنى التلبيس ، وهو معنى وارد في اللغة .[1]

ويرى الرازي بأن الضمير مسند إلى الجار والمجرور ، وهو كقولك : خيل إليه . كأنه قيل:ولكن وقع لهم الشبه .

ويرد أيضا بوجه آخر وهو جواز أن يسند الضمير إلى المقتول ، لأن قوله ﴿ وما قتلوه ﴾ يدل على أنه وقع القتل على غيره ، فصار ذلك الغير مذكورا بهذا الطريق، فحسن إسناد ﴿ شبه﴾ إليه .[2]

ومما يرد على هذا الرأي أن يقال " ما فائدة التكرار في قوله ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ لو كان الصلب هو القتل صلبا " . لكن مثل هذا معهود في القرآن، فهو من عطف الخاص على العام، كقوله تعالى ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [3] وقوله ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [4] .

ويرد على هذا الاتجاه تجاهله تفسير قوله تعالى ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴾ فالشك في الآية منصرف إلى شخصية المصلوب ، وإن أمكن تأويله إلى حقيقة وقوع القتل والصلب .

وقد رفض هذا الرأي عدد من العلماء، منهم : محمد رشيد رضا، وعبد الوهاب النجار، وصابر طعيمة. واعتبره تأويلا ضعيفا متهافتا بعيدا لاوجاهة فيه ، واعتبره محمد رشيد رضا رأيا لايكفر صاحبه ، وأن القائلين به أناس مولعون بالجمع قدر الإمكان بين القرآن والإنجيل .[5]

وممن يقول بهذا القول من علمائنا العلامة أحمد ديدات وتابعه مصطفى شاهين، ودافع عن هذا الرأي بحرارة سليم الجابي[6] ، كما سيأتي إن شاء الله .

وأرى أن الخلاف إنما وقع فيه الفريقان لمحاولتهم فهم الآيات، حسب المنقول عن أهل الكتاب وكتبهم ، ومثل هذا الطريق لايخفى ما فيه من وعورة ، وما يؤدي إليه من تناقض واضطراب في مثل هذه

---

(١) انظر هل مات المسيح على الصليب ، سليم الجابي ، ص ٣٥ ، ولسان العرب لابن منظور ٥٠٤/١٣ .

(٢) انظر التفسير الكبير ، الفخر الرازي ٩٩/١١ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٩٧ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٣٨ .

(٥) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٣ – ٤٨٤ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٥٨ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٢٠٣

(٦) انظر مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ، النصرانية مصطفى شاهين ص ٨٨ – ١٠٠ . هل مات المسيح على الصليب ، سليم الجابي .

المسألة .

والذي أراه أن القول بتعليق المسيح على الصليب وإنزاله عنه حيا ونجاته؛ قول يقبل في باب الرد على النصارى ، إذ هو من الاحتجاج على القوم بما في كتبهم ، ولا يشترط إيماننا به وتسليمنا بصحته، بيد أنه يحتاج لاعتباره تفسيرا للنصوص القرآنية ، ولحقيقة ما حصل يوم حاول اليهود قتل المسيح ، يحتاج إلى مزيد من الدراسة والنظر والتأمل قبل الحكم بقبوله أو رده .

ولما كان موضوع الصلب أحد أبرز الموضوعات الجدلية التي ناقشها علماؤنا مع النصارى ، كان لابد أن نقف على أهمية هذا الموضوع بالنسبة للمعتقدات الإسلامية .

أهمية إبطال صلب المسيح عند المسلمين.

يعتقد المسلمون أن الأنبياء كسائر البشر يموتون ، وقد يكون موتهم قتله ، ويحكي القرآن عن بني إسرائيل بأنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ، وعليه فلا حرج عندهم في موت نبي بأي قتلة قتله بها سفهاء قومه ومجرموهم ، فالقتل لايضر النبي المقتول ، بل هو من اصطفاء الله له .[1]

فلماذا ذكر القرآن نجاة المسيح ، وأصر على تكذيب النصارى في هذه المسالة ؟

ذكر القرآن الكريم نجاة المسيح لمجرد إثبات الحقيقة ، وإثبات ضعف وعجز اليهود عن بلوغ مرامهم ، ويعتبر منصور حسين إنكار القرآن لصلب المسيح معجزة تحسب للقرآن الكريم ، فلقد تعرض القرآن لقضيتين : ميلاد المسيح من أم عذراء، وصلبه ، والأول أمر ينكره الكثير من النصارى ، ومع أنه أمر في غاية الخفاء ؛ فإن القرآن أكده ، وشنع على أولئك الذين تكلموا في مريم وقالوا عنها بهتانا عظيما ، ولو أنكر القرآن الميلاد العذراوي لوجد آذانا صاغية حتى عند النصارى الذين يصور تيرسن سميث حالهم في كتابه " حياة يسوع " فيقول : " رأيت من اللائق أن أفرد فصلا خاصا لميلاد المسيح العذراوي ، إذ قد طرح الموضوع في مناقشات علنية ، ونجم عنه شيء من الريبة في بعض العقول ... هناك نفر من المسيحيين أنفسهم يزعمون أن التساؤل في عقيدة ميلاد المسيح من عذراء لايؤثر شيئا في الاعتقاد بألوهية المسيح ، ورغبة في إزالة الشكوك يطالبون بحذف العبارة القائلة " حبل به الروح القدس وولد من مريم العذراء من "قانون الإيمان المسيحي " . ويضيف " التساؤل حول الميلاد العذراوي ليس حادثا جديدا ،بل هو قديم نشأ مع الكنيسة كما ثار في هذا العصر ".

ورغم ذلك فإن القرآن ذكره ، واعتبر منكره كافرا. لماذا ؟ لأنه الحق ، ولو كان القرآن من وضع البشر لكان أولى به إثبات صلب المسيح ، وإنكار الميلاد العذراوي ، لكنها الحقيقة ، فأنكر القرآن صلب المسيح في آية من كلامه تحدى بها نصوص الأناجيل ، ليقوم الباحثون عن الحقيقة – بعد حين – بالبحث

---

(١) انظر : الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ٦ .

عنها، فيجدونها ساطعة تثبت معجزة القرآن الكريم .[٢]

وقد كانت جهود علمائنا منصبة على استخلاص الحقيقة من بين ركام التحريف والتزييف الذي تعرضت له كتب أهل الكتاب .

وثمة أسباب أخرى دعتهم لهذا المبحث منها : إدراكهم لخطر هذه العقيدة ، وعظيم شأنها عند النصارى ، فتقويضها يعني خواء النصرانية عن كل معنى، لذا يؤكد ديدات أن النصرانية لاتستطيع أن تقدم للناس أي فضيلة، سوى ما تزعمه من الخلاص بدم المسيح ، فهي مثلا لا تستطيع أن تقدم لنا نحن المسلمين الكرم أو النظافة أو .... فإذا ما بطل صلب المسيح ، لم يبق للنصرانية مبرر للدعوة والوجود .[١]

ومن الأمور التي دعت علماءنا لدحض صلب المسيح ما ترتب على هذه المسألة من خلل وخطل ، فالفداء والخلاص يقوم على أن المسيح قد صلب و تجسد الإله في المسيح غايته أن يصلب.

ويتساءل مرجان: هل كل ما فعله المسيح أنه صلب كما صلب اللصان ؟ وكم من الناس صلبوا ؟" لكن قد يقول قائل : هناك فرق؛ فالمسيح صلب من أجل مبادئ سامية عاش يدعو إليها، ومات من أجلها .

وهذا صحيح ؛ لكن هذه المبادئ لاتتأثر بموت المسيح مصلوبا ، أو على فراشه ، فلها قدسيتها ومنزلتها كما لكل شريعة ، فشريعة الإسلام لايزيد ولاينقص قدرها بكيفية موت النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ﴾[٢].

إذن لايقبل محمد مجدي مرجان أن يكون الصلب بهذه الأهمية عند النصارى ، ولا يراه مقبولا عقلا أن يتجسد إله ليصلب فتنتصر مبادئه ، وتزكو بين الناس .

وفي الآثار العقدية لفكرة الصلب ما يجعلها هدفا ينبغي التركيز عليه ، ومن هذه الآثار الاضطراب في نظرة المسيحية للإله .

فقد ظهر في القرن الثاني الميلادي تلميذ شهير لبولس ، اسمه مركيون، وكان يعتقد بأن إله اليهود الذي أعطى الناموس لموسى، وخلق العالم كان شريرا ، وأما إله المحبة فقد ظهر في المسيح ، وهو معارض تماما لخالق العالم .

ويتصور مركيون محاكمة من المسيح لخالق العالم فيقول " نزل يسوع إلى رب المخلوقات في هيئة لاهوته ، ودخل معه في قصاص بسبب موته على الصليب قتلا ... قال له يسوع : إن الدينونة بيني وبينك ، لاتدع أي شخص آخر يكون قاضيا ، إنما شرائعك ذاتها تقضي لي ... ألم تكتب في ناموسك أن من قتل يقتل ؟

---

(٢) انظر دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٨٩ - ٢٩١ .

(١) انظر مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ١٢ .

(٢) سورة آل عمران ، أية : ١٤٤ . وانظر المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٤٨ - ١٥٠ .

وعندئذ أجاب (إله المخلوقات) : لقد كتبت هذا .. قال له يسوع : سلم نفسك إذن ليدي ..قال خالق العالم : لأني قد ذبحتك ، فإني أعطيك عوضا ، كل أولئك الذين يؤمنون بك ، تستطيع أن تفعل بهم ما يرضيك .

عندئذ تركه يسوع ، وحمل بولس بعيدا ، وأراه الثمن ، وأرسله ليكرز بأننا اشترينا بهذا الثمن ، وأن كل من يؤمن بيسوع قد بيعوا عن طريق هذا الإله العادل إلى الإله الطيب " .[1]

فهذا الشطط في المعتقد إفراز طبيعي متجدد. يسببه تناقض العدل والرحمة ، والقول بنجاة المسيح من القتل يضع الأمور في ميزانها الصحيح ، فتعبد البشرية ربها ، وهي موقنة بأنها تعبد الرب العفو الرحيم .

وقد جاء إبطال علمائنا لصلب المسيح على محاور عدة :

١) إبطال صلب المسيح بنقد روايات الأناجيل عن الصلب . وهو المطلب الأول .

٢) إبطال صلب المسيح بالدليل التاريخي . وهو المطلب الثاني .

٣) إبطال صلب المسيح بنبوءات التوراة . وهو المطلب الثالث .

٤) إبطال صلب المسيح بنبوءات العهد الجديد ، وهو المطلب الرابع.

٥) مصادر قصة صلب المسيح ، وهو المطلب الخامس.

٦)كيفية نجاة المسيح ، وهو المطلب السادس.

٧) وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، وهو المطلب السابع.

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ نقلا عن أدولف هنكر في كتابه " تاريخ العقيدة " ، وانظر في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

المطلب الأول : إبطال صلب المسيح بنقد روايات الأناجيل

مصدر حادثة الصلب :

تناقل النصارى روايات صلب المسيح جيلا بعد جيل ، حتى إذا جاء القرن الميلادي السابع ، أعلن محمد صلى الله عليه وسلم بطلان الصلب للمسيح .

ويتساءل النصارى كيف له أن يقول ذلك، وأن يكذب الحواريين وشهود العيان الذين سجلوا لنا بشهاداتهم الخطية ما رأوه ؟

إذن الأناجيل هي برهان القوم لو سئلوا وقيل لهم ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[1] فالكتاب المقدس وفي أكثر من ٥٠٠ لغة إنسانية يتحدث عن صلب المسيح . وهذا هو البرهان .

ويرى العلامة ديدات أنه يفرض علينا تفحص هذا البرهان ، والنظر في حال الشهود الأربعة الذين يشهدون بصلب المسيح .

وهنا يسجل ديدات أول ملاحظاته ، وهي أن اثنين من الأربع لم يروا المسيح، و لم يكونوا من تلاميذه ، فكيف يعتبرون شهودا ؟ ويقصد مرقس ولوقا .

والملاحظة الثانية : أن شهود الإثبات جميعا لم يحضروا الواقعة التي يشهدون فيها ، كما قال مرقس: " فتركه الجميع وهربوا " (مرقس ١٤/٥٠) ومثل هذه القضية لو عرضت على أي محكمة متحضرة لسارعت إلى رد شهادة هؤلاء الشهود في دقيقتين .

ثم هذه الشهادة مسجلة على أكثر من ٥٠٠٠ مخطوط يتفاخر بكثرتها النصارى ، ولا يوجد منها مخطوطتان متطابقتان ، ولو تطابقت جميعها ، فإن أيا منها لم يسجل بخط مؤلفه ، وإن نسب إليه .[2] ينقل أحمد عثمان عن اينوك باول في كتابه " تطور الأناجيل " أنه يقول بأن قصة صلب الرومان للمسيح لم تكن موجودة في النص الأصلي للأناجيل ، وقد استند في ذلك على إعادة المؤلف ترجمة نسخة متى اليونانية ، فتبين له أن هناك أجزاء وردت مكررة في هذا الإنجيل ، مما يوحي بأنه أعيدت كتابتها في مرحلة تالية .

ومن أهم هذه الوقائع المكررة : ما ورد في الجزء الأخير من الإنجيل والمتعلق بمحاكمة المسيح وصلبه ، حيث جرت محاكمة المسيح أمام الكاهن الأكبر ، ثم تتكرر المحاكمة بالكلمات ذاتها مع فارق واحد : أن المحاكمة الثانية انتهت بالصلب .وانتهى باول إلى أن هذا التكرار للكلمات رغم تغير الظروف لايوحي بحدث جديد ، بل بتكرار متعمد .

ويرى باول أن أقدم الأناجيل هو "متى "، وقد نقل عنه بقية الإنجيليين ، فهو المصدر الوحيد، وعليه

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١١١ .

(٢) انظر مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ١٨ - ٢٠

فلو ثبت أن رواية الصلب كانت إضافة لاحقة فيجب ضرورة إعادة النظر فيما ورد في الأناجيل " .[1]

ونثني هنا على ماذكره باول من تعرض النسخ الأصلية للزيادة والنقصان، وإن رفضنا القول بأولية متى لما سيعرض لنا في بابه . وهذا التلاعب في نسخ الكتاب المقدس كثير ، ومنه ما لاحظه العلماء من تغيرات وتحويرات تعرض لها إنجيل مرقس ، والذي يعده جمهور العلماء أقدم الأناجيل ، وقد زاد الإنجيليون عليه أو أنقصوا منه حسب نظرهم للمسيح والدين ، فقد أهمل يوحنا الكثير من الجزئيات التي تشعر بضعف المسيح على الصليب ، أو ليلة الدعاء .

ومن التغيرات التي لاحظها علماء الغرب ونقلها أحمد عبد الوهاب: أنه جاء في مرقس " وفي اليوم الأول من الفطير ، حين كانوا يذبحون الفصح ، قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضي ونعد لتأكل الفصح ؟ فأرسل اثنين من تلاميذه ، وقال لهما اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء اتبعاه .. " (مرقس ١٢/١٤ – ١٦) يقول نينهام مفسر مرقس : " إن أغلب المفسرين يعتقدون أن هذه الفقرات أضيفت فيما بعد لرواية مرقس " إستندوا لأمرين: أولهما: أنه وصف اليوم الذي قيلت فيه القصة بأسلوب لايستخدمه يهودي معاصر للمسيح . والثاني: أن كاتب العدد ١٧ " ولما كان المساء جاء مع الإثنى عشر ... " (مرقس ١٧/١٤) يتحدث عن جلوس المسيح مع تلاميذه الإثني عشر ، وهو لايعلم شيئا عن رحلة اثنين منهم لإعداد الفصح .

وجاء في مرقس عند سؤال التلاميذ عن الخائن أن المسيح أجابهم " الآكل معي " (مرقس ١٨/١٤) .ويستغرب جون فنتون شارح متى كيف لم ينقل متى هذه الفقرة ، وهو حريص كل الحرص على تحقيق النبوءات التوراتية ، ومن السهل أن يربط بينها وبين ما جاء في (المزمور٩/٤) .. آكل خبزي رفع علي عقبه "؟ اقتبسه يوحنا في ١٨/١٣ . ذكر أن بعض شراح مرقس يقول بأن هذه العبارة لم تكن موجودة عندما كتب متى ، ونقل من مرقس .[2]

ونقل الإنجيليون عن بعضهم ، وتصرفوا أو أخطأوا في النقل ، ومنه قول متى .. "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده " (متى ٣٦/٢٤) وهو نقل خاطئ أو محرف، لما جاء في مرقس وفيه " فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب " (مرقس ٣٢/١٣) فقد حذف متى "الابن " [3].

ومن التلاعب الذي تعرضت له أيضا نسخ الأناجيل: ماذكره جورج كيرد شارح لوقا، فقد جاء في لوقا أن المسيح قال على الصليب " يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون " (لوقا ٣٣/٢٣ - ٣٤) و لم يذكرها غيره من الإنجيليين ، كما أغفلتها بعض المخطوطات الهامة للوقا يقول كيرد : " لقد قيل إن

---

(١) مخطوطات البحر الميت ، أحمد عثمان ،ط١،مكتبة الشروق،١٩٦٦م،ص ١٣٩ - ١٤٤ .

(٢) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١٣٣ - ١٣٦،المناظرة الإسلامية النصرانية،ص ٦٦ - ٦٧

(٣) انظر: محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٤ - ١١٥ .

هذه الصلاة ربما تكون قد محيت من إحدى النسخ الأولى للإنجيل بواسطة أحد كتبة القرن الثاني ، الذي ظن أنه شيء لايمكن تصديقه أن يغفر الله لليهود ، وبملاحظة ما حدث من تدمير مزدوج لأورشليم في عامي ٧٠م و ١٣٥م صار من المؤكد أن الله لم يغفرلهم ".[١]

إضافة إلى تدخل الإنجيليين في النقل، والنساخ في المخطوطات، نرى أيضا تعدي المترجمين على ما ترجموه في أسفار العهد الجديد ، فقد أسقطت التراجم الحديثة الاسم الأول للمتمرد باراباس، فاسمه :"يسوع باراباس "، ولكنه اعتبر اسم يسوع في مرحلة لاحقة اسما مقدسا اعتبروا إطلاقه على مجرم أمرا مهينا ، فأغفلوه كما ذكر المفسران فنتون ونينهام .[٢]

ويرى علماؤنا أيضا أن الأناجيل لاتكفي لكي تكون مصدرا دينيا معتبرا، فقد خلت من التواتر الذي يشترطه الألوسي وهاشم جودة - كدليل على أصول الديانة ، ويصر هاشم جودة على تعريف التواتر عند المحدثين، حيث يجعلون الرواية متواترة إذا توافرت الكثرة التي يستحيل تواطؤها على الكذب في كل طبقات السند . وهذا مالم يتحقق في الأناجيل - ولا بعضه - ولا أدناه.

ويقول النصارى بتواتر الصلب كما جاءت به الأناجيل ، و يرون أن رفضه يقدح بالقرآن ويقلل من قيمة تواتره وبالتالي ثبوته فكما أن القرآن متواتر ؛ فإن الصلب متواتر ، فإما أن يرد تواتر القرآن وتواتر الصلب وإما أن يعتبرا معا ، فمثل هذا يرد عليه الألوسي بأن من شروط التواتر استناده إلى الحس .

وأما المتواتر المستند إلى أمور عقلية ، كتواتر الشيوعيين على صلاح الشيوعية . أو الرأسماليين على فضيلة الرأسمالية .... وتواتر النصارى على أن المصلوب عيسى تحديدا لاغيره . فمثل هذا تواتر لايعتد به .

ويمثل الألوسي بحال قوم أتوا بإناء فيه رطل ماء ، ثم أتوا بقدره ماء غير الماء الأول . فإن غاية ما يحكم به من رأى الماء الثاني أنه رأى رطلا من الماء ، دون تمييز بين الأول والثاني .

ومعلوم أن قول المسلمين بأن شبه عيسى قد وقع على غيره يحيل المسألة من مسألة حسية إلى عقلية لايصح فيها قول النصارى بالتواتر ، فالنزاع ليس في وقوع الصلب ، إنما في حقيقة المصلوب .[٣]

وأخيرا : فهذه الروايات المصرحة بصلب المسيح معارضة بتواتر القرآن، الذي قام الدليل على أنه كلام الله ووحيه على رسوله ، ومعارضة أيضا بما جاء في إنجيل برنابا الذي لايقل شأنه بحال عن شأن الأناجيل الأربعة .[٤]

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٠ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٦ .

(٣) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٦ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٢٩ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ٢٤٩ - ٢٥١ .

(٤) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

وأما ما أشاروا إليه في المخطوطات الخمسة الآلاف والتي قطعا فيها من الأناجيل القانونية وغيرها إضافة إلى أن فيها أخبارا يقطع بكذبها أو خطئها ذكرت ضمن روايات الصلب.

ومن ذلك قول متى " حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل ، وأخذوا ثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل ، وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب " (متى ٩/٢٧) وليس في سفر إرميا شيء من ذلك، بل مقصوده كما قال علماء الكتاب المقدس ما جاء في سفر زكريا عن قصة لاعلاقة لها بالمسيح البتة ، بل زكريا يتحدث عن نفسه ، وقد رعى غنم الذبح ، ثم " فقلت لهم إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي ، وإلا ما قنعوا . فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة، فقال لي الرب: ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمنوني به .فأخذت الثلاثين من الفضة، وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب " (زكريا ١٢/١١ - ١٣) .

وقد اعترف بهذا الغلط كثيرون ، منهم: هورن في تفسيره ، وجوويل في كتابه " الأغلاط " ويؤكد عبد الرحمن باجي زادة أن لاعلاقة بين قصة زكريا التي تتحدث عن ثمن كريم أخذه زكريا، ودفعه لصانع التماثيل ، والثمن اللئيم الذي أخذه يهوذا ثمنا لدم المسيح ، ويعتبر هذا من تدليس مترجم متى .[1]

ومن الكذب أيضا ما جاء في آية يونان النبي (انظر متى ٣٨/١٢ - ٤٠) و (لوقا ٤٣/٢٣) فلم تتحقق إذ لم يمكث المسيح في قبره كما ذكرت الأناجيل سوى ليلتين ويوم ،فكذبت الرواية .[2]

ومثله أيضا القول الذي نسبه متى للمسيح وفيه " ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " (متى ٢٠/٢٨) وهو مخالف لما ذكره يوحنا " وأما أنا فلست معكم في كل حين "(يوحنا٨/١٢) ويخالف أيضا قول النصارى برفع المسيح وتركه للتلاميذ .[3]

ولو اكتفى علماؤنا في رفض القول بصلب المسيح بهذا كله لكان موقفهم تاما ، وحجتهم في رفض هذا القول - لضعف شهوده وقوة معارضته - مقبولة ، لكنهم شمروا عن ساعد الجد ، وتجاوزوا رفضهم الاعتراف بقدسية التوراة والإنجيل ، وتنزلوا مع النصارى الذين يقولون بإلهامية هذه الكتب، فدرسوا قصة الصلب الإنجيلية ، فكشفوا عن الكثير من التناقضات فيها ، وأثاروا في وجه النصارى الكثير من الأسئلة التي لاجواب عنها إلا الاعتراف بعدم إلهامية الأناجيل ، وعدم عصمتها ، وبالتالي عدم صلاحيتها كدليل في هذه المسألة .

وقد كان نقد علمائنا لرواية الصلب في الأناجيل موجها في طرق ثلاث :

---

(١) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤١٠ - ٤١٢ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧٧ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٠ - ٥٢١ . .

(٢) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥١٤ - ٥١٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥١٥ .

الأول : تناقضات روايات الصلب في الأناجيل :

تتحدث الأناجيل الأربعة عن تفاصيل كثيرة في رواية الصلب ، والمفروض لوكانت هذه الروايات وحيا كما يدعي النصارى أن تتكامل روايات الإنجيليين الأربعة وتتطابق ، ولكن عند تفحص هذه الروايات وجد علماؤنا فيها كثيرا من التناقضات والاختلافات التي لايمكن الجمع بينها ، ولاجواب عنها إلا التسليم بكذب بعض هذه الروايات ، أو تكذيب رواية متى في مسألة، وتكذيب مرقس في أخرى ...

وهذا كله مؤذن بضعف الروايات الإنجيلية ، مبين عدم أصالتها ، مكذب لقداستها . وقد كثرت هذه التناقضات إلى حد يمنع تعدادها في مثل هذا الجهد ، لكنا نكتفي بذكر أبرزها، أو الذي تكاثر علماؤنا على ذكره فمنها :

- ذكرت الأناجيل الأربعة ذهاب المسيح وتلاميذه إلى المكان الذي دعا فيه المسيح طويلا قبل أن يأتي يهوذا للقبض عليه ، وقد اختلفوا في تحديد هذا المكان، ففي متى ومرقس أنه ضيعة جثسماني (انظر متى ٣٦/٢٦ ، ومرقس ٢٦/١٤) ولوقا ذكر بأنه جبل الزيتون (لوقا ٣٩/٢٢) وذكر يوحنا أنه عبر وادي قدرون (انظر يوحنا ١/١٨) .[1] ولئن أمكن الجمع بين الضيعة والجبل ، أو بين الضيعة والوادي ، فإن الجمع بين الجبل والوادي من المحال .

- ويحكي الإنجيليون الثلاثة عن صحبة التلاميذ للمسيح في الجبل أو الضيعة ، فيذكر متى ومرقس أنه ابتعد عن التلاميذ ومعه ثلاثة منهم ، هم بطرس وابن زبدى يعقوب ويوحنا (انظر متى ٣٧/٢٦ ، ومرقس ٣٣/١٤) ، لكن لوقا يذكر ابتعاده وحده فيقول " ولما صار إلى المكان قال لهم : صلوا لكي لاتدخلوا في تجربة ، وانفصل عنهم نحو رمية حجر " (لوقا ٣٩/٢٢) ، فلم يذكر شيئا عن التلاميذ الثلاثة ، مما يفهم منه أنهم ممن أمرهم بالصلاة، وابتعد عنهم .[2]

- ثم: من الذين ذهبوا للقبض على يسوع ؟ يقول متى " جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب " (متى ٥٢/٢٦) وزاد مرقس بأن ذكر من الجمع الكتبة والشيوخ (انظر مرقس ٤٣/١٤) ، وذكر يوحنا أن الآتين هم جند الرومان وخدم من عند رؤساء الكهنة (انظر يوحنا ٣/١٨) ، ولكن لوقا ذكر أن رؤساء الكهنة جاءوا بأنفسهم للقبض على المسيح إذ يقول " قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه " (لوقا ٥٢/٢٢) . فالتناقض بين لوقا والباقين ظاهر .[3]

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٦٤ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩١ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٣٦ .

(٢) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٣٧ .

(٣) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو

- وتذكر الأناجيل محاكمة المسيح ، ويجعلها لوقا صباح الليلة التي قبض عليه فيها فيقول " ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة ، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين : إن كنت أنت المسيح فقل لنا " (لوقا ٢٢/٦٦ - ٦٧) .

لكن الثلاثة يجعلون المحاكمة في ليلة القبض عليه فيقول مرقس " فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة ، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة ....." (مرقس ١٤/٥٣) (وانظر : متى ٢٦/٥٧ ، ويوحنا ١٨/٣) .[1]

وتبع بطرس المسيح ليرى محاكمته ، وقد أخبره المسيح بأنه سينكره في تلك الليلة ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين حسب مرقس (انظر : مرقس ١٤/٧٢) ومرة حسب الثلاثة (انظر : متى ٢٦/٧٤ ، لوقا ٢٢/٦٠ ، يوحنا ١٨/٢٧) وكان سبب إنكاره المتكرر أن بعض الموجودين

- وصدر حكم بيلاطس بصلب المسيح ، وخرج به اليهود لتنفيذ الحكم ، وفيما هم خارجون لقيهم رجل يقال له سمعان، فجعلوه يحمل صليب المسيح يقول مرقس " ثم خرجوا لصلبه، فسخروا رجلا ممتازا كان آتيا من الحقل ، وهو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه " (مرقس ١٥/٢٠ - ٢٢) و (انظر : متى ٢٧/٣٢ ، لوقا ٢٣/٢٦).

لكن يوحنا يخالف الثلاثة ، فيجعل المسيح حاملا لصليبه بدلا من سمعان يقول يوحنا " فأخذوا يسوع ومضوا به ، فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له الجمجمة " (يوحنا ١٩/١٧) و لم يذكر يوحنا شيئا عن سمعان القيرواني .[1]

- وتذكر الأناجيل أنه عند إخراجهم للمسيح أراد الجند أن يستهزءوا بالمسيح ، فألبسوه ملابس غريبة. ذكر يوحنا ومرقس أن لونها أرجوان ، وذكر لوقا أنهم ألبسوه لامعا ، بينما ذكر متى أنهم ألبسوه لباسا قرمزيا . واختلفوا أيضا هل خلعت للمسيح ملابسه قبل ذلك أم لا ؟

فذكر متى أنهم عروه وألبسوه (انظر : متى ٢٧/٢٨) بينما ذكر الثلاثة أنهم لم يعروه ، بل ألبسوه هذه الملابس فوق ملابسه (انظر : مرقس ١٥/١٧ ، لوقا ٢٣/١١ ، يوحنا ١٩/٢) ثم يذكر يوحنا ولوقا أنهم بعد ذلك لم يتزعوا عنه هذه الملابس(انظر: لوقا ٢٣/٢٢ ، يوحنا ١٩/٥) .

بينما ذكر متى ومرقس أنهم نزعوها عنه ، وأنه صلب بملابسه (انظر : متى ٢٧/٣١ ، مرقس ١٥/٢٠) .[2]

- وتتحدث الأناجيل عن تعليق المسيح على الصليب ، وأنه صلب بين لصين أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره ، ويذكر متى ومرقس أن اللصين استهزءا بالمسيح(انظر : متى ٢٧/٤٤ ، مرقس ١٥/٣٢) بينما ذكر لوقا بأن أحدهما استهزء به، بينما انتهر الآخر صاحبه قائلا له " أو ما تخاف الله ... فقال له يسوع : إنك اليوم تكون معي في الفردوس " (لوقا ٢٣/٣٩ - ٤٣) . ويستغرب الخطيب خبر اللصين ، لأن الصليب ليس مكانا مناسبا للثرثرة و السخرية.

وينبه عبد الرحمن باجة بأن وعده للص في أن يكون معه في الفردوس في ذلك اليوم لم يتحقق، لأن النصارى لايقولون بصعوده يوم الدفن ، بل بعد ذلك بثلاثة أيام .[3]

---

(١) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٣١ - ٤٣٦ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار، ص ٤٦٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦١ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٧ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٤٨ ، الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ص ١٠٤ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٨٨ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٣٣ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٢٦ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٨٠ .

(٣) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق

ومثل هذا لايسلم لباجة البغدادي ؛ فإن النصارى لايقولون برفع جسد اللص ، بل الحديث عن تلاق روحي في الفردوس ، ولايمنع منه رفع المسيح بجسده وروحه بعد ثلاث .

- وكعادة الرومان حين الصلب؛ علق على المصلوب لوحة توضح علته ، وتختلف الأناجيل في المكتوب في علة المصلوب: ففي متى " هذا هو يسوع ملك اليهود " (متى ٣٧/٢٧) وفي مرقس: " ملك اليهود " (مرقس ٢٦/١٥) وفي لوقا " مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرية : هذا هو ملك اليهود " (لوقا ٣٨/٢٣) ، وأما يوحنا فذكر أن المكتوب " يسوع الناصري ملك اليهود .بالعبرانية واليونانية واللاتينية " (يوحنا ١٩/١٩ - ٢٠) .[١]

- أما اللحظات الأخيرة في حياة المسيح فتذكرها الأناجيل، وتختلف في وصف المسيح حينذاك، فيصور متى ومرقس حاله حال اليائس القانط يقول ويصرخ : " إلهي إلهي لماذا تركتني " ثم يسلم الروح (متى ٤٦/٢٧ - ٥٠ ومرقس ٣٤/١٥ - ٣٧) وأما لوقا فيرى أن هذه النهاية لاتليق بالمسيح، فيصوره بحال القوي الراضي بقضاء الله حيث قال " يا أبتاه في يديك أستودع روحي " (لوقا ٤٦/٢٣) .[٢]

- وتتحدث الأناجيل الأربع عن قيامة المسيح بعد دفنه ، وتمتلىء قصص القيامة في الأناجيل بالمتناقضات التي تجعل من هذه القصة أضعف قصص الأناجيل، فتتحدث الأناجيل عن زائرات للقبر في يوم الأحد بعد طلوع الشمس - حسب ما جاء في مرقس (انظر : مرقس ٢/١٦) لكن لوقا ومتى يجعلون الزيارة عند الفجر ، وينص يوحنا على أن الظلام باق (انظر : متى ١/٢٨ ، لوقا ١/٢٤ ، يوحنا ١/٢٠) .[٣]

وأما الزائرات والزوار، فهم حسب يوحنا مريم المجدلية وحدها (انظر : يوحنا ١/٢٠ - ٣).

والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٦ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٣ - ٣٤ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ . المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٤٣

(١) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٣٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦١ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٧ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٨٨ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٤٢ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجلو ، ص ٥٠١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٢ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣٢ .

(٣) انظر المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٢ ، والإنجيل ، محمد شلبي شيتوي، ص ١٠٨ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص ١٧٥ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣٣ .

وأضاف متى مريم أخرى أبهمها (انظر : متى ١/٢٨)، ويذكر مرقس أن الزائرات هن مريم المجدلية وأم يعقوب وسالومة . (انظر : مرقس ١/١٦) ، وأما لوقا فيفهم منه أنهن نساء كثيرات ومعهن أناس (انظر : لوقا ١/٢٤) .[١]

وهذا كله إنما كان في زيارة واحدة .

ثم هل وجد الزوار الحجر الذي يسد القبر مدحرجا أم دحرج وقت الزيارة؟

يقول متى: " ملاك الرب نزل من السماء، جاء ودحرج الحجر عن الباب ، وجلس عليه " (متى ٢/٢٨) فيفهم منه أن الدحرجة حصلت وقتذاك .

بينما يذكر الثلاثة أن الزائرات وجدن الحجر مدحرجا . (انظر : مرقس ٤/١٦ لوقا ٢/٢٤ ، يوحنا ١/٢٠) ، ولايذكر أحد من الثلاثة من الذي دحرج الحجر [٢]

وقد شاهدت الزائرات في القبر شابا جالسا عن اليمين، لابسا حلة بيضاء حسب مرقس (انظر : مرقس ٥/١٦) ، ومتى جعل الشاب ملاكا نزل من السماء . (انظر : متى ٢/٢٨) ، ولوقا جعلهما رجلين بثياب براقة . (انظر : لوقا ٤/٢٤) وأما يوحنا فقد جعلهما ملكين بثياب بيض أحدهما عند الرأس ، والآخر عند الرجلين . (انظر يوحنا ١٢/٢٠) .[٣]

وأما ردة الفعل عند الزائرات؛ فقد تناقض في وصفها الإنجيليون ، فذكر يوحنا أن مريم بكت (انظر : يوحنا ١٣/٢٠) ، وأما متى فذكر أن الزائرتين كانتا خائفتين . (انظر : متى ٤/٢٨) ، وزاد لوقا على الخوف أنهن منكسات وجوههن ومحتارات . (انظر : لوقا ٤/٢٤ - ٥) ، وأما مرقس فقال بأنهن اندهشن وأخذتهن الحيرة والرعدة . (انظر : مرقس ٥/١٦- ٨).

ويتناقض مرقس مع لوقا في مسألة : هل أخبرت النساء أحدا بما رأين أم لا ؟ فمرقس يقول " و لم يقلن لأحد شيئا ، لأنهن كن خائفات " (مرقس ٨/١٦) ولوقا يقول " ورجعن من القبر ، وأخبرن الأحد

---

(١) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٤ - ٥٠٥ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٣ ، الإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ص ١٠٨ - ١١٠ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حاد ، ص ١٧٥ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣٣، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٩٦ .

(٢) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٩٤ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٥ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٣ ، الإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ، ص ١٠٨ - ١١٠ .

(٣) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٩٥ ، وعقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ص ٣٤ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٣٦ - ٢٤٧ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حاد ، ص ١٧٤ - ١٨٨ ، ومقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٤٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٠ .

عشر وجميع الباقين بهذا كله " (لوقا ٩/٢٤)[١] .

وتختلف الأناجيل مرة أخرى في عدد مرات ظهور المسيح لتلاميذه ، وفيمن لقيه المسيح في أول ظهور ؟ فمرقس ويوحنا يجعلان الظهور الأول لمريم المجدلية (انظر: مرقس ٩/١٦ ، يوحنا ١٤/٢٠) . ويضيف متى: مريم الأخرى (انظر : متى ٩/٢٨) ، بينما يعتبر لوقا أن أول من ظهر له المسيح هما التلميذان المنطلقان لعمواس (انظر : لوقا ١٣/٢٤) .

ويجعل يوحنا ظهور المسيح للتلاميذ مجتمعين ثلاث مرات . (انظر : يوحنا ١٩/٢٠ ، ٢٦) بينما يجعل الثلاثة للمسيح ظهورا واحدا (انظر : متى ١٦/٢٨، مرقس ١٤/١٦ ، لوقا ٣٦/٢٤) ويراه لوقا قد تم في أورشليم ، بينما يقول صاحباه إن ذلك في الجليل . (انظر : لوقا ٣٣/٢٤ - ٣٦ ، متى ١٠/٢٨ مرقس ٧/١٦) .[٢]

وهذه التناقضات - وغيرها كثير مما ضربنا الصفح عنه في مسألة قيامة المسيح - جعلت العلماء المحققين يعتقدون أن ما تصفه الأناجيل هنا محض اختلاق ، فيرى أحمد عبد الوهاب أن سبب هذه الخلافات طول الزمان والبعد ، فتطورت الرواية كما تتطور سائر القصص ، فالشاب عند مرقس صار ملاكا عند متى ، ثم أصبح زائرين سماويين عند لوقا . وينقل عن نينهام المفسر قوله " إن كثيرا من القراء سيتفقون في الرأي مع ما انتهى إليه فنست تيلور في أنه من المحتمل أن يكون وصف مرقس محض خيال ، إذ أنه يصور لنا في وصفه ما يعتقد أنه حدث " .

وينبه أحمد عبد الوهاب إلى أن ظهور المسيح للتلاميذ لا وجود له أصلا في إنجيل مرقس الإنجيل الأول الذي نقل عنه بقية الإنجيليين ، مذكرا بأن خاتمة مرقس منحولة .[٣]

ويعتبر منصور حسين القول بقيامة المسيح إشاعة كبرت بمرور الأيام ، فأصبح الظهور الواحد ثلاثا ، ودليل منصور حسين على قوله: كثرة التناقضات ، وعدم معرفة التلاميذ بالقيامة ، وتشككهم بها ، وعدم تصديقهم من أخبر بها ، وقد قامت هذه الإشاعة على إشاعة سابقة انتشرت في زمن مبكر تقول بأن جسد المسيح قد سرق من القبر ،فكان القول بالقيامة تبريرا لها.[٤]

ونشير أخيرا إلى تناقض كبير وقعت فيه الأناجيل ، وهي تتحدث عن ظهور المسيح ، ألا وهو مقدار

---

(١) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٤ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٤١ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣١ .

(٢) انظر : المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حاد ، ص ١٨٤ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٨٢ ، والإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ص ١١٢ - ١١٤ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٨٦ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٤٢ .

(٣) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٨٧ - ٢٩١ .

(٤) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٥٣ .

المدة التي قضاها المسيح قبل رفعه .

ويفهم من متى ومرقس أن صعوده كان في يوم القيامة (انظر : متى ٨/٢٨ - ٢٠ ، مرقس ٩/١٦ - ١٩ ، ولوقا ١/٢٤ - ٥٣) لكن يوحنا في إنجيله جعل صعوده في اليوم التاسع من القيامة . (انظر : يوحنا ٢٦/٢٠ ، ٤/٢١) ، بيد أن مؤلف أعمال الرسل - والمفترض أنه لوقا - جعل صعود المسيح للسماء بعد أربعين يوما من القيامة (انظر : أعمال ١٣/١) . ويرى عبد الكريم الخطيب أن تحديد الصعود بأنه بعد أربعين يوما من القيامة يرجع لما كان شائعا عند الوثنيين وقدماء المصريين من أن أرواح الموتى تحوم أربعين يوما حول أصحابها ، ثم تصعد للسماء .

ويضيف أحمد عبد الوهاب أن ثمة طوائف مسيحية تجعل صعود المسيح بعد ثمانية عشر شهرا من القيامة المزعومة ، فيما جعله آخرون بعد أحد عشر عاما .[1]

وبذلك سقطت شهادة الشهود في هذه المسألة ، وصح لأي محكمة أن تعتبرهم شهود زور ، وهل يعرف شهود الزور إلا بمثل هذه التناقضات ، أو أقل منها ؟ [2]

لكن النصارى وطريقتهم الغريبة في الاستدلال تصر على قلب النتائج والوصول إلى العجائب ، ومن ذلك ما قاله الأب روجي في كتابه " مقدمة إلى الإنجيل " وهذا التفكك ، هذا الغموض ، هذا الاختلال يبعث على الثقة ، فكل ذلك يثبت أن المبشرين لم يتشاوروا فيما بينهم ، وإلا أعوزهم أن يوفقوا بين ما كتبوا " .[3]

وقد فات الأب روجي أنه يتحدث عن كتاب مقدس يفترض أنه وحي من الله يتلقاه الكتبة، ومثل هؤلاء نتفق معه في أن لا حاجة لأن يتشاوروا فيما بينهم ، ولكن على أية حال كان لابد أن يتفقوا إن كان ما أتوا به وحيا من الله .

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٣٠٤ - ٣٠٧ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حماد ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، الإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٣٤٨ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٢٥٢ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٣) انظر : الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ، ص ١١٧ .

الثاني : تفرد أحد الإنجيليين في الرواية

وينفرد أحد الإنجيليين بذكر حوادث قد تكون مهمة ، ومع ذلك أغفلها الآخرون ، وقد يتبادر للذهن لأول وهلة أن ذلك يرجع لنظرية تكامل الروايات الذي لايعتبر من التناقض والتعارض.

وهذا ليس بصحيح ، إذ معرفتنا البسيطة بتدوين الإنجيل وتاريخه تنبئنا بأن الإنجيليين اعتمد اللاحق فيهم على السابق ، فإغفال اللاحق لبعض ماذكره سلفه ، إنما يرجع لتشككه في جدوى الرواية ، أو صحتها ، أو تناسقها مع المعتقد ، وهو ما يقال أيضا في الإضافة التي قرر المتأخر زيادتها عن السابق .

ولعل مما يوضح الصورة ويجليها: نقل مقدمة لوقا الذي يقول " رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق .... لتعرف صحة الكلام الذي علمت به " (لوقا ١/٣- ٤) .

ومن هذه الأمور التي انفرد بها أحد الإنجيليين :

- انفرد لوقا فذكر في وصف ليلة القبض على المسيح أمورا لم يذكرها غيره، ومنها : أنه بالغ في إظهار جزع المسيح، حتى أن الله أيده بملاك يقويه، وكأنه أوشك على الانهيار. يقول لوقا": وظهر له من السماء ملاك يقويه ، وإذ كان في جهاد، كان يصلي بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض " (لوقا ٢٢/٤٣ - ٤٤) .

وهاتان الفقرتان - رغم وجودهما في أكثر النسخ المتداولة - فإن المراجع القديمة تحذفهما ، كما نقل أحمد عبد الوهاب عن جورج كيرد مفسر لوقا حيث يقول " فإن هذا الحذف يمكن إرجاع سببه إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا قد اكتنفها الضعف البشري ، كان يتضارب مع اعتقاده في الابن الإلهي الذي شارك أباه في قدرته القاهرة " .

ولعل هذا ما دعا الإنجيليين إلى تجاهل هذا الوصف الدقيق ، بل إن يوحنا لم يذكر شيئا عن معاناة المسيح وآلامه تلك الليلة ، وذلك للسبب نفسه بالطبع[1] .

ويتساءل عبد الوهاب النجار كيف عرف لوقا بنزول الملاك ؟ وكيف شاهد عرقه وهو يتصبب منه على هذه الكيفية ؛ كيف ذلك والتلاميذ قد وصفهم لوقا بعدها مباشرة بقوله " ثم قام من الصلاة ، وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن " (لوقا ٢٢/٤٥)[2] ؛ كما أنه لم يكن بجوارهم ، وهو يصلي فقد " انفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلى " (لوقا ٢٢/٤١) .

وينبه هاشم جودة إلى تناقض لوقا هنا مع الآخرين حين ذكر أن المسيح رجع إلى تلاميذه ليوقظهم

---

(١) انظر : في المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٤٠ - ١٤٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٤٢ .

(٢) انظر: قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٢ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

مرتين فقط، في حين جعلها متى ومرقس ثلاثا ، و لم يذكر يوحنا شيئا عنها .[1]

- ذكر الإنجيليون ضرب أحد التلاميذ لعبد رئيس الكهنة بالسيف، وأنه قطع أذنه، وتتكامل الروايات، فيذكر يوحنا أن اسم العبد ملخس ، وأن الأذن هي اليمنى، فيما لم يحدد متى ومرقس اسم الضارب ، كما لم يحدد الأذن المضروبة .

لكن أحدا منهم - سوى لوقا - لم يذكر أن المسيح أبرأ أذن العبد وردها ، وهي ولاشك معجزة كبيرة بين تلك الجموع الكافرة .. "فأجاب يسوع: دعوا إلي هذا ، ولمس أذنه وأبرأها . "(لوقا ٢٢/٥١) و لم يذكر لوقا أي ردة فعل للجند والجموع لهذه المعجزة الباهرة . وكأن شيئا لم يكن .[2]

كما يذكر علماؤنا واحدة أخرى انفرد بها مرقس وهي : قصة الشاب الذي هرب من الشبان فأمسكوا بإزاره الذي يلبسه على عري،فترك الإزار ، وهرب منهم عريانا (انظر :مرقس ١٤/٥١ -٥٢).[3]

وأيضا انفرد يوحنا بأن المسيح طلب من الجند أن يدعوا تلاميذه يهربون . (انظر: يوحنا ١٨/٨) مع أن أحدا لم يتعرض لتلاميذه ، لكن يوحنا يريد بذلك أن يحقق نبوءة توراتية ، فقد قال بعدها "ليتم القول الذي قاله : إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحدا " (يوحنا ١٨/٩) .مع أنه أي يوحنا يجزم بهلاك يهوذا، وقد قال قبل سطور عنه " و لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك " (يوحنا ١٧/١٢) ويرى عبد الرحمن باجي زادة أن أكبر هلاك لهؤلاء التلاميذ هو هربهم و تركهم المسيح وحده بين يدي أعدائه .

- ويرى ديدات أن الخطأ الذي وقع فيه يوحنا خطأ كبير ، إذ أن النسبة بين اللاأحد والواحد هي مالا نهاية إلى واحد [4] .

- وانفرد يوحنا فذكر أن الجند لما هموا بالقبض على يسوع ، وقعوا على الأرض ، يقول يوحنا : "فلما قال لهم : إني أنا هو رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض " (يوحنا ١٨/٦) فما الذي أخاف الجنود حتى سقطوا ؟ للإجابة عن هذا السؤال يورد إبراهيم خليل ما جاء في لوقا " وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، وإذا ملاك الرب وقف بهم ، ومجد الرب أضاء حولهم ، فخافوا خوفا عظيما ،فقال لهم الملاك : لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب "(لوقا ٢/٨—١٠)

فيرى إبراهيم أن خوفهم من الملائكة ، هو الذي سبب لهم هذا السقوط ، ويؤيد هذا التفسير أحمد

---

(١) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ، وكب ص ٤٢١ .

(٢) انظر العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٢١ .

(٣) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٢ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٧، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٥٢ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٠ ، الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ص ١٠٣ .

(٤) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٣٠ .

عبد الوهاب ، ويراه محققا للنبوءة التوراتية " لايلاقيك شر ، ولا تدنو ضربة من خيمتك ، لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك ، على الأيدي يحملونك ، لئلا تصطدم بحجر رجلك " (مزمور ١٠٩/١٤- ١٦) .[١]

- وانفرد متى فذكر ذهابهم بالمسيح إلى حنان حما قيانا ، ثم أخذوه إلى قيافا (انظر يوحنا ١٨/١٢ - ١٣) .[٢]

- وانفرد لوقا بذكر إرسال بيلاطس المسيح إلى هيرودس حاكم الجليل . وقد ذكر متى أن هيردوس مات قبل ذلك بكثير ، يقول متى " فلما مات هيردوس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلا: قم وخذ الصبي وأمه ، واذهب إلى أرض إسرائيل " (متى ٢/١٩ - ٢٠) .[٣]

والذي دعاه لذلك -كما يرى مفسر لوقا جورج كيرد - : أنه أراد أن يحقق نبوءة المزمور الثاني ، وفيه " قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معا على الرب ، وعلى مسيحه " (مزمور ٢/٢) .[٤]

- وانفرد متى فذكر عجائب حصلت والمسيح على الصليب في اللحظة التي فارق فيها الحياة، فيقول: "وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين " (متى ٢٧/٥١ - ٥٣) فهذه الأعاجيب ينفرد بها دون سائر الإنجيليين والمؤرخين ومنهم لوقا المتتبع بالتدقيق لكل شيء ولو صح مثل هذا لكان من أعظم أعاجيب المسيح ، ولحرص الجميع على ذكره، لذا يكذب عبد الرحمن باجي زادة الخبر ، وينقل تكذيب نورتن المسمى " حامي الإنجيل " بقوله : " هذه الحكاية كاذبة ، والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة في اليهود، بعدما صارت أورشليم خرابا ، فلعل أحدا كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى ، وأدخلها الكتاب في المتن ، وهذا المتن وقع في يد المترجم ، فترجمها على حسبه " .

وقد نقلت هذه الأخبار عن الأساطير القديمة ، يقول المفسر كيرد " كان الشائع قديما أن الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذر سوء ، وكأن الطبيعة تواسي الإنسان بسبب تعاسته " ويقول المفسر نينهام : " لقد قيل: إن مثل تلك النذر لوحظت عند موت بعض الأحبار الكبار ، وبعض الشخصيات العظيمة

---

(١) انظر : محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٤-١١٥ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩١ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٣٩ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤١٨ .

(٢) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٥ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم حودة ، ص ٢٢٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦١ .

(٣) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٨ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٥، ١٤٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧٨ .

(٤) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

في العصور القديمة والوثنية ، وخاصة عند موت يوليوس قيصر " .

ويقول المفسر فنتون : " لقد كان قصد متى من هذه الأحداث الخرافية أن يبين أن موت يسوع كان عملا من صنع الله " .

ومما يدل على كذب متى أو مترجمه في هذه الزيادة ، أن لو ظهرت هذه العجائب لما جرأ اليهود على الرجوع إلى بيلاطس، وطلب حراسة القبر ، ولما تجاسر قيافا أن يصف المسيح وقتئذ بالمضل ، ولانتقم منهم بيلاطس ، بل وعامة اليهود ، ولآمن كثيرون بالمسيح ، كما آمن كثيرون في أعجوبة أقل من ذلك ، إذ لما نزل روح القدس على التلاميذ، آمن ثلاثة آلاف شخص (أعمال ٢/٤٠ - ٤١)، وماذكره متى عن موت المسيح أعظم من ذلك .

ثم ماذا عن هؤلاء الأموات ؟ هل عادوا بأكفانهم؛ أم حفاة عراة ؟ ومع من تكلموا ؟ هل كان خروجهم حزنا عليه أم نصرة له ؛ أم فرحا به ؛..... ، ثم هذا يخالف قول بولس بأن المسيح أول القائمين من الموت حين قال " قام: المسيح من الأموات ، وصار باكورة الراقدين " (كورنثوس(١) ١٥/٢٠) ، وقوله: "وإن يؤ لم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات " (أعمال ٢٦/٢٣) .[1]

- وانفرد يوحنا بذكر وجوده إلى جوار المسيح وأم المسيح معه وقت الصلب (يوحنا ١٩/٢٥ - ٢٦) وأمر كهذا لايتصور أن تغفله الأناجيل لو كان حقا كما لايمكن تصور أن الجند يسمحون لذوي المسيح من الاقتراب منه وهو على الصليب ، وهم الذين أنكر بطرس بين أيديهم معرفة المسيح ثلاث مرات.

يقول باريت : " إنه من غير المحتمل أساسا أن يكون قد سمح بوقوف أقارب المسيح وأصدقائه بالقرب من الصليب " [2]

- وانفرد متى بذكر حراسة القبر (انظر : متى ٢٧/٦٢ - ٦٦) وبحصول زلزلة عظيمة عند زيارة النساء للقبر يوم الأحد (انظر : متى ٢٨/٢ - ٣) ، وانفرد مرقس بذكر تعجب بيلاطس لموت المسيح السريع . (انظر ١٥/٤٤) ، وقد ذكر باستقراء دقيق كثيرا من مثل هذه التفاصيل علاء أبو بكر في أماكن متفرقة من كتابه، كما ذكر بعضا منها غيره من أصحاب الردود الإسلامية .

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٩٣/١ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٤١ - ٤٤٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٤ ، ٣٠٠ - ٣٠١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٣ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٤ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٨٠ ، ٨٥ ، الإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ص ١١٩ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٣٥ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٠٢ - ١٠٣ . المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٢٩٦ .

(٢) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٩٣ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٦ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٣١ .

الثالث : النقد الضمني للرواية الإنجيلية

ونقد علماؤنا أيضا الروايات الإنجيلية في جزئيات كثيرة اجتمع عليها الإنجيليون - أو بعضهم - ووجدوا أن في الروايات خللا وحلقات مفقودة لايمكن تجاوزها ، علاوة على مافي الروايات من تهافت في المعنى .

وفي كثير من هذه الملاحظات لايمكن للنصارى الخروج منها، إلا بالتسليم بأن المصلوب ليس المسيح ، أو بالتسليم بأن الروايات بشرية الوضع ، غير محبوكة الصنعة . ومنها :

- تتحدث الأناجيل عن دور يهوذا في خيانة المسيح بعد أن رافق المسيح وهو من خاصته، فكيف حصل هذا التغير المفاجيء ؟

إن وقوع الانحراف بين البشر لايستبعد ، ولكن الرواية الإنجيلية تجعل المسيح، وهو الذي أرسله الله لهداية البشر ، تجعله سببا في غواية يهوذا . يقول يوحنا على لسان المسيح: " الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة، وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي ، فبعد اللقمة دخله الشيطان ، فقال له يسوع: ما أنت تعمله ، فاعمله بسرعة أكثر " (يوحنا ١٣/٢٦ - ٢٧) ، فقد جعل النص المسيح سببا في ضلالة يهوذا وخيانته.

ويتساءل علاء أبو بكر: كيف لم يستطع يهوذا أن يخرج الشياطين من نفسه ، وهو أحد الذين قال لهم المسيح " اشفوا مرضى ، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين؟ " (متى ١٠/٨) .[1]

ويلاحظ عبد الرحمن باجي زادة أن يهوذا ممن أثنى عليهم المسيح وصحبه ، وائتمنه على أموال الجماعة، كما يلحظ أن رواية يوحنا تبرئ ساحة يهوذا ، وتظهر المسيح وقد أسلم نفسه لهم من غير أن يتلفظ يهوذا أو يشير . يقول يوحنا: " فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاءوا إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه: يسوع الناصري . قال لهم يسوع : أنا هو، وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم .. " (يوحنا ١٨/٣ - ٧) .

فيفترض صاحب " الفارق " - بلا دليل - أنه لربما قبض على يهوذا الجنود ، وساقوه معهم ، حتى لاينذر المسيح بمجيئهم ، فتوهم من رآه بأنه دلهم على مكان المسيح ، أو لعله تاب، وحسنت توبته ، وأسلم نفسه بدلا من المسيح فصلب ، وتحقق فيه ثناء المسيح عليه .

ويؤكد عبد الكريم الخطيب بأن القول بأن يهوذا فدى المسيح وصلب بدلا عنه يحل كثيرا من إشكاليات الرواية الإنجيلية كلعن بطرس والصورة الباهتة للمسيح أمام هيرودس ، وهروب التلاميذ وتخليهم

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٤٦ ، ٤٠٧ ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٢٢٨ - ٢٣٠ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٢ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٩ .

عن المسيح .[1]

لكن إنجيل يوحنا صريح في أن دور يهوذا هو الدلالة على موضع المسيح ، فقد قام بالدور؛ إذ أوصلهم إلى مكان المسيح ، بينما بقية الأناجيل تجعل دوره تعريفهم على شخص المسيح ، بدليل أنه جعل لهم علامة عليه : تقبيله ، وهذا الذي كان .

وعلى الرغم من أهمية شخصية يهوذا فإن أحدا من أصحاب الأناجيل – سوى متى – لم يذكر شيئا عن موته ، وقد اختار له متى ميتة سريعة سبقت حتى موت المسيح ، وكأنه بذلك أراد أن يتخلص من الشخصية الغريبة ، والتي اختفت منذ تلك الفترة. يقول متى: " لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ، ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا : قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا ... فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه ، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا : لايحل أن نلقيها في الخزانة ، لأنها ثمن دم ، فتشاوروا ، واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء " (متى ٢٧/٣-٧).

لكن (أعمال الرسل) يذكر ميتة أخرى ليهوذا، فقد قال بطرس عنه :.. "فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها " (أعمال ١/١٨) وظاهر ما بين الروايتين من تناقض .

ويرى محمد أبو الغيط الفرت أن تناقض الروايتين وسكوت بقية الأناجيل يرجع لاختفاء يهوذا عن مسرح الأحداث في تلك الليلة التي قبض عليه فيها بدل المسيح .[2]

وهنا يطرح سؤال نفسه: كيف جهل رؤساء الكهنة شخص المسيح حتى احتاجوا إلى من يدلهم عليه مقابل ثلاثين من الفضة ؛ كيف ذلك وهو الذي كان في الهيكل يعلم كل يوم (انظر : لوقا ٢٢/ ٥٢) ، وقد عرفه حتى المجوس في طفولته ؟[3] (انظر : متى ٢/١ – ١١)

وتذكر الأناجيل أن المسيح في ليلة الصلب تضرع إلى الله يدعوه أن يصرف عنه كأس الموت ، فأين كان التلاميذ في تلك اللحظات العصيبة ؟ لقد كانوا مع المسيح في البستان، لكنهم كما وصفهم لوقا " ثم

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٨ – ٤٠٩ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧٥ – ٢٧٧ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٨٣ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حماد ، ص ١٧٠ – ١٧٢ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٨٥ – ٤٨٨ .

(٢) انظر : قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٥٨ – ٦٠ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧١ ، ومقدمة السقا للمناظرة الحديثة ص ٤٧ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حماد ، ص ١٦٨ – ١٧٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٠٨ – ١١٠ .

(٣) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨١/١ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧١ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٨٠ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٤ .

قام من الصلاة ، وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن " (لوقا ٢٢/٤٥) لكن المعهود في البشر أنهم إذا خافوا طار النوم وعز .

وينقل ديدات وعلاء أبو بكر عن علماء النفس تأكيدهم لذلك ، وأن ذلك مرده إلى فرز الغدة الكظرية لهرمون في مجرى الدم ، فيتعقب النوم ويطارده ، إذا كيف نام هؤلاء من الخوف ؟[1]

- ومن التنافر أيضا ما جاء في مرقس أن المسيح جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياما فقال: " ناموا الآن واستريحوا . يكفى . قد أتت الساعة . هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة ، قوموا لنذهب ، هوذا الذي يسلمني قد اقترب " (مرقس ١٤/٤١) فكيف يتوافق قوله " ناموا الآن واستريحوا " مع قوله " قوموا لنذهب؟ " .[2] وثمة سؤال هنا: كيف يطلب الهرب وهو يعرف أنه سيؤخذ ويصلب ؟

- ومن التنافر في الرواية أن إنجيل يوحنا يظهر الحكم على المسيح ، وكأنه حكم إلهي نزل على رئيس الكهنة قيافا ، وليس حكما صادرا من مجمع للظلمة . يقول يوحنا: " فقال لهم واحد منهم . وهو قيافا كان رئيسا للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئا ، ولاتفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ، ولا تهلك الأمة كلها ، ولم يقل هذا من نفسه ، بل إذ كان رئيسا للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة ، وليس عن الأمة فقط ، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد " (يوحنا ١١/٤٩ - ٥٢)

فالنص يصف قيافا بالنبوة ، وبأنه عرف أن المسيح يموت عن الشعب، فكيف يصح هذا ؟ وهو الذي حكم ظلما على المسيح بالموت ، كيف وهو أحد الظلمة الذين قال لهم المسيح " ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة " (لوقا ٢٢/٥٣)

كيف يأمر نبي بقتل نبي ، فلو صحت نبوته لكان حكمه ردة ، أو يكون قد حكم على غير المسيح . وفي محاولة للتبرير قال يوحنا فم الذهب " إن روح القدس حرك لسان قيافا لاقلبه على أن قيافا لم يخط ضد الإيمان ، بل ضد العدل والتقوى "

وينكر عليه عبد الرحمن باجي زادة ويقول بأن اللسان ليس إلا ترجمانا للقلب ، وإذا كان روح القدس هو الذي حرك قيافا ، فلم كان قيافا خاطئا ضد العدل والتقوى .[3]

وقد تعارض قيافا في فهمه لعموم الفداء وخصوصه ، فهو يفهم أن المسيح موته فداء لبني إسرائيل

---

(١) انظر مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ٤٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٢) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٦٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٤٦ .

(٣) انظر إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٣٤٧/٢ - ٣٤٩ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٧٩ - ٣٨٣ ، ٥١٣ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٨٠ .

بينما يوحنا في رسالته الأولى يقول " هو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضا" (يوحنا (١) ٢/٢) .[١]

ثم في محكمة قيافا النبي ما يستوجب العجب فقد طلب قيافا ورؤساء الكهنة شهودا يشهدون على المسيح زورا ، " ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين : نحن سمعناه يقول : دعني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي ، وفي ثلاثة أيام أبني غير مصنوع بأياد " ، فقد وصفوا بأنهم شهود زور ، وهذا ليس بصحيح ، بل قد قال المسيح ذلك، ففي يوحنا " قال لهم انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه ، فقال اليهود في ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل . أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟ " (يوحنا ١٩/٢ – ٢٠) [٢] .

ثم إن الأناجيل تظهر الكهنة بصورة الورع الوجل المطبق للناموس، فقد رفضوا دخول دار الولاية عند مقابلة بيلاطس " لكي لايتنجسوا فيأكلون الفصح " (يوحنا ٢٨/١٨) ولو كان عندهم هذا الورع كما يرى علاء أبو بكر لما رضوا بإطلاق باراباس القاتل، وحكمه في شريعتهم القتل ، كما لم يكونوا ليطالبون بقتل المسيح البريء .[٣]

ولكن ذلك كما أرى قد يحصل عند أمثال هؤلاء عديمي الإيمان من أصحاب الورع الزائف، ومثله مالاحظه عبد الرحمن باجي زاده في أن المؤامرة على المسيح كانت في السبت الذي يحرم على اليهود فعل الخير فيه أو الشر .[٤]

– وتذكر الأناجيل أن الجميع وقف ضد المسيح وليس رؤساء الكهنة فحسب، بل حتى الجماهير كانت تنادي على بيلاطس وتقول: " اصلبه . اصلبه " وترفض إطلاقه، وتود إطلاق المجرم باراباس " كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : إن أطلقت هذا فلست محبا لقيصر ، كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر " (يوحنا ١٢/١٩) " فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس . فصرخوا أيضا : اصلبه ... فازدادوا جدا صراخا : اصلبه ، فبيلاطس إذن كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم " (مرقس ١١/١٥ – ١٥) .

ويتساءل عبد الرحمن باجي زادة: أين الجموع التي شفاها المسيح والتي تعد بالألوف؟ أين أولئك الذين استقبلوه وهو يدخل أورشليم راكبا على الجحش والأتان معا ؟ أين أولئك " الجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق ، وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر، وفرشوها في الطريق ، والجموع الذين تقدموا ، والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنا لابن داود .. ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة : من هذا ؟ " (متى ٨/٢١ – ١٠)

---

(١) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٠ .

(٢) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٧.

(٣) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧٥ .

(٤) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠١ .

أين ذهب هؤلاء ؟ بل أين ذهب أصحاب المروءة والشهامة ، وهم يرون المسيح يصفع ويضرب على غير ماذنب أو جريرة ؟[1]

ويعتبر أحمد عبد الوهاب القول بأن للرومان عادة في إطلاق سراح أحد المسجونين من اليهود، لايتلاءم مع أسلوب الرومان في التعامل مع الشعوب التي تسلطوا عليها ، و لم ينقل عن المؤرخين مثل ذلك .

ومثله في الغرابة أن لايطلق بيلاطس سراح المسيح ، وقد اقتنع ببراءته ، فلماذا لم يطلقه؛ فالعلة التي تذكرها الأناجيل لاتتناسب وسطوة الدولة الرومانية .

وينقل أحمد عبد الوهاب عن فنتون بشارة متى أن القول بأن بيلاطس غسل يده ليدلل على براءته من دم المسيح أمر مشكوك فيه ، إذ هي عادة يهودية أكثر منها رومانية. يقول فنتون: " ومن المستبعد أن يكون بيلاطس قد عمل شيئا كهذا " .[2]

- ذكر مرقس قصة الرجل الذي هرب عريانا فقال: " تبعه شاب لابسا إزارا على عريه " (مرقس ١٤/٥٢) ويدل هذا على أن الجو لم يكن باردا ، ومما يؤيد ذلك أن الفصح عند اليهود - حيث حصلت حادثة الصلب - يكون في شهر نيسان، ويراه عبد الرحمن باجي زاده من أشهر الصيف . والصحيح أنه من أشهر الربيع.

لكن يوحنا يذكر ما يفيد أن الجو كان باردا ، فقد وقف بطرس يوم محاكمة المصلوب، يحتمي من البرد بالنار يقول يوحنا: " وسمعان بطرس كان واقفا يصطلي " (يوحنا ١٨/٢٥) فجمع الإنجيليون الصيف والشتاء في يوم واحد .[3]

- ثم إن بطرس - الذي يحتل في المسيحية مكانا بارزا، وجعلت الأناجيل بيده مفاتيح السماوات والأرض - أنكر المسيح في تلك الليلة ثلاث مرات، وأضاف إلى الإنكار حلفا ولعنا ، و لم تحدد الأناجيل الملعون هل هو يلعن نفسه أم المسيح ؟ أم ....

لكن هذا لايتفق مع خصوصية بطرس الذي قال له المسيح " ولكني طلبت من أجلك ، لكي لايفنى إيمانك ، وأنت متى رجعت ، ثبت إخوانك " (لوقا ٢٢/٣٢) .

كما أن الحلف منهي عنه عند النصارى ، فكيف حلف بطرس والمسيح يقول " لاتحلفوا البتة .. ،

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٩٢ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٨٢ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٢٨ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦١ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٥ - ٩٧

(٣) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٨٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٥٢ .

بل ليكن كلامكم نعم نعم ، لا لا ، ومازاد على ذلك فهو شر " (متى ٥/٣٤ - ٣٧) .

وعليه فبطرس شرير، حلف كاذبا، والتوراة تقول: " .. لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا " (الخروج ٢٠/٧) و " لاتحلف باسمي للكذب ، فتدنس اسم إلهك ، أنا الرب " (اللاويين ١٩/١٢) وخروج بطرس عن هذه الأحكام يجعله ملعونا " ملعون من لايقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها " (التثنية ٢٧/٢٦) .[١]

ويرى محمد وصفي أنه لايمكن أن يصدر هذا الحلف واللعن من بطرس ، فلا يمكن أن يهون عليه سيده إلى هذا الحد ، ولو فعل ذلك لما كان مستحقا لاسم الإيمان ، فضلا عن المعجزات والخصائص المذكورة في حقه في الأناجيل ، وعليه، فإنه كان صادقا في حلفه ولعنه ، إذ المصلوب ليس المسيح ، بل غيره .[٢]

- وتظهر الأناجيل المسيح على الصليب غاية في الضعف والهوان ، يستجديهم الماء وهو يرى شماتتهم ، ثم يسمعهم صراخه ....ولايتطابق هذا مع ما عرف عن شخصية المسيح القوية، والتي تحدى فيها اليهود بأنهم سيطلبونه ولايجدونه (انظر يوحنا ٧/٢٣) ، أو المسيح الذي دخل الهيكل فطرد الصيارفة (انظر مرقس ١١/١٥) ، وصام أربعين يوما قبل (انظر متى ٤/٢) .

ويتساءل الخطيب لم كل هذا الجزع ، وممن ؟ من المسيح الذي يدعون ألوهيته !! كيف يصدر هذا الخور منه وهو القائل لتلاميذه " لاتضطرب قلوبكم ولا ترهب سمعتم أني قلت لكم : أنا أذهب ثم آتي إليكم ، لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت : أمضي إلى الآب " (يوحنا ١٢/٢٧ - ٢٨) [٣]

- ويذكر الإنجيليون قيامه المسيح بعد الموت وهذه - كما سبق - أحد أكثر موضوعات الأناجيل إثارة، لما في رواياتها من تناقض وتنافر .

ويتساءل علاء أبو بكر: لم ظهر المسيح لتلاميذه و لم يظهر لأعدائه ؛ فهذا أظهر لحجته ، وأدعى للإيمان به ، كما يتساءل عن موقف الكهنة وقد علموا من الحراس بخروج المسيح من القبر : كيف سكتوا عن ذلك، إن الأناجيل لاتذكر أنهم حركوا ساكنا ، وكأن الأمر لايعنيهم .[٤]

- وممن لايصح غيابه في مثل هذا الموطن: أم المسيح التي لم يذكرها الإنجيليون ضمن زائرات القبر

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٣ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٣٣ .

(٢) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص١٧٥،مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ٨٢ .

(٣) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٩٧/١ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٤ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٤٣ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٤٦ .

(٤) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٤٣ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣٦.

فجر يوم الأحد ، فهل كان أمر المصلوب لايعنيها لأنه ليس ابنها ؛ أم فقدت حنان الأمومة ، فيما لم يفقد النسوة خلق الوفاء ؟[1]

- وغير ذلك من التنافرات الكثيرة التي ذكرها علماؤنا وأثاروها في وجه الأناجيل الأربعة، مما يطول البحث بتعقبه واستقرائه .

وأنبه هنا إلى أن إنكار قيامة المسيح قديم، فهاهم أهل باغوس يحدثهم بولس "ولما سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون ، والبعض يقولون سنسمع منك عن هذا أيضا " (أعمال ٣٢/١٧) [2] ، ومما يدل على عدم صحتها: جهل تلاميذ المسيح بها " لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب ، أنه ينبغي أن يقوم من الأموات " (يوحنا ١٠/٢٠) وعليه فإن فكرة سرقة الجسد من القبر كان إشاعة قديمة لتبرير القيامة.

وكذا، فإن روايات الظهور كلها يرفضها منصور حسين لما فيها من تناقضات كما أسلفنا، ولأن تلاميذ المسيح الذين ظهر لهم لم يعرفوه ، ثم أصبح مجرد أن كسر وبارك للتلميذين المنطلقين لعمواس ، أصبح مجرد ذلك دليلا على أنه المسيح ، وتصبح الإشاعة حقيقة . ويستدل أيضا بتجاهل الإنجيليين لتكرار الظهور للتلاميذ، ولو كان ذلك حقا لأطبقت على ذكره الأناجيل .[3]

ومن الأدلة على كذب القيامة: وجود المسيح وظهوره ، فوجوده دليل على أنه لم يمت، لأن التوراة تقول: " السحاب يضمحل ويزول ، هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد " (أيوب ٩/٧) ولو كان المسيح قد مات لايرونه بعد لأنه قال: " لأني ذاهب إلى أبي ، ولا ترونني أيضا " (يوحنا ١/١٦) ويؤكد هذا قوله: "الحق الحق أقول لكم ، إنكم لاترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب" (لوقا ٥/١٣).[4]

وهكذا ومن خلال هذا كله يتبين لنا أن الروايات الإنجيلية أقل بكثير من أن تصلح للاعتبار في مسألة مهمة كهذه إذ هي عمل بشري ممتلئ بسائر أنواع الضعف البشري .

---

(١) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٦٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٥ .

(٢) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٨ .

(٣) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٤١ - ٢٥٠ .

(٤) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

المطلب الثاني: إبطال الصلب بالدليل التاريخي

يدعي النصارى أن المسلمين بقولهم بنجاة المسيح من الصلب ينكرون حقيقة تاريخية أجمع عليها اليهود والنصارى الذين عاصروا صلب المسيح ومن بعدهم .

فكيف لنبي الإسلام وأتباعه الذين جاءوا بعد ستة قرون من الحادثة أن ينكروا ذلك؟ !!

قد يبدو الاعتراض النصراني وجيها لأول وهلة ، لكن عند التأمل في شهادة الشهود تبين لنا تناقضها وتفكك رواياتهم .

ولدى الرجوع إلى التاريخ والتنقيب في رواياته وأخباره عن حقيقة حادثة الصلب ، ومن المصلوب فيها ؟ يتبين حينذاك أمور مهمة : -

- أن قدماء النصارى كثر منهم منكرو صلب المسيح، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق كثيرة أنكرت الصلب .ونقل علماؤنا أسماء هذه الفرق. و لم يعرفوا بأصحابها ولا زمان نشأتها .

وهذه الفرق هي : الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والماركيونية والباردیسيانية والسيرنثييون والبارسكاليونية والبولسية والماينسية ، والتايتانيسيون والدوسيتية والمارسيونية والفلنطانيائية والهرمسيون.[1]

وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح ، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول ففي كتابه " الأرطقات مع دحضها " ذكر القديس الفونسوس ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري : إن المسيح قوة غير هيولية ، وكان يتشح ما شاء من الهيئات ، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي ، وأعطاه صورته، فصلب سمعان ، بينما كان يسوع يسخر باليهود ، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء .[2]

ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول فتتون شارح مت: " إن إحدى الطوائف الغنوسطية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلا من يسوع " .[3]

وقد استمر إنكار صلب المسيح ،فكان من المنكرين الراهب تيودورس(٥٦٠م)والأسقف يوحنا ابن

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥٦٥ ،محمد في الكتاب المقدس ، عبد الأحد داود ، ترجمة : فهمي شما ، مطابع الدوحة الحديثة ، ص ٢٢٧ قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٠ ، ٤٢ - ٤٣ ، ١٠١ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٤ ، وعيسى رسول الإسلام سليمان شاهد مفسر ص ٢٢ ، والنصرانية، مصطفى شاهين ص ٨١ - ٨٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١٨ - ٣١٩،الأديان في القرآن ، محمود بن شريف،ص٢٢١ .

(٢) انظر : أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ص ٧٥ .

(٣) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

حاكم قبرص(٦١٠م) وغيرهم.

ولعل أهم هذه الفرق الباسيليديون؛ الذين نقل عنهم سيوس في " عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية " والمفسر جورج سايل أنهم يقولون بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني ، وسماه بعضهم سيمون السيرناي ، ولعل الاسمين لواحد، وهذه الفرقة كانت تقول أيضا ببشرية المسيح .

ويقول باسيليوس الباسليدي " إن نفس حادثة القيامة المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح " .

ويرى عبد الرحمن باجي زادة أن شهادة باسيليوس معتبرة وقوية ، لأنه من أهل سوريا ، وهم من أقرب الناس إلى الحدث ، فشهادتهم فيه قوية .[١] ولعل هؤلاء هم الذين عناهم جرجي زيدان حين قال: " الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب ، وإنما صلب رجل آخر مكانه " [٢]

ومن هذه الفرق التي قالت بصلب غير المسيح بدلا عنه : الكورنثيون والكاربوكرايتون والسيرنثيون .

وقالوا بصلب يهوذا الذي يذكر المستشرق المفسر جورج سايل بأنه كان يشبه المسيح في خلقه .[٣] ومما يؤيد هؤلاء: الخلاف في كيفية موت يهوذا، وثمة فرق نصرانية قالت بأن المسيح نجا من الصلب ، وأنه رفع إلى السماء ، ومنهم الروسيتية والمرسيونية والفلنطنيائية . وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح ، ويرون القول بصلب المسيح وإهانته لايلائم البنوة والإلهية .[٤]

بينما يعتبر الباسيليديون والكورنثيون من الفرق الموحدة .[٥]

كما تناقل علماء النصارى ومحققوهم إنكار صلب المسيح في كتبهم وأهم من قال بذلك الحواري برنابا في إنجيله .[٦]

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠١ ،الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، ص ٢٢١،النصرانية ، مصطفى سليمان شاهد مفسر ص ٢٢ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧٥ .

(٣) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٠ ، ٤٢ - ٤٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١٨ .

(٤) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٥ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، والنصرانية ، مصطفى شاهين ص ٨١ - ٨٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ،ص ٣١٨

(٥) انظر : عيسى رسول الإسلام ، سليمان شاهد مفسر ص ٢٢ .

(٦) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٠، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٢ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ص ٧٥ وغيرهم .

ويقول ارنست دي بوش الألماني في كتابه " الإسلام :أي النصرانية الحقة " ما معناه إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح ، لا في أصول النصرانية الأصلية .

ويقول ملمن في كتابه " تاريخ الديانة النصرانية " : " إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس ، وإسدال ثوب الظلام ، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف، وصدقهم القرآن " .(١)

وينقل الجبهان ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية في موضوع روايات الصلب حيث جعلتها أوضح مثال للتزوير في الأناجيل .(٢)

وكان الألماني فنتيو ديني في بداية القرن التاسع عشر يكذب الأناجيل القائلة بموت المسيح على الصليب ، ويقول بإنزال المسيح عن الصليب حيا ، فيقول " يسوع قد أغمي عليه فقط ، ثم أفاق فيما بعد نتيجة لبرودة القبر المنحوت في الصخرة " .(٣)

ومن المنكرين أيضا صاحب كتاب " الدم المقدس ، وكأس المسيح المقدس " فقد ذكر في كتابه أن السيد المسيح لم يصلب ، وأنه غادر فلسطين ، وتزوج مريم المجدلية ، وأنهما أنجبا أولادا ، وأنه قد عثر على قبره في جنوب فرنسا ، وأن أولاده سيرثون أوربا، ويصبحون ملوكا عليها .

وذكر أيضا أن المصلوب هو الخائن يهوذا الأسخريوطي، الذي صلب بدلا من المسيح المرفوع .(٤)

وإذا كان هؤلاء جميعا من النصارى ، يتبين أن لا إجماع عند النصارى على صلب المسيح ، فتبطل دعواهم بذلك .

ويذكر معرب " الإنجيل والصليب " ما يقلل أهمية إجماع النصارى لوصح فيقول بأن أحد المبشرين قال له : كيف ينكر وقوع الصليب ، وعالم المسيحية مطبق على وقوعه ؟

فأجابه كم مضى على ظهور مذهب السبتيين ؟ فأجاب القس المبشر : نحو أربعين سنة .

فقال المعرب : إن العالم المسيحي العظيم الذي أطبق على ترك السبت خطأ ١٩٠٠ سنة ، هو الذي أطبق على الصلب .(٥)

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٦٦ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦١ - ٦٢ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ص ٨٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١٨ .

(٢) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٢ .

(٣) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٤ .

(٤) انظر : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

(٥) انظر : الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ٦٩ .

وأما إجماع اليهود فهو أيضا لايصح القول به ، إذ أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس المعاصر للمسيح والذي كتب تاريخه سنة ٧١م أمام طيطوس لم يذكر شيئا عن قتل المسيح وصلبه .

أما تلك السطور القليلة التي تحدثت عن قتل المسيح وصلبه ، فهي إلحاقات نصرانية كما جزم بذلك المحققون وقالوا : بأنها ترجع للقرن السادس عشر ، وأنها لم تكن في النسخ القديمة .

وكذلك خلا التلمود من الحديث عن الصلب ، ويبدو أ ن هذا الإغفال كان متعمدا كما قال إسرائيل ولفنون : تعمده اليهود خوفا من القلاقل .[1]

ونقول بأن تجاهل التلمود واليهود لرواية صلب المسيح لايمكن اعتباره إقرارا بذلك، إذ لاينسب لساكت قول .

ولو صح أنه كان في التلمود ذكر الصلب ، ثم حذف منه، فإن الخلاف بيننا وبين اليهود قائم في تحقيق شخصية المصلوب ، وليس في وقوع حادثة الصلب . ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ﴾[2] وهذا حال اليهود والنصارى فيه . ولكن المؤرخ الوثني تاسيتوس كتب عام ١١٧م كتابا تحدث فيه عن المسيح المصلوب.

وعند دراسة ما كتبه تاسيتوس، يتبين ضعف الاحتجاج بكلامه، إذ هو ينقل إشاعات ترددت هنا وهناك ، ويشبه كلامه أقوال النصارى في محمد ﷺ في القرون الوسطى .

ومما يدل على ضعف مصادره، ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية، من أنه ذكرا أمورا مضحكة، فقد جعل حادثة الصلب حادثة أممية ، مع أنها لاتعدو أن تكون شأنا محليا خاصا باليهود ، ولاعلاقة لروما بذلك .

ومن الجهل الفاضح عند هذا المؤرخ، أنه كان يتحدث عن اليهود - ومقصده : النصارى. فذكر أن كلوديوس طردهم من رومية ، لأنهم كانوا يحدثون شغبا وقلاقل يحرضهم عليها " السامي " أو " الحسن " ويريد بذلك المسيح .

ومن الأمور المضحكة التي ذكرها تاسيتوس قوله عن اليهود والنصارى بأن لهم إلها، رأسه رأس حمار ، وهذا هو مدى علمه بالقوم وخبرته .

كما قد شكك المؤرخون بصحة نسبة العبارة إلى تاسيتوس ، ومنهم العلامة أندريسن وصاحبا كتابي " ملخص تاريخ الدين " و " شهود تاريخ يسوع " .

وقد تحدث أندريسن أن العبارة التي يحتج بها النصارى على صلب المسيح في كلامه مغايرة لما في النسخ القديمة التي تحدثت عن CHRESTIANOS بمعنى الطيبين ، فأبدلها النصارى ، وحوروها

---

(١) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٥ ، دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٧٩ ، المسيحية أحمد شلبي ص ٧٦ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٠٥ ، ومخطوطات البحر الميت . أحمد عثمان ص ١٤٤ .

(٢) انظر : سورة النساء ، آية : ١٥٧ .

إلى : CHRISTIANOS بمعنى المسيحيين .

وقد كانت الكلمة الأولى (الطيبين) تطلق على عباد إله المصريين "أوزيريس" ، وقد هاجر بعضهم من مصر، وعاشوا في روما ، وقد مقتهم أهلها وسموهم : اليهود ، لأنهم لم يميزوا بينهم وبين اليهود المهاجرين من الإسكندرية، فلما حصل حريق روما؛ ألصقوه بهم بسبب الكراهية ، واضطهدوهم في عهد نيرون .

وقد ظن بعض النصارى أن تاسيتوس يريد مسيحهم الذي صلبوه ، فحرف العبارة، وهو يظن أنه يصححها . ويرى العلامة أندريسن أن هذا التفسير هو الصحيح .

ويراه الأفندي معقولا ، وإلا كان هذا المؤرخ لايعرف الفرق بين اليهود والنصارى ، ويجهل أن ليس ثمة علاقة بين المسيح وروما .

فإن قال النصارى بأن تاسيتوس نقله من مصدر رسمي يصرح فيه بصلب المسيح ؛ فيقال بأن المصدر يعتمد على كلام بيلاطس ، وهو ممن لايعرف الحقيقة ، وشبه له كما شبه لرؤساء الكهنة والتلاميذ .[1]

كما لاحظ علماؤنا أن القصة بعمومها تشكل من الناحية التاريخية لليهود ، فمثلا كيف تنصاع الحكومة الرومانية المعروفة بتسلطها لليهود وتجيبهم لطلبهم قتل المسيح . وهم الذين قال عنهم المؤرخ أرنست رنان : " إن الحكومة الرومانية تجهد في نيل هذا المطلوب حتى كادت معالم اليهودية أن تمحى من صحيفة الوجود " ؟[2]

ويحاول إسرائيل ولفنون الإجابة عن هذا فيقول بأن المسيح كان من حزب مضاد للرومان ، فأغروا اليهود ليشتكوا عليه ، وصلبوه .[3]

ولكن هذا لادليل عليه ، بل إن الروايات مصرحة بدور اليهود الكامل في المؤامرة على المسيح ، وبراءة الوالي الروماني من ذلك .

والذين يقولون بأن حادثة الصلب بجملتها مركبة في أخيلة الإنجيليين، تناقلها بعضهم عن بعض: يستدلون لذلك بأن الصلب ليس شريعة لليهود؛ بل عقوبة من يدعي الإلهية – كما ادعوا عليه في المحاكمة – هي الرجم، فقد جاء في سفر التثنية " إذا وجد في وسطك في أحد أبوابك التي يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شرا في عيني الرب إلهك بتجاوز عهده ، ويذهب ويعبد آلهة أخرى ... ارجمه بالحجارة حتى يموت " (التثنية ٢/١٧ - ٦) .

فصلب المسيح ليس شريعة يهودية ، فشريعتهم عند الصلب أن يكون التعليق بعد الموت " وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل ، وعلقته على خشبة؛ فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه في ذلك

---

(١) انظر: عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٤ - ٩٧ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٧ .

(٣) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٥ .

اليوم " (التثنية ٢١/٢٢ - ٢٣)

ثم إن الرومان لايصلبون على الجرائم الدنيئة ، فكيف صلب معه اللصان ؟ .[١]

وهنا يبرز سؤال: ما هي الجريمة التي ارتكبها المسيح حتى يحكموا عليه بالصلب ؟

الأناجيل تبرز إجابتين مختلفتين، ففي محاكمة المسيح أمام رئيس الكهنة كانت جريمته ادعاء الألوهية ففي متى أنه قال له: " أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ " ولما قال المسيح: " من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء " اعتبروها دليلا على ادعائه الألوهية " فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا : قد جدف ، ما حاجتنا بعد إلى شهود ، ها قد سمعتم تجديفه . ماذا ترون ؟ فأجابوه وقالوا : إنه مستوجب الموت" . (متى ٢٦/٦٢ - ٦٦) وأما السبب الثاني فهو الذي ذكر في بلاط بيلاطس، وهو أن المسيح ادعى أنه ملك اليهود " فوقف يسوع أمام الوالي ، فسأله الوالي قائلا أأنت ملك اليهود ؟ (متى ٢٧/١١) وهو ما كتبه الوالي فوق المصلوب " وجعلوا فوق رأسه علته مكتوب هذا هو يسوع ملك اليهود " (متى ٢٧/ ٣٧) (وانظر : يوحنا ١٨/٢٩ - ٣٨) .

ويتعلق النصارى بالرأي الأول ويرونه السبب الحقيقي ، وأما الثاني فيبدو أنه كان لإجبار بيلاطس على الحكم بقتل المسيح (انظر : يوحنا ١٩/١٢) لكن "المجذوب" يقرر أن الذي ادعاه النصارى ليس بصحيح فقد كشف عام ١٨٢٠م أيام حملة نابليون على عكا أنه عثرت بعثة الجيش الفنية على صفحة برونزية ضمن وعاء من الرخام الأبيض ، وفيها صورة الحكم الجنائي الذي أصدره بيلاطس على المسيح . وصيغته كما أوردته مجلة "الإيمان" المسيحية الصادرة عن البطريركية الأرثوذكسية بدمشق : " نحن بيلاطس النبطي حاكم الجليل الأدنى ، المتسنم رئاسة مجلس الشيوخ نحكم على يسوع الناصري بالموت على الصليب بين لصين للأسباب التالية :

١) أن يسوع مضلل . ٢) أنه ضال .

٣) أنه عدو للقانون الروماني . ٤) أنه يدعي نبوة الله باطلا .

٥) أنه يدعي ملك إسرائيل باطلا ٦) أنه دخل الهيكل والجموع تتبعه بسعف النخل .....

وبناء عليه فإن بيلاطس يأمر كرنيوس كيو نيليوس قائد المائة أن يقود المجرم إلى مكان العقاب ، ويحظر على أي شخص أن يسترحم السلطة بشأن هذا العقاب " .[٢]

فلو صح أن هذا هو قرار بيلاطس؛ فهو صفعة للقائلين بألوهيته ؛ إذ لايوجد من الناحية الدينية ما هو أكثر من ادعاء النبوة .

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٨٤ ، ٨٧ ، وانظر مخطوطات البحر الميت ، أحمد عثمان ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

ويلمس "المجذوب" أيضا قسوة في قرار بيلاطس، تتعارض مع تعاطفه مع المسيح ، وتفسيره كما يرى المجذوب أن بيلاطس أطلق باراباس لتتفرق الجموع ، وأقنعهم بقسوة القرار بجديته في تطبيقه ، فتفرقوا، فساق جنده غير المسيح وصلبوه .[1]

ولاشك أن كلام "المجذوب" هنا محتمل ، لكنه ضعيف .

والذي أراه أن الوثيقة برمتها ليست لها تلك الأهمية ، فهي لاتعدو أن تكون عملا قام به متأخرون، أرادوا تخليد هذا القرار ، ولايعلم وجه الدقة في نقلهم ، أو في مصادرهم ، ولو وقفنا على قرار بيلاطس في وثيقته الأصلية لكان للوثيقة ذلك الاهتمام .

ويورد "محمد المجذوب" كشفا أثريا مهما تناقلته وكالات الأنباء، وبثته إذاعة لندن في صباح ١٣٩٠/١١/٨هـ ، والخبر يذكر أنه اكتشف علماء الآثار الإسرائيليون ما يصفونه بأنه أول دليل مادي على صلب المسيح ، فقد اكتشف وجود عظام في إحدى المقابر القديمة، في الشمال الشرقي في القدس ، وهي بقايا لرجل تعرض للصلب ، وثبت بالمسامير قبل نحو ألفي عام ، ومع ذلك فإن علماء الآثار الإسرائيليين يستبعدون أن تكون العظام عظام السيد المسيح نفسه .

ويلحظ "المجذوب" ما في الخبر من اضطراب، فقد اعتبر أول دليل على صلب المسيح، مع أن العظام ليست عظام المسيح .

لكن الخبر دليل واضح على مايقوله المسلمون من وقوع الصلب على آخر غير المسيح ، وأما المسيح : فقد سلم بجسده وروحه من الصلب ، ولايمكن الجزم بعلاقة هذا الكشف الأثري بالمسيح، لأنه كم من رجل صلب في ذلك الزمان .[2]

وهكذا فإن التاريخ أيضا ناطق بالحقيقة ، مثبت لما ذكره القرآن عن نجاة المسيح وصلب غيره .

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ١٨٣ .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ١٧٩ - ١٨١ .

المطلب الثالث : إبطال الصلب بنبوءات التوراة

تحتل النبوءات في الفكر المسيحي مكانة سامقة ، جعلت بعض النصارى يشترطون لصحة النبوة أن يسبقها نبوءة [1]

وحادثة صلب المسيح - كما يعتبرها النصارى - أحد أهم أحداث المعمورة ، فكان لابد وأن يتحدث عنها الأنبياء في أسفارهم ، وأن يذكرها المسيح لتلاميذه .

فهل أخبرت الأنبياء بصلب المسيح وقيامته ؟ وهل أخبر المسيح تلاميذه بذلك ؟والإجابة النصرانية عن هذا التساؤل كانت بالإيجاب ، وأن ذلك في مواضع كثيرة من الأناجيل والرسائل والأسفار التوراتية .

ولعل من نافلة القول أن نذكر بأن النصارى يعتبرون أسفار التوراة جزء مقدسا كتابهم المقدس ، كيف لا والأناجيل ما فتئت تحيل إلى هذه الأسفار، تستمد منها تنبؤاتها المستقبلية، التي تحققت في شخص المسيح في حياته أو حين صلبه ؟.

وللأسفار التوراتية دور عظيم في مسألة صلب المسيح ، فقد أكثرت الأناجيل في هذه القصة من الإحالة إلى أسفار التوراة؛ التي يرونها تتنبأ بالمسيح المصلوب ، وكانت نصف هذه الإحالات إلى المزامير المنسوبة لداود وغيره وقد ذكر عيسى عليه السلام لتلاميذه ضرورة أن تتحقق فيه النبوءات التوراتية بقوله: "لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير" (لوقا ٢٦/٤٤) ويقول : " فتشوا الكتب .... وهي التي تشهد لي " (يوحنا ٥/٣٩) والنبوءات التي أحالت إليها الأناجيل بخصوص حادثة الصلب أربع عشرة نبوءة ، ذكر متى منها ستا ، ومرقس أربعا، ولوقا اثنتين، بينما ذكر منها يوحنا سبع نبوءات .

ونخلص من هذا إلى أهمية النبوءات التوراتية المتعلقة بصلب المسيح .

ويبالغ النصارى في التركيز على أهمية النبوءات التوراتية المتحدثة والمشيرة للمسيح وكثرتها، فيقول القمص سرجيوس في كتابه " هل تنبأت التوراة عن المسيح " : " فالمسيح ساطع في كل الكتاب المقدس في إشراق دائم ، وليس كالشمس التي تغيب عن نصف الأرض ليلا ، إذ ليس في التوراة أو كتب الأنبياء جزء تغرب عنه شمس المسيح ، بل يشع اسمه، وشخصه ، وصفاته ، وأعماله، وظروفه ، وأحواله في التوراة ، وكتب الأنبياء ، وفي ثنايا سطورها نجد المسيح في كل جملة ، وفي كل إصحاح ، وفي كل سفر من أسفارها . وما حروفها وكلماتها إلا خطوطا أو ظلالا لصورة المسيح المجيدة .... فنحن المسيحيين لاهتم أين نفتح التوراة وكتب الأنبياء لنجد الكلام عن المسيح .... " [2] ورغم ما في الكلام من مبالغة ،

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ، على بن ربن الطبري ، ص ٤٨ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٧٢ - ٧٤ .

فإننا – كما يقول منصور حسين – نستشف منه أهمية النصوص التوارتية في الدلالة على المسيح .

ولسفر المزامير وموضوع الصلب شان خاص يصفه سرجيوس فيقول " أما سفر المزامير فكان الهالة ، التي أحاطت بكوكب يسوع، فتكلم حتى عن إحساساته العميقة، وآلامه المبرحة ناهيك عن صفاته وألقابه، أكثر من أي نبي آخر ، ويمكننا القول، أن سفر المزامير هو سفر "مسيا" الخاص ، بدليل أن الاقتباسات التي اقتبسها كتبة العهد القديم من سفر المزامير هذا بلغت نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم كله " (١)

ويؤكد عبد الفادي القاهراني أهمية المزامير في كتابه " رب المجد " بقوله : " لم يوجد كتاب مليء بالإشارات والرموز والنبوءات عن المسيح أكثر من كتاب المزامير هذا ، وعليه فأهميته في نظر اللاهوتيين تفوق الوصف " (٢)

وحين استدل النصارى بما في المزامير فإن صاحب " الفارق " رفض استدلالهم، وقال " إن هذا الإشكال لايرد علينا ، ولايصح أن يكون حجة ، لأن التحريف في هذه الكتب قد ثبت ثبوتا قطعيا بإقرار العلماء من سائر الفرق النصرانية " (٣)

لكن منصور حسين ومن تابعه من العلماء ارتضوا محاكمة النصارى في هذه المسألة إلى أسفار التوراة.

ويبرر منصور حسين ذلك بأنه ليس من المقبول أن يتصور أحد أن اليهود يغيرون كتبهم لتتمشى مع معتقدات النصارى ، لذا فهو يرتضي هذه الكتب معيارا للكشف عن الحقيقة .

وكمقدمة لجهده الرائع، يمايز منصور حسين بين الرأي الإسلامي والنصراني ويحدد موضع الخلاف .

فيرى أن النصارى يقولون بصلب المسيح بينما يقول المسلمون بأنه لم يصلب، وأنه قد شبه غير المسيح به ، ولاينفون وقوع صلب لغيره ،كما لاينفون جملة ما ترويه الأناجيل من أحداث صاحبت الصلب أو سبقته ، فالخلاف إنما هو في حقيقة المأخوذ والمصلوب ، فيري منصور حسين أنه يهوذا، كما سيتبين لنا تفصيله في حينه .

وللوصول إلى الحقيقة يقلب صفحات الأسفار التوراتية: مركزا على المزامير لأهميتها ، فقام بدراسة ست وثلاثين مزمورا(٤) ، يرى النصارى في كثير منها أنها تتحدث عن المسيح المصلوب .

ولسوف نستعرض منها في هذه الدراسة ستة مزامير فقط ، والمزامير الستة التي اختارها، يجمعها أنها

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٧٤ و"مسيا" مشتقة من الكلمة اليونانية "مسياس" وتعني المسيح . انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٨٩٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٥ .

(٣) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٥٩ .

(٤) وقد تجاهل منصور حسين خمسة وعشرين مزمورا آخر تتكامل مع نظريته في أن المصلوب يهوذا ، ولعل تجاهله لها خشية الإطناب والتكرار . وهذه المزامير هي ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

مما يعتبره النصارى نبوءات تحدثت عن المسيح المصلوب .

أولا : المزمور الثاني وفيه: " لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب في الباطل ، قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معا على الرب ، وعلى مسيحه، قائلين : لنقطع قيودها ولنطرح عنا ربطهما .

الساكن في السماوات يضحك ، الرب يستهزئ بهم ، حينئذ يتكلم عليهم[1] بغضبه ، ويرجفهم بغيظه " (المزمور ٢/١ - ٥) .

والمزمور : يراه النصارى نبوءة بالمسيح الموعود. يقول "د.هاني رزق" في كتابه " يسوع المسيح ناسوته وألوهيته "عن هذا المزمور: " وقد تحققت هذه النبوءة في أحداث العهد الجديد ، إن هذه النبوءة تشير إلى تآمر وقيام ملوك ورؤساء الشعب على يسوع المسيح لقتله وقطعه من الشعب ، وهذا ما تحقق في أحداث العهد الجديد في فترتين ، في زمان وجود يسوع المسيح له المجد في العالم " ويقصد تآمر هيرودس في طفولة المسيح ، ثم تآمر رؤساء الكهنة لصلب المسيح .

ووافقه "فخري عطية" في كتابه "دراسات في سفر المزامير" و"حبيب سعيد" في "من وحي القيثارة " وويفل ل كوبر في كتابه"مسيا عمله الفدائي" وياسين منصور في "الصليب في جميع الأديان "فيرى هؤلاء جميعا أن المزمور نبوءة بالمسيح المصلوب .

ولايرى منصور حسين مانعا في موافقتهم بأن المزمور نبوءة عن المسيح ، فالمزمور يتحدث عن مؤامرات اليهود عليه ، وهذا لا خلاف عليه بين المسلمين والنصارى ، وإنما الخلاف: هل نجحوا أم لا ؟ فبماذا يجيب النص ؟ يجيب بأن الله ضحك منهم واستهزأ بهم ، هل يكون ذلك لنجاحهم في صلب المسيح ، أم لنجاته من بين أيديهم ؟

ويبالغ منصور حسين في إنصافه العلمي ، فيرى أن النص لاينبئ تماما بنجاة المسيح وإن أومأ إليه لكنه في الحقيقة يستحيل أن يدل على صلب المسيح .[2]

ثانيا : المزمور السابع وفيه " يارب، إلهي عليك توكلت، خلصني من كل الذين يطردونني، ونجني لئلا يفترس كأسد نفسي، هاشما إياها، ولامنقذ .

يارب، إلهي، إن كنت قد فعلت هذا، إن وجد ظلم في يدي ، إن كافأت مسالمي شرا ، وسلبت مضايقي بلا سبب ، فليطارد عدو نفسي ، وليدركها، وليدس إلى الأرض حياتي ، وليحط إلى التراب مجدي ،سلاه، قم يارب بغضبك ، ارتفع على سخط مضايقي ، وانتبه لي. بالحق أوحيت، ومجمع القبائل يحيط بك ، فعد فوقها إلى العلا ، الرب يدين الشعوب ، اقض لي يارب كحقي ، ومثل كمالي الذي في ، لينته شر الأشرار، وثبت الصديق ، فإن فاحص القلوب والكلى : الله البار ، ترسي عند الله مخلص مستقيمي القلوب. الله قاض عادل، وإله يسخط كل يوم، إن لم يرجع يحدد سيفه: مد قوسه وهيأها، وسدد نحوه آلة

---

(١) كذا والصواب يتكلم عنهم .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٨٧ - ٨٩ .

الموت ، يجعل سهامه ملتهبة . هو ذا يمخض بالإثم ، حمل تعبا ، وولد كذبا ، كرى جبا حفره ، فسقط في الهوة التي صنع ، يرجع تعبه على رأسه ، وعلى هامته يهبط ظلمه . أحمد الرب حسب بره ، وأرنم لاسم الرب العلي ". (مزمور ٧/١-١٧)

جاء في كتاب " دراسات في المزامير " لفخري عطية : " واضح أنه من مزامير البقية ، إذ يشير إلى زمن ضد المسيح ، وفيه نسمع صوت البقية ، ومرة أخرى نجد روح المسيح ينطق على فم داود بالأقوال التي تعبر عن مشاعر تلك البقية المتألمة، في أيام الضيق العظيمة " .

ويربط "منصور حسين " بين دعاء المزمور المستقبلي " يارب، إلهي، عليك توكلت، خلصني من كل الذين يطردونني ونجني .... " وبين دعاء المسيح ليلة أن جاءوا للقبض عليه. ثم يطلب الداعي من الله عونا؛ أن يرفعه إلى فوق، في لحظة ضيقه " فعد فوقها إلى العلا " ، ويشير إلى حصول ذلك في لحظة الإحاطة به " ومجمع القبائل - يحيط بك ، فعد فوقها إلى العلا " .

ثم يذكر المزمور بأن الله " قاض عادل " فهل من العدل أن يصلب المسيح أم يهوذا ؟ ثم يدعو الداعي أن يثبت الصديق ، وأن ينتهي شر الأشرار ، ويؤكد لجوءه إلى الله، مخلص القلوب المستقيمة .

ثم يتحدث المزمور عن خيانة يهوذا . وقد جاء " مد قوسه وهيأها وسدد نحوه آلة الموت "(القبلة)" ويجعل سهامه ملتهبة " .

ولكن حصل أمر عظيم ، لقد انقلب السحر على الساحر، " هو ذا يمخض بالإثم ، حمل تعبا ، وولد كذبا ، كرى جبا ، حفره فسقط في الهوة التي صنع ، يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه " لقد ذاق يهوذا ما كان حفره لسيده المسيح ، ونجا المسيح في مجمع القبائل إلى العلا .

ثم ينتهى المزمور بحمد الله على هذه العاقبة " أحمد الرب حسب بره ، وأرنم لاسم الرب العلي " وهكذا نرى في هذا المزمور مع منصور حسين صورة واضحة لما حصل في ذلك اليوم، حيث نجى الله عز وجل نبيه ، وأهلك يهوذا .[1]

ولامخرج للنصارى إزاء هذا النص إلا إنكاره ، أو التسليم له ، والقول بأن المسيح له ظلم ، وله إثم ، وأنه ذاق ماكان يستحقه ، وأن الله عادل؛ بقضائه بقتل المسيح .

وأن ذلك أعدل وأفضل من القول بنجاته؛ وصلب يهوذا الظالم الآثم ، جزاء لفعله وخيانته، وإلا فعليهم الرجوع إلى رأى المسلمين؛ بأن النص نبوءة عن يهوذا الخائن ، ولا رابع لهذه الخيارات الثلاثة .

ثالثا : المزمور العشرون وفيه: " ليستجب لك الرب في يوم الضيق . ليرفعك اسم إله يعقوب ، ليرسل لك عونا من قدسه ، ومن صهيون ليعضدك ، ليذكر كل تقدماتك ، وليستسمن محرقاتك ، سلاه ، ليعطك حسب قلبك ، ويتمم كل رأيك ، نترنم بخلاصك،وباسم إلهنا نرفع رايتنا ، ليكمل الرب كل سؤلك .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٩٥ - ٩٧ .

الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه ، بجبروت خلاص يمينه ، هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل ، أما نحن: فاسم الرب إلهنا نذكره ، هم جثوا وسقطوا ، أما نحن: فقمنا وانتصبنا ، يارب: خلص ، ليستجيب لنا الملك في يوم دعائنا " (المزمور ٢٠/١ - ٩) .

يقول هاني رزق في كتابه " يسوع المسيح في ناسوته ولاهوته " : " تنبأ داود النبي (١٠٥٦ ق . م) ، و(حبقوق النبي ٧٢٦ ق . م) ، بأن الرب هو المسيح المخلص ، نبوءة داود النبي، مزمور ٢٠/٩ " الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه .... "

وفي كتاب " دراسات في سفر المزامير" "يؤكد فخري عطية" هذا، ويقول عن الفقرة التاسعة من هذا المزمور " في هذا العدد تعبير يشير في الكتب النبوية إلى ربنا يسوع المسيح نفسه ، تعبير يستخدمه الشعب الأرضي عن المخلص العتيد " .

ولكن منصور حسين في قراءته المتأنية لهذا المزمور يرى المزمور ناطقا بنجاة المسيح" حيث يبتهل صاحب المزمور طالبا النجاة له في يوم الضيق ، وليس من يوم مر على المسيح أضيق من ذلك اليوم الذي دعا فيه طويلا، طالبا من الله أن يصرف عنه هذا الكأس " وإذ كان في جهاد؛ كان يصلي بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض " (لوقا ٤٤/٢٢) .

ويذكر النص إجابة دعائه " الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص " فالنص يذكر المسيح بالاسم، ويتحدث عن خلاصه ، ويتحدث أيضا عن لحظة الخلاص " هم جثوا وسقطوا ، أما نحن فقمنا وانتصبنا " فهو يتحدث عن لحظة وقوع الجند كما في يوحنا " فلما قال لهم : إني أنا هو ؛ رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض " (يوحنا ٦/١٨) كما تحدث النص عن طريق النجاة ألا وهو الرفع إلى السماء " ليرفعك اسم إله يعقوب ، ليرسل لك عونا من قدسه ، ومن صهيون ليعضدك " .

ورغم الردود الكثيرة التي صدرت للرد على الطبعة الأولى من كتاب " دعوة الحق " ، فإن أحدا منها لم يقدم إجابة عن مثل هذا الاستدلال من المؤلف ، ويعجب المؤلف من أصحاب هذه الردود ، ومنهم ياسين منصور ، فقد رد على الكتاب في أربعة كتب، و لم يذكر هذا المزمور بشيء .

وأما القمص باسيليوس فقد كان رده بأن المؤلف " جاهل بمعاني النصوص الكتابية، عندما ظن أن المسيح هنا هو عيسى ، بل المسيح هو داود الممسوح بالزيت " [1]

وهكذا لم يجد هؤلاء سوى الفرار من هذا النص ، وتعطيله ، وتكذيب ما ادعوه من أنه نبوءة صريحة بالمسيح عليه السلام .

رابعا : المزمور الحادي والعشرون يعتبره المؤلف متمما لما سبق في المزمور العشرين، وفيه : " يارب، بقوتك يفرح الملك ، وبخلاصك ، كيف لايبتهج جدا؟ شهوة قلبه أعطيته ، وملتمس شفتيه لم تمنعه، سلاه .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١١٢ - ١١٦ .

لأنك تتقدمه ببركات خير ، وضعت على رأسه تاجا من إبريز حياة ، سألك فأعطيته ، طول الأيام إلى الدهر والأبد عظيم ، مجده بخلاصك، جلالا وبهاء تضع عليه ، لأنك جعلته بركات إلى الأبد ، تفرحه ابتهاجا أمامك ، لأن الملك يتوكل على الرب، وبنعمة العلي لايتزعزع .

تصيب يدك جميع أعدائك ، يمينك تصيب كل مبغضيك ، تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك ، الرب بسخطه يبتلعهم ، وتأكلهم النار ، تبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم ، لأنهم نصبوا عليك شرا ، تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها ، لأنك تجعلهم يقولون ؛ تفوق السهم على أوتارك تلقاء وجوههم، ارتفع يارب بقوتك ، نرنم وتنغم بجبروتك " (المزمور ٢١/١ - ٣) .

يقول فخري عطية في كتابه ... "دراسات في سفر المزامير: " إن المسيح هو المقصود بهذا المزمور "ووافقه كتاب " تأملات في المزامير " لآباء الكنيسة الصادر عن كنيسة مار جرجس باسبورتنج .

ويوافقهم أيضا منصور حسين ، كما وافق فخري عطية الذي يرى بأن هذا المزمور مرتبط بالمزمور العشرين .

فقد حكى المزمور العشرون عن دعاء المسيح وعن استجابة الله له، ويحكي هذا المزمور (٢١) عن فرحه بهذه الاستجابة " يارب بقوتك يفرح الملك ، وبخلاصك كيف لايبتهج جدا ... نرنم وننغم بجبروتك ".

ويذكر المزمور أن الله أعطاه حياة جديدة " حياة سألك فأعطيته ، طول الأيام ، إلى الدهر ، والأبد ".

ويحكي المزمور عن أعداء المسيح الذين تآمروا عليه وفكروا في " مكيدة لم يستطيعوها " فهم لم يلحقوا الأذى به لأنه رفع " ارتفع يارب بقوتك " .

وأما هؤلاء الأعداء: فترجع مكيدتهم عليهم ، " تصيب يدك جميع أعدائك ، يمينك تصيب كل مبغضيك .. الرب بسخطه يبتلعهم، وتأكلهم النار ، تبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم .. تفوق السهام على أوتارك تلقاء وجوههم " [1] ثم تتكامل القصة في المزمور الثاني والعشرين .

خامسا : المزمور الثاني والعشرون وفيه :" إلهي إلهي لماذا تركتني بعيدا عن خلاصي؟ عن كلام زفيري؟ إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هدو لي . وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل ، عليك اتكل آباؤنا . اتكلوا فنجيتهم . إليك صرخوا فنجوا . عليك اتكلوا فلم يخزوا . أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر، ومحتقر الشعب . كل الذين يرونني يستهزئون بي . يفغرون الشفاه ، وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجه .

لينقذه، لأنه سر به، لأنك أنت جذبتني من البطن . جعلتني مطمئنا على ثديي أمي . عليك ألقيت من الرحم . من بطن أمي، أنت إلهي . لاتتباعد عني لأن الضيق قريب . لأنه لا معين . أحاطت بي ثيران كثيرة ، أقوياء باشان اكتنفتني . فغروا على أفواههم ، كأسد مفترس مزمجر . كالماء انسكبت ، انفصلت كل عظامي.

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١١٧ - ١٢٠ .

صار قلبي كالشمع . قد ذاب في وسط أمعائي . يبست مثل شقفة قوتي ، ولصق لساني بحنكي ، وإلى تراب الموت تضعني . لأنه قد أحاطت بي كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتني . ثقبوا يدي ورجلي . أحصى كل عظامي . وهم ينظرون ويتفرسون في . يقسمون ثيابي بينهم ، وعلى لباسي يقترعون" . (المزمور ٢٢/١-١٨).

ويجمع النصارى على أن هذا المزمور بنوءة عن المسيح ، فقد أحالت عليه الأناجيل يقول متى: " ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ، لكي يتم ما قيل بالنبي : اقتسموا ثيابي بينهم ، وعلى لباسي ألقوا قرعة " (متى ٢٧/٣٥) ومثله في (يوحنا ١٩/٢٤) والإحالة إلى هذا المزمور في قوله " يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون "

كما أن الرواية التي في المزمور توافق رواية الصلب في صراخ المصلوب : " إلهي إلهي لماذا تركتني " (متى ٢٧/٤٦) (مرقس ١٥/٣٤) .

ويوافق نص المزمور ما جاء في الأناجيل في بيان حال المصلوب " كان المجتازون يجدفون عليه ، وهم يهزون رؤوسهم قائلين : ياناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام ، خلص نفسك ، إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب ، قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده " (متى ٢٧/٣٩ - ٤٣). فهذا يشبه ماجاء في هذا المزمور " محتقر الشعب ، كل الذين يردونني يستهزءون بي .. وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب ، فلينجه".

كما يوافق النص الأناجيل كرة أخرى في قوله " جماعة من الأشرار اكتنفتني ، ثقبوا يدي ورجلي ، أحصي على عظامي " فهي تدل على أخذ المصلوب يوم سمرت يداه ورجلاه على الصليب .

لهذا كله كان إجماع النصارى على أن هذا المزمور نبوءة عن الصلب ، خاصة أن داود لم يمت مصلوبا ، فهو إذن يتحدث عن غيره ، وهو برأيهم عيسى المصلوب، وهو جزع، يائس، يصرخ " إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" عن المصلوب اليائس الذي يدعو فلا يستجاب له " إلهي، في النهار أدعو فلا تستجيب ، في الليل أدعو فلا هدو لي .. عليك اتكل آباؤنا فنجيتهم ، عليك صرخوا فنجوا ، عليك اتكلوا فلم يخزوا . أما أنا فدودة لا إنسان ... "

ويصف المزمور المصلوب بأنه " دودة لاإنسان ، عار عند البشر ، محتقر الشعب " فمن هو هذا اليائس الموصوف بأنه دودة ، وأنه عار عند البشر، وأنه محتقر ، وأنه لايستجاب له ؟ ويجيب منصور حسين إنه يهوذا، حيث جعلته خسته وخيانته كالدودة، وأصبح عارا على البشر ، كل البشر ، يحتقره الشعب ، ولايستجيب الله دعاءه لكن النصارى يقولون: بل هو المسيح المصلوب ، ووصفه بالدودة دلالة على تواضعه، ويستدل لذلك "ياسين منصور" في كتابه " بيان الحق " بأن داود شبه نفسه ببرغوث في (صموئيل(٢) ٢٤/١٤) واعتبره من جنسه، وأنه من تواضع المسيح .

و لم يرد في الأناجيل وصف المسيح لنفسه بأنه دودة ، وأما التواضع الجم الذي ينسبه النصارى هنا للمسيح ، فهو في الحقيقة ذلة وحقارة ، ومثل هذا لايكون في العابد حين يتذلل لربه ، بل يكون في المذنب

الجافي الذي يتذلل لربه، ويحتقر نفسه لكثرة معاصيه وذنوبه، وقباحتها .

لكن منصور حسين يرفض أن يوصف المسيح بأنه دودة ، ويعجب من أولئك الذين يدعون ألوهيته كيف يستسيغون تسميته بدودة ، بل الدودة هو الخائن يهوذا .

ثم كيف يوصف المسيح بالعار ، وهو مجد وفخر للبشر ؛ بل العار هو يهوذا، ويلحظ المؤلف أن النص يصفه بالعار ليس فقط عند جلاديه وأعدائه ، بل عند البشر جميعا ، ولايمكن أن يكون المسيح كذلك.

كما يلحظ أن كلمة "عار" تلحق بالشخص نفسه ، لابالصلب الواقع عليه ، فهو العار ، وهو الدودة.

وكيف يكون المسيح عارا وهو الذي يفخر به بولس في قوله " وأما من جهتي فحاشا أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع " (غلاطية ٦/١٤) فلم الفخر به إن كان عارا ؟

وأما وصف المصلوب بأنه " محتقر الشعب" فهو وصف ينطبق على المصلوب كائنا من كان فكلمة "الشعب" ، تشير لقبيلة من الناس، أو جيل منهم ، أو أولئك الذين حضروا الصلب، وكانوا يحتقرون المصلوب .[1]

سادسا : المزمور المائة والتاسع وفيه: " ياإله تسبيحي، لاتسكت ؛ لأنه قد انفتح على فم الشرير، وفم الغش . تكلموا معي بلسان كذب . بكلام بغض ، أحاطوا بي وقاتلوني بلا سبب . بدل محبتي يخاصمونني . أما أنا فصلوة . وضعوا على شرا بدل خير، وبغضا بدل حبي .

فأقم أنت عليه شريرا ، وليقف شيطان عن يمينه . إذا حوكم فليخرج مذنبا، وصلاته فلتكن خطية . لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر . ليكن بنوه أيتاما، وامرأته أرملة . ليته بنوه تيها ويستعطوا . ويلتمسوا خبزا من خربهم . ليصطد المرابي كل ما له، ولينهب الغرباء تعبه . لايكن له باسط رحمة، ولا يكن متر أف على يتاماه . لتنقرض ذريته . في الجيل القادم ليمح اسمهم . ليذكر إثم آبائه لدى الرب ولاتمح خطية أمه . لتكن أمام الرب دائما. وليقرض من الأرض ذكرهم . من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة، بل طرد إنسانا مسكينا وفقيرا، والمنسحق القلب ليميته . وأحب اللعنة، فأتته، و لم يسر بالبركة، فتباعدت عنه . ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت، كمياه في حشاه، وكزيت في عظامه . لتكن له كثوب يتعطف به، وكمنطقة يتمنطق بها دائما . هذه أجرة مبغضي من عند الرب ، وأجرة المتكلمين شرا على نفسي .

أما أنت يارب السيد فاصنع معي من أجل اسمك . لأن رحمتك طيبة نجني . فإني فقير، ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي . كظل عند ميله ذهبت . انتفضت كجرادة . ركبتاي ارتعشتا من الصوم، ولحمي هزل عن سمن . وأنا صرت عارا عندهم . ينظرون إلى وينغضون رؤوسهم .

أعني يارب، إلهي . خلصني حسب رحمتك . وليعلموا أن هذه هي يدك، أنت يارب فعلت هذا . أما

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٢٠ - ١٢٨ ، ٢٥٢ - ٢٥٤ .

هم فيلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح . ليلبس خصمائي خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء . أحمد الرب جدا بفمي، وفي وسط كثيرين أسبحه . لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلصه من القاضين على نفسه . (مزمور ١٠٩/١ - ٣١)

وهذا المزمور أيضا يراه النصارى على علاقة بقصة الصلب ، وأن المقصود في بعضه يهوذا ، وهو قوله " ووظيفته ليأخذها آخر ، ليكن بنوه أيتاما، وامرأته أرملة " ويلتمسوا خبزا من خربهم " وقد أحال عليه كاتب "أعمال الرسل" وهو يتحدث على لسان بطرس حين قال متحدثا عن يهوذا:" لأنه مكتوب في سفر المزامير : لتصر داره خرابا ، ولا يكن فيها ساكن ، وليأخذ وظيفته آخر " (أعمال ١/١٥ - ٢٦) وقد انتخب الحواريون بدلا من يهوذا تنفيذا لهذا الأمر يوسف ومتياس ، وأقرعوا بينهما، فوقت القرعة على متياس ، فحسبوه مكملا للأحد عشر رسولا (انظر أعمال ١/٢٣ - ٢٦) .

إذن فالنص في هذا المزمور متحدث عن يهوذا ولا ريب ، وهذا كما يؤكد منصور حسين صحيح ، فهو يتحدث عن محاكمته " وإذا حوكم فليخرج مذنبا " فمتى حوكم يهوذا إذا لم يكن هو المصلوب .؟والنص يتحدث عن محاكمته ، وعن نتيجة محاكمته " لتكن أيامه قليلة ، ووظيفته ليأخذها آخر " .

ويرى منصور حسين أن النص يتحدث في شطرين على لسان المسيح .

ففي الشطر الأول : يتحدث عن الأشرار الذين قاتلوه بلا سبب ، ووضعوا عليه الشر بدل الخير .

وفي الشطر الثاني : يستمطر القائل نفسه اللعنات على هذا الشرير ، ويسأل الله الخلاص حسب رحمته " أعني يارب، إلهي ، خلصني حسب رحمتك .. " ويفرح المسيح لخلاصه " لأنه يقوم عن يمين المسكين ، ليخلصه من القاضين على نفسه".

وأيضا تجاهل ياسين منصور في كتبه الأربعة الرد على استشهاد المؤلف بهذا المزمور، بينما كان رد القمص باسيليوس أن قال : " استخلص أحد الكتاب من هذا أن الذي حوكم كان يهوذا ....ولكن من أين استدل الكاتب على أن هذا الكلام خاص بشخص معين؟ " [1]

فلم يجد سبيلا لنقض كلام المؤلف سوى التنكر للنص ، ونسي ما جاء في سفر أعمال الرسل من إحالة عليه كما سبق . وخلال ستة وثلاثين مزمورا تكاملت الصورة ، وتكررت مرارا من غير أي تناقض أو تخالف، لقد كانت نصوص المزامير الستة والثلاثين تتمحور حول ثلاثة موضوعات الأول : الآيات التي تشير إلى دعاء المسيح أن يخلصه الله من الصلب، وقد تكررت أربعا وعشرين مرة منها .

" عند دعائي استجبت لي يا إله بري ، في الضيق رحبت لي ، تراءف على واسمع صلاتي " (المزمور ٤/١) .

"عد يارب، نج نفسي، خلصني من أجل رحمتك ، لأنه ليس في الموت ذكرك " (المزمور ٦/٤ - ٥).

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

" إليك يارب أصرخ ، وإلى السيد أتضرع ، ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة ؛ هل يحمدك التراب ؟ ، هل يخبر بحقك؟ ، استمع يارب ، وارحمني يارب ، كن معينا لي " (المزمور ٣٠/٨ - ١٠).

" عليك يارب توكلت ، لاتدعني أخزى مدى الدهر ، بعدلك نجني ، أمل إلي أذنك ، وسريعا أنقذني ، كن لي صخرة حصن ، بيت ملجأ لتخليصي، لأن صخرتي ومعقلي أنت ، من أجل اسمك تهديني وتقودني ، أخرجني من الشبكة التي خبئوها لي ، لأنك أنت حصني (المزمور ٣١/١-٤) " الرحمن ياالله لأنه بك احتمت نفسي ، وبظل جناحيك أحتمي ، إلى أن تعبر المصائب ، أصرخ إلى الله العلي ، الله المحامي عني " (المزمور ٥٧/١ ٢) .[1]

الثاني : الآيات والفقرات التي أشارت إلى رفع المسيح ، وتخليصه من الصلب، ذكر منها المؤلف سبعة وثلاثين نصا. منها :

" ابعدوا عني ياجميع فاعلي الإثم ، لأن الرب قد سمع صوت بكائي ، سمع الرب تضرعي ، الرب يقبل صلاتي " (المزمور ٦/٨ - ٩) .

" الرب صخرتي وحصني ومنقذي .... خلصني لأنه سربي " (المزمور ١٨/٢ - ١٩) .

" حي هو الرب ، ومبارك صخرتي .... إلى الأبد " (المزمور ١٨/٤٦ - ٥٠) .

" إلهي فاتكل عليه ، لأنه ينجيك من فخ الصياد ، ومن الوباء الخطر ، بخوافيه يظللك ، وتحت أجنحته تحتمي ، ترس ومجن حقه ، لاتخشى من خوف الليل ، ولا من سهم يطير ... لأنك قلت: يارب، أنت ملجأي، جعلت العلا مسكنك ، لايلاقيك شر ، ولاتدنو ضربة من خيمتك ، لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظوك في كل طرقك ، على الأيدي يحملونك ، لئلا تصدم بحجر رجلك ، على الأسد والصل تطأ ، الشبل والثعبان تدوس ، لأنه تعلق بي أنجيه ، أرفعه لأنه عرف اسمي ، يدعوني فأستجيب له ، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده ، من طول الأيام أشبعه ، وأريه خلاصي " (المزمور ٩١/٢ - ١٦) .

ثالثا : الآيات والفقرات التي تشير إلى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح ، وذكر منها المؤلف أربعة وعشرين نصا منها :

" لأنك أقمت حقي ودعواي ، جلست على الكرسي قاضيا عادلا ، انتهرت الأمم ، أهلكت الشرير ، ..تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها ، في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم ، معروف هو الرب قضاء أمضى : الشرير يعلق بعمل يده " (المزمور ٩/٤ - ١٦)

" يؤخذون بالمؤامرة التي فكروا بها " (المزمور ١٠/٣) .

" الشرير يتفكر ضد الصديق ، ويحرق عليه أسنانه ، الرب يضحك به ، لأنه رأى أن يومه آت ، الأشرار قد سلوا السيوف ، ومدوا قوسهم لرمي المسكين والفقير ، لقتل المستقيم طريقهم ، سيفهم يدخل

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٨٠ - ١٨٢) .

في قلبهم وقسيهم تنكسر " (المزمور ٣٧/١٢ - ١٥) .

" يا الله أنت عرفت حماقتي وذنوبي عنك لم تخف ، غطى الخجل وجهي ، صرت أجنبيا عند إخوتي ، وغريبا عند بني أمي ، .... أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي ، قدامك جميع مضايقي ، العار قد كسر قلبي فمرضت ، انتظرت رقة فلم تكن ، ومعزين فلم أجد ، ويجعلون في طعامي علقما ، وفي عطشي يسقونني خلا" (المزمور ٦٩/٥ - ٢١) .

" خاصم يارب مخاصمي ، قاتل مقاتلي ، .. ليخر وليخجل الذين يطلبون نفسي، ليرتد إلى الوراء ، ويخجل المتفكرون بإساءتي .. لأنهم بلا سبب أخفوا لي هوة شبكتهم ، بلا سبب حفروا لنفسي ، لتأته التهلكة وهو لايعلم ، ولتنشب به الشبكة التي أخفاها ، وفي التهلكة نفسها ليقع " (المزمور ٣٥/١ -٨).[١]

ويخلص منصور حسين إلى نتيجة وهي: " من جماع ما تقدم لانخلص إلا بأن المزامير تنبأت بحق بأن الله مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه ، يرفعه من أبواب الموت ، يرفعه فوق القائمين عليه ، يرسل من العلا فيأخذه .

أما يهوذا الإسخريوطي الذي حفر له هذه الحفرة ، وأتى على رأس الجمع من جنود وخدام ليقبضوا عليه ، على المسيح سيده ، فإنه في الحفرة نفسها يقع ، وبعمل يديه يعلق ، رجع تعبه على رأسه ، وعلى هامته هبط ظلمه ، صار عارا عند البشر ، فقبض عليه هو بدلا من المسيح ، وحوكم هو، وصلب بدلا منه .

وهكذا تستقيم النبوءة في المزامير ، وهكذا تتجلى النبوءة في المزامير، في أسطع وأروع وأسمى ما تكون النبوءة ، ليست آية نحرفها ، أو كلمة نحور معناها ، بل صورة كاملة ، عشرات الآيات ، عشرات المزامير ، كلها تنطق بصورة واحدة متكاملة ، تتكرر كثيرا ، ولكن أبدا لاتتغير .

هذه الحقيقة هي تلك التي نطق بها القرآن ، واعتقدها المسلمون ... ولمن يريد أن يزيد يقينا ، فها هي المزامير كلها في الكتاب المقدس، الذي يؤمن به المسيحيون، ويتداولونه، وإليها فليرجع ، ولن يزيده هذا إلا يقينا وتقديرا لهذه الحقيقة التي انتهينا إليها .. "[٢]

ولسائل أن يتساءل هل هذه النصوص نبوءات حقا تنبأت بالمسيح ونجاته من الصلب ؟

فالمزمور الثاني والعشرون- وهو من أهم المزامير في هذا المبحث يعتبره- أحمد عبد الوهاب وصفا لما حصل بين داود والعمالقة، حيث سبوا نساء بني إسرائيل وأبناءهم ، فلجأ إلى الله، فنصره عليهم ، واستخلص ما كانوا قد أخذوه منه كما جاء في (صموئيل (١) ٣٠/١ — ١٩) [٣] .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٨٣ - ١٩٢ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٢٤ ، ومثله يرى محمد توفيق الأفندي أن جميع ما ورد في المزامير وغيرها مما يصرفه النصارى للمسيح ، إنما هو خاص بأحداث حصلت لبني إسرائيل كحرب داود مع العماليق وقصة يهوذا المكابي ، وأما التشابه بين هذه النصوص والأناجيل فمرده كما قال جمال الدين الأفغاني " إن النصارى فصلوا

وفي الإجابة عن هذا السؤال يرى منصور حسين أن ليس للنصارى معيار معقول في استنباط النبوءات، بل إن كل نصوص التوراة من الممكن أن تتحول عندهم لفرط شططهم في تعسف النصوص ، فتتحول كل التوراة إلى نبوءات بالمسيح.

وكمثال لهذا الشطط يعرض لما جاء في يوحنا " ليتم الكتاب القائل : عظم لا يكسر منه " (يوحنا ٣٦/١٩) ومراده ما جاء في سفر الخروج " وقال الرب لموسى وهارون: هذه فريضة الفصح ، كل ابن غريب لايأكل منه ، ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ، ثم يأكل منه ، النزيل والأجير لايأكلان منه ، في بيت واحد يؤكل ، لاتخرج من اللحم من البيت إلى خارج ، وعظماً لاتكسروا منه " (الخروج ٤٣/١٢ - ٤٦) فلا يسلم منصور حسين: أن يكون مثل هذا نبوءة بالمسيح أو غيره ، ولو صحت أن توصف بأنها نبوءة،فمن الممكن أن نستخرج من كل قصة كانت ما كانت في بُعدها عن العهد القديم نبوءة ، فمثل هذا التعسف غير مقبول ، ولايرتضيه المؤلف وإن استخدمه الإنجيليون ، والنصارى بعدهم .[1]

والنبوءة التي يراها منصور حسين معتبرة، هي تلك التي ترد بمعنى الإخبار عن الغيب أو المستقبل ، وهي أقوى من النوع المعتبر الثاني ، وهو تلك الأقوال التي تصف أموراً معينة تحدث لقائليها، أو تقع أمام أبصارهم ، ولكنها لم تقع في حياتهم ، وإنما حصلت بعد ذلك تماماً كما وردت على ألسنتهم ، ومثل هذه قد لايسلم الكثيرون بأنها نبوءة لكن منصور حسين لايرى مانعاً من التسليم بأنها نبوءة، على اعتبار أنها في الأصل وردت في وحي الله الذي لايكذب ، وعندما يرد وحي يتنبأ بأمور لم تحدث إلا مستقبلاً ؛ فليس ثمة ما يمنع من اعتبارها نبوءة .[2]

والاحتجاج بالمزامير كما نبّه دمشقية قديم، بل يرجع للمسيح إن صح إنجيل برنابا . فقد جاء فيه أن المسيح قال: " إن واحداً منكم سيسلمني فأباع كالخروف ، ولكن ويل له، لأنه سيتم ماقاله داود أبونا عنه ، أنه سيسقط في الهوة التي أعدها للآخرين (برنابا ٢٤/٢١٣ - ٢٦) .[3]

وقد سبق إلى الاستشهاد بنبوءات المزامير على نجاة المسيح محمد توفيق الأفندي ، واعتبر استشهاده ببعضها من باب إلزام الخصم بما يعتقده وليس من قبيل اقتناعه أنها نبوءات بالمسيح كما نبه بكر التميمي إلى شهادة المزمور السادس بنجاة المسيح .[4]

وإذا قلنا إن المزامير بشرت بنجاته، فللنصارى أن يقولوا: كيف لم يعرف المسيح ذلك من العهد القديم؛ لم قال عن نفسه بأنه سيصلب كما في الأناجيل ؟ والإجابة عن هذا التساؤل لاتلزمنا نحن المسلمين الذين

في العهد القديم قميصاً البسوه للمسيح " انظر دين الله في كتب أنبيائه محمد توفيق أفندي ص ٣٣ -٣٥ .

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢)دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٨٤ .

(٣) انظر : تعليقه على المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ص ١٥٥ - ١٥٨ .

(٤) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ،ص ١٢٣ ، دين الله في كتب أنبيائه ،محمد توفيق أفندي ، ص ٣٢-٣٣، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٦٩ .

لانعتد بما جاء في هذه الكتب، إلا ما قام عليه دليل من ديننا .

لكن منصور حسين يجيب بأن القصة هي امتحان للمسيح عليه السلام ، كما كان الأمر بالذبح امتحانا لإبراهيم وابنه الوحيد ، ولو عرف المسيح نتيجة الامتحان مقدما لما كان له أي معنى ، كما لو عرفها إبراهيم ، فلذلك خفيت عليه ، وليس لقصور فهمه أو إدراكه، حاشاه، ولكن لتتحقق إرادة الله بامتحانه ، ونجاته في الامتحان .

ثم لايمكن القطع بأن المسيح لم يعرف المعنى الصحيح الذي تدل عليه النبوءات، بل قد يكون المسيح عرف ذلك فلجأ إلى الله يتضرع إليه ويسأله صرف هذه لكأس ، لأنه عرف أن الله يستجيب دعاءه وتضرعه ، بينا لو وافقنا الرواية الإنجيلية بأن المسيح علم أنه سيصلب ثم صلب، فما فائدة تضرعه ودعائه ؟

كما ثمة أمرا آخر وهو أن فهم النبوءات لايعني يقينا معرفة الساعة، وتحديد اليوم الذي سيسعى أعداؤه فيه للقبض عليه . [1]

لكن النصارى يرون أن ثمة نبوءة في غير المزامير قد وردت في صلب المسيح، ألا وهي ما جاء في إشعيا ٥٢ و ٥٣ وفيه: " هو ذا عبدي يعقل، ويتعالى، ويرتقي ويتسامى جدا، كما اندهش منه كثيرون ، كان منظره كذا مفسدة أكثر من الرجل ، وصورته أكثر من بني آدم، هكذا ينضح أمما كثيرين ، من أجله يسد ملوك أفواههم ، لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به ، وما لم يسمعوه فهموه .

من صدق خبرنا ، ولمن استعلنت ذراع الرب ، نبت قدامه كفرخ ، وكعرق من أرض يابسة ، لاصورة له ولاجمال فننظر إليه ، ولا منظر فنشتهيه ، محتقر ومخذول من الناس ، رجل أوجاع ، ومختبر الحزن، وكمستر عنه وهو هنا ، محتقر فلم نعتد به .

لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصلوبا، مضروبا من الله ومذلولا ، وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه ، وبجبره شفينا ، كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه ، والرب وضع عليه إثم جميعنا ، ظلم أما هو فتذلل ، و لم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه .

من الضغطة ومن الدينونة أخذ ، وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضرب من أجل ذنب شعبي، وجعل مع الأشرار قبره ، ومع غني عند موته على أنه لم يعمل ظلما ، و لم يكن في فمه غش .

أما الرب فسر بأن يسحجه بالحزن، إن جعل نفسه ذبيحة إثم، يرى نسلا تطول أيامه ، ومسرة الرب بيده تنجح ، من تعب نفسه يرى ويشبع ، وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين ، وآثامهم هو يحملها ، لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء، يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه ، وأحصي مع أثمة ، وهو حمل خطية كثيرين ، وشفع في المذنبين " (إشعيا ٥٢/١٣ - ٥٣/١٢) .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣١٧ -٣١٨ .

ويربط النصارى بينه وبين ما جاء في مرقس " فتم الكتاب القائل : وأحصي مع أثمة " (مرقس ١٥/٢٨) ومقصوده كما لايخفى ما جاء في إشعيا " سكب للموت نفسه ، وأحصى مع أثمة " ومثله في أعمال الرسل(أعمال ٨/٢٢ - ٢٣) .

وقد اهتم عدد من أصحاب الردود بهذه النبوءة .

أما ديدات فقد استغرب من الربط بين نص إشعيا وقصة الصلب في الأناجيل، فنص إشعيا يتحدث عن الذي " لم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها، فلم يفتح فاه ".

بينما المسيح تكلم مرارا وتكرارا ، فلقد قال لبيلاطس أثناء محاكمته : " أنت تقول : إني ملك ، لهذا قد ولدت أنا ، ولهذا قد أتيت إلى العالم ، لأشهد للحق ، كل من هو في الحق يسمع صوتي " (يوحنا ١٨/٣٧) وكان قد قال له قبل " مملكتي ليست في هذا العالم ، لو كانت مملكتي في هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لاأسلم إلى اليهود ، ولكن الآن ليست مملكتي من هذا " (يوحنا ١٨/٣٦) .

كما تكلم في المحاكمة لما لطمه أحد الخدم فأجابه المسيح: " إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردي ، وإن حسنا فلماذا تضربني ؟ " (يوحنا ١٨/٢٢)

كما تكلم قبلها طويلا في البستان ، وهو يناجي، طالبا من الله أن يعبر عنه هذه الكأس ...

فإن أصر النصارى بعد ذلك على أن النبوءة تنطبق على المسيح ، فقد قالوا إذن بأن المسيح تكلم وهو مغلق الفم !!![1]

ويرى ممدوح جاد أن النص نبوءة بالنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، مستشهدا بترجمة حديثة لإنجيل الملك جيمس ، وقد جاء فيها " انظر عبدي سوف يتعامل بالحكمة ، سيكون محمودا ومحمدا وعاليا كثيرا ، ومثلما اندهش منك الكثيرون ، لذا شوهت صورته أكثر من أي رجل ، وهيئته أكثر من بني البشر ، لذا سوف يستنفر أمما كثيرة، ملوك تسد أفواهها تجاهه، أنهم سيروا ما لم يخبروا به، وما لم يسمعوه سيراعونه " .

وهذه الترجمة تغير معنى النص تماما ، يلحظ ممدوح جاد خبث الترجمة المتداولة، وتلاعبها بالنص فأصبح " يتعالى ويرتقي ويتسامى جدا ". [2]

كما أن هذه الترجمة الحديثة تفسر بعض غوامض الترجمة المتداولة. منها: أنه قد جاء في الترجمة المتداولة " كمستر عنا وجوهنا " ، وفي الحديثة: " وأخفينا كما قد أوجها منه " والمعنى عند التنزل مع النصارى بأنها نبوءة عن المسيح : أن الله أخفى أوجها من حياة المسيح عن الناس ، وهو عدم صلبه ونجاته من القتل . ومما تظهره الترجمة الحديثة قولها " بسيوره نشفى " ،وفي المتداولة: " بجبره شفينا " ، والمعنى أن الشفاء يكون بجزء من ثيابه. ويواصل النص الحديث وصف المسيح بأنه " كنبات نضير ، خارج من أرض جافة " فشبه اليهود

---

(١) انظر : مسألة صلب المسيح ، أحمد ديدات ، ص ٦٢ .

بالجاف ، والمسيح بالنبات الخارج فيها .

ثم يذكر النص شجاعة المسيح التي لاتتناسب وصراخ المصلوب، وجزعه، وقنوطه ، فالمسيح كشاة أمام جازيها صامتة ، "وهكذا لم يفتح فاه " ثم إنه " أخذ من السجن والمحاكمة ، ومن الذي يعلن إلى جيله أنه قد بتر في أرض الأحياء ، بسبب تعديات شعبي كان مبتلا ".

ويلحظ ممدوح جاد هنا أن المسيح بتر من الأرض الأحياء لا الأموات، أي أخذ حيا ، ولو أخذ بعد الموت لقال " أخذ بعد أن بعثناه " وقوله " من الذي يعلن إلى جيله ؟ استفهام، إجابته محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، كما سيأتي وصفهم . وبسبب تعدياتهم على المسيح ، تركهم يضلون، ويشتبهون في صلبه .

" وهم جعلوا قبره مع الشقي ، ولكن مع الغني عند موته " فالنص يعبر عن تناقضهم، فقد صيروا له قبرا، مع أنه رفع، وليس له قبر .

وقوله : " إلا أنه سر به الرب أن يسحجه ، وضعه للحزن عندما تجعلوا روحه قربانا للخطية " فالمسيح حزين جدا لقولهم بأنه صلب قربانا للخطية ، لكن الرب يبشره " سيرى بذرة ، وستطول أيام ، ومسرة الرب ستزدهر في يده ، سيرى ولادة روحه ، كن راضيا بمعرفته ، عبدي المستقيم ، سيقوم كثيرون ، لأنه سيحمل عنهم إصرهم ، لذا سأقسم له نصيبا مع العظيم ، وسيزهق الباطل بالقوي ، لأنه أهرق روحه حتى الموت وحسبوه مع المعتدين ، ووضع خطية الكثيرين ، وقام بشفاعة للمعتدين " .

ويرى ممدوح جاد أن معنى النص : ستطول أيام المسيح ، ويرى بذرة محمد المستقيم، الذي سيحمل عنهم إصرهم ، كما قال الله ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ (١) (٢)

ونلحظ أن ممدوح جاد تجاهل بعض العبارات و لم يوجهها، مثل قوله " سر الرب أن يسحجه " ولايخفى ما في تفسيراته من إغراب وتعسف، لايختلف كثيرا عن تعسف من استشهد بهذا النص على صلب المسيح . لكن ممدوح جاد كشف لنا عن عظيم تلاعب القوم بما في أيديهم من الكتب، حتى أصبحت لاتجد تشابها بين ترجمتين، يفترض أن تكونا لنص واحد ، وهذا ولاشك يلقى بظلال الريبة، ليس على النصين المتنافرين فقط بل وعلى كل ماعبثت به أيدي أولئك ، مما يسمونه الكتاب المقدس .

وتجزم بهذا التلاعب عندما تقارن نص إشعيا مع ما جاء في أعمال الرسل عنه ، وفيه " وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه، فكان هذا : مثل شاة سيق إلى الذبح ، ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه ، هكذا لم يفتح فاه ، في تواضعه انتزع قضاؤه ، وجيله من يخبر به ، لأن حياته تنتزع من الأرض " (أعمال ٨/ ٣٢- ٣٣) .

---

(١) الأعراف ، آية : ١٥٧ .

(٢) انظر : المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ص ١٩٦ ، ٢٠٥ .

لذا حق للأفندي أن يرى النص متأثرا بالوثنيات ، وأن النصارى حوروا في النص لينطبق على المسيح ، واستدل لكلامه بأن فيلبس الحواري قرأ النص و لم يفهم منه أنه نبوءة عن المسيح، حتى أطلعه عليه خصي حبشي كان وزيرا لملك كنداكة ملك الحبشة ، وبعد هذه القصة تنصر الرجل، وعمده فيلبس " ولما صعدا في الماء خطف روح الرب فيلبس، فلم يبصره الخصي أيضا ، وذهب في طريقه فرحا، وأما فيلبس فوجد في أشدود " (أعمال ٨/٢٦ - ٤٠) .

وينقل الأفندي عن جمال الدين الأفغاني قوله " إن النصارى فصلوا في العهد القديم قميصا ألبسوه للمسيح " [1]

ويرى منصور حسين في الترجمة المتداولة لإشعيا ما يؤكد فكرته بأن المصلوب هو يهوذا، ويقارن هذه الترجمة مع النص الإنجليزي، للخروج من غموض النص العربي .

وفيه: " لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به ، وما لم يسمعوه فهموه " وفي النص الإنجليزي ما ترجمته: "ما لم يسمعوه اعتبروه " ، والفرق بين " فهموه " و " اعتبروه " واضح .

فكلمة " فهموه " تفيد علمهم ومعرفتهم وإدراكهم ، بينما كلمة " اعتبروه " لاتفيد إلا تقرير الحكم ، فكما أخبرت المزامير بنجاة المسيح قبل إشعيا بثلاثمائة سنة يخبر إشعيا بنجاته ، لكنهم يرون صلبه كما يتبادر لذهنهم ، فيروون ما لم يخبروا به ، بل عكسه ، ولذلك فهم اعتبروا : أن المصلوب هو المسيح "

وأما قوله " من صدق خبرنا ، ولمن استعلنت ذراع الرب " ، فهو سؤال يفهم منه أن الخبر المقصود هو نجاة المسيح الذي لم يصدقه أحد ، ويجيب النص بأن الذي صدق بنجاة المسيح شخص " محتقر مخذول من الناس ، رجل أوجاع ، ومختبر الحزن ، وكمستر عنه وجوهنا ، محتقر فلم نعتد به " إنه الذي تحمل الأوجاع ، والذي احتقر، وباء بإثمه وإثم المتآمرين معه ، إنه يهوذا الخائن، الذي رأى عناية الله تحيط بالمسيح وهو يصعد وينجو فهو " مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا " فلقد تحمل يهوذا وزر المؤامرة "وضع عليه إثم جميعنا " ، لأنه التلميذ الخائن ، وكان هؤلاء اليهود كالغنم الضالة " فكلهم كغنم ضلوا " .

وقوله " من أجل ذنب شعبي " يدل على أنه ليس المراد غفران الخطية ، إذ لو أرادها لقال غفران ذنب جميع العالم .

وقد ظن الناس أنه قطع في أرض الأحياء ، وأنه ضرب من أجل ذنبي ، " وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء ، أنه ضرب من أجل ذنبي " ، لكن الحقيقة غير ذلك، وفي النص الإنجليزي " من سيعلن لجيله ؟ " أي هذه الحقيقة الخافية ؛ إنه محمد صلى الله عليه وسلم .

ويكمل النص واصفا يهوذا في لحظة محاكمته " على أنه لم يعمل ظلما ، و لم يكن في فمه غش " ولقد يعجب القارئ أن يقال مثل هذا في حق يهوذا ، ولاعجب، فلقد كان يهوذا لحظة المحاكمة صادقا حين قال: " من الآن فإنهم يرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة " ، وهو لم يعمل ظلما بحق محاكميه

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، ١٩٦ .

الذين لو علموا حقيقة شخصيته لأفرجوا عنه .

لكن الرب جل وعلا سر بما صنع به " وأما الرب فسر بأن يسحجه بالحزن " ، وهل يسر لما فعل بالمصلوب لو كان هو المسيح ؟ إنما سر بعاقبة مكر يهوذا، فتكامل نص إشعيا مع نبوءات المزامير .[1]

ويتجاهل منصور حسين الإشكال في حديثه عن فادي الخطيئة الغير والشافع فيهم " هو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين " ، ولكن أيا كان ، فإن دلالة النص وهو في هذا الوضع يورد من الأسئلة والإشكالات على من قال بصلب المسيح أكثر مما يورد على من قال بنجاته وصلب يهوذا .

ويرى محمد الأفندي أن لاعلاقة بين هذا الإصحاح في إشعيا، وبين حادثة الصلب ، فالإصحاح يتحدث عن قصة بني إسرائيل، وذلهم في بابل بسبب معاصيهم ومعاصي سلفهم، فحاق بهم عقوبة الله التي عمت صالحيهم وفجارهم، ويوضح ذلك في أن قوله " هو ذا عبدي .. كما اندهش منك كثيرون كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل ، وصورته أكثر من بني آدم " فالمقصود بالعبد شعب إسرائيل، فقد عهد في التوراة إطلاق الفرد والمراد الشعب كما في إشعيا: " يقول الرب، خالقك يايعقوب ، وجابلك يا إسرائيل ..... وإذا اجتزت في المياه فأنا معك ، وفي الأنهار فلا تغمرك ، لأني أنا الرب إلهك ، قدوس إسرائيل، مخلصك، جعلت مصر فديتك " (إشعيا ٤٣/١ - ٣) ومثله في (إشعيا ٤١/٨) .

فيصف إشعيا ٥٢ و ٥٣ غربة بني إسرائيل وذلتهم ، ثم يتحدث عن عودة أبنائهم من أرض السبي "نبت قدامه كفرخ ، وكعرق في أرض يابسة " فقد عادوا للأرض المقدسة ، ونبتوا فيها ، كما وصفهم إرميا النبي في مراثيه .

ولايصح حمله على المسيح، لقوله: " لاصورة ولاجمال " بل الحديث عنهم ، وقد تغيرت صورتهم بسبب الذل فكان الشعب " محتقر مخذول .. الرب وضع عليه إثم جميعنا " ويفسره قول إرميا وقد شاهد الأسر البابلي: " آباؤنا أخطأوا ، وليسوا بموجودين، ونحن نحمل آثامهم ، عبيد حكموا علينا ، ليس من يخلص من أيديهم ، جلودنا اسودت من جري نيران الجوع " (مراثي ٥/٧ - ١٠) .

وقوله " ظلم " كقوله " ثم ظلمه آشور بلا سبب " (إشعيا ٥٢/٤)

وكقوله " إن بني إسرائيل وبني يهوذا معا مظلومون " (ارميا ٥٠/٣٣)

وأما قوله " كشاة تساق إلى الذبح .... "فهو حديث عن ملك بابل ، وقد ساق بني إسرائيل ، كما تساق الشياه إلى الذبح ، كما في (إرميا ٥١/٤٠)" أنزلهم كخراف للذبح ، وككباش مع أعتدة " فمات أكثرهم جوعا .

وقوله " وجعل مع الأشرار قبره ، ومع غني عند موته " أي أن دفنهم في بابل كان مع الوثنيين ، ولا يمكن حمله على المسيح المدفون وحده في بستان ، في قبر جديد، لم يدفن فيه معه لا شرير ولاغني .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٥٥ - ٢٦٢ .

"فسر أن يسحقه بالحزن" وفي نسخة كاثوليكية: "رضي أن يسحقه بالعاهات، أن جعل نفسه ذبيحة إثم. " وفي الأصل العبري: " أراد الرب أن يضربه بالحزن ، لأنه جعل نفسه آثما. " ومثله في قول إشعيا لأورشليم :" اثنان هما ملاقياك ، من يرثي لك الخراب، والانسحاق، والجوع ، والسيف ، بمن أعزيك ، بنوك قد أعيوا ، واضطجعوا في رأس كل زقاق " .

وقوله :" يرى نسلا تطول أيامه " فهو إشارة لرجوعهم إلى وطنهم، بينا المسيح ليس له نسل .

وأما قوله: " عبدي البار بمعرفته يبرر كثيرون ، وآثامهم هو يحملها " يتحدث كيف شمل البؤس بررة بني إسرائيل وعصاتهم ، كما قال الله ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [1] وإكراما للبررة من بني إسرائيل، طهرهم الله من ذنبهم ، ورفع عنهم هذه العقوبة ، كما في ارميا: " وأراد سبي يهوذا .

ومثله " في تلك الأيام يطلب إثم إسرائيل فلا يكون ، وخطية يهوذا فلا توجد ، لأني أغفر لمن أبقيه " (إرميا ٥٠/٢٠) فأسرهم وقد حملوا خطيئة آبائهم ، ثم غفرت ذنوبهم .

وقوله: " هو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين "والترجمة الصحيحة يراها الأفندي" وللعصاة يدعو " بالتوبة والهداية .

وينوه بتحريفهم في قولهم: " ضرب من أجل ذنب شعبي " ، وهي في الأصل العبري " ضربوا " فحرفوها لتنطبق على المسيح .

وقوله " أحصي مع أثمة " يحكى عن وجود بني إسرائيل مع الوثنيين في بابل، ولايصح أن تصرف للمسيح ، وأن الأثمة هما اللصان ، إذ قد وعد أحدهما الفردوس، فكيف يوصف بعد ذلك بالآثم ؟!

ويسجل المؤلف هنا استغرابه لصلب اللصوص ، إذ ليس هذا من مقتضى شرائع الرومان ، ولا اليهود.[2]

ولسائل أن يسأل عن سر هذا الاختلاف الكبير في تأويل النص عند علمائنا ، فمن قائل: إنه نبوءة بيهوذا، وآخر: بالمسيح ، وآخر: بنبي آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم ، وآخر: بل قصة تتعلق بشعب إسرائيل . ونقول إن ذلك نتيجة طبيعية ، لأن البحث في نص غامض العبارات ، متباين الترجمات ، تناولته أيدي التحريف ، فما عاد يصلح لغموضه. أن يدل على أي مسألة من المسائل ، أو أي أحد من الناس.

وقد قصد علماؤنا الوعر، وحاولوا توجيه النص، وفهمه حسب المسائل المتيقنة عندهم، فكان هذا التباين في التفسير . ولعل أقرب هذه الأقوال وأصحها، ما ذهب إليه الأفندي في أن الإصحاح يتحدث عن شعب إسرائيل، وسبيه، وذلته، ثم نجاته . ويدل عليه أن هذا هو فهم النص عند اليهود وهم أصحاب الكتاب.

وأخيرا، فإن في أسفار العهد القديم حديثا عن ملك اليهود الظافر ، والنصارى يقولون هي نبوءات

---

(١) سورة الأنفال ، من آية : ١٢٥ .

(٢) انظر : دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٢٨ - ٣١ .

عن المسيح ، وهذه النبوءات ستحقق عند عودة المسيح الثانية .

لكن الأفندي يرى أن القول بالصلب يتعارض مع هذه النبوءات ، ويرى أن اعتقاد اليهود بصلب المسيح كان أحد الموانع التي منعتهم من الإيمان به، لعدم تحقق النبوءات فيه .[1]

كما ثمة نبوءات أو نصوص. تمنع أن يكون المسيح قد صلب فداء عن البشرية منها ماجاء في سفر الأمثال: " الأشرار يكونون كفارة لخطايا الأبرار " (أمثال ١٨/٢١)[2]

ويورد التميمي ومحمد أفندي نصا توراتيا آخر يدل على نجاة المسيح وصلب غيره ، فقد جاء في سفر الأمثال " بر الكامل يقوم طريقه ، أما الشرير فيسقط بشره بر المستقيمين، ينجيهم ، وأما الغادرون فيؤخذون بفسادهم ، الصديق ينجو من الضيق ، ويأتي الشرير مكانه " (الأمثال ٥/١١ - ٨) .[3]

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٦ ، والنبوءات كثيرة منها زكريا ٩/٩ - ١٧ ، ملاخي ١/٣- ٦ ، ملاخي ٥/٤ ، إشعيا ١/١١-٦ ، حجي ٦/٢ - ٩ وغيرها .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٨ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٦٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٥ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل، بكر التميمي، ص ١٢٢ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٦٩ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٥ - ٦٦ .

المطلب الرابع: إبطال الصلب بنبوءات وأخبار الأناجيل والرسائل

تتحدث الأناجيل الأربعة عن صلب المسيح، كخاتمة لوجوده على الأرض ، ولكن: هل تنبأ المسيح بأنه سيصلب ؟ وهل عرف بذلك تلاميذه ؟ لاريب أن إجابة النصارى تتلخص في أن المسيح عرف أنه سيصلب وسيسلم لأعدائه، وأنه أخبر تلاميذه بذلك . وحجتهم في ذلك قول متى: " تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يسلم ليصلب " (متى ٢٦/١) لكن الناظر في الأناجيل، يرى أيضا أن المسيح تنبأ بنجاته، بل أعلنها على ملأ اليهود ، وتحداهم ، وأخبر بأنه غلبهم ، وغلب العالم .

فكما تشهد الأناجيل بصلب المسيح ، فإنها تنقل عن المسيح شهادته بنجاته، وقد تجاهل النصارى هذه الروايات ، و لم يلتفتوا إليها ، بيد أن علماءنا حال نقدهم لفكرة صلب المسيح تنبهوا لهذه الروايات ، وقبل أن نشرع في بيان ذلك، نتوقف مع "عبد الرحمن البغدادي" وهو يرفض زعم النصارى بأن المسيح عرف بأنه سيصلب ، وأنه أخبر تلاميذه بذلك ، فإن التنبؤ بالصلب ذكره متى في (٢٦/١) بينما لايذكر الثلاثة الآخرون مسألة الصلب ، وإن ذكروا بأن المسيح تنبأ بأنه سيضرب وسيقتل .(انظر مرقس ٩/٣١ - ٣٢ ، ولوقا ٩/٤٤ - ٤٥) ويرى أنه لو كان المسيح تنبأ بصلبه وقتله ، لما كان هناك داع لترقبه وحذره ، بل إن ذلك فرار من قضاء الله الحتمي، لايليق بحاله سواء قلنا بربوبيته أو رسالته .

ولو كان صحيحا، لما صح أن يناضل بطرس عنه ، ويقطع أذن العبد .[1]

ولا أجد العلامة "البغدادي" محقا فيما ذكره ، فمعرفة الإنسان المؤمن لقدر الله، لاتجيز له تسليم نفسه لعدوه ، والامتناع عن الدفاع عن نفسه ، والأخذ بأسباب الحياة .

ولكن الحقيقة تكمن في أن خبر تنبؤ المسيح بقتله أو صلبه، قول دخيل على الأناجيل، ملحق بها ، ويقيم محمد أبو الغيط الفرت الأدلة على ذلك ، ومنها :

● أن لوكان المسيح قد نزل إلها متجسدا من أجل أن يصلب فقط، لكان لابد لهذا الأمر من كثير بيان واهتمام في الأناجيل والتوارة ، لكنك لاتجد شيئا من هذا ، مع وجود بعض البشارات به في التوراة ، لكنها لاتذكر صلبه ، ولاتتعرض له ، ولايصح ذلك لقوله " يرسل الرب يسوع المسيح المبشر به لكم قبل الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء ، التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين " (أعمال ٣/٢٠ - ٢١) .

ومن النصوص التوارتية التي تقول النصارى إنها بشرت به، و لم تذكر وظيفة الصلب؛ بل ذكرت ما سوى ذلك من نجاته ومجده وقولهما جاء في إشعيا: " قال الرب جابلي من البطن عبد إله لإرجاع يعقوب إليه، فينضم إليه إسرائيل ، فأتمجد في عيني الرب ، وإلهي يصير قوتي "(إشعيا ٤٩/٥)

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٤٠١ .

ومثله أيضا: النصوص الإنجيلية التي وردت على لسان يحيى المعمدان ، فقد بشر بقدوم المسيح ، و لم يشر البتة إلى هذه الوظيفة العظيمة لو صحت .

فقد قال عنه: " فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعيا النبي، القائل : صوت صارخ في البرية، أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة " (متى ٣/٣) ، وقوله في مرقس: " وكان يكرز قائلا: يأتي بعدي من هو أقوى مني ، الذي لست أهلا أن أنحني وأحل سيور حذائه ، أنا عمدتكم بالماء ، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس " (مرقس ١/٧ - ٨) ، ومثله (يوحنا ١/٢٦ - ٢٧) .

●ومنها: أن العبارة في متى وردت بلا مقدمة، ولا مناسبة، ولا تعليق عليها من قبل الحواريين، حتى وكأنها تتحدث عن حدث عادي ، فلئن صحت، دل ذلك على أن ابن الإنسان المصلوب المسلم لأيدي الخطاة، هو غير المسيح .

● ذكر الإنجيليون الثلاثة الذين ذكروا الخبر بأن المسيح سيقوم في اليوم الثالث (انظر متى ٢٣/١٧ ، مرقس ٣٢/٩ ، لوقا ٣٣/١٨) ، وهذا لم يحصل ، بل مكث مالايزيد بحال عن ليلتين ويوم .

● يقترن وصف الأناجيل الثلاثة لردة فعل التلاميذ حيال هذا الخبر بكثير من الغرابة ، ففي متى (١/٢٦ - ٢) لم يذكر لهم حسا ولا خبرا ، بيد أنه في (متى ٢٣/٢٦) ذكر بأنهم " حزنوا جدا " ويفهم منه أنهم فهموا مراده فحزنوا ، لكن مرقس يقول " وأما هم فلم يفهموا القول ، وخافوا أن يسألوه " (مرقس ٣٢/٩) ، ويؤكد لوقا هذا بقوله " وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئا ، وكان هذا الأمر مخفيا عنهم ، و لم يعلموا ما قيل "

●وإضافة إلى تناقض النصوص ، فإن في خوف التلاميذ من المسيح ما يدعو للعجب ، فقد عرف بدماثة خلقه ، وبتحببه لهم، حتى إنه غسل أرجلهم ، وكثيرا ما كانوا يسألوه ، فلم لم يسألونه في هذا الأمر الخطير ؟

● تتحدث المواضع الأربعة — السابق ذكرها- عن تسليم ابن الإنسان، وقتله أو صلبه ، ولاتنص على عيسى، لكن اللفظ — وإن تبادر في الذهن إلى المسيح — فإنه يصح أن يطلق على غيره ، بدليل أنهم سألوه عن ابن الإنسان من هو بقولهم " من هو هذا ابن الإنسان؟ " (يوحنا ٣٤/١٢) ولو كان خاصا هذا اللقب بالمسيح، لما كان في سؤالهم وجه .

●ومما يدل على عدم صحة التنبؤ بالصلب والقتل: فرار التلاميذ ، وفيهم بطرس الذي قال له المسيح: "طلبت من أجلك لكي لايفنى إيمانك ، وأنت متى رجعت ثبت إخوتك ، فقال له : يارب، إني مستعد أن أمضي معك، حتى إلى السجن، وإلى الموت " (لوقا ٣٢/٢٢ - ٣٤)

فدل هذا على معرفتهم بأن المأخوذ غيره ، كما قد عرفوا ذلك فهربوا ، وقد قال عنهم المسيح:" الذين أعطيتني حفظتهم ، و لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك " (يوحنا ١٢/١٧) ثم بعد ذلك ولأن أمر

المصلوب لايهمهم وقد عرفوا بنجاة سيدهم لم يهتموا بمتابعة المصلوب وهو على الصليب، أو في أثناء المحاكمة، إلا ما جاء عن بطرس ويوحنا وبعض النسوة .[1]

ثم إن خبر تنبؤ المسيح بقتله وصلبه، معارض بنصوص كثيرة، أخبر المسيح فيها بنجاته ، ومنها قوله حسبما جاء في يوحنا: " فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه ، فقال لهم يسوع : أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ، ستطلبونني ولاتجدونني وحيث أكون أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا " وقد فهم منه البوح أنه أراد نجاته منهم " فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لانجده نحن ؛ ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ، ويعلم اليونانيين ، ماهذا القول الذي قال : ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا ؛" (يوحنا ٧/٣٢ – ٣٦) .

ومرة أخرى، جاهر المسيح بنجاته منهم قائلا " أعلم من أين أتيت ، وإلى أين أذهب ، وأما أنتم، فلا تعلمون من أين آتي ، ولا إلى أين أذهب .... قال لهم يسوع أيضا : أنا أمضى، وستطلبونني وتموتون في خطيتكم ، حيث أمضى أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا . فقال اليهود : ألعله يقتل نفسه حتى يقول : حيث أمضي أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا . فقال لهم : أنتم من أسفل . أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم ... فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون إني أنا هو، ولست أفعل شيئا من نفسي ، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي ، والذي أرسلني هو معي، و لم يتركني الأب وحدي، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه " (يوحنا ٨/٢١ – ٢٩) .

ثم مرة أخرى، لما أعطى يهوذا اللقمة قال لتلاميذه " يا أولادي أنا معكم زمانا قليلا بعد ، ستطلبونني ، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن ..... قال له سمعان بطرس : يا سيد، إلى أين تذهب ، أجابه يسوع : حيث أذهب لاتقدر الآن أن تتبعني ، ولكنك ستتبعني أخيرا " (يوحنا ١٣/٣٢ – ٣٦) .

ومنها أيضا قول المصلوب (يهوذا) وهو في المحاكمة " من الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله " (لوقا ٢٢/٦٩) فقد رأى يهوذا نجاة المسيح بما رآه أو سمعه من المسيح عن نجاته، وما شاهده من نجاة المسيح لحظة ألقي الشبه عليه .[2]

وقد رأى أصحاب الردود الإسلامية في هذه النصوص نبوءة واضحة بنجاة المسيح عليه السلام من يد أعدائه ، وأنه سيرفع للسماء، فهو المكان الذي لايقدرون عليه ، ولو كان مقصده الموت ، فإن ذلك أمر يطيقه كل أحد ، كما أن أحدا لايتحدى بأنه سيموت وهم لن يستطيعوه . لقد كان المسيح يتحدى أعداءه وهو يقول :" هو ذا بيتكم ، يترك لكم خرابا ، لأني أقول لكم : إنكم لاترونني من الآن، حتى

---

(١) انظر : قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٤٥ – ٥٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٠٠ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤١٣ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٣٩ .

تقولوا مبارك الآتي باسم الرب " (متى ٢٣/٢٨ - ٢٩) .[١]

ويرى "عبد الرحمن باجي زادة البغدادي" بأن قوله " وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني " (يوحنا ١٦/٥) وقوله " إنكم لاترونني من الآن " يدلان على أن وقت الرفع كان بعد قوله هذا مباشرة أي قبل أيام من وقوع حادثة الصلب ويرى أيضا أن إنكار النصارى لذلك، يعني تكذيبهم للمسيح .[٢]

ومن النصوص التي تحدثت أيضا عن نجاة المسيح قوله: "هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن ، تتفرقون فيها، كل واحد إلى خاصته ، وتتركونني وحدي ، وأنا لست وحدي ، لأن الآب معي ، قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام ، في العالم سيكون لكم ضيق ، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم " (يوحنا ١٦/٣٢ - ٣٣) فأين هذا من القول بصفع المسيح وصلبه وضربه ؟[٣]

ومن النصوص الدالة أيضا على نجاة المسيح قول يوحنا " من عند الله خرج، وإلى الله يمضي " (يوحنا ١٣/٣) ولو كان المقصود الموت ، فكل الناس إلى الله تمضي ، والقول بأن مضيه إنما يكون بعد الدفن ثلاثا، يحتاج لدليل يثبت ذلك .

ومن الأدلة على نجاة المسيح قول يوحنا " وكما رفع موسى الحية في البرية ، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان، لكي لايهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية " (يوحنا ٣/١٤) .

وترى "مديحة خميس" أن معنى النص " لو قتل لهلك كل من آمن به واتبعه ، وبذلك تضيع الحياة الأبدية التي هي الجنة "[٤] وتفسيرها للرفع : الرفع إلى السماء قبل القتل والصلب . بينما يفسر النصارى الرفع بالرفع على الصليب ، وهو أقرب .

ولكن هذا الرفع يصعب حمله على ماجاء في متى " فقال لهم يسوع : هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ؛ ولكن ستأتي أيام، حين يرفع العريس عنهم ، فحينئذ يصومون "

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٠ ، ٤١٥ - ٤١٦ ، ٤٧٢ ، ٤٧٧ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٥٥ - ١٦٣ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١١٣ - ١١٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢١ - ٢٢ ، ٢٠٨ ، ٢٦٨ - ٢٦٩ ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا و الأناجيل الأربعة ، محمد عبد الرحمن عوض ، ص ١١٦ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٣ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥١٥ - ٥١٦ .

(٣) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٩٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٢ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١١٥.

(٤) رحلة في أرجاء الكتاب المقدس ، مديحة خميس ، ص ٢٦ .

(متى ٩/١٥) [١]

ويرى النجار في "المنارات الساطعة" أن مما يدل على رفع المسيح: تنبؤ زكريا عنه، يقول لوقا: " ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته " (لوقا ١/١٧) ، والمعنى كما يراه النجار: أن المسيح سيأتي قبل محمد صلى الله عليه وسلم بمثل معجزة إيليا ، الذي ذكر عنه سفر الملوك الثاني أنه رفع إلى السماء (انظر ملوك (٢) ٢/١١) [٢]

ولكن النجار لم يتنبه إلى أن نص لوقا ليس نبوءة عن المسيح، بل هو بشارة الله لزكريا. فقد قال له الملاك: " لاتخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنا، ونسميه يوحنا.... ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته " (لوقا ١/١٣ - ١٧) .

ولئن كان بولس قد تولى كبر القول بصلب المسيح، فإن الحق يراه المتبصر في فلتات لسانه ، فيجد ما يدله على نجاة المسيح من الصلب . ومن ذلك قوله في وصف ملكي صادق: " لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم، كاهن الله العلي ، .. بلا أب ، وبلا أم ، بلا نسب ، لابداءة أيام له، ولانهاية حياة ، بل هو مشبه بابن الله، هذا يبقى إلى الأبد " (عبرانيين ٧/١ -٣) فيفهم علاء أبو بكر من قوله بولس هذا: أن ليس للمسيح نهاية أرضية سابقة، كما هو الحال في ملكي صادق .[٣]

ومن ذلك أيضا : أن في أقوال بولس ما يجعل الصلب قضية مجازية حصلت للمسيح ، ويرى ذلك بالإمعان في هذه الأقوال ، ومنها قوله: " أيها الغلاطيون الأغبياء ، من رقاكم حتى لاتذعنوا للحق ؟ أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا " (غلاطية ٣/١) وقوله: " لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضا بقيامته ، عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه، ليبطل جسد الخطيئة فإن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضا معه .. كذلك أنتم أيضا ، احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية " (رومية ٦/٥ — ١١) . ويرى هاشم جودة أنه يفهم من العبارتين أن المسيح لم يصلب جسده ، و لم يذق الموت، بل كاد .[٤] ويقول عبد الرحمن باجة بأن المصلوب رسم هيكله، لاذاته الحقيقية [٥] ومن المعلوم أن الغلاطيين لم يشاهدوا صلب المسيح ، والمقصود من رؤيتهم المسيح مصلوبا: الرؤية المجازية .ويقول بولس: "أما نحن فنكرز بالمسيح مصلوبا ، شكا لليهود ، وجهالة للأمم " (كورنثوس (١) ١/ ٢٣) ، وقد قال قبلها :" فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، وأما عندنا نحن المخلصين - فهي قوة الله " (كورنثوس (١) ١/١٨) .[٦]

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٢) انظر : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ٢٩٩ .

(٣) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٤) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٤٨ .

(٥) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٥ .

(٦) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٦ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن

ولعل أقوى ما نقل عن بولس في هذا الباب، قوله " في أيام بشريته قرب تضرعات واستغاثات ، وصراخ شديد ، ودموع ذوارف للقادر، الذي بوسعه أن يخلصه من الموت ، فاستجاب له من أجل تقواه " (عبرانيين ٧/٥) . فقد رأى أصحاب الردود الإسلامية في النص، شهادة ناطقة، بأن الله استجاب للمسيح تضرعه في تلك الليلة ، وصرف عنه ما كان يحذره ويخافه من الصلب .[١]

وأرى أن النص لايتحدث عن المسيح مباشرة ، بل جاء في سياق تشبيه المسيح بملكي صادق، حيث جاء في أوله:" أنت كاهن إلى الأبد ، على رتبة ملكي صادق ؛ الذي في أيام جسده ... " وقد تجاهل علماؤنا هذا فأقاموا المشبه مقام المشبه به ، لاستوائهما في الحكم ، وبذلك تكون دلالته صحيحة .

وتساءل عبد الرحمن باجي زادة عن تضرع المسيح ودعائه وطلبه صرف الصلب عنه هل كان المسيح بجهل أنه سيصلب ، وإذا كان يعلم أنه سيصلب فما فائدة هذا الدعاء والتضرع . فقيام المسيح بالدعاء دليل على ثقته بأن الله سيستجيب له. ثم لايليق أن يقال بأن الله رد المسيح خائبا بعد هذا التضرع والدعاء ، فمثل هذا لايحصل إلا مع عصاة العباد [٢] .

ومما يؤكد استجابة الله للمسيح: ظهور ملاك له ليقويه (انظر لوقا ٤٣/٢٢) فهل كان ذلك الملاك يضحك عليه ؟ أم يعينه فينجيه [٣]

ويرى الخولي أن هذا هو ما يليق بعدل الله ورحمته ، وأن الله استجاب للمسيح فأنجاه ، وصلب يهوذا الخائن ، فهذا أليق بعدل الله وكرمه من القول بعدم استجابته للمسيح، وصلبه .[٤]

فاستجابة الله للأنبياء والصالحين حال دعائهم أمر مشهود ، فقد وعد رسله بالنجاة ؛ كما وعد دواد،

"لا أموت، بل أحيا ، وأحدث بأعمال الرب .. إلى الموت لم يسلمني "(مزمور ١٧/١١٨ – ١٨) ، ومثله كثير (مزمور ١٦/٩) ، (مزمور ٨/٢١ – ١١) وفي رسالة يعقوب " صلاة الإيمان تشفي المريض ، والرب يقيمه..." طلبة البار تقتدر كثيرا في فعلها ، كان إيليا إنسانا تحت الآلام ، ومثلنا صلى صلاة أن لاتمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر ، ثم صلى أيضا فأعطت السماء مطرا ، وأخرجت الأرض ثمرها " (يعقوب ١٥/٥ – ١٨) [٥]

عبد الرحمن ، ص ١-٦ .

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٧٢ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١١٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢١ ، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ٧٤ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٤٤ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٢ ، ٥١٤ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١١٠ – ١١١ .

(٤) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٠٦ .

(٥) انظر : مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ٧٤ .

وقد استجاب الله عز وجل لإبراهيم لما أمره بذبح ابنه ، فامتثل لأمر الله، فأنجى الله ابنه واستجاب لـه طلبه .[1]

ويجلي منصور حسين هذه الفكرة ، فالنصارى يعتبرون قصة إبراهيم، وهمه بذبح ابنه؛ رمزا للمسيح المصلوب. فيقول هودجكن في كتابه " المسيح في جميع الكتب " : " تقدمة إسحاق [2] هي أحد أكمل الرموز الكتابية المشيرة إلى الذبيحة العظيمة التي قدمت في الجلجثة ، ولنتأمل ذلك بتورع ودقة ، ونسير خطوة بعد أخرى بخشوع، لأننا نسير في أرض مقدسة .. " وقد تلخص عرضه المسهب بأن الله طلب من إبراهيم ذبح ابنه الوحيد الذي يحبه – كما أن المسيح هو ابن الله الوحيد الحبيب – ، في أرض المريا – أورشليم – ، وعلى أحد جبالها ، – كالمسيح تماما حيث ذهب به إلى جبل الجلجثة – وأضجع إبراهيم ابنه للذبح، وناداه ملاك من الرب في المساء ، فتوقف عن ذبحه ، وذبح بدلا منه الكبش.

وينقل منصور حسين أيضا عن حبيب إسماعيل في كتابه " خليل الله في اليهودية والمسيحية " قوله: "على أن للقصة وجها آخر ، إذ هي توحي من بعيد إلى ذبيحة أعظم من الأجيال اللاحقة .. كان إسحاق الذبيح " ابن الموعد " ،إذ ولد بطريقة خارقة للطبيعة ، وكان يسوع أيضا النسل الموعود به ، وكإسحاق أعطى اسما قبل أن يحبل به في بطن العذراء " حمل إسحاق الحطب الذي وضع عليه واستسلم عندما ربط، و لم يفتح فاه واثقا أن أباه يعرف ما هو خير ، وكذلك حمل المسيح صليبه الذي علق عليه ، ورضي تقديم نفسه عن اختيار"

وممن وافق القائلين بأن قصة المسيح رمز لها من قبل بقصة إبراهيم وابنه المفتدى من الذبح – صاحب كتاب " يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته " ويرى منصور حسين أن ثمة تكلفا وتعسفا واضحا وقع فيه النصارى ، وهم يبحثون عن نبوءات تتحدث عن المسيح ، وهو يرفض هذه الكيفية في استنباط النبوءات ، فلا ريب أن حادثة ذبح إبراهيم لابنه لاعلاقة لها البتة بموضوع صلب المسيح المزعوم .

ثم يتنزل منصور حسين مع النصارى في رمزية قصة إبراهيم وابنه، ويعجب لم لم يكمل الرمز؟ فلقد دعا إبراهيم ودعا المسيح ، ولقد سمع نداء إبراهيم ودعاؤه ففدي ولده بكبش ، أما المسيح فلم يسمع لندائه !![3]

ثم إن الرمز ينقض عند أهم نقاط القصة ، فقد نجا إسحاق – كما زعموا – من الذبح ، وذبح بدلا عنه الكبش ، و لم ينج المسيح من الصلب .

لذا يتحول النصارى في فهمهم للرمز فيجعلون الكبش لإسحاق رمزا للمسيح، وقد كان قبل إسحاق.

ولو سلم منصور حسين بأن حادثة الذبح رمز للمسيح ، فإن الرمز تام وكامل ، ويكمل بأن يسمع

---

(١) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

(٢) والصحيح أنه إسماعيل خلافا لما في سفر التكوين ٩/٢٢ – ١٣ .

(٣) لم يرد في سياق القصة التوراتية أن إبراهيم دعا طالبا صرف الأمر بالذبح (انظر التكوين ١/٢٢ – ١١) .

دعاء المسيح ،كما أجيب دعاء إبراهيم ، وأن ينجو المسيح كما نجا إسحاق ، وأن يفدى المسيح بالخائن يهوذا، كما فدي إسحاق بالكبش . ومن غير ذلك، فإن الرمز قد انعكس بدلا من أن يتم ويكمل. ويستشهد لما ذهب إليه بأن الله واحد ، ونستدل على وحدته بأمور منها وحدة الكون وتناسقه .. ومنها أيضا وحدة أفعاله جل وعلا ، فقد امتحن الله إبراهيم وابنه، فاستسلما لله ، وظهر منهما الإيمان ، فخلص الله الابن ، وفداه بالكبش ، ووحدة أفعال الله تقضي بنجاة وفداء المسيح الذي استسلم لإرادة الله وليكن لا ما أريد أنا ، بل ما تريد أنت " (مرقس ١٤/٣٧) .

أما أن يخلص هذا ويفدى ، ولايخلص هذا فهذا لايليق نسبته لله عز وجل .[١]

وهروبا من هذه النتيجة الطبيعية لرمزية قصة إبراهيم وابنه ، فإن القمص إسحاق باسيليوس يقول : لايسوغ لنا أن نعتبر إسحاق رمزا إلى المسيح. كما ظن بعض المفسرين وهو خطأ منهم "[٢]

ويؤكد العلامة ديدات على قرينة وحدة أفعال الله، لإبطال صلب المسيح والحكم بنجاته ، فقد نجى الله ابني دانيال، وإبراهيم، والفتية الثلاثة الذين ألقوا في النار .

أما نجاة إبراهيم، فقد ذكرت في قوله تعالى ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم * فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ﴾[٣] .

وأما دانيال، فقد ألقاه الملك في جب مع الأسود ، وختم الجب بخاتمه ، ثم لما فتحه ناداه " يادانيال عبد الله الحي . هل إلهك الذي تعبده دائما قدر على أن ينجيك من الأسود ؟ فتكلم دانيال مع الملك : يا أيها الملك، عش إلى الأبد ، إلهي أرسل ملاكه ، وسد أفواه الأسود ، فلم تضرني، لأني وجدت بريئا قدامه وقدامك أيضا .. فأمر الملك، فأحضروا أولئك الرجال الذين اشتكوا على دانيال ، وطرحوهم في جب الأسود هم وأولادهم ، و لم يصلوا إلى أسفل الجب حتى بطشت بهم الأسود ، وسحقت كل عظامهم " (دانيال ٦/١٥ - ٢٤)

وأما الفتية الثلاثة فقد ألقوا في النار، ولكن " لم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق ، وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم " (دانيال ٣/٢٧)

وهكذا ومن خلال هذه الأمثلة، يرى ديدات أن رعاية الله قد أحاطت بالمسيح ، وأنجته من يدي أعدائه، فتحقق ما كان قد تنبأ به بقوله " والذي أرسلني هو معي ، و لم يتركني الأب وحدي ، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه " (يوحنا ٨/٩)[٤]

ويقول إبراهيم خليل وقد ذكر الأمثلة الثلاثة إنها " قرائن للتدليل على عناية الله ورعايته للأنبياء

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٦٤ - ٢٧٦ .

(٢) انظر " دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٧٧ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٦٨ - ٧٠ .

(٤) انظر : من دحرج الحجر ، أحمد ديدات ، ص ٢٣ - ٢٤ .

والصديقين ، وهي برهان حي قائم لئلا يكون لأهل الكتاب من النصارى على الله حجة بعد هذه القرائن من التوراة والقرآن الكريم " .[1]

ومما يؤكد ما ذهب إليه علماؤنا من نجاة المسيح وصلب غيره: ما جاء في إنجيل برنابا، وما وجد في مخطوطات نجع حمادي في مصر؛ حيث كشف بعد الحرب العالمية الثانية عن ثلاثة وخمسين نصا ، تقع في ألف ومائة وثلاثة وخمسين صفحة ، ومن هذه النصوص ما تحدث عن نجاة المسيح، وأنه لم يصلب .[2]

و لم يرد في هذه المخطوطات أي ذكر لمحاكمة المسيح وصلبه ، بل جاء في إنجيل بطرس على لسان بطرس : "رأيته يبدو كأنهم يمسكون به ، وقلت : ما هذا الذي أراه ياسيد ؟ هل هو أنت حقا من يأخذون ؟ .. أم أنهم يدقون قدمي ويدي شخص آخر ؟ .. قال لي المخلص .. من يدخلون المسامير في يديه وقدميه هو البديل ، فهم يضعون الذي بقي في شبهة في العار ! انظر إليه ، وانظر إليه " .

وفي مخطوطة أخرى من هذه المخطوطات وهي كتاب " سيت الأكبر " جاء على لسان المسيح " كان شخص آخر ، هو الذي شرب المرارة والخل ، لم أكن أنا " كان آخر الذي حمل الصليب فوق كتفيه ، كان آخر هو الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه . وكنت أنا مبتهجا في العلا .. أضحك لجهلهم " .

وفي مخطوطة " مقالة القيامة " : ما يدل على أن المسيح مات موتا طبيعيا ، وأن روحه المقدسة لايمكن أن تموت . وقد وجد على المجلدات رسم الصليب ، بيد أنه ليس الصليب اليوناني، بل الصليب المعهود عند قدماء المصريين والذي يكثر وجوده على شواهد قبورهم ، ويعتبرونه مفتاح الحياة ، أي أنه يشير لنجاة عيسى عليه السلام .

ومن المعلوم أن الكنائس الغربية لم تستخدم الصليب الروماني بالمعنى الكنسي المعروف إلا في منتصف القرن الرابع ، حين ادعوا العثور على خشبة صلب عيسى .

وأما قبل ذلك، فقد كان شعار الحواريين وقدماء النصارى: السمكة. وقد وجدت بكثرة على شواهد قبورهم .[3]

أما إنجيل برنابا: فيذكر قصة مقاربة لتلك القصة الموجودة في الأناجيل، ومن التشابه فيها: أن المسيح دعا وتضرع في البستان ، وكان معه تلاميذه الأحد عشر ، وأن يهوذا جاء مع الجند ليدلهم على مكان المسيح، مقابل ثلاثين من الفضة ، وأن التلاميذ كانوا نياما ، وأنهم هربوا لما استيقظوا ورأوا الجند . وكذا يذكر برنابا أن المأخوذ (يهوذا) قد أخذ إلى رئيس الكهنة الذي سأله إن كان هو المسيح، وعرضه على

---

(١) محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ص ١١١ - ١١٢ ، وانظر : قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ١٣٩/٢ .

(٢) انظر : مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ١٥ .

(٣) المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٤-١٦ ، مخطوطات البحر الميت ، أحمد عثمان ،ص ١٣٧ - ١٣٩ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ، ص ٢٨٢ .

الوالي الذي كان يريد إطلاق سراحه، لقناعته ببراءة المقبوض عليه .

لكن الجموع رفضت ذلك . وقد ذكر برنابا أيضا تحويل بيلاطس – المقبوض عليه – إلى هيردوس، وسخرية هيردوس منه بعد أن كان يتمنى لقياه ، وأنه ألبسه إكليلا من الشوك، وثوبا من الأرجوان ، ثم أخرج فصلب .

وثمة نقاط صغيرة كثيرة تتشابه فيها رواية برنابا والروايات الإنجيلية ، لكن رواية برنابا تفترق في نقاط . أهمها : أن المقبوض عليه هو يهوذا، الذي ألقي عليه شبه المسيح. ويذكر أن المسيح أخرجته الملائكة سالما ، وصعدت به إلى السماء ، وأنه عاد بعد ذلك واجتمع بتلاميذه ، وأخبرهم بحقيقة ماحصل ، وبأنه نجا ، وأن الذي دفنوه وصلبوه وسرقوه هو يهوذا الإسخريوطي كما يذكر برنابا أن الجسد المصلوب قد سرقه بعض التلاميذ من القبر ، وأشاعوا قيامة المسيح من القبر ، ثم يختم بذكر صعوده إلى السماء ، بعد وداعه لتلاميذه ولأمه .[1] ومما ذكره برنابا في قصته :

" فاعلم يا برنابا أنه لأجل هذا يجب علي التحفظ ، وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة نقود ، وعليه فأنا على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي ، لأن الله يصعدني في الأرض ، وسيغير منظر الخائن ، حتى يظنه كل أحد إياي ، ومع ذلك لما يموت شر ميتة؛ أمكث في ذلك العار زمنا طويلا في العالم ، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس، تزال عني هذه الوصمة ، وسيفعل الله هذا لأني اعترفت بحقيقة مسيا ، الذي سيعطيني هذا الجزاء ، أي أن أعرف أني حي، وأني بريء من وصمة تلك الميتة .

فأجاب من يكتب : يا معلم . قل لي من هو ذلك التعيس ؟ لأني وددت لو أميته خنقا . أجابه يسوع: صه ، فإن الله هكذا يريد ، فهو لايقدر أن يفعل غير ذلك ، ولكني متى حلت هذه النازلة بأمي ، فقل لها الحق ، لكي تتعزى " " وخرج يسوع من البيت، ومال إلى البستان ليصلي ، فجثا على ركبتيه مائة مرة معفرا وجهه كعادته في الصلاة ... ولما دنت الجنود مع يهوذا في المحل الذي كان فيه يسوع سمع دنو جم غفير ، فلذلك انسحب إلى البيت خائفا ، وكان الأحد عشر نياما ، فلما رأى الله الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ، ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد."

"ودخل يهوذا إلى الغرفة . دخل يهوذا مندفعا أمام جميع من كانوا معه إلى الحجرة التي كان فيها عيسى، ثم رفع منها إلى السماء بينما كان التلاميذ نياما على أن الله العظيم القادر على كل شيء ، تصرف تصرفا عجيبا ، فحول يهوذا إلى صورة عيسى وهيئته وصوته وأسلوب حديثه تماما حتى اعتقدنا أنه عيسى

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٦ ، ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ٧٣ ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا ، والأناجيل الأربعة ، محمد عبد الرحمن عوض ، ص ١١٦ ، ١٢٠ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٩٤ – ٩٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٥٢ – ٣٥٦ .

ولما استيقظنا من النوم كان يدور ليعرف مكان المعلم، أما نحن فعجبنا للأمر، فقلنا له: إنك أنت معلمنا ومولانا ، هل نسيتنا ؟

فضحك يهوذا، وقال : إنكم لحمقى ألا تعرفونني؟ أنا يهوذا الأسخريوطي، وفي هذه اللحظة دخل الجنود، ووضعوا أيديهم على يهوذا فقد كان صورة طبق الأصل لعيسى .

ولما سمعنا نحن قول يهوذا ورأينا كتائب الجنود هربنا واختفينا ، كان يوحنا يلتف بقماش من التيل، فاستيقظ وهرب، ولما أمسك أحد الجنود بقطعة القماش، تركها له، وفر هاربا عاري الجسد ، إذ كان الله قد سمع دعوة عيسى، وبالفعل نجا التلاميذ الأحد عشر من كل شر" . (برنابا ١/٢١٤ - ١٣/٢١٦)

ثم لما رجع يسوع من السماء لوداع أمه " وبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات، وقام قائلا : أتحسبونني أنا والله كاذبين ، لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم ، كما قد قلت لكم ، الحق أقول لكم : إني لم أمت، بل يهوذا الخائن . احذروا، لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ... وبعد أن انطلق يسوع تفرق التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة . أما الحق المكروه في الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائما فإن فريقا من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولن يقوم ، وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام ، وآخرون بشروا ولايزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله ، وقد خدع في عدادهم بولص .

أما نحن فإنما نبشر - بما كتبت - الذين يخافون الله ، ليخلصوا في اليوم الأخير لدينوية الله . آمين " (برنابا ١٥/٢٢١ - ٦/٢٢٢)

وهكذا نجد الأدلة الإنجيلية تتوالى، وهي تصرح بوضوح تام بنجاة المسيح من كيد أعدائه ، فما على النصارى إلا الإذعان لهذه النصوص والقول بنجاة المسيح من الصلب .

الشك في شخص المصلوب:

ومن النصوص الدالة أيضا على نجاة المسيح، وأن المصلوب غيره النصوص التي ذكرت أن ثمة شك في شخص المصلوب، قد حصل عند اليهود والتلاميذ ، وهو ماذكره مرقس في إنجيله، من أن المسيح قال لتلاميذه: " كلكم تشكون في في هذه الليلة " (مرقس ١٤/٢٧) .

وقد وقعت يومذاك عدة صور للشك :

أولها : أن من جاءوا للقبض عليه أنكروا وجهه وصوته ، و لم يعرفوه حيث خرج إليهم وقال : من تطلبون ؟ فأجابوه : يسوع الناصري ، فأخبرهم بأنه هو، بيد أنهم لم يسارعوا للقبض عليه فأعاد عليهم السؤال، فأعادوا الجواب . (انظر يوحنا ١٨/٣ - ٨)

فهذا يدل على شكهم في شخصه ، والسؤال المثير للاستغراب: كيف وقعوا بهذا الشك والمسيح قد عاش بين أظهرهم وهو أشهر من علم ؟ .[١]

ويرى عبد الوهاب النجار أنه لايمكن الجزم بحقيقة المأخوذ ، وأنه المسيح، لأن يهوذا الذي استأجروه للدلالة عليه لم يقبل المسيح ، و لم ينطق بكلمة واحدة عندما وقف القائل وقال لهم من تطلبون ... أنا هو .[٢]

ثانيها : شك رئيس الكهنة في شخصية المأخوذ ، وهو أمر جد مستغرب، إذ المسيح كان يجلس في الهيكل ، ويتحدث مع الكهنة ورؤسائهم ، ورأوه وهو يقلب موائد الصيارفة في الهيكل (انظر متى ٢١/١٢ - ١٥ ، ٢٣ - ٤٦)

وقد قال لهم حين جاءوا لأخذه: " كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني، كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل ، و لم تمسكوني " (متى ٢٦/٥٥)

ويرى محمد أبو الغيط الشك جليا في قول رئيس الكهنة له أثناء المحاكمة " أستحلفك بالله الحي، أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ " (متى ٢٦/٦٢ – ٦٤) .

ويجلي لوقا ذلك فيقول " ولما كان النهار، اجتمعت مشيخة الشعب، ورؤساء الكهنة والكتبة ، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين : إن كنت المسيح فقل لنا فقال لهم : إن قلت لاتصدقون ، وإن سألت لاتجيبونني ولاتطلقونني ، منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله ، فقال الجميع : أفأنت ابن الله ؟فقال لهم

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ١/٥٨٤ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باحي البغدادي ، ص ٤٧٢ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ١٠١ - ١٠٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٣ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٥٢ .

(٢) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٣ .

: أنتم تقولون إني أنا هو " (لوقا ٢٢/٦٦ - ٧٠) .

ويلاحظ محمد الفرت أن الجميع كان منشغلا بتحقيق شخص المأخوذ ، حتى في محاكمته .

ويلاحظ أيضا أن إجابة المأخوذ كانت :" أنت قلت " وقال لبيلاطس " أنت تقول " ثم ما هي الإجابة التي لن يصدقها رؤساء الكهنة ؟ ولو صدقوها لأطلقوه ؟ هي بلا شك: أنه ليس المسيح ، بل يهوذا ، وأما عيسى فقد أخبرهم يهوذا عن مكانه " جالسا عن يمين قوة الله " أو كما قال متى: " جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء " (متى ٢٦/٦٤) .

وقد يسأل سائل: كيف عرف يهوذا مكان المسيح ؟ والجواب بسيط، لقد رأى يهوذا المسيح وهو ينجو ويصعد به إلى السماء، يوم أن القي القبض عليه، بعد وقوع الجند .

فلماذا شكوا في شخصية المأخوذ ؟ لقد كانوا يعهدون في المسيح معالم معنوية، في كلامه، وذكائه وشجاعته، وعلمه ، وهم اليوم لايرون شيئا من ذلك، [1] وهو ما حصل مع هيردوس: " وأما هيردوس فلما رأي يسوع فرح جدا ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة ، وترجى أن يرى آية تصنع منه ، وسأله بكلام كثير ، فلم يجبه بشيء ... فاحتقره هيرودس مع عسكره ، واستهزأ به " (لوقا ٢٣/٨ - ١١)

وقد ركز أصحاب الردود على ثالث الشكوك وأهمها .

فثالثها : شك بطرس والتلاميذ ، وهو ما ينطبق عليه تماما قول يسوع " كلكم تشكون في " ولكن هل شك التلاميذ ؟

لاتذكر الأناجيل شيئا عن شك التلاميذ، سوى ماذكرته عن بطرس، وأما الآخرون فصمت مطبق ، فكيف شك التلاميذ ؟

يجيب أحمد عبد الوهاب بأن الشك هو تراجع داخل النفس، ويستشهد لتفسيره بما جاء في غير الترجمة العربية ، فالنص في التراجم الأخرى تعريبه هكذا :" كلكم ترتدون عن عقيدتكم وتزلون " ، ويفرق بين الإنكار والشك ، فالشك عمل قلبي ، والإنكار : قد ينكر الإنسان بلسانه ما يعتقده في قلبه ، والذي وقع من التلاميذ شك لا إنكار . فلقد آمن التلاميذ بالمسيح ، وصدقوه فيما تنبأ به ، فإذا رأوا ما اعتبروه مخالفا لنبوءاته، فسوف يحصل منهم الشك، والردة عن العقيدة .

ويورد هنا أحمد عبد الوهاب احتمالين :

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٤/١ ، ٥٩٢ ،قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٢ ، ٧٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٨٠ ، ونقله عن المنارات الساطعة للنجار في " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء " رؤوف شلبي ، ص ٢٩٨ .

الأول : أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده ، وستحدث له ألما ومعاناة، إلا أنها ستفشل، وسينقذه الله من القتل ، كما في قوله: " ستطلبونني ولاتجدونني " . وهذا الذي حصل و لم يشاهدوه، بل شاهدوا ما حسبوه وظنوه نقيضه.

والثاني : أن المسيح تنبأ بأن المؤامرة ستنتهي بقتله، ولدى العودة إلى لحظة القبض على المسيح نجد أن التلاميذ جميعا قد هربوا، وتركوا المسيح وحده . ويبدو هنا شكهم واضحا ، لقد حصل ما لم يتوقعوه ، وما لم يتنبأ به المسيح .

فلئن كان أخبرهم بأن سيقبض عليه وسيقتل، فليس ثمة ما يثير الشك ، وإن كان الاحتمال الأول بأنه سينجو، وأن المؤامرة ستفشل ، ولكنهم يجدونه قد قبض عليه ، و لم تتحقق نبوءته، فحينئذ وقعوا في الشك .

ويضع أحمد عبد الوهاب النصارى أمام خيارين :

الأول : نفي الشك عن التلاميذ وتكذيب المسيح .

الثاني : التسليم بأن الأناجيل تذكر نبوءات غير صحيحة تنسبها للمسيح .

فإن رفضوهما فليس لهم إلا أن يصدقوا بفشل المؤامرة ، ونجاة المسيح من الصلب .[1]

ويعجب محمد توفيق الأفندي ، كيف يشك التلاميذ في نجاة المسيح، وهم يرون ما لديه من قدرات خارقة كالتي تحكيها عنه الأناجيل ؟ مثل قدرته على الاختفاء عن أعدائه ، وقدرته على تغيير شكله ؟.[2]

إذن فلقد تحقق الشك، حين حسبوا المسيح هو المأخوذ والمصلوب، وقد كان أخبرهم بنجاته ، كما قد سمعوا منه مرارا (انظر يوحنا ٣/٧) ومواضع أخرى .[3]

وأما سيء الذكر في الأناجيل – بطرس– ، فإنه الوحيد من بين التلاميذ الذي ذكر أصحاب الأناجيل شكه ، ويتمثل شكه عند النصارى في تنكره للمسيح، قبل أن يصيح الديك صباح تلك الليلة مرة أو مرتين على خلاف بين متى ومرقس .

لكن أحمد عبد الوهاب يفرق مرة أخرى بين الشك والإنكار ، فما حصل من بطرس هو إنكار ، وليس بشك ، فقد ينكر الإنسان بلسانه ما يعتقده بقلبه .

وأما الشك: فهو تراجع وتردد في القلب ، حقيقته شك في حقيقة المأخوذ والمصلوب أنه المسيح،

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٣٨ – ١٣٩ ، ١٤٧ – ١٤٨ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٨٩ – ٩٠ .

(٢) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٣) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١١٢ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٤٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٠٤ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ،علاء أبو بكر، ص ٣٢٤ .

بخلاف ما أخبرهم به من نجاته ، وهو في الحقيقة غيره .[٤]

وهذا الشك في المصلوب، هو ما تؤكده وثيقة إبراء اليهود من دم المسيح والصادرة عن الفاتيكان ١٩٦٥ م فقد جاء فيها إن صحت النسبة إليها: " اليهود لم يصلبوا السيد المسيح إطلاقا ، وإنما صلبوا شخصا لم يعرفوه ، ولو عرفوا أنه المسيح: لم يفعلوا ذلك ... أقرب الناس إلى المسيح لم يعرفه ، فكيف يعرفه اليهود؟ " .[١]

ويرى علماؤنا في ذلك كله تصديقا لما أخبر عنه القرآن الكريم، قبل قرون طويلة من الشك في شخصية المصلوب . قال الله تعالى ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴾[٢]

إمكانية نجاة المسيح:

كما تحوي النصوص التوراتية والإنجيلية أمورا تجعل نجاة المسيح ممكنة ، منها :

*أن المسيح – حسب ما ذكرت الأناجيل – قد أعطاه الله عز وجل قدرة على النجاة، والهروب من بين يدي أعدائه ، فقد اختفى منهم أكثر من مرة لما أرادوا به شرا ، فمن الطبيعي والمنطقي أن يهرب منهم يوم جاءوا للقبض عليه، وأمثلة هذه القدرة الباهرة كثيرة منها: قول لوقا " فامتلأ غضبا جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا ، فقاموا وأخرجوه خارج المدينة ، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كان مدينتهم مبنية عليه ، حتى يطرحوه إلى أسفل ، أما هو فجاز في وسطهم ، وانحدر إلى كفر ناحوم "(لوقا ٤/٢٨ – ٣١) .

ولما كان في الهيكل، وكثر الجدال بينه وبين اليهود، هموا بقتله " فرفعوا حجارة ليرجموه . أما يسوع فاختفى ، وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى " (يوحنا ٨/٥٩) .

وفي مرة أخرى جادلهم " فطلبوا أن يمسكوه ، و لم يلق أحد يدا عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد، فآمن به كثيرون في الجمع ، وقالوا : ألعل المسيح متى جاء يعمل أكثر من هذه التي عملها هذا " (يوحنا ٧/٣٠ – ٣١) وقول يوحنا :" لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد " قول لا يلزمنا فإنه بصلب المسيح ، ويحاول أن يبرر اختفاء هذه الخاصية عند القبض على المسيح .

---

(٤) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٣٨ – ١٣٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٥ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ١١٠ .

(١) دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٨ نقلا عن " التبرئة قضية سياسية" ، لبشير كعدان .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٥٧ ، وانظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ١/٥٨٥ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ١٠١ – ١٠٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٣ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٤٨ .

وفي يوم العيد حصل مثله " فحدث انشقاق في الجمع لسببه ، وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه ، ولكن لم يلق أحد عليه الأيادي " (يوحنا ٧/٤٣ - ٤٤) .

ولما تمشى في رواق سليمان، وأسمعهم دعوته " فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم، ومضى أيضا إلى عبر الأردن " (يوحنا ١٠/٣٩ - ٤٠) .

ولما كان في الخزانة في الهيكل، حاولوا إمساكه " و لم يمسكه أحد، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد " (يوحنا ٨/٢٠) .

ويبقى السؤال أين اختفت هذه الخاصية للمسيح يوم المؤامرة العظمى؟ فلئن استعملها في الهرب من عامة اليهود ، فاستعمالها في الهرب من الجند أولى .[١]

ويرى علماؤنا في هذه النصوص تصديقا لما أخبر الله عز وجل عنه في شأن المسيح، حيث قال وهو يعدد نعمه على المسيح: ﴿ وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ [٢]

ويرى محمد أبو الغيط هذه الحماية مشابهة لحال نبينا صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة عندما خرج من بين الكفار الرابضين على بابه ، فستره الله عنهم ، ثم ستره مرة أخرى في الغار فكان ذلك مصداقا لوعد الله ﴿وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ [٣]

ويعجب الخولي لإصرار النصارى على تكذيب المسيح وقد أخبر بنجاته ، وقد أمكن الله له سبل النجاة المتنوعة ، كما يسرها لكثيرين دونه في الفضل، منهم بطرس الذي دخل ملاك الرب إلى سجنه ، وحطم سلاسله وهو نائم، وأمره بالخروج (أعمال ١٢/٧) وكذلك بولس في زعمهم فقد تزلزلت الأرض ، وتصدع السجن ، وتحطمت القيود . وانفتحت الأبواب ، فهرب وصاحبه سيلا من سجنهما (انظر أعمال ١٦/٢٦) .

فلم أمكن هذا لبطرس وبولس ، و لم يمكن للمسيح وهو أولى منهما برعاية الله وحفظه ؟[٤]

ويشبه ذلك ما تذكره الأناجيل ، ويفهم منه قدرة المسيح على اختراق الحجب، يقول يوحنا " ولما

---

(١) انظر : المنارات الساطعة للنجار نقلا عن يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٠ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٥٦ - ١٥٨ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٤٠ - ١٥٨ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٧ - ٧٥ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ١١٠ ، انظر : المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٥٨ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٧ - ٧٥ .

(٣) سورة الحج ، آية : ٢٩ ، وانظر : قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٧٥ .

(٤) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٨٥ .

كان عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود ، جاء يسوع، ووقف في الوسط ، وقال لهم سلام لكم " (يوحنا ١٩/٢٠) ، وفي لوقا لم يذكر إغلاق الأبواب ، وإن ذكر ما يشعر بوجود أعجوبة " وفيما هم يتكلمون بهذا، وقف يسوع نفسه في وسطهم ، وقال لهم: سلام لكم ، فجزعوا وخافوا ، وظنوا أنهم نظروا روحا " (لوقا ٣٦/٢٤ - ٣٧) .

*كما ثمة أعجوبة أخرى، تجعل نجاة المسيح وخلاصه من أيدي كائديه ممكنا، ألا وهي ماتذكره الأناجيل من قدرة المسيح على تغيير هيئته وشكله ، حتى يعجز المقربون منه عن معرفته ، وقد صنع ذلك مرارا.

فقد خفي بعد القيامة على تلاميذه مرات عديدة ، فخفي على مريم المجدلية التي هي من أقرب الناس إليه ، وظنته البستاني ، و لم تعرفه إلا بعد برهة (انظر يوحنا ١٤/٢٠ - ١٥) .

وكذلك خفي على التلميذين المنطلقين لعمواس ، و لم يعرفاه إلا بعد أن بارك لهما طعامهما . (انظر لوقا ١٣/٢٤ - ١٩) .

وخفي أيضا على التلاميذ مجتمعين ، وهم يصيدون في بحيرة طبريا ، وكان أول من عرفه بعد وقت طويل هو يوحنا (انظر يوحنا ١/٢١ - ٧) [١]

كما تقرر الأناجيل تغير شكله في أحداث قبل الصلب ، ومن ذلك: ما ذكره لوقا " وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة ، ولباسه مبيضا لامعا ، وإذا رجلان يتكلمان معه، وهما موسى وإيلياء " (لوقا ٢٩/٩) .

ويذكر متى أنه أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا " وصعد بهم إلى جبل عال منفردين ، وتغيرت هيئته قدامهم " (متى ١/١٧ - ٢) .[٢]

ويرى عبد الرحمن باجي زادة أن الخبر الأخير الذي رواه لوقا والذي تجعل الأناجيل حصوله قبل حادثة الصلب بأيام معدودة هو لحظة نجاة المسيح ، وأن الحدث كان حقيقة يوم حادثة الصلب، لكنهم لقلة ضبطهم وتناقضهم وقصورهم المعهود عنهم جعلوه قبل حادثة الصلب بأيام .[٣]

فلئن صح أن المسيح يقدر على ذلك، فهو دليل على قدرته على الخلاص والنجاة من أيدي أعدائه ،

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٦ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرات ، ص ٧٦ - ٨٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٢٩ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٥/١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٩ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٠ .

(٣) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

وهذا لاريب يلجأ إليه في الشدائد ، والمؤامرة الأخيرة عليه من أشدها .

وقد رأينا مما سبق اتفاق القرآن مع النصوص التوراتية والإنجيلية ، التي تقول وتتنبأ بنجـــاة المســيح ، ورفعة إلى السماء ، وهذا الأمر ممكن ، وليس غريبا على قدرة الله العظيم .

كما أن توراة القوم وإنجيلهم، يتحدث عن معونة الله لعدد من القديسين رفعوا إلى السماء ، منـــهم: أخنوخ " وسار أخنوخ مع الله ، و لم يوجد لأن الله أخذه " (التكوين ٢٤/٥) . ومثله إيليا " وفيمـــا هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار ، وخيل من نار ففصلت بينهما ، فصعد إيليا من العاصفة إلى الســماء " (ملوك (٢) ١١/٢) .[1]

وهكذا رأى علماؤنا الحقيقة بادية وضوح الشمس في رابعة النهار، نطقت بها النبوات نبيا بعد نـــبي في جلاء ووضوح عجيب .

ويتساءل المرء: لم لم يتوصل النصارى إلى هذه الحقيقة الجلية ؟ وفي الإجابة من هذا الســؤال يــرى منصور حسين أن الطريقة الخاطئة والمغلوطة التي يفكر بها النصارى، هي التي حجبت شمس الحقيقة عنـــهم . وكمثال لطريقتهم في التفكير ، ينقل عن الدكتور ر.أ . ترى في كتابه " كيف تدرس الكتاب المقدس " .

فقد وضع الدكتور النصراني شروطا ينبغي أن يتحلى بها قارئ الكتاب المقدس، ليحصل على أكبر قـدر من الفائدة فمن هذه الشروط: أن يكون القارئ مولودا ولادة ثانية (مسيحيا) ، وأن يكون محبا للكتـــاب المقدس، وعنده استعداد للكد والجد في دراسته ....

ويتوقف منصور حسين مع شرطين مهمين:

أولهما : أن يكون عند الدارس " إرادة مسلمة تسليما كاملا .... "

وثانيهما : " أن ندرسه باعتباره كلمة الله "

فيرى منصور حسين أن هذين الشرطين يفرضان على قارئ الكتاب المقدس التسليم والإيمان بأن مـــا يقرأه هو وحي الله، الذي لاشك فيه ولا لبس ، مهما ظهر فيه من التنـــاقض، والخطـــأ، والتعـــارض مـــع المعتقدات النصرانية .

فمثلا: عندما يقرأ النصراني في المزمور قوله " أما أنا فدودة لا إنسان، عار عنـــد البشـــر " (المزمـــور ٦/٢٢) يجد أنه من غير المنطقي أن يكون هذا عن المسيح ، لكنه يسلم لمشيئة مؤلفي العهد الجديد، فيقـــول بأنه نبوءة عن المسيح رغم استحالتها بحقه .

ويفعل الشيء نفسه ، وهو يقرأ " الرب مخلص مسيحه " (المزمور ٦/٢٠) وهكذا فـــهم يضعـــون

---

(١) انظر : المنارات الساطعة للنجار نقلا عن "يا أهل الكتاب تعـــالوا إلى كلمـــة ســـواء "، رؤوف شـــلبي ، ص ٢٩٩ ، ومحاضرات في مقارنة الأديان ،إبراهيم خليل أحمد ص ١١١ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكـــر ، ص ٢١ – ٢٢ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩١ .

النتائج أولا، ثم يقرؤون الكتاب المقدس .

وهكذا، فإن المتأمل لهذين الشرطين " ليكاد يقطع بأن واضعهما يعرف بيقين أن لو أطلقت للباحث حرية البحث عن الحقيقة وحدها، فإنه سينتهي من العهد القديم إلى ما يخالف ما جاء به العهد الجديد (من حديث عن صلب المسيح) فيصل إلى أن الله مخلص مسيحه، ورافعه إليه ، وأن الذي سيقبض عليه ويحاكم ويصلب هو يهوذا " [1]

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٨١ - ٢٨٩ .

المطلب الخامس : مصادر قصة صلب المسيح

ويبقى السؤال موجها لعلمائنا المنكرين لصلب المسيح من أين وردت على النصارى مقالة صلب المسيح؛ وهل خفي عليهم حقيقة المصلوب ؟ أم خفي عليهم وقت الصلب ، ثم كشف لهم بعد ذلك لكنهم استمرءوا الباطل ؟

وفي الإجابة عن هذا التساؤل يعتبر منصور حسين الأناجيل الأربعة مخطوطات قديمة، كتبها أشخاص في أوقات مختلفة ، حسب ما تناهى إلى مسامعهم من الروايات الشفهية المتناقلة ، وهم لم يدعوا لها الإلهام ولا القدسية، فكتب كل حسب ما سمع، مناقضا الآخرين ، أو موافقا لهم .

ونجاة المسيح ورفعه أمر خفي على الكثيرين من معاصري المسيح ، فظنوا أن المصلوب هو المسيح، إذ لم يشاهد معجزة رفع المسيح إلا يهوذا الخائن ، عندما أخذوه في لحظة التسليم، وقد شبه عليهم وهم في شك منه كما تبين لنا قبل .[1]

ويرى أحمد عبد الوهاب وغيره أن فكرة صلب المسيح هي بعض مبتدعات بولس، الذي وجد في قصة الصلب القلب النابض للمسيحية الجديدة التي أنشأها ، والتي يؤكد عليها بولس في رسائله ومنها قوله: " لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا " (كورنثوس (١) ٢/٢) [2]

وقد امتلأت رسائله بالتأكيد على صلب المسيح، مما حدا بأرنست دي بوش الألماني للقول في كتابه: " الإسلام : أي المسيحية الحقة " : " إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه، من الذين لم يروا المسيح ، وليست من أصول النصرانية الحقة " [3]

وقد استغل بولس الاضطراب الذي حصل في حقيقة ما جرى للمسيح، بين قائل بأنه صلب، أو أن المصلوب غيره، أو سوى ذلك مما أشيع في تلك الأيام .. ووظفه، وجعله قاعدة لضلالته المسماة "الفداء" .

وبولس عندما ادعى صلب المسيح فداء للخطيئة فإنه إنما يكرر عقيدة قديمة، تناقلتها الوثنيات قبل المسيح بزمن طويل ، وقد نسج الإنجيليون أحداث صلب المسيح، على نحو ما قرره بولس ، وعلى صورة ماورد عن الأمم الوثنية القديمة ، حتى أضحت قصة الصلب في الأناجيل قصة منحولة من عقائد الأمم الوثنية ، ولعل أوضحها شبها بقصة المسيح أسطورة إله بابل " بعل. " فقد كشفت لوحتان أثريتان تعودان

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٨٣ - ٣٨٥ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٦ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٤ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٠٦ .

(٣) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٦ ، والنصرانية ، مصطفى شاهين ص ٨٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

للقرن التاسع قبل الميلاد عن قصة تشابه تماما ما قاله النصارى في صلب المسيح ومحاكمته، ونقل علماؤنا عن "فندلاي" وغيره المقارنة بين ما قيل عن بعل قبل المسيحية وما قيل عن المسيح في المسيحية .ويوضح ذلك الجدول التالي :

محاكمة بعل	محاكمة عيسى عليه السلام
١ – أخذ بعل أسيرا .	١ – أخذ عيسى أسيرا .
٢ – حوكم بعل علنا .	٢ – وكذلك حوكم عيسى .
٣ – جرح بعل بعد المحاكمة .	٣ – اعتدي على عيسى بعد المحاكمة .
٤ – اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل .	٤ – اقتيد عيسى لصلبه على الجبل .
٥ – كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت . وقد طلب الشعب إعدام بعل ، والعفو عن المذنب الآخر .	٥ – وكان مع عيسى قاتل اسمه : "باراباس" محكوم عليه بالإعدام، ورشح بيلاطس عيسى ليعفو عنه كالعادة كل عام . ولكن اليهود طلبوا العفو عن "باراباس" وإعدام عيسى .
٦ – بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد ، واضطرب الناس .	٦ – عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء .
٧ – حرس بعل في قبره حتى لايسرق أتباعه جثمانه	٧ – وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لايسرق حواريوه جثمانه .
٨ – الأمهات جلست حول مقبرة بعل يبكينه .	٨ – مريم المجدلية ، ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه .
٩ – قام بعل من الموت وعاد للحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء .	٩ – قام عيسى من مقبرته في يوم أحد ، وفي مطلع الربيع أيضا، وصعد إلى السماء .[1]

وقد انتقلت هذه الأسطورة البابلية، عن طريق الأسرى اليهود الذين عادوا من بابل .[2]

وينقل أحمد عبد الوهاب عن العالمين " فريزر " و " ويش " أن قصة الصلب لها مثل أيضا عند الرومان ، فقد كانت تجري عندهم قبل الميلاد تمثيلية تشبه كثيرا ما جاء في الروايات الإنجيلية ، فقد أقامت

(١) أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٩٦ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ ، منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة ،عزية طه، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٢) منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة ،عزية طه،ص ٢٣٥ .

جماهير الإسكندرية مسرحا قدمت عليه تمثيلية للسخرية من أجريبا الأول الذي كان يزور مدينتهم في طريق عودته من روما بعد أن عينه كاليجولا ٤١م ملكا على اليهودية ، ويقول أحمد عبد الوهاب " فأمسكوا بيهودي أبله وألبسوه تاجا من الورق ، وثوبا من الحصير ، ووضعوا قصبة من البردي في يده ، كما زودوه بحراس خصوصين ، وبعد ذلك أعلنوا مبايعته ، وتظاهروا باستشارته في أمور الدولة .

ومن المثير حقا أن اسم الضحية كان " باراباس " ونظرا لأن بعض العلماء قد رأوا هنا صلة "بباراباس" اللص ،وبناء على مارأوه من أمثلة متنوعة من عقائد العالم ، فإنهم وجددا في هذه القصة دليلا على شيوع أحد طقوس العالم القديم ، الذي كان يعامل فيه أحد الرجال كأنه مزيف، بينما يذبح رجل آخر .

لقد كان المتهمون الذين أدانتهم المحاكم في العالم القديم كثيرا ما يجبرون على القيام بالأدوار الرئيسية في مثل تلك الطقوس ، وبناء على هذا، فإن الباب مفتوح لتأويل قصة آلام يسوع ، وإطلاق سراح باراباس على أنها حدثت في محيط مثل تلك الطقوس " .

وينبه المؤلف إلى أن معنى "باراباس" كما قال "فنتون" مفسر مرقس: ابن الأب (السماوي) .[1]

ومما يؤكد وصول هذه القصة إلى الفكر اليهودي ثم المسيحي أن التوراة ذكرت ما يدل على شهرة مثل هذه القصة ففي حزقيال " فجاء بي إلى مدخل باب بيت الرب – الذي من جهة الشمال – وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز " (حزقيال ١٤/٨) وتموز هو الإله البابلي الذي قتل لأجل خلاص البشر، ثم قام من بين الموتى . ويؤيد هذا: ميل اليهود للوثنية وتقليد الأمم التي جاورتهم ، فقد تركوا عبادة الله وعبدوا آلهة الوثنيين سنين طويلة، وبذلك يرى محمد الأفندي أنه قد صدق فيهم قول الله عز وجل﴿ ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [2]

وتتشابه كثير من تفاصيل قصة الصلب مع تفاصيل واردة في قصص وثينة مشابهة .فقد ذكر متى أحداثا غريبة عدة، صاحبت موت المسيح حيث يقول: " وفي الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض، إلى الساعة التاسعة ... وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت، والقبور تفتحت ... " (متى ٤٥/٢٧ – ٥٣) .

وهذا نقله النصارى من الوثنيات القديمة، فقد نقل العلامة التنير عن عدد من المؤرخين إجماعهم على انتشار هذه الغرائب حال موت المخلصين لهذه الأمم . من ذلك: أن الهنود يقولون: " لما مات "كرشنا" مخلصهم على الصليب ، حدثت في الكون مصائب جمة، وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء ، وأظلمت الشمس عند منتصف النهار ، وأمطرت السماء نارا ورمادا ..... "

ويقول عباد بروسيوس " إنه لما صلب على جبل قوقاس، اهتزت الكائنات ، وزلزلت الأرض و .... "والاعتقاد بحدوث أحداث سماوية عظيمة عند موت أحد العظماء أو ولادته، معروف عند الرومان

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٣٠ . وانظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٦ .

واليونان، كما ينقل المؤرخ "كنون فرار" في كتابه "حياة المسيح" وينقل جيبون في تاريخه أن عددا من الشعراء والمؤرخين الوثنيين كان يقول " لما قتل المخلص اسكولابيوس ، أظلمت الشمس ، واختبأت الطيور في أوكارها ... لأن شافي أمراضهم وأوجاعهم فارق هذه الدنيا " والقول بظلمة الشمس عند موت أحد المخلصين قيل عند مقتل هيركلوس وبيوس وكوتز لكوتل وكيبير ينوس إله الرومان ، وعليه، فهو أسطورة قديمة تداولتها الأمم، ونقلها أصحاب الأناجيل من تلك الوثنيات .[1]

وقد كان عباد الشمس يقدمون الضحايا لها، خاصة عند حلول الكسوف ، فإذا زال الكسوف اعتقدوا أنه بسبب فداء أحد زعمائهم ، حيث خلصهم وحمل عنهم العذاب ، ومنه أخذ متى قوله " ومن الساعة السادسة، كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة " (متى ٢٧/٤٥) [2]

ومن أوجه الشبه بين الوثنيات القديمة والنصرانية القول بقيامة الآلهة من الأموات، فقد أجمعت الأناجيل على قيامة عيسى من الموت ، ولكن هذا قد سبقهم إليه الهنود، حيث قالوا في كرشنا: " هوذا كرشنا صاعد إلى وطنه في السماوات " وكذا يقول عباد بوذا بأنه حزن عليه بعد موته أهل السماوات والأرض " حتى إن مهاويو (الإله العظيم) حزن ونادى : قم أيها المحب المقدس فقام كام (أي بوذا) حيا ، وبدلت الأحزان والأتراح بالأفراح ، وهاجت السماء ، ونادت فرحة : عاد الإله الذي ظن أنه مات وفقد ... " ومثله يعتقده الصينيون في إلههم (لأوكيون) ، والمجوس في (زورستر) .

ويقول عابدو (سكولابيوس) في القصيدة التي حكت عن حياته " أيها الطفل القادر على شفاء الأمم في السنين القادمة حينما يهب من في القبور .... وأنت من المسكن المظلم ستقوم ظافرا وتصير إلها " وعن تموز يقول البابليون:" ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم،واتكلوا على ربكم الذي قام من الأموات ".

ومثل هذا الاعتقاد، سرى في كثير من الوثنيات قبل المسيحية فقد قيل بقيام أوزوريس، وحورس، "ومتراس" وباخوس، وهرقل، وكوتزلكوتل، ويلدور، وغيرهم، فكل هؤلاء قال عبادهم بقيامتهم من الموت. ولعل أهم هؤلاء أوزوريس معبود المصريين القريب من مهد المسيحية ، وقد انتشرت أسطورته في القرن الثالث قبل الميلاد. ويقول المؤرخ (مهامي) " إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله " .[3]

ونعود لبولس لنتساءل عن موقف النصارى الأوائل من دعواه صلب المسيح، التي كتبها الإنجيليون بعد وفاته .

وبالتأمل في رسائل بولس التي أكدت صلب المسيح وأهمية هذا الحدث كمعتقد، نجد في طياتها موقف الحواريين والأتباع الأوائل الرافض لبدع بولس ومن ضمنها. ولاريب عقيدة الصلب.

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٤١ - ٤٣ .

(٢) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٦ .

(٣) انظر : تفصيل هذا التشابه بين الوثنيات والنصرانية في: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ١٠٥ - ١١٠ ، وانظر منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة ،عزية طه، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

فيرى أحمد عبد الوهاب هذا الموقف في قول بولس وشكواه في رسالته لتيموثاوس " أنت تعلم هذا ، أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني " (تيموثاوس (٢) ١/١٥) ، وفي رسالته لأهل غلاطية يشكو من أولئك الذين كذبوه " إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح، إلى إنجيل آخر ، ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح ، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما " (غلاطية ١/٦ - ٨) [١]

ويقول بولس " ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات ؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل كرازتنا ، وباطل أيضا إيمانكم " (كورنثوس (١) ١٥/١٣) ويرى ممدوح جاد أن النص يتحدث عن إنكار بعض التلاميذ لصلب المسيح فيقول " وواضح أنه كان هناك تلاميذ يقولون برفع المسيح مباشرة ، وعدم قتله، أو صلبه، أو دفنه، كرأي الإسلام " [٢]

والذي أراه في النص: أنه يتحدث عن منكرين للقيامة فقط ، ويبقى مارآه المؤلف مجرد احتمال، لم يقم له دليل من النص، لكن يشهد له مجموعة النصوص الأخرى .

ويرى النجار في " المنارات الساطعة " أن الحواريين ما كانوا يعرفون شيئا عن صلب المسيح، بدليل خلو رسائلهم الموجودة في العهد الجديد من الحديث عن المسيح المصلوب .[٣]

ويقول المؤرخ فوتيوس : إنه قرأ كتابا يسمى "رحلة الرسل" في أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس ، ومما قرأ فيه " إن المسيح لم يصلب ، ولكن صلب غيره ، وقد ضحك بذلك من صالبيه " [٤]

وتظهر المعارضة الصريحة لدعوى بولس صلب المسيح من الحواري "برنابا" في إنجيله الذي تتنكر له الكنيسة ، وقد ذكر في مقدمته سبب تأليفه لهذا الإنجيل فيقول: " الذين ضل في عدادهم أيضا بولس ، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق، الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ، ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله ، وعليه، فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه ، لتخلصوا خلاصا أبديا " (برنابا مقدمة /٧ - ٩) .

وكانت الفرق المسيحية المنكرة للصلب صدى لإنكار الحواريين على بولس كما قد سبق تفصيله .

كما تكشف لنا الكشوف الأثرية عن إنجيل اكتشف حديثا في نجع حمادي منسوبا للحواري المقرب بطرس، ينكر فيه صلب المسيح، ويقول برفعه قبل إجراء الصلب .

ويحاول النصارى الالتفاف على هذا المعنى المهم فيقول " بلمان استراتر " في كتابه " الأناجيل الأربعة "

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) نقل ذلك عنه شلبي في كتابه" يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء" ، رؤوف شلبي ، ص ٣٠١ .

(٤) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، علاء أبو بكر،ص ٣١٨

بأن المراد بالرفع هنا: رفع شخصيته الإلهية .

ويرد عليه العثماني بأن النص يتحدث عن المسيح ، وقد رفع إلى السماء بصيغة المجهول ، ولو كان المراد منه الشخصية الإلهية لقال بصفة المعلوم : " ارتفع إلى السماء " لأن الإله لايرفعه أحد .[1] كما أن أحدا من النصارى لايقول بهذا الرأي ، ولو قال به لما بقي للفداء أي معنى، إذ يصبح الفادي مجرد بشر .

ويعترف النصارى من مفسري الأناجيل بحدة الخلاف لبولس وتلاميذه، في مسألة صلب المسيح ، وأن هذا الخلاف دعا الإنجيليين إلى التأكيد على أن المسيح قد صلب كما قال بولس الذي سبقت رسائله الأناجيل الأربعة في تاريخ كتابتها فنقل أصحاب الأناجيل فيما بين سطور الأناجيل الإنكار على بولس وتكذيب صلب المسيح ، يقول مرقس: " ثم خرجوا به ليصلبوه، فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل، هو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه " (مرقس ١٥/٢٠ - ٢٣) .

يقول المفسر نينهام في تفسيره لمرقس كما نقل عنه أحمد عبد الوهاب : " يبدو أن الغرض من هذه الفقرة هو ضمان صحة القصة؛ التي تقول بأن سمعان قد حمل الصليب ، وما من شك في أن أحد الأسباب في الحفاظ على هذه التفاصيل الشخصية في الإنجيل ؛ كان الغرض منه تذكير القراء بأن لديهم مصدرا للمعلومات عن الصلب، جديرا بالثقة .. ولعل السبب في حذف هذه الرواية والخاصة بحمل سمعان القيرواني للصليب - من إنجيل يوحنا ، هو الادعاء : بأن سمعان قد حل محل يسوع ، وصلب بدلا منه، ولايزال ساريا في الدوائر الغنوسطية، التي كانت لها الشهرة فيما بعد " .

وهكذا نفهم سبب مخالفة يوحنا للأناجيل الثلاثة في مسألة " من حمل الصليب " فيقرر أنه المسيح، حمل صليبه بنفسه فيقول " فأخذوا يسوع، ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة .. حيث صلبوه " (يوحنا ١٩/١٦ - ١٨) وينبه فنتون شارح إنجيل متى إلى مثل هذا الفعل من متى،عندما عدل ألفاظ مرقس وهو ينقل عنه في أحداث اللحظة التي بعد اقتسام الثياب والاقتراع عليها،حيث يقول مرقس:" وكانت الساعة الثالثة فصلبوه " (مرقس ١٥/٢٥) لكن متى يغير، فيقول بعدها: ." ثم جلسوا يحرسونه هناك " (متى ٢٧/٣٦) ، فتكلم متى عن حراسة يسوع أثناء الصلب وبعده . ويرى فنتون أن ذلك " إنما يرجع إلى وجود أناس قالوا بأن يسوع قد أنزل من على الصليب، قبل أن يموت . كذلك فإن إحدى الطوائف الغنوسطية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلا من يسوع . فلعل متى كان يرد على هذه الأقوال " .[1]

---

(١) انظر : ماهي النصرانية ، تقي الدين العثماني ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٣٨ .

المطلب السادس: كيفية نجاة المسيح من المؤامرة

وإذا كانت الأدلة قد شهدت للمسيح بالنجاة ، وأن مؤامرة الأشرار لن تلحق به الأذى ، فنجا المسيح من الموت على الصليب الذي أراده له أعداؤه .

فإن هناك سؤالا يطرح نفسه: كيف نجا المسيح ؟

وكما أسلفنا فإن القرآن والسنة لايذكران كيفية نجاة المسيح، لذا عاد علماؤنا إلى قصة الأناجيل وهي تتحدث عن الصلب المزعوم، ليروا كيف نجا المسيح ؛ وكن لابد من قراءة ما بين السطور الإنجيلية وقد جاءت قراءتهم لكيفية نجاة المسيح على ضربين :

الأول : نجاة المسيح من الصلب ، بصلب غيره بدلا عنه .

والثاني : نجاة المسيح من الصلب، بإنزال المسيح عن الصليب حيا .

نظرية القائلين بصلب غير المسيح

منذ فجر الردود الإسلامية، تناقل علماؤنا نظرية نجاة المسيح وصلب غيره ، واختلفت التفاسير القرآنية في تحديد هذا الغير ، فقال بعضهم : هو حواري كريم افتدى المسيح ، فصلب عنه، بعد أن ألقى عليه شبه المسيح .

وقال آخرون؛ بل هو يهوذا الخائن، أوقعه الله بشر عمله وكيده ، فوقع عليه شبه المسيح فصلب بدلا عنه .

ولما كانت النصوص الإسلامية المقدسة لاتبين كيفية تحقق هذا الأمر ، فقد تلمسه علماؤنا في سطور الأناجيل ، وهي تتحدث عن صلب المسيح، فوجدوه ، وأقاموا الدليل عليه ، وعلى صحة ما ذهبوا إليه من نبوءات التوراة والأناجيل وشهادة التاريخ، وغير ذلك .

واستمرت هذه النظرية قوية في الردود المعاصرة ، وقد اكتفى أكثر أصحابها بالإشارة العابرة إلى صلب يهوذا الذي ظنه آخذيه المسيح بعد أن شبه لهم في لحظة أن جاءوا للقبض على المسيح فوقعوا على الأرض .[1]

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٤ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٠ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٤٢ - ٤٤ ، وقراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ١٣٣/٢ - ١٣٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٥١ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

لكن منصور حسين تناول هذا النظرية بكثير من التفصيل والدراسة المتميزة ، لذلك نكتفي بإيراد نظريته لأنه أشملها .

يعتبر منصور حسين ما سبق عرضه في نبوءات التوراة والأناجيل كافيا في إقامة الدليل على نجاة المسيح، وصلب غيره كائنا من كان هذا الغير ورغم تناقض الروايات الإنجيلية، مع نبوءات المزامير وغيرها ، فإن المؤلف يتنزل مع النصارى، فيقبل جملة روايات الأناجيل في موضوع الصلب إلا ما قام الدليل على مجانبته للحقيقة ، فيعتبر الدليل مبطلا للجزء ، ولاينبغي أن نقول بسريانه على الكتاب كله ، حتى لانغلق باب الجدل بيننا وبين النصارى .

ويؤكد منصور حسين على صحة هذا المنهج الذي يعتبر أن نظرة المسلم للكتاب المقدس هو أنه كتلب سماوي أصلا ، وطرأ عليه التحريف والتبديل، والمسلمون يقبلون من الأناجيل، ما يتوافق مع معتقدهم بنجاة المسيح ، وصلب آخر بدلا عنه ، وهو سيحاول البحث عن إجابة للسؤال ، الذي أجمل القرآن الحديث عنه، ألا وهو: كيف نجا المطكج-٠سيح ؟

ولذا فإن منصور حسين لايرى ضيرا من القول بكثير من التفصيلات التي أوردها الأناجيل ، ومنها :

١) أن المسيح خرج إلى البستان برفقة تلاميذه ، وأنه أخبرهم بأنه سيتعرض لمؤامرة من أحد التلاميذ مع اليهود الذين يريدون صلبه .

٢) أن المسيح دعا في تلك الليلة طويلا ، وبإلحاح كبير طالبا من الله أن يصرف عنه كأس الموت .

٣) أن المسيح استسلم لقضاء الله وقدره ، فقال: " ليس كما أريد أنه بل كما تريد أنت " (متى ٣٩/٢٦) وقال: " فلتكن مشيئتك (متى ٤١/٢٦) .

٤) المسيح يصلى ، والتلاميذ نيام ، ويحاول إيقاظهم مرة بعد مرة .

٥) وصل يهوذا الأسخريوطي الخائن ، ومعه الجند، يحملون مشاعل وسيوفا وعصيا، للقبض على المسيح ، وقد جعل يهوذا علامة للجند أن يقبل المسيح .

٦) وصلت الجموع؛ فخرج إليهم ا

لمسيح ، وقال: من تطلبون ؟ فأجابوه : يسوع الناصري . فقال المسيح " أنا هو " فلما قال لهم: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض " (يوحنا ٦/١٨) [1] -+\.

٧) حاول بطرس الدفاع، لكنه كان أعجز من ذلك ، فهرب وجميع التلاميذ .

٨٧٦) اقتيد المأخوذ للمحاكمة عند رئيس الكهنة، ثم بيلاطس ، وبطرس يتابعه في بعض ذلك ، وقد أنكره تلك الليلة ثلاث مرات .

---

(١) يرى منصور حسين أنه في لحظة سقوط الجند استبدل المسيح بيهوذا، فأضحى يهوذا هو المأخوذ .

٩) في المحاكمة سأله رئيس الكهنة، واستحلف المأخوذ إن كان هو المسيح، فأجابه : " أنت قلـــت ، وأيضا أقول لكم : من الآن، تبصرون ابن الإنسان جالسا يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء " (متى ٢٦/٦٤)

١٠) حكمت عليه المحكمة بالقتل ، واقتيد إلى بلاط بيلاطس الذي سأله : إن كان هو ملك اليـهود ، فأجابه: " أنت تقول " ثم لم يجبه بكلمة واحدة ، حتى تعجب بيلاطس منه .

١١) لم يجد الوالي للمأخوذ علة يستحق عليها القتل ، فأراد أن يطلقه ، لكن الجموع أصـرت علـى صلبه ، وإطلاق باراباس ، فأعلن براءته من دم هذا البار ، وأسلمه لهم .

١٢) اقتيد المأخوذ إلى موضع الصلب ، وصلب بجوار لصين .

١٣) صرخ على الصليب، فسقوه خلا ، ثم أسلم الروح .

ويفترق منصور حسين عن الأناجيل في مسألة مهمة وهي من هو المأخوذ؟ فيراه يهوذا ، ويلزمه إقامـة الدليل على ذلك ، إذ هي موضع النزاع .

كما ينكر منصور حسين قيامة المصلوب من القبر ، وظهور المسيح للتلاميذ، ويقيم الأدلة على كـذب روايات القيامة – كما سيتبين في حينه – ويستدل لموضع النزاع الأول بعشرات المزامير الـتي – كمـا مـر معنا – شهدت بنجاة المسيح ، وهو في محاولته هنا يحاول التوفيق بين الأناجيل، وبين ما قام الدليل عليـه في المزامير والأناجيل .

ولتصور القول بأن يهوذا هو المأخوذ ، وأنه حصل التباس عند آخذيه ، يرى منصور حسين الجمـوع الكثيرة والتي تقارب الألف وهي تسير، تحمل المشاعل والسيوف والعصي ، وتتكون من جنـود وغوغـاء يتقدمهم يهوذا، يخفي وجهه قدر استطاعته، إذ هو يعرف دناءة جريمته وقبحها عند الأصدقاء والأعداء .

ولاريب أن الذي يشاهده من هذه الجموع هم القريبون منه، ممن يمشون في الصدارة .

وحتى هؤلاء فإنهم لايستطيعون حفظ معالم وجهه، بسبب اهتزاز المشاعل بيد حامليها أثناء المسـير ، وهي تحجب الرؤية عن البعيد، لأن حدقة العين تكون ضيقة ، والرؤية في الظلام تحتـاج لحدقـة واسـعة، وعليه فإن الجموع لم تكن تعرف صورة يهوذا على التأكيد . إن هذه الجموع التي احتاجت إلى مـن يدلهـا على المسيح رغم شهرته التي اكتسبها وهو يشفي الآلاف ، وهو يدخل أورشليم دخول الفـاتحين ، وهـو يعلم في الهيكل كل يوم ، ويقلب موائد الصيارفة .

إن هؤلاء الذين جهلوا المسيح واحتاجوا إلى من يدلهم عليه ، ولما وصلوا إليه لم يعرفوه، وسألهم مـن تريدون ؟.....هؤلاء حري بهم من باب أولى أن لايعرفوا صورة يهوذا، في ظل تلك الظروف .

وقد نقل بعض علمائنا عن المفسر (سايل) قوله: بأن يهوذا يشبه المسيح [1] ونلحـظ هنـا تنـزل

---

(١) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨١ .

منصور حسين مع النصارى، في تجاهله إمكان أن يقع الشبه على وجه المعجزة الخارقة ، وهو ما يراه الألوسي وهاشم جودة. جائزا ، ويمنعه النصارى ، ويرونه يفضي لأن يشك الإنسان بكل شيء ، بزوجه وولده ..

ويرد الألوسي وهاشم جودة بأن إلقاء شبه عيسى على غيره، ليس أمرا عاديا يحدث كل يوم ، بل هو معجزة إلهية من جنس قلب العصاحية ، وتغير لون يد موسى ، وتحول النار بردا وسلاما على إبراهيم . فمن جوز هذا كله، حرى به أن يجوز إلقاء الشبه .[1] ولما وصل الجمع إلى المسيح كان التلاميذ نياما ، وقد حاول المسيح إيقاظهم مرارا فلم يستطع، برغم أن الموقف كان صعبا ، فقد كانت عيونهم ثقيلة ، واقتربت الجموع من المسيح يتقدمهم يهوذا ، والتلاميذ نيام " فلما قال لهم : إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض " (يوحنا ٦/١٨) .

وهنا يتوقف منصور حسين وأصحاب الردود مليا، ليقرأوا ما غفلت عن ذكره السطور .

فما فائدة سقوطهم على الأرض ؟ وماالذي أسقطهم ؟ وماذا أفاد المسيح سقوطهم، إذا كانوا سيقبضون عليه بعدها ؛ و لم لم يتكرر السقوط عندما أرادوا أخذه بعدها ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يتصور منصور حسين أن ما حدث في تلك اللحظة أنه اقترب يهوذا لتقبيل المسيح كعلامة للجند على أنه المطلوب وفي تلك اللحظة اقترب الجند. حملة المشاعل والسيوف. للقبض على المسيح، فتدخلت قدرة الله العظيم ، فسقطوا على الأرض، بعد أن رجعوا للوراء . ولك أن تتخيل ما حصل، من هرج، وتدافع، من جراء سقوط مقدمة هذه الجموع .

ولاريب أن تدافع الجموع وسقوط المقدمة دفع إلى المقدمة بجند آخرين ، رأوا يهوذا وحده مبهوتا أصابه الذهول ، وقد رأى المسيح يرفع للسماء ، ولكن من سيتوقع أن هذا المذهول هو يهوذا ، ومن الذي يعرفه وقتذاك؟ فكانت لحظة وقوع الجند: لحظة الخلاص كما وصفتها المزامير " الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه .... هم جثوا وسقطوا ، أما نحن فقمنا وانتصبنا " (مزمور ٨/٢٠) وفي مزمور آخر: " أما أنت فتبارك ، قاموا وخزوا (مزمور ٢٨/١٠٩) و "حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء " (مزمور ٩/٥٦) و "ليرتد إلى خلف، ويخجل المشتهون لي شرا " (مزمور ٢/٧٠) . " عندما اقترب إلي الأشرار ليأكلوا لحمي ، ومضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا(مزمور ٢/٢٧) وغيرها، حمل يهوذا إلى المحاكمة وإلى ديوان بيلاطس ، والشك يلاحقه في كل هذه الخطوات ، فقد شك فيه رئيس الكهنة ، وكانت إجاباته لبيلاطس وهيرودس تنبئ عن الذهول الذي أصابه، وعن عجزه عن بيان الحقيقة، التي لن يقنع أحدا إن ذكرها ، فكان يجيبهم : " أنت تقول " (متى ١١/٢٧) .

ولما اجتمع في النهار مشيخة الشعب، ورؤساء الكهنة، " وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين : إن كنت

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٧٩/١ - ٥٨١ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

أنت المسيح، فقل لنا . فقال لهم : إن قلت لكم لاتصدقون ، وإن سألت لاتجيبونني ولاتطلقونني . منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع : أفأنت ابن الله؟ فقال لهم : أنتم تقولون إني أنا هو "(يوحنا ٢٢/٦٦ - ٧٠) .

ويفسر منصور حسين موقف يهوذا بهذه الإجابات الغريبة، بأنه عرف أن لا فائدة لإنكاره ، إذ لن يصدقه أحد ، ولربما أنه لفرط ندمه قد استسلم لرداه ، ورضي بعقوبة الله له ، أن يصلب عن المسيح ، لعله بذلك أن يفديه ، لذلك تكرر سكوته .

وهذا الموقف ليس بعيدا عمن ذكرت الأناجيل أنه لفرط ندمه خنق نفسه، وانتحر بذلك .

لقد تحققت فيه نبوءات المزامير " وإذا حوكم فليخرج مذنبا ... ووظيفته ليأخذها آخر " (المزمور ١٠٩/٦ - ٨) .

لقد أتى ليخطف المسيح، فلم يستطع .. "حينئذ رددت الذي لم أخطفه " (المزمور ٦٩/٤)[1]

ولكن هذا الذي انتهى إليه منصور حسين تعترضه أمور ذكرها النصارى في ردهم على الطبعة الأولى من كتابه ، ويستغرب المؤلف بادئ ذي بدء توجه الردود للرد على تصور منصور حسين لنجاة المسيح ، وقد غفل هؤلاء من أنه إنما يقوم بإثبات مادلت عليه الأناجيل والمزامير ، فهو يبرهن لما قام الدليل على صحته.

ومن هذه الاعتراضات :

١) أن نظرية منصور حسين تتعارض مع ماذكره يوحنا من وقوف أم المسيح ويوحنا التلميذ الحبيب بجوار الصليب (انظر يوحنا ١٩/٢٥ - ٢٧) ، ومثل هؤلاء لايمكن أن يضلوا عن المسيح ، ولا أن يشتبه يهوذا عليهم .

ويدفع منصور حسين هذا الاعتراض وأمثاله ، بأن يعقد فصلا لإثبات أن في الأناجيل ماهو غير صحيح ، كالخلاف الذي لايمكن رفعه في نهاية يهوذا . ثم إن هذا الأمر من الأهمية بمكان ، وقد أغفله الإنجيليون الثلاثة ، فلو كان صحيحا لما أغفلوه أبدا .

ويرى منصور حسين أن سبب هذا الخطأ من يوحنا، هو تأخر زمن كتابة الإنجيل إلى نهاية القرن الأول ، والذي أراه: أن السبب أكبر من ذلك ، فهو يتعلق بالزيادات والتحريفات التي طرأت على إنجيل يوحنا، بعد أن ألفه مجهول لإثبات نتائج معينة .[2]

٢) ومنها: أن الأناجيل تحدثت عن ظهور المسيح، وقيامته من الموت ، وعن فقد جسده من القبر ، فكيف يتفق هذا؛ مع القول بأن يهوذا هو المصلوب ؟

---

(١) انظر : نظرية منصور حسين وتصوره لما حدث في دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ص ٢٠٠ - ٢٢٦ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

ويبدأ منصور حسين في الحديث عن إشاعة فقد الجسد، التي انتشرت بين الناس كما ذكر متى بقوله " أن الرؤساء أعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين : قولوا إن تلاميذه أتوا ليلا، وسرقوه ونحن نيام ، وإذا سمع ذلك الوالي، فنحن نستعطفه ، ونجعلكم مطمئنين . فأخذوا الفضة ، وفعلوا كما علموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم " (متى ٢٨/١١ - ١٥) .

فيتساءل منصور حسين مادام خبر سرقة الجسد قد شاع إلى زمن كتابة الأناجيل؛ فكيف عرف متى الحقيقة ؟ فمتى والتلاميذ هم بلاشك أبعد الناس عن العسكر والجند .

ولايستبعد منصور حسين سرقة الجسد ، ولايهم إن كان سارقوه ممن اعتقدوا أنه المسيح فأرادوا بركته أم من أعدائه الذين أرادوا التخلص من الجسد، الذي علق أتباعه عليه آمالا كبيرة ؟

وهذا هو الذي كان يخشاه رؤساء الكهنة (انظر متى ٢٧/٦٣ - ٦٤) ، وهو ما تبادر إلى ذهن مريم المجدلية، عندما وجدت القبر فارغا (انظر يوحنا ٢٠/١٣) .

فذلك كله: يدل على وجود هذه الإشاعة في زمن الصلب ، ثم بعده إلى كتابة الأناجيل ، وسواء كان ذلك إشاعة أو حقيقة ، فإن ذلك لن يؤثر في حقيقة المصلوب بشيء .[1]

وأما قيامة المسيح التي تحدثت عنها الأناجيل بإسهاب فإن منصور حسين وهو يعتبر لحظة النجاة هي ذاتها لحظة الرفع، فإنه يعتبرها من الكذب والخطأ الموجود في الأناجيل، ويستند في ذلك إلى كثرة التناقضات بين الأناجيل الأربعة في هذه المسألة خصوصا، كما بينا بعضه من قبل .

ولما كان الترجيح بين هذه الروايات المتناقضة غير ممكن ، فإن إسقاطها هو الأولى كما يرى محمد رشيد رضا وفقا للقاعدة التي تقول: " إذا تعادلا تساقطا " .

كما تميزت روايات الظهور بالكثير من الغموض، فقد ظهر للتلاميذ مرة بعد مرة ، وهم لايعرفونه ، وهم أيضا لم يعرفوا شيئا عن قيامته ، لذا فقد كذبوا من قال بها ، واستغربوا ذلك .

ويرى منصور حسين أن القيامة إشاعة بنيت على مسألة الجسد المسروق ،[2] ويضيف محمد رشيد رضا: بأنه من الممكن أن تكون رؤيتهم للمسيح مبنية على الخيال والتوهم .

فبعد أن شاع أن يسوع قام من قبره ، وأن بعض النسوة قد رأينه، بدأ الكثيرون يتخيلون ظهوره لهم . وهذا النوع من تعدد الخيالات، يقع إذا اتحدت الظروف .

وينقل عن العالم الفرنسي جوستاف لوبون في كتبه " روح الاجتماع " ملخصا قوله وهو يتحدث عن قابلية الجماعات للتأثر والتصديق ، وانخداع الحواس والفكر فيقول :" إن سرعة تصديق الجماعة ليست هي

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٣٠ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٣٣ - ٢٥٠ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٤٤ - ٤٧ .

السبب الوحيد في اختراع الأقاصيص، التي تنتشر بين الناس بسرعة ، بل لذلك سبب آخر هو التشويه الـذي يعتور الحوادث، في مخيلة المجتمعين ، إذ تكون الواقعة بسيطة للغاية ، فتنقلب صورها في خيال الجماعة بـلا إبطاء ، لأن الجماعة تفكر بواسطة التخيلات ، وكل تخيل يجر إلى تخيلات ... يرى جمع الصليبيين (القديس جورج) فوق أسوار بيت المقدس ، كان بالطبع قد تخيله أحدهم أولا ، فما لبث التأثر والعدوى أن مثلاه للبقية جسما مرئيا " .

ويذكر محمد رشيد رضا أمثلة من الواقع لمثل هذه التخيلات ، منها مارواه ربان السفينة " جوليان فيليكس " في كتاب له، ونشرته المجلة العلمية فقال " كانت المدرعة (لابيل بول) تبحث في البحر عن الباخرة " بيرسو " ، حيث كانت قد انقطعت عنها بعاصفة شديدة ، وكان النهار طالعا ، والشمس صافية ، وبينما هي سائرة، إذا بالرائد يشير إلى زورق يساوره الغرق ، فشخص رجال السفينة إلى الجهة التي أشير إليها ، ورأوا جميعا من عساكر وضباط زورقا مشحونا بالقوم، تجره سفن، تخفق عليها أعلام اليأس ، وكل ذلك كان خيالا ...وجدوه أغصان أشجار، مغطاة بأوراق، قطعت من الشاطئ القريب ، وإذا تجلت الحقيقة، غاب الخيال .[1]

كما ذكر أمثلة كثيرة، مدعمة بأقوال لعلماء في النفس، تؤكد حصول هذه الظاهرة .

ولعل من الأمثلة المشهورة ذلك ، ما ذكر عن ظهور المتبولي الذي كان قد مات منذ مدة في شوارع القاهرة ، ورؤية كثيرين له . ومثله ماقيل عن ظهور العذراء مريم فوق كنيسة حي الزيتون بالقاهرة – بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧م – ورؤية الكثيرين لها .

ولئن كان منصور حسين وغيره يرون في قيامة المسيح المزعومة، وظهوره للتلاميذ، ما يستوجب الرد عليه ، لأنه مناقض لتصورهم عن نجاة المسيح، فإن الخولي يرى في ظهور المسيح للتلاميذ، دليلا على أنه لم يصلب .. لكن ظهوره لم يكن بعد موت أو صلب ، أو قيام من قبر .

عندما أراد الجنود الإمساك به، رفعه الله أي أنقذه منهم ثم عاد المسيح ، إذ أظهره الله؛ ليثبت للناس أنه ليس هو الذي صلب، وأنه ليس هو الذي كفن ودفن ، أظهره الله لدحض الزعم بصلبه " .[2]

وعن القيامة المزعومة يقول شارل جنيبر :"وهنا نصل إلى أكثر مشاكل التاريخ المسيحي غموضا وإبهاما ، فقد تلاقى هؤلاء الحواريون بالجليل، بين أحضان ذلك الإقليم الذي يعرفونه ، والذي عاشوا فيه مع أستاذهم ، وظنوا أنهم رأوه هناك ، ثم أيقنوا أنه بعث من بين الأموات ، تلك هي الوقائع ، أما تفاصيلها فليس لدينا بها علم ، و لم يكن للأساطير بد من أن تحاول تفسير الوقائع ، فصنعت منها نسيجا بالغ التعقيد . وعن القيامة المزعومة يقول الأسقف ترتليان (ق٣) وبوضوح صارخ :" لقد مات ابن الله !ذلك شيء غير

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٥٠ – ٥١ ، ص ٧٤ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٩٢ .

معقول، لالشيء ،إلا لأنه مما لايقبله العقل وقد دفن من بين الموتى ، وذلك أمر محقق ،لأنه مستحيل "!![٣]

ومن الاعتراضات التي أثيرت في وجه منصور حسين: تناقض الصورة التي ذكرها، مع ما جاء في متى عن مصرع يهوذا ، وفيه: ... لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين، ندم ، ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا : قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا ، فقالوا ماذا علينا ؛ أنت أبصر ، فطرح الفضة في الهيكل ، وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه " (متى ٢/٢٧ - ٥) .

ففي الرواية يشكل أمران : أولهما : عودة يهوذا إلى رؤساء الكهنة ، والمفروض أنه عند بيلاطس وقتئذ. والثاني : أن له نهاية غير الموت على الصليب .

ويرد محمد الفرت على الاعتراض الأول بأنه، من المفترض أن يكون رؤساء الكهنة وقت رد الفضة في موقع الحدث والصلب ، لا أن يتواجدوا في الهيكل .[١] فهو إذن يكذب الرواية.

ويدل على صحة قوله: أن هذا هو ما يفهم من كلام متى نفسه " ولما كان الصباح، تشاور جميع رؤساء الكهنة، وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ، ومضوا به ، ودفعوا به إلى بيلاطس النبطي الوالي ، حينئذ لما رأي يهوذا ... " (متى ١/٢٧ - ٢) .

وقد كانوا عند بيلاطس " بينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه، فلم يجب بشيء، فقال له بيلاطس ... " (متى ١٢/٢٧)

وأما الاعتراض الثاني : فيرده ما جاء في أعمال الرسل، فقد ذكر فيه نهاية أخرى ليهوذا ، وفيه قال بطرس: " يهوذا الذي صار دليلا للذين قبضوا على يسوع .. فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم ، وإذ سقط على وجهه ، انشق من الوسط ، فانسكبت أحشاؤه كلها، وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم ، حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دم لأنه مكتوب في سفر المزامير : لتصير داره خرابا ، ولا يكن فيها ساكن " (أعمال ١٦/١ - ٢٠) .

فهذه الرواية أيضا مناقضة لما جاء في متى ، وعليه يسقط الاعتراض بما جاء في متى .

وهذا التناقض بين الروايتين الإنجيليتين، مشعر بوجود نهاية حقيقية، خفيت على الكاتبين ودفعتهما لاختلاق روايتيهما، وأصح منهما وأكثر قبولا وانسجاما رواية برنابا، التي تقول بصلب يهوذا لو كانت رواية برنابا خاطئة لكان من المنطقي أن نرى يهوذا الخائن يحيا بعد المسيح لقبض ثمن الخيانة ،ولكن كاتب الأناجيل ظهر كعاجز عن أن يجد له مكانا في الرواية ، فقرر التخلص منه بأسهل طريقة، وهي الموت السريع .[٢]

---

(٣) انظر : " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء "، رؤوف شلبي ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٤٣ .

(١) انظر :قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٢٦ - ٢٣٠ ، قصة موت المسيح وقيامته

والقول بصلب يهوذا قول قديم: فكما ذكره برنابا في إنجيله ، ذكرته فرق مسيحية قديمة قبل الإسلام، منها: السيرنثيون والكربوكرانيون .[1]

كما ثمة اعتراضات ترد على هذه النظرية، لم يذكرها الذين ردوا على منصور حسين ، لكنها تقفز إلى ذهن القارئ، في ثنايا قصة الصلب في الأناجيل . ومنها : - أن الأناجيل ذكرت أن بطرس حمل السيف ، وضرب أذن العبد فأمره المسيح برد السيف ، لأن من ضرب بالسيف يؤخذ به ، فهرب بطرس والتلاميذ (انظر يوحنا ١٨/١٠ - ١٩) فهذه يجعلها يوحنا بعد حادثة تراجع الجند، ووقوعهم على الأرض ، ومثل هذا يغرب مع القول بأن يهوذا هو الماثل، وأن المسيح قد رفع .

كما ذكر يوحنا أيضا بعد سقطتهم، أن المسيح سألهم: " من تريدون ؟ فقالوا : يسوع الناصري . أجاب يسوع : قد قلت لكم إني أنا هو ... ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع ،وأوثقوه " (يوحنا ١٨/٧ - ١٢) لكن أمثال هذه النصوص، لاتنهض في الرد على نبوءات المزامير والأناجيل ، بل إلحاقها بتناقضات الأناجيل وأخطائها أولى .

كما يرد تساؤل كيف لم يعرف المصلوب بأنه ليس المسيح ،وقد مكث على الصليب بضع ساعات ، كما تنقل مع اليهود، ما بين قيافا وبيلاطس وفي بيان هذا التساؤل، ذكر علماؤنا أن القبض على يهوذا كان ليلا، فيكتنفه ما يكتنف الظلام من ستر ، وأما خفاؤه فيما بعد ذلك، فمرده لظروف رافقت محاكمته وصلبه، منها: أن المسيح غير معروف لديهم على وجه التأكيد، لأنه جليلي ، وليس من سكان أورشليم وكذلك يهوذا، الذي لربما لم يره رؤساء الكهنة، إلا عندما جاءهم يفاوضهم على الخيانة ، ثم لما جاءهم لأخذهم إلى المسيح . وهؤلاء الذين حفي عليهم المسيح على شهرته الكبيرة لاعجب إذا خفي عليهم يهوذا .

وقد رأينا منهم شكا في شخصية المأخوذ ، فدل ذلك كله على أن في شخصية المأخوذ ما أشكل عليهم ، وهو ولاريب يشكل على من رآه مصلوبا عريانا . ثم قد ألبس يهوذا في محاكمة بيلاطس وهيرودس ملابس غريبة فتغير شكله ، ثم لما صلب كان عريانا ، وصلب في بستان معزول ، و لم يمكث على الصليب فترة طويلة .[2]

فكل ذلك يجعل نظرية منصور حسين مقبولة ، إذ مثل هذه الاعتراضات التي يسهل ردها لاتقوم في وجه هذه النظرية وأدلتها .

وذكر بعض أصحاب الردود الإسلامية، نظرية قريبة من النظرية السابقة ، وترتكز على أن لبسا حصل لأولئك الذين اقتادوا المسيح للصلب ، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني ، الذي ذكرت الأناجيل أنه حمل

في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٥٨ - ٥٩ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ص ١٣٤/٢ - ١٣٦ .

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٧ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٤ .

صليب المسيح، ومشى معهم .

ويرى القائلون بهذه النظرية، أن اللبس حصل عند وصول المسيح وسمعان يحمل الصليب إلى ساحة الصلب ، حيث أخذ جند الساحة دورهم بأخذ حامل الصليب ، وتعليقه عليه . ذلك أن عادة المصلوبين دائما أن يحملوا صليبهم إلى موضع الصلب ، وقد ألقي شبه المسيح على سمعان ، وقد استسلم لهم سمعان القيرواني ، ليفدي المسيح بنفسه .[1]

وهذا القول ليس بجديد ، بل هو قديم جدا، قالته بعض فرق النصارى في فجر المسيحية ، إذ يقول القديس "الفونسوس ماريا دي ليكوري" عند حديثه عن بدع القرن الأول : " لما أراد اليهود صلبه، أخذ صورة سمعان القيرواني ، وأعطاه صورته ، فصلب سمعان لايسوع الذي كان يسخر باليهود " .[2]

وهذه الفرقة كما سماها الأفندي هي الباسيليديين .[3]

كما أورد علماؤنا احتمالات أخرى، لم يقدموها في إطار صورة كاملة، بل بدائل للقول بأن يهوذا المصلوب ، منها أنه لعل المصلوب شيطان، أو شبح فدى الله به نبيه ، أو لعله أن يكون أحد العامة ، أو أحد المحكومين في سجن بيلاطس الذي لم يصلب المسيح لتعاطفه معه ، وشعوره ببراءته، فصلب مجرما بدلا عنه . ومثل هذه الأقوال لاتعتمد على الدراسة الجادة التي رأيناها عند منصور حسين ،والتي سنراها عند ديدات ، بل مجرد احتمالات . وهذا باب لا آخر له .[4]

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠١ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) انظر : أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧٥ ،الأديان في القرآن،محمود بن شريف،ص٢١٢ .

(٣) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠١ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٤) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٥ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٥ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٨٥ .

نظرية القائلين بإنزال المسيح عن الصليب حيا

تتخلص نظرية ديدات ومن وافقه وتستند على المعطيات الإنجيلية التي يجملها : أن المسيح تعرض للمؤامرة التي تحدثت عنها الأناجيل حسدا من اليهود ، للمنزلة الرفيعة التي تحصلت للمسيح، من معجزاته وسيرته الحسنة فقالوا : " انظروا ، إنكم لا تنفعون شيئا ، هو ذا العالم قد ذهب وراءه " (يوحنا ١٢/١٩).

لذا عزم اليهود على اعتقال المسيح سرا ، ووجدوا في الخائن يهوذا بغيتهم ، وعلم المسيح بخيانة يهوذا وما عزم عليه ، و لم يمنعه ذلك من أن يقول له: " ما أنت تعمله فاعمله بسرعة أكثر " (يوحنا ١٣/٢٧)

وبالفعل أتت الجموع ، وساقت المسيح إلى محاكمة قد صدر فيها الحكم سلفا . ولما لم يكن من حق اليهود تنفيذ الأحكام، لجئوا إلى الرومان، فوافقهم بيلاطس. بعد تردد شديد. على تنفيذ الحكم بالمسيح البريء.

واقتيد المسيح ليصلب في يوم الجمعة ، والصلب طريقة للموت البطيء، يعلق فيها المحكوم عليه حتى يموت .

وعلق على الصليب في الساعة السادسة (وتساوي ١٢ ظهرا) وبجواره مذنبان ، وفي نحو الساعة السادسة، قال لليهود : "هو ذا ملككم . فصرخوا: خذه، خذه ، اصلبه ... فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب " (يوحنا ١٩/١٤ - ١٥) .

" ونحو الساعة التاسعة، صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلي إيلي لما شبقتني... " فأسلم الروح " (متى ٢٧/٤٦ - ٥٠) .

فكيف مات المسيح بهذه السرعة ؛ وماذا عن مصير صاحبيه ؛ هل ماتا مثله ؟ وكيف عرف العسكر موته ؟ وهنا-كما يقولون- مربط الفرس .

يقول يوحنا : " فلكي لاتبقى الأجساد على الصليب في السبت ، لأن يوم ذلك السبت كان عظيما ، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا ، فأتى الجند ، وكسروا ساقي الأول، والآخر المصلوب معه ، وأما يسوع: فلما جاءوا إليه، لم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوه قد مات ، لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربه ، وللوقت خرج دم وماء ". (يوحنا ١٩/٢١ - ٢٤) .

إذن رأى الجند أن المسيح قد مات ، واستوثقوا من ذلك لماطعن بالحربة ، فخرج منه ماء ودم ، فكان ذلك دليلا على موته .

والذي دعا اليهود إلى قطع ساق اللصين: استعجالهم لموت المصلوبين قبل دخول السبت، بدخول ليله، ولأن التوراة تقول: " وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل، وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته ، بل تدفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله ، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك

نصيبا " (التثنية ٢١/٢٣).

وكان تكسير ساق المصلوب، وسيلة سريعة لإزهاق حياته ، فينزل عن الصليب قبل غروب الشمس.

وساعات محدودة يعلق فيها المرء غيركافية لموته ، لذا لما جاء العسكر ووجدوا اللصين حين قطعوا أرجلهما ليسرع موتهما، ، وكفوا عن المسيح ، لأنهم رأوه ميتا ، وتأكدوا بطعنه بالحربة. وقد عجب بيلاطس لما جاءه خبر موت المسيح السريع إذ مثل هذا لايعهد فقد جاءه اثنان من تلاميذ المسيح يطلبان الإذن بإنزال الجثة ، ودفنها .. "فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعا، فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان قد مات؟ ولما عرف من قائد المائة ، وهب الجسد ليوسف ، فاشترى كتانا ، فأنزله وكفنه بالكتان ، ووضعه في قبر كان منحوتا في صخرة، ودحرج حجرا على باب القبر ، وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع " (مرقس ١٥/٤٤ - ٤٧) .

ويذكر يوحنا تفصيلات أوسع، فيقول: " وجاء أيضا نيقوديموس ... وهو حامل مزيج مر وعود نحو مائة منا [1] ، فأخذا جسد يسوع ، ولفاه بأكفان مع الأطياب ، كما لليهود عادة أن يكفنوا ، وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان ، وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط ، فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود ، لأن القبر كان قريبا " (يوحنا ١٩/٣٩ - ٤٢) .

تترك الأناجيل المسيح في قبره يوم السبت وليلة الأحد ، ثم في فجر: الأحد تقدم بعض النسوة اللاتي شهدن صلب المسيح ودفنه ، " وأتين إلى القبر حاملات الحنوط .. فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر ، فدخلن، و لم يجدن جسد الرب يسوع .

وفيما هن محتارات في ذلك، إذا رجلان .. قالا لهن : لماذا تطلبن الحي بين الأموات ؟ ليس هو ههنا ، لكنه قام . (لوقا ٢٤/١ - ٦) .

ثم تتحدث الأناجيل عن ظهور المسيح لأصحابه مرة بعد مرة وهم لايعرفونه، فقد ظنته مريم المجدلية البستاني (يوحنا ٢٠/١٥) ، و لم يعرفه التلميذان المنطلقان لعمواس، إلا بعد طول حديث ومسير (انظر لوقا ٢٤/١٢ - ٣٤)

ثم ظهر لتلاميذه وهم على بحيرة طبريا يصيدون السمك ، فلم يعرفوه (انظر يوحنا ٢١/١ - ٨). تلك هي أبرز المعطيات، التي انطلق منها ديدات في تفسيره لما حصل في ذلك اليوم. وأما بقية المعطيات التي أهملنا ذكرها، فإن ديدات لايرى مانعا من التسليم بما جاء فيها .

ونستطيع أن نقول إن الخلاف بين ديدات والنصارى، ينحصر في الإجابة عن هذا السؤال: هل أنزل المسيح عن الصليب وهو حي ؟

---

(١) ويعدل ذلك (٥٥.٨٥) كغ . أو (٦١) كغ ويراه أحمد عبد الوهاب من الغرائب إذ يكثر مثل هذا على ميت واحد . انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٣٠٥ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٥٥

والإجابة النصرانية : لا ، أما ديدات فيقول: نعم .ويلزمه أن يقيم الحجة على ذلك، فما هي أدلة ديدات على أن المسيح أنزل عن الصليب وهو حي ؟

يتبصر ديدات في القصة الإنجيلية، فيرى فيها أمورا لاتصح ولا تصدق إلا مع القول بأن المسيح أنزل عن الصليب وهو حي .

ونبدأ بقراءة القصة مع ديدات ابتداء من تعليق المسيح على الصليب، حيث صلب المسيح في يوم الجمعة في الساعة السادسة أي في الظهيرة ، وعند الساعة التاسعة يزعم النصارى أنه كان قد أسلم الروح .

ولقد كسر الحراس ساقي اللصين، و " لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات " (يوحنا ١٩/٣٣) فيرى العلامة أن "رأوه " يعني " قدروه " فإن الأناجيل لم تذكر أبدا أن أحدا لمسه أو قاس ضغط دمه، وبالطبع " لم يكن لديهم جهاز " استيرزوسكوب " حديث للتحقق من الوفاة ،" ، وكم من أناس حررت لهم شهادات وفاة طبية من أطباء معتمدين ، ثم ثبت أنهم كانوا أحياء . ويذكر المؤلف إحدى عشرة قصة موثقة من الصحف الغربية مدعمة بالصور لأناس أعلنت وفاتهم ، وحررت لهم شهادات وفاة ، ثم اكتشف أنهم أحياء ، كان آخرهم السيد "بارناباس" الذي أعلنت وفاته إكلينيكيا ، وحمل إلى مستودع الجثث ، لكنه عاد واهتز وتحرك ، واعتبرت الصحف قصته " صدمة عام ٨٤ " .

ولئن كان "بارناباس" فقط قد تحرك بعد إعلان موته ، فإن في بقية القائمة من عاش بعد ذلك ، ولعل بعضهم لازال على قيد الحياة ، ويورد المؤلف صورة لسبعة منهم، وقد شكلوا ناديا للعائدين من بين الموتى .

ولئن حصل هذا في زمن العلم فحصوله في ذلك اليوم الذي ادعي فيه وفاة المسيح أولى . ومما يؤكد نجاة المسيح، وأنه لم يمت ، أن الله قذف في قلب الجندي أن المسيح قد مات ، حتى لاتقطع رجلاه ، والحي هو الذي يستفيد من الرجلين .

وجاء جندي آخر يريد التأكد من وفاة المسيح، فأتى بدليل حياته " لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم وماء " (يوحنا ١٩/٣٤) .

ويرى ديدات في غزة الرمح دليلا على حياة المسيح، ويستشهد لما يقول بما جاء في دائرة معارف الإنجيل، حيث تقول: " يسوع كان حيا عندما وجه إليه الرمح " ويقول علماء ألمان: بأن قلب يسوع لم يكن قد توقف ، ويستدلون لذلك بنزول الدم والماء .

وفي عام ١٩٤٩ م قال (د. و. ب بريمروز) بأن ذلك كان " ناتجا عن الإرهاق العصبي، الواقع على الأوعية الدموية ، الذي كان يرجع تحديدا إلى التاثير فوق الطاقة، للضرب بالهراوات " ، فقد كانت غزة الرمح دليل الحياة ، بل كانت وسيلة لإنقاذ المسيح ، إذ الدورة الدموية تبطئ في مثل هذه الحال ، وخروج الدم يجعلها تستعيد مسارها وعملها .

ثم كيف يموت رجل لمجرد أنه علق ثلاث ساعات ؛ إنه لأمر غريب استغرب له بيلاطس ، وحق

له ، فهو موت سريع غير معهود في مثل هذه الحال.

وسلم المسيح للتلميذين يوسف ونيقوديموس، والنسوة اللاتي تابعنه، ومنهم: مريم المجدلية ، فبدأوا بتجهيزه (انظر يوحنا ١٩/٣٨ - ٤٠) و (لوقا ١٣/٥٠ - ٥٥) ولكن: " لو كانت هناك أية آثار للحياة في أي عضو من أعضاء الجسد الملفوف ، فلم يكن أحد من المحيطين به من الحماقة، بحيث يصيح في الجموع المتطفلة : إنه حي . إنه حي .

لقد كانوا يعرفون أن اليهود سيعاودون التأكد من أن روحه قد انتزعت من جسده "

ودفن المسيح ، لكن قبره لم يكن كسائر القبور ، بل دفن في " قبر كان منحوتا في صخرة ، ودحرج حجرا على باب القبر " (مرقس ١٥/٤٦)

ويصف جيم بيشوب أحد أكبر علماء المسيحية في كتابه " يوم مات المسيح " يصف قبر المسيح بأن اتساعه خمسة أقدام، وارتفاعه سبعة أقدام، وعمقه خمسة عشر قدما، مع نتوء بالداخل أو نتوءات .

ومما يشهد بصحة وصف (بيشوب): دخول النسوة إلى القبر، لما وجدن الحجر مدحرجا (انظر لوقا ٢٤/٢ - ٣) .

ويعلق العلامة ديدات على وصف هذا القبر بأن " مأوى بهذه المواصفات يسعد أي واحد من سكان الأحياء الشعبية للإقامة فيه ، كمسكن له " فقد كان القبر حجرة جيدة التهوية منحوتة في الصخر حفظت للمسيح حياته وهو في داخله .

لكن اليهود راهم الموت السريع المزعوم للمسيح ، ثم التصريح الذي منحه بيلاطس ليوسف لينزل الجسد ، فارتابوا في الأمر ، وخشوا أن يكونوا قد خدعوا، فمضوا في الغد إلى بيلاطس " قائلين : ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال: ... فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث " (متى ٢٧/٦٢ - ٦٤) .

لكن بيلاطس طفح به الكيل منهم ، فقال : " عندكم حراس . اذهبوا واضبطوه " (متى ٢٧/٦٥) لكنهم كانوا قد تأخروا ، فلقد فاتهم ليلة كاملة .

وفي صباح الأحد، حضرت مريم والنسوة ، وهن يحملن الزيت (وفي لوقا: الحنوط) ، وهدف الزيارة كما قال مرقس :" اشترت مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب، وسالومة ، حنوطا، ليأتين ويدهنه " (مرقس ١٦/١) .

فلم يدهن المسيح لو كان ميتا ، وقد شهدت النسوة تلميذيه ، وهما يكفنانه بمائة من . هل من عادة اليهود دهن الموتى بعد ثلاثة أيام ؟ وهل من الممكن دهن ميت بعد ثلاثة أيام من دفنه ؟

لا إجابة سوى أن المسيح كان حيا ، وعادت النسوة للعناية به ، ودهنه، وتضميد جروحه لقد عرفن ذلك ، لأنهن ممن رأى كفنه ، وستره في القبر .

لكن النسوة لم يجدن المسيح في قبره ، ووجدن باب القبر مدحرجا (أي الحجر الذي سد به القبر) ،

واللفائف موضوعة في جانب القبر .

إذن فقد خرج المسيح من قبره ، خرج بجسده وروحه وليس بروحه فقط ، فلو خرج بروحه كالأشباح لما احتاج إلى زحزحة الحجر ، وإزاحة اللفائف، وتكويمها ، فهذه دلائل تحرير جسد مادي ، ولو كان روحا لما احتاج لذلك كله .

وتجلس المجدلية عند القبر تبكي ، ويسوع يراقبها ، ثم يسألها: " يا امرأة: لماذا تبكين ؛ من تطلبين؟ " فلماذا يسألها ؟ أولا يعلم ما تبحث عنه ؟ بلى ، ولكنه يريد أن ينقلها من صدمتها إلى حال من الاعتدال.

لكن مريم " اعتقدت أنه البستاني، فقالت له : يا سيد: إن كنت أنت حملته، فقل لي أين وضعته ؛ وأنا آخذه " (يوحنا ٢٠/١٦ - ١٨) ويلحظ هنا أنها لاتبحث عن جثة ، فهي لم تستخدم ضمير غير العاقل IT ، بل استخدمت ضمير العاقل HIM ، وتسأل: (أين وضعته) ؟ لا أين دفنته ؟ وقالت له : أنا آخذه .

لماذا أتت تلك المرأة ؟ وهل تستطيع وحدها حمل جسد المسيح وهو ميت ؟ وهل تستطيع أن تحفر له قبرا ؟

لا . إنها تطلبه حيا ، لكي تساعده ، وتضمد جراحه .

ثم كيف لم تعرفه مريم ، وظنته البستاني ؟ والجواب سهل . لأنه كان متنكرا . و لم التنكر ؟ لأنه خائف من اليهود . وهل يخاف من الموت من مات وقهر الموت ؟ لا فالذي يموت لايموت ثانية، وهو ما يقوله الكتاب المقدس " وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ، ثم بعد ذلك الدينونة " (عبرانيين ٩/٢٧) ، وفي رسالته إلى أهل رومية يقول بولس: " نؤمن أننا سنحيا أيضا معه، عالمين أن المسيح بعد ما أقيم من الأموات لايموت أيضا ، لايسود عليه الموت بعد " (رومية ٦/٨ - ٩) .

فالمسيح خائف على نفسه من أن يكتشف اليهود نجاته ، فيعودون لقتله وصلبه ، ثم كشف المسيح لمريم عن شخصيته ، فتقدمت إليه وقد أطار الفرح صوابها لتمسك بسيدها ، وتقبل يديه . لكنه قال لها: " لاتلمسيني ." لماذا ؟ لأن جروحه لم تشف بعد . فقد قال لها : "لأني لم أصعد إلى أبي بعد " (يوحنا ٢٠/١٧) فما فائدة هذه الجملة وهي تراه أمامها ، وهو يقول لها " لم أصعد إلى أبي بعد "؟ معناها : أنا لم أمت حتى الآن ، وأنا حي، وجسدي ما تزال به آثار جروحي ، ولو كنت مت ، فإن بعثي سيكون روحانيا، ، فلا يهمني ما كان قد أصاب جسدي. " وذهبت فأخبرت التلاميذ .. فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا " (مرقس ١٦/١١) .

ويطرح ديدت سؤالا يراه السؤال الذي أعجز الفكر النصراني : من الذي أتى بملابس البستاني للمسيح ؟ والإجابة عند ديدات : أنهما التلميذان اللذان علما بنجاة معلمهما ، فأعاناه ليلة سبت اليهود ، وأخرجاه من قبره، وعملا على مداواة جراحه .

ثم رافق التلميذين الذاهبين إلى عمواس، وصحبهما خمسة أميال، فلم يعرفاه " فقد أمسكت عيونهما

عن معرفته " (يوحنا ١٦/٢٤) فهل كانا مغمضي العيون ؛ أم أن تنكر المسيح بسبب خوفه من اليهود جعلهما لايعرفانه ؟

ثم مرة أخرى ظهر للتلاميذ وهم مجتمعون " فجزعوا، وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحا " (لوقا ٣٧/٢٤) .

فلم خاف هؤلاء وجزعوا . و لم تخف مريم المجدلية وفرحت يوم رأته ؟ لسبب بسيط أنهم لم يشهدوا الصلب ، فظنوه مات ، وأن ما يرونه شبح أو روح ، فخافوا منه . أما مريم المجدلية فكانت ممن دفنه ، وتعرف أنه حي ، لذا فقد فرحت بلقياه سالما يمشي على الأرض .

ومما يؤكد حياة المسيح ، وعدم موته: شهادة الرجلين الجالسين بجوار القبر. فقد قالا للنسوة : " لماذا تبحثن عن الحي بين الموتى " (لوقا ٤/٢٤ - ٥) وبشهادة الملائكة " إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي " (لوقا ٢٣/٢٤) والنصوص تؤكد أنه حي، وأن وجوده مادي حقيقي ، وأنه ليس روحا أي لم يمت ، فقد قال لتلاميذه: " جسوني، فإن الروح ليس له لحم وعظام ، كما ترون لي " (لوقا ٣٩/٢٤) ، ثم أكل وشرب " وأراهم يديه وجنبه " (يوحنا ٢٠/٢٠) ليؤكد ذلك. ثم لما بقي تشكك (توما) التلميذ قال له: " هات إصبعك إلى هنا، وأبصر يدي ، وهات يدك، وضعها في جنبي ، ولاتكن غير مؤمن " (يوحنا ٢٧/٢٠) .

وهنا يطرح ديدات اعتراضا قد يعترض به نصراني فيقول: سيقول الصليبي المجادل : من الذي يقول إن الأشخاص الذين يبعثون من الموت سيكونون أرواحا ؟ وأنا أقول له : يسوع .

فيسأل: أين ؟ وأنا أقول له: في إنجيل لوقا (٢٧/٢٠ - ٣٦) حيث سأله اليهود عن المرأة التي توفي عنها زوجها، فتزوجها أخوه ، حتى تعاقب عليها سبعة إخوة . وكان سؤال اليهود ففي القيامة لمن منهم تكون زوجة ؟ فأجابهم " أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ، ولكن الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر ، والقيامة من الأموات لايزوجون ولايزوجون، لأنهم مثل الملائكة " (لوقا ٢٤/٢٠ - ٢٦) أي كائنات روحية .

ولايفهم أن هذا معتقد لديدات ، إنما هو في سياق الرد على الخصم بكتابه وحجته .

ومن هذا كله ثبت أن المسيح أنزل عن الصليب وهو حي ، ودفن حيا ، ثم أخرج من قبره ، وعليه فلا خلاص ، ولا موت، فداء عن الخطيئة ، ولافائدة من القول بألوهية رجل ، وأنه تجسد فيه اللاهوت ليموت تكفيرا للخطايا .

ويخير ديدات النصارى: بين قبول ما ذهب إليه من إنزال المسيح عن الصليب حيا، أو تكذيب المسيح في نبوءاته ، إذ أن اليهود عرضوا للمسيح وقالوا له: " يامعلم، نريد أن نرى منك آية . فأجاب ، وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية ، ولا تعطى له إلا آية يونان النبي ، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال (متى ٣٨/١٢ - ٤٠)

ويسأل ديدات: هل تحققت هذه النبوءة ؟ وإجابة النصارى : نعم ، عندما دخل القبر فجلس فيه ثلاثة أيام وثلاث ليال ، كما كان يونان النبي في بطن الحوت .

لكن بالرجوع إلى الأناجيل التي تتحدث عن دفن المسيح قبيل دخول السبت ، ثم تتحدث عن القبر الخالي فجر الأحد ، نرى أن لو مكث المسيح طوال هذه الفترة في القبر، لكانت مدة مكثه ليلة السبت ونهاره وليلة الأحد . إذن فلم تتحقق النبوءة ، والمسيح لايكذب . فيبحث العلامة ديدات عن تفسير لما قاله المسيح وبالرجوع إلى سفر يونان النبي (يونس): نقف على معجزة يونان ، التي يعد المسيح بأن يحقق معجزة مثلها .

أمر الرب يونان أن يذهب لدعوة أهل نينوى ، فهرب ، وركب البحر من يافا قاصدا ترشيش ، وبينما السفينة في البحر ، إذ هاجت الريح ، حتى كادت أن تحطم السفينة ، فأجرى الركاب قرعة ، ليعرفوا سبب هذه البلية ، فوقعت القرعة على يونان ، الذي أخبرهم بأنه هارب من أمر الرب ، وقال لهم : "خذوني واطرحوني ، في البحر فيسكن البحر عنكم ، لأنني عالم أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم " .

ففعلوا بعد تردد ، فسكن البحر ، فجاء حوت عظيم ، وابتلع يونان، الذي بقي في بطنه ثلاثة أيام ، وثلاث ليال يصلي لله: " فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت، وقال: ... " ثم استجاب الله له .. "وأمر الرب الحوت، فقذف يونان إلى البر " (انظر يونان ١/١ - ١٠/٢) .

إذن كانت معجزة يونان بقاؤه حيا في بطن الحوت، وخروجه من بطنه حيا، وكذلك كانت معجزة المسيح أن ينزل عن الصليب حيا كما ألقي يونان في البحر حيا وأن يمكث في بطنها برهة من الوقت حيا ، ثم يخرج منها حيا . وهكذا تتحقق النبوءة " لأنه كما كان يونان .. يكون ابن الإنسان " فإن قال النصارى : أنزل ميتا ودفن ميتا ، فقد أضحى ابن الإنسان عكس يونان ، وليس مثله .

لقد كانت معجزة يونان أنه ألقي في بحر هائج و لم يمت ، ثم ابتلعه الحوت ، و لم يمت ، والمفروض أن يموت بتأثير الحرارة والاختناق ، لكنه لم يمت ، وهذه معجزة يونان، التي أشبهتها معجزة المسيح .

أما أولئك الذين يصرون على أن وجه الشبه هو الثلاثة الأيام والثلاث الليال فهم " رجال غرقوا ، ويحاولون التعلق بالقش ...." لا إعجاز هنالك فيما يتعلق بعامل الوقت .

كان اليهود يطلبون من يسوع معجزة ، وليس ثمة شيء يجعل من ثلاثة أيام ، أو ثلاث ليال، أو ثلاثة أسابيع ، أو ثلاثة شهور معجزة بأي حال ".

ونقل الأفندي عن بعض النصارى تأولهم للفقرة بأن آية المسيح هي مثل آية يونان النبي، وهي: أن يؤمن الناس به من غير آية . [1]

وقد تجاهل هؤلاء، عشرات المعجزات التي أتى بها المسيح ، وتجاهلوا أن ما حصل ليونان، هو آية

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

باهرة، لايمكن إنكارها .

ويجزم ديدات بأن المسيح أخرج من قبره في الليلة الأولى ، كما يجزم أن أحـــدا لايســتطيع حســب المعطيات الإنجيلية أن يقول إن المسيح مكث ثلاثة أيام وثلاث ليال " حتى اينشتاين أكبر أساتذة الرياضيـــات لايجدي نفعا في هذا " .

وقد تنبه النصارى أخيرا لهذا الخطأ الرياضي الكبير ، مما جعل روبرت فاهاي يطالب في مجلته "الحقيقـة الناصعة" التي توزع ستة ملايين نسخة مجانية ، يطـــالب بـــأن يســتبدل النصـــارى عيـــد يـــوم الجمعـــة الطيبة (المباركة) بالأربعاء الطيب (المبارك) .

ويهنئ ديدات فاهاي عقب محاضرة -للأخير-على عبقريته في اكتشاف الخطأ الـــذي انطلـــى علـــى المسيحية طوال هذه القرون ، وسأله عن مصدره، فأجاب فاهاي : " الشيطان " فرد ديـــدات : " إذا كـــان الشيطان يستطيع أن يضلل المسيحيين ، وأن يبقيهم في ضلالهم لمدة ألفي عام في أبســـط مظـــاهر الإيمـــان ، فكم يكون الأمر أسهل على الشيطان ليضللهم فيما يتعلق بطبيعة الله "!! .[1]

وهذه الفكرة التي أشبعها ديدات دراسة واستدلالا سبقه إلى القول بأصلها: العلامة الألماني فنتيوريـــني في بداية القرن التاسع عشر ، كما نقل ذلك أحمد عبد الوهاب عن فرانك موريسون في كتابه " من دحـــرج الحجر " [2]

وذكر صابر طعيمة أن ممن قال بهذا أيضا درمنغم في محاولته للتوفيق بين الإسلام والنصرانية .[3]

ويعرض سليم الجابي نفس نظرية ديدات ، ويضيف عليها بعض الإضافات التي لاتغير شيئا في جوهـــر القصة ، ومنها ما يسلم، له ومنها ما لايسلم .

ومن الأمور التي ذكرها الجابي :

* أن المسيح سقي على الصليب شيئا اختلفت الأناجيل فيه، بين قائل بأنه خمـــر ممزوجـــة بمـــرارة أو خل ، وهذا يدل على جهلهم بحقيقة ما شربه المسيح، ويرى الجابي أنه سقي خلا ممزوجة بمرارة ، وأن هـــذا ما كانوا يستخدمونه في التخدير في العمليات الجراحية ، ونقل أحمد عبد الوهاب عن المفســـر (فنتـــون) أن هذا المشروب يستخدم لتخفيف الآلام ، ولهذا السبب سجل الإنجيليون أن يسوع لم يشرب .[4]

---

(١) وردت نظرية ديدات في الصلب مفصلة في كتابه مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديـــدات ، ص ٧٨ - ١٥٢ ، ومختصرة في كتابه " من دحرج الحجر " . وانظر : النصرانية مصطفى شاهين ص ٨٥ - ٩٦ ،هل بشر المســيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٦٠-١٠٥ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

(٣) الأسفار المقدسة ، صابر طعيمة ص ٢٠٢ - ٢٠٧ .

وذكر عبد الوهاب النجار في بدايات القرن الرابع عشر أنه يوجد بين المسلمين من يقول بهذا الرأي ، ووصفهم بأنهم قلـــه ، و لم يسم أحدا منهم . انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٤) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٧ .

ويعجب لتوفره في تلك اللحظة مع الجند ، ويراه جزء من خطة بيلاطس لإنقاذ المسيح، بعد أن اقتنع ببراءته ، وبسبب حلم زوجه ، ولأنه علم أنهم أسلموه حسدا " (متى ١٨/٢٧) . ولوى اليهود ذراعه حين هم بإطلاق المسيح فقالوا :" إن أطلقت هذا فلست محبا ، كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر " (يوحنا ١٢/١٩) .

ويستدل لدور بيلاطس في إنقاذ المسيح بتجرؤ الجند على سقاية المسيح ، والمفروض أن يترك حتى يموت عطشا .

ويدعي الجابي- ولا دليل - أن التلميذ يوسف الذي تسلم جثة المسيح كان مستشارا عند بيلاطس ، فكان جزءا من الخطة .

ويرى أيضا أن قول المسيح: " أنا عطشان " هو بمثابة كلمة سر لبدء تنفيذ خطة الإنقاذ ، والتي تقضي بتنويم المسيح ، ثم إنزاله حيا من فوق صليبه. ودليله: قول يوحنا: " فلكي يتم الكتاب قال : أنا عطشان " (يوحنا ٢٨/١٩) كما استشهد بالمزمور (٢١/٣٤) وفيه: " البار المتألم محمي في المحنة " فيراه في اللحظة التي طعن فيها المسيح بالحربة .

ويرى في جهل التلاميذ لموضوع قيامة المسيح ، واستنكارهم له دليلا على عدم حدوثه ، وأن المسيح رجع إليهم قبل الموت ، وإلا لكان أخبرهم بذلك. ويضيف الجابي وبإسهاب مطول أن المسيح بعد نجاته هرب وأمه إلى كشمير، وأن ذلك هو معنى قول الله ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية و ءاويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾[1]

الجابي ممن يرفض القول برفع عيسى ، ويعتبره مما لادليل عليه ، وأنه تمحل للآيات بسبب دسيسة أهل الكتاب، وتأثر المسلمين بهم [2]

ويرى الجابي أن سفره لكشمير إنما هو لدعوة الخراف الضالة من بيت إسرائيل، أي التي تفرقت بعد السبي في مناطق الهند وأفغانستان ، وأن هذا هو معنى قوله: " ولي خراف أخر ليست في هذه الحظيرة ، فتلك أيضا لابد لي أن أقودها ، وستصغي إلى صوتي ، فيكون هناك رعية واحدة، وراع واحد "(يوحنا ١٦/١٠) ولذا أمر تلاميذه: " اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل " (متى ٦/١٠) ويقرر الجابي أنه لم يرجع بعد السبي البابلي إلى فلسطين سوى سبطين فقط .

ويستدل لذلك بنقول عن عدد من المؤرخين، تربط بين أسباط بني إسرائيل، وأهل تلك المناطق .

ويؤكد الجابي على أن المسيح مات في كشمير ، ودفن فيها ، ويقول: " ولشد ما أدهشني وجود جبل في هضبة كشمير مسمى باسم (مريم) (كوه مري) وعلى ذروته ترقد مريم المذكورة في قبرها والدة المسيح الناصري يقينا ، كما أن المسافر إلى (سري نكر) .. سيدله أهل تلك المحلة على ضريح عظيم محاط بسور

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : ٥٠ .

(٢) انظر في الرد عليه " التصريح فيما تواتر في نزول المسيح " العلامة المحدث محمد أنور شاه الكشميري .

من الحجر ، ومنحوت على واجهته " يوز آصف " وترجمته " يسوع المسيح " ويقول الدليل لهذا المسافر : هذا ضريح نبي قديم أتى إلى منطقتنا .. " .

وهكذا تصبح روايات العجائز والمرشدين السياحيين مصدرا نعرف منه نهاية المسيح ومكان قبره ، وتصبح الأحاديث الصحيحة تراثا تسرب إلينا من أيد كتابية غادرة !!.

ويختم كتابه بالحديث عن مرهم يعرفه أطباء الأمم ، ويذكرونه في كتبهم يسمى " مرهم عيسى " فقد ذكره ابن سينا في " القانون " ، والشيرازي في (شرحه) وعلي بن عباس في " كامل الصناعة " ، وداود الضرير الأنطاكي في " تذكرة أولى الألباب " ، وأحمد رشيد الحكيم في " عمدة المحتاج " وغيرهم .

ويربط بين هذا كله، والعلاج الذي تلقاه المسيح على يد حواريه، بعد إنزاله عن الصليب ، فيعتبر هذا دليلا تاريخيا قائما على صحة إنزال المسيح حيا من على الصليب .[1]

وفكرة نجاة المسيح وذهابه للهند ، وتفسير آية سورة (المؤمنون) بها ، فكرة نقلها الجابي عن كتاب " الهدى والتبصرة لمن يرى " للمتنبي الكذاب (القادياني غلام أحمد) ، وقد نقل العقاد رأي القادياني ، واعتبره من الأخبار التاريخية التي لايصح إغفالها ، ووافقه أحمد حجازي السقا على ذلك .

وقد أحسن العلامة محمد رشيد رضا حين نبه بأن غلام القادياني لا يوثق بنقله وعقله ، لضلاله وكفره .[2]

---

(١) انظر : تفصيل ما أجملته في كتاب " هل مات المسيح على الصليب " . سليم الجابي ص ٨٠ - ١٦٠ .

(٢) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٤٠ - ٤٢ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨١ - ٤٨٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٢٦٠،حقيقة النصرانية في الكتب المقدسة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٨٨ - ٩٠.

اعتراضات النصارى

ويورد النصارى اعتراضا على الصيغ الإسلامية التي جزمت بنجاة المسيح. منها :

- ما فائدة القول بنجاة المسيح التي يؤكد عليها المسلمون ؟

ولا ريب أن الحقيقة. وظهورها هي الفائدة ، وثمة فوائد ذكرها محمد توفيق أفندي ، منها : إثبات لقدرة الله في حماية أنبيائه ، وكيد أعدائه ، فهي معجزة إلهية. وامتحان لنبيه ، وما يقوله النصارى في الحكمة من قصة إبراهيم وابنه الذبيح، نقوله نحن في نجاة المسيح ، فلعل في ذلك ردا على تساؤل القمص (سرجيوس) عما يريده الله من معجزة " الفطيس" حين رفع المسيح وصلب غيره .

ويتساءل النصارى : و لم تأخر بيان هذه الحقيقة قرونا عديدة ؟

وما مصير من مات قبل ظهور نبي الإسلام ، وهو يعتقد أن المصلوب هو المسيح ؟ ولماذا لم يذكر المسيح ذلك ؟

فيجيب الأفندي أن لشيوع فكرة موت المسيح أهمية بالغة ، فقد كانت دليلا قويا على عدم ألوهيته، واستدلت به الفرق النصرانية القديمة المنكرة لألوهية المسيح .

ولعل شيوع هذا القول، هو الذي ألزم القائلين بألوهيته بالقول بأن له ناسوتا ولاهوتا . وإلا لأجمعوا على أنه لاهوت محض. ويقول برنابا: " يا معلم: إذا كان الله رحيما، فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتا ؟ ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت .. أجاب يسوع: ... فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئا في العالم ، أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا ، معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة ، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله ، الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله " (برنابا ٢٢٠/ ١٤-٢٠).[1]

أما لماذا تأخر بيان هذه الحقيقة قرونا ؟ فيرد الأفندي بأن هذه المسألة لا أهمية لها لو لم تقترن بدعوى ألوهية المسيح ودعوى الفداء ، فليس الخلل في خفائها ، إنما فيما أحدثه الناس من الضلالة . ثم إن البشر يختلفون، وهذا أمر طبيعي ، ولو أرسل الله رسولا يخبرهم بنجاة المسيح لصدق وكذب ، ولعل من أمثلة الاختلاف الناصع: اختلاف النصارى ، وهم الذين يترل روح القدس عليهم، ويؤيدهم ، وهم مع ذلك أكثر الأمم اختلافا. لكن شاءت إرادة الله أن يتأخر بيان الحقيقة ، إلى أن يعم الفساد ، ثم ظهر النور العميم، الذي كان من جملته: إبطال ضلالات النصارى ، التي بنيت على مقدمة غير صحيحة ؛ وهي صلب المسيح .[2]

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٨ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٢١ - ٣٢٤ .

(٢) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٨ - ١١٠ .

وهذا الاعتراض لايقبل من النصارى، الذين لايجدون جوابا فيما لو سألناهم: لماذا تأخر نزول المسيح كفارة ذنب البشرية تلك السنين الطويلة ؟ لم لم يكن فداؤه في زمن آدم ؟ فقد تأخر فداؤه مع الحاجة الماسة إليه ، بينما تأخر بيان الحقيقة هنا وليس من أحد تتعلق نجاته أو هلاكه بها .

وأما أولئك الذين ماتوا، وهم يؤمنون بالمسيح المصلوب ، فيتساءل القمص سرجيوس عن ذنبهم حتى يوصموا بالكفر ، لأنهم لم يطلعوا على هذه الحقيقة .

ويجيب منصور حسين بأن القرآن الكريم لم يكفر النصارى لقولهم بصلب المسيح، فهو ليس كفرا في ذاته ، وإنما الكفر في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر عن ربه نجاة المسيح من الصلب ، فتكذيب هذه الحقيقة: تكذيب للقرآن الكريم .

وعليه، فإن المسلمين لايقولون بهلاك من هلك من النصارى لقوله بأن المسيح صلب ، وإنما يقولون بهلاكه لقوله بألوهية المسيح ، ولتكذيبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، إن كان قد أدركه .[1]

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٢٤ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٠ - ٦١ .

المطلب السابع :وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح :

في مؤتمر الفاتيكان الثاني المنعقد عام ١٩٦٣م : انعقد المجمع لبحث موضوعات عديدة، تدور حول تقوية الوحدة المسيحية .

وفي الدورة الثانية منه: قدّم الألماني (الكاردينال بيا) وثيقة تعتبر الصورة التمهيدية للوثيقة التي صدرت فيما بعد ، وتبرئ اليهود من دم المسيح .

وتنادي الوثيقة التمهيدية: باعتبار الشعب اليهودي جزءًا من الأمل المسيحي ، وأنه لايجوز أن ننسب إلى يهودِ عصرِنا ما ارتُكب من أعمال أيام المسيح . واحتج الكاردينال لكلامه بأن كثيرين من الشعب لم يكونوا يعرفون شيئاً عما حدث ، و لم يوافق بعض قادة الشعب على فعل سائر الكهنة .

وقد عورضت الوثيقة داخل المجمع، لما فيها من اعتبارات سياسية ، وطلب المطران الهندي (كوتنهو) حذفَها ، وإضافة فصول عن الديانة الهندية والإسلامية، وكذلك عارض الوثيقةَ بعضُ كرادلة الشرق ، كما عارضها الشبابُ الكاثوليك بالقدس ، وأوضحوا أن ذلك ليس حقاً للمجمع ولاغيره ، وطالبوا بتطبيق ما جاء في سِفر الخروج: " أنا الرب إلهك، إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء " (الخروج ٢٠/١٥) .

واستشهد القس إبراهيم سعيد – رئيس طائفة الأقباط الإنجيليين – بنصوص الإنجيل، التي تقرر أن اليهود طلبوا صلبه ، ورفضوا إطلاق المسيح ، وطلبوا إطلاق باراباس ، وتولى رئيس الكهنة (قيافا) بعض الوِزر في ذلك .

ثم إنهم قالوا " دمه علينا وعلى أولادنا " (متى ٢٧/٢٥) وقد قال بطرس لثلاثة آلاف من اليهود : " إن يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم " . وتم تشكيل لجنة لتعديل الوثيقة ، وعدّلت، وصدرت في أكتوبر ١٩٦٥م وثيقة تبرئة اليهود .[1] ونقل علماؤنا بعض ما تضمنته هذه الوثيقة ومنه " فإن ما ارتكب أثناء آلامه: لايمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا عائشين إذ ذاك ، ولا إلى يهود أيامنا " . ويقول الكاردينال " بيا " عن هذه الوثيقة : " ليست هذه الوثيقة ثمرة يوم أو ليلة ، إنها خلاصة دراسة " وقد وقع البابا يوحنا الثالث والعشرون عليها قبل وفاته بخمسة أشهر ، لتصبح وثيقة دينية معتبرة ، ومعتمدة من أهم المراجع النصرانية .[2]

وقد أراد " بيا " من وثيقته التمهيدية تبرئة العنصر اليهودي من صلب المسيح ، وعليه فلا إجابة على السؤال من صلب المسيح ؟ إلا أن يقال بأنهم الرومان ، ولكن الوثيقة النهائية الرسمية أقرت بدور اليهود وبراءة الرومان وبرأت الأجيال اليهودية اللاحقة من تولي وزر هذه الجريمة ، كما أنها حاولت حصر الجريمة

---

(١) انظر : إسرائيل حرفت الأناجيل ، أحمد عبد الوهاب ،ط١،مكتبة وهبة،القاهرة،١٩٧٢م، ص ٢٠ – ٣٥ .

(٢) انظر : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٨ .

في اقل عدد ممكن من الكهنة ورؤساء الشعب اليهودي ، ومنه ما نقله أحمد عبد الوهاب : " فإن ما ارتكب أثناء آلامه ، لايمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا عائشين إذ ذاك ، ولا إلى يهود أيامنا " [1]

وينقل محمد عبد الحليم عن كتاب " التبرئة قضية سياسية " (لبشيركعدان) بعض نصوص للوثيقة، ولو صحت هذه النصوص لارتفع الخلاف بيننا وبين النصارى في مسألة صلب المسيح، إذ تعتبر تراجعا عن القول بصلب المسيح، ومن ذلك: "اليهود لم يصلبوا السيد المسيح إطلاقا ، وإنما صلبوا شخصا لم يعرفوه ، ولو عرفوا أنه المسيح لم يفعلوا ذلك ، فالرسول (بطرس) عندما نودي عليه ، وسئل إذا كان يعرف المسيح، قال : "ليس هو" ثلاث مرات ، وقال: "إنه ليس من تلاميذه" ، وهذا يعني أن أقرب الناس إلى المسيح لم يعرفه ، فكيف يعرفه اليهود ؟

" ربما كان بطرس قد أنكر المسيح إنقاذا له ، وربما الرجل الذي قرروا صلبه هو شخص آخر ، لا أحد يعرف ، ليس من المؤكد أنه هو المسيح .. إذ اليهود صلبوا رجلا، ليس من المؤكد أنه هو المسيح " .

وتعود الوثيقة للحديث عن آلام المسيح المصلوب، فتقول: "ما حصل للمسيح من عذابه لايمكن أن يعزى لجميع الشعب اليهودي .. فإن الكنيسة كانت ولاتزال تعتقد بأن المسيح قد مر بعذابه وقتله بحربة بسبب ذنوب جميع البشر ، ونتيجة حب لاحد له " [2]

ويلحظ علماؤنا في هذه الوثيقة تعارضا صريحا مع النصوص الإنجيلية، المصرحة بدور اليهود بقتل المسيح على الصليب ، ومنها قول بولس: " اليهود الذين قتلوا الرب يسوع، وأنبياءهم، واضطهدونا نحن" (تسالونيكي (١) ٢/١٥) [3] ، وتذكر الأناجيل دورهم، فهم الذين تآمر رؤساء كهنتهم ، وهم الذين قدموا الرشوة ليهوذا ، وأصروا وأصرت الجموع على صلب المسيح رغم براءته التي ظهرت لبيلاطس ؛ الذي قبل نصيحة زوجته، فتبرأ من دم هذا البار ، كيف يبرأ اليهود من دمه؛ ويوحنا يقول على لسان قيافا رئيس الكهنة: " أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولاتنكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها .. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه " (يوحنا ١١/٤٧ - ٥٣) واليهود هم الذين أتوا بشهود الزور . ولما وجد بيلاطس أن لاجرم عليه، قال : " إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم " فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا " (متى ٢٧/٢٤ - ٢٥)[4]

ثم كيف للكنيسة أن تبرئ اليهود وذراريهم من دم المسيح ، وهم قد قالوا لبيلاطس: " دمه علينا وعلى أولادنا ؟" (متى ٢٧/٢٥) والمفروض أن النصارى يؤمنون بوراثة الذنب الذي أعلن أصحابه مسئوليتهم وأبناءهم عنه .

---

(١) إسرائيل حرفت الأناجيل ، أحمد عبد الوهاب ص ٣٥ .

(٢) انظر : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٨ .

(٣) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٤٨ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حاد ، ص ١٢٣ .

(٤) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٩٣ - ٣٩٥ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٥ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٧٦ .

ويرى منصور حسين أنه من الممكن تصور وراثة ذنب اليهود دون ذنب آدم، أما العكـــــس " فـــلا، وألف لا " .

ويتساءل عما يغسل خطيئة اليهود وقد صلبوا الرب-كما زعمـــوا -، إذا علمنـــا أن خطيئـــة آدم لم يغسلها إلا دم المسيح ؟

وعندما يسجل علماؤنا هذا الاعتراض على النصرانية، فإنهم يعلمون براءة اليهود من دم المسيح ، فقـــد أنجاه الله منهم، ولكن ذلك وكما يؤكد منصور حسين لايبرئهم من الجريمة، ألا وهي سعيهم لقتل المســـيح ، فقد خططوا لصلبه، وتآمروا عليه، ومضوا في التنفيذ ، فأخذوا من ظنوه المسيح، وصلبوه، وقتلوه، وهـــي في كل القوانين جريمة ، والخطأ في شخص المجنى عليه لايغير من بشاعة جريمتهم كثيرا ، من حيث نيتـــهم ومـــا أرادوا فعله .[1]

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ص ٣٩٧ - ٤٠١ .

المبحث الثاني :عقيدة الفداء

تمهيد

أثبت علماؤنا نجاة المسيح من الصلب ، وهذا كاف في نقض عقيدة الفداء والخلاص التي قامت على أعواد الصليب .

والحديث عن المسيح المصلوب لايلزم منه أن صلبه كان فداء للخطيئة ، لكن نجاة المسيح بلا شك هدم لأساس هذا المعتقد .

وإمعاناً في إقامة حجة الله على خلقه درس علماؤنا فكرة الفداء من لدن سطورها الأولى المتمثلة بخطيئة آدم إلى جاء الفادي كما زعم النصارى .

وعرضوه كتاب الله وسنة رسوله ، فتبصروا ضلال القوم ، وزيغهم عن الحق .

وتلمسوا الحقيقة ثانية في كتب القوم وعقول العقلاء فأنكروا منهم بدعتهم ... وكانت هذه الصفحات المضيئة التي نقتبسها من علمائنا الأفذاذ .

وقد جاءت جهود علمائنا في إبطال عقيدة الفداء والخلاص في مطالب خمس :

- المطلب الأول : خطيئة آدم والذنب الموروث .
- المطلب الثاني : مبررات صلب المسيح .
- المطلب الثالث : عقيدة الخلاص .
- المطلب الرابع : مصادر عقيدة الفداء والخلاص .
- المطلب الخامس : عقيدة المسلمين في الخطيئة والخلاص .

المطلب الأول : خطيئة آدم والذنب الموروث .

قصة خطيئة آدم في سفر التكوين :

" وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها ، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً :من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت ... وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لاتأكلا من كل شجر الجنة ، فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة تأكل ، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لاتأكلا منه ، ولاتمساه لئلا تموتاه [هكذا] ، فقالت الحية للمرأة لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها ، وأكلت ، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل فانفتحت أعينهما ، وعلما أنهما عريانان . فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر .

وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم ، وقال له : أين أنت ؟

فقال سمعت صوتك في الجنة ، فخشيت لأني عريان فاختبأت فقال من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لاتأكل منها ، فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت.

فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذي فعلت ؟ فقالت المرأة : الحية غرّتني فأكلتُ .

فقال الرب الإله للحية : لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم . ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين ، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك ، وأنت تسحقين عقبه .

وقال للمرأة : تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً ،وإلى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك .

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً : لاتأكل منها . ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك ، وتأكل عشب الحقل ، بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها ، لأنك تراب ، وإلى تراب تعود ...

وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ، ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ، ويأكل ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها ، فطرد الإنسان ، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة " . (التكوين ٢/١٥-٣/٢٤) .

الخطيئة الأولى :

ولحظ علماؤنا في هذه القصة تباينا كبيرا مما أورده القرآن في قصة آدم ، ولما كانت الحقيقة واحدة فإنما ما ذكره القرآن الكريم فحسب فالتبصر في القصة التوارتية يثير عددا كبيرا من الأسئلة ويشكك في مصداقية الرواية التي بنى عليها النصارى أحد أكبر أوهامهم .

وتلاحظ أميمة شاهين أن الرواية التوراتية تتحدث عن الذات الإلهية بما لايليق وشمولية علم الله وتنزهه ومنه " وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب النهار ، فاختبأ آدم وامرأته في وجه الرب الإله في وسطر شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم ، وقال له : أين أنت ؟ " وقد حاول مفسرو النصارى حمل السؤال على التوبيخ لا السؤال عن المكان ، ولكن أميمة الشاهين ترى أن هذا أسلوب غير معروف ألا وهو التوبيخ بالسؤال عن المكان ، كما أن تكملة النص تمنع هذا القول " من أعلمك أنك عريان ؟ " " هل أكلت من الشجرة التي أوصيك أن لاتأكل منها " [1]

ونسبت الرواية التوراتية الإغواء إلى الحية ، فلئن كانت الحية حقيقية كما يذهب إليه مفسرو آهل الكتاب فالسؤال هل الحيوان يكلف ويعاقب ، وهل تكليفه قبل آدم أم بعده ، وهل أرسل له رسل من جنسه ، وأين أشار العهد القديم لمثل هذا التكليف الغريب؟

وتذكر التوراة أن الحية تأخرت عقوبتها إلى ما بعد خطيئة آدم وزعم الشراح أن إغواء الحية كان بأكلها من شجرة أمام آدم ، وأرادوا بذلك الهرب من إثبات كلام الحيوان، ولكن ذلك لايمنع من التساؤل كيف تعاقب الحية على الأكل و لم يرد أنها منعت منه ، ثم لو عوقبت الحية قبل خطيئة آدم لكان ذلك أجدر في التحذير وكمال التجربة، وتلحظ أميمة التغييب الكامل للشيطان ودوره في الغواية وإن حاول بعض المفسرين الربط بين الحية والشيطان بالقول بأن الشيطان استخدم الحية أو تمثل بها .[2]

كما يجعل السفر التوراتي سبب إخراج آدم من الجنة الخوف من تسلط آدم على شجرة الحياة " والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة ، ويأكل ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن " [3].

ويبقى السؤال الأهم ما هي معصية آدم، وتأتي الإجابة التوراتية واضحة لقد أكل من الشجرة المحرمة شجرة معرفة الخير والشر،لقد عرفا الخير والشر . فماذا ترتب على هذه المعرفة من ثمرة ؟ لايذكر النص التوراتي لهذه الفعلة أثر سوى أنه آدم وحواء عرفا بأنهما عريانان، إذ انكشفت لهما الأمور بمعرفتهما للخير و الشر .

---

(١) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شاهين ، ص ٣٩ - ٤١ .

(٢) انظر الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شاهين ، ص ٢٧ - ٣٠ .

(٣) انظر الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شاهين ، ص ٥١ - ٥٢ .

وهنا يعقب كامل سعفان بأن المعرفة سلم للوصول إلى الحقيقة ، و لم تحرم إلا في زمن الطغاة والمستبدين فهل كان بحثه عنها جريمة ، أليس ذلك تحقيقاً لإقامة الجنس البشري ، ثم من الظلم أن يعلقب آدم - حسب النص - على ذنب ما كان له أن يدرك قبحه إذ لم يعرف الخير من الشر، ويتساءل محمد توفيق أفندي كيف وقع آدم في الإثم وهو غير ميال للشر والخطيئة التي دخلت للإنسان بعده كما يزعم النصارى [1].

أما الإسلام فيعترف بالجبلة البشرية التي خلق الله الإنسان عليها فهو مستعد للخير والشر ، مدرك لهما ، ولذا فهو مكلف بفعل الخير وبالامتناع عن الشر ، ومحاسب على ذلك .

وثمة مسألة أخرى هامة من الذي يتحمل وزر الذنب آدم أم حواء يذكر النص التوارتي ما يفهم منه براءة آدم وإدانة حواء ففيه أن حواء التي أغوتها الحية فأكلت " وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل " ولما سئل عن فعلته قال آدم : " المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت ، وبراءة آدم هي ما صرح به بولس " وآدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت ، فحصلت في التعدي " (تيموثاوس (١) ٢/١٤) .

تربط أميمة شاهين بين موحيات النص والنظرة اليهودية للمرأة حيث تزري بها شرائع اليهودية ، وهي في هذا النص تعتبرها سبباً للخطيئة .

والقرآن الكريم عندما تحدث عن خطيئة آدم حمل آدم المسئولية الأولى ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ [2]

كما تحدث النص عن عقوبات ثلاث طالت آدم وحواء والحية .

أما الحية فكانت عقوبتها أنها " ملعونة أنت من جميع البهائم ، ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين ، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه " .

وأما عقوبة حواء " تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً ، وإلى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك " .

وأما عقوبة آدم " ملعونة الأرض بسببك ، وبالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك ، وتأكل عشب الحقل ، بعرق وجهك تأكل خبزاً " .

وتعلق أميمة الشاهين على هذه العقوبات فتستغرب عقوبة الحية وتتساءل إن كانت الحية قبل مستوية القامة حسناء لاتأكل التراب ، بل تبلع الحيوان .

---

(١) انظر الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شاهين ، ص ٣٢- ٣٨ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٧٥ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص٨٦ .

(٢) سورة طه . من آية:١٢١، وانظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شلهين، ص ١٠٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨١ تعدد نساء الأنبياء،ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ١٨٧.

وأما المرأة فعوقبت بأمرين أحدهما جسماني وهو أتعاب الحمل والولادة وثانيهما معنـــوي نفســي ، وهو دوام اشتياقها للرجل ، وأنه يسود عليها وتلحظ أن هذه العقوبة تختلف عن العقوبة التي هدد فيها مـــن يأكل من الشجرة " وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت " [1].

ولا يمكن أن يقال بأن الموت موت معنوي لأنه لايفهم من السياق، ولقول بولس " كأنمـــا بإنســان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطـــأ الجميـــع " (رومية ٥/٢٣) .

ويرى الخطيب أن مما يصرف الموت عن المجاز إلى الحقيقة أن النص يقول " لأنك يوم تأكل منها موتـــاً تموت " فكما الأكل حقيقي الموت حقيقي .

ولكن عقوبة آدم كانت حقا الموت ، إذا أنزل من دار الخلود التي لاموت فيها ولافناء إلى دار العنـــاء والفناء فذاق فيها الموت وأما العقوبات المذكورة في السفر فهي لوازم أخرى تلزم من يعيش في هذه الدار قبل الموت فليس ثمة تناقض بين الموعود والمحقق . [2]

فلسفة النصارى لمسألة الخطيئة والكفارة

قرأنا النص التوراتي من خلال ملاحظات ...

فما هو رأي النصارى في خطيئة آدم وعقوبتها وأبعادها ؟ ينقل العثماني عن ســـانت أوغســطينوس تفسيراً متكاملاً ويعتبره الوحيد الذي استوعب قضية الكفارة وخلاصة رأيه :

- أن الله خلق الإنسان وترك فيه قوة الإرادة في حرية كاملة ، وأنعم عليه ، وحرم عليه تناول القمح .

لكن آدم وضع قوته الإرادية في غير موضعها عندما تناول ما حرم عليـــه ، ولم يكـــن صعبـــاً عليـــه تحاشي المعصية ، إذ لم يكن يعرف يومذاك عواطف الهوس والشهوة .

- ذنب آدم ذنب عظيم لأنه يتضمن ذنوباً عديدة أولها : الكفر إذ اختار آدم أن يعيش محكوماً بسلطته بدل أن يعيش في ظل الحكم الإلهي .

وثانيها : كفر وإساءة أدب مع الله ، لأن الإنسان لم يتيقن في الله .

وثالثها : قتل نفسه ، إذ جعل حكمها الموت .

ورابعها : الزنا المعنوي ،لأن إخلاص الروح الإنسانية قد ضاع من أجل التصديق بقول الحية المعسول .

---

(١) انظر الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شاهين ، ص ٤٢ - ٤٩ .

(٢) انظر : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٦٥ ،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمـــد عبد الوهاب،ص ٥١.

٢٧٠٩

وخامسها : السرقة إذ نال ما لا يحل له .

وسادسها : الطمع .

وهكذا كانت هذه الخطيئة أما لكل الأخطاء البشرية " والحق أنك مهما أمعنت في حقيقة أي إثم فستجد له انعكاسا في هذه الخطيئة الواحدة " .

- جزاء هذه الخطيئة الشنيعة الموت الدائم ، أو العذاب الدائم " لأنك يوم تأكل منها موتا تموت " ، كما سلب آدم بعدها الحرية الإرادية بعد أن هزمه الذنب ، فأصبح حرا في إتيان الإثم ، وغير حر في صنع المعروف ، فالعقاب المعقول للذنب هو الذنب بعده ، بعد تخلي رحمة الله عنه ، وهكذا أصبحت الخطيئة مركبة من طبيعة الأبوين ، وانتقلت منهما وراثة إلى سائر أبنائهما .[1]

ونلحظ هنا التضخيم الكبير لمعصية آدم ، والغاية منه كما هو واضح قفل طريق الرجعة بالتوبة تمهيدا لإشاعة عقيدة المخلص يسوع عليه السلام .

وذنب آدم كسائر الذنوب دون عفو الله ومغفرته ، كما أن ما ذكره أوغسطينوس في ذنب آدم من تهويل من الممكن أن نقوله عن سائر الذنوب .

ولو تقف النصارى عند هذا الحد لكانت القضية شخصية ، لكن أوغسطينوس وغيره من النصارى يصرون على أن هذا الذنب لابد له من عقوبة قاسية ، كما يرتبون على هذا الذنب مسألة خطيرة وهي وراثة البشرية جمعاء لذنب أبويهم واستحقاقهم لتلك العقوبة القاسية .

ويؤكد أوغسطينوس على وراثة البشرية لذنب الأبوين إذ أصبحت الخطيئة كامنة في طبيعتهما فلنتقلت وراثة إلى سائر الأبناء ، فيولد الطفل وهو مذنب ، لأن وباء الخطيئة كما يقول جان كالوين قد سرى إلى هذا الطفل وراثة ، ويصوره أكويناس بالذنب تذنبه الروح لكنه ينتقل إلى أعضاء وجوارح الإنسان .[2]

وهكذا أصبح البشر جميعا خطاة لأنه كما يقول عوض سمعان في كتابه " فلسفة الغفران في المسيحية " : وبما أن آدم الذي ولد منه البشر جميعا كان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة التي خلقه الله عليها ، وأصبح خاطئا قبل أن ينجب نسلا ، إذن كان أمرا بدهيا أن يولد أبناؤه جميعا خطاة بطبيعتهم نظيره ، لأننا مهما جلنا بأبصارنا في الكون لانجد لسنة الله تبديلا أو تحويلا ولذلك قال الوحي " بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم " (رومية ٥/١٢ - ٢١) .

ويشبه كالوني أحد علماء البروتستانت انتقال الخطيئة لبني آدم بانتقال الوباء ، فيقول " حينما يقال : إننا استحققنا العذاب الإلهي من أجل خطيئة آدم ، فليس يعني ذلك أننا بدورنا كنا معصومين أبرياء ، وقد

---

(١) ماهي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ٧٨ - ٨٠ .

(٢) ماهي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ٨٠ - ٨٢ ، وانظر دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٩٥ .

فقد شعر علماء النصرانية بما تحويه عقيدة وراثة الخطيئة من ظلم للإنسانية فعلموا على تبريرها لتقبلها النصراني وعقوبتها من دون اعتراض ولا إحساس بالظلم فيقول ندرة اليازجي : " آدم هو مثال الإنسان ، الإنسان الذي وجد في حالة النعمة وسقط ، إذن سقوط آدم من النعمة هو سقوط كل إنسان ، إذن خطيئة آدم هي خطيئة كل إنسان فليس المقصود أن الخطيئة تنتقل بالتوارث والتسلسل لأنها ليست تركة أو ميراثاً .

إنما المقصود أن آدم الإنسان قد أخطأ ، فأخطأ آدم الجميع إذن ، كل واحد قد أخطأ ، وذلك لأنه إنسان " يرى جويل بويد أن لاظلم في صلب المسيح إذ أن المسيح بتجسده الإنساني قد أصبح خاطئاً متقمصاً شخصية الإنسان المجرم الخاطئ وعليه فقد استحق قول التوراة " النفس التي تخطئ هي تموت " .[1]

وهذه التبريرات المتهافتة ما كان لها أن تقنع علماءنا أو غيرهم ممن يرى في وراثة الذنب ظلماً يتنزه الله عنه.

فتشبيههم لوراثة الذنب بعدوى المرض باطل ، لأن المرض شيء غير اختياري فلا يقاس الذنب عليه ، كما المرض لايعاقب عليه الإنسان، وفصل أكونياس بين الروح والجسد وقوله بأن الخطيئة تسري من الروح للجوارح خطأ ، لأن الخطأ عندما يقع فيه الإنسان ، فإنما يقع فيه بروحه وجسده ، فالإنسان مركب منهما ويمارس حياته من خلالهما معاً . أما آدم فهو غير مركب في آدم وأبنائه .[2]

لذ أصر علماؤنا على اعتبار وراثة الذنب نوعاً من الظلم لايليق نسبته لله عز وجل .[3]

وأضافوا بأنه لا دليل عليه في التوراة[4] ، بل الدليل قام على خلافه إذ جاءت النصوص تنفي وراثة الذنب، وتؤكد على مسئولية كل إنسان عن عمله ومنها " النفس التي تخطيء هي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لايحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون " (حزقيال ١٨/٢٠ - ٢١) و" لايقتل الآباء عن الأولاد ، ولايقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل " (تثنية ٢٤/١٦) و" بل كل واحد يموت بذنبه ، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه " .

---

(١) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص ١٤١ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٨١ .

(٢) ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ٨٩ .

(٣) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٨أ ، وما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ٨٩ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، صابر طعيمة ص ٢٤٨ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٠ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ،عبد الودود شلبي ، ص ٣٠ .

(٤) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة ١٥أ - ١٦أ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٠ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣١ .وقد تجاهل هؤلاء النصوص التي تصرح بتوارث الذنب بين الآباء والأبناء ، واعتبروها من الظلم الذي لاتصح نسبته لله ، كما أن هذه النصوص كانت تتحدث عن عموم الخطايا وليس عن الخطيئة الأصلية (انظر العدد ١٤/١٨ - ١٩ ، والتثنية ٢٣/٢) وغير ذلك من النصوص) .

وراثة الذنب، وتؤكد على مسئولية كل إنسان عن عمله ومنها " النفس التي تخطيء هي تموت ، الابن لايحمل من إثم الأب ، والأب لايحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون " (حزقيال ١٨/٢٠ - ٢١) و" لايقتل الآباء عن الأولاد ، ولايقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل " (تثنية ٢٤/١٦) و" بل كل واحد يموت بذنبه ، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه " . (إرمياء ٣١/٣٠) و " الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه ، وحسب ثمرة أعماله " (إرميا ٣٢/١٩) .. لا تموت الآباء لأجل البنين ، ولا البنون يموتون لأجل الآباء ، بل كل واحد يموت لأجل خطيته " (أيام (٢) ٢٥/٤) و" فإنه لايموت بإثم أبيه " (حزقيال ١٨/١٧) و" أفتهلك البار مع الأثيم ، عسى أن يكون خمسون بارا في المدينة أفتهلك المكان ولاتصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر : أن تميت البار مع الأثيم ، فيكون البار كالأثيم . حاشا لك ، أديان كل الأرض لايصنع عدلا " (تكوين ١٨/٢٣ - ٢٥)[1].

كما أنكر المسيح الخطيئة الأصلية بقوله " لو لم آت وأكلمهم ، لم تكن لهم خطيئة ، وأما الآن فليس لهم حجة في خطيئتهم ... لو لم أعمل بينهم أعمالا لم يعملها آخر ، لما كانت لهم خطيئة ، أما الآن فقد رأوا وأبغضوني " (يوحنا ١٥/٢٢ - ٢٤)

فالنص لايتحدث عن خطأ سابق عن وجوده بل عن خطأ وقع فيه بنو إسرائيل تجاهه ، هو عدم الإيمان بالمسيح ، وليس فيه أي ذكر للخطيئة الموروثة بل هو لايعرف شيئا عنها .[2]

كما أن الكتب المقدسة عند النصارى تشهد لكثيرين بالخيرية وتثني عليهم ، ولو كانوا مسربلين بالخطيئة الأصلية لما استحقوا هذا الثناء ومنهم الأطفال الذين قال فيهم المسيح في إحدى وصاياه " الحق أقول لكم ، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات ، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد ، فهو الأعظم في ملكوت السماوات " (متى ١٨/٣ - ٤) (وانظر مرقس ١٠/١٣/١٦) .

وعندها نهر تلاميذه أطفالا قال : دعوا الأولاد يأتون إلى ولاتمنعوهم ، لأن لمثلا هؤلاء ملكوت

عموم الخطايا وليس عن الخطيئة الأصلية (انظر العدد ١٤/١٨ - ١٩ ، والتثنية ٢٣/٢) وغير ذلك من النصوص) .

(١) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٠٧ - ١٠٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٤٧ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٢٤٨ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٤٣٢ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٦٠ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٤-٥٦،المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي ، ص ٢٠٣ ، ٢١٥ - ٢١٦ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٣ - ٣٥ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٣ ، وقراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢١٥/٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٤٨ - ٣٤٩ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس ، أيهما كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ١٩٧ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٢١ ،تعدد نساء الأنبياء،ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٠٣.

(٢) براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٠ .

السماوات " (متى ١٩/١٣ - ١٤) فيفهم من هذين النصين طهرة الأطفال من الخطيئة الأصلية لذلك جعلهم مثلا للأبرار الذين يدخلون الجنة لكن القديس اوغسطينوس كان يحكم بالهلاك على جميع الأطفال غير المعمدين ، وكان يفتي بأنهم يحرقون في نار جهنم ، وقد كان الأطفال غير المعمدين وإلى وقت قريب لايدفنون في المقابر النصرانية ، لأنه يعتقد بموتهم وهم يحملون الخطيئة الأولى .[١]

والأبرار أيضا لم يحملوا هذه الخطيئة لذلك يقول المسيح " لم آت لأدعوا أبرارا ، بل خطاة إلى التوبة " (لوقا ٥/٣٢) فكيف يوجد أبرار ولما يصلب المسيح .[٢]

وهؤلاء الأبرار ذكرهم نصوص التوراة وأثنت عليهم و لم تتحدث عن قيدهم بالخطيئة الموروثة " كان كلام الرب إلى قائلا ما لكم انتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين : الآباء أكلوا الحصرم ، وأسنان الأبناء ضرست . حي يقول السيد الرب ... الإنسان الذي كان بارا وفعل حقا وعدلا ، لم يأكل على الجبال ، و لم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل ، و لم ينجس امرأة قريبه ، و لم يقرب طامثا ، و لم يظلم إنسانا ... فهو بار ، حياة يحيا يقول السيد الرب " . (حزقيال ١٨/١٩ - ٢٣)[٣].

ومن هؤلاء الأبرار الذين لم تكبلهم الخطيئة وأثنت عليهم التوراة الأنبياء ، ولا دليل على خصوصهم في ذلك ولو كانوا حاملين للخطيئة لما كانوا أهلا لهداية الناس ، فإن قيل عفي عنهم فلم تره يعف عن الباقين كما عفي من غير دم عن الأنبياء الذين اختار الله منهم كليما وخليلا .[٤]

ومن الأنبياء الذين أثنت عليهم التوراة أخنوخ " وسار أخنوخ مع الله ، و لم يوجد لأن الله أخذه " (تكوين ٥/٢٤) وأيضا نوح " وكان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله ، وسار نوح مع الله " (تكوين ٦/٩) وأيضا إبراهيم فقد قيل له " لاتخف يا إبرام أنا ترس لك ، أجرك كثير جدا " (تكوين ١١/١) وقيل عنه " بارك الرب إبراهيم في كل شيء " (تكوين ٢٤/١) . وإيليا (فيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار ، وخيل من نار ، ففصلت بينهما ، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء (ملوك (٢) ٢/١١) وأيضا يوحنا المعمدان " الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان " (متى ١١/١١) فهؤلاء جميعا لم يرثوا الخطيئة .[٥]

---

(١) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١-٧ - ١١٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة رقم ١٦أ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٢١ .

(٣) تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة رقم ١٥أ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٠٧ - ١٠٩ .

(٤) انظر : الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٢٤٨ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٤٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٦ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٢٥ .

(٥) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٠ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٤٤ - ١٤٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٠٦ .

كما أثنت التوراة على أشخاص من غير الأنبياء فدل ذلك على عدم تحملهم للخطيئة الأصلية .

منهم هابيل بن آدم الذي تقبل الله منه ذبيحته لصلاحه ، و لم يقبلها من أخيه فلم تمنعه الخطيئة الأصلية عن أن يكون عند الله مقبولا (انظر التكوين ٤/٤) وأيضا شهد المسيح بنجاة لعاذر " فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، ومات الفتي أيضا ، ودفن ، فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر في حضنه ، فنادى وقال : يا أبي إبراهيم ارحمني .... " (لوقا ١٦/٢١ -٢٤) .

ولئن قال أحد من النصارى في نص لوقا بأنه محض تخيل وتمثيل فإن ناسخ البحث الصريح يؤكد بأنه لو لم يكن موافقا للواقع لما مثل به ، وإلا فكيف يمثل بإبراهيم ولعاذر أنهما في درجات النعيم وهما في دركات الجحيم .

وكذلك الناجون مع نوح كلهم من الأبرار " ورأى الله الأرض ، فإذا هي فسدت ، إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض فقال الله لنوح نهاية كل بشر أتت أمامي ... وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط" (تكوين ٦/١٢-٧/٢٣) ولو كانت الخطيئة موروثة لما كان مبرر لهذا التفريق .[١]

كما أبطل علماؤنا نظرية وراثة الخطيئة الأصلية مستدلين بأمور منها :

- أن بولس صدق في أحد أقواله حين قال " كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم " (رومية ٥/١٢) ويلحظ الخولي في كلمة " كأنما " تشكيكا في حصول ذلك .[٢]

- أن مخطوطات نجع حمادي المكتشفة بعد الحرب العالمية الثانية خلت من الحديث عن الخطيئة والغفران الذي يتحدث عنه آباء الكنيسة . [٣]

- أن ثمة منكرون لهذه العقيدة في النصارى ،ومنهم الراهبان في روما في مطلع القرن الخامس بيلاجوس وسليتوس وأصحابهما ،فقد أنكروا سريان الخطيئة الأصلية إلى ذرية آدم واعتبروه مما يمنع السعادة الأبدية ، وقالوا بأن الإنسان موكول بأعماله .

ومنهم كوائيليس شيس الذي نقلت عنه دائرة المعارف البريطانية أنه قال " ذنب آدم لم يضر إلا آدم ، و لم يكن له أي تأثير على بني النوع البشري ، والأطفال الرضعاء حين تضعهم أمهاتهم يكونون كما كان آدم قبل الذنب " .[٤]

---

(١) انظر تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة رقم ١٦أ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٤٤ - ١٤٨ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٤٣٣ ، دراسة تحليلية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم ، ص ٥٣٣ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٣، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٩٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٩٨ .

(٣) انظر مخطوطات البحر الميت ، أحمد عثمان ، ص ١٥٤ .

(٤) انظر : الجواب الفصيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٢ ، ما هي النصرانية محمد تقي العثملي ص ٨٨ -

ومنهم الدكتور نظمي لوقا في كتابه " محمد الرسالة والرسول " حيث تحدث عن الآثار السلبية التي تتركها هذه العقيدة فيقول " الحق أنه لايمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال الفرد ، فيمضي حياته مضي المريب المتردد ، ولايقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث .

إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها ، ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى ، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه ، بل هو ولادة جديدة حقا ...

وإن أنسى لا أنسى ماركبني صغيرا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى ، وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم ... جزاء وفاقا على خطيئة آدم بإيعاز من حواء ... وإن أنس لا أنسى القلق الذي ساورني وشغل خاطري على ملايين البشر قبل المسيح أين هم ، وماذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة"[1].

ويقول الميجور جيمس براون عن فكرة وراثة الذنب الأول : "فكرة فاحشة مستقذرة ، لاتوجد قبيلة اعتقدت سخافة كهذه ".[2]

وأخيرا : فهل ذنب آدم هو الذنب الوحيد الذي يسرى في ذريته أم أن جميع الخطايا تتوارث . فإن خصوا ذنب آدم بالتوارث فقد خصصوا ، ولا مخصص .[3]وهكذا أبطل علماؤنا القول بسريان الخطيئة إلى ذرية آدم . من خلال النصوص الصريحة في الكتب المقدسة وبشهادة العقلاء من أبناء النصرانية .

---

٩٠ ، وعقائد النصارى الموحدين ، حسني يوسف الأطير ص ٣٣ - ٣٤ .

(١) المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٣٩ ، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شلهين ، ص ٢٧٠ .

(٢) انظر : القرآن الكريم والكتاب المقدس ، أيهما كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ١٩٨ .

(٣) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٩٩ .

المطلب الثاني : مبررات صلب المسيح

ويقول النصارى : إن الله أراد برحمته أن يخلص الأرض من اللعنة التي أصابتها بسبب معصية آدم ، لكن عدله يأبى إلا أن يعاقب أصحاب الذنب ، فكيف المخرج للتوفيق بين العدل والرحمة ؟

يلخص أوغسطينوس المسألة بأن الله رحيم ولا يريد أن يغير قوانين المحكمة ، وفيها أن الموت عقوبة عادلة لهذه الخطيئة الأصلية فاتخذ حيلة ينجي بها عباده، فيموتون ثم يحيون من جديد ، فتعود إليهم حريتهم بعد حياتهم الجديدة .

ولما كانت إماتة الناس جميعا تتعارض مع قانون الطبيعة وسنن الكون ، فكان لابد من شخص معصوم من الذنب الأصلي يعاقبه الله بموته ، ثم يبعثه ، فيكون موته بمثابة موت البشرية وعقوبتها ، وقد اختار الله ابنه لهذه المهمة .[1]

ويقول القس لبيب ميخائيل : " إن الله الرحيم هو أيضا إله عادل ، وأن الله المحب هو أيضا إله قدوس يكره الخطيئة ، وإذا تركزت هذه الصورة في أذهاننا .... سندرك على الفور أن صفات الله الأدبية الكاملة لايمكن أن تسمح بغفران الخطية دون أن تنال قصاصها ... فإن الصليب يبدو أمامنا ضرورة حتمية للتوفيق بين عدل الله ورحمته " .

ويؤكد هذه المعاني عوض سمعان في كتابه " فلسفة الغفران " بقوله : " لو كان في الجائز أن تقل عدالة الله وقداسته عن رحمته ومحبته اللتين لاحد لهما فإن من مستلزمات الكمال الذي يتصف به ، ألا يتساهل في شيء من مطالب عدالته وقداسته ، وبما أنه لايستطيع سواه إيفاء مطالب هذه وتلك ، إذن لاسبيل للخلاص من الخطيئة ونتائجها إلا بقيامه بافتدائنا بنفسه ".[2]

فالمسيح المتأنس غير مولود من الخطيئة ، ومسار لقيمة جميع الناس، فكان الفدية التي اصطلح فيها الله مع الإنسانية .[3]

ويقول حبيب جرجس في كتابه "خلاصة الأصول الإيمانية":" ولما فسد الجنس البشري ، وصار الناس مستعبدين للخطيئة ، وأبناء للمعصية والغضب لم يتركهم الله يهلكون بإنغماسهم فيها ، بل شاء بمجرد رحمته

---

(١) انظر : ما هي النصرانية محمد تقي العثماني ص ٨٤ - ٨٥ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٥٩ .

(٢) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص ١٤٢ - ١٤٤ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٢٦ - ١٣٧ .

(٣) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ . المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ١٥٧-١٥٨ .

أن ينقذنا من الهلاك بواسطة فاد يفدينا من حكم الموت ، وهذا الفادي ليس إنسانا ولا ملاكا ولاخليقة أخرى ، بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى أبد الآبدين " .[1]

ويؤكد القس جولد ساك على أهمية القصاص فيقول " لابد أن يكون واضحا وضوح الشمس في ضحاها لأي إنسان بأن الله لايمكنه أن ينقض ناموسه،لأنه إذا فعل ذلك من الذي يدعوه عادلا ومنصفا " .[2]

إذن لابد من العقوبة حتى تحصل المغفرة . وفي ذلك يقول بولس " وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم ، وبدون سفك دم لاتحصل مغفرة " (عبرانيين ٩/٢٢) .

ويقول " لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم ، وفي أرواحكم التي هي لله " (كورنثوس (١) ٦/٢٠) ويقول " أجرة الخطية هي موت " (رومية ٦/٢٣) .

ويقول " لأنه وإن كنا ونحن أعداء فقد صولحنا مع الله بموت ابنه " (رومية ٥/١٠) .

ويقول بطرس : " عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى : بفضة أو ذهب ، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء ، بل بدم كريم كما من حمل بلاعيب ، ولا دنس دم : المسيح " (بطرس (١) ١/١٨ - ١٩) ويعتبر النصارى فداء المسيح للبشرية العمل الحقيقي للمسيح والذي من أجله تجسد وتأنس ،يقول الأنبا أثناسيوس " فالمسيح هو الله غير المنظور ، وقد صار منظورا ، ولماذا صار منظورا ، لينجز مهمة الفداء والخلاص ، التي ما كان يمكن لغير الله أن يقوم بها ، فالله قد تجسد في المسيح من أجل الفداء والخلاص ، فالفداء كان هو الغاية ، والتجسد كان هو الوسيلة " .[3]

---

(١) أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ص ٧٣ .

(٢) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١١ .

(٣) اللقاء بين الإسلام والنصرانية ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٣٥ .

نقد علمائنا لمبررات الصلب

ويرى علماؤنا في هذا الفكر النصراني انحرافا وتجافيا عن المعقول والمنقول فإن فيه إساءة أدب مع الله وكفرا به كان ينبغي أن يترهه النصارى عنه فقولهم بتناقض العدل مع الرحمة قرونا حتى جاء الحل بصلب المسيح رحمه من الرب بالعالمين .

وتظهر العقيدة النصرانية الله عز وجل عاجزا عن العفو عن آدم وذنبه حائرا في الطريقة التي ينبغي أن يعاقبه بها بعد أن قرر عقوبته ويظهر قرار العقوبة وكأنه قرار متسرع يبحث له عن مخرج وقد امتد البحث عن هذا المخرج قرونا عديدة، ثم اهتدى إليه فكان المخرج الوحيد هو ظلم المسيح وتعذيبه على الصليب كفارة عن ذنب لم يرتكبه ، ويشبه النصارى إلههم وقتذاك بصورة مستقذرة بصورة المرابي وهو يريد عوضا على كل شيء ، ونسى هؤلاء أن الله حين يعاقب لايعاقب للمعاوضة أو لإرضاء نفسه ، بل لكبح الشر وتطهير الذنب وعليه فإن جهنم أشبهت مستشفى للمرضى بالأضغان والأحقاد والنفاق إلى غير ذلك من كبائر الآثام .[1]

التوبة

فلئن كان ثمة تنازع بين الرحمة والعدل- كما يزعم النصارى - فإن ثمة مخارج كثيرة أولى من صلب المسيح، ومنها التوبة التي ذكرها الله في القرآن أن آدم صنعها وهي باب عظيم من أبواب فضل الله جعله للخاطئين .

التوبة تغسل الذنب وتنقي القلب ، فيكون الخاطئ التائب حبيبا إلى الله، فلم لايقول النصارى بأن آدم تاب وقبلت توبته ، لم يصرون على القصاص ،ويصرون أنه " بدون سفك دم لاتحصل مغفرة " (عبرانيين ٩/٢٢) لقد تحدثت نصوص التوراة والإنجيل بإسهاب عن التوبة وقصصها .

فهاهو المسيح يجلس مع العشارين والخطاة فيتذمر الفريسيون والكتبة لذلك قائلين " هذا يقبل خطاة ويأكل معهم " (لوقا ١٥/٢) فأراهم المسيح حرصه على التوبة وفرحة الله بالتائب " وكلمهم بهذا المثل قائلا : أي إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحدا منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده ، وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحا ويأتي إلى بيته ، ويدعو الأصدقاء والجيران قائلا لهم: افرحوا معي، لأني وجدت خروفي الضال .

أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب ... " (لوقا ١٥/٣-٧) .

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٧ - ١٨ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٦٢ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٤ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٣٨ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٢٠ .

كما ضرب لهم مثلين آخرين بالابن الضال والدرهم الضائع (انظر لوقا ١٥/٨ - ٣٢)[١] فلقد وعد الله التائبين بالقبول ففي حزقيال " فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها ، وحفظ كل فرائضي وفعل حقا وعدلا ، فحياة يحيا ، لايموت ، كل معاصيه التي فعلها لاتذكر عليه ، بره الذي عمل يحيا ، هل مسرة أسر بموت الشرير .[٢]

ويقول المسيح مخاطبا اليهود مذكرا إياهم بأهمية التوبة " يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ، فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ،ولاتفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا " (متى ٣/٧ -٩) فالتوبة هي الطريق وليس النسب كما ليس الفداء .[٣]

ولكن ورغم هذا كله يقول عوض سمعان " فالتوبة مهما كان شأنها ليست بكافية للصفح عما مضى من خطايانا " .[٤]

إذا لماذا أكدت النبوات عليها وعلى فضلها ومحبة الله لها ،و لم أغلق هذا الباب في وجه آدم ، وهو أولى الناس به لمعرفته بالله العظيم وجزاءه ورحمته ، إضافة إلى شعوره بالذنب وأثره الجم عليه وهذا الذي ذكره الله عنه ﴿ فعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [٥]

العفو والغفران :

ثم إنه ثمة مخرج آخر ألا وهو العفو ،فهو لايتناقض مع العدل " إذ لن يسأل أحد ربه لماذا عفا عمن عفا عنه من المسيئين ؟

وقبل أن نتحدث عن العفو نقف مع ملاحظة محمد توفيق أفندي حيث لاحظ أن لمصطلح العدل عند النصارى مفهوم خاطئ ،فالعدل هو " عدم نقص شيء من أجر المحسنين ، وعدم الزيادة في عقاب المسيء عما يستحق ، فهو توفية الناس حقهم بلا نقص في الأجر ، ولا زيادة في العقاب " .[٦]

وعليه فإخلاف الوعيد لايتعارض مع العدل ،بل هو كرم الله الذي منحه للمسيئين بعفوه وغفرانه .

والعفو من الصفات الإلهية التي اتصف بها الرب وطلبها في عباده وهو أولى بها ، فقد علم المسيح تلاميذه خلق العفو ، وضرب لهم مثلا قصة العبد المديون والمدين (انظر متى ١٨/٢٣ - ٣٤) وكان بطرس

---

(١) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١١ - ١١٢ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ص ٢/٢٤١ .

(٢) ماهي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ٩٠ .

(٣) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٢ .

(٤) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شاهين ، ص ١٤٠ .

(٥) سورة طه ، آية : ١٢١-١٢٢.

(٦) انظر : دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ١١ - ١٢ .

قد سأل المسيح " يارب كم مرة يخطئ إلى أخي وأنا أغفر له ؟ هل إلى سبع مرات ؟ قال له يسوع : بل إلى سبعين مرة " (متى ١٨/٢١ - ٢٢) .[١]

ومرة أخرى قال لهم " أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات ، فإنه تشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين " (متى ٥/٤٤ - ٤٥) [٢] و لم لايكون العفو بصك غفران يمنحه الله لآدم ، ويجنب المسيح ويلات الصلب وآلامه ، أو يجعل للمسيح فدية عن الصلب كما جعل لإبراهيم فدية فدى بها ابنه إسماعيل .[٣]

وكذا فإن إصرار النصارى على أنه لاتكون مغفرة إلا بسفك دم (انظر عبرانيين ٩/٢٢) ترده نصوص أخرى منها ماجاء في متى " إني أريد رحمة لاذبيحة ، لأني لم آت لأدعو أبرارا ، بل خطاة إلى التوبة " (متى ٩/١٣) ، وفي التوراة أن الله قال لبني إسرائيل " بغضت ، كرهت أعيادكم ، ولست ألتذ باعتكافاتكم ، إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي ، وذبائح السلامة من سمناتكم لا ألتفت إليها " (عاموس ٥/٢١ - ٢٢) فليست الذبيحة الوسيلة الأقرب لرضوان الله ، بل أفضل منها العمل الصالح . [٤]

لكن النصارى يمنعون أن يكون هناك عفو عن آدم وأبنائه ، بل لابد من العقوبة المستحقة لهم .

العقوبة الحتمية :

وقد ذكر سفر التكوين أن الله توعد آدم بالموت إن هو أكل من الشجرة ثم بعد الموت عاقبه بقوله : " ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكا وحسكا تنبت لك ، وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزا ، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود " فطرد آدم من الجنة ليعيش في الأرض ويكد فيها وكذلك فإن زوجه عوقبت " تكثيرا أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولادا ، وإلى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك " (التكوين ٣/١٦-١٩).

ويلحظ الخطيب أن آدم أوعد بعقوبة الموت ، لكنه بدلا عن أن يموت وزوجه جزاء خطيئتهما وتنطفىء الفتنة والفساد والشر في المهد ، بدلا من ذلك كثر نسلهما ، فكان ذلك حياة لهما لاموتا ، وكان

---

(١) رحلة في أرجاء الكتاب المقدس ، مديحة خميس ، ص ١٩ .

(٢) انظر : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٣٣ .

(٣) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٤ ، ١٥٢ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٧٥ .

(٤) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٠٦ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٠٧ ، ١٠٩ ، اختلاف في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ص ٩٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٤٩ .

سببا في زيادة الشر والفساد .

لكن آدم عوقب بالموت حقيقة عندما أنزل من دار الخلود إلى دار الفناء التي من الأحكام التي تجـــري على أهلها الكد والتعب ثم الموت .

وليس في تناسل آدم ما يصرف تحقق الموت فيه ، فتلك حياة مجازية له ، وقد مات موتا حقيقيا .

لقد عوقب آدم وحواء إذا ، ويرى أصحاب الردود الإسلامية في العقوبة شدة متمثلة في لعـــن الأرض كلها والأتعاب الطويلة للرجال والنساء ، ويلحظ بكر التميمي وهاشم جودة وغيرهما أن ليس ثمة تناسب بين الذنب والعقوبة فقد كان يكفيهم الإخراج من الجنة .

ويعجب علماؤنا من إصرار النصارى بعد هذه العقوبات على أن الذنب مستمر ، وأنه لابد من فـــاد بعد هذه العقوبات .[1]

وعجبوا لنسبة النصارى الغائلة لله عز وجل والغضب المتواصل بسبب ذنب آدم طوال قرون عـــدة ، وكيف جهل الأنبياء ذلك فلم يذكروه في كتبهم كما لم يذكره المسيح و لم يعرفه تلاميذه من بعده حتى جـاء به بولس وآباء الكنيسة فكشفوا ما غاب وستر .[2]

وقد بقيت هذه القصاصات من لدن آدم حتى جاء المسيح الفادي – ثم مـاذا ؟ هـل رفعـت هـذه العقوبات بموت المسيح ، هل رفعت عن المؤمنين فقط أم أن شيئا لم يتغير ؟ وهذا هو الصحيح فما زال النـاس يموتون من لدن المسيح ، يموت أبرارهم وفجارهم فلم يبطل حكم الموت فيهم كما ذكر بولـس " مخلصنـا يسوع الذي أبطل الموت ، وأنار الحياة والخلود " (تيموثاوس (٢) ١/١٠) " بإنسان واحد دخلت الخطيـة إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " (رومية ٥/١٢) .

فالمسيح لم يبطل بصلبه ولابدعوته أي موت سواء كان موتا حقيقيا أو موتا مجازيا إذ مازال النـاس في الخطيئة يتسربلون .

وأما الموت الحقيقي فليس في باب العقوبة في شيء ، بل هو أمر قد كتب على بني آدم برهم وفاجرهم على السواء ، قبل المسيح وبعده وإلى قيام الساعة .[3] كما كتب الموت على الحيوان والنبـات فمـا بـالهم

---

(١) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي،مطبعة المحروسة،مصر،١٣١٣هـ ، ص ١٤١ – ١٤٢ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٢٤٨ – ٢٤٩ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشـم جودة ، ص ٢٢٤ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٢٣ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيـم محمـد ، ص ٢٤١/٢ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٦٦ .

(٢) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة ١٥ب ، الإنجيل والصليـب ، عبد الأحد داود ، ص ىىىى، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٢٣ .

(٣) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٠٠ ، ٢٥٥ ، ٣٤٩ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشـيد رضا ، ص ٨٦ .

يموتون؟ وهل موتهم لخطأ جدهم وأصلهم الأول أم ماذا ؟! [1]

ثم أن هناك من لا يملك النصارى دليلاً على موتهم فنجوا من الموت من غير فداء المسيح ، وذلك متمثل في أخنوخ وإيليا اللذين رفعا إلى السماء وهم أحياء كما في الأسفار المقدسة (انظر تكوين ٢٤/٥ ، وملوك (٢) ١١/٢ ، وعبرانيين ٥/١١) وعليه يؤكد علاء أبو بكر ، بأن ليس ثمة علاقة بين الموت وخطيئة آدم .[2]

وكذلك فإن القصاصات الأخرى ما تزال قائمة فما زال الرجال يكدون ويتعبون ، وما تزال النساء تتوجع في الولادة .... ويستوي في ذلك النصارى وغيرهم .[3]

ويقول النصارى بأن بقاء هذه الأمور لم يعد من باب العقوبة فقد افتدانا المسيح من لعنة الموت مثلاً وليس من الموت وكذلك بقية العقوبات ، ولكن هذا يرد عليه هرب المسيح من الموت وطلبه للنجاة . فمم كان يفر إذن.[4]

من الفادي ؟

ورغم هذه العقوبات فإن النصارى يقولون بلزوم الفداء والقصاص، فلم لايكون القصاص في آدم وحواء فيحييهما الله ويصلبهما ، أو يصلب بدلاً منهما شيطاناً أو سوى ذلك فإن ذلك، أعدل من صلب المسيح البريء.[5]

يجيب النصارى بأنه لابد في الكفارة أن تكون شيئاً يعدل البشر جميعاً من غير أن يحمل خطيئتهم الموروثة ، وهذه الشروط لاتتوافر في آدم وغيره ،بل هي لا تتوفر إلا في المسيح الذي تجسد وتأنس من أجل هذه المهمة العظيمة فكان أوان خلاصنا ورحمة الله بنا كما قال لوقا " لأن ابن الإنسان قد جاء ، لكي يصلب ويخلص ما قد هلك " (لوقا ١٠/١٩) و " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، كلي لايهلك كل من يؤمن، بل تكون له الحياة الأبدية ، ولأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص " (يوحنا ١٦/٣ - ١٧) .

---

(١) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩٥ ،تعدد نساء الأنبياء،ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ١٩٠.

(٢) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٠٦ ، ٣٤٩ .

(٣) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٨٦ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ١١٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٤٩ .

(٤) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة رقم ١٤ب - ١٥ب .

(٥) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ، ص ١٢٤ ،الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٩٤ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ١٤٧ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٠ .

لكن علماءنا أدركوا بأن شرط النصارى لم يتحقق حتى بالمسيح رغم أنه وضع له ،فالمسيح عندهم جسد أرضي ويكتنفه حلول إلهي ، وهم حين يقولون بالصلب فإن أحدا منهم لايقول بصلب الإله ، لكن بصلب الناسوت، وناسوت المسيح جاءه من مريم التي هي أيضا حاملة للخطيئة ، فالمسيح بجسده الفادي الحامل للخطيئة وراثة لايصلح أن يكون فاديا ، فإن زعمت النصارى بان مريم قد تطهرت من خطيئتها بوسيلة ما من غير حاجة للفداء ، فلم لايطهر جميع الناس بهذه الوسيلة ![1]

وإن قال النصارى بأن المسيح طهر بالتعميد الذي عمده يوحنا المعمدان وعمره ثلاثون سنة ، فقد قالوا بحلول الإله في جسد خاطئ ، ويلزمهم أيضا أن يجوز طهارة كل أحد بالتعميد من غير حاجة لخلاص وفداء .[2]

وعلى كل فالمصلوب هو ابن الإنسان ، وليس ابن الله ، فيتساءل هنا عبد الأحد داود و لم لم يترل الابن مباشرة ليفدي الناس من غير اتحاد وطفولة واختلاط بأمشاج مريم ..... [3]

وتكاد تجمع الردود الإسلامية على أن صلب المسيح البريء نيابة عن المذنب آدم وأبنائه حاملي الإثم ووارثيه نوع من الظلم لاتقره الشرائع باختلاف أنواعها وكما يقول عبد الودود شلبي : لو عرضت قضية المسيح على أي محكمة بشرية لصدر في دقيقتين حكم ببراءته . فكيف رضي النصارى أن ينسبوا الله عز وجل أن يرضى عن مثل هذا الظلم فيصلب البريء بذنب المذنب ، وهو قادر على العفو والمغفرة .[4]

ويجيب النصارى بأن ليس في الأمر ظلم ، وذلك أن المسيح تطوع بالقيام بهذه المهمة ، بل إن نزول لاهوته من السماء وتأنسه كان لتحقيق هذه المهمة العظيمة المتمثلة بخلاص الناس من الإثم والخطيئة وهذا القول مردود من وجوه عدة .

- منها أن المسيح لايحق له أن يرضى عن مثل هذا الصنيع فهذا يعتبره أحمد شلبي وهاشم جودة من الانتحار لا الفداء . فقاطع يده مذنب مع أن ذلك برضاه .

---

(١) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ، ص ١٢٤-١٢٥ ، ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ، ص ٨٩ ، الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص١٢٤/١٢٧ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٤٣٣ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٤ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٤٢ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٢٤ .

(٢) انظر : اللقاء بين الإسلام والنصرانية ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٦٣ .

(٣) انظر : الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٤٢ .

(٤) انظر : حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٠ ، ماهي النصرانية ، محمد تقي العثملني ص ٩٠ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٩ ، ٨٧ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١١ - ١١٢ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٢٤٨ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٣٢ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ،قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢٤٠/٢ .

- ومنها أن المسيح صدرت منه تصرفات كثيرة تدل على هروبه وكراهيته للموت ، ولو كان قد جاء لهذه المهمة فلم هرب منها مرارا ، وصدر عنه طبيعة ما يشعر بجهله بهذه المهمة .

فقد هرب المسيح من طالبيه مرارا (انظر يوحنا ٥٣/١١) ولما رأى إصرارهم على قتله قال " بل ينبغي أن أسير اليوم وما يليه ، لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجا عن أورشليم " (لوقا ٣٣/١٣) ، ولما أحس بالمؤامرة أمر تلاميذه أن يشتروا سيوفا ليدفعوا بها عنه (انظر لوقا ٣٦/٢٢ - ٣٨) ثم هرب إلى البستان وصلى طويلا وحزن واكتئب وتصبب عرقه وهو يطلب من الله " إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس " (متى ٣٩/٢٦)، ثم لما وضع على الصليب صرخ " إيلي ايلي لما شبقتني ،أي: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ " (متى ٤٦/٢٧).[1]

والنص الأخير اعتبرته دراسة صموئيل ريماروس (ت ١٧٧٨م) حجة أساس في نتائجه التي توصل إليها بعد دراسته الموسعة فاعتبره دالا على أن المسيح لم يخطر بباله أنه سيصلب خلافا لما تقوله الأناجيل .[2]

- ومنها أن المسيح لم يخبر عن هذه المهمة أحدا من تلاميذه ، وأن أحدا منهم لم يعرف شيئا عن ذلك ، كما لم تخبر به النبوات على جلالة الحدث وأهميته ، ثم إنه قال قبيل الصلب والفداء المفترض " أنا مجدتك على الأرض ، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته " (يوحنا ٥/١٧) [3]

لم أرسل المسيح ؟

وأما اعتبار مهمة المسيح المتجسد الصلب ليحصل الفداء والخلاص الذي قاله يوحنا " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لايهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يوحنا ١٦/٣) .

وهو " الذي لم يشفق على ابنه ، بل بذله لأجلنا أجمعين " (رومية ٣٢/٨) .

---

(١) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ، ص ١٢٠، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٦٣ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٣٩ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٥٦ ، ١٠٨ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٤ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٢ - ٣٣ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩٩ ،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٨، تعدد نساء الأنبياء،ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٠٦-٢٠٧، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ٣٠ - ٣٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٠٩، ٣١٢ - ٣١٦ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٢٠ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٣ .

(٢) انظر : منهجية جمع السنة و الأناجيل ، عزية طه ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠

(٣) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٥٦ ،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٧، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١١ .

فيرى محمد حسن عبد الرحمن أن نص يوحنا قول مهم في بيان مهمة المسيح لكن أحدا لم يذكره غير يوحنا فإما أن يكون من عنده كذبا وزورا ، وإما أن نقول بان الإنجيليين الثلاثة فرطوا أيما تفريط ، فتخرم الثقة بهم ، وإما أن تكون الفقرة رأيا ليوحنا وأتباعه ولا تصح عقيدة .

ويكذب هذا النص المهمات التي أطبقت على ذكرها الأناجيل فمن لدن بعثته ذكر مهمة تذكير الناس بالقيامة والحساب " قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل (مرقس ١/١٤) واستمر في دعوته قائلا .."إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله ، لأني لهذا قد أرسلت " (لوقا ٤/٤٣) .

ومن مهماته إتمام الناموس ، لذا تجده يقول " لاتظنوا أني أتيت لأنقض الناموس ، أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض ، بل لأكمل " (متى ٥/١٧) وأعظم مهماته عليه السلام الدعوة لتوحيد الله " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته . أنا مجدتك على الأرض ، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته " (متى ١٧/٣ - ٤) .[١]

ويضيف منصور حسين بأن هذا النص معارض بسؤاله الله أن يجيز عنه كأس الصلب .... فلو كانت تلك مهمته لما جاز سؤاله بإجازة الكأس عنه .[٢]

وأما نص بولس فهو لايشعر برضا المسيح ، بل ناطق بظلم لايصح أن ينسب لله ، ويرد عليه ما يرد على نص يوحنا .

ويزعم نص يوحنا أن محبة الله للبشرية هي سبب صلب المسيح فداء عن العالمين .

فيتساءل محمد توفيق أفندي عن محبة المسيح الذي لم يشفق عليه ، وأسلم لأشنع قتلة وإهانة . أفما كان له نصيب في هذا الحب ؟

ويعجب هاشم جودة لإصرار النصارى على الحب الممزوج بالدماء .[٣]

والقول بصلب المسيح محبة لا قصاصا هروب من القول السابق الذي يريد التوفيق بين تناقض العدل والرحمة ، يقول روي ويكون سميث في كتابه " ضوء جديد على البعث " : " لايوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد أن الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد إلى هذه البشرية التي لاتساوي في مجموعها منذ بدء الخلق إلى نهايته كوكبا من الكواكب المتناهية في الصغر ، لكي يعاني موتا وحشيا على الصليب لترضية النقمة الإلهية على البشر ، ولكي يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل

---

(١) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، ١١٦ - ١١٩ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٠٣ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٤٧٣ .

(٣) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٨ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٥ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٦٥ .

الهمجي ألا وهو الفداء الذي لايستسيغه عقل ... "

إذن لماذا تجسد الإله ؟ " نقول إن الله العالم بما سيكون ، سمح بتضحية رسوله ، لا ليغفر للبشرية جرائمها ، بل لتكون هذه الحادثة سببا في انتشار الإنجيل " .(١)

ولقد كان سميث صادقا مع نفسه حين لحظ ما لايقبل العقل تغييبه بينما كان لرتشارد هوكر (١٥٨٥م) موقف آخر حين قال " فليحسبه البعض جهالة أو جنونا أو ثورة غضب ... أو مهما كان فإنا نحسبه حكمة وتعزية " .(٢)

وفي هروب آخر من القول بسذاجة صلب المسيح كفارة عن الخطايا يقول القس بولس سباط " لم يكن تجسد الكلمة ضروريا لإنقاذ البشر ، ولا يتصور ذلك مع القدرة الإلهية الفائقة الطبيعة ... إن الله على وفرة ماله من الذرائع إلى فداء النوع البشري وإنقاذه من الهلاك الذي نتج عن الخطيئة ومعصية أمره الإلهي قد شاء أن يكون الفداء بأعز ما لديه ، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعا " .

وإضافة إلى ما في هذا القول من إساءة أدب مع الله ونسبة العجز له عن بلوغ الغاية إلا بعد مرور قرون عدة ، وعن طريق أصعب الطرق وأوعرها . فإن شلبي يقول ليس من الحكمة في شيء أن نفتدي بدينار ما نستطيع أن نفتديه بفلس ، وعن مثل هذا العبث يتعالى الله .(٣)

ثم إن كان خطأ آدم قد احتاج لتجسد إله وصلبه من أجل أن يغفر ،فكم تحتاج معاصي بنيه من آلهة تصلب ؟ إن جريمة قتل المسيح التي يدعيها النصارى أعظم وأكبر من معصية آدم ، وأعظم منها ما نسبه القوم لأنبيائهم من القبائح التي لاتصدر إلا عن حثالة البشر .(٤)

يقول فولتير: " إذا كانت المسيحية تعتبرنا خطاة حتى قبل أن نولد ، وتجعل من خطيئة آدم سجنا للبريء والمذنب.فما ذنب المسيح كي يصلب أو يقتل ؟ وكيف يتم الخلاص من خطيئة بارتكاب خطيئة أكبر ؟ " .(٥)

ويتساءل الأفندي لم كان طريق الخلاص عبر إهلاك اليهود وتسليط الشيطان عليهم وإغراء العداوة بين اليهود والنصارى قرونا طويلة . إن الحكمة تفرض أن يكون الفداء بأن يطلب المسيح من تلاميذه أن يقتلوه ،

---

(١) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) انظر : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٧٦ .

(٣) انظر : المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٤٠ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٤٩ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٤٧ - ١٥١ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢١ - ١٢٢ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٠٠ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٧٥ .

(٥) انظر : حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٣ .

ويجنب اليهود معثرة الشيطان ، ويقع الفداء .[1]

و لم كان الصلب هو طريق الفداء لا الموت على الفراش بالمرض وغيره من غير هذه الضوضاء.

يجيب إبراهيم ميخائيل في كتابه " قضية الصليب " : " لم يكن لائقا أن يرقد الرب على فراش المرض، وهو الذي شفى أمراض الآخرين ، و لم يكن لائقا أن تنحل قوة ذلك الجسد الذي قوى ضعفات الآخرين " وهنا يتساءل الخطيب : وهل موت المسيح على الصليب بعد الضرب والنكال لائق بالرب ، والموت على الفراش لا يليق ؟ ثم إن هناك مخرجا أفضل من الميتتين: أن يموت المسيح كفارة عن الخطايا بنوبة قلبية فكثير من الناس يموت بذلك وهم في كامل صحتهم وقوتهم .[2]

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٧٦ - ٧٧ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٤٢.

(٢) انظر : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٨٥ .

المطلب الثالث : عقيدة الخلاص

لمن الخلاص ؟

وتبقى في ذمة النصارى أسئلة تحير الإجابة عنها إن كان من إجابة .

منها : لماذا تأخر صلب المسيح طوال هذه القرون ؟ هل كان ثمة حيرة في البحث عن الحل فكان سببا في التأخير . لماذا لم يصلب المسيح بعد ذنب آدم مباشرة ؟ أو لماذا لم يتأخر الصلب إلى نهاية الدنيا بعد أن يذنب جميع الناس ليكون الصلب تكفيرا لذنوب هؤلاء جميعا .(١)

ثم ماهو مصير أولئك الذين ماتوا قبل الصلب ، ماتوا وقد تسربلوا بالخطيئة أين كان مصيرهم إلى أن جاء المسيح فخلصهم ؟ لماذا تأخر خلاصهم .(٢)

والسؤال الأهم : من الذين يشملهم الخلاص ؟ هل هو لكل الناس أم للمؤمنين فقط ؟ وهل هو خلاص من جميع الخطايا أم من خطيئة آدم ؟

لعل الإجابة عن هذين السؤالين من أصعب النقاط التي تواجه الفكر المسيحي ،وينقل الخولي عن الكنيسة أنها تقول " آمنوا بأن المسيح صلب لخلاصكم فتخلصون ، لأن صلبه فداء لكل خطايا البشر وتكفير لها " .(٣)

ويقول أوغسطينوس بأن الإنسان وارث للخطيئة غير مفدي إلا إذا آمن بالمسيح ، ودلالة الإيمان التعميد ، فمن عمد فدي ونجا ، ومن لم يعمد لاينجو ولو كان طفلا ، فإن الأطفال الذين ماتوا قبل التعميد يقول عنهم أكونياس " سوف لايتمتعون برؤية ملكوت الرب " .

ولاندري كيف يبرر أوغسطينوس تعذيب هؤلاء الأطفال وحرمانهم من الملكوت ، لابذنب أذنبوه ، بل خطيئة أورثوها من غير حول منهم ولا قوة ، ثم قصر آباءهم فلم يعمدوهم .

وأما الذين ماتوا قبل المسيح فإن أوغسطينوس يرى بأنهم أيضا لا ينجون إلا بالإيمان بالمسيح .(٤)

و لم يبين أوغسطينوس كيف يتسنى لهؤلاء الإيمان بالمسيح وقد ماتوا ، ولعله أراد ما قاله بطرس عن أن

---

(١) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٥ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٤١ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٢٤٩ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٤ ، الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، ص ٢١١ .

(٢) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة رقم ١٥ب ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ١١٨ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٥ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٩٩ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٩٧ .

(٤) انظر : ماهي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ٨٦-٨٧ .

المسيح " ذهب فكرز للأرواح التي في السجن ، إذ عصت قديما ، حين كانت أناة الله تنتظر مـــرة في أيـام نوح ..." (بطرس (١) ١٩/٣) ومراده ما يقوله النصارى بدخول المسيح إلى الجحيـــم وإخراجـه أرواح الناجين من الجحيم .

نصوص الخلاص

وتختلف النصوص الإنجيلية في حدود الخلاص الذي حصل بسبب المسيح هل هو عام لكل البشـــر أم خاص بالمؤمنين بقيامة المسيح ؟ أم بالمؤمنين بأن المسيح ابن الله ؟

وهل هو عن ذنب آدم فقط أم عن جميع الذنوب التي سبقت صلب المسيح ؟ أم عن الذنـــوب الـتي يرتكبها العبد بعد التعميد ؟ أم لجميع الذنوب حاضرها ومستقبلها ؟ لتوضيح هذا التخبط نعرض نماذج لهـذه النصوص، يقول بولس عن المسيح " هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون - إذ صار مـــوت لفـداء التعديات التي في العهد الأول - ينالون وعد الميراث الأبدي " (عبرانيين ١٥/٩) فجعل بولس الخلاص إنمـا هو من ذنب آدم فقط .

ولكنه في موضع آخر يجعل الخلاص أوسع من ذلك " المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمـــه ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله ، لإظهار بره في الزمن الحاضر ليكـــون بـارا ، ويبرر من هو من الإيمان بيسوع " (روميه ٢٤/٣-٢٥) فقد جعل الخلاص خاصا بالخطايا التي سبقت المسيح ، وشرطه بالإيمان بالمسيح . ومثله ما جاء في مرقس " من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن " (مرقس ١٦/١٦) .

وفي موضع آخر يجعل بولس الخلاص للجميع ، لجميع البشر ،فيقول عن المسيح " بذله لأجلنا أجمعين " (رومية ٣٢/٨) ويوضحه قول يوحنا " يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقـــط ، بل لخطايا كل العالم أيضا " (يوحنا (١) ٢/٢) وقوله " نشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصـــا للعـالم " (يوحنا ١٤/٤) فجعل الخلاص عاما لكل الخطايا ولكل البشر مخالفا قول بطرس " كل من يؤمن به ينـــال باسمه غفران الخطايا " (أعمال ٤٣/١٠) فقد قيد الخلاص بالمؤمنين به.

فيما جعل بولس في مكان آخر الخلاص على درجات يتفاوت فيها حتى المؤمنون به يقول : " قـوة الله للخلاص لكل من يؤمن ، لليهودي أولا ، ثم لليوناني " (رومية ١٦/١) ويشترط بولس للخلاص الإيمـــان بأبوة الله للمسيح ، ويضيف شرطا آخر هو الاعتراف القلبي بقيامة المسيح من الأموات فيقول " إن اعـترفت بفمك بالرب يسوع ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت " (رومية ٩/١٠).

الخلاص عند الكاثوليك والأرثوذكس :

وتبعاً لهذه التناقضات اختلف النصارى في تحديد الذنوب والعباد الذين يشملهم الخلاص فأوغسطينوس مثلا يرى أن الخلاص لايشمل جميع الذنوب إنما يشمل الخطيئة الأصلية ، وبعد الفداء عادت للبشرية حريتها وإرادتها التي سلبتها بذنب آدم ، فإذا ما أتى المتعمد ذنباً بعد معموديته فسيعود مستحقاً للعذاب الدائم إن كان الذنب كبيراً .

أما إن كان الذنب صغيراً فيكون عذابه في " المطهر "[1] الذي يعذب به المؤمنون ردحاً من الزمن حتى يخلصوا من القصاصات التي عليهم .[2]

ويبرز أحمد عبد الوهاب دليل الكاثوليك في هذه العقيدة وهو ما جاء في مرقس " كل واحد يملح بالنار ، وكل ذبيحة تملح بالملح " (مرقس ٤٩/٩) فهو عذاب يشمل كل مؤمن عليه قصاصات .[3]

صكوك الغفران :

وقد ظهرت بدعة صكوك الغفران كعلاج لعذاب المطهر في المجمع الثاني عشر المنعقد في روما سنة ١٢١٥م وقرر فيه أن " الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء " .

وقد استندت الكنيسة لهذا المعتقد لعدد من النصوص منها " أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات" (متى ١٨/١٦ - ١٩)

---

(١) يقول كتاب (مختصر التعليم المسيحي) الصادر عن الجمعية الكاثوليكية للمدارس المصرية

س - ما هو المطهر ؟

ج - المطهر هو عذاب تطهر فيه نفوس الأبرار قبل دخولها السماء .

س - من هم الذين يعذبون بالمطهر ؟

ج - الذين يعذبون بالمطهر هم الذين يموتون في النعمة إلا أنهم لا يخلون من الخطايا العرضية ، أو لم يوفوا بالتمام القصاصات الزمانية عن خطاياهم المميتة المغفورة .

س - هل عذاب المطهر شديد ؟

ج - إن عذاب المطهر هو أشد من كل عذاب مدة الحياة .

س - كم يدوم عذاب الأبرار في المطهر ؟

ج - إلى أن يوفوا تماماً ما عليهم من القصاصات .

انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) انظر ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ٨٧ - ٨٨ .

(٣) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٥٦ ، ومعنى النص أنه كما أن الملح يطيب الطعام عندما يوضع عليه فإن النار تطهر الإنسان وتطيبه من خطاياه .

ولما كانت الكنيسة تعتبر نفسها وارثة لبطرس ورثت أيضا هذا السلطان .

وأيضا يقول يوحنا إن المسيح قال لتلاميذه " من غفرتم للناس خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت " (يوحنا ٢٠/٢٣)

ويعلق دمشقية على هذا النص في تعليقه على " كتاب المسيح إنسان أم إله " بأنه لايجعل لعقيدة الخلاص بدم المسيح قيمة إذ تحول كل التلاميذ إلى مخلصين . وقوله ليس بصحيح إذ أن الكاثوليك يقولون بغفران الخطيئة الأصلية بالفداء، وقد تم هذا بصلب المسيح كما زعموا.

بينما النص هنا يتحدث عن الخطايا التي يحدثها الناس أيام حياتهم .

فقد ورثوا دور المسيح الوسيط الذي وصفه بولس " يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس : الإنسان يسوع المسيح " (تيموثاوس (١) ٢/٥) [١]

وقد ووجه قرار المجمع باحتجاجات طويلة من الذين رفضوا أن يكون قرار الغفران بيد رجال الكهنة الخاطئين . كيف لهؤلاء أن يمنحوا الخلاص والغفران ؟

وفي عام ١٨٦٩م صدر قرار يفيد عصمة البابا خروجا من هذه الاحتجاجات وغيرها، وقد تلى انتشار صكوك الغفران ما أسمته الكنيسة بالتعويض السري ويشرحه لنا " معجم اللاهوت الكاثوليكي " فيقول " الإنسان يخضع لهذه المراحل التطهيرية إذ يموت مبررا بالنعمة ، بمقدار ما تكون حالة العقاب (المستحق) لاتزال موجودة فيه ، و لم تزل بزوال الخطايا بالغفران يوم التبرير ، وبمقدار ما بالإمكان أن تزيل هذه الحالة عقوبات تعويضية ... فإذا لم نتم التعويض السري بعد أن نكون قد أكدنا إرادتنا كليا للتعويض يظل السر صحيحا ، إنما يجب أن نقوم بذلك التعويض محتملين نتائج الحقيقة الأليمة " .[٢]

إذا فالفداء عند الكاثوليك والأرثوذكس يتلخص بقول هنري أبو خاطر " هو تجسد الإله لتخليص البشرية من شوائب الخطيئة الأولى " .[٣]

ولولا فداء المسيح لهلك الجميع كما هلك السابقون للمسيح ومنهم الأنبياء الذين كما يقول بولس سلامة في كتابه " مع المسيح " كانوا في " أليمبس – أي جهنم – مقر لأرواح الصالحين الأبرار الذين أوصدت في وجههم أبواب السماء ، بسبب خطيئة آدم الأولى ، فلبثوا حتى مجيء آدم الثاني ، أي المسيح " .

ويقول عوض سمعان عن موسى عل يه السلام : " ومهما كانت عظمة موسى فإنه لولا نعمة المسيح له ، لكان قد هلك واستحق عقاباً أبدياً على خطيئته " .[٤]

---

(١) انظر : المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٣٩ – ١٤٠ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٥ – ٦٨ .

(٢)

(٣) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص ١٣٥ .

(٤) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص ١٤٦ .

الخلاص عند البروتستانت

أما البروتستانت فيرون الفداء أوسع من ذلك ، إذ يرونه يشمل كل الخطايا ، كما يشمل كل النـــاس مؤمنهم وكافرهم .

يقول جورد فورد في " نور العالم " : " العاقل يعلم أن شروط الخلاص والهلاك أجل وأعدل مـــن أن تكون مذهبية ، أو تتنوع باختلاف الشعوب والنحل " .[١]

ويقول أنيس شروش في مناظرته لديدات :" يسوع الناصري ، هو الذي حقق هذه النبوءة ، وذلـــك بالموت نيابة عن الخطاة ، كل الخطاة ، وليس فقط آدم وحواء " .[٢]

ويقول أيضا " الخلاص ليس للمسلمين ، ولا لليهود ، ولا للآخرين ، إنه لنا جميعا ، إن الله يحبنا ، لقد أصبح الله ابنا ، وأصبح الابن إنسانا ، وهكذا أصبحنا نحن كبشر أبناء الله " .[٣]

ويقول العالم البروتستانتي ترثون : " نحن نجتاز نحو مبدأ الكفارة ، تلك هي أن المسيح قد أصبح إلى حد ما بمعنى الفداء عن الخطيئة ، ومن ثم فقد صالح الله الأب الإنسان الخاطئ ، " لأنه إن كنا ونحن أعداء ، فقـــد صولحنا مع الله بموت ابنه " (رومية ٥/١٠) .[٤]

---

(١) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شاهين ، ص ١٤٩ .

(٢) انظر : القرآن الكريم والكتاب المقدس ، أيهما كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ١٧٧ .

(٣) مناظرة العصر ، ترجمة علي الجوهري ص ٨٤ .

(٤) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص١١٤ ، السيف الصقيل في الرد على رســـالة البرهـــان الجليل ، بكر التميمي ، ص ١١٢ .

نقض عقيدة الخلاص

وقد حار علماؤنا في فهم هذه النصوص المتناقضة ، كما حاروا في فهم ما يريده النصارى من الغفران ، هل الغفران خاص بالنصارى أم أنه عام لكل البشر ، وهل هو خاص بذنب آدم الموروث أم أنه عام في جميع الخطايا؟[1] وسجلوا على فكرة الفداء ملاحظات ندرسها في الموضوعات التالية :

نشأة فكرة الفداء في النصرانية :

إن فكرة بدعة بولسية لم يقلها المسيح ، و لم يعرفها الحواريون ، فنصوص الأناجيل التي تحدثت عن الفداء نصوص لايفهم منها خالي الذهن تلك العقيدة التي فهمها النصارى .

وعقيدة بهذه الأهمية ما كان المسيح ليضن عليها ببيان ، وقد تعلق بها هلاك البشر ونجاتهم .

ومن هذه النصوص: قول متى " فستلد ابنا ،وتدعو اسمه يسوع ،لأنه يخلص شعبه من خطاياهم " (متى ٢١/١) ومثله " إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب " (لوقا ١١/٢) ومثله " لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته لجميع الشعوب " (لوقا ٣٠/٢) و " كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم ، بل ليخدم ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين " (متى ٢٨/٢٠) و " هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " (متى ٢٨/٢٦) و" لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك " (لوقا ١٠/١٩) .

فهذه النصوص خلت من الحديث عن الخطيئة الأولى الموروثة وخطايا العالم اللاحقة والماضية ، وأين فيها الحديث عن الحرية المسلوبة ، والإرادة .... وعليه فإن العثماني يؤكد أن خالي الذهن لايمكن أن يتوصل إلى معتقد النصارى من خلال هذه النصوص ، التي يمكن حملها على معاني مجازية ، كما لو قيل إن فلانا ضحى بنفسه من أجل أمته ...

ومال إلى تبسيط معاني هذه النصوص منكرو الكفارة والفداء النصارى كما ذكرت دائرة المعارف البريطانية ، ومنهم الفرقة السوزينية ، والمؤرخ كوائليس تيسى ، وايبي لارد .[2]

ولا ريب أن في هذه النصوص - رغم عدم قطعية دلالتها على عقيدة النصارى - صدى لما كان قد خطه بولس في رسائله التي سبقت الأناجيل في زمن الكتابة .

ولعل أوضح نصوص الأناجيل ما كتبه يوحنا " لأنه هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية ، لأنه لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص

---

(١) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢١ - ١٢٢ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٥٤ - ٢٥٨ .

(٢) انظر : ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ١٥٨ - ١٦٥ ، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص ١٣٧ - ١٣٩ .

به العالم " (يوحنا ٣/١٦ - ١٧) .

ولئن كانت الفكرة تائهة عند الإنجيليين فهي كذلك عند بقية تلاميذ المسيح وحوارييه الذين لاتجد لديهم بقصة الفداء خبراً ، فلم ترد عنهم نصوص تبين علمهم بهذه المسألة ، وهذا لاريب دال على كونها من صنع بولس وتأليفه وأن المسيح لم يخبر بها ، و لم يعلمها أصلاً .

وفي ذلك يقول شارل جنيبر : " إن موت عيسى في نظر الاثنى عشر ليس بالتضحية التكفيرية " .

ويؤكد منصور حسين الفكرة بأن الحواريين لم يعلموا أصلاً بأن المسيح سيصلب كما قال مرقس " كان يعلم تلاميذه ، ويقول لهم : إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه ، وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث ، وأما هم فلم يفهموا القول ، وخافوا أن يسألوه " (مرقس ٩/٣٠ - ٣٢) .

ويدل على جهل تلاميذ المسيح بمسألة الفداء ما ذكره لوقا حين قال عن حال التلميذين المنطلقين لعمواس " فقال لهما : ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين " (لوقا ٢٤/١٧) .[١]

ومثله أيضاً ما ذكره لوقا في وصف الجموع لما مات المسيح " وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم ، وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرن ذلك " (لوقا ٢٣/٤٨ - ٤٩) .[٢]

كان ينبغي أن يحتفلوا بموت المسيح وخلاص البشرية وخلاصهم من الذنب الذي ناءت بحمله البشرية قرونا مديدة ، لو كان ما يقوله النصارى في الفداء هو الصحيح .

وتلفت أميمة شاهين النظر إلى أن هذه العقيدة لم تصبح عقيدة رسمية في النصرانية إلا بعد مجمع نيقية حيث صدر عنه الأمانة وفيها " الذي من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وتألم ومات ، وقام أيضاً في اليوم الثالث " .[٣]

وأما بولس فكانت فكرة الفداء واضحة جلية في كلماته كما قد بينا بعضه من قبل واعتبر العثماني أوضحها قوله " ولكن الله بين محبته لنا ، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا ، فبالأولى كثيراً ، ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب ، لأنه وإن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، .. من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع ، ... لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى ، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي .. لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون ، فبالأولى كثيراً نعمة الله ،

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٩٧ ، ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ١٦٥ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص ١٣٦ .

والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين ... " (رومية ٥/٨ - ١٥) .[١]

وقد صرح بولس بأهمية فكرة الفداء عنده إذ قال " لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً " (كورنثوس (١) ٢/٢) .[٢]

ويقول في ذلك الأب بولس إلياس الخوري : " مما لاريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره ، فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ، ليفتديهم على الصليب ..... وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا " .[٣]

ويقول ارنست دي بوش في كتابه " الإسلام : أي النصرانية الحقة " : إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه ، من الذين لم يروا المسيح ، لا من أصول النصرانية الأصلية " [٤]

مسئولية الإنسان عن عمله :

ومما يبطل نظرية الفداء والكفارة أيضاً النصوص التي تحمل كل إنسان مسئولية عمله وقد ورد بعضها على لسان بولس ، ومنها " الأخ لن يفدي الإنسان فداء ، ولايعطي الله كفارة عنه " (مزمور ٧/٤٩) وأيضاً " لاتموت الآباء لأجل البنين ، ولا البنون يموتون لأجل الآباء بل كل واحد يموت لأجل خطيته " (أيام (٢) ٤/٢٥) . " فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله " (متى ٢٧/١٦) ، ومثله قول بولس " الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله " (رومية ٦/٢) و " كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين ، لأنك بكلامك تبرر ، وبكلامك تدان " (متى ٣٦/١٢) ومثله أيضاً " وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي " (متى ٣٢/١٢) بل إن الدينونة يجعلها النصارى يومئذ للمسيح ففي يوحنا " وقد أعطاه السلطان

---

(١) انظر : ما هي النصرانية محمد تقي العثماني ص ١٥٩ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٥٨ - ١٦١ ومواضع أخرى ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ص ٢١٥/٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٠٦ - ٣٠٩ ، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص ١٣٧ - ١٣٩ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٥٨ - ١٦١ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٥٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٠٦ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٥٨ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩٨ .

(٣) انظر : المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢١٤ .

(٤) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٥-٤٦٦ ، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شاهين ، ص ٣٢٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١٩ .

لأن يدين لأنه ابن إنسان " (يوحنا ٢٧/٥) . [١]

ثم إن النصوص المقدسة تتحدث أيضا عن وعيد في النار لبعض أبناء البشر فدل ذلك على أنهم غير ناجين " متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة والقديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده " ثم يقول أيضا للذين عن اليسار اذهبوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته .. " (متى ٣١/٢٥ - ٤٢) ومثله قوله " يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون في ملكوته جميع المعاثر ، وفاعلي الإثم ، ويطرحونهم في أتون النار " (متى ٤١/١٣-٤٢)

ومثله تهديد المسيح لبني إسرائيل من الاتكال على النسب من غير توبة وعمل صالح إذ يقول " يـاأولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ، فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا " (متى ٧/٣ - ٩) ويقول لهم " أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم " (متى ٣٣/٢٣) فلم يحدثهم عن الفداء الذي سيخلصون به من الدينونة ، بل توعدهم بجهنم فقال أيضا " أليس ذلك مكنوزا عندي ، ومختوما عليه في خزائني : لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم " (التثنية ٣٤/٣٢) ،وفي الإنجيل " خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله في جهنم " (متى ٢٩/٥) .

ومثله ما جاء في التوارة في سفر حزقيال حيث توعد الله الذي لايتوبون من بني إسرائيل أو غيرهم فقال " توبوا ، وارجعوا عن أصنامكم وعن كل رجاساتكم ... لأن كل إنسان من بيت إسرائيل أو من الغرباء ... إذا ارتد عني ... أجعل وجهي ضد ذلك الإنسان ،وأجعله آية ومثلا واستأصله "(حزقيال ٦/١٤ - ٨) .[٢]

فلو كان الناس كلهم ينجون بالفداء ، لما كان لهذه النصوص معنى ثم إن كان الفداء عاما لكل البشر ولكل الخطايا ، فإن هذا الفداء يشمل الإباحيين الذين يرتكبون الموبقات ويملئون الأرض بالفساد ،وتكون عقيدة الفداء كما يراها محمد حسن والخطيب دعوة للتحلل والفساد باسم الدين .

ثم القول بفداء الجميع يجعل ضمن الناجين أعداء الأنبياء كفرعون وقارون واليهود الذي تآمروا على المسيح ، كما يشمل يهوذا فلماذا تركه المسيح ينتحر ؟ و لم يخبره بأن خلاصه قريب جدا ، وأن لاداعي للانتحار .[٣]

---

(١) الجواب الفصيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٩٥ ، اللقاء بين الإسلام والنصرانية ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٥٩ ، ١٦٣ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٤٠ ، ١٩٦ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧٤ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، س ٧٤ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٢٩٥ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٢ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٢ .

(٣) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٩ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٥ - ٥٦ ، ورحلة في أرجاء الكتاب المقدس ، مديحة خميس ص ١٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ،

هل لنا خلاص ؟

إن المتأمل في سيرة المسيح وأقواله يرى بوضوح أن دعوة المسيح كانت لبني إسرائيل، وأنه نهى تلاميذه عن دعوة غيرهم ، وعليه فالخلاص أيضا يجب أن يكون خاصا بهم ، وهو ما نلمسه في قصة المرأة الكنعانية التي قالت له " ارحمني يا سيد يا ابن داود . ابنتي مجنونة جدا ، فلم يجبها بكلمة واحدة ، فتقدم إليه تلاميذه ، وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، فأتت وسجدت له قائلة : يا سيد أعني ، فأجاب وقال : ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب .

فقالت: نعم يا سيد والكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها . حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك ، وليكن لك كما تريدين ، فشفيت ابنتها من تلك الساعة "(متى ١٥/٢٢ - ٢٨) فالمسيح لم يقم بشفاء ابنة المرأة الكنعانية وهو قادر عليه ، فكيف يقوم بالفداء عن البشرية جمعاء ؟[١]

ويوضح عبد الأحد داود هذا المعنى بقوله " فها أنذا أقول لهؤلاء المسيحيين الذين يبلغ عددهم الملايين وهم ليسوا من الإسرائيليين : انظروا ، إن مسيحكم لم يعرفكم قطعا و لم ينقل عنه أنه قال عنكم حرفا واحدا ، بل إنه سمى غير الإسرائيليين كلابا .... أتعلمون ماذا أنتم حسب شريعة موسى ؟ إن الذين لم يختتنوا إنما يعدون ملوثين (نجسا) " ويقول أيضا في تعليقه على النص " المسيح لم يكن ليفدي أحدا بحياته ، بل لم يكن يسمح بتقديم قلامة من أظفاره هدية للعالم ، فضلا عن أنه لم يتعهد للروس والإنجليز والأمريكيين بالنجاة ، لأنه لم يعرفهم ... "[٢]

فكما كانت رسالته خاصة في بني إسرائيل ، فإن خلاصه خاص ببني إسرائيل بدليل اشتراطهم الإيمان به لحصول الخلاص، وهو أمر لادليل عليه حيث أن صلب المسيح وموته لا علاقة له بإيمان هؤلاء أو كفرهم ، فالصلب قد تم من أجل الخطايا برمتها كما ذكرت النصوص ذلك غير مرة .[٣]

والإصرار على نجاة المؤمنين فقط يجعل تجسد الإله نوعا من العبث ، فهو لم يؤد الدور الذي بعث من أجله ، إذ عدد المؤمنين بمسألة الفداء أقل بكثير من المنكرين ويرد هنا سؤال : ما معنى قول بولس وهو يخاطب نصارى أهل كورنثوس فيقول " إنه يتضايق لأجل خلاصهم " (كورنثوس (٢) ٦/١) ، والمفروض أنهم قد خلصوا ونجوا فمم يخاف بولس عليهم ؟ .[٤]

علاء أبو بكر ، ص ٢١٣ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٢ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ١١٨ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٧٥ ، الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، ص ٢١١.

(١) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٥٢ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٧١ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٧٧ .

(٢) انظر : الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) انظر : يوحنا ١٦/٣ - ١٧ ، ويوحنا (١) ٢/٢ وغير ذلك .

(٤) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٢٣ - ٢٢٦ .

ويرد على هؤلاء ما ذكرنا من نصوص تحدثت عن دينونة النصارى .

اللعنة والخلاص

ويعجب محمد حسن عبد الرحمن من قول بولس بأن المسيح أصبح لعنة عندما صلب تكفيرا لخطاياهم إذ يقول " المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة " (غلاطية ١٣/٣)[١]

وليس بولس فقط الذي اعتبر المسيح ملعونا،بل إن التوارة هي التي حكمت باللعن على كل مصلوب . (انظر التثنية ٢٣/٢١)

ولكن مبدأ الكفارة كما يرى عبد الكريم الخطيب هو محاولة لتبرير صلب المسيح ولعنه، فلقد صعب على بولس وتلاميذ المسيح بأن يصلب المسيح ويلعن ، فقرر بولس أن يربط لعنة الله للمصلوب بلعنة توراتية أخرى وهي " ملعون كل من لايثبت في جميع ما هو مكتوب في الناموس ليعمل فيه " (غلاطية ١٠/٣) والنص الأخير يجعل كل أحد من الناس ملعون ،إذ لايمكن لأحد إلا وأن يقع بالمعصية فيخرج عن كلمات الناموس كما جاء في سفر الجامعة " لا إنسان صديق في الأرض ،يعمل صلاحا ولا يخطئ "(الجامعة ٢٠/٧) .

ورأى بولس أن من الخير أن يقال بأن المسيح صار لعنة ليفتدي من لعنة ، وبذلك خرج من لعنة السفر التوراتي ، كما أن بولس بذلك جعل دم المسيح ذا ثمن كريم ، فلم يذهب هدرا ، بل كان لفداء العالمين .

صكوك الغفران

- وأما صكوك الغفران التي بقيت الكنائس تصدرها ردحا طويلا من الزمن فقد كانت أحد أسباب وجود البروتستانت وإنشقاقهم عن الكنيسة الكاثوليكية .

وقد اعتبرها علماؤنا نوعا من وثنية النصارى فالغفران فتح لأبواب الجنة وتحديد لمصير البشر ، وعليه فإن هؤلاء الذين يملكونها غدوا في الحقيقة آلهة أخرى تضاف إلى التثليث الذي يقولون به .[٢]

وقد نقد علماؤنا صورة الحصول على الغفران التي اعتمدها الكنيسة ، حيث يجلس التائب أو التائبة في خلوة بين يدي رجال الكهنوت المتبتلين والممنوعين من الزواج ، فتقص الفاجرة قصة فجورها بين يديه ، ومعلوم ما يسبب ذلك من الفتنة والفساد البغاء .[٣]

وأما الصيغة الأخرى للحصول على الغفران والمتمثلة بدفع المال لرجال الكهنوت فهي نوع من

---

(١) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٢ .

(٢) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٥-٦٦ .

(٣) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٦ .

الامبريالية[1] في الدين إذ " الذي لايجد من المال ما يشتري به صك غفران ، فليس عليه إلا أن يهيئ نفسه لدخول النار ، وبئس القرار ، لأن الجنة – بمقتضى هذا المنطق المعكوس ، والفهم المنكوس– ستكون مخصصة للامبرياليين والبروجوازيين ، ولن يظفر بموطئ قدم منها أحد من أفراد الطبقة الكادحة ، وعلى كارل ماركس وأتباعه أن يضربوا برؤوسهم الجدار " [2].

نقض الناموس

إن أبرز ما يلحظه الدارس لعقيدة الفداء اقترانها ببولس منذ نشأتها ،وقد أراد بولس منها أن تكون ذريعة لإلغاء الشريعة والناموس ، حيث جعل الخلاص بالإيمان فقط من غير حاجة للعمل الصالح، فأضحى الفداء ليس مجرد خلاص من الذنوب ، بل هو خلاص حتى من العمل الصالح ،وقد أكثر بولس من التجريح للشريعة الموسوية ومن ذلك قوله " فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ، إذ الناموس لم يكمل شيئاً ، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله " (عبرانيين ١٨/٧ – ١٩)

ويقول عن الناموس أيضاً : " وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال " (عبرانيين ١٣/٨) ويقول " فإنه لو كان ذلك الأول بلاعيب لما طلبت موضع لثانٍ " (عبرانيين ٧/٨)

ويتجنى بولس على شريعة الله فيعتبرها سبباً للخطيئة فيقول " لم أعرف خطيئة إلا بالناموس ، فإني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس : لاتشته ... لأن بدون الناموس الخطيئة ميتة .... لما جاءت الوصية عاشت الخطيئة فمت أنا " (رومية ٧/٧ – ٩) . ويسمى الشريعة لعنة فيقول " المسيح افتدانا من لعنة الناموس " (غلاطية ١٣/٣)

وقد سماه لعنة لأنه بسبب اللعنة عند عدم الامتثال لأوامره " لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ، لأنه مكتوب : ملعون كل من لايثبت في جميع ما هو مكتوب في الكتاب الناموس ليعمل به ، ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله " (غلاطية ١٠/٣ – ١١) .

ويعلن عن عدم الحاجة إليه بعد صلب المسيح فيقول " قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان ، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب " (غلاطية ٢٤/٣ – ٢٥)، ويؤكد إبطال الناموس فيقول " سلامنا الذي جعل الاثنين واحد ... مبطلا بجسده ناموس الوصايا " (أفسس ١٤/٢–٥)، ويقول : " الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع ، لأنه بأعمال الناموس لايتبرر جسد ما " (غلاطية ١٦/٢)

وهؤلاء الذين يصرون على العمل بالناموس يسيئون للمسيح " قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون

---

(١) الامبريالية مصطلح يطلق عادة على نزوع الدول الأوربية المعاصرة إلى إنشاء مستعمرات لها في مختلف الأصقاع. انظر : موسوعة المورد ، خير البعلبكي ، ١٧٧/٥.

(٢) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٧ – ٦٨ .

بالناموس " (غلاطية ٥/٤) " إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بـــلا ســبب " (غلاطيــة ٢/٢١) " أبناموس الأعمال ، كلا بل بناموس الإيمان إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمـــال النـــاموس " (رومية ٣/٢٧-٢٨) وجعل بولس الإيمان سبيلا للبر والنجاة كافيا عن الناموس والأعمال التي عملها اليهود و لم يحصلوا بها على البر " إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر ، البر الذي بالإيمان ، ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر ، لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان ، بل كأنه بأعمال الناموس ، فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة " (رومية ٩/٣٠ - ٣١) .

و يقول أيضا:" الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لابمقتضى أعمالنا ، بل بمقتضى القصد والنعمة الـــتي أعطيت لنا في المسيح يسوع الذي أبطل الموت ، وأنار الحياة والخلـــود " (تيموثـــاوس (٢) ١/٩ - ١٠) " ظهر لطف فخلصنا الله وإحسانه ، لا بأعمال في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميـــلاد الثاني وتجديد الروح القدس " (تيطس ٣/٤ - ٥)ولذلك فإن بولس يعلن إباحته لكل المحرمات من الأطعمـــة مخالفا التوراة وأحكامها(انظر التثنية ١٤/١-٢٤) ، فيقول:"أنا عالم ومتيقن في الرب يسوع أن لاشيء نجس في حد ذاته ، ولكنه يكون نجسا لمن يعتبره نجسا "(رومية ١٤/١٤)ويقول "كل شيء طاهر للأطهار ،ومـــا من شيء طاهر للأنجاس"(تيطس ١/ ١٥)"لأن كل خليقة الله جيدة ، ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشـــكر" (تيموثاوس (١) ٤/٤).

وهكذا وفي نصوص كثيرة أكد بولس أن لافائدة من العمل الصلح والشريعة في تحصيل النجـــاة، وأن البر إنما يتحقق بالإيمان وحده ، وقد كان لهذه النصوص صدى كبيرا في النصرانية ونظرها للشريعة .

فيقول لوثر أحد مؤسسي المذهب البروتستانتي " إن الإنجيل لايطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا ، بـــل بعكس ذلك ، إنه يرفض أعمالنا .... إنه لكي تظهر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم آثامنا جـــدا ، وأن تكـــثر عددها " .

ويقول في تعليقه على يوحنا ٣/١٦ " أما أنا فأقول لكم إذا كان الطريق المؤدي إلى الســـماء ضيقـــا وجب على من رام الدخول فيه أن يكون نحيلا رقيقا ... فإذا ما سرت فيه حاملا أعدالا مملوءة أعمالا صالحة ، فدونك أن تلقيها عنك قبل دخولك فيه ، وإلا لامتنع عليك الدخول بالباب الضيق .. إن الذيـــن نراهـــم حاملين الأعمال الصالحة هم أشبه بالسلاحف ، فإنهم أجانب عن الكتاب المقدس .

وأصحاب القديس يعقوب الرسول فمثل هؤلاء لايدخلون أبدا " ويقول " إن السيد المسيح كي يعتـــق الإنسان من حفظ الشريعة الإلهية قد تممها هو بنفسه باسمه ، ولايبقى على الإنسان بعد ذلـــك إلا أن يتخـــذ لنفسه ، وينسب إلى ذاته تتميم هذه الشريعة بواسطة الإيمان ، ونتيجة هذا التعليم هو أن لالزوم لحفظ الشريعة ، ولا للأعمال الصالحة " ويقول ميلا نكتون في كتابه " الأماكن اللاهوتية " : " إن كنت ســـارقا أو زانيـــا أو فاسقا لاتهتم بذلك ، عليك فقط أن لاتنسى أن الله هو شيخ كثير الطيبة ، وأنه قد سبق وغفر لك خطاياك

قبل أن تخطئ بزمن مديد " .[1]

ويقول القس لبيب ميخائيل : " الأعمال الصالحة حينما تؤدى بقصد الخلاص من عقاب الخطيئة تعتبر إهانة كبرى لذات الله ، إذ أنها دليل على اعتقاد من يقوم بها ، بأن في قدرته إزالة الإساءة التي أحدثتها الخطيئة في قلب الله عن طريق عمل الصالحات ... وكأن قلب الله لا يتحرك بالحنان إلا بأعمال الإنسان ، وياله من فكر شرير ومهيمن " وهذا ما قاله بولس " الإنسان لايتبرر بأعمال الناموس .. لأنه بأعمال الناموس لايتبرر جسد ما .. لأنه إن كان الناموس بر ، فالمسيح إذا مات بلا سبب " (غلاطية ١٦/٢ - ٢١) .[2]

وهكذا كانت عقيدة الخلاص البولسية سبيلا لإلغاء الشريعة والتحلل من التزاماتها .

الخلاص عند المسيح وتلاميذه

وإذا كان بولس ولوثر ومن بعده لايريان للأعمال والناموس فضلا في تبرير الإنسان وفداءه فإن ثمة نصوص كثيرة تشهد بغرابة هذه الفكرة ، وأن الأعمال هي الطريق إلى ملكوت الله .

ومن ذلك أن المسيح لم يذكر شيئا عن الخلاص بغير عمل في نصائحه لأتباعه فقد جاءه رجل " وقال له : أيها المعلم الصالح : أية صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟

فقال له : لماذا تدعوني صالحا ، ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله ، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له أية الوصايا ؟ فقال يسوع : لاتقتل . لاتزن . لاتسرق . لاتشهد بالزور ... " (متى ١٦/١٩ - ٢٠)

فلم يطلب منه المسيح الإيمان فقط ، بل طالبه بالعمل بما جاء في وصايا موسى عليه السلام (انظر الخروج ١/٢٠ - ٧) .[3]

وفي مرة أخرى قال لهم المسيح " فإني أقول لكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسين فلن تدخلوا ملكوت السماوات (متى ٢٠/٥) ويشرح النص ديدات : " أي لاجنة لكم حتى تكونوا أفضل من اليهود .

---

(١) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٢٩/١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ٦٧ - ٦٨ ، ١٥٣ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٤٩، مقدمة السقا ل "المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات "، ص ٨٠-٨٢ ،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٨-٤٩.

(٢) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص ١٤٨ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٧٤ ،مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ١٨٢-١٨٤،٢٣٠-٢٣٢ .

(٣) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٧ ،المسيح في الإسلام ، سليمان شاهد مفسر ص ٩٠ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٨.

وكيف تكونون أفضل من اليهود ، وأنتم لاتتبعون الناموس والوصايا ؟ " .[1]

وضرب لتلاميذه مثلا بين فيه حال العامل بالناموس فقال لهم : " لماذا تدعونني يارب يارب . وأنتم لاتفعلون ما أقوله ، كل من يأتي إلي ، ويسمع كلامي ، ويعمل به أريكم من يشبه ؟

يشبه إنسانا بنى بيتا وحفر وعمق ، ووضع الأساس على الصخر ، فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت ، فلم يقدر أن يزعزعه لأنه كان مؤسسا على الصخر .

وأما الذي يسمع ولايعمل فيشبه إنسانا بنى بيته على الأرض ومن دون أساس ، فصدمه النهر حالا ، وكان خراب ذلك البيت عظيما " . (لوقا ٦/٤٦ - ٤٩) .

ويلاحظ أدولف هرنك أن رسائل التلاميذ خلت من معتقد الخلاص بالفداء ،بل إنها جعلت الخلاص بالأعمال كما جاء في رسالة يعقوب " ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد :إن له إيمانا ، ولكن ليس له أعمال . هل يقدر الإيمان أن يخلصه ؟ " الإيمان أيضا إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته .. الإيمان بدون أعمال ميت " (يعقوب ٢/١٤ – ٢٠) ويقول " كونوا عاملين بالكلمة، لاسامعين فقط خادعين نفوسكم " (يعقوب ١/٢٢) ، ويقول " الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه : افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم ، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم "(يعقوب ١/٢٧).[2]ومثل هذا كثير في أقوال المسيح والحواريين .

والعجب أن بولس نفسه الذي أعلن نقض الناموس وعدم فائدة الأعمال ، وأن الخلاص إنما يكون بالإيمان ، هو ذاته أكد على أهمية العمل الصالح في مناسبات أخرى منها قوله " إن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضا ... فلا تفشل في عمل الخير لأننا سنحصده في وقته (غلاطية ٦/٧) ويقول " بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون " (رومية ٢/١٣) .

ومنها قوله " ليس الختان شيئا وليست الغرلة شيئا ، بل حفظ وصايا الله " (كورنثوس (١) ٧/١٩) ، وفي رسالته لتيموثاوس يقول بولس " أوصى الأغنياء ... وأن يصنعوا صلاحا ، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء ، كرماء في التوزيع ، مدخرين لأنفسهم أساسا حسنا للمستقبل ، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية " (تيموثاوس (١) ٦/١٧ - ١٩) .[3]

وأخيرا فإن بولس بتنقصه السالف للناموس وإبطاله له مستحق للوعيد الشديد الذي جعله المسيح لمثل هذا الفعل وذلك بقوله : " لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأكمل ، فإني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس حتى

---

(١) انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٧٧ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٤٠ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٢١٣ - ٢١٤ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٣٤ - ٢٣٦ ، ٢٥٤ - ٢٥٨ .

يكون الكل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا يدعى: أصغر في ملكوت السماوات " (متى ٥/١٧ - ١٩) وفي شأن الناموس وتعظيمه قال المسيح " زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس " (لوقا ١٦/١٧) .[١]

وجاء في سفر التثنية " ملعون من لايقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها " (التثنية ٢٧/٢٦) .

الخلاص والألوهية

وهكذا يرى علماؤنا في قصة الفداء والخلاص نموذجا لصور ضلال البشرية وإساءة أدب وخطأ في الاعتقاد بالله عز وجل وصفاته .

فقصة النصارى في الخطيئة والفداء والشريعة تشبه قصة ملك تمرد عليه شعبه فأرسل إليهم رسلا يدعونهم إلى الخير والرجوع لسلطانه والإذعان لقوانين العدل والسلام التي وضعها .

لكن هؤلاء قتلوا رسله واستهزءوا بهم وزادوا عتوا فزاد غضب الملك عليهم ثم ما لبث الملك أن أصدر قرارا بأنه سيبعث ابنه الوحيد ليضربوه ويقتلوه ويهينوه كفارة عن معاصيهم ، فمن صدق ذلك فهو عنده الكريم المغفور له .

كما أصدر أمرا آخر بإلغاء كل قوانين العدل والرخاء السابقة .

وأصدر أمرا باعتبار الرضا بالقرارات السابقة كافيا للحكم على الراضي بأنه مواطن صالح مهما ارتكب من آثام وموبقات وجرائم .

وقد كانت حيثيات هذا القرار : أن الملك عادل ، ومن عدله يقتص من المجرمين المخربين المفسدين في مملكته ، ولكنه حبا لهم ، وحتى لايهلك كل من في المملكة رضي بأن يقتص من ابنه الوحيد البريء ، الذي يعدل القصاص منه كل جرائم شعبه ، وأمر بأن يعذب ثم يصلب فما رأي النصارى بهذا الملك ؟

ويجيب قائلهم " مثل هذا الملك لايقال في حقه عادل أو ظالم ، وإنما الأليق به أن يقال عنه : إنه غبي سفيه معتوه " .

وهكذا يرى محمد حسن عبد الرحمن أن هذه هي صورة الإله الذي تريد النصرانية المحرفة أن نعبده .[٢]

ويرى السحار في كتابه " أضواء على السيرة النبوية " أن عقيدة الخطيئة والفداء وما تعلق بها سبب لنفور الناس من الدين وانتشار الإلحاد ، إذ لم يرضى الناس بعبادة رب ظالم ... كالذي تريد الكنيسة من

---

(١) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٥٨ - ١٦٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٠٧ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٥٢ .

(٢) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٨ - ١٣٠ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ، ص ١٢٠ .

الناس أن يعبدوه .[1]

ولعل من صور هذا الإلحاد والذي سببته عقيدة موت الإله بسبب الفداء ما قاله نيتشة " إن كان من شأن فكرة الله أن تسقط ضلال الخطيئة على براءة الأرض ، فإنه لابد للمؤمنين بالحس الأرضي أن يهووا بمعاولهم على تلك الفكرة " .

ويقول " طوبى لأتقياء القلب ، لأنهم لا يعاينون الله ... لقد صرنا بشرا ، ولهذا فإننا لانريد إلا ملكوت الأرض ، إلى أين مضى الله ؟ سأقول لكم إلى أين مضى .لقد قتلناه ، أنتم وأنا ، أجل ، نحن الذين قتلناه ، نحن جميعا قاتلوه ، ألا تشمون رائحة العفن الإلهي ؟ إن الآلهة أيضا تتعفن ، لقد مات الله وسيظل ميتا " .[2]

ومن صور الإلحاد ما أسلفنا ذكره ما نقله المؤرخ هارنك من قول مركيون تلميذ بولس الذي حاكم الله كما يحاكم سائر البشر من .... عياذا بالله جل وعلا .[3]

بل إن فكرة الخطيئة والفداء وغرابتها جعلها محلا للسخرية والهزء كما يقول ج. ر سنوت في كتابه " المسيحية الأصلية " : " ومن المدهش أن هذه القضية الخاصة بيسوع ابن الله ليس محبوبة في العصر الحاضر ، ويقال عن حمله خطايانا ، ورفعه قصاصها عنا : إنه عمل غير عادل وغير أدبي وغير لائق ، ويمكن تحويله إلى سخرية وهزء " .[4]

---

(١) انظر : مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، س ٧٥ .

(٢) انظر : مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٧٦ .

(٣) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٤) انظر : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٧٢ .

المطلب الرابع :مصادر عقيدة الفداء والخلاص

ويبقى ثمة سؤال يطرح نفسه من أين أتى بولس بهذه العقيدة هل هي من إبداعاته الذاتية أم أنه استقاها من مصادر قديمة ، وإن كان كذلك فما هي هذه المصادر ، وما مقدار استفادة بولس منها ؟

وراثة الذنب

أما مسألة وراثة الذنب فهي مسألة معروفة في الفكر اليهودي قبل المسيحية بقرون عدة ، وقد وردت عدة نصوص تتحدث عنها منها .. " صانع الإحسان لألوف ، ومجازي ذنب الآباء في حضن بنيهم بعدهم ، الإله العظيم الجبار رب الجنود اسمه " (إرميا ١٨/٣٢) .

ومثله ما جاء في سفر التثنية " لايدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر " (التثنية ٢/٢٣) .

وجاء في سفر العدد " الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة ، ولكنه لايبرئ ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع " (العدد ١٨/١٤ - ١٩) .

وفي سفر الخروج " غافر الإثم والمعصية والخطيئة ، ولكنه لن يبرئ إبراء ، معتقد إثم الآباء في الأبناء ، وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع " (خروج ٧/٣٤).

ومثله ما نسبوه لدواد أنه قال " هأنذا بالإثم صورت ، وبالخطيئة حبلت بي أمي " (مزمور ٥/٥١) وقد تحدث إرميا عن احتجاج بني إسرائيل على هذا الظلم (انظر إرميا ١٠/١٦ - ١٣)

وقد ناقش النبي حزقيال كما جاء في سفره - بني إسرائيل في مسألة وراثة الذنب " أنتم تقولون : لماذا لايحمل الابن من إثم الأب ؟!

ها كل النفوس هي لي ، .. النفس التي تخطئ تموت ، الابن لايحمل من إثم الأب ، والأب لايحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون ... " (حزقيال ٤/١٨ - ٣٢) .[1]

تحدثت هذه النصوص عن وجود عقيدة وراثة الذنب والتضامن في الخطيئة ، غير أن أحدا منها لم يكن يتحدث عن الخطيئة الأصلية لآدم ، والتي يتعلق النصارى بها ، لكن أصل الفكرة وارد في الفكر اليهودي الذي نشأ فيه بولس ثم نقله للنصرانية وسطره في رسائله .

فمن أين جاء اليهود بفكرة وراثة الذنب ؟ هل هو من صناعتهم ، أم أنه منقول عن غيرهم ؟ والصحيح هو أن الفكرة منقولة عن الأمم الوثنية التي جاورت اليهود وانتشر فيها هذا الفكر وهذا الذي عابه

---

(١) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص ٥٦ - ٦٠ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩٧ .

عليهم الكتاب المقدس " وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم ، والذين أمرهم الرب أن لايعملوا مثلهم .... فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه " (ملوك (٢) ٩/١٧ - ١٨) .[١]

وممن يقول بوراثة الذنب: الهنود الوثنيون، فقد نقل المؤرخ هورينور وليمس أن من تضراعاتهم " إني مذنب ، ومرتكب الخطيئة ، وطبيعتي شريرة ، وحملتني أمي بالإثم ، فخلصني ياذا العين الخندقوقية ، يا مخلص الخاطئين ، يا مزيل الآثام والذنوب " .[٢]

فكرة الفادي في الوثنيات القديمة

وكذلك سرت في الوثنيات فكرة الفادي والمخلص الذي يفدي شعبه أو قومه وكانت الأمم البدائية تضحي بطفل محبوب ، لاسترضاء السماء ، وفي تطور لاحق أضحى الفداء بواسطة مجرم حكم عليه بالموت ، وعند البابليين كان الضحية يلبس أثواباً ملكية ، لكي يمثل بها ابن الملك ، ثم يجلد ويشنق .

وعند اليهود خصص يوم للكفارة يضع فيه كاهن اليهود يده على جدي حي ، ويعترف فوق رأسه بجميع ما ارتكب بنو إسرائيل من مظالم ، فإذا حمل الخطايا أطلقه في البرية . ومعلوم أيضاً ما للبكر من أهمية خاصة عند اليهود إذ تقول التوراة " قدس لي كل بكر ، كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم إنه لي " (الخروج ٢/١٣)، والمسيح هو بكر الخلائق ، وأليقها بأن يكون البكر المذبوح .[٣]

وأما فكرة موت الإله فهي عقيدة وثنية حيث كان العقل اليوناني يحكم بموت بعض الآلهة ، لكن اليونان كانوا يحتفظون بآلهة هنا تسير دفة الكون ، بينما النصارى حين قالوا بموت الإله لم يحتفظوا بهذا البديل ، و لم يخبرونا من الذي كان يسير الكون خلال الأيام التي مات فيها الإله .[٤] أي الثلاثة أيام التي قضاها في القبر ، ولا ينطبق هذا الكلام إلا على الأرثوذكس الذين يقولون بأن الله هو المسيح .

والفداء عن طريق أحد الآلهة أو ابن الله أيضاً موجودة في الوثنيات القديمة كما وقد ذكر السير آرثر فندلاي في كتابه " صخرة الحق " أسماء ستة عشر شخصاً اعتبرهم الأمم آلهة سعوا في خلاص هذه الأمم . منهم: أوزوريس في مصر ١٧٠٠ ق.م ، وبعل في بابل ١٢٠٠ق.م ، وأنيس في فرجيا ١١٧٠ ق.م ، وناموس في سوريا ١١٦٠ ق.م ، وديوس فيوس في اليونان ١١٠٠ ق.م ،وكرشنا في الهند ١٠٠٠ ق.م ، وأندرا ني التبت ٧٢٥ ق.م ، وبوذا في الصين ٥٦٠ ق.م ، وبرومثيوس في اليونان ٥٤٧ ق.م ، ومترا

---

(١) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٣١ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٧ .

(٣) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٣٧ - ١٣٨ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٥٧ ،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٥.

(٤) انظر : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٨١ .

(متراس)في فارس ٤٠٠ ق.م .[١]

ولدى البحث والدراسة في معتقدات هذه الأمم الوثنية نجد تشابها كبيرا مع ما يقولـــه النصـــارى في المسيح المخلص .

فأما بوذا المخلص عند الصينيين فلعله أكثر الصور تطابقا مع تخلص النصارى ، ولعل مرد هذا التشـــابه إلى تأخره التاريخي فكان تطوير النصارى لذلك المعتقد قليلا .

والبوذيون كما نقل المؤرخون يسمون بوذا المسيح المولود الوحيد ، ومخلص العالم ، ويقولون إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت ، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهـــم حـــتى لايعاقبوا عليها .[٢]

وجاء في أحد الترنيمات البوذية عن بوذا " عانيت الاضطهاد والامتهان والسجن والموت والقتل بصـبر وحب عظيم لجلب السعادة للناس ، وسامحت المسيئين إليك " .

ويذكر مكس مولر في كتابه " تاريخ الآداب السنسكريتية " فيقول " البوذيون يزعمون أن بوذا قـــال دعوا الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع على كي يخلص العالم " .[٣]

ويرى البوذيون أن الإنسان شرير بطبعه ، ولا حيلة في إصلاحه إلا بمخلص ومنقذ إلهي .[٤]

وكذلك فإن المصريين يعتبرون أوزوريس إلها ويقول المؤرخ بونويك في كتابه " عقيدة المصريـــين " : يعد المصريون أوزوريس أحد مخلصي الناس ، وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلاقي اضطـــهادا ، وبمقاومتـــه للخطايا يقهر ويقتل " .

ويوافقه العلامة دوان والعلامة موري في كتابه " الخرافات " .[٥]

كما تحدث المؤرخون عن قول المصريين بقيامة مخلصهم بعد الموت ،وأنه سيكون ديان الأموات يـــوم القيامة.[٦]

ويذكر هؤلاء في أساطيرهم أن أوزوريس حكم بالعدل فاحتال عليه أخوه وقتلـــه ، ووزع أجـــزاء جسمه على محافظات مصر ، فذهبت أرملته أيزيس فجمعت أوصاله من هنا وهناك، وهي تملأ الدنيا نحيبـــا وبكاء فانبعث نور إلى السماء ، والتحمت أوصال الجسد الميت ، وقام إلى السماء يمســـك بمـــيزان العـــدل

---

(١) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢١٩ .

(٢) انظر : حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٩ .

(٣) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٣٣ .

(٤) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ١٤٧ .

(٥) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٣٤ – ٣٥ ،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمـد عبد الوهاب،ص ٧٠-٧١.

(٦) انظر : حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٩ .

والرحمة .[1]

وكذلك اعتقد الهنود في معبودهم كرشنا أنه مخلص وفادي . يقول القس جورج كوكس " يصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً ،لأنه قدم شخصه ذبيحة " ويعتقدون أن عمله لايقدر عليه أحد .

ويقول المؤرخ دوان " يعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو ، والذي لاابتداء ولا انتهاء له – على رأيهم – تحرك حنواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها فاتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه " ومثله يقوله العلامة هوك .

ويصف الهنود أشكالاً متعددة لموت كرشنا أهمها أنه مات معلقاً بشجرة سمر بها بحربة . وتصوره كتبهم مصلوباً وعلى رأسه إكليل من الذهب ويقول العلامة دوان " إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود والوثنيين .[2]

وكذلك اعتقد أهل النيبال بمعبودهم أندرا ،ويصورونه وقد سفك دمه بالصلب ، وثقب بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم كما وصف ذلك المؤرخ هيجين في كتابه : " الانكلوسكسنس " .[3]

وحتى لانطيل نكتفي بهذه الصور التي اعتقد أصحابها بسفك دم الآلهة قرباناً وفداء عن الخطايا ومثلها في الوثنيات القديمة كثير .[4]

وقد نقل عن العلامة التنير عدد من أصحاب الردود وثنية عقيدة الإله المتجسد والفادي للخطايا.[5]

---

(١) انظر : وقراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢٣٨/٢ – ٢٣٩ .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٢٩ – ٣٢ .

(٣) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٣٢ – ٣٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٩ – ٤٠ .

(٤) لمزيد من الأمثلة انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٢٩ – ٣٨ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٧ – ٤٠ .

(٥) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٢٦ – ٢٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٥٦ – ١٥٨ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ١٤٥ – ١٤٧ ، والنصرانية ، مصطفى شاهين ص ٢١١ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم حودة ، ص ٢٢٠ – ٢٢٢ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٧٣ ، المسيحية الحقة ، علاء أبو بكر ، ص ٣٥٠ .

تشابهات أخر بين الوثنيات القديمة والنصرانية

كما تتشابه قصص الآلهة الفادية مع ما يقوله النصارى في المسيح إلى حد يدعو للعجب ،فلئن كان النصارى يقولون بولادة فاديهم في ٢٥ ديسمبر في المذود، فإن روبرتسون يكشف عن أن الإله مثرا يعتقد الفرس أنه ولد من عذراء يوم ٢٥ ديسمبر في كهف ، وأنه كان له اثنا عشر حواريا .[١]

ولئن سمي المسيح بالمخلص فمثل هذه الأسماء سمي بها المخلصون السابقون فسمي سوتر: المنقذ ، وسمي اليوثريوس : المنجي ، وكذلك فإن لفظ الرب الذي أطلقه بولس على المسيح أطلقته الطقوس اليونانية على الفادي ديونيش ، وهذا الذي سهل تقبل اليونان لفكرة المسيح ابن الله المخلص .[٢] يقول ارثر ويجال :" إن هذه العقيدة دخيلة من مصدر وثني ،وهي حقا من آثار الوثنية في الإيمان " .[٣]

وليست مسألة المخلص فقط هي التي نقلها بولس عن الوثنيات، فقد تحدث أيضا عن دم المسيح المسفوح فقال " يسوع الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه " (رومية ٣/٢٥)، ويقول " ونحن الآن متبررون بدمه " (رومية ٥/٩) " أليست هي شركة دم المسيح " (كورنثوس (١) ١٠/١٦) ويقول " أنعم بها علينا في المحبوب الذي فيه لنا الفداء ، بدمه غفران الخطايا " (أفسس ١/٧) .

وفي موضع آخر يتحدث عن ذبح المسيح " لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا " (كورنثوس (١) ٥/٧) ومثل هذه النصوص تكثر في رسائل بولس وغيرها من الرسائل لكن النصارى يتغافلون عن مسألة هامة هي أن المسيح لم يذبح ، فالأناجيل تتحدث عن موت المسيح صلبا لا ذبحا ، الموت صلبا لا يريق الدماء ، و لم يرد في الأناجيل أن المسيح نزلت منه الدماء سوى ما قاله يوحنا ، وجعله بعد وفاة المسيح حيث قال" .. وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات ، لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم وماء " (يوحنا ١٩/٢٣ - ٢٤) . وهو ليس ذبحا بكل حال.

يقول ولز " إنه لزام علينا أن نتذكر أن الموت صلبا لايكاد يهرق من الدم أكثر مما يريقه الشنق، فتصوير يسوع في صورة المراق دمه من أجل البشرية إنما هو في الحقيقة من أشد العبارات بعدا عن الدقة " .[٤]

والنظرة إلى الله بأنه لا يرضى إلا بأن يسيل الدم نظرة قديمة موجودة عند اليهود وعند الوثنيين قبلهم ، ففي التوراة تجد ذلك واضحا في مثل " بنى نوح مذبحا لله .. وأصعد محرقات على المذبح ، فتنسم الرب رائحة الرضا ، وقال الرب في قلبه : لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان " (تكوين ٨/٢٠ - ٢١)

" وبنى داود هناك مذبحا للرب ، وأصعد محرقات وذبائح سلامة ، ودعا الرب ، فأجابه بنار من السماء على مذبحة المحرقة " (الأيام (١) ٢١/٢٦).

---

(١) دراسة عن التوارة والإنجيل ، كامل سعفان ص ٣٣٥ .

(٢) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٣) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٨ .

(٤) انظر : مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٤٥ .

وهكذا فإن التصور اليهودي للإله مشبع برائحة الدم يقول ارثر ويجال " نحن لانقدر أطول من ذلك قبول المبدأ اللاهوتي المفزع الذي من أجل بعض البواعث الغامضة وجوب تضحية استرضائية] هكذا [،إن هذا انتهاك إما لتصوراتنا عن الله بأنه الكلي القدرة ، وإلا ما نتصوره عنه ككلي المحبة " .(١)

ويرى كامل سعفان أن ادعاء إهراق دم المسيح مأخوذ من الديانة المثراسية حيث كانوا يذبحون العجل ويأخذون دمه ، فيتلطخ به الآثم ، ليولد من جديد بعد أن سال عليه دم العجل الفدية .(٢)

وتشابهت العقائد النصرانية مع الوثنيات القديمة مرة أخرى عندما قال النصارى بأن المسيح نزل إلى الجحيم لإخراج الأرواح المعذبة فيها من العذاب ،ففي أعمال الرسل " سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه ، و لم تترك نفسه في الهاوية ، ولا رأى جسده فسادا " (أعمال ٣١/٢)، ويقول بطرس " ذهب ليكرز للأرواح التي في السجن " (بطرس(١) ١٩/٣) .

يقول القديس كريستوم ٣٤٧م :" لاينكر نزول المسيح إلى الجحيم إلا الكافر " . ويقول القديس كليمندوس السكندري " قد بشر يسوع في الإنجيل أهل الجحيم كما بشر به وعلمه لأهل الأرض كي يؤمنوا به ويخلصوا " وبمثله قال أوريجن وغيره من قديسي النصارى وهذا المعتقد وثني قديم قال به عابدو كرشنا ، فقالوا بنزوله إلى الجحيم لتخليص الأرواح التي في السجن ، وقاله عابد وزورستر وأدونيس وهرقل وعطارد وكوتز لكوتل وغيرهم .(٣)

ولما وصل النصارى إلى أمريكا الوسطى ، وجدوا فيها أديانا شتى فخف القسس هرقل لدعوتهم للمسيحية، فأدهشهم بعد دراستهم لهذه الأديان أن لها شعائر تشبه شعائر المسيحية ، وخاصة في مسائل الخطيئة والخلاص ".(٤)

فكيف يفسر النصارى هذا التطابق بين معتقداتهم والوثنيات القديمة والذي جعل من النصرانية نسخة معدلة عن هذه الأديان ؟

يقول الأب جميس المحاضر في جامعة " اكسفورد" " سر لاهوتي فوق عقول البشر ، وليس من الممكن تفسيره حسب تفسير وتصور هؤلاء البشر .(٥)

وبعد : صدق الله إذ يقول عن النصارى ﴿ يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾(٦)

ويعلق هاشم جودة على الآية فيقول " فما أعظم هذا الكتاب العزيز الذي يطرح القضية أمام الناس

---

(١) انظر : مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٤٥ .

(٢) انظر : مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٤٥ .

(٣) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ١٠٢ .

(٤) انظر : أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٨٧ .

(٥) انظر : حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٤١ .

(٦) سورة التوبة ، من آية : ٣٠ .

فيختلفون فيها جد الاختلاف ثم يعود المنصفون منهم بعد يبذلون قصارى الجهد والطاقة في البحث والتنقيب إلى حكم القرآن لأنه الحق الذي لازيف فيه ... " .[1]

(١) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٢ .

المطلب الخامس: عقيدة المسلمين في الخطيئة والخلاص

وكما أنكر علماؤنا على النصارى عقيدتهم في الفداء فإنهم قدموا لهم العقيدة النقية الصافية التي جاء بها القرآن والتي لايجادل في عدالتها وحكمتها عاقل لبيب .

فالقرآن ذكر معصية آدم بعد إغواء الشيطان له ، لكنه ذكر أيضاً توبته وقبول توبته ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾[1].

وتحدثت النصوص عن آدم وتكريم الله له فهو خليفة عن الله في أرضه ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾[2] وذكرت تكريم الله له ولذريته من بعده ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ [3]

ولعل أبرز تكريم لآدم أن اسجد الله له ملائكته ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورنكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ﴾ [4]

وتوبة آدم قبلها الله كما يقبل توبة سائر من عصاه ، ولو عظم ذنبه ﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [5]

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [6]

وأنزل الله آدم من جنته ، وجعله في الأرض ، وطلب منه عمارتها وأعطاه قدرة تامة على فعل الخير والشر طالما امتدت به الحياة ثم يرد إلى ربه فيجازى عما قدم ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [7]

وأكدت النصوص القرآنية مسئولية الإنسان عن عمله ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ .[8]

﴿ وكل إنسان ألزمنه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى

---

(١) سورة طه ، آية : ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) سورة البقرة ، من آية : ٣٠

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٧٠ .

(٤) سورة الأعراف ، من آية : ١١ .

(٥) سورة الزمر ، آية : ٥٣

(٦) سورة النساء ، من آية : ١١٦

(٧) سورة البقرة ، آية : ٣٨ - ٣٩ .

(٨) سورة طه ، آية : ١٤ - ١٦ .

بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ [1].

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ .[2]

لكن هذه المسئولية للإنسان عن عمله لاتمنع رحمة الله ﴿ إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ﴾.[3]

وأما مسألة وراثة الذنب فهي مرفوضة والقرآن بصراحة يقول﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾[4].

فهذا الذي ورد في الرسالات السابقة أيضا ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * إلا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [5]

﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾ [6]

وأخيرا : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ [7]

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٣.

(٢) سورة الزلزلة ، آية :٦-٧ .

(٣) سورة طه ، آية : ٧٣ .

(٤) سورة النجم ، آية : ٣٦ - ٤٠ .

(٥) سورة النجم ، آية : ٣٤ - ٣٦ .

(٦) سورة الأعلى ، آية : ١٤-١٩

(٧) سورة النساء ،آية :١٢٣

وهذه النصوص قبس من آياتٍ عظيمة من كتاب الله تكاثرت على ذكر هذه المعاني بجلاء ووضوح ذكرها علماؤنا في بيان المنهج الحق في مسألة الفداء والخلاص .[1]

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا، ص ٢٠ -٢٥ ،دين الله في كتب أنبيائه،محمد توفيق صدقي أفندي ،ص ١٣ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٣ - ١٢٠ ، المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٣٦ ، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة شاهين ، ص ٢١١ - ٢١٤ ، ٢٣٥ - ٢٣٧ ، ٢٧٠ - ٢٧٤ ،تعدد نساء الأنبياء،ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٦٢،هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٥٧-٥٨.

الفصل الثالث :

أسفار التوراة والعهد القديم

تمهيد

﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ [1] ، ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴾ [2] ، ﴿ ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ﴾ [3].

في هذه الآيات وغيرها نرى بجلاء ووضوح اعتقاد المسلمين في التوراة التي أنزلها الله على موسى ، وهو ما يليق بكلام الله ووحيه .

ولو تصفحنا ما يتناقله النصارى في أسفار ينسبونها لموسى عليه السلام ولغيره من الأنبياء لوجدناها خلواً من الهدى والنور الذي أخبر به القرآن ، وإن وجدنا خلالها أثارة من قبس الأنبياء والتوراة الحقة ، وماعدا ذلك فهو ركام من التحريف والباطل .

أسفار العهد القديم

التوراة التي يؤمن بها النصارى تتكون من أقسام عدة :

أ) الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى والتي يقابلها عند المسلمين : التوراة .

ب) الأسفار التاريخية .

ج) أسفار الشعر والحكمة .

د) الأسفار النبوية .

ويطلق على هذه الأجزاء الأربعة العهد القديم ، ويطلق على الأجزاء الثلاثة الأخيرة بأنها من التوراة مجازاً .

و لم ترد تسمية التوراة بالعهد القديم في أي من أسفارها .[4]وتسمية التوراة بالعهد مأخوذ من قول سفر الخروج " وأخذ موسى الدم ورشه على الشعب ، وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع الأقوال " (الخروج ٨/٢٤) فسمى أوامر الرب عهداً .

وأما وصفه بالقديم فهي مقابل تسمية الأناجيل وملحقاتها بالعهد الجديد ، فقد ذكر متى أن المسيح سمى رسالته في الفداء والخلاص عهداً جديداً بقوله " هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين " (متى ٢٩/٢٦) ، ثم تابعه بولس في التسمية . فقال " وليس بدم تيوس وعجول ، بل بدم نفسه

---

(١) سورة المائدة آية رقم: ٤٤ .

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٢ .

(٣) سورة الأحقاف آية رقم: ١٢ .

(٤) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي،ط١ ، ١٤١٠هـ ، ص ٢ .

دخل مرة واحدة إلى الأقداس ، فوجد فداء أبدياً .... ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد " (عبرانيين ٩/١٢ - ١٥) .

وقد سمى بولس التوراة بالعهد القديم في قوله " عند قراءة العهد العتيق " (كورنثوس (٢) ٣/١٤) .[١]

وقد تم تقسيم أسفار العهد القديم إلى إصحاحات في سنة ١٢٠٠م على يد أُسقف كانترى بري الأسقف ستفنلأن جتون (ت ١٢٢٨م) .

ثم رقمت جمل الاصحاحات في الطبعة الباريسية الصادرة عام ١٥٥١م .

وأما ترتيب الأسفار فقد أعيد غير مرة ، وكان قد أقر له ترتيب في مجمع روما ٣٨٢م ، ثم عدل في ترنت ١٥٤٦م ، ولهذا التغيير علاقة قوية بقيمة الأسفار وأهميتها ودرجة ثبوتها .[٢]

النصارى وأسفار العهد القديم

يؤمن النصارى بقدسية أسفار التوراة ، وأنها وحي من الله ، ويستدلون لذلك بما جاء في الأناجيل وملحقاتها مما يفيد اعتبار التوراة فقد قال المسيح " على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوه لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه " (متى ٢/٢٣ - ٣) ، وقال لهم " فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم ،لأن هذا هو الناموس والأنبياء " (متى ١٢/٧) وقال أيضاً " لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس " (متى ١٧/٥) .

وقد فسر المسيح - كما ذكروا - بعض النبوءات في الكتب التي تحدثت عنه ، يقول لوقا : " ثم ابتدئ من موسى ، ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب " (لوقا ٢٧/٢٤) وقال " فتشوا الكتب ، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة حسنة ، وهي التي تشهد لي " (يوحنا ٣٩/٥) .[٣]

وعلاوة على ذلك فإن الأناجيل والرسائل تقتبس من العهد القديم في عشرات المواضع مما يفيد اعتباراً لهذه الأسفار .

ويعتقد النصارى بصحة نسبة هذه الأسفار إلى أصحابها بعد أن تناقلتها الأجيال بأمانة جيلاً بعد جيل ، وفي إثبات ذلك تقول كنيسة القديسة دميانة في كتابها الذي أصدرته بعنوان" استحالة تحريف الكتاب المقدس" برعاية الآنبا شنودة : " إن وقوع التحريف والتلاعب في الكتاب المقدس مستحيل للقوانين الجازمة والصارمة التي وضعها المجمع اليهودي (السنهدريم) لكاتبي وقارئ التوراة ، ومن ذلك " الوصية الأولى : احترس في

---

(١) انظر : محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١ - ١٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٠١ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٢٧ .

(٢) انظر : في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٣١ - ٣٢ ، ٣٥ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٣٦ .

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٧٣/١ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٠٢ .

القضاء ، الوصية الثانية : علّم كثيرين ، الوصية الثالثة : كن حصناً حصيناً للتوراة " .

فماذا كان نتيجة هذه الوصايا ؟

تجيب الكنيسة في الاستحالة : " وعلى هذا الأساس سلمت الوديعة من جيل إلى جيل ، حتى أنهم كانوا يعرفون عدد مرات تكرار الحرف في السفر بأكمله ، وفي الكتاب المقدس بأكمله .... فقيل مثلاً : إن حرف الألف ورد في التوراة ٤٢٣٧٧ مرة .. وحرف الباء ورد ٣٨٢١٨ مرة ....

وهكذا نجد أن الحرص المتناهي على سلامة الكتاب جعلهم يرتبون إحصائيات بعدد الاصحاحات والآيات والكلمات ، بل والحروف ....

وهل يعقل أن اليهود الذين وضعوا القوانين الحازمة على كتبة الناموس يقومون بتحريف الكتاب المقدس؟

إن نظرة سريعة لبعض هذه القوانين يرد على من يدعي بتحريفهم هذا بالرد القاطع " ومنها :

" قبل أن تكتب كلمة واحدة من كتاب الله عليك أن تغسل جلدك ، وتلبس الثياب العبرانية ، وتجهز نفسك بالأفكار الخشوعية .

الرقوق التي تكتب عليها لابد أن تكون من جلود الحيوانات الطاهرة شرعاً ، الحبر الذي تكتب به يجب أن يكون أسود نقياً مجهزاً من خليط الكتن والكربون والعسل .

مع أنك تعرف بل تحفظ كتاب الوحي عن ظهر قلبك ، فلا تكتب كلمة واحدة من ذاكرتك .

ارفع عينيك إلى نسختك ، والفظ الكلمة بصوت عالٍ قبل أن تخطها . قبل أن تكتب لقباً من الألقاب التي يلقب بها الله ، عليك أن تغسل قلمك ، وقبل أن تكتب اسم الإله الأعظم يجب عليك أن تغسل جسدك كله.

بعد الانتهاء من نسخ نسختك ومراجعتها إذا وجدت بها ثلاث غلطات فيجب عليك أن تعدم تلك النسخة " .

" فرض على كل ناسخ كاتب من كتب الشريعة أن يعد حروف كتابه ، وفرض عليه أن يعرف كم حرفاً من كل نوع سيكتب في الصفحة الواحدة قبل أن يبتدئ فيها بالكتابة .

وفرض عليه :أن كل صفحة من الرقوق تكون سطورها مساوية للأخرى ، وأن كل سطر يكون ثلاثين حرفاً .. كذلك منع الكاتب من التحدث أثناء الكتابة .. فهل يتجاسر أحد أن يقول : أن اليهود قد حرفوا الكتاب المقدس ؟ "

وأما عن أصحاب هذه الأسفار وكتبتها الأصليين فتقول كنيسة دميانة " لقد كتب العهد القديم في فترة ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد بواسطة أربعين كاتباً ، يختلفون في صفاتهم ، فمنهم الفلاسفة مثل موسى النبي ، ومنهم الراعي البسيط جامع الجميز مثل عاموس ، والقائد الحربي يشوع ، وساقي الملك نحميا ، ومنهم إشعيا رجل القصور ، ودانيال رئيس الوزراء ، وسليمان الملك صاحب الحكمة ....

كما اختلف الكتاب عن بعضهم في ظروف تسجيل الوحي الإلهي فموسى سجل أسفاره في البريـــة ، وأما إرمياء فسجلها في ظلمة الجب ، وأما داود النبي فكتب مزاميره عند سفوح التلال ، وهو يرعى خرافـــه ... ورغم هذا نجد أن الكتاب المقدس يمتاز بوحدة ترابطية عجيبة لاتناقض فيها ولاخلل .

وقد اتفقوا معا في موضوع نبوتهم ،وهي مجيء المسيح ، وصلبه ، وقيامته . أليس هذا دليلا على عـــدم التحريف ؟ بل ثبات الكتاب وقدسيته ؟ حيث نرى روح الله في كل هذه الأسفار ملموسا من سفر إلى سفر، ومن آية إلى آية ، يعصم الكاتب من السقوط أو الزلل ، لذلك يحلو للبعض أن يطلقوا على الكتاب المقـــدس أنه سيمفونية إلهية يعزف على آلاتها العديد من العازفين ، ليخرجوا إلى العالم بقيادة الـــروح القـــدس بهـــذه التحفة الفريدة من الإعلانات الإلهية " .

ويستدل النصارى لدور الروح القدس في إملاء هذه الكتب بما جاء من كلام بطـــرس " كـــل نبـــوة الكتاب ليست من تفسير خاص ، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس " (بطرس (٢) ١/٢٠ - ٢١) .[1]

ومما سبق نستطيع إجمال ما قاله النصارى في نقاط ثلاث :

١) أن الكتاب المقدس إلهي المصدر ، ألهم فيه الروح القدس الأنبياء أن يكتبوا ما كتبوه معصومين عن الزلل أو السقوط .

٢) أن هذه الكتابة توارثتها الأجيال بدقة متناهية كتابة وشفاها وفي ظروف من الدقة البالغة .

٣) أن الكتاب المقدس وحدة موضوعية متكاملة مترابطة .

هذه باختصار دعاوى النصارى بالنسبة للتوراة فهل هذه الدعوى صحيحة ؟ أم أنه ينقصـــها الدليـــل الذي لايطيقه النصارى ولا يقدرونه ؟

موقف المسلمين من كتب العهد القديم

لقد عمل علماؤنا على تلمس الحقيقة القرآنية التي أشارت إلى تحريـــف الكتـــاب وضيـــاع بعضـــه وتحوير البعض الآخر ، تلمسوها في تتبع تاريخ الكتاب المقدس وتدوينه ثم من خلال الفحص الدقيق لمحتوياته .

وقد ذكر علماؤنا شروطا لصحة الكتاب المقدس وصحة نسبة أسفاره للوحـــي ، وهـــذه الشـــروط يجملها .

١) وجود سند متصل إلى نبي علمت نبوته بلا ريب ، وأن يكون السند منقولا بالتواتر عن النبي الذي

---

[1] انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ط١،دار الوفاء ،١٤١٢هـــ ، ص ٩٢ - ٩٦ ، و انظر : مثله مـــا قاله القس شوبرج كبير قساوسة السويد في مناظرته لديدات ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديـــدات ، ص ٤٢ - ٤٣ ، ومثله ما قاله القسيس شروش في مناظرته لديدات ص ٣٤ .

يخبر أو كتابه بصحة النسبة إليه .

٢) أن يكون الكتاب متسقا لاينقض بعضه بعضا .

٣) أن يكون مضمون الكتاب وموضوعاته مطابقا للحقيقة ، وأن تكون مضامينه مما يتفق مع رسالات الأنبياء كتوقير الله عز وجل .....

٤) أن يأتي النبي بمعجزة تدل على صدق دعواه النبوة ، وأن تكون هذه المعجزة متواترة ومشتهرة عند الناس .[1]

وهذه الشروط تطلب في سائر العهدين الذين يشكلان الكتاب المقدس وقد تركزت جهود علمائنا في تناول العهد القديم بالنقد على الشروط السابقة ونذكرها في مبحثين :

المبحث الأول : تدوين التوراة .

المبحث الثاني : نقد متن التوراة .

---

(١) انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ٩٣ - ٩٤ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٥ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ٧٣ - ٧٤ ، الكتب السماوية ، شروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ،دار القبلة، جدة ، ١٤١٠هـ، ص ٧ — ٨ .

المبحث الأول : تدوين التوراة :

ينسب النصارى واليهود لموسى خمسة من الأسفار وهي : التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، وينسبون لغيره من الأنبياء أسفارا تسمى بأسمائهم كإشعيا وحزقيال ، وأما الأسفار التاريخية كالملوك الأول والثاني وراعوث فتنسب لعدد من الأنبياء الذين عاصروا تلك الأحداث .

وأما المزامير فتنسب إلى عدد من المؤلفين منهم داود وسليمان وموسى وبني قورح وأساف .

فهل هذه النسب صحيحة ؟ وهل هؤلاء الأنبياء هم من كتب التوراة ؟ وبداية : هل كتب موسى الأسفار الخمسة كما ينسب النصارى ومرقس حين يقول " وأما من جهة قيامة الأموات أن هم يقومون . أما قرأتم في كتاب موسى في أمر العليقة ، كيف كلمه الله قائلا :أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ..." (مرقس ٢٦/١٢ ، وانظر ٥/٣ - ٦) ومثله ما جاء في التثنية " كتب موسى هذه التوراة ، ودفعها إلى الكهنة بني لاوي " (التثنية ٩/٣١) ، ومثله " فكتب موسى خروجهم بمراحلهم على حسب أمر الرب " (العدد ٢/٣٣) " فقال الرب لموسى أكتب هذا تذكارا في الكتاب " (خروج ١٤/١٧) .[١]

ويقول القس سويجارت: " ونحن نعتقد أن موسى كتب ما يسمى بالأسفار الخمسة ، تلك الكتب الخمسة الأولى باستثناء الترانيم القليلة ، وسفر التثنية ، وربما يكون قد كتب هذا أيضا ، لأننا نعلم ..أن للرب من القدرة ، بحيث يوحي إلى موسى بالضبط الكيفية التي يموت بها ، ويوحي إليه بدقة : الهيئة التي يكون عليها جنازته ، وهذا ليس بمعضل على الرب " .[٢]

وقبل أن نشرع في إبطال نسبة الأسفار للأنبياء نرى أنه يلزمنا أن نستعرض - ولو سريعا - أبرز المحطات المهمة في تاريخ بني إسرائيل كما تذكرها التوراة والمراجع التي أفادت منها .

يبدأ تاريخ بني إسرائيل بأبيهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وقد سمي يعقوب فيما بعد " إسرائيل " ورزق اثنا عشر من الولد ، كان كل منهم أمة تسمى بسبط ينسب لأحد أبناء يعقوب الإثني عشر ، وقد دخل يعقوب وأبناؤه مصر إبان سيطرة الهكسوس عليها ، فعملوا فيها ، ولما أخرج الهكسوس من مصر في أذل بنو إسرائيل في مصر .

ثم بعث الله فيهم موسى عليه السلام فاستنقذهم من أسر فرعون وذله ، وقادهم باتجاه الأرض المقدسة فجبنوا عن دخولها ، وبقوا في التيه في سيناء أربعين سنة توفي فيها موسى وهارون ، ثم قاد يشوع (وصي

---

(١) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٠٦ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ،ص ١١ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ، ط١، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٦هـ،ص ٥١ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علي ، طبع سنة١٩٤٦، ،ص ٢٣ - ٢٥ .

(٢) انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١١٦ .

موسى) بني إسرائيل فأدخلهم الأرض المقدسة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وبعد وفاته تفرق بنو إسرائيل إلى مجموعات متفرقة يحكمها عدد من القضاة واستمر ذلك زهاء قرن ونصف ، ثم اختار لهم النبي صموئيل شاول (طالوت) ملكا فحكمهم عشر سنين ثم ملك بعده داود ثم ابنه سليمان الذي توفي عام ٩٢٢ ق . م وولي بعده ابنه رحبعام ،وثار عليه يربعام بن ناباط ، وتبعه عشرة من الأسباط، وكونوا دولة شمالية سميت: مملكة إسرائيل، وعاصمتها شكيم (نابلس) وبقيت حتى عام ٧٢٢ ق . م حيث قضى عليها الآشوريون ، وحكموا تلك البلاد .

وأما المملكة الجنوبية :يهوذا .وعاصمتها أورشليم ، فبقي الملك فيها في ذرية سليمان حتى جاء بختنصر عام ٥٨٦ ق . م فقتل ملكها صدقيا ، وأحرق أورشليم وهيكلها ، وسبى سكانها إلى بابل ،فبقوا هناك حتى أعادهم الملك الفارسي قورش سنة ٥٣٨ ق . م ، ثم بقوا في فلسطين في ظل اليونان ثم الرومان الذين دخلوا أورشليم عام ٦٤ ق . م واستمرت سيطرتهم على فلسطين حتى ظهور الإسلام .[1]

وقد جاء إبطال علمائنا لقداسة الأسفار التوراتية عبر تاريخ تدوينها في مطالب سبعة :

المطلب الأول : إبطال نسبة الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام .

المطلب الثاني : إبطال نسبة أسفار الأنبياء إليهم .

المطلب الثالث : مصادر التوراة .

المطلب الرابع : ضياع التوراة .

المطلب الخامس : قانونية التوراة .

المطلب السادس : تدوين التوراة .

المطلب السابع : ترجمات التوراة .

وقد أثبت علماؤنا من خلال هذه المطالب السبعة ضياع توراة موسى وبشرية التوراة المتداولة عند اليهود والنصارى وما تعرضت له من التحريف حين كتابتها ثم حين ترجمتها إلى اللغات المختلفة .

---

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ٤٦ – ١١٠ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩ – ٧٢ .

المطلب الأول : إبطال نسبة الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام [1].

تفحص أصحاب الردود الإسلامية الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى ، فوجدوا فيها أدلة قائمة تقول بأن كاتبها ليس موسى ، بل بعض هذه الأدلة تشير إلى تأخر كتابة هذه الأسفار قرونا عديدة . وأول ملاحظة سجلها علماؤنا أن الأسفار الخمسة تتحدث عن توراة الله التي كتبها موسى ، ولا يمكن أن يكون الحديث عن هذه الأسفار .

ومن ذلك ما جاء في سفر التثنية " وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بين لاوي حاملي تابوت عهد الرب " (التثنية ٩/٣١ - ١٠) وكان ينبغي أن تكون نهاية التوراة هنا ، ولكن الذي نراه أنه جاء بعدها ثلاث إصحاحات ، والمفروض أن التوراة سلمت للكهنة من بني لاوي .[2]

إذا النص يتحدث عن توراة أخرى غير هذه التوراة وغير لوحي العهد الذين لم يكتبهما موسى .

وهذا الذي كتبه موسى قصير جدا بالنسبة للأسفار الخمسة ، فقد أمر موسى بجمع بني إسرائيل نساء وأطفالا ورجالا بل وحتى الغريب المار بأرضهم أمر بجمعهم كل سبع سنين في عيد المظال لتقرأ عليهم التوراة (انظر التثنية ٩/٣١ - ١٢) ولايتصور حصول هذا أو إمكانه في هذه الأسفار الخمسة ومن الدلائل على قصر توراة موسى أنه أمر بكتابتها على جدران المذبح " فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة ، وتشيدها بالشيد ، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس ....وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشا جيدا " (التثنية ٢/٢٧ - ٨) وقد عمل بالوصية وصي موسى يشوع فكتبها على حجارة المذبح .

وبعد إتمام البناء قرأ يشوع التوراة على الجموع وهي له تسمع " كتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى ... بعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة .. لم تكن كلمة في كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل النساء والأطفال والغريب السائر في وسطهم " (يشوع ٣٢/٨ - ٣٥) .[3]

وقد تحدثت الأسفار الخمسة أكثر من مرة عن الجزء الذي كتبه موسى ومن ذلك قصة الحرب ضد العماليق " فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكارا في الكتاب ، وضعه في مسامع يشوع " (خروج ١٤/١٧) ،

---

(١) لا ريب أن هذه الأسفار تحوي القليل من أثارة النبوة، وهو مالا نمانع من نسبته للأنبياء، وما نبطل نسبته هنا هو عموم ما جاء في هذه الأسفار.

(٢) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٨٢ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص ٥٧ .

(٣) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧٠ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص١١٨/١ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٣ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٠٠ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٧٩ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٤٢ - ٤٤ .

ووردت إشارة إلى سفر آخر هو سفر العهد في (خروج ٧/٢٤).[١]

ومما يؤكد أن ليست التوراة التي كتبها موسى الأسفار الخمسة : مخالفة يشوع وصي موسى لما جاء فيها ، ولو كان يعرفها أو يعتقد صدقها لما خالفها فإما أن يقال بأن سفر يشوع مزور ، أو لاتصح نسبة الأسفار الخمسة لموسى ، وبيان هذه المسألة أن موسى قال " كلمني الرب قائلا : أنت مار بتخم مؤاب بعار ، فمتى اقتربت إلى اتجاه بني عمون لاتعادوهم ، ولاتهجموا عليهم ، لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثا لأني لبني لوط قد أعطيتهم ميراثا " (التثنية ١٦/٢ - ٢٠) فكان هذا هو أمر الله في حق أرض عمون ، ولكن يشوع في سفره يقول " وأعطى موسى لسبط جاد بني جاد حسب عشائرهم ، فكان تخمهم بعزير ، وكل مدن جلعاد ، ونصف أرض بني عمون إلى عير ، وعير التي هي أمام ربة ... هذا نصيب بني جاد " (يشوع ٢٤/١٣ - ٢٨) .

فلو كانت هذه الأسفار توراة موسى لما نسب يشوع لموسى هذه المخالفة الصريحة .[٢]

ومثله أيضا مخالفة حزقيال ٢٠/١٨ الصريحة لما جاء في التثنية ٤/٣٤ في مسألة وراثة الذنب .

ومما يدل على أن هذه التوراة ليست توراة موسى أنها ليست معروفة عند عزرا الذي أعاد كتابة التوراة بعد السبي البابلي ، فلو كانت هي توراة موسى لما خالفها في الأنساب التي ذكرها .[٣]

كما أن في الأسفار أخبارا وأسماء كثيرة لا يمكن أن تنسب لموسى لتأخرها عنه بقرون عدة ، فمن المعلوم أن موسى مات وبنو إسرائيل في أرض التيه ، ثم دخل بهم يشوع بعده إلى الأرض المقدسة . (انظر التثنية ١/٣٤ - ٦) و (يشوع ١/١ -٢) .

وقد جاء في الأسفار الخمسة وصول بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة وانقطاع المن عنهم حينذاك ،وهذا الأمر لم يحصل إلا في عهد يشوع تقول التوراة : " وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة ، حتى جاءوا إلى أرض عامرة ، أكلوا المن حتى جاءوا إلى أرض كنعان " (خروج ٣٥/١٦) وفي سفر يشوع " فحل بنو إسرائيل في الجلجال .. في عربات أريحا ، وأكلوا من غلة الأرض .. وانقطع المن في الغد عند أكلهم من غلة الأرض " (يشوع ١٠/٥ - ١٢) .[٤]

ويذكر سفر العدد ما يشعر بأن كاتبه قد كتبه بعد جلاء بني إسرائيل من برية سيناء ودخولهم فلسطين فيقول " ولما كان بنو إسرائيل في البرية ، وجدوا رجلا يحتطب في السبت " (العدد ٣٢/١٥) فالكاتب ليس في البرية حتما .[٥]

---

(١) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٤٣ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١٣٢/١ - ١٣٣ .

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١١٤/١ .

(٤) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٦٤ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٨٠ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٨ .

(٥) انظر : التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٢٢ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٦٦ .

ومثله " وفي سعير سكن قبلا الحوريون ، فطردهم بنو عيسو وأبادوهم من قدامهم ، وسكنوا مكانهم ، كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم التي أعطاهم الرب " (التثنية ١٢/٢) ، ومثله في (التكوين ٥/١٢ - ٦ ، ٧/١٣) . وغيرها .[١]

وتذكر الأسفار الخمسة أسماء كثيرة لمسميات لم يعرفها بنو إسرائيل إلا بعد موسى ، ولم تسم بهذه الأسماء إلا بعد قرون من وفاة موسى فكيف ذكرتها توراة موسى إذا ؟ ومنها ما جاء في التكوين وفيه "لأني قد سرقت من أرض العبرانيين " (التكوين ١٥/٤٠) ولم تسم فلسطين بهذا الاسم في عهد موسى إذ لم يدخل العبرانيون بعد .[٢]

ومثله " وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى ممرا قرية أربع التي هي حبرون " (التكوين ٢٧/٣٥) ولم تسم حبرون (الخليل) بهذا الاسم إلا في عهد يشوع " فباركه يشوع ، وأعطى حبرون لكالب ... واسم حبرون قبلا قرية أربع الرجل الأعظم في العناقيين " (يشوع ١٣/١٤ - ١٥) .[٣]

ومثله " ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر " (التكوين ٢١/٣٥) وهو اسم لمنارة في هيكل سليمان بنيت بعد موسى بسبعمائة سنة .[٤]

ومثله " وتبعهم إلى دان " (التكوين ١٤/١٤) وقد سميت بهذا الاسم في عهد القضاة " وجاءوا إلى لايش ... ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم " (القضاة ٢٧/١٨ - ٢٩) .[٥] وأمثال هذا كثير .[٦]

كما تتحدث الأسفار الخمسة عن بعض القصص القديمة مستخدمة معطيات تدل على تأخر الكتابة عن موسى قرونا عديدة ومن ذلك ما جاء في التكوين : " هؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما ملك ملك لبني إسرائيل " . (التكوين ٣١/٣٦) .

وفي تبرير وجود هذه الفقرة في أسفار موسى أقر آدم كلارك بوقوع التحريف فيها وقال " غالب ظني أن موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية ، والآيات التي بعدها إلى التاسعة والثلاثين .. وأظن ظنا قويا قريبا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة، فظن الناقل أنها جزء من المتن فأدخلها فيه " .[٧]

---

(١) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٦١ ، ٦٨ .

(٢) انظر : حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٠١ .

(٣) انظر : دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق أفندي ،ص ٦٧ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا،ص ٦٣ -٦٤.

(٤) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٧.

(٥) انظر : دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٦٧ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٦٢ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٨٠ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٠١ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٥٩ .

(٦) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٦١ - ٧١ .

(٧) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٤٦٨/٢ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٢١ ، دراسة عن

ولاريب أن هذا التبرير من كلارك يفضي إلى الشك بجملة الكتاب المقدس إذ كما جاز للناسخ أن يدخل في المتن هنا ماليس فيه يجوز ذلك في سائر الكتاب ، ولما لم يمكن التمييز بينما هو أصلي وما هو مزيد تعطلت قداسة الكتاب وحجيته .

ومن الأمور التي تمنع نسبة الأسفار لموسى أسلوبها الكتابي المفكك والتكرار في الروايات ، فذلك يشعر بأن لها أكثر من كاتب .[1]

ثم أن الأسفار تحيل إلى كتابة أخرى لموسى ، ولو كان الكاتب موسى لما كان للإحالة معنى ، فقد جاء في سفر العدد " لذلك يقال في كتاب حروب الرب " (العدد ١٤/٢١) وهذا السفر يتحدث عن حرب موسى مع العماليق وقد كتبه بنفسه كما يتبين من سفر الخروج (انظر الخروج ١٤/١٧) .[2]

وتذكر الأسفار الخمسة مئات المرات موسى بصيغة الغائب " وقال الله لموسى " " وقال موسى لله " " وبناموس أوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب " (التثنية ٤/٣٣) ولو كان القائل موسى لما صح الحديث عنه بصيغة الغائب مئات المرات بل كان يقول : (وقال الله لي) ..... ولايشذ عن ذلك إلا سفر التثنية ، لذلك يراه الناقد اليهودي اسبينوزا السفر الوحيد الذي يمكن نسبته لموسى .

ويستثني اسبينوزا من السفر آخره،[3] حيث ورد وفاة موسى ودفنه ، إذ يقول السفر " فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ، و لم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ، و لم تكل عينه ولاذهبت نضارته ، فبكى بنو إسرائيل في عربات مؤاب ثلاثين يوما ، فكملت أيام بكاء مناحة موسى " (التثنية ٥/٣٤ - ٨) وقد اعتبر علماؤنا الخبر أظهر دليل على براءة موسى في هذه الأسفار .[4]

التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٩٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٨ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٩٩ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٨٠ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٦٣ .

(١) انظر : التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٥٢ .

(٢) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٢١

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١١٥/١ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٣٧ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٦٧ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٥٧ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٢١ - ٢٢، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٨١ .

(٤) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٤٨٠/٢ - ٤٨٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٨ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٨٤ - ٨٥ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علي ، ص ٢١ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ١٦ - ١٧ التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٥٢ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧٠ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٢١ - ٢٢ ، حجية التوراة ، أحمد الحوفي ، ط١ ، مؤسسة الخليج العربي ، ١٤٠٩هـ ،ص ٦٣ ، الكتب السماوية ، شروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ، ص ٢٢٦ ، الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، ص١٢٢

ويتعذر النصارى لأمثال هذه بـــأنها من إضافات يشوع وصي موسى ولادليل على ذلك البتة .

وقد يعتذرون بـــأنها إضافات ملحقة ، ويجعلونها بمثابة تصحيح الأخبار من قبل الأحبار ، وهذا الـذي نسميه نحن المسلمين (بالتحريف والتلاعب في النصوص) ، بينما كان اعتذار القس سويجارت بأن الله على كل شيء قدير !!![1]

ومما لايقبل نسبته لموسى في الأسفار الخمسة ما جاء فيها من ثناء على موسى ، وهذا الثناء هو بالحقيقة شهادات من الغير له ، فلا يعقل أن يقول " موسى رجلا حليما جدا أكثر من جميع الناس "(العدد ٣/١٢)، ولا أن يقول " موسى رجل الله " (التثنية ١/٣٣) " الرجل موسى كان عظيما جدا في أرض مصـــر .... " (الخروج ٣/١١) ، فمثل هذه الشهادات لايليق أن تصدر عنه ،إنما هي من غيره .[2]

وبعد هذا كله كان لابد من أن يعترف أهل الكتاب بعدم صحة نسبة الأسفار الخمسة لموسى ، وقـــد كان من أوائل من فعل ذلك منهم ابن عزرا الحبر اليهودي الغرناطي (تـــ ١١٦٧م) حين ألغز ملاحظته فقـــلل في شرحه لسفر التثنية " فيما وراء نهر الأردن ... لو كنت تعرف سر الإثني عشر .. كتب موسى شـــــريعته أيضا ... وكان الكنعاني على الأرض ... سيوحي به على جبل الله ... ها هوذا سريره ، سرير من حديـــد ، حينئذ تعرف الحقيقة " و لم يجرؤ ابن عزرا على كشف الحقيقة فألغزها .

وقد فسر اليهودي الناقد اسبينوزا قول ابن عزرا بأنه أراد بأن موسى لم يكتب التوراة لأن موســـى لم يعبر النهر ، ثم سفر موسى قد نقش على اثني عشر حجرا بخط واضح ، فحجمه ليس بحجـــم التـــوراة ، ثم لايصح أن تقول التوراة بأن موسى كتب التوراة ، ثم كيف يذكر أن الكنعانيين كانوا حينئذ علـى الأرض ؟ ، فهذا لايكون إلا بعد طردهم منها ، وأما جبل الله فسمي بهذا الاسم بعد قرون من موسى ، وســـرير عـــوج الحديدي جاء ذكره في التثنية (٣/١١-١٢) بما يدل على أنه كتب بعده بزمن طويل .[3]

ويعترف أيضا في القرن التاسع عشر القس نورتن بعدم صحة نسبة الأسفار لموسى فيقول : " أن التوراة جعلية يقينا ليست من تصنيف موسى " .

وفي مدخل طبعة للكتاب المقدس باللغة الانجليزية صدرت عام ١٩٧١م سجل محرر الطبعة تشـــككا في إلصاق الأسفار بموسى فقال " مؤلفه موسى على الأغلب " .

وكانت المطبعة الكاثوليكية قد أصدرت عام ١٩٦٠م طبعة للكتاب المقدس جاء في مدخلها " ما مـــن

---

(١) انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٤٢ - ١٤٤ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمـــي ، ص ١٥٨ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٢١ - ٢٢ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧١ .

(٢) انظر : حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٩٨ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل ســـعفان ، ص ١٩٣ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٢١ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧١ ، المـــيزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ١٦ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٥٧ - ٥٨ .

(٣) انظر : في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٧١ - ٧٥ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليـــل أحمد ، ص ٤٤ - ٤٦ .

عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة ، أو أنه أشرف على وضع النص الذي كتبه عديدون بعده ، بل يجب القول بأن هناك ازديادا تدريجيا سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية "، ومثله في المدخل الفرنسي للكتاب المقدس .

وتذكر دائرة معارف القرن التاسع عشر " أن العلم العصري ، ولاسيما النقد الألماني قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة ، والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى عليه السلام ، وأنما هي من عمل أحبار لم يذكروا أسماءهم عليها ، وألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل " .

ويقول نولدكه في كتابه " اللغات السامية " : " جمعت التوراة بعد موسى بتسعمائة سنة ، واستغرق تأليفها وجمعها زمنا متطاولا تعرضت حياله للزيادة والنقص ، وأنه من العسير أن نجد كلمة متكاملة في التوراة مما جاء به موسى ". (١)

ويقول جارودي في كتابه " إسرائيل والصهيونية السياسية " : " ليس هناك عالم من علماء التوراة وتفسيرها لايقر بأن أقدم نصوص التوراة قد ألف وكتب على الأكثر في عهد سليمان ، وهذه النصوص ليست إلا تجميعا لروايات شفيهة ، وإذا التزمنا بمعايير الموضوعية التاريخية كان علينا الإقرار بأن هذه الروايات التي تتحدث عن ملاحم مرت عليها قرون ليست أكثر تاريخية – بالمعنى الدقيق للكلمة – من الإلياذة(٢) أو الرامايانا". (٣)

---

(١) انظر :السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٣٠ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٣ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٦٣ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٥٩ – ٦١ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٤٦ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ط١، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤١٥هـ ،ص ١٠٠ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٩٧ – ٩٨.

(٢) الإلياذة كبرى ملاحم اليونان ،وقد كتبت في القرن الثامن قبل الميلاد، وتحكي قصة البطل أخيل ودوره في الحرب بين ملك طراودة وملك اسبارطة. انظر : موسوعة المورد ، خير البعلبكي ، ١٧٤/٢ .

(٢) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٥ .والرامايانا ملحمة هندية قديمة يعتبرها الهندوس كتابا مقدسا، وتتكون من ٤٠٠٠٠٠بيت تحوي مغامرات راما الأسطورية وأعماله الخرافية. انظر : موسوعة المورد ، خير البعلبكي ، ١٢٢/٨ .

المطلب الثاني : إبطال نسبة أسفار الأنبياء إليهم.[1]

وكما وجد علماؤنا النسبة ممتنعة بين الأسفار الخمسة وموسى فإنهم بحثوا عن علاقة بقية الأسفار بمن نسبت إليهم ، بيد أن تفحصهم لهذه الأسفار واهتمامهم بها كان دون الخمسة ، ولعل سبب ذلك أنهم لايجزمون بنبوة هؤلاء أصلا .

سفر يشوع

ويشوع هو الذي قاد بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ودخل بهم إلى الأرض المقدسة فهل حقا يشوع هو كاتب هذا السفر ؟

القراءة المتأنية لهذا السفر تكشف عن تأخر تاريخ كتابته عن يشوع بسنين طويلة فقد جاء فيه خبر موت يشوع " مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين فدفنوه في تخم ملكه " (يشوع ٢٤/٢٩ - ٣٠) .

ويذكر السفر أحداثا بعد موته كتعظيم بني إسرائيل له بعد موته (انظر يشوع ٢٤/٣١) والسفر برمته يتحدث عن يشوع بضمير الغائب (انظر ٨/٣٥ ، ٦/٢٧) .

ومما يدل على تأخر كتابته " فأقام الكنعانيون بين افرائيم إلى هذا اليوم " (يشوع ٨/١٠) .

ويرى فؤاد حسنين نظرية المصادر البشرية الأربعة التي يأتي الحديث عنها مفصلا في مصادر الأسفار الخمسة قائمة في هذا السفر ، ولكن الدمج بينها كان جيدا ، فأضحى من الصعب تحليل النص إلى عناصره الأولية لكن ذلك يؤكد براءة يشوع منه .

ويرجح أن النص يعود تأليفه للقرن الخامس قبل الميلاد ، على الرغم من وجود نقول قديمة في بعض القطع منه ، وينقل ديدات عن مقدمة السفر قولها " ينسب معظمه إلى يشوع " والنتيجة التي يراها اسبينوزا أن كاتب السفر مجهول وانه ليس من عمل يشوع . ونقل رحمة الله الهندي اختلاف علمائهم في كاتب السفر على خمسة أقوال فمن قائل أن كاتبه يوشع ، أو فنحاس ، أو العازرا ، أوصموئيل ، أو إرميا ، وبين يوشع وإرميا أزيد من تسعة قرون [2].

سفر القضاة

---

[1] لا ريب أن هذه الأسفار تحوي القليل من أثارة النبوة، وهو مالا نمانع من نسبته للأنبياء، وما نبطل نسبته هنا هو عموم ما جاء في هذه الأسفار.

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١/١٢٩ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسنين علي ، ص ٣٢ -٣٣ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٨٢ - ٨٤ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٠٨ ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ترجمة :نورة النومان ،دار الهجرة ، دمشق ، ١٤٠٨هـ ،ص ٧٩ .

ويتحدث السفر عن الفترة التي تلت يشوع والتي سبقت الملكية ، وهي فترة مبكرة من تـــاريخ بـــني إسرائيل .

ويذكر اليهود أن كاتبه هو آخر قضاة بين إسرائيل وهو صموئيل فإن صح ذلك فقد بقي بعض أجـزاء السفر يتناقل شفاهيا ما يقرب من مائة سنة .وتذكر مقدمة السفر أنه كاتبه " يحتمل أن يكون صموئيل " كما نقل العلامة ديدات .

ويذكر القس وليم مارش وكتاب " مرشد الطالبين " أن كاتب السفر مجهول وأنه ينسب لصموئيـل أو عزرا أو أن كل قاضي كتب في زمان ولايته .

ونسبه بعضهم لعزرا ، وآخرون لحزقيا ، وآخرون لفينحاس ... وينبه رحمة الله الهندي إلى أنه بين عزرا وفينحاس اللذان ينسب السفر لأحدهما أزيد من تسعمائة سنة .

ولكن السفر يحوى ما يدل على أنه كتب في عهد الملوك فقد جاء فيه " في تلك الأيام لم يكن ملـك في إسرائيل " (قضاة ٢٥/٢١) " وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل " (قضاة ٦/١٧)

ويقول الأب لوفيفر : إن سفر القضاة أعيدت كتابته وعدلت مرات كثيرة قبل أن يصـــل إلى صيغتـــه النهائية ، وأن أحداثه التاريخية تعوزها الدقة. ويذكر فؤاد حسنين أن تأليفه يعود للقرن الخامس قبل الميلاد وإن كان فيه قطع قديمة جدا أدخلت عليه فيما بعد وهي أغنية دبورة والتي ترجع لـــ ١٢٠٠ ق . م وتعتبر بحـــق أقدم النصوص العبرية .

ويرى المحققون الخلط فيه واضحا بين المصدرين اليهودي والألوهيمي ، ومن أمثلته التناقض في قصـــة يفتاح (انظر ٥/١١ ، ٢٩/١١) .[1]

سفر راعوث

ويقول عن كاتبه القس وليم مارش " مجهول " ، ويضيف جورج بوست " لا يمكن الجزم بزمان هـــذه القصة ، ولا بمعرفة مؤلفها .. نسب بعضهم كتابتها إلى صموئيل وآخرون إلى حزقيا وآخرون إلى عزرا ... " وتقول مقدمة السفر عن الكاتب " ليس معروفا بالتحديد " والسفر يحكى قصة المؤابية التي تزوجت إســرائيليا ، ثم مات عنها زوجها ثم تزوجها بوعز فولدت له عوبيد جد داود ، فهدف السفر أن يقول بأن داود جدتـــه مؤابية كما يهدف للرد على ما أشاعه سفر عزرا ونحميا من منع الزواج من الأجنبيات ، ويرجـــع وضعـــه لأواخر القرن الخامس قبل الميلاد .[2]

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٣٤/١ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علـــى ، ص ٣٤ - ٣٥ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٨٥ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمـــد البـــار ، ص ٢٠٩ ، مقدمة السقا .

(٢) انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٨٦ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١١٠ ، هـــل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٨٠ ، ١٢٦ ، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد ، ص ٩٩ .

سفرا صموئيل (الأول والثاني)

وينسب السفران للنبي صموئيل ، وكانت المخطوطات العبرية تعتبرهما سفرا واحدا ، وقد قسمتهما طبعة البندقية ١٥١٦م – ١٥١٧م .

لكن الجزء الأول أو السفر الأول يذكر وفاة صموئيل ودفنه " فمات صموئيل فاجتمع إسرائيل ، وندبوه ، ودفنوه " (صموئيل (١) ١/٢٥) فمن الذي أكمل السفر وكتب الثاني ؟

ويقول منقحو الكتاب المقدس الذي راجعه القسيس فانت السكرتير العام لجمعية الكتاب المقدس بنيويورك : بأن مؤلف السفرين " مجهول ، ويحتمل أن يكون عزرا هو الذي كتبه وراجعه ". ويقول محررو طبعة ١٩٧١م الإنجليزية في مدخلهم " مؤلفه : صموئيل على الاحتمال " وتقول مقدمة أخرى " مجهول " . ويرى الباحثون أن كتابتهما تعودان للقرنين ٨ – ٦ ق . م .[١]

سفرا الملوك (الأول والثاني)

وكانا في العبرية سفرا واحدا ويرجح أن لهما كاتبين، وأنهما كتبا في القرنين السادس والسابع قبل الميلاد

ويقول المدخل الفرنسي عن السفرين " كيف جمعت هذه العناصر المختلفة في مجموعة واحدة ؟ هذه مشكلة من مشاكل المؤلف . من الواضح أن الذي كتب ملوك (٢) ٢٧/٢٥ – ٣٠ والذي تكلم بكلام المعاصر على الأحداث التي يرويها فوصف تابوت العهد في ملوك (١) ١٣/٩ ، أو روى وقائع ملوك (١) ٢١/٩ ليس كاتبا واحدا ، وإلا لكان لابد من أن يعيش أكثر من أربعمائة سنة . فمن هو واضع سفري الملوك الأول والثاني ؟ قيل أن هذا الكاتب هو كاهن .. ثم قام محرر ثان بعد المحرر الأول بجيل " .[٢]

سفرا الأيام (الأول والثاني) :

وكانا في التوراة اليونانية سفرا واحدا ومؤلفه كما ذكر منقحو الكتاب المقدس " مجهول ، ويحتمل أن يكون عزرا قد جمعهما " .

ويرجح السقا أنهما كتبا في عصر المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد ، ويقول الدليل إلى قراءة الكتاب المقدس " كتبت هذه المؤلفات في أوائل العصر اليوناني ، لايعرف كاتبها " .[٣]

---

(١) انظر : في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٨٥ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٤، ١١٠ – ١١١ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٨٦ ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٥٨ ، قف ص ٤٠ – ٤١ ، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد ، ص ٩٩

(٢) انظر : التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٤٤ – ٤٥ ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٤٩ ، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٣) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٣٧ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٨٧ ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٥٨ – ٨١ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص

سفرا عزرا ونحميا :

ويتحدث السفران عن حياة بين إسرائيل بعد السبي ، ويرجح الباحثون أن كاتبهما وكاتب سفر الأيام واحد ، وأن الكتابة حوالي سنة ٣٠٠ ق . م ، وممن يرجح تأخر كتابة السفر عن عزرا ونحميا المحققون توري وهوشر ومونكل .

فكاتب نحميا والذي ينبغي أن يكون معاصرا للسبي البابلي يقول فيه " عن يشوع اللاوي الراجع في سبي بابل : يشوع ولد يوياقيم ، ويوياقيم ولد ألياشيب ، وألياشيب ولد يوياداع ، ويوياداع ولد يوناثان ، ويوناثان ولد يدوع " (محيا ١٢/١٠ - ١١) .

وعليه فكاتب السفر عاش في الجيل السادس من الرجوع البابلي .[١] فمن هو هذا الكاتب ؟

يجيب المدخل الفرنسي " جرت العادة بأن تنسب مجموعة الأخبار وعزرا ونحميا إلى كاتب واحد لايعرف اسمه يقال له : محرر الأخبار " .

ويقول القس وليم مارش " كاتب السفر حسب تقليد اليهود وهو عزرا ، وهذا قول أكثر رجال الكنيسة المسيحية أيضا ، غير أن بعض العلماء حديثا يقولون أن كاتبا اسمه مجهول كتب سفر عزرا وكتب أيضا سفر نحميا .[٢]

سفر استير :

و هذا السفر يتصور الخيال اليهودي ملكة فارس يهودية وذات نفوذ تستخدمه لصالح الشعب اليهودي .

ويعود تأليفه للعصر الاغريقي الذي بدأ بفتوح الاسكندر ٣٣٢ ق . م ، وعن مؤلفه يقول كتاب " مرشد الطالبين " : " مجهول " ويقول الدكتور بوست : " ينسب البعض تأليف هذا السفر إلى عزرا ، وآخرون إلى كاهن يدعى يهوياقين، والبعض ينسبونه إلى أعضاء المجمع العظيم ، على أن الأكثرين ينسبونه إلى مردخاي ، و لم يذكر في هذا السفر اسم الله " .

وقد شكك البعض في قانونية السفر مثل مليتو الساردیسي ، وجورجي الترياتزي كما ذكر ذلك قاموس الكتاب المقدس .

ويقول عنه لوثر " ليت هذا السفر لم يوجد " .

وفي الترجمة اليونانية زيادات غير موجودة في النسخة العبرانية مثل حلم مردوخاي وصلواته وسوى

.١٠٠

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٣٦/١ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٨٨ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٥٢ -٥٥ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٠٠ .

(٢) انظر : الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد ، ص ٩٦ .

ذلك . وهذا السفر يعتبره البروتستانت غير قانوني .

وقصد المترجمون في اليونانية بهذه الزيادات إضفاء صفة دينية على السفر العبري الذي ليس فيه ما يشير إلى أنه نص ديني .

ويقول بطرس عبد الملك وجون طمسن : " لايوجد تناسق أو انسجام بين السفر في العبرية وبين هذه الزيادات ، بل أن هناك تناقضا بينها ، فتذكر هذه الإضافات أن ملك الفرس في ذلك الحين هو ارتزركسيس بدلا من روكسيس وتذكر أن هامان كان مقدونيا بدلا من كونه فارسيا " .[1]

سفر أيوب :

ويرى الدكتور صموئيل شولتز أن " تاريخ كتابة هذا السفر مجهول ، وكذلك زمن الخلفية التاريخية واسم المؤلف ، واختلف فيه من عين كاتبا له على أربعة وعشرين وجها ، وتنقص الترجمة اليونانية الخمس من السفر عن العبرانية .

وقد جاء في وسط السفر ما يدل على أن ثمة كاتبا آخر غير أيوب قد تدخل في السفر ففي نهاية الأصحاح ٣١ " تمت أقوال أيوب " (أيوب ٣١/٤٠) لكن لم ينته السفر حينذاك بل استمر بعده أحد عشر أصحاحا تحدثت عن أيوب وفي نهاية السفر " وعاش أيوب بعد هذا مائة وأربعين سنة ورأى بنيه ، وبني بنيه إلى أربعة أجيال ، ثم مات أيوب شيخا وشبعان الأيام " (أيوب ٤٢/١٦ - ١٧) .[2]

سفر المزامير :

عدد المزامير مائة وخمسون مزمورا تنسب إلى مؤلفين مختلفين ، إذ ينسب لداود ثلاثة وسبعون مزمورا، ولموسى مزمور واحد ، ولأساف أحد عشر مزمورا ، ولبني قورح أحد عشر مزمورا ، ومزموران لسليمان ، وآخر لايثان وتسمى الباقي بالمزامير اليتيمة التي لايعرف من قائلها !!!

فكيف وصفت بالوحي ؟ وهل كان بنو قورح أيضا أنبياء ؟

ويبدو أن نسبة هذه المزامير إلى أصحابها ليست دقيقة ، بل اعتمد فيها على تطابق المزمور مع أسفار سابقة ، فنسب المزمور ٩٠ لموسى لمشابهته ما جاء في التثنية ٣٣/٣٢ ، ونسب المزمور ١٢٧ لسليمان لأنه تحدث عن بناء البيت .....

ولكن المتأمل في المزامير يدرك بوضوح كبير أن المزامير تعود للقرن السادس قبل الميلاد وتحديدا إلى أيام السبي البابلي ، وذلك يظهر من أمثلة متعددة منها " اللهم أن الأمم قد دخلوا ميراثك ، ونجسوا هيكل قدسك، وجعلوا أورشليم أكواما ، دفعوا جثث عبيدك طعاما لطيور السماء " (٧٩/١ - ٢) ومثله "

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٤٧/١ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٥٦ - ٥٧ ، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد ، ص ١٠١.

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٣٧/١ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٠١ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٩٠ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٦١ - ٦٢ .

الرب يبني أورشليم ، يجمع منفى اسرائيل يشفي المنكسري القلوب ، ويجبر كسرهم " (١٤٧ / ٤)

ومثله " على أنهار بابل جلسنا ... " (١٣٧ / ١) .... وغيرها .

وهذه الأمثلة تثبت أن كتابة المزامير تأخرت عن داود مالا يقل عن أربعة قرون وعليه فلا تصح نسبتها إليه .[١]

فمن الكاتب لهذه المزامير ؟ يجيب صموئيل شولتز :" ينسب $\frac{2}{3}$ المائة والخمسين مزمورا إلى مؤلفين مختلفين ، أما الثلث الآخر فكتابه مجهولون " لكن المدخل الذي أعدته الرهبانية اليسوعية كان أكثر دقة حين ذكر أن " المزامير هي مجموعة من الآناشيد الدينية المنسوبة لعدد كبير من المؤلفين على مدى أجيال طويلة منذ عهد موسى الذي عاش في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد – إلى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد " .[٢]

وتختلف المزامير العبرية عن مزامير الترجمتين اليونانية واللاتينية كما ذكر مدخل الآباء اليسوعيين .[٣]

سفر (الأمثال) و (الجامعة) و (نشيد الإنشاد)

وتنسب الأسفار الثلاثة لسليمان عليه السلام .

ففي سفر الأمثال فقرات لا تصح النسبة لسليمان ، فقراءتها تظهر أن لها أكثر من كاتب بدليل تكرار أكثر من مائة مثل باللفظ أو بالمعنى كما في ٨/١٨ و ٢٢/٢٦ و ٢٤/١٩ .

وقد نص السفر على أن بعض هذه الأمثال لسليمان فقد بدأ بقوله " أمثال سليمان بن دواد ملك إسرائيل " (١/١) ثم عاد في الأصحاح العاشر فقال : " أمثال سليمان " ثم في الاصحاح الخامس والعشرين " هذه أيضا أمثال سليمان التي نقلها رجال حزقيال ملك يهوذا " (١/٢٥) .

ويعلق الخولي على هذا النص بأنه المرة الوحيدة التي يظهر في التوراة شبه سند .

وإن كنا لانعرف من هم رجال حزقيا ، وهل هم أيضا أنبياء علما بأن حزقيا هو الملك الثاني عشر بعد سليمان وفي الإصحاح الثلاثين تنسب مجموعة الأمثال لغير سليمان ففيه " كلام أجور ابن منقية مسا (أمثال ١/٣٠) ولايذكر السفر نبوته ، وفي الإصحاح الذي يليه " كلام لموئيل ملك مسا ، علمته إياه أمه " (١/٣١) .

ولايذكر السفر كيف اعتبر هذا الذي علمته أمه من الوحي .

ويقول المدخل للآباء اليسوعيين : " يستحيل تحديد أصل هذه المجموعات حتى المسندة منها إلى سليمان

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٣٨/١ – ١٤٠ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٣٧ – ١٣٨ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٠٦ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٦٦ – ١٦٧ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٨٩ – ٩٠ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٠٢ .

(٢) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ٢٣٢ .

(٣) الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد ، ص ١٠٢ .

...أن عددا كبيرا من هذه الأمثال لا صفة دينية لها البتة " .[1]

وأما سفر الجامعة فقد جاء في أوله " كلام الجامعة بن داود الملك في أورشليم " (١/١) وفي موضع آخر يقول " أنا الجامعة كنت ملكا على إسرائيل في أورشليم " (١٢/١) .

وليس في ملوك بني إسرائيل من اسمه الجامعة وقد ذكروا في أيام (١) ١/٣ -٢٢ لذلك ينسبه الكهنوتيون لسليمان ،ولايصح هذا لأنه يقول " رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم ، وموضع العدل هناك الجور ... " (١٦/٣) .

ومثل هذا لا يمكن أن يقوله سليمان الملك ومثله " ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجري تحت الشمس ، فهوذا دموع المظلومين ، ولا معزلهم من يد ظالميهم " (١/٤) ومثله كثير ، فالسفر يحمل صورة تشاؤمية لا يمكن أن تصدر عن نبي ، ونقل رحمة الله الهندي عن علماء اليهود والنصارى أقوالا لهم في نسبة هذه الأسفار ، فقال بعضهم : هي من تأليف إشعيا ، وقال آخرون : حزقيا . وقال آخرون : صنف بعد الأسر البابلي ..... .[2]

سفر نشيد الإنشاد :

وهذا السفر أشد الأسفار إثارة ، وقد تعرض لتردد كثير حتى قبل بالكتاب المقدس ، ويرى المحققون أنه يعود للقرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد وإن اشتمل على بعض الأغاني القديمة جدا .

وذكر هو جو جروتيوس وريتشارد وسيمون وغيرهما في القرن السابع عشر أن السفر هو عبارة عن أغاني قديمة كان يرددها الشعب اليهودي ويقول عنه المدخل الفرنسي " إن هذا الكتاب الصغير يمثل مسألة من أشد الأمور المتنازع عليها في نصوص الكتاب المقدس ، فما معنى تلك القصيدة أو تلك المجموعة من القصائد الغزلية في العهد القديم .. لانجد فيه أي مفتاح للسيرة . من الذي ألفه ؟ وفي أي تاريخ ؟ ولماذا ألف ؟ .. من الواضح أن مؤلفه ليس سليمان " .

وعن هذا السفر يقول الآباء اليسوعيون : " لايقرأ نشيد الإنشاد إلا القليل من المؤمنين ، لأنه لايلائمهم كثيرا " .[3]

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٤١/١ - ١٤٣ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٧٢ - ٧٣ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٠٧ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٠٢ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٧٢ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٤٤/١ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٧٤ - ٧٥ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٩١ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٣٩ ، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد ، ص ١٠٢ .

(٣) انظر : قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢٦٦/٢ ، ومقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٩١ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٧٦ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٠٣ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

ويقول وشتن " أنه غناء فسقي فليخرج من الكتب المقدسة " وقال العالم وارد الكاثوليكي عنه " غناء نجس " .[1]

سفر إشعيا :

وينسب السفر للنبي إشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد ، فقد عاصر الملك عزيا ثم يوثام ثم أحاز ثم حزقيا ، ولكن السفر يتحدث عن الفترة الممتدة بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد مما يؤكد أن ثمة كاتب أو كاتبين قد كتبوا ذلك بعد إشعيا ، ومن أمثلة ذلك حديثه عن بابل الدولة العظيمة وتنبؤه بأنهيارها.

وأيضا حديثه عن كورش الفارسي الذي رد اليهود من السبي (انظر ٤٤/٢٨ - ٤٥/١) كما يتحدث عن رجوع المسبيين والشروع في بناء الهيكل في الاصحاحات ٥٦ - ٦٦ وجاء في مدخل إشعيا " يضم سفر إشعيا ٦٦ فصلا فيها أدلة فكرية وأدبية على أنها لاتعود لزمن واحد .. وأوضح دليل على تعدد المؤلفين في مطلع الفصل ٤٠ .. نجد أننا ننتقل من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس قبل الميلاد ، و لم نعد نذكر اسم إشعيا ، وحلت بابل محل آشور ، وكذلك ملك الميديين الفرس وقورش " .

وقال العالم الألماني أستاهلن " لايمكن أن يكون الباب الأربعون وما بعده حتى الباب السادس والستين من تصنيف إشعيا .

سفر إرمياء

ويقول المدخل للتوراة الصدار ١٩٧١م عن هذا السفر " ينسب معظمه إلى إشعيا ، ولكن بعضه من المحتمل كتبه آخرون " .[2]

أما سفر إرمياء فلا تصح نسبته للنبي إرمياء إذ هو من عمل عدة مؤلفين بدليل تناقضه في ذكر الحادثة الواحدة ، ومن ذلك تناقضه في طريقة القبض على إرمياء وسجنه (انظر : إرمياء ٣٧/١١ - ١٥ و ٣٨/٦ - ١٣)

وقد تعرض السفر لكثير من الزيادة والنقصان فالترجمة اليونانية ينقصها نحو الثمن من النص العبري .

كما يحمل السفر اعترافا بزيادة لغير إرمياء ففيه " فأخذ إرمياء درجا آخر ، ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب ، فكتب فيه عن فم إرميا ، كل كلام السفر الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا بالنار ، وزيد عليه أيضا كلام كثير مثله " (٣٦/٣٣) ، وفي موضع آخر " إلى هنا كلام إرمياء " (٥١/٦٤) .

وعليه فالاصحاح الذي بعده ليس من كلام إرميا ، واعترف القس ونما بإلحاقه وكذا المفسر هورن ،

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١/١٥٠ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١/١٥٠ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ص ٢/٢٦٦ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٧٨ - ٨١ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٤ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٠٥ ، الكتب السماوية ، شروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ، ص ٢٣٩ .

وقال جامعو تفسير هنري واسكات " يعلم أن عزرا أو شخصاً آخر ألحق هذا الباب " .[1]

وهكذا يستمر الحال في بقية أسفار الأنبياء الصغار الذين لم يعن علماؤنا كثيراً بنقد أسفارهم لتكرر الصورة نفسها مراراً وتكراراً .

وقد صدق موريس فورن حين قال " لو سألنا في أي وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة ، وفي أي حال ، وظروف ؟ وبأقلام من كتب ؟ لا نجد أحداً يجيبنا عن تلك الأسئلة وما شابهها إلا بأجوبة متباينة متخالفة جداً ...

والملخص أن المذاهب العلمية الجديدة ترفض أغلب أقوال علماء النقل التي هي أساس اعتقاد النصارى واليهود ، وتقوض بنيان ادعاء السابقين ،وتبرئ الأنبياء من تلك الكتابات " .

ويواصل فيقول " ما الحيلة ونحن من مائة سنة حيارى بين أسانيد يمحو بعضها بعضاً ، فالحديث يناقض سابقه ، والسابق ينافي الأسبق ، وقد تتناقض أجزاء الدليل الواحد .. وأيسنا من الوصول إلى معرفة صاحب الكتاب الحقيقي " .[2]

وهكذا " يمكن تلخيص الخواص المشتركة بين هذه الأسفار بانها كتب مؤلفة ، أغلبها مجهولة المصدر والهوية ، وقد توراثتها المسيحية هكذا ، مع تحفظها الصريح على وجود بعضها بين دفتي الكتاب المقدس لما فيها من تعارض مع الأخلاق المسيحية " .[3]

ونختم مع أحمد عبد الوهاب وهو ينقل عن مدخل التوراة الكاثوليكية وفيه " صدرت جميع هذه الكتب عن أناس مقتنعين بأن الله دعاهم لتكوين شعب يحتل مكاناً في التاريخ ... ظل عدد كبير منهم مجهولاً .. معظم عملهم مستوفى من تقاليد الجماعة ، وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب ، وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات ، وحتى في شكل إعادة صيغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية ، لا بل أحدث الأسفار ما هي إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة " .[4]
فكيف يقال بعد هذا كله : (هذه الأسفار وحي الله) ؟

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٤٨/١ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علي ، ص ٨٨ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٩٢ - ٩٣ ، الكتب السماوية ، شروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ، ص ٢٣٩ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٠٨ .

(٣) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٧٥ .

(٤) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٦٥ .

المطلب الثالث : مصادر التوراة

وثمة سؤال يطرح نفسه : من أين اقتبس الكتبة المجهولون ما كتبوه ؟ فمما لاريب فيه أن كثيراً منه يحمل أثارة النبوة لاسيما تلك النصوص التي أكدت على التوحيد مراراً ، أو تلك التي تحدثت وتنبأت بالنبي الخاتم ، ولكن ثمة مصادر أخرى لهؤلاء الكتبة لحظها علماؤنا ، من أهمها الخيال اليهودي الخصب والنظرة العنصرية التي سيطرت عليهم .

الوثنيات القديمة والتوراة :

ومن المصادر أيضاً أساطير الأمم السابقة لبني إسرائيل والتي يظهر صداها واضحاً في أسفار العهد القديم ومن ذلك ما ذكره سفر التكوين عن مضاجعة لوط (انظر التكوين) فيراها كامل سعفان منقولة ومنحولة عن أسطورة مصرية ذكرها شوقي عبد الحكيم في كتابه " أساطير وفلكلور العالم العربي " وتتحدث الأسطورة عن إلهة الموت " أفروديت " التي كانت تتمنى أن تنجب طفلاً من أخيها الأكبر أوزوريس ، فأسكرته وضاجعته ، فولدت من الاله أنوبيس .[1]

وأما المصارعة التي ذكرها سفر التكوين (انظر ٣٢/٢٤ - ٣٠) فيراها قصة منحولة عن قصة وثنية ، جرى تغيير بعض ملامحها الأساسية .

ولكنا إذا ربطنا هذه القصة بالملامح الطبيعية للمكان الذي جرت فيه يتضح لنا كبير علاقتها بالأسطورة.

فيفترض كامل سعفان أن المصارع الغامض هو روح النهر أو شيطانه ، وأن النزاع من أجل البركة ، ولهذا تخلف يعقوب عن القافلة ، وبقي وحده في مخاضة النهر ، وربما أن يعقوب حسب أن إله النهر يخاف من وقع أقدام القافلة ، فيختفي في بحيرة أو بين الأشجار ، وهذا يتطابق مع أساطير عدد من الشعوب التي كانت تسترضي إله النهر ، ومنها أن مينيلاوس أمسك بإله البحر بروتيوس الذي كان يرقد منعزلاً وقت الظهيرة بين الحواجز ، وفوق الرمال الصفراء ليرغمه أن يخبره بتكهناته . وقد حاول برتيوس الهرب فلم يستطع ، فأعطاه المنحة التي طلبها، وفي أساطير المكسيكيين أن رجلاً شجاعاً أمسك شبح الإله الكبير تزكاتليبوكا ، وأخبره أنه لن يتركه حتى تشرق الشمس ، فتوسل الشبح إليه ليتركه ، ووافقه على أن يمنحه أي هبة يطلبها .

ويعقب كامل سعفان بأن هذه خيالات إنسان ضعيف ساذج لم يتهذب بالدين .[2]

ولرب قائل ببعد المكسيك عن موطن اليهودية ، وصعوبة انتقال الأسطورة ولكن المتتبع لأخبار الأمم

---

(١) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٤ .

(٢) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

يرى أمثال هذه الأساطير تتردد عند الأمم كما في أسطورة المخلص وغيرها .

وأما قصة استير و ابن عمها مردخاي والتي تذكر انتقامها من هامان وزير ملك الهند وفارس أحشويرس. فالقصة مشابهة لما جاء في التراث البابلي في ملحمة البابليين والعيلميين ولكل بطل من أبطال القصة التوراتية مقابل في الأسطورة البابلية .

فاستير اليهودية هي عشتر البابلية ، وهامان هو إله العيليميين ، ومردخاي هو مردوك .

ومما يؤكد هذا الاقتباس أن التاريخ الفارسي لايذكر شيئاً عن أبطال القصة التوراتية وخاصة استير والملكة فشتي .[1] لكن التوراة تتشابه مع القصص الفارسية التي تزعم أن أب البشرية الأول كانا ذكراً وأنثى متصلين من الخلف ، وقد جاء في سفر التكوين عن آدم " فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقه " (وفي الترجمة التي بين يدي ينتقل الحديث عن آدم للحديث عن ذريته وفيه " ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم ") (التكوين ١/٢٧ - ٢٨) .

ويقول ولد يورانت : معنى هذا أن أبانا الأول كان ذكراً وأنثى معاً ... ويبدو أن أحداً من رجال الدين - إذا استثنينا أرسطو فايتر - لم يفطن إلى هذه العبارة " .[2]

ومن التشابه أيضاً مع أساطير الأمم القديمة ما جاء في حزقيال عن لقاء الرب(انظر حزقيال ١/٥-١٢) فهو يشبه الوحش ذا الرؤوس السبعة في الأساطير الأوجاريتية وغيرها من الأساطير .[3]

وأما المزامير فتتشابه مع الأناشيد والتراتيل المصرية وغيرها ، فالعالم أرمان في بحثه القيم " مصدر مصري لأمثال سليمان " والذي قدمه عام ١٩٢٤م تابعه فيه العالم برستيد، يريان بأن المزمور ١٠٤ منقول بشكل شبه حرفي من نشيد أخناتون الكبير .

وأما المزمور ١٩ فمقدمته هي عينها الابتهالات التي كانت تقدم لإله الشمس ، ونشيد العاصفة في المزمور منحول من نشيد إكرام الوثن بعل الذي عبده بعض سكان فلسطين .[4]

وأما سفر نشيد الإنشاد فيرى ولديورانت أنه من وضع شعراء عبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التي وصلت مع غزو الاسكندر ، وقد يكون السفر مأخوذاً من آداب مصرية بدليل أن العاشقين كان يخاطب أحدهما الآخر : أخي . أختي . وهو أسلوب مصري قديم .[5]

ويؤكد العالمان أن سفر الأمثال منقول بشكل فاضح من كتاب " الحكم " لأمنحوبي المصري القديم ، وكان قد قسم كتابه إلى ثلاثين فصلاً واشتهر باسم " ثلاثون فصلاً من الحكمة " ونقل كاتب السفر هذه

---

(١) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) انظر : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٦ .

(٣) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان، ص ١٤٥ .

(٤) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٣١ ، ٢٢٣ .

(٥) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

الحكم مع تغيير بسيط فيما نقله وكان مما نقله " ألم أكتب ثلاثين فصلاً من جهة مؤامرة ومعرفة " (قارن الأمثال ٢٢/٢٠)، وهو تشويه لعبارة الحكيم " تبصر لنفسك في هذه الفصول الثلاثين حتى تكون مسرة لك وتعليماً ".

والغريب أن كاتب الأمثال لم يكمل الثلاثين فصلاً التي كان قد وعد بها ، ومع ذلك أبقى على ما نقله موجوداً .

ويذكر مصطفى محمود بعضاً من صور التشابه إذ يقول أمنحوبي " الكاتب الماهر في وظيفته سيجد نفسه أهلاً للعمل في رجال البلاط " ويقول سفر الأمثال " أرأيت رجلاً مجتهداً في عمله إنه يقف أمام الملوك " (أمثال ٢٢.٢٩/) .

وأيضاً يقول امنحوبي " لاتصاحب رجلاً حاد الطبع ، ولاترغب في محادثته " وفي سفر الأمثال " لاتستصحب غضوباً ، ومع رجل ساخط لاتجيء " (الأمثال ٢٢/٢٤) .[1]

وأما سفر الجامعة فلا يمكن أن يصدر من نبي للروح التشاؤمية ، والنظرة السوداوية التي تسيطر على كاتبه الذي اقتبس من الاساطير البابلية ، ومنها أن الآلهة نصحت جلجامش بقولها " أي جلجامش ، املأ بطنك ، وكن مرحاً بالليل والنهار ، بالليل والنهار كن مبتهجاً ، راضياً ، طهر ثيابك ، واغسل رأسك بالماء، وألق بالك إلى الصغير الذي يمسك بيدك . واستمتع الزوجة التي تضمها إلى صدرك " .

ويشبه هذا ما جاء في سفر الجامعة وفيه " اذهب. كُل خبزك بفرح ، واشرب خمرك بقلب طيب ، لأن الله منذ زمان قد رضي عن عملك ، لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ، ولايعوز رأسك الدهن ، إلتذّ عيشاً مع المرأة التي أحببتها " (الجامعة ٩/ ٧) .

ويقول كامل سعفان " يمكن القول : أن العهد القديم صدى ثقافات كثيرة اعتملت في وجدان وفكر شعوب الشرق الأدنى كله ، ولعل النصوص الكنعانية الفينيقية التي اكتشفت أخيراً في أوجاريت أكبر دليل على أن كتاب العهد القديم قاموا بدور الانتخاب تارة ، والامتصاص مرة أخرى .. فتولد هذا التراث الشرقي الكبير الذي بين أيدينا في إطار الكتاب المقدس " .[2]

وقد قارب الحقيقة صبري جرجس حين وصف التوراة في كتابه " التراث اليهودي الصهيوني بأنها " لاتكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التي صيغت في جو أسطوري حافل بالإثارة ، مجلفٍ للعقل والمنطق ، غاص بالمتناقضات ، مشبع بالسخف ...." .[3]

ويعترف بأثر هذه الأمم على التوراة المدخل الفرنسي للتوراة " لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس وهم

---

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٢٩ - ١٣١ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على، ص ٦٨ - ٧١ ، التوراة ،مصطفى محمود،دار المعارف ،القاهرة،ص ١٣.

(٢) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٧٤ .

(٣) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٤٠ .

يرون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم، ولاسيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية " .[1]

ويذكر الفيلسوف اسبينوزا والمؤرخ ولديورانت أن تأثر التوراة بالأمم السابقة طال حتى شرائع التوراة التي تأثرت بقانون حمورابي في كثير من شعائرها .[2]

المصادر اليهودية للتوراة :

وفي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي بدأت دراسات غربية في دراسة الأسفار الخمسة والبحث في المصادر اليهودية القديمة التي استقى منها مؤلف التوراة معلوماته .

وكان أول هذه الدراسات دراسة لجان استروك صدرت في عام ١٧٥٣م وقد نشرها من غير أن يجرؤ على ذكر اسمه ، وأكد في دراسته أن سفر التكوين يتكون من نصين مختلفين متداخلين سمى أحدهما النص اليهودي ، والآخر النص الألوهيمي .

وسار على خطاه الباحث اينهورن فأثبتت دراساته للأسفار الأربعة الأخرى أنها تحوي أيضاً على ذات النصين المتداخلين ، وذلك في سنة ١٧٨٠ - ١٧٨٣م .

وقبل أن يغرب القرن الثامن عشر أثبت الباحث لهاوزن أن الأسفار الخمسة كتبت بعد أسفار العهد القديم مخالفاً ما كان شائعاً حتى ذلك اليوم ، وأيضاً في عام ١٧٩٨م درس ايلجن النص الألوهيمي ووجده يرجع هو أيضاً إلى مصدرين مختلفين .

وفي بداية القرن التاسع عشر ، وفي عام ١٨٠٢م نشر اسكندر جيرسي نقده المشهور " ملاحظات نقدية " في نهاية ترجمته للكتاب المقدس ، وأنكر فيه علاقة موسى أو الوحي بالأسفار الخمسة ، وتابعه على ذلك يوحنا سيفربن فاتر المتوفى سنة ١٨٢٦م .

وكرد فعل لهذه النظرية ظهرت نظرية التكملة التي تقول بوجود نص أصلي قديم للتوراة ، ثم أضيف إليه فصول من مصادر مختلفة ، وممن تبنى هذه النظرية مارتين ليبرشت ده فته ، وهيزيش أفالد .

لكن سرعان ماعادت نظرية المصادر مرة أخرى عندما توصل العالم كار داود الجن ١٨٣٤م إلى وجود مصدر ثالث للأسفار الخمسة ، وسماه المصدر الكهنوتي .

ثم في عام ١٨٥٣ أضاف هرمن هوبفلد من خلال دراساته مصدراً رابعاً هو المسمى بالتثنية ، وتكاملت نظرية المصادر الأربعة واشتهرت وأصبحت محل قبول العلماء والمحققين .

وفي عام ١٩٤١م كشف العالم لودز خلال دراسته للنصوص الأربعة عن وجود مصادر جزئية لكل من

---

(١) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٩٨ .

(٢) انظر : الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٦٩ - ٧٠ .

النصوص الأربعة المتداخلة ، فالنص اليهودي يرجع لثلاث مصادر ، بينما يرجع الألوهيمي لأربعة مصادر ، ويرجع الكهنوتي لتسع مصادر ، وأما مصدر سفر التثنية فيرجع لستة مصادر فتحولت المصادر الأربع الرئيسية إلى اثنين وعشرين مصدراً فرعياً .

وقد اعترف الأب دوفو بهذه المصادر التي كشف عنها لودز ، وقال بأنه علاوة على ذلك توجد بعض الزيادات التي تتوزع بين ثمانية من المؤلفين .(١)

وقد اعترف بنظرية المصادر الأربعة مدخل الكاثوليك للكتاب المقدس .(٢)

ويقول الأب دوفو : " لقد تكونت أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة لأمم مختلفة ، جمعها محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب ، وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة ، تاركين للعين أموراً غير معقولة ، وأخرى متنافرة .... " وتقول دائرة المعارف البريطانية : " أن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة ، وبأيدي كتاب مختلفين ذوي ثقافات مختلفة متباينة " .(٣)

ويرجح ولد يورانت أن هذه الروايات قد امتزجت وأخذت صيغتها النهائية سنة ٣٠٠ ق . م . وفصل آخرون فقالوا بأن الأسفار الخمسة أخذت وضعها النهائي سنة ٤٠٠ ق . م ، بينما امتدت أسفارالأنبياء إلى سنة ٢٠٠ ق . م .

وانتشرت نظرية المصادر الأربعة بين الناقدين لقوة أدلة هذه النظرية المبنية على التباين الواضح بين المصادر الأربعة :

١) المصدر الأول : (اليهودي)

وكتب نصه فيما بين القرن العاشر والثامن قبل الميلاد ، ورجح البعض أنه في التاسع قبل الميلاد وقد كانت كتابته في مملكة يهوذا الجنوبية .

ولغة هذا النص قديمة فجة ، تتحدث عن الله بصورة بشرية فتجعله تارة يصارع يعقوب ، ولايقدر عليه (انظر التكوين ٣٢/٢٤ - ٣٠) وتارة يمشي وتسمع صوت أقدامه (انظر التكوين ٣/٨) وعندما أراد أن يقيم عهده مع نوح جعل علامة لذلك قوس قزح (انظر التكوين ٩/١٧) وهو مولع باللحم المشوي الذي يحبه

---

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ٣٣ - ٣٤ ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علي ، ص ٢٦ - ٣٠ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٣ - ١٥ ، ١٣٦ ، ١٩٨ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٢١ - ١٢٣ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ، ص٥٤ - ٥٦ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٠٦ - ١٠٩ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ٧٨ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ،ط٢، دار النفائس ، ١٤٠٥هـ ،ص ١٣ - ١٥ .

(٢) انظر : حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٥ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٥٦ .

(انظر التكوين ٢٠/٨) .

ويتحدث هذا النص عن بدء الخلق ويمتد إلى موت يعقوب ، ويظهر فيه الشعور القومي ، وسيطرة إسرائيل على كنعان ، وشغله الشاغل التأكيد على وعد الله لإسرائيل بأرض كنعان .

ويطغى هذا النص في سفر التكوين ، ويشترك مع الثاني والرابع في سفري الخروج والعدد .

وأهم ما يميز هذا النص تسميته الإله (يهوه) .

٢) المصدر الثاني : (الألوهيمي)

وهو متأخر عن المصدر الأول في زمن كتابته ، إذ يرجع للقرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ، وكتب هذا النص عن الإله ، وجنبه النشاطات البشرية ، ويظهره بصفات مهيبة ، فمثلاً عندما تحدث عن علاقة إبراهيم بالله ، جعلها عن طريق ملاك .

ويركز النص في الأحداث الخاصة بإبراهيم ويعقوب ويوسف ، وهذا المصدر موجود في الأسفار الثلاثة التكوين والخروج والعدد ، ويعود لهذا المصدر والأول معظم سفري التكوين والخروج .

وأهم ما يميز هذا النص تسميته الإله (ألوهيم) .

٣) المصدر الثالث : (سفر التثنية)

وقد عمل هذا المصدر في سفر التثنية فقط ، وبه سمي ، ويعود تاريخه للقرن الثامن أو السابع قبل الميلاد، ولغة هذا المصدر خطابية داعية لاتباع الشريعة ، وتطبيق العهد ، ويكثر فيه " اسمع يا إسرائيل " ، ويمتلئ بالتشريعات ، وغايته تركيز عبادة يهوه في مكان خاص هو أورشليم .

وقد خضع سفر التثنية لإصلاحات متأخرة جداً يمكن الوقوف عليها بمقارنة السفر مع بقية الأسفار الأربعة .

٤) المصدر الرابع : (الكهنوتي) .

ويعود تاريخ كتابته لما بعد النفي البابلي ، أي للقرن السادس قبل الميلاد ، وهو من عمل بعض الأحبار. وموضوعه ذكر الشرائع والتعاليم الطقسية ، وكيفية تطبيق تعاليم الدين .

ويتميز بأنه يذكر الخبر ونقيضه (انظر العدد ٣/٤ ، والعدد ٢٤/٨) ، ويستخدم هذا المصدر اسم :ألوهيم وهو يتحدث عن الله .

ولهذا المصدر دور كبير في سفري اللاويين والعدد ، كما شارك قليلاً في سفري التكوين والخروج.[1]

---

(١) انظر : التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين على ، ص ٢٦ - ٣٠ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٢٨ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٨١ - ١٨٢ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢٦٥/٢ - ٢٦٦ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٥٤ - ٥٥ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف

وقد ضرب بوكاي أمثلة لهذا التداخل بين المصادر في سفر التكوين ناقلاً ذلك عن الأب دوفو ، فبين أرقام الفقرات التي تتبع النص الألوهيمي ، وتلك التي تتبع النص اليهوي .[1]

وبفضل نظرية المصادر الأربعة أمكن فهم التكرار الغير مبرر والذي ورد في بعض المسائل التوراتية كما في الوصايا العشر (انظر خروج ٢٠ ، وتثنية ٥) وتكرار مواسم الأعياد أربع مرات (انظر خروج ٢٣ ، ولاويين ٢٣ ، وتثنية ١٦) وغير ذلك من الصور .[2]

كما أمكن أيضاً فهم التناقضات الكثيرة التي تقع في السفر الواحد من أسفار التوراة فقد تحدث سفر التكوين بمصدره اليهوي عن نجاة جميع البهائم الطاهرة من كل نوع سبعة سبعة ذكراً وانثى (انظر التكوين ٢/٧) ، بينما في النص الألوهيمي يتحدث عن نجاة اثنين فقط من كل نوع من أنواع البهائم الطاهرة وغيرها (انظر التكوين ١٩/٦ - ٢٠) .[3]

ومرة أخرى يذكر المصدر اليهوي في التكوين أن الطوفان في عهد نوح استمر أربعين يوماً (انظر التكوين ١٧/٧) ، وأن مصدره ماء المطر (انظر التكوين ٤/٧) والمصدر الألوهيمي يناقض ذلك فيذكر أن الطوفان استمر مائة وخمسين يوماً (انظر التكوين ٢٤/٧) ، وأن مصدره ماء المطر والينابيع (انظر التكوين ٢/٨) . وغير ذلك من الاختلافات .[4]

إن كل ما قيل في مصادر التوراة يؤكد صحة قول علمائنا من أن هذه التوراة لاعلاقة لها بموسى عليه السلام أو الوحي ، بل هي من كتاباتهم التي نسبوها لله كما قال الله ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾[5]

، يحيى ربيع ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٠٧ - ١٠٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد ،سهيل ديب ، ص ١٣ - ١٥ ، الكتب السماوية ، شروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ، ص ٢٣٠ - ٢٣٢ .

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٥٨ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١١٠ .

(٣) انظر : التوراة الإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٤٤ ، ٥٨ - ٥٩ .

(٥) سورة البقرة ،آية : ٧٩ .

المطلب الرابع : ضياع التوراة

وإذا كانت التوراة لم يكتبها موسى ، فمن الذي كتب هذه الأسفار ؟ وأين ما كتبه موسى ؟

اعتد علماؤنا في الإجابة عن هذين السؤالين على المعطيات التوراتية حيث تحدثت التوراة عن تاريخ تدوين ما كتبه موسى وكيفية ضياعه ، ونوجز ما أسهب علماؤنا في عرضه من خلال هذه النقاط :

١) تلقى موسى من الله وهو على جبل الطور لوحين من الحجارة كتبهما الله لبني إسرائيل تذكاراً " وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل، وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم" (الخروج ١٢/٢٤) وقد كتب في اللوحين الوصايا العشر (انظر خروج ١/٢٠ - ١٧) و (التثنية ٥/٥ - ٢٣) .

٢) أمر موسى بوضع اللوحين في تابوت العهد .(انظر : الخروج ١٦/٢٥ ، ٢١)

٣) وكتب موسى التوراة بيده ثم أمر أن توضع بين لوحي الحجر (انظر التثنية ٢٤/٣١ - ٢٦) وقد أوصى موسى بني إسرائيل بأن تقرأ على جميع بين إسرائيل كل سبع سنوات " وفي نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الابراء في المكان الذي تختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم " (التثنية ٩/٣١ - ١١) وقال للاويين " خذوا كتاب التوراة هذا وضعه بجانب عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، هوذا وأنا بعد حيّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكيف بالحري بعد موتي .. لاني عارف بعد موتي تفسدون وتزيغون " (التثنية ٢٤/٣١ - ٣٠) .

٤) أعاد يشوع كتابة التوراة فكتبها على أحجار المذبح بحروف واضحة " كتب هناك على الحجارة نسخة توارة موسى .. وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة ، و لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأ يشوع قدام كل جماعة إسرائيل والنساء والأطفال والغريب السائر في وسطهم " (يشوع ٣٠/٨ ٣٥) .

وتحدث (صموئيل (١) ١١/٤) عن فقدهم للتابوت في معركة مع الفلسطينيين ، ثم عاد إليهم بعد بناء الهيكل زمن سليمان ، ولما فتحوا التابوت " لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى " (ملوك (١) ٩/٨)

كما تعرض بيت المقدس لغزو عام ٩٤٥ ق . م من قبل شيشق ملك مصر ، وكان هذا الغزو كفيلاً بفقد كل ما في الهيكل من التوراة " وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب ، وخزائن بيت الملك ، وأخذ كل شيء " (ملوك (١) ٢٥/١٤ - ٢٦) ثم فقدت التوراة سنين طويلة ، و لم توجد لها باقية ، إذ عاد بنو إسرائيل إلى الوثنية ، و لم يعد للتوراة ذكر .

ثم في عام ٦٢٢ ق . م ، وبعد ثمان عشرة سنة من حكم الملك يوشيا أراد أن يعيد بني إسرائيل إلى التوراة المفقودة فادعى الكاهن حلقيا أنه وجد سفر الشريعة وقال " قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب "

فما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه " (ملوك (٢) ٢/٢٣)

و لم يبين ما الذي وجده حلقيا بعد هذه السنين ؟ هل وجد لوحي الحجر أم ما كتبه موسى ، أم أن المقصود بسفر الشريعة هو سفر التثنية ؟

وفي عام ٦٠٥ ق . م تسلط بختنصر على بيت المقدس فنهب وسلب وأحرق وسبا عشرة آلاف منها (انظر ملوك (٢) ١١/٢٤ - ١٥).

ثم في عام ٥٨٦ ق . م عاد بختنصر إلى أورشليم " وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم ، وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار " (ملوك (٢) ٩/٢٥) ، وهنا فقدت توراة حلقيا كما يشهد بذلك علماء أهل الكتاب يقول كليمي اسكندريانوس " إن الكتب السماوية ضاعت ، فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى " . ويقول تميو فلكت " إن الكتب المقدسة انعدمت رأساً ، فأوجدها عزرا مرة أخرى بالإلهام " .

ومما يدل على أن عزرا هو الكاتب ما جاء في سفر عزرا وفيه : " عزرا هذا صعد من بابل ، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل "لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب ، والعمل بها ، وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء ..... عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء (عزرا ٥/٧ - ١٠) ، وقد سمى النبي نحميا عزرا بالكاتب في مرات عديدة من سفره .[١]

ويرجح اسبينوزا أن كاتب التوراة الموجودة حالياً هو عزرا، وإن كان لايجزم بذلك وحجته في ذلك :

أن للتوراة كاتباً واحداً في سائر أسفارها ، وهذا الكاتب يكتب تاريخ بني إسرائيل في اثنى عشر سفراً تنتهي بهدم أورشليم ، وقد حافظ فيها على وحدة الغرض وتسلسل الأحداث وربطها بعضها ببعض وهذا المؤرخ جالس الملوك ، وجالس على موائدهم وعاش في العصر الذي برز فيه عزرا ، و لم يزدهر في ذلك العصر من له اهتمام بكتابة التوراة سواه ، وعليه فإن اسبينوزا يرجح أن كاتب التوراة هو عزرا .[٢]

وقد اختلف في كيفية كتابة عزرا للتوراة ، فقال بعضهم ومنهم الكاتب المسيحي كيتو : كتبها من حفظه ، وقال آخرون : بل أعانه عليها النبي نحميا . وقال غيرهم ، بل جمع مائة وعشرين من الأحبار قاموا

---

(١) انظر تاريخ تدوين التوراة في : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٢/٥٩٨ - ٦٠٧ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٥ - ١٦٧ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٨٦ - ٩٠ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٥٣ - ٧٠ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ٩٧ - ٩٩ ، الكتب السماوية ، شروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ، ص ١٨٠ - ١٩٨ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ١١٧ - ١١٨ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٠١ - ١٠٦ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٢ - ٥ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص١٦ - ٢٨ .

(٢) انظر : في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٨٥ - ٨٧ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٨٩ - ٩٠ ، الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزت الطهطاوي ، ص ١٦ -١٧ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٧ - ٧١ .

بكتابتها.[1]

ملاحظات عامة تتعلق بتاريخ التوراة

وقد سجل علماؤنا على تاريخ التوراة ملاحظات أهمها :

١) التسليم بضياع التوراة فيما قبل عزرا ، كما كانت قد ضاعت قبل وادعى حلقيا أنه وجدها في الهيكل ، فقد ثبت أن قطاع السند بين موسى وعزرا .

٢) عدم التسليم بأن الأسفار الخمسة المتداولة من كتابة عزرا ، لما فيها من تناقض مع كتابات أخرى لعزرا ، منها أنه وقع الخلاف والتناقض في هذه التوراة مع سفري أخبار الأيام وينسبان لعزرا وحجي وزكريا النبيين ، وقد ناقض ما جاء في الأسفار الخمسة وخصوصاً في أنساب الآباء الأوائل ، وقد أقر علماؤهم بأن عزرا لم يفرق في سفري الأخبار بين الآباء والأبناء وأبناء الأبناء ، واعتذروا لذلك بأنه فقد أوراق النسب فوقع في هذا الخلط ، ولو كان عزرا هو كاتب الأسفار الخمسة لرجع إليها فدل ذلك على أنه لم يكتب هذه الأسفار ، وأنها لم تكن مشهورة عنده إذ لو كانت كذلك لما تركها واعتمد على أوراق ناقصة .

وأيضاً من ذلك الخطأ يثبت عدم عصمة الأنبياء عندهم في النقل والتبليغ لوقوع النبي حجي والنبي زكريا وعزرا في هذا الخطأ ، وذلك مبطل لقولهم بالإلهام ، ومنه أيضاً يفهم أنه يجوز أن لايلهم النبي في بعض الأحيان رغم الحاجة إليه .

وأيضا فكما جاز تغليط الأنبياء إذا خالفوا ما في الكتب جاز رد مواضع أخرى خالفت بديهيات العقول كاتهام الأنبياء بالقبائح والفواحش .

ومما يدل على أن التوراة المتشرة ليست توراة عزرا ، فقد توراة عزرا في غزو أنتيوكس عام ١٦١ ق.م، يقول جان ملنر الكاثوليكي : " لما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضاً في غزو أنتيوكس التي جهد فيها الرومان في القضاء على الكتب المقدسة فقتلوا كل من وجد عنده شيء منها " .[2]

ويشكل على من قال بضياع توراة عزرا في حادثة أنتيوكس أن التوراة ترجمت لليونانية قبل ذلك ، في عام ٢٧٥ - ٢٤٧ ق . م . ولكن الاعتراض يندفع إذا علم أن الرهبانية المسيحية في مدخلها للكتاب المقدس تصف الترجمة السبعينية بالأسطورة كما سنبين في حينه .

وقد اتهم عزرا بالتحريف في التوراة من اليهود ومنهم السامريون ، واتهمه أبو الفتوح ابن أبي الحسن السامري بتحريف التوراة تعصباً لنبي يهوذا ، فوضع خطا غير الخط العبراني ، وجعل الحروف سبعاً وعشرين،

---

(٣) انظر: اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٦٤ - ١٦٧ .

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١١٢/١ ، ٦٠٧/٢ - ٦٠٨ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٤٩ - ٥٠ .

واتهمه بأنه حذف كثيراً من سفر الشريعة وزاد ونقص وبدل .[1]

ونستطيع القول بأن بعض علمائنا اعتبر التوراة الموجودة هي توراة عزرا والتي ترجمت على يد السبعين ، ولا اعتبار لها لعدم الدليل على إلهامية عزرا بدليل ما وقع فيها من أخطاء ، وعليه فإن التحريف وقع من عزرا.

وآخرين قالوا بضياع توراة عزرا في حادثة أنتيوكس وغيرها ، وقد رأى هؤلاء أن التوراة الموجودة اليوم هي من عمل مؤلفين تعاقبوا عليها خلال قرون عدة واستدلوا بما جاء في مدخل الرهبانية اليسوعية وفيه : " أسفار الكتاب المقدس هي من علم مؤلفين ومحررين ظل عدد كبير منهم مجهولاً .....

وكل هذه الكتب عدلت ، وبدلت مراراً ، وأضيف إليها ، وأسقط منها و لم تتخذ شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد الميلاد " .[2]

ويرى عبد الرحيم محمد أن كتبة التوراة هم أحبار اليهود ، إذ بعد ضياع التوراة " أصبح على كل حبر أن يحتفظ بنسخة مخطوطة ، كما وصلته بطريق ما أو بأخرى لكي يبني عليها أحكامه ، ويصدر فتاويه ، ثم تكاثرت الأحداث وازدحمت ، ورأى كل حبر أن ذلك تراث وتاريخ يجب ألا يضيع ، فدون وأضاف مدرآه حدثاً متميزاً لأمجاد وتاريخ إسرائيل "

ويرى عبد الرحيم محمد أن هذا يفسر وجود ثلاثة آلاف مخطوطة ليس فيها اثنتان متفقتان ، لأن كلا يكتب على هواه ، ويفسر التاريخ حسب منظاره ، وقد خلت هذه المخطوطات من أسماء أصحابها .[3]

٣) أن ثمة امور ساعدت على ضياع توراة موسى أهمها الاضطهادات التي تعرض لها اليهود ، ومنها الوثنية التي ارتد إليها بنو إسرائيل في أجيال كثيرة منهم لم تقم للدين وزناً ، ولا للكتاب أهمية ، ومنها اختصاص اللاويين بشئون التوراة حين دفعها إليهم موسى .[4]

٤) أن ثمة أسفاراً توراتية قد ضاعت بشهادة الأسفار الموجودة في الكتاب المقدس . منها :

سفر حروب الرب المذكور في (العدد ٤/٢١) وسفر ياشر المذكور في (يشوع ١٣/١٠) وسفر أخبار صموئيل الرائي ، وسفر أخبار ناثان النبي ، وأخبار جاد الرائي الذين ذكروا في (الأيام (١) ٢٩/٢٩) ، وسفر أخبار شمعيا النبي ، وسفر عدو الرائي المذكوران في (الأيام (٢) ١٥/١٢) ، وسفر أخبار النبي أخيا الشيلوني ، (الأيام (٢) ٢٩/٩) وسوى ذلك كثير من الأسفار المفقودة بشهادة التوراة الموجودة بين يدي

---

(٢) انظر : مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٦٩ .

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ٨ - ٩ .

(٢) انظر : قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ص ١١٧/١ - ١١٨ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٤٦ - ٥٠ .

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٥٩٨/٢ - ٦١٥ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٧٧ - ١٨٢ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٢٧ - ٢٨ .

النصارى .

يقول آدم كلارك " حصل لقلوب العلماء قلق عظيم لأجل فقدان تاريخ المخلوقات (سفر مفقود ذكر في ملوك (١) ٣٢/٤ - ١٣) فقداناً أبدياً ".

يقول طامس أنكلس الكاثوليكي : " اتفاق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست بأقل من عشرين " .(١)

ويرى بعض مفسري العهد القديم " أن اليهود ضيعوا كثيراً من كتب الأنبياء ، وأتلفوها ، أو أحرقوها، لأنها تشتمل على الأحكام المشددة ، وتبشر بمجيء نبي يعيد لهم الشريعة الموسوية " ، ويتهم المفسر وانلي عزرا بأنه سبب ضياع هذه الكتب لأنه لم يضمها إلى كتب العهد القديم .(٢)

---

(٤) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٥٨٢/٢ - ٥٨٧ ،السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٣٨، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٢١ - ٢٢ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٩٢ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٤

(١) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ١٠٣

المطلب الخامس : قانونية التوراة

وإذا لم يكن موسى قد كتب الأسفار الخمسة ، ولا الأنبياء كتبوا الأسفار المنسوبة إليهم ، وإذا كان الكتاب الحقيقيون مجهولين فمتى اكتسبت هذه الكتب قدسيتها ؟ وهل هي وحدها ما نقل عن أهل الكتاب ؟ و لم ردت تلك الكتب فلم تعتبر ؟

أسئلة كثيرة يطرحها القارئ ، ويبحث عن إجابة لها .

في الإجابة عن هذه الأسئلة تأكد لعلمائنا أن الكتب كما هي بشرية الوضع فهي أيضاً بشرية في قداستها، إذ لاتزعم هذه الكتب لنفسها القداسة الإلهية ، بل أنها اكتسبت ذلك من أراء رجال الكهنوت وغيرهم .

وتفصيل ذلك :

١) أن الأسفار الخمسة أقرت في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، وتحديداً في عام ٣٩٨ حين اعترفت الامبرطورية الفارسية بناموس اليهود حسبما جاء في دائرة المعارف الأمريكية .[١]

ويقول اسبينوزا : " يظهر بوضوح أنه لم تكن هناك مجموعة مقننة من الكتب المقدسة قبل عصر المكابيين (أي القرن الثاني قبل الميلاد) ، أما الكتب المقننة الآن فقد اختارها فريسيوا لهيكل الثاني بعد أن أعاد بناءه عزرا " الكاتب " .

وهذا الاختيار من الفريسيين في ذلك العهد لم يكن بموافقة طوائف اليهودية المختلفة فيقول اسبينوزا : " فقد اختارها الفريسيون في ذلك العهد من بين كثير غيرها ، وذلك بقرار منهم وحدهم " .

وقد كان مما أقره فريسيو العهد الثاني برأي اسبينوزا الأسفار الخمسة مضافاً إليها ما يسمى بأسفار الأنبياء وهي (يشوع – القضاة – صموئيل – الملوك) .

و لم تعتبر هذه المجموعة معادلة لسلطة الأسفار الخمسة ، ورغم ذلك ألحقت بها ، وقد كان ينظر إليها على أنها شروح وامتداد للأسفار الخمسة .[٢]

وفي عام ٩٠ م عقد الفريسيون مجمعاً في يمنية وقرروا اعتبار بعض الأسفار أسفاراً قانونية وهي (المزامير – الأمثال – نشيد الإنشاد – راعوث ، دانيال ، أيوب، عزرا ، نحميا ، الأيام ....) واعتبروا هذه

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحي ص ١٣ – ١٤ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٦٦ ، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد ، ص ٨٥ .

(٢) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٣٦ – ٣٧ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٦٦ – ١٦٧ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٨٥ – ٨٦ .

القائمة نهائية ورفضوا ما عداها من الأسفار ، وقد بلغ عدد هذه الأسفار ستاً وثلاثين سفراً .[1]

يقول القس الياس مقار : " وقد استلمت الكنيسة المسيحية من اليهود أسفار العهد القديم التي قررها اليهود في مجمع " يمنية " عام ٩٠م " .

و لم تكن هذه القائمة محل اتفاق بين اليهود ، فمثلاً كان الفريسيون يعتبرون سفر دانيال قانونياً ، فيما لم يعتبره الصدوقيون ، وكذلك كان لجماعة قمران أسفار كثيرة لم ترد في القائمة القانونية منها أخنوخ واليوبيلات وغيرها ، والأسفار التي لم تدخل في القائمة كانت خمساً وثلاثين سفراً كما عددها تشارلس في مقدمة كتابه " أبو كريفا " .

ويقول مدخل الرهبانية اليسوعية " ليس العهد القديم هو كل الأدب الذي صدر عن الشعب العبراني ، بل هو نتيجة اختيار مؤلفات تعد كتباً يعول عليها ، وتسمى لهذا السبب قانونية .[2]

ومن الأسفار التي لم تدخل في القائمة اليهودية أسفار موجودة في الترجمة اليونانية وهي (طوبيا ، الحكمة ، المكابيين الأول والثاني والثالث والرابع ، يهوديت ، الكهنوت (ويسمى الحكمة أيضاً) ، الأطفال الثلاثة ، سوزان ، بِل والتنين ، وثلاثة اسفار منسوبة لعزرا ، كما بعض الزيادات في دانيال) .[3]

وسميت الأسفار التي لم يدخلها اليهود في قائمة الأسفار الخفية (المخبأة) (أبو كريفا) ، وقد أطلق هذه التسمية عليها إيرونيموس في القرن الرابع الميلادي .

وفي القرون الأولى اختلفت وجهات نظر الكنائس تجاه هذه الأسفار ، فمثلاً اعترفت الكنائس الشرقية بصلاة منسي وعزرا الثاني والثالث والرابع ، و لم تعترف بهم الكنائس الغربية .[4]

ومن أمثلة ذلك فرقة ماني كيز التي لم تكن تسلم بجميع أسفار العهد القديم ، وكانوا يقولون خدع الشيطان أنبياء اليهود وكانوا يتمسكون بقول يوحنا بأن المسيح قال عن الأنبياء : " جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص " . (يوحنا ٨/١٠) .[5]

وفي مجمع "نيقية" ٣٢٥م أقر المجتمعون النصارى سفر يهوديت فقط ،وأبقوا ثمانية أسفار مشكوكاً فيها. وفي مجمع "لوديسيا" ٣٦٤م أقر المجتمعون سفراً آخر هو سفر استير ، وفي ٣٩٧م عقد مجمع "قرطاجة"

---

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٦٩ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٨٥ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٣ - ١٤ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٨٤ .

(٢) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٦٦ - ١٧٠ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٣) انظر : في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٢٢ .

(٤) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٨٧ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البلو ، ص ١٧٠

(٥) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٥٨٠ .

بحضور اكستاين ، فأضاف المجمع للقائمة ستة أسفار هي (زوم ، وطوبيا وباروخ وايكليزنا سيتكس (يشوع بن سيراخ) والمكابيين الأول والثاني)

وإعتبر المجتمعون سفر باروخ جزءً من إرميا ، ثم فصلوهما في مجمع " ترلو" وأصبحت هذه الأسفار متفقاً عليها عند النصارى .[1]

ثم لما ظهر انشقاق الفرق النصرانية انقسمت هذه الفرق في نظرها إلى أسفار العهد القديم .

موقف الفرق النصرانية المعاصرة من أسفار العهد القديم

فأما البروتستانت فانهم لم يعتبروا سوى ٣٩ سفراً التي أقرها المجمع اليهودي سنة ٩٠م ، ورفضوا كل ما سوى ذلك ، ولا تختلف توراة البروتستانت عن التوراة العبرية إلا في تقسيم كل من سفر الملوك وصموئيل والأيام إلى سفرين .

وأما الكاثوليك والأرثوذكس فقد أضافوا لهذه الأسفار التسعة والثلاثين سبعة أسفار وهي (باروخ وطوبيا ويهوديت والحكمة والجامعة والمكابيين الأول والثاني) ، وقد أقر قانونية هذه الأسفار جميعاً مجمع "ترنت"الكاثوليكي سنة ١٥٥٤ - ١٥٦٣م .والأرثوذكس في مجمع "بيت المقدس" سنة ١٦٧٢م .[2]

ويعلل البروتستانت رفضهم لأسفار الأبوكريفا بأمور :

١) أنها غير موجودة في النص العبراني ، وإن أضيفت باليونانية فهي لاتعدو أن تكون كتباً أدبية بدليل أن اليهود لم يعتبروها أسفاراً مقدسة .

٢) أن المسيح وتلاميذه لم يقتبسوا منها ضمن ما اقتبسوه من أسفار العهد القديم .

٣) أن فحص هذه الأسفار (الأبوكريفا) يبرهن على عدم إلهاميتها لما فيها من أكاذيب وقصص سخيفة وتعاليم لايمكن أن تكون صحيحة .

ومثلوا لذلك باتهام ملاك الله بالكذب في طوبيا ، وقساوة شمعون بذبح أهل شكيم في يهوديت ، وتصريح سفر المكابين الثاني بأن قتل الإنسان نفسه عمل جيد .....

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٠٥/١ - ١٠٨ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٣٢ - ٣٤ . ، الكتب السماوية ، شروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ، ص ١٧٧ . المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٧٠ .

(٢) انظر : في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٣٨ - ٣٩ ، المناظرة الكبرى بين رحمة الله الهندي والقسيس فندر ، ص ٤٢٢ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٦ - ١٧ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٣٣ - ٣٥ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٠٣ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ١٩ .

٤) أن هذه الأسفار كانت مرفوضة عند الآباء الأوائل للمسيحية .

٥) أن هذه الكتب تأثرت بدعوة زرادشت الفارسي الذي كان يدعو لعبادة إلهين ، كما تأثرت عموماً بالحضارة الفارسية .

ويقول القديس جيروم عن هذه الأسفار بأنها " ليست كافية لتقرير المسائل الدينية وإثباتها " .[1]

---

(١) انظر : المناظرة الكبرى بين رحمة الله الهندي والقسيس فندر ، ص ٤٢٢ - ٤٢٤ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٨٧ - ٨٩ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٦ - ١٧ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٢ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٣٠ - ٣٥ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٠٥ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ٢١٧ ، الكتب السماوية ، شروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

المطلب السادس : تدوين التوراة

دونت أسفار التوراة ، فما هي اللغة التي دونت بها الأسفار ؟ وما هي اللغات التي وصلت إلينا بهـــا ؟ ومن المترجمون ؟ وأين الأصول ؟

لنبدأ بالإجابة عن السؤال الأول

فإذا عرفنا أن التوراة جهد استغرق إنجازه مئات السنين كان من الطبيعي أن تكون كتابته متوافقة مـــع اللغة التي يتكلمها بنو إسرائيل .

أما الأسفار الخمسة فيكاد يجمع الباحثون على أن موسى كتب توراته بالعبرانية إذ هي اللغة التي كـــان يتحدثها إسحاق وبنوه عندما عبروا إلى مصر .

وفي كتابه " التوراة الهيروغلوفية " يرى فؤاد حسنين ومن تابعه أن اللغة العبرية ليســـت لغـــة تدويـــن التوراة، وأن موسى وبنو إسرائيل مكثوا في مصر قرابة المائتين سنة ، وأن لغة موسى هي الهيروغلوفية أو سوى ذلك من اللهجات المصرية ، وأن اللغة العبرانية لم يعرفها بنو إسرائيل أصلاً إلا بعد موســـى إذ هـــي لغـــة الكنعانيين .[1]

والصحيح أن العبرانية كانت موجودة في فلسطين قبل وصول إبراهيم إليها ، وقد تكلمـــها إســـرائيل وبنوه ، وحافظوا عليها طوال وجودهم في مصر كما هو الحال في الأقليات ، حين تكون حيـــاتهم مســـتقرة كما هو الحال في حياة بني إسرائيل في مصر .

وقد بقيت العبرانية سائدة إلى السبي البابلي حيث بدأت في الاضمحلال ، وحـــل محلـــها الســـريانية (الآرامية) فالكتب المؤلفة قبل السبي كانت عبرانية ، وهي تشمل أكثر الأسفار التوراتية .

وأما الكتب الممتدة ما بين السبي والقرن الثالث فقد كانت آرامية ، ومنها أسفار دانيال وعزرا .[2]

فما الذي وصل إلينا من هذه الكتابات ؟ وبأي اللغات وصل ؟ وما هو حال هذه المخطوطات ؟ وهل هي متطابقة أم متنافرة ؟ كاملة أم ناقصة ؟

نقل علماؤنا بعض الأقوال المجملة لعلماء التوراة وهم يتحدثون عن حال هـــذه المخطوطـــات ودور النساخ فيها .

---

(١) انظر : التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٦٢ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٩٨ ، دراسة عـــن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٤ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريـــف ، يحـــى ربيع ، ص ١٠٤ ، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ،علي وافي ،ص ١٠ - ١١ .

يقول جاك كاترول " يحسن بنا أن نقول أن المخطوطات الأصلية غير متواجدة ... " ويعلل هذا بقوله : " يحتمل أن هذا بخطة الله ، يخشى أنها لو كانت قد بقيت حتى الآن لكانت قد عبدت من الناس " .[1]

وإذا تركنا "جاك كاترول" وتعليله فإن "ايلين . ج . وايت " نبية طائفة السبتية تمدنا بمعلومات قيمة عن النساخ الذين نسخوا المخطوطات غير الأصلية الموجودة بين أيدينا اليوم فتقول " أن الكتاب المقدس الذي نقرؤه اليوم هو نتيجة عمل نساخ عديدين استطاعوا في معظم الأحيان أن ينفذوا عملهم باتقان مدهش ، ولكن النساخ لم يكونوا معصومين من الخطأ ، والرب في هذه الأحيان لم ير ضرورة حفظه من أخطاء النسخ " .

وتقول " لقد رأيت الرب قد حرس الكتاب المقدس " ثم تعود فتقول " هو محرف لكنه نقي وطاهر "

وتقول مقدمة الكتاب المقدس لشهود يهوه " في أثناء نسخ المخطوطات الأصلية باليد تدخل عنصر الضعف الإنساني ، ولذلك فلا توجد من بين آلاف النسخ الموجودة اليوم باللغة الأصلية نسختان متطابقتان ".[2]

وقد حوت هذه المخطوطات أربع نصوص مختلفة تتشابه في بنيتها العامة، لكنها تختلف فيما بينها في عدد أسفارها القانونية (المعتبرة) .

كما تختلف في مضامن الأسفار التي اتفقت في صورتها العامة .

وقد عرف علماؤنا بهذه النصوص الأربع ، وبينوا ظروف كل منها ، وحال مخطوطاته ومطبوعاته ، وأول هذه النصوص :

أولاً : الترجمة اليونانية (السبعينية) .

في القرن الثالث قبل الميلاد طلب اليهود الإذن لهم بالتحاكم إلى توراتهم من الحكومة الرومانية ، فطلب بطليموس فيلادلفوس ترجمة التوراة إلى اليونانية ليطلع عليها ، فشرع اثنان وسبعون حبراً يهودياً فأنجزوا في الإسكندرية ترجمة يونانية سميت بالسبعينية ، وأنجزت عام ٢٨٢ ق . م ويرجح بعض الباحثين أن سبب الترجمة هو حاجة يهود مصر المتكلمين باليونانية لترجمة التوراة إلى اليونانية .

وقد استمرت عملية الترجمة زهاء مائة عام ، واعتبر اليهود هذه الترجمة ترجمة محرفة ، واعتبروا يوم تمامها من أيام نحسهم ، إذ حوت هذه الترجمة أسفاراً لايقرها اليهود وهي الأسفار الخفية (الأبوكريفا) والتي يعتبرها اليهود كتباً أدبية فحسب .

---

(١) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٨٧ .

(٢) انظر : هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٣٧ - ٣٨ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٣٨ - ٣٩ .

وقد بقيت هذه الترجمة معتمدة عند النصارى حتى القرن السابع الميلادي حيث سادت الترجمات التي ترجمت عنها ، وإن بقيت معتبرة بإجماع النصارى حتى القرن الخامس عشر الميلادي .

ويحتوي النص اليوناني المعتبر على الأسفار الخمسة ثم الأسفار الأربعة والثلاثين المعتبرة عند فرق النصارى المختلفة ثم الأسفار الخفية السبعة (الأبوكريفا) التي يرفضها البروتستانت واليهود والعبرانيون .

ويفضل محققو النصارى كما ذكر آدم كلارك نصوص الأسفار السامرية الخمسة على نصوص الأسفار السبعينية (اليونانية) الخمسة .

ولايعرف تحديداً المصادر التي نقل عنها المترجمون ، هل هي روايات شفوية أم كتابات سابقة ؟ والثاني أرجح بدليل اتقان هذه التوراة إلى حد بعيد في هيكلتيها العامة مع اكتشافات قمران ومخطوطاتها المهمة .[1]

ويرجح الأعظمي أن المترجمين اعتمدوا على النص السامري في ترجمتهم للأسفار الخمسة ، بدليل قلة الاختلاف بين النصين اليوناني والسامري ، مقارنة بالاختلافات الكثيرة بين النصين اليوناني والعبري .[2]

ولعل هذا ما يفسر مقت اليهود لهذه الترجمة ، واعتبارهم يوم تمامها من أيام شؤمهم .

ولكن هذه الأصول أياً كانت فقد ضاعت ، وبقيت الترجمة اليونانية ، فهل كانت هذه الترجمة من الدقة المتناهية كما يزعم النصارى :

تجيب الرهبانية اليسوعية في مدخلها فتقول وهي تشكك في صحة نسبة الترجمة للأحبار الاثنين وسبعين " بالرغم من كون هذه الأسطورة المروية خالية من القيمة التاريخية ، يمكننا أن نأخذ بالتاريخ الذي تشير إليه ، لانها من جهة أخرى تدل على أن اليهود الناطقين باليونانية كانوا ينسبون إلى ترجمة شريعتهم هذه ما ينسبون إلى نصها العبري من قيمة تنظيمية ، وكانوا لايترددون من أن ينسبوا إلى المترجمين إلهاماً حقيقياً " .

وتؤكد الرهبانية اليسوعية على وقوع التحريف من قبل هؤلاء المترجمين فتقول : " غير أن الجماعة اليهودية في الإسكندرية ، لم تكتف بأن تنقل إلى اليونانية الأسفار القانونية الأولى ، وأهم المؤلفات الصادرة تحت أسماء مستعارة ، فهناك كتب أصلية صدرت في الإسكندرية ، ولاسيما حكمة سليمان وسفر المكابيين الثاني ، أي أنها من زيادات الأحبار السبعين " .

ويؤكد البار صحة ما ذهبت إليه الرهبانية اليسوعية في وجود كتب قد كتبت بالإسكندرية أصلاً بدليل

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٤٢٩/٢ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٠٣ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٠٤ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٤ ، دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٧٣ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٢٣ - ٢٤ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة، محمد السعدي ، ص ١١٣ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٧٦ - ٧٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد،سهيل ديب،ص ٢٣ - ٢٥ .

(٢) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٧٥ .

تأثرها الواضح بالفلسفة اليونانية المنتشرة في الإسكندرية حينذاك ومثل له بتأثر سفر حكمة سليمان بـأمنحوبي المصري وكذلك قصة تحدي أيوب لله .[1]

هذا فضلاً عن التحريف الذي يطرأ على النص بحكم الترجمة ، ويوضح هذا القس دكينيث بايلي فيقول: " أن كل كلمة في أية لغة تحمل عادة معاني عديدة ، وعلى المترجم في حالة كهذه أن يختار معنى واحداً ، ويستخدمه في ترجمته .

إلى ماذا يستند المترجم عندما يختار ذلك المعنى الواحد من بين المعاني المتعددة ؟

إنه يختار ذلك المعنى الذي يشعر أنه يتفق مع فكرة القرينة ، ولكن هل يكون مصيباً في اختياره ؟

المترجم كائن بشري ، عرضة للخطأ .. والقارئ الذي لايعرف اللغة الأصلية للكتاب المقدس ، يصبح تحت رحمة المترجم "

وهذا يسري على كل أحد ، لأن النص الأصلي مفقود ، والموجود هو الترجمة فقط .[2]

وأما المخطوطات التي حملت إلينا النص اليوناني فتنقسم إلى مجموعات ثلاث :

الأولى : المخطوطات البردية ويوجد منها ثمانون قطعة يرجع بعضها للقرن الثالث والرابع الميلادي ، كما يوجد مائتان وخمسون مخطوطاً على الرق ، فيها أجزاء صغيرة ، وتتراوح هذه الكتابات كما ذكرت مقدمة الرهبانية اليسوعية بين القرن الثالث والحادي عشر ، وقد كتبت بخط واحد .[3]

الثانية : مخطوطات إغريقية، وعادة ما تضم هذه المخطوطات العهد القديم والجديد وأسفاراً غير قانونية وهي مكتوبة على رقوق حيوانية ، وهذه الطريقة لم تعرف إلا في القرن الرابع الميلادي ، ويبلغ عدد هذه المخطوطات ٥٠٠٠ مخطوطاً ، كلها يوناني ، وليس بينها مخطوط واحد بخط مترجمي الترجمة السبعينية .

ويذكر الطهطاوي أن كبار القسس في ألمانيا في القرن الماضي قاموا بجمع كل المخطوطات اليونانية في العالم كله ، وقارنوا بينها سطراً سطراً ، فوجدوا فيها مائتي ألف اختلاف .[4]

ويقول فريديك جرانت في كتابه " الأناجيل أصلها ، ونموها " : " إن أول نص مطبوع من العهد كان ذلك الذي قام به إرازموس عام ١٥١٦م ، وقبل هذا التاريخ كان يحفظ النص في مخطوطات نسختها أيدي مجهدة لكتبة كثيرين ، ويوجد اليوم من هذه المخطوطات ٤٧٠٠ ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش .

---

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٣٧ ، ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٢) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) انظر : قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢٦٩/٢ - ٢٧٠ .

(٤) انظر : الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٤١٠ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢٦٩/٢ - ٢٧٠ .

إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلافاً كبيراً ، ولايمكننا الاعتقاد بأن أياً منها نجا من الخطأ ...أن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على يدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة " ويقول مفسر سفر يشوع عنه : إن المتن المقدس حرف تحريفاً لاريب ، وظاهر من اختلاف النسخ لأن العبارات الصحيحة في العبارات المختلفة لاتكون إلا واحدة .[1]

وأهم هذه المخطوطات :

١) مخطوطة الفاتيكان :

وتعتبر مقدمة الرهبانية اليسوعية أجلّ المخطوطات اليونانية، وقد عثر عليها عام ١٤٨١م .

ويحتمل أن تدوينها تم في الإسكندرية ، وأما تاريخ التدوين فقد اختلف النقاد الإنجيليون فيه فقال هيج : كتبت في القرن الميلادي الرابع .

وقال مارش : في القرن الخامس . وقال مونت فاكن : في القرن الخامس أو السادس ، وقال ديوبن : في القرن السابع .

وأما كاتب هذا المخطوط ومصدره فهو كما يقول مدخل الرهبانية اليسوعية " مجهول المصدر " .

ويضم هذا المخطوط كتب العهدين القديم والجديد وأسفاراً أخرى غير قانونية ، لكنه ينقص في مواطن كثيرة أهمها نقص من أول سفر التكوين إلى الاصحاح السادس والأربعين ، كما ينقص بين المزمور ١٠٥ والمزمور ١٣٧ .

وقد تعرض المخطوط لتلاعب النساخ مرات عديدة ، وفي ذلك تقول مقدمة الرهبانية اليسوعية " وقد أصيب بأضرار " و لم توضح هذه الأضرار ، لكن بوكاي يوضح ذلك بأن خطاطاً أعاد تحبير المخطوط بعد كتابته بقرون عدة ، وترك بعض المواضع التي ظنها مغلوطة ، وبالتمعن في بعض الفقرات التي ما يزال يظهر فيها الكتابة السمراء الأصلية يتضح تعارضها مع تحبيرات الناسخ ذات اللون القاتم ، فلا شيء يسمح بالتأكيد بأن هذا التصحيح كان أميناً .

وقد حفظ هذا المخطوط في مكتبة الفاتيكان .[2]

٢) مخطوطة الإسكندرية :

وأول ذكر لهذه النسخة عندما وصلت للملك جارلس الأول عام ١٦٠٨م بعد أن عثر عليها في مصر

---

(١) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٣٨ - ٣٩ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٦٢١/٢ - ٦٢٢ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ١٠١ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٤٧ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٤٩ ، ٥٤ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٤٦ .

وقد كتبت في الإسكندرية ، واختلف في تاريخ تدوينها جداً .

وأقدم الفروض في ذلك أنها كتبت في القرن الميلادي الرابع ، وقال وتستين : في القرن الخامس . وقلل دونت فاكن " لايمكن أن تكون مكتوبة قبل القرن السادس الميلادي . وقال سملر : كتبت في القرن السابع . وقال كريب وشلز : آخر القرن الثامن . وقال أودن : في القرن العاشر.

وقال ميكايلس كتبت بعد وصول المسلمين للاسكندرية بدليل ما فيها من إبدال الميم من الباء ، ولعل ذلك " حكم الاقلاب " .

وقد مال إليه رحمة الله الهندي ، ورجح أن ذلك في القرن العاشر ، إذ لايتغير اللسان إلا بعد طول مدة.

وقد اختلف المحققون النصارى في قيمة هذه النسخة بين مادح وذام ، وممن ذمها : المحقق واتستين

وتحوي هذه النسخة أربعة مجلدات ، ثلاثاً منها للعهد القديم ، وفيها الأسفار القانونية وغيرها ، كما تحوي كتابات خارجة عن الكتب المقدسة .

وتعاني النسخة من نقص خاصة في مجلدة العهد الجديد .

وأيضاً تختلف هذه النسخة كثيراً عن نسخة الفاتيكان وفي ذلك يقول مارش : " لايوجد الاختلاف بين نسختين من نسخ العهد القديم والجديد مثل الاختلاف الذي يوجد بين كودكس اسكندر يان وس وهذه النسخة '' ومراده الفاتيكانية .

وقد حفظت هذه النسخة في المتحف البريطاني في لندن .[1]

٣) المخطوطة السينائية

وقد أنقذها العالم الألماني تشندروف ، عندما وجدها في دير سانت كاترين في سيناء ، وقد وضعوها بين اوراق أعدوها الرهبان للتدفئة ، ثم أهداها ملك روسيا سنة ١٨٥٩م .

ويظن المحققون أنها كتبت في القرن الرابع وقيل الخامس ، والسادس ، والعاشر .

وتضم نصوصها العهدين القديم والجديد إضافة إلى نصوص أخرى غير قانونية .

وعليها تعليقات وهوامش وتصويبات تعود للقرن الثاني عشر على الأرجح.

ويقول تشيد ندورف بأنه يوجد في هذه النسخة ما لايقل عن ست عشر ألف تصحيح ، ترجع لسبع مصححين ، وفي بعض الفقرات جرى كشطها ثلاث مرات ، وكتب للمرة الرابعة .[2]

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٦٢٢/٢ - ٦٢٣ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٤٩ - ٥٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٤٨ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٤٦ .

(٢) انظر : في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٤٨ - ٤٩ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٣٤٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١١٨ ، محاضرات في مقارنة الأديان،

الثالثة : وهي ثالث مجموعات المخطوطات :

وهي مخطوطات ترجع لقرون متأخرة كالثالث عشر ، وصف منها البرفسور كوليتر سبع مخطوطات محفوظة في عدة مدن أوربية .

وهذه المخطوطات رغم تأخرها فإنها أيضاً تعاني من النقص .[1]

ولما كان الضد بالضد ينجلي فإنه يذكر محمد حميد الله في مقال نشرته مجلة الأمة القطرية في رمضان ١٤٠٢هـ أن جامعة ميونيخ أسست معهداً للبحوث القرآنية قام عليه كبار القسس واستمروا ثلاثة أجيال يجمعون جميع مخطوطات القرآن الكريم .

وفي عام ١٩٣٤م قال الاستاذ بريستل مدير المعهد : " لقد جمعنا حتى هذا الوقت أثنين وأربعين ألفاً من مخطوطات القرآن كاملة وجزئية ، وعمل المقارنة جار " .

وقبيل الحرب العالمية الثانية نشر المعهد تقريراً مؤقتاً جاء فيه " لم نجد إلى الآن أي اختلاف في الرواية سوى بعض أخطاء الكتابة " .

وذكروا أنهم وجدوا في مخطوطات الكتاب المقدس مائتي ألف اختلاف .

ثم ذكروا الفرق بين أخطاء المخطوطات الإسلامية والكتابية " أن الاختلاف يوجد في عدة نسخ بينما سهو الكاتب يتعلق بنسخة واحدة " .

وقد دمر المعهد ومكتبته في الحرب العالمية الثانية قبل أن ينشر تقريره النهائي .[2]

وثاني النصوص التوراتية هو

ثانياً : النص السامري

ويرجع هذا النص إلى السامريين وهم اليهود الذين بقوا في إسرائيل بعد سقوطها في يد سرجون الأشوري عام ٧٢١ ق . م ، وترحيل غالب أهلها عنها ، ويزعم محررو قاموس الكتاب المقدس أن هؤلاء الباقين من بني إسرائيل انضاف إليهم أقوام من الشعوب البابلية والعربية ، وصار هؤلاء جميعاً السامريين ، وعليه فهم ليسوا يهوداً في أصلهم .

وينسب السقا وإبراهيم خليل هذه التوراة إلى ما قبل ذلك ، حيث يرى أن السامريين هم سكان المملكة الشمالية ، والتي تكونت بعد سليمان ، وعاصمتها : شكيم (نابلس) ، وسكن في هذه المملكة

إبراهيم خليل أحمد ، ص ٤٥ .

(١) انظر : في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٤٧ - ٥١ .

(٢) انظر : الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٤١٠ - ٤١١ .

(مملكة إسرائيل) الأسباط عدا سبطي يهوذا وبنيامين ، ونفراً من سبط لاوي .[1]

ويعود البعض بزمن كتابة هذا النص إلى القرن الرابع قبل الميلاد أي ذات الوقت الذي كتب فيه العبرانيون توراتهم ، وقد كتبوه بلغة عبرية ، وبأحرف سامرية ، وقد طبعت هذه التوراة لأول مرة في باريس عام ١٦١٦م .[2]

والنص السامري يتكون من خمسة أسفار فقط ، ويتشابه مع النص اليوناني في ترتيبه ، وبنيته العامة ، ولكن يختلفان في الألفاظ والمعاني وطبقاً للموسوعة البريطانية فإن هذا النص يختلف عن النص اليوناني (في الأسفار الخمسة) بما يزيد على أربعة آلاف اختلاف ، ويختلف عن النص العبري القياسي (وهو ثالث النصوص التوراتية) بما يربو على ستة آلاف اختلاف ، وتقلل الموسوعة البريطانية من أهمية هذه الاختلافات فتقول " وقليل من هذه الاختلافات حقيقي ، ومعظمها راجع إلى العقيدة أو التأويل أو القواعد النحوية أو الإملاء " .[3]

وأهم خلاف بين النصين اليوناني والسامري أن السامريين لايعترفون بالكتابات المنسوبة للأنبياء ، ويوضح ذلك رسالتهم لملك الإسكندرية فلطمة حيث قالوا " منعت الشريعة الموسوية أن يقوم بعد موسى نبي .... ولو صادرناهم (أي العبرانيين) على ادعائهم مع منعها عندنا لكانت إما ترد بمثل ما في التوراة سواء فلا حاجة إليها ، أو بأنقص مما فيها فاتباع الأفضل أوجب ، أو بأزيد مما فيها ، وقد نهى الشرع عندنا وعندهم من قبوله .[4]

ثالثاً : النص العبري

ثالث هذه النصوص هو النص العبري والمسمى بالتوراة العبرانية

وأقدم مخطوطات النص العبري يقول عنه الدكتور كني كان أحد مصححي العهد القديم : " أن نسخ العهد القديم التي هي موجودة كتبت ما بين سنة ألف وألف وأربعمائة ميلادية " ، ويوافقه على هذا التاريخ محررو قاموس الكتاب المقدس .

ويقول كني " جميع الكتب التي كانت كتبت في المائة السابعة أو الثامنة قد أعدمت بأمر من محفل الشورى لليهود " .

" إن النسخ التي مضى عليها ستمائة سنة قلما توجد ، والتي مضى على كتابتها سبعمائة سنة أو ثمان

---

(٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٩ - ٤٥٠ ، مقدمة التوراة السامرية ، أحمد حجازي السقا ، ص ٤ - ٥ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٢٩ .

(١) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) انظر : حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١١٤ .

(٣) انظر : مقدمة التوراة السامرية ، أحمد السقا ص ٢٧ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٢١٨ .

مائة سنة ففي غاية الندرة " .[1]

وينقل بوكاي عن أدموند جاكوب في كتابه " العهد القديم " أن أقدم نصوص التوراة العبرية يعود للقرن التاسع بعد المسيح باستثناء مخطوطات قمران وبعض ورقات البردي للوصايا العشر تعود للقرن الثاني بعد المسيح ، كما توجد بعض أجزاء تعود للقرن الخامس بعد المسيح محفوظة في مخطوطة جنيزا بالقاهرة .[2]

وأما أقدم مخطوط عبراني كامل فهو المخطوطة المسماه "كودكس لاويانوس" وقد وجدت في حلب ، ويرى كني كات أنها كتبت في المائة العاشرة ، بينما يرى موشيدي الروسي أنها كتبت في المائة الحادية عشر .

ولما طبع واندرهوت النسخة العبرانية خالف هذا المخطوط في أربعة عشر ألف موضعاً بحجة تصحيحه.[3]

وقد ظهرت حركة علمية يهودية لتنقيح التوراة وإزالة ما يتعارض فيها مع المعطيات العلمية والمعارف الحديثة ، واستمرت هذه الحركة العلمية إلى القرن الثاني عشر الميلادي ، وقد بدأت عملها كما يرى بوكاي قبل ذلك بتسعة قرون .

وظهر ما يسمى بالنص المسوري العبري .

والنصوص التي يتم تداولها اليوم للعهد القديم في طبعات لغوية انجليزية وألمانية وعربية وغيرها منقولة عن النصوص التي كتبها ابن أشير وزملاؤه من الكتبة الفلسطينيين في القرن التاسع الميلادي ، وكانت على ضوء قواعد المدرسة الماسوراتية . وقد نشأ في القرن التاسع مدرستان ماسوريتان إحداهما بفلسطين على يد ابن أشير ، والأخرى في بابل على يد ابن نفتالي .

وتعتبر مخطوطة ابن نفتالي أقدم مخطوطة على ضوء القواعد الماسوراتية ، ويرجع تاريخها لعام ٩١٦م وهي موجودة في متحف لينجراد .

كما توجد نسخة عما نسخ عن ابن أشير ، ويرجع تاريخها أيضاً للقرن العاشر ، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني ، على أنه توجد مخطوطة تسمى بمخطوطة القاهرة مؤرخة بتاريخ ٨٢٧م ، لكن يبدو أنها وتاريخها منقولة طبق الأصل في مرحلة متأخرة عن نسخة كتبت بذلك التاريخ.

وقد طبع النص العبري الماسوري لأول مرة عام ١٤٨٨م ثم ١٤٩٤م ، ثم ترجم للألمانية وغيرها .[4]

---

(٤) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٦١٨/٢ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٤٥ - ٤٦ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ .

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٦١٨/٢ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٤٦ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٢٣

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٦١٨/٢ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٤٦ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٢٣ .

(٣) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٠١ - ١٠٣ ، ١٧٠ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ،

ويقول تامس عن النص المسوري : " إن أحبار اليهود غيروا ثمانية عشر مكاناً من متن التوراة ، وهي معروفة اليوم " بتصحيح الأحبار ".

وقد أشار المسوريون إلى أماكن أخرى ربت على الألف أن فيها ما ليس بحسن .[1]

ويرى النصارى أن اليهود حرفوا هذه التوراة منذ عام ١٣٠م ، وذلك ليشككوا في صحة الترجمة اليونانية ، وعداوة للسامريين .

وعدد أسفار هذه التوراة تسعة وثلاثون سفراً آخرها سفر ملاخي ، وهي معتبرة عند اليهود والبروتستانت ، وخلا النص العبراني عن أسفار الأبوكريفا (الأسفار السبعة) .[2]

رابعاً : مخطوطات قمران

وهو رابع النصوص التوراتية الموجودة اليوم .

وقد اكتشفت هذه النصوص قرب البحر الميت عن طريق بعض رعاة البدو من بدو التعامرة ، وكان ذلك بين عامي ١٩٤٧ - ١٩٥٦م .

وتضم المخطوطات المكتشفة كتباً احتفظت بها طائفة يهودية منشقة عاشت في القرن الثاني قبل الميلاد، وامتد وجودهم إلى منتصف القرن الميلادي الأول .

وتسمى هذه الطائفة (بالأسينيين) " ويرجح البار أنها من: أسي .أي الطبيب المداوي.

والمخطوطات التي عثر عليها في كهوف قمران تنقسم إلى مجموعات ثلاث :

١) كتابات توراتية من أسفار العهد القديم ، وبلغت ٢٠٠ كتاباً ، فقد يوجد للسفر الواحد نسخ عديدة ، فمثلاً وجد لسفر التثنية ٢٥ نسخة ، وللمزامير ٢٧ نسخة ....

٢) كتابات لأسفار لم تدخل في العهد القديم .

٣) كتابات خاصة بجماعة الأسينيين .

ولغة المخطوطات عبرانية، وفي قليل منها آرامية أو سريانية أو يونانية .

وعقب العثور على هذه المخطوطات شكلت الحكومة الأردنية لجنة من ثمانية خبراء ليس بينهم عربي

صابر طعيمة ، ص ٩١ - ٩٤ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٠ - ١٣ ، قراءات في الكتب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢٦٣/٢ - ٢٦٤ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٨٦ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب،ص ٩ - ١٠ .

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٧٣/١ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ، ص ٢٦ ، التوراة ، محمد شلبي شتيوي ، ص ٦٨-٦٩ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٤٢٩/٢ .

ولا مسلم ، وهدفها ترجمة هذه المخطوطات ونشرها .

وفي ١٩٦٧م سيطر اليهود على القدس ، وفيها جميع هذه المخطوطات عدا مخطوطة واحدة ، ثم نشرت بعضها ، وادعت أنها نشرت الجميع ، ويرجح أحمد عثمان أن ما نشر لايساوي النصف .

يقول ادموند ويلسون : أن الاكتشافات التي تمت في ساحل البحر الميت أقضت مضجع الاكليركيين الكاثوليكيين ، وقساوسة البروتستانت وأحبار اليهود في أن واحد ، فإنها أبانت للمسيحيين من هؤلاء أنما اعتقدوه منزلاً ، هو في الواقع يهودية متطورة ، وأوضحت لليهود منهم أن النصرانية في حد ذاتها ليست خروجاً على دين الآباء .

كما أكد كاتبان بريطانيان ، ومن خلفهما الكاتب الامريكي روبرت ايزنمان أن الفاتيكان تدخل لكتمان هذه النصوص ، متآمراً مع لجنة المخطوطات المكونة من ثمانية كاثوليكيين ....

ولبيان سبب هذا الخوف من المخطوطات نقرأ في المدخل لدراسة الكتاب المقدس الذي أصدرته الرهبانية اليسوعية " فإن نصوص هذه المخطوطات غالباً ما تختلف عن النص المسوري الأول " .

ورغم أن هذه المخطوطات أقدم مخطوطات العهد القديم والجديد إلا أن السعدي ينبه إلى أنه قد جرى عليها ما جرى على النص التوراتي طوال ١٠٠٠ سنة ممتدة من وفاة موسى عليه السلام إلى ظهور هذه الطائفة ونشاطها الكتابي ، وهذه الفترة الطويلة كافية للضياع والتغيير .[1]

هل يمكن استعادة أصل هذه النصوص

وهكذا رأينا أربع نصوص توراتية مختلفة وصلت إلينا ، فهل من الممكن - ومن خلال جمع هذه النصوص - استخلاص النص التوارتي الذي كان سائداً في القرن الرابع قبل الميلاد ؟

تجيب الرهبانية اليسوعية في مدخلها " أي صيغة من النص تختار ؟ أو بعبارة أخرى ، كيف الوصول إلى نص عبري يكون أقرب نص ممكن إلى الأصل ؟ لابد إذاً من الرجوع إلى مختلف نصوص الكتاب المقدس ، النص المسوري ، ومختلف نصوص مغارات قمران ، والتوراة السامرية ، والترجمات اليونانية السبعينية ، وغير السبعينية ، وترجمات الترجوم الآرامية ، والترجمات السريانية ، والترجمات اللاتينية القديمة و ..... الخ مع دراسة آداب الشرق الأدني القديمة ، وبهذه المقارنات كلها نستطيع أن نستعيد النموذج الأصلي الكامن في أساس جميع الشهود ، والذي يرقى عادة إلى حوالي القرن الرابع قبل المسيح "

ويعلق البار فيقول " يا للهول ! بعد كل هذه الشروط التي لايمكن أن تتحقق سنظفر بنص يوصلنا إلى

---

(١) انظر : مخطوطات البحر الميت ، أحمد عثمان ص ٧ - ٣٤ ، ٨٥ ، ١١١ - ١١٤ . ومقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١١ ، ٢٥٧ - ٢٦٣ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٠٦ .

عهد ما بعد النفي البابلي أي إلى زمن عزرا ونحميا ، أي القرن الرابع قبل الميلاد ، وأما الوصـــول إلى عـــهد موسى ، فأمر مستحيل ، لأن ما بين عزرا وموسى أكثر من ألف عام " .[1]

ويتقاذف أهل الكتاب تحريف الكتاب المقدس فيقول اكستاين " إن اليهود حرفوا النسخة العبرانيـــة في زمان الأكابر الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده ، إلى زمن موسى عليه السلام ، وفعلوا ذلك لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ، ولعناد الدين المسيحي ، ويعلم أن قدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله ، وكانوا يقولـــون أن اليهود حرفوا التوراة سنة مائة وثلاثين من الميلاد " .

ويقول المفسر آدم كلارك : " أن المحقق كني كات يدعي صحة السامرية ، والمحققان باري ودرشـــيور يدعيان صحة العبرانية ، لكن كثيراً من الناس يفهمون أن أدلة كني كان لاجواب عليها ، ويجزمون بأن اليهود حرفوا لأجل عداوة السامريين " .[2]

---

(٢) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٧٥ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمـــد ، ٢٦٣/٢ - ٢٦٤ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٠ - ٢٢ .

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٧٣/١ ،السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل، بكر التميمـــي،ص ٢٦، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٦٨ - ٦٩ .

ومقصوده في قوله " زمان الأكابر الذين كانوا قبل زمن الطوفان .... " أي أن التحريف وقع في تاريخ هؤلاء .

الخلاف بين نصوص التوراة المختلفة :

درس علماؤنا النصوص الثلاثة المتداولة ، فوجدوا أنها تتشابه في إطارها العام ،وتختلف في تفاصيل كثيرة ، فاهتموا بدراسة هذه الخلافات والتي تصل بين السامرية والعبرية إلى ستة آلاف اختلاف ، وبين السامرية واليونانية إلى أربعة آلاف .

فمن الفروق التي مثل علماؤنا بها للخلاف بين السامرية والعبرية ما هو من الزيادة في احدى النسختين أو التناقض أو التبديل ، ومنها ما يرجع للترجمة .

فمن أمثلة ما يعود للترجمة ما جاء في العبرية عن آدم وحواء " فخاطا أوراق تين ، وصنعا لأنفسهما مآزر " (التكوين ٣/٧) وهو في السامرية " فخرطا لهما ورق تين ، وصنعا لهما مآزر " .

ومما زادت به السامرية وهو غير موجود في العبرية " كانت كل أيام سام ستمائة سنة ومات " (التكوين ١١/١١) ، وأيضاً جاء في العبرانية " وقال قابيل لهابيل أخيه ، ولما صارا في الحقل قام قابيل " (التكوين ٤/٨) و لم يذكر فيه مقال قابيل، وقد جاء النقص تاماً في السامرية، وفيه " قال نخرج إلى الحقل ".

ومما زادت به العبرانية عن السامرية الآيات العشر الأول في الاصحاح الثلاثين من سفر الخروج ، وقد بدأ الاصحاح الثلاثون في السامرية بالفقرة ١١

ومن زيادات السامرية على العبرانية ما وقع بين الفقرتين ١٠ - ١١ من (العدد ١٠) وفيه " قال الرب مخاطباً موسى : أنكم جلستم في هذا الجبل كثيراً ، فارجعوا ، وهلموا إلى جبل الأمورانيين وما يليه إلى العرباء ، وإلى أماكن الطور والأسفل قبالة التيمن وإلى شط البحر أرض الكنعانيين ولبنان وإلى النهر الأكبر نهر الفرات ، هوذا أعطيتكم فادخلوا ، ورثوا الأرض التي حلف الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنه سيعطيكم إياها ، ولخلفكم من بعدكم " (العدد ١٠/١٠) .

ومثله ما وقع في (الخروج ١١) بين الفقرتين ٣ - ٤ ، ولاتوجد في العبرانية وفيه " وقال موسى لفرعون : الرب يقول : إسرائيل ابني ، بل بكري ، فقلت لك : أطلق ابني ليعبدني ، وأنت أبيت أن تطلقه ، ها أنا سأقتل ابنك بكرك " (الخروج ١١/٧) وفي العبرانية مثله في (٩/١ - ٣)

وأهم من هذا كله أنا السامريين يعتبرون - كما ذكرنا - أن الأسفار الخمسة فقط هي الأسفار المعتبرة، وما عداه فهو زيادة غير قانونية .

وأحياناً يكون الخلاف بين التوراتين نوعاً من التناقض أو التنافر الذي لايمكن جمعه ، ومن ذلك ما جاء في العبرانية " حتى تجتمع الماشية " (التكوين ٨/٢٩) وفي السامرية " حتى تجتمع الرعاة " .

ومنه الخلاف المشهور بين السامريين والعبريين في الجبل المقدس الذي أمر الله ببناء الهيكل فيه ، فالعبرانيون يقولون : جبل عيبال ، لقوله :" تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال " (التثنية ٤/٢٧) ، وفي السامرية أن الجبل جرزيم " تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم اليوم في جبل جرزيم ".

ومثله ماجاء في العبرانية عن موت هاران بن تارح " ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميـــلاده في أورالكلدانيين " (التكوين ٢٨/١١) ، وفي السامرية " ومات هرن بحضرة ترح أبيه بأرض مولده في بيـــاض خراسان "

ومن الفروق الهامة ما جاء في العبرانية عن بداية خلق العالم " وروح الله يرف علـــى أوجـــه الميـــاه " (التكوين ٢/١) ، ويفسره النصارى بأنه روح القدس الأقنوم الثالث الذي كان شاهداً لبداية الخلق ، ولكن النص في السامرية هكذا " ورياح الله هابة على وجه الماء " .[١]

كما تمتاز التوراة السامرية عن العبرانية في أمر تلحظه في كثير من مواضعها ألا وهو السياق التنزيهي في شرحها لصفات الله وأفعاله ، وهو ما تفتقده التوراة العبرانية التي تتحدث عن الله ، وتنسب إليه أفعالاً بشرية، بيد أنها في السامرية منسوبة لملائكة الله . ومن ذلك :

" فنزل الرب لينظر المدينة والبرج " (التكوين ٥/١١) وفي السامرية " فانحدر ملاك الله " .

ومثله في العبرانية " فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشـــعبه " (الخـــروج ١٤/٣٢) ، وفي السامرية " فصفح الله عن البلية التي تواعد أن يحلها بقومه " .

وكذا فإن التوراة السامرية تجعل المصارعة بين يعقوب والله – كما في العبرانية – تجعله السامرية بـــين يعقوب وملاك من الملائكة (انظر التكوين ٢٤/٣٢ – ٣٢) ومثال ذلك كثير .

ومن هذه الأمثلة وكثير مثلها يثبت التباعد بين النصين ، وعدم إمكان الجمع بينهما .

وأيضاً يختلف النص اليوناني المعتبر عند الكاثوليك والأرثوذكس عن النص العبري المعتبر عند اليـــهود والبروتستانت .

وأول هذه الاختلافات وأعظمها هو عدد الأسفار ، فالنص العبراني يستبعد ســـبعاً مـــن الأســـفار ، ولايعتبرها قانونية ، وهي موجودة في النص اليوناني الذي أجمع عليه النصارى حتى القرن الخامس عشـــر .[٢] كما يزيد النص العبري مزموراً عما في اليونانية .[٣] كما ثمة فروق بين الأسفار المتفق عليها ، وهذه الفـــروق زيادة أو نقصاً أو تناقضاً .

فما تزيده التوراة اليونانية ، وليس موجوداً في العبرانية ما جاء في العبرانية " وحدث إذ كان إســـرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأى روابين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه ، وسمع إســـرائيل " (التكويـــن

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٨٥٨/٣ – ٨٧٦ ،السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكـــر التميمي،ص ٢٣٨-٢٣٩،٢٥٠-٢٥١، مقدمة وتعليق السقا على التوراة الســـامرية ص ١٣ ، ٣٤٧ – ٤٠٠ ، نقـــد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٢٧ – ١٣٦ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٥ ، ٧٩ ، التوراة ، أحمـــد شلبي شتيوي ،ص٨٨ – ٩٠ .

(٢) انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٣٠ .

(٣) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٧٥ .

٢٢/٣٥) وتزيد اليونانية " وكان قبيحاً في نظره " ويقول جامعو تفسير هنري واسكات " اليهود يسلمون أن شيئاً سقط في هذه الآية " .

وجاء في قصة يوسف أنه قال " لم سرقتم صواعي " (التكوين ٤٤/٥) وهو غير موجود في العبرانية ، وجاء في سفر الخروج اليوناني " وولدت أيضاً غلاماً ثانياً ، ودعا اسمه العازر ، فقال : من أجل أن إلهي أبي أعانني وخلصني من يد فرعون " (الخروج ٢٢/٢ ٩ وهذا غير موجود في العبرانية ، وفي سفر الخروج اليوناني " وولدت أيضاً غلاماً ثانياً ، ودعا اسمه العازر ، فقال : من أجل أن إلهي أبي أعانني وخلصني من يد فرعون " (الخروج ٢٢/٢) وهذا غير موجود في العبرانية .

وتقول دائرة المعارف البريطانية " أن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيناً ، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار " .[١]

ومن تناقضات النص العبري مع اليوناني ما جاء في المزمور المائة والخامس ، وفيه حسب النص العبري " أرسل ظلمة فأظلمت ، و لم يعصوا كلامه " (مزمور ٢٨/١٠٥) لكن النص اليوناني يناقض فيقول " وهم عصوا قوله " .[٢]

وعندما نقارن بين النصوص الثلاثة معا يتبين لنا وجود اختلافات بينها ومن هذه الخلافات ما يخالف فيه أحدها النصين الآخرين

ومنها : ما يختلف فيه النصوص الثلاثة ، فلكل منها وجهة هو موليها ، ومن أمثلة ذلك :

أن دراسة أعمار الآباء في الإصحاح الخامس من سفر التكوين حسب العبرانية يفهم منه أن طوفان نوح حصل بعد ١٦٥٦ سنة من خلق آدم ، وتعتبره اليونانية قد حصل سنة ٢٢٦٢ ، والسامرية ١٣٠٧ .

فكيف يجمع بين النصوص الثلاثة ؟

ثم حسب النص العبراني فإن ميلاد المسيح سنة ٤٠٠٤ من خلق آدم وهو في اليونانية سنة ٥٨٧٢ ، وفي السامرية ٤٧٠٠ .

ومثله الخلاف في مقدار الزمن بين الطوفان وولادة إبراهيم ، فإنه في العبرانية ٢٩٢ سنة ، وهو في اليونانية ١٠٧٢ سنة ، وفي السامرية ٩٣٢ سنة .... وغير ذلك من الصور .[٣]

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٨٦٣/٣ - ٨٧١ . ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٥ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١١٥.

(٢) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١١٦ .

(٣) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة رقم ٤٤ب ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٨٥٨/٣ - ٨٧١ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٥ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٣٧ - ١٤١ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ٢٦٢ - ٢٦٨ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٠٩ .

المطلب السابع : ترجمات التوراة

قد ترجمت التوراة إلى لغات عدة وأضحت بعض هذه الترجمات أصولاً ترجم عنها الكتاب المقدس إلى بقية اللغات العالمية ، وأهم هذه الترجمات الترجمة اللاتينية ، والمسماة " الفولجاتا " وكانت قد ظهرت في القرن الثاني والثالث ترجمتان لاتينيتان إحداهما في شمال افريقيا ، والثانية في إيطاليا ، وقد أوجدت الترجمتان لبساً مما استدعى أن يكلف البابا ديموس الأول القديس جيروم بترجمة التوراة ، فترجمها خلال عشرين سنة ، وانتهى من ترجمته سنة ٤٠٤م ، و لم تكن ترجمته مطابقة لليونانية ولا العبرانية ، إذ حوت الفولجاتا أسفار باروخ والمكابيين التي يؤمن بها الكاثوليك و الأرثوذكس ، ومن المعلوم أن العبرية لايوجد فيها هذه الأسفار ، بينما تذكر التوراة اليونانية أسفاراً أخرى من الأبوكريفا (الخفية) لم توجد في الفولجاتا .

وبقيت هذه الترجمة سائدة وحدها خلال العصور الوسطى ، وقد اعتبرها مجمع ترنت عام ١٥٤٦م كنسخة معتبرة للكتاب المقدس ، وما تزال حتى اليوم معتبرة عند الكاثوليك ، فيما عدل البروتستانت عنها إلى نسخة الملك جيمس . وهذه الترجمة المعتبرة عند النصارى قروناً طويلة يقول عنها هورن " وقعت التحريفات والالحاقات الكثيرة في هذه الترجمة من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر .

ويقول " لابد أن يكون ذلك الأمر في بالك أن ترجمة من التراجم لم تحرف مثل اللاتينية " .

وأقدم مخطوطة موجودة لهذه النسخة كتبت سنة ٧٣١م .[1]

وترجم العهد القديم إلى لغات أخرى منها الآرامية (الكلدانية) ، وتسمى هذه الترجمة (ترجومات) ، وهذه لغة ما بعد السبي .

وأيضاً ترجم للحبشية في القرن الرابع اعتماداً على السبعينية ، كما ترجم الأسقف أولفيلاس عام ٣٥٠م التوراة إلى الفوطية ، و لم يترجم أسفار صموئيل والملوك بدعوى أنها من الخطر وضعها بين يدي الشعب الفوطي بسبب الروح الحربية الموجودة فيها ، كما ترجمت للآرمية على يد إسحاق البطريك عام ٤٢٨م .[2]

وأما الترجمة إلى العربية ، فأول ترجمة عربية قد ظهرت بعد الإسلام ، وتمثلت في ترجمة أسقف اشبيليا يوحنا عام ٧٥٠م ، أي في القرن الثاني الهجري .

ثم ترجم عن العبرانية مستعيناً باليونانية الحاخام سعد جدغاون الفيومي المعلم في بابل ، وكان ذلك في

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٤٦٤-٤٦٦ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٢ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٣٠ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٢٤ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٣٨ .

(٢) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

القرن التاسع الميلادي .

وترجم إلى العربية بأحرف عبرية سعدية بن يوسف عام ٩٢٤م ، وترجم في نفس القرن يافث بن علي.

وفي القرن الثاني عشر ترجم أبو سعيد بن أبي الحسين السامري التوراة السامرية المشهورة بأنها من ترجمة الكاهن السامري أبي الحسن بن إسحاق الصوري .

وفي القرن الثالث عشر الميلادي ترجم أبو البركات العسال أخرى للعربية عن القبطية وقد اختلفت هذه التراجم حسب الأصل المترجم عنه سواء كان قبطياً أو سريانياً أو عبرياً أو يونانياً .

أما الترجمات العربية الشائعة والمتداولة حديثاً ، فقد ترجم أولها في القرن السابع عشر على يد مطران دمشق سركيس الدزي بإذن صادر عن بابا الفاتيكان عام ١٦٢٠م ، وقد قوبلت على ترجمات مختلفة ، وبقيت شائعة حتى ظهور ترجمتين في القرن التاسع عشر حين ترجم خمسة من علماء التوراة (٣ لبنانيون وأمريكيان) ترجمة للتوراة بروتستانتية مكونة من ٣٩ سفراً ، وطبعت عام ١٨٦٥م .

وفي عام ١٨٨٠م أصدر الكاثوليك ترجمة الآباء اليسوعيين ، وذلك في بيروت وتشمل ٤٦ سفراً .

ثم صدر في عام ١٩٦٠م ترجمة كاثوليكية أخرى في بيروت .[١]

ويعيب الخولي على هذه الترجمات خلو كثير منها عن تاريخ الترجمة أو مكانها أو أصولها ، وقد يغيب أحياناً اسم المترجم ، وغير ذلك مما لاغناء عنه ، بينما يعيب كامل سعفان هذه الترجمات بأنها تأثرت باللغات التي ترجمت إليها، فتأثر النص بعادات ومصطلحات اللغات المترجم إليها مما أثر في هذه النصوص .[٢]

تحريف التراجم

وقد غيرت الترجمات والطبعات المختلفة للكتاب المقدس في النصوص كثيراً فكان مظهراً آخر في التحريف فكل واحد من المترجمين يتصرف " حسب ما يتراءى له من مصلحة ، ومن موافقة لأساليب العصر ، وتفكيره ، واتجاهاته ، وبحيث تكون النسخة أقرب للقبول من سابقتها التي بها ألفاظ وتعبيرات تحفز الشخص على إنكارها ، أو على الأقل التشكك في مصداقيتها .

كما تحاول الترجمات الحديثة أن تخفف من الوقائع والحوادث اللاأخلاقية المنسوبة للأنبياء ، وذلك باللعب بالألفاظ ، واختيار لفظ دون آخر ... وكذلك تحاول أن تخفف من وقع تلك الصورة البشعة التي

---

(١) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٧٨ - ١٧٩ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٩٥ - ١٠٥ ، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٢٦ - ٢٧ ، ٢٩ ، ثد ٢٦ - ٢٧ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٧٧ .

(٢) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٤ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٧٧ .

ترسمها بعض النصوص التوراتية لله سبحانه وتعالى " .[1]

وأثبت علماؤنا ومن خلال مقارنات كثيرة تطاول المترجمين على النصوص التوراتية ، وتغييرها وتبديلها.

وقبل أن نورد بعض هذه الأمثلة ننقل عن القمص باسيليوس قوله في كتابه " الحق " : " إن الكتاب المقدس يحتوي ٣٤٠٩٣٨ كلمة ، وعدد حروفه ٣٥٦٨٤٨٠ حرفاً " ويقول أيضاً : " إن الكتاب المقدس أنتشر في العالم كله شرقاً وغرباً ، وكل النسخ في كل الأرض متشابهة لفظاً ومعنى " .[2]

ويعلق منصور حسين على هذا التحدي من القمص فيتساءل : من ذا الذي سيعد ليتأكد من صحة ما ذكره القمص ، وأياً كانت النتيجة ، فهو يستطيع أن يدعي بأن الحاسب أخطأ .

لكن منصور حسين يجزم بخطأ القمص ، ويستدل لذلك بمقارنة بسيطة بين طبعتين في جملة واحدة " في الجحيم ، لاتدع قدوسك يرى فساداً " (مزمورا ١٠/١٦) وفي طبعة ثانية "لأنك لن تترك نفس في الهاوية لن تدع قدوسك يرى فساداً " فاختلف عدد الحروف في الطبعتين .[3]

ومما يفند ادعاء القمص باسيليوس أن التوراة العبرية تختلف روايتها عن رواية ثانية لها تسمى رواية السوريين بما يربو على ١٣١٤ موضعاً ،كما تختلف طبعة ١٧٠٥م عن أول طبعة توراتية وهي التي صدرت عام ١٤٨٨م – في أكثر من ١٢٠٠٠ موضعاً .[4]

أمثلة لتحريف التراجم

وقد بين علماؤنا أمثلة كثيرة لتلاعب المترجمين بالنصوص ، والحرية التي أعطوها لانفسهم وهم يترجمون نصوص التوراة . وقد مس تلاعبهم اسم الله واسم كتابه .

وأما ما يخص اسم الله فقد جاء في الكتاب المقدس للبروتستانت " قال موسى لله : ها أنا آتي إلى بني إسرائيل ، وأقول لهم : إله آبائكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى : أهيه الذي أهيه ، وقال : هكذا تقول لبني إسرائيل : أهيه أرسلني إليكم .

وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبني إسرائيل : يهوه إله آبائكم إله إبراهيم ، وإله اسحاق ، وإله يعقوب أرسلني إليكم . هذا اسمي إلى الأبد " (خروج ١٣/٣ – ١٥) .

والنص في ترجمة الكاثوليك للكتاب المقدس مختلف ففيه " فقال الله لموسى :أنا هو الكائن .. الكائن

---

(٣) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٧٢ .

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٧٩ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٧٩ .

(٣) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٦٢ .

أرسلني إليكم .. قل لبني إسرائيل : إله آبائكم إله ابراهيم .... " فاختفى اسم الله الأبدي " يهوه " من ترجمة الكاثوليك .

وفي ترجمة آخرى للكاثوليك " أنا هو من هو ..أنا هو أرسلني .. الرب إله آباءكم " فتغير اسم يهوه وأبدل بالرب " .

وفي التراجم الإنجليزية ما تعريبه : " أنا الذي أنا ، وأنا من أنا والكائن " ،وفي الفرنسية : " أنا هو الكائن .. والكائن .... " .[1]

وأما تغييرهم اسم كتاب الله ، فكل ناشر يصدر نسخة من الكتاب المقدس يغير في اسمها كما يشاء

وقد اعتيد أن يسمى " الكتاب المقدس "

وعندما ظهرت ترجمة إنجليزية نقحها اثنان وثلاثون عالماً في منتصف هذا القرن جعلوا عنوانه " الكتاب ترجمة قياسية مراجعة " (R . S . V) وفي إحدى طبعات الترجمات الفرنسية أسموه " الكتاب الأورشليمي " وفي أخرى " الترجمة المسكونية للكتاب " .

وفي ترجمة ألمانية أسموه " الكتاب " والاسم الأخير يفضله أحمد عبد الوهاب ، ويراه متطابقا مع تسمية الله لليهود والنصارى بأنهم أهل الكتاب من غير أن يذكر أنه مقدس أو سوى ذلك .

ورأى علماؤنا أن النص يستحيل بين المترجمين إلى معان متباعدة ، ويصعب أن يتصور حينذاك بأن الأمر مجرد اختلاف في الترجمة ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الترجمة العربية " والآن قال الرب : جابلي من البطن عبداً له ، لإرجاع يعقوب إليه ، فينضم إليه إسرائيل ، فأتمجد في عيني الرب ، وإلهي يصير قوتي " (إشعيا ٤٩/٥) ويفهم من النص إثبات المجد لله بانضمام إسرائيل .

وفي الترجمةالإنجليزية ما تعريبه : " ولو لم ينضم إسرائيل أتمجد " ، ويؤكد السقا على أهمية الاختلاف بين الترجمتين ، ويرى أن النص الإنجليزي يفيد قيام ديانة جديدة بدل ديانة اليهود بينما يجعل النص الأول (العربي) هذه الديانة هي ديانة اليهود .[2]

ومن أمثلة ما أحالت التراجم في معناه ما جاء في سفر أيوب . ففي الترجمة الإنجليزية " حتى وان كانت ديدان جلدي تفني هذا الجسد فإنني في جسدى أرى الله " .

ويفهم من النص أن البعث للجسد الميت وفي ترجمة الكاثوليك " وبعد ذلك تلبس هذه الأعضاء بجلدي ، ومن جسدي أعاين الله " فالبعث للروح والجسد.

وفي ترجمة البروتستانت " وبعد أن يفنى جلدي هذا ، وبدون جسدى أرى الله (أيوب ١٩/٢٦)

---

(١) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) انظر : أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٠٥ - ١٠٦، مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات، ص٩١ - ٩٢.

فالبعث للروح دون الجسد .[1]

ومن أمثلة تغيير المعاني ما جاء في سفر التكوين عن السبب الذي أغضب الله حتى عم الطوفان الأرض في زمن نوح " وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ، وولد لهم بنات . أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ، فقال الرب : لايدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه ، هو بشر ، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة " (التكوين ٦/١ - ٤) .

وحسب ترجمتين إحداهما كاثوليكية والأخرى بروتستانتية " لا تحل روحي على الإنسان أبداً لأنه جسد .... "

وفي ترجمة كاثوليكية أخرى " لايثبت روحي في الإنسان للأبد ، لأنه بشر ... " ويعلق أصحاب هذه الترجمة في الهامش بأن هذا يعود إلى أسطورة شعبية عن جبابرة يقال : أنهم ولدوا من زواج بين كائنات بشرية وكائنات سماوية !!.

وأما ترجمة لوي سيجو الفرنسية والقياسيةالإنجليزية فإنهما قالتا بأن روح الرب سوف لن تبقى إلى الأبد في الإنسان .وفي ترجمة الملك جيمس : أن الروح سوف لايخاصم الإنسان دائماً .[2]

التحريف بقصد إصلاح النص

ويلجأ المترجمون للتحريف تجنباً للمشاكل التي يثيرها النص الذي بين أيديهم ،فيعملون من خلال التحريف على إزالة التناقض أو إصلاح الخطأ أوتلطيف المعاني القبيحة الموجمدة في النص.

ومن تلطيف المترجمين للمعاني أنه جاء في سفر الخروج حسب ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : " فقال موسى للرب : استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل ، فحمي غضب الرب على موسى " (الخروج ١٤/٤ - ١٥) .

وفي ترجمة الكاثوليك " فقال موسى للرب : رحماك يارب "

و جاء في ترجمة أخرى للكاثوليك ، ومثلها في التراجم الإنجليزية والفرنسية أن موسى قال " العفو يارب " .[3]

ومن التحريف بقصد تلطيف المعنى ماجاء في أول التوراة " في البدء خلق الله السماوات والأرض " (التكوين ١/١) ، مع أن الترجمة العبرية للنص تسمى الله (الوهيم) ومعناه الصحيح : " الآلهة " .

وفي طبعة اسكوفيلد " في البدء خلق الله السماء والأرض " ، فأفردت هذه الطبعة لفظة

---

(٣) انظر : مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٨٩ .

(١) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٣١ .

(السماوات).[1]

وجاء في سفر التكوين حسب التراجم العربية " وأما اليوم السابع فاستراح الله من جميع عمله الـــذي عمل " (التكوين ٢/١ – ٢) فلما اعترض على استخدام لفظ الاستراحة بحق الله عز وجل غيرته الـــتراجم فأصبح : " وفي اليوم السابع توقف عن العمل ، لأنه انتهى منه " .[2]

وأحياناً يكون تحريف الترجمات هدفه إزالة التناقض أو تصحيح الأخطاء .

ومن ذلك أنه جاء في التوراة خلاف في عمر الملك أخزيا عندما ملك ، ففي سفر الملوك " كان أخزيـا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك " (ملوك (٢) ٢٦/٨) ، وهذا مناقض لما جاء في سفر أخبار الأيام ، وفيـه " كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك " (الأيام (٢) ٢/٢٢) وهذا الخلاف مثبت في سائر الـتراجم والطبعات .

فلما ترجم مارتن لوثر مقدم البروتستانت التوراة إلى الألمانية حرف ما في سفر الأيام ، فجعله موافقاً لما جاء في الملوك أي أن عمره ٤٢ سنة ، ومثله فعل في عمر يهوياكين فأزال التناقض فغير في (سفر الأيـام (٢) ٩/٣٦) ليوافق ما جاء في (ملوك (٢) ٨/٢٤) ، حيث جعل عمر يهوياكين ثمان عشرة سنة حـين مـلك مناقضاً ما جاء في (الأيام (٢) ٩/٣٦) حيث جعل عمر يهوياكين ثمان سنين حين تولى الملك . فجعلـهما مارتن لوثر في كلا المحلين ١٨ سنة .[3]

وجاء في أعداد بني إسرائيل في أخبار الأيام الثاني أن قتلاهم في معركة واحدة مع أبيا بلغ خمسـمائة ألف (انظر الأيام (٢) ١٧/١٣) وكان قبل قد ذكر بأن جيش يربعام بلغ ثمان مائة ألف (انظـر الأيـام (٢) ٣/١٣) وقد جزم مفسروهم بخطأ هذه الأرقام ، وأنها مهولة ، وقامت الترجمة اللاتينية بجعل الأرقام أكـثر معقولية فجعلتها خمسين ألفاً ، وثمانين ألفاً ، فحذفت من كلا الرقمين صفراً . ويقول آدم كلارك " يعلم أن العدد الصغير في غاية الصحة واستغثنا كثيراً ، وصرخنا من وقوع التحريف في أعداد كتب التاريخ هذه .[4]

وجاء في ترجمات البروتستانت ١٩٧٠ ، ١٩٨٣ ، وطسن ١٨٣١ ، ووليم واطس ١٨٦٦ ، " ضرب أهل بيتمش لأنهم نظروا إلى تابوت الرب ، وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجـلاً فنـاح الشعب ، لأن الرب ضرب الشعب ضربة عظيمة " (صموئيل (١) ١٩/٦) . ويرى آدم كلارك في النـص زيادة أو نقصاً ، لأنه من غير المعقول أن يكون في قرية صغيرة مثل هذا العدد ، وأن يكونوا مشتغلين بحصـد الزرع ، كما يبعد أن يروا التابوت دفعة واحدة . واعترف بالخطأ أيضاً مفسرو الكتاب المقـدس إذ سـكان أورشليم يومذاك لايتجاوزون سبعين ألفاً كما قدره المفسرون .

---

(٣) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٢٠ – ٢١ .

(٤) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٠٩ .

(١) انظر : البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين ، أحمد عبد الوهاب ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ،ص٢٨ – ٣٠ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢٦١/٢ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١١١.

وفي طبعة الآباء ١٩٨٦ والرهبانية ١٩٨٦ والحياة ١٩٨٨ والقياسية المراجعة ، والفرنسية المسكونية كانت المفاجأة أن هؤلاء عدلوا النص فأصبح " وضرب الرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب ، وقتل من الشعب سبعين رجلاً كانوا خمسين ألف رجل ، فناح ..... " (١)

(٣) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ، وذكر عدة أمثلة مشابهة .

التحريف في مواضع تمس موضوعات الجدل النصراني الإسلامي

كما مس تلاعب المترجمين نصوصاً هامة لها علاقة بموضوعات الجدل الإسلامي النصراني ، ولاريب أنه لم يكن من باب الصدفة ، بل هو تلاعب وتزوير أريد منه طمس الحقيقة الظاهرة .

فمن ذلك أنه جاء في الترجمة المسماة " كتب الشريعة الخمسة " : " أو يدفع الكتاب لمن لايعرف القراءة ، ويقال له اقرأ هذا . فيقول : لا أعرف القراءة " (إشعيا ١٢/٢٩) وهو موافق للتراجم الإنجليزية والفرنسية المختلفة .

ولما كانت هذه الترجمة واضحة في ذهن القارئ العربي ، وأنها تتحدث عن قصة النبي في غار حراء ، غيرت التراجم العربية الأخرى النص فجعلته ترجمة البروتستانت والكاثوليك العربيتان " أو يدفع الكتاب لمن لايعرف الكتابة ، ويقال له : اقرأ هذا ، فيقول لا أعرف الكتابة " .

ويذكر أحمد عبد الوهاب بان الإجابة المنطقية لطلب القراءة أن يقول المجيب : لا أعرف القراءة كما في ترجمة " كتب الشريعة الخمسة " وغيرها من التراجم الأجنبية " .[١]

ومثله التحريف في نص التثنية وفيه " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم " (التثنية ١٨/١٨) وهو كذلك في سائر التراجم .

لكن في الترجمة المسماة " إنجليزية اليوم " ما تعريبه : " أقيم لهم نبياً من وسطهم " ، وهو تحريف لايخفى المراد منه .[٢]

وجاء في إشعيا " ها العذراء تحبل وتلد ابنا " (إشعيا ١٤/٧) وهي في طبعة ١٩٧١الإنجليزية ما تعريبه " هاهي المرأة الشابة ... " فحولوها إلى العذراء ليجعلوها نبوءة عن المسيح وأمه .[٣]

وجاء في طبعة ١٨٤٤ العربية وصف الأمة التي سترث بعد بني إسرائيل " هم أغاروني بما ليس إلهاً ، أغاظوني بأباطيلهم ، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً ، بأمة جاهلة أغيظهم " (التثنية ٢١/٣٢) فجعلتها التراجم العربية الحديثة حقداً على أمة العرب وحسداً لهم " بأمة غبية " .[٤]

وكذلك تلاعبت التراجم بأحكام التوراة ففي الترجمة العربية سنة ١٦٢٥م وسنة ١٦٤٨م أن الله قال لنوح " وكلما يتحرك على الأرض ، وهو حي يكون لكم مأكولاً كالبقل الأخضر " (التكوين ٣/٩) فالنص يبيح كل حيوان وهذا يتعارض مع ماجاء في سفر اللاويين (٤/١١ - ٨) فقد حرم الخنزير وغيره .

وإزالة لهذا التعارض أصبح النص في ترجمة سنة ١٨١١م " كل دبيب طاهر حي يكون لكم مأكلاً

---

(١) انظر : البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين ، أحمد عبد الوهاب ، ص٢٣ - ٢٥ .

(٢) انظر : البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين ، أحمد عبد الوهاب ، ص١٨ .

(٣) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٧٦ .

(٤) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٨٣ .

كخضر العشب .[1]

وجاء في طبعات الكتاب المقدس المشهورة " وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له ، فولدت له موسى وهارون " (الخروج ٦/٢٠)

وفي طبعتي رجارد ، ووليم واطس المطبعوتين في لندن ١٨٣١ ، و ١٨٤٤ رأوا أن النص لايمكن قبوله ، كيف تزوج عمرام عمته فجعلوه هكذا " فتزوج عمران يوخابد ابنة عمه ، فولدت له موسى وهارون " فوافق النص ما جاء في (اللاوين ٨/١٢) في تحريم العمة [2]

وهكذا تظهر بين الفينة والفينة طبعات جديدة منقحة للكتاب المقدس فمن الذي أذن لهم بتنقيح وتعديل ما نقل إليهم واعتقدوا أنه كلمة الله .[3]

وقد يكون التحريف كبيراً يصعب معه المقارنة والمقابلة ، وهو ما لاحظه كامل سعفان في سفر عاموس فالنص الانجليزي يختلف تماماً عن الترجمة العربية .[4]

وختاماً : نختم بذكر بعض الأمثلة التي ذكرها كامل سعفان ، والتي توضح مقدار الحرية التي تعامل بها المترجمون مع النصوص التوراتية ، إذ النص العربي يذكر اشتقاقات عربية لايصح أن تكون في كتاب أصل لغته العبرية . ومن ذلك

ما جاء في سفر التكوين عن حواء " هذه تدعى امرأة ، لأنها من امرئ أخذت " (التكوين ٢/٢٣) ومثله " وولدت له قايين ، وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب " .(التكوين ٤/١) فكلمة " قايين " كما في قاموس الكتاب المقدس معناها " حداد " . ومثله " دعي اسمها بابل ، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض " (التكوين ١١/٩) . والأصل أنها " باب ايل " بمعنى : " بوابة الرب " كما في قاموس الكتاب المقدس فهذه أمثلة صحيحة ذكرها كامل سعفان .

بينما لم يوفق في بعض الأمثلة التي ذكرها والتي كان الاشتقاق فيها صحيحاً متفقاً في العبرية والعربية ومنها " وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك " (التكوين ١٦/١١) وهرب لوط إلى مدينة صغيرة " لذلك دعي اسم المدينة صوغر " (التكوين ١٩/٢٢) و" خرج أخوه ، ويده قابضة بعقب عيسو ، فدعي اسمه يعقوب " (التكوين ٢٥/٢٥) [5].

قد أخطأ كامل سعفان لأن صوغر كلمة سامية معناها " صغر " ، واسماعيل كلمة عبرية معناه " يسمع الله " ، ويعقوب كلمة عبرية معناه " يعقب ، يمسك العقب " وهذا التقارب في المعاني معهود في اللغات

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٣/٦٥٠ .

(٢) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٢٠ .

(٣) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٢ .

(٤) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ٢٠٢ .

(٥) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

السامية القديمة فصح الاشتقاق في الترجمة العربية .[1]

ومن الصور التي أبقاها المترجم على حالها فكان فعله صحيحاً ، قوله " وقال لابان : هـــذه الرجمـة شاهدة بيني وبينك اليوم لذلك دعي اسمها جلعيد " (التكوين ٤٨/٣١) وكلمة جلعيد كما يفيد قـــاموس الكتاب المقدس كلمة عبرانية معناها " رجمة الشهادة " .[2]

وهكذا رأى علماؤنا في تحريف التراجم والطبعات نوعاً جديداً ومتجدداً من التحريف .

ويقول أحمد عبد الوهاب " ولعل المثير والخطير في هذا المجال ، مجال إفساد النصوص وتزويرها ، وأنـه لم يزل خيانة عظمى يمارسها حتى اليوم أولئك القائمون على أمر الكتاب المقـــدس ، وطبعـه ، ونشـره ، وتوزيعه".[3]

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٧٣ ، ٥٦٢ ، ١٠٧٣ .

(٢) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٢٦٥ .

(٣) انظر : البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين ، أحمد عبد الوهاب ، ص٨ .

المبحث الثاني : نقد متن التوراة .[1]

انتهينا في المبحث الأول إلى أنه لايصح نسبة التوراة لموسى والأنبياء لانقطاع سندها ، كما لايصح نسبة التوراة المتداولة لعزرا لكثرة ما تعرضت له من تغيير في التراجم والطبعات وغير ذلك مما سبق .

وفي مسعى آخر لإبطال نسبة العهد القديم لله ووحيه قلّب علماؤنا أسفار التوراة ، ونظروا ما فيها فلم يجدوا فيها من أثارة النبوة وهدي الوحي إلا قليلاً ، وفيما ما عدا ذلك يظهر تخبط البشر وضلالهم وتحريفهم وأخلاقهم الأرضية .

ويقرأ ديدات في قول بولس " كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذي في البر " (تيموثاوس (٢) ١٦/٣) يقرأ فيه ديدات أربع معايير يجب أن لايخرج عنها كتاب من الله أولها أن يعلمنا المبادئ والعقائد . وثانيها : أن يوبخنا على خطأ ارتكبناه . وثالثها : أن يقدم لنا الصواب . ورابعها: أن يهدينا للصلاح .[2]

ويقول القبطي صبري جوهرة وهو يلخص رأي الكنيسة " فالمقصود بالكتاب هو أن يعلم الدين والأخلاق ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة ، بل إن كل متمسك بحرفية الكتاب (المقدس) كمصدر آخر غير الأخلاق والدين ينظر إليه نظرة غير مطمئنة ". [3]

ويقصد أن الكتاب المقدس ليس مصدراً للجغرافيا والتاريخ إنما هو مصدر للدين والأخلاق ، ولانعرف ما تريده الكنيسة بخصوص المعلومات الجغرافية التاريخية التي يمتلئ بها الكتاب المقدس وتشكل مالا يقل عن ٧٠% من أسفاره .

فهل يفي الكتاب المقدس بشروط الوحي التي ذكرها بولس ، والتي تتحدث عنها الكنيسة ؟

في الإجابة على هذا السؤال نذكر مطالب سبعة :

المطلب الأول : الله وصفاته في التوراة .

المطلب الثاني : الأنبياء في التوراة .

المطلب الثالث : الصبغة البشرية للتوراة .

المطلب الرابع : أخلاق التوراة .

المطلب الخامس : التحريف في التوراة .

المطلب السادس : تناقضات التوراة .

المطلب السابع : أغلاط التوراة .

---

(١) في نقد متن التوراة انحصر نقد علمائنا في التوراة العبرانية التي يؤمن بها البروتستانت ، ويسلم جميع أسفارها أيضاً الكاثوليك والأرثوذكس .

(٢) انظر : هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٦٥ .

(٣) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٦ .

المطلب الأول : الله وصفاته في التوراة

من الطبيعي أن يتحدث الوحي عن الله عز وجل الذي أوحى به ، إذ هذه أعظم الأسباب التي من أجلها يترل الوحي ، وهي أن يعرف المؤمنون ربهم وصفاته ، فيزدادوا إيماناً به وتعظيماً له .

وتتحدث الأسفار التوراتية في أماكن متفرقة عن الله العظيم بما يليق بجلالة وعظمته ومن ذلك .

" اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك " (التثنية ٤/٦ - ٥) ، وأيضاً الرب لايرى " حقا أنت إله محتجب ، يا إله إسرائيل " (إشعيا ١٥/٤٥) ، وقال الله لموسى " لاتقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لايراني ويعيش " (الخروج ١٩/٣٣ - ٢٠) .

والله عز وجل ليس كمثله شيء وفي ذلك يقول موسى " ليس مثل الله " (التثنية ٣٦/٣٤) ويقول سليمان " أيها الرب إله إسرائيل ، لا إله مثلك في السماء والأرض " (الأيام (٢) ١٤/٦) .

وهي حي جلا وعلا إلى الأبد " وأقول حي أنا إلى الأبد " (التثنية ٤٠/٣٢) إلى غير ذلك من الصفات الكاملة الحسنة التي تذكرها التوراة لله العظيم .[1]

ومما لاريب أن في هذه الفقرات أثارة الأنبياء ، وبقايا وحي السماء . لكن التوراة في مواضع لاتعد لكثرتها تتحدث عن الله فتجعله كائناً بشرياً ، وتصفه بصفات البشر ، وتسمه بنقصهم بل وأخطائهم وضلالهم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقد تتبع علماؤنا كثيراً من هذه النصوص فوجدوا فيها إساءة لعظمة الله لايمكن أن يكتبها نبي أو يترل بها وحي ، كما لايرتضيها مؤمن أن تكون لبشر صالح أو لنبي فضلاً أن تكون صفات لله العظيم .

والأمثلة التي ذكرها علماؤنا كثيرة نقتبس منها هذه النصوص :

نصوص تجسم الله عز وجل وتتحدث عنه ككائن بشري له صفات الإنسان الخلقية ، ويتكون مما يتكون منه الإنسان ، ويمارس من خلال هذه الأجزاء منه نشاطات بشرية .

من ذلك أن الله خلق الإنسان على صورته وشبهه " وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " (التكوين ٢٦/١) ويذكر البار أنه في أكبر كنائس الكاثوليك في روما (كنيسة " سانت بيتر ") رسم الرسام مايكل أنجلو صورة لله تشبه البشر .

وتحدث النصوص عن صور التشابه كما رسمها كتبة العهد القديم ، ومن ذلك ما جاء في رؤيا دانيال أن له رأس شعره أبيض " شعر رأسه كالصوف النقي ، وعرشه لهيب نار " (دانيال ٩/٧) وله عينان وأجفان " عيناه تنظران ، أجفانه تمتحن بني آدم " (مزمورا ٤/١١) وله شفتان " شفتاه ممتلئتان سخطاً ، ولسانه

---

(١) انظر : أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٢ - ١٥ .

كنار آكلة ، ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة " (إشعيا ٣٠/٢٧ - ٢٨) وله أحشاء " أحشائي أحشائي ، توجعني جدران قلبي ، يئن في قلبي ، لا أستطيع السكوت " (إرميا ٤/١٩) .

وله رجلان ترى " نزل وضباب تحت رجليه " (مزمورا ١٨/٩) ، و " لما صعد موسى وهارون وناراب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه حلية من العقيق الأزرق الشفاف ، كالسماء في النقاء ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف إسرائيل " (الخروج ٢٤/٩ - ١١) .

وأيضاً " صعد دخان من أنفه ، ونار من فمه " (المزمور ١٨/٩)

" وإلى إلهي صرخت ، فسمع من هيكله صوتي ، وصراخي دخل أذنيه ، فارتجت الأرض وارتعدت ، أسس السماوات ارتعدت وارتجت ،لأنه غضب ، صعد دخان من أنفه ، ونار من فمه أكلت ، جمر اشتعلت منه ، طأطأ السماوات ونزل ، وضباب تحت رجليه ، ركب على كروب ، وطار ، ورئي على أجنحة الريح ... " (صموئيل (٢) ٢٢/٧ - ١١) ، والكروب كما في قاموس الكتاب المقدس هم الملائكة .

وتحكي التوراة عن أفعال بشرية تنسبها لله ، وهي فرع عن عقيدتهم المجسمة لله ، ومن ذلك أن الله يمشي ، ولكن على شوامخ الجبال " فإنه هو ذا الرب يخرج من مكانه ، وينزل ويمشي على شوامخ الأرض .. كل هذا من أجل إثم يعقوب " (ميخا ١/٣ - ٥) . وكان سفر التكوين قد ذكر بأن الله يمشي في الجنة (انظر التكوين ٣/٨) .

ويزور إبراهيم ويأكل عنده " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض .... ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ، ووضعه قدامهم ، وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا .... وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم " (التكوين ١٨/١ - ٢٣) ثم ظهر ليعقوب وصارعه حتى الفجر " فدعى يعقوب اسم المكان:" فينئيل ". قائلاً : لأني نظرت الله وجهاً لوجه ، ونجيت نفسي " (التكوين ٣٢/٣٠) .

ولما أغضبه مريم وهارون " فنزل الرب في عمود سحاب ، ووقف في باب الخيمة ....فقال اسمعا لكلامي .. فماً إلى فم ، وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز " (العدد ١٢/٥ - ٨) ، ولما خرج بنو إسرائيل من مصر مشى معهم بصورة مختلفة " وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم إلى الطريق ، دليلاً في عمود نار ليضيء لهم ، لكي يمشوا نهاراً وليلاً " (الخروج ١٣/٢١ - ٢٢) .

ولما أمرهم بقتال العماليق " قال الرب لموسى .... ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب " (التكوين ١٧/ ٥-٧) . وللمزيد من صور رؤية الله انظر (إشعيا ٦/١ - ١١) و (ملوك (١) ١٩/٩ - ١٥) .

ويذكر سفر التكوين أن الله رضي عن نوح وقومه بعد أن شم رائحة الشواء " وبنى نوح مذبحاً للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ، ومن كل الطيور الطاهرة ، وأصعد محرقات على المذبح ، فتنسم الرب رائحة الرضا .... " (التكوين ٨/٢٠ - ٢١) .

وفي حزقيال أن الله دخل من باب وأمر بإغلاقه للأبد " فقال لي الرب : هذا الباب يكـــون مغلقـــاً لا يفتح ، ولايدخل منه إنسان ،لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً " (حزقيال ٢/٤٤) .[١]

يقول الحوفي " وقد يقال أن في العبارات كناية وتمثيلاً ، ولكن هذا القول أن صح في بعض العبـــارات فإنه لايصح في بعضها الآخر " . [٢]

وكذلك ترد في التوراة أن الله يشبه نفسه تشبيهات غريبة ممجوجة ومن ذلك " فأكون لهم كأســـد ، أرصد على الطريق ، كنمر ، أصدمهم كدبة مثكل ، وأشق شغاف قلوبهم ، وآكلهم هناك كلبوة ، يمزقـــهم وحش البرية " (هوشع ٧/١٣ – ٨) . ومثله أن الله خاطب أورشليم " وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك " (إشعيا ٥/٦٢) . ومثله التشبيه المنكر لله والذي جاء في هوشع " أنا مثل السوس لأفـــرام ، ومثـــل الدودة لبيت يهوذا . (هوشع ١٢/٥) .

ومثله في التعبير عن انتقام الله من بني إسرائيل بتسليط ملك أشور عليهم فيشبهه سفر إشعيا فيقـــول " في ذلك اليوم يحلق السيد بموسى مستأجرة في عبر النهر بملك أشور الرأسَ وشعر الرجلين ، وتترع اللحيـــة أيضاً " (إشعيا ٢٠/٧) .

ومثله تشبه التوراة الله عز وجل بالمرأة تارة وبالزوج تارة،فقد جاء فيها"لأن بعلك هو صـــانعك رب الجنود اسمه،....لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك ربك"(إشعيا٥٤/١-٦)وفي موضع آخـــر أنـــه قال"من أجل ذنوبكم طلّقتُ أمكم"(إشعيا ٥٠/١)

فمثل هذه التشبيهات السمجة والتعبيرات السخيفة لايمكن أن تصدر عـــن الله العظيـــم ولايليـــق أن يوصف بها .[٣]

كما تنسب النصوص لله أفعالاً كتلك التي تصدر عن البشر بسبب جبلتهم وضعفهم الذي خلقـــهم الله عليه ، ومن ذلك العجز " وكان الرب مع يهوذا ، فملك الجبل ، و لم يطرد سكان الوادي ،لأن لهم مركبـــات من حديد " (القضاة ١٩/١) فكان ذلك سبباً لعجزه ، ومن ذلك أن الله يتعب ويحتاج للراحة فيســـكن في

---

(١) انظر : دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٦٧ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمـــة ، ص ١٠٣ – ١٣٣ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس ، أيهما كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٣٨ – ٤٠ ، حجية التـــوراة ، محمد الحوفي ، ص ٦ – ١٣ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ٢١ – ٢٢ ، مناظرتان في اســـتكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٣٥ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٧١ – ٧٣ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٠ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٩٠ ، الله والأنبيـــاء في التوراة والعهد القديم ، محمد على البار ، دار القلم ، دمشق ،١٤١٠هـــ ،ص٢١ – ٤٠ ، ٥١ ،الأديـــان في القـــرآن ،محمود بن شريف،ص ١٠٥.

(٢) انظر : حجية التوراة،محمد علي الحوفي،ص ١٣

(٣) انظر : سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٢٨-١٣٠،النصرانية في الميزان،محمـــد عزت الطهطاوي،ص ٦٤-٦٥،التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٨٤ ، ٢٢٨ .

مساكن متعددة . " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح " (التكوين ١/٢) " هكذا قـال الرب .. أين البيت الذي تبنون لي ؟ وأين مكان راحتي ؟ " (إشعيا ١/٦٦) .

وتتحدث النصوص التوراتية عن مساكن كثيرة للرب " أما أملأ أنا السماوات والأرض يقول الـرب " (إرميا ٢٤/٢٣) ، " الرب ساكن في صهيون " (مزمور ١١/٩) ، " هو ذا الرب راكب علـى سـحابة سريعة " (إشعيا ١/١٩) ، " وقال الرب : إنه يسكن الضباب " (ملوك (١) ١٣/٨) " أني أسكن في وسط بني إسرائيل ، وأكون لهم إلها " (الخروج ٤٥/٢٩) وأوصاهم بإبعاد كل أبرص وصاحب عاهة عنـهم ، لماذا ؟ "لأني ساكن في وسطهم " (العدد ١/٥ - ٣) ، " يصنعـون لي مقدسـاً لأسـكن فيمـا بينـهم (الخروج٨/٢٥) ثم لما بنى الهيكل " حينئذ تكلم سليمان : قال الرب إنه يسكن في الضباب . أني قد بنيـت لك بيت سكنى مكاناً لسكناك إلى الأبد " (ملوك (١) ١٢/٨ - ١٣) .[1]

وفي مرة أخرى تذكر التوراة أن الله حرض بني إسرائيل على السرقة وأعانهم عليها فقد قال لموسـى . " تقولون له الرب إله العبرانيين التقانا ... وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون أنكم لاتمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثيابـاً تضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين " (الخروج ١٨/٣ - ٢٢) .[2]

كما تنسب التوراة للرب جل وعلا الجهل والندم على ما فات بعد اكتشاف أثره ونتيجته ، ومن ذلـك أنه لما أراد معاقبة المصريين " كلم الرب موسى وهارون .... فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة ، وأضـرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم ، وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين .أنا الرب ، ويكون لكم الـدم علامة على البيوت التي أنتم فيها ، فأرى الدم ، وأعبر عنكم ، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضـرب أرض مصر " (الخروج ١/١٢ - ١٣) .

فجعل الدم علامة على البيوت الإسرائيلية حتى لايهلكها مع بقية البيوت فهل يحتاج الرب العليم لمثـل هذه العلامة ؟ .

ومثله تذكر التوراة أن الرب بعد ما أغرق الأرض بالطوفان زمن نوح قال لنوح ومن معه " أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان ، ... " وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثـاق بيني وبين الأرض .... فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً ..." (التكويـن ١١/٩ - ١٧) فجعل قوس قزح علامة تذكره بالميثاق الذي ضربه لنوح ومن معه .

---

(١) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٢٨ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس ، أيهما كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٥٢ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٣٥ ، دراسة عن التوراة والإنجيـل ، كـامل سعفان ، ص ٢٢ - ٢٤ ، حجية التوراة ، أحمد الحوفي ، ص ١٦ ، ٣١ ، والتوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص٧١ - ٧٢ ، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد على البار ، ص٣٦ ،هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) انظر : المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، التوراة ، أحمد شـلبي شـتيوي ،ص٧٣ ، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد على البار ، ص٣٦ .

أيضاً تذكر التوراة أن الرب شاور الملكين اللذين رافقاه في ذهابه إلى إبراهيم ثم لوط " فقال الـــرب : هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله ؟" أي في قوم لوط، ثم ما كان منه إلا أن قال " أنزل وأرى هـــل فعلـوا بالتمام حسب صراخهم الآتي إلي وإلا فأعلم " (التكوين ١٨/١٧ - ٢١) .

وتنسب التوراة إلى الله الندم على أمور صنعها ، والندم فرع عن الجهل ، ومن ذلك " ندمت علـى أني جعلت شاول ملكاً ،لأنه رجع من ورائي ، و لم يقم كلامي " (صموئيل (١) ١٥/١٠) ، وتذكر التوراة أنـه لما عبد بنو إسرائيل العجل غضب الرب عليهم " وقال الرب لموسى .. فالآن اتركني ليحمى غضبي عليـــهم وأفنيهم " فكان من جواب موسى أن قال " ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك . اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك ، وقلت لهم : أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطـــي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد .

فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه " (الخروج ٣٢/٩ - ١٤) وفي مرة أخرى " كـــان الرب مع القاضي ، وخلصهم من يد أعدائهم ، كل أيام القاضي ، لأن الرب ندم من أجل أنينهم " (القضاة ٢/١٨) . ومثل ذلك كثير .(١)

وتنسب التوراة إلى الله ظلماً كثيراً . فمن ذلك : أن بني إسرائيل لما أقاموا في شطيم " ابتـــدأ الشـــعب يزنون مع بنات مؤاب .. فحمي غضب الرب على إسرائيل فقال الرب لموسى : خذ جميع رؤوس الشعب ، وعلقهم للرب مقابل الشمس ، فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل " (العدد ٢٥/١ - ٤) فمـــا ذنـــب هؤلاء الرؤوساء إذا كان رجال الشعب يزنون ؟ ولما تذكر التوراة لهم دوراً في ذلك .

ومثله ظلم ابن الزنا بجريرة والديه " لايدخل ابن زنا في جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لايدخل منـــه أحد في جماعة الرب ، لايدخل عموني ولا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لايدخل منهم أحـــد في جماعة الرب إلى الأبد " وما هو ذنب المؤابيين وذراريهم؟ " من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريـــق عند خروجكم من مصر .." (التثنية ٢٣/٢ - ٥) .

ومثله إهلاك النبي الذي أطاع نبيا آخر كذب عليه (انظر ملوك (١) ١٣/١ - ٣٢) .(٢)

ولرب قائل يزعم أن هذه الألفاظ نحو من المجاز والكناية ، ولمثله يقال :

---

(١) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٦٦ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ١٢٤ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٣٦ ، التحريف في التوراة ، محمد الخـــولي، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٩٨ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه،عبد العظيم المطعني،ص ١٧٣-١٨٢،معاول الهدم والتدمـــير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٩٠ ، حجية التوراة ، أحمد الحوفي ، ص ٢٥ ، التوراة ، أحمد شلبي شـــتيوي ،ص٧٢ ٧٣ ، التوراة،مصطفى محمود،ص ٥٠ - ٥٢ ، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد على البـــار ، ص٣١ - ٣٥ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٣٢ - ١٣٤ .

(٢) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٦٢ - ٦٣ ، ٧٦ - ٧٧ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ٣٢ .

" لايمكن قبول هذه اللغة على أنها نوع من الشعر والمجاز ، لأنها تتضمن إهانة للذات المقدسة ، وكما لايصح في لغة الشعر والمجاز أن نقول أن الله يخطي أو يجهل .. كذلك لايصح أن نقول أن الله يندم أو يتعب أو ينام .. ولو ذكرت هذه الكلمات في شعر عن الله لوصفنا الشاعر بأنه سيء الأدب ، أو ملحد ، أو وجودي متحرر من شروط الإيمان ، .. فكيف يكون الحال والتوراة تنسب هذا الكلام لنبي يتكلم بوحي من الله ، وليس بهذيان الخواطر " .[1]

كما تذكر التوراة أن الله أمر أوامر غريبة يظهر لمن تدبرها مقدار العبث فيها والذي ينزه عنه الله جل وعلا .

ومن ذلك أنه أمر نبيه بالزنا " أول ما كلم الرب هوشع قال له : اذهب خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا ، لأن الأرض قد زنت زنىً تاركة الرب " (هوشع ٢/١) " وقال الرب لي : اذهب أيضاً أحببت امرأة حبيبة ، صاحب زانية " (هوشع ١/٣) .

وأيضاً جاء في إشعيا أن الله يصفر للذباب والنحل ففي سفر إشعيا " في ذلك اليوم أن الرب يصفر للذباب الذي في أقصى ترع مصر ،وللنحل الذي أرض أشور فتأتي ،وتحل جميعها في الأودية " (إشعيا ١٨/٧)

ومثله أن الله يفرق بين عبيده ، ويخلف ناموسه ، فقد ذكرت التوراة أنه قال لإبراهيم " اطرد الجارية وابنها ، لأنه لايرث ابن الجارية مع الحرة " (التكوين ١٠/٢١ - ١١) ومثلها " للأجنبي تقرض بربا ، ولكن لأخيك لاتقرض بربا " (التثنية ٢٠/٢٣) ، ومثله كثير في الفقرات التي تتحدث عن خصوصيات بني إسرائيل، فهذه التفرقة العنصرية لايمكن أن تصدر من الرب الذي خلق الجميع جل وعلا ، بل هذه النصوص كتبتها الأيدي الآثمة التي كتبت التلمود .

ويذكر سفر حزقيال أن الله أمر نبيه حزقيال بأوامر كثيرة منها " وتأكل كعكاً من الشعير ، على الخرء الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم . وقال الرب : هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم . فقلت آه ياسيد ، الرب، هانفسي لم تتنجس ، ومن صباي إلى الآن لم أكل ميتة أو فريسة، ولادخل فمي لحم نجس ، فقال لي: انظر . قد جعلت لك خثي البقر بدل خرء الإنسان فتصنع خبزك عليه " (حزقيال ١٢/٤ - ١٥) .

ومن ذلك أمره لنبيه بالتعري " تكلم الرب عن يد إشعياء بن آموص قائلاً اذهب وحل المسح عن حقويك ، واخلع حذاءك عن رجليك ، ففعل هكذا ومشى معري وحافياً . فقال الرب : كما مشى عبدي إشعياء معرى وحافيا ثلاث سنين آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش ، هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفي الاستاه خزياً لمصر " (إشعياء ٢/٢٠ - ٤) فهل يأمر الرب نبيه بالتعري ثلاث سنين ؟ وأي آية في ذلك ؟!

---

(١) انظر : التوراة ، مصطفى محمود ، ص٤٧ .

كما تتحدث التوراة عن أمر الله بقتل النساء والأطفال " وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك ، فلا تستبق منهم نسمة ما " (التثنية ٢٠/١٦) ، ولما غضب الرب على داود أمر فقتل الملاك منهم سبعين ألف رجل بلا ذنب أو جريرة ، فقال داود " ها أنا قد أخطأت وأنا أذنبت . وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا ؟ فلتكن يدك علي وعلى بيت أبي ؟ (صموئيل (٢) ٢٤ / ١٧) ، وكذا أمر يشوع بقتل جميع سكان مدينة عاي، ففعل (يشوع ٨/٢٥ - ٢٧) .

فمثل هذه الأوامر وتلك الألفاظ يتره عنها الرب وكتبه ، فكيف تكون في توراة تنسب لله ؟[1]

ونقل رحمة الله الهندي عن المحقق جان كلارك خمسين تناقضاً وقعت فيها النصوص في صفات الله منها: " الرب حنان رحوم بطيء عن الغضب، وعظيم النعمة " (مزمور ١٤٥/٨) ولكن هذا ينقضه ما حصل مع أهل بيت شمس "وضرب الرب من أهل بيت شمس لأنهم رأوا تابوت الرب ، وضرب من الشعب سبعين رجلاً وخمسين ألف رجل" (صموئيل (١) ٦/١٩) فهل يستحق هذا الفعل هذه العقوبة ؟ والله حنان رحوم!

ومثله تقول التوراة : "تجازي السامرة ، لأنها قد تمردت على إلهها ، ليبيدوا بالسيف ، وأطفالهم ينطرحوا ، حباليهم يشققن" (هوشع ١٣/١٦) .

وأيضاً جاء في التوراة " لاتصعد على مذبحي بدرج لئلا ينكشف عليه عورتك " (الخروج ٢٠/٢٦) إذن الله لايحب أن تكشف عورات الرجال ولا النساء ، ولكن في إشعيا " يترع السيد هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهن " (إشعيا ٣/١٨) وفي موضع آخر " أيتها العذراء ابنة بابل اجلسي على الأرض بلا كرسي . يا ابنة الكدانيين ،لأنك لاتعودين تدعين ناعمة ومترفهة .

خذي الرحى ، واطحني دقيقاً . اكشفي نقابك . شمري الذيل اكشفي الساق . اعبري الأنهار تنكشف عورتك . وترى معاريك آخذ نقمة ، ولا أصالح أحداً " (إشعيا ٤٧/١ - ٣) .

وأيضاً تصف التوراة بصر الله فتقول " عينا الرب محيطتان بكل الأرض " (الأيام (٢) ١٦/٩) ، وفي سفر الأمثال " عينا الرب في كل مكان يترقبان الصالحين والطالحين " (أمثال ١٥/٣) .

ولكن في سفر التكوين لما اختبأ آدم في الجنة بحث عنه الإله " فدعا الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ " (التكوين ٣/٩) ولما بنى أهل بابل مدينتهم " فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذي كان يبتنيه بنو آدم " (التكوين ١١/٥) . وسوى ذلك من المقارنات .[2]

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٣/٩٤٦ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ - ٢٢٧ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس ، أيهما كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٣٨ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ٢٦ - ٢٩ ، ٢٦٨ ، التوراة ، مصطفى محمود ، ص٤٥ - ٤٦ ، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد على البار ، ص٢٥ ، الأديان في القرآن محمود بن شريف،ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٣/٩٥٤ - ٩٨٦ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٣٢ - ١٤٠ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٦٢ ، ١٢٧ ، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد على البار ، ص٣٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٨ - ١٦٠ ، حول موثوقية

ولاريب أن هذا الذي يقوله النصارى عن الله مما في التوراة كفر تقشعر منه الأبدان ، يلخص ديدات رأي علماء المسلمين فيه " أنا نعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله سبحانه وتعالى لايمكن أن يوحي أو يسمح بكتابة هذا التجديف غير اللائق بذات الله سبحانه وتعالى في كتاب يُنسب إلى الله سبحانه وتعالى " .(١)

ولكي تتجلى بشاعة الصورة التوراتية ذكر علماؤنا آيات من القران الكريم تناقض الصور البشعة والوقحة التي تذكرها التوراة ومن ذلك : ﴿ ولايظلم ربك أحداً ﴾ (٢) و ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ (٣) و ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ (٤) و ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ (٥) و ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ (٦) و ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾(٧) .

كما تنسب التوراة إلى الله عز وجل تشريعات تحمل في طياتها فكر الإنسان وقصوره وقسوته ووسوسته، ولاتقبل نسبة أمثال تلك الأحكام إلى الله الكبير المتعال العليم الخبير .

ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج " وأما اليوم السابع يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب ، كل من يعمل فيه عملاً يقتل " (الخروج ٢/٣٥) وتحكي التوراة عن تنفيذ هذا الحكم " لما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب في يوم السبت ، فقال الرب لموسى : قتلاً يقتل الرجل ، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة . فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ، ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى " (العدد ١٥/٣٢ - ٣٦) .

ومن مثل ذلك أيضاً " إذا تدنست ابنة كاهن بالزنا ، فقد دنست أباها ،بالنار تحرق "(اللاويين ٢١/٧ - ٩)، ففرقت بين عرض الكاهن وغيره .

" وإذا مات إنسان في خيمة ، فكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام " (العدد ١٩/١٤) ثم

الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١١٧ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٩٤ .

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٣٦ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .

(٣) سورة ق ، آية : ٣٨ .

(٤) سورة مريم ، من آية : ٦٥ .

(٥) سورة غافر ، من آية : ١٩ .

(٦) سورة الأنعام ، آية : ٥٩ .

(٧) سورة الأعراف ، من آية : ٢٨ .

يذكر السفر كيفية التطهير ويقول " وأما الإنسان الذي يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة " (العدد ١٩/٢٠) ومن ذلك بعض أحكام البرص ، فإن كان البرص في الثياب يحرق مكانه من الثوب ، وإن كان في الجدار برص يهدم البيت ، وتخرج حجارته وأخشابه وكل تراب البيت إلى خارج المدينة (انظر اللاويين ١٣/٥٢ ، و ١٤/٤٥) .[١]

وغير ذلك من الأمثلة التي تظهر ركاكة في التشريع أشبه ما تكون بالوثنيات البدائية ومن مثل ذلك طريقة التطهير من البرص (انظر اللاويين ١٤/١ - ٢٠) وغيرها كثير .

ومن الممكن أن تكون بعض هذه الصور السابقة من الإصر والأغلال التي وضعها الله على بني إسرائيل كما حكى القرآن ذلك فقال في وصف النبي ﷺ ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ .[٢]

---

(١) انظر : دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٦٦ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٣٨ ، ٥٦ ، ٥٩ - ٦١ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٠٠ - ١٠٢ .

(٢) سورة الأعراف ، من آية : ١٥٧ .

المطلب الثاني:الأنبياء في التوراة

اصطفى الله عز وجل أنبياءه من بين سائر خلقه ، وحباهم بأن جعلهم حملة دينه إلى الناس ، وأسبق أقوامهم إليه ، وجعل منهم قدوة للعالمين ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ .(١)

وهذا الذي يقتضيه العقل في هؤلاء الذين اختارهم الله لهداية خلقه ، أن يكونوا أحسن الناس سيرة ، وأصدقهم طوية ....

وتثني التوراة في بعض نصوصها على بعض هؤلاء الأنبياء فعن داود قال: " أنا أكون له أباً ، وهو يكون لي ابناً " (صموئيل (٢) ١٤/٧) ، وعن نوح قال: " كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله ، وسار نوح مع الله " (التكوين ٩/٦) ، وعن إبراهيم تقول التوراة بأن الله قال له في المنام " يا إبرام أنا ترس لك ، أجرك كثير جداً " (التكوين ١/١٥) وعن إسحاق " وباركه الرب " (التكوين ١٢/٢٦) ...إلى غير ذلك

لكن ذلك كله يضيع في بحر الرذائل التي تلصقها التوراة بالأنبياء .

فقد تحدثت التوراة عن سكر نوح وتعريه داخل خبائه فأبصره ابنه الصغير حام ، وأخبر أخويه بما رأى فجاءا بظهريهما وسترا أباهما فلما أفاق من سكرته وعرف ما فعل ابنه حام الصغير قال " ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لإخوته ... وليكن كنعان عبداً لهم " (التكوين ٢٥/٩ - ٢٦) فبدلاً من أن يوجه ابنه الصغير صب لعناته على كنعان ابن حام ، كنعان الذي لم يخلق بعد ، فما ذنب هذا ، بل وما ذنب أبيه الذي لم يكن ليستحق هذا كله ؟ وأين هذا من شفقة نوح على ابنه الكافر كما ذكر القران الكريم ؟ (٢)

وأما لوط عليه السلام النبي الذي حارب الشذوذ، فتذكر التوراة أنه لما أهلك الله قومه لجأ إلى مغارة مع ابنتيه فسقتاه الخمر وضاجعتاه و لم يعلم بذلك ، وولد من هاتين الفاحشتين عمي ومؤاب ومنهما انحدر العمويون والمؤابيون أعداء بني إسرائيل (انظر : التكوين ٣٠/١٩ - ٣٧) .

ويذكر السفر تبريراً لهذه الفاحشة أن الكبيرة منهما قالت لأختها :" أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ..... نحيي من أبينا نسلاً " (التكوين ٣١/١٩ - ٣٢) ويصور النص الأرض وقد خلت من الرجال أو أن المغارة سيمكث فيها إلى الأبد ....وأياً كان فالنص إنما وضع كيداً في

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ٩٠ .

(٢) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي،ص ٦ ، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد على البار ، ص ٦٨ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٣ - ١٤ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٠ - ١١ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين،محمد شوقي الجزيري،ط١، دار الإرشاد ،١٤٠٦هـ ،ص ٢٨٧، التوراة ، مصطفى محمود ، ص١٦ .

أعداء بني إسرائيل ، وكيداً في داود عليه السلام الذي ولد من جدة مؤابية هي راعوث المؤابية . [1]

وأما يعقوب عليه السلام أصل بني إسرائيل فهو أيضاً لم يسلم من مخازي التوراة و لم يشفع له أبوته لهم فتذكر التوراة أنه اشترى بكورية أخيه عيسو الذي يكبره من أبيه إسحاق (التكوين ٢٥/٣٢ - ٣٣) ، ثم تذكر أنه سرق البركة منه عندما خدع أباه إسحاق فأوهمه أنه عيسو ، و لم يستطع إسحاق أن يفرق بين ابنه الأكبر وجلد المعزي الذي وضعه يعقوب على يده (انظر : التكوين ٢٧/١٦ - ٢٤) . فباركه وقال له " رائحة ابني كرائحة حقل ، قد باركه الرب ، فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل ، وكن سيداً لإخوتك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين " (التكوين ٢٧/٢٧ - ٢٩) .

ثم بعد برهة جاء عيسو أباه فاكتشف الخدعة ، ولكن بعد فوات الأوان .

وهكذا فالبركة سرقت ، وهذا يعتبر كذباً على الله واهب البركة ، لا على إسحاق، ويتساءل علماؤنا لماذا لم يسترد بركته ؟ ثم ماهذه البركة التي تثمر خمراً واستعباداً للشعوب ؟

لكن هذه البركة لايبدو لها عظيم أثر في حياة يعقوب فقد جوزي بخديعته لأبيه ، فخدعه خاله لابان وزوجه غير التي عقد له عليها (انظر : التكوين ٢٩/٢٤) وقد رد الصاع لخاله حينما خدعه في غنمه (انظر : التكوين ٣٠/٣٧ - ٤٢) .

ثم لما شاخ اعتدى شكيم على ابنته واغتصبها (التكوين ٣٤/٢) ، ثم ارتكب أحد أبنائه " يهوذا " الزنا بكنته ثامار (التكوين ٣٨/١٨) . ثم اعتدى ابنه البكر رؤابين على بلهة سرية أبيه واضطجع معها ، و لم يحرك يعقوب ساكناً (انظر : التكوين ٣٥/٢١ - ٢٢) .

كما تذكر التوراة أن يعقوب قد انتزع بركة من الله عندما صارع الرب جل وعلا (انظر : التكوين ٣٢/٢٤ - ٣٢) . [2]

---

(١) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل، بكر التميمي،ص ١٤٣، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد على البار ، ص١٢٥ - ١٣٠ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ٧٥ ،أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين،محمد شوقي الجزيري،ص ٢٨٩-٢٩٠، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٩ ، حجية التوراة ، أحمد الحوفي ، ص ٥٢ - ٥٤ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٢٩،دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٣،حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١١٢.

(٢) انظر : الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد على البار ، ص١٣٥ - ١٥٠ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار ، ص ٢٢٥ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٢١ - ٢٧ حجية التوراة ، أحمد الحوفي ، ص ٥٦ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٢٠٧ - ٢١٠ ،أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين،محمد شوقي الجزيري،ص ٢٩٠-٢٩٥،دراسة عن التوراة والإنجيل ،كامل سعفان ،ص ١٥، التوراة ، مصطفى محمود ، ص١٧- ٢٠.

و لم يسلم من تشهير التوراة موسى وهارون فقد اتهموا هارون بصناعة العجل وعبادته (انظر : الخروج ٣٢/١ - ٦) .

كما تذكر التوراة اتهاماً للنبيين موسى وهارون بعدم الايمان ، فقد جاء فيها " فقال الـــرب لموســى وهارون : من أجل أنكما لم تؤمنا بي ، حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل ، لذلك لاتدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها " (العدد ٢٠/١٢) فكان التيه بسبب موسى وهارون ، ثم قبيل وفاة موســى قال له الله : " لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل .. " . (التثنية ٣٢/٥١)

كما تذكر التوراة كلمات لايمكن أن تصدر من موسى لما فيها من إساءة أدب مع الله " فقال موســى للرب : لماذا أسأت إلى عبدك ؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي ؟ ألعلي حبلت بجميع هذا الشعب ؟ أو لعلي ولدته " فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلاً، إن وجدتُ نعمة في عينيك فلا أرى بليتي " (العدد ١١/١٠ - ١٥) .

وفي موضع آخر تذكر التوراة أن موسى أمر في حربه مع أهل مديان الذين مكث فيهم ســـنين أمـــر بقتلهم شر قتلة ، فلما لم ينفذ الجيش أمره " فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألـــوف ورؤســـاء المئات القادمين من جند الحرب ، وقال لهم موسى : هل أبقيتم كل أنثى حية ؟ فالآن اقتلوا كل ذكـــر مـــن الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها . لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفـــن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات " (العدد ٣١/١٤ – ١٨) .

و لم يخبر السفر عن طريقة التمييز بين الأبكار وغيرهن ، فهل يأمر نبي بمثل هذا ؟ ويتســـاءل ديـــدات كيف يتسنى للجنود التفريق بين المتزوجات والعازبات و لم يكن من طريقة يومذاك إلا ممارسة الجنس معـهن ؟ فمن كانت متزوجة منهن قطع رأسها ، و ..... [1]

وأما يشوع وصي موسى فإن اسمه يقترن في التوراة بسلسلة من المجازر التي طالت النســـاء والأطفـــال والرجال والحيوان ، وكنموذج لهذه المجازر نكتفي بمجزرة أريحا التي لم ينج فيها سوى راحاب الزانية ومـــن يلوذ بها، وأما ماعداها فقد أمر يشوع : " حرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف " . (يشوع ٦/٢١) " أحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها " (يشوع ٦/٢٤) .

وبعد سلسلة طويلة من المجازر تذكر بمجزرة دير ياسين يقول السفر في آخره " لأن الرب إله إســـرائيل حارب عن إسرائيل " (يشوع ١٠/٤٢) .

---

(١) انظر : الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد علي البار ، ص ١٨٥، ٢٣٥ ، ٢٧١ ، التحريف في التوراة ، محمـــد الخولي، ص ٥٨ ، ٦٤ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٢١٢ - ٢١٤ ، نقد التوراة ، أحمد حجـــازي السقا ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس ، أيهما كلام الله ، أحمد ديـــدات ، ص ٤٢ - ٤٣ ،أدلـــة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين،محمد شوقي الجزيري،ص ٢٩٦-٢٩٧، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيـــل،عبـــد الكريم الخطيب،ص ٤٧ .

وأما داود عليه السلام فتخصه التوراة بقبائح لم تذكر لغيره منها أنه لما أراد الزواج من ابنة شاول ملك إسرائيل الأول (طالوت) قدم إليه مهراً عجيباً فلقد " قام داود ، وذهب هو ورجاله ، وقتل من الفلسطينيين مائتي رجل ، وأتى داود بغلفهم ، فأكملوها للملك لمصاهرة الملك " (صموئيل (١) ١٨/٢٧) .

ثم تحكي التوراة قصة داود مع أوريا الحثي وزوجته (انظر : صموئيل (٢) ١١/٢ - ٢٦) ، ثم تحكي عن مجازر يشيب لها الولدان فعلها بالعمويين فقد " أخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد ، وأمرَّهم في أتون الآجر ، وهكذا صنع بجميع مدن عمون ، ثم رجع داود ، جميع الشعب إلى أورشليم " (صموئيل (٢) ١٢/٢١) .

ولعبد السلام محمد وقفة هنا إذ يقول : " لكن أصحاب الترجمة الإنجليزية (القياسية المراجعة) والكتاب المقدس ، وكتاب الحياة ١٩٨٨م غلبتهم المشاعر الرقيقة والأحاسيس المرهفة فهم لا يتصورون أبداً حدوث هذه المذبحة الفظيعة من داود عليه السلام .... فهو لم يذبحهم .... و لم يفرمهم .... و لم ينشرهم .... و لم يسحقهم .... و لم يخبزهم في أفران ... و لم يفعل ما فعله هتلر باليهود . فماذا فعل بهم إذن ؟

إنه اكتفى باستعبادهم وتوظيفهم في الأعمال الشاقة والنص في " كتاب الحياة " (ترجمة جديدة للكتاب المقدس معتمدة من الكنيسة) " وفرض على أهلها ، وعلى بقية مدن العمويين العمل بالمناشير ومعاول الحديد والفؤوس ، ثم رجع داود وسائر جيشه إلى أورشليم " (صموئيل (٢) ١٢/٢١) .

ولما عاد التابوت من أسره " كان داود يرقص بكل قوته أمام الرب ... أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة ، ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب ، فاحتقرته في قلبها .. وقالت : ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حتى تكشف اليوم في أعين إماء عبيده ، كما يتكشف أحد السفهاء " (صموئيل (٢) ٦/١٤ - ٢٠) .

وتستمر التوراة تسيء إلى داود حتى في شيخوخته " وشاخ الملك داود ، تقدم في الأيام ، كانوا يدثرونه فلم يدفأ ، فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا الملك على [١] فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ، ولتكن له حاضنة ، ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك .. وكانت الفتاة جميلة جداً .. ولكن الملك لم يعرفها " (ملوك (١) ١/١ - ٤) .

كما ذكرت التوراة اختطافه لابنة شاول من زوجها (انظر صموئيل (٢) ٣/١٥ - ١٦) واعتداء ابنه أمنون بن داود على أخته ثامار بنت داود بعد مشورة من أسمته التوراة يوناداب " وكان يوناداب رجلاً حكيماً جداً " فقد شرح له الطريقة المثلى لاغتصاب الأخت ، ثم ماذا كانت ردة فعل داود ؟ " لما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جداً " (انظر صموئيل (٢) ١٣/١ - ٢٢) وغير ذلك مما يندى له الجبين أن ينسب إلى سوقة الناس فضلاً عن كرامهم فضلاً عن أنبياء الله وصفوته من خلقه .[٢]

---

(١) كذا و الصواب (عنها) فالفعل (فتش) لايتعدى بـ (على) بل يتعدى بـ (عن) .

(٢) الكتاب المقدس في الميزان،عبد السلام محمد،ص ١٣٠ ، وانظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر

ولبيان عظيم المفارقة نقرأ قول الله وهو يصف هذا النبي الصالح ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب * إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ .[1]

ومثل هذه الفضائح يطول المقام بتتبعها في كلامهم عن سائر الأنبياء ، وتبقى أسئلة تطرح نفسها ولا مجيب .

إذا كان هؤلاء وهم أقدر الناس على حرب الشيطان قد صدر ذلك كله منهم ، فماذا عن بقية البشر ؟ وقد قال المسيح : " ولكن أن فسد الملح فبماذا يملح ؟ لايصلح بعد لشيء إلا أن يطرح خارجاً ، ويداس من الناس " (متى ٥/١٣) .

ثم إذا كان هذا حال الصفوة ، أفيعجز الله أن يخلق بشراً شريفاً يبلغ رسالته ؟ أم يعجز الرب عن عصمة رسله ؟ أم كذبت التوراة في بهتانها .[2]

ثم أن أياً من القصص السابقة لم تذكر التوراة أن الله عاقب عليها أو أوعد بالعقاب في الآخرة فكيف يتفق هذا مع قول بولس " كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر " (تيموثاوس (٢) ١٣/١٦) .

ولكن هيهات أن يعاقب هؤلاء ، ومن الذي يعاقبهم والتوراة تجعل أمثال هذه المعاصي بأمر الله كما مرّ في قصة هوشع الذي تذكر التوراة أن الله أمره بالزنا ؟

ونتساءل : فما فائدة النبوات بعد ذلك كله ؟ وهل هذا يصدر عن وحي السماء ؟ ثم لو كان ذلك الذي ذكرته التوراة من المخازي حقاً فما فائدة ذكره ؟ ما الفائدة منه حتى يسطره الله في وحيه ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

التميمي،ص ١٤٣ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٢٩٧-٣٠٣، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ،محمد البار، ص ٣٤٥ — ٣٨٣ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد علي البار، ص ٢٠ ، ٨١ — ٨٥ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٦ — ١٧، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، عبد الودود شلبي،ص ١١٢، التحريف في التوراة،محمد علي الخولي، ص ١١٣ — ١٢٤ ، الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، ص ١١٣ ، في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي،ص ٢١٨ - ٢٢١ .

(١) سورة : ص ، آية رقم ١٧ - ١٨ .

(٢) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٩٣ ، التوراة ، مصطفى محمود ، ص٦١ - ٦٢ .

المطلب الثالث : الصبغة البشرية للتوراة

إن المتأمل في أسفار العهد القديم يجزم بأن كاتبها ومصدرها واحد من البشر بلا ريب، فالصبغة البشرية تصطبغ فيها التوراة بكل أسفارها ، فتجد في هذا الكتاب ما قد تجده في أي كتاب كتبه البشر ، بل وفيه من ضعف البشر ما لايقع فيه حذاق الكتبة .

ومن هذه الصور البشرية التي تتجلى في العهد القديم التناقضات والأخطاء ولسوف نفرد لهما مطلبين منفردين ، ونكتفي هنا بعرض صور أخرى .

من المفترض أن تكون التوراة كتاب هداية وتهذيب إذ هي وحي الله لإصلاح البشر وقيادهم للصراط السوي ، لكن ما هو محتوى التوراة ؟ وأين محل التعليم والتوبيخ والتقويم فيه .

إنه مجرد كتاب تاريخ يدّعى عرض تاريخ البشرية من لدن خلق السماوات والأرض ثم آدم ، ثم أضحى الكتاب بعد وجود بني إسرائيل تاريخاً خاصاً بهم يعرض لسيرهم وأعدادهم وأعداد حيواناتهم وسوى ذلك من الأخبار التي لاعلاقة لها بالوحي ، ولافائدة من ورائها ولاثمرة في حياة البشرية .

وإلا فما الفائدة والثمرة من قبل بعض هذه الحكايات ؟ ما الفائدة من قصة زنا يهوذا بكنته ثامار بعد أن زوجها أبناءه واحداً بعد واحد ، ثم زنى بها وهو لايعرفها ، فلما عرف بحملها أراد أن يحدها فقال " أخرجوها فتحرق " فلما علم أنه هو الذي زنى بها قال " هي أبر مني " (انظر : التكوين ١/٣٨ – ٢٦) أين المغزى من القصة ، امرأة مات عنها أزواجها واحداً بعد آخر ، عاقبهم الرب لأنهم كانوا يعزلون عنها في الجماع ، ثم زنت بوالدهم ، ونتج عن هذا السفاح ابنان ، أحدهما فارص(أحد أجداد المسيح)....، ثم تمضي القصة بلاعقوبة ولا وعيد .... بل تذكر القصة في ختامها وصفاً غريباً لهذه الزانية ،فقد خرج يهوذا لحرقها ، فلما عرف أنها حامل منه نكص قائلاً : " هي أبر مني "! فهل كان العزل مستحقاً للموت بينما لاعقوبة ولاحد على زنا من زنا المحارم ، ثم كان هؤلاء (أبطال القصة) أجداداً لابن الله الوحيد ففي نسب المسيح أنه من أبناء فارص ابن يهوذا وثامار (انظر متى ١/٢) .

وفي أخرى " ونذر يفتاح نذراً للرب قائلاً : إن دفعت بني عمون ليدي ، فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند عمون يكون للرب وأصعده محرقة " فلما انتصر استقبلته ابنته مهنئة وكانت أول مستقبليه فذبحها . (القضاة ١١/٣٠ – ٣١) .

وفي سفر آخر " فبادرت أبيجال وأخذت مائتي رغيف خبز وزقي خمر ، وخمسة خرفان مهيئة ، وخمس كيلات من الفريك ومائتي عنقود من الزبيب ، ومائتي قرص من التين ، ووضعتها على الحمير " (صموئيل (١) ٢٥/١٨) .

وفي سفر الأيام ((١) ٢٤ – ٢٧) يعرض لنا قائمة طويلة لوكلاء داود وولاته .

وفي سفر الملوك الأول إصحاحان كاملان في وصف الهيكل وطوله وعرضه وسماكته وارتفاعه وعدد نوافذه وأبوابه .....وتفاصيل تزعم التوراة أنها المواصفات التي يريدها الرب لمسكنه الأبدي (انظر ملوك (١) ٦/١ - ٧/٥١)

وفي أخبار الأيام الأول ست عشرة صفحة كلها أنساب لآدم وأحفاده وإبراهيم وذريته (انظر الأيام ١/١ - ٩/٤٤)

ثم قائمة أخرى بأسماء العائدين من بابل حسب عائلاتهم ، وأعداد كل عائلة إضافة لأعداد حميرهم وجمالهم و ..... (انظر عزرا ٢/١ - ٦٧) وقوائم أخرى بأعداد الجيوش والبوابين من كل سبط ، وعدد كل جيش و .... (انظر الأيام ٢٣/١ - ٢٧/٣٤) .

وفي سفر الخروج يأمر موسى بصناعة التابوت بمواصفات دقيقة تستمر تسع صفحات ، فهل وحي يترل بذلك كله وغيره مما يطول المقام بتتبعه .(١)

ويبحث الباحثون عن ذكر يوم القيامة والجنة والنار في أسفار التوراة الخمسة فلا يجدون نصاً صريحاً ، وأقرب نص في الدلالة على يوم القيامة ما جاء في سفر التثنية " أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني ، لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم " (التثنية ٣٢/٣٤ - ٣٥).

هذا وقد وردت إشارات ونصوص صريحة في الأسفار الملحقة بالأسفار الخمسة كما في الجامعة ٢/١٤ ، وإشعيا ٣٤/٨ ، ٣٥/٤ لكنها لقلتها ولغموض كثير منها لاتكاد أن تظهر ، وهذا الغموض في تلك النصوص كان سبباً في انقسام اليهود قبل المسيح إلى فريسيين يؤمنون بالآخرة ، وصدوقيين ينكرونها .(٢)

ثم بعد هذا كله لاتجد في التوراة وصفاً للصلاة يأمر به الرب ، كما لايرد فيها اسمه إلا نادراً فقد جاء في إرمياء " فيعرفون أن اسمي : يهوه " (إرميا ١٦/٢١) ، وأول مرة ظهر فيها هذا الاسم التوراتي في سفر الخروج (٣/١٥) ثم ظهر في إرمياء المذكور ، وما عدا ذلك فإنه يذكر باسم السيد ، الرب .(٣)

ثم أن التوراة كسائر الكتب البشرية يعتذر فيها المؤلف عن تقصيره في الكتابة في آخر كتابه ، فقد جاء في آخر سفر المكابيين الثاني :" إن كنت قد أحسنت التأليف ، وأصبت الغرض ، فذلك ما كنت أتمنى ، وإن كان قد لحقني الوهن والتقصير فإني قد بذلت وسعي ، ثم كما أن شرب الخمر وحدها أو شرب الماء وحده مضر ، وإنما تطيب الخمر ممزوجة بالماء وتعقب لذة وطرباً ، كذلك تنميق الكلام على هذا الأسلوب يطرب

---

(١) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٢ ، ٢٧ - ٢٩ ، ٦٥ وغيرها ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٦٥ - ٧٠ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ٦٣ - ٦٩ ، ٩٤ .

(٢) انظر : حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٢٨ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ٦٣ ، الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، ص ١٠٣ .

(٣) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٩٤ - ١٩٥ ، دراسة عن التوراة والإنجيل، كامل سعفان ، ص ٦٣ .

مسامع مطالعي التأليف " (مكابيين (٢) ١٥/٣٩ - ٤٠) .[١] فلم يدر كاتب السفر أن ما يكتبه سيعتبر بعد حين كتاباً مقدساً لا يليق أن يكون فيه مثل هذا الاعتذار .

ويراعي مؤلف العهد القديم الأمانة العلمية فينسب اقتباساته إلى مواضعها التي نقل عنها من خارج الكتاب المقدس فيقول " ورفعوا المحرقة ليعطوا حسب أقسام بيوت الآباء ... كما هو مكتوب في سفر موسى " (الأيام (٢) ٣٥/١٢) ، وانظر (الأيام (١) ٢٩/٢٩ ، والأيام (٢) ٢٤/٢٧) .[٢]

وقد أحسن مؤلف العهد القديم في هذين الصنيعين ، لكنه جانب هذا السلوك الحسن في مواطن عدة فوقع في أخطاء لايقع في بعضها صغار المؤلفين ومن ذلك :

أنه وقع في تكرار ممجوج فقد قدم رؤساء الأسباط هدايا متماثلة للمذبح ففي اليوم الأول قدم سبط يهوذا قربانه " وقربانه طبق واحد من فضة وزنه مائة وثلاثون شاقلاً ، ومنضمة واحدة من فضة ، سبعون شاقلاً على شاقل القدس كلتاهما مملوءتان دقيقاً ..... " (العدد ٧/١٣ - ١٧) .

ثم يعود كاتب السفر فيذكر نفس القربان بتفاصيله الكثيرة مع السبط الثاني ثم الثالث ، وهكذا اثنا عشر سبطاً ، ونفس القربان بتفاصيله المملة يتكرر ، وكان أحرى به لو قال: (وقدم كل رئيس الهدايا الآتية : طبقاً واحداً من فضة ...) فمثل هذا التكرار الممجوج لايمكن أن يصدر عن الوحي ، ولا عن كاتب يحترم كتابته وقارئيه .[٣]

ومن ذلك أنه قد ورد في الإصحاحات ٢٥ - ٣٠ من الخروج وصف دقيق لخيمة الاجتماع كما أمر الرب أن تكون ، ثم تكرر الوصف بتمامه لما استدعى موسى بصلئيل واهولياب للتنفيذ ، واستغرقت الإعادة الإصحاحات (٣٦ - ٤٠) . وكان يغني عن ذلك كله لو قال (وبصلئيل بن أروى صنع كل ما أمر به الرب موسى ومعه أهولياب بن أخيساماك) .[٤]

وهذا الإطناب وغيره دفعت النصارى إلى التلاعب بالكتاب المقدس فأصدروا اختصارات للكتاب المقدس .

فقد نشرت مجلة المختار العالمية سنة ١٩٨٢م طبعة جديدة للكتاب المقدس حذفت فيه ٥٠% من العهد القديم ، ووصل الحذف في بعض الأسفار إلى ٧٠% كما في سفري الخروج والأيام .

وبررت المجلة هذه الخطوة الجريئة بقولها " على الرغم من أن الكتاب المقدس أكثر الكتب مبيعاً في كل وقت ، فإنه أقل الكتب المهمة حظاً في القراءة .

إن مفرداته التي تبلغ ٨٠٠٠٠٠ كلمة ، وأسلوبه غير المألوف المتسم بالتكرار غالباً قد منعت آلاف

---

(٤) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٣٤ .

(١) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٧٥ .

(٢) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٥٧ .

(٣) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

الناس من محاولة القراءة فيه ، وتفخر المختار بـــأنه الآن سيقرأ من الغلاف إلى الغلاف " .

وقد حصلت المختار على تصريح المجلس القومي للكنائس على الرغم من لقيا معارضة شـــديدة مـــن كثيرين اعتبروه انتهاكاً لحرمة الوحي .[1]

كما يقع كاتب العهد القديم أو كتّابه فيما يسميه ديدات سرقة أدبية أو نسيان روح القدس أنه ألهـــم مثل هذا فأعاده في موضع آخر إذ تتطابق مقاطع طويلة من الأسفار التوراتية ، ومنه :

تطابق ملوك (٢) ١/١٩ - ١٢ مع إشعيا ١/٣٧ - ١٢ كلمة بكلمة ، وحرفاً بحرف ، بـــل وشـــولة بشولة .

ويعتبر ديدات هذا سرقة أدبية لامجرد تكرار من الروح القدس ، ويستدل لذلك بـــأن الوحـــي عنـــد النصارى ليس وحيا حرفياً ، بل إن الروح القدس يلهِم . والملهَم يكتب بأسلوبه كيف شاء ، فكيـــف اتحـــد أسلوب الكاتبين وألفاظهما ؟

يقول كبير قساوسة السويد شوبرج " أننا لأنؤمن بالوحي الإلهي المباشر ، لانؤمن بالوحي الذي يكتب كما أنزله الله بالضبط "

ويعلل شوبرج هذا التماثل التام بين النصين فيقول " هذه هي عظمة الإنجيل "

وتكرر هذا النقل في إصحاحات أخرى مع تغيير بسيط لايذكر في بعض الكلمات (انظر أيام (١) ١٧ ، وصموئيل (٢) ٧) وانظر (أيام (١) ١٨ ، وصموئيل (٢) ٨) وانظر (أيام (١) ١٩ ، وصموئيـــل (٢) ١٠) وغير ذلك .[2]

كما تحوي أسفار التوراة أخباراً هي للخرافة أقرب منها للأخبار المعقولة ومن ذلك قصـــص شمشـــون الجبار وخصلات شعره التي كانت سبباً في أعاجيبه وقوته وانتصاراته ، ومن أعاجيبه أنه بينما هو يمشـــي " إذ بشبل أسد يزمجر للقائه ، فحل عليه روح الرب ، فشقه كشق الجدي ، وليس في يده شيء " (القضاة ١٤/٥ - ٦) وأيضا لما ربطه قومه وسلموه للفلسطينين موثقاً " فحل الوثاق عن يديه ، ووجد لحي حمار طريـــاً ، فمد يده ، وأخذه ، وضرب به ألف رجل . فقال شمشون بلحمي حمار كومّةً] هكذا [كومتـــين ، بلحـــي حمار قتلت ألف رجل " (القضاة ١٥/١٤-١٦) إلى غير ذلك من أخبار شمشون الجبار (انظر القضـــاة ١٤-١٦) .[3]

ومثله تبالغ التوراة فتذكر أن البطل يوشيبا " هز رمحه على ثمانمائة قتلهم دفعة واحدة " (صموئيـــل (٢) ٨/٢٣) فكم كان طول هذا الرمح ؟!!

---

(١) انظر : المناظرة الكبرى بين رحمة الله الهندي والقسيس فندر ، ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .

(٢) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ،ص ٢٤ - ٢٧ ، ٤١ ، التحريف في التوراة ،أحمد الحوفي،ص ١٣٨-٤٢.

(٣) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي،ص ١٠١،قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ،١/١٠٧ - ١٠٩ .

ومثله في المبالغة قصة أبيشاي ويشبعام فكلاهما قتل ثلاثمائة دفعة واحدة ، وبهزة رمح . (انظر أيام (١) ١١/١١ ، ٢٠) ، لكن شمجر بن عناة قتل من الفلسطينيين ستمائة رجل بمنساس البقر (انظر القضاة ٣/٣١).

ويتساءل ديدات : كيف يحصل هذا ؟ كيف لم يهربوا ؟ هل انتظر كل منهم دوره ؟!!

ومثله المبالغة في عرض بطولات بني إسرائيل فيتحدث سفر العدد عن قتل كل ذكور ورجال مديان بل ونسائهم المتزوجات ، مما ينذر بأنه لن تقوم لهم قائمة إلى قيام الساعة (انظر العدد ١٧/٣١ - ٣١)

ولكن ما هي إلا مائتي سنة حتى تتحدث التوراة عن ذل بني إسرائيل بين يدي أهل مديان سبع سنين حتى لجئوا للجبال والكهوف .. (انظر القضاة ١/٦ - ٢) ، فدل ذلك على مقدار المبالغة في سفر العدد .

ومثله " كان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كرسميذ ، وستين كر دقيق ، وعشر ثيران مسمنة ، وعشرين ثوراً من المراعي ، ومائة خروف عدا الأيائل واليمامير والأوز المسمن " (ملوك (١) ٢٢/٤ - ٢٣).

ولو صح ذلك فما فائدة تخليده للدنيا في وحي الله ؟[١]

كما تشهد الأسفار التوراتية ركاكة في المعنى واختيار الألفاظ، ومثل هذا لايمكن أن يقع به وحي الله .

ومن أمثلة هذه الركاكة قول دانيال " كنت نائماً ثلاثة أسابيع أيام " (دانيال ٢/١٠) ، ويقول حزقيال " ذهبت مراً في حرارة روحي " (حزقيال ١٤/٣) ، وتتكرر كلمة " سلاه " مقحمة في المزامير بغير ما فائدة إحدى وسبعين مرة .

ويقول قاموس الكتاب المقدس " المعنى الأساسي المقصود من هذه الكلمة غير معروف " .[٢]

وأخيراً فإن الصفة البشرية في التوراة جعلت منه كتاباً قابلاً للتنقيح البشري وبين الفينة والفينة تظهر نسخ معدلة تتدارك هفوات الطبعات السابقة ، ولربما حذفت أو أضافت .

ومن أمثلة ذلك النسخة القياسية المراجعة (R . S . V) والتي صدرت عام ١٩٥٢م بإشراف اثنين وثلاثين من علماء الكتاب المقدس ، ثم أعيد تنقيحه ثانية عام ١٩٧١م .

ومن أمثلة التنقيح أن المزمور الحادي عشر في الطبعات القديمة يتكون من إحدى عشر جملة بينما هو في الترجمات المنقحة سبعة فقط .

---

(١) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٩٤ ، ١٩٩ ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٥٨ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس ، أيهما كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٢٧ - ٣١ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٥٥ ،قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ١٠٧/١ - ١٠٩ .

(٢) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل، كامل سعفان ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٧٩ .

المطلب الرابع : أخلاق التوراة

يقول بولس : " كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذي في البر " (تيموثاوس (٢) ٣/١٦)

فهل كان الكتاب المقدس فعلاً موبخاً للخطيئة ومعلماً للبر ومقوماً للسلوك ، وصالحاً للتأديب ؟

تمتليء جنبات الكتاب بالنصوص المختلفة ، والذي يعنينا هنا تلك النصوص التي مست الجانب الأخلاقي.

فقد امتلأت أسفار الكتاب المقدس بالحديث عن رذائل مارسها بنو إسرائيل وغيرهم ، وحكت طويلاً عن سكرهم وزناهم ووثنيتهم .

ولقد يظن الظان أنها حكت ذلك في باب النهر والتأديب والتبصر في عاقبة المجرمين .

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن في الكتاب المقدس الذي حوى بين دفتيه عشرات النصوص القبيحة والوقحة التي تمثل صورة لأدب الفراش والجنس المكشوف الذي مارسه بنو إسرائيل .

كما تمتلئ بقصص العفن ، مع تركيز على عنصر الجريمة ، ثم قلَّ أن تجد عقوبة أو تحذيراً على هذه الجريمة أو تلك .

ونتساءل ما الفائدة إذن من ذكر هذا كله في كتاب يزعم النصارى أنه موحى به من الله ؟ ما الفائدة من ذكر عشر حالات من زنا المحارم في كتاب مقدس ؟ والعجب أن كل هذه الحالات العشر تتعلق بالأنبياء وأبنائهم .

وعلاوة على ذلك عشرات من قصص الحب القذر . مافائدة ذلك كله ؟ وهل كان اتهام الأنبياء بالزنا والخمور لإضفاء الشرعية على فعل بني إسرائيل لهذه المنكرات ؟ إذا كان كذلك فما بالهم لم يدعوا أحداً من بشاعتهم ؟

ذكرنا فيما سبق بعضاً مما قذف به الأنبياء في أسفار التوراة ، وقد ذكرت التوراة أمثلة أخرى في هذا الأدب المكشوف منها قصة يهوذا وكنته ثامارا ، وأيضاً شمشون والعاهرة (انظر القضاة ١/١٦ - ٣) .

وأيضاً اغتصاب أمنون بن داود لأخته ثامار بمشورة الحكيم جداً يوناداب (انظر صموئيل (٢) ٣/١٣ - ٢٢) ومثله كثير .

وتبحث في هذا كله عن عقوبة للمجرم فلا تجد ، إذ لم تخبرنا التوراة أن حد الزنا (اللاويين ١٧/٢٠) قد طبق مرة واحدة .

ولعل الحد الوحيد الذي تذكره التوراة أن موسى أمر بقتل رجل كان يحتطب في السبت (انظر العدد

١٥/٣٢ - ٩٣٦).

وكنموذج للعقوبة التوراتية نعرض لما جاء في سفر صموئيل عن عالي رئيس الكهنة وقاضي بني إسرائيل " وشاخ عالي جداً ، وسمع بكل ماعمله بنوه بجميع إسرائيل ، وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع . فقال لهم : لماذا تعملون مثل هذه الأمور ؟ لأني أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب ، لايابني لأنه ليس حسناً الخبر الذي أسمع " (صموئيل (٢) ٢/٢٢ - ٢٤)

يقول عبد الرحيم محمد ما هو الهدف من سرد تلك ومثيلاته عن أنبياء وأبناء أنبياء وملوك إسرائيل ؟

هل هو إمتاع القارئ بنوع من المغامرات الخاصة ؟ أم هو النيل من الأنبياء والملوك ؟ ولصالح من ؟

إن القصص تحكى عادة ووراءها هدف ، وهو القدوة الحسنة ، عندما تقدم النموذج الأمثل للخلق القويم ، كلي نتأسى به ، أو هو العظة والعبرة ، ولكننا لا نرى في تلك القصص هذا أو ذاك .

إن القصة إن لم تؤد دورها تكون دافعاً للفساد ، وبقي أن نسأل : أين كلام الله عز وجل الذي نزل على إسرائيل في التوراة ؟ " .

ويتساءل عبد الرحيم محمد " ألم يكن من الأفضل إسدال الستار على هذه البلايا بدلاً من تسجيلها في كتاب مقدس يتلى على البشر في معابدهم وكنائسهم ؟ " .[1]

كما عرض علماؤنا لنماذج من الأدب الفاجر الذي تخلده التوراة ، أدب الفراش الذي لاتجده إلا في كتب الجنس والفجور .

ولسوف نعرض لشيء من هذه النماذج مع الاعتذار للقارئ الكريم عن قبيح ما يقرأه، لكن ...

جاء في نشيد الإنشاد في الاصحاح الأول المنسوب لسليمان " ليقبلني بقبلات فمه ،لأن حبك أطيب من الخمر ، لرائحة أدهانك الطيبة ، اسمك دهن مهراق ، لذلك أحبتك العذارى .اجذبني ورائك فنجري ، أدخلني الملك إلى حجاله ، نتبهج ونفرح بك ، نذكر حبك أكثر من الخمر .. ما أجمل خديك بسموط ، وعنقك بقلائد ، نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة .. حبيبي لي ، بين ثديي يبيت .... " (نشيد ١/١ - ١٥) وعلى هذا تستمر بقية إصحاحات السفر ، بل تسوء " في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي ، طلبته فما وجدته .. حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ، و لم أرخه حتى أدخلته بيت أمي ، وحجرة من حبلت بي .. قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه .. حبيبي مد يده من الكوة فأنّت عليه أحشائي ... (نشيد ٣/١ - ٥)

وهذه الصورة القذرة تتكرر في أسفار عدة نكتفي بالإشارة إليها صوناً لمثل هذا المبحث عن هذا القذر. (انظر حزقيال ٢٣/١ - ٤٩) قصة أهولا وأهولية الداعرتين . و (نشيد ٧/١ - ١٣)،(وأمثال ٥/١ -

---

(١) انظر : قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ١/٥٤ - ٥٥ ، ٦١ .

٢٢) و (أمثال ٦/٧ - ٢٣) وسوى ذلك .[١]

إن هذا الغث جعل بعض النصارى يتنكر لهذه الأسفار . يقول وستن : عن سفر نشيد الإنشاد : " غناء فسقي لابد أن يخرج من الكتب الإلهامية "

ويقول سملران " كتاب الإنشاد كتاب مصطنع " .

وتقول مقدمة الآباء اليسوعيين "لايقرأ نشيد الإنشاد إلا القليل من المؤمنين ،لأنه لايلائمهم كثيراً" .[٢]

ولو تركنا أخلاق الجنس وتأملنا أخلاق الحرب في سفر يشوع خاصة لقرأنا عن مجازر يشيب لها الولدان .

وعلاوة على هذا وذاك تذكر التوراة بعضاً من السباب والشتائم مما لايليق أن يسجل في كتاب الله ووحيه .

من ذلك أن إشعيا قال لبني إسرائيل " أما أنتم فتقدموا إلى هنا يابني السامرة ، نسل الفاسق والزانية..." (إشعيا ٣/٥٧)

وأما شاول (مسيح الرب) فقد قال لابنه يوناثان لما دافع عن النبي داود " يا ابن المتعوجة المتمردة . أما علمت أنك اخترت ابن يسى لخزيك ، وخزي عورة أمك " (صموئيل (١) ٣٠/٢٠) .[٣] وسوى ذلك من قبيح السباب .

---

(١) انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٤٧ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي، ص ١١٢ - ١١٣ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٧٣ ،تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في الإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٥١-٣٥٥، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ٧٣ - ٧٤ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٧٠ - ١٧٣ ، ٢١٩،حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١١٣، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ٥٢ - ٥٤ ،هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٣٠،المسيح في الإنجيل بشر،ممدوح حاد،ص ٢٢٢-٢٢.

(٢) انظر : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ١٤٣ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٠٣ .

(٣) انظر : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في الإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٥٧،البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين ، أحمد عبد الوهاب ، ص٥٦ - ٥٧ .

آثار الكتاب المقدس :

وبعد : ما هي آثار الكتاب المقدس على قارئيه ؟

إن نظرة إلى المجتمع الغربي ودراسة سريعة للأرقام الوبائية للفساد في أوربا تثير الذعر ، وتدفع للتفكير في مصدر هذا البلاء .

ويرى ديدات أن الكتاب المقدس هو أحد أسباب البلاء ، فقد قال المسيح " من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنباً ، أو من المسك تيناً ، هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة ، وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية " (متى ١٦/٧ - ١٧) .

ومن مظاهر هذا البلاء ارتفاع عدد حالات زنا نكاح المحارم ، فيورد البار أن عدد الفتيات في الولايات المتحدة الذين لهم علاقة جنسية بآبائهن يقدر بما لايقل عن ١٢ مليون فتاة .

وفي جنوب أفريقيا يذكر ديدات أن البيض يقترفونه بنسبة ٨% فمن أين جاء الفساد ؟

يجيب ديدات " أن الطعام الذي نتناوله إذا كان فاسداً ، فإنك تصبح فاسداً ، وإذا قرأت لغة فاسدة ، فإن عقلك يصبح فاسداً .. أنت تقرأ : زنا المحارم ، زنا المحارم ، الأب مع بناته ، والابن مع أمه ، والأب مع زوجة ابنه ، والأخ مع أخته ، ما كل هذا ؟ عشر حالات من زنا المحارم " أي في الكتاب المقدس " " ليس غريباً إذن أن يبلغ هذا الشذوذ بمعدلات وبائية " .

يقول الدكتور ف جونز : هناك تغييرات هامة بالشخصية ناتجة عن المناهج التي يتعلمونها .

وقام الدكتور جونز بإجراء بعض الدراسات على أطفال المدارس الذين سردت عليهم بعض القصص والنتيجة " كان لهذه القصص تأثيرات وتغييرات بسيطة ، ولكنها راسخة في شخصياتهم ، حتى في حالات التعامل الضيق في مجال الفصل الدراسي . [1]

وتقول مجلة (الحقيقة الناصعة)النصرانية (أكتوبر ١٩٧٧م) : " إن قراءة قصص الكتاب المقدس للأطفال يفتح الباب لفرص مناقشة العبرة وراء الجنس ، وإن الكتاب المقدس إذا لم يهذب قد تعتبره مجالس الرقابة صالحاً للكبار فقط ، ولمن جاوزوا الثامنة عشر من العمر على أحسن الفروض " .

وقد حصل في جنوب أفريقيا والتي يشكل النصارى فيها نسبة ٩٨% ، حصل أن أرسل أحدهم لدور الرقابة تسع فقرات من الكتاب المقدس ، فقرروا منعها من التداول ، و لم يتنبه اثنان من القسس الذين كانوا في هيئة الرقابة إلى أن ما يمنع هو أجزاء من الكتاب المقدس .

---

[1] انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٤١ ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٦٧ - ٦٨ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس ، أيهما كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٣٥ - ٣٧ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ٣٧٤ ،مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٣٠.

ويقول برنارد شو عن الكتاب المقدس أنه " من أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض ، احفظوه في خزانة مغلقة بالمفتاح " .

وفي عدد آخر تقول مجلة (الحقيقة الناصعة) (يوليو ١٩٧٥م) : " الكتاب المقدس أكثر الكتب مثلواً للجدل " .[١]

وليس مجال الأخلاق الجنسية الأثر السيء الوحيد للكتاب المقدس ، بل إن القارئ في أسفار التوراة عن مذابح بني إسرائيل التي نصبوها لجيرانهم من الأمم تنفيذاً لأمر الرب كما زعموا ، القارئ لذلك يجد كبير علاقة بين ذلك كله والمذابح التي ترتكبها اليوم دولة ما يسمى بإسرائيل .

وقد قام العالم السيكولوجي تاماران في جامعة تل أبيب بعمل استبيان شارك فيه ألف طالب ،سألهم فيه : إن كانوا يوافقون على مايقوم به الجيش الإسرائيلي من مذابح على غرار ما قام به يشوع

فتراوحت إجاباتهم بنعم بين ٦٦% و ٩٥% حسب الأمكنة التي جرى فيها الاستبيان .

يقول وزير خارجية بريطانيا العمالي أرنست بيغن : " ماذا تتوقع من شعب تربى من المهد على أقوال التوراة ؟ " .

ويقول " إن العهد القديم هو أشد الكتب بعداً عن الأخلاق " .[٢]

ولسفر الجامعة أثر سلبي في الحياة الغربية ، إذ يحمل في طياته نزعة تشاؤمية ، ونظرة سوداوية لايمكن أن تصدر من نبي أو مؤمن يؤمن باليوم الآخر .

يقول البار : " أنها فلسفة تتميز بالحيرة والشك .. ولا شك أنها تؤدي إما إلى الجنون أو الانتحار .. وهي توضح إلى حد كبير تأثير الفلسفة اليونانية المبنية على الشك في كل شيء ، وفقدان الأمل في كل شيء ، ولا إيمان .... وهو ولا شك مصدر من مصادر الفكر الأوربي الحديث والقديم " .

ومن أراد أن يعرف مصدر كامي وسارتر وبيكيت وهيمنجواي فليقرأ سفر الجامعة ، فإنه مصدر إلهام لكل فلسفاتهم العدمية " .[٣]

وآن لنا بعد هذا كله أن نقول هل وفى الكتاب المقدس بشروط بولس السابقة أم لا ؟

ولدراسة آثار الكتاب المقدس نتأمل مع أحمد عبد الوهاب نتائج إحصاء أجرته مجلة " بونتي " الألمانية حول معتقدات الألمان.

---

(١) انظر : هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٥٤ ، ٧٠ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٣٣ - ٣٤ ، ١٧٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص٩٣ .

(٢) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ١٦ - ١٧ ، ٢٣

(٣) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، محمد علي البار ، ص ٤٦٩ - ٤٧٤ .

وكان من نتائجه أن ٥٦ % فقط منهم يؤمنون بالله ، و٥٠ % منهم يؤمنون باليوم الآخر والجزاء فيه ، والبعث بعد الموت ، و٢٤% يؤمنون بالجحيم ، و٦ % يؤمنون بتناسخ الأرواح .[١]

ويرى بكر التميمي أن ما في الكتاب المقدس من سخافة وتناقضات و ..... كان سبباً لانتشار الإلحاد في تلك البلاد . [٢]

---

(١) انظر : البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين ، أحمد عبد الوهاب ، ص٥٢ .

(٢) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل، بكر التميمي، ص ١٤٠ .

المطلب الخامس : التحريف في التوراة

تحدث القرآن الكريم عن تحريف التوراة في آيات كريمة منها قول الله تعالى ﴿ يـــا أهـــل الكتـــاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾ [1] ، ويقول ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلـــم عـــن مواضعه ﴾ [2] ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [3]

والتحريف في اللغة : صرف أو إمالة الشيء عن أصله .

واصطلاحاً : إمالة كلام الله عن مقصده الإلهي ومعناه .والتحريف نوعان :

١) لفظي ويكون بالزيادة أو النقصان أو التبديل .

٢) معنوي ويكون بالتأويل أو اللبس وإخفاء المعنى الصحيح .[4]

أولاً : التحريف اللفظي :

وذكر رحمة الله الهندي وقوع هذا النوع من التحريف في أسفار العهد الجديد والقديم ، ومثل له بمائـــة شاهد جلها من التوراة ، وجاء بعضها بالزيادة وأخرى بالنقصان أو التبديل .

ومن أمثلة تحريف الزيادة تلك النصوص التي لايمكن أن يكون موسى قد كتبها ، إذ فيها ما يدل علـــى أنها كتبت بعده بسنين طويلة ، ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج " أكلوا المنّ أربعـــين ســـنة " (الخـــروج ١٦/٣٥) ومن المعلوم أن المن لم ينقطع من بني إسرائيل إلا في عهد يشوع (انظر يشوع ٥/١٢) .

واعترف المفسر آدم كلارك بإلحاقية هذه الفقرة فقال : " يمكن أن يكون عزرا ألحق هذه الألفاظ " .[5]

ومثله جاء في سفر العدد " لذلك يقال في سفر حروب الرب كما صنع في بحر سوف كذلك يصنع في أودية أرنون " (العدد ٣١/١٤) .

يقول آدم كلارك : " الغالب أن لفظ (سفر حروب الرب) كان في الحاشية ثم أدخل في المـــتن " .[6]

ومن المعلوم أن ليس في أسفار التوراة الموجودة سفر يسمى حروب الرب . وفي كتاب القضاة " وكان

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٧١ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٤٦ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٧٥ .

(٤) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٠٧ .

(٥) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٤٧٥ .

(٦) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٤٧٦ – ٤٧٧ .

غلام من بيت لحم يهوذا من عشيرة يهوذا، وهو لاوي " (القضاة ٧/١٧) ولا يمكن أن يكون الغلام لاوياً ومن نسل يهوذا ، فكلاهما ابنا يعقوب، وهو من نسل أحدهما .

وقد حكم هيوبي كينت والمفسر هارسلي أن قوله " وهو لاوي " عبارة إلحاقية " وأخرجها هيوبي من المتن " .[١]

كما اعتبر العلماء الكتابيون الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية ، والذي فيه ذكر وفاة موسى ودفنه ، اعتبروا الإصحاح إلحاقياً .

قال كلارك المفسر : " تم كلام موسى على الباب السابق ، وهذا الباب ليس من كلامه ، ولا يجوز أن يقال " أن موسى كتب هذا الباب " .

واعترف بإلحاقه جامعو تفسير هنري واسكات وقالوا : " والملحق إما يوشع ، أو صموئيل ، أوعزرا أو نبي آخر من الأنبياء بعدهم ، لايعلم بالجزم " .[٢]

ويظهر من السياق أن لا دليل عند القوم على إلهامية الملحق ، ولازمانه ، ومن المعلوم أنه بين يشوع وعزرا قرابة عشرة قرون .

ويلحق بهذه الزيادات كثير مما سبق ذكره في إبطال نسبة التوراة لموسى ، إذ لابد لمن زعم أن التوراة قد كتبها موسى أن يقول بإلحاقية جميع هذه النصوص وهو ما يقوله النصارى ، ويزعمون أن الإلحاق من ملهم لا على وجه التحديد ، وكل ذلك لادليل عليه .[٣]

ومن التحريف بالزيادة تلك النصوص التي أساءت للأنبياء واتهمتهم بالزنا والخمر إذ لايعقل ذلك أن يكون في وحي الله .

ومن التحريف بالنقص ما جاء في إشعيا : " تلاقي الفرح الصانع البر ، الذين يذكرونك في طرقك ها أنت سخطت إذ أخطانا. هي إلى الأبد فنخلص " (إشعيا ٥/٦٤) .

قال المفسر آدم كلارك " اعتقادي أنه وقع النقصان في غلط الكاتب ، وهذا التحريف قديم جداً ، لأن المترجمين المتقدمين لم يقدروا على بيان معنى الآية بياناً حسناً ، كما لم يقدر عليه المتأخرون منهم " .[٤]

ومن النقص أيضاً التفكك التي تعاني منه مقدمة حزقيال مما يشعر بوجود نقص إذ يبدأ السفر بأربع جمل ينقصها الترابط هي :

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٤٨٧ - ٤٨٨ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٤٨٠ - ٤٨١ .

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٤٦٣ - ٤٩٠ ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص ٩٠ - ٩٥ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٤) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٥٣٠ .

" كان في السنة الثلاثين في الشهر الرابع ، في الخامس من الشهر ، وأنا بين المسبيين أن السموات أن فتحت فرأيت رؤى الله " .

في الخامس من الشهر ، وفي السنة الخامسة من سبي يهوياكين الملك صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن ابن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور ، وكانت عليه يد الرب .

فنظرت ، وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال ، سحابة عظيمة ، ونار متواصلة ، وحولها لمعان .... (حزقيال ١/١ - ٥) .[١]

ومن صور النقص تلك الإحالات الإنجيلية إلى التوراة والتي لانجدها في الأسفار الموجودة بين أيدينا ومن ذلك ماجاء في متى " ثم أتى وسكن في بلد تسمى ناصرة ، ليكمل قول الأنبياء : أنه سيدعى ناصريا " (متى ٢٣/٢) ولا يوجد ذلك في شيء من التوراة . قال ممفرد الكاثوليكي في كتابه " سؤالات السؤال " : " الكتب التي كان فيها هذا انمحت ،لأن كتب الأنبياء الموجودة الآن لايوجد في واحد منها أن عيسى يدعى ناصرياً " .

وقال جستن : " اليهود أخرجوا كتباً كثيرة من العهد العتيق ليظهر أن العهد الجديد ليس له موافقة تامة بالعهد العتيق " .[٢]

ومن النقص ضياع تلك الأسفار التي وردت الإشارة إليها وسمتها أسفار العهد القديم كما سبق ذكره. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾ [٣] ، ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾[٤] ، ويقول ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾[٥] .

وثالث أنواع التحريف تحريف التبديل

ومن أمثلته تلك النقائص التي نسبها القوم لله عز وجل فاستبدلوا صفاته العظيمة بصفات نقص بشرية ، ويرى شتيوي أن الذي حملهم على هذا التبديل " هو كراهيتهم لكل شيء سواء كان بشراً أو رسولاً أو إلهاً ، وذلك كرد فعل لما أصابهم من غربة وتشريد وحرمان وقتل على أيدي الغرباء والغزاة "

ومن أمثلة التبديل أيضاً تغيير مدة إقامة بني إسرائيل في مصر من مائتي وخمس عشرة سنة كما

---

(١) انظر : مقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٥٣٨/٢ - ٥٣٩ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٩١ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ١٧٤ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ١٥ .

يستخرجها محققوهم من التوراة وتواريخها إلى أربعمائة وثلاثين سنة (انظر : الخروج ١٢/٤٠) .[١]

ومثله ما جاء في سفر أخبار الأيام " الرب قد أذل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل " (الأيام (٢) ٢٨/١٩) فلفظ "إسرائيل" غلط ، لأن آحاز ملك مملكة يهوذا ، و لم يملك على مملكة إسرائيل ،فوقع كاتب السفر في التبديل .[٢]

ومثله ما جاء في التوراة من إطلاق تسميات أطلقت بعد موسى بسنين ،وهي بلا ريب عند القائلين بأن موسى كتب التوراة قد بدلت بعد ظهور التسميات الجديدة ،ومن أمثلة ذلك حبرون (انظر التكوين ٢٣/٢) وكان اسمها في عهد موسى " أربع " أو " رابع " وسميت حبرون في عهد يشوع (انظر يشوع ١٤/١٥) .

وأيضاً " دان " (التكوين ١٤/١٤) واسمها في عهد موسى " لايش" ، وقد تغير اسمها في عهد القضاة (انظر القضاة ١٨/٢٧ - ٣١) .

يقول هورن وهو يبرر وجود الاسمين الجديدين في توراة موسى " يمكن أن يكون موسى كتب قرية رابع و لايش ، ولكن بعض الناقلين حرف هذين اللفظين بحبرون ودان " .[٣]

ومن التبديل اضطراب التوراة في حدود الأرض التي وعد الله إبراهيم ونسله ، فمرة وعد إبراهيم بأرض كنعان (وسط فلسطين) (انظر التكوين ١٢/٦ - ٧) ، وفي موضع آخر وعده جميع الأرض التي وقف عليها (انظر التكوين ١٣/١٤ - ١٥) ، وفي موضع ثالث جعل المعطى له في نسله من الفرات إلى النيل (انظر التكوين ١٥/١٨) .[٤] فقد تبدل الموعود وحسب أحلام بني إسرائيل وحسب دواعي الحماسة وبث الشجاعة .

وقد أقر القس فندر بوقوع التحريف في العهدين ، لكنه قصره على مواضع محددة قدرها بسبع أو ثمان مواضع منها خاتمة مرقس ، وآية التثليث في (يوحنا (١) ٥/٧ - ٨) .[٥]

---

(٦) انظر : التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص ٨٤ - ٨٨ .

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٤٣٣ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٢ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٤٧٧ - ٤٧٩ .

(٣) انظر : التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص ٨٧ - ٨٨ .

(٤) انظر : المناظرة الكبرى بين رحمة الله الهندي والقسيس فندر ، ص ٢٥٨ .

ثانياً : التحريف المعنوي :

وهو ثاني أنواع التحريف ، وهو مستمر وقائم ما قام اليهود والنصارى ، وهو أيضاً على أنواع منها : لبس الحق بالباطل كما قال الله ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾.[1]

وصورته كما ذكر السقا أن يتركوا الكلام الأصلي الإلهي على وضعه ثم يضعون كلمة من عند أنفسهم تبطل المعنى الحق .ومثل له السقا بأمثلة منها :

أنه تصرح التوراة بأن إسماعيل أكبر أبناء إبراهيم ، وأنه ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة (انظر التكوين ١٦/١٦ ، ٥/٢١) وتذكر أيضاً أن الله أمر إبراهيم بذبح الابن الوحيد " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق " (التكوين ٢/٢٢) فقوله " خذ ابنك وحيدك " حق وكلمة " إسحاق " لبس للحق بالباطل بدليل أن تكملة النص " فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع " يهوه يراه "حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يري".

ويشهد لقوله هذا قوله " لم تمسك ابنك وحيدك عني " (التكوين ١٢/٢٢ ، ١٦) ولم يذكر فيه اسم إسحاق .

وقد اختلف اليهود في جبل الرب فقال السامريون: جرزيم . وقال العبرانيون : أورشليم .

ولم يكن يدعى أي من الجبلين حينذاك جبلاً مقدساً .

ويرى الخولي أن الجبل هو جبل عرفات ، وفي ترجمة جديدة " وامض إلى أرض العبادة " وهي الحجاز، والنصارى يقولون بأنها بلاد الشام التي لم يدخلوها ثانية إلا بعد إبراهيم بمئات السنين، وقد اكتسب الجبل قداسته عندما بنى سليمان الهيكل عليه.

ولما جاءت السامرية إلى المسيح تسأله أي الجبلين هو القبلة الحقيقية ، فقالت : " يا سيد أرى أنك نبي ، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل (جرزيم) . وأنتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه .

قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب .أنتم تسجدون لما لستم تعلمون " (يوحنا ١٩/٤ - ٢٢) .

وهكذا فان النصوص يصدق بعضها بعضاً بمجرد حذف اسم إسحاق الملبس .[2]

ومن صور اللبس أيضاً ما جاء في سفر التثنية " يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون "، فكلمة " من وسطك " مقحمة لتصرف البشارة عن النبي ﷺ إلى نبي من بني إسرائيل ،ومما يدل على أنها موضوعة أن تكملة النص بعد سطور قد تجاهلتها " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك .... " (التثنية ١٥/١٨ - ١٨) .[3]

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٧١ .

(٢) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٥٤ .

(٣) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٥٦ .

ومن التحريف تحريف الكلم من بعد مواضعه وهو كما ذكر السقا أن يحذفوا الكلمة الإلهية الأصلية ثم يضعون بدلاً عنها كلمة تحتمل معنيين أحدهما المعنى الأصلي .

ومن صوره أيضاً في النص السابق في قوله " من وسطك من إخوتك " فتحتمل معنيين أن يكون المراد من إخوة اليهود أن يكون النبي الآتي يهودياً أو إخوة اليهود بني إسماعيل لأن أولاد الأعمام أيضاً يطلق عليهم إخوة .

فيصرف النصارى اللفظ عن بعض معانيه إلى معان أخرى .

ومنه تحريف الكلم عن مواضعه أي تأويله على وجه باطل ، ويرى السقا أن الذي ألجأهم إلى ذلك هو استقرار نص التوراة بعد ترجمتها وانتشارها في القرن الثالث قبل الميلاد ، ومن أمثلته صرف النص السابق إلى المسيح أو شموئيل وهذا باطل كما سنبين في حينه ، وكذلك اعتبارهم جبال الشام بأنها جبال فاران وغير ذلك.[1]

الكتب تتهم بني إسرائيل بالتحريف

ثم ها هي التوراة وأسفارها تتهم القوم بتحريف التوراة ، وفي ذلك نقل علماؤنا بعض النصوص التوراتية منها :

قول إرمياء " كيف تقولون : نحن حكماء ، شريعة الرب معنا حقاً ، إنه إلى الكذب ، حوَّلها قلم الكتبة الكاذب " (إرميا ٨/٨) " أما وحي الرب فلا تذكروه بعد . إذ قد حرفتم كلام الله الحي " (إرميا ٣٦/٢٣)

ومثله " فأخذ إرمياء درجاً آخر ، ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب ، فكتب فيه عن فم إرميا كل كلام السفر الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا بالنار ، وزيد عليه أيضاً كلام كثير مثله " (إرميا ٣٢/٣٦) ولم يذكر السفر من الذي زاد على قول إرمياء النبي .

وجاء في سفر المزامير " ماذا يصنع بي البشر ، اليوم كله يحرفون كلامي " (مزمور ٤/٥٦ - ٥) .

كما تحدثت التوراة عن أولئك الذين يدعون النبوة ويسطرون نبوءاتهم ومناماتهم في الكتاب " قال رب الجنود إله إسرائيل : لاتغشكم أنبياؤكم الذين في وسطكم وعرافوكم ، ولا تسمعوا لأحلامهم التي يتحلمونها، لأنهم يتنبأوون لكم باسمي الكذب ، أنا لم أرسلهم يقول الرب " (إرميا ٨/٢٩ - ٩) .

ويواصل إرميا الذي شهد كتابة عزرا للتوراة فيقول " قد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبأوا باسمي بالكذب قائلين : حلُمتُ ، حلُمتُ " (إرميا ٢٥/٢٣)

" ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب ، فتصير أعمالهم في الظلمة ، ويقولون : من يبصرنا ،

---

(١) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٤٨ ، ١٥٦ - ١٦٠، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ،ص ٩٩ - ١٠٢ .

ومن يعرفنا ؟ : بالتحريفكم " (إشعيا ٢٩/١٥ – ١٦) .

وفي حزقيال " القائلون : وحي الرب . والرب لم يرسلهم .. وتكلمتم بعرافة كاذبة قائلين : وحي الرب . وأنا لم أتكلم " (حزقيال ١٣/٦ - ٧) .

" وصار في الأرض دهش وقشعريرة .الأنبياء يتنبئون بالكذب ، والكهنة تحكم على أيديهم ، وشعبي هكذا أحب " (إرميا ٥/٣٠ - ٣١) .

وهكذا تعرض التوراة نوعين من التحريف : تحريف الكتبة الذين يدعون الوحي ، وتحريف بني إسرائيل وهم يحرفون كلام الله الذي جاء على لسان أنبيائه .[1]

لقد حصل ما توقعه موسى عليه السلام حين قال : " خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ..لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق " (التثنية ٣١/٢٤ - ٢٩) .

وينقل السقا عن الأنبياء والحواريين عشرين نصاً خالفوا فيها توراة موسى في تشريعاتها أو تواريخها ، وهذه المخالفة مشعرة بشكهم فيها واعترافهم بتحريفها ، ومن ذلك أن سفر الخروج يجعل بين هارون وأخيه موسى وبين جدهم لاوي بن يعقوب أبوين فقط هما :قهات وعمرام (انظر الخروج ٦/١٦ - ١٨) .

لكن كاتب أخبار الأيام الأول خالفهم عندما جعل بين يشوع فتى موسى ويوسف بن يعقوب تسع آباء (انظر الأيام (١) ٧/٢٣ - ٢٧) .

ولو كان كاتب الأيام معتبراً للأسفار المنسوبة لموسى لما خالفها هذه المخالفة .

ومثله خالف حزقيال ما جاء في أسفار موسى وفيها " أني أنا الرب إلهك إله غيور . أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي " (خروج ٢٠/٥) فقد جاء في حزقيال " النفس التي تخطئ هي تموت ، الابن لايحمل من إثم الأب ، والأب لايحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون " (حزقيال ١٨/٢٠) .

فدلت هذه المخالفات وأمثالها على عدم اعتبار الأنبياء لبعض ما ينسب للأنبياء السابقين لهم ، ولو اعتبروه لما خالفوهم مثل هذه المخالفات .[2]

---

(١) انظر : البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٣ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٠٧ – ١٠٨ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٩٠ – ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٨ ، إسرائيل حرفت الأناجيل ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٧٥ .

(٢) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٨٥ - ١٩١ .

اعترافات بوقوع التحريف

ويعترف النصارى بوقوع بعض التحريفات التي أدخلها أحبار اليهود ويسمونها تصحيح الأحبار .

يقول تامس " كان في كتاب التكوين : " فلم يزل يهوه قائماً أمام إبراهيم " ، فغيروا هذه العبارة بقولهم " وأما إبراهيم فلم يزل قائماً أمام الرب " (لم أجده في نسختي) ، وقد غيروه لما فيه من تحقير للرب .

ومن أمثلة تغيير الأحبار كان يهوه ناثان حفيد موسى فجعلون حفيد منسي . (انظر القضاة ١٨/٣٠).[١]

ويعترف كبار المراجع النصرانية بوقوع التحريف والزيادة المستمرة حيث تقول لجنة الكتاب المقدس البابوية في مدخلها سنة ١٩٤٨م " يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية " .[٢]

ويقول كيرت " أن الكتاب المقدس المتناول حالياً لايحتوي على التوراة والإنجيل المترلين من الله ، ولقد اعترف علماء باحثون باللمسات البشرية في إعداد هذا الكتاب المقدس " .

ويقول جيمس حيستنج " ومع هذا فإننا نتوقع أن نجد خلال صفحات الكتاب المقدس بعض الأجزاء من التوراة والإنجيل الأصليين مما يتحتم معه دراسة جادة لكي تجعل مضمون الكتاب المقدس مفهوماً " . [٣]

ويتهم الكاثوليك البروتستانت بتحريف أجزاء من التوراة ، وان التحريف أضحى لهم عادة . يقول وارد الكاثوليكي في كتابه " الأغلاط " وصل عرضحال (عريضة) من فرقة البروتستانت إلى السلطان جيمس الأول بهذا المضمون : أن الزبورات التي هي داخلة في صلاتنا مخالفة للعبري بالزيادة والنقصان والتبديل في مائتي موضع تخميناً " .

ويقول طامس أنكلس الكاثوليكي في كتابه " مرآة الصدق " : " والحق الصريح أن البروتستنتيين حرفوا كلام الله " .[٤]

مغالطة نصرانية

ويغالط بعض النصارى في هذا المبحث فيقولون : إن المسيح شهد بحقية كتب العهد القديم ،ولو كانت محرفة لما شهد بذلك ، ومقصودهم تلك الإحالات التي وردت في الأناجيل إلى بعض أسفار العهد القديم .

---

(١) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٥٨ .

(٢) انظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٢٣ .

(٣) انظر : محمد في التوراة والإنجيل والقرآن،إبراهيم خليل أحمد ، المكتبة التجارية ،مكة المكرمة ،١٤٠٩هـ ،ص ٣٢ .

(٤) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١/٣٨ - ٣٩ ، الجواب الفصيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ١/٤٤.

وعلى هذه المغالطة يرد رحمة الله الهندي بوجوه :

١) أن التحريف في الكتب ثابت بأنواعه كما سبق بيانه .

٢) أن الفرق النصرانية اختلفت في تحديد الكتب الملهمة وعددها ، كما يوجد عدد من الكتب المفقودة.

٣) لو سلمنا أن هذه الكتب المتداولة كانت موجودة في عهد المسيح ، وشهد لها هو والحواريون ، فشهاداتهم لاتقتضي صحة نسبة الكتب لأصحابها ، ولاصدق جميع ما فيها ، فإن فيها من لم يكتسب صفة القداسة إلا في سنة ٩٠م ، وفيها من تأخر حتى القرن الرابع .

٤) لو سلمنا فرضاً أن المسيح شهد بصحة كل جزء من أجزاء الكتاب ، فان هذا لايرفع الخلاف مع المسلمين ، لاعتراف النصارى بتحريف اليهود للتوراة سنة ١٣٠م .

٥) كما أن المسيح ظهر وبين يدي اليهود نسختان مختلفتان من التوراة (السامرية والعبرانية) وبينها اختلاف ظاهر ، وكل من الفرقتين يتهم الأخرى بالتحريف ، و لم يرفع الخلاف بينهما كما في الخلاف الأهم في القبلة ، وانظر رأي المسيح في (يوحنا ١٩/٤ - ٢٢) .

فدل ذلك على أن الشيء إذا صار محرفاً ، فليس بضروري أن يزول التحريف بتوجيه النبي ، كما ليس ضرورياً أن يخبره الله بمواضعه .[١]

وقد حمل إنجيل برنابا تكذيب المسيح لنسبة الأسفار للأنبياء . يقول برنابا " قال التلاميذ يا معلم هكذا كتب في كتاب موسى : أن العهد صنع بإسحاق ، فأجاب يسوع متأوهاً : هذا هو المكتوب ، ولكن موسى لم يكتبه ، ولا يشوع ، بل أحبارنا الذين لايخافون الله " (برنابا ١/٤٤ - ٤) .[٢]

وفي ختام هذا المطلب ننقل ما قاله الناقد اسبينوزا حيث يقول : " لايسلم معظم المفسرين بوقوع أي تحريف في النص ، حتى في الأجزاء الأخرى . ويقررون أن الله بعناية فريدة قد حفظ التوراة كلها من أي ضياع .

أما اختلاف القراءات فهو في نظرهم علامة على أسرار في غاية العمق ، ويتناقشون بشأن النجوم الثمانية والعشرين الموجودة وسط إحدى الفقرات ، بل تبدو أشكال الحروف ذاتها ، وكأنها تحتوي على أسرار كبيرة ، ولست أدري إن كان ذلك ناجماً عن اختلال العقل ، وعن نوع من تقوى العجائز المخرفين ، أم أنهم قالوا ذلك بدافع الغرور والخبث حتى نعتقد أنهم وحدهم هم الأمناء على أسرار الله ، ولكني أعلم فقط أني لم أجد مطلقاً أي شيء عليه سيما السر في كتبهم ، و لم أجد فيها إلا أعمالاً صبيانية " .[٣]

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٥٧٩/٢ - ٥٩٦ ، ٤٥٢ .

(٢) نظر : نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٨٩ .

(٣) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ٣٢٦ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٦٩ - ٧٠ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ٤٢ .

المطلب السادس : تناقضات التوراة

التناسق الداخلي شرط لصحة نسبة الكتاب لله عز وجل ، فالكتاب الذي يكذب بعضه بعضاً ، لايمكن اعتباره كتاباً مقدساً ، كما لايمكن اعتبار بقيته مقدساً، إذ وجود الكذب في بعضه يطرح الشك في مصدره الكاذب .

وقد مثل علماؤنا لتناقض التوراة بأمثلة كثيرة من خلال القراءة المتأنية للتكرار في كثير من المعطيات التوراتية .

ومن التناقضات : التناقض في وصف أشياء محسوسة محددة ، ومنه أنه جاء في سفر الأيام وصف دقيق للمذبح النحاسي الذي صنعه سليمان ومما جاء في وصفه أنه " يسع ثلاثة آلاف بث " (الأيام (٢) ٤/٥) وكان قد أورد سفر الملوك وصفاً دقيقاً للمذبح يتطابق مع ما جاء في سفر الأيام غير أن سعة المذبح تختلف بنسبة ٣٣% إذ جاء فيه " يسع ألفي بث " (ملوك (١) ٧/٢٦) . فهل نسي الروح القدس ما كان أملاه أم ماذا سبب هذا التفاوت ؟ [١]

ويذكر سفر الملوك أن لسليمان " أربعون ألف مذود لخيل مركباته واثنا عشر ألف فارس " (ملوك (١) ٤/٢٦) ، لكنه ناقض سفر الأيام ، وفيه " كان لسليمان " أربعة ألاف مذود خيل ومركبات ، واثنا عشر ألف فارس " (أيام (٢) ٩/٢٥) .

وقد اعترف المفسر كلارك بوقوع التناقض ، واعتبر ذلك من التحريف .[٢]

يقول ديدات : " لماذا أخطأ الروح القدس هذا الخطأ الفادح لو كان الروح القدس هو الذي أملى كلاً من الإصحاحين ... لاتقل إن المسألة بسيطة ، لقد سقط أحد الأصفار سهواً من الرقم الأقل .

كلا ، إن هذا مستحيل ، إن اليهود في عهد كتابة الأسفار لم يكونوا يعرفون الصفر الحسابي ، لقد كان اليهود يكتبون الأرقام بالحروف " .

ويحاول القس شوبرج الرد على ديدات وإزالة هذا التناقض فيقول في محاولة يائسة منه " إن هذا يبرهن

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٨٤/٢ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٢٩ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، إسرائيل حرفت الأناجيل،أحمد عبد الوهاب،ص ٨٠ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٧٩/٢ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢١٠ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٣٠ - ٣١ ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٦١ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٢٧ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ٧٢ ، إسرائيل حرفت الأناجيل،أحمد عبد الوهاب،ص ٧٩ .

على بركة الله . في البداية كان عند سليمان أربعة آلاف مذود زادت إلى أربعين ألف مذود بانتهاء العام " [1]

و لم يبين لنا القس شوبرج لماذا أغفل نص الأيام الحديث عن بركة الله . ويقيني أن كلاً من الرقمين غير صحيح فأين لأورشليم يومذاك أن تتسع لأربعة آلاف مذود خيل يملكها سليمان وحده ؟ وإلحاقها بباب المبالغات التي يعتادها البشر حين روايتهم لبعض القصص أولى .

ويقص سفر صموئيل عن حرب أرام مع بني إسرائيل " وقتل داود من أرام سبعمائة مركبة ، وأربعين ألف فارس " (صموئيل (٢) ١٠/١٨) .

ثم أعادت التوراة ذكر حرب إسرائيل مع أرام فقال كاتب سفر الأيام " وهرب أرام من أمام إسرائيل ، وقتل داود من أرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل " (الأيام (١) ١٩/١٨)

وبين السفرين تناقض واضح في نقطتين :

الأول : كم عدد المراكب التي قتلها جيش إسرائيل هل ٧٠٠ أم ٧٠٠٠ ، و لم يوضح لنا السفر كيف تقتل المراكب ؟ ولعله أراد من فيها .

الثاني : هل كان القتلى من الفرسان أم المشاة ؟ فكيف لم يفرق الملهم بين الفرسان والمشاة ؟ [2]

وهنا يحق لنا أن نتساءل : هل كان بنو إسرائيل يقتلون الخيل ويتركون الرجال ؟ ثم ماذا عن المراكب أهي سبعمائة أم سبعة آلاف ؟

ويتحدث سفر صموئيل عن أن داود قد أمره الرب " قائلاً: امض وأحصي إسرائيل ويهوذا " ففعل داود " فكان إسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذي بأس مستل السيف ، ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل " .

ثم إن داود ندم على إحصائه بني إسرائيل وقال للرب " لقد أخطأت جداً في ما فعلت ، والآن يارب أزل إثم عبدك " مع أنه امتثل للأمر تماماً ثم أمر الله جاد النبي أن يبلغ داود عقوبة الله له ، وأن الله يخيره بين أمور " أتأتي عليك سبع سني جوع في أرضك ؟ أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك ؟ أم يكون ثلاثة أيام وباء في أرضك ؟ فالآن اعرف وانظر ماذا أرد جواباً على مرسلي "(صموئيل (٢) ٢٤/١ - ١٣) .

ويختلف سفر الأيام في رواية القصة ذاتها عن سفر صموئيل في أمور أولها : أن الشيطان هو الذي أمر داود بإحصاء بني إسرائيل وليس الله " ووقف الشيطان ضد إسرائيل ، وأغوى داود ليحصي إسرائيل " .

وثانيها : نتيجة الإحصاء إذ " كان إسرائيل ألف ألف ، ومائة ألف رجل مستلي السيف ، ويهوذا أربعمائة وسبعين ألف رجل مستلي السيف " وأما العقوبة فكانت " إما ثلاث سنين جوع أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك ..... " (الأيام (١) ٢١/١ - ١٢) . فقد تناقض النصان في أمور :

---

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٣٠ ، ٦٠ .

(٢) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ١٥٩، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٥٧ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١١٦ - ١١٧ ،هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٢٥.

١) من الذي أمر بإحصاء بني إسرائيل الرب أم الشيطان ؟ يقول ديدات " فإن الشيطان والرب ليسا مصطلحين مترادفين في أي الديانات " .

٢) أعداد بني إسرائيل ففي صموئيل كان رجال إسرائيل ٨٠٠٠٠٠ وفي الأيام أضحوا ١,١٠٠٠٠٠ . وفي صموئيل كان رجال يهوذا ٥٠٠٠٠٠ رجل ، فجعلهم سفر الأيام ٤٧٠٠٠٠ رجل فأي السفرين أرقامه صحيحة ؟

٣) وهل كانت العقوبة التي خير داود ثلاث سنين جوع أم سبع سنين .[١]

وتذكر الأسفار التوراتية أخبار تاريخية تتناقض فيها من ذلك أنه جاء في سفر الملوك " كان أخزيا ابن اثنين وعشرين سنة حين ملك وملك سنة واحدة " (ملوك (٢) ٢٦/٨) وفي سفر الأيام . كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة " (الأيام (٢) ٢/٢٢) .

وما جاء في الأيام خطأ ولا ريب إذ أن يهورام الملك والد أخزيا قد مات وعمره أربعون سنة ، وتولى الحكم بعده ابنه أخزيا ، فلا يمكن أن يكون عمر ابنه أخزيا حينذاك اثنين وأربعين سنة .

ومثله وقع الخطأ في عمر يهوياكين الذي ملك بني إسرائيل ، فقد جاء في سفر الملوك " كان يهوياكين ابن ثمان عشرة سنة حين ملك وملك ثلاثة أشهر في أورشليم "(ملوك(٢)٢٤/٨)،وفي سفر الأيام ما ينقضه ولا سبيل إلى الجمع إذ يقول:"كان يهوياكين ابن ثمان سنين حين ملك،وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم" (الأيام (٢) ٩/٢٦) .

كما تذكر الأسفار التوراتية بعض الشخصيات وتختلف في أسمائها أو أنسابها أو تخلط في ذلك .

ومن ذلك أن سفر الخروج سمى كاهن مديان وحمي موسى " رعوئيل " (الخروج ١٨/٢) ثم سماه في موضع آخر وبعدها بسطور " يثرون " (الخروج ١/٣) وسماه سفر العدد " حوباب بن رعوئيل " (العدد ٢٩/١٠) .يقول مفسرو الترجمة المسكونية الفرنسية في هذا التناقض:"لا تتفق النصوص على اسم حمو موسى وشخصيته...وفي سفر العدد(٢٩/١٠)محاولة للتوفيق بين التقليدين:زواج قيني،وآخر مديني،يتضارب في الواقع هذان التقليدان ،ولا حاجة إلى التوفيق بينهما ."

ويذكر سفر صموئيل أنه " ولد لأبشالوم ثلاثة بنين وبنت واحدة اسمها ثامار ، وكانت امرأة جميلة المنظر " (صموئيل (٢) ٢٧/١٤) وفي سفر الملوك يذكر ابنة أخرى غير ثامار الوحيدة فيقول : " معكة ابنة أبشالوم " (ملوك (١) ١/١٥) فكيف يكون ذلك ؟

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٧٠/٢ ، ١٧٨ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢٠٨ - ٢٠٩ مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٢٩ ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٥٥ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٤٥ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ٧٣ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٢١ ، إسرائيل حرفت الأناجيل،أحمد عبد الوهاب،ص ٧٧ - ٧٨ ،هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٢٤.

ثم يذكر سفر الأيام أن رحبعام أحب معكة ابنة ابشالوم وأنها ولدت له أبيا " وأقام رحبعام ابيا ابن معكة رأساً وقائداً " (الأيام (٢) ١١/٢٢) فاسم أم أبيا معكة بنت ابشالوم .

لكنه في نفس السفر يقول " ملك أبيا على يهوذا ، ملك ثلاث سنين في أورشليم ، واسم أمه ميخا بنت أوريئيل من جبعة " (الأيام (٢) ١٣/١ - ٢) فأيها أم أبيام : معكة بنت ابشالوم ؟ أم ميخا بنت أوريئبل ؟

ثم يعود سفر الملوك فيأتي بالعجب وهو يتحدث عن أسا بن أبيام الذي ملك بعد أبيه (انظر ملوك (١) ١٥/٨) فيقول السفر عن أسا " ملك آسا على يهوذا ، ملك إحدى وأربعين سنة في أورشليم ، واسم أمه معكة ابنة أبشالوم " (ملوك (١) ١٥/٩ - ١٠) فأصبحت معكة زوجة أبيام حسب سفر الملوك ، وهي أم ابنة آسا ، بينما جعلها سفر الأيام أماً لأبيام ، فهل هي زوجته أم أمه ؟ [١]

ويتحدث سفر صموئيل عن ميكال بنت شاول فيقول "و لم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها" (صموئيل (٢) ٦/٢٣) ولكنه في نفس السفر يذكر أن لها ذرية وأن لهم خمسة من الأبناء من زوجها عدرئيل المحولي (انظر صموئيل (٢) ٢١/٨) .[٢]

والحق أن ليس ثمة تناقض هنا ، بل خطأ وقع فيه كاتب صموئيل الذي لم يميز بين ميكال وأختها ميرب التي تزوجت عدرئيل المحولي فقد جاء في صموئيل " وكان في وقت إعطاء ميرب ابنة شاول لدواد أنها أعطيت لعدرئيل المحولي امرأة " (صموئيل (١) ١٨/١٧ ، ٣٧)وقد اعترف محررو قاموس الكتاب المقدس بهذا الخطأ ، وردوه إلى خطأ بعض المخطوطات القديمة .[٣]

والتناقض في التوراة ليس في الجانب التاريخي فقط ، بل قد رأينا تناقض التوراة في نظرها لله عز وجل فتارة تنفي عنه الندم وأخرى تصفه به ومرة تجعله يستريح ومرة تنزهه عن التعب وكذا يرى أم لايرى .... وقد سبق بيانه .

ومن التناقضات التي وقع بها كتاب التوراة أنه جاء في سفر الملوك أن الله وعد داود فقال " ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد " (ملوك (١) ٢/٣٣) لكن في سفر صموئيل ما ينقض ذلك تماماً فقد قال له الله : " والآن لايفارق السيف بيتك إلى الأبد ، لأنك احتقرتني ، وأخذت امرأة أوريا الحثي " (صموئيل (٢) ١٢/١٠) .

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/١٨٦ ، ٤٤٢ ، التحريف في التوراة ، محمد الخويلي، ص ١٢٠ ، ١٤٨ – ١٤٩ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ،تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في الإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ١٥ ،هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٢٥.

(٢) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١٦٠ .

(٣) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٢٦ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٩ .

وكلا الوعدين إلى الأبد فأيهما تحقق في ذرية داود : السلام أم السيف ؟ . [1]

وفي سفر حزقيال ينعي الرب على بني إسرائيل أنهم تركوا شريعتهم وعملوا بشرائع الأمم المجاورة " أنا الرب الذي لم تسلكوا في فرائضه ، و لم تعملوا بأحكامه ، بل عملتم حسب أحكام الأمم الذين حولكم " (حزقيال ١٢/١١) وفي نفس السفر يذكر أنهم لم يعملوا بشرائع الله ولا بشرائع الأمم الذين حولهم " و لم تعملوا حسب أحكامي ، ولا عملتم حسب أحكام الأمم التي حواليكم " (حزقيال ٧/٥) .[2]

ومن التناقض أيضاً تناقض التوراة في مسألة وراثة الذنب ففي سفر الخزوج ذكر أن الرب " مفتقد إثم الآباء في الأبناء ، وفي أبناء الأبناء ، في الجيل الثالث والرابع " (التثنية ٧/٣٤) وفي سفر حزقيال كذب ذلك فقال " الابن لايحمل من إثم أبيه ، والأب لايحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ،وشر الشرير عليه يكون" (حزقيال ٢٠/١٨) .[3]

ومن الاختلافات والتناقضات التشريعية اختلاف أحكام الذبائح في حزقيال ٤٥ أو ٤٦ عما في سفر العدد ٢٨ و ٢٩ . [4]

هذا غيض من فيض من التناقضات التي ذكرها علماؤنا وهم يتفحصون أسفار التوراة .[5] ونلحظ منهم تركيزاً على التناقضات التاريخية والرقمية وذلك لسهولة الاستدلال بها إذ يصعب بل يستحيل تأويلها ، أو الجمع بينها ، بينما قد يمكن ذلك في التناقضات التشريعية أو الأخلاقية .

وصدق الله إذ يقول ﴿ أفلا يتدبرون القران ،ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾.[6]

وهذا الذي وجدناه في التوراة .

---

(٤) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١١٨ .

(١) انظر : التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٢١٣ .

(٢) انظر : حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٢١ .

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١٦٨/٢ .

(٤) انظر تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة ٥٢أ - ٥٢ب ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١٦٨/٢ - ١٨٧ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٤٥ ، ١٥٥ - ١٥٦ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٨٠ - ١٩١ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ٢٢٥ - ٢٥٩.

(٥) سورة النساء ، آية : ٨٢ .

المطلب السابع : أغلاط التوراة

عندما نتحدث عن كتاب مقدس ، فإنه من الطبيعي أن نسلم بعصمة هذا الكتاب ، وأن ما فيه هو وحي الله عز وجل .

إذ وجود الخطأ فيه يعني أن الله يخطئ ، أو أن الروح القدس يخطئ ، أو أن الرسول المبلغ يخطئ .

وهذه الاحتمالات كلها مرفوضة باتفاق الأمم وبدلالة العقل،إذ الخطأ صفة بشرية لايمكن أن تصدر من الله أو أمناء وحيه من الملائكة أو الرسل ففي ذلك تلبيس على البشر وإضلال لهم .

لكن التوراة وأسفار العهد القديم تعرض لسلسلة طويلة من الإصلاحات والتنقيحات ،وهذا يطرح الشك في قداسته ، وعلى الرغم من هذه الاصلاحات فإن فيه ثمة أخطاء فيل أسفار العهد القديم لا يمكن تجاوزها .

ومن هذه الأغلاط ما جاء في سفر صموئيل عن عمر شاول عندما ملك على بني إسرائيل حيث يقول " كان شاول ابن سنة في ملكه ، وملك سنتين على إسرائيل " (صموئيل (١) ١٣/١) .

وهذا أمر لايعقل أبداً كما أنه يتناقض مع كل ما تقدمه التوراة من معلومات عن شاول الملك الكبير وكيفية اختياره ورفضه لتزويج ابنته ميكال لداود إبان ملكه (شاول) ، ثم تزوج داود بها عقب توليه الملك.

فذلك كله وغيره مؤذن بوجود غلط في هذا النص .

ولتفادي ذكر هذا الغلط عمدت بعض الترجمات الحديثة لترك مكان السن فارغاً وأشارت في الهامش نسخة الرهبانية اليسوعية إلى مصدر هذا الغلط إذ قالت : " وهذا أمر غير معقول ، لربما لم يعرفوا عمر شاول عند ارتقائه العرش ، أو لربما سقط العمر عن النص ، أو لربما قصرت مدة ملكه إلى سنتين لعبرة لاهوتية " .

وفي محاولة أخرى لتبرير هذا الغلط يقول مطران دمشق سمعان الحصروني في كتابه " تسهيل صعوبات الكتاب المقدس " : " أن هذا القول لايعني على شاول كان ابن سنة بالعمر ، بل أنه حين ملك كان باراً وديعاً صالحاً لايعرف الغش مثل طفل ابن سنة ، ولما ملك سنتين على إسرائيل دخل الغش في قلبه ، وصار كبيراً مثل شيخ عارف ، وقال أنه ملك سنتين لا غير ، أعني ما استقام على البرارة وعدم المخالفة والقسط إلا سنتين فقط ، ودخل في الإثم والغش وقلة رضى الله " .[1]

ولكن طابعي نسخة " كتاب الحياة " المقدسة أضافوا في النص ما رأوا أنه يصلحه فقالوا " كان شاول ابن (ثلاثين) سنة " (صموئيل (١) ١٣/١) .

ومن الأغلاط أيضاً ما جاء في سفر الأيام " وقد أذل الرب يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل " (الأيام

---

(١) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٤٤٢/٢ .

(٢) ١٩/٢٨) ، والصحيح أن آحاز ملك يهوذا وبسببه أذل الله مملكته ، وهو الملك الحادي عشر من ملوك يهوذا كما ذكر محرر قاموس الكتاب المقدس .

وقد أصلح الغلط مترجمو اليونانية واللاتينية .[١]

ومثله وقع الغلط في الحديث عن الملك صدقيا الذي عينه نبوخذ نصر بعد أن عزل يهوياكين الذي يذكر سفر الأيام أنه أخ لصدقيا فيقول " وملك صدقيا أخاه على يهوذا وأورشليم " (الأيام (٢) ١٠/٣٦) والصحيح أن صدقيا عم يهوياكين حيث أن عمر يهوياكين أكبر أبناء أبيه عندما ملك كان حوالي ثمان سنين وملك لمدة ثلاثة شهور وعشرة أيام فقط (انظر الأيام (٢) ٩/٣٦) .

بينما كان عمر صدقيا حينذاك إحدى وعشرين سنة (انظر أيام (٢) ٩/٣٦ - ١٠) ، ولو كان أخاً ليهوياكين لكان ينبغي أن يكون أقل من ثمان سنوات لأن يهوياكين أكبر أبناء أبيه .

وقد اعترف محررو قاموس الكتاب المقدس بهذا الخطأ وقالوا : " دعي أخاً ليهوياكين أي نسيبه ، أو من أصل واحد . واعترف به أيضاً وارد الكاثوليكي في كتابه " الأغلاط " وقال أبدل مترجمو اليونانية الأخ بالعم .[٢]

ومن الأغلاط أيضاً تلك الوعود التي وعدت بها التوراة ، ثم لم تتحقق فدل على أنه غلط ، ولو كان حقاً لتحقق الوعد .

ومن هذه الوعود ما زعموا أن الله وعده لإسرائيل بقوله " وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل ، وغرسته ، فسكن في مكانه ، ولا يضطرب بعد ، ولا يعود بنو الإثم يذلونه كما في الأول " و لم يتحقق هذا الوعد الذي زعموا أن الله وعده لناثان النبي ، فقد ذل بنو إسرائيل على يد بختنصر ، وأخرجوا من ديارهم ، و لم يتحقق ما قيل لناثان " متى كملت أيامك ، واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك ، وأثبت مملكته ، هو يبني بيتاً لا سمي ، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد " (صموئيل (٢) ١٠/٧ - ١٣) كما تكرر تسلط الأمم عليهم كالآشوريين والرومان وسوى ذلك .

وأيضاً تذكر التوراة أن الله وعد نبوخذ نصر الوثني وعداً لم ينجز فهو من الأغلاط ولا ريب ، ثم كيف يعد الله هذا الوثني ؟ فقد جاء في سفر حزقيال " قال السيد الرب هأنذا أبذل أرض مصر لنبوخذ نصر ملك بابل فيأخذ ثروتها ، ويغنم غنيمتها ، وينهب نهبها فتكون أجرة لجيشه .قد أعطيته أرض مصر لأجل شغله الذي خدم به ، لأنهم عملوا لأجلي يقول السيد الرب " (حزقيال ١٩/٢٩ - ٢١) و لم يتحقق ذلك الوعد

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٢٦١/٢ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٥٠ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٢ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٢٦٢/٢ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٠ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١٥٠ - ١٥١ .

إذ لم يملك بنوخذ نصر أرض مصر أبداً .[1]

و لم تتحقق تلك الوعود التي استمرت التوراة تعرضها في أربع إصحاحات من سفر حزقيال ولما جاء فيها " قال الرب : ويسقط عاضدو مصر وتنحط كبرياء عزها من مجدل إلى أسوان يسقطون فيها بالسيف .

يقول السيد الرب فتقفر في وسط الأرض المقفرة ، وتكون مدنها في وسط المدينة الخربة فيعلمون أني أنا الرب .. قال السيد الرب أني أبيد ثروة مصر بيد بنوخذ نصر ملك بابل " (حزقيال ٦/٣٠ - ١٠) .

قال السيد الرب : سيف ملك بابل يأتي عليك ، بسيوف الجبابرة أسقط جمهورك ، كلهم عتاة الأمم ، فيسلبون كبرياء مصر ، ويهلك كل جمهورها ، وأبيد جميع بهائمها عن المياه الكثيرة فلا تكدرها من بعد رجل إنسان ، ولاتعكرها أظلاف بهيمة ، حينئذ أنضب مياههم ، وأجري أنهارهم كالزيت .

يقول السيد الرب حين أجعل أرض مصر خراباً ، وتخلو الأرض من ملئها عند خزي جميع سكانها يعلمون أني أنا الرب " (حزقيال ١١/٣٢ - ١٥) .

فعدم تحقق هذا كله يدل على أن هذا من أغلاط التوراة أو كذب كاتبيها .

وأيضاً تذكر التوراة أن داود عليه السلام قد وعد بوعود ، والواقع والتاريخ يشهد بعدم تحققها فدل ذلك على وقوع الغلط أو الكذب فيها ، ومن ذلك " ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد " (ملوك (١) ٢/٣٣) .

ويقول إرميا مؤكداً " لاينقطع لداود إنسان يجلس على كرسي بيت إسرائيل " (إرميا ١٧/٣٣) .

والواقع يكذبه إذ انهارت مملكة يهوذا التي حكمها أبناؤه سنة ٥٨٧ ق. م و لم يجلس لليهود على القدس أحد حتى جاء الصهاينة فاحتلوا بيت المقدس سنة ١٩٤٨م وهم ليسوا من نسل داود ، و لم يدعوا ذلك، ولكن قد يكون الوعد متخلفاً لتخلف الشرط كما في تكملة النص " إن نقضتم عهدي .. فإن عهدي مع داود عبدي ينقض ، فلا يكون له ابن مالكاً على كرسيه " (إرميا ٢٠/٣٣ - ٢١) .

وأيضاً يتحدث إرميا عن نسل داود فيقول " كما أن جند السماوات لايعد ، ورمل البحر لايحصى ، هكذا أكثر نسل داود عبدي ، واللاويين خادمي " (إرميا ٢٢/٣٣) ومع ذلك فاليهود أقل أهل الأرض عدداً إذ لايبلغ تعدادهم في الأرض كلها ستة عشر مليوناً، علاوة على أن غالبهم ليسوا من أصول إسرائيلية .

وهذا أيضاً يقودنا للحديث عن الأعداد المهولة التي قدمتها التوراة لبني إسرائيل إبان موسى وبعده .

إذ تتحدث التوراة عن أصل إسرائيل وهو يعقوب وأبناؤه وقد بلغوا حين هجرتهم إلى مصر وهم سبعين نفساً (انظر الخروج ٣/١) .

ثم تذكر التوراة أنهم " أثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم "(الخروج ٧/١).

---

(٣) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٩٥ - ١٩٧ .

وبعد أربعمائة وثلاثين سنة على دخولهم لمصر خرجوا منها بعد سنين طويلة من الاضطهاد واستباحة النساء وقتل الذكور ، ولدى نزولهم في سيناء تذكر التوراة أن موسى أمر بتعداد بني إسرائيل " فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعداً كل خارج للحرب في إسرائيل ، كان جميع المعدودين ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة وخمسين . وأما اللاويين حسب سبط آباءهم فلم يعدوا بينهم " وإذا كان الرجال القادرون على الحرب في أحد عشر سبطاً قد بلغوا الستمائة ألف ، فيفهم من هذا أنهم قد جاوزوا المليون .

ومثل هذا بعيد إذ أنهم لم يمكثوا في مصر على التحقيق سوى مائتين وخمس عشرة سنة كما أقر مفسروهم ومنهم جامعو تفسير هنري واسكات ، وهو أيضاً ما تقوله التوراة السامرية .

ومما يشكك في الرقم التوراتي الكبير أن موسى عليه السلام وهو أحد الخارجين من مصر يعتبر الجيل الثاني للداخلين إلى مصر فهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي (انظر الخروج ٦/١٦ - ٢٠) ، وجده قاهث من الداخلين إلى مصر كما ذكرت التوراة (انظر التكوين ٤٦/١١) .

ويستبعد تنامي العدد بهذه الزيادة خلال جيلين أو ثلاثة ، و لم يكن الجيل الأول من أبناء لاوي سوى ثلاثة اشخاص عندما دخلوا مصر ، فكيف أضحوا بعد ثلاثة أجيال فقط اثنان وعشرين ألف ذكر (انظر العدد ٣/٣٩)

ومما يدل على أن هذا العدد غير صحيح أن بني إسرائيل كان يتولى توليد نسائهم قابلتان فقط هما: شفرة وفوعة .(انظر الخروج ١/١٥) .

ومثل هذه الأرقام المهولة لايقوم بها قابلتان فقط .

ثم تتحدث التوراة عن حروب بني إسرائيل فتذكر أرقاماً للجيوش والقتلى لاتعقل ففي سفر الأيام " وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى في إسرائيل خمسمائة ألف رجل مختار "، هذا في طرف واحد من بني إسرائيل .

فلئن كانت أعدادهم كذلك فان عبد الرحيم محمد يتساءل كيف بقوا محبوسين في فلسطين نهبة للأمم ؟ و لم لم يفعلوا مثل المسلمين الذين هزموا فارس والروم ؟و لم تتجاوز أعداد جيوشهم الأربعين ألفاً ؟

ثم إن كان السبعون قد أضحوا بعد أربعة قرون كما ذكرت التوراة ، فإنه وبعد ثلاثة آلاف سنة ينبغي أن يكون عددهم آلافاً من الملايين تنوء الأرض بحمله ، يزيد على تعداد سكان الأرض حالياً مرات كثيرة .

لكنهم مع ذلك لايتجاوزون الخمسة عشر مليوناً في الأرض كلها .

ثم أن التوراة تذكر تعداداً آخر ينبه إليه أحمد حجازي السقا وهو التعداد الذي جرى في أرض مؤاب بعد ثمانين سنة من تعداد موسى الأول و لم تطرأ فيه زيادة عن التعداد الأول سوى ألفي شخص ، (انظر العدد ٢٦/١ - ٦٥) ولو كان بنو إسرائيل يزدادون بهذه النسبة الرهيبة لكان ينبغي أن يتضاعف عددهم عشرات المرات .

إذن لماذا هذه المبالغة الكبيرة ؟

في الإجابة على هذا التساؤل يرى عبد الرحيم محمد بأنهم يريدون أن يقولوا بأنهم شعب متميز لايفنى.

وإذا تساءلنا عن الرقم الحقيقي للخارجين من مصر فإن دائرة المعارف البريطانية تجزم بأن عددهم لم يتجاوز الخمسة عشر ألفاً .[1]

وصدق الله إذ يقول عنهم ﴿ إن هؤلاء لشرذمة قليلون ﴾ .[2]

أغلاط توراتية بشهادة العلوم والمكتشفات الحديثة

ومن أغلاط التوراة أيضاً أغلاط خالفت فيها الحقائق العلمية الحديثة ومن ذلك حديث التوراة عن قصة الخلق في سفر التكوين حيث يتحدث السفر عن خلق الكون في ستة أيام أرضية ،فخلق في اليوم الأول الأرض والنور والظلام والماء ، وفي الثاني خلق السماء حين وضع جلداً بين مياه مياه ، وفي اليوم الثالث تجمعت الميله التي تحت الجلد الذي سمى سماء فتكونت اليابسة ونبت العشب والبقل ، وفي اليوم الرابع خلقت الشمس والقمر والنجوم فيما فوق الجلد (السماء) ، وفي اليوم الخامس خلقت الحيوانات البحرية والطيور ، وفي اليوم السادس خلق آدم والحيوانات البرية ، وفرغ من الخلق في هذا اليوم (انظر التكوين ١/١ - ٣١) .

ويلحظ العلماء المحققون على هذا الترتيب والإخراج لقصة بدء الكون ملاحظات يرفضها العلم الحديث الذي أعطاه الله للإنسانية .

وأولها : أن السفر يتحدث عن أيام أرضية تتكون من ليل ونهار وصباح ومساء ، ومن المعلوم علمياً أن الخلق تم على فترات كونية تقدر بملايين السنين كما قال الله عز وجل ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ .[3]

وأما ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة " خلق الله التربة يوم السبت،وخلق فيها الجبال في يوم الأحد ،وخلق الشجر في يوم الاثنين .... " فالحديث عُد من غرائب مسلم قال ابن كثير : " تكلم عليه علي ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب ، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كعب الأحبار ، وإنما اشتبه على بعض الرواة ، فجعلوه مرفوعاً ...." قال ابن عباس في قوله ﴿ وإن يوماً عند

---

(١) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة ٥٠ ب - ٥٢ ب ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٥١٦/٢ - ٥١٨ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٧٢ ،١٢٠-١٢١ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ٢٠٤ ، نقد التوراة ، أحمد حجازي السقا ، ص ١١٨ - ١١٩ ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص ٦٠ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ،١٠٤/١ - ١٠٦ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٢٣ - ١٢٥ .

(٢) سورة الشعراء ، آية : ٥٤ .

(٣) سورة الحج ، من آية : ٤٧ .

ربك ﷻ قال: من الأيام التي خلق الله فيها السماوات و الأرض . و بمثله قال مجاهد وعكرمة ، ونص عليه أحمد بن حنبل .[1]

ويضيف بوكاي بأن الأرض حتى تبرد قشرتها وتغدو صالحة للحياة احتاجت لملايين السنين ، فكيف يتحدث السفر عن ظهور الماء على الأرض في أول أيامها ، ثم ظهور النبات في ثالثها والحيوانات في رابعها وخامسها .

كما أن الترتيب التوراتي لظهور المخلوقات يتناقض مع مكتشفات التاريخ الجيولوجي .

فوجود الماء على وجه الأرض يتناقض مع النظرية العلمية القائلة بأن الأرض بل والعالم كان غازياً في بداية خلقه ، كما لايصح ظهور النبات قبل وجود الشمس ، كما لايصح وجود الحيوانات البحرية والطيور قبل الحيوانات البرية .

ومثله يرفض علمياً القول بأن الأرض خلقت قبل الشمس والنجوم .

والقول بأن النبات وجد قبل الإنسان بثلاثة أيام فقط أيضاً قول مردود إذ تتحدث المكتشفات العلمية عن وجود النبات قبل الإنسان بملايين السنين .

ثم أن ثمة تساؤلاً يطرح على الترتيب التوراتي وهو :

كيف ظهر الليل والنهار ولما توجد الشمس بعد ؟ وكيف تتكون اليابسة والنجوم والماء ؟

وقد وردت أكثر هذه الاعتراضات على هذا السفر في ثنايا نقد الأب دوفو لرواية سفر التكوين .[2]

وثانيها : عمر البشرية على وجه الأرض :

تتحدث التوراة باستفاضة عن أعمار الآباء الأوائل من لدن آدم إلى إبراهيم فتجعل ولادة إبراهيم في القرن العشرين من بداية الوجود الإنساني على الأرض وتحديداً في سنة ١٩٤٨ من لدن قيام البشرية .

ولا توجد معلومات دقيقة عما بين إبراهيم وعيسى ، ولكن المؤرخين يقدرونها بثمانية عشر قرناً اعتماداً على المصادر التاريخية والتوراتية وعلى هذا فإن ظهور المسيح كان بعد خلق آدم بثمانية وثلاثين قرناً ، ويرى آخرون أن المسيح ولد في عام ٤٠٠٤ من لدن آدم .

وفي عام ١٩٧٥م صدر التاريخ العبري واعتبرها سنة ٥٧٣٦ من لدن خلق العالم ، وعليه نقول بأن المعطيات التوراتية تجعل عمر البشرية على وجه الأرض لايزيد عن ستة آلاف سنة بحال من الأحوال .

ويتعارض هذا تماماً مع المعطيات العملية التي تعتبر الحسابات التوراتية نوعاً من الهراء ، فقد ثبت وجود حضارات قامت قبل خمسة آلاف سنة من الميلاد ، ويرى علماء الآثار أن من المسلم به قيام حرب طاحنة بين

---

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ١/١٠٢، ٣/٣٠٦ ،والحديث رواه مسلم في صحيحه برقم: ٢٧٨٩ في ٤/٢١٤٩.

(١) انظر : التوراة الإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٤٤ -٥١ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٧٩ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢/١٨٢ - ١٨٣ .

شمال مصر وجنوبها عام ٤٠٤٢ ق.م انتصر فيها أهل الدلتا بيد أن انتصارهم لم يكن حاسماً كما تبدأ الحضارة المصرية المؤرخة بالأسرة الأولى والتي حكمت مصر بين ٣٤٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م

كما عثر على مصنوعات بشرية تعود لأكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد . وعثرت بعثة جامعة القاهرة على آثار بشرية في منطقة الفيوم ترجع لعشرات الآلاف من السنين .

وتذكر دائرة المعارف البريطانية أن الآثار الإنسانية في فلسطين ترجع لمائتي ألف سنة ، ويقول العلامة دونلد جان سن ١٩٧٩م : " أنه كشف وجود الإنسان على وجه الأرض منذ أربعة ملايين سنة " .(١)

وصدق الله العظيم إذ يؤكد أن البشرية ضاربة جذورها في التاريخ قروناً طويلة فيقول ﴿ قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ .(٢) ﴿ وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ (٣) ﴿ ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله ﴾ . (٤)

وثالثها : في تحديد تاريخ الطوفان .

وهذا الغلط تبع للغلط الماضي إذ تتحدث التوراة عن الطوفان العظيم الذي حصل في زمن نوح عليه السلام ، وتذكر أنه عم الأرض كلها .

ولدى تتبع أعمار الأباء الأوائل في سفر التكوين ومقارنته مع رواية الطوفان يظهر أن الطوفان حصل منذ ٤٢٠٠ سنة تقريباً أي في حوالي القرن الحادي والعشرين أو الثاني والعشرين قبل الميلاد .

إذ طبقاً للرواية التاريخية حصل الطوفان وعمر نوح ٦٠٠ سنة (انظر التكوين ٦/٧) وولادة نوح كانت بعد ١٠٥٦ سنة من خلق آدم ، وعليه فقد كان الطوفان سنة ١٦٥٦ (انظر التكوين ١/٥ - ٣٢) أي قبل أربعة آلاف ومائتي سنة لكن المعطيات التاريخية تذكر قيام حضارات في تلك الفترة من غير أن تنقطع تلك الحضارات بالطوفان فدل ذلك على أنها كانت بعد الطوفان بزمن بعيد فهذا التاريخ للطوفان يوافق حكم الأسرة الحادية عشرة في مصر ، ويوافق أيضاً حكم أسرة أور في بابل ، وهي الأسرة الثالثة .(٥)

وثمة أمور كثيرة ذكرتها التوراة تتعارض مع الأمور الثابتة علمياً مثل أن الأرنب من الحيوانات المجترة

---

(١) انظر : التوراة الإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٢٠، ٤٤ - ٥٥ ،قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ١٨٥/٢، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١١٢ - ١١٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٦٠ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١١٧ - ١١٨ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٧٩ .

(٢) سورة طه ، آية : ٥١ - ٥٢ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٣٨ .

(٤) سورة إبراهيم ، آية : ٩ .

(٥) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٥٨ - ٥٩ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ١١١ - ١١٢ ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ١٨٠ .

(انظر التثنية ٧/١٤) وأيضاً القول بأن الحية عوقبت بأكل التراب (انظر التكوين ١٤/٣) ، والمشاهد أنها تأكل الحشرات والزواحف لا التراب .

ومن ذلك ماذكر في سفر حزقيال ، في أنه رأى أربع حيوانات عجيبة للواحد منها أربع أوجه وأربع أجنحة وأرجل كأرجل العجل وأيدي كأيدي الإنسان ، ووجوهاً كوجوه أسد وإنسان وثور ونسر ... (انظر حزقيال ٤/١ - ٢٥) ، ولم تتحدث الحفريات ولا غيرها عن شيء مثل هذا كان على وجه الأرض في يوم من الأيام .[١]

ومن الأخطاء العلمية أيضاً ما سجله رحمة الله الهندي على ما جاء في سفر التكوين (٣٠/٣٧-٤٣)حيث زعم بأن غنم يعقوب أنتجت ،فكان لون نتاجها مخالفاً للون آبائها بسبب رؤيتها لبعض العصي المقشرة،فتوحمت عليها ،فكان النتاج مثلها،ولو صح مثل هذا لكان ينبغي أن يكون نتاج الربيع أخضراً...[٢]

موقف النصارى من أخطاء الكتاب المقدس

ونتساءل بعد هذا كله : ماهو موقف الكنيسة من الأخطاء التوراتية ؟

بقيت الكنيسة قروناً طويلة وهي تكابر في الاعتراف بأخطاء الكتاب المقدس ، فيقول القديس جيروم : " أن الله لايمكن أن يعلم ما لايتفق والحقيقة " ، ثم كان لابد من الاعتراف بهذه الأخطاء وغيرها والبحث عن سبل لتخرجها ،وكان بداية الإقرار بالهزيمة تبرير أخطاء التوراة بأنها تعود للنسخ والنساخ فالوحي لايخطئ .

وفي مجمع الفاتيكان (١٨٦٩ - ١٨٧٠م)أعلن المجمع أن الأسفار المقدسة في العهدين " كتبت بإلهام من الروح القدس مؤلها الله ، وأعطيت هكذا للكنيسة " .[٣]

وقد اعترف علماء النصارى بوجود عدد هائل من الأخطاء منهم القسيس فندر والقسيس فرنج حيث اعترفا بوجود أربعين ألفاً خطأ في الكتاب المقدس ،وسمياها " اختلاف العبارة " وذكر فندر أن هذه الأخطاء قد أصلحت إلا قليلاً ، ومن هذا القليل ما ذكرناه وما أغفلناه من أخطاء التوراة .

وتحدث عن قواعد التصحيح الصارمة التي اتبعتها الكنيسة " إذ وجدوا عبارتين إحداهما دقيقة ، والأخرى سلسلة فصيحة ، اختاروا الدقيقة ، لأن مقتضى الاحتياط والعقل والقياس : أن العبارة السلسة لعلها تكون جعلية (مدخولة) .

---

(١) انظر : دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٦٦ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي، ص ١١ ، ٢١١ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي ، ٤ /١٣٣٢ - ١٣٣٣،السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٦٦،٢٦٤.

(٣) دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص ٢٠٣ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩١ - ٩٢ .

الثاني كانوا إذا وجدوا عبارتين إحداهما مطابقة للقاعدة ، والأخرى مخالفة لها اختاروا المخالفة ، لأن المطابقة تحتمل أن تكون عمل أحد مهرة القواعد " .

وقد سأل المفتي رياض القسيس فندر " إذا كان اختلاف العبارات مسلماً عندكم ، فإذا وجدت العبارتان مختلفتين فهل تقدرون أن تعينوا إحداهما أن هذه كلام الله جزماً أم لا ؟

فأجاب فندر : " لا " .

فقال المفتي : " الموجود المستعمل الآن من كتب العهدين ليس كله كلام الله جزماً ، وقد ثبت بإقراركم هذا المعني " .(١)

وفي هذا الصدد نشرت مجلة لوك في سنة ١٩٥٢م مقالاً بعنوان " الحقيقة عن الكتاب المقدس " ذكرت فيه أنه في عام ١٧٢٠م قامت هيئة من الخبراء الإنجليز بتقدير عدد الأخطاء في الكتاب المقدس بحوالي عشرين ألف خطأ على الأقل .

فيما رفعت الدراسات الحديثة الرقم إلى خمسين ألفاً كما جاء في مجلة " استيقظوا " التي أصدرتها جماعة شهود يهوه في عدد الصادر في سبتمبر ١٩٥٧م حيث تقول " هناك ما يقارب خمسين ألف خطأ .... وهي أخطاء تسللت في نص الكتاب المقدس " .

لكن مع ذلك تهون الكنيسة وكتابها من قيمة هذه الأخطاء وكثرتها فيقول فندر " لايلزم النقص من هذا القدر في الكتب المقدسة " ويقول محرر مجلة " استيقظوا " أنها خمسون ألف خطأ خطير .. لكن النص ككل مازال صحيحاً " !!

ولكن بعض رجال الكنيسة كانوا أكثر جرأة في الاعتراف بهذه الأخطاء ، وأكثر جرأة بالقفز على معانيها والتلاعب بدلالالتها بجعلها نصوصاً رمزية .

فيقول الكاردينال دانييلو عن الطوفان " إن أقدم تقليد لدى الكنيسة رأى في لاهوتية الطوفان صورة للمسيح والكنيسة .. هذا فصل ذو معنى سام ... حكم يصيب الجنس البشري بأسره " .

ويتحدث أوريجين عن الطوفان ويركز على قيمة العدد ثمانية (عدد الذين نجوا من الطوفان) ويتحدث عن نوح المولود الأول في خلق جديد ، صورة المسيح الذي حقق ما كان نوح قد رمز إليه ، ويقارن أوريجين بين ماء الطوفان وماء العمادة فكلاهما كان ولادة للإنسانية من جديد .(٢)

واعترف آخرون من رجال الكنيسة بمسئولية كتبة الأسفار عن هذه الأخطاء وبرروا وجودها بالحرية المعطاة للملهمين بالكتابة بحرية تامة في تحقيق المراد من الوحي .

يقول د. صبري جوهرة وهو يلخص رأي الكنيسة : " إن الله يسمح للإنسان (كاتب السفر) بأن

---

(١) انظر : المناظرة الكبرى بين رحمة الله الهندي والقسيس فندر ، ص ٢٦١ ، ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٦٢ .

يضع كل إحساساته وخبراته وحساسياته وميوله في النصوص مادام ذلك لايغير ما قصده الله من معاني السفر الأخلاقية والدينية ، وبالتالي تعترف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية .... الخ ، فالمقصود بالكتاب هو أن يعلم الدين والأخلاق ، ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة " .

وفي مجمع الفاتيكان ١٩٦٢ - ١٩٦٥م بحث موضوع المشكلات الصعبة للكتاب المقدس ، وصدرت وثيقة صوت لها ٢٣٤٤ من الحاضرين مقابل ٦ فقط رفضوها وتقول الوثيقة في فصلها الرابع " تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ، ومن هو الإنسان بما لايقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان .

غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان . ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهي"[١]

---

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ،ص ١٦ ،الكتاب المقدس في الميزان،عبد السلام محمد،ص ١٤٠، الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ، ص ٨٤ ، التوراة الإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٤٣ ، ٥٩ ، ٦٤ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩١ - ٩٢ .

الفصل الرابع :

العهد الجديد

تمهيد :

العهد الجديد هو مجموعة الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ، وينسب لعدد من المحررين ينتمون إلى الجيل الأول والثاني من النصرانية .

وسمي (بالعهد الجديد) في مقابل تسمية التوراة (بالعهد القديم) كما جاء في إنجيل متى في وصف رسالة المسيح " لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " (متى ٢٦/٢٨) ، ويرونه العهد الذي أخبر به إرميا حين قال : " يقول الرب : وأقطع مع بيت إسرائيل ، ومع بيت يهوذا عهد جديد " (عبرانيين ٩/١٥) وعند التأمل في هذه النصوص نرى أن لا تناسب بينها وبين تسمية الأناجيل والرسائل بالعهد الجديد .

وتشتمل الأناجيل على سيرة مقتضبة للمسيح ، لاتكاد تذكر شيئاً عن طفولته ونشأته ، وتتحدث بإسهاب عن بعض الحوادث التي تلت نبوته ، وتحكي الأناجيل عن تفاصيل قصة صلبه المزعوم ، ولا تكاد تذكر شيئاً من المعتقد الذي اهتمت به الرسائل الملحقة .

وكلمة (الإنجيل) كلمة يونانية مشتقة من الكلمة اليونانية " انكليون " وتعني : " من أتاك ببشرى ، ثم امتد معناها ليشمل البشرى نفسها ، فاستعملت للدلالة على تعاليم المسيح ، ثم سيرة حياته ، وغلب هذا الاستعمال منذ القرن الميلادي الأول " .

ويرد البعض الكلمة للأصل اليوناني " إيفانجليوس " وتعني : " الخبر السار " أو " البشارة ".[1]

وقد كتبت أصول هذه الأناجيل باللغة اليونانية فيما عدا " متى " الذي كتب بالعبرانية ، لكن أياً من اللغتين لم تكن لغة للمسيح ، الذي كان يتكلم السريانية – كما دلت على ذلك الأناجيل – وهي تنسب للمسيح عبارات سريانية كما في مرقص أن المسيح " أمسك بيد الطبيبة ، وقال لها : طليثا قومي . الذي تفسيره : يا صبية : لك أقول قومي " (مرقس ٥/٤١) ويقول مرقس أيضاً : " وقال له:إفثا . أي انفتح " (مرقس ٧/٣٤) ويذكر متى أن المسيح صرخ على الصليب " ايلي ايلي لم شبقتني . أي إلهي إلهي لماذا تركتني "(متى ٢٧/٤٦) ، وهذه العبارات وأمثالها من الكلمات السريانية أراد الإنجيليون أن يسجلوا بها بعض العبارات التي يعتقدون أن المسيح نطق بها . كما هي ، وقد أبقت عليها – كما هي – مختلف التراجم العالمية ، ويؤكد مصطفى شاهين أن العبرانية لم تعد مستخدمة في فلسطين حينذاك " .[2]

وقد تم تقسيم العهد الجديد إلى إصحاحات في القرن الثالث عشر الميلادي على يد الكاردينال " هيوغرة " ، ورقمت فقرات كل إصحاح عام ١٥٥١م .[3]

ومن الناحية التاريخية فإن أقدم ذكر للأناجيل ورد على لسان (بابياس) حين كتب عام ١٣٥ تقريباً

---

(١) انظر : الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ٢٤ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٤١ .

(٢) انظر : الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ٢٧ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي،ص ١١١ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٦٢ – ١٦٣ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٣) انظر : الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٢٧٤ .

عمن أسماه (يوحنا الأكبر) أنه قال : " إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس ".[1]

وقد كانت الأناجيل الأربعة – وغيرها من الأناجيل – موضع أخذ ورد بين الفرق النصرانية المختلفة في القرن الثاني الميلادي .

لم ينقل عن أي من كتاب القرن الأول استشهادهم بشي من الأناجيل ، بل لم يكونوا يتناقلون سوى نصوص العهد القديم ، وينطبق هذا على كتابات بولس والحواريين المعتمدة في أسفار العهد الجديد .

العهد الجديد عند النصارى :

يقر النصارى بأن الأناجيل كتبت على يد تلاميذ المسيح وتلاميذهم ، فكيف أضحت كتابات بعض البشر مقدسة ؟ وما هو المقدس في هذه الكتابات : الألفاظ ، أم المعاني ، أم كلاهما ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها نقرأ مع علمائنا بعض نقولهم عن النصارى في ذلك ، لنقف على صورة متكاملة لطبيعة الوحي الإنجيلي .

تبنت الكنيسة في مجمع الفاتيكان المنعقد عام ١٨٦٩ – ١٨٧٠ قراراً يقول عن أسفار الكتاب المقدس بعهديه " كتبت بإلهام من الروح القدس ، مؤلفها الله ، وأعطيت هكذا للكنيسة " ، وقبل أن يمضي قرن كامل عقد مجمع آخر في الفاتيكان ١٩٦٢ – ١٩٦٥، وقرر هذا المجمع – الذي بحث المشكلة الصعبة التي تواجه الدراسات النقدية للكتاب المقدس – بأغلبية ٣٣٤٤ مجتمعاً ومعارضة ستة فقط – قرر الاعتراف بعجز التوراة ، وأن " امتيازاً بارزاً مستحقاً للأناجيل .. وقد نقلوها إلينا بإلهام إلهي من الروح. تؤكد الكنيسة بحزم ومثابرة عظمى أن الأناجيل الأربعة – التي أكدت دونما تردد صفتها التاريخية – تنقل بأمانة ما فعله وعلمه المسيح ابن الله ... فالكتاب المقدسون ألفوا الأناجيل الأربعة بحيث يكشفون لنا دوماً عن المسيح أشياء حقيقية وصادقة " .

فالكتاب ليس مؤلفه الله ، بل الإنجيليون ، وبإلهام من روح القدس ، وهو ما يؤكده " موجز تاريخ الأمة القبطية " حين يقول : الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التي كتبها رجال الله القديسون بإلهام من الروح القدس في أوقات مختلفة " .[2]

ولا يعتقد المسيحيون بالوحي الحرفي أي بأن الأناجيل نزلت على كاتبيها من الله أو الملائكة حرفاً حرفاً ، وكلمة كلمة ، بل " نريد أن الله عز وجل إذا ما قصد بسمو لطفه وحكته أن يبلغ البشر شيئاً من أسراره حرك باطناً كاتباً يختاره ، فيبعثه على كتابة السفر المقصود ، ثم يمده بأيده الخاص ونعمته الممتازة ، ويلهمه اختيار الحوادث والظروف والأعمال والأقوال التي شاء سبحانه وتعالى رقمها لفائدة عباده .

وكان له رقيباً ومرشداً ، وعصمه من الخطأ في نقلها وتسطيرها إفراداً وإجمالاً بحيث أنه لا ينقل إلا ما ألهمه

---

(١) انظر : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٢٧٨ .

(٢) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٧٧ ، محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ٩١ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١٦ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩١ – ٩٢ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٢٧ .

الله إياه .... وهذا كافٍ لأن يعزى الكتاب إلى الله " .

ويقول سويجارت : " الإنجيل مجلدة من عدة كتب ، كتبها الإنسان بوحي من الروح القدس كما يروي لنا سمعان بطرس " لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس " (بطرس (٢) ١/٢١) .

ويشرح (فندر) اعتقاد النصارى في الوحي فيقول " واعتقادنا : أن الأنبياء والحواريين وإن كانوا قابلي السهو والنسيان في جميع الأمور لكنهم معصومون في التبليغ والتحرير ، إن ظهر لأحد في موضع من المواضع في تحريرهم اختلاف أو محال عقلي ، فذلك دليل نقصان علمه وفهمه " .[1]

ويعتبر النصارى بعض كتاب العهد الجديد رسلاً أرسلهم الإله المسيح للدعوة ، وأعطاهم سلطانه ، وهم(متى ويوحنا وبطرس ويعقوب ويهوذا) (انظر متى ١٠/١ - ٤٢) وتسميهم الكنائس النصرانية " رسلاً " تبعاً لتسمية السفر الذي يتحدث عن أعمالهم بأعمال الرسل (انظر أعمال ٢٥/١ - ٢٦) ، وكذلك دعي بولس رسولاً بعد أن زعم بأن المسيح أرسله ، فقال بولس : " رسول لامن الناس ولا بإنسان ، بل بيسوع المسيح ، والله الآب الذي أقامه من الأموات " (غلاطية ١/١) .

ويتلخص الرأي النصراني باعتبار الأناجيل والرسائل كلمة الله التي ألهمها لبعض تلاميذ المسيح وتلاميذهم ، فكانت هذه الكتابات مقدسة بهذا الاعتبار .

وأما المسلمون فإنهم يؤمنون بالإنجيل الذي أنزله الله على المسيح والذي ذكره الله في القرآن مراراً ، ولا يؤمنون بقدسية هذه الكتابات ، ولا يرونها أهلاً لأن تنسب لله ووحيه وإن حوت في طياتها بعض أقوال المسيح وشيئاً في سيرته وهديه .

وخلال دراسات مطولة ، عمل علماؤنا على إثبات ما يعتقدونه في هذه الأناجيل وهذه الأسفار ، وتمحورت دراساتهم حول محورين :

الأول : تاريخ العهد الجديد وتدوينه ، وهو المبحث الأول .

الثاني : نقد متن العهد الجديد ، وهو المبحث الثاني .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٥٤ ، المناظرة الحديثة،أحمد ديدات،ص ١٤ - ١٥ ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٣٩/١ - ٤٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣١٢ .

المبحث الأول : تاريخ العهد الجديد وتدوينه :

لإثبات براءة الوحي من الأناجيل والرسائل التي ينسبها النصارى له درس علماؤنا تـــــاريخ ظـــهور الأناجيل وظروف كتابتها . نعرض لثمرة دراستهم في مطالب أربعة :

المطلب الأول : إبطال دعوى الإلهام لكتبة العهد الجديد .

المطلب الثاني : إبطال نسبة الرسائل والأناجيل للحواريين .

المطلب الثالث : مصادر الأناجيل .

المطلب الرابع : قانونية العهد الجديد .

المطلب الأول : إبطال دعوى الإلهام لكتبة العهد الجديد .

بداية لا يسلم المسلمون بأن أحداً من الحواريين كان رسولاً ، ولا يؤمنون بالشهادات التي جعلت النصارى يقولون بنبوتهم ، كما لا يؤمنون بغشيان روح القدس لهم بعد خمسين يوماً من صعود المسيح " وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا " (أعمال ٤/٢) ، كما لا يؤمن المسلمون بالمعجزات التي تنسبها إليهم تلك الأسفار .

وينبه محمد أبو زهرة إلى أن بولس ولوقا ليسا من أولئك الذين تزعم النصارى حلول الروح القدس فيهم .

ثم تفحص المسلمون هذه الشهادات فوجدوها ناطقة بأن هؤلاء التلاميذ لم يكونوا رسلاً بالمعنى الاصطلاحي للكلمة إذ هم بشر كسائر البشر لا يتميزون سوى برفقتهم للمسيح ، وأنه طلبهم أن يبلغوا دعوته بعده .

وتمتلئ الأناجيل والأسفار بالدلائل التي تكذب القول بإلهامية هؤلاء الذين ينبغي أن تعرض نبوتهم على الميزان المنسوب إليهم ، فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى " فلا تؤمنوا أيها الأحباء بكل روح من الأرواح ، بل امتحنوا الأرواح حتى تعلموا هل هي من عند الله أم لا ؟ لأن كثيرين من الأنبياء الكذبة برزوا إلى هذا العالم " (يوحنا (١) ١/٤) .

ثم كيف للنصارى أن يعتبروا بولس أو غيره من التلاميذ رسلاً ، وفيهم الخائن يهوذا الذي عد من الإثني عشر الذين أرسلهم المسيح ؟ فمثل هذه الخيانة لا تصدر عن الرسل ، كما لا يصدر عنهم ما فعله بطرس عندما تخلى عن المسيح وأنكره في ليلة من أصعب الليالي ثلاث مرات (انظر لوقا ٣٤/٢٢) ولوقا يقول على لسان المسيح " من أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله " (لوقا ٩/١٢) فكيف ينكره الملهم الرسول الممتلئ من الروح القدس الذي سماه المسيح شيطاناً ؟ (انظر متى ٢٣/١٦).

ويرى رحمة الله الهندي أن القسيس فندر والنصارى لا يصح قولهم بعصمة الأنبياء عن الخطأ في التبليغ فضلاً عن الحواريين ويستدل لذلك بما نسبه سفر الملوك لأحد الأنبياء من الكذب بالبلاغ (انظر ملوك (١) ١١/١٣ - ٢٩) .

فهل كان اعتبارهم أنبياء لمجرد أن قاموا ببعض المعجزات التي لم تقترن بدعوى النبوة منهم وهم يزعمون أن المسيح قال " سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ، ويُعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يُضلوا - لو أمكن - المختارين أيضاً . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم " (متى ٢٤/٢٤ - ٢٥) ، كما أن لوقا لم يثبت له أن له معجزة ، وكذلك مرقس .

وأول ملاحظة يسجلها علماؤنا : أن أحداً من كتاب العهد الجديد - سوى بولس - لم يدع لنفسه الإلهام ، بل سجلت كتاباتهم أن هذا العمل جهد بشري خالص لم يقصد كاتبوه أن يسجلوا من خلاله كتباً مقدسة .

فها هو لوقا في مقدمة إنجيله يقول " إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا

، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً – إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق – أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به " (لوقا ١/١-٤) .

فيفهم من هذه المقدمة أمور منها : أن إنجيله خطاب شخصي ، وأنه دوّنه بدافع شخصي ، وأن له مراجع نقل عنها بتدقيق ، وأن كثيرين كتبوا غيره ، و لم يذكر لوقا شيئاً عن إلهام إلهي أو وحي من روح القدس .[1]

لو تتبعنا هذا الإنجيل وغيره لما وجدنا ما يشعر بأنه صادر من ملهم يكتب وحياً ، فمثلاً يقول لوقا : " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو – على ما كان يظن – ابن يوسف .. " (لوقا ٣/٢٣) فلفظه " نحو " "يظن" لاتصدر عن ملهم جازم بما يقول وقد أزعجت هاتان العبارتان علماء الكنيسة ، فحذفوهما من طبعة الكتاب المقدس المنقحة (R. S V) .

ومثله في خاتمة يوحنا يقول : " وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله (يوحنا ٢٠/٣٠ – ٣١) ، وقد كتبه بطلب من أساقفة آسيا لا الروح القدس ويقول : " هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا ، وكتب هذا ، ونعلم أن شهادته حق " فلم يذكر شيئاً عن إلهام هذا الإنجيل ، ثم قال بعدها ما أثبت صفة البشرية لكلامه " وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة " (يوحنا ٢١/٢٤ – ٢٥) ، فمثل هذه المبالغة لايغيب أنها صنع بشري لعادة البشر في ذلك.[2]

ثم إن في رسائل بولس خصوصاً والحواريين عموماً عشرات المواضع التي تشهد لهذه الرسائل بأنها شخصية لاعلاقة للوحي بها ، ومن ذلك : " يسلم عليك أولاد أختك " (يوحنا (٢) ١٣) " غايس الحبيب الذي أحبه بالحق. أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً ... سلام لك ، يسلم عليك الأحباء ، سلم على الأحباء بأسمائهم (يوحنا (٣) ١-١٤) .

وفي رسائل بولس مثل ذلك ، ومنه : " تسلم عليكم كنائس آسيا ، يسلم عليكم ... أكيلا وبريسكلا .. يسلم عليكم الإخوة أجمعون ، سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة "(كورنثوس (١) ١٦/١٩ – ٢٠) " الرداء الذي تركته في تراوس عند كابرس أحضره متى جئت ، والكتب أيضاً لاسيما الرقوق .... سلم على ريسكا وأكيلا وبيت أنيسيفورس . اراستس بقي في كورنثوس ، وأما تروفيمس

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١/٣٩ – ٤٢ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٨٧-٨٨ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٣٤ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٣٢ – ٣٤ ، محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ١٠٠ ، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٨ -٤٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٥٢ ، ٧٥ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٢/٣٦٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥٦٠ ، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٨ – ٥٠ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٢٧ – ٢٨ .

فتركته في ميليتس مريضاً . بادر أن تجيء قبل الشتاء ..... (تيموثاوس (٢) ١٣/٤ - ٢١)، وأمثال هذا كثير يطول ذكره (انظر رومية ١/١٦ - ٢١ ، فيلبي ٢٦/٢ ، ٢١/٤ - ٢٢ ، كورنثوس (١) ١/١ - ٣ ، ٢٠/١٦ ،فيلمون ٢١/١ - ٢٢)[١] .....

ثم إن بعض الرسائل لم يؤلفها بولس وحده ، ومنها رسالته إلى أهل تسالونيكي " رسالة من بولس وسلوانس وتيموثاوس " (تسالونيكي (٢) ١/١) وغيرها فهل هؤلاء جميعاً نزل عليهم الإلهام ؟ .[٢]

وعلاوة على هذا كله فإن في الرسائل فقرات تشهد لصاحبها بأنه يتحدث ببشرية تامة ، وأن الوحي لاعلاقة له بما يكتب ، فالوحي لايظهر بمثل تلك الصور من الضعف البشري ، كما لايخلو عن صفة الإلزام والفوقية التي نجدها في الوحي عادة .

ومن ذلك قول بولس : " أقول لهم أنا لا الرب " (كورنثوس (١) ١٢/٧) .

ثم يقول " حسب رأيي " (كورنثوس (١) ٤٠/٧) ويقول : " ليس عندي أمر من الرب فيهن " (كورنثوس (١) ٢٥/٧) ، ويقول بولس أيضاً وهو ينفي عن كلامه صفة القداسة " الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب، بل كأنه في غباوة في جسارة الافتخار هذه " (كورنثوس (٢) ١٦/١١ - ١٧) " لست أقول على سبيل الأمر، بل باجتهاد ... أعطي رأياً في هذا أيضاً " (كورنثوس (٢) ٨/٨ - ١٠). " ليتكم تحتملون غباوتي قليلاً " (كورنثوس (٢) ١/١١) ويقول : " لقد اجترأت كثيراً فيما قلت أيها الإخوة" (رومية ١٥/١٥) .[٣]

بينما نقرأ في كتب الأنبياء الكثير من الإلزام والحزم ، وهو ما يليق بالوحي ومن أمثلته ما جاء في حزقيال : "هكذا قال السيد الرب" (حزقيال ٥/٧)ومثله : "يقول السيد رب الجنود "(إشعيا ٢٤/١٠). وقد أنكرت بعض فرق النصارى وبعض مقدميهم وغيرهم من المحققين إلهامية الأناجيل والرسائل .

يقول اسبينوزا " إن طرق حديث الحواريين وأسلوبهم في المناقشة كما هو واضح في الرسائل يدل بوضوح تام على أن هذه الكتابات لم تصدر عن وحي وبتفويض إلهي ، بل هي مجرد أحكام شخصية وطبيعية لمؤلفيها ، ولا تتضمن إلا نصائح أخوية مقترنة بتعبيرات مجاملة مهذبة ، وهذا مناقض تماماً للطريقة التي يعبر بها النبي عن سلطته .." ويقول مؤلفو الترجمة المسكونية " جمع المبشرون ، وحرروا، كل حسب وجهة نظره الخاصة ما أعطاهم إياه التراث الشفهي " فليس ثمة إلهام إذن.

ومما أنكر إلهامه : إنجيل يوحنا ، فقد أنكره استائدلن وبرطشنيدر من محققي النصارى ، كما أنكر

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٣٦٣/٢ ، دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٦٩ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٠٨ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ١٢٥/٢ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٦٠ ، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٦١ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٤٩ .

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٣٦٤/٢ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ،ص ٣٧٤ - ٣٧٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٢١٠ - ٢١٢ .

المحقق كروتيس الباب الأخير منه ، وأنكر برطشنيدر ومن قبله فرقة ألوجين إلهامية جميع ما نسب ليوحنا .

ويقول لوثر عن رسالة يعقوب " إنها كلاء " .. هذه الرسالة وإن كانت ليعقوب .. إن الحواري ليس له أن يعين حكماً شرعياً من جانب نفسه ، لأن هذا المنصب كان لعيسى عليه السلام فقط " فقول لوثر هذا يفهم منه عدم اعتباره ليعقوب الحواري ملهماً ، ونقل العلامة ريس في دائرة معارفه اختلاف النصارى في إلهامية هذه الكتب ، وذكر بأن الحواريين ما كان بعضهم يرى بعضاً صاحب وحي كما يظهر في مباحثتهم في محفل أورشليم ، ومن إلزام بولس لبطرس ، وذكر بأن هذا ما كان يعتقده بعض قدماء المسيحيين .

ثم يقول ريس : " والكتب التي كتبها تلاميذ الحواريين - مثل إنجيل مرقس ولوقا وكتاب الأعمال - توقف ميكايلس في كونها إلهامية " ونقل رحمة الله الهندي عن كتاب " الأغلاط " لوارد الكاثوليكي أقوال تسعة من العلماء المعتبرين عند النصارى البروتستانت ، كلهم ينكر إلهامية العهد الجديد .[1]

والحواريون أنفسهم لم يكونوا يرون في أنفسهم ملهمين ، بدليل أن أحداً منهم - غير بولس - لم يصف نفسه بأنه رسول ، أو أنه ملهم .

ويقول" حبيب سعيد" عن بولس في كتابه " سيرة رسول الجهاد " :" لم يدر بخلده عند كتابتها - أو على الأصح عند إملائها - أنه يسطر ألفاظاً ستبقى ذخراً ثميناً تعتز به الأجيال القادمة " .

وإذا كان الحواريون والتلاميذ غير عارفين بإلهامية ذواتهم وبعضهم ، فكيف عرف النصارى ما جهله أصحاب الشأن ؟ لا دليل في الأناجيل على إلهامية أحد منهم .

فإن قال أحد من النصارى بأن سكوتهم عن ذكر إلهاميتهم جاء لتواضعهم ، فهذا يرده السعدي : " إذ ليس من التواضع إخفاء حقيقة دينية يتوقف عليها موقف العالم من الكتاب المقدس ، بل إن هذا الصمت عن التصريح بالإلهام هو نوع من تضليل البشر " .

وأما المنسوب لبطرس في رسالته الثانية (٢١/١) فلا يصلح في الدلالة على إلهام الإنجليين ، إذ أن بطرس مات قبل أن يدون مرقس - ثم بقية الإنجيليين - كتاباتهم .

وفي الفاتيكان شكل البابا (جون) لجنة لدراسة الإنجيل برئاسة العلامة (هانز كومب) ، وبعد دراسة متأنية ، قررت اللجنة:" أن الإنجيل كلام بشر ، وأنه لايوجد دليل على أن الإنجيل ينحدر مباشرة عن الله " .[2]

ويرى علماؤنا أن النصارى - كما يلزمهم إثبات إلهامية كتبة الرسائل - يلزمهم القول بإلهامية

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٣٥٦/٢ - ٣٧٩ ، محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ١٠٠ - ١٠٢ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٣٠ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ، الإنجيل ،محمد شلبي شتيوي،ص ٤١ - ٤٢ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ،ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ، مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٢٧ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٢٧ - ٢٩ .

مترجم متى أو إحضار أصله أو رده ، إذ لايمكن مع غياب الأصل اعتبار المترجَم إلهامياً ووحياً .[1]

وأخيراً ، فإن ثمة أمور تكثر في أناجيل ورسائل العهد الجديد ، وكلها تؤكد أن هذا الكتاب بشري الكتابة، عري عن الإلهام ، ومن ذلك ما فيه من الأغلاط والتناقض وما يظهر عند دراسته المتعمقة من رؤية لمصادر الكُتاب الإنجيليين في كتابته لما سمته النصارى إلهاماً ووحياً إلهياً . وقد أفردنا – لطول هذه المسائل – لكل منها مطلباً مستقلاً كما سيأتي إن شاء الله .

ومما يردّ دعوى الإلهام : ما سجله علماؤنا من ذهول بعض الإنجيليين عن ذكر أحداث هامة رغم اجتماعهم على ذكر أحداث لاقيمة لها ، ومن ذلك أن الإنجيليين أجمعوا على ذكر حادثة ركوب المسيح على الجحش وهو يدخل أورشليم ، لكن صعود المسيح للسماء لم يذكره التلميذان متى ويوحنا اللذان حضرا المسيح وهو يصعد للسماء ، بينما ذكر ذلك لوقا ومرقس الغائبان يومذاك ، أو بالأحرى إن أحداً من الإنجيليين لم يلهم كتابة خبر الصعود ، لأن خبر الصعود قد أضيف فيما بعد،كما اعترفت بذلك لجنة تنقيح الكتاب المقدس التي أصدرت النسخة (R.S.V) .

ومثله أيضاً لم يسجل التلميذان متى ويوحنا المعجزة التي منحها المسيح لتلاميذه ، وسجلها الغائب مرقس (انظر مرقس ١٦ / ١٦ – ١٨) .[2]

ويعجب علماؤنا لانفراد أحد الأناجيل بذكر أحداث ونصوص مهمة لايصح أن يغفل عنها الآخرون – لو كانت صحيحة ، كما لايمكن للوحي أن يغفل عن إلهام الآخرين بمثل هذه الأمور ، ومن ذلك معجزة تحويل الماء إلى خمر (انظر يوحنا ٢/١ – ١١) ومعجزة إحياء لعاذر أمام الجموع الكثيرة التي آمنت به بعد ذلك (انظر يوحنا ١١/١ – ٤٦) ، وكذا ينفرد يوحنا بذكر قدرة التلاميذ على مغفرة الذنوب (انظر يوحنا ٢٠ / ٢٣) ثم لايذكر شيئاً عن العشاء الأخير على أهميته وشهوده له .

وينفرد متى بذكر نص التثليث الوحيد في الأناجيل (انظر متى ١٩/٢٨) ، كما انفرد بذكر زيارة المجوس للمسيح (انظر متى ٢/١ – ١٢) وسفر المسيح وأمه لمصر (انظر متى ١٤/٢) ، وكل هذا مما ينقض دعوى الإلهام إذ لايليق بالملهِم أن يغفل عن إلهام التلاميذ هذه الأمور الهامة .[3]

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٣٧٦/٢ ، محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ١٠١ ، الإنجيل ،محمد شلبي شتيوي،ص ٤٠ .

(٢) انظر :هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات،ص ٢٦ – ٢٩، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي، ص٩ – ٩٢.

(٣) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٨٩ ، مقدمة السقا للمناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ،ص٢٦ .

المطلب الثاني : إبطال نسبة الأناجيل والرسائل للحواريين :

تعود أسفار العهد الجديد السبعة والعشرون إلى ثمانية مؤلفين تفاوتت مقادير كتاباتهم ، ففي حين لم تزد رسالة يهوذا عن صفحتين فإن لبولس ما يربو على المائة صفحة .

وأيضاً يتفاوت قرب هؤلاء من المسيح ، ففي حين أن يهوذا وبطرس ويوحنا من تلاميذه الاثنى عشر ، فإن لوقا ومرقس لم يلقيا المسيح ، فيما لم يتنصر بولس إلا بعد رفع المسيح .

والنصارى يعتبرون هؤلاء المؤلفين الثمانية بشراً ملهمين كتبوا ما أملاه عليهم روح القدس وفق أسلوبهم ، وقد ثبت لدينا عدم إلهامية كتبة العهد الجديد فيما سبق .

ولكن هل تصح نسبة الكتب إلى هؤلاء الثمانية ؟ أم أن النسبة هي أيضاً محرفة ؟ وهل من الممكن أن يصدر هذا الكلام – الذي في العهد الجديد – من حواريي المسيح الذين رباهم طوال سني رسالته ، وذكرهم القرآن بالثناء الحسن ؟

إن هذا كله جعل علماءنا يرون أن هذه الأسفار لايمكن أن تصدر عن تلاميذ المسيح المؤمنين ، فاهتموا لذلك بدراسة وتوثيق نسبة هذه الأسفار إليهم .

أولاً : إنجيل متى

وهو أول إنجيل يطالعك وأنت تقرأ في الكتاب المقدس ، ويتكون هذا الإنجيل من ثمانية وعشرين إصحاحاً تحكي عن حياة المسيح ومواعظه من الميلاد وحتى الصعود إلى السماء .

وتنسبه الكنيسة للحواري متى أحد التلاميذ الإثنى عشر الذين اصطفاهم المسيح ، وتزعم أن هذا الكتاب قد ألهمه من الروح القدس .

فمن هو متى ؟ وما صلته بالإنجيل المنسوب إليه ؟ وهل يحوي هذا الإنجيل كلمة الله ووحيه ؟

في الإجابة عن هذه الأسئلة تناقل علماؤنا ماذكره علماء النصارى في ترجمة متى ، فهو أحد التلاميذ الاثنى عشر، وكان يعمل عشاراً في كفر ناحوم ، وقد تبع المسيح بعد ذلك ، وتذكر المصادر التاريخية أنه رحل إلى الحبشة ، وقتل فيها عام ٧٠ م ، ولم يذكر في العهد الجديد سوى مرتين كلها في إنجيله ، أما المرة الأولى فعندما نادى عليه المسيح ، وهو في مكان عمله في الجباية (انظر متى ٣/١٠، ولوقا ١٥/٦) . والثانية في سياق تعداده لأسماء التلاميذ الاثني عشر.(انظر متى ٣/١٠)

وأما في بقية الأناجيل فقد ذكر مرقس أن العشار هو لاوي بن حلفي (انظر مرقس ١٥/٢ ، ولوقا ٢٧/٥) ولم يذكرا متى .

وتزعم الكنيسة أن متى العشار هو لاوي بن حلفي .وتؤكد الكنيسة بأن متى هو كاتب الإنجيل ، وتستند لأمور ذكرها محررو الكتاب المقدس ، أهمها : " الشواهد والبينات الواضحة من نهج الكتابة بأن المؤلف يهودي متنصر " وأيضاً " لايعقل أن إنجيلاً خطيراً كهذا – هو في مقدمة الأناجيل – ينسب إلى شخص مجهول ، وبالأحرى أن ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح " وأيضاً " يذكر بابياس " في القرن الثاني

الميلادي أن متى قد جمع أقوال المسيح " وأخيراً " من المسلم به أن الجابي عادة يحتفظ بالسجلات ، لأن هنا من أهم واجباته لتقديم الحسابات ، وكذلك فإن هذا الإنجيلي قد احتفظ بأقوال المسيح بكل دقة " .[1]

وترجح المصادر أن متى كتب إنجيليه لأهل فلسطين ، أي لليهود المتنصرين ، وتختلف المصادر اختلافاً كبيراً في تحديد تاريخ كتابته ، لكنها تكاد تجمع على أنه كتب بين ٣٧ - ٦٤ م .

وأما لغة كتابة هذا الإنجيل فيكاد يُجمع المحققون على أنها العبرانية ، وذكر رحمة الله الهندي أسماء ثلاثين من هؤلاء المحققين والمفسرين ، وقال آخرون بأنها السريانية أو اليونانية .

ولعل أهم هذه االشهادات شهادة أسقف هرابوليس الأسقف بابياس ١٥٥م حين قال : " قد كتب متى الأقوال بالعبرانية ، ثم ترجمها كل واحد إلى اليونانية حسب استطاعته " كما يقول ايريناوس أسقف ليون ٢٠٠م بأن متى وضع إنجيلاً لعبرانيين كتب بلغتهم .

ولما كانت جميع مخطوطات الإنجيل الموجودة يونانية فقد تساءل المحققون عن مترجم الأصل العبراني إلى اليونانية ، في ذلك أقوال كثيرة لا دليل عليها البتة ، فقيل بأن مترجمه متى نفسه ، وقيل : بل يوحنا الإنجيلي . والصحيح ما قاله القديس جيروم (٤٢٠م)" أن الذي ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف"، بل لعل مترجمه أكثر من واحد كما قال بابياس .

ويذكر المؤرخ (أوسيبوس) أنه لما ذهب بانتيوس للتبشير بالهند وجد إنجيلاً لمتى مكتوباً بالعبرانية ، فجاء به إلى الإسكندرية ، ثم فقد ، وبعدها ظهرت الترجمة ، وقد قال نورتن الملقب " بحامي الإنجيل " عن عمل هذا المترجم المجهول : " إن مترجم متى كان حاطب ليل ، ما كان يميز بين الرطب واليابس . فما في المتن من الصحيح والغلط ترجمه " . [2]

ملاحظات على إنجيل متى :

ومن خلال ما سبق رأى علماؤنا أن لادليل عند النصارى على صحة نسبة الإنجيل لمتى ، بل إن الأدلة قامت بخلافه .إذ في الإنجيل أموراً كثيرة تدل على أن كاتبه ليس متى الحواري ، ومن هذه الأدلة :

- أن متى اعتمد في إنجيله على إنجيل مرقس ، فقد نقل من مرقس ٦٠٠ فقرة من فقرات مرقس الستمائة والاثني عشر ، كما اعتمد على وثيقة أخرى تسمى M يقول ج ب فيلبس في مقدمته لإنجيل متى : " إن القديس متى كان يقتبس من إنجيل القديس مرقس ، وكان ينقحه محاولاً الوصول إلى تصور أحسن وأفضل لله " ، ويضيف القس فهيم عزيز أن اعتماد متى على مرقس حقيقة معروفة لدى جميع الدارسين ، فإذا كان متى هو كاتب الإنجيل فكيف ينقل عن مرقس الذي كان عمره عشر سنوات أيام دعوة المسيح ؟ كيف لأحد التلاميذ الإثنى عشر أن ينقل عنه ؟ ثم عند المقارنة بين أسلوبي مرقس ومتى يتبين أن مادة مرقس

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ٨٣٢ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٥٢٣/٢ - ٥٣٣ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٦ - ٣٨ ، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ١٤١ - ١٤٢ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٥ - ١٧ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٤٤ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٢٤ - ١٣٠ .

خرجت من شاهد عيان ، وأما مادة متى فهي مادة منقولة جرى لها بعض التلميع والتصحيح، وأسلوبه أسلوب الشخص الذي جلس يفكر ويصلح، لا الذي شاهد وكتب .[1]

– ثم إن إنجيل متى قد ذكر متى العشار مرتين ، و لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنه الكاتب ، فقد ذكره بين التلاميذ الإثنى عشر ، و لم يجعله أولاً ولا آخراً ، ثم لما تحدث عن اتباعه للمسيح قال : " وفيما يسوع مجتاز هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى فقال له : اتبعني فقام وتبعه " (متى ٩/٩) . فاستخدم أسلوب الغائب ، ولو كان هو الكاتب لقال : " قال لي " ، " تبعته " " رآني " فدل ذلك على أنه ليس الكاتب ، وهنا يجدر التنبيه على أمر هام ، وهو أن مرقس ذكر القصة ذاتها ، وسمى عامل الضرائب لاوي بن حلفي (انظر مرقس ١٥/٢) فهل لاوي بن حلفي هو نفسه متى ؟ هل هذا هو الاسم التنصيري للاوي كما تزعم الكنيسة؟ يقول جون فنتون مفسر متى وعميد كلية اللاهوت بلينشفيلد بأنه لايوجد دليل على أن متى هو اسم التنصير للاوي ، ويرى أنه من المحتمل " أنه كانت هناك بعض الصلات بين متى التلميذ والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل ، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة أو معلمها الذي كان اسمه متى ، ويحتمل أن المبشر كاتب الإنجيل قد اغتنم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الإثنى عشر (متى) الذي وقره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها " .[2]

– ثم إن التمعن في الإنجيل يبين مدى الثقافة التوراتية الواسعة التي جعلت منه أكثر الإنجيلين اهتماماً بالنبوءات التوراتية عن المسيح ، وهذا لايتصور أن يصدر من عامل ضرائب ، ويضاف إلى ذلك قدرة كاتب الإنجيل الفائقة على التدريس وإفهام المستمعين ، وهذا لن يكون من كتابة متى العشار . يقول أ. تريكو في شرحه للعهد الجديد (١٩٦٠م): إن الاعتقاد بأن متى هو عشار في كفر ناحوم ناداه عيسى ليتعلم منه ، لم يعد مقبولاً ، خلافاً لما يزعمه آباء الكنيسة .[3]

وقد أنكر كثير من علماء المسيحية في القديم والحديث صحة نسبة الإنجيل لمتى يقول فاستس في القرن الرابع : " إن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه " ، وكذا يرى القديس وليمس . والأب ديدون في كتابه " حياة المسيح" .

ويقول ج ب فيلبس : " نسب التراث القديم هذه البشارة إلى الحواري متى ، ولكن معظم علماء

---

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٦٦ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٢١ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٥ – ١٦ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٢٦ –١٢٧ ، الإنجيل ،محمد شلبي شتيوي،ص ٤٧ .

(٢) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٧١ – ٧٢ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٤١ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٢٣ – ١٢٤ ، بين القرآن الكريم والعهدين(القديم والجديد)،ياسين الخطيب،ص ٤٤ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

(٣) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٨٠ – ٨٤ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٥ ، بين القرآن الكريم والعهدين(القديم والجديد)،ياسين الخطيب،ص ٤٦ .

اليوم يرفضون هذا الرأي " . ويقول د برونر : " إن هذا الإنجيل كله كاذب " .

ويقول البرفسور هارنج : إن أنجيل متى ليس من تأليف متى الحواري ، بل هو لمؤلف مجهول أخفى شخصيته لغرض ما .

وجاء في مقدمة إنجيل متى للكاثوليك : " أما المؤلف ، فالإنجيل لايذكر عنه شيئاً وتقاليد الكنيسة تنسبه إلى الرسول متى ، ولكن البحث في الإنجيل لا يثبت ذلك الرأي أو يبطله على وجه حاسم ".

ويقول القس فهيم عزيز عن كاتب متى المجهول " لانستطيع أن نعطيه اسماً ، وقد يكون متى الرسول ، وقد يكون غيره " .

ويقول المفسر لإنجيل متى جون فنتون في تفسيره عن كاتب متى : " إن ربط شخصيته كمؤلف بهذا التلميذ إنما هي بالتأكيد محض خيال " . (١)

وقد طعنت في صحة نسبة الإنجيل لمتى فرق مسيحية قديمة ، فقد كانت الفرقة الأبيونية ترى البابين الأولين لإنجيل متى إلحاقيين ، ومثلها فرقة يوني تيرين ، وهذا ما يميل إليه الأطير ، فيقول بأن البداية الحقيقية لهذا الإنجيل قوله : " في تلك الأيام جاء يوحنا المعمداني .... " (متى ١/٣) فتكون بداية الإنجيل قصة يوحنا المعمداني كما هو الحال في مرقس ويوحنا ، ويدل لذلك أيضاً أن قوله " في تلك الأيام " لايمكن عوده على ما في الإصحاحين السابقين إذ كان الحديث في آخر الإصحاح الثاني عن قتل هيرودس للأطفال بعد ولادة المسيح ، وهو زمن طفولة المسيح والمعمدان الذي يكبره بستة أشهر ، بينما الإصحاح الثالث يتحدث عن دعوة المعمداني – أي وهو شاب – ، وهذا يعني وجود سقط أو حذف قبل الإصحاح الثالث ، أو أنه البداية الحقيقية للإنجيل .(٢)

وإذا لم يكن متى هو كاتب الإنجيل المنسوب إليه ، فمن هو كاتب هذا الإنجيل ؟ وأين الإنجيل الذي كتبه متى كما جاء في شهادة بابياس في القرن الثاني الميلادي ؟

في الإجابة عن السؤال الأول نقل علماؤنا نتائج الدراسات الغربية التي أكدت أن هذا الإنجيل قد كتبه غير متى التلميذ ، ونسبه إليه منذ القرن الثاني ، ولربما يكون هذا الكاتب تلميذاً في مدرسة متى .

ويحاول كولمان وشراح الترجمة المسكونية تحديد بعض الملامح لهذا الكاتب ، فالكاتب – كما يظهر في إنجيله – مسيحي يهودي يربط بين التوراة وحياة المسيح ، وهو كما يصفه كولمان : يقطع الحبال التي تربطه باليهودية مع حرصه على الاستمرار في خط العهد القديم ، فهو كاتب يهودي يحترم الناموس ، ويعتبره علاء أبو بكر بذلك من البعيدين عن مدرسة بولس الذي لايحترم الناموس ، بينما يقول هذا الكاتب " فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس ، هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات "(متى ١٩/٥) .

ويرجح كولمان أيضاً أنه عاش في فلسطين ، ويرجح فنتون أنه " كتب في حوالي الفترة من ٨٥ –

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٥٣٨/٢ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٤١ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٤٣ – ٤٥ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢٧٢/٢ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٤٨ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٥٣٨/٢ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ، ص ٢٢٣ ، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ١٤٥ – ١٤٧ .

١٠٥م " ، وهو يقارب ما ذهب إليه البرفسور هارنج حين قال " إن انجيل متى ألف بين ٨٠ - ١٠٠م " .[١]

وفي الإجابة عن السؤال الثاني فإن بابياس ذكر أن متى كتب وجمع أقوال المسيح ، وما نراه في الإنجيل اليوم هو قصة كاملة عن المسيح وليس جمعاً لأقواله ، كما أن عدم صحة نسبة هذا الإنجيل له لاتمنع من وجود إنجيل آخر قد كتبه ، ولعل من المهم أن نذكر بأن في الأناجيل التي رفضتها الكنيسة إنجيلاً يسمى إنجيل متى ، فلعل بابياس عناه بقوله .

وهكذا رأى علماؤنا أن ثمة أموراً تمنع القول بأن هذا الإنجيل هو كلمة الله ووحيه ، فهو " مجهول الكاتب ، ومختلف في تاريخ كتابته ، ولغة الكتابة ، ومكانها ، وتحديد من كتب له هذا الإنجيل ، ثم شخصية المترجم وحاله من صلاح أو غيره وعلم بالدين ، واللغتين التي ترجم عنها ، والتي ترجم إليها ، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي .

ولئن تسامح الباحث في تاريخ التدوين وتاريخ الترجمة وملابساتها ، ليمنعنه العلم من الاسترسال في التسامح حتى لايرى أن السلسلة تكون كاملة إذا لم يعرف الأصل الذي ترجمه " .[٢]

---

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٨ - ١٢ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٣٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٢٠ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ٥٤ ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١٥١/١ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٥ ، الإنجيل ،محمد شلبي شتيوي،ص ٤٨ - ٥١ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٦٧ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٢٤ - ١٣٣ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٤١ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ، ص ١٦٤ - ١٦٨ .

ثانياً : إنجيل مرقس

ثاني الأناجيل التي تطالعنا في العهد الجديد ، وينسب لمرقس . فمن هو مرقس ؟وماذا عن كاتب هذا الإنجيل ؟ وهل تصح نسبته لمؤلفه ؟

يتكون إنجيل مرقس من ستة عشر إصحاحاً ، تحكي قصة المسيح من لدن تعميده على يد يوحنا المعمداني إلى قيامة المسيح بعد قتله على الصليب .

وهو أقصر الأناجيل – ويعتبره النقاد – كما يقول ولس – أصح إنجيل يتحدث عن حياة المسيح ، ويكاد يجمع النقاد على أنه أول الأناجيل تأليفاً ، وأن إنجيل متى قد نقل عنه . يقول العالم رويس الألماني : إنه كان الأصل الذي اقتبس منه إنجيلا متى ولوقا ، وهذا الإنجيل هو الوحيد بين الأناجيل المسمى بإنجيل المسيح ، إذ أول فقرة فيه " بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله " (مرقس ١/١) .

وتناقل علماؤنا ما رددته المصادر النصرانية في ترجمة مرقس ، والتي يجمعها ما جاء في قاموس الكتاب المقدس عنه ، فهو الملقب بمرقس ، واسمه يوحنا ، ويظن بأنه الشاب الذي تابع المسيح من بعد ليلة تسليمه وفرّ عرياناً (انظر مرقس ١٢/٥١ – ٥٢) وقد رافق مرقس برنابا وبولس في رحلتهما ، ثم فارقهما ، ثم عاد لمرافقة بولس .ويتفق المترجمون له على أنه كان مترجماً لبطرس الذي له علاقة بهذا الإنجيل .

ويذكر المؤرخ يوسيبوس أنه – أي مرقس – أول من نادى برسالة الإنجيل في الإسكندرية، وأنه قتل فيها .

قال بطرس قرماج في كتابه " مروج الأخبار في تراجم الأبرار " عن مرقس : "كان ينكر ألوهية المسيح " .[1]

وأما إنجيله فتزعم المصادر النصرانية أنه كتب في روما ، ولعله في الإسكندرية ، وأن كتابته تمت – على اختلاف في هذه المصادر – بين عام ٣٩ – ٧٥م ، وإن رجح أكثرها أن كتابته بين ٤٤ – ٧٥م معتمدين على شهادة المؤرخ ايرينايوس الذي قال : " إن مرقس كتب إنجيل بعد موت بطرس وبولس " . ويرى سبينوزا أن هذا الإنجيل كتب مرتين إحداهما قبل عام ١٨٠م والثانية بعده ، وأما لغة هذا الإنجيل ، فتكاد المصادر تتفق على أنها اليونانية ، وذكر أنها الرومانية أو اللاتينية .

وأقدم ذكر لهذا الإنجيل ورد على لسان المؤرخ بابياس (١٤٠م) حين قال : " إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس " .[2]

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ٨٥٣ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥١٩ ، محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ٥٥ – ٥٦ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٢٥ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٢ – ٥٦ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ١٥٣ – ١٥٤ .

(٢) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٢٦٥ – ٢٦٧ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ، عزية طه ، ص ١٥٩ – ١٦١ .

وتؤخذ على الإنجيل وكاتبه أمور . منها : ما ذكره الأب روغيه حين وصف مرقس بأنه كاتب غير ماهر، وأنه أسخف الإنجيليين ، وأنه لايعرف كيف يحرر حكاية .[1]

ولعل سبب القدح هو الصورة التي يقدمها مرقس عن المسيح والتي يجافي كثيراً ما يريده النصارى من ألوهية المسيح .

وأهم مسألة شغلت الباحثين بخصوص هذا الإنجيل خاتمته ، فإن خاتمة هذا الإنجيل (١٦/٩ - ٢٠) غير موجودة في المخطوطات القديمة المهمة كمخطوطة الفاتيكان والمخطوطة السينائية .

ويقول وليم باركلي : إن النهاية المشهورة - علاوة على عدم وجودها في النسخ الأصلية القديمة - فإن أسلوبها اللغوي يختلف عن بقية الإنجيل ، وقد اعتبرتها النسخة القياسية المراجعة فقرات غير موثوق فيها ، ونقل رحمة الله الهندي أن القديس(جيروم) في القرن الخامس ذكر بأن الآباء الأوائل كانوا يشكون في هذه الخاتمة .

وكانت المصادر القديمة قد أوردت خاتمتين مختلفتين بدلاً عن الخاتمة الحالية جاء في أولاهما : " لكنهم نقلوا باختصار إلى بطرس - وأولئك الذين كانوا معه - كل ما أخبروا به ، وبعد هذا فإن يسوع نفسه أصدر عن طريقهم من الشرق إلى الغرب الإعلان المقدس الخالد للخلاص الأبديٌ .

وذكر القديس (جيروم) في القرن الخامس عن إحدى النسخ الإغريقية في ذلك القرن أن فيها : " وعندما أجابوا قائلين : هذا الجيل المتمرد وغير المؤمن تحت إمرة الشيطان الذي يستخدم الأرواح الشريرة في منع قدرة الله الحقيقية من الإدراك ، ولهذا أظهر برك الآن .

لقد كانوا يتحدثون إلى المسيح الذي أجابهم قائلاً : إن نهاية سنوات نفوذ الشيطان قد انقضت " .

وعن الخاتمة الموجودة يقول الأب كسينجر " لابد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي (النشر للعامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته .

وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا ، تم توليف خاتمة محترمة لمرقس بالعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين .. وذلك يسمح بتكوين فكرة عن الحرية التي كانوا يعالجون بها الأناجيل " .ويعلق موريس بوكاي قائلاً " ياله من اعتراف صريح بوجود التغييرات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة .[2]

---

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٨٥ - ٨٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٥٩ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١٥٢/١ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٨٦ - ٨٧ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٦ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ، عزية طه ، ص ١٦١ ، بين القرآن الكريم والعهدين(القديم والجديد)،ياسين الخطيب،ص ٥٤ - ٥٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٠ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٨٤ - ٨٥ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ١٨ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ، ٣٧٩ .

ملاحظات على إنجيل مرقس

وقد توقف علماؤنا ملياً مع هذا الإنجيل وكاتبه ، وكانت لهم ملاحظات : -

- أن هذا الإنجيل لايوثق بنسبته لمرقس ، فإن مؤرخي النصرانية قد اختلفوا في نسبة الإنجيل على ثلاثة أقوال :

أ - أنه من تأليف مرقس كما قال (أرينيوس) .

ب- أنه من تأليف بطرس ، وأخذه عن مرقس ونسبه إليه كما قال (ابن البطريق) .

ج- أنه من عمل مرقس لكن بإشارة من بطرس كما قال صاحب كتاب" مرشد الطالبين ".

وتبعاً لذلك اختلف في تاريخ كتابة هذا الإنجيل ، ولغته ، والقوم الذين دون لهم ، ومكان الكتابة .[1]

- أن مرقس ليس من تلاميذ المسيح ، بل هو من تلاميذ بولس وبطرس .

وأما محاولة الكنيسة الربط بينه وبين الشاب العريان فهي محاولة يائسة لادليل على صحتها البتة ، فهي ترمي إلى القول بأن مرقس قد لقي المسيح ، وأنه من تلاميذه ، وهذا لايمكن ، بدليل قول المفسر نينهام مفسر لوقا : " لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة ، وعلاقة خاصة بيسوع ، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى " وبدليل قوي آخر هو شهادة المؤرخ بابياس (١٤٠م) حين قال : " اعتاد الشيخ يوحنا أن يقول : إذ أصبح مرقس ترجماناً لبطرس دون بكل تدقيق كل ما تذكره ، و لم يكن مع هذا بنفس الترتيب المضبوط ما رواه من أقوال وأفعال يسوع المسيح ، وذلك لأنه لم يسمع من السيد المسيح فضلاً عن أنه لم يرافقه ، ولكن بالتبعية كما قلت ، التحق ببطرس الذي أخذ يصوغ تعاليم يسوع المسيح لتوائم حاجة المستعمين ، وليس بعمل رواية وثيقة الصلة بيسوع وعن يسوع لأحاديثه " .

كما ينقل يحيى ربيع عن مفسر مرقس دنيس نينهام قوله " من غير المؤكد صحة القول المأثور الذي يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأنه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل (١٢/١٢ ، ٢٥) ... أو أنه مرقس المذكور في رسالة بطرس الأولى (١٣/٥) .. أو أنه مرقس المذكور في رسائل بولس ...

لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد ، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم ، ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية ، فعندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة " .

وعليه فإن علماءنا رأوا ما رآه الأستاذ كولمان حين لم يعتبر مرقس من تلاميذ المسيح ، بل اعتبره من تلاميذ بولس وبطرس ، وعليه فلا يمكن للنصارى اعتباره من رسل المسيح الذين حدثت لهم إلهامات الروح القدس ، إذ لايوجد دليل صحيح على ذلك .[2]

---

(١) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ١٥٣ - ١٥٥ ، بين القرآن الكريم والعهدين(القديم والجديد)،ياسين الخطيب،ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٥ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٥١ - ٥٢ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٨٤ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٤١ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٥٦ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ١٤٠ ، الأناجيل والرسائل بين انقطاع السند وتناقض المتن ، محمد الشرقاوي ، ص ٦٦ — ٦٧ ،

ثالثاً : إنجيل لوقا

وهو ثالث الأناجيل وأطولها ، ويتكون من أربعة وعشرين إصحاحاً يتحدث الإصحاحان الأولان عن النبي يحيى وولادة المسيح ، ثم تكمل بقية الإصحاحات سيرة المسيح إلى القيامة بعد الصلب .

وتنسب الكنيسة هذا الإنجيل إلى القديس لوقا ، ولاتذكر المصادر النصرانية الكثير عن ترجمته ، لكنها تتفق على أنه لم يكن من تلاميذ المسيح كما يتضح من مقدمته إذ يقول : " إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ،كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة "(لوقا ١/١) .

وتتفق المصادر أيضاً في أنه لم يكن يهودياً ، وأنه رفيق بولس المذكور في كولوسي ١٤/٤ وغيرها ، وأنه كتب إنجيله من أجل صديقه ثاوفيلس " أكتب على التوالي وإليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به " (لوقا ١/٣ - ٤) .

وتختلف المصادر في تحديد شخصية ثاوفيلس ، فقال بعضهم : كان من كبار الموظفين الرومان . وقال آخرون : من اليونان . وقال آخرون : بل كان مصرياً من أهل الإسكندرية . وتكاد تتفق المصادر على لوقا أنه كتب له باليونانية، وأما لوقا ، فقيل بأنه كان رومانياً . وقيل إنطاكياً ، وقيل غير ذلك . وعن مهنته ، قيل بأنه كان طبيباً ، وقيل مصوراً لكنه على أي حال مثقف وكاتب قصص ماهر .

وأما كتابة هذا الإنجيل فتختلف المصادر في تحديد زمنها بين ٥٣ - ٨٠ م ، وقد اعتمد الكاتب في مصادره على مرقس ، فنقل عنه ثلاثمائة وخمسين من فقراته التي بلغت ستمائة وإحدى وستين فقرة ، كما نقل عن متى أو عن مصدر أخر مشترك بينه وبين متى . [1]

ملاحظات على إنجيل لوقا

ويلحظ علماؤنا على إنجيل لوقا ملاحظات ، أهمها :

* أن مقدمته تتحدث عن رسالة طابعها شخصي ، وأنها تعتمد على اجتهاده لا على إلهام وحي ، وكان قد لاحظ ذلك أيضاً عدد من محققي النصرانية ، فقد أنكر إلهامية هذا الإنجيل عدد من النصارى منهم مستر كدل في كتابه " رسالة الإلهام " ومثله واتسن، ونسب هذا القول للقدماء من العلماء ، وقال القديس أغوسطينوس : " إني لم أكن أؤمن بالإنجيل لو لم تسلمني إياه الكنيسة المقدسة " . [2]

بين القرآن الكريم والعهدين(القديم والجديد)،ياسين الخطيب،ص ٥٠ — ٥٢ ، الإنجيل ،محمد شلبي شتيوي،ص ٥٢ - ٥٥ .

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ٨٢٢ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب ، ص ٦٤ - ٦٥ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٤٦ - ١٥٠ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي،ص ٨٧ - ٩٠ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٧٤ - ١٧٧، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥٣٥ - ٥٣٦ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٢٦١ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ، بين القرآن الكريم والعهدين(القديم والجديد)،ياسين الخطيب،ص ٥٨ - ٥٩ ، الأناجيل والرسائل بين انقطاع السند وتناقض المتن ، محمد الشرقاوي ، ص ٨٣ .

* شك كثير من الباحثين في الإصحاحين الأولين من هذا الإنجيل ، بل إن هذا الشك كما ذكر جيروم يمتد إلى الآباء الأوائل للكنيسة ، وكذلك فرقة مارسيوني فليس في نسختها هذين الإصحاحين .

ويؤكد الأطير بأن لوقا لم يكتب هذين الإصحاحين ، لأنه يقول في أعمال الرسل " الكلام الأول أنشأته ياثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع " (أعمال ١/١) أي معجزاته بدليل تكملة النص " ما ابتدأ يسوع يعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه " (أعمال ٢/١) والإصحاحان الأولان إنما يتكلمان عن ولادة المسيح ، لا عن أعماله ، ويرى الأطير أن أسلوب الإصحاحين لا يرقى الأسلوب اليوناني المثقف الذي كتب بقية الإنجيل.

ونقل وارد كاثلك عن جيروم قوله : بأن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون أيضاً في الباب الثاني والعشرين من هذا الإنجيل . (١)

وهكذا نرى للإنجيل أربعة من الكتاب تناوبوا في كتابة فقراته واصحاحاته .

* إن الغموض يلف شخصيته ، فهو غير معروف البلد ولا المهنة ولا الجهة التي كتب لها إنجيله تحديداً ، ولا تاريخ الكتابة و .... المعروف فقط أنه من تلاميذ بولس ، وأنه لم يلق المسيح ، فكيف يصح الاحتجاج بمن هذا حاله وجعل كلامه مقدساً ؟ (٢)

* الصبغة الشخصية للوقا تترك أثراً واضحاً في إنجيله ، ولو كان وحياً لما صح أن تظهر إفرازات لوقا الشخصية.

فلأصوله الوثينة دور في هذا الإنجيل الذي تظهر فيه اهتمامات بالأمميين لاتجدها عند غيره ، لاسيما متى - كما يظهر عدم مبالاته باليهود وممنوعاتهم ، فتحدث عن علاقة المسيح بالسامريين الذين يمنع اليهود من مخالطتهم ، ولما نسب المسيح : نسبه لآدم ، ولم يتوقف عند إبراهيم كما فعل متى الإسرائيلي .(٣)

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١٥٢/١ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ، ص ٢٤٤ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥٣٥ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ٤١ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ١٥٨ ، عقائد النصارى الموحدين ، حسني الأطير، ص ١٤٨ - ١٥٥ ، الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ، ص ٦٣ .

(٢) انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ٥٩ - ٦٠ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ١٥٩ ، الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ، ص ٦١ - ٦٦ ، بين القرآن الكريم والعهدين(القديم والجديد)،ياسين الخطيب،ص ٥٧ - ٥٨ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ ، الأناجيل والرسائل بين انقطاع السند وتناقض المتن ، محمد الشرقاوي ، ص ٨٤ - ٨٥ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٦٤ - ٦٥ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٨٢.

(٣) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ٨٨ - ٩٠ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٨٤ - ١٨٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٧٧ .

رابعاً : إنجيل يوحنا

وأما رابع الأناجيل فهو إنجيل يوحنا ، وهو أكثر الأناجيل إثارة وأهمية إذ أن هـذا الإنجيـل كتـب لإثبات لاهوت المسيح .

ويتكون هذا الإنجيل من واحد وعشرين إصحاحاً تتحدث عن المسيح بنمط مختلف عـن الأنـاجيل الثلاثة ، ويرى المحققون أن كتابته جرت بين ٦٨ - ٩٨م وقيل بعد ذلك ، وتنسب الكنيسة هـذا الإنجيـل (ليوحنا بن زبدي الصياد) ، وهو صياد سمك جليلي تبع وأخوه يعقوب المسيح ، كما أن والدتـه سـالومة كانت من القريبات إلى المسيح، ويرجح محررو القاموس بأنها أخت مريم والدة المسيح ، ويوحنا هو التلميـذ الحبيب الذي وردت الإشارة إليه من غير ذكر اسمه في إنجيل يوحنا ، وقد عاش حتى أواخر القرن الميـلادي الأول ، وقال ايرنيموس بأنه عاش إلى سنة ٩٨م ، وتذكر الكنيسة أنه كتب إنجيله في أفسس قبيـل وفاتـه ، وتستدل لذلك بأدلة ذكرها محررو قاموس الكتاب المقدس وهي : -

" (١) كان كاتب الإنجيل يهودياً فلسطينياً ، ويظهر هذا من معرفته الدقيقـة التفصيليـة لجغرافيـة فلسطين ، والأماكن المتعددة في أورشليم وتاريخ وعادات اليهود ... ويظهر من الأسلوب اليوناني للإنجيـل بعض التأثيرات السامية .

(٢) كان الكاتب واحداً من تلاميذ المسيح ، ويظهر هذا من استخدامه المتكلم الجمع .. وفي ذكـر كثير من التفاصيل الخاصة بعمل المسيح ومشاعر تلاميذه ... ويتضح من يوحنا (٢٤/٢١) أن كاتب هـذا الإنجيل كان واحداً من تلاميذ المسيح .

(٣) كان كاتب الإنجيل هو التلميذ الذي كان المسيح يحبه .. وكان هذا التلميذ هو يوحنا نفسه " .

ويتحدث مؤلف الإنجيل عن سبب تأليفه له فيقول " أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسـيح ابـن الله، ولكي تكون - إذا آمنتم - حياة باسمه " (يوحنا ٣١/٢٠) ".

ويوضح محررو قاموس الكتاب المقدس فيقولون " كان الداعي الآخر إلى كتابة الإنجيل الرابع تثبيـت الكنيسة الأولى في الإيمان بحقيقة لاهوت المسيح وناسوته ، ودحض البدع المضلة التي كان فسادها آنذاك قـد تسرب إلى الكنيسة ، كبدع الدوكينيين والغنوسيين والكيرنثيين والأبيونيين .

فقد زعم الدوكينيون والغنوسيون أن جسد المسيح لم يكن جسداً حقيقياً ، وأنكر الكيرنثيون لاهوتـه ، وادعى الأبيونيون أنه لم يكن كائناً قبل مريم أمه ، ولهذا كانت غايته إثبات لاهوت المسيح " .

ولغة هذا الإنجيل - باتفاق - هي اليونانية ، واختلف في مكان كتابته ، والأغلب أنه في تركيـا - وتحديداً في أفسس أو أنطاكيا - ، وقيل الإسكندرية .

وقد لقي هذا الإنجيل معارضة شديدة للإقرار بقانونيته ، فاندفع د. بوست يدافع عنه ويقول : " وقد أنكر بعض الكفار قانونية هذا الإنجيل لكراهتهم تعليمه الروحي ، ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح ، غير أن الشهادة بصحته كافية .

فإن بطرس يشير إلى آية منه (بطرس (٢) ١/١٤ ، يوحنا ١٨/٢١) وأغناطيوس وبوليكرس يقتطفان من روحه وفحواه ، وكذلك الرسالة إلى ديوكينتس وباسيلوس وجوستينوس الشهيد وتاياس ، وهذه الشواهد

يرجع بنا زمانها إلى منتصف القرن الثاني .

وبناءً على هذه الشهادات ، وعلى نفس كتابه الذي يوافق ما نعلمه من سيرة يوحنا نحكم بأنه من قلمه ، وإلا فكاتبه من المكر والغش على جانب عظيم ، وهذا الأمر يعسر تصديقه ، لأن الذي يقصد أن يغش العالم لايكون روحياً " . (١)

ملاحظات علمائنا على إنجيل يوحنا

وتوجهت جهود علمائنا لدراسة نسبة الإنجيل ليوحنا ، ومعرفة الكاتب الحقيقي له .فقد أنكر علماؤنا نسبة الإنجيل ليوحنا الحواري ، واستندوا في ذلك إلى أمور منها :

أن ثمة إنكار قديماً لصحة نسبته ليوحنا ، وقد جاء هذا الإنكار على لسان عدد من الفرق النصرانية القديمة ، منها فرقة ألوجين في القرن الثاني ، ويقول صاحب كتاب (رب المجد) :" وجد منكرو لاهوت المسيح أن بشارة يوحنا هي عقبة كؤود ، وحجر عثرة في سبيلهم ، ففي الأجيال الأولى رفض الهراطقة يوحنا ".

وتقول دائرة المعارف البريطانية " هناك شهادة إيجابية في حق أولئك الذين ينتقدون إنجيل يوحنا ، وهي أنه كانت هناك في آسيا الصغرى طائفة من المسيحيين ترفض الاعتراف بكونه تأليف يوحنا ، وذلك في نحو ١٦٥م ، وكانت تعزوه إلى سرنتهن .

ولا شك أن عزوها هذا كان خاطئاً ، لكن السؤال عن هذه الطبقة المسيحية البالغة في كثرة عددها إلى أن رآه سانت ابيفانيوس جديرة بالحديث الطويل عنها في (٣٧٤ - ٣٧٧م) " أسماها القس " ألوغي " (أي معارضة الإنجيل ذي الكلمة) .

لئن كانت أصلية إنجيل يوحنا فوق كل شبهة ، فهل كانت مثل هذه الطبقة لتتخذ نحوه أمثال هذه النظريات في مثل هذا العصر ، ومثل هذا البلد ؟ لا وكلا " .

ومما يؤكد خطأ نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا أن جاستن مارتر في منتصف القرن الثاني تحدث عن يوحنا، و لم يذكر أن له إنجيلاً ، واقتبس فيلمو - ١٦٥م - من إنجيل يوحنا ، و لم ينسبه إليه .

وقد أنكر نسبة الإنجيل أمام أرينيوس تلميذ بوليكارب الذي كان تلميذاً ليوحنا ، فلم ينكر أرينيوس على المنكرين ، ويبعد كل البعد أن يكون قد سمع من بوليكارب بوجود إنجيل ليوحنا ، ثم لايدافع عنه .

وقد استمر إنكار المحققين نسبة هذا الإنجيل عصوراً متلاحقة ، فجاءت الشهادات تلو الشهادات تنكر نسبته ليوحنا . منها ما جاء في دائرة المعارف الفرنسية : " ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وثلاثة أسفار أخرى من العهد الجديد ، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لاتسلم بصحة هذه النسبة .

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ١١٠ - ١١١١ ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ٦١ - ٦٣ .وقد أخطأ د. بوست حين ذكر أن بطرس نقل من يوحنا ، إذ تشابه الألفاظ لايعني النقل عن السابق ، ولو لزم ذلك فإن يوحنا هو الذي نقل عن بطرس الذي توفي سنة ٦٥م ، فيما كتب يوحنا إنجيله سنة ٩٥م ، ثم إن الإحالة التي قصدها د. بوست ليست في بطرس (٢) ١٤/١ ، بل في بطرس (١) ١٤/١ . انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ٦٢ - ٦٣ .

ويقول القس الهندي بركة الله : " الحق أن العلماء باتوا لايعترفون دونما بحث وتمحيص بالنظرية القائلة بأن مؤلف الإنجيل الرابع كان القديس يوحنا بن زبدى الرسول ، ونرى النقاد بصورة عامة على خلاف هذه النظرية " .[1]

وعند تفحص الإنجيل أيضاً تجد ما يمتنع معه نسبته الإنجيل للحواري يوحنا ، فالإنجيل يظهر بأسلوب غنوصي يتحدث عن نظرية الفيض المعروفة عند فيلون الإسكندراني ، ولا يمكن لصائد السمك يوحنا أن يكتبه خاصة أن يوحنا عامي كما وصفه سفر أعمال الرسل " فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا " (أعمال ١٣/٤) .

وتقول دائرة المعارف البريطانية : " أما إنجيل يوحنا ، فإنه لامرية ولا شك كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة حواريين لبعضهما ، وهما القديسان متى ويوحنا .... وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، وليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألّف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليلي ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى ، لخبطهم على غير هدى " .[2]

ثم توجد في هذا الإنجيل فقرات رأى المحققون أنها تدل على أن لصاحبها سلطة في مجتمع اليهود مثل ١٥/١٨ - ١٦، وهذا لايتحقق ليوحنا صائد السمك .

يقول القس الهندي بركة الله : " إن هذا الإنجيل لايمكن أن يكون من تأليف يوحنا الحواري ، لأن مواد هذا الكتاب تشهد بأن كاتبه من أهل السلطة في الكنيسة " .[3]

وأما ما جاء في خاتمة الإنجيل مما استدل به القائلون بأن يوحنا هو كاتب الإنجيل وهو قوله " هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا ، وكتب هذا ، ونعلم أن شهادته حق " (يوحنا ٢١ / ٢٤) . فهذه الفقرة كما يقول المحققون دليل على عدم صحة نسبة الإنجيل ليوحنا ، إذ هي تتحدث عن يوحنا بصيغة الغائب .
ويتساءل ديدات عن سبب إبهام يوحنا لاسمه في إنجيله بقوله :" التلميذ الذي يحبه " و" التلميذ الحبيب".

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١٥٥/١ - ١٥٦ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ ، محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ٦٠ - ٦١ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٤٨ - ١٥١ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٩٩، ١١٤ - ١١٥ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٥٤ - ١٦٠ ، بين القرآن الكريم والعهدين(القديم والجديد)،ياسين الخطيب،ص ٦٥ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ١٦٢ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥٦١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ٤١ - ٤٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٢٦ - ٣٢٩ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٢٦ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ، ص ١٨٢ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٨٧ - ٨٨ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٨٨ .

(٣) انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ١٤١ - ١٤٤ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٢٦ - ٣٢٩ .

لو كان هو الكاتب " هل هو خجول متواضع جداً ؟ لم يخجل عندما طلب من يسوع أن يجلسه وأخاه أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره في مملكته (انظر مرقس ١٠/٣٥ - ٣٨) .

ثم لايختص يوحنا بلقب " التلميذ الحبيب " ، فقد أطلق على التلميذ لعاذر أيضاً مرات عدة ، منها : " هو ذا الذي تحبه مريض " (يوحنا ١١/٢ - ٣) وأيضاً " لعاذر حبيبنا قد نام " (يوحنا ١١/١١) وغير هذين النصين .

وتشكك كثير من المحققين في أصلية العبارة التي في أجزاء الإنجيل منهم المفسر ويست كوت حين قال : " الذين يؤمنون بألوهية المسيح زادوا هذه الفقرات في إنجيل يوحنا ، لإقامة الحجة على منكريها " .

ويرى ويست أن هذه الفقرة كانت في الحاشية ، وأضيفت فيما بعد للمتن ، وربما تكون من كلمات شيوخ أفسس . ويؤيده بشب غور بدليل عدم وجودها في المخطوطة السينائية .

ويرى العلامة برنت هلمين استرتير في كتابه " الأناجيل الأربعة " أن الزيادات في متن يوحنا وآخره كان الغرض منها " حث الناس على الاعتراف في شأن المؤلف بتلك النظرية التي كان ينكرها بعض الناس في ذلك العصر" .[1]

ثم إن بعض المؤرخين ومنهم تشارلز الفريد ، وروبرت إيزلز وغيرهما قالوا بأن يوحنا مات مشنوقاً سنة ٤٤م على يد غرياس الأول ، وعليه فليس هو مؤلف هذا الإنجيل ، إذ أن هذا الإنجيل قد كتب في نهاية القرن الأول أو أوائل الثاني .[2]

وإذا لم يكن يوحنا هو كاتب الإنجيل ، فمن هو الكاتب الحقيقي ؟ يجيب القس فهيم عزيز : " هذا السؤال صعب ، والجواب عنه يتطلب دراسة واسعة غالباً ما تنتهي بالعبارة : لايعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل " .

وحاول البعض الإجابة عن السؤال من خلال تحديد صفات كاتب الإنجيل دون ذكر اسم معين يقول جرانت " كان نصرانياً ، وبجانب ذلك كان هيللينياً ، ومن المحتمل ألا يكون يهودياً ، ولكنه شرقي أو إغريقي ، ونلمس هذا من عدم وجود دموع في عينيه علامة على الحزن عندما كتب عن هدم مدينة لليهود " .

وجاء في مدخل الإنجيل أن بعض النقاد " يترك اسم المؤلف ، ويصفونه بأنه مسيحي كتب باليونانية في أواخر القرن الأول في كنائس آسيا " .

وقال مفسر إنجيل يوحنا جون مارش : " ومن المحتمل أنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي قام شخص يدعى يوحنا ، من الممكن أن يكون يوحنا مرقس خلافاً لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدى .. وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١/١٥٥ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥٦٢ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٥٥ ، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٥٠ - ١٥٢ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ٢١ - ٢٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٢٩ ، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ١١٦ ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص ٧٩ ، الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ، ص ٧٢ .

(٢) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٨ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ، ص ٨٥ .

من الأناجيل المتشابهة ، فقام حينئذ بتسجيل جديد لقصة يسوع " .

وقال المحقق رطشنبدر : " إن هذا الإنجيل كله ، وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه ، بل صنفها أحد في ابتداء القرن الثاني ، ونسبه إلى يوحنا ليعتبره الناس " . ويوافقه استادلن ويرى أن الكاتب " طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية " .

وقال الخوري في " تحفة الجيل " بأن كاتب الإنجيل هو تلميذ يوحنا المسمى بروكلوس الذي صعد مع يوحنا جيلاً عالياً فعرض لهما بروق ورعود كما عرض لموسى عند تلقي الشريعة ، ثم استحالت البروق والرعود إلى كلمات وأصوات مفهومة سجلها بروكلوس .

وقال بعض المحققين ومنهم جامس ماك كينون ، واستيريتر في كتابه " الأناجيل الأربعة " بأن يوحنا المقصود هو تلميذ آخر من تلاميذ المسيح وهو (يوحنا الأرشد) ، وأن أرينوس الذي نسب إنجيل يوحنا لابن زبدى قد اختلط عليه أمر التلميذين .

وينقل ممدوح جاد عن دائرة المعارف البريطانية قولها بأن بولس كتب على الأقل إنجيل يوحنا و الرسائل، للتشابه الكبير بين مواد الإنجيل وهذه الرسائل ، ويشكل على هذا أن في الإنجيل مواداً كتبت في أواخر القرن الأول ، وقد توفي بولس في أواسطه .

وذكر جورج إيلتون في كتابه " شهادة إنجيل يوحنا " أن كاتب هذا الإنجيل أحد ثلاثة : تلميذ ليوحنا الرسول أو يوحنا الشيخ (وليس الرسول) أو معلم كبير في أفسس مجهول الهوية .

لكن ذلك لم يفت في عضد إيلتون الذي ما زال يعتبر إنجيل يوحنا مقدساً ، لأنه " مهما كانت النظريات حول كاتب هذا الإنجيل فإن ما يتضح لنا جلياً بأن كاتبه كان لديه فكرة الرسول ، فإذا كتبه أحد تلاميذه فإنه بلا مراء كان مشبعاً بروحه .. " .

كما ذهب بعض المحققين إلى وجود أكثر من كاتب للإنجيل ، منهم كولمان حين قال : " إن كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمي إلى أكثر من مؤلف واحد ، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم قد نشر بواسطة تلاميذ المؤلف ، وأنهم قد أضافوا إليه "،ومثله يقول المدخل لإنجيل يوحنا .[1]

ومن هذا كله ثبت أن إنجيل يوحنا لم يكتبه يوحنا الحواري ، ولا يعرف كاتبه الحقيقي ، ولا يصح بحال أن ننسب العصمة والقداسة لكاتب مجهول لانعرف من يكون .

وعند غض الطرف عن مجهولية الكاتب واستحالة القول بعصمته عندئذ ، فإن ثمة مشكلات تثار في

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١/١٥٥ - ١٥٧ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥٦٠ - ٥٦٢ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٦٩ - ٧٠ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢/٢٧ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٤٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٠٠ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ، ص ١٧٧ - ١٨٢ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص ١٥٤ - ١٦٠ ، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٤١ - ١٤٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٨٦ - ٨٧ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ،موريس بوكاي،ص ٩٠ - ٩١ دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ،ص ٣٤١، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص ٣٩ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ١٦٠ - ١٦٢ .

وجه هذا الإنجيل نبه علماؤنا إليها منها : اختلاف هذا الإنجيل عن باقي الأناجيل الثلاثة رغم أن موضوع الأناجيل الأربعة هو تاريخ المسيح .

إذ تتشابه قصة المسيح في الأناجيل الثلاثة ، بينما يظهر الإنجيل الرابع غريباً بينها ، فمثلاً : هو الإنجيل الوحيد الذي تظهر فيه نصوص تأليه المسيح ، بل هو أنشىء لإثبات ذلك كما يقول المفسر يوسف الخوري " إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها ، والسبب : أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح " . ولما لم يكن في الأناجيل الثلاثة ما يدفع أقوال هذه الطوائف ، أنشأ يوحنا إنجيله ، وهذا المعنى يؤكده جرجس زوين فيقول عن أساقفة آسيا أنهم اجتمعوا " والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح ، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون " .

ويقول الأب روغيه في كتابه المدخل إلى الإنجيل :" إنه عالم آخر ، فهو يختلف عن بقية الأناجيل في اختيار الموضوعات والخطب والأسلوب والجغرافيا والتاريخ ، بل والرؤيا اللاهوتية " .

وهذه المغايرة أوصلته إلى تقديم صورة للمسيح مغايرة تماماً عما في الأناجيل الثلاثة والتي يسميها البعض : " المتشابهة " أو " الإزائية " ، لذا تقول دائرة المعارف الأمريكية " من الصعب الجمع بين هذا الإنجيل والأناجيل الثلاثة ، بمعنى أن لو قدرنا أنها صحيحة لتحتم أن يكون هذا الإنجيل كاذباً " .

وهذه المغايرة دفعت الكثيرين لعدم اعتبار هذا الإنجيل قانونياً يقول السير آرثر فندلاي في كتابه " الكون المنشور " : " إن إنجيل يوحنا ليس له قيمة تستحق الذكر في سرد الحوادث الأكيدة ، ويظهر أن محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دوراً بعيداً ".[1]

ومن المشكلات التي تواجه هذا الإنجيل أيضاً أن أيدي المحرفين نالت هذا الإنجيل ، فأضافت فيه رواية المرأة الزانية (انظر يوحنا ١/٨ - ١١) والتي يقول عنها مدخل هذا الإنجيل " هناك إجماع على أنها من مرجع مجهول في زمن لاحق " . وقد حذفت هذه القصة من النسخة القياسية المراجعة (R. S. V)) لاعتبارها عبارة دخيلة على الإنجيل .[2]

كما أن كثيراً من المحققين يعتقدون بأن الإصحاح الأخير ليس من تأليف مؤلف الإنجيل ، يقول كرونيس : " إن هذا الإنجيل كان عشرين باباً فألحقت كنيسة أفسس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا " .

ويعتقد كولمان أن الإضافات اللاحقة واضحة في هذا الإنجيل .[3]

---

(١) انظر : محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ٦٤ - ٦٥ ، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٨١ ، ١٨٢ ، يا أهل الكتاب تعلوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ١٦٢ - ١٦٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٤٦ - ٤٧ ، الأناجيل والرسائل بين انقطاع السند وتناقض المتن،محمد الشرقاوي،ص ٥٦ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام،صابر طعيمة،ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ، بين القرآن الكريم والعهدين(القديم والجديد)،ياسين الخطيب،ص ٧٠ ، الإنجيل ،محمد شلبي شتيوي،ص ٦٩ - ٧٠ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ٨٦ .

(٢) انظر : قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢٧٢/٢ ، مسألة صلب المسيح،أحمد ديدات،ص ٦٨ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ،موريس بوكاي،ص ٩١ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ١٦٠ .

(٣) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي ١٥٦/١ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ٥٦١، يا

خامساً : رسائل العهد الجديد

يلحق بالأناجيل الأربعة عدد من الرسائل وهي :

١) سفر أعمال الرسل .

٢) رسائل بولس الأربع عشر .

٣) رسالة يعقوب .

٤) رسالتا بطرس .

٥) رسائل يوحنا الثلاث .

٦) رسالة يهوذا .

٧) رؤيا يوحنا اللاهوتي .

أولاً : أعمال الرسل

وينسب هذا السفر إلى لوقا مؤلف الإنجيل الثالث حيث جاء في افتتاحيته : " الكلام الأول أنشأته ياثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله .... " (أعمال ١/١) .

ويتكون هذا السفر من ثمان وعشرين إصحاحاً تتحدث عن الأعمال التي قام بها الحواريون والرسل الذي نزل عليهم روح القدس يوم الخمسين (١/٢ - ٤) ، من دعوة ومعجزات ، كما يتحدث عن شلول ودعوته ورحلاته وقصة تنصره وبعض معجزاته .

وعند تفحص هذا السفر نلحظ أن ثمة أموراً تمنع نسبته إلى لوقا . منها أن الإصحاحين ٢٠ و ٢١ ، يتكلم فيها المؤلف مستخدماً ضمير المتكلم " وأما نحن " " وأما أنا " " ولما انفصلنا عنهم " وفي سائر الإصحاحات يستخدم ضمير الغائب أثناء وصفه للأحداث ، وأقل ما يعنيه هذا أن الكاتب ليس بواحد .

ويعلل النصارى وقوع هذا الاختلاف في الأسلوب بأن الإصحاحات الأولى كتبها لوقا قبل لقياه بولس ، لكن ممدوح جاد يرفض هذا التبرير إذ " المقابلة لن تغير أسلوب الكاتب " .[1]

كما تناقض إنجيل لوقا مع سفر الأعمال في مسألة الصعود إلى السماء إذ يفهم من إنجيل لوقا أن صعود المسيح للسماء كان في يوم القيامة (لوقا ١٣/٢٤ - ٥١) وفي أعمال الرسل يتحدث عن ظهور المسيح بعد القيامة " أربعين يوماً " (أعمال ٣/١) . وهذا الاختلاف يكذب الرأي القائل بأن كاتب الإنجيل والسفر واحد .[2]

أهل الكتاب تعلوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ١٦٦ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ١٥٨ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ٨٧ .

(١) انظر : المسيح في الإنجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٩٢ .

(٢) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ٩٠ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ١٩ .

ثانياً : رسائل بولس

وتنسب هذه الرسائل إلى القديس بولس ، وتمتلئ بعبارات تدل على أنه كاتبها .وهذه الرسائل أربع عشرة رسالة وهي كما يلي :

١) الرسالة إلى رومية .

٢) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس .

٣) الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس .

٤) الرسالة إلى أهل غلاطية .

٥) الرسالة إلى أهل أفسس .

٦) الرسالة إلى أهل فيلبي .

٧) الرسالة إلى أهل كولوسي .

٨) الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي .

٩) الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي .

١٠) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس .

١١) الرسالة الثانية إلى تيموثاوس .

١٢) الرسالة إلى تيطس .

١٣) الرسالة إلى فليمون .

١٤) الرسالة إلى العبرانيين .

وقد سبق التعريف بكاتبها بولس ، وعرفنا نظرة المسلمين المتشككة منه .

وتعنى هذه الرسائل بالناحية التعليمية فيما عنيت الأناجيل بسيرة المسيح ، وهذا الأمر جد مستغرب إذا علمنا أنه حين كتابة هذه الرسائل لم يكن أحد من الإنجيليين الأربع قد خط شيئاً عن المسيح ، فلو قرأ أحدهم في الرسائل عن المسيح المخلص ابن الله الذي مات من أجل العالم ... فلسوف يتساءل : من هو هذا المسيح ؟ وهذا ما أجابت عنه الأناجيل الأربعة .[1]

وتصطبغ الرسائل أيضاً بالصبغة الشخصية لبولس ، فهي ليست لاهوتية الطابع ، بل رسائل شخصية لها ديباجة وخاتمة ... وكتبت هذه الرسائل ضمن خط عام لا يخرج عن أربعة محاور :

١) رأب صدع الجماعات النصرانية التي اختلفت في ألوهية المسيح .

٢) الدفاع عن بولس ومعتقداته التي يظهر رفض الآخرين لها .

٣) الدعوة لأراء بولس ، وأهمها : إبطال الشريعة ، وألوهية المسيح ، والفداء .

٤) التأكيد على قرب قيامة المسيح والخلائق .

وليس ثمة إجماع على صحة نسبة هذه الرسائل إلى بولس ، بل إن بعض المحققين يميل إلى أن أربع رسائل منسوبة إليه كتبت بيد بعض تلاميذه بعد وفاته بعشرين سنة كما ذكرت دائرة المعارف البريطانية ،

---

(١) انظر : الإنجيل والصليب،عبد الأحد داود،ص ١٦ - ١٧ .

و لم يسم الأعظمي هذه الرسائل الأربعة .

ويشكك أرجن في شرحه لإنجيل يوحنا بجميع رسائل بولس المرسلة إلى الكنائس فيقول : " إن بولس ما كتب شيئاً إلى جميع الكنائس ، والذي كتبه هو سطران أو أربعة سطور " وهذا الذي أكده شارل جنيبر حين تحدث عن الأفكار التي تحملها هذه الرسائل فيقول " الدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو لأول وهلة غريباً حقاً : مزيجاً من دعوى الإثني عشر الأساسية ، ومن الأفكار اليهودية التي يرجع بعضها مباشرة إلى النصوص المقدسة القديمة ، بينما يرجع بعضها الآخر إلى اعتبارات دينية حديثة نسبياً ، ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية ، ومن الذكريات الإنجيلية والأساطير الدينية الشرقية " .[1]

أما الرسالة إلى العبرانيين خصوصاً فكان النزاع حولها أشد ، فحين تنسبها الكنيسة الشرقية إلى بولس فإن لوثر يقول بأنها من وضع أبلوس ، بينما يقول تارتوليان المؤرخ في القرن الميلادي الثاني : " إنها من وضع برنابا " ويقول راجوس (من علماء البروتستانت) : " إن فريقاً من علماء البروتستانت يعتقدون كذب الرسالة العبرانية ..." .

ويذكر هورن أن ليس من حجة في إسنادها لبولس ، وأول ذكر تاريخي لها جاء على لسان أرينيوس ٢٠٠م ، وكليمنس ٢١٦م و لم يتأتَ الاعتراف بصحة هذه النسبة إلا في مجمع لوديسيا (٣٦٣م) وذلك للاختلاف في صحة نسبتها . يقول المدخل الفرنسي : ويبدو أن مقياس نسبة المؤلف إلى الرسل استعمل استعمالاً كبيراً ، ففقد رويداً رويداً كل مؤلف لم تثبت نسبته إلى رسول من الرسل ما كان له من الحظوة " .

فالأسفار التي كان مشكوكاً في صحة نسبتها إلى الرسل حتى القرن الثالث هي تلك الأسفار التي قام النزاع على صحة نسبتها إلى الرسل في هذا الجانب أو ذاك من الكنيسة .[2]

ثالثاً : الرسائل الكاثوليكية ورؤيا يوحنا اللاهوتي

وهذه الرسائل سبع رسائل ثلاث منها ليوحنا واثنتان لبطرس واحدة لكل من يهوذا ويعقوب ثم رؤيا يوحنا اللاهوتي ، وعرف علماؤنا بأصحاب هذه الرسائل وهم من التلاميذ الإثنى عشر ، فبطرس هو صياد سمك في كفر ناحوم ، ويعرف بسمعان ، ويرجح محررو قاموس الكتاب المقدس أنه كان من تلاميذ يوحنا المعمدان قبل أن يصحب المسيح ، ويتقدم على سائر تلاميذه ، وقد دعا في أنطاكية وغيرها ، ثم قتل في روما في منتصف القرن الميلادي الأول ، ويذكر بطرس قرماج في " مروج الأخبار " أن بطرس ومرقس ينكران ألوهية المسيح .

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١٦٤/١ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٣٠٦ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٢٥ - ٣٢٧ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٣٢٨ - ٣٥٢ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١٦٣/١ - ١٦٥ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٣٥ - ٣٣٨ ، ٣٤٤ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ١٨٨ - ١٨٩ ، الكتاب المقدس في الميزان،عبد السلام محمد،ص ٩١ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب،ص ٨٠ - ٨١ .

وأما يعقوب فهو ابن زبدي الصياد – أخو يوحنا الإنجيلي – من المقربين للمسيح ، وقد تولى رئاسة مجمع أورشليم سنة ٣٤م ، وقد كانت وفاته قتلاً على يد أغريباس الأول عام ٤٤م على الأرجح ، وقال آخرون : قتله اليهود حين طرحوه من جناح الهيكل ورموه بالحجارة سنة ٦٢م .

وأما يهوذا فلا تقدم المصادر عنه تعريفاً سوى أن تذكر أنه اختلف فيه هل هو يهوذا أخو يعقوب الصغير أي انه ابن زبدي ، أم أنه الحواري الذي يدعى لباوس الملقب تداوس ؟ .[1]

وهذه الرسائل تعليمية في محتوياتها ، شخصية في طريقة تدبيجها ، تحوي في مقدمتها اسم مؤلفها غالباً . ورغم ذلك فإن نسبة هذه الرسائل كانت محل جدل طويل في قرون النصرانية الأولى ، وينطبق على أكثرها ما ذكرناه في رسالة بولس إلى العبرانيين ، حيث تأخر الاعتراف إلى أواسط القرن الرابع الميلادي برسالة بطرس الثانية ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورسالتي يعقوب ويهوذا ، ورؤيا يوحنا اللاهوتي الذي كان موضع جدل كبير قبل إقراره إذ يحوي هذا السفر رؤيا منامية غريبة هدفها تقرير ألوهية المسيح ، وإثبات سلطانه في السماء ، وخضوع الملائكة له ، إضافة إلى بعض التنبؤات المستقبلية التي صيغت بشكل رمزي وغامض . وهذه الرؤيا رآها يوحنا في منامه وهي مسطرة في سبعة وعشرين صفحة !! ومثل هذا يستغرب في المنامات ولايعهد ، وقد شكك آباء الكنيسة الأوائل كثيراً في هذا السفر . يقول (كيس برسبتر الروم) ٢١٢م : " إن سفر المشاهدات (الرؤيا) من تصنيف سرنتهن الملحة " ، ومثله قاله ديونسيش من القدماء .

ويذكر محمد وزير خان – عضد رحمة الله في مناظرته لفندر – أن من المنكرين الكثير لهذا السفر يوسي بيس ، وسرل ، وكنيسة بروشالم ، وعلماء مجمع لوديسيا الذين لم يقروه . وهؤلاء وغيرهم كانوا يعتقدون أن نسبته ليوحنا باطلة .

وينقل عبد الرحيم محمد عن المدخل لهذا السفر قوله " لايأتينا سفر يوحنا بشيء من الإيضاح عن كاتبه لقد أطلق على نفسه اسم يوحنا ، ولقب نبي ، ولم يذكر قط أنه أحد الإثنى عشر . هناك تقليد كنسي وهو أن كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا .. بيد أنه ليس في التقليد القديم إجماع على ذلك ، وقد بقي المصدر الرسولي لسفر الرؤيا عرضة للشك ، وآراء المفسرين في عصرنا متشعبة ، ففيهم من يؤكد أن الاختلاف في الإنشاء والبيئة والتفكير اللاهوتي تجعل نسبة الرؤيا والإنجيل الرابع إلى كاتب واحد أمراً عسيراً .

يخالفهم آخرون يرون أن الرؤيا والإنجيل يرتبطان بتعليم الرسول على يد كتبة ينتمون إلى بيئات أفسس .[2]

ومما نقله علماؤنا في تكذيب نسبة الرسائل الكاثوليكية أو بعضها على الأقل تكذيب هورن لها ،

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ١٧٤ – ١٧٦ ، ١٠٧٥ ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ٨٣ – ٨٤ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ١٩٤ – ١٩٩ .

(٢) انظر : المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقس فندر،ص ٤٧٤ – ٤٧٥ ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي، ١/١٥٩ – ١٦٠ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٣٩ ، ٣٤٤ – ٣٤٥ ، الإنجيل والصليب،عبد الأحد داود،ص ١٣ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٢٦٩ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب،ص ٧٩ – ٨١ ، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ٢/١٢٧ ، ٤٧٣ ، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٢٧ .

واحتج بعدم وجودها في الترجمة السريانية ، ونقل راجوس تكذيب علمـــاء البروتســـتانت صحـــة نســـبتها للحواريين ، ويقول جيمس ميك : إن الدلائل تثبت أن كاتب هذه الرسالة (رسالة يعقوب) ليس يعقـوب . وقال المؤرخ يوسي بيس في تاريخه " ظُن أن هذه الرسالة جعلية ، لكن كثيراً من القدماء ذكروها ، وكذا ظُن في حق رسالة يهوذا ، لكنها تستعمل في كثير من الكنائس " .

وعن رسالة يهوذا يقول المحقق كروتيس في كتابه " تاريخ البيبل " : " هذه الرسالة رســـالة يـــهوذا الأسقف الذي كان خامس عشر من أساقفة أورشليم في عهد سلطنة ايد دين " ، فجعل هذا المحقق رســـالة يهوذا من عمل أسقف عاش في القرن الثاني الميلادي . كما لاتسلم الكنيسة الســـريانية حـــتى الآن بصحـــة الرسالة الثانية لبطرس ، والثانية والثالثة ليوحنا ، ويقول اسكالجر : من كتب الرسالة الثانيـــة لبطـــرس فقـــد ضيع وقته .[1]

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/١٦٣ - ١٦٤ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمـــي،ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ١٨٨ - ١٨٩ .

المطلب الثالث : مصادر الأناجيل :

عندما يتحدث النصارى عن إلهامية الأناجيل والرسائل يفهم منه أن ماكتبه الانجيليون وحي الله الذي صاغه بعض البشر بعباراتهم وأساليبهم بعد أن ألهمهم روح القدس ما كانوا يكتبونه .

يقول موجز تاريخ الأمة القبطية " الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التي كتبها رجال الله القديسون بإلهام الروح القدس " .

ويقول هورن " إذا قيل : إن الكتب المقدسة أوحي بها من عند الله لايراد أن كل الألفاظ والعبارات من إلهام الله ، بل يعلم من اختلاف محاورات المصنفين واختلاف بيانهم أنهم قد جوز لهم أن يكتبوا حسب طباعهم وعاداتهم وفهومهم " . (١)

ولما ثبت لدينا براءة روح القدس من هذه الأناجيل وجهالة أصحابها ، وبطلان دعوى الإلهام المزعومة تساءل علماؤنا عن مصدر هذه الأناجيل وعن علاقة مواد بعضها ببعض وهل من سبيل لمعرفة المصادر التي لجأ إليها الكاتبون الذين نسميهم متى ويوحنا ومرقس ولوقا مجازاً ومجاراة للعرف السائد فحسب ؟

أولاً : المصادر النصرانية

منذ القرن الخامس حاول النصارى من خلال النظر في التشابه فيما بين الأناجيل معرفة مصادر هذه الأناجيل ، وسجلت أول محاولة على يد القديس أوغسطين الذي قال بأن مرقس اقتبس من إنجيل متى ولخصه ، وأما لوقا فاستعمل في كتابته الإنجيلين . وبقي رأي أوغسطين سائداً حتى نهاية القرن التاسع عشر حيث أظهرت الدراسات الحديثة نظريات أخرى مخالفة لنظرية أوغسطين وأكثر دقة منه .(٢)

وقبل أن نلج في تقصي ما نقله علماؤنا عن الدراسات الغربية التي حاولت الإجابة عن السؤال المتعلق بمصادر الأناجيل نتوقف مع جدولة يصوغها لنا عبد الرحيم محمد لنقف من خلالها على مدى التقارب بين الأناجيل الثلاثة(متى ومرقس ولوقا) ، وأما يوحنا فهو إنجيل مختلف تماماً عن هذه الأناجيل التي يسميها البعض الإزائية أو المشتركة . (٣)

	متى	مرقس	لوقا
عدد جمل كل إنجيل	١٠٦٨	٦٦١	١١٦٠
جمل مشتركة بين الأناجيل الثلاثة	٣٣٠	٣٣٠	٣٣٠
جمل مشتركة بين متى ومرقس	١٧٨	١٧٨	-
جمل مشتركة بين مرقس ولوقا	-	١٠٠	١٠٠
جمل مشتركة بين متى ولوقا	٢٣٠	-	٢٣٠
جمل مستقلة لكل منهم	٣٣٠	٥٣	٥٠٠

---

(١) انظر : محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ٩٥ .

(٣) انظر : قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ٢٧١/٢ .

وقبل أن نلج إلى نظريات المصادر نرى أنه من الممكن أن يقال بأن هذه الأناجيل لها أصل مشترك شفوي أو تحريري ، وأن كلاً من الإنجيليين الثلاثة قد أخذ من هذا المصدر وترك حسب ما يستسيغه ، ولكن يبقى هذا المصدر مجهول الكاتب والاسم والتوثيق .[1]

وأول نظريات المصادر قدمها هوتزمان ١٨٦٠م ، وأفادت أن متى ولوقا تأثرا بمرقس خلافاً للمشهور ، كما تأثر متى ولوقا أيضاً بوثيقة مشتركة أخرى غير معروفة في العصور الحديثة ، كما كان لكل من متى ولوقا مصدر خاص نقل عنه كل منهما ما انفرد به .

وقول هوتزمان بأن مرقس أصل لمتى ولوقا ، تقول عنه دائرة المعارف البريطانية : " يكاد يكون مسلماً به ".

وأما إنجيل مرقس فالسائد عنه ما يقوله ابن البطريق : " كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية ، ونسبه إلى مرقس " ، ولا يخفى غرابة هذا القول إذ كيف ينقل بطرس الحواري عن مرقس الذي لا دليل على لقياه المسيح ؟ !

وأما القول بأن مرقس أخذ عن بطرس إنجيله بعد أن رافقه في أسفاره فهو قول ممكن ، لكن رحمة الله الهندي يرده لأن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس . ولا أرى ذلك مانعاً من أن يكون قد سمع منه واعتمد على منقولاته لو ثبت نسبة الإنجيل إليه وكان قد رافق بطرس الحواري حقاً كما ذكر المؤرخ الأسقف بابيلس ت ١٣٠م حين قال : " إن مرقس كان ترجماناً لبطرس ، قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال يسوع وأقواله دون مراعاة لنظام ، لأن مرقس لم يكن قد سمع يسوع ، ولا كان تابعاً شخصياً له ، لكنه في مرحلة متأخرة – كما قلت أنا من قبل – قد تبع بطرس " .

وفي وقت لاحق ظهرت نظرية جديدة في المصادر تقول بأن للأناجيل الثلاثة أربع مصادر :-

أولها : مصدر آرامي مجهول يرمز له بالحرف Q اختصاراً للكلمة الألمانية (Quelle) ومعناها المصدر ، ويرى المحققون أن ترجمة الوثيقة إلى اليونانية قد أفادت الإنجيليين الثلاثة ، وأنها أساس للروايات الإنجيلية وهي تتحدث عن يوحنا المعمدان وتجربة الشيطان ليسوع وموعظة الجبل وقصة عبد قائد المائة ونهاية العالم .

ولا يعرف مدى أهمية هذا المصدر أو خواصه أو محتوياته ، كما لا يمكن تقدير قيمته التاريخية أو اللاهوتية .

ثانيها :مصدر آخر هو مسودة مرقس التي كتبت على أساس أحاديث بطرس بعد وفاة بطرس بروما .

ثالثها : الوثيقة " L " وهي مجموعة من التقارير استخدمها لوقا وحده ، وهذه التقارير تتحدث عن المسيح ولعلها هي التي أشار إليها في مقدمة إنجيله " كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إني قد تتبعت كل شيء بتدقيق ... "(لوقا ١/٢ – ٣)وتبلغ هذه التقارير نصف إنجيله تقريباً .

رابعها : مجموعة من المواعظ لعيسى جمعها متى بنفسه وانفرد بها تسمى " M " لكن الدراسات

---

(١) انظر : قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ٢٧١/٢ .

الأحدث والأعمق قام بها الأبوان بينوا وبومارا الأستاذان بمعهد الكتاب المقدس بالقدس ١٩٧٢ - ١٩٧٣م ، يقول الأبوان : " إن بعض قراء هذا الكتاب سيندهشون أو سيتزعجون عندما يعلمون أن كلمة المسيح تلك ، أو أن ذلك الرمز أو ذلك الخبر عن مصيره ، لم تكن ملفوظة كما نقرؤها نحن ، بل إنها قد نقحت ، ثم كيفت من الذين نقلوها إلينا ، أما بالنسبة إلى الذين لم يألفوا هذا النوع من البحث العلمي فيمكن أن يكون هذا مصدراً للدهشة ، بل للفضيحة " .

ويذكر الأبوان أن الأناجيل مرت في تدوينها بمرحلتين حين وجدت أربع مصادر نقل عنها الإنجيليون بصورة متشابكة ، فتكونت كتب وسيطة تمثل الكتابات الأولية للإنجيليين ، وفي المرحلة الثانية ظهرت الكتابات النهائية للأناجيل الأربعة بعد أن اعتمد كل منهم وبصورة متشابكة أيضاً على كتابات بعض في المرحلة الأولى أو الأولية ولعل هذا الرسم الذي وضعه بوكاي يوضح صورة تدوين الأناجيل . حتى وصولها إلى المرحلة النهائية أو الصورة الحالية .

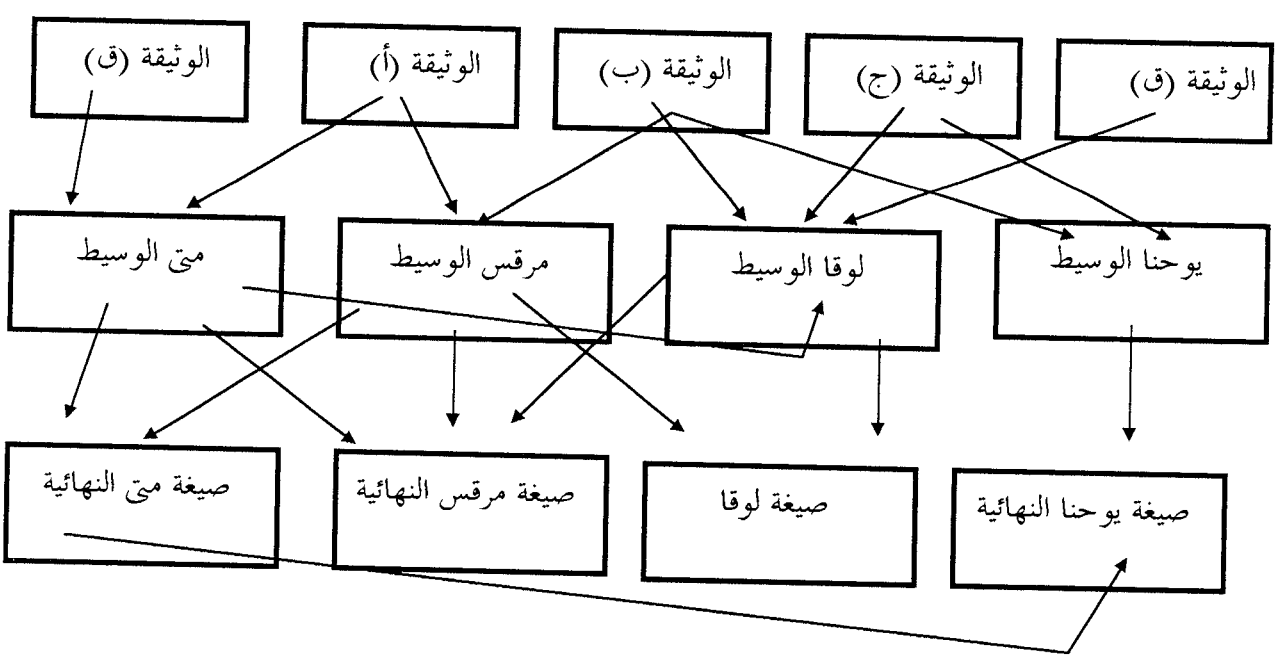

والمصادر الأولية كما يرى بينوا وبوما هي :

" - الوثيقة (أ) ونبعت من أوساط يهودية مسيحية ، وألهمت متى ومرقس .

- الوثيقة (ب) هي المادة التفسيرية للوثيقة (أ) ، واستخدمتها الكنائس المسيحية ذات الأصول الوثنية ، وألهمت جميع المبشرين ما عدا متى .

- الوثيقة (ج) وألهمت مرقس ولوقا ويوحنا .

- الوثيقة (ق) تكون معظم المصادر الشائعة بين متى ولوقا .

ولم تؤد أية وثيقة من هذه الوثائق الأساسية إلى تحرير النصوص النهائية التي في حوزتنا ، فبينها وبين التحرير النهائي توجد تآليف وسيطة خاصة بكل إنجيل " .

وهذا الذي نقله علماؤنا من حديث عن المصادر - ورغم الخلاف فيها واحتمالية أن تظهر نظريات أخرى - فإن مجرد البحث في موضوع هذه المصادر ينقض الادعاء القائل بإلهامية الأناجيل وصلتها بالروح

القدس ، أو حتى التلاميذ.

وأما تلك الوثائق المجهولة التي نقل عنها كتبة الأناجيل فهي حلقة أخرى من سلسلة المجاهيل التي تكتنف الأناجيل وكتابها وسني تدوينها و .... .[1]

ثانياً : المصادر الوثنية القديمة

كما كانت الوثنيات القديمة مرجعاً مهماً للإنجيليين وهم يصوغون قصتهم عن المسيح خاصة تلك الأجزاء التي لم يشهدوها كتلك المتعلقة بولادة المسيح أو صلبه المزعوم ومحاكمته .

وقد سبق أن بينا في فصل سابق صور التشابه بين ما ذكره الإنجيليون عن محاكمة المسيح وصلبه وقيامته وبين ما تناقلته الوثنيات القديمة ونعرض هنا لأوجه التشابه بين ما ذكره الإنجيليون عن ولادة المسيح وما تناقلته الوثنيات القديمة في ذلك .

فقد نقل علماؤنا عن علماء تاريخ الديانات أوجه شبه كثيرة التقت فيها روايات الأناجيل مع أقوال الوثنيات البدائية – التي سبقت وجود المسيحية بقرون طويلة – عن آلهتهم المتحدة .

فقد تحدث متى عن ولادة المسيح فقال " ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له .. فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبي .. وأتوا إلى البيت ، ورأوا الصبي مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومُراً " (متى ٢/١ – ١١) .

تتشابه قصة متى مع ما يقوله البوذيون في بوذا . يقول بنصون في كتابه " الملاك المسيح " : " لقد جاء في كتب البوذيين المقدسة عندهم أنه قد بشرت السماوات بولادة بوذا بنجم ظهر مشرقاً في الأفق ويدعونه في هذه الكتب المذكورة " نجم المسيح " ومثل هذا نقله المؤرخ بيال . وأما المؤرخ ثورنتن في كتابه " تاريخ الصينيين " فينقل أنه عند ولادة " يو " المولود من عذراء ظهر نجم في السماء دل عليه ، ومثله حصل عند ولادة الحكيم لاوتز .

يقول القس جيكس في كتابه " حياة المسيح " : " وعم الاعتقاد في الحوادث الخارقة للعادة ، وخصوصاً حين ولادة أو موت أحد الرجال العظام ، وكان يشار إلى ذلك بظهور نجم أو مذنب أو اتصالات بين الأجرام السماوية".

وإتحاف المولود بالهدايا معهود أيضاً في الوثنيات ، فها هو كرشنا لما ولد ، وعرف الرعاة أمر ولادته أعطوه هدايا من خشب وصندل وطيب ، ومثله فعل الرجال الحكماء عند ولادة بوذا ، وأما مسرا مخلص العجم فقد أعطاه حكماء المجوس هدايا من الذهب والطيب والحنظل ، وهو ما فعله المجوس أيضاً عند ولادة سقراط ٤٦٩ ق . م ، فقد أتي ثلاثة منهم من المشرق وأهدوه ذهباً وطيباً ومأكولاً مُراً .

---

(١) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ١٧٠ – ١٧٢ ، الإنجيل،محمد شلبي شتيوي،ص ٧٤ – ٧٦ .

ويذكر لوقا في حديثه عن ميلاد المسيح " وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، وإذا ملاك الرب وقف بهم ، ومجد الرب أضاء حولهم ، فخافوا خوفاً عظيماً ، فقال لهم الملاك : لاتخافوا . فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ... وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين : المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة " (لوقا ٢/٨ - ١٤) .

وهذا الذي ذكره لوقا سبقت إليه الوثنيات القديمة ، فقد جاء في كتاب " فشنو بورانا " : " كانت العذراء ديفاكي حبلى بحامي العالم ، مجدها الآلهة ، ويوم ولادتها عمت المسرّات ، وأضاء الكون بالأنوار ، وترنمت آلهة السماء ، ورتلت الأرواح لما ولد عون الجميع ... ، شرعت الغيوم ترتل بألحان مطربة ، وأمطرت أزهاراً " .

ويقول البوذيون مثل ذلك كما نقل المؤرخ " فو نبهنك " : " وصارت الأرواح التي أحاطت بالعذراء مايا وابنها المخلص تسبح وتبارك وتنشد : لك المجد أيتها الملكة ، فافرحي وتهللي ، لأن الولد الذي وضعتيه قدوس " وقريباً من هذا يقول المصريون في ولادة " أوزوريس " ، والصينيون في " كونفوشيوس " كما نقل ذلك السرجون فرنسيس دافس وبونويك في كتابه " اعتقاد المصريين " ، ونقل مثله عن عدد من الأمم .

ويذكر لوقا أن المسيح ولد في مذود (انظر لوقا ٢/١٦) ، ومثله تذكر الوثنيات ، فكرشنا كما ذكروا ولد في غار ، ووضع بعد ولادته في حظيرة غنم رباه فيها أحد الرعاة الأمناء ، وهو قس ابن السماء عند الصينيين ، تركته أمه وهو صغير فأحاطت به البقر والغنم ، وحمته من كل سوء .

وذكر متى نسباً بشرياً للمسيح ، فجعله من سلالة عدد من الملوك (انظر متى ١/١ - ١٦) ، وهذا أيضاً ما يقوله الهنود في كرشنا حيث يعتقدون أنه من سلالة ملوك ، ويقول الصينيون مثله عن فوحي وكونفوشيوس ، إلى غير ذلك من معبودات الوثنيين .[1]

ومن صور التشابه بين الأناجيل والوثنيات - في غير الولادة - ما ذكره متى عن تجربة إبليس للمسيح أربعين يوماً ، فلم يأكل حتى جاع أخيراً (انظر متى ١/٤ - ١٢) ، وهو ما ينقل مثله عن بوذا في الصين وزورستر عند المجوس وغيرهم من الآلهة المتجسدة عند الأمم الوثنية .

وقد جاء في كتاب " حياة بوذا الصيامية " لمونكيور كونري : " الكائن العظيم بوذا جرد نفسه في الزهد لدرجة عدم الأكل والتنفس أيضاً .. فأتى الأمير مارا (أي أمير الشياطين) وقصد تجربة بوذا ... " .[2]

وقد أورد بعض علمائنا جداول توضح عظم التشابه بين ما يقوله الوثنيون عن بوذا وكرشنا وما يقوله النصارى عن المسيح ، وهو أمر يطول تعقبه .

فقد وصلت المعطيات المشتركة بين كرشنا والمسيح إلى ستة وأربعين تشابهاً [3] ، وبين المسيح وبوذا

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ٦٥ - ٨٨ ، المسيحية ،أحمد شلبي،ص ١٥٣ .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ٩٧ - ٩٨ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٤٣ - ٤٦ .

(٣) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٣١ - ١٤٠ ، عقيدة الصلب والفداء،محمد رشيد

إلى ثمانية وأربعين تشابهاً .[1]

وقد أقر رجال الكنيسة بهذه الأمثلة للتشابه ، وكانوا يدعون أن أسفارا الفيدا الهندية قد أخذت عن الأناجيل ، لكن العلماء المحققين أثبتوا أن هذه الأسفار موجودة قبل التوراة والأناجيل بمئات السنين ، وممن أكد ذلك لجنة الدراسات للآثار الهندية المكونة من علماء إنجليز وفرنسيين .[2]

والتشابه بين الأناجيل وتراث الأمم الوثنية طال الأناجيل ليس فقط في قصة المسيح ، بل في أقوله أيضاً ، يقول ألفرد جار في : " إن فلسفة الإغريق والقانون الروماني أثرا في تدوين الأناجيل ، وجعلا الأناجيل لا تمثل حقيقة المسيحية ، والباحث المنصف في تاريخ الكنيسة لايستطيع ولا لحظة واحدة أن ينكر أن آراء مزيفة ، وأغراضاً غير كريمة ، ومقاصد خاطئة كانت أسباباً مسيطرة أحياناً دفعت إلى هذا التبديل الذي حدث في الأناجيل " .[3]

رضا،ص ١١٦ - ١٢٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٣٧ - ١٣٩ .

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٤٣ - ١٥٣ ، المسيحية ،أحمد شلبي،ص ١٣١ - ١٣٩ ، أقانيم النصارى،أحمد حجازي السقا،ص ٩٦ - ٩٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٤٠ - ١٤٢ .

(٢) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٣٤ .

(٣) انظر : المسيحية ،أحمد شلبي،ص ١٨٢ .

المطلب الرابع : قانونية العهد الجديد

الإنجيل الصحيح

تساءل علماؤنا طويلاً عن إنجيل المسيح الذي أنزله الله على عيسى ، ذلكم الإنجيل الذي يؤمن به المسلمون والذي تذكره الأناجيل كثيراً . لكن الإجابة النصرانية هي صمت مطبق وتجاهل لوجود الإنجيل ، فنقطة البدء عندهم للإنجيل أو العهد الجديد تبدأ من الحواريين وهم يسطرون الرسائل والأناجيل .

لكن هذه الرسائل التي ألفت في النصف الثاني من القرن الأول تتحدث في نصوص كثيرة عن إنجيل المسيح ، ولا تذكر شيئاً عن الأناجيل التي لم يكن مرقس - أول الإنجيليين - قد خط شيئاً منها إذ أن بولس - وله أربعة عشر رسالة في العهد الجديد - قتل سنة ٦٢ بينما ألف مرقس أول الأناجيل عام ٦٥م ، ثم تتابعت العشرات من الأناجيل بعد ذلك وهي تشير أيضاً إلى إنجيل المسيح أو إنجيل الله .

ومن هذه النصوص التي حفظها لنا العهد الجديد عن إنجيل المسيح قول بولس عن نفسه " بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولاً ، المفرز لإنجيل الله " (رومية ١/١) وفي موضع آخر " فإن الله أعبده بروحي في إنجيل ابنه " (رومية ٩/١) ويقول " قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح " (رومية ١٩/١٥) " سأجيء في ملء بركة إنجيل المسيح " (رومية ٢٩/١٥) " بل نحتمل كل شيء ، لئلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح " (كورنثوس (١) ١٢/٩) ، ويقول:" أعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه " (كورنثوس (١) ١/١٥) وغير ذلك من نصوص كثيرة تتبعها علماؤنا في رسائل بولس والتلاميذ بل وحتى في الأناجيل .[1]

وهذه النصوص جميعاً يؤمن النصوص بقدسيتها ، ويتأولون معانيها على رسالة الفداء التي تمت بصلب المسيح ، فيقول محررو الكتاب المقدس في بيان معنى كلمة إنجيل الواردة في نصوص بولس وغيره " إنجيل : من اللفظ اليوناني " أونجليون " ومعناه " خبر طيب " ، وقد أوجز الإنجيل في يوحنا ١٦/٣ في أن الله أرسل ابنه الوحيد لخلاص المؤمنين ، والنقط الرئيسية في الإنجيل كما بشر به بولس هي : أن المسيح مات لأجل خطايانا .. ويدعى في العهد الجديد إنجيل الله .. وإنجيل المسيح ... وإنجيل نعمة الله ... وإنجيل الملكوت ، أو بشارة الملكوت ... "[2]

والحق أن كثيراً من النصوص التي ذكرها علماؤنا من الممكن صرفها إلى معنى البشارة بالخبر الطي

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٥٥٣/٢ - ٥٥٤ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٦٦ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٥٢٩ - ٥٣٠ ، الإنجيل والصليب،عبد الأحد داود،ص ٢٨ - ٢٩ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٤٥ - ٤٦ ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ٦٧ ، هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ١٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، ٢٤٧ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٥٠ - ٣٥١ ، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ١٣٠/٢ - ١٣١،دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٣٥٨ - ٣٦٠ .

(٢) انظر : قاموس الكتاب المقدس ١٢٠ .

بضميمة السياق الذي وردت فيه ، لكن بعض هذه النصوص لا يصح حمله بحال على البشارة بالفداء خاصة تلك التي وردت في الأناجيل .

ومنه قول بولس " إني أعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر .. يوجد قوم يريدون أن يحولوا إنجيل المسيح .. " (غلاطية ٦/١ - ٨) ، فهو يتحدث عن إنجيل حقيقي يتركه الناس إلى إنجيل آخر مزور ، ومثله قول بولس " بل نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح .. أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون " (كورنثوس (١) ١٢/٩ - ١٤) ويقول متوعداً " الذين لايطيعون إنجيل ربنا يسوع ، الذين سيعاقبون هلاك أبدي " (تسالونيكي (٢) ٨/١ - ٩) .

وفي الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل حديث عن إنجيل حقيقي ففي أعمال الرسل أن بطرس قام وقال " أيها الرجال الأخوة : أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون " (أعمال ٧/١٥) .

وعندما سكبت المرأة الطيب عند قدمي المسيح قال " الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها " (متى ١٣/٢٦) .

وهذا الإنجيل هو الذي ذكره المسيح بقوله " قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " (مرقس ١٥/١) ولا يجوز حمله على رسالة الفداء التي لم يتحدث عنها مرقس بتاتاً . ويقول أيضاً " من يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها " (مرقس ٣٥/٨) ، وفي متى " كان يسوع يطوف .. يكرز ببشارة الملكوت " (متى ٣٣/٤) (متى ٣٥/٩) .

وينبه عبد الأحد داود إلى أن لفظ بشارة الملكوت في تراجم الشعوب المسيحية يترجمونه بالإنجيل ، بينما في تراجم الشعوب الإسلامية كالعربية والتركية والإيرانية ... يترجمونه هكذا " بشارة الملكوت " لئلا يتساءل القارئ عن إنجيل المسيح " .(١)

وقد تهرب عموم النصارى من الإقرار بوجود إنجيل حقيقي هو إنجيل المسيح ، فقالوا : لم يترل على المسيح شيء ، بل الإنجيل هي أقواله الشخصية ، وقد سطرها الإنجيليون ، وهذا بالطبع متسق مع قولهم بألوهية المسيح .

لكن رحمة الله الهندي يرد هذه الدعوى بذكر النصوص التي تحدثت عن وحي الله إلى المسيح منها " أنا أتكلم بما رأيت عند أبي " (يوحنا ٣٨/٨) " أتكلم بهذا كما علمني أبي " (يوحنا ٢٨/٨) ، " الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم " (يوحنا ٢٤/١٤) كما نقل رحمة الله الهندي عن بعض علماء النصرانية إقرارهم بوجود إنجيل يسوع قبل ضياعه واختفائه ، ومنهم مارش وليكرك وكوب وأكهارن وغيرهم ، يقول أكهارن " إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال رسالة المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال أنها هي الإنجيل الأصلي ، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الإنجيل بمترلة القلب "، ويصف الدكتور هارناك هذا الإنجيل فيقول : " والإنجيل الذي قام بتبليغه المسيح إنما كان يتعلق بالأب وحده ، ولا يتعلق بالابن ، وليس ذلك أمراً متضاداً ،

---

(١) انظر : الإنجيل والصليب،عبد الأحد داود،ص ٢٩ .

كما أنه ليس عقلانية ، وإنما هو عرض بسيط ساذج للحقائق التي بينها مؤلفو الأناجيل " .

ويرى منصور حسين أن هذا الإنجيل قد يكون مما أمرت الكنيسة بإحراقه ضمن الأناجيل الكثيرة التي حرمتها وأمرت بحرقها في مجمع نيقية ، ويقول للقمص باسيليوس الذي طالب بإحضار إنجيل المسيح الذي يؤمن به المسلمون فأجاب منصور حسين " إنه منذ فجر المسيحية ، وبعد رفع المسيح ، وقبل الإسلام كان هناك العديد من الأناجيل ، قبل المسيحيون أربعاً منها فقط .. والباقي - كما وجدنا - طوردت وأحرقت ، والذين طاردوها هم المسيحيون أنفسهم وأحرقوها ، وليس المسلمون ، وليدلنا سيادته عليها ، وحينئذ أدله من بينها على الإنجيل الصحيح ، أما أن يحرقها المسيحيون ، ثم يطالبون المسلمين ... فهذا غير معقول " .

إذن قد اختفى إنجيل المسيح،وعهدة إحضاره باقية في ذمة النصارى فكيف نشأت الأناجيل بعد ذلك؟

تدوين وقانونية العهد الجديد

يقرر عدد من مؤرخي النصرانية انتقال روايات شفاهية تبلورت فيما بعد بحركة دائبة في كتابة سيرة المسيح لتلبية حاجات الكنيسة المسيحية الناشئة ، ونكتفي هنا بنقل ما ذكره يواكيم إرميا في كتابه الذي نشرته الكنيسة المصرية بعنوان " أقوال المسيح غير المدونة في بشائر الأناجيل " فيقول : " ينبغي أن نضع نصب أعيننا حقيقتين أساسيتين عن بشائر الإنجيل وكتابتها : أنه لمدة طويلة ، كانت كل التقاليد المعروفة عن المسيح " كلها أقوال شفاهية متناقلة .. واستمرت على هذه الصورة ما يقرب من خمسة وثلاثين عاماً ، ولم يتغير الوضع إلا في عهد اضطهاد نيرون للمسيحيين ، حينها اجتمع شيوخ الكنيسة وكبارها في خريف عام ٦٤م ، ووجدوا أن الكثيرين من أعمدة الكنيسة قد فقدوا .. ولم يجد المجتمعون أمامهم إلا يوحنا الملقب مرقص زميل الرسول بطرس في الخدمة .. ليسجل كل ما يستطيع أن يتذكره من أحاديث المسيح وتعاليمه ، وكتب مرقص بشارته المختصرة التي تحمل اسمه ، وهي أقدم قصة كتبت عن حياة المسيح .

والحقيقة الثانية : أن قصة مرقس عن المسيح وأقواله قد دفعت غيره ليحذوا حذوه ، وينسجوا على منواله .. وتنشأ بشائر أخرى ... حتى كان هناك عدد لايستهان به من البشائر ... ولما رأت الكنيسة أن الأمر جد خطير بدأت في تقصي أسس هذه البشائر الأربعة المعروفة ، واعتبرت ما سواها " بشائر أبو كريفية " ، طوردت وجمعت وأحرقت حتى اختفت " [1]

ونبه علماؤنا إلى أمر هام هو أن شيئاً من الأناجيل لم يكن يسمى إنجيلاً في الصدر الأول للنصرانية ، إنما سميت " كاروزوتا " أي موعظة ، وذلك باللغة اليونانية التي وجد بها ما سمي فيما بعد بالأناجيل .

وهذه الكتابات أطلق عليها القديس جوستين في منتصف الثاني اسم " مذكرات الرسل " .[2]

وقد بدأت في أواسط القرن الثاني حركة لتكوين كتاب مقدس للنصارى على غرار ما عند اليهود

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٣٣٣ - ٣٣٥ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٤ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ١٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٤١ - ٤٢ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) انظر : الإنجيل والصليب،عبد الأحد داود،ص ١٣ ، ٢٥ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٣ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٠٠ ، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي، ١٩ - ٢٠ .

يقول المدخل الفرنسي للعهد الجديد : " لم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة تدوين أهم ما عمله الرسل وتولي حفظ ما كتبوه ... ويبدو أن المسيحيين حتى ما يقرب من السنة ١٥٠ تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلاً جداً إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة ، وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس ، واستعملوها في حياتهم الكنسية ، و لم تكن غايتهم قط أن يؤلفوا ملحقاً بالكتاب المقدس .. ومع ما كان لتلك النصوص من الشأن فليس هناك قبل القرن الثاني (بطرس (٢) ١٦/٣) أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة ، ولا يذكر أن لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم ، فلم يظهر ذلك إلا في النصف الثاني من القرن الثاني ... فيمكن القول أن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة ١٧٠ بمقام الأدب القانوني وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين ، ... يجدر بالذكر ما جرى بين السنة ١٥٠ والسنة ٢٠٠ إذ حدد على نحو تدريجي أن سفر أعمال الرسل مؤلف قانوني ، وقد حصل شيء من الإجماع على رسالة يوحنا الأولى ... هناك عدد كبير من المؤلفات (الحائرة) يذكرها بعض الآباء ذكرهم لأسفار قانونية في حين أن غيرهم ينظر إليها نظرته إلى مطالعة مفيدة .. وهناك أيضاً مؤلفات جرت العادة أن يستشهد بها ذلك الوقت على أنها جزء من الكتاب المقدس ، ومن ثم جزء من القانون لم تبق زمناً على تلك الحال ، بل أخرجت آخر الأمر من القانون ، ذلك ما جرى لمؤلف هرماس وعنوانه الراعي ، وللديداكي ، ورسالة أكليمنص الأولى ، ورسالة برنابا ورؤيا بطرس "

وهذا الذي ذكرته مقدمة العهد الجديد نستطيع أن نجمله بأن حركة تدوين الأناجيل بدأت بعد موت التلاميذ ، وأخذت شرعيتها في أواسط القرن الثاني كما ساعد في تكوين قانونية العهد الجديد مرقيون الهرطوقي سنة ١٦٠م حيث دعا لنبذ سلطة العهد القديم ، واحتاج لتزويد كنيسته بأسفار مقدسة أخرى ، فساهم أتباعه في نشر هذه الأناجيل فقد جمع في عهده إنجيلاً ، وراجعه مراجعة دقيقة ليتمشى مع أفكاره ، وجمع إليه رسالة بولس إلى أهل غلاطية وهي رسالة تؤكد إبطال الناموس ونقده ، ثم أضاف رسائل بولس إلى أهل كورنثوس وتسالونيكي وأفسس وفيلبي وفليمون .[1]

أما الكيفية التي اختارت بها الكنيسة هذه الأناجيل دون غيرها ، ومكان الاختيار و .... فلا يوجد أي تفصيل عند النصارى عن هذه النقطة سوى ما ذكره المدخل الفرنسي لعهد الجديد : " يبدوا أن مقياس نسبة المؤلف إلى الرسل استعمل استعمالاً كبيراً ، ففقد رويداً رويداً كل مؤلف لم تثبت نسبته إلى رسول من الرسل ما كان له من الحظوة " ولكن هذا القول إنما يصح لو كانت هذه الأناجيل جميعاً قانونية ، ثم بدأ بعضها يفقد بريقه عند التحقيق والتدقيق ، بينما حصل العكس في تاريخ الكتاب المقدس حين لم يعتبر شيء من هذه الكتب قانونياً ، ثم بدأ في الاختيار فيما بعد ويقول الأب كنغسر بأن الأناجيل التي رفضت هي التي لاتتفق مع الخط الأرثوذكسي " لما رأها معتبرة وكاملة " ، وذكر الخولي طريقة الاختيار - و لم يذكر مصدره

---

(١) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ١١٩ - ١٢١ ، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ٢٦٨/٢ - ٢٦٩ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٣ - ٣٥ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ٧٣ .

- فقال بأن مجمع نيقية هو الذي اختار هذه الأناجيل الأربعة عندما شك بها المجتمعون فوضعوا الأناجيل تحت اختبار الحريق ، وقالوا : النار تأكل الأسفار غير الإلهامية ، فنجت هذه الأناجيل الأربعة لكن المتفق عليه عند مؤرخي الكنيسة أن الأناجيل الأربعة ورسائل بولس قد أقرت في أواخر القرن الثاني ، وكان أول من ذكرها أرمينيوس سنة ٢٠٠م تقريباً ، ثم ذكرها كليمنس اسكندريانوس ودافع عنها واعتبرها واجبة التسليم .

فيما بقيت أسفار العهد الجديد موضع نزاع بين الكنائس طوال القرن الثالث ، وقد قبلت بعض الكتب في الكنائس الشرقية كالرسالة إلى العبرانيين ، بينما رفضها أتباع الكنائس الغربية ، وقبلوا رؤيا يوحنا اللاهوتي .[1]

وكما وقع الخلاف في إلهامية بعض الأسفار وقع الخلاف في ترتيب هذه الأسفار في العهد الجديد ، وهذا الخلاف مهم إذ كل رتب الأسفار حسب ما يعتقد لها من قيمة وقداسة وأهمية ، فالخلاف في الترتيب خلاف في قيمة الأسفار .

وأقدم قائمة رتبت الأسفار كانت في أواسط القرن الرابع وهي قائمة أثناسيوس ٣٦٧م ،وكان ترتيبه كالتالي الأناجيل ثم أعمال الرسل ثم الرسائل الكاثوليكية ثم رسائل بولس ثم سفر الرؤيا ، ثم أصدر مجمع روما ٣٨٢م ترتيباً آخر تلى الأناجيل فيه رسائل بولس ثم رؤيا يوحنا ثم الرسائل الكاثوليكية السبعة ، وأما الترتيب الحالي فكان من قرارات مجمع ترنت ١٥٤٦م .[2]

وقد حرص علماؤنا من خلال استعراضهم لمسيرة الأناجيل ، وتحولها من عمل شخصي إلى عمل قانوني مقدس إلى بيان حقيقة هامة ، وهي أن تقديس هذه الكتب عمل بشري لايستند إلى دليل من هذه الكتب ، بل هو قرار اختلفت فيه المجامع حتى أقر ، ولو كان من الوحي لما اختلفت فيه المجامع ولما احتلج إلى قرار كنسي ليصبح مقدساً ووحياً إلهياً .

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٣٨١/٢ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ١١٩ - ١٢١ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٩٦ - ٩٨ ، التحريف في التوراة،محمد علي الخولي،ص ١ ، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٢٥٧ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٤٤ - ٣٤٥ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٤ - ٣٦ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب،ص ٧٩ - ٨١ ، الكتاب المقدس في الميزان،عبد السلام محمد،ص ٨٩ - ٩١ .

(٢) انظر : محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ١٧ ، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ٣٢ .

الأناجيل غير القانونية

ظهر في الجيل الأول من النصرانية أناجيل كثيرة - كما تدل على ذلك مقدمة إنجيل لوقا - ورأينا كيف اعترفت الكنيسة بأربعة أناجيل ورفضت عدداً من الأناجيل والكتب أوصلها صاحب اكسيهومو (١٨١٠م) إلى أربعة وسبعين كتاباً ، وعددها فذكر أن منها ما هو منسوب لعيسى وأمه . وللحواريين ، ومنها ما هو منسوب للإنجيليين الأربعة ، وأوصلها بعض الباحثين إلى ما يربوا على المائة كتاب ، ومنها ما هو منسوب لجماعات مسيحية قديمة كإنجيل المصريين والناصريين ، وقد سميت بعض هذه الكتب أناجيل كإنجيل بطرس واندرياه ويعقوب وميتاه (متى) وإنجيل المصريين لمرقس وبرنابا ، وعددت دائرة المعارف الأمريكية أسماء ستة وعشرين إنجيلاً لاتعترف بهم الكنيسة رغم نسبتهم إلى المسيح وكبار حواريه ، وقد كانت بعض هذه الكتابات والأناجيل متداولة لدى عدد من الفرق المسيحية القديمة ، وظلت متداولة إلى القرن الرابع الميلادي .

وفي مجمع نيقية ٣٢٥م أمرت الكنيسة باعتماد الأناجيل الأربعة ورفض ما سواها من غير أن تقدم مبرراً لرفض تلك الأناجيل سوى مخالفتها لما تم الاتفاق عليه في المجمع ، وفي ذلك يقول العالم الألماني تولستوي في مقدمة إنجيله الخاص الذي وضع فيه ما يعتقد صحته " لا ندري السر في اختيار الكنيسة هذا العدد من الكتب وتفضيلها إياه على غيره ، واعتباره مقدساً منزلاً دون سواه مع كون جميع الأشخاص الذين كتبوها في نظرها رجال قديسون .... ويالیت الكنيسة عند اختيارها لتلك الكتب أوضحت للناس هذا التفضيل ...إن الكنيسة أخطأت خطأ لايغتفر في اختيارها بعض الكتب ورفضها الأخرى واجتهادها ... "

وأمرت الكنيسة بحرق جميع هذه الأناجيل لما فيها من مخالفات للعقيدة ، وصدر قرار من الامبرطور بقتل كل من عنده نسخة من هذه الكتب .[1]

وهكذا اختفت معظم هذه الأناجيل و لم يصل منها سوى إنجيل برنابا والإنجيل الأغنسطي ، وثلاث قصاصات من إنجيل مريم وبعض شرائح لاتينية واغريقية وقبطية من إنجيل برثولماوس وإنجيل نيقوديموس كما عثر أخيراً في نجع حمادي بمصر على مقتطفات من انجيل بطرس وكتاب أعمال يوحنا ، ولعل أهم ما وجد في نجع حمادي مائة وأربعة عشر قولاً منسوباً للمسيح في إنجيل توما الذي يختلف أسلوبه عن الأناجيل الأربعة إذ لم يسرد قصة المسيح ، بل نقل أقواله ، ويرجع المحقق كويستر هذا الإنجيل إلى منتصف القرن الأول الميلادي ، وأرجعه كيسيبل إلى ١٤٠م .

وعثر أيضاً على إنجيل" الحقيقة "والذي اعتبره ايرينوس (١٨٠م)إنجيلاً مزوراً .

وللتأكيد على وجود هذه الأناجيل في القرن الأول وحتى قبل كتابة الإنجيليين الأربعة لأناجيلهم ننقل ما ذكره لوقا في مقدمته " إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا .. رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به " (لوقا ١/١ - ٤) .

---

(١) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٤٣ ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/١١٠ ، ٢/٥٤٨ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

وقد استشهد كل من كليمنت الرومي (٩٧م) وبوليكارب (١١٢م) بأقوال للمسيح في صيغ مستقلة غير موجودة في الأناجيل الأربعة .

وقد جمع فايرسيوس ما تبقى من هذه الأناجيل ، وطبعها في ثلاثة مجلدات .[١]

وبادئ ذي بدء فإن علمائنا سجلوا حول هذه الأناجيل ملاحظات .

١) أن هذه الأناجيل تخالف عقائد مجمع نيقية ، وبعضها كان خاصاً بفرق مسيحية موحدة .

٢) أن الكنيسة حين حرمت هذه الأناجيل ، و لم تقدم أدلة على صحة القرار الذي اتخذته .

٣) أنه كما لايحق لرجال الكنيسة إعطاء صفة القانونية للأناجيل الأربعة فإنه لايحق لهم إبطال صحة هذه الأناجيل واعتبارها أبوكريفا (مزيفة ، خفية) .[٢]

إنجيل برنابا

وفي مطلع القرن التاسع عشر ترجم إلى العربية إنجيل برنابا فاهتم به المسلمون فمن هو مؤلف هذا الإنجيل وما أهميته و ..... ؟

برنابا هو أحد حواريي المسيح ، واسمه يوسف بن لاوي بن إبراهيم ، يهودي من سبط لاوي من قبرص ، باع حقله وجاء ووضعه عند رجل المسيح (انظر أعمال /٣٦ – ٣٧) عرف بصلاحه وتقواه ، ويسميه سفر الأعمال" يوسف الذي دعي من الرسل برنابا " (أعمال ٣٦/٤) ولما ادعى بولس أنه رأى المسيح وعاد إلى أورشليم يتقرب إلى التلاميذ تولى برنابا تقديمه إلى التلاميذ (انظر أعمال ٢٧/٩) وقد ذهب برنابا للدعوة في أنطاكية .. "ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب ، لأنه كان رجلا صالحا وممتلئا في الروح القدس والإيمان ، فانضم إلى الرب جمع غفير " (أعمال ٢٢/١١ – ٢٤) ، ثم خرج إلى طرسوس ودعا فيها مع شاول (بولس) سنة كاملة (أعمال ٢٥/١١ – ٢٦) ، ثم تشاجر مع بولس وافترقا (أعمال ٢٩/١٥) وبعد هذا الشجار اختفى ذكر برنابا من العهد الجديد .

وذكر الأعظمي أن وفاته كانت سنة ٦١م في قبرص حيث قتله الوثنيون رجما بالحجارة ودفنه ابن أخته مرقس ، ووضع فوق صدره نسخة من الإنجيل ويضيف الأعظمي – من غير أن يذكر مراجعه – أن قبره اكتشف عام ٤٠١م في قبرص ، وعثروا على الإنجيل ، ووصل خبره إلى الملك الذي طلبه من الأسقف أنثيوموس مكتشف القبر .

ويذكر المؤرخون – كما نقل الأعظمي – أن الإنجيل المكتشف هو إنجيل متى ، ويرده الأعظمي مستدلا بقول المؤرخين بأن متى ألف انجيله عام ٦٥م أي بعد وفاة برنابا ، ثم إن برنابا لم يكن ليحتاج إلى

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٥٥٤/٢ ، مخطوطات البحر الميت ، أحمد عثمان ١٣٤ – ١٥٣ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٥ – ٣٨ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحى ربيع،ص ١٦٢ – ١٦٦ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٣٣ – ٣٤ .

(٢) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحى ربيع،ص ١٦٦ ، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ٧٠ – ٧١ ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عوض،ص ٩٦ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٣٤ .

قراءة إنجيل متى حال حياته ، إذ هو يحكي قصة المسيح التي شهدها برنابا ، وكان مرقس قد قال عند دفنه مع الإنجيل " إنه كان يحب قراءته " ثم إن في إسراع الملك وإصراره على طلب قراءة الكتاب ما يدل على أنه ليس إنجيل متى ، بل هو إنجيل برنابا .

وأخيرا يرى الأعظمى بأن هذه النسخة قد اختفت فى البلاط الملكي .[1]

وتنسب المصادر التاريخية إلى برنابا إنجيلا ورسالة وكتابا عن رحلات وتعاليم الرسل ، وقد عثر العالم الألماني تشندروف (١٨٥٩ م) على رسالة برنابا ضمن المخطوطة السينائية التي عثر عليها ، مما يشير إلى اعتبارها رسالة مقدسة فترة من الزمن .

لكن أيا من رسائله وكتاباته لم تعتبر مقدسة ، وهنا يعجب محمد عوض كيف اعتبرت رسائل بولس ولوقا ؟ و لم تعتبر أقوال برنابا الذي سبقهم بالإيمان وبصحبة المسيح !!

وقد صدر عام ٤٩٢م قرار من البابا جلاسيوس الأول بتحريم مطالعة بعض التي منها إنجيل برنابا ، وكان قد صدر عام ٣٦٦م أمر من البابا دماسس بعدم مطالعة إنجيل برنابا ، كما صدر مثله عن البابا أنوسنت ٤٦٥م ومجلس الكنائس الغربية عام ٣٨٢م .[2]

واختفى ذكر إنجيل برنابا قرونا طويلة حتى عثر الراهب الإيطالي فراميو في أواخر القرن السادس عشر على نسخة منه في مكتبة البابا سكتس الخامس في الفاتيكان ، فأخفاها وخرج بها ثم أسلم ، وانقطع ذكر هذه النسخة ، وفي عام ١٧٠٩م عثر كريمر أحد مستشاري ملك روسيا على النسخة الوحيدة الموجودة اليوم من إنجيل برنابا والتي استقرت عام ١٧٣٨م في البلاط الملكي في فيينا ، وتقع في ٢٢٥ صحيفة سميكة مجلة بصحيفتين ومكتوبة بالإيطالية .

وقد ترجمت إلى العربية في مطلع هذا القرن على يد الأستاذ خليل سعادة ، وقدم للترجمة بمقدمة استعان بها علماؤنا في معرفة أصول هذه النسخة ، وقد ذكر وجود ترجمة أسبانية تناقلها عدد من المستشرقين في أوائل القرن الثامن عشر ، وانتهت إلى يد الدكتور هوايت الذي ذكر بأنها مترجمة عن نسخة البلاط الملكي الإيطالية ، وأن مترجمها للأسبانية مسلم يدعى مصطفى العرندي ، واختفت هذه النسخة عنده .

فمن هو كاتب نسخة البلاط الملكي الوحيدة ؟ ومن هو كاتب الإنجيل ؟

أما بخصوص النسخة الوحيدة فإنها كما يصفها خليل سعادة مجلدة بصحيفتين عليهما نقوش ذهبية " يسميها الغربيون الطراز العربي ، ويستدلون من مجمل التجليد المنوه عنه أنه طراز شرقي .. وآخرون يقولون : إن التجليد من صنع مجلدين باريسيين استقدمهما الدوق ذي سافوي لتجليد هذه النسخة ، ويحتمل أنها جلداها وفقا للطراز العربي ، ويؤيد هذا أن المحفظة الخارجية لنسخة هي من صنع الباريسيين بلا مراء .

ويرى المحققون أن ناسخ هذه المخطوطة من أهالي البندقية في القرن ١٥ - ١٦ أو أوائل القرن السابع عشر ، وأنه أخذها من نسخة توسكانية أو بلغة النبدقية ، وتطرقت إليها اصطلاحات توسكانية .

---

(١) انظر : اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٥٣ - ٣٥٦

(٢) انظر : الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عوض،ص ٦٠ - ٦١ ، الأناجيل،أحمد طاهر،ص ١٨٤ - ١٨٥ ، الميزان في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٤٩ ، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٣٨ .

ويذهب الكاتبان " لو تسدال " و " لو راواغ " إلى أن النسخ تم عام ١٥٧٥م تقريبا ، وأنه من المحتمل أن يكون الناسخ فراميو الراهب .

وقد زعم الدكتور هوايت أن لها أصلا في المشرق العربي ، لكن سعادة يرد هذا القول لخلو فهارس الكتب العربية من الحديث عن هذا الإنجيل ، كما خلت جميع الردود الإسلامية القديمة من الاستشهاد أو الإشارة لهذا الإنجيل، ويوجد على هوامش النسخة ألفاظ وجمل عربية بعضها صحيح العبارة وبعضها ركيك لايتصور أن " يفعله كاتب عربي تحت الشمس " ويرجح سعادة أن الكاتب واحد، وأنه عربي، وأن الناسخ بدل وغير في النسخة ، فنتج هذا الاضطراب في العبارات العربية ، ويجزم سعادة أن هذه النسخة نسخة منقولة عن أصل آخر لها .

وأما بخصوص كاتب الإنجيل فقد حاول النصارى إلصاق هذا الإنجيل بالمسلمين ، وبعد دراسة رأى سعادة أن كاتبه " يهودي أندلس اعتنق الدين الإسلامي بعد تنصره واطلاعه على أناجيل النصارى ، وعندي أن هذا الحل هو أقرب إلى الصواب من غيره " .

واستند في زعمه إلى أمور :

١) أن للكاتب إلماما عجيبا بأسفار العهد القديم " لاتكاد تجد له مثيلا بين طوائف النصارى إلا في أفراد قليلين من الأخصائيين ... والمعروف أن كثيرين من يهود الأندلس كانوا يتضلعون بالعربية .. فيكون مثلهم في الاطلاع على القرآن والأحاديث النبوية " .

٢) أن الإنجيل يؤكد على أهمية الختان وغيره من الأحكام التوراتية ، وفيه من الكلام الجارح ما يستحيل صدوره من نصراني ، كما يتضمن تقاليد تلمودية يتعذر على غير اليهودي معرفتها .

ويتضمن أيضا أساطير وقصص عربية مما يتناقله العامة في البيئة العربية ، فدل ذلك على أنه يعيش في البيئة العربية.

٣) أن هذا الإنجيل يوافق القرآن والسنة في مواضع عدة أهمها إنكار الوهية المسيح أو أنه ابن الله ، وإنكار صلب المسيح ، والقول بصلب يهوذا ، وكذا يصرح الإنجيل ويؤكد على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق ، ويذكر أن محمدا ﷺ هو المسيا المنتظر في أكثر من موضع .

٤) أن هذا الإنجيل يباين الأناجيل الأربعة بما فيه من أدب راق ومسائل فلسفية وعلمية .

وذكر سعادة بعض الشبهات المثارة التي تؤكد أن هذا الإنجيل منحول ، وأن نسبته لاتصح لبرنابا ، ثم عاد فأبطل جميع هذه الشبهات وأسقطها وبين أنها لاتقوم على دليل صحيح .

كما ذكر سعادة احتمالا آخر ، وهو أن يكون الإنجيل الأغنسطي أبا لهذا الإنجيل (برنابا) ، وأن كاتب الإنجيل المسلم في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر قد صاغه بهذا القالب .

واستدل لذلك بما في الإنجيل من مباحث فلسفية تشبه فلسفة أرسطو طاليس التي كانت شائعة في القرون الوسطى ، كما يحوي الإنجيل تشبيهات واستعارات أدبية تشبه ما نقل عن الشاعر دانتي في العصور الوسطى .[1]

---

(١) انظر : مقدمة إنجيل برنابا ، خليل سعادة،ص م

والنتيجة أن النصارى لايعترفون بصحة نسبة الإنجيل لبرنابا ، ويؤكدون أنه منحـــول ، وأن كاتبـــه مسلم في القرون الوسطى .

وقد صدرت في ذلك كتابات نصرانية أشار إليها محمد عوض أكدت أن الإنجيل مزور مستدلة بمـــا سبق وبأمور أخرى أقل أهمية مثل مخالفة الإنجيل لبعض حقائق الجغرافيا والتاريخ ، وأيضا أنه حـــوى أمـــورا تكذبه بها الأناجيل الأربعة ومنها قوله " أن الله اعتبر الكذب في سبيل الحمد فضيلة " (برنابـــا ٦٠/١٦١) ، ومنها أن قوله بصلب يهوذا بدلا عن المسيح فكرة غير ناضجة ، لأن الله لو أراد إنقاذ المسيح لأنقذه بمعجزة ، وليس عن طريق الغش والخداع الذي يلجأ إليه الضعفاء .

ومن هذه الكتابات الرافضة لنسبة إنجيل برنابا للتلميذ برنابا كتاب " إنجيل برنابا شهادة زور علـــى القرآن الكريم " ، ليوسف الحداد ، وكتاب " حول الإنجيل وإنجيل برنابا " لإلياس زحلاوي ، وكتاب " إنجيل مزيف إنجيل برنابا في ضوء التاريخ والعقل والدين " عوض سمعان ... [1]

موقف علماء الإسلام من إنجيل برنابا

على الرغم من موافقة إنجيل برنابا لمعتقدات المسلمين في الجملة فإن أحدا من المســـلمين لا يعتـــبره الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح ..

و لم يلجأ المسلمون إلى الاستشهاد بهذا الإنجيل إلانادرا ، وكان استشهادهم به أقرب إلى الاســـتئناس منه إلى الاستدلال ، فالمسلمون لايرون في هذا الإنجيل إنجيل المسيح ، لكنه أقرب إلى طبيعة المسيح وتلاميـــذه من سائر الأناجيل .[2]

ورفض المسلمون نسبة هذا الإنجيل إلى المسلمين ، فلقد وجد في بيئة مسيحية صرفة كما سبق بيانه ، وقد سبق ذكره قبل الاسلام بقرون عدة مما يدل على براءة المسلمين منه .

وأما التعليقات العربية الموجود على نسخته الإيطالية فهي من عمل الناسخ عن الأصـــل أو قـــارئ للنسخة لايجيد العربية ، ولعله فرامينو الراهب الذي أسلم ، وتكون هذه النسخة هي التي عثر عليها في مكتبـــة البابا ، وهذه الكتابات العربية يستحيل صدورها من مسلم عارف لدين الله إذ لايوجد في المسلمين من يطلـــق لفظ السورة على غير السورة القرآنية كما ليس فيهم من يقول بأن السماوات تسع ، وليس فيهم من يســـمي الملاك إسرافيل بأوريل ، ثم من ذا المسلم الذي سيصنع هذا الإنجيل ولا يستشهد به هـــو ولا مـــن بعـــده في مناظرة النصارى ؟ وكيف له أن يوصله إلى مكتبة البابا بالفاتيكان ؟ فجهل المسلمين به وعدم استشهادهم بـــه دليل برائتهم منه .[3]

---

(١) انظر : الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عوض،ص ٧٥ - ٨٤ .

(٢) انظر : ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٢٥٠ ، الأناجيل،أحمد طاهر،ص ١٧١ .

(٣) انظر : تعليق محمد رشيد رضا في مقدمة إنجيل برنابا صفحة ت ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهـــرة،ص ٧٤ - ٧٦ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٦١ - ٣٦٥ ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيـــل برنابـــا والأنـــاجيل الأربعة،محمد عوض،ص ٩٤ ، الميزان في مقارنة الأديان،محمد عزت الطـــهطاوي،ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، المســـيحية ،أحمـــد شلبي،ص ١٨٥ .

وأما تصريحه باسم النبي ﷺ واعتباره دليلا على أنه من وضع المسلمين ، وأن المؤلف المنتحل - كما يقول سعادة - بالغ وجاوز في الغرض ولو أشار من غير تصريح باسم النبي لكان ذلك أبلغ .

فهذا يراه أحمد شلبي دليلا على صحة نسبة الإنجيل وبراءة المسلمين منه ، إذ لايمكن أن يفوت كلتب الانجيل ، وهو الذي يصفه سعادة بالذكاء البارع - مثل هذه الأمر ، فلو كان منتحلا لأشار للنبي و لم يصرح باسمه ، فتصريحه مع ذكائه وبراعته دليل أصالته ، وقد ذكر الرحالة الانجليزي بيرم أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الإنجيل باللغة الحميرية يبشر فيها المسيح بنبي بعده اسمه أحمد . وهذا التصريح باسم النبي ﷺ موجود في إنجيل يوحنا بلفظة " الفارقليط " كما سيأتي بيانه ، ومثله في لفظ " مادماد " العبرية وهي رمز لكلمة " محمد " .

ويؤكد العثماني بأن التصريح بالاسم معهود في كتب القوم ، فقد ورد في نبوءات العهد القديم كما في إشعيا ١٤/٧ ، ومزمور ٢/٢ ، ودانيال ٢٥/٩ . ثم لعل التصريح بالاسم من عمل الناسخ المتأخر الذي فهم مراد النص الأصلي ، وأن المراد هو محمد ﷺ فأبدله .

وأما تكذيب الإنجيل لألوهية المسيح ، وتشنيعه الشديد على من ترك الختان فهو دليل على نصرانية كاتبه لايهوديته إذ ترك الختان ليس من دين المسيح بل هو من تغيير بولس بعد المسيح ، ومثله القول بألوهية المسيح ، وقد كتب برنابا إنجيله ليكشف ما صنعه بولس كما جاء في مقدمته " إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائما مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم معه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته ... " (برنابا : مقدمة /٢ - ٨) .[1]

ومما يدل على براءة المسلمين من هذا الإنجيل اختلافه في طريقة صياغته وأسلوبه عن طريقة العرب وأسلوبهم ، فليس في المسلمين من يذكر الله ولايثني عليه . أو يذكر الأنبياء ولا يصلي عليهم .

كما يخالف المعتقدات الإسلامية في مسائل منها قوله بأن الجحيم للخطاة السبعة: المتكبر والحسود والطماع والزاني والكسلان والنهم والغضب المستشيط ، (انظر برنابا ٤/١٣٥ - ٤٤) وقد ترك ذنوبا أكبر كالشرك والقتل، كما أن الكسل والنهم لايستحقان النار ، ومثله قوله " دعوا الخوف للذي لم يقطع غرلته ، لأنه محروم من الفردوس " (برنابا ١٧/٢٣) فمثل هذا لايوافقه عليه مسلم .

ومثله تسمية الله " العجيب " (برنابا ٣/٢١٦) ، وقوله " إن الله روح " (برنابا ٦/٨٢) والأرواح عندنا مخلوقة ، وقوله عن الله أنه " المبارك " (برنابا ١٦/٧١) ،ولا يمكن لمسلم أن يقول عن الله ذلك ، إذ هو الذي يبارك ، ومن ذا الذي يباركه !!! فتبارك الله أحسن الخالقين .

---

(١) انظر : تعليق محمد رشيد رضا في مقدمة برنابا صفحة ت ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ٧٦ - ٧٧ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٦٥ ، الميزان في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٥٣ ، المسيحية ،أحمد شلبي،ص ١٨٥ - ١٨٦ ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عوض،ص ١٦١ - ١٦٣ ، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٣٩ - ٤٠ ، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

ومما يرد أيضا انتحال مسلم لإنجيل برنابا قوله " أقول لكم إذا إن السماوات تسع "(برنابا ٣/١٠٥) ولا يقول بهذا مسلم قرأ القرآن .

وأيضا يذكر برنابا تسميات للملائكة لم يقل بها المسلمون ، وفي ذلك ذكر اسم رفائيل وأوريل في قوله " أمر جبريل وميخائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ... فجاء الملائكة الأطهار " (برنابا ٤/٢١٥-٥) .[1]

ثم قد ورد اسم الرسول " محمد " عشرات المرات في إنجيل برنابا و لم يرد اسمه " أحمد " مرة واحدة ، ولو كان الكاتب مسلما لعمد إلى كتابته - ولو مرة واحدة ليحقق التوافق الحرفي مع ما جاء في سورة الصف ﴿ ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ .[2]

ثم لو كان كاتبه مسلما لكتب معجزة كلام المسيح في المهد التي ذكرها القرآن وأغفلتها الأناجيل ، وغير ذلك من المسائل التي تثور في وجه من يقول بانتحال مسلم لهذا الإنجيل .

ورد علماؤنا القول بأن إنجيل برنابا منحول ، وردهم له ليس لجزمهم بصحة نسبة الإنجيل إلى برنابا ، بل لجزمهم بأن هذا الإنجيل لايقل حاله بحال من الأحوال عن سائر أسفار العهد القديم والجديد .

ويقول العثماني عن اعتراض النصارى على هذا الإنجيل ودعواهم بأنه لم يصل بطريق موثق ، وأنه لايعلم أصله : " صحيح ومعقول للغاية عندنا ، وما لم تأت إجابة مقنعة عليه لايمكن الجزم بكونه أصليا " .

ونبه العثماني إلى أن هذا الاعتراض لايصح من النصارى إذ الحال الذي ينكرونه هو حال كل صحيفة من صحائف الكتاب المقدس ، ونسبته تنتهي إلى الراهب فرامينو كما تنتهي نسبة الأسفار الخمسة إلى الكاهن حلقيا بل إن لإنجيل برنابا مزية على سائر الأناجيل فقد صرح فيه الكاتب أنه برنابا ويقول عن نفسه فقال لي برنابا ، وقلت للمسيح .... ، بينما لاتجد مثله في سائر الأناجيل (انظر متى ٩/٩) و (يوحنا ٢٤/٢١) .

وأما أسلوبه الفلسفي فهو يعود لأسلوب الكاتب وليس ما يمنع من أن يكون برنابا كما كان يوحنا الإنجيلي صاحب فلسفة ، ومثله يقال في أدبه الراقي وأما أخطاء الإنجيل التاريخية أو ذكره تسمية "جبل طابور" (برنابا ٢٠/٤٢) وهي تسمية غير معهودة أيام المسيح ، فهذا لايختلف أبدا عن ذكر حبرون في عهد موسى ، وقد سميت بعده (انظر التكوين ١٨/١٣) .

ولعل هذه التسمية الجديدة - إن صحت جدتها - من عمل الناسخ وتدخله في النص .

ثم إن أسلوب الكاتب ومعلومات الإنجيل يؤكدان بأن الكاتب ضليع في علوم الكتاب المقدس ، متصف بعمق واسع يليق بمثل برنابا داعية النصرانية في الجيل الأول ، فليس بمستغرب أن يكون قد كتب إنجيلا ومنع قراءته دليل وجوده بل واشتهاره .

ووجود الفرق الموحدة في تاريخ النصرانية يلزم منه وجود أناجيل تكذب ألوهية المسيح خاصة في

---

(١) انظر : تعليق محمد رشيد رضا في مقدمة برنابا ص ت ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٨٠ ، المسيحية ،أحمد شلبي،ص ١٨٥ - ١٨٦ ، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٢٤٢ - ٢٤٦ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٦٠ ، الميزان في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٥٠ .

(٢) سورة الصف ، آية : ٦ .

القرن الرابع والخامس ، وقد وصل هنورياس الأول ٦٢٥ - ٦٣٨م إلى كرسي البابوية وكان موحدا وأعدم بعد ذلك .

وأما مخالفة الإنجيل للحقائق التاريخية فهي لكونه عملا بشريا ، فلا حرج في ذلك إذ أن النصارى ينسبون مثل هذه المخالفات إلى أسفار الوحي . وقول برنابا " الكذب فضيلة " لايختلف كثيرا عن قول بولس عن نفسه بأنه روماني كذبا (انظر أعمال ٢٣/٢٥) ثم قوله " فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده " (رومية ٣/٧) فصدور هذا الاعتراض من النصارى لايقبل .

وأما التشابه بين أقوال الشاعر دانتي وإنجيل برنابا فهو لايعني جزما بأن كاتب الإنجيل وجد بعد دانتي ، بل قد يكون دانتي هو المستفيد من برنابا . ثم إن التشابه لايعني نقل اللاحق عن السابق دائما ، وإلا لزم أن نقول بأن أسفار التوارة التشريعية منقولة عن قوانين حمورابي .

وأما اعتبارهم لفكرة صلب يهوذا بأنها فكرة غير ناضجة ولاتليق بالله وقوته فهو قول لايقبل من النصارى الذين تعاموا عما في فكرة الفداء والخلاص من نسبة الضعف لله جل وعلا .

وأخيرا فإنه لو كان كاتب الإنجيل في العصور الوسطى لما وقع بتلك الأخطاء في الإحالة إلى أسفار التوارة [1] ولكان أيضا قد اهتم بالتنديد بالأناجيل الأخرى ، ولكنه لم يصنع لسبب بسيط ، وهو أنه كتب إنجيله قبل انتشار هذه الأناجيل ، ولو كان الإنجيل منحولا لندد مؤلفه بالتثليث وكتب في إبطاله ، لكنه لم يتحدث عنه ، فدل ذلك على أن زمن الكتابة سابق على دعوى التثيث التي ظهرت في القرن الرابع .

وأخيرا فإن محمد رشيد رضا يرى في كل ما سبق محاولات نصرانية للتخلص من هذا الإنجيل ، وقامت هذه المحاولات على أسس غير سليمة ولا منطقية ، ويشبه افتراضهم بأن كاتب الإنجيل مسلم ثم محاولتهم إقامة الأدلة على ذلك فيقول " مثال هذا ما امتحن به بعض الفلاسفة تلاميذه ، وهو أنه عمد إلى جرة كانت في الشمس فقلبها من غير أن يروه ، ودعاهم فقال : إني أرى وجه هذه الجرة المقابل للشمس باردا ، ثم قلبها ولمس الجانب الآخر معهم فإذا هو سخن ، فطالبهم بعلة ذلك .

فطفقوا ينتحلون العلل ، وهو يردها ، ولما سألوه عن رأيه في ذلك قال : إنه يجب أن يتثبت من صحة الشيء أولا ، ثم يبحث عن علته ، وكون الجانب المقابل للشمس من هذه الجرة باردا ، والجانب المقابل للأرض سخنا غير صحيح ... كذلك فعل بعض الباحثين في إنجيل برنابا ، ففرضوا أنه من وضع بعض المسلمين ، ثم حاولوا في حذر تعيين واضعه . هل هو عربي ؟ أم شرقي عربي أم ..... " .[2]

ولبيان مزية هذا الإنجيل وفضله على الأناجيل الأربعة المعتبرة ساق محمد عوض بعض المقارنات بين إنجيل برنابا الذي يحكي قصة المسيح ومعجزاته ودعوته وبين بقية الأناجيل التي تتحدث في نفس الموضوع . ولاحظ علماؤنا أن قصة برنابا متناسقة لاتثور في وجهها علامات الاستفهام والاستغراب التي يجدها القارئ

---

(١) انظر : تعليق محمد رشيد رضا في مقدمة برنابا ص ش ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ٧٤ - ٧٥ ، المسيحية ،أحمد شلبي،ص ١٨٧ ، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٢٤٥ - ٢٥٦ ، الميزان في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٥٠ ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عوض،ص ٨٣ - ٨٤ ، الأناجيل،أحمد طاهر،ص ١٧٣ - ١٧٤ ، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٣٩ .

(٢) تعليق محمد رشيد رضا على مقدمة إنجيل برنابا ص ش .

في الأناجيل الأربعة .

فلقد حكى برنابا ما حكاه الإنجيليون عن اختلاف الناس في المسيح ثم سؤال المسيح التلاميذ عن قولهم فيه " فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح ابن الله الحي ، " فأجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان بن يونا .. أعطيك مفاتيح السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السماوات ، حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح " (متى ١٦/١٦ - ٢٠) ثم بعد سطور يذكر متى أن المسيح انتهر بطرس " وقال لبطرس : اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي ، لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس " (متى ٢٣/١٦) ويذكر مرقس نفس الحادثة ويقول " فانتهرهم (أي المسيح) كي لايقولوا لأحد عنه " (مرقس ٣٠/٨) (وانظر لوقا ٣١/٩) .

وتثور على القصة عدة أسئلة : لم طلب منهم أن يخفوا أنه المسيح ؟ لماذا هذا الثناء على بطرس ثم هذا الغضب ؟ ولماذا انتهر المسيح تلاميذه ؟ أسئلة لا إجابة عنها ، لكنها تختفي تماما في رواية برنابا الواضحة، ففيها أن المسيح سألهم " وما قولكم أنتم في ؟ فأجاب بطرس : إنك المسيح ابن الله فغضب حينئذ يسوع ، وانتهره فغضب قائلا : اذهب وانصرف عني ، لأنك أنت الشيطان ، وتحاول أن تسيء إلي " ثم قال لبقية التلاميذ " ويل لكم إن صدقتم هذا ، لأني ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا " ، وأراد أن يطرد بطرس فتضرع إليه التلاميذ وبطرس الذي بكى وقال : " يا سيد لقد تكلمت بغباوة فاضرع إلى الله أن يغفر لي .. قال يسوع : إذا كان إلهنا لم يرد أن يظهر نفسه لموسى عبده ، ولا لإيلياء الذي أحبه كثيرا ولا لنبي ما ... أتظنون أن الله يظهر نفسه لهذا الجيل الفاقد الإيمان " (برنابا ١/٧٠ - ١٢) ويلحظ محمد عوض غياب الأسئلة السابقة عن رواية برنابا الواضحة المتناسقة . [1]

ويمثل محمد عوض بأمثلة أخرى منها أن الأناجيل الخمسة تحدثت عن حرص اليهود على قتل المسيح ، وعن إخبار المسيح تلاميذه بذلك . لكن الأناجيل الأربعة تسجل موقفا غريبا وباهتا للتلاميذ حيال هذا الخبر ، ففي مرقس أن المسيح قال لهم " إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة فيقتلونه ، وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث ، أما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه " (مرقس ٣٠/٩ - ٣٢) .

وفي لوقا " وأما هم فلم يفهموا هذا القول ، وكان مخفي عنهم لكي لايفهموه ، وخافوا أن يسألوه عن هذا القول " (لوقا ٤٣/٩ - ٤٥) .

فما الداعي لهذا الخوف وقد أخبرهم بقيامته بعد ثلاث ، ولم خافوا أن يسألوه ، ولم لم يفهموا قوله وهو واضح ؟!

أما رواية برنابا فلا ينتابها شيء من ذاك الغموض إذ يقول " أما يسوع فوجده الذي يكتب (برنابا) ويعقوب ويوحنا ، فقالوا وهم باكون : يا معلم لماذا هربت .. هربت لأني علمت أن جيشا من الشياطين يهيئ لي ما سترونه بعد برهة وجيزة ، فسيقوم علي رؤساء الكهنة والشيوخ ، وسيطلبون أمرا من الحاكم الروماني بقتلي .. علاوة على هذا فإن واحدا من تلاميذي يبيعني ويسلمني كما بيع يوسف إلى مصر ، ولكن الله العادل سيوثقه كما يقول النبي داود : من نصب فخا لأخيه وقع فيه ، ولكن الله سيخلصني من أيديهم

---

(١) انظر : الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عوض،ص ١٠٤ - ١١٠ .

وسينقلني من العالم " (برنابا ١٣٩/٨-٩)[١].

وهكذا يرى علماؤنا أن إنجيل برنابا لا يختلف من ناحية الإسناد كثيرا عن الأناجيل الأربعة ، لكنه الإنجيل الوحيد الذي صرح فيه كاتبه باسمه وبأنه شاهد لما يكتب ، وأما متنه فكان أكثر اتساقا من جميع الأناجيل ، متميزا بترابطه وجمال أسلوبه ومعرفته الكبيرة بالعهد القديم وأسفاره وهو ما يليق حقا بداعية النصرانية في الصدر الأول : برنابا .

وكانت مضامين هذا الإنجيل متفقة إلى حد بعيد مع ما يعهد في رسالات الله إلى أنبيائه ، وحق لتولاند ١٧١٨م في كتابه " الناصري " أن يقول عند ظهور هذا الإنجيل : " أقول على النصرانية السلام " . وقوله " إن مد النصرانية قد وقف من ذلك اليوم " ، " إن المسيحية ستتلاشى تدريجيا حتى تنمحي من الوجود ". [٢]

---

(١) انظر : الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عوض،ص ١١٤ - ١١٦ .

(٢) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٦٢ - ٦٣ .

المبحث الثاني : نقد متن العهد الجديد

تمهيد

ثبت لدينا براءة الحواريين من نسبة الأناجيل والرسائل إليهم ، ووقفنا على المصادر التي استقى منها الكتبة المجهولون ما كتبوه ووقفنا أيضا على تاريخ قانونية هذه الكتب التي منحها البشر صك القداسة ، واعتبروها وحيا من وحي الله .

وفي هذا المبحث نقف على جهود علمائنا التي انصبت لدراسة متن أسفار العهد الجديد للوقوف على دليل آخر يمنع اعتبار هذه الكتب مقدسة .

إذ أن للوحي سمات لاتخفي ، فهو مترابط متكامل لايكذب ولا يخطئ ، كما هو ذو أثر إيجابي في حياة الأمم إذ مقصده التربية والتهذيب ، وإذا تحقق هذا كله فلا يمنع من اعتباره وحيا إلا امتناع السند بينه وبين الوحي بالتحريف أو الوضع .

وقد جاءت دراسات علمائنا في هذا المبحث في مطالب :

المطلب الأول : أغلاط العهد الجديد .

المطلب الثاني : تناقضات العهد الجديد .

المطلب الثالث : التحريف في العهد الجديد .

المطلب الرابع : الأثر التشريعي والأخلاقي للعهد الجديد .

المطلب الأول : أغلاط الأناجيل

وكأي جهد بشري معرض للخطأ فإن الأناجيل كذلك تمتلئ بالأغلاط التي يكذبها التاريخ والواقع ، وثبوت الغلط في الكتاب يحيل قداسته ، ويفند دعوى إلهامه إلى سراب .

ولا يمكن لنا إحسان الظن بكثير من الأخطاء التي سوف نعرض لها بالذكر إذ يتحدث بعضها عن أحداث سابقة قصد تشويهها لسبب أو لآخر . والأغلاط في الأناجيل كثيرة ، وهي على أنواع فمنها ما تشهد عليه الأسفار المقدسة بالكذب ، ومنها ما يشهد عليه العقل ، ومنها ما يشهد عليه التاريخ والواقع .

الأغلاط بشهادة الكتب المقدسة

فمن الأغلاط التي تشهد لها الأسفار المقدسة عند النصارى بالخطأ ما جاء في متى في قوله أن المسيح قال " كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح " (متى ٢٣/٣٥) . وقد غلط متى إذ المقتول بين الهيكل والمذبح هو زكريا بن يهويا داع ، فقد جاء في سفر الأيام " ولبس روح الله زكريا بن يهويا داع الكاهن فوقف فوق الشعب .. ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب " (أيام (٢) ٢٤/٢٠ - ٢١) .

وأما زكريا بن برخيا فهو آخر عاش أيام سبي بابل ، وهو من الأنبياء الصغار ، وينسب له السفر الذي في التوراة ، ويقول عنه قاموس الكتاب المقدس " ويذكر التقليد اليهودي أن زكريا هذا طالت أيامه ، وعاش في بلاده ، ودفن بجانب حجي الذي كان زميلاً له " .

ولحل الإشكال الوارد على متى يقول محررو القاموس عن زكريا بن يهويا داع الذي عاش قبل السبي بزمن طويل " وقد دعاه المسيح في متى زكريا بن برخيا ، ولعله استعمل لفظ " ابن " هنا كما تستعمل في مواضع كثيرة في الكتاب لدلالة على النسب فقط فيكون برخيا أحد أجداد زكريا " .

ولا ريب أن ما يقوله محررو الكتاب المقدس لادليل عليه كما يظهر من سياق كلامهم . كما يجدر أن ننبه هنا إلى أن لوقا قد نقل قول المسيح الذي ذكره متى ولكنه لم يخطئ كما أخطئ متى ، فقد قال " من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أهلك بين المذبح والبيت " (لوقا ١١/٥١) .

وقد ذكر الأفندي أن زكريا بن برخيا هو ابن باروخ الذي قتل في حصار الرومان لأورشليم بعد المسيح كما جاء في كتاب " تاريخ حرب اليهود " وأرى أنه آخر بدليل اشتباه اسمه على متى ، ولو كان معاصراً لما اشتبه عليه مع زكريا بن يهويا داع .[1]

ومن الأغلاط أيضاً قول بولس عن الطعام الذي لايجوز أكله إلا للكهنة بولس " لأن موسى بعد ما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفاً ، ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب ... وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم " . (عبرانيين ٩/١٩ - ٢٠) ، وقد أخطأ بولس عندما ذكر أن موسى رش الكتاب ، وأنه أخذ مع الدم ماء ، وأن الدم دم فيه دم تيوس ،

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء،محمد رشيد رضا،ص ١٠٤ ، قاموس الكتاب المقدس ٤٢٨ .

وتقف على هذه الأخطاء عندما نقرأ القصة في التوراة فقد جاء فيها " وذبحوا سلامة للرب من الثيران ، فأخذ موسى نصف الدم ، ووضعه في الطسوس ، ونصف الدم رشه على المذبح ... وأخذ موسى الدم ، ورش على الشعب " (الخروج ٢٤/٥ - ٨) .[١]

وأخطأ مرقس وهو يتحدث عما فعله داود عندما جاع فأكل من خبز التقدمة الذي لايجوز أكله إلا للكنهة فقال " أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله في أيام أبيا ثار رئيس الكهنة ، وأكل خبز التقدمة الذي لايحل إلا للكهنة ، وأعطى الذين معه " (مرقس ٢/٢٥ - ٢٦) ، فعبارة " الذين كانوا معه " خطأ ولا محالة ، لأن داود كان حين ذهب إلى رئيس الكهنة كان وحيدا ، كما في سفر صموئيل وفيه " فجاء داود إلى نوب إلى أخيمالك الكاهن ، فاضطرب أخيمالك عند لقاء داود ، وقال له : لماذا أنت وحدك وليس معك أحد ... يوجد خبز مقدس ... " (صموئيل (١) ٢١/١ - ٤) .

والخطأ الثاني الذي وقع فيه مرقس حينما سمى رئيس الكهنة أبياثار ، وفي صموئيل أن رئيس الكهنة يومذاك هو أبوه أخيمالك الذي قتله شاول ، لأنه أعطى الخبز المقدس لداود (انظر صموئيل (١) ٢٢/٢٠ - ٢٣) كما ينبه محررو الكتاب المقدس إلى أن أبياثار هرب بعدها إلى داود مع صادوق رئيس الكهنة بعد مقتل أبيه أخيمالك .

وقد اعترف بهذا الغلط وارد الكاثوليكي في كتابه " الأغلاط " وقال نقلا عن مستر جوويل أنه كتب غلط مرقس فكتب أبياثار موضع أخيمالك .[٢]

وفي أثناء حديث الإنجيليين عن التلاميذ فإنهم يذكرون الإثنى عشر بخير ، وينسون أن فيهم يهوذا الخائن ، ولربما ذكروا حوادث حصلت بعد موته فذكروه بها . ومن ذلك قول متى أن المسيح قال لتلاميذه " الحق أقول لكم : إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على إثنى عشر كرسيا تدينون أسباط اسرائيل الإثنى عشر " (متى ١٩/٢٨) و لم يستثن يهوذا الذي يقول عنه " ويل لذلك الرجل .. خيرا لذلك الرجل لو لم يولد " (متى ٢٦/٢٤) ، وقد تنبه لوقا لخطأ متى ، فلم يقع فيه ، و لم يذكر عدد الكراسي (انظر : لوقا ٢٢/٢٨ - ٢٩) .

وهذا الخطأ وقع به بولس وهو يتحدث عن قيامة المسيح والتي يفترض أنها بعد وفاة يهوذا بأيام وقبل انتخاب البديل عنه ميتاس (انظر أعمال ١/٢٦) ، فقال بولس " قام في اليوم الثالث حسب الكتب ، وأنه ظهر لصفا ثم للإثنى عشر ، وبعد ذلك ظهر لأكثر من خمسمائة أخ .... " (تيموثاوس (١) ١٥/٤ - ٦) وقد تنبه للخطأ كاتب مرقس فقال " ثم ظهر للأحد عشر .... " (مرقس ١٦/١٤) .[٣]

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٣٥٠ - ٣٥١ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢٠٥ ، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٤٧ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٣٣٩ ، ٤٩٥ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢٠٤ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٩٥ ، قاموس الكتاب المقدس ٢٠ .

(٣) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٣٢٨ ، ٣٤٠ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٩٢ ، ١٩٦ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٩٩ - ١٠٠ ، النصرانية،مصطفى

ومن الأغلاط التي ذكرها علماؤنا وسبق لنا تفصيل بيانها بشهادة الكتاب المقدس ما ذكره متى عن مكث ابن الإنسان في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال (انظر متى ١٢/٣٨ - ٤٠) .

وقد حاول النصارى حل الإشكال بجعل الليلتين واليوم - وهي المدة التي تجمع الأناجيل على وجود المسيح فيها في القبر - ثلاثة أيام وثلاث ليال .

فكان من محاولاتهم أن بعضهم قال عن الظلمة التي وقعت عند موت المسيح قال تحسب بليلة ويوم ، وقال الذهبي (ولعله يوحنا فهم الذهب) : إن الثلاثة أيام والثلاثة ليال تحسب من يوم الخميس حين أكل المسيح العشاء مع التلاميذ وتحول الطعام إلى جسده ، فبطن الأرض مجاز عن بطونهم ، ورد ناسخ البحث الصريح هاتين المحاولتين ، فأما الأولى فإن المسيح حين حصولها كان على الصلب و لم يدفن ، فهي لا تدخل في الأيام والليالي الثلاث التي ينبغي أن يكون فيها في باطن الأرض ، ولو صحت المحاولة فإن الإشكال يبقى إذ لم تكمل ثلاثة أيام وثلاث ليال ، بل أضحت ثلاث ليال ويومين ، ومثله يقال في تأول الذهبي النص على المجاز ولا دليل عليه ، ويمكن قبوله لو لم تزعم الأناجيل أن المسيح دفن في بطن الأرض ، ولكن يشكل هنا كيف خرج المسيح من بطونهم بعد ثلاث ؟!

وقد اعترف بالسي وشلز أن متى قد غلط في فهم كلام المسيح ، فهذا التفسير بالبقاء ثلاثة أيام وثلاث ليال في الأرض كان من جانبه ، وأما مقصود المسيح فهو : " أن أهل نينوي كما آمنوا بسماع الوعظ وما طلبوا معجزة ، كذلك فليرضى الناس مني بسماع الوعظ " . (١)

وأرى أن هذا الاعتذار لايقبل ، لأنه قد جاء مثل هذا القول عن غير متى ، ففي يوحنا قال لهم " انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه " فلم يفهم اليهود كلامه ، وظنوه يتحدث عن هيكل سليمان " وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده ، فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا " (يوحنا ٢/١٩ - ٢٤) وقال لوقا : " إنه ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة ، ويصلب ، وفي اليوم الثالث يقوم " (لوقا ٢٤/٧) وفي مرقس " ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم " (مرقس ١٠/٣٢) ، وقيامته هي القيامة من الموت .

وزعم متى أن قصة خيانة يهوذا قد تنبأ بها إرمياء ، وقد كان يريد زكريا فغلط في ذلك (انظر متى ٢٧/٩ ، زكريا ١١/١٢ - ١٣) ، وقد ذكر هذا الغلط وأقر به وارد الكاثوليكي في كتابه " الأغلاط " ، وقال:" غلط متى فكتب إرمياء موضع زكريا " واعترف بهذا الغلط أيضاً عدد كبير من المحققين .(٢)

شاهين،ص ١٩٨ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٥٧ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٢٢٢ - ٢٢٤ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ٨١ .

(١) انظر تعليق الناسخ على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة الراسي"لوحة ٤٦أ - ٤٦ب ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٣١٦ - ٣١٨ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٩٠ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١٠٤ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١٠٠ - ١٠١ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٩٨ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٤٨

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٤٩٣ - ٤٩٥ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٨٩ .

ومثله سبق بيانه زعم متى أن الكتب تتنبأ عن المسيح ، وتسمية ناصرياً (انظر متى ٢٣/٢) و لم يوجد في الكتب شيء من ذلك فهو غلط حقاً .[1]

أغلاط بشهادة الواقع

وثمة نصوص أخرى كثيرة غلط فيها الإنجيليون بشهادة الواقع والتاريخ ، ومن مثل ذلك ما جاء في إنجيل متى عن القيامة القريبة التي تقترن بعودة المسيح القريبة ، والتي حددها المسيح كما يزعمون بأنها قبيل إنقضاء جيله ، وعليه طلب إلى تلاميذه أن لايذهبوا للدعوة في مدن السامريين فإن القيامة دون ذلك .

وقد قارب مجموع النصوص التي تحدثت عن عودة المسيح والقيامة العشرة ، أهمها : " فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله . الحق أقول لكم : إن من القيام ههنا قوماً لايذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته " (متى ٢٧/١٦ - ٢٨) ، ويقول أيضاً : " متى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى . فإني الحق أقول لكم : لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان " (متى ٢٣/١٠)

وفي سفر الرؤيا " ها أنا آتي سريعاً " (الرؤيا ١١/٣) وفي موضع آخر " ها أنا آتي سريعاً ، لاتختم على أقوال نبوة هذا الكتاب .. لأن الوقت قريب .. أنا آتي سريعاً " (الرؤيا ٧/٢٢ - ١٢) وتحدث متى عما يرافق عودة المسيح من أحداث " وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟ " .

فأجابهم المسيح بذكر علامات كثيرة ومنها " حينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ... الحق أقول لكم : لايمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامي لايزول " (متى ٣/٢٤ - ٣) .

وقد كان المسيح قال لهم قبل سؤالهم " الحق أقول لكم إنه لايترك ههنا حجر على حجر لاينقض " ومقصده الهيكل ، أي أنه إذا هدم لايبنى ، وذكر القس اسمث في كتابه " تحقيق دين الحق " والقسيس كيث في " رد المنكرين " . ما رأوه دليلاً على صدق الإنجيل حين حاول الملك جوليان - ٣٦٣م - تكذيب الخبر ، فأمر ببناء الهيكل ليبطل ما في الإنجيل فخرجت نار من الأرض وهرب البناؤون .

وقد سيطرة فكرة العودة السريعة على كتاب الرسائل ، ففي رسالة بولس إلى تسالونيكي " إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب " (تسالونيكي (١) ١٥/٤) وفي موضع آخر " نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور " (كورنثوس (١) ١١/١٠) وأيضاً " هو ذا سر أقوله لكم : لا نرقد كلنا ، ولكننا كلنا نتغير في لحظة ، في طرفة عين، عند البوق الأخير فإنه سيبوق ، فيقام الأموات عديمي فساد ، ونحن نتغير " (كورنثوس (١) ٥١/١٥ - ٥٢).

فهذه الأقوال وسواها تدل على أن القيامة وعودة المسيح قبلها سيحصل في زمن الجيل الأول ، لكن

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٣١٠/٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٥٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٦٦

شيئا من ذلك لم يحصل ، وقد مرت قرون طويلة فدل ذلك على أن في الأخبار ما هو غلط ، ويبـــدو لي أن المسيح أبلغ أصحابه بنزوله من السماء قبيل يوم القيامة وذكر لهم بعضا من الأمور التي تحدث قبله ، وطـــرأ الغلط والتحريف من قولهم بأن ذلك سيكون في زمن الجيل الأول .

ويتهرب المفسر بنيامين بنكرتن من هذه النصوص الواضحة الدلالة فيقول " إن المراد من إتيان المسيح في ملكوته هو معجزة التجلي الآتي ذكرها .. وإن القوم هم بطرس ويوحنا ويعقوب " أي أن تفسـير هـذه النصوص هو القيامة المزعومة للمسيح بعد موته بثلاثة أيام .

ويرد البغدادي كلام المفسر ويعتبره من العبث ، إذ النصوص تتحدث عن إتيان للمسيح يرافقه مجـد الله ، بينما كان المسيح متخفيا . وهل كان المسيح يخبر تلاميذه عما سيحصل بعد أسبوع !!! ثم مـاذا عـن النصوص التي قالها بولس وغيره بعد القيامة ؟ وأين العلامات التي رافقت مجيء المسيح .

وأما النص الذي يتبجح به النصارى والذي رأينا تعلق اسمث وكيث به فيكفي في نقضـه أن ننقـل ماذكره المفسر طامس نيوتن حيث قال : " عمر كان ثاني الخلفاء ، وكان من أعظم المظفرين ، الذي نشـر الفساد على وجه الأرض كلها – (حاشاه رضي الله عنه) – .... أخبره الأسقف عـن حجـر يعقـوب وموضع الهيكل السليماني ... وبنى مسجدا " أي في مكان الهيكل ، فانخرمت الآية التي يتعلق بها النصـارى ، ونقض حرف من ناموسهم ، فدل ذلك على أنه أيضا من الأغلاط .[1]

ومن النصوص أيضا التي تثبت شهادة الواقع بأنها وأن المسيح الذي لايكذب لايمكن أن يقـول مـا نسب إليه .

من ذلك ما جاء في خاتمة مرقس فقد جاء فيه أن المسيح ظهر لتلاميذه بعد الصلب وقال لهم " وهـذه الآيات تتبع المؤمنين ، يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيات ، وإن شربوا شـيئا مميتا لايضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى ، فيبرأون " (مرقس ١٦/١٧ – ١٨) .

وقريبا من هذا المعنى يقول مرقس بأن المسيح قال لتلاميذه " ليكن لكم إيمان بالله ، لأني الحق أقـول لكم : إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ، ولا يشك في قلبه بل يؤمن ، إن ما يقولـه يكـون ، فمهما قال يكون له " (مرقس ١١/٢٢ – ٢٣) وفي متى " وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونـه " (متى ٢١/٢٢) ويقول يوحنا على لسان المسيح أنه قال " الحق الحق أقول لكم [2] من يؤمن بي ، فالأعمـال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا ، ويعمل أعظم منها " (يوحنا ١٤/١٢) .

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٣١٨ – ٣٢٨ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليـل،بكـر التميمي،ص ١٩٠ – ١٩٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٢١٣ – ٢١٤ ، حوار صريح بين عبـد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١٠٤ ، نر ١٩٨ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٤٥ – ٤٦ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١٠٢ – ١٠٣ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمـد وصفي،ص ٣٦ ، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٤٦ ، تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في الإسلام،أحمد عبـد الوهاب،ص ١٤٨ – ١٥٠ .

(٢) عند تتبعي لكثير من المواضع التي ورد فيها مقولة " الحق الحق أقول لكم " وجدت أنها عادة ما تقترن بذكـر أكذوبـة لاتعقل ، ويراد من هذه العبارة تمرير الكذب .

أما الذي يعجزون عن فعل المعجزات فهؤلاء لا إيمان لهم ، ويحكى متى عن تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد ليسألوه عن إخفاقهم في شفاء المصروع فأجابهم : " لعدم إيمانكم ، فالحق الحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم " (متى ١٧/٢٠) .

وعليه فكل مؤمن نصراني يستطيع إحياء الموتى وشفاء المرضى وإخراج الشياطين و ..... ، وإن لم يصنع ذلك فليس بمؤمن . يقول الأب بولس إلياس في كتابه " يسوع المسيح " : " ومن مزيته التي لايفاضله فيها نبي ولا رسول أنه أفضى بالقدرة على إتيان المعجزات إلى تلاميذه ، ثم جدد منحها لهم بعد قيامه من الموت وصعوده إلى السماء ، وأورث الكنيسة تلك القدرة أيضا " ويبالغ يوحنا في عرضه للمعجزات التي يتوارثها النصارى عن المسيح إذ يقول في نص آخر يقول يوحنا بأن المسيح قال لليهود : " الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد " وفهم اليهود منه موتا حقيقيا فقالوا : " ألعلك أعظم من أنبياء إبراهيم الذي مات ، والأنبياء ماتوا " فلم يتهمهم بسوء الفهم بل قال : " إن كنت أمجد نفسي فليس مجدي شيئا ، أبي هو الذي يمجدني " (يوحنا ٨/٥١ - ٥٤) .

إذا هذه النصوص تتحدث عن معجزات تحدث للمؤمنين ، فهل تحقق شيء منها ؟

هل حقق آباء الكنيسة فضلا عن بقية المؤمنين أمثال معجزة المسيح أو أفضل منها ؟ هل أحيوا موتى ؟ هل شفوا مرضى ؟ هل أتقنوا لغات عدة وصاروا يتكلمون بألسنة مختلفة ؟أم هم غير مؤمنين فلم تقع منهم هذه المعجزات .

ولو كانت هذه النصوص حقا من أقوال المسيح لما مات بابوات الكنيسة ، ولما رأى رحمة الله الهندي القسس الكاثوليك يجتهدون في تعلم اللغات ثم لاينجحون ، ولو كان حقا لما مات البابا اسكندر السادس مسموما !!

وفي مناظرة ديدات لكبير قساوسة السويد ستانلي شوبرج وقف واحد من الجمهور ، وقرأ على القسس نص مرقس (١٦/١٦ - ١٨) وطلب إليه إن كان مؤمنا إن يشرب زجاجة سم رفعها الرجل بيده قائلا : " اشرب هذا السائل السام المميت ولا تمت ، لأن عندك إيمان بألوهية يسوع ، وعندك إيمان بصدق " فتغير وجه شوبرج ، وصار يتلعثم في القول وقال " إننا لو شربنا شيئا ساما لا نموت . إن هذا أمر غريب ، أنا مؤمن بالله وبالروح القدس كحقيقة ، الروح القدس يخبرنا ما ذا سيحدث لنا . لقد قالت لي زوجتي منذ ثلاثين يوما : يا استانلي كن حذرا إن شخصا ما سيغتالك بالسم ... أنا أرى الشيطان بداخلك (للسائل) ، أنا لا أريد أن أقوم باستعراض ... " ثم حمل السم وصبه في حوض الزرع .[1]

ومن الأمور التي ذكرتها الأناجيل أيضا ، ويكذبها واقع الناس ما جاء في مرقس أن بطرس قال للمسيح

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٣٣٠ - ٣٣٢ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٩٣ - ١٩٤ ، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٣٩ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٨٩ ، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ٨٨ - ٩١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٣٧ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل،عزية طه،ص ٢٠٧ ، المسيحية ،أحمد شلبي،ص ٤٦ ، ٢٢٩.

" ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فأجاب يسوع وقال : أقول لكم : ليس أحد ترك بيتا أو أخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة او أولادا أو حقولا لأجلي ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتا وإخوة وأخوات وأمهات وأولادا وحقولا مع اضطهادات وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية " (مرقس ١٠/٢٨ - ٣٠) ومثله (انظر متى ١٩/٢٩) وفيه : " يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية "، وانظر (لوقا ١٨/٢٨ - ٣٠) وفيه" يأخذ في هذا الزمان أضعافا كثيرة " وحار علماؤنا في فهم كيفية هذا التعويض ، كيف يمكن للإنسان أن يصبح عنده أمهات وآباء كثر ... وإذا فهم أن الآباء والإخوة والأمهات أمور مجازية ، فكيف يفهم تعويض الحقول والزوجات ؟

والنص واضح الدلالة أنه يتحدث عن جزاء دنيوي " مع اضطهادات " " في هذا الزمان " ثم وعد بالحياة الأبدية في الآخرة .

إن هذا الوعد الذي ذكره الإنجيليون لم يتحقق مرة واحدة ، ولا يمكن أن يتحقق إذ لايجوز في شريعة النصارى ان يكون للإنسان مائة امرأة في الدنيا وهم لايعتبرون جزاء الآخرة جزاء حسيا إذ جاء في متى " لأنهم في القيامة لايزوجون ولا يزوجون ، بل يكونون كملائكة الله في السماء " (متى ٢٢/٣٠) .

فهذا النص من الكذب ، ولو كان حقا فإن الخطيب يرى أن الناس سيسرعون إلى إجابة هذه الدعوة ، ولكشفت التجربة الواقعة منها عن معطيات يستبق الناس إليها ويقتتلون من أجلها .[1]

ومما يكذبه الواقع ما جاء في متى أن المسيح قال " ما جئت لأنقض ، بل لأكمل ، فإني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " (متى ٥/١٧-١٨) .

ويرى عبد الأحد داود أن هذا من الكذب لكثرة ما نقض الناموس من غير أن يحصل أي أمر ذي بال ، ومثل لذلك بإلغاء النصارى للسبت وهو من الناموس ، فقد جاء في سفر الخروج " اذكر يوم السبت لتقدسه .. سبت للرب إلهك لاتصنع عملا " (الخروج ٢٠/٨ - ٩) ، وكذلك الختان ، وغير ذلك من الشرائع المهملة إضافة إلى الزيادات والنقصان في أسفار التوراة كما تبين في حينه .[2]

أغلاط بشهادة العقل

كما توجد في الأناجيل أغلاط يشهد العقل بأنها لاتصدر عن الوحي ، لأنه أي العقل يشهد بخطئها . وذكر علماؤنا صورا كثيرة منها ما ذكره متى في قصة المجوس الذين جاءوا للمسيح عند ولادته وسجدوا له فيقول " ولما ولد يسوع في بيت لحم في أيام هيردوس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٣٤٤ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٩٨ - ١٩٩ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٢٨٦ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٤٦ - ٤٧ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٣٥ ، دراسة نقدية تحليلية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد،ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢) انظر : الإنجيل والصليب،عبد الأحد داود،ص ٦٨ - ٦٩ .

. أين هو المولود ملك اليهود ؟ فإننا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنسجد له ... ذهبوا إذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ، ووقف فوق حيث كان الصبي، فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً ..." (متى ٢/١-١٠).

فعند عرض القصة على العقل فإنه يرفضها لأمور :

- أن متى يتحدث عن نجم يمشي ، وحركته على رغم بعده الهائل ملحوظة على الأرض تشير إلى بعض أزقة أورشليم دون بعض ، ثم إلى بيت من بيوتها حيث يوجد المسيح ، فيتوقف وهو في السماء فكيف مشى ، وكيف دلهم على البيت ، وكيف وقف ؟!! وكيف رأوا ذلك كله ؟ أسئلة ليس لها إجابة .

- كيف عرف المجوس خبر المسيح ونجمه وهم لايعرفون الله ؟ وكيف يسجدون لنبي وهم لايؤمنون بدينه ؟ فهذا من الكذب بدليل أن أحد من قدماء المجوس ومؤرخيهم لم ينقل مثل هذا، وكذلك لم ينقله الإنجيليون الآخرون.

- ولماذا تحملوا عناء هذه الرحلة الطويلة لمجرد أن يسجدوا بين يديه ويقدموا له الهدايا ثم يعودون !!

- يتحدث النص عن اهتمام الوالي هيرودس بأمر المولود وأنه أضمر قتله ، وطلب من المجوس أن يخبروه إذا وجدوا الطفل ليسجد له ، ثم أُوحي للمجوس في المنام أن لايرجعوا لهيرودس ففعلوا ، فلو كان اهتمام هيرودس حقاً لقام معهم إلى بيت لحم وهي على مقربة من أورشليم ، أو لأرسل معهم خاصته ، وأما ما ذكره متى عن قتل هيرودس للأطفال بعد تواري المجوس قبل أن يقف على الطفل فهذا كذب بدليل أن أحداً من المؤرخين لم يذكره على أهمية هذا الحدث .[1]

ومما يكذبه العقل ولا يتصوره ما ذكره متى عند حديثه عن دخول المسيح أورشليم فقال " وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس (أي المسيح) عليهما " (متى ٧/٢١) فجلوس المسيح على الجحش والأتان معاً لايتصوره العقل وهو غلط وكذب أراد متى من خلاله أن يحقق نبوءة توراتية " فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل: قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان" (متى٢١/٤-٥) .[2]

ومثله يرفض العقل ما حكاه متى من عجائب حصلت عند موت المسيح يقول " وأسلم الروح ، وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين " (متى ٢٧/٥١ - ٥٤) .

والقصة من الغلط بل والكذب ، إذ لم يعهد مثل هذه العودة للقديسين والراقدين ، و لم يعهد أن عاد هؤلاء أو غيرهم من الموت .

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٥١ - ٥٢ ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ٦٧ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٤٩ - ٢٥٢ ، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ٢/١٨٠ ، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٢٥٦ - ٢٦٠ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٥٤ .

ثم ماذا بعد العودة هل تزوجوا ؟ وهل عادوا لبيوتهم ؟ أم ماتوا بعدها ؟ أم .... ، ثم ماذا كلنت ردة فعل اليهود وبيلاطس والتلاميذ أمام هذا الحدث العظيم ؟

الإجابة : لا شيء . إذ لم يذكر شيء عند متى ولا عند غيره ممن لم يذكر هذه العجائب ، ولو كانت حقاً لسارت في خبرها الركبان ، ولآمن الناس بالمسيح حينذاك ، يقول الأب كننغسر : يجب الامتناع عن الهزء (بمثل هذه الأخبار) ، لأن نية متى كانت محترمة جداً ، إنه يدمج المعطيات القديمة للرواية الشفهية مع مؤلفه ، ولكن يبقى إخراجه لأئقاً بعيسى ، المسيح النجم .

وقال نورتن الملقب بحامي الإنجيل :" هذه الحكاية كاذبة ، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة عند اليهود بعد ما صارت أورشليم خراباً ، فلعل أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى ، وأدخلها الكاتب في المتن ، وهذا المتن وقع في يد المترجم فترجمها على حسبه " .

ويعلق ابو زهرة " لعل كثيراً مما في المتن أصله في الحاشية ثم نقل خطأ في المتن " . ومما يدل على كذب خبر متى أن بولس وغيره يصرح بأن المسيح هو أول القائمين ، وأنه باكورة الراقدين (انظر أعمال ٢٣/٢٦ ، كورنثوس (١) ٢٠/١٥ ، كولوسي ١٨/١) وكما هو مثبت في سفر الرؤيا (٥/١) .[1]

وهكذا بقيت هذه الأغلاط وغيرها حبيسة دفتي الكتاب المقدس قروناً طويلة بقي خلالها الكتاب المقدس حكراً على رجالات الكنيسة بعيداً عن أيدي العامة .

ولما ظهرت الطباعة وانتشرت نسخ الكتاب المقدس في القرن السادس عشر أكد آباء الكنيسة أن شرح الأناجيل وفهم ما فيها هو من اختصاص البابا الذي يعينه في ذلك روح القدس .

بيد أن مارتن لوثر وأتباعه رفضوا هذه الخصوصية للكنيسة ، وطالبوا بأن يكون حق قراءة وفهم الكتاب المقدس لكل أحد ، فانعقد مجمع تريدنت نوتردام في ١٥٤٢ - ١٥٦٣م للرد على دعوة لوثر ، وكان من قراراته : " إذا كان ظاهراً من التجربة أنه إذا كان الجميع يقرؤون في الكتب باللفظ الدارج فالشر الناتج من ذلك أكثر من الخير ، فلأجل هذا ليكن للأسقف أو القاضي في بيت التفتيش سلطان حسب تميزه بمشورة القس أو معلم الاعتراف ليأذن في قراءة الكتاب باللفظ الدارج لأولئك الذين يظنون أنهم يستفيدون ، ويجب أن يكون الكتاب مستخرجاً من معلم كاثوليكي ، والإذن المعطى بخط اليد ، وإن كان أحد بدون الإذن يتجاسر أن يتجرأ أو يأخذ هذا الكتاب فلا يسمح له بحل خطيئته حتى يرد الكتاب إلى الحاكم " .

ويرى رحمة الله الهندي في قرار المجمع هروباً من اكتشاف العامة لأغلاط الكتاب المقدس وما فيه من المفاسد ويؤكد بكر التميمي بأن الإلحاد شاع في أوربا بعد انتشار نسخ الكتاب المقدس واطلاع العامة على ما فيه .[2]

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٣١٣/١ - ٣١٦ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٤٤٣ ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ١٠٧ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس.أيهما كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٢٤ - ٢٥ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ٨٤ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٣٥٢/٢ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٢٩ - ١٣٠ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل،عزية طه،ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

وبعد : لعل المرء يتساءل ما هو رأي النصارى بأغلاط الأناجيل ؟ وهل يقرونها ؟ في الإجابة نقول : لا ريب أن أتباع الكنيسة الذين أغلقوا عقولهم في وجه الحقيقة يرفضون أن يحوي الإنجيل غلطاً لأن روح القدس لا يغلط، ومن هؤلاء الدكتور القس شروش حيث يقول : " إنا نعلم أن الإنجيل هو وحي الله ، لأن التنبؤ بالأحداث قد تم قبل وقوع الأحداث بقرون ، إن للإنجيل تأثيره على المجتمعات البشرية طالما تم الإيمان به والعمل بمقتضاه . أكثر من ذلك فإن دقة الإنجيل قد وجدت من يتحداها ، ولكنها لم تجد من ينجح في التحدي " .

ويقول أيضاً : " إن صحة محتويات الإنجيل قد أثبتتها الوثائق التاريخية والحفريات الأثرية والوثائق القديمة ، وتوجد الآن أكثر من خمس وعشرين ألف وثيقة من الوثائق المقدسة بالمتحف البريطاني من أجلكم ، لكي تتأكدوا من صحة مشيئة الله " .[1]

ولما كانت الحقيقة – بوجود الغلط في الأناجيل والرسائل – ساطعة كالشمس عمل بعض علماء النصرانية على التخلص من هذه الأغلاط بالإقرار بأن الإلهام لم يكن مصاحباً للإنجيليين حال كل كتابة كتبوها ، يقول هورن " إذا قيل إن الكتب المقدسة أوحي بها من عند الله لايراد أن كل الألفاظ والعبارات من إلهام الله ... ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه ، وفي كل حكم كانوا يحكمون به " .

وتقول دائرة المعارف البريطانية " وقع النزاع في أن كل قول مندرج في الكتب المقدسة هل هو إلهامي أم لا ؟ وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها ، فقال جيروم وكثيرون : ليس كل قول إلهامي .... الذين قالوا إن كل قول إلهامي لايقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة " [2].

وهذا القول يطالب قائلوه بتعيين المواضع غير الإلهامية وإقامة الدليل على خصوصها بعدم الإلهامية أو إقامة الدليل على خصوص المواضع التي يقولون بإلهاميتها ، وإذا لم يتم ذلك وجب التوقف في شأن الكتب المقدسة ، إذ فيها ما هو عمل بشري لايجوز اعتباره مصدراً دينياً .

---

(١) انظر : مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٣٥ .

(٢) انظر : محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ٩٢ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ١٦٨ ، الإنجيل،محمد شلبي شتيوي،ص ٤٢ .

المطلب الثاني تناقضات الأناجيل

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [1]، تعطي الآية معيلراً صحيحاً للتحقق من صحة نسبة أي كتاب لله عز وجل فالبشر من طبعهم الخطأ والنسيان ، والتخليط بعد تقادم الأيام ، ولذا تأتي كتاباتهم منسجمة مع هذه الطبائع البشرية .

ولو طبقنا هذا المعيار على الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ، فإنا سنرى آثار هذه الطبائع تتجلى في أخطائهم وتخالفهم وتناقضهم في الأحداث والأحكام التي يرودونها في كتاباتهم .

ووجود التناقض يدحض دعوى إلهامية هذه الكتب ، واعتبارها جزء من كلمة الله التي أوحاها إلى بعض تلاميذ المسيح .

ويعترف النصارى ضمناً بصحة هذا المعيار ، لذا نرى شراح العهد الجديد يعمدون إلى تفسير التناقضات والصعوبات التي تواجه النص ، ويتأولونها بعيداً عن الحقيقة التي ينطق بها النص ، ليقينهم بأن بقاء التناقض يعني بشرية الكتب ونفي إلهاميتها وقداستها .

ولما كان النصارى يؤمنون بالأناجيل الأربعة ، وهي جميعاً تتحدث عن قصة المسيح كان لابد أن تتشابه هذه القصص ، في معانيها ومضامينها أو - على الأقل - أن تتكامل لتكون رواية متكاملة عن المسيح . لكن عند المقارنة بين المعطيات الإنجيلية في الحدث الواحد نرى تناقضاً يحيل العقل الجمع فيه على وجه من الوجوه ، ويتكرر هذا التعارض والتناقض في كثير من الرواية الإنجيلية .

وأمام هذه التناقضات كان لابد للنصارى أن يختاروا بعض هذه الأناجيل أو بعض رواياتهم فيجعلونها مقدسة ، ويرفضون ما وراء ذلك ، أو أن يعترفوا ببشرية الأناجيل الأربعة كتابة ووضعاً ، فيمكن فهم التناقض حينذاك ، وأما الإصرار على أن هذا المتناقض من الله فهذا ما نرفضه نحن وهم على سواء . فهل تتناقض الأناجيل فعلاً ؟

أمثلة التناقض في العهد الجديد

ضرب علماؤنا عشرات الأمثلة لتناقض الأناجيل الأربعة منها ما سبق ذكره في نقد روايات الصلب ، وما ذكرناه في تحريف الانجيليين لما نقلوه عن بعضهم [2]

ومنها أيضاً تناقض متى ولوقا في نسب يوسف النجار ، كما تناقض لوقا ومتى مع ما جاء في سفر الأيام الأول وهو يتحدث عن بعض ملوك اسرائيل الذين جعلهم متى من أجداد المسيح . يقول متى :

" كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم . إبراهيم ولد إسحق . وإسحق ولد يعقوب . ويعقوب

---

(١)سورة النساء ، آية : ٨٢ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢٠٨/١ - ٢٤٦ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١٠٥ - ١٠٦ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٦٦ - ٨٦ ، المسيح في الإنجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٨ - ١٩ .

ولد يهوذا وإخوته ، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار . وفارص ولد حصورن . وحصرون ولد أرام ، وأرام ولد عمينا داب . وعمينا داب ولد نحشون . ونحشون ولد سلمون ، وسلمون ولد بوعز من راحلب . وبوعز ولد عوبيد من راعوث . وعوبيد ولد يسى ، ويس ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا ، وسليمان ولد رحبعام . ورحبعام ولد أبيا . وأبيا ولد آسا . وآسا ولد يهوشافاط . ويهوشلفاط ولد يورام . ويورام ولد عزيا . وعزيا ولد يوثام . ويوثام ولد أحاز . وأحاز ولد حزقيا . وحزقيا ولد منسي . ومنسي ولد آمون . وآمون ولد يوشيا . ويوشيا ولد يكنيا وإخونه عند سبي بابل . وبعد سبي بابل يكنيا ولد شالتئيل . وشالتئيل ولد زربابل . وزر بابل ولد أبيهود . وأبيهود ولد أليماقيم . وأليماقيم ولد عازور . وعازور ولد صادوق . وصادوق ولد أخيم . وأخيم ولد ألبود . وألبود ولد ألبعازر ولد منان . ومنان ولد يعقوب . ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح . فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً . ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً " (متى ١/١ - ١٧) .

لكن لوقا يورد نسباً آخر للمسيح يختلف تمام الاختلاف عما جاء في متى يقول لوقا :" ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي ، بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا بن يوسف بن متاثيا ابن عاموص بن ناحون بن حسلي بن نجاي ، بن ماث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا ، بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شالتبئيل بن نيري ، بن ملكي بن أدى بن قصم بن ألمودام بن عير ، بن يوسي بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوي . بن شمعون بن يوذا بن يوسف بن يونان بن ألباقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن أرام بن حصورن بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهمي بن تارح بن ناحور ، بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالخ بن فينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالخ بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله " (لوقا ٣/٢٣ - ٣٨) .

توقف علماؤنا ملياً عند التناقض في نسب المسيح ، وقد استوقفتهم ملاحظات منها :

- أن متى ولوقا اتفقا فيما بين إبراهيم وداود ، ثم اختلفا بعد ذلك اختلافاً كبيراً ، فقد جعل متى المسيح من ذرية ملوك بني إسرائيل سليمان ثم رحبعام ثم أبيا ثم آسا ثم يهوشافاط .... ، بينما يجعله لوقا من نسل ناثان بن داود وليس في أبنائه من ملك على بني اسرائيل .

- ولا يعقل أن يكون المسيح من ذرية أخوين أي سليمان وناثان ابنا داود عليه السلام .

- وأيضاً بلغ الاختلاف بين القوائم الثلاث مدى يستحيل الجمع فيه على صورة من الصور ، فالاختلاف في أعداد الإجيال كما الأسماء ، وثمة خلل في الإنساب وإسقاط لعدد من الآباء .

- وقد حرص متى على تقسيم سلسلة الأنساب التي ذكرها إلى ثلاثة مجموعات في كل منها أربعة عشر أباً فيقول " فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ، ومن داود إلي سبي بابل أربعة عشر جيلاً ، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً " (متى ١/١٧) .

لكن متى لم يوف بالأرقام التي ذكرها إذ لم يذكر بين المسيح والسبي سوى إثني عشر أبا ، كما تتحدث بعض المخطوطات للوقا عن ستة عشر جيلاً بين إبراهيم وداود . وقد تصرف متى في المجموعة الثانية

فأسقط عدداً من الأسماء ليحافظ على الرقم ١٤ فأسقط ما بين يورام وعزيا ثلاثة آباء ، هم أخزيا بن يورام وابنه يواشي وابنه أمصيا والد عزيا .[١]

- وأيضاً ينبه ديدات إلى ما جاء في مقدمة لوقا " وهو على ما كان يظن " فإن هذه العبارة قد وضعت في النسخ الإنجليزية بين قوسين ( ) للدلالة على عدم وجودها في المخطوطات القديمة [٢].

لكن العبارة في سائر اللغات العالمية موجودة من غير أقواس ، أي أصبحت جزءاً من المتن (الوحي). والسؤال كيف يجمع علماء الكتاب المقدس بين تناقضات أنساب المسيح ؟

قال بعضهم " لا يراد من هذا شجرة نسب كامل ، ... أسماء قد سقطت من بعض الإنجيليين ، وهذا للتوضيح الموصل إلى الرغبة بإثبات سلالة مؤسسة على الصحة التاريخية في خطوطها العريضة أو عناصرها الأساسية " .

ولكن بوكاي لايرى هذا التبرير مقبولاً ، لأن النصوص لا تسمح بمثل هذا الافتراض إذ أن نص التوراة الذي اعتمد عليه الإنجيليون يقول : فلان في عمر كذا أنجب كذا ، ثم عاش كذا من السنين ، وهكذا فليس ثمة انقطاع .

وفي تبرير آخر لتناقض متى ولوقا فإن هناك من يقول بأن نسب لوقا يرجع لمريم بينما النسب الآخر هو ليوسف النجار

ولا تقبل رواية لوقا ومتى مثل هذا الافتراض إذ ان يوسف النجار مذكور هنا وهناك ولو صح هذا التبرير لكان ينبغي أن يتقارب عدد الأجيال في السلسلتين اللتين بينهما فرق عشرة أجيال .

ويقول صاحب كتاب " شمس البر " معرفتنا بطريقة تأليف جداول النسب في تلك الأيام قاصرة جداً " ، ويعلق بوكاي " لاشك أن نسب المسيح في الأناجيل قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافئ الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى " .

وفي محاولة بهلوانية للتبرير يتحدث الكاردينال دانيلو بكلام هو أقرب للهذيان منه إلى المعقول فيقول وهو يؤكد على أهمية الرقم ١٤ الذي استخدمه متى ثلاث مرات " ممكن الانطلاق من عشرة أسابيع عادية للرواية اليهودية ، فتطرح فيها الثلاثة الأوائل المناسبة للزمن الممتد من آدم حتى إبراهيم ، فيبقى سبعة أسابيع

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١٨٧/١ - ١٩٣ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢١٠ - ٢١١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٤ - ١٥ ، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٩ - ٢٠ ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ١٠٢ - ١٠٤ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٢٣٠ - ٢٣٦ ، أقانيم النصارى،أحمد حجازي السقا،ص ١١٤ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ١١٩ - ١٢٠ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ٢٦٩ - ٢٧٥ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ١٥ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس.أيهما كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٢١ — ٢٣ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ٨٩ - ٩٠ ، هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٧٥ — ٧٦ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١٠٢ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٦٦ ، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٢٥ — ٢٦ .

(٢) وقد أرادوا من خلال هذه الإضافة إيجاد تفسير أو تبرير للتناقض بين نسبي متى ولوقا.

من السنين ، والستة الأوائل من هذه السبعة التي هي ست مرات سبعة تمثل المجموعات الثلاث من الأربعة عشر ، أما السابع فإنه قد افتتح معه العهد السابع للعالم " .

وقال آخرون لتبرير تناقض متى مع زعمه بالمجموعات الثلاث المتكون كل منها من أربعة عشر اسماً ، فيقول شراح الترجمة المسكونية : يمكن أن تكون الكلمة العددية لثلاث أحرف غير صوتية تشكل اسم داود في العبرية ، وتساوي أربعة ، وتساوي ستة وعليه ٤ + ٦ + ٤ = ١٤

ويضرب بوكاي الصفح عن مثل هذا ، ويعتبره من الهذيان .[١]

يعرض رحمة الله الهندي لنتيجة خطيرة ومهمة يرتبها على وجود هذا التناقض وهي : أن إنجيل متى لم يكن معروفاً للوقا مع أنه قد سبقه بنحو عشرين سنة ، ولو كان لوقا يعرفه ، أو يعتبره إنجيلاً مقدساً لراجعه ولما خالفه ، فدل ذلك على عدم وجود إنجيل متى يومذاك ، أو إسقاط الاعتبار له .

ثم ماذا عن يوحنا ومرقس لم أهملا نسب المسيح ، فلم يذكراه ؟ هل يرجع ذلك لشكهما في صحة متى ولوقا أم خوفاً من سخرية اليهود أم ..... ؟

ثم يتعامل مرقس ويوحنا بوضوح تام مع المسيح على أنه ابن ليوسف النجار ، ويهمل الإنجيليون الأربعة ذكر معجزة نطق عيسى في المهد وميلاده بجوار النخلة ، تلك الخارقة التي ذكرها يعقوب في إنجيله الذي لاتعتبره الكنيسة – حيث يقول " مريم العذراء تنتبذ من أهلها خلوة تعتكف فيها ، فيأتيها ملاك الله بشراً سوياً فتحمل بإشارة منه ، وتشعر للحال بالمخاض ، فتلجأ لجذع نخلة تضع طفلها ، وللحال تنفر عين ماء ترتوي منها ، وتثمر نخلة يابسة كانت قريبة منها ، فتأكل ثم تحمل وليدها إلى قومها ، فيستنكرون منها أنها عذراء تصير أماً ، ويتهمونها بالزنا ، وللحال ينطق الوليد ، ويبرئ أمه " .[٢]

ومن التأمل في سلسلتي نسب المسيح تبين لعلمائنا بعض الملاحظات .

١) أن النصارى جعلوا نسب يوسف النجار نسباً للمسيح الذي لا أب له ، وليس ثمة علاقة بينه وبين يوسف النجار .

ولو كان المذكور نسب مريم لكان له وجه ، أما يوسف النجار فلا . وإن قال النصارى بأن إقحام اسم يوسف النجار لغرض هو حماية عرض مريم من أن تتهم بالزنا فإن كامل سعفان يرده ، لأن الأناجيل كتبت بعد رفع المسيح بوقت طويل ، فليس ثمة فائدة من ذكره حنيذاك .[٣]

---

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ١١٩ – ١٢٠ ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١٩٣/١ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٤٤ – ٢٤٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ١١٠ .

(٢) انظر : قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ١٦٨/٢ ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١٩٧/١ ، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٩ ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ١٠٢ – ١٠٤ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٥٦ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٤٦ .

(٣) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٤ ، التثليث في المرآة،كوثر نيلوي،ص ١٩ – ٢٠ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٤٤ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ١٠٩ ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٥٢ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس.أيهما كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٢١ .

ثم إن نسبة المسيح ليوسف النجار تؤكد ماكان اليهود يشيعه عن مريم وابنها إذ هي نسبة غير حقيقية ، ثم إن اشتهار المسيح بأنه ابن يوسف النجار يجرد المسيح من إحدى أعظم المعجزات التي اختص بها ﷺ ، فلم يصر عليها النصارى ؟ وإن أصر النصارى على قدم هذه النسبة التي أوردها الأناجيل فإنا حينذاك نراها دالة على عبوديته لله ، وأن معاصريه كانوا يرونه بشراً عادياً جاء من سلالة بشرية وكانوا يسمونه ابن النجار وهذا يدل على أن دعوى الألوهية التي أحدثها بولس لم تكن قد سرت حينذاك وإلا لما احتيج إلى نسب للمسيح الإله .

٢) ثم يلحظ علاء أبو بكر أن متى ذكر في نسب المسيح أربع جدات للمسيح هن ثامار ، وزوجة داود التي كانت لأوريا الحثي ، وراحاب ، وراعوث فما السر في ذكر هؤلاء الجدات دون سائرهن ؟

إن لكل واحدة من الأربع سوءة تذكرها التوراة ، فأما ثامار فهي التي ولدت فارص زنا من والد أزواجها الذين تعاقبوا عليها واحداً بعد واحد تنفيذاً لما جاء في الناموس عن زواج الرجل من أرملة أخيه ، وهكذا ولدت ثامار فارص من والد أزواجها يهوذا (انظر التكوين ٢/٣٨ - ٣٠) .

وأما زوجة أوريا الحثي فهي التي تتهم التوراة زوراً داود بأنه وقع بها، وهي زوجة لأحد قادته فحملت ، ثم دفع داود بزوجها إلى الموت ، وتزوجها بعد وفاته ، وكان حملها بالنبي سليمان أحد أجداد المسيح (انظر صموئيل (٢) ١١/١ - ٤) .

وأما راحاب زوجة سلمون ، وأم بوعز ، وكلاهما من أجداد المسيح - حسب متى - فراحاب هي التي قال عنها يشوع .. امرأة زانية اسمها راحاب " (يشوع ٢/١) وذكر قصة زناها في سفره .

وأما راعوث فهي راعوث المؤابية زوجة بوعز وأم عوبيد ، والتوراة تقول " لايدخل عموي ولا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر " (التثنية ٢٣ / ٣) .

ولحسن الحظ هذه المرة فإن المسيح ليس داخلاً في هذا الطرد إذ هو الجيل الرابع والثلاثون لها .

٣) أما أجداد المسيح الذكور الذين ذكر متى منهم اثنان وثلاثون أبا (إلى دواد) وذكر لوقا اثنان وأربعون أباً ، فهؤلاء أيضاً لا يتشرف المسيح بأن يكونوا من آبائه لو كان ما تذكره التوارة صحيحاً ، وحاشا أن يكون ذلك صحيحاً فإن أربعة من هؤلاء الآباء تذكر التوراة أنهم فعلوا الزنا ، وبعضهم كان الزنا المنسوب إليه زنا محارم ، وهؤلاء الأربعة هم يهوذا ، وداود ، وسليمان ، ورحبعام .

وأما يهوياقيم أحد أجداد المسيح حسب سفر الأيام فقد ملك يهوذا فأفسد فقال الله فيه " لايكون له جالس على كرسي داود ، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً ، وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم " (إرميا ٣٠/٣٦ - ٣١)

ثم بعد ذلك يزعم النصارى أن المسيح سيرث كرسي داود يقول لوقا في أعمال الرسل " من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه " (أعمال ٣٠/٢) ويقول " الرب الإله يعطيه كرسي داود أبيه " (لوقا ٣٢/١) ....

فكيف يتفق هذا مع نص إرميا ؟و لم يصر النصارى على ذكر هؤلاء الآباء والأمهات للمسيح ؟

يقول مفسر الإنجيل وعلماء اللاهوت " هنا تكمن الروعة برمتها ، فإن الله أحب الخطاة إلى درجة

أنه لن يستنكف أن يجعل أسلاف ابنه مثل هؤلاء ". [1]

ومن التناقضات بين الأناجيل أيضاً اختلاف الأناجيل في أسماء التلاميذ الإثني عشر ، إذ يقدم العهد الجديد أربع قوائم للتلاميذ الاثني عشر تختلف كل واحدة عن الأخرى ، وبيانه :

أن أسماء التلاميذ ذكرها متى في إنجيله (١/١٠ - ٤) ، ومرقس أيضاً (انظر ١٦/٣) ، وذكرها لوقا في إنجيله في (١٤/٦) ثم في أعمال (١٣/١) . وتتشابه القوائم الأربعة في تسعة أسماء وهي سمعان بطرس وأخوه اندرواس ويعقوب بن زبدى وأخوه يوحنا وفيلبس وبرثو لماوس وتوما ومتى ويعقوب بن حلفي .

ويتفق متى ومرقس ولوقا على ذكر يهوذا الاسخريوطي فيما أهمل في أعمال الرسل ، وأما الاسمين الباقين فتختلف القوائم فيهما اختلافاً بيناً ، فيذكر متى ومرقس اسم سمعان القانوي فيما يذكر لوقا في الإنجيل والأعمال سمعان الغيور .

ويذكر متى ومرقس اسم تداوس فيكملان به الاثني عشر ، فيما يذكر لوقا في إنجيله وأعمال الرسل يهوذا بن حلفي .

وإذا كانت الأناجيل تختلف بأمر بمثل هذه الأهمية والوضوح ، فكيف لنا أن نثق بما وراء ذلك من أخبار ووقائع وتفصيلات تعرضها عن حياة المسيح وغيره . [2]

ويلفت عبد الرحيم محمد النظر إلى غياب هؤلاء التلاميذ في تاريخ المسيحية " فلم نقرأ لهم أثراً سوى ما ينسب لمتى ويوحنا مع أنهم خلاصة أتباع المسيح الذين سيجلسون على كرسي مجده . أين تراثهم الفكري ؟ أين ما كتبوه ؟ لابد أنهم من الكثيرين الذين كتبوا أناجيل (كما جاء في مقدمة لوقا) ، ومع ذلك لم تقرها الكنيسة ، بل أمرت بحرقها ودفنها ، وفتحت الباب لبولس وتلاميذه مرقس ولوقا ، وطلاب مدرسته .

ومن التلاميذ الذين تمدحهم الكتب " برنابا " الذي عرّف ببولس ، ثم هجره وتكلم عنه وكتب في ذلك ، وأفلت ما كتبه برنابا ، ووصل شاهداً على ضلال بولس " . [3]

ومن تناقضات الأناجيل أيضاً ما تناقض فيه متى مع مرقس ، فقد ذكر متى أنه " تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئاً وقالت له : قل : أن يجلس ابناي هذان، واحد عن يمينك ، والآخر عن اليسار في ملكوتك ، فأجابها يسوع لستما تعلمان ما تطلبان ... " (متى ٢٠/٢٠ - ٢٣) .

وفي مرقس تذكر القصة نفسها وبنفس حيثياتها ، لكن الذي طلب الملكوت هما الابنان وليس أمهما

---

(١) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٥٢ – ١٥٩ ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢٠٣/١ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٥٤٠ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٤ – ١٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ١٩ ، تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في الإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٤٨ - ٣٥٠ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢٣٣/١ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٢٤٨ ، المسيح في الإنجيل بشر،ممدوح حاد،ص ٢٢ ، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ١٩٤/٢ - ٢٠٠ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ١٣٥ .

(٣) انظر : قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ١٩٩/٢ – ٢٠٠، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ١٣٥.

ذكر (انظر مرقس ١٠/٣٥ - ٣٨) .[١]

ومن التناقضات أن مرقس يذكر وصية المسيح لتلاميذه بعد أن أعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة فقال : وأوصاهم أن لايحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط، لامزوداً ولا خبزاً ولا نحاساً في المنطقة ، بل يكونوا مشدودين بنعال ، ولا يلبسوا ثوبين " (مرقس ٦/٨ - ٩) ، لكن الوصية في متى تتفق مع مرقس في أمور وتختلف في أخرى فقد جاء فيها " لاتقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ، ولا مزوداً لطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا " (متى ١٠/٩ - ١٠) فقد تناقضا في وصية المسيح بخصوص العصا والأحذية .[٢]

ويذكر متى أن المسيح عندما دخل كفر ناحوم " جاء إليه قائد مائة يطلب إليه ويقول : يا سيدي غلامي مطروح في البيت مفلوجاً متعذباً جداً " (متى ٨/٥ - ٧) .

ويروي لوقا القصة وذكر بأن القائد لم يأت للمسيح بل " أرسل إليه شيوخ اليهود يسأله أن يأتي ويشفي عبده ، فلما جاءوا إلى يسوع طلبوا إليه باجتهاد ... " (لوقا ٧/٣ - ٤) فهل حضر القائد أم لم يحضر .[٣]

وجاءت المرأة تشكو إلى المسيح مرض ابنتها بالجنون ، وهذه المرأة عند متى " كنعانية " (متى ١٥/٢٢) غير أنها عند مرقس " فينيقية سورية " (مرقس ٧/٢٦) فأيهما الصحيح ؟ [٤]

وتتحدث الأناجيل عن إتيان المسيح شجرة تين ، فلما وجدها غير مثمرة دعا عليها قائلاً " لاتخرج منك ثمرة إلى الأبد ، فيبست تلك الشجرة للوقت ، فنظر التلاميذ وتعجبوا " (متى ٢١/١٩ — ٢٠) ، إذاً كان يباسها في الحال ، وهذا ما يناقضه مرقس إذ ذكر دعاء المسيح على الشجرة ثم " لما صار المساء خرج إلى خارج المدينة ، وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول فتذكر بطرس ، وقال له : يا سيدي انظر التينة التي لعنتها قد يبست " (مرقس ١١/١٩ — ٢٠) ومعنى هذا أنها لم تيبس بالحال ، كما لم يكتشف التلاميذ يباسها إلا في الغد .

ويرى رحمة الله الهندي أنه من غير المعقول أن يدعي المسيح على الشجرة التي قصدها في غير وقت إثمارها " لأنه لم يكن وقت تين "(مرقس ١١/١٣) فذلك يلحق الضرر بأصحابها وهو من التعدي والظلم .[٥]

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/٢٣٥ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٢٥٢ ، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ٧٣ ، المسيح في الإنجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٨ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/٢١٢ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢١٧ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٨٠ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٩٦ .

(٣) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/٢٤١ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٨٤ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٣١ .

(٤) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/٢٤١ .

(٥) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/٢٣٦ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢١٤ -٢١٥ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٢٦٨ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٨٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١٠٥ - ١٠٦ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ٩٠ .

ويذكر يوحنا أن الكهنة واللاويين أرسلوا إلى يوحنا المعمدان ليسألوه : من أنت ؟ فسألوه وقالوا : " أأنت إيليا ؟ فقال : لست أنا " (يوحنا ١/٢٠ - ٢٢) لكن متى يذكر أن المسيح قال عنه بأنه إيليا (انظر متى ١١/١٤) ، وفي موضع آخر قال : " ولكني أقول لكم : إن إيليا قد جاء و لم يعرفوه ، بل عملوا به كل ما ارادوا .. حينئذ فلزم من هذا التناقض تكذيب أحد النبيين .[1]

هل يحدث التناقض من المسيح

وتظهر الأناجيل المسيح متناقضاً مع نفسه في أقواله ، ومرد ذلك إلى تناقض الإنجيليين الأربع ، أو تناقض الواحد منهم مع نفسه .

فمن تناقض الإنجيلي مع نفسه ما جاء في يوحنا أن المسيح قال عن تلاميذه " إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً " (يوحنا ١٨/٩) ، وفي موضع آخر يستثني منهم يهوذا بعد أن جزم بنجاتهم جميعاً ، فيقول " الذين أعطيتني حفظتهم ، و لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب " (يوحنا ١٧/١٢) .[2]

ويتناقض متى في صفحة واحدة وهو يتحدث عن رأي المسيح في بطرس فقد قال له : " طوبى لك يا سمعان بن يونا . إن لحماً ودماً لم يعلن لك ، لكن أبي الذي في السماوات .. أنت بطرس ... وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات ... قال لبطرس : إذهب عني يا شيطان . أنت معثرة لي ، لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس " (متى ١٦/١٧ - ٢٣) ، ثم يتحدث متى عن إنكار بطرس للمسيح في ليلة المحاكمة بل وصدور اللعن والسب منه (انظر متى ٢٦/٧٤) ثم يقول عنه في موضع آخر " متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر " (متى ١٩/٢٨) فأي الأقوال تصدق في حق بطرس وجميعها منسوبة للمسيح ؟

فيقول اكستاين عن بطرس : " إنه كان غير ثابت ، لأنه كان يؤمن أحياناً ويشك أحياناً " .[3]

ومن التناقض أيضاً ما وقع فيه لوقا حين زعم أن المسيح قال " إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته حتى نفسه أيضاً ، فلا يقدر أن يكون تلميذاً " (لوقا ١٤/٢٦) .

ثم في موضع آخر يذكر لوقا أن رجلاً سأل المسيح عن طريق الحياة الأبدية فكان من إجابته " أكرم

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ١/٢٠٢ - ٢٠٣ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل، بكر التميمي،ص ٢١١ - ٢١٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ، ص ٢٢ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٦٨ .

(٢) انظر : مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ٣٠ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس.أيهما كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٥١ .

(٣) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/٢٣٤ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢١٨ – ٢١٩ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١٠٣ ، دراسة نقدية تحليلية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد،ص ٣٠٤ – ٣٠٦ ، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ١٢٩ ، الإنجيل،محمد شلبي شتيوي،ص ٨٩ ،المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ٨٠ - ٨١ .

أباك وأمك " (لوقا ١٨/٢٠) وفي مرقس أن المسيح قال " تحب قريبك كنفسك " (مرقس ١٢/٣١) .

ويعود لوقا للتناقض فيقول على لسان المسيح : " أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى مبغضيكم ، وباركوا لاعنيكم " (لوقا ٦/٢٧ - ٣٨) ، ويقول لوقا بتناقض المسيح عندما زعم أنه قال : " أما أعدائي الذين لم يريدوا أن أملك عليهم ، فأتوا بهم إلى هنا ، واذبحوهم قدامي " (لوقا ١٩/٢٧) فأي هذا الكلام صدر من المسيح ؟[١]

ومن تناقض الإنجيليين مع بعضهم – مما يظهر المسيح متناقضاً – قول متى " ما جئت لأنقض الناموس ، بل لأكمل " (متى ٥/١٧) فدل ذلك على احترامه للأنبياء ، لكن يوحنا ينسب له موقفاً آخر من الأنبياء " الحق الحق أقول لكم : إني أنا باب الخراف ، جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص ، ولكن الخراف لم تسمع لهم ، أنا هو الباب .... " (يوحنا ١٠/٧ – ٩) وحاشا للمسيح أن يقول ذلك في حق إخوانه الأنبياء .[٢]

ومن التناقض ما زعمه متى أن المسيح قال لتلاميذه : " من ليس معي فهو علي ، ومن لا يجمع معي فهو يفرق " (متى ١٢/٣٠) ، وهذا يناقض ما ذكره مرقس " من ليس علينا فهو معنا " (مرقس ٩/٤٠ ٩ فبأي الهديين يهتدي التلاميذ .[٣]

ومن التناقض ما تخالف فيه لوقا ومتى ، فقد ذكر لوقا أن المسيح يوجه أتباعه فيقول : " إن أخطأ إليك أخوك فوبخه " (لوقا ١٧/٣) ، لكن متى يوغل في إظهار التسامح حتى يصبح مقيتاً فيقول بأن المسيح قال : " من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً " (متى ٥/٣٩) فعلى أي الهديين يسير من حصل عليه تعدي أو خطأ ؟

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٣٤٦ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٩٩ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٥٩ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه،عبد العظيم المطعني،ص ٢٢٤ ، هذا هو الحق،ابن الخطيب،ص ٥١ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٢٤١ .

(٣) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ١٠٠ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٦١ ، تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في الإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ١٦٩ .

التناقض بين العهد القديم والعهد الجديد

وكما تناقض الإنجيليون وكتاب الرسائل مع بعضهم تناقضوا مع أسفار العهد القديم، ومن ذلك ما سبق الإشارة إليه عند ذكر أنساب المسيح .

ومثله أن يوحنا يقول " الله لم يره أحد قط " (يوحنا ١٨/١) وكلامه حق ، لكنه متناقض مع ما جاء في عدة مواضع في التوراة منها قول يعقوب " نظرت الله وجهاً لوجه " (التكوين ٣٠/٣٢) ومثله ما جاء في سفر الخروج أن موسى أصر على رؤية الله فقال له الرب " هو ذا عندي مكان ، فتقف على الصخرة ، ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة ، وأسترك بيدي حتى أجتاز ، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي ، أما وجهي فلا يرى " (الخروج ٢١/٣٣ - ٢٣) .[١]

ويصف بولس الله عز وجل فيقول : " الله ليس إله تشويش ، بل إله سلام " (كورنثوس (١) ٣٣/١٤) ويناقض بذلك ما جاء في سفر التكوين " وقال الرب : هوذا شعب واحد ، ولسان واحد لجميعهم .. هلم نترل ونبلبل هناك لسانهم ، حتى لايسمع بعضهم لسان بعض ، فبددوهم من هناك على وجه كل الأرض ، (التكوين ٦/١١ ٩) .[٢]

ومن التناقضات أيضاً أن التوراة تتحدث عما يجوز أكله وما لا يجوز من الأطعمة مما ينجس أكله (انظر اللاويين ١/١١ - ٤٧) ، لكن مرقس يذكر أن المسيح خالف ذلك فقال كلاما غريباً أباح فيه كل طعام فقال " اسمعوا مني كلكم وافهموا : ليس شيء من خارج الإنسي إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه ، لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس " وقد صعب فهم هذا على تلاميذه فأعادوا السؤال فأعاد الجواب وقال " لأنه لا يدخل إلى قلبه ، بل إلى الجوف ، ثم يخرج إلى الخلاء ، وذلك يطهر كل الأطعمة " (مرقس ١٤/٧ - ١٩) ويعلق الخولي على النص بأنه " طريقة غريبة في تطهير الطعام " .[٣]

ويذكر يعقوب في رسالته انقطاع المطر بدعاء إيليا ، وأنه استمر ثلاث سنين وستة أشهر فيقول : " كان إيليا انساناً تحت الآلام مثلنا ،وصلى صلاة أن لاتمطر ، فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر " (يعقوب ١٧/٥)

والقصة في سفر الملوك وفيه " قال إيليا ..: إنه لا يكون طل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي " (ملوك (١) ١/١٧) ثم " بعد أيام كثيرة كان كلام الرب إلى إيليا في السنة الثالثة قائلاً : اذهب وتراءى لأخاب فأعطي مطراً على الأرض " (ملوك (١) ١/١٨) وفعل فترل المطر ، وكان ذلك في السنة الثالثة أي لم يكملها كما زعم يعقوب ، وأنه زاد عليها ستة أشهر .[٤]

ومن التناقضات أيضاً ما بين أعمال الرسل وسفر التكوين فيمن اشترى أرض شكيم من بني حمور هل هو إبراهيم أم إسحاق ؟

---

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ٣٢ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس.أيهما كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٥١ - ٥٢ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٢) انظر : مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ٣٣ .

(٣) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٩٨ .

(٤) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٣٤٣/٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٥٥٤ .

فقد جاء في أعمال الرسل " نزل يعقوب إلى مصر ، ومات هو آباؤنا ، ونقلوا إلى شكيم (نابلس) ووضعوا في القبر الذي اشتراه إبراهيم بثمن فضة من بني حمور أبي شكيم (أعمال ٧/١٥ - ١٦) .[١]

وفي سفر التكوين أن أرض شكيم قد ابتاعها يعقوب لا إبراهيم حيث يقول : " ثم أتى يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان ... وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور أبي شكيم بمائة قسيطة " (التكوين ٣٣/١٨ - ١٩) .

وأما الأرض التي ابتاعها إبراهيم فهي في أرض حبرون (الخليل) ، وفيها دفن سارة ، ثم دفن فيها " ووزن إبراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث ، أربعمائة شاقل فضة .. بعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون في أرض كنعان "(التكوين ٢٣/١٦ - ١٩). فمن الذي اشترى أرض شكيم يعقوب أم إبراهيم ؟ .[٢]

وتبذل محاولات يائسة وساذجة للجمع بين هذه المتناقضات وتقديمها بصورة متكاملة لكن التكلف يكتنف جميع هذه المحاولات التي غالباً ما تظهر باهتة لذا فإن الفيلسوف الناقد اليهودي اسبينوزا صدق وهو يقول عن التوراة وينطبق حديثه على العهد الجديد " فإذا ظن أحد أني أتحدث بطريقة عامة جداً دون أساس كاف ، فإني أرجو أن يكلف نفسه العناء ، ويدلنا على ترتيب يقين لهذه الروايات يستطيع المؤرخون اتباعه في كتاباتهم للأخبار دون الوقوع في خطأ جسيم ، وعلى المرء في أثناء محاولته تفسير الروايات والتوفيق أن يراعي العبارات والأساليب ، وطرق الوصل في الكلام ، ويشرحها بحيث نستطيع طبقاً لهذا الشرح أن نقلدها في كتاباتنا ، ولسوف أنحني مقدماً في خشوع لمن يستطيع القيام بهذه المهمة ، وإني على استعداد لأن أشبهه (بأبوللو) نفسه ، على أني أعترف بأني لم أستطع أن أجد من يقوم بهذه المحاولة ، على الرغم من طول بحثي عنه ، ومع أني مشبع منذ طفولتي بالآراء الشائعة عن الكتاب المقدس ، فقد كان من المستحيل ألا أنتهي إلى ما انتهيت إليه . وعلى أية حال فليس هناك ما يدعونا إلى أن نعطل القارئ هنا ، وأن نعرض عليه في صورة تحد أن يقوم بمحاولة ميئوس منها " .[٣]

ويتحدث بوكاي عن أساليب الجمع بين المتناقضات التي يلجأ إليها شراح الأناجيل بالتهرب من النص ودلالته بحجة أن الهدف من النص التعليم الديني ، وبحث الفكر اللاهوتي لا حقيقة الوقائع المتحدث عنها ، بعضهم يغطي على تناقض النص بإحاطته بهالة إطرائية فائقة تشغل القارئ عن ملاحظة الصعوبات الموجودة في النص ، ويلجأ آخرون إلى تفسير النص بعموميات لا تسمن ولاتغني ، فيما يحاول البعض أن يفهم القارئ أن التناقض ليس سوى مهارة أدبية واختلافاً في الأسلوب والتعبير .[٤]

وقليلون هم الذين يعترفون بالحقيقة ، ومنهم محررو مجلة " الحقيقة المجردة (الناصعة) " النصرانية

---

(١) وهي في التراجم القديمة ١٦٧١ م و١٨٤٤ " من بني حمور بن شكيم " وهو خطأ أصلحوه في الطبعات اللاحقة ، انظر:إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/٢٤٦ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١/٢٤٥ - ٢٤٦ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٦٣ ، قاموس الكتاب المقدس ٥١٥ .

(٣) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ٣٢٥ .

(٤) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ٦٧ - ٦٨ .

والتي يقول عدد يوليو ١٩٧٥م منها " هناك ادعاءات كثيرة لتناقضات في الكتاب المقدس لم يستطع العلماء حلها حتى الآن ، وفيها ما يسر كل كافر ملحد ، فهناك بعض الصعوبات النصية التي ما زال العلماء يتصارعون معها إلى يومنا هذا ، ولا ينكر هذه الحقيقة إلا من كان جاهلاً بالكتاب المقدس " .[١]

ومثلهم يقول مفسرو الترجمة المسكونية للتوراة عن الأناجيل بأنها " صورة لأدب غير مترابط مفتقر هيكله إلى حسن التتابع ... يبدو أن ما فيه من تضاد غير قابل للتذليل " .[٢]

وقد تركت تناقضات الروايات الإنجيلية أثراً سلبياً في الفكر الغربي إذ جعلت من البعض يرى في قصص المسيح المختلفة روايات ألفها أناس من محض عقولهم عن شخصية أسطورية ابتدعوها من بنات أفكارهم .

ومن هؤلاء ولد يورانت حيث يقول " هل وجد المسيح حقاً ؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية ، وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزوريس .... " .

وفي عام ١٨٠٤م كتب برونو بور سلسلة من الكتب أراد أن يثبت فيها أن المسيح أسطورة نشأت في القرن الثاني ، ومثله فعل أرثر دروز ١٩٠٦م في ألمانيا وسمث وروبرتسن في انجلترا وغيرهما . وقد عبر عن هذا الاتجاه هردر ١٧٩٦م بقوله : " إنه لا يمكن التوفيق بين مسيح متى ومرقس ولوقا ومسيح يوحنا " .[٣]

---

(١) انظر : هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٧٧ .

(٢) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ٩٤ .

(٣) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

المطلب الثالث : التحريف في العهد الجديد

ولقد يتساءل المرء أين وقع التحريف في الأناجيل ؟ هل وقع من الإنجيليين وأصحاب الرسائل ، أم من النساخ الذين تصرفوا في النصوص حسب أهوائهم وعقائدهم ، أم من أولئك الذين أضافوا القداسة للكتب الشخصية التي خطها الحواريون ، أم من ذلك كله . ولعل الأخير هو الصواب

أولاً : تحريف الصدر الأول

تتحدث النصوص الإنجيلية عن وقوع التحريف في الصدر الأول من النصرانية ، وعن كثرة المنتحلين وهم يكتبون الأناجيل بما يفيد أن ثمة أرضية للتحريف موجودة في ذلك العصر .

ومن هذه النصوص قول بولس : " إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ، ويريدون أن تحولوا إنجيل المسيح " (غلاطية ١/٦ - ٧) فتحدث بولس عن أناس يريدون تحريف إنجيل المسيح الذي سبق الحديث عن فقده .

ويقول أيضاً " ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضاً فيما يفخرون به ، لأن مثل هؤلاء رسل كذبة ، فعلة ماكرون مغيرون من شكلهم إلى شبه رسل المسيح " (كورنثوس (٢) ١١/١٢ - ١٣) .

ويقول يوحنا " أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح ... لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم " (يوحنا (١) ٤/١) ويحذر يهوذا من أولئك الذين زوروا كلاماً على المسيح " إنه قد دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة ، فجار يحولون نعمة إلهنا ... هو ذا قد جاء الرب ليضع دينونة على الجميع ، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم ... وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار ... إنه في الزمن الأخير سيكون قوم مستهزءون سالكين بحسب شهوات فجورهم "(يهوذا ٤-١٨).

ويحذر بطرس من التحريف المعنوي بتغيير المعاني الصحيحة ، فيقول " كتب إليكم أخونا الحبيب بولس . أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له ، كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم ، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم " (بطرس (٢) ٣/١٥ - ١٦) .

وكثرة التحريف والكتب التي تدعي الحق هيج لوقا لكتابة إنجيله كما يقول في مقدمته . " إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا .... أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به " (لوقا ١/١ - ٤) .

فلوقا رأى هذه الكتب الكثيرة محرفة فكتب ما رآه صحيحاً ، وقد بلغت هذه الكتب من الكثرة أن قاربت المائة .[1]

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٥٥٧ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٧٩ - ٢٤٤ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٢٦ ، عقيدة الصلب والفداء،محمد رشيد رضا،ص ٣٢

ويلحظ الخولي أن النصوص الإنجيلية تشكك في إيمان أخصّ تلاميذ المسيح مما يجعلهم غير جديرين بحمل أمانة الإنجيل .

إذ يقول المسيح عن بطرس : يا قليل الإيمان لماذا شككت " (متى ١٤/٣١) وفي مرة أخرى قال له " اذهب عني يا شيطان . أنت معثرة لي ، لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس " (متى ١٦/٢٢ - ٢٣).وإذا قيل هذا في بطرس فماذا عن بقية التلاميذ والحواريين ؟ وهل مثل هؤلاء يعتد بروايتهم وتأليفاتهم فضلاً عن اعتبارها من وحي الله ؟

وقد قال عيسى في هؤلاء التلاميذ لما عجزوا عن شفاء المصروع وقالوا للمسيح " لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟ فقال لهم يسوع : لعدم إيمانكم .

فالحق أقول لكم : لو كان إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم " (متى ١٧/١٩ - ٢٠) .[1]

صور من تحريف الصدر الأول للنصرانية

ورأى علماؤنا أن النصوص الإنجيلية تتحدث عن التحريف والتغيير الذي قام به الإنجيليون وهم ينقلون عن مصادرهم الإنجيلية أو التوراتية ، فمن التحريف في النقل عن المصادر الإنجيلية ما قام به لوقا ومتى وهما ينقلان عن مرقس .

فقد أصبح من المسلم به - كما أسلفنا - أن لوقا نقل ما نسبته ٥١% من إنجيل مرقس بينما نقل متى ما نسبته ٩٠% من محتويات مرقس .

ولكن كلا الإثنين تصرفا برواية مرقس حسب ما تبدى لهما ، وذلك يظهر من أمثلة كثيرة ذكرها علماؤنا منها : يقول مرقس عن المصلوب " أعطوه خمراً ممزوجاً بمر " (مرقس ١٥/٢٣) لكن متى نقل عن مرقس وغير فقال " أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة " (متى ٢٧/٣٤) .

ولقد قصد من هذا التغيير أن يحقق النبوءة التوراتية المزعومة " يجعلون في طعامي علقماً ، وفي عطشي يسقونني خلاً " (مزمور ٦٩/٢١) .

يقول مرقس " إن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي " (مرقس ٣/٣٥) وينقلها متى " إن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي " (متى ١٢/٥٠) .

وسأل المسيح تلاميذه عما يقولون فيه فأجاب بطرس " أنت المسيح " (مرقس ٨/٢٩) ، لكن متى عدل في إجابة بطرس وجعلها : " أنت هو المسيح ابن الله الحي " (متى ١٦/١٦) .

ولما ظهر لهم المسيح مع موسى قال بطرس لسيده كما ينقل مرقس : " يا سيدي جيد أن نكون هنا " (مرقس ٩/٥) ولكن متى يقول " يارب جيد أن نكون ههنا " (متى ١٧/٤) .

، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٣٧ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٩٣ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة،محمد أبو الغيط الفوت،ص ٣٤ - ٣٦ ، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٣٦ .

(١) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٤٤، ٤٧ - ٤٨ .

يقول المفسر جون فنتون : " لقد حدث تحوير ملحوظ في مخطوطات (الأناجيل) ، وذلك في المواضع التي ذكرت فيها ألقاب الرب " (يسوع) .[1]

والصحيح أن التلاعب بالنص يرجع إلى كتاب الأناجيل ، وليس المخطوطات إذ أن الزيادة دائماً في متى عما في مرقس ، ولو كان الخلل في المخطوطات لما اطردت الزيادة في متى دائماً .

وقد صدق العلامة كيز مان حين قال : " إن لوقا ومتى قد قاما بتغيير نص مرقس الذي كان بحوزتهما مائة مرة عن عمد لأسباب عقائدية " .

وهذه لاتخفى لمن استقرأ زيادات متى التي قصد منها الغلو في عيسى عليه السلام وإضفاء هالة عليه ، ومما يوضح ذلك ما جاء في مرقس عن عدم قيام المسيح بالمعجزات في الجليل حيث يقول " و لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم ، وتعجب من عدم إيمانهم " (مرقس ٦/٥ - ٦) .

لكن متى عز عليه ذلك فقال :" و لم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم " (متى ١٣/٥٨) .

ومثله فقد أورد مرقس - الذي تصفه المصادر المسيحية بأنه يقدم أصدق صورة عن المسيح - أورد آخر عبارات المصلوب على الصليب ، وكانت صراخه اليائس "إلهي إلهي لماذا تركتني " (مرقس ١٥/٣٤) . لكن لوقا - وكما يرى ولديورانت - لم تعجبه عبارة مرقس ، ورآها لا تتفق مع تعليم بولس ، فأبدلها بقوله " يا أبتاه في يديك أستودع روحي " (لوقا ٢٣/٤٦).[2]

والغلو عند متى في شخص المسيح جعله يخالف مرقس في كثير من الأحداث التي نقلها عنه ، فزاد فيها بما اعتقد أنه يرفع من قدر المسيح ، ومن ذلك أن مرقس ذكر خبر المجنون الذي شفاه المسيح بأعجوبة منه (انظر مرقس ٥/٢ - ١٣) فجعله متى مجنونان شفاهما المسيح (انظر متى ٨/٢٨ - ٣٢) .

وذكر مرقس ولوقا شفاء الأعمى (انظر مرقس ١٠/٤٦ - ٥٢ ، ولوقا ١٨/٣٥ - ٤٢) لكن متى جعلهما أعميان (انظر متى ٢٠/٢٩ - ٣٤).

وعندما أخبر مرقس عن قدوم المسيح لأورشليم راكباً على جحش (انظر مرقس ١١/١ - ٧) بلغ متى في الخبر ، فجعل المسيح راكباً على أتان وجحش (انظر متى ٢١/١ - ٧) .

و لم يبين لنا كيف كان هذا الركوب . لكنه أراد أن يحقق نصاً توراتياً في سفر زكريا " هو ذا ملكك ، يأتي إليك وهو عادل ومنصور وديع ، وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان " (زكريا ٩/٩) .

ومثله زيادات متى الخيالية على الأحداث التي صاحبت موت المعلق على الصليب (انظر متى

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٩٥ - ٩٧ ، البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٦ - ٤٨ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٩٩ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ١٩٧ - ١٩٨ ، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٠٩ .

(٢) انظر : عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٠٨ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢٢٧ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٢٤ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١١٩ .

٢٧/٥١ - ٥٣).[١]

التحريف في النقل عن الأسفار التوراتية

وأما التحريف في النقل عن المصادر التوراتية فحدث عنه ولا حرج ، فقد تصرف الإنجيليون بما أسموه نبواءت توراتية عن المسيح وتصرفوا في النصوص التوراتية بما يخدم مراميهم .

وكان متى أكثر الإنجيليين تحريفا في هذا الباب ، لأنه أكثرهم اهتماما بتحقيق النبـــوءات التوراتيـــة والربط بينها وبين المسيح .

وفي كتابه " الشهادات " يذكر دندل هاريس أن ما نقله الإنجيليون من اقتباسات عن العهد القـــديم يمكن تصنيفها كالتالي :

١) فقرات يستشهد بها أكثر من كاتب من كتاب العهد الجديد ، لكن نصوصها المنقولة تختلـــف عنها في الترجمة السبعينية كما تختلف عن العبرانية ، ومن النادر تحديد مصادر تلك الترجمة .

٢) أحيانا يخلط الكاتب الإنجيلي - أو ينقل عمن خلط ، وهو الأغلب - بين أكثر من مصدر مـــن العهد القديم ، ويرجح هاريس أن الإنجيلي لم يخلط بين نصين بل نقل عن أدبيات خلطـــت بـــين نصـــين أو فقرتين.

٣) فقرات ارتبطت بكلمة متميزة ، أو فكرة مثل الفقرات التي تكلمت عن حجر الزاوية .. ونقلـت العهد الجديد بتأويلات مختلفة .[٢]

وقد ذكر علماؤنا مواد أخرى يحسن أن تضاف لتصنيف هاريس لبنوءات العهد القديم التي تلاعب بها الإنجيليون .

٤) إحالات إلى نصوص غير موجودة في العهد القديم .

٥) إحالات خاطئة إلى غير مواضعها في العهد القديم .

٦) إحالات إلى مواضع توراتية تم تحريفها لتناسب ما ذكره الإنجيليون .

وقد ذكر علماؤنا الأمثلة لهذه التحريفات من الأناجيل

فمن أمثلة ما اختلفت فيه الرواية الإنجيلية عن الأصل التوراتي ما جاء في متى " لكي يتم مـــا قيـــل بإشعيا النبي القائل " هو ذا فتاي الذي اخترته ، حبيبي الذي سرت به نفسي ، أضع روحي عليـــه ، فيخـــبر الأمم بالحق ، لا يخاصم ولا يصيح ، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته ، قصبـــة مرضوضـــة لا يقصـــف ، وفتيلة مدخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق إلى النصرة ، وعلى اسمه يكون رجاء الأمم "(متى ١٢/١٧ - ٢١) .

والنص الذي أشار إليه متى هو ما جاء في إشعيا ، وهو حسب النص العبراني " هو ذا عبدي الـــذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي ... لايكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض ، وتنتظر الجزائـــر

---

(١) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢١٤ - ٢١٧ ، المسيح في مصادر العقـــائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٨٧ - ٨٨ ، ١١٥ - ١١٧ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٦٤ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١٠٩ .

شريعته " (إشعيا ٤٢/١ - ٤).

ويلاحظ المفسر جون فنتون أن متى لم يتابع نص إشعيا العبراني ولا اليوناني بل سار حسبما رآه موصلاً إلى النتيجة التي اختارها ، وفي سبيل ذلك أهمل من نص إشعيا جملتين ، لأنها لا تتناسب مع هدفه ولما كانت لفظة " عبد " لا تتناسب مع ألوهية المسيح استبدلها بكلمة " فتاي " وليس لهذا التغيير أثر في العربية ، إذ يطلق على العبد : فتى ، لكن ذلك يختلف في اللغات الأخرى . فالفتى هو الشاب الحدث ، بينما يحمل لفظ العبد كثيراً من معاني العبودية والذلة .[1]

وفي نبوءة أخرى أوردها متى تلاعب بالنص وهو ينقل عن التوراة ، يقول متى " لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ .. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف .. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا : لا يحل أن نلقيها في الخزانة ، لأنها ثمن دم ، فتشاوروا ، واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء .. حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي : وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني اسرائيل ، وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب " (متى ٣/٢٧ - ١٠) .

وأول نقد يوجه لمتى أن إحالته إلى سفر إرميا غير صحيحة ، إذ لا يوجد شيء من ذلك في إرميا ، والصحيح أنه في سفر زكريا .

لكن الذي في سفر زكريا لا علاقة له بالمسيح أو التنبؤ به ، بل يتحدث عن زكريا وما حصل بينه وبين قومه عدما رعى لهم غنم الذبح ثم قال لهم : " إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي ، وإلا فامتنعوا ، فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة فقال لي الرب : ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمنوني به ، فأخذت الثلاثين من الفضة ، وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب " (زكريا ١٢/١١ - ١٤) .

فسفر زكريا يتحدث عن ثمن كريم أخذه النبي زكريا من قومه جزاء لخدمته لهم ، وقد أمره الرب بأن يدفعه للفخاري الذي يصنع التماثيل في بيت الرب .

فموضوع السفر ليس نبوءة ، بل قصة حقيقية تختلف تمام الاختلاف عن قصة يهوذا الخائن ، ومع ذلك فإن متى قد حرف النص التوراتي وهو يحاول الاستشهاد به فيقول " ثمن المثمن " ،وفي زكريا " المثمن الكريم الذي ثمنوني به " وأيضاً يقول متى " وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب " وذلك ليس في سفر زكريا . ثم إن ثمن زكريا قُبل في بيت الرب ، بينما رُدَّ ثمن يهوذا ، و لم يقبله الكهنة .

ويلفت أحمد عبد الوهاب النظر أيضاً إلى أن متى هو الإنجيلي الوحيد الذي ذكر مقدار الفضة التي وعد بها يهوذا ، وأنها ثلاثين ، وحتى مرقس الذي هو من مصادر متى لم يذكرها . وعليه فإن متى تصرف في النص التوارتي ، وأضاف في وصفه لقصة يهوذا ما يجعلها قريبة من نص زكريا .[2]

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١١٣ - ١١٥ ، الإنجيل،محمد شلبي شتيوي،ص ٢٠١ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٧ - ٤٩ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١١٥ - ١١٧ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٨٩ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٤٤ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٠١ ، الكتاب المقدس في الميزان،عبد السلام محمد،ص ١١٢ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ٩١ - ٩٢ .

من التحريف أيضا ما ذكره متى بقوله " سألهم الملك هيرودس أين يولد المسيح ؟ فقالوا له : في بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب بالنبي : وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا ، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعب اسرائيل (متى ٢/٤ - ٦) .

ويرى المفسر جون فنتون أن ما قاله متى ليست نبوءة ميخا فيما كما في الترجمة اليونانية ، كما أنه ليس ترجمة صادقة للعبرانية التي فيها " أما أنت يا بيت لحم أفراته ، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على اسرائيل "

ويرى فنتون أنه من المحتمل أن متى ضم إليه ماجاء في سفر صموئيل عن اختيار داود للملك (انظر صموئيل (٢) ٥/٢) .

ولكن نبوءة متى المزعومة لم تتحقق إذ لم يملك المسيح على بني إسرائيل يوما واحدا بل " قال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخي أن يقاسمني الميراث ، فقال له : يا إنسان من أقامني عليكما قاضيا أو مقسما (لوقا ١٢/١٣ - ١٤) .

وفي مرة أخرى " علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا إلى الجبل وحده " (يوحنا ٦/١٥) . فكيف يقال بعد ذلك أنه ملك بني إسرائيل ؟ [1]

ومن التحريف أيضا ما وقع به بولس وهو ينقل عن مزامير داود ، يقول بولس " لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع الخطايا ، لذلك عند دخوله إلى العالم ، يقول : ذبيحة وقربانا لم ترد ، ولكن هيأت لي جسدا ، بمحرقات وذبائح لم تسر .... " (عبرانيين ١٠/٤ — ٦) ، وقد نقل بولس النص عن المزامير ، وحرفه ففي المزامير " بذبيحة وتقدمه لم تسر ، أذني فتحت ، محرقة وذبيحة خطية لم تطلب .... " (مزمور ٤٠/٦) فقد أبدل " أذني فتحت " بـ " هيأت لي جسدا " واعترف بوقوع التحريف في أحد النصيين جامعو تفسير هنري واسكات ، و لم يعينوا الموضع المحرف منهما ، فيما اعتبر آدم كلارك ماجاء في المزمور محرفا ، فيما اعتبره دوالي ورجروديمنت في تفسيرهما ماجاء في رسالة بولس هو المحرف .[2]

تحريف كتاب العهد الجديد للنبوءات التوراتية

وأحيانا تمتد يد التحريف بسبب النبوءات الإنجيلية إلى التوراة فتعبث في نصوصها ليصدق الإنجيلي في نبوءته ، ومن ذلك : ما جاء في متى وحده عن أن المسيح هرب به أبواه إلى مصر ، وأنه " كان هناك إلى وفاة هيرودس ، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : من مصر دعوت ابني " (متى ٢/١٥٤) .

وقد جاء في تراجم التوراة الحديث عن يعقوب .. لما كان اسرائيل غلاما أحببته ، ومن مصر دعوت ابني " (هوشع ١١/١) ، وتظهر في النص ركاكة لا يزيلها إلا أن نعود إلى موضوع النص وتراجمه القديمة ، فقد جاء في ترجمة ١٨١١م " إن إسرائيل منذ كان طفلا أنا أحببته ، ومن مصر دعوت أولاده " ، فالنص يتحدث عن عودة بني إسرائيل من مصر ،لكنهم تلاعبوا بالنص كما تلاعب متى من قبل فأبدلوا :

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١٠٥ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٩٩ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٤٤٣/٢ .

" أولاده" بـ"ابني" .

والنص بترجمته القديمة والحديثة لا علاقة له بالمسيح وعودته من مصر ، ويرى رحمه الله الهندي أن مافعله متى خيانة " لاتخفى على من طالع هذا الباب ، لأنه وقع في حق المدعوين بعد هذه الآية : " كلما دعوا ولوا وجوههم ، وذبحوا لبعاليم ، وقربوا للأصنام " (هوشع ٢/١١) . وهذه لا تنطبق على معاصري المسيح ، لأن اليهود تابوا عن عبادة الأوثان توبة جيدة قبل ميلاده بخمسمائة وست وثلاثين سنة بعدما أطلقوا من أسر بابل ، ثم لم يحوموا حولها بعد تلك التوبة كما هو مصرح في كتب التواريخ " .

واستخدام هذه الصيغة (ابني) في شعب بني اسرائيل معهود في التوارة ، فقد جاء فيها " عندما تذهب لترجع إلى مصر ... فتقول لفرعون : هكذا يقول الرب اسرائيل ابني البكر . قلت لك : أطلق ابني ليعبدني " (الخروج ٢١/٤ - ٢٣) .

ويرى السقا بأن قصة ذهاب المسيح إلى مصر التي انفرد بها متى بعد أن اختلقها غير صحيحة بدليل أن لوقا ذكر نشأة المسيح في الجليل وهو يتعلم وينمو ، ثم يزور أورشليم مع ولديه كل سنة في العيد (انظر لوقا ٣٩/٢ - ٤١) .[1]

وكذا تصرف متى في نص توراتي آخر وألجأ من بعده لتزوير هذا النص وتغييره يقول متى " هذا كله كان ليتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ، ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره : الله معنا " (متى ٢٢/١ - ٢٣) .

ومقصود متى ما جاء في نبوة إشعيا وفيه " هالعذراء تحبل وتلد ابنا ، وتدعو اسمه عما نؤئيل " .

وفي نص إشعيا تحريف عن الترجمات القديمة للتوراة مثل ترجمة أيكوئلا وترجمة ثيودوشن ، وترجمة سميكس والتي تعود للقرن الثاني الميلادي ، وفيها بدلا من العذراء : المرأة الشابة ، وهو يشمل المرأة العذراء وغيرها .

ويذكر أحمد ديدات أن النسخة المنقحة (R. S. V) والصادرة عام ١٩٥٢م قد استبدلت كلمة العذراء في إشعيا بـ " الصبية " ، ولكن هذا التنقيح لا يسري سوى على الترجمة الإنجليزية .

ثم إن اسم عمانوئيل ليس من أسماء المسيح ، و لم يذكر هذه النبوءة أحد سوى متى .

وأخيرا فإن القصة في إشعيا تتحدث عن قصة قد حصلت قبل المسيح بقرون ، فقد جعل الله من ميلاد عمانوئيل علامة على زوال الشر عن بني اسرائيل في عهد الملك آحاز وخراب مملكة راصين (انظر إشعيا ١٠/٧ - ٢٥ ، ١/٨ - ٤) .[2]

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي، ٣٠٦/٢ - ٣٠٧ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ٢٠٦ - ٢٠٧ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١١٢ - ١١٣ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٤١ - ٤٢ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٠٠ ، حقيقة النصرانية في الكتب المقدسة،أحمد حجازي السقا،ص ٨٥ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٣٠٣/٢ - ٣٠٦ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٨٧ - ١٨٨ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ٩٢ - ٩٣ ، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ١٣٦ - ١٣٧ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص

كما وقع التحريف من الإنجيليين بنسبة أقوال إلى التوراة لم تذكرها ، منه ما جاء في متى " وأتي وسكن في مدينة يقال لها ناصرة ، لكي يتم ما قيل بالأنبياء : إنه سيدعى ناصريا " (متى ٢٣/٢) ، ولا يوجد شيء من ذلك في كتب الأنبياء .

وهروبا من اتهام متى بالتحريف فإن النصارى يتهمون بها اليهود ، فيقول علماؤهم ومنهم ممفرد الكاثوليكي في كتابه " سؤالات السؤال " : إن هذا كان في كتب الأنبياء ، لكن اليهود ضيعوا هذه الكتب قصدا لعناد الدين المسيحي . ولكن علاء أبو بكر يرى التحريف في الإنجيل حيث كما لم يرد نص في التوراة ، فإن ثمة ما يمنع من صدق متى ، وهو أن الناصرة التي يزعم متى أن المسيح سكن فيها كانت من نصيب زبولون بن يعقوب وأولاده ، وهم السامريون الذين لايخالطهم بنو اسرائيل (انظر التكوين ١٣/٤٩) .[1]

ويبدو لي أن علاء أبو بكر خلط بين الأسباط الذين سكنوا السامرة ، وسموا بالسامريين ، وبين السامريين تلكم الفرقة الصغيرة التي تكونت أثناء السبي البابلي . والتي ينفي عنها اليهود أن تكون من أصول إسرائيلية ، فلا يجالسونهم ولا يخالطونهم .

يؤكد المؤرخ موشيم سهولة وقوع التحريف في الصدر الأول لانتشار مقولة أفلاطون وفيثا غورث " أن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق عبادة لله ، ليس بجائزين فقط ، بل قابلان للتحسين ، وتعلم أولا منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح .. ثم أثر وباء هذه الغلط السوء في المسيحيين كما يظهر " . [2]

ثانيا : تحريف النساخ

كما تعرض العهد الجديد لتحريف آخر على يد نساخ العهد الجديد الذين تصرفوا في المخطوطات التي كانوا ينسخونها .

قبل أن نشرع في بيان ذلك نتحدث عن مخطوطات العهد الجديد التي أوصلتنا إلى النصوص المطبوعة والمتداولة.

يقول القس سويجارت " يوجد ما يقرب من أربعة وعشرين ألف مخطوط يدوي قديم من كلمة الرب من العهد الجديد ... وأقدمها يرجع إلى ثلاثمائة وخمسين عاما بعد الميلاد ، والنسخة الأصلية أو المنظورة ، أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها .. " .

ويعرض الطهطاوي لتفصيلات أكبر ، فيذكر أن ما وصل إلينا من مخطوطات العهد الجديد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ) مخطوطات البردي ، والكتابة على ورق البردي، وكانت تستخدم في القرن الثاني والثالث الميلادي

---

٤٢ ، هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص .

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٣١٠/٢ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٨٨ ، ٢٧١ – ٢٧٢ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٤٤ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٠٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٦٦ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١١٧ - ١١٨ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٥٥٧/٢ .

. وقد وصل إلينا عن طريقها قطعتين فقط من العهد الجديد .

الأولى : تضم جملتين من إنجيل يوحنا ١٨/٣١ ، ١٨/٣٧ - ٣٨ ، وقد كتبتا في القرن الثاني وهي محفوظة في مانشستر .

والثانية : وتضم مقطعين من إنجيل متى ١/١ - ٩ ، ١٢/١٤ - ٢٠ .كما يوجد بعض مخطوطات البردي والتي تحوي نصوصا إنجيلية صغيرة ، وتعود للقرون اللاحقة .

ب) مخطوطات إغريقية مكتوبة على رقوق الحيوانات ، و لم تعرف هذه الطريقة في الكتابة إلا في القرن الميلادي الرابع ، ويوجد منها عدد كبير من المخطوطات أهمها النسخة الإسكندرية والفاتيكانية والسينائية كما سيأتي بيانه .

ج) مخطوطات متأخرة ترجع للقرون ١٣ - وما بعده ، وذكر منها البروفسور كوليتر سبع مخطوطات أهمها البازلية .[1]

ومن أهم المخطوطات المكتوبة على رقوق الحيوانات المخطوطة الفاتيكانية والسينائية والإسكندرانية ، وقد سبق لنا التعريف بها عند حديثنا عن مخطوطات العهد القديم ، ونذكر هنا ما يتعلق بالعهد الجديد .

١) النسخة الفاتيكانية : وجاء في مقدمة العهد الجديد للكاثوليك : " وأقدم كتب الخط التي تحتوي على معظم العهد الجديد أو نصه الكامل كتابان مقدسان يعودان إلى القرن الرابع وأجلهما المجلد الفاتيكاني .. وهذا الكتاب الخط مجهول المصدر ، وقد أصيب بأضرار لسوء الحظ ، ولكنه يحتوي على العهد الجديد ما عدا الرسالة إلى العبرانيين (٩/١٤ - ١٣/٢٥) والرسالتين الأولى والثانية إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس ، والرسالة إلى فليمون ، والرؤيا " .

وقد أضاف ناسخ مجهول في القرن الخامس عشر الميلادي هذه الرسائل . وينتهي إنجيل مرقس في هذه النسخة عند الجملة ١٦/٩ ، وترك بعده بياض .[2]

٢) النسخة السينائية ويقول عنه المدخل الفرنسي " والعهد الجديد كامل في الكتاب الخط الذي يقال له المجلد السينائي .. لا بل أضيف إلى العهد الجديد الرسالة إلى برنابا وجزء من (الراعي) لهرماس ، وهما مؤلفان لم يحفظا في قانون العهد الجديد صيغته في الأخيرة " .

ولا تتضمن هذه النسخة خاتمة مرقس ١٦/٩ - ٢٠ ولا يوجد فيها بياض عند هذه الخاتمة بل يبدأ على الفور إنجيل لوقا .

٣) النسخة الإسكندرانية : وتحوي العهد الجديد مع النقص الواضح فيه ، ومن النقص الموجود فيها (١) في أول متى - ٢٥/٦ ، (٢) وفي يوحنا من ٦/٥١ - ٨/٥٢ .

وتضم أيضا رسالتي كلمنت - وهما أيضا ناقصتين - اللتين لم تضما إلى العهد الجديد إضافة إلى زبور كاذب منسوب لسليمان وأشياء أخرى لم تدخل في الكتاب المقدس .[3]

---

(١) انظر : في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٤٧ - ٥١ .

(٢) انظر : الكتاب المقدس في الميزان،عبد السلام محمد،ص ٩١ ، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ٢/٢٦٩-٢٧٠، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٤٧

(٣) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٢/٦٢٢ ، محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ٤٥ ، في

٤) النسخة الافرايمية : وتحوي هذه النسخة العهد الجديد فقط ، وهي محفوظة في باريس في المكتبة الوطنية ، ويرى المحققون أنها كتبت في القرن السادس أو السابع ، وقال بعضهم : بل القرن الخامس .

٥) نسخة بيزا : وتعود للقرن الخامس ، وتحوي الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل ، وهي محفوظة في جامعة كمبرج ، وتخلو من كثير من النصوص مثل مقدمة يوحنا . وقد تحرر ناسخها من المخطوطات القديمة التي ينقل عنها أيما تحرر ، فقد قام بكتابة نسب المسيح كما أورده متى ، ثم لما نسخ إنجيل لوقا ولاحظ الفوارق الكبيرة بين قائمتي لوقا ومتى أعاد قائمة متى في إنجيل لوقا ، ولما كانت قائمة متى ناقصة لكثير من الأسماء أضاف الناسخ أسماء إضافية من عنده .[1]

٦) النسخة البازلية : ويفترض تدوينها في القرن الثامن ، وهي محفوظة بجامعة بازل بسويسرا ، وتضم الأناجيل الأربعة بنقص كبير .

٧) نسخة لاديانوس : وترجع هذه النسخة للقرن التاسع ، وهي محفوظة في بولديانا بأكسفورد ، وتضم سفر أعمال الرسل فقط .[2]

كما ثمة مخطوطات أخرى متأخرة عنها ، فهي أقل أهمية .

اختلاف مخطوطات العهد الجديد

وهذه النسخ وغيرها التي يتحدث النصارى عن كثرتها لا يتفق منها إثنان ، فقد تعرضت للزيادة والنقصان حسب أهواء النساخ وهو ما يعترف به النصارى ومنهم سوبجارت الذي يحاول التقليل من أهمية هذه الاختلافات فيقول : " المبادئ العلمية تخبرنا أنه فيما يختص بكتب العهود القديمة إذا توفر لدينا عشر نسخ منها فإننا لانحتاج بالضرورة إلى الأصل لنضمن تحققنا من النسخة الأصلية ، وعندما نفكر أن لدينا أربعة وعشرين ألف نسخة ، وأن بعض الاختلافات موجودة فيما بين هذه النسخ ، وهذا ما نعترف به ، فالمهم أن جوهر النص لم يتغير ، لكن الدكتور روبرت في كتابه " حقيقة الكتاب المقدس " يرد ذلك ويخالفه ، وكان روبرت قد أعد لمطبعة " تسفنجلي " مذكرة علمية تطبع مع الكتاب المقدس ، ثم منع من طبعها ، ولما سئل عن السبب في منعها قال : " إن هذه المذكرة ستفقد الشعب إيمانه بهذا الكتاب " .

يقول د. روبرت : " لا يوجد كتاب على الإطلاق به من التغييرات والأخطاء والتحريفات مثل ما في الكتاب المقدس " ، وينقل روبرت أن آباء الكنيسة يعترفون بوقوع التحريف عن عمد ، وأن الخلاف محصور فيمن قام بهذا التحريف .

ويقول كينرايم : إن علماء الدين اليوم على اتفاق واحد يقضي بأن الكتاب المقدس وصل إلينا منه أجزاء ضئيلة جدا فقط هي التي لم يتم تحريفها .

ويقول الدكتور روبرت : " لن يدعي أحدا أبدا : أن الله هو مؤلف كل أجزاء هذا الكتاب قد أوحى

مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٤٨ ، ٥٢ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٤٨ .

(١) انظر : محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ٤٧ ، في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٤٩ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،موريس بوكاي،ص ٩٩ ، ١٠٣ .

(٢) انظر : محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ٤٨ ، في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٥٠ .

إلى الكتبة هذه التحريفات أو لم يكن يعرفها أكثر من ذلك " .

ويقول : " ليس لدينا أي مخطوطات يدوية يمكن مطابقتها مع الآخرين " ويستعين بما ذكره القس شورر عن مخطوطات الأناجيل وأن بها ٥٠٠٠٠ اختلاف ، وقال كريسباخ ١٥٠٠٠٠ وتؤكد ذلك دائرة المعارف البريطانية بقولها " إن مقتبسات آباء الكنيسة من العهد الجديد والتي تغطي كله تقريبا تظهر أكثر من مائة وخمسين ألف من الاختلافات بين النصوص " .

وممن اعترف بكثرة هذه الاختلافات العالم ميل ، وذكر بأنها ثلاثون ألفا ، ووافقه القس باركر البروتستانتي ، وأوصل هذه الاختلافات العلامة وتيس تين إلى أزيد من ألف ألف .

ويقول شميت . لا توجد صفحة واحدة من الأناجيل العديدة التي لاتحتوي نصها الأقدم على اختلافات عديدة " .

وتحدث الباحث يولشير عن اختلاف المخطوطات بما أسماه " الإهمال الرسمي " و " النص المخرب " و " الأخطاء الجسيمة " و " التشوية الشنيع للنص " .

ويحاول النصارى تبرير هذه الاختلافات الكثيرة بين المخطوطات فيقول صاحب كتاب " مرشد الطالبين " : " لا تعجب من وجود اختلافات في نسخ الكتب المقدسة ، لأن قبل ظهور صناعة الطبع في القرن الخامس عشر من الميلاد كانت تنسخ بالخط ، فكان بعض النساخ جاهلا وبعضهم غافلا وساهيا " ، لكن الحق أن هناك تحريفا متعمدا وهو ما أقر به المدخل الفرنسي للعهد الجديد " إن نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست كلها واحدة . بل يمكن المرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية .. هناك فوارق أخرى بين الكتب الخط تتناول معنى فقرات برمتها واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير .

فإن نص العهد الجديد قد نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت ، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء ... يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانا عن حسن نية أن يصوبوا ما جاء في مثالهم ، وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي ، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد تكون كلها خطأ ، ثم يمكن أن يضاف إلى ذلك كله أن الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد في أثناء إقامة شعائر العبادة أدى أحيانا إلى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس أو إلى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت على التلاوة بصوت عال .

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر ، فكلن النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل .. والمثال الأعلى الذي يهدف إليه علم نقد النصوص هو أن يمحص هذه الوثائق المختلفة ، لكي يقيم نصا يكون أقرب ما يمكن من الأصل الأول ، ولا يمكن في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه " .

ويؤكد هذا كله جورج كيرد رئيس الجمعية الكندية لدراسة الكتاب المقدس بقوله : " كان يحفظ النص في مخطوطات نسختها أيدي مجهدة لكتبة كثيرين ، ويوجد اليوم من هذه المخطوطات ٤٧٠٠ ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش .

إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلافا كبيرا ، ولا يمكننا الاعتماد بأن أيا منها قد نجا من الخطأ .. إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على يد المصححين الذين

لم يكن عملهم دائما إعادة القراءة الصحيحة " .[1]

استعادة النص الأصلي

وقد أنتج هذا الركام نصوصا مختلفة من الأناجيل متباينة في المعاني والألفاظ ، ويؤكد الباحثون استحالة الجمع بين النصوص المختلفة للعهد الجديد ، فيتحدث مفسر لوقا عن وجود ثلاث نصوص لإنجيل لوقا متباينة وتشمل " اختلافات مثيرة بالإضافة أو الحذف :

أولها : النص البيزنطي : وهو تنقيح قام به مجموعة من رجال الاكليروس لعدد من النصوص المنتشرة ، وقدم للمطرانية المسيحية في القسطنطينية .

وثانيها : النص السكندري : والذي له علاقة بالعالم أوريجن الذي كان أول من أولى العناية لمعرفة النص الدقيق للإنجيل .

وثالثها : النص الغربي : وهو في الحقيقة إعادة قراءة للنصوص القديمة التي سبقت مجمع نيقية دون تصحيح .

فهل يمكن الجمع بين هذه النصوص ؟ تجيب دائرة المعارف البريطانية : " إنه أمل لا طائل من ورائه أن نتصور إمكانية الوصول إلى النص الأصلي ، وذلك عن طريق ترتيب النص السكندري والنص الغربي القديم والنص الشرقي القديم (البيزنطي) ، ثم قبول النص الذي يتفق عليه إثنان منهم ضد الآخر " .

وأما إنجيل مرقس ، فيتحدث عنه نينهام مفسر مرقس ، فيقول : " لقد وقعت تغييرات تعذر اجتنابها ، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد ، ومن بين مئات المخطوطات لإنجيل مرقس ، والتي لاتزال باقية حتى اليوم لانجد نسختان تتفقان تماما ، وأما رسائل بولس فلها ستة قراءات مختلفة تماما " .[2]

ويرفض عبد الرحمن باجة تعليق النصارى التحريف بخطأ النساخ وسهوهم ، ويؤكد على أن الخلاف بين الأناجيل وقع عن عمد ، وليس عن سهو النساخ، ويستدل لذلك بسلامة نسخ القرآن الكريم من التحريف وقد نسخه أهل البادية ، كما يستدل بانتشار التحريف في النسخ المطبوعة للكتاب المقدس مما يدل على وجودة إرادة التحريف وقصده .

وينقل رحمة الله الهندي عن محققي النصرانية ما يجعل تحريف الإنجيل أمرا تم بقصد لا لمجرد الخطأ

---

(١) انظر : الكتاب المقدس في الميزان،عبد السلام محمد،ص ٩٤ - ٩٥ ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٥٤٢/٢ - ٥٣ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٣٣ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٢٩ - ٣٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٤٧ ، ١١٦ - ١٢٠ ، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد، ٢٧٠/٢ ، محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ٤٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٤٠ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ، المناظرة الحديثة،أحمد ديدات،ص ١٥٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٠ - ٤٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٨٤ ، دراسة نقدية تحليلية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد،ص ٣٢٥ - ٣٢٦ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٧٦ - ١٧٧ ، في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١٦٧ .

والسهو ، فقد كان تحريف الكتب شائعا يومذاك يقول أكهارن " لكن حال الزمن السابق الذي لم يخترع فيه الصنعة المذكورة (الطباعة) مخالف لهذا الزمان ، ..... ونرى كثيرا من المرشدين أنهم يشكون شكاية عظيمة أن الكاتبين وملاك النسخ حرفوا مصنفاتهم بعد مدة قليلة من تصنيفهم ،وحرفت رسائل ديوني سيش(ت ٩٥م) قبل أن تنتشر نقولها ، كما يشكون أن تلامذة الشيطان أدخلوا فيها نجاسة ، أخرجوا بعض الأشياء ، وزادوا بعضها من جانبهم " .

يقول رحمة الله الهندي : " وعلى هذه الشهادة ما بقيت الكتب المقدسة محفوظة ، فلو لم تكن عادة أهل ذلك الزمان التحريف لما كتب المصنفون في ذلك الزمان في أواخر كتبهم اللعن والأيمان الغليظة لئلا يحرف أحد كلامهم ، وهذا الأمر قد وقع بالنسبة إلى تاريخ عيسى أيضاً " ويقول : " إن الناس كانت عادتهم من وقت وجود التاريخ العيسوي أنهم كانوا يبدلون عبارات الوعظ والحالات المسيحية التي كانت عندهم على حسب علمهم ، وهذا القانون الذي أجراه أهل الطبقة الأولى كان جارياً في الطبقة الثانية والثالثة " .[1]

ومما يؤكد ما ذكره رحمة الله الهندي عن اللعنات التي كانت توضع في آخر الكتب لتحذر من التغيير والتبديل ما جاء في آخر الكتاب المقدس، وفي آخر سفر من أسفاره من تحذير بهذا الصدد " إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب ، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ، ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب " (الرؤيا ١٨/٢٢ - ١٩).

وكمثال آخر لاستمراء النصارى التحريف ولو بلا داع ذكر رحمة الله الهندي أن مجمع نيقية كان له عشرون قانوناً فقط .

لكن مجمع خليقدونية الرابع أعلن أنه يتمسك بالقانون ٣٧ و ٤٤ من قوانين مجمع نيقية والمتعلقين برئاسة البابا ، وليس في مجمع نيقية شيء من ذلك .[2]

وذكر محمد وصفي أمثلة صريحة لتدخل النساخ في النص عن عمد ، منه ماجاء في متى " متى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال قائمة في المكان المقدس ، ليفهم القارئ ، فحينئذ ليهرب الذي في اليهود إلى الجبال "(متى ١٥/٢٤ - ١٦) فلفظه " ليفهم القارئ " من زيادة الناسخ ، ومثله ما جاء في آخر يوحنا " هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ، ونعلم أن شهادته حق " (يوحنا ٢٤/٢١) فقوله " نعلم أن شهادته حق " من زيادة النساخ ، ومثله ما جاء في يوحنا " للوقت خرج دم وماء ، والذين عاين شهد ، وشهادته حق ، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم " (يوحنا ٣٤/١٩ - ٣٦) فالجملة الأخيرة أراد الناسخ بها التأكيد والتنبيه على صدق يوحنا ، وهي ليست من كتابته .[3]

وإضافة إلى ما سبق عرضه عن اختلاف المخطوطات وتلاعب النساخ في النصوص فإن علماءنا سجلوا ملاحظة هامة ، وهي أن هذه النسخ جميعاً ليست من خط كاتبها أو ليس منها شيء كتب

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٣٨٣/٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٣١ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٤١٩/٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٤٧ .

(٣) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٤٠ .

في وجوده بل إن أولها كتب بعد وفاة كتاب الأناجيل بما لايقل عن قرنين من الزمان .

ولا يستطيع النصارى أن يثبتوا سندا لهذه المخطوطات إلى كتبتها ، واعترف بذلك القسيس فرنج فقال " إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة " لكن رحمة الله الهندي يعتبره عذرا لايقيلهم من إحضار سند هذه الكتب ، فمثل هذه المسائل لا تقبل من طريق الظن والتخمين .

وأما دعوى بعض البروتستانت بأنه ثمة سندا للأناجيل في القرن الأول والثاني بدليل أنه شهد بوجودها بعض الآباء الأوائل مثل كليمنس أسقف الروم وأكيانوس وغيرهما فهذا لايسميه رحمة الله الهندي سندا بل مغالطة لاتجدي عن المطلوب .

ثم إن كليمنس تولى الاسقفية سنة ٩٥ أو ٩٦م فهو سابق على كتابة يوحنا لإنجيله فكيف يقال أنه نقل عنه ؟ ثم ما نقله لم ينسبه إلى أحد من الأناجيل ، وإن وجد فيها فلعله من مشهورات كلام المسيح ، وأما أكيانوس فالمحققون يشككون في صحة ما نسب إليه ، ويرونه مزورا ، ولا يصعب هذا على من اختلق خمسة وسبعين إنجيلا . (١)

كما أن كل النصوص ترجع لما بعد مجمع نيقية الذي أمر فيه بتحريف الكتب التي اعتبرت مخالفة لمعتقدات هذا المجمع .

يقول موريس نورن في " دائرة المعارف البريطانية " : " إن أقدم نسخة من الأناجيل الرسمية الحالية كتب في القرن الخامس بعد المسيح ، أما الزمان الممتد بين الحواريين والقرن الخامس فلم يخلف لنا نسخة من هذه الأناجيل الأربعة الرسمية ، وفضلاً عن استحداثها وقرب عهد وجودها منا ، فقد حرفت هي نفسها تحريفاً ذا بال خصوصاً منها إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا .(٢)

ثم إن كثرة التحريف في النسخ والمخطوطات وعدم وجود نسخ قديمة جعلت المحققين من النصارى وغيرهم لا يرون ثمة علاقة بين هذه المخطوطات والإنجيليين الأربعة ، وجعلتهم ينظرون إلى مضامينها ونقولها بكثير من الريبة والتكذيب .

يقول المؤرخ موشيم (ق٢) مكذباً نسبة الأناجيل لأصحابها ومبيناً أحد دوافع النصارى للتحريف ألا هو استحلال الكذب والتحريف فيقول : " كان بين متبعي رأي أفلاطون وفيثاغورث مقولة مشهورة : أن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق عبادة الله ليسا بجائزين فقط ، بل قابلان للتحسين ، وتعلم أولاً منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح ، كما يظهر هذا جزماً من كثير من الكتب القديمة ، ثم أثر وباء هذا

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١١١/١ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٢٨ ، المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقس فندر،ص ٣٧٢ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٤٣ – ٤٤ ، محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،ص ٣٦ – ٤٦ ، ١١٠ ، في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٦٣ – ٦٥ ، هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٤٣

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٤٧٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٤٧ – ٤٨ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٩٨ .

الغلط السوء في المسيحيين كما يظهر هذا الأمر من الكتب الكثيرة التي نسبت إلى الكبار كذبا " .

ويذكر وليم ميور في كتابه " تاريخ كليسيا " (الكنيسة) أن أرجن وغيره أفتوا بجواز جعل الكتب الكاذبة ، ونسبتها للحواريين أو التابعين أو إلى قسيس من القسيسين المشهورين .[1]

من كتب العهد الجديد ؟

وإذا كانت نسبة هذه الكتب غير ثابتة لأصحابها فمن الكاتب ؟ يتحدث القس حنا جرجس الخضري عن " مدرسة ألمانية تتلخص تعليماتها بأمور منها " عدم اعتبار الأناجيل كمستندات تاريخية بحتة ، وأن مواد الإنجيل تبدو كأنها كتبت لتملأ الوظائف المتنوعة المختلطة في حياة الكنيسة الأولى وحاجاتها " .

ويقول بولثمان : " لا يمكن أن نثبت صحة أي كلمة من كلامه (أي المسيح) ، وكل ما يمكن أن نقوله عن حياة يسوع وشخصيته أن لا نقول شيئا ، يرجع ذلك إلى عدم التأكد من الوثائق التي لدينا ، وخصوصا أنها قليلة فمن الصعب التأكد مما إذا كانت هذه الأقوال فعلا أقوال المسيح أم هي إضافات من الكنيسة الأولى .

ويقول الدكتور بوست : الأناجيل الحالية تختلف عن الأناجيل القديمة . ونشرت مجلة تايم في عددها الصادر في اكتوبر ١٩٨٦ مقالا عند ندوة دولية حضرها ١٢٠ عالما نصرانيا درسوا صحة الأقوال المنسوبة للمسيح في الأناجيل الأربعة فوجدوا أنه لايصح منها سوى ١٤٨ قولا من بين ٧٥٨ قولا منسوبا إليه .

وذكر كتاب " الأناجيل الخمسة " الذي أصدرته ندوة يسوع عام ١٩٩٣م أن ١٨% فقط من الأقوال التي تنسبها الأناجيل ليسوع ربما يكون قد نطق بها فعلا .

وفي ندوة ١٩٩٥ قرروا أن رواية ميلاد يسوع غير حقيقية سوى ما يتعلق باسم أمه ، ومثله قصة آلام المسيح ومحاكمته .

وهذا أيضا ما كان يصرخ به فاستس (من فرقة ماني كيز في القرن الرابع) حيث كان يقول : " أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر ، وعيبوا صورته الحسنة وأفضليته ، لأن هذا الأمر محقق ، إن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ليعتبر الناس ، وقد آذى بذلك الدين ... فقد ألف الكتب التي تمتلئ بالأغلاط والمتناقضات " .

وكان سلوس الوثني (ق٢) يقول : " بدل المسيحيون أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات ، بل أزيد من هذا تبديلا ، كأن مضامينها بدلت " .[2]

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٥٥٧/٢ - ٥٥٨ ، ٦٩/١ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٥٤٢/٢ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ٣٢ ، ٢٤٢ - ٢٤٥ ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٣٠٦ ، الكتاب المقدس في الميزان،عبد السلام محمد،ص ١٠٤ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف،يحيى ربيع،ص ١٨٢ - ١٨٥ ، عقيدة الصلب والفداء،محمد رشيد رضا،ص ٣١ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٢ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١٠٨ ، البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٢ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

ظهور الطباعة ، وطباعة العهد الجديد

وقبل أن نختم هذه المسألة نشير إلى دخول الكتاب المقدس عهد الطباعة في القرن السادس عشر فقد أصدر ارازموس سنة ١٥١٦م أول طبعاته كما ذكر ذلك فردريك جرانت في كتابه " الأناجيل أصولها ونمائها " وجورج كيرد في تفسيره .[١]

وفي عهد الملك جيمس الأول ملك انجلترا واسكتلندا عقد مؤتمر ديني عام ١٦٠٤م أسفر عن تشكيل لجنة ترجمة من البروتستانت تولت إنتاج النص الرسمي للكتاب المقدس باللغة الإنجليزية ، وختم الملك جيمس هذه النسخة بخاتمه، وطبعت سنة ١٦١١م .

ومنذ عهد الملك جيمس توالت الطعون لهذه الترجمة الأشهر في تاريخ المسيحية ، فقد رفعت للملك جيمس عريضة تقول " إن الزبورات التي هي داخلة في كتاب صلاتنا مخالفة للعبري بالزيادة والنقصان والتبديل في مائتي موضع تخمينا " .

وقال بروتن للقسس " إن ترجمتكم الإنجليزية المشهورة حرفت عبارات كتب العهد العتيق في ثمانمائة وثمان وأربعون موضعا ، وصارت سببا لرد أناس غير محصورين كتب العهد الجديد ودخولهم النار "

وتوالت الطعون لهذه الترجمة والتي عنها ترجم العهد الجديد إلى أكثر لغات العالم ، وينشرها حتى الكاثوليك الذين لهم ترجمة خاصة ، وتعتبر عندهم ترجمة البروتستانت ناقصة .

وفي عام ١٨٨١م عدلت نسخة الملك جيمس ، وسميت بالنسخة المنقحة ثم نقحت ١٩٥٢م ، وسميت " النسخة القياسية المنقحة " (R. S. V) ، وكان تنقيحها على يد اثنين وثلاثين عالما لاهوتيا تساندهم هيئة استشارية تمثل خمسين طائفة دينية ، ثم أعيد تنقيحها عام ١٩٧١م ، وصدرت بنفس الاسم السابق (R. S. V) ، وجاء في مقدمة هذه الطبعة " لكن نصوص الملك جيمس بها عيوب خطيرة جدا ... وإن هذه العيوب والأخطاء عديدة وخطيرة مما يستوجب التنقيح في الترجمة الإنجليزية " .

ومما حذفته النسخة المنقحة نص يوحنا المشهور في التثليث (انظر يوحنا (١) ٧/٥) ونهاية إنجيل مرقس (انظر ٩/١٦ - ٢٠) .[٢]

ويقول رحمة الله الهندي : " إن التبديل والإصلاح بمنزلة الأمر الطبيعي لفرقة البروتستانت ، ولذلك ترى أنه إذا طبع كتاب من كتبهم مرة أخرى يقع غالبا فيه تغيير كثير بالنسبة إلى المرة الأولى ، إما بتبديل بعض المضامين أو بزيادتها أو نقصانها أو تقديم المباحث أو تأخيرها ... "

وتبدو إمكانية تطوير النص أيضا عند الكاثوليك حيث جاء في مقدمة العهد الجديد للكاثوليك " بوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصا مثبتا إثباتا حسنا ، وما من داع إلى إعادة النظر إلا إذا عثر على وثائق جديدة " . يقول أحمد عبد الوهاب " إن العهد الجديد الحالي هو عهد جديد مؤقت ! إنه معرض للتغيير والتبديل حسبما تأتي به الأيام " . [٣]

---

(١) انظر : محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ٤٨ .

(٢) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٥٧٢/٢ - ٥٧٣ ، المناظرة الحديثة،أحمد ديدات،ص ١٣٣ - ١٣٩ ، هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ١٨ — ١٩ .

(٣) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٩/١ — ١٠ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،خير الدين الألوسي، ٤٤/١

وقد أصدر الكاثوليك نسخة لاتينية خاصة بهم تسمى نسخة " دوي " وطبعت لأول مرة عام ١٥٨٢م ثم ١٦٠٩م ، وتختلف هذه النسخة عن نسخة الملك جيمس المعاصرة لها في أمور أهمها زيادة سبعة من الأسفار (الأبوكريفا) غير موجودة في ترجمة الملك جيمس البروتستانتية . [1]

ثالثا : تحريف الطبعات

رأينا فيما سبق تنافر المخطوطات الذي ولد عنه وجود ثلاثة نصوص مختلفة هي النص السكندري والنص البيزنطي والنص البيزنطي الشرقي ، والنص الغربي القديم .

وبقيت مشكلة توحيد النص بلا حل ، وتقول دائرة المعارف البريطانية بأنه لا طائل من وراء البحث عن النص الأصلي من خلال هذه النصوص الثلاثة للتباين الكبير فيها . وفي عام ١٥١٦م قدم ارازموس أول نص مطبوع للعهد الجديد ، ثم توالت الطبعات والترجمات بلغات العالم المختلفة .

لكن قل أن تتفق طبعتان من طبعات الكتاب المقدس أو ترجمتان من تراجمه . وقد قارن علماؤنا بين هذه التراجم والطبعات ، وأثبتوا ما بينها من تغاير في المعنى والألفاظ ، مما يبين استمرار التحريف والتلاعب في النصوص حتى في ظل ظهور الطباعة ، وانتشار الكتاب المقدس .

وقد لجأ المحرفون إلى وسائل في التحريف منها أنهم تعمدوا وضع إضافات للنص المطبوع ، وجعلت هذه الإضافات في أقواس للدلالة على عدم وجودها في أقدم المخطوطات المعتمدة ، وأنها إضافات تفسيرية .ثم وفي طبعات أخرى اختفت الأقواس ، وأصبح ما بين الأقواس جزء من النص المقدس ، وفي طبعات أخرى تم حذف الأقواس وما بينها فأي هذه النصوص كلمة الله ؟ومن الذي يحق له أن يزيد وينقص في الكتاب المقدس؟

ومن ذلك أنه جاء في نسب المسيح " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو (حسبما يظن) ابن يوسف " (لوقا ٢٣/٣) .

وفي تراجم كثيرة تبلغ المئات يلحظ العلامة ديدات اختفاء الأقواس ،وبقاء ما بينها جزء من كلمة الله.

ومثله جاء في متى " فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك (علانية) " (متى ١٨/٦) في طبعة بيروت ١٨٦٤م و ١٨٧٧م ، ثم اختفت الأقواس في التراجم اللاحقة ، وأضحت كلمة " علانية " جزء من النص المقدس .

وجاء في رسالة بطرس في طبعة ١٨٦٠م " بل مما لايفنى بكلمة الله الحية الباقية (إلى الأبد) " (بطرس (١) ٢٣/١) .

وقد حذفت الأقواس وما بينها في طبعات لاحقة ، فيما حذفت الأقواس في طبعات أخرى وبقي ما كان بينها.

، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٥ – ٢٦ .

(١) انظر : هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ١٨ – ١٩ .

وفي طبعتي ١٨١٤م و ١٨٧٧م جاء في لوقا " (ثم قال الرب) : فيمن أشبه أناس هذا الجيل ؟ (لوقا ٣١/٧) ثم اختفت الأقواس ، وبقي ما بينها ، وأصبحت العبارة الملحقة عبارة أصلية .[١]

الفروق بين التراجم المطبوعة

وكثيرا ما تغير التراجم النص من لغة إلى أخرى بزيادة أو نقصان أو تغيير في المعنى ، وهنا يحق لنا أن نتساءل أي هذه التراجم ترجمة صادقة لكلمة الله ؟ ومن الذي أعطى المترجمين حق التبديل والتغيير ؟

من ذلك أنه جاء في الترجمة العربية لمتى : " لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد . آمين " (متى ١٣/٦) وهي غير موجودة في الترجمة اللاتينية .

ومما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح قول بولس في وصفه لعيسى بأنه " شعاع مجده ، وصورة جوهره " (عبرانيين ٣/١) .

ويرجع ناسخ البحث الصريح إلى الترجمة العبرانية فيجد العبارة " لو كادها كابود " وترجمتها العربية " الزهرة المجيدة " فقد نعت بولس المسيح باسم كوكب الزهرة ، والضمير في العبرانية يعود إلى الكوكب لا إلى الله عز وجل فأي الترجمتين هي الترجمة الصحيحة العبرانية أم العربية ؟

وجاء في مختلف التراجم للعهد الجديد أن بطرس قال عن المسيح " يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم ... " (أعمال ٢٢/٢) .

ولما ترجم مارتن لوثر العهد الجديد إلى الألمانية حذف كلمة " رجل " ، ولا يخفى أن الهدف من فعله حذف دلالة النص الصريحة على بشرية المسيح .

وكذا فعل في قول متى " كل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة ... يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية " (متى ٢٩/١٩) فحذف مارتن لوثر من ترجمته كلمة " امرأة " لتعارضه مع الشرائع النصرانية التي لاتبيح للرجل أن يتزوج أكثر من امرأة فكيف يجعل له النص مائة ؟!

وكذلك حذفتها ترجمة جدعون في ترجمتها الألمانية ، ولم تحذفها من ترجمتها الإنجيليزية والفرنسية .[٢]

وتتحدث الأناجيل عن موقف اللصين المصلوبين من المسيح ، وتتناقض في ذلك . ففي متى ومرقس أنهما جعلا يستهزءان به ويعيرانه (انظر متى ٤٤/٢٧ ، مرقس ٣٢/١٥) ، وفي لوقا أن أحدهما عير المسيح والآخر زجر صاحبه ، فوعد المسيح الثاني بملكوت الله (انظر لوقا ٣٩/٢٣ - ٤٣) .

ولإزالة التناقض عند ترجمة الإنجيل للهندية قام المترجمون في الطبعات الصادرة ١٨٣٩م ، و١٨٤٠م ، و١٨٤٤م ، و١٨٤٦م بتغيير ما جاء في متى ومرقس ، فأبدلوا تثنية تلك الجمل بالإفراد ، ليصبح أحد اللصين

---

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٣٤/١ - ٣٥ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٢٩ ، ١٢٢ ، القرآن الكريم والكتاب المقدس.أيهما كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٢٢ ٢٣ .

(٢) انظر : تعليق الناسخ على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة الراسي"لوحة ٩أ ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ١٨١/١ - ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢١٨ - ٢١٩ ، ٢٤٦ ، البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٢ - ٤٤ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٢٩ .

فقط هو المستهزئ ، فتتفق روية متى ومرقس مع رواية لوقا التي تتناسب أكثر مع شخصية المسيح .

الفروق بين طبعات الترجمة الواحدة

و لم يكن التغيير فيما بين التراجم فقط . بل إن التلاعب والتحريف يمتد لطبعات اللغة الواحدة ، وقد أورد علماؤنا مقارنات بين بعض الطبعات الإنجليزية فوجدوها مختلفة ، وقد نقل أحمد عبد الوهاب عن مفسر إنجيل مرقس دنيس نينهام مقارنته بين طبعتين إنجليزتين لإنجيل مرقس سمى أولاهما : القديمة والأخرى الحديثة . وجاء في الطبعة القديمة " وكان الجميع جالسا حوله ، فقالوا له : هو ذا أمك وإخوتك وإخوانك يطلبونك " وفي الطبعة الحديثة :" هو ذا أمك وإخوتك خارجا يطلبونك " (مرقس ٣/٣٢) فحذفوا كلمة " إخوانك ". كما حذفت الطبعة الحديثة مواضع موجودة في القديمة القديمة قبل قوله " وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السماوات أيضا زلاتكم " (مرقس ١١/٢٦) ومثله " فتم الكتاب القائل : وأحصي مع أثمة " (مرقس ١٥/٢٨) ومثله حذفوا كلمة " صرخ " من قوله " ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح " (مرقس ١٥/٣٩) .[1]

وكذلك أجرى علماؤنا دارسة مقارنة لترجمات عربية متعددة فوقفوا على مواضع طالها التحريف ، وذكروا في كتبهم نماذج منها المقارنات المتعددة التي أجراها عبد الرحمن باجي زادة البغدادي بين طبعة لندن المطبوعة سنة ١٨٤٨م وطبعة بيروت المطبوعة سنة ١٨٧٠م فقد جاء في طبعة أن بيروت " تعال أيها الرب يسوع " (الرؤيا ٢٢/٢٠) .

وفي طبعة لندن " تعال يارب يسوع " فجعل الرب عبدا ، والعبد ربا ، وقد جاء في السطر الذي قبله " إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب ، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ، ومن المكتوب في هذا الكتاب " (الرؤيا ٢٢/١٨ - ١٩) .

وجاء في طبعة لندن " آدم الذي من الله " ، وفي طبعة بيروت " آدم ابن الله " (لوقا ٣/٣٨) يقول عبد الرحمن البغدادي : " إذا جوز المتأخرون من علمائكم تبديل من الله بـ (ابن الله) في مثل هذا القرن الذي بلغ فيه التمدن غايته ، فوقوع مثل هذا من أسلافكم في زمن الجهل أولى .

وهل يبعد مثل هذا منهم وهم الذين التمسوا من يوحنا أن ينادي بألوهية عيسى .

ثم إنه يلزم من قول علماء بيروت أن يكون آدم أولى بالألوهية من بشر مولود من امرأة مصلوب على خشبة.

وأيضا جاء في طبعة لندن أن المسيح يقول " اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لابليس وجنوده " وفي طبعة بيروت " لإبليس وملائكته " (متى ٢٥/٤١) وأيضا جاء في مرقس حسب طبعة لندن " كما هو مكتوب في إشعيا النبي : هأنذا مرسل ملاكي أمام وجهك الذي يسهل طريقك قدامك " .

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٩٧ - ٩٩ ، وهذه المحذوفات موجودة في النسخ العربية عدا ما جاء في مرقس ٣/٣٢ فإن كلمة " إخوانك " محذوفة .

وفي نسخة بيروت " كما هو مكتوب في الأنبياء : ها أنا مرسل أمام وجهك ملاكي الـــذي يـــهيئ طريقك قدامك " (مرقس ٢/١) .

ومعلوم أن عزو طبعة لندن إلى إشعيا ليس بصحيح ، إذ هو في سفر ملاخي ، وحسب طبعة لنـــدن " ها أنذا مرسل ملاكي ، ويسهل الطريق أمام وجهي ، وللوقت يأتي إلى هيكله المسلط ، الذي أنتم تطلبـــون وملاك الميثاق الذي أنتم تريدون ها ها جاي يقول رب الجنود " .

وهو حسب طبعة بيروت " ها أنذا أرسل ملاكي ، فيهيء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلي هيكله ، السيد الـــذي تطلبونه ، وملاك العهد الذي تسرون به ، هو ذا يأتي قال رب الجنود " (ملاخي ١/٣) .

ويلاحظ البغدادي اختلافا واضحا بين الطبعتين في سفر ملاخي ، ثم في اقتباس النـــــص في مـــتى ثم مرقس ثم لوقا.

ثم ينقل الترجمة الصحيحة لنص ملاخي عن العبرية وهي " ها أنا سوف أرسل رسولي ، فيعزل طريقـــا بحضوري ، وحينئذ يأتي بغتة إلى هيكله الولي الذي أنتم ملتمسون ، ورسول الختان الذي أنتم راغبون أيضـــا ، هو ذا آت قال الله رب الجنود " .

والمتأمل في هذه المقارنات وغيرها يدرك مقدار العبث التي تعرض له النص التوراتي والإنجيلي علـــى السواء [١]

وصدق البغدادي في ملاحظته حين قال " والفطن لو قايس بين نسختي لندن وبيروت والمدة بينهما لم تتجاوز نصف جيل ، والزمن زمن تمدن القوم .. علم هنالك ما فعلته أيدي المدلسين منهم في الأزمان السالفة خصوصا في القرون الأولى التي فيها انتشرت تلك الأناجيل ، وهو زمن القلاقل ، وتسلط الرؤساء على العامة .. وكانت عامة النصرانية فيه أسراء الجهل ، وهو زمن تغلب الأساقفة على العامة " .

ويقارن الخولي بين طبعات روما ١٦٧١م ولندن ١٨٢٣ ، والطبعة الحديثة فيما جاء في مرقـــس " لم آت لأدعو أبرارا ، بل خطاة إلى التوبة " (مرقس ١٧/٢) فعبارة (إلى التوبة) غير موجودة في طبعتي رومـــا ولندن المذكورتين آنفا ، ويعلق الخولي فيقول " من يزد يحذف ، ومن يحذف يبدل " .[٢]

اختلاف الطبعات والمذاهب النصرانية

وتختلف الطبعات أحيانا تبعا لاختلاف المذاهب النصرانية ، ومن أمثلة ذلك أنـــه جـــاء في ترجمـــة كاثوليكية لمرقس " كل واحد يملح بالنار ، وكل ذبيحة تملح بملح " ومعلوم أن الكاثوليك يؤمنـــون بعـــذاب المطهر للخاطئين كما جاء في عدد من المراجع الكاثوليكية منها مختصر التعليم المسيحي الصادر عن الجمعيـــة الكاثوليكية للمدارس المصرية .

والنص حسب الطبعة البروتستانتية " كل واحد يملح بنار وكل ذبيحة تملح بملح " (مرقس ٤٨/٩).

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمـــن بـــاجي ،ص ٤٥ - ٤٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٤٨٠ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٥٢٢ - ٥٢٤ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٩٥ .

وبين النصين كما يلحظ أحمد عبد الوهاب خلاف كبير ، فالأول يتحدث عن نار جهنم ، فيما يتحدث الثاني عن نار قد تكون نار جهنم ، وقد تكون نار الابتلاء والمحن أو غير ذلك .

ويقارن وصفي بين نسختين أولاهما كاثوليكية ، والثانية بروتستانتية ، فيورد اختلافهما في مواضع كثيرة أهمها أنه جاء في الأولى أن الملاك لما جاء إلى مريم " قال السلام عليك يامتلئة، نعمة الرب معك ، مباركة أنت في النساء " ، وفي الترجمة البروتستانتية " سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك ، مباركة أنت في النساء " (لوقا ٢٨/١) فالنص الكاثوليكي يتوافق مع معتقد الكاثوليك الذين يقدسون مريم ، فيذكر أنها ممتلئة من نعمة الرب أي مقدسة ، بينما يعتبرها النص البروتستانتي منعم عليها كسائر الناس .

ومثال آخر فقد جاء في ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك ومثله في سائر التراجم البروتستانتية أن يوحنا يقول " أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ، أي المؤمنون باسمه ، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل ، بل من الله " (يوحنا ١٢/١ - ١٣) .

وفي ترجمة العهد الجديد للكاثوليك النص تغير فأصبح خاصا بالمسيح وحده " هم الذين آمنوا باسمه وهو ليس من دم ، ولا من رغبة ذي لحم ، ولا من رغبة رجل ، بل الله ولده " .[1]

ومن أمثلة التخالف أيضا بين الترجمتين ما جاء في لوقا حسب الكاثوليكية " ثم قال الرب : سمعان سمعان ، هو ذا الشيطان سأل أن يغربلكم مثل الحنطة ، وأنا أطلب لئلا ينقص إيمانك " .

وفي الأخرى " وأنا طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك " (لوقا ٣١/٢٢) وبين النقصان والفناء فرق كبير ، وفي نص متى تقول الطبعة الكاثوليكية " وإذا صليتم فلا تكثروا الكلام مثل الوثنيين لأنهم ... " وفي الأخرى " حينما تصلون لاتكرروا الكلام باطلا كالأمم " (متى ٧/٦) ، ويؤكد وصفي وهو يعرض هذه الأمثلة وغيرها أن ليست مجرد خلافات لفظية بل هي خلافات جوهرية .[2]

وجاء في الترجمة البروتستانتية أن متى قال لبطرس " ابن كنيستي ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " (متى ١٨/١٦) .

والنص حسب ترجمة الرهبانية اليسوعية ١٩٨٦ " ابن كنيستي ، فلن يقوى عليها سلطان الموت " وفي الهامش قالوا " في الأصل : أبواب الجحيم " وهنا يتساءل المرء لم خالفوا الأصل إذن .[3]

تحريفات أخرى هامة

وكان أهم أمثلة تحريف الطبعات قاطبة ما جاء في رسالة يوحنا الأولى " فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد ، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم ، والثلاثة هم في الواحد " (يوحنا (١) ٧/٥ - ٨) والفقرة الأولى التي تتحدث عن شهود السماء يؤكد ناسخ البحث الصريح بأنها غير موجودة في النسخ القديمة ، كما أنها غير موجودة في

---

(١) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٣ - ٥٥ .

(٢) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) انظر : الكتاب المقدس في الميزان،عبد السلام محمد،ص ١١٢ .

جلسات المجمع النيقي .

والنص موجود في سائر تراجم العهد الجديد المطبوعة بعد القرن السادس عشر الميلادي ، ولا يخفى أن إضافة هذا النص كان لتثبيت عقيدة التثليث التي تفتقر لمثل هذا الدليل القوي في دلالته .

وقد اعترف محققو النصرانية بإلحاقية هذا النص ، ومنهم كريسباخ وشولز ، وهورن المتعصب ، وجامعو تفسير هنري ، واكستاين ، والقس فندر ولوثر الذي حذف النص من ترجمته ، وأوصى قبل موته " أن لايحرف أحد في ترجمتي " ، لكنهم أدخلوا هذه الفقرة بعد ثلاثين سنة من موته في ترجمة طبعت في فرانكفورت ١٥٧٤م ، ثم أسقطوها بعد ذلك ، ثم أعيدت في طبعة وتنبرغ ١٥٩٦ ، ١٥٩٩ وغيرها من الطبعات .

وقد كتب إسحاق نيوتن رسالة بلغت خمسين صفحة أثبت فيها تحريف هذه العبارة التي بقيت في سائر الطبعات والتراجم بلغات العالم المختلفة إلى أواسط هذا القرن .

وكانت بعض الطبعات العربية قد وضعتها بين هلالين لتدل على عدم وجودها في المخطوطات القديمة كما في ترجمة الشرق الأوسط ١٩٣٣م ، لكنها موجودة بدون أهلة في سائر التراجم العربية سوى ترجمة الكاثوليك العربية ، فإنها أزالتها وأشارت إلى خلو الأصول اليونانية عنها .

وفي عام ١٩٥٢م أصدرت لجنة تنقيح الكتاب المقدس – المكونة من اثنين وثلاثين عالما نصرانيا يساندهم أتباع خمسون مذهبا مسيحيا – أصدرت نسخة (R. S. V) ، وكان وهذا النص ضمن ما حذفه المنقحون ، لكن هذا التنقيح لم يسر على مختلف تراجم الإنجيل العالمية ، والتي تبلغ ١٤٩٩ لغة أو لهجة ترجم إليها الإنجيل .وإن كان ثمة تراجم قليلة قد حذف منها النص

الطريف الذي يذكره أحمد عبد الوهاب أن ترجمة جدعون حذفت النص من ترجمتها الفرنسية والألمانية ، وأبقته في ترجمتها الإنجليزية ، رغم أن الترجمات في صفحة واحدة ، وذلك " لتكون دليلا على الخيانة والغباء ، وعدم تمكن المجرم من حبك جريمته " .[1]

ومن النصوص المهمة أيضا التي تعرضت لتحريف الطبعات ، النصان الوحيدان اللذان يتحدثان عن صعود المسيح للسماء في خاتمة مرقس ١٩/١٦ ، ولوقا ٥١/٢٤ وقد حذف النصان من (R. S. V) عام ١٩٥٢م وبقي في سائر التراجم العالمية ثم في ١٩٧١م " عرضت أمام اللجنة (المنقحة) طلبات عديدة قدمها اثنان من الأفراد ، وطائفتان دينيتان ، وقد اهتمت هذه اللجنة بهذه الطلبات " وكان النتيجة إعادة خاتمة مرقس ٩/١٦ – ٢٠ ، ولوقا ٥١/٢٤ في طبعة ثانية صدرت تحت اسم (R. S. V) .

ويعجب ديدات كيف أجمعت الأناجيل على قصة ركوب الحمار في القدس فأهملوا إياها حتى لاينسوها ، مع أنه كان كثير يركبون الحمير حينذاك لكن مسألة الصعود إلى السماء على أهميتها لا تذكر إلا في إنجيليين وباقتضاب.

---

(١) انظر : تعليق الناسخ على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة الراسي"لوحة ٤ب ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي،ص ٤٩٧/٢ – ٥٠٤ ، البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٤ – ٣٨ ، هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٢٦ – ٢٨ ، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ٦٥ – ٦٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٢٦٥ .

وفي كلا الإنجيلين يحذف نص الصعود لأنه غير أصيل ، وإن أعيد فيما بعد فإن ذلك من التلفيق .[1]

ولئن وافقنا علمائنا في النماذج السابقة وغيرها أنها من التحريف فإنا لا نوافقهم في بعض الصور التي ذكروها.

من ذلك ما ذكره عبد الرحمن البغدادي أنه جاء في وصف مريم بأنها " المجدلية في نسخة بيروت " و " المجدلانية " في نسخة لندن (متى ١/٢٨) و " أسرعت " و " ركضت " (يوحنا ٢/٢٠) .

ومثله ما ذكره وصفي في قول المسيح لمتى " وأنا أقول لك أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي " (متى ١٨/١٦) حسب ما جاء في الطبعة البروتستانتية بينما جاء في طبعة كاثوليكية " أنت صخرة ، وعلى هذه الصخرة ابني بيتي " .

إذ لاخلاف في إمكان اطلاق لفظ بيت الله على الكنيسة .وأما اسم بطرس فهو اسم يوناني معناه "صخرة " ، وعليه فلاخلاف بين الطبعتين .[2]

وفي خاتمة هذا المطلب نتوقف مع نوعين من التحريف لهما طابع خاص .

أولهما : تحريف يهودي للأناجيل فقد نشرت مجلة " نور الحياة " التي يصدرها جرمانوس لطفي في يناير ١٩٦١م مقالا بعنوان " الصهيونية تحرف الأناجيل " تحدثت فيه عن مقررات مؤتمر مسيحي يهودي عقد في سيلزبرغ ، وافق فيه المؤتمرون النصارى على حذف الفقرات التي تدين اليهود من الأناجيل في مقابل أن يحذف الحاخامات من كتبهم ما ينال من المسيح وكرامته .

ماهي إلا سنوات حتى صدرت وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح مخالفة لكل ما جاء في الأناجيل .

وأسرع اليهود بإصدار نسخة من العهد الجديد تتناسب ووثيقة التبرئة ، كما تتناسب مع مقررات مؤتمر سيلزبرغ .

في هذه النسخة تم إبدال كلمة " اليهود " والتي وردت ١٥٩ مرة في العهد الجديد بكلمات أخر تساعد على تبرئة اليهود من المشينات التي تذكرها الأناجيل عنهم بخصوص صلب المسيح أو تكذيبه أو .... فاستبدلت بكلمات : (الرعاع ، المنعزلين ، العامة ، الوثنيين) .

وكذا استبدلوا كلمة المجمع بالمحكمة ، والشيوخ بالمتشرعين ، ورؤساء الكهنة بالقسس ، والفريسيين بالمنعزلين ، واللاويين بالمساعدين .

كما حرفت ، بعض العبارات بإبدالها ففي قول الجماهير : " اصلبه " أضحت " خذه " وأما الكلمات التي خوطب بها اليهود من المسيح والتلاميذ " بأنتم " فأصبحت " هم " وقد بلغت هذه التحريفات التي فصل في بيانها أحمد عبد الوهاب ٦٢٦ تحريفا .[3]

---

(١) انظر : هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ٢٦ – ٢٨ ، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ٦٥ ، المناظرة الحديثة،أحمد ديدات،ص ١٣٨ – ١٣٩ ، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ١١٥ – ١١٦ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي ،ص ٤٨٠ – ٤٨٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٣٨ ، قاموس الكتاب المقدس ١٧٤ .

(٣) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٤٨ – ٤٩ ، إسرائيل حرفت الأناجيل،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٥ – ٤٧ .

والثاني : يتمثل في جرأة صارخة على ما يعتقدون أنه وحي ، إذ نشرت مجلة المختار العالمية طبعة جديدة للكتاب المقدس حذفت فيها من العهد الجديد ربعه ، ومن الكلام المنسوب للمسيح عشره ، بينما كان المحذوف من لوقا ربعه ، وفي يوحنا ومرقس ما نسبته ١٥% .

وقد حصلت مجلة المختار على تصريح المجلس القومي للكنائس رغم معارضة كثيرين اعتبروه انتهاكا لحرمة الوحي .

كما تقوم مؤسسة ويدرز دايجست بإخراج طبعة جديدة للعهد الجديد تختصر بنسبة ٥٠% .

وقد استبدلت هذه الطبعة كلمة " أبانا الذي في السماوات " التي يقولها النصارى في صلواتهم (متى ٦/٩) ، استبدلتها بكلمة : الخالق ، وذلك بعد أن اعترضت بعض النسوة على التفرقة بين الرجل والمرأة ، وطالبن أن تبدأ الصلاة (أمنا التي في السماوات) .[١]

إذا ثبتت دعوى المسلمين في تحريف إنجيل الله الذي أنزله على المسيح بضياعه ، وثبت تحريف الكتب المنسوبة للحواريين ، فما هو رأي النصارى بعد هذا كله ؟ لا نجد عند استانلي شوبرج كبير قساوسة السويد من إجابة في مناظرته لديدات إلا أن يتعلق ببعض الطلاسم التي لايفهم لها معنى فيقول : " لا أحد يستطيع أن يغير كلمة واحدة من كلام الله ، وليس ذلك مسموحا به ، ليس مسموحا بحذف شيء من الإنجيل ، بل إن هذا مستحيل لأنه بالنسبة للتوراة والإنجيل في أصلهما العبري واليوناني يوجد نظام ، نوع من النظام ، نظام من الأمن موجود في الإنجيل " .

ويفسر هذا النظام بما يشبه الطلاسم فيقول : " إن علماء اللغة قد درسوا هذا واكتشفوه ، ومن السهل البرهنة على ذلك . اكتشفوا أن للإنجيل نظاما رياضيا رقميا فريدا ، توجد تركيبة رقمية جينتيكية تشبه تنظيم الجينات في الإنسان ، وفي كل مرة يتكلم فيها الإنجيل عن الله ، فإن هذا هو رقم (٧) الذي يمكن أن يقبل الضرب ، وأن يقبل القسمة ، وعندما يتحدث الإنجيل عن يسوع المسيح نكون بصدد رقم (٨) ، وهناك أعداد أخرى كثيرة .

وهذه الأرقام جميعا ثابتة ، ولا نستطيع أن نحذف جملة من الإنجيل ، ولا نستطيع أن نضيف جملة إلى الإنجيل ، لأن الإنجيل مثل السلسلة . إنه نظام تام " .[٢]

ويقول صاحب " البرهان الجليل " عن قول المسلمين بوجود التحريف في التوراة :" وأما من قالوا بتحريف الكتابين المذكورين وتغييرهما ... فلا سند لهم على ذلك من القرآن أيضا ، بل هو اختراع محدث من عندهم لم يخطر على بال نبيهم " .[٣]

---

(١) انظر : حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ١٠٧ ، تعليق المحقق لـ المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقس فندر،ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .

(٢) انظر مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ص ٤٣ - ٤٥ .

(٣) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل،بكر التميمي،ص ١٧٦ .

المطلب الرابع : الأثر التشريعي والأخلاقي للعهد الجديد

جاء في كلام المسيح " احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة ، من ثمارهم تعرفونهم ، هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا ، هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة ، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية .

لاتقدر شجرة جيدة أن تصنع ثمارا ردية ، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة ، كل شجرة لاتصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار ، فإذا من ثمارهم تعرفونهم " (متى ٧/١٥ - ٢٠) .

يسوق ديدات هذا النص الإنجيلي ويطلب من النصارى التحاكم إليه ومن ثم تكون الثمار دالة على حسن الغرس أو سوءه .[1]

وعند النظر إلى المجتمع النصراني بشكل عام يسجل علماؤنا على المجتمع النصراني عدة ملاحظات :

١) انتشار الزنا والفواحش .

٢) كثرة الانتحار والجرائم .

٣) التمييز العنصري البغيض .

٤) التفكك الأسري ، والعلاقات الإجتماعية السيئة .

٥) انتشار الخمور .

٦) الانسلاخ من الدين .

ويتبين من هذا كله من خلال بعض الأرقام التي أوردها علماؤنا نقلا عن إحصائيات صادرة في الغرب إضافة إلى قراءتهم الصحيحة للمجتمع النصراني .

فقد نشرت مجلة بونتي الألمانية إحصاء حول معتقدات الألمان ، ونتيجة الإحصاء أن ٦٥% من الألمان يؤمنون بالله و ٥٠% يؤمنون بالحياة بعد الموت والجزاء فيه ، و ٤٢% يؤمنون أن المسيح أحيا موتى ، و ٣٣% يعتقدون بصعوده للسماء ، و ٢٤% يؤمنون بالجحيم ، و ٦% يؤمنون بتناسخ الأرواح .

وفي جنوب أفريقيا حيث نسبة النصارى ٩٨% ينتشر زنا المحارم بين البيض بنسبة ٨% ، بينما يبلغ عدد مدمني الخمر في أمريكا كما يقول القس جيمي سويجارت أربعة وأربعين مليون إضافة إلى أحد عشر مليون سكير ، ويذكر جون ستون بحثا ميدانيا أجري عام ١٩٧٨م وكان من نتيجته أن ٤% من المجتمع الأمريكي يمارسون السحاق أو الشذوذ طوال حياتهم ، و ١٠% يمارسونه لمدة ثلاث سنوات ، وتشير أرقام اتحاد تنظيم الأسرة في بريطانيا إلى أن نصف الفتيات المراهقات تحت ١٦ سنة يمارسن الزنا .

فما هو موقف الكنيسة من هذا الفساد ؟ وماذا لدى الإنجيل من مقومات الإصلاح ؟ وهل للإنجيل علاقة بهذه الأرقام ؟

أما إجابة السؤال الأول فكانت تتمثل بتنازلات الكنيسة المتكررة لكل الإنحرافات والذي كان في صورة حضور رجال الكنيسة لحفل زواج جماعي ضم زواج ١٥٠٠ رجل على ١٥٠٠ رجل في إبريل

---

(١) انظر : القرآن الكريم والكتاب المقدس.أيهما كلمة الله ؟أحمد ديدات،ص ١٨٣ .

١٩٩٣م ، قد نشرت صحيفة الديلي تلجراف أن حوالي ٤٠% من الرهبان من الشواذ ، و لم تصدر الكنيسة أي تنديد أو تكذيب لهذا المنشور .[١]

وأما الإجابة عن السؤالين الأخيرين فإنها تتلخص في قصور التشريعات الإنجيلية عن معالجة الأوضاع الفاسدة في المجتمعات النصرانية ، بل ليس من التجني في شيء إذا قلنا بأن الكتاب المقدس هو أحد أسباب الفساد في تلك المجتمعات سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

وقد وقف علماؤنا على نصوص كثيرة تجلى فيها مصادمة الإنجيل الموجود بين أيدينا للفطرة الإنسانية التي خلق الله عليها عباده مما يترك أثرا سلبيا أخلاقيا أو اجتماعيا على قارئيها ، ومثلوا بأمثلة كثيرة منها أنه ثمة نصوص تصطدم مع طبيعة الإنسان وفطرته التي فطره الله عليها ، ومنه ما جاء في العهد الجديد من حث على التبتل وترك الزواج يقول بولس " أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا " (كورنثوس (١) ٨/٧) وفي نص آخر يقول " لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله " (رومية ٧/٨) وعليه فالأكل والشرب والنوم والزواج ... وغيرها من حاجات الإنسان الفطرية إنما يمارسها الإنسان وهو يعادي ربه ، وهذه حرب على الفطرة الإنسانية .

وينسب متى للمسيح أنه قال " يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يقبل فليقبل " (متى ١٢/١٩) .

ويذكر متى دعوة المسيح إلى التخلي عن الدنيا بما فيها الحاجات الأساسية والضرورية للحياة الإنسانية السوية فقد جاءه رجل فقال للمسيح بأنه حفظ الوصايا كلها " فماذا يعوزني بعد . قال له يسوع : إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز في السماء وتعال واتبعني " لكن الشاب الصالح " مضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة .

فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله ، فلما سمع تلاميذه بهتوا جدا قائلين : إذا من يستطيع أن يخلص " (متى ٢٠/١٩ - ٢٥) .

فهذا النص وأمثاله محارب لدفعة الحياة التي بها يقوم العمران والحضارات ، ومثله تلك الدعوة التي يرى فيها الخولي دعوة لتكاسل والقعود تبئس البشرية إن فعلتها ، وهي ما جاء في لوقا " لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون ، ولا للجسد بما تلبسون ، الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس ، تأملوا الغربان إنها لاتزرع ولا تحصد ، وليس لها مخدع ولا مخزن ، والله يقوتها ... تأملوا الزنابق كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل ... فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ، ولا تقلقوا ... بل اطلبوا ملكوت الله ، وهذه كلها تزاد لكم " (لوقا ٢٢/١٢ - ٣١) .

ومثله يذكر متى أن المسيح أو حتى تلاميذه " لاتقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم ، ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا " (متى ٩/١٠ - ١٠) .[٢]

---

(١) انظر : المناظرة الحديثة،أحمد ديدات،ص ١٤٠ ، ١٦٩ - ١٧٣ ، الكنيسة والانحراف الجنسي ، أحمد عبد الله ، ٧٩ - ٨٢ .

(٢) انظر : المسيحية ،أحمد شلبي،ص ٢٢٤ - ٢٢٦ ، هذا هو الحق،ابن الخطيب،ص ٥٢ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٢٧ - ٢٩ ، ٣٤ ، ١٢٧ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٥٦ .

وينسب العهد الجديد إلى المسيح أخلاقا لايليق أن تصدر من نبي كريم جعله الله قدوة صالحة للعـالمين ، وذكر علماؤنا صورا كثيرة أهمها : أن الأناجيل ذكرت وصية المسيح بالأم والأب ، ثم لما كان المسـيح في عرس بقانا تذكر انه أساء لوالدته ، ففي يوحنا أنها طلبت منه تحويل الماء الذي في الجرار إلى خمر يشربه أهـل العرس فقال لها : " مالي ولك يا امرأة ، لم تأت ساعتي بعد " (يوحنا ٤/١٢) .

وجاء واحد ليخبر عيسى أن أمه وإخوته ينتظرونه ليكلموه ،فقال"من هي أمي ؟ ومن هم إخوتي ؟!" (متى ٤٨/١٢) ، وينقل لوقا عن المسيح أمرا غريبا قاله للجموع التي تتبعه " إن كان أحد يـأتي إلي ، ولا يبغض أباه وأمه وأولاده وأخوانه حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون تلميذا " (لوقا ٢٦/١٤ - ٢٧) فعلاوة على كون هذا الشرط للتلمذة مستحيلا بل غير ملائم للفطرة ، فإنه أمر غير مقبول من الناحية الأخلاقية .

ومثله قوله " لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض ، ما جئت لألقي سلاما ، بل سيفا ، فـإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها ، وأعداء الإنسان أهل بيتـه " (متى ٣٤/١٠ - ٣٦).

وتبعه رجل ثم جاءه يستأذنه ليدفن أباه ، فيذكر متى أن المسيح نهاه وقال : " اتبعني . ودع الموتـى يدفنون موتاهم " (متى ٢٢/٨) .

وقارن علماؤنا بين هذا الذي تذكره الأناجيل وبين ما جاء في القرآن عن المسيح وأمه ، فالمرأة الـتي ينسب لها يوحنا أمر صنع الخمر يصفها القرآن فيقول ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ .[1]

والابن الذي يذكر الإنجيليون إساءاته لوالدته يكذبهم القرآن في خبره إذ يقول على لسانه ﴿ وبرا بوالـدتي و لم يجعلني جبارا شقيا ﴾[2] . [3]

ومرة أخرى تبالغ الأناجيل في الإساءة للمسيح في قصة المرأة الكنعانية أو الفينيقية التي جـاءت إلى المسـيح تطلب منه شفاء ابنتها المجنونة وهي تبكي ، وتقول : " ارحمني يا سيد يا ابن داود ، ابنتي مجنونة جدا ، فلـم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها ، لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : لم أرسـل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة . فأتت وسجدت له قائلة : يا سيد أعني . فأجاب وقال : ليس حسـنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فقالت :نعم يا سيد ، والكلاب تأكل من الفتات الـذي يسـقط مـن

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٤٢ .

(٢) سورة مريم ، آية : ٣٢ .

(٣) انظر : التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ٧٦ - ٧٧ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخـولي،ص ٤١ ، ١٤٥ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل،عزية طه،ص ٢٠٢ ، المسيحية ،أحمد شلبي،ص ٢٢٤ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضيـاء الدين الأعظمي،ص ٤٣٥ - ٤٣٦ ، هذا هو الحق،ابن الخطيب،ص ٥١ ، تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في الإسلام،أحمـد عبد الوهاب،ص ٢١١ ، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ١١٦ — ١٢٠ ، دراسة عن التـوراة والإنجيـل،كـامل سعفان،ص ٢٦٢ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٧٦ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمـد السعدي،ص ٥٠ ، المسيح في الإسلام . أحمد ديدات ص ٤٢ ، دراسة نقدية تحليلية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليـم أبـو السعد،ص ٣١٨ .

مائدة أربابها . حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين " (متى ١٥ /٢٢ - ٢٨)

فمثل هذه الغلظة وهذا الجفاء مع قدرته على شفاء ابنتها لا مبرر له ، ولا يقبل أن يوصم المسيح الذي يزعمون أنه نزل لخلاص العالم - بمثل هذه التفرقة العنصرية ، وإذا قيل ذلك بحق المسيح وهو الرسول القدوة فلا عجب بعد ذلك في انتشار التفرقة العنصرية التي يؤكدها الإنجيل بقوله " لكن ماذا يقول الكتاب ؟ اطرد الجارية وابنها ، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة إذا أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة " (غلاطية ٤/٣١) ، ويقارن إبراهيم خليل أحمد بين هذه النظرة العنصرية وما جاء في القرآن الكريم ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .[1]

ثم هذه الأخلاق تتعارض مع أخلاق أخرى لاتقل غرابة عنها ذكرها متى حين قال بأن المسيح يقول :" أحبوا أعدائكم ، وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم " (متى ٥/٤٤) .

يقول " ولديورانت " : " إن الإنسان ليجد في الأناجيل فقرات قاسية مريرة لا توائم قط ما يقال لنا عن المسيح في مواضع أخرى ... إن بعضها يبدو لأول وهلة مجانبا العدالة ، وإن منها ما يشتمل على السخرية اللاذعة والحقد المرير " .[2]

وينسب يوحنا للمسيح عليه السلام الكذب - وحاشاه - فيذكر يوحنا أن التلاميذ طلبوا من المسيح أن يذهب لليهودية (أورشليم) ويظهر معجزاته في عيد المظال ، فقال لهم اصعدوا أنتم إلى هذا العيد ، أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد ، لأن وقتي لم يكمل بعد ، قال لهم هذا ، ومكث في الجليل .

ولما كان إخوته قد صعدوا صعد هو أيضا إلى العيد لا ظاهرا بل كأنه في الخفاء ... " (يوحنا ٧/٨ - ١٠).

فهذا كذب صريح لايليق بأن ينسب للمسيح ، فإن نسبه النصارى للمسيح - وحاشاه - فلا عجب بعد ذلك أن يكذب جميع الناس .

ويحاول القس شوبرج تبرير هذا النص فيقول : " إن يسوع قال لإخوته : اذهبوا أنتم ، أما أنا فلن أذهب إلى الحفل ، لأنني غير مستعد روحيا ، وعندما أكون مستعدا روحيا بعد أن أصلي سأذهب أنا أيضا إلى الحفل ، وبعد أيام ذهب يسوع إلى أورشليم ، وبارك الناس كإله ، ولا تقولوا : إن يسوع الخاص بي

---

(١) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

(٢) انظر : التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ٧٥ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٤٥ ، دراسة نقدية تحليلية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد،ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل،عزية طه،ص ٢٠٣ ، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ،محمد السعدي،ص ٥١ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، المسيح إنسان أم إله ؟محمد مجدي مرجلن،ص ١٠٣ - ١٠٤ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل،عزية طه،ص ١٢ ، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ١٢١ - ١٢٢ .

يقول الأكاذيب ، إنه لايكذب " .[1]

وما قاله شوبرج تمحل للنص ، كما قد قول المسيح ما لم يقله ، وتعامى عن السبب الذي ذكره متى ، وهو قوله " لأن وقتي لم يكمل بعد " .

وتذكر الأناجيل على لسان المسيح الكثير من السباب والشتائم لليهود ، وهم مستحقون لذلك ، غير أن مثل هذا لايصدر من نبي أرسله ربه ليعلم قومه حميد الأخلاق ، كما لايصدر ممن يقول " باركوا أعداءكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم " (متى ٥/٤٤) فكيف يقول بعد ذلك لقومه " يا أبناء الأفاعي " (متى ١٢/٣٤) " أيها الحيات أولاد الأفاعي " (متى ٢٣/٣٣) " يا أغبياء " (لوقا ١١/٣٧) .[2]

ورأى علماؤنا أيضا أن تشريعات الأناجيل عاجزة عن إقامة الحياة المستقيمة المتكاملة بما تحمل من مثالية يستحيل أن تصلح الحياة معها ، ومن ذلك قول المسيح كما ذكر متى " من لطمك على خدك ، فحول له الآخر أيضا " (متى ٥/٣٩) ، وقد ورد النص في مقابل القصاص ، ولذلك يعتبره الخولي إلغاء لشريعة القصاص ، وأراه إضافة أخلاقية تفتقر إلى المعقولية ، ويراه شلبي يحث على الرضا بالضيم والظلم .

ومثله قول لوقا " من ضربك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر ، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك .... ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه به " (لوقا ٦/٢٨ - ٢٩) ويتساءل أحمد عبد الوهاب : لو كان هذا النص من كلام المسيح ، فلم خالفه عندما ضربه خدم رؤساء الكهنة فلم يعرض له الخد الآخر ، بل قال له . إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردي ، وإن حسنا فلماذا تضربني " (يوحنا ١٨/٢٣) .[3]

وهنا تساؤل يحتاج إجابة هل طبقت الكنيسة هذا الخلق في جولة من جولاتها أم أن واقع الحال يؤذن بأن هذا المقال من المحال . وإذا عجزت الكنيسة والمسيح عن ذلك فغيرهما أعجز .

ويحرم العهد الجديد الطلاق إلا بعلة الزنا فيقول " فالذي جمعه الله لايفرقه إنسان .. أقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني ، والذي يتزوج بمطلقة يزني " (متى ١٩/٦ - ٩) . وهذا التشريع لا يمكن أن تستقيم معه الحياة ، إذ ثمة أمور كثيرة تجعل الحياة بين الزوجين ضربا من المحال ، ولا مخرج إلا بالطلاق الذي بمنعه تترتب الكثير من المضار ، وهو ما دفع الكنيسة البروتستانتية لإباحة الطلاق ، وهو ما تحاول الكنائس الأخرى إقراره بغية الخروج من هذا التشريع الغريب .

وأما ماذكره متى من علة تحريم الطلاق وهو قوله " فالذي جمعه الله لايفرقه إنسان " (متى ١٩/٦) فليس بصحيح ، لأن الزواج ليس جمعا إلهيا بين اثنين بل هو اتفاق بين إثنين على الزواج وفق شريعة الله وسنته ، فمثله في ذلك مثل سائر الشعائر التي أمر بها الله .[4]

كما يشير ديدات إلى عجز تشريعي آخر تواجهه أسفار العهد الجديد في مواجهة متطلبات الحياة

---

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٦٦ — ١٦٨ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل،عزية طه،ص ٢٠٥.

(٢) انظر : البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٥٦ ، المسيح في الإسلام ، أحمد ديدات ، ص ٤٢ .

(٣) انظر : المسيحية ،أحمد شلبي،ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٢٧ ، تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في الإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ١٧٥ .

(٤) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٥٠ - ٥١ .

الإنسانية ، وهو منع الزواج بأكثر من واحدة (انظر كورنثوس (١) ١/٧ - ٥) ، بينما تشير الإحصائيات إلى زيادة مطردة في أعداد النساء ، ففي انجلترا تزيد النساء على الرجال أربعة ملايين امرأة ، وفي ألمانيا خمسة ملايين ، وفي أمريكا ثمانية ملايين ، فكيف يحل العهد الجديد هذه المشكلة التي ستتفاقم آثارها إذا تابع النصارى قول بولس في الحث على التبتل وترك الزواج " أقول لغير المتزوجين وللأرامل : إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا " (كورنثوس (١) ٧/٨ - ٩) وكان مجمع مديولاننسن قد قرر في القرن الرابع طرد الراهب جوفينيان لأنه عارض مبدأ: التبتل خير من الزواج " ويرى أحمد عبد الوهاب أن الأمر بالتبتل ليس معارضا لدفعة الحياة الفطرية فحسب ، بل هو معارض أيضا لما جاء في نصوص كتابية تذكر بأن الله أمر البشرية بالتوالد والتكاثر (انظر التكوين ١/٢٧ - ٢٨ ، ١/٩) .[1]

وبعد ذلك كله نختم فنقول بأننا نؤمن بالإنجيل الذي أنزله الله على المسيح هدى ونورا للبشرية ، ومبشرا برسالة نبينا ﷺ وقد أضاعه النصارى ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ﴾[2].

وأما ما تسطره رسائل العهد الجديد زاعمة أنه وحي الله من غير دليل ولاحجة ، فقد تبين لنا بطلانه وتحريفه ، وعليه سقط الاستدلال على ما تزعمه النصارى من عقائد فاسدة لسقوط الدليل .

وصدق الله إذ يقول ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ .[3]

---

(١) انظر : المسيحية ،أحمد شلبي،ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ٢١٣ - ٢١٤ ، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ٨٤ - ٨٥ ، تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في الإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٢١٦ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ١٤ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٧٩ .

الفصل الخامس

نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم

تمهيد :

تعتبر مسألة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إحدى أهم مسألتين دار عليها الجدل بين المسلمين والنصارى .

فالمسلمون يرون في إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم تمام الأصل الأول من أصول دينهم ، لذا كان لزاماً عليهم أن يدفعوا بحجتهم وبرهانهم في إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام .

وطرق إثبات نبوته كثيرة وقد سبق لنا الإشارة إلى بعضها ، ومن أهم هذه الطرق: البشارات التي صدرت عن الأنبياء السابقين، وهي تبشر بمقدم نبي خاتم يؤسس دين الله الذي ارتضاه إلى قيام الساعة ديناً .

وتأتي أهمية هذا الطريق – الذي حرص علماؤنا على الاهتمام به –في كونه يقيم الحجة على أهل الكتاب بما يعتقدونه من الكتب التي أشار إلى مبعث هذا النبي بقرون متفاوتة في البعد .

وأهل الكتاب من يهود ونصارى مقرون بوجود هذه البشارات ، ومقرون بدلالتها على النبي الخاتم ، لكنهم يصرون على أنه رجل من بني إسرائيل يزعم النصارى أنه عيسى ابن مريم بينما ما زال اليهود ينتظرونه ، وتنحصر مهمة علمائنا في إثبات أن هذا النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم وليس غيره .

أما الكتب التي وردت بها هذه البشارات فقد سبق لنا التعريف بحالها ، واستشهادنا بها ليس تزكية لها إنما هو بحث عن القليل من أثارة النبوة في سطورها ، هذا القليل نؤمن به ولا نكذبه إذ هو مصدق لما بين أيدينا ،وقد قال صلى الله عليه وسلم مثبتاً وجود حق في كتبهم " لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به " .[1]

أما إذا جاء في هذه الكتب ما تشهد له آيات القرآن ونصوص السنة فهذه شهادة بأن ذا قد سلم من التحريف أو كثير منه ﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ [2]

ووجود البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء أكدت عليه النصوص القرآنية والنبوية، فما من نبي إلا وذكر أمته بأمر هذا النبي،وأخذ عليهم في ذلك الميثاق،قال علي : " ما بعث الله نبياً آدم فمن دونه إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه " [3] وقال تعالى﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم أصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ .[4]

---

(١) رواه أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله ٣٨٧/٣ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٣٣٢/٣ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ٨١ .

ومن هؤلاء الأنبياء إبراهيم عليه السلام حيث دعا ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [1] ومنهم عيسى عليه السلام ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾[2] وقد قال صلى الله عليه وسلم : " إني عند الله لخاتم النبيين ،وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم بأول أمري : أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور ساطع أضاءت منه قصور الشام " .[3]

ولما كان اهتمام الأنبياء بالنبي الخاتم بالغاً كان من الطبيعي أن تتحدث كتبهم عنه وعن صفاته وأحواله.

وقد أكد القرآن الكريم على وجود البشارة بنبينا في كتب اليهود والنصارى فقال ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾[4] ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ [5]

و لم يخبر القرآن الكريم- بسوى ذلك -عن صفات رسول الله وأحواله المذكورة في كتب أهل الكتاب لكنه أخبر عن حقيقة مهمة وهي أن أهل الكتاب يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفتهم أبناءهم ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾[6]

وهذه المعرفة ولا ريب تصدر عن كثرة أو وضوح البشارات الواردة في كتبهم عنه .

ونرى أن وجود الأخبار عن رسولنا في صحف أهل الكتاب حتمي ولازم ،يلزم النصارى الذين يتفاخرون بأن كتابهم قد حوى الكثير من النبوءات التي تحققت فيما بعد كقيام السوفيت وإسرائيل وحتى كسينجر ،وذلك كله عن طريق الإلغاز أو بحساب الجمّل أو سوى ذلك ،ويقولون أيضاً بورود مئات النبوءات بخصوص المسيح ،فإن النصارى يرون أن في العهد القديم ألف نبوءة عن المسيح حقق المسيح الكثير

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٢٩ .

(٢) سورة الصف ، آية : ٦ .

(٣) رواه أحمد في المسند ١٢٧/٤ ، وابن حبان في صحيحه ٣١٢/١٤ برقم : ٦٤٠٤ ، والحاكم في مستدركه ٦٥٦/٢ برقم : ٤١٧٥ وصححه وأقره الذهبي .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧ .

(٥) سورة الفتح ، آية : ٢٩ .

(٦) سورة الأنعام ، آية: ٢٠ .

منها ، وما لم يتحقق في حياة المسيح السالفة لسوف يتحقق في عودته الثانية .....

وهنا نتساءل هل من المعقول أن يخلو الكتاب المقدس من نبوءة عن ذلك الرجل الـذي غـير مسـار التاريخ باسم الله ، أما كان ينبغي أن يكون له في هذه النبوءات ولو نبوءة واحدة تحذر من حاله ودعوتـه أو تبشر بها؟!

والإجابة عن هذا السؤال صمت مطبق من أولئك الذين يدعون أنهم الوحيدون المؤهلون لحل ألغـاز ورموز هذا الكتاب واستخراج نبوءاته وفهم مراميه . [1]

وكيف لهؤلاء أن يفسروا ظهور كلمة النبي صلى الله عليه وسلم ودينه وفي التوارة " وأما النبي الـذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه ... فيموت ذلك النبي ... فلا تخف منـه " (التثنيـة ١٨/٢٠ - ٢٢) فسلامته صلى الله عليه وسلم من القتل وانتصاره على عدوه دلالة في صدقه " لأن الـرب يعـرف طريـق الصديقين ، وطريق المنافقين تهلك " (المزمور ١/٦) .

وكذا قال " وتهلك كل الذين يتكلمون بالكذب ، الرجل السافك الدماء والغـاش يرذلـه الـرب " (المزمور ٥/٦) ويقول " الرب يعضد الصديقين ... أما الخطاة فيهلكون وأعداء الرب جميعاً .. وكالدخـان يفنون " (المزمور ٣/١٧ - ٢٠) .

فدلت هذه النصوص على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .[2]

ثم ماذا عن الكثير من النبوءات التي لم تتحقق في الكتاب المقدس ، متى ستتحقق وقد مر على المسـيح ألفي سنة ؟ إن دعوى عدم تحقق هذه النبوءات يزري بالكتاب المقدس عند قارئيه .

لذا فإننا نوجه دعوة صادقة للتمعن في نبوءات الكتاب وقراءتها قراءة جديدة في ضوء ظهور الإسـلام ونبيه، ونحن على ثقة بأن ذلك سيفضي إلى كشف الحقيقة والإيمان بنبوة نبينـا صلـى الله عليـه وسـلم ، ولا نقول ذلك رجماً بالغيب ،بل هي الحقيقة التاريخية التي أعلن عنها كل من تبصر في أمر هذا النبي وأحواله ، وهو ما اعترف به هرقل حين جاءه كتاب النبي فأرسل إلى روما يسأل عن خبر النبي الخاتم ، فلما جاءه الـرد قال لقومه:" يا معشر الروم :إني قد جمعتكم لخير .إنه قد أتاني كتاب من هذا الرجل يدعوني إلى دينه ، وإنـه والله للنبي الذي كنا ننتظره ، ونحن نجده في كتبنا ، فهلموا نتبعه ونصدقه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا" [3]

وأكدها إسلام العشرات المعتبرين من أهل الكتاب كالحسن بن أيوب والترجمان وزيادة النصب الراسي وعبد الأحد داود ، وإبراهيم خليل ، وموريس بوكاي و .....

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٦١/١ ، ماذا يقول الكتاب المقدس والغرب عـن محمد صلى الله عليه وسلم ، أحمد ديدات، ط١، الدار المصرية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ ، ص ٤٦ - ٥٢ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١٠٧٥/٤ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، ٢ /٦٥٠ .

وقبل أن نعرض إلى تفصيل هذه البشارات ننبه إلى أمرين بسببهما ضاعت أو غمضت كثير من البشارات الكتابية.

أولهما : أن لأهل الكتاب عادة في ترجمة الأسماء إلى معانيها ،فيوردون في الترجمة المعنى دون الاسم ، وقد يزيدون تفسيراً للعبارة ويقحمونه في النص ، وهذا كما يرى رحمة الله الهندي " خبط عظيم ومنشأ للفساد "،فلكم ضلع بسبب هذا الصنيع من دلالات واضحات منها نبوءة المسيح عن الفارقليط ،وتسميه التراجم الحديثة:المعزي.

وضرب رحمة الله الهندي لذلك الصنيع ثلاثة عشر مثالاً قارن فيها بين طبعات مختلفة للكتاب المقدس منها أنه جاء في الطبعة العربية (١٨١١م) " سمى إبراهيم اسم الموضع : مكان يرحم الله زائره " (انظر التكوين ١٤/٢٢) فاسم المكان العبراني أبدله المترجم بمعناه ، وفي طبعة (١٨٤٤م) العربية قال : " دعا اسم ذلك الموضع:" الرب يرى" ،وبذلك ضاع الاسم الصحيح واختلفت المعاني ومثله كثير .... يقول رحمة الله الهندي : " فهؤلاء المترجمون لو بدلوا في البشارات المحمدية لفظ رسول الله بلفظ آخر فلا استبعاد منهم " [١]

وقد ضاع خلال هذه الترجمات عدد من البشارات و نقل رحمة الله الهندي عن حيدر القرشي صاحب كتاب " خلاصة سيف المسلمين " قوله : " إن القسيس أوسكان الأرمني ترجم كتاب إشعياء باللسان الأرمني في سنة ألف وستمائة وست وستين ، وطبعت هذه الترجمة في سنة ألف وسبعمائة وثلاث وثلاثين في مطبعة أنتوني بورتولي ، ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة : " سبحوا الله تسبيحاً جديداً ، وأثر سلطنته على ظهره ، واسمه أحمد " (إشعيا ٤٢/١٠ - ١١)[٢]

ثانيهما : الكتاب المقدس كثير الاستعارات تكثر فيه الرموز والإشارات خاصة فيما يتعلق بالمستقبل يقول صاحب كتاب " مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين " : " وأما اصطلاح الكتاب المقدس فإنه ذو استعارات وافرة غامضة وخاصة العهد العتيق " ويقول أيضاً : " واصطلاح العهد الجديد أيضاً هو استعاري جداً ، وخاصة مسامرات مخلصنا ، وقد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمي النصارى شرحوها شرحاً حرفياً ..... " .[٣]

ونمضي إلى بيان هذه البشارات

ذرية إسماعيل المباركة

خرج إبراهيم عليه السلام من أرض العراق واتجه إلى الأرض المباركة أرض فلسطين ، وتذكر التوراة أن عمره حينذاك الخامسة والسبعين ولما يولد له ولد ، وخرج بعد أن بشره الله بأن قال : " أجعلك أمة

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١٠٩٧/٤ - ١١٠٧ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١٢٠٨/٤ - ١٢٠٩، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ٣٣١/١ .

(٣) انظر : إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ص ٧٠٢/٢ - ٧٠٣ .

عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة ... وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (التكوين ١٢/٢ - ٣) وفي أرض فلسطين حملت هاجر مولاة سارة بابنها إسماعيل ، وتذكر التوراة غيرة سارة من هاجر وقد أضحى لها ذرية فيما حرمت سارة ذلك حتى ذلك الحين.

عندها أذلت سارة هاجر فهربت هاجر من وجه مولاتها " فقال لها ملاك الرب : ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها . وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة ، وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه: إسماعيل .لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وإنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن " (التكوين ١١/١٦ - ١٢) .

وكان عمر ابراهيم حينذاك ست وثمانون سنة (انظر التكوين ١٦/١٦).

ولما بلغ إبراهيم التاسعة والتسعين تجددت البركة من الله لإبراهيم " قال له : أنا الله القدير . سر أمامي وكن كاملاً ، فأجعل عهدي بيني وبينك ، وأكثرك كثيراً جداً .. أجعلك أبا لجمهور من الأمم ،وأثمرك كثيراً جداً ، وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً ... " (التكوين ١/١٧ - ٨) .

ثم بشر الله إبراهيم بميلاد ابن جديد له من زوجه سارة فقال " وأباركها وأعطيك أيضا منها ابناً ، أباركها فتكون أمماً ، وملوك شعوب منها يكونون ... وتدعوا اسمه إسحاق ، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده .

وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره ،وأكثره كثيراً جداً ، اثني عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة " (التكوين ١٦/١٧ - ٢٠) وكان إبراهيم قد طلب من الله أن يجعل الصلاح في ابنه إسماعيل : قال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك " (التكوين ١٨/١٧) .

وهذا الذي تذكره التوراة يتفق إلى حد كبير مع ما يقوله القرآن فالقرآن يقرر بركة وعهداً لإبراهيم في صالحي ذريته من أبناء المباركين إسماعيل وإسحاق حيث يقول ﴿ وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين ﴾ [1]

وذكر بركة الابنين وأن من ذريتهما صالح هو مستحق للعهد وظالم ليس له من العهد شيء فقال عن إسماعيل ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ .[2]

وهذا يتفق مع ما جاء في التوراة " سر أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي .. " (التكوين ١/١٧ - ٢) كما قال له " إبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض ،لأني عرفته ،لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ،ليعملوا براً وعدلاً، لكي يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به " (التكوين

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٢٤ .

(٢) سورة الصافات ، آية : ١١٣ .

١٨/١٨ - ١٩) .

وبالعود إلى النص التوراتي نلمس تجافيا عن الابن البكر لإبراهيم تجاه الابن الذي لم يولد بعد عند أول مرة يذكر فيها اسمه فيقول :" ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية " (التكوين ٢١/١٧) .

وألحظ هنا إغفال النص التوارتي للسبب الذي من أجله منح الله البركة لإبراهيم ، فالسبب كما ذكر القرآن الكريم هو إستجابة إبراهيم لأمر الله بذبح ابنه الوحيد يومذاك ، وكان إسحاق هو الجزاء الحسن من الله لإبراهيم ، فبعد أن ذكر قصة الذبيح قال تعالى ﴿ سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ (١)

لكن النص التوراتي يختبئ قصة الذبيح لإسحاق، فعجل بنصوص البركة حيث وردت ،وأخر القصة التي سبقت البركة لأجلها إذ لم يولد إسحاق بعد .

وولد إسحاق بعد أربعة عشرة سنة من مولد أخيه البكر إسماعيل ، وتذكر التوراة أنه بعد فطام إسحاق هاجرت هاجر وابنها وأنها " مضت وتاهت في برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ... ونادى ملاك الله هاجر .... قومي احملي الغلام ، وشدي يدك به ، لأني سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ... وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر " (التكوين ١٧/٢١ - ٢١).

ويتجاهل النص التوراتي خصوصية إسماعيل في نبع الماء ، ويرى قصة الهجرة في صحراء بئر سبع جنوب فلسطين ثم يسميها برية فاران .

ثم يسوق النص التوراتي قصة ذبح إسماعيل مع تعديلات طفيفة، فقد أبدل إسماعيل بإسحاق ، وعليه تغير الزمان والمكان الذي جرت به القصة، ومما جاء في القصة التوراتية " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق ، واذهب به إلى أرض المريا ... فلما أتيا الموضع .... لاتمد يدك إلى الغلام ،ولا تفعل به شيئاً، لأني الله علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني .... فدعا إبراهيم ذلك الموضع :"يهوه يراه" حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى ... يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر و لم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة ..... " (التكوين ١/٢٢ - ١٨) .

ويرى علماؤنا فيما تقدم عدة بشارات تبشر بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ،ويرون يد التحريف والعنصرية تحاول طمس هذه البشارات .

ومن ذلك تسمية إسماعيل في بشارة الملاك لهاجر بأنه وحشي (انظر التكوين ١٢/١٦) مع أن الكلمة

---

(١) سورة الصافات ، آية : ١٠٩ - ١١٣ .

المستعملة في النص الأصلي هي PARA ،ومعناها الدقيق كما يجزم عبد الأحد داود الخبير باللغات القديمة : وفير أو وافر . فترجمها اليهود والنصارى إلى حمار وحشي إساءة لمن جاءت النصوص تؤكد بركته .[1]

وكما حرف أهل الكتاب اسم الذبيح حرفوا اسم المكان المعظم الذي جرت فيه أحداث القصة، فسمتها التوراة العبرانية " المريا " ،ويراه الأعظمي تحريفاً لكلمة " المروة " ،فيما سمتة التوراة السامرية " الأرض المرشدة "، واتفق النصان العبري والسامري على تسمية ذلك الموضع " جبل الله "، واختلفوا في تحديد مكانه اختلافاً بيناً فقال السامريون: هو جبل جرزيم .وقال العبرانيون: بل هو جبل أورشليم الذي بني عليه الهيكل فيما بعد .

والحق أن قصة الذبح جرت في الأرض المرشدة وهي أرض العبادة ،وهي مكة أو بلاد فاران ، واختلافهم دليل على صحة ذلك ، واتفاقهم على اسم المكان بجبل الرب صحيح، لكنهم اختلفوا في تحديده وربطوه بتسميات ظهرت بعد الحادثة بقرون عدة ،وتجاهلوا البيت المعظم الذي بني في تلك البقعة حينذاك، ويسمى بيت الله كما سمي الجبل الذي في تلك البقعة جبل الله .

ولما جاءت المرأة السامرية للمسيح وقالت له " ياسيد أرى أنك نبي . آباؤنا سجدوا في هذا الجبل ، وأنتم تقولون : إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه قال لها : ياامرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لافي هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب ، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون ، أما نحن فنسجد لما نعلم ... " (يوحنا ٤/١٩ - ٢٢) فلم يعين المسيح جبلاً مقدساً من الجبلين ،وأشار إلى الجبل الحقيقي الذي أضجع عنده إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .[2]

ومن التحريف إدراج اسم إسحاق الذي لم يكن وحيداً لإسماعيل ، وقد تكرر وصف الذبيح بالوحيد ثلاث مرات .

والبكورية لإسماعيل محفوظة وإن كان ابن هاجر - مولاة سارة - التي اتخذها زوجة فيما بعد ، فمنزلة الأم لا تؤثر في بكورية الابن ولا منزلته ، وقد جاء في التوراة " إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فإن كان الابن البكر للمكروهة ،فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر . بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين في كل ما يوجد عنده، لأنه هو أول قدرته له حق البكورية " (التثنية ٢١/١٥ - ١٧) .

ومما يبطل أن يكون الذبيح إسحاق أن إبراهيم قد وعد فيه بالبركة قبل ولادته، وأنه سيكون كعدد

---

(١) انظر : محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ٦١ .

(٢) انظر : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ١/٩٤/٩٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٧٠ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، مكتبة النور ، ص ٣٦ .

نجـــوم الســـماء (انظـــر التكوين ٢١/١٧)فالأمر بذبحه لا ابتلاء فيه ،لأنه يعلم أنه سيكون لهذا الابن نسل مبارك ....

وهـــو مـــا صرح به المسيح حسب إنجيل برنابا فقد قال له التلاميذ : " يا معلم هكذا كتب في كتاب موســـى : إن العهـــد صنع بإسحاق ؟ أجاب يسوع متأوهاً : هذا هو المكتوب ، ولكن موسى لم يكتبه ولا يشـــوع ، بـــل أحبارنا الذين لايخافون الله . الحق أقول لكم : إنكم إذا أكملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعـــلمون خـــبث كتبتـــنا وفقهائنا .. كيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين " (برنابا ١/٤٤ – ١١) وفي التوراة المتداولة أن بينهما أربعة عشرة سنة .[١]

ومـــن ذلـــك كله فالذبيح هو إسماعيل ، وجبل الرب في الأرض التي عاش فيها ، والبركة لإبراهيم في ذريته محفوظة له بعد أن قام بالاستسلام لأمر الله وهم بذبح ابنه الوحيد .

فمـــا هي البركة التي جعلها الله في إسحاق وإسماعيل ؟ هي بلا ريب بركة النبوة والكتاب والملك بأمر الله والظهـــور باسمه ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴾ .[٢]

ويـــتفق اليهود والنصارى مع المسلمين في أن بركة إسحاق هي النبوة والملك والكتاب والكثرة والغلبة لكـــنهم يرونها وعداً أبدياً غير مشروط خلافاً لما جاء في النصوص الكتابية ، ويعتبرون وعد إسماعيل وبركته هـــي الكـــثرة فقـــط ، وهـــو أيضاً بخلاف ما جاء في النصوص التي لم تفرق بالألفاظ والمعاني بين الأخوين المـــباركين ، وعـــليه فـــبركة إسمـــاعيل هي كبركة إسحاق: نبوة وكتاب وحكم وكثرة . فمتى تحقق ذلك لإسماعيل ؟ متى اجتمع له ذلك ؟

نقـــول لم يجـــتمع له ذلك إلا في بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم من ذريته ، فتحولت قبائل بنيه المتفرقة الضـــعيفة إلى ملك عظيم ساد الدنيا ،واجتمع إلى كثرتهم النبوة والكتاب ،فتحقق ما وعد الله إبراهيم وهاجر في ابنهما إسماعيل .

وإلا فأين تحققت البركة في إسماعيل الذي أخبر النص عن حاله فقال : " يكون إنساناً وحشياً يده على كـــل واحد ، ويد كل واحد عليه " (التكوين ١٢/٦) أي أنه يغلب تارة فيسود الجميع كما يسود الجميع عـــليه تـــارة أخرى، وقد ساد العرب المسلمون الأمم برسول الله ودولته ،وفيما عدا ذلك كانوا أذل الأمم

---

(١) انظر : محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ترجمة:فهمي شما ، مطابع الدوحة الحديثة ، ص ٥٧ ، ٦٢ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ٩٤/١ – ٩٦ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ، عزية طه ، ص ٣٧ – ٣٨ ، هل بشر المسيح بمحمد ، نبيل الفضل ، ص ١٦٦ ، هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٤٤ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٤٥ – ٥٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٥ – ٣٠ ، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس ، مديحة خميس ، ص ٩ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٦٠ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ٢٠١ – ٢٠٤ .

(٢) سورة الجاثية ، آية : ١٦ .

وأضعفها وأبعدها عن أن يكونوا محلاً لبركة الله ، إذ لابركة في قبائل وثنية تكاثرت على عبادة الأوثان والظلم ،فمثل هؤلاء لا يكونون في بركة الله .

وبالعود إلى النصوص العبرية القديمة التي تحدثت عن إسماعيل نجد النص كالتالي " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً (بماد ماد) اثني عشر رئيساً يلد ،وأجعله أمة كبيرة (لجوى جدول) . (التكوين ٢/١٢) فكلمتي (ماد ماد و لجوى جدول) هما رمزان وضعا بدل اسم النبي صلى الله عليه وسلم ،فكلمة (ماد ماد) – حسب حساب الجمل[1] الذي يهتم به اليهود ويرمزون به في كتبهم ونبوءاتهم تساوي ٩٢ ، ومثله كلمة " لجوى جدول " وهو ما يساوي كلمة " محمد " ، وكان السمؤل أحد أحبار اليهود المهتدين قد نبه إلى ذلك ،ومثله فعل الحبر المهتدي عبد السلام في رسالته " الرسالة الهادية " كما اعترف بذلك أيضاً الكاهن إسحاق السامري ، كبير كهنة السامرية ، في نسخته التي نقلها للتوراة السامرية ،وأهدها لزكي باشا عام ١٩٢٢م .[2]

ونقول بأن ما جاء في سفر التكوين عن وجود نبوة وملك في العرب هو النقطة الأساس التي يخالفنا فيها أهل الكتاب ،وهي المدخل الأهم لنبوءات الكتاب المقدس ، إذ أن كثيراً مما يذكره علماؤنا من نصوص توراتية يروها نبوءات بالرسول صلى الله عليه وسلم ، كثير من هذه النصوص يراها النصارى أيضاً نبوءات بالمسيح أو غيره من أنبياء اليهود، ويمنعون أن تخرج هذه النبوءات عن بني إسرائيل .

لذا فإنا قبل أن نبدأ في عرض النبوءات نتساءل هل تذكر نصوص الكتاب المقدس احتمالية انتقال النبوة عن بني إسرائيل إلى أمة سواهم كالعرب ؟

وفي الإجابة نقول : نعم . فقد أرسل الله أنبياء كثر إلى بني إسرائيل، فأحدثوا فيهم القتل حتى نادى المسيح أورشليم " يا قاتلة الأنبياء " (متى ٣٧/١٣) وعندما بدلوا وغيروا نزع الله عنهم النبوة والكتاب ودفعه لأمة أمية جاهلة ، وحصل ما كان الأنبياء يحذرون منه بني إسرائيل ، ألا وهو انتقال الخيرية إلى سواهم، ومن ذلك يقول إشعيا على لسان الوحي " أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا ، وُجِدت من الذين لم يطلبوني ، قلت : ها أنذا ها أنذا لأمةٍ لم تسمَّ باسمي .

---

(١) يجعل اليهود لكل حرف من الحروف مقابلاً من الأرقام ، فالألف =١، والباء=٢، .....وهكذا حسب الترتيب الأبجدي، ويعطى الحرف الحادي عشر (ك) الرقم٢٠، فيما يعطى الحرف الواحد والعشرين (ش) الرقم ١٠٠ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١١٣٦/٤ ، ١١٣٨ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ٢٧٣/١ – ٢٧٤ ، محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ٥٧ – ٥٨ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ١٠٢/١ – ١٠٦ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٢٦ – ٢٧ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي ، ص ١٧ – ١٨ ، هل بشر المسيح بمحمد ، نبيل الفضل ، ص ١٦٧ – ١٦٨ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٦٧ – ٣٧٢ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ١٣ – ١٤ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٦٣ – ٦٥ .

بســـطت يـــدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره ، شعب يغيظني بوجهي دائماً .... " (إشعيا ٦٥/١ - ٣) .

فقد ذكر النص انتقال النبوة والأمر عن الأمة القاسية العاصية إلى أمة لم تطلب الله قبل ، و لم تسم باسم الله . أمة أمية لم يترل عليها كتاب .

ويؤكد حزقيال رفع الملك والشريعة من بني إسرائيل فيقول " إني أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة ، ورفعت الشـــجرة الوضـــيعة ، وأيبســـت الشجرة الخضراء ، وأفرخت الشجرة اليابسة أنا الرب تكلمت وفعلت " (حزقيال ٣٢/١٧) ويقول أيضاً : " أنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذي قد جاء يومه في زمان إثم النهاية ، هكذا قال السيد الرب : انزع العمامة وارفع التاج ، هذه لاتلك ، ارفع الوضيع وضع الرفيع ، منقلباً منقلـــباً منقلباً أجعله ، هذا لايكون حتى يأتي الذي له الحكم فأعطيه إياه " (حزقيال ٢٥/٢١ - ٢٧) فإذا جاء صاحب الحكم تنقلب الأمور وترفع العمامة أي الشريعة من بني إسرائيل ،فالعمامة رمز للكهنة الهارونيين الموكـــلين بأمـــر الشريعة في أسباط بني إسرائيل (انظر الخروج ٣٦/٢٨-٣٧) كما يرفع التاج (الملك)، وتصبح الأمة المرذولة أمة مختارة ،والأمة المختارة أمة مرذولة ،كما قال داود " الحجر الذي رفضه البناؤون قد صـــار رأســـي الزاوية، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا " (المزمور ٢٢/١١٨ - ٢٣) لكنه حقيقـــة ، وقد ضرب المسيح للتلاميذ مثل الكرامين - كما سيأتي - ثم قال : " الحجر الذي رفضه البناؤون هـــو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا ، لذلك أقول لكم :إن ملكوت الله يـــنـــزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره " (متى ٤٢/٢١ – ٤٣) ، ويقول الرب عن اليهود وهو يشير إلى انـــتقال النبوة والأمر عنهم " هم أغاروني بغير إله ، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة ،وأنا أيضاً أغيرهم بغير شـــعب ، وبشـــعب جاهل أغضبهم " (التثنية ٣٢ / ٢١) كما قال تعالى عن محمد وأصحابه ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾[1].

وفي بعض التراجم الحديثة كادوا لهذه الأمة الجديدة فقالوا " بأمة غبية أغيظهم " مع أو وصف الغباء لا توصف به الأمم وإن وصفت بالجهل أو القسوة أو ..... فمن هذه الأمة الجاهلة التي ينتقم الله بها من بني إســـرائيل ؟ إنهـــا أمـــة العرب ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [2].

وهكـــذا فهـــذه النصـــوص وغيرها أشارت إلى معنى واحد هو ظهور أمة جديدة يستبدل الله بها بني إسرائيل الذين أغضبوا ربهم بعصيانهم وتمردهم حتى قال المسيح وهو يخاطب جموعهم : " ويل لكم أيها الكتبة والفريســـيون المـــراؤون .... ويل لكم أيها القادة العميان ... أيها الجهال والعميان ... أيها الحيات أولاد الأفـــاعي كيـــف تهـــربون من دينونة جهنم ، لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة،فمنهم تقتلون وتصـــلبون ، ومـــنهم تجلدون في مجامعكم ... يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ... "

---

(١) سورة الفتح ، من آية : ٢٩ .

(٢) سورة الجمعة ، آية : ٢ .

(متى ٢٣/١٣ - ٣٧) [1]

أفهـــذه أمة تستحق بقاء البركة والنبوة فيها ؟ وإن كان لا فمن ذا الأمة التي تكون مختارة ومصطفاة ؟ من سواها تكون سوى الأمة الموعودة بالبركة مراراً من نسل إسماعيل عليه السلام . إن أمة من الأمم لم تدّع أنهـــا تـــلك الأمة المصطفاة . وقد جاءت إشارات عدة تدل بتظافرها على أن الأمة الجديدة المختارة هي أمة الإسلام التي بعث نبيها في آخر الزمان .

مـــنها ما جاء في كلام إشعيا " وحي من جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدانيين ، هاتوا ماء لملاقاة العطشان ، يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه ، فإنهم من السيوف قد هربوا .... قـــال لي الســـيد: في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار " (إشعيا ٢١ / ١٣ - ١٦) فالنص يـــتحدث إلى الديداينين من أهل تيماء ، ويطلب منهم حماية الهارب إلى بلادهم الوعرة ، ويبشرهم بفناء مجد أبناء قيدار بن إسماعيل بعد سنة .

والددانيـــون كما قال معجم الكتاب المقدس هم سكان تيماء في شمال الحجاز ، ولا تخفى الوعورة في تضاريس تلك البلاد ، والنص يبشر بانتصار المسلمين في معركة بدر على أبناء قيدار ، وقيدار هو الابن الثاني لإسماعيل (انظر التكوين ٢٥ / ١٣) واسم قيدار يطلق أيضاً على البلاد التي غلب عليها ذرية قيدار كما في إشعيا ٢١ / ١٦ ، وهو المراد هنا أي انتصار المسلمين على أبناء بلاد قيدار .

ويقول إشعيا في وصف تلك الأمة " من أنهض من المشرق الذي يلاقيه النصر عند رجليه دفع أمامه أمماً وعـــلى مـــلوك سلطه ، جعلهم كالتراب بسيفه ، وكالقش المنذري بقوسه ، طردهم ، مر سالماً في طريق لم يســـلكه برجـــليه ،مـــن فعـــل وصـــنع داعياً الأجيال من البدء . أنا الرب الأول ، ومع الآخرين أنا هو " (إشـــعيا ٤١ / ٢ - ٤) وإذا كان النص نبوءة فبمن تحققت النبوءة ؟ ومن ذا المسلط على الشعوب من قبل الـــرب الآتي من المشرق ؟ وهي ما قد يطلق على بلاد العرب كما جاء في إرمياء " اصعدوا إلى قيدار اخربوا بني المشرق " (إرمياء ٤٩/٢٨) .

وفي نـــص آخر يتحدث عن الفرح والبهجة والعز الذي يحصل في ديار قيدار من انتصار هذا النبي .. " لـــترفع الـــبرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار . لترنم سكان سالع ، من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطـــوا الـــرب مجـــداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر ، الرب كالجبار ، كرجل حروب غيرته ، يهتف ويصرخ

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٤/١١٣٢ - ١١٣٤ ، ١١٦٤ - ١١٨١ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ١/٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٣٢١ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٦٣٨ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٢٩ ، مقدمة السقا ل" المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات "، ص ٧٤- ٧٥ ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي ، ص ٨٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٥٦ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ، عزية طه ، ص ٧٣ - ٧٤ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٧٠ - ٧١ ، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٠هـــ، ص ١٤٨ - ١٥٠ .

ويقـــوى عـــلى أعدائه (إشعيا ٤٢ / ١١ - ١٣) . ويرى عبد الرحمن باجي أن سالع يقصد بها جبل سلع بالمدينة مخالفاً ما جاء في قاموس الكتاب المقدس وفيه أن سالع هي مدينة البتراء .

وكـــان النص يتحدث عن السبب الذي يدعو لهذا الفرح،ألا وهو ظهور النبي المنتظر " هو ذا عبدي الـــذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم ، لايصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفئ ، إلى الأمان يخرج الحق ، لايكـــل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته " (إشعيا ٤٢ / ١ - ٤) فمن هو الفـــاتح صاحب الشريعة الذي لاينكسر ، من ذا الذي أخرج الحق لكل أمم الأرض ،إنه محمد صلى الله عليه وسلم . [1]

بشارة يعقوب عليه السلام بشيلون

وقـــد توالى الأنبياء وهم يبشرون بمقدم نبي آخر الزمان ، ويذكرون صفاته وأحواله والتي من أهمها أنه ليـــس مـــن بني اسرائيل كما أنه صاحب شريعة تدوم إلى الأبد ، يسحق أعدائه ، ودعوته تكون لخير جميع الأمم.

وهذه الصفات لم تتوافر في أحد ادعى النبوة سواه ، ولا يمكن للنصارى حمل تلك النبوءات التي يقرون في أنها نبوءات ، لا يمكن لهم أن يحملوها على غيره ﷺ، إذ موسى وعيسى كانا نبيين إلى بني إسرائيل فقط ، وكـــان موســـى صـــاحب شريعة انتصر أتباعه على أعدائهم وأقاموا شريعته ،غير أن النبوءات لا يمكن أن يكـــون موسى مقصودها لأنها صدرت منه وبعده بقرون عديدة ، وأما عيسى عليه السلام فلم يكن المقصود مـــن هـــذه النبوءات رغم كل ما يبذله النصارى من جهد لتحقيقها فيه ، إذ هو نزل بشريعة موسى ، و لم يقيـــض له أن ينتصر على أعدائه ، بل تزعم النصارى أنهم تمكنوا منه وصلبوه .فكيف يقال بأنه المختار الذي يسحق أعداءه وترقبه الأمم؟

وأقـــدم النـــبوءات التي تحدثت عن النبي الخاتم جاءت في وصية يعقوب لبنيه قبل وفاته حين قال لهم " لايزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون ، وله يكون خضوع شعوب " (التكوين ٤٩/١٠).

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٨ ، ٣٧٠ ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١١٦٩/٤ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ٣١٥/١ - ٣٢١ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٦٤٠ - ٦٤٣ ، ٦٥٢ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٥٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٤٠٦ - ٤١٧ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٥٢ ، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، ص ١٣٨ - ١٤٢ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ١٩ - ٢٦ .

وتختلف التراجم في ثلاث من كلمات النص ، فقد أبدل البعض كلمة "قضيب" بالملك أو الصولجان ، وكلها بمعنى واحد ، وكذا أبدلت كلمة "مشترع" بالراسم والمدبر ، وهي متقاربة بمعنى صاحب الشريعة مدبر قومه .

وأما الاختلاف الأهم فكان في كلمة "شيلون" التي أبقتها معجم الترجمات على حالها ، فيما ذكرت التوراة السامرية مكانها اسم سليمان فأصبح النص وفق هذه الترجمة:" أن يأتي سليمان وإليه تنقاد شعوب " وفي تراجم عبرانية أخرى قيل: " إلى أن يأتي المسيح " ،وقد فسر القس إبراهيم لوقا "شيلون" بالمسيح ،واعتبرها ترجمة صحيحة لكلمة " شيلوه " العبرية ،وذكرت الطبعة الأمريكية للكتاب المقدس في هامشها أن كلمة " شيلون " تعني :الأمان ،أو :الذي له .

فما هو المعنى الدقيق للكلمة(شيلون) التي تدور حولها النبوءة ؟

في الإجابة عن هذا السؤال يرى عبد الأحد داود أن كلمة " شيلون " لا تخرج في أصلها العبري عن ثلاث معان :-

١) أن تكون من الكلمة سريانية مكونة من كلمتي "بشيتا" و "لوه"، ومعنى الأولى منهما: " هو " أو "الذي" ، والثانية (لوه)معناها " له " .ويصبح معنى النبوءة " إن الطابع الملكي المتنبئ لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجيء الشخص الذي يخصه هذا الطابع ، ويكون له خضوع الشعوب " .

٢) أن تكون الكلمة مشتقة من الكلمة العبرية " شله " بمعنى المسالم ،أو الهادئ، أو الوديع، أو الأمين،وهو ما يميل إليه عبد الأحد داود .

٣) أن تكون الكلمة محرفة من كلمة " شيلواح " ومعناها : " رسول الله " كما يعبر بالكلمة مجازاً عن الزوجة المطلقة لأنها ترسل بعيداً ، وتفسير الكلمة بالرسالة مال إليه القديس جيروم ،فترجم العبارة " ذلك الذي أرسل ". وأياً كان المعنى فإن النبوءة تتحدث عن شخص تدعوه : شيلون . وليس عن المكان المسمى "شيلون" كما ادعى بعض المفسرين فمن هو شيلون ؟

لايمكن القول بأنه موسى لأن ملوك يهوذا كانوا بعده بقرون ، ولا يمكن القول بأنه سليمان ،لأن الملك دام بعده في ذريته و لم ترفع به الشريعة كما لم ترفع بالمسيح الذي ماجاء لنقض الناموس و لم تخضع له شعوب، بل ولا شعب اليهودية الذين بعث إليهم فقال : " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " (متى ١٥ / ٢٤) والمسيح لم يكن ملكاً بل هرب منه " لما علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده " (يوحنا ٦/١٥) بل و لم يرض أن يقضي بين اثنين وقال " يا إنسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً " (لوقا ١٣ / ١٣) .

ولما ادعى عليه اليهود عند بيلاطس أنه يقول عن نفسه بأنه ملك نفى ذلك ،وتحدث عن مملكة روحية مجازية غير حقيقية فقال : " مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود "

ولا يمكن أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل لأن مبعثه يقطع صولجان وشريعة إسرائيل كما يفهم من

النص فمن ذا يكون شيلون ؟ إنه النبي الذي بشرت به هاجر وإبراهيم " يده على كل واحد " (التكوين ١٦/ ١٢) والذي قال عنه حزقيال " يأتي الذي له الحكم فأعطيه إياه " (حزقيال ٢١ / ٢٧) .[1]

موسى عليه السلام يبشر بنبي ورسول مثله

وينزل موسى عن جبل الطور بعد ما كلمه ربه فيقول مخاطباً بني إسرائيل : " قال لي الرب : قد أحسنوا في ما تكلموا . أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه ، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به ،أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى ،فيموت ذلك النبي ، وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبي باسم الرب و لم يحدث و لم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه " (التثنية ١٨ / ١٧ - ٢٢) .

والنص كما هو واضح يتحدث عن نبي عظيم يأتي بعد موسى عليه السلام ويذكر صفات لهذا النبي نستطيع من خلالها معرفة من يكون .

ويزعم النصارى أن هذا النبي قد جاء وهو عيسى عليه السلام ، فقد قال بطرس في سياق حديثه عن المسيح " فإن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون في كل ما يكلمكم به ،ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب ، وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده ، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام " (أعمال ٣/٢٢ - ٢٦) فبطرس يرى نبوءة موسى متحققة بشخص المسيح .

ويرى علماؤنا أن النص دال على نبينا صلى الله عليه وسلم ، ويرون أن لا دليل عند النصارى على تخصيصه بالمسيح ، بينما يظهر في النص عند تحليله أدلة كثر تشهد بأن المقصود به هو نبينا صلى الله عليه وسلم . إذ يذكر النص التوراتي أوصاف لهذا المبعوث المبشر به :

١) أنه نبي " أقيم لهم نبياً " والنصارى يدعون للمسيح الإلهية .

٢) أنه من غير بني إسرائيل بل هو من بين إخوتهم ، وإخوة بني إسرائيل هم العرب ،و يعهد في التوراة إطلاق لفظ " الأخ " على ابن العم ، ومن ذلك قول موسى لبني اسرائيل : " أنتم مارون بتخم إخوتكم بنو

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١١٣٩/٤ - ١١٤٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باحي البغدادي ، ص ٦٥٣ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٢٧٤/١ - ٢٧٦ ، محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ٧٧ - ٨٥ ، ١٨٢ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ١/ ١٥١ - ١٦١ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ١٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٧٤ - ٣٧٧ ، هل بشر المسيح بمحمد ، نبيل الفضل ، ص ١٧٢ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٣٥١ .

عيسو " (التثنية ٢/٤) وبنو عيسو بن إسحاق هم أبناء عمومة لبني إسرائيل ، وجاء نحوه في (التكوين ٢٥/ ١٨ ، العـــدد ٢٠/١٤) ، وعـــليه فهـــذا النبي يحتمل أن يكون من العرب تحقيقاً للبركة الموعودة في نسل إسماعيل ، وقد يكون من بني عيسو بكر إسحاق .

٣) هذا النبي من خصائصه أنه مثل لموسى الذي لم يقم في بني إسرائيل نبي مثله (انظر التثنية ٣٤/١٠)، وفي الـــتوراة السامرية ما يمنع قيام مثل هذا النبي فقد جاء فيها " ولا يقوم أيضاً نبي في بني إسرائيل كموسى الذي ناجاه الله " (التثنية ٣٤/١٠) .

وهـــذا الخصلة متحققة في نبينا صلى الله عليه وسلم ممتنعة في المسيح ، وفي إثبات ذلك عدد علماؤنا الكـــثير مـــن أمثلة التشابه بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم والتي لانجدها في المسيح من ذلك ميلادهما الطـــبيعي ،وزواجهما ،وكونهما صاحبا شريعة ،وكل منهما بعث بالسيف على عدوه ، وكلاهما بشر بينما تزعم النصارى بأن المسيح إله ،وهذا ينقض كل مثل لو كان .

٤) من صفات هذا النبي أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب " وأجعل كلامي في فمه " بينما كان المسيح قارئاً (انظر لوقا ٤/١٦-١٨) .

٥) أمين على الوحي على الرغم من أميته فهو " يكلمهم بكل ما أوصيه به " .

٦) أن الذي لا يسمع لكلام هذا النبي فإنه الله يعاقبه ، فهو واجب السمع والطاعة على كل أحد .

٧) أنه لايقتل ، بل يعصم الله دمه عن أن يتسلط عليه السفهاء بالقتل ، فالنبي الكذاب عاقبته " يموت ذلك النبي " ، أي يقتل ، فالقتل نوع منه ، وهنا يزعم النصارى بأن المسيح قتل، فلا يمكن أن يكون هو النبي الموعود . وبالرجوع إلى التراجم القديمة للنص يرى علماؤنا أن ثمة تحريفاً وقع في النص هنا فقد جاء في طبعة ١٨٤٤م " فليقتل ذلك النبي " ولا يخفى سبب هذا التحريف .

٨) يـــتحدث عن الغيوب ويصدق كلامه ، وهذا النوع من المعجزات يكثر في القرآن والسنة ، فكل ذلك دلالة على صدق نبينا وأنه النبي الموعود .[1]

---

(١) انظر تعليق الناسخ على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، زيادة الراسي"لوحة ٢ب - ٢٢أ ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٤/١١١٦ - ١١٣١ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ١/٢٦٥ - ٢٦٨ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٦٥٠ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ٨١ - ٨٤ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ١/١٩٥ - ٢٥٩ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ، عزية طه ، ص ٦٧ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٤٥ - ٤٧ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٤٨ - ١٥١ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ، ص ٢٨٩ - ٢٩١ ، ماذا يقول الكتاب المقدس والغرب عن محمد صلى الله عليه وسلم ، أحمد ديدات، ص ٥٣ -٦٦ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٣٣١ - ٣٤٠ ، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، ص ١١٥ - ١٣٦ ، هل بشر المسيح بمحمد ، نبيل الفضل ، ص ١٦٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٧٨ - ٣٨٧ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه

ومما يؤكد ذلك أنه كما لم تتوافر هذه الصفات مجتمعة في غيره فإن اليهود لا يقولون بمجيء هذا المسيح فيما سبق ،بل مازالوا ينتظرونه.

ولما بعث يحيى عليه السلام ظنه اليهود النبي الموعود وأقبلوا عليه يسألونه " النبي أنت ؟ فأجابهم لا " (يوحنا ١/٢١) أي لست النبي الذي تنتظره اليهود ،ثم أراد تلاميذ المسيح أن تتحقق النبوءة في المسيح ، فذات مرة لما رأوا معجزاته " قالوا : إن هذا بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم .

وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده " (يوحنا ٦/١٤ - ١٥) فقد أراد تلاميذ المسيح تنصيبه ملكاً ليحققوا النبوءة الموجودة لديهم عن النبي المنتظر الذي يملك ويحقق النصر لشعبه،فلما علم المسيح عليه السلام أنه ليس النبي الموعود هرب من بين أيديهم.[1]

ويرى النصارى أن ثمة إشكالاً في النص التوراتي (التثنية ١٨/١٧-٢٢) يمنع قول المسلمين ،فقد جاء في مقدمة سياق النص أن الله لما كلم موسى قال " يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي .... قد أحسنوا في ما تكلموا : أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك " (التثنية ١٨/١٥ - ١٨) فقد وصفت النبي بأنه "من وسطك"أي من بني إسرائيل ،ولذا ينبغي حمل المقطع الثاني من النص على ما جاء في المقطع الأول فالنبي " من وسطك " أو كما جاء في بعض التراجم " من بينك " أي أنه إسرائيلي .

ويرد علماؤنا هذه الزيادة، ويرونها تحريفاً بدليل أن موسى لم يذكرها ، ولو كانت من كلام الله لما صح أن يهملها ، كما أن هذه الزيادة لم ترد في اقتباس بطرس واستيفانوس للنص كما جاء في (أعمال ٣/ ٢٢، ٧/٣٧) .

فإن احتج بعض النصارى على اتهام التحريف قائلين : لو كان تحريفاً لحرف في سائر المواضع ؟!

فيرد الخولي بأن الله أعماهم لتظهر الحقيقة ، ويضيف محمد آل حسن في " الاستفسار " بأن من شأن كل خائن أن يترك دليل خيانته ، كما أن وجود الأمناء الأوفياء يمنع الخائن ،ويردعه عن التمادي في خيانته وغيه .[2]

نبوءة موسى عن البركة الموعودة في أرض فاران

وقبيل وفاة موسى عليه السلام ساق خيراً مباركاً لقومه بني إسرائيل ،فقد جاء في سفر التثنية " هذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من

، عبد العظيم المطعني ، دار الأنصار ، مصر ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩

(١) انظر : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ١/٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٤/١١٣٠ - ١١٣١ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٣٣٥ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي ، ص ٧٢ .

سـعير ، وتـلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة ، فأحب الشعب ، جميع قديسـيه في يـدك ، وهم جالسون عند قدمك،يتقبلون من أقوالك ، بناموس أوصانا موسى ميراثاً لجماعة يعقوب " (التثنية ٣٣/١ ٤) .

وقـبل أن نمضـى في تحليل النص نتوقف مع الاختلاف الكبير الذي تعرض له هذا النص في الترجمات المختلفة.

فقـد جـاء في الترجمة السبعينية " واستعلن من جبل فاران ، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه ، فوهب لهم وأحبهم ،ورحم شعبهم ،وباركهم وبارك على أظهاره ، وهم يدركون آثار رجليك، ويقبلون من كلماتك . أسلم لنا موسى مثله ، وأعطاهم ميراثاً لجماعة يعقوب " .

وفي ترجمة الآباء اليسوعين "وتجلى من جبل فاران ، وأتى من ربى القدس ، وعن يمينه قبس شريعة لهم"

وفي ترجمة ١٨٤١م " واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار ، في يمينه سنة من نار " .

وفي ترجمة ١٦٢٢م " شرف من جبل فاران ، وجاء مع ربوات القدس ، من يمينه الشريعة " .

وفي التوراة السامرية : " لمع من جبل فاران ، ومعه من ربوات القدس عن يمينه . نار شريعة لهم . أيضاً محب الشعب ، وكل قدس من أقداسك بيدك ، وهم يخضعون لرجليك ، ويتحملون من أقوالك " .[1]

ويظهـر الخـلاف جلياً في وصف الآتين مع تلألأ فاران .هل أتوا من ربوات القدس أم هم قديسون أطهار مثل الملائكة ؟

وهل هؤلاء مجيء رابع خاص أم أنهم ملحقون بالمجيء الثالث ؟

والـنص الـتوراتي يـتحدث عـن ثلاثـة أماكن تقع منها البركة، أولها: جبل سيناء حيث كلم الله موسى.وثانيها :ساعير ،وهو جبل يقع في أرض يهوذا (انظر يشوع ١٥/١٠) وثالثها :هو جبل فاران .

وتنبئ المواضع التي ورد فيها ذكر " فاران " في الكتاب المقدس ،فتذكر أنها تقع في صحراء فلسطين في جنوبها .

وتذكر التوراة أيضاً أن إسماعيل قد نشأ في برية فاران .

ويرى اليهود والنصارى في هذا النص أنه يتحدث عن أمر قد مضى يخص بني إسرائيل ، وأنه يتحدث عن إضاءة مجد الله وامتداده لمسافات بعيدة شملت فاران وسعير وسيناء .

ويـرى علماؤنا أن النص نبوءة عن ظهور عيسى عليه السلام في سعير في فلسطين، ثم محمد صلى الله عليه وسلم في جبل فاران حيث يأتي ومعه الآلاف من الأطهار مؤيدين بالشريعة من الله عز وجل .

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٢٧١/١ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ٢٦٠/١ - ٢٦٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٩٤ .

وذلك متحقق في رسول الله لأمور :-

١) أن جبل فاران هو جبل مكة حيث سكن إسماعيل (انظر التكوين ٢١/٢١)، وقد انتشر أبناؤه في هذه المنطقة ،فتقول التوراة " هؤلاء هم بنو إسماعيل ..... وسكنوا من حويلة إلى شور " (التكوين ٢٥/ ١٦ - ١٨) وحويلة كما جاء في قاموس الكتاب المقدس منطقة في أرض اليمن ، بينما شور في جنوب فلسطين . وعليه فإن إسماعيل وأبناؤه سكنوا هذه البلاد الممتدة جنوب الحجاز وشماله ،وهو يشمل أرض فاران التي سكنها إسماعيل .

٢) أن وجود منطقة اسمها فاران في جنوب فلسطين لا يمنع من وجود فاران أخرى هي تلك التي سكنها إسماعيل ، وقامت الأدلة التاريخية على أنها الحجاز حيث بنى إسماعيل وأبوه الكعبة ، وحيث تفجر زمزم تحت قدميه ،وهو ما اعترف به عدد من المؤرخين منهم المؤرخ جيروم واللاهوتي يوسبيوس فقالا بأن فاران هي مكة ، ويذكر ناسخ البحث الصريح أن كلمة فاران العبرية إذا أطلقت على البرية فهي: الأرض الكثيرة الظل ، وإذا أطلقت على الجبل فمعناها :الجبل الذي فيه مغارة أو الجبل المتزين .

٣) لا يقبل قول النصارى بأن النص يحكي عن أمر ماضٍ ،إذ التعبير عن الأمور المستقبلة بصيغة الماضي معهود في لغة الكتاب المقدس . يقول اسبينوزا : " أقدم الكتاب استعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر، وعلى الماضي بلا تمييز كما استعملوا الماضي للدلالة على المستقبل ... فنتج عن ذلك كثير من المتشابهات "

٤) لم خص جبل فاران بالذكر دون سائر الجبال لو كان الأمر مجرد إشارة إلى انتشار مجد الله .

٥) ومما يؤكد أن الأمر متعلق بنبؤة الحديث عن آلاف القديسين ،والذين تسميهم بعض التراجم " أطهار الملائكة " أي أطهار الأتباع ، إذ يطلق هذا اللفظ ويراد به: الأتباع .كما جاء في سفر الرؤيا أن " ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنينُ وملائكتُه ...." (الرؤيا ٧/١٢) ، فمتى شهدت فاران مثل هذه الألوف من الأطهار ؟ فما ذلك إلا محمد وأصحابه ﷺ .

٦) وقد جاء في سفر حبقوق ما يؤيد قول المسلمين حيث يقول " الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران . سلاه . جلاله غطى السماوات ، والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع ، وهناك استتار قدرته ، قدامه ذهب الوبأ ، وعند رجليه خرجت الحمى ، وقف وقاس الأرض ، نظر فرجف الأمم ، .... " (حبقوق ٣/٣ - ٦) .

ففي هذا النص تأكيد على أنه ثمة نبوة قاهرة تلمع كالنور ، ويملأ الآفاق دوي أذان هذا النبي بالتسبيح.

وتيمان كما يذكر محررو الكتاب المقدس هي كلمة عبرية معناها :" الجنوبي "، وهي أيضاً اسم لقبيلة من سلالة إسماعيل تقطن في بلاد العرب ، فتسمى تلك الجهة التي يسكنون بها: تيماء .وهي منطقة تقع شمال المدينة المنورة .

ومن هذا كله فالقدوس المتلألئ في جبال فاران هو نبي الإسلام ،فكل الصفات المذكورة لنبي فاران

تصح فيه ولا تصح في غيره .[1]

المزامير تبشر بصفات نبي آخر الزمان

وها هي المزامير تبشر بالنبي الخاتم ، ويصفه أحد مزاميرها فيقول مخاطباً إياه باسم الملك : " فاض قلبي بكلام صالح ، متكلم أنا بإنشائي للملك ، لساني قلم كاتب ماهر : أنت أبرع جمالاً من بني البشر ،انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله إلى الأبد .

تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك ، وبجلالك اقتحم . اركب من أجل الحق والدعة والبر ،فتريك يمينك مخاوف ،نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يسقطون . كرسيك ياالله إلى دهر الدهور ، قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الإثم .

من أجل ذلك مسحك إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك .... بنات ملوك بين حظياتك ، جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير .

اسمعي يا بنت وانظري ، وأميلي أذنك ، إنسي شعبك وبيت أبيك ، فيشتهي الملك حسنك ، لأنه هو سيدك فاسجدي له ... عوضاً عن آباءك يكون بنوك تقيمهم رؤساء في كل الأرض ، أذكر اسمك في كل دور فدور . من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد " (المزمور ٤٥/١ - ١٧) .

ويسلم النصارى بأن النص كان نبوءة بالنبي الآتي ، ويزعمونه عيسى عليه السلام فيما يرى علماؤنا أن الصفات التي رمزت في النص إنما تعود إليه صلى الله عليه وسلم وتمنع أن يكون المعني عيسى أو غيره من الأنبياء الكرام ، ففي النص سبعة عشرة وصفاً لهذا النبي يجمعها .

١) كونه صاحب حسن لايعدل في البشر " بهي في الحسن أفضل من بني البشر " ولا يجوز للنصارى القول بأنه المسيح وهم الذين يقولون : تحققت في المسيح نبوة إشعيا وفيها أن المتنبئ به " لا صورة له ولا

---

(١) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة رقم ٤٠أ ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١١٣٤/٤ - ١١٣٥ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ٢٦٩/١ - ٢٧٣ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٦٣٠ - ٦٣٤ ، هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٨٧ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ٨٥ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ٢٥٩/١ - ٢٧٦ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٢٩ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٤٧ - ٥١ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ، عزية طه ، ص ٦٦ ، ٧١ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٥٥ - ١٥٦ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢٥٥/٢ - ٢٥٦ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي ، ص ٢٣٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٧٠ ، ٣٨٨ - ٣٩٥ ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا ، والأناجيل الأربعة ، محمد عبد الرحمن عوض ، ص ١٦٢ - ١٦٣ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ٢١٠ .

جمال فننظر إليه ، ولا منظر فنشتهيه " (إشعيا ٢/٥٢) ، وهذا المعنى الذي لانوافقهم عليه [1] أكده علماؤهم فقال كليمنضوس الإسكندراني : " إن جماله كان في روحه وفي أعماله ، وأما منظره فكان حقيراً " وقال ترتليان : " أما شكله فكان عديم الحسن الجسماني ، وبالحري كان بعيداً عن أي مجد جسدي " ومثله قال مارتير وأوريجانوس وغيرهما .فمن كان هذا قوله بالمسيح لا يحق له أن يقول بأنه أيضاً :" أبرع جمالاً من بني البشر "

وقد جاءت الآثار تتحدث عن حسن نبينا وفيض جماله بعد أن كساه الله بلباس النبوة فلم ير أجمل منه.

٢) أن النبوة وكلامها يخرج من شفتيه ، فقد كان أمياً وكان وحيه غير مكتوب فيما كانت لإبراهيم وموسى صحفاً كما كان عيسى قارئاً (انظر لوقا ١٦/٤) وقد جاءت نصوص كتابية عدة تؤكد أمية النبي القادم منها ماسبق في سفر التثنية " أجعل كلامي في فمه " (التثنية ١٨/١٨) وما جاء في إشعيا " أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة فيقال له اقرأ فيقول : لا أعرف الكتابة " (إشعيا ١٢/٢٩) وفي غير الترجمة العربية المتداولة " لا أعرف القراءة " وهي تماثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء " ما أنا بقارئ ".

٣) كونه مبارك إلى الأبد صاحب رسالة خالدة " باركك الله إلى الأبد .... كرسيك يا الله إلى دهر الدهور " .

٤) كونه صاحب سيف يقهر به أعدائه لإقامة الحق والعدل " تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ... بجلالك اقتحم . من أجل الحق والدعة والبر ، فتريك يمينك مخاوف . نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يسقطون " .

والمسيح عليه السلام لم يحمل سيفاً ولا أسقط أعدائه ، ولا صوب نبله في قلوب أعدائه لنشر دعوة الحق كما لم يكن ملكاً في قومه .

٥) وهذا النبي محب للخير مبغض للإثم كحال جميع الأنبياء لكن الله فضله عليهم " مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك "

٦) يؤتى لهذا النبي بالهدايا لعزه ، وبنات الملوك يكن في خدمته أو في نساءه " بنات ملوك بين حظياتك .. بنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية ... " وقد تزوج النبي بصفية بنت حيي بن أخطب سيد قومه كما أهديت إليه مارية القبطية ، وكانت شهربانو بنت يزدجر ملك فارس تحت ابنه الحسين ﷺ .

٧) تدين له الأمم بالخضوع وتدخل الأمم في دينه بفرح وابتهاج " بملابس مطرزة وتحضر إلى الملك ،

---

(١) لايبعث الله نبياً إلا غاية في الحسن ، فذلك ادعى لتصديقهم وعدم عيبهم بخلقهم ، وقد وصف رسول الله عيسى عليه السلام خصوصاً بأنه كان غاية في الحسن ، فقد رآه في المنام عند الكعبة " فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال ، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم ، قد رجلها ، فهي تقطر ماءً ...فسألت :من هذا ؟ فقيل : هذا هو المسيح بن مريم "رواه مسلم في صحيحه ، برقم : ١٦٩ في ١٥٤/١ .

في إثرها عذارى صاحباتها ، مقدمات إليك ، يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك " .

٨) يستبدل قومه بالعز بعد الذل " عوضاً عن آباءك يكون بنوك ، تقيمهم رؤساء في كل الأرض " .

٩) يكتب له الذكر الحميد سائر الدهر " أذكر اسمك دور فدور ، من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد " فهو أحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم .[1]

داود يبشر بنبي من غير ذريته

ويتحدث داود عن النبي القادم فيقول : " قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك ، يرسل الرب قضيب عزك من صهيون ، تسلط في وسط أعدائك شعبك ،فتدب في يوم قوتك في زينة مقدسة .. أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق . الرب عن يمينك ، يحطم في يوم رجزه ملوكاً يدين بين الأمم ، ملأ جثثاً ، أرضاً واسعة سحق رؤوسها ....." (المزمور ١١٠/١ - ٦).

و قوله " قال الرب لربي " أي " قال الرب لسيدي " كما جاء في الترجمة الكاثوليكية ، وفي العبرانية قال الرب " يهوه " لربي " أدوناي " أي لسيدي .

ويرى النصارى في النص نبوءة بالمسيح القادم من اليهود الذي يرى العبرانيون أنه سيكون من ذرية داود وقد أبطل المسيح لليهود قولهم ، وأفهمهم أن القادم لن يكون من ذرية داود ففي متى " كان الفريسيون مجتمعين ، سألهم يسوع : ماذا تظنون في المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالو له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً : قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أضع موطئاً لقدميك ، فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه فلم يستطع أحد أن يجيب بكلمة " (متى ٢٢/٤١ - ٤٦) وفي مرقس " فداود نفسه يدعوه رباً . فمن أين هو ابنه " (مرقس ١٢/٣٧) و (انظر لوقا ٢٠/٤١ - ٤٤) ، وفي إنجيل برنابا " فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مسيا ابن داود ، فكيف يسميه داود رباً ؟ صدقوني لأني أقول لكم الحق : إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق " (برنابا ٤٣/٣٠ - ٣١) .

لكن المنطق المعوج لكتاب العهد الجديد جعلهم يصرون على اعتبار ما قاله داود نبوءة بالمسيح مع أنه نفى ذلك ، نفى أن يكون النبي الموعود من ذرية داود وقد جعل متى ولوقا المسيح من ذريته ، بل إن النصارى يرون في قول داود دلالة على ألوهية المسيح وينسبون هذا الغلط للتلميذ بطرس وأنه قال عن المسيح : " أقامه الله ، ونحن جميعاً شهود لذلك ، وإذ ارتفع بيمين ، وأخذ موعد الروح القدس من الأب سكب هذا الذي

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٤/١١٤٣ - ١١٥٥ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ١٨ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٣١ ، التحريف في التوراة ، محمد الخولي ، ص ١٦٥ ، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، ص ١٣٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٩٦ - ٤٠٤ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ٢١١ .

أنـــتم الآن تبصـــرونه وتسمعونه ، لأن داود لم يصعد إلى السماوات ، وهو نفسه يقول : قال الرب لربي : اجـــلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك ، فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً " (أعمال ٢/٣٢ - ٣٦) فكيف يجمع بين قول بطرس بأن المسيح من ذرية داود وأنه عيسى وبين قول المسيح بأن المسيح المنتظر ليس من ذرية داود ؟! .[1]

وتســـمية عيســـى عـــليه السلام للنبي بالمسيح تسمية اصطلاحية حيث كان اليهود يمسحون ملوكهم وأنبيائهم بالزيت ، ويصطلحون على تسميتهم بالمسيح ولو لم يمسحوا . وقد سمي كورش ملك فارس مسيحاً (انظـــر إشعيا ١/٤٥) وكذلك جاء في سفر الملوك الحديث عن الكهنة المسحاء (انظر الملوك (٢) ١/١٠) وكـــذا طالوت الملك كان مسيحاً . (صموئيل (١) ٩/١٠،١/١٦) ، وعليه فالمسيح لقب يطلق على الملوك والكهـــنة والأنـــبياء وهـــو ما يلفظ بالسريانية : " ماشيح " ،وفي اللغات التي ليس فيها حرف الحاء يسمى :"المســـيا" ، وقد جاء في إنجيل يوحنا : " مسيا الذي تفسيره المسيح " (يوحنا ¼) وقد كان اليهود يسمون الـــنبي القـــادم بالمســـيح (المسيا) كذلك تساءل اليهود لما رأوا يوحنا المعمدان إن كان هو المسيح القادم " فاعترف و لم ينكر ، وأقر :إني لست المسيح . فسألوه إذاً ماذا ؟ إيليّا أنت ؟ " (يوحنا ١/٢١ - ٢٢) .

ولمـــا قيل بأن المسيح صلب حزن التلميذان المنطلقان لعمواس وقالا عن المسيح عيسى عليه السلام : " كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل " (لوقـــا ٢٤/٢٠ - ٢١) أي ظـــنوه الذي يرد السلطان والملك ويسحق الشعوب وغير ذلك مما تنبأت به التوراة ، لكنه لم يكن كذلك .

ولقد أدرك تلاميذه أنه ليس المسيح المنتظر إذ لما رأوا بعض معجزاته " آمن به كثيرون من الجمع وقالوا ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا " (يوحنا ٧/٣٠ - ٣١) .

وكـــان المسيح يدفع عن نفسه أن يكون هو المسيح المنتظر ، ولما اختلف الناس فقال بعضهم هو يوحنا المعمـــدان وقال آخرون إيليّا ..... عندها سأل المسيح تلاميذه : " وأنتم من تقولون أني أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح (وقصد المسيح المنتظر) فانتهرهم كي لايقولوا لأحد عنه " (مرقس ٨/٣٠) وانتهاره لهم نوع من الإنكار عليهم .

ولقـــب "المســـيح" يتعـــلق بمسيح يملك ويسحق أعدائه ، وادعاء هذا بين يدي مملكة الرومان يسبب المتاعب لذلك ادعى اليهود عليه عند بيلاطس أنه يدعي أنه ملك اليهود وأنه مسيحهم فقالوا : " إننا وجدنا هـــذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً : إنه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطس قائلاً : أنت ملك اليهـــود ؟ فأجابـــه وقـــال : أنت تقول . فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع : إني لا أجد علة في هذا

---

(١) انظر : محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ١١٠ - ١١٤ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ١/٣٤٤ - ٣٤٦ ، المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، أحمد حجازي السقا، ص ١١٠ - ١١١ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٣٤ ، هل بشر المسيح بمحمد ، نبيل الفضل ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٨٦ - ٣٨٨ .

الإنســـان " (لوقا ٢/٢٣ - ٤) أي ثبتت عنده براءته من ادعائه أنه المسيح الملك المبشر به ، وجاء في إنجيل يوحـــنا أنه قال لبيلاطس " مملكتي ليست في هذا العالم " (يوحنا ٣٦/١٨) أي أنها مملكة روحية وهي غير المملكة التي ينتظرها اليهود ويرهبها بيلاطس .

ومما يمنع أيضاً أن يكون عيسى المسيح المنتظر الذي بشرت به التوراة وأخبرت أن " له خضوع شعوب " وأنه مثل موسى وأنه الجبار المتقلد للسيف الذي تمضي نبله في قلب أعدائه ....

ممـــا يمنع أن يكون هذا المسيح عيسى بن مريم أن شيئاً من هذا لم يكن له حال حياته ، ولن يكون له حال رجوعه الذي يعلق النصارى عليه مثل هذه النبوءات إذ أنه من ذرية يهوياقيم .[1]

وقد حرم الله الملك على ذريته كما ذكرت التوراة " قال الرب : عن يهوياقيم ملك يهوذا : لا يكون لـــه جالس على كرسي داود ، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً ... " (إرميا ٣٠/٣٦) فكيف يقول النصارى بأن الذي سيملك ويحقق النبوءات هو المسيح .

ويـــنقل القس فهيم عزيز عن علماء الغرب قولهم الذي يؤكد ما انتهينا إليه فيقول : " إن كثيرين من عـــلماء الغـــرب ينكرون أن يسوع كان يتصرف ويتكلم كمسيح لليهود أو المسيا الذي كان ينتظره العهد القديم " .[2]

البشارة بالملكوت

ومن الألقاب التي أعطيت للدين الجديد في الكتاب المقدس " الملكوت " أو " ملكوت السماوات " ، وقـــد سبق بيان انتقال هذا الملكوت عن أمة اليهود فقد قال الله : " إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره " (متى ٤٣/٢١) ، وقبيل بعثة عيسى عليه السلام " جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " (متى ١/٣ - ٢) وتحدث عن الملكوت القادم فقال لليهود مـــتوعداً " يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ... أنا أعمدكم بماء التوبة ، ولكن الذي يـــأتي بعدي هو أقوى مني ، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه ، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار ، الذي رفشه في يده ، وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ .

حينـــئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليتعمد منه .... " (متى ١/٣ - ١٣) وبعد وفاة يوحـــنا المعمـــدان جدد يسوع البشارة بالملكوت " ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الســـماوات " (متى ١٧/٤) " وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت "

---

(١) لم يرد اسم يهوياقيم في أسماء آباء المسيح في متى فقد أسقطه متى ، ولكنه ذكر ابنه يكنيا وهو المسمى يهوياكين (انظر الأيام (١) ١٦/٣) قد حكم يهوياقيم بعد أبيه يوشيا سنة ٦٠٨ ق.م كما ذكر قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٩٨ -١٠٩٩

(٢) انظر : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ٣٤١/١ ، ٣٧٢ - ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، أحمد حجازي السقا، ص ١٦٠ - ١٦٢ .

(مـــتى ٢٣/٤) وأمر تلاميذه بأن يبشروا باقتراب الملكوت فقال : " اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت السماوات " (متى ٧/١٠) ، ثم علم المسيح تلاميذه أن يقولوا في صلاتهم تلك العبارة التي ما يزال النصارى يرددونها إلى اليوم " أبانا الذي في السماوات .. ليأت ملكوتك " (لوقا ٢/١٠) .

ومـــن خلال هذا كله نستطيع أن نقول بأن رسالة عيسى كانت بشارة بالملكوت الذي بشر به يوحنا المعمـــدان ووصـــف بعض ما يكتنفه ، وهذا الملكوت هو بعد المسيح في أمة تعمل أثماره ، ولا تضيعه كما أضاعه اليهود .

فما هو هذا الملكوت ؟

يجيـــب النصـــارى بـــأن الملكوت "شيوع الملة المسيحية في جميع العالم وإحاطتها كل الدنيا بعد نزول المسيح" ، وفسره آخرون بأنه انتصار الكنيسة على الملحدين .[1]

ويعجـــب عـــلماؤنا لانصراف النصارى عن معنى الملكوت وتعلقهم بما لا طائل وراءه فلقد انتصرت الكنيسة وحكمت أوربا قروناً عدة و لم نر ما يستحق أن يكون أمراً يبشر به المعمدان والمسيح والتلاميذ .

والقول بأن الملكوت هو شيوع النصرانية ترده الأمثال التي ضربها المسيح للملكوت ، فقد شبهه بأمثلة كـــثيرة منها الخميرة المخبأة والإنسان الزارع لزرع جيد والكنز المخفي فكل هذه التشبيهات يراها رحمة الله الهـــندي مانعة من تفسير النصارى للملكوت ، إذ لم يشبه الملكوت بتخمر الخميرة ولا بنمو الزراعة (انظر مـــتى ٢٤/١٣ ، ٣٣ ، ٤٤) وقد تتبع أحمد حجازي السقا أمثلة الملكوت الأربعين التي وردت في الأناجيل على لسان المسيح ورآها تدل على معنى واحد هو التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر أبرز سمات أمته عليه الصلاة والسلام ، وفند السقا تأول النصارى لهذه الأمثلة .

ويتتـــبع عبد الأحد داود المواضع التي تحدثت عن الملكوت وخصائصه وصفاته ،ويخلص إلى أن المراد منه : الإسلام .

فالملكوت هو " إرادة ورضاء صاحب الملكوت جل جلاله ". وملكوت الله : مشيئته وإرادته . وكلام المـــلكوت : كـــتابه . ومن ثم يصبح الملكوت الموعود مجموعة من البشر المؤمنين المنفذين لإرادة الله ومشيئته يحكمون الأرض بأمر الله ويقهرون من عادى دين الله ، ويؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم .[2]

وفي أحد تشبيهات المسيح للملكوت أبان لتلاميذه عن سبب انتقاله عن بني إسرائيل فقال " اسمعوا مثلاً آخـــر كان إنسان رب بيت غرس كرماً ،وأحاطه بسياج ،وحفر فيه معصرة وبنى برجاً ، وسلمه إلى كرامين وسافر .

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١١٧٣/٤ - ١١٧٥ ، محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ١٣٨ .

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١١٧٥/٤ ، الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ٧٦ - ٧٧ ، ٨٢ ، ١٠١ - ١١٠ ، محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ١٣٤ - ١٣٩ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ٦٨/٢٠ - ١٥٦ .

ولمـــا قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره ،فأخذ الكرامون عبيده ، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً ، ثم أرسل إليهم أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك .

فـــأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً :يهابون ابني ، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث ، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه .

فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالو له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديأ ، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطون الأثمار في أوقاتها .

قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية ، من قـــبل الـــرب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا ، لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يترع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه .

ولمـــا سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم " (متى ٢١/٣٣ - ٤٥) (وانظر لوقا ٢٠/٩ - ١٩) .

فهـــذا المثل العجيب من المسيح يحكي تنكر اليهود لنعم الله وقتلهم أنبيائه ، ويحكي انتقال الملكوت إلى أمة تقوم بأمر الله وتقوى على أعدائها وتسحقهم .

وهذه الأمة كانت مرذولة محتقرة لكن الله اختارها رغم عجب اليهود من تحول الملكوت إلى هذه الأمة المرذولة .

فمـــن تكون هذه الأمة ؟ إنها أمة العرب التي تقول عنها سارة : " اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن الجاريـــة لايرث مع ابني إسحاق " (التكوين ٢١/١٠) وقال بولس مفتخراً على العرب محتقراً لهم : " ماذا يقـــول الكـــتاب ؟ اطرد الجارية وابنها ، لأنه لايرث ابن الجارية مع ابن الحرة إذاً أيها الإخوة : لسنا أولاد جارية ، بل أولاد الحرة " (غلاطية ٤/٣٠ - ٣١) .

ويـــتوقف عـــبد الأحـــد داود والطهطاوي ملياً مع الصفات التي ذكرها يوحنا لصاحب الملكوت ، فأولهـــا : أنـــه يـــأتي بعده فلا يمكن أن يكون هذا الآتي بعد هو المسيح الذي أتى في أيام يوحنا المعمدان ، وثانيهـــا: أنه قوي ، وقوته تفوق قوة يوحنا المعمدان ، ومثل هذا الوصف لا ينطبق على المسيح الذي يزعم النصارى مصرعه على الصليب قريباً مما جرى ليوحنا المعمدان ، وأنى هذا من غلبة رسول الله صلى الله عليه وســـلم عـــلى ســـائر أعدائه ! ثم بلغ به القوة أنه يطهر الأرض من رجس الوثنية بالروح والنار أي بدعوته العظيمة وقوته القاهرة ، وكل ما تقدم لا ينطبق على أحد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم .[1]

---

(١) انظر : محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ١٨١ - ١٨٢ ، مطه ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا ، والأناجيل الأربعة ، محمد عبد الرحمن عوض ، ص ١٦٣ - ١٦٨ .

البشارة بمشتهى الأمم

وبعـــد عـــودة بني إسرائيل من السبي وتخفيفاً لأحزانهم ساق لهم النبي حجي بشارة من الله فيها : " لا تخافوا ، لأنه هكذا قال رب الجنود ، هي مرة بعد قليل فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة ، وأنزل كـــل الأمـــم ، ويأتي مشتهى كل الأمم ، فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود .... وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود . (حجي ٢/٦ - ٩) .

وهـــذه النبوءة لا ريب تتحدث عن القادم الذي وعد به إبراهيم وهاجر ، وبشر به يعقوب وموسى ثم داود عليهم الصلاة والسلام .

وقـــبل أن نـــلج في تحديد شخصية هذا المشتهى من كل الأمم نتوقف مع عبد الأحد داود فهو يعود للـــترجمة العبرانية فيجد النص : " لسوف أزلزل كل الأرض ، وسوف يأتي (حمدا) لكل الأمم ... وفي هذا المكان أعطي السلام " فقد جاء في العبرية لفظة " حمدا "، ولفظة " حِمْدْ " في العبرانية تستعمل عادة لتعني : " الأمنية الكبيرة " أو " المشتهى " .

لكن عبد الأحد داود يرى أن كلمة " حمدا " هي الصيغة العبرية لاسم أحمد .

وجـــاء في تمـــام النبوءة " في هذا المكان أعطي السلام "،وقد استخدم الترجمة العبرية لفظة " شالوم " والتي من الممكن أن تعني الإسلام ، فالسلام والإسلام مشتقان من لفظة واحدة . [1]

ويـــرى الطهطاوي أن عبارة " في هذا المكان أعطي السلام " تتحدث عن عقد الأمان الذي عم تلك الأرض والذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهل القدس عندما فتحها ، وقد تحدثت النبوءة عن إعطاء السلام و لم تنسبه للمشتهى، ذلك أن الأمر تم بعد وفاته في أتباعه وأصحابه الكرام .

ولا ريـــب أن البـــنوءة لا تتحدث عن المسيح إذ لا تقارب بين ألفاظ النبوءة واسمه ،أو بين معانيه وما عهـــد عنه عليه السلام ، إذ لم يستتب الأمن في القدس حال بعثته بل بشر اليهود بخراب هيكلهم بعد حين ، كما كان رسولاً لبني اسرائيل ، وليس لكل الأمم .[2]

وهـــذا الاستعمال لكلمة " السلام " بمعنى " الإسلام " يراه عبد الأحد داود لازماً في موضع آخر من الكـــتاب المقـــدس فقد جاء في إنجيل لوقا أن الملائكة ترنموا عند ميلاد المسيح قائلين : " المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة " (لوقا ٢/١٤) .

فيتســـاءل عبد الأحد داود أي سلام حل على الأرض بعد ميلاد المسيح فقد تتابع القتل والحروب ما تـــزال تطحـــن ، وإلى قيـــام الساعة ، ولذلك فإن الترجمة الصحيحة لكلمة " ايريني " اليونانية في العبرانية :

---

(١) ومثل هذا في القرآن في قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ سورة البقرة ، آية : ٢٠٨ .

(٢) انظر : محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ٤٩ - ٥٢ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ٢٨ .

" شالوم " ، وهي في العربية " الإسلام " كما " السلام " .

وإن أصر النصارى على تفسير كلمة " إيرينا " بالسلام فقد جعلوا من عيسى مناقضاً لنفسه إذ قال : " جئت لألقي ناراً على الأرض ... أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض . كلا أقول لكم ، بل انقساماً .... " (لوقا ٤٩/١٢ - ٥١) وفي متى " لاتظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض . ما جئت لألقي سلاماً ، بل سيفاً " (متى ٣٤/١٠) .

وتبعاً لهذا يرى عبد الأحد داود أن صانعي السلام هم المسلمون، وذلك في قول المسيح " طوبى لصانعي السلام ، لأنهم يدعون أبناء الله " (متى ٩/٥) فيرى أن الترجمة الدقيقة هي " طوبى للمسلمين " وليس صانعي السلام الخيالي الذي لم ولن يوجد على الأرض ، كما لايستطيع أحد ينتمي إلى فرق النصارى المختلفة والمتباغضة طوال تاريخ النصرانية ، لايستطيع أن يقول بأن السلام قد تحقق في نفوس المؤمنين ، إذ الأحقاد المتطاولة تكذب ذلك كله .

وجاء في تمام الأنشودة المزعومة للملائكة " وبالناس المسرة " واستخدم النص اليوناني كلمة " يودكيا " وهي كلمة مشتقة من الفعل اليوناني " دوكيو " ومعناها كما في القاموس الإغريقي : " لطيف ، محسن ، دمث ... " ومن المعاني أيضاً السرور - المحبة - الرضى - الرغبة ، الشهرة .... فكل هذه الاطلاقات تصح في ترجمة كلمة " يودوكيا " التي يصح أيضاً أن تترجم في العبرانية إلى (ما حماد ، ما حامود) المشتقة من الفعل " حمد " ومعناه : المرغوب فيه جداً ، أو البهيج ، أو الرائع أو المحبوب أو اللطيف ، وهذا كله يتفق مع المعاني التي تفيدها كلمة محمد وأحمد ، واللتان تقاربان في الاشتقاق كلمتي (حمدا و ماحماد) العبرانيتين ، ومثل هذا التقارب يدل على أن لهما أساس واحد مشترك كما هو الحال في كثير من كلمات اللغات السامية.

وينبه عبد الأحد داود إلى وجود هذا النص في إنجيل لوقا اليوناني، في الوقت الذي كانت فيه العبارات سريانية حين مقالها ، ولا يمكن - حتى مع بذل الجهد والأمانة في الترجمة - أن تترجم كلمة ما من لغة إلى أخرى وتفيد نفس المعاني الأصلية للكلمة . ومع ضياع الأصول لا يمكن التحقق من دقة هذه الترجمة .

والترجمة الصحيحة للترنيمة كما يرى عبد الأحد داود هي " الحمد لله في الأعالي ، وعلى الأرض إسلام ، وللناس أحمد " .[1]

وكما تحدث المسيح عن هذا النبي تحدث عن زمان ظهوره وعظيم أجر أمته، فضرب هذا المثل وقال : " فإن ملكوت السماوات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فَعَلة لكرمه ، فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كرمه ، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ، ورأى آخرين قياماً في السوق بطالين ، فقال

---

(١) انظر : محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ١٤٧ - ١٦٥ ، الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ٣٣-٥٥ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ٣٧٠/٢ - ٣٧٢ ، المسيحية، أحمد شلبي، ص ٦٩ - ٧٠.

لهم : اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم ، فمضوا .

وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل ذلك .

ثم نحـــو الســـاعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطالين ، فقال لهم : لماذا وقفتم ههنا ، كلَّ النهار بطالين ؟

قالوا له : لأنه لم يستأجرنا أحد . قال لهم : اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم .

فـــلما كـــان المساء قال صاحب الكرم لوكيله : ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين.

فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً ، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر فـــأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً ، وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين : هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر . فأجاب وقال لواحد منهم : يا صاحب ما ظلمتك أما اتفقت معي على دينار فخذ الذي لك واذهب ، فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك . أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي أم عينك شريرة لأني أنا صالح .

هكذا يكون الآخرون أولين ، والأولون آخرين ، لأن كثيرين يُدعَون ، وقليلون ينتخبون " (متى ٢٠/ ١ - ١٦).[1]

فالآخـــرون هـــم الأولـــون الســـابقون كما قال المسيح وأكده رسول الله ﷺ بقوله "نحن الآخرون الســـابقون"[2] وقولـــه " مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال : من يعمل لي غدوة إلى نصـــف الـــنهار على قيراط ؟ فعملت النصارى ، ثم قال من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطـــين ؟ فأنتم هم . فغضبت اليهود والنصارى فقالوا : مالنا أكثر عملاً وأقل عطاءً ؟ قال : هل نقصتكم من حقكم ؟ قالوا : لا . قال : فذلك فضلي أوتيه من أشاء " .[3]

النبي دانيال يتنبأ بالملكوت

وقـــد نقل الكتاب المقدس بعض نبوءات الأنبياء عن زمن ظهور هذا الملكوت، ومن ذلك أن بختنصر رأى رؤيا أفزعته و لم يعرف العرافون ولا المنجمون ولا غيرهم تعبيرها ،ففسرها له النبي دانيال فقال : " أنت

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١١٧٦/٤ - ١١٧٧ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٢٤٥ - ٢٤٨ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ٩٢/٢ - ٩٤ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ٣٣ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجمعة ، باب : فرض الجمعة برقم : ٨٣٦ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإجارة ، باب الإجارة إلى نصف النهار ، برقم ٢٢٦٨ من حديث ابن عمر .

أيهـــا الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم ، هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل ، رأس هذا التمثال من ذهب جيد ، وصدره وذراعاه من فضة ، بطنه وفخذاه من نحاس ، ساقاه من حديد ، قدماه بعضها من حديد والبعض من خزف . كنت تنظر إليه إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللـــتين مـــن حديـــد وخزف فسحقهما ، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً ،وصارت كعصافة البيدر في الصيف ، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان .

أنـــت أيهـــا الملك ملك ملوك ، لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً ، وحيثما يســـكن بـــنو البشر ووحوش البر وطيور السماء ... فأنت هذا الرأس من ذهب ، وبعدك تقوم مملكة أخرى أصـــغر منك ، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض ، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد ، لأن الحديـــد يســـحق كـــل شيء ، وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء ، وبما رأيت القدمين والأصـــابع بعضـــها من خزف والبعض من حديد ، فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قصماً ، وبما رأيت الحديـــد مختـــلطاً بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ..... وفي أيام هؤلاء يقيم إله السماوات مملكة لن تـــنقرض أبداً ، ومَلِكها لايُترك لشعب آخر ، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك ،وهي تثبت إلى الأبد ، لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين ، فسحق الحديد والنحاس والخز ف والفضة والذهب . الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا . الحلم حق وتعبيره يقين " (دانيال ٢/٢١ – ٤٥) .

فالحـــلم كمـــا يظهر هو عن الممالك التي ستقوم بين يدي بني الملكوت، فأولها مملكة بابل التي يرأسها بختنصر ، والتي يرمز لها في الحلم بالرأس ،ثم مملكة فارس التي قامت أقامها خسرو وتسلط ملكها قورش على بـــابل ســـنة ٥٩٣ق.م، ورمز لها في المنام بالصدر والذراعين ،ثم تلتها مملكة مقدونية والتي قضت على مملكة الفرس ، وقادها الاسكندر المقدوني (٣٣٦ ق.م)، ويرمز لها في المنام بالبطن والفخذين من النحاس ، ثم تلتها امبراطورية الرومان والتي أسسها الامبرطور بوفبيوس (٦٣ ق.م)،ورمز لها في المنام بساقين من حديد وقدمين إحداهما من خزف وأخرى من حديد ، ولعله أراد دولتي فارس والروم أو انقسام الأمبراطورية الرومانية "

وفي أيـــام هؤلاء يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً " فقد جاء الحجر الذي رذله البناؤون وقد قطع بغير يدين إذ جاء من السماء ليقضى على الفرس والروم ، وأقام الملكوت الموعود في الدنيا قروناً طويلة ، و لم ينقطع بأس هذه الأمة إلا في هذا القرن الأخير .[1]

ولعـــل في هـــذه النبوءة ما يبشر بكون هذا الكسوف عرضاً زائلاً ما يلبث أن يزول فتشرق شمس أمة الإسلام من جديد .

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ٤/١١٦٦ – ١١٦٩ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ١/٣٢٧ – ٣٣٠ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باحي البغدادي ، ص ٦٥١ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ص ٢/٤٨ – ٥١ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ٧٧ – ٨٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٤٢١ – ٤٢٣ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ، عزية طه ، ص ٦٩ – ٧٠ .

وقريباً من رؤيا بختنصر رأى دانيال رؤيا فيها أربع حيوانات عظيمة " هي أربعة ملوك يقومون على الأرض . أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ، ويمتلكون المملكة إلى الأبد ، وإلى أبد الآبدين " (دانيال ٧/ ١٧ - ١٨) [١]

ويوافق النصارى على أن الممالك الأربعة هي البابلية ثم الفارسية ثم اليونانية ثم الرومانية ، ويرون الملكوت متحققاً في ظهور دين المسيح وتأسيس الكنيسة في يوم الخمسين عندما نزل الروح القدس على التلاميذ المجتمعين في أورشليم .

وهذا مردود إذ المسيح لم يأمر أتباعه بتأسيس الكنيسة ، بل كان يرى نفسه يهودياً يعبد الله في الهيكل وفق ناموس اليهود الذين بعث إليهم .

ثم إن المملكة الروحية التي أسسها الحواريون لا يمكن أن تكون الملكوت الموعود ، لأن دانيال يتحدث عن أربع ممالك حقيقية سحق آخرها ملك حقيقي لاروحي " وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفني كل هذه الممالك " (دانيال ٢/٤٤) وقال عن المملكة ونبيها " لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة " (دانيال ٧/١٤) ، وقد فهم التلاميذ من المسيح أن هذه المملكة زمنية لا روحية فسألوه وهم يظنون أنها على يديه : " هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل ؟ " (أعمال ١/٦) وقد اجتهد المسيح بإفهامهم أن مملكته روحية بينما المملكة القادمة مملكة حقيقية.

ثم أن مملكة التلاميذ لم تقهر الدولة الرومانية بل إن الرومان قهروا المسيحية بعد حين ،حين أدخلوا وثنياتهم فيها . أما المسلمون فهم الذين قضوا على الدولة الرومانية واقتلعوها من أرض فلسطين، ثم أضحت عاصمتها القسطنطينية عاصمة للإسلام دين الملكوت . وكيف للنصارى أن يقولوا بقهر الرومان وهم يزعمون أن المسيح صلب على أعواد صليب روماني .[٢]

المسيح يبشر بالفارقليط

وكما بشر الأنبياء بالنبي الخاتم فإن عيسى أيضاً بشر به بني إسرائيل وقد كانوا ينتظرون ظهوره .

وينفرد يوحنا في إنجيله بذكر بشارات متوالية من المسيح بهذا النبي المنتظر فيقول موصياً تلاميذه : " إن

---

(١) انظر : محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ٨٦ - ٩٤ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ص ٢/٥٥ - ٥٨ ، هل بشر المسيح بمحمد ، نبيل الفضل ، ص ١٨٢ - ١٨٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٦ - ٣٢٩ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٤٥١ - ٤٥٦ .

(٢) انظر : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ص ٢/٥٨ ، ٦١ - ٦٣ ، هل بشر المسيح بمحمد ، نبيل الفضل ، ص ١٨٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٤٢٩ - ٤٣١ .

كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ، ليمكث معكم إلى الأبد ، روح الحق الذي لايستطيع العالم أن يقبله، لأنه لايراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ، ويكون فيكم ... إن أحبني أحد يحفظ كلامي ، ويحبه أبي وإليه نأتي ، وعنده نصنع منـــزلاً .

الـــذي لايحـــبني لا يحفـــظ كلامي ، والكلام الذي تسمعونه ليس لي ، بل للآب الذي أرسلني ، بهذا كلمـــتكم وأنا عندكم ، وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب فهو يعلمكم كل شيء ،ويذكركم بكـــل ما قلته لكم .... قلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون ،لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً ، لأن رئيس هذا العالم يأتي ، وليس له فيّ شيء " (يوحنا ١٤/١٥ – ٣٠) .

وفي الإصـــحاح الـــذي يليه يعظ المسيح تلاميذه طالباً منهم حفظ وصاياه ثم يقول " متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب ،روح الحق الذي من عند الآب ينبثق ،فهو يشهد لي ، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي في الابتداء .

قد كلمتكم بهذا لكي لاتعثروا ، سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله .... قد ملأ الحزن قلوبكم ، لكني أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم .

ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي ، وأمـــا على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً ، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين . إن لي أمـــوراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك : روح الحق فهو يرشـــدكم إلى جميـــع الحـــق ، لأنـــه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم " (يوحنا ١٥/٢٦ – ١٦/١٤) .

وفي هذه النصوص يتحدث المسيح عن صفات الآتي بعده فمن هو هذا الآتي ؟

يجيـــب النصـــارى بأن الآتي هو روح القدس الذي نزل على التلاميذ يوم الخمسين ليعزيهم في فقدهم للســـيد المسيح ،وهناك " صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة ، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا " (أعمال ٢/١ – ٤) .

ولاتذكـــر أسفار العهد الجديد شيئاً – سوى ما سبق – عن هذا الذي حصل يوم الخمسين من قيامة المسيح .

يقـــول الأنـــبا أثناســـيوس في تفسيره لإنجيل يوحنا : " البارقليط هو روح الله القدوس نفسه المعزي، البارقليط : المعزي " الروح القدس الذي يرسله الأب باسمي " (يوحنا ١٤/٢٦) ،وهو الذي نزل عليهم يوم الخمســـين (أعمـــال ٢/١ – ٤) فامتلأوا به وخرجوا للتبشير ، وهو مع الكنيسة وفي المؤمنين ، وهو هبة

ملازمه للإيمان والعماد " .[1]

ويعـــتقد المســـلمون أن ما جاء في يوحنا عن المعزي إنما هو بشارة المسيح بنبينا صلى الله عليه وسلم وذلك يظهر من أمور

منها لفظة " المعزي " لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة للعهد الجديد فيما كانت التراجم العربية القديمة (١٨٢٠م ، ١٨٣١م ، ١٨٤٤م) تضع الكلمة اليونانية (الفارقليط) كما هي ، وهو ما تصنعه كثير من التراجم العالمية .

وفي تفسير كلمة " بارقليط " اليوناني ينقل رحمة الله الهندي عن قسيس هندي – لم يذكر اسمه – قوله : وهـــو يشخص الخلاف بين المسلمين والنصارى في معنى كلمة البارقليط " إن هذا اللفظ معرب من اللفظ اليوناني .

فإن قلنا : إن هذا اللفظ اليوناني الأصل : " باراكلي طوس " . فيكون بمعنى :المعزي والمعين والوكيل .

وإن قلنا : إن هذا اللفظ الأصل :" بيروكلوطوس " ، فيكون قريباً من معنى محمد وأحمد .

فمـــن استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصل : " بيركلوطوس " . ومعناه قريب مـــن معنى محمد وأحمد ، فادعي أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد .لكن الصحيح أنه : " باراكلي طوس " .

ويقـــول أسقف بني سويف الأنبا أثناسيوس في تفسيره لإنجيل يوحنا " إن لفظ بارقليط إذا حرف نطقه قليلاً يصير "بيركليت" ، ومعناه : الحمد أو الشكر ،وهو قريب من لفظ أحمد " .

ويســـأل عبد الوهاب النجار المستشرق الإيطالي كارلو نيلنو عن معنى كلمة " بيركلوطس " فيقول : " الذي له حمد كثير " .

ويرى عبد الأحد داود أن تفسير الكنيسة للفارقليط بأنه " شخص يدعى للمساعدة أو شفيع أو محام أو وســـيط " غـــير صـــحيح فإن كلمة فارقليط اليونانية لا تفيد أياً من هذه المعاني ، فالمعزي في اليونانية يدعى (باركـــالوف أو باريجوريس) ، والمحامي تعريب للفظة (سانجرس) ، وأما الوسيط أو الشفيع فتستعمل له لفظة " ميديتيا " ، وعليه فعزوف الكنيسة عن معنى الحمد إلى أي من هذه المعاني إنما هو نوع من التحريف .

ويـــرى ناسخ البحث الصريح بأن الترجمة الصحيحة هي : الداعي . وهو ما ينطبق على النبي ﷺ وقد وصفه الله ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ .[2]

---

(١) انظر : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ٢٨٣/٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٤٩٥ ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا ، والأناجيل الأربعة ، محمد عبد الرحمن عوض ، ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٤٥ – ٤٦ .

ومما سبق يتضح أن ثمة خلافاً بين المسلمين والنصارى في الأصل اليوناني لكلمة " بارقليط " حيث يعتقد المسلمون أن أصلها " بيركلوطوس " وأن ثمة تحريفاً قام به النصارى لإخفاء دلالة الكلمة على اسم النبي ﷺ أحمد : الذي له حمد كثير .

ومثل هذا التحريف لا يستغرب وقوعه في كتب القوم ، ففيها من الطوام مما يجعل تحريف كلمة " البيرقليط " من السهل الهين .

كما أن وقوع التصحيف والتغير في الأسماء كثير عند الترجمة بين اللغات وفي الطبعات ،فاسم " باراباس " في الترجمة البروتستانتية هو في نسخة الكاثوليك " بارابا " وكذا (المسيا ، ماشيح) و (شيلون ، شيلوه) وسوى ذلك . وكلمة " الفارقليط " مترجمة عن السريانية لغة المسيح الأصلية فلا يبعد أن يقع مثل هذا التحوير حين الترجمة،وقد نقل محقق إظهار الحق عن ابن هشام إبدال الفارقليط بلفظة:" المنحنى"، ومعناها : محمد .

ولجلاء التحريف في هذه الفقرة فإن أدوين جونس في كتابه " نشأة الديانة المسيحية " يعترف بأن معنى الفارقليط : محمد ، لكنه يطمس اعترافه بكذبة لاتنطلي على أهل العلم والتحقيق ، فيقول بأن المسيحيين أدخلوا هذا الاسم في إنجيل يوحنا جهلاً منهم بعد ظهور الإسلام وتأثرهم بالثقافة الدينية للمسلمين .[1]

وأياً كان المعنى للفارقليط : أحمد أو المعزي فإن الأوصاف والمقدمات التي ذكرها المسيح للفارقليط تمنع أن يكون المقصود به روح القدس ، وتؤكد أنه كائن بشري يعطيه الله النبوة . وذلك واضح من خلال التأمل في نصوص يوحنا عن الفارقليط .

فإن يوحنا استعمل في حديثه عن الفارقليط أفعالاً حسية (الكلام والسمع) في قوله " كل ما يسمع يتكلم به " وهذه الصفات لاتنطبق على الألسنة النارية التي هبت على التلاميذ يوم الخمسين .

وقد فهم أوائل النصارى قول يوحنا بأنه بشارة بكائن بشري ، وادعى منتنس في القرن الثاني أنه الفارقليط القادم ، ومثله صنع ماني في القرن الرابع فادعى أنه الفارقليط ، وتشبه بالمسيح فاختار اثنا عشر تلميذاً وسبعون أسقفاً أرسلهم إلى بلاد المشرق .

---

(١) انظر : تعليق " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " زيادة النصب الراسي ، لوحة رقم ٢٤أ ، محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ٢١٦ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص ١٣١ - ١٣٢ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ٩٢ ، محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٨ - ١٢١ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ٣٨ ، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ، عزية طه ، ص ٥١ - ٥٢ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ص ٢/٢٧٢ - ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، أحمد حجازي السقا، ص ٤٧ - ٤٨ ، الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٣٤٩ ، ٣٦٤ - ٣٦٥ ، هل بشر المسيح بمحمد ، نبيل الفضل ، ص ١٩٤ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٣٦٤ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ٢١٣ - ٢٢٠ .

وقـــد عـــثر في كنيسة فينالوسابيوس القيصري على وثيقة أطلقت لقب الفارقليط على شخص يدعى فيتوب أيب أجاتوس فأسمته : الباراكليتي . لأنه تبنى الدفاع عن الكنيسة وحامى عنها وعرض نفسه للهلاك . وعليه فاللفظة إنما يراد بها كائن بشري .[1]

ومن صفات الآتي أنه يجيء بعد ذهاب المسيح من الدنيا : " إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي .. " وروح القدس سابق في الوجود على المسيح ، وموجود في التلاميذ من قبل ذهاب المسيح فقد كان شاهداً عند خلق السماوات والأرض (انظر التكوين ٢/١) كما كان له دور في ولادة عيسى حيث أن أمه " وجدت حبلى مـــن الروح القدس " (متى ١٨/١)كما اجتمعا سوياً يوع تعميد المسيح،حين "نـــزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة " (لوقا ٢٢/٣) فالروح القدس موجود مع المسيح وقبله وأما المعزي " إن لم أنطلق لا يأتيكم " فهو ليس الروح القدس .

ثم إن الآتي عرضـــة للـــتكذيب من قبل اليهود والتلاميذ ، لذا فإن المسيح يكثر من الوصية بالإيمان به واتباعه فيقول لهم : " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي " ،ويقول " قلت لكم قبل أن يكون، حتى إذا كان تؤمنوا " ويؤكد على صدقه فيقول : " لايتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به " .

فكل هذه الوصاة لا معنى لها إن كان الآتي هو الروح القدس حيث نزل على شكل ألسنة نارية فكان أثرها في نفوسهم معرفتهم للغات مختلفة ، فمثل هذا لايحتاج إلى وصية للإيمان به والتأكيد على صدقه. كما أن الروح القدس أحد أطراف الثالوث ، وينبغي وفق عقيدة النصارى أن يكون التلاميذ مؤمنين به .

ودل نص يوحنا على تأخر زمن إتيان الفارقليط فقد قال المسيح لهم : " إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق " إذن فثمة أمور يخبر بها هذا النبي لا يستطيع التلاميذ إدراكها ،لأن البشرية لم تصل لحالة الرشد في فهم هذا الدين الكامل الذي يشمل مناحي الحياة المختلفة ، ومن غير المعقول أن تكون إدراكات التلاميذ قد اختلفت خلال عشـــرة أيام من صعود المسيح إلى السماء ، وليس في النصوص ما يدل على مثل هذا التغيير بل إن النصارى ينقـــلون عنهم أنهم بعد نزول الروح عليهم قد أسقطوا كثيراً من أحكام الشريعة وأحلوا المحرمات ، فسقوط الأحكـــام عـــندهم أهون من زيادة ما كان يحتملونها ويطيقونها زمن المسيح . فالفارقليط يأتي بشريعة ذات أحكـــام تثقل على المكلفين الضعفاء كما قال الله : ﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾ [2] كما أن المسيح أخبر أنه قبل أن يأتي الفارقليط " سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، خير الدين الألوسي ٢٨٦/١ - ٢٩١ ، محمد في الكتاب المقدس ، عبد الأحد داود ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ص ٢٧٦/٢ - ٢٧٨ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٥٧-٥٨ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص ١٣١ - ١٣٢ ، محاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل أحمد، ص ١٢٢ - ١٢٣ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ٣٧ ، دراسة نقدية تحليلية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد، ص ١٩٣ .

(٢) سورة المزمل ، آية : ٥ .

لله " وهذا الأمر إنما حصل بعد الخمسين ، واستمر الاضطهاد بأتباع المسيح حتى ندر الموحودون قبيل ظهور الإسلام .

وذكر يوحنا أن المسيح ذكر أوصافاً للفارقليط لم تتمثل بالروح القدس الحال على التلاميذ يوم الخمسين فهو شاهد تنضاف شهادته إلى شهادة التلاميذ في المسيح " فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً " فأين شهد الروح القدس للمسيح ؟ ، وبم شهد ؟ بينا نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد للمسيح بالبراءة من الكفر وإدعاء الألوهية والبنوة لله كما شهد ببراءة أمه فهذه هي الشهادة . وأخبر المسيح أن الفارقليط يمكث إلى الأبد أي دينه وشريعته بينا نجد أن ما أعطيه التلاميذ من قدرات يوم الخمسين – إن صح – اختفت بوفاتهم و لم ينقل مثله عن رجالات الكنيسة بعدهم . وأما رسولنا صلى الله عليه وسلم فيمكث إلى الأبد ، وإذ لانبي بعده ولا رسالة .

كما أن الفارقليط " يذكركم بكل ما قلته لكم " وليس من حاجة بعد رفعه بعشرة أيام إلى مثل هذا التذكير ، و لم ينقل العهد الجديد أن روح القدس ذكرهم بشيء ، بل إنا نجد كتاباتهم ورسائلهم فيها ما يدل على تقادم الزمن ونسيان الكاتب لبعض التفاصيل التي يذكرها غيره ، بينما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما غفلت عنه البشرية من أوامر الله التي أنزلها على أنبيائه ومنهم المسيح عليه السلام .

والفارقليط له مهمات لم يقم بها الروح القدس يوم الخمسين فهو " متى جاء ذاك يبكت العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة " و لم يوبخ الروح القدس أحداً من الخلق ، بل هذا هو صنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البشرية الكافرة .

ويرى السقا أن توبيخ البر والدينونة إنما يعني توبيخ العالم على تركه الإيمان بالبر الأبدي الذي أخبر عنه دانيال (انظر يوحنا ٢٤/٩) ، وقوله " على دينونة " أي أن نبي الإسلام سيوبخ العالم على عدم إيمانهم به وقد فضح وأدان الشيطان الرجيم وكشف لهم عن ألاعيبه وأساليبه .[1]

ويرى عبد الأحد داود أن التوبيخ على البر قد فسره المسيح بقوله بعده " وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولاترونني " ومعناه أنه سيوبخ القائلين بصلبه المنكرين لنجاته من كيد أعدائه .

وصفة التوبيخ لا تناسب من سمي بالمعزي وقيل بأنه جاء إلى التلاميذ يعزيهم بفقد سيدهم ونبيهم . فالعزاء إنما يكون في المصائب ،والمسيح كان يبشرهم بذهابه ومجيء الآتي بعده ، ثم إن العزاء إنما يكون حين

---

(١) انظر : إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ص ١١٩١/٤ – ١١٩٨ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، خير الدين الألوسي، ص ٢٧٧/١ – ٢٨٦ ، ٢٩١ ، الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي ، ص ٦٢٠ – ٦٢٦ ، محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ٢١١ – ٢٢٨ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ص ٢٨٦/٢ – ٢٩٥ ، الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزت الطهطاوي، ص ٣٦٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، علاء أبو بكر، ص ٤٩٦ – ٥٠٠ ، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، ص ١٥٠ – ١٥٧ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، عبد الودود شلبي، ص ١٥٣ – ١٥٤ ، هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل، ص ١٨٧ – ١٩٣ ، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد ٥٢ – ٦٠ .

المصيبة وبعدها بقليل ، وليس بعد عشرة أيام (موعد نزول الروح القدس على التلاميذ) ثم لم يقدم المعزي القادم العزاء لأم المسيح ،فقد كانت أولى به، ثم لا يجوز للنصارى أن يعتبروا قتل المسيح على صليب مصيبة ،إذ هو برأيهم سبب الخلاص والسعادة الأبدية للبشرية ، فوقوعه فرحة ما بعدها فرحة ، وإصرار النصارى على أن التلاميذ احتاجوا لعزاء الروح القدس يبطل عقيدة الفداء والخلاص .

ومن استعراض ما سبق ثبت بأن روح القدس ليس هو الفارقليط ، فكل صفات الفارقليط صفات لنبي يأتي بعد عيسى ، وهو النبي الذي بشر به موسى عليه السلام فالفارقليط " لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به " وكذا الذي بشر به موسى " أجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به " وهو وصف النبي ﷺ كما قال الله ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى ﴾[1] بل كل ما ذكر عن الفارقليط له شواهد في القرآن والسنة تقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو صاحب هذه النبوءة ،إذ هو الشاهد وهو المخبر بالغيوب الذي لانبي بعده ، وقد ارتضى الله دينه إلى قيام الساعة ديناً ..[2]

ويثير القس فندر في وجه علمائنا أسئلة يراها تمنع من صرف البارقليط إلى النبي محمد ﷺ .

أولها : أنه ورد في البارقليط أنه روح الحق ثلاث مرات ، وفي مرة رابعة ورد أنه روح القدس [3] وهي كما يقول القس فندر ألفاظ مترادفة تدل على الروح القدس . ورحمة الله الهندي يسلم بترادف هذه الألفاظ ويمنع أن يراد بإطلاقها الأقنوم الثالث الذي تدعيه النصارى ، فلروح الله معاني مختلفة – سبق بيانها – .

ومن معاني الروح القدس أو روح الله أو روح الحق " الواعظ الحق – هو وصف يصدق على النبي ﷺ فقد قال يوحنا " أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله ؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم ، فبهذا تعرفون روح الله : كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله .... ، نحن من الله ، فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا ، من هذا نعرف روح الحق و روح الضلال " (يوحنا (١) ٤/١ – ٦) .

ورسولنا هو روح الحق بدليل قول يوحنا ، لأنه يعترف بالمسيح أنه رسول من عند الله ، وأنه جسد ، وأنه من الله كما سائر الناس هم من الله أي الله خلقهم .

ثانيها : أن الخطاب في إنجيل يوحنا توجه للحواريين كما في قوله " يعلمكم " و " أرسله إليكم " ....

---

(١) سورة النجم ، آية : ٣ – ٥ .

(٢) انظر :ذيل الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي ، ص ٧٤٢-٧٤٣ ، محمد في الكتاب المقدس ، عبد الأحد داود، ص ٢٢٥-٢٢٩ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ٩٣ – ٩٥ ، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد ٧٢ ، محاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل أحمد، ص ١٢٦ – ١٣١ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا، ص ٢/٢٩٥ – ٢٩٩ .

(٣) يذكر بوكاي ومحمد عبد الحليم أبو السعد أن النص في المخطوطة السينائية ليس فيه ذكر الروح القدس . التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص ١٣٢ ، دراسة نقدية تحليلية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد، ص ١٩٢ .

وعليه فينبغي أن يوجد الفارقليط في زمنهم .

ويمـــنع رحمة الله الهندي هذا الفهم ، بل المراد :النصارى بعدهم . وأقامهم المسيح مقام التلاميذ ،وهو أمر معهود في أسفار العهد الجديد ،فقد جاء في متى في خطاب رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع " أقول لكم : مـــن الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة ، وآتياً على سحاب السماء " (متى ٢٦/٦٤) ، وقد مات المخاطبون وفنوا ، و لم يروه آتياً على سحاب السماء .

ثالـــثها :أن الفارقـــليط لا يـــراه العـــالم ولا يعرفه فقد جاء "لا يستطيع العالم أن يقبله ،لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ، ويكون فيكم" بينما محمد ﷺ قد عرفه الناس ورأوه .

ويـــرد رحمة الله الهندي بأن هذا ليس بشيء ، لأن روح القدس عندهم هو الله أو روح الله ، والعالم يعرف ربه أكثر من معرفته بمحمد فهي لاتصدق على تأويلهم بحال .

ويـــرى رحمة الله الهندي أن المقصود هو أن العالم لايعرفون هذا النبي المعرفة الحقيقية (أي نبوته) أما أنتم فتعرفونه ، وأما سائر الناس فهم كما قال المسيح " لأنهم مبصرين لايبصرون ، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون " (متى ١٣/١٣) فليس المقصود الرؤية البصرية والمعرفة الحسية . ومثله ما جاء في (متى ٢١/٢٧) و (يوحنا ٨/١٩) ومثله في الأناجيل كثير .

رابعها : جاء في وصف البارقليط أنه " مقيم عندكم وثابت فيكم " فدل على وجوده مع الحواريين ، ولا يصدق هذا على محمد صلى الله عليه وسلم .

ويـــرى رحمة الله الهندي أن النص في تراجم وطبعات أخرى يكون " مستقر معكم وسيكون فيكم " وفي غيرها " ماكث معكم ويكون فيكم " .

والمعنى في ذلك كله الاستقبال وليس الآنية، بمعنى أنه سيقيم عندكم أو يمكث عندكم . ذلك أن النص دل عـــلى ذلك ،فهو يقول بعدم وجوده بينهم ذلك الوقت " قد قلت لكم قبل أن يكون ،حتى متى إذا كان تؤمنوا " و " إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط " .

ومـــثله أخبر حزقيال عن خروج يأجوج ومأجوج بصيغة الحاضر وهم لم يخرجوا بعد فقال : " ها هو قد جاء وصار يقول الرب هذا هو اليوم الذي قلت عنه " (حزقيال ٣٩/٨) ومثله في (يوحنا ٥/٢٥) .

خامســـها : جاء في كتاب الأعمال : " وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لايبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الأب الذي سمعتموه مني ، لأن يوحنا عمد الماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير " . (أعمال ١/٤ – ٥) ويرى فندر أن هذا " يدل على أن فارقليط هو الروح النازل يوم الدار ، لأن المراد بموعد الآب هو فارقليط " .

وفي رده يبين رحمة الله الهندي أن ما جاء في الأعمال وعد آخر لا علاقة له بالفارقليط الذي تحدث عنه يوحنا فحسب، فقد وعدوا بمجيء الروح القدس في وعد آخر، وتحقق الموعود بما ذكر لوقا في الأعمال . أما

ماذكره يوحنا عن مجيء الفارقليط فلا صلة له بهذه المسألة .[1]

وبذلك فإن علمائنا يرون في الفارقليط النبوءة التي ذكرها القرآن الكريم ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾[2]

البشارة بإيليّا

ومن الأسماء التي رمز الكتاب المقدس بها إلى النبي ﷺ " إيليّا " وهي وفق حساب الجمل تساوي ٥٣ ، وهو ما تساويه كلمة أحمد .

وقد أرسل الله عز وجل النبي إيليّا (إلياس) إلى بني إسرائيل ، وكان ذلك في القرن التاسع قبل الميلاد .

وفي آخر أسفار التوراة العبرانية يتحدث النبي ملاخي في سفره القصير عن عصيان بني إسرائيل وعن إيليّا القادم الجديد ، وهو غير إلياس الذي كان قد توفي منذ سبعة قرون ، فيقول ملاخي بأن الله يقول : " هأنذا أرسل ملاكي ، فيهيء الطريق أمامي ، ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه ، وملاك العهد الذي تسرون به هو ذا يأتي قال رب الجنود .

من يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره ، لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار ... (ملاخي ٣/١ - ٢) .

ففي هذا النص يتحدث ملاخي عن اثنين أحدهما الذي يهيء الطريق أمام القادم من عند الرب .

والثاني هو الذي يأتي بغتة إلى الهيكل ويسميه : السيد ، وملاك العهد . وهو الذي يطلبه بنو إسرائيل وينتظرونه .

وفي آخر سفره يقول ملاخي وحديثه مازال متصلاً عن هذا القادم وعن تبديل بني إسرائيل وكفرهم فيقول " اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام . هأنذا أرسل إليكم إيليّا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف ، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن " (ملاخي ٤/٤ - ٥) وهنا يسمي ملاخي النبي القادم إيليّا بعد أن ذكرهم بوصية موسى على جبل حوريب والتي ذكر فيها موسى النبي القادم مثله من بين إخوة بني

---

(١) انظر : إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ص ١١٩٨/٤ - ١٢٠٤ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، خير الدين الألوسي، ص ٣١٠/١ - ٣١٥ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي ، ص ٧٠٨ ، محاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل أحمد، ص ١٢٥ ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص ١٣١ - ١٣٣ ، مناظرتان في استكهولم، أحمد ديدات، ص ٨٠ -٨١ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة، محمد علي الخولي، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) سورة الصف ، أية : ٦ .

إســـرائيل ،قال المفسر صاحب " تحفة الجيل ":" إن إيليّاء الرسول المذكور في آخر سفر ملاخي هو ملغوز ، وهذا هو حبر العالم الذي يأتي في آخر الزمان " .

ويـــرى النصارى أن النبي الذي يمهد الطريق هو يوحنا المعمدان المسمى بإيليّا في النص يقول مرقس : " كمـــا هو مكتوب في الأنبياء ها أنا أرسل ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك .. كان يوحنا المعمدان يعمد في البرية ... وكان يكرز قائلاً : يأتي بعدي من أقوى مني الذي لست أهلاً أن انحني وأحل سيور حذائه ، أنا عمدتكم بالماء ، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس ، وفي تلك الأيام جاء يسوع .. " (مرقس ١/٢ - ٩) فالممهد للطريق هو يوحنا ، والممهد له هو عيسى عليهما السلام ، ويعتبرون الأول إيليّا لقول متى على لسان المســـيح في سياق حديثه عن يوحنا : " ماذا خرجتم لتنظروا . أنبياً ؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي ،فإن هذا هـــو الذي كتب عنه : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك . الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه .،. لأن جميـــع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبئوا . وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليّا المزمع أن يأتي ، من له أذنان للسمع فليسمع " (متى ١١/٩ - ١٥) .

ويذكر متى أيضاً بأن المسيح قال " إن إيليّا يأتي أولاً ويرد كل شيء ،ولكني أقول لكم إن إيليّا قد جاء و لم يعرفوه ... حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان " (متى ١٧/١٠ - ١٣) .

وهكذا فالمبشِر يوحنا (إيليّا) ، والمبشر به هو المسيح .

وقـــبل أن نـــلج لفهـــم حقيقة هذه النبوءة نرى لزاماً أن ننبه ببعض ما تعرضت له هذه النصوص من تحـــريف ، ففي ملاخي " ملاك العهد " وهو في الترجمات القديمة "رسول الختان" وفي الترجمة الحديثة "أرسل ملاكـــي" ، وفي القديمة " أرسل رسولي " في بعض الطبعات " يأتي السيد " وفي بعضها " الولي " وفي أخرى " إيليّا " . وفي نصوص الأناجيل تحريف للاقتباس من ملاخي الذي استعمل ضمير المتكلم " الطريق أمامي " ، وفي الأناجيل أصبح الضمير راجعاً على المسيح " يهيئ طريقك قدامك " .[1]

فهـــل المسيح هو الذي بشر به يوحنا بقوله : " أنا أعمدكم بماء التوبة ، ولكن الذي يأتي بعدي هـــو أقوى مني [2] الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه ، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ، ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لاتطفأ ، حينئذٍ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحـــنا ليعتمد منه " (متى ٣/١١ - ١٣) وأما رأي علماء الإسلام فهو يتلخص في أن المعمدان وعيســـى صـــاحبا دعـــوة واحدة ،أي كلاهما بعث مبشراً بالنبي الخاتم ،فهما المبشِران بالنبي الخاتم المسمى بإيـــليّا ، والـــذي أسماه متى بالملكوت، وهو أيضاً الأصغر في ملكوت السماوات ، وهو الذي يعمد بالروح

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي ، ص ٦٣٤ ، محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ١١٧ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ٢٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، علاء أبو بكر، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٢) وفي إنجيل يوحنا " الذي يأتي بعدي صار قدامي الذي لست بمستحق أني أحل سيور ..... " (يوحنا ٢٧/١) .

والنار .

وبداية فإن يوحنا المعمدان ليس بإيليّا فقد نفى هو ذلك عن نفسه لما جاءه رسل اليهود من الكهنة واللاويين " ليسألوه من أنت ؟ فاعترف و لم ينكر ، وأقر : إني لست أنا المسيح .

فسألوه إذا ماذا ؟ إيليّا أنت ؟ فقال : لست أنا . النبي أنت ؟ فأجاب : لا " (يوحنا ١٩/١ - ٢١) فهذا نص صريح ينكر فيه يوحنا أنه إيليّا أو أنه المسيح المنتظر أو النبي القادم ، ويلزم منه تكذيب المسيح في قوله بأن إيليّا قد جاء أو تكذيب إيليّا أو القول بأن التلاميذ لم يفهموا كلام المسيح ، وقد أخطأ متى حين قال : " حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان " . ثم إن صفات إيليّا لا تنطبق على المعمدان ، لأنه يأتي بعد المسيح فقد قال المسيح عنه " إيليّا المزمع أن يأتي " والمسيح والمعمدان متعاصران .

وعند ما يأتي إيليّا فإنه " يرد كل شيء " و " فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم " ومثل هذا لم ينقل عن المعمدان الذي عاش في الصحراء طعامه الجراد والعسل ولباسه وبر الإبل ، وغاية ما صنعه تعميد من جاءه تائباً (انظر متى ١/٣ - ٥) .

فإيليّا ليس المعمدان بل هو النبي القادم .

وقد كان المسيح والمعمدان نبيان يمهدان الطريق بالبشارة بهذا النبي ، ولا يمكن التسليم بأن المعمدان كان تمهيداً للمسيح إذا كيف يقال ذلك والمعمدان قبيل مقتله - حسب الأناجيل - لا يعرف حقيقة المسيح ويرسل تلاميذه ليسألوا المسيح " أنت هو الآتي أم ننتظر غيرك " (متى ٣/١١) .

فكيف يقال بأنه أرسل بين يديه وهو لم يعرف حقيقته ؟ ثم ماذا صنع يوحنا بين يدي مقدم المسيح ؟ هل صنع شيئاً يتعلق بالمهمة التي تزعمها الأناجيل له ؟ إذ لم يرد عنه سوى البشارة بالملكوت كما بشر به المسيح بعده (انظر متى ١/٣) كما كان يعمد الذين يأتونه معترفين بخطاياهم . (انظر متى ٦/٣) ، وهذا الذي صنعه المسيح أيضاً ، وهو ما يؤكد أن دعوتهما واحدة ألا وهي البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ثم إن المعمدان وصف النبي القادم بعده بصفات لا تنطبق على المسيح فقد قال بأنه " أقوى مني " ، وليس في دعوة المسيح أو حياته الشخصية ما يشير إلى هذه القوة ، فكلاهما لم يبعث بشرع جديد كما لم يملك على قومه ، و لم يكن لأي منهما نفوذ أو سلطان ، بل تزعم النصارى باطلاً أن كلاً منهما مات مقتولاً فأين القوة التي ذكرها المعمدان ؟

وذكر المعمدان أن الآتي بعده يعمد بالروح والنار أي يملك سلطان الدين والدنيا لتغيير المنكر والحفز على التوبة ، فهو لايتوقف عن حدود الطهارة الظاهرية للجسد بالاغتسال بالماء بل يهتم بطهارة الباطن ، ووسيلته ما يأتي به روح القدس (جبريل) من وحي وبلاغ وبيان كما قام بتطهير كثير من الأرض من الوثنية بالنار ، ومثل هذه المعمودية لم يفعلها المسيح الذي عمد تلاميذه بالماء ، فلم تختلف معموديته عن المعمدان في شيء (انظر يوحنا ٢٢/٣ - ٢٣) . كما لم يكن المسيح له " رفشه في يده ،وسينقي بيدره ،ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ " وهذه كناية يفسرها الدكتور وليم أدي بقوله : " كناية عن نهاية العمل كله ، ويمكن أن يكون القصد من هذا التشبيه : الإشارة إلى تأديب الله للناس

وقصاصـــه لهم في هذه الحياة " ، بل هو كناية أبعد من ذلك إذ تبين سلطانه الذي ينقي الأصل الذي أنـــزله الله عـــلى أنبيائه مما علق فيه ،فيحذف الترهات الدخيلة ويزيفها ، وعليه فالآتي المبشر به هو محمد صلى الله عليه وسلم المرموز له بحسب حساب الجمّل عند اليهود بإيليّا ، وهو فقط الذي أتي إلى أرض القدس والهيكل بغتة يوم أسري به ، بينما نشأ المسيح ويوحنا في ربوع الهيكل ، وهو الذي سمته بعض الطبعات برسول الختان إذ كان قد دعى إليه ونبه إلى أنه من سنن الهدى .

ويـــرى عـــبد الأحد داود في نص متى (١١/١١ - ١٥) دلالة وبشارة أخرى بالنبي الخاتم إذ يقول المســـيح : " الحق الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر في مـــلكوت السماوات أعظم منه .. لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا ، وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليّا المزمع أن يأتي ، من له أذنان للسمع فليسمع " (متى ١١/١١ - ١٥) .

فمـــن هـــو هذا الأصغر سوى رسول الله الذي صغر بتأخره في الزمان عن سائر الأنبياء ، لكنه فاقهم جميعاً باكتمال رسالته ورضى الله بدينه .فإذا لم يكن محمداً ﷺ فمن ذا يكون ؟ إذ لايمكن لنصراني أن يدعي بـــأن عيسى هو آخر الرسل والأنبياء لإيمانهم برسالة تلاميذه بل وغيرهم كبولس، كما لم تكمل رسالته عليه الســـلام بدليل التعديل والنسخ الذي أجراه الحواريون عليها في المجمع الأورشليمي الأول بزعم التيسير على المتنصرين ، فأبطلوا الختان ،وأحلوا بعض محرمات التوراة .

وعليه فلا تصدق على المسيح كلمة " الأصغر " لأنه ليس الأقل ولا الآخر .

ثم إن هذا الأصغر إنما يأتي في ملكوت السماوات التي لم تكن قد قامت يومذاك وهو مزمع أن يأتي ولما يأت بعد ، إنه محمد ﷺ . (١)

وهكـــذا رأيـــنا الأنبياء يبشرون بالنبي الخاتم نبياً تلو نبي . يبشرون بالنبي الذي أخذ عليهم الميثاق بأن يؤمـــنوا بـــه إن جاء وينصرونه ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصـــدق لمـــا معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ (٢)

وقام الأنبياء ببلاغ أقوامهم خبر هذا النبي " جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا وإن أردتم أن تقبلوا فهـــذا هو إيليّاء المزمع أن يأتي " ، وحفظ لنا الكتاب المقدس بعضاً من هذه البشارات فهو النبي الذي يحقق وعـــد الله لإبراهيم وزوجه هاجر بالبركة في ابنها إسماعيل ، وهو له " له خضوب شعوب " وهو النبي الذي مـــاثل موسى وبشر به قومه بني إسرائيل ، وهو النبي الذي تتلألأ نبوته عند جبال فاران وينتمي إلى أمة تقوم بأمر ملكوت الله الذي سيترع من بني إسرائيل " ويعطى لأمة تعمل أثماره " وذلك لأنهم " أغاروني بغير إله ،

---

(١) انظر : محمد في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص ١٧٨ - ١٨٢ ، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل ، أحمد حجازي السقا ، ٣٦٠/٢ ، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، ص ٣٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٨١ .

وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة ، وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب ، وبشعب جاهل أغضبهم " وهكذا انتقلت النبوة والإصطفاء إلى أمة العرب المرذولة " الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية " .

وذكرت النصوص الإنجيلية والتوراتية اسم النبي وصفاته فقد سماه المسيح " الفارقليط " وهو بمعنى أحمد ووعدت به الملائكة " وعلى الأرض الإسلام ، وللناس أحمد " (حسب ترجمة عبد الأحد داود) .

وتحدثت عن أرض هجرته " وحي من جهة بلاد العرب ، في الوعر من بلاد العرب " ودعت لنصرته ومواساته " يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه " .

وتحدثت النصوص عن انتصار هذا النبي وأن دينه سيبلغ ما بلغ الليل والنهار فهو الذي " يده على كل واحد " و " له يكون خضوع شعوب " و " شعوب تحتك يسقطون " و " الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً يدين بين الأمم ملأ جثثاً ، أرضاً واسعة سحق رؤوسها " " لايكل ولاينكسر حتى يضع الحق في الأرض " وهو الغضب الآتي على الكفرة ومنهم اليهود الذين حذرهم يوحنا فقال " ياأولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ... سيعمدكم بالروح القدس ونار ، الذي رفشه في يده ، وسينقي بيدره ، ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لاتطفأ " و " من سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه " .

وذكرت النبوات أيضاً بأن هذا القادم هو آخر الأنبياء وأن سلطانه أي شريعته يمتد إلى الأبد " يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً ... وهي تثبت إلى الأبد " " أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ، ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين " وكما قال صلى الله عليه وسلم " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون " وفي رواية مسلم : " حتى تقوم الساعة " [1] فهو الذي بشر المسيح بدولته حين قال " فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد " .

ورسالة هذا النبي ليست خاصة بالعرب أو بني إسرائيل بل هي عامة لكل الشعوب فهو " يبكت العالم على خطية " " له يكون خضوع شعوب " " يأتي مشتهى كل الأمم " " لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة " وهو النبي الأمي الذي حدثت عن التوراة والإنجيل " وأجعل كلامي في فمه " " أو يدفع الكتاب لمن لايعرف القراءة فيقال له : اقرأ . فيقول ، لا أعرف الكتابة " .

وهو الذي لاينطق عن الهوى " لايتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به " " فيكلمهم بكل ما أوصيه به " .

وهو صاحب شريعة مثل موسى " تنتظر الجزائر شريعته " " وعن يمينه نار شريعة لهم " وشريعته شاملة لكل مناحي الحياة فهو " يعلمكم كل شيء " و " ويرشدكم إلى جميع الحق " وبمجيئه تنسخ شريعة موسى .. " لايزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي " .

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : قول النبي لاتزال طائفة برقم ٦٨٨١ رواه مسلم برقم : ١٩٢٣ في ١٥٢٤/٣ والترمذي برقم ٢١٩٢ في ٤٨٥/٤ ، أحمد في المسند ٤٣٦/٣ .

وهو أعظم العالمين فلئن كانت النساء لم تلد مثل يوحنا المعمدان فإن " الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه " ﷺ .

وقد صدق كريستوفر ديفيز أستاذ علم مقارنة الأديان حين قال : " إن كل هذه النبوءات بمعانيها وأوصافها لا تنطبق إلا على النبي العربي محمد " [1] ﷺ .

(١) انظر : حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، عبد الودود شلبي، ص ١٥٦ .

الفصل السادس:

شبهات النصارى
حول الإسلام

تمهيد.

كشـــف علماؤنا بجهودهم المباركة حقيقة النصرانية المحرفة ، و أبانوا عن زيغها و تحريف كتبها ، و امـــتدت عقيـــدة الإسلام في البيئات النصرانية ، و سرت فيها سريان الهشيم في النار ، و ما يزال الإسلام يتقدم إلى قلاع النصرانية الحصينة يدق أبوابها بنوره العظيم.

و لمواجهـــة الشـــمس الساطعة اجتهد الغرب النصراني في بناء أسوار من الكذب و البهتان يريد من خلالها أن يحجب الضياء ، بل و اجتهد النصارى في إضلال عوام المسلمين بإثارة الشبهات حول هذا الدين ، و لتصور عظم هذا الخطب ينقل ديدات عن ادوارد سيد في مقال له في مجلة " تايم " في إبريل ١٩٧٩م قوله: " إن أكـــثر مـــن ستين ألفاً من الكتب ألفت ضد الإسلام بواسطة المسيحيين الغربيين"[1] ، فكم ألف بواسطة الشرقيين!!

و لا ريب أن جهود علمائنا إزاء هذا الطوفان من الإضلال و التضليل مباركة مشكورة، غير أننا بحق نحتاج إلى المزيد من الدراسة و البحث الذان يتناسبان و شراسة الهجمة و أهمية الموضوع.

و قد كانت الموضوعات التي ركزت عليها الدراسات النصرانية كالتالي:

١-التشكيك في مصدرية الإسلام.

٢-الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم.

٣-الطعن في القرآن الكريم.

٤-الطعن في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

٥-الطعن في تاريخ الإسلام على مر العصور.

٦-الزعم بأن القرآن قد حوى في دفتيه ما يؤيد المعتقدات و الكتب النصرانية.

و في جهدنا المتواضع نعرض نماذج من جهود علمائنا في الكتب التي اختصت بمقارعة النصرانية بعيداً عـــن تـــلك الجهود المباركة التي وضعت للرد على الدراسات الاستشراقية التي يقوم بها اليهود وغيرهم من علمانيي الغرب.وملاحدته.

و الذي يدعونا إلى هذا ضيق هذه الدراسة عن مثل هذا الموضوع الكبير.

---

(١) خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس ، أحمد ديدات ، ص٢٠.

المطلب الأول: منهج النصارى في شبهاتهم عن الإسلام

و قبل أن نلج في عرض نماذج للشبهات التي أثارها النصارى على عقائد الإسلام المختلفة نقف على بعض ملامح المنهج الذي اختطه النصارى في إثارة الشبهات حول الإسلام ، فقد شاب فهمهم للإسلام الكثير من الغبش ، وكانت فكرتهم عن الإسلام خليط من ذلك الغبش و الحقد الذي تكنه صدورهم للحق الذي سطع فحجب الضلال بضيائه وحجته.

وأهم مايذكر هنا هو الكذب والتحريف والمغالطة من النصارى الذين تصدوا لنقد الإسلام ودراسته.

الكذب و التلاعب في النصوص

مارس النصارى الكذب في نقدهم لهذا الدين ، و من ذلك قول وهيب خليل في كتابه " استحالة تحريف الكتاب المقدس " في سياق حديثه عن معجزات المسيح المذكورة في القرآن، فيقول: "و إن كان بعض المفسرين يحاولون أن يقللوا من شأن السيد المسيح في المقدرة قائلين : إنه يصنع هذا بأمر الله ، فنجد أن الإسلام يشهد بأن هذه المقدرة هي لله فقط ". و من المعلوم عند كل مسلم أو مطلع على القرآن الكريم أن الذي أحال معجزات المسيح إلى قدرة الله و إذنه هو القرآن الكريم و ليس مفسروه[1].

و من الكذب أيضاً ما قاله صاحب كتاب "الحق" حين زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات انتظر المسلمون قيامه كما قام المسيح، فلما لم يقم ارتد المسلمون عن الإسلام"[2].

و من المعلوم أن القرآن صرح بمثلية رسول الله لسائر البشر في خاصية الموت، و قد صرح القرآن بموته، و لم يرد شيء فيه أو عن رسولنا يفيد قيامته صلى الله عليه وسلم من الموت ، و قد روي عن عمر أنه قال مثل هذا القول لحظة ذهوله عند فاجعته برسول الله صلى الله عليه وسلم و سرعان ما أفاق منه.

و أما حركة الردة فقد بدأت إبان حياته صلى الله عليه وسلم بظهور الأسود العنسي ،و فشت بعد وفاته، و لم يكن من دواعيها مثل هذا القول الذي ذكره النصراني.

و من الكذب أيضاً قول القس شروش و هو عربي فلسطيني في مناظرته لديدات أمام جمهور من الأعاجم الذين لا يعرفون العربية، فيقول مكذباً القرآن في عربيته: " لكن محمداً استعمل كثيراً من الكلمات و الجمل الأجنبية في القرآن ، و هذا يترك كثيراً من التساؤل عند الناس إن كانت لغة الله غير كافية بحيث تحتاج إلى عدة لغات أخرى... في كتاب ادعي أن الله أوحاه بالعربية"[3]، و بالطبع لا يوجد في القرآن جملة غير عربية ، فقد نزل بلسان عربي مبين .

و من الكذب أيضاً قوله:"المسلمون غير العرب يشعرون بأنهم مجبرون أن يحفظوا على الأقل أربعين سورة من القرآن بالعربية مع أنهم لا يتكلمونها و لا يتخاطبونها "[4]و أي من العلماء ~~لم يوجب~~ أوجب مثل هذا ؟

---

(١) انظر: الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٤٩.

(٢) انظر: هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٣٦.

(٣) القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١١٥-١١٦.

(٤) القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص١١٥.

و مـــن الكذب أيضاً قول صاحب كتاب "الحق" النصراني بأن رسول الله ما كان يدري من الذبيح إسمـــاعيل أم إسحاق لذلك قال :" أنا ابن الذبيحين" [1]و أراد إسماعيل و إسحاق ، و يرد ابن الخطيب بذكر آيات سورة الصافات و التي ذكرت قصة الذبيح في سياق حديثها عن إسماعيل ، ثم اتبعت ذلك بالحديث عن إسحاق و بشارة الله لإبراهيم به ، و أما الحديث – لو سلمنا بصحته لصحة معناه – فلا خلاف في أن مراد الـــنبي صـــلى الله عليه وسلم أنه ابن الذبيحين: عبد الله أبوه و إسماعيل ، و قصة نجاة أبيه من الذبح مبسوطة في كتب التواريخ[2].

تحريف النصوص

و يـــلجأ النصـــارى أيضـــاً إلى تحريف ألفاظ النصوص الإسلامية ، و من ذلك قول القس شروش لمســـتمعيه الإنجـــليز:"أنتم معشر المسلمين تعتقدون أن المسيح ما زال على قيد الحياة " .يقول ديدات : نعم. فـــأكمل القـــس شـــروش " لكنـــنا إذا قارنا هذا بما جاء في القرآن فإننا سنجد تناقضاً ، فإن القرآن يقول ﴿ و الســـلام عـــلي يـــوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حياً ﴾ [3] قرأها في العربية صحيحة ، ثم ترجمها : "و ســـلام عـــلي يـــوم ولـــدت و يوم مت و يوم أبعث حياً "[4]فحول الأفعال المضارعة و التي يراد منها المســـتقبل إلى أفعال ماضية مستغلاً جهل مستمعيه بلغة العرب، و ظن أن حيلته و كذبه ينطلي على العلامة الأعجمي ديدات.

و مـــن الـــتحريف الذي مارسه النصارى تحريف المعاني.و من ذلك الخلط الذي وقعوا به و نسبوه للقرآن الكريم، فقد زعموا أن قوله تعالى في قصة موسى ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان ﴾يتحدث عن الطوفان الذي وقع زمن نوح، فهو بذلك يخلط بين حديثين متباعدين في الزمان.

و القـــرآن قد فصل في الحديث عن طوفان نوح، و أشارك إلى الهلاك الذي أحدثه فيما ذكر طوفاناً صغيراً كان أحد ما عذب به الذين كفروا بموسى عليه السلام[5].

و كمـــا ذكـــر القـــرآن طوفان نوح العظيم و طوفان موسى بمصر، كذا ذكرت التوراة الطوفانين، فطوفان نوح تحدث عنه سفر التكوين (انظر ٧/١٠-٢٤)ثم تحدثت عن طوفان آخر أصاب مصر انتقاماً من فرعون الذي لم يؤمن بموسى، و لم يطلق بني إسرائيل، فقد قال موسى لفرعون:" أنت معاند بعد لشعبي حتى لا تطـــلقه. هـــا أنا غداً مثل الآن أمطر برداً عظيماً لم يكن مثله في مصر" فنزل المطر و البرد ، فوعد فرعون

---

(١) قال ابن حجر : لم نجده بهذا اللفظ ،وقد جاء ذكر ه على ألسنة كثير من أهل العلم كما ذكر الحاكم ،ولم يذكر له إسناداً ،كما جاء في رواية للحاكم صحيحة في المستدرك أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له " يابن الذبيحين " .انظر مستدرك الحاكم ٦٠٤/٢، برقم :٦٠٩/٤٠٣٦،٢ ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس ،العجلوني ،١ /١٩٩ .

(٢) انظر: هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٤٣-٤٤ .

(٣) سورة مريم ، آية :٣٣ .

(٤) القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ٤٥.

(٥) انظر: أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣٣٢ .

موسى بإطلاق شعب بني إسرائيل" لكن فرعون لما رأى أن المطر و البرد و الرعود ،و قد انقطعت عاد يخطئ و أغاظ قلبه هو و عبيده..."(الخروج ٩/١٧-٣٤).

و من التحريف أيضاً ما قاله الحداد الخوري في تعقيبه على قوله تعالى ﴿ و من قبله كتاب موسى إماماً و رحمة ﴾ [١] ، فيقول الحداد:" إن محمد يصرح نهائياً بما لا يقبل الشك بأن إمام القرآن هو كتاب موسى" ، و الآية إنما تتحدث عن التوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى فكانت لقومه إماماً و رحمة كما وصفت في آيات أخر بأنها هدى و نور ، و ليس في النص صريحاً –كما زعم الحداد– أن التوراة إمام للقرآن[٢].

و يتحدث كتاب " الاستحالة " عن قضية صلب المسيح فيقول:" أما النص الوارد في سورة النساء ، و الذي قد يبدو فيه معنى إنكار المسيح و موته حيث جاء ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم ﴾ [٣]فإن هذه الكلمات التي يراها البعض ضد الإيمان المسيحي بالصلب هي في الواقع دليل على الصلب ، و لكنها تكذيب لليهود في قولهم ﴿ إنا قتلنا المسيح ﴾ لأن اليهود لم يقتلوه و لم يصلبوه، لأنهم لم يكونوا أصحاب السلطة و الحكم أيام ظهور السيد المسيح بالجسد ، و إنما كانت السلطة بيد الرومان ، لذلك فالرومان هم الذين نفذوا الحكم بصلب السيد المسيح ، و قد خيل لليهود ، و شبه لهم بأنهم قتلوا السيد المسيح و صلبوه، لأنهم كانوا أصحاب شكاية ، فعندما أجيبت شكواهم تخيلوا بذلك " .[٤]

و هذا الإغراب في التفسير لم ينقل عن أحد من مفسري القرآن و لو على وجه ضعيف ، و هل يعقل ألا ينسب القتل لليهود إلا إذا قاموا بأنفسهم بمباشرة القتل ، و أما ذهابهم في جمع من الشيوخ و رؤساء الكهنة للقبض على المسيح ، ثم محاكمته و الحكم عليه بالموت و دفعه للحاكم الروماني لينفذ الحكم ، ثم إصرارهم على التنفيذ ، و رفض إطلاقه بعد أن اقتنع الحاكم أنه بار وبريء ، و عرض عليهم إطلاقه ، فصرخوا و هاجوا : اصلبه . فخاف بيلاطس من الفتنة ، فامتثل لأمرهم بعد أن اتهموه بأنه لا يحب القيصر....

أفبعد ذلك كله يقال بأن اليهود ليسوا هم القتلة، بل الحاكم الروماني ، ثم ماذا عن قوله تعالى ﴿ و ما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه ﴾ [٥]

ثم على أي حال فإن الآيات لم تكن تناقش من القاتل اليهود أم الرومان ، إنما كانت تؤكد نجاة المسيح مما ظنه اليهود من أنهم تمكنوا منه و قتلوه.

و مثله حرف القس أنيس شروش المعنى في قوله ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس و جدها تغرب في عين

---

(١) سورة الأحقاف ، آية: ١١.

(٢) انظر: القرآن والمبشرون ، محمد عزت دروزة ، ص ١٤١

(٣) سورة النساء ، آية:١٥٧ .

(٤) الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٣٤ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ١٠٦-١٠٧.

(٥) سورة النساء ، آية:١٥٧-١٥٨ .

حمئة ﴾ [1] فقال شروش :"لقد كان الخرافيون القدامى في عصر محمد يعتقدون أن الشمس تغرب في ينبوع"[2]يقول القفال في تفسير هذه الآية"قال بعض العلماء : ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً و مشرقاً حتى وصل إلى جرمها و مسها ، لأنها تدور مع السماء حول الأرض،من غير أن تلتصق بالأرض ، و هي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض ، بل هي أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة ، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب و من جهة المشرق ، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة ، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض " .

و يقول سيد قطب في بيان معنى هذه الآية : " مغرب الشمس هو المكان الذي تغرب عنده وراء الأفق ، و هو يختلف بالنسبة إلى المواضع ، فبعض المواضع يرى الرائي فيها أن الشمس تغرب خلف الجبل ، .تغرب في الماء كما في المحيطات ...و الظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي، ...فرأى الشمس تغرب فيه. و الأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار حيث تكثر الأعشاب ، و يجتمع حولها طين لزج هو الحمأ ، و توجد البرك، و كأنها عيون الماء...عند هذه الحمأة وجد ذو القرنين قوماً..."[3].

و هكذا يكشف علماؤنا هذا التحريف للنصراني ، فالقرآن لم يقل بأن الشمس غربت في عين حمئة ، بل ذكر ما رآه ذو القرنين ﴿وجدها تغرب في عين حمئة ﴾

و من التحريف أيضاً أن النصارى حين استشهادهم بالنصوص الإسلامية كانوا يختارون ما يعجبهم من النص و يدعون ما لا يوافق هواهم ، و من ذلك قول وهيب خليل في كتابه " استحالة تحريف الكتاب المقدس " في سياق حديثه عن أدلة ألوهية المسيح في القرآن و السنة فيقول: "روى البخاري في الجزء الثالث ص١٠٧ قائلاً:" لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ". و في هذا دليل قاطع على ألوهية السيد المسيح، لأن الدينونة لله وحده " .[4]

و قد غض النصراني طرفه عن بقية الحديث و فيه : " فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يضع الجزية و يفيض المال حتى لا يقبله أحد"[5] فالأمور المذكورة في تتمة الحديث تدل على بطلان النصرانية ، و أن المسيح سيحطم رمزها (الصليب) ، و أنه سيحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أن الحديث يتحدث عن أحداث قبل القيامة ، فالساعة لا تقوم حتى تحصل هذه الأمور ، و الدينونة الكبرى إنما تكون بعد قيام الساعة.

و نصوص القرآن صريحة في أن الله هو الذي سيدين الخلائق كما قال تعالى﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم

---

(١) سورة الكهف ، آية: ٨٦ .

(٢) القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص٧٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٣٤/١١ ، الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية ، حسين الجسر الطرابلسي ، ص ٢٣٢-٢٣٣ ، في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ٢٢٩١/٣ .

(٤) الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٥٠.

(٥) رواه البخاري في كتاب : البيوع ، باب: قتل الخنزير برقم: ٢١٠٩ ، و مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : نزول عيسى ابن مريم برقم ٨٥٥.

الحق إلا له الحكم و هو أسرع الحاسبين ﴾ [1]

مغالطات النصارى

و يقع النصارى عند إثارتهم للشبهات في مغالطات في الاستدلال ، و من ذلك قول حبيب سعيد في كتابه " أديان العالم ": " إن الله في القرآن تحدث عن نفسه بصيغة الجمع ، و الجمع يدل على التثليث " و يقول : " نسب القرآن الخلق للمسيح ، فيكون مع الله الذي تحدث عن نفسه بصيغة الجمع : أي اثنان.. و من يخلق حياً يكون إلهاً ".

و مثله جاء في كتاب " الاستحالة " بعد أن ذكر أن القرآن يجعل من معجزات المسيح أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً . و ذكر بأن المسيح يحيي الموتى ثم قال وهيب خليل:" فإذا كان الإسلام يشهد بأن الذي يحيي العظام و هي رميم هو الذي أنشأها أول مرة فقط ، فمن يكون السيد المسيح الذي يشهد له الإسلام بأنه يحيي الموتى؟ أليس هو الله الحي القيوم المحيي المميت الذي أنشأها أول مرة ؟" [2].

و المغالطة تكمن في أن الآيات نصت في أن ذلك يكون بإذن الله .أي أنه تعالى هو الفاعل الحقيقي للإحياء و الخلق.

كما أن معجزات المسيح في سياق النصوص التي وردت فيها بينت أن المسيح إنما هو رسول الله فحسب.

و من المغالطة أيضاً ما قاله وهيب خليل في سياق استدلاله على وجود التثليث في الإسلام حيث قال:"عندما يقسم الشخص المسلم فبم يقسم ؟ إنه يقول: و الله العظيم ثلاثة. لماذا لم يقل: و الله العظيم . و يكتفي ؟...إذا كان المقصود هو التوكيد فإن الأفضل في هذه الحال أن نردد و بدلاً من ثلاثة القول بأعداد أكثر كثيراً لضمان التوكيد. و لكن المعنى الصحيح في القول: و الله العظيم ثلاثة هو "و الله الأب" و "و الله الابن"و"و الله الروح القدس"..و ومعلوم أن الطلاق في الإسلام يتم في الثلاثة...لماذا يتم بالثلاثة ؟..إن ذلك يرجع إلى أن زواجنا يتم باسم الآب و الابن و روح القدس ، و أن ذلك نقل إلى الإسلام مع بعض التعديلات ".[3]

و من المعلوم أن المسلم حين يكرر البسملة أو أياً من كلامه ثلاثاً لا يخطر ببال تثليث النصارى ، و إنما هو أسلوب في توكيد الكلام أو المعاني ، و العرب تعتبر الرقم ثلاثة من الأرقام التي تفيد الكثرة كالسبعة و السبعين خلافاً للاثنين و الأربعة و الستة.كما أن " الثلاثة " هي أول الجمع المفيد للكثرة ، لذا يكثر استخدامه في كلام الناس .

---

(١) سورة الأنعام ، آية:٦٢. و انظر: الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٥١.

(٢) الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٤٨ ، هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٧٧ ، ٨٣-٨٤ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ٤٧-٤٨ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٢٣.

(٣) مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ١٣٢-١٣٣ ، هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٦٧-٦٨.

و يرد المطعني شبهة النصراني، و يبين بأن المسلم إنما يقول: و الله العظيم ثلاثاً ، و ليس ثلاثة. فتمييز العدد تقديره : " مرة ". أي أقسم ثلاث مرات، و من الممكن أن يقسم مرة أو عشرة ، و ذلك كله لا علاقة له بالتثليث.

و يسخر ابن الخطيب من هذا النوع من الاستدلال ، و يرى أنه يمكن للنصارى أن يستدلوا أيضاً لصحة معتقد التثليث بكون المخلفين ثلاثة ، و عدة المطلقة اليائس ثلاثة أشهر ، و يفرض على المتمتع أن يصوم في الحج ثلاثة أيام...و هكذا فكل هذه تصلح دليلاً على التثليث؟![1]

و من المغالطة أيضاً قول القس شروش أن في القرآن أسماء غير عربية كإبراهيم و فرعون و آدم... و أن هذا يتناقض مع عربية القرآن ، و أسماء الأعلام لا علاقة لهم بلغة المقال.

و من المغالطة احتجاجه على تسمية المسيح بعيسى بينما تسميه الأناجيل بالاسم العبري أو السرياني " يسوع " فيقول : " أدعو السيد ديدات لنرى إن كان يستطيع أن يشرح لكم من أين أتى بكلمة " عيسى " في القرآن في حين أن اسمه :يسوع بالعربية"[2]. و المغالطة تكمن في أنه يتجاهل حقيقة معهودة في سائر اللغات ، و هي أن الأسماء و الألفاظ عندما تنتقل من لغاتها إلى لغات أخرى فليس بالضرورة أن تبقى الكلمة كما هي، بل يعاد صرفها بما يلائم اللسان الذي ترجمت إليه ، و هو ما صنعه شروش نفسه بعد دقائق حين قال و هو ينقل نصاً إنجيلياً بأسلوب محاكٍ للقرآن " فقال له عيسى أنا هو الصراط..." فاستخدم الاسم العربي للمسيح، و فعل ذلك ثانية حين عرب اسم " مارية "، فاستخدم الاسم العربي" مريم "، و ذلك في قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم :" كذلك زوجته الثامنة " مريم " كانت عضواً في طائفة مسيحية في مصر"[3].

و من المغالطة أيضاً قول صاحب كتاب "الحق":"إشعياء قال قبل الميلاد بنحو ٧٠٠عام:" الجالس على كرة الأرض " (إشعيا ٢٢/٤٠) بينما العلماء لم يجمعوا على كرويتها إلا في عام ١٥٤٣م ، و بينما يقول القرآن ﴿ و الأرض مددناها ﴾ [4] ﴿ و الله جعل لكم الأرض بساطاً ﴾ [5] ﴿ و هو الذي مد الأرض ﴾ "[6] فاستنتج النصراني من هذه الآيات أن القرآن، يقول بعدم كروية الأرض.

و يبين ابن الخطيب معنى هذه الآيات ، و أنها تتحدث عن بسط الأرض و مهادها كما يراها الإنسان و يمشي عليها، فالمقصود بالأرض اليابسة التي يمشي عليها الناس ، بينما حين تحدث القرآن عن الأرض ككوكب ذكر ما هو أدق من قول التوراة و النصراني فقال﴿ و الأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [7] أي جعلها كالدحية ، و هي البيضة ، و هذا ما ينطبق تماماً على الأرض ، و هو أدق علمياً من القول بأنها كروية ، فقد

---

(١) انظر: مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ١٣٢ ، هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٦٨ .

(٢) القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ٦٤-٦٥.

(٣) القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ٦٦ ، ١٠١.

(٤) سورة الحجر ، آية: ١٩.

(٥) سورة نوح ، آية:١٩.

(٦) سورة الرعد ، آية: ٣.

(٧) سورة النازعات ، آية:٣٠.

ثبت عند العلماء أنها منبعجة في طرفيها .[1]

و يلجأ النصارى في شبهاتهم إلى محاكمة القرآن إلى كتبهم التي لا سند لها ، و لا اعتداد و لا ثقة بها ، فيعرضها النصارى و كأنها سندات و وثائق تاريخية لا خلاف على صحتها.

و من ذلك تكذيبهم القرآن في قوله بأن اسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر ، لأنه قد جاء في التوراة أنه : تارح (انظر التكوين ٢٧/١١) و كذا تكذيبهم أن يكون الذبيح إسماعيل ، لأن التوراة تقول بأنه إسحاق ، (انظر التكوين ٩/٢٢-١٢)و كذا تكذيبهم أن تكون زوجة فرعون قد كفلت موسى ، وقالوا بأن الذي كفله هي ابنة فرعون لما جاء في التوراة (انظر الخروج ٥/٢-٧)، و كذبوا أن يكون لون بقرة بني إسرائيل صفراء فاقع ، لأن التوراة تقول بأنها كانت حمراء اللون (انظر العدد١٩/١-٤)[2].

و يعرض النصارى أقوال غريبة أو منكرة و يقدمونها على أنها أخبار إسلامية موثوق بها و من ذلك قول القس أنيس شروش و هو يرد و يدفع عن مبالغة التوراة في قولها شمشون قتل ألفاً من الفلسطينيين بفك حمار (انظر القضاة ١٥/١٥) فيوهم شروش مستمعيه أن مثل ذلك منقول في تاريخ الإسلام وكتب المسلمين، فيقول: " المسعودي يخبرنا في كتابه مرادي (يقصد مروج الذهب) أن علياً قتل ٥٢٥ رجلاً في يوم واحد بيديه المجردتين من غير سلاح و لا عصا و لا فك حمار ، و لعلي أتساءل إن كانت هذه القصة أكثر قابلية للتصديق من قصة قتل شمشون لآلاف من الفلسطينيين بفك حمار كبير"[3]

و المسلمون لا يعتبرون كتاب المسعودي من كتب الاحتجاج ، و مثل هذه الأخبار نطعن بها و بقائليها فكيف يحتج بها علينا؟

وما نسبه القس للمسعودي لم يخل من التحريف فقد قال المسعودي في سياق ذكره لكثرة القتلى يوم صفين ، فذكر أن علياً قتل " بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاث وعشرون رجلاً " [4] وليس مراده أن هؤلاء قد قتلهم بيديه المجردتين، بل أراد كثرة من قتل على يديه.

---

(١) انظر: هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ١٠٢.

(٢) انظر: القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١٢٤-١٣٠ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣٣١ ، ٣٣٩.

(٣) القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١٥٦-١٥٧.

(٤) انظر مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن المسعودي ، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، المكتبة التجارية ، ١٣٨٤هـ ، ٣٩٩/٢ .

المطلب الثاني: شبهات النصارى المتعلقة ببعض شرائع الإسلام

أكمـــل الله دينه بإنزال أفضل شرائعه على محمد صلى الله عليه وسلم ،فكان دينه الدين الخاتم الذي ارتضـــاه الله للبشرية ديناً إلى قيام الساعة ،وقد توجهت سهام النصارى إلى شرائع الإسلام كما توجهت إلى عقائد الإسلام سواءً بسواء ،إذ كلاهما من وحي الله ودينه .وقد تمحورت شبهاتهم في هذا الباب حول شرائع الإسلام المختصة بالمرأة وحقوقها في الإسلام ،كما أطالوا اللغط في نيلهم وتقبيحهم لشرعة الجهاد في سبيل الله عند المسلمين ،لذا رأيت أن أفردهما بالذكر دون سائر الشبهات المتعاقبة بشرائع الإسلام

أولاً : شبهة انتشار الإسلام بالسيف.

في السنة الأولى خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً بدينه ، و ما انفك العقد الأول من السنين حتى كان جيوشه تقرع أبواب الروم.

ثم أفـــل القـــرن الأول و قـــد أضحت الأمة المسلمة في انتشارها على وجه الأرض كالنار سرى في الهشـــيم ، فقد تحولت الأمم إلى الإسلام و دخل الناس في دين الله أفواجاً ، و امتد الوجود الإسلامي في فترة وجيزة فملأ ما بين الصين و الأندلس.

و حار النصارى في فهم هذه الظاهرة إذ لا تفهم إلا بالاعتراف بأن هذا الدين حق وافق فطرة الناس و عقولهم فأذعنوا له .

و هـــروباً من هذه الحقيقة التي نشرت الإسلام في ربوع كانت تحسب قلاعاً للنصرانية قال النصارى بأن الإسلام دين قام على السيف ، و به انتشر، و أرادوا من خلاله طمس تلك الحقيقة الناصعة.

تـــوالى التعـــلق بهـــذه الفرية طوال قرون عديدة ، و رددها المجادلون النصارى كثيراً ، و تمسك بها المتأخرون منهم ، يقول السيد المنسينور كولي في كتابه " البحث عن الدين الحقيقي " : " الإسلام الذي أسس عـــلى القـــوة ، و قام على أشد أنواع التعصب لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، و تساهل في أقدس قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور و السلب ".

و يقـــول القـــس أنيس شروش"لقد كان محمد يزعم تلقي الوحي بواسطة جبريل...لتبرير سلوكه السياسي و الأخلاقي إضافة إلى غير ذلك من شعاراته الدينية ، و عند انتهاء المعركة تقترف عمليات الإعدام التي تشمل النساء ، و كل ذلك تحت شعار الأمر الإلهي ".

و يقـــول جيومان لوستير: " إن محمد مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه بأن يخضعوا العالم ، و أن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو" و يمضي فيقول :"ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنين و بين النصارى ، إن هؤلاء قـــد فرضـــوا ديـــنهم بالقوة ، و قالوا للناس: أسلموا أو تموتوا ، بينما أتباع المسيح قد كسبوا النفوس برهم و إحسانهم"

ويستبشع "الآباء البيض"في أسبانيا فكرة الجهاد من أجل الدين ، ويقولون: " أين نجد الترابط المنطقي

مبررات الجهاد الإسلامي

و قـــد أجاب علماؤنا عن هذه الشبهات ، و أبانوا فرية النصارى فيها ، فالمسلمون لم يأمروا أحداً باعتناق الإسلام قسراً ، كما لم يلجئوا الناس للتظاهر به هروباً من الموت أو العذاب ، إذ كيف يصنعون ذلك وهـــم يعـــلمون أن إسلام المكره لا قيمة له في أحكام الآخرة ، وهي التي يسعى لها كل مسلم ويجد ، و لم يكرهون الناس على الإسلام و لم يجعل الله إليهم وإلى الأنبياء من هداية البشر سوى البلاغ ، وكيف يكرهون الناس على الإسلام و القرآن يقول ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [1] ، و يقول ﴿ و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ [2] و يقول تعالى ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ [3].

و عـــندما خرجـــت كتائب الجهاد الإسلامي ما كان خروجها لقهر الناس و إجبارهم على اعتناق الإسلام إنما كان لتحرير الإنسان و تحييد القوى الظالمة التي قد تحول بينه و بين الإسلام.

و أوضـــح القرآن بجلاء مبررات الجهاد الإسلامي ﴿ و ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله و المستضعفين مـــن الرجال و النساء و الولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها و اجعل لنا من لدنك ولياً و اجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ [4] ، و يقول تعالى﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف و إن يعـــودا فقد مضت سنة الأولين * و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير * و إن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى و نعم النصير ﴾ [5]

و يفســـر ســـيد قطب معالم المنهج الذي أوضحه القرآن فيقول: " لم يكن بد للإسلام أن ينطلق في الأرض لإزالـــة الواقـــع المخالف لذلك الإعلان العام ، و بالبيان و بالحركة مجتمعين ، و أن يوجه الضربات للقـــوى السياسية التي تعبد الناس لغير الله...و التي تحول بينهم و بين الاستماع إلى البيان و اعتناق العقيدة بحرية لا يتعرض لها السلطان...إنه لم يكن من قصد الإسلام قط أن يكره الناس على اعتناق عقيدته ، و لكن الإســـلام لـــيس مجرد عقيدة. إن الإسلام – كما قلنا – إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد ، فهو يهـــدف ابتداءً إلى إزالة الأنظمة و الحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر، و عبودية الإنسان

المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١١٤ ، تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، ص ١١٠.

(١) سورة البقرة ، آية: ٢٥٦.

(٢) سورة الكهف ، آية:٢٩.

(٣) ســـورة الزمر ، آية: ١٤-١٥.والاستشهاد بهذه النصوص ليس على إطلاقه، إذ أمر الله أيضاً بمقاتلة المشركين و لم يقبل منهم سوى الإسلام،واستثنى من ذلك أهل الكتاب كما في قوله{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حـــرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون}التوبة:٢٩. وألحق الـــنبي صـــلى الله علـــيه وسلم بهم المجوس في قوله "سنوا بهم سنة أهل الكتاب"رواه مالك في الموطأ ح١٢٧١.وهذا مذهب الجمهور من أهل العلم.

(٤) سورة النساء ، آية:٧٥.

(٥) سورة الأنفال ، آية:٣٨-٤٠.

للإنســـان، ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً بالفعل في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم بعد رفع الضـــغط السياسي عنهم ، و بعد البيان المنير لأرواحهم و عقولهم"[1].و إيماناً بهذا المنهج خرج دعاة الإسلام يحملـــون البـــيان و يحمونه بسيوفهم و كثيراً ما سبق بيانهم سيوفهم فوصل الإسلام إلى أندنوسيا و نيجيريا و غيرها و لما يصل إليها جيش مسلم .

و أمـــا الـــبلاد التي وقف حكامها في وجه بيان الإسلام فقد أوهنتها مطارق الإسلام و هي تدعو لإحدى ثلاث الإسلام أو الجزية أو الحرب ، فاختار الإسلام أهل سمرقند و غيرهم ، فأضحوا إخواننا لهم ما لنا ، و عليهم ما علينا ، و اختار أهل حمص الجزية فقام المسلمون بحمايتهم و بإيصال البيان إليهم ، فدخلوا في ديـــن الله أفواجاً ، و وقف آخرون يريدون حجب الحقيقة ، فأتم الله دينه و أظهره عليهم ، فاندكت جحافل الـــباطل ، و غدا الناس أحراراً في اختيار العقيدة التي يريدونها ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً من غير إكراه و لا إجبار، فالإسلام قاتل الدول التي تحول بين الإسلام و بين شعوبها ، و لم يكره تلك الشعوب على اعتناق الإســـلام ، بل أقام العهود و المواثيق التي تكفل حرية التدين ، و من ذلك العهدة العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس ، وفيها : " هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب – أمير المؤمنين – أهل إيليا من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم و أموالهم و لكنائسهم و صلبانهم و سقيمها و بريئها و سائر ملتها : ألا تسكن كنائسهم و لا تهدم ، و لا ينتقض منها، و لا من خيرها ، و لا من صليبهم و لا من شيء من أموالهم ، و لا يكـــرهون عـــلى دينهم و لا يضار أحد منهم...و من أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه و ماله مع الروم و يخلي بيعهم و صلبهم (هكذا) فإنهم على بيعهم و صلبهم و أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم.

و مـــن كان من أهل الأرض (الروم و غيرهم من الأجناس) فمن شاء منهم قعد ، و عليه مثل ما على إيليا من الجزية ، و من شاء سار مع الروم ، و من شاء يرجع إلى أهله ، و إنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، و على ما في هذا الكتاب عهد الله ، و ذمة رسوله، و ذمة الخلفاء ، و ذمة المؤمنين"[2].

فقـــد ضمن عمر في عهدته سلامة أماكن العبادة كما ضمن حرية المعتقد ، و بمثل هذا النحو كانت سائر فتوح المسلمين.

و أضـــحى أهل تلك البلاد أهل ذمة يوصي رسول الله بهم فيقول : " لعلكم تقاتلون قوماً فتظهرون علـــيهم فيتقوكم بأموالهم دون أنفسهم و ذراريهم ، فيصالحونكم على صلح ، فلا تصيبوا منهم فوق ذلك ، فإنه لا يصلح لكم " [3]. و يقول أيضاً موصياً أصحابه :" انطلقوا باسم الله و بالله ، و على ملة رسول الله ، لا تقتلوا شيخاً فانياً ، و لا طفلاً صغيراً ، و لا امرأة ، و لا تغلُوا، و ضمنوا غنائمكم ، و أصلحوا و أحسنوا إن الله يحب المحسنين"[4].

---

(١) معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار الشروق ، ١٤٠٣ ، ص ٦٣-٦٤.

(٢) تـــاريخ الطـــبري ، ٦٠٩/٣، وانظـــر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤/ ١٢٩٨-٢٠٠٠ ، التعصب والتسامح بين المســـيحية والإسلام ، محمد الغزالي ، ص ٤١-٤٢ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٠٠ -٢٠١ ، رد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم ، محمد جمعة عبد الله ، ص ٢٣٣.

(٣)رواه أبـــو داود و في سننه برقم : ٣٠٥١ في ١٧٠/٣ ، وضعفه الألباني لإبهام في إسناده، ورواه سعيد بن منصور في سننه برقم : ٢٦٠٣ في ٢٣١/٢.

(٤) رواه أبو داود في سننه برقم :٢٦١٣ في ٣٧/٣ ، وصححه الألباني برقم ٢٢٧٧.

للإنســـان، ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً بالفعل في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم بعد رفع الضـــغط السياسي عنهم ، و بعد البيان المنير لأرواحهم و عقولهم"[1].و إيماناً بهذا المنهج خرج دعاة الإسلام يحملـــون البـــيان و يحمونه بسيوفهم و كثيراً ما سبق بيانهم سيوفهم فوصل الإسلام إلى أندنوسيا و نيجيريا و غيرها و لما يصل إليها جيش مسلم .

و أمـــا الـــبلاد التي وقف حكامها في وجه بيان الإسلام فقد أوهنتها مطارق الإسلام و هي تدعو لإحدى ثلاث الإسلام أو الجزية أو الحرب ، فاختار الإسلام أهل سمرقند و غيرهم ، فأضحوا إخواننا لهم ما لنا ، و عليهم ما علينا ، و اختار أهل حمص الجزية فقام المسلمون بحمايتهم و بإيصال البيان إليهم ، فدخلوا في ديـــن الله أفواجاً ، و وقف آخرون يريدون حجب الحقيقة ، فأتم الله دينه و أظهره عليهم ، فاندكت جحافل الـــباطل ، و غدا الناس أحراراً في اختيار العقيدة التي يريدونها ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً من غير إكراه و لا إجبار، فالإسلام قاتل الدول التي تحول بين الإسلام و بين شعوبها ، و لم يكره تلك الشعوب على اعتناق الإســـلام ، بل أقام العهود و المواثيق التي تكفل حرية التدين ، و من ذلك العهدة العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس ، وفيها : " هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب – أمير المؤمنين – أهل إيليا من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم و أموالهم و لكنائسهم و صلبانهم و سقيمها و بريئها و سائر ملتها : ألا تسكن كنائسهم و لا تهدم ، و لا ينتقض منها، و لا من خيرها ، و لا من صليبهم و لا من شيء من أموالهم ، و لا يكـــرهون عـــلى دينهم و لا يضار أحد منهم...و من أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه و ماله مع الروم و يخلي بيعهم و صلبهم (هكذا) فإنهم على بيعهم و صلبهم و أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم.

و مـــن كان من أهل الأرض (الروم و غيرهم من الأجناس) فمن شاء منهم قعد ، و عليه مثل ما على إيليا من الجزية ، و من شاء سار مع الروم ، و من شاء يرجع إلى أهله ، و إنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، و على ما في هذا الكتاب عهد الله ، و ذمة رسوله، و ذمة الخلفاء ، و ذمة المؤمنين"[2].

---

(١) معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار الشروق ، ١٤٠٣ ، ص ٦٣-٦٤.

(٢) تـــاريخ الطـــبري ، ٦٠٩/٣، وانظـــر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤/ ١٢٩٨-٢٠٠٠ ، التعصب والتسامح بين المســـيحية والإسلام ، محمد الغزالي ، ص ٤١-٤٢ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٠٠-٢٠١ ، رد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم ، محمد جمعة عبد الله ، ص ٢٣٣.

شرعة القتال في الإسلام والنصرانية

والقتال شريعة جعلها الله لإبطال الباطل و إحقاق الحق و حماية الدين ﴿ و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ [1].

ولا يستغرب صدور الأمر بقتال الكفار ممن أعد لهم في الآخرة ناراً تلظى ، وأمر بقتل كل من يذبح للأوثان (انظر الخروج ٢٠/٢٢) ، وأمر بقتل ٢٣ ألف رجل عبدوا العجل (انظر الخروج ٣٢/) ، وأمر بقتل من عمل بالسبت .(انظر الخروج ٢/٣٥) [2]

و قـد أمر الله أنبياءه بحمل السلاح لمواجهة عدوهم ، و تحكي التوراة عن مذابح يشيب لها الولدان ارتكبها بنو إسرائيل في حربهم المقدسة ضد أقوام من الوثنيين ،فمما تنسبه التوراة لله عز وجل أنه قال لموسى " إذا دنوت من القرية لتقاتلهم ادعهم أولاً بالصلح...فأما القرى التي تعطى أنت إياها فلا تستحي منها نفساً البتة، و لكن أهلكهم إهلاكاً كلهم بحد السيف الحيثي و الأموري و الكنعاني و الفرزي...كما أوصاك الرب إلهك " (التثنية ٢٠/١٠-١٧) فالنص يتحدث عن أحكام القتال التي شرعت لبني إسرائيل .

و في نص آخر " إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي تدخل لترثها و بيد الشعوب الكثيرة من قدامك الحيثي و الجرجاني و الأموراني و الكنعاني و الفرازي و الحواي و اليبوساني سبعة أمم أكثر منكم عدداً و أشد منكم ، و أسلمهم الرب إلهك بيدك ، فاضرب بهم حتى أنك لا تبقى منهم بقية ، فلا تواثقهم ميثاقاً ولا ترحمهم ، و لكن فافعلوا بهم هكذا : مذابحهم فاخربوها ، و اكسروا أصنامهم..." (التثنية٧/١-٥).

فعلم من النص أن بني إسرائيل أمروا بقتل سبع أمم أكثر عدداً منهم. يقول القسيس مريك في كتابه" كشف الآثار" :" علم من الكتب القديمة أن البلاد اليهودية كان فيها...ثمانية كرورات(أي ثمانون مليوناً)من ذي حياة ".

و قد أمر بنو إسرائيل بقتلهم ، و عليه فلا يجوز للنصارى الاعتراض على جهاد المسلمين ، فقد أذن للأنبياء قبله ، ثم أذن له صلى الله عليه وسلم.

و تـتحدث التوراة أيضاً عن تنفيذ بني إسرائيل للأمر كما في سفر المحازر (يشوع) فقد قتلوا حتى النساء و الأطفال و الحيوان ، و في سفر القضاة أن شمشون أخذ فك حمار...و قتل به ألف رجل" (القضاة ١٥/١٥) .

و تذكـر التوراة أن داود لما سار إلى رابة، و انتصر على أهلها صنع فظائع " و الشعب الذين كانوا فـيها أخذهم و نشرهم بالمناشير و داسهم بنوارج حديد ، و قطعهم بالسكاكين ، و أمرّهم في أتون الآجر، كذلك صنع بجميع قرى بني عمون" (صموئيل٢ ١٢/٣١).

و مثل هذه الفظائع لم يقع في جهاد المسلمين لأعدائهم فما كانوا يقتلون النساء و لا الأطفال و لا

---

(١) سورة الحج ، آية:٤٠.

(٢) انظر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ١/٥٨-٦١ .

الدهماء من الناس ، و يجدر أن نذكر بوصية الصديق حيث قال لأسامة بن زيد و جنده:"لا تخونوا و لا تغدروا و لا تغـــلوا و لا تمثلوا ، و لا تقتلوا طفلاً و لا شيخاً كبيراً و لا امرأة ، و لا تعزقوا نخلاً و لا تحرقوه ، و لا تقطعـــوا شجرة مثمرة ، و لا تذبحوا شاة و لا بقرة و لا بعيراً إلا للأكل.و إذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم و ما فرغوا أنفسهم له ...."[1]

و لما جاء المسيح عليه السلام أكد على مشروعية القتال فقال: " لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض،مـــا جـــئت لألقي سلاماً ، بل سيفاً"(متى ٣٤/١٠) ، و طلب من أتباعه الاستعداد للدفاع عنه و القتال: " من له كيس فيأخذه ، و من ليس له فليبع ثوبه و يشتري سيفاً " (لوقا ٢٦/٢٢)، و قال :" أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أُملّك عليهم ، فأتوا بهم إلى هنا ، و اذبحوهم قدامي " (لوقا ٢٧/١٩) ، لكن ذلك لم يتم للمسيح.

و أما المقالة التي يتشدق بها دعاة السلام المسيحيين" لا تقاموا الشر ، بل من ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ، و من أراد أن يخاصمك يأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً..." (متى ٣٩/٥-٤٢).فهذا محض سراب لم يحققه النصارى بكنائسهم المختلفة يوماً واحداً .[2]

الاضطهاد الديني وانتشار النصرانية

و ينطـــبق على النصارى المثل " رمتني بدائها و انسلت " ، إذ أن سبب انتشار النصرانية هو السيف الـــذي سلطته على الشعوب المختلفة ، و قد بدأ سيف القهر عندما تنصر قسطنطين الوثني في بدايات القرن الميلادي الرابع و قال له بطريرك القسطنطينية : " أعطني الدنيا و قد تطهرت من الملحدين أمنحك نعيم الجنة المقيم ".

و يذكـــر القـــس مـــريك في كتابه " كشف الآثار " أن قسطنطين أمر بقطع آذان اليهود ، و أمر بإجلائهم إلى أقاليم مختلفة.

و في نهايـــة القرن الرابع وضع الامبراطور تيودسيوس ستاً و ثلاثين مادة لمقاومة اليهودية و الهرقطة ، و حظر عبادات الوثنيين ، و أمر بتحطيم صورهم و معابدهم . و في عام ٣٧٩م أمر الامبراطور فالنتيان الثاني بتنصر كل رعايا الدولة الرومية ، و قتل كل من لم يتنصر، و اعترف طامس نيوتن بقتل أكثر من سبعين ألف.

و يقـــول غوســـتاف لوبـــون في كـــتابه " حضـــارة العـــرب " :" أكرهت مصر على انتحال النصرانية ، و لكنها هبطت بذلك إلى حضيض الانحطاط الذي لم ينتشلها منه سوى الفتح العربي " .

و في القـــرن الخامس كان القديس أوغسطين يقول بأن عقاب الملحدين من علامات الرفق بهم حتى

---

(١) انظـــر: الجـــواب الفســـيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/ ٤٧١-٤٧٥ ، الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية ، حسين الجسر الطرابلسي ، ص ٣٢١-٣٢٣ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٢٧٠-٢٧١ التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، محمد الغزالي ، ص ١١٥ ، الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ص ٨٥ ، هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ١٠١.

(٢) انظـــر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤/ ١٢٧٢-١٣٠٣ ، هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ١٠٠ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٨٣-١٨٦.

يخلصـــوا ، و بـــرر قسوته على الذين رفضوا النصرانية بما ذكرته التوراة عن فعل يشوع وحزقيال بأعداء بني إســـرائيل الوثنيين ، و استمر القتل و القهر لمن رفض النصرانية في ممالك أوربا المختلفة ، و منها مملكة أسبانيا حيـــث خيروا الناس بين النصر أو السجن أو الجلاء من أسبانيا ، و ذكر القس مرّيك أنه قد خرج من أسبانيا ما لا يقل عن مائة و سبعين ألفاً .

وفي القرن الثامن اعتيد فرض المسيحية في شروط السلام والأمان التي تعطى للقبائل المهزومة.

و قريـــباً مـــن ذلـــك العـــنف كان في فرنسا، فقد فرض الملك شارلمان النصرانية بحد السيف على السكسون ، و أباد الملك كنوت غير المسيحيين في الدانمارك ، و مثله فعل الملك أولاف (٩٩٥م) في النرويج و جماعة من إخوان السيف في بروسيا.

و لم ينقطع هذا الحال فقد أمر ملك روسيا فلاديمير (٩٨٨م) بفرض النصرانية على أتباع مملكته.

يقول المؤرخ بريفولت: إن عدد من قتلتهم المسيحية في انتشارها في أوربا يتراوح بين ٧-١٥ مليوناً.

و يلفت شلبي النظر إلى أن العدد هائل بالنسبة لعدد سكان أوربا حينذاك.

و لما تعددت الفرق النصرانية استباحت كل من هذه الفرق الأخرى و ساموا أتباعها أشد العذاب ، فعندما رفض أقباط مصر قرار مجمع خليقدونية عذبهم الرومان في الكنائس ، و استمرت المعاناة سنين طويلة ، و أحرق أخ الأسقف الأكبر بنيامين حياً ثم رموه في البحر. فيما بقي الأسقف متوارياً لمدة سبع سنين ، و لم يظهر إلا بعد استيلاء المسلمين على مصر و رحيل الرومان عنها.

و كـــتب مـــيخائيل بطريرك أنطاكية: " إن رب الانتقام استقدم من المناطق الجنوبية أبناء إسماعيل ، ليـــنقذنا بواسطتهم من أيدي الرومانيين ، و إذ تكبدنا بعض الخسائر لأن الكنائس التي انتزعت منا و أعطيت لأنصـــار مجمع خليقدونية بقيت لهم، إلا أننا قد أصابنا القليل بتحررنا من قسوة الرومان و شرورهم ، و من غضبهم و حفيظتهم علينا. هذا من جهة ، و من جهة أخرى سادت الطمأنينة بيننا " ، و كان جستيان الأول (ت٥٦٥) قد قتل من القبط في الإسكندرية وحدها مائتي ألف قبطي.

كما تعرض الموحدون النصارى للنفي و القتل في العصور مختلفة من تاريخ النصرانية فاضطهد آريوس و أتباعه و حرق سرفيتوس و ...واستمر القتل والتنكيل حتى كاد أن يندثر الموحدون من النصرانية .

و كان للمسلمين نصيب كبير من الاضطهاد الديني خاصة في الأندلس التي عانى مسلموها من محاكم التفتيش حتى فر من استطاع الفرار إلى المغرب .

و يكفـــي أن نـــنقل مـــا سطره غوستاف لوبون في كتابه" حضارة العرب "حيث يقول عن محاكم التفـــتيش: " يســـتحيل عليـــنا أن نقرأ دون أن ترتعد فرائضنا من قصص التعذيب و الاضطهاد التي قام بها المسيحيون المنتصرين على المسلمين المنهزمين ، فلقد عمدوهم عنوة، و سلموهم لدواوين التفتيش التي أحرقت منهم ما استطاعت من الجموع ، و اقترح القس بليدا قطع رؤوس كل العرب دون أي استثناء ممن لم يعتنقوا المســـيحية بعـــد ، بمـــا في ذلـــك النساء و الأطفال ، و هكذا تم قتل أو طرد و ثلاثة ملايين عربي"و كان الراهب بيلدا قد قتل في قافلة واحدة للمهاجرين قرابة مائة ألف في كمائن نصبها مع أتباعه ، و كان بيلدا قد طـــالب بقـــتل جميـــع العرب في أسبانيا بما فيهم المتنصرين، و حجته أن من المستحيل التفريق بين الصادقين و الكـــاذبين فرأى أن يقتلوا جميعاً بحد السيف ، ثم يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى ، فيدخل النار من لم

يكن صادقاً منهم.

و قد تعرض المسلمون – سوى مذابح الأندلس – إلى مذابح عدة ليس هذا مجال ذكرها، منها مذبحة معـــرة النعمان ثم مذبحة الأقصى و غير ذلك،ونكتفي هنا بنقل ماذكره المؤرخ جيبون عن مذبحة القدس التي رافقـــت دخـــول الصليبيين : " إن الصليبيين خدام الرب يوم استولوا على بيت المقدس في ١٠٩٩/٧/١٥م أرادوا أن يكـــرموا الرب بذبح سبعين ألف مسلم ، و لم يرحموا الشيوخ ولا الأطفال ولا النساء ...حطموا رؤوس الصـــبيان عـــلى الجـــدران ، وألقـــوا بالأطفال الرضع من سطوح المنازل ، وشووا الرجال والنساء بالنار...".

و قريباً من هذه المذابح جرى بين المذاهب النصرانية ، فقد أقام الكاثوليك مذابح كبيرة للبروتستانت مـــنها مذبحة باريس (١٥٧٢م) و قتل فيها و أثرها ألوف عدة وسط احتفاء البابا و مباركته ، و مثله صنع البروتســـتانت بالكاثوليك في عهد المملكة أليصابات حيث أصدرت بحقهم قوانين جائرة ، و أعدمت ١٠٤ من قسس الكاثوليك ، و مات تسعون آخرون بالسجن ، و هدمت كنائس الكاثوليك أخذت أموالهم.

و كـــانت المـــلكة تقول: " بأن أروح الكفرة سوف تحرق في جهنم أبداً ، فليس هناك أكثر شرعية من تقليد الانتقام الإلهي بإحراقهم على الأرض " [1].

و عـــليه نستطيع القول بأن النصرانية يرتبط تاريخها بالسيف و القهر الذي طال حتى أتباع النصرانية غير أن الاضطهاد النصراني يتميز بقسوة و وحسية طالت النساء و الأطفال و دور العبادة.

و قـــد جرت هذه الفظائع على يد الأباطرة بمباركة الكنسية و رجالاتها و كانت الكنيسة قد سنت القوانـــين الـــتي تدفع لمثل هذه المظالم و تأمر بقتل المخالفين ، و من ذلك أن البابا اينوشنسيوس الثالث (ت ١٢١٦م) يقول :" إن هذه القصاصات على الأراتقة (الهراقطة) نحن نأمر به كل الملوك و الحكام ، و نلزمهم إياه تحت القصاصات الكنائسية " و في مجمع توليدو في أسبانيا قرر أن لا يؤذن لأحد بتولي الملة إلا إذا حـــلف بأن " لا يترك غير كاثوليكي بها ، و إن خالف فليكن محروماً قدام الإله السرمدي، و ليصر كالحطب للنار الأبدية ".

و قد أكد هذا قرار المجمع اللاتراني حيث طلب من جميع الملوك و الولاة و أرباب السلطة " فليحلفوا أنهـــم بكل جهدهم و قلوبهم يستأصلون جميع رعاياهم المحكوم عليهم من رؤساء الكنيسة بأنهم أراتقة ، و لا يتركون أحداً منهم في نواحيهم ، و إن كانوا لا يحفظون هذا اليمين فشعبهم محلول من الطاعة لهم ." [2]

---

(١) انظـــر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ١٢٧٩/٤-١٢٩٦ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/ ٤٨١-٤٨٥ ، حـــوار صـــريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٨٧-١٩١ ، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، محمد الغزالي ، ص ٣٩ ، ٦٤-٦٥ ، ٧٩ ، ٢٥٦-٢٥٨ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمـــد ٢١٩/٢ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ٧٢-٧٥ ، الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ، ص ٩٠-٩٤ ، تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، ص ٣٩-٤٠ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩٢-٩٩ ، تعـــدد نســـاء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٣٧٠-٣٧١ ، ٣٨١ ، رد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم ، محمد جمعة عبد الله ، ص٢٣٤-٣٥.

(٢) انظر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ١٢٨١/٤-١٢٨٢.

و هكـــذا رأى عـــلماؤنا مظـــلمة النصارى لهذا الدين بهذه الشبهة التي هم أولى بها فما كان جهاد المســـلمين قتلاً للنساء و الأطفال كما لم يكن لإجبار الناس على اعتناق الإسلام ، بل كان رحمة للأمم من جلاديهـــا، و إزالـــة لطواغيـــت الأرض الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ، و أبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره ذلك المشركون.

ثانياً : شبهات النصارى حول وضع المرأة في شرائع المجتمع المسلم.

و يلمز النصارى وضع المرأة في المجتمع المسلم، و يرون في بعض شرائعه انتقاصاً لها ، و من ذلك تعدد الـــزوجات حيث يقول القس شروش:" يسوع أعلن أن الذي خلقهم من البدء خلقهم رجلاً و امرأة ، و لو أراد الله الرجل أن تكون له أربع زوجات لخلق من البدء أكثر من حواء " .

و يقول القس سويجارت مفاخراً بتشريع الكنيسة في قصر الزواج على واحدة : " المسيحية تسمح لنا بواحدة فقط ، و لذلك ارتضي أفضلهن من أول قذيفة " .

و تقول منظمة الآباء البيض في رسالتها لرابطة العالم الإسلامي و هي تعتب القول بتفوق الرجال على النساء فتقول :" لماذا يقبل تفوق جنس على آخر؟ و هو مانراه من خلال النقاط التالية:

١-قبول تعدد الزوجات مع تحريم تعدد الأزواج.

٢- إمكانية هجر الرجل لزوجته دون أن يقدم تبريراً لعمله (يقصد الطلاق).

٣- الأب حق الوصاية أو الولاية على الأبناء دائماً و إن كان الأطفال في حضانة الأم...

٤- بالنسبة للمواريث نجد أن نصيب المرأة و في أغلب الأحيان هو أقل من نصف حصة الرجل " [١]

ويمضي القس أنيس شروش في عرضه لما يراه مثالب ارتكبها الإسلام بحق المرأة فيقول:"بإمكان الرجل المسلم أن يطلق زوجته دون أن يعطي لذلك سبباً واحداً و من غير إشعار ، فالزوج له السلطة المطلقة الفورية في الطـــلاق غير القابلة للنقاش ، و يمكنه أن يعلن أمام زوجته أنه يطلقها ثلاث مرات ، فترحل ، ليس هناك امتـــيازات و لا ترابط شعوري " ، ثم يعرض فيذكر آية القوامة و ما تضمنته من جواز ضرب الناشز ، ثم آية توريـــث الذكر مثل حظ الأنثيين ، ثم يقول:" على العكس من ذلك فإن الرب يوصي المسيحيين بحب الزوج للزوجة مثلما أحب المسيح الكنيسة " .[٢]

و في الإجابة عن هذه الشبهات أوضح المسلمون موقف الإسلام المكرم للمرأة ، و بينوا ما تعرضت لـــه مـــن انـــتقاص على يد الجاهليات المختلفة و منها النصرانية المحرفة ، فالوثنيات القديمة العربية و اليونانية و ســـواها ظلمـــت المرأة ظلماً كبيراً ، فقد جعلت منها سلعة تباع كسائر المتاع ، و تورث أيضاً إذا مات زوجها كسائر متاع بيتها ، و حرمتها الجاهلية الوثنية من حق الحياة بوأدها طفلة أو تقديمها قرباناً للآلهة إلى غير ذلك من الصور المستبشعة .[٣]

المرأة في النصرانية

أما في النصرانية و المجتمع النصراني فكانت الإساءة للمرأة أكبر حيث أكدت النصوص التوراتية على بعض التشريعات التي تحط من قدر المرأة و من ذلك أن النصوص تقر بيعها ، فقد جاء في سفر الخروج " و إذا باع رجل ابنته أمةً لا تخرج كما يخرج العبيد" (الخروج ٧/٢١) ، و في أيام القضاة اشترى بوعز جميع أملاك

---

(١) تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، ص ١٠٩-١١٠ .

(٢) انظر: القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟أحمد ديدات ، ص ٨٤-٨٧ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١١٢.

(٣) انظـــر: حـــوار صـــريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٠٩-٢١٢ ، الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ، ص ١٧٨.

بارع بحلم ابنته أمة لا تتزوج كما يخرج العبيد" (الخروج ٢١/٧) ، و في أيام القضاة اشترى بوعز جميع أملاك

أليمالك و مالكليون و محلون ،و من ضمن ما اشتراه راعوث المؤابية امرأة محلون (انظر راعوث ٤/٩-١٠) ، و تقول التوراة أيضاً " فوجدت أمرّ من الموت : المرأة التي هي شباك ، و قلبها أشراك ، و يداها قيود ، الصالح قدام الله ينجو منها. أما الخاطئ فيؤخذ بها...رجلاً واحداً بين ألف وجدت ، أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد " (الجامعة ٧/٢٦-٢٨).

و يقرن سفر اللاويين المطلقة و الأرملة بالزانية ، فيعتبرهن دنياً يحرم على الكاهن الزواج منهن(انظر اللاويين ٢١/١٠-١٥) كما يفرض السفر أحكاماً غاية في القسوة على المرأة حال حيضتها حتى أن مجرد مسها ينجس الماس إلى المساء كما ينجس كل من مس فراشها أو شيئاً من متاعها (انظر اللاويين ١٥/١٩-٣٢).

و في النصرانية يحمل بولس المرأة خطيئة آدم ، ثم يحتقر المرأة تبعاً لذلك فيقول :" لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع ، و لكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ، و لا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت، لأن المرأة أغويت ، فحصلت في التعدي " (تيموثاوس(١) ٢/١١-١٤) ، و يقول مؤكداً ما يكنه من ازدراء للمرأة "الرجل ليس من المرأة ، بل المرأة من الرجل ، ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة ، بل المرأة أجل الرجل " (كورنثوس(١) ١١/٨-٩) .(١)

و منذ ألبس بولس المرأة خطيئة الأبوين ، والفكر النصراني يضطهد المرأة و يعتبرها باباً للشيطان ، و يرها مسئولة عن انحلال الأخلاق و تردي المجتمعات البشرية ، و من ذلك يقول القديس ترتليان (ق٣) : " إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة لصورة الله (الرجل) "، و يقول أيضاً بعد حديثه عن دور حواء في الخطيئة الأولى:" ألستن تعلمن أن كل واحدة منكن هي حواء ؟!...أنتن المدخل الذي يلجه الشيطان..لقد دمرتن بمثل هذه السهولة الرجل صورةَ الله " .

و يقول القديس سوستام عن المرأة : " إنها شر لا بد منه ، و آفة مرغوب فيها ، و خطر على الأسرة و البيت ، و محبوبة فتاكة ، و مصيبة مطلية مموهة "، و يقول القديس جيروم (ق٥) في نصيحته لامرأة طلبت منه النصح : " المرأة إذن هي ألد أعداء الرجل ، فهي المومس التي تغوي الرجل إلى هلاكه الأبدي ، لأنها حواء ، لأنها مثيرة جنسياً ".

و يتساءل القديس أوغسطين (ق ٥) لماذا خلق الله النساء ؟. ثم يقول " إذا كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة، فلقد كان من الأفضل كثيراً أن يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان كصديقين بدلاً من رجل و امرأة "، ثم تبين له أن العلة من خلقها هي فقط إنجاب الأولاد ، و منه استوحى لوثر فقال: " إذا تعبت النساء أو حتى ماتت فكل ذلك لا يهم ، دعهن يمتن في عملية الولادة ، فلقد خلقن من أجل ذلك ".

و عقدت الكنيسة مؤتمرات غريبة لبحث أمر هذا الكائن (المرأة) ، ففي القرن الخامس عقد مؤتمر ماكون للنظر هل للمرأة روح أم لا ؟ و قرر المؤتمر خلو المرأة عن الروح الناجية . و قال القديس جيروم:

---

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٩٢-١٩٣ ، ٢١٤ ، تعليق دمشقية على " القرآن والكريم والكتاب المقدس . أيهما كلام الله ؟ أحمد ديدات " ، ص ٨٤.

" المرأة عندما تكون صالحة تكون رجلاً ".أي شذت عن مثيلاتها الإناث فكانت مثل الرجال .

و في عام ٥٨٦م عقد مؤتمر لبحث إنسانية المرأة ، ثم قرر المؤتمر بأغلبية صوت واحد بأن المرأة إنسان خلق لخدمة الرجل . و بعد ظهور البروتستانت في القرن السادس عشر عقد اللوثريون مؤتمراً في وتنبرج لبحث إنسانية المرأة .[١]

و قد انعكست هذه الصورة القاتمة للمرأة على القوانين المدنية و التي كانت تفرض غير بعيد عن رأي القسس و الأساقفة ، فقد بقيت المرأة في القانون الإنجليزي تباع من زوجها لآخر بست بنسات ، و استمر هذا القانون سارياً حتى عام ١٨٠٥م ، فيما اعتبر قانون الثورة الفرنسية المرأة قاصراً كالصبي و المجنون ، و استمر ذلك حتى عام ١٩٣٨م .

و كان قمة الاضطهاد الذي تعرضت له المرأة في ظل سيطرة الكنيسة في القرن السادس عشر و السابع عشر حيث انعكست الصورة السوداوية التي تنظر بها الكنيسة إلى المرأة بظهور فكرة اجتاحت أوربا و هي وجود نساء متشيطنات أي تلبسهن روح شيطانية، فهن يعادين الله ، و يعادين المجتمع ، تقول كارن ارمسترنج في كتابها " إنجيل المرأة " : " لقد كان تعقب المتشيطنات بدعة مسيحية ، و كان ينظر إليها على أنها واحدة من أخطر أنواع الهرطقات...و من الصعب الآن معرفة عدد النساء اللائي قتلن خلال الجنون الذي استمر مائتي عام ، و إن كان بعض العلماء يؤكد أنه مات في موجات تعقب المتشيطنات بقدر ما مات في جميع الحروب الأوربية حتى عام ١٩١٤م...يبدو أن الأعداد كانت كبيرة بدرجة مفزعة " .[٢]

إذن كان هذا هو موقف النصرانية من المرأة ، و هو صورة قاتمة مغايرة كل المغايرة لصورة المرأة في المجتمع المسلم.

المرأة في المجتمع المسلم

فالإسلام يقرر إنسانية المرأة إذ هي أصل الإنسان ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى ﴾ [٣] و يقرر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله :" إنما النساء شقائق الرجال " [٤] و يقرر القرآن أهلية المرأة للإيمان و التكليف و العبادة ، و من ثم المحاسبة و الجزاء ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة * و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [٥] و يقول تعالى ﴿ فاستجاب لهم ربهم

---

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٣٣٠-٣٣٩ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢١٣ –٢١٥ ، الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٣٣-٢٤٧ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) سورة الحجرات ، آية: ١٣.

(٤) رواه أبو داود برقم : ٢٣٦ في ٦١/١ ، و الترمذي برقم : ١١٣ في ١٨٩/١.

(٥) سورة النحل ، آية: ٩٧.

أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ [1].

و يجعل القرآن الكريم آدم و زوجته شريكين في الخطيئة الأولى و التوبة منها، شريكين في جزائها ﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾ [2] ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكون من الخاسرين ﴾ [3] و رغم ذلك فإن أحداً سواهما لن يحاسب على فعلهما ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم و لا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ [4] و قد نعى الله على الجاهلية كرهها لميلاد البنت ﴿ و إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً و هو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه بالتراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ [5].

و قد أوصى الإسلام بالمرأة مولوداً فحذر من وأدها ﴿ و إذا المؤودة سئلت * بأي ذنب قتلت ﴾ [6]، و أمر بالإحسان إليها بنتاً ،فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " من بلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار"[7] و ذكر ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم " الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ، و يؤدبها فيحسن أدبها ، ثم يعتقها فيتزوجها ، فله أجران " .[8]

كما أمر الله و رسوله بالإحسان إلى الأم في نصوص كثيرة خصت في بعضها بمزيد تأكيد عن الأب.

و أما كون المرأة زوجاً فذاك عقد منح القرآن المرأة فيه أهلية التعاقد ، فجعلها صاحبة الحق في أمر نكاحها ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد تنكح زوجاً غيره ﴾ [9] و يقول ﴿ و إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ [10].

و قد جعل الله عز و جل مهرها حقاً لها تتصرف فيه وفق مشيئتها لكمال أهليتها في التصرف ﴿ و آتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ [11]، وفي دفع المهر إليها من الكرامة ما لا يخفى ، و جعل الله لها من الحقوق على زوجها ما يناسب دورها ﴿ و لهن مثل الذي عليهن بالمعروف و للرجال عليهن درجة ﴾ [12]، و هذه الدرجة ليست لقعود جنس النساء عن جنس الرجال ، بل هي لما أودعه الله في الرجل من استعدادات فطرية تلائم مهمته و دوره في المجتمع كما قال تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض

---

(١) سورة آل عمران ، آية: ١٩٥.

(٢) سورة البقرة ، آية: ٣٦.

(٣) سورة الأعراف ، آية: ٢٠.

(٤) سورة البقرة ، آية: ١٤١.

(٥) سورة النحل ، آية:٥٨-٥٩

(٦) سورة التكوير ، آية:٨-٩.

(٧) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : الأدب ، باب : رحمة الولد و تقبله ، برقم : ٥٦٤٩ ، و ابن حبان في صحيحه ، برقم : ٢٩٣٩ ، في ٢٠١/٧.

(٨) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجهاد و السير ، باب : فضل من أسلم من أهل الكتابين ، برقم : ٢٨٤٩.

(٩) سورة البقرة ، آية:٢٣٠.

(١٠) سورة البقرة ، آية:٢٣٤.

(١١) سورة النساء ، آية: ٤.

(١٢) سورة البقرة ، آية: ٢٨٨.

و بما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ [1].

و يحث القرآن على الإحسان إلى الزوجة و حسن العشرة لها حتى عند كراهيتها﴿ و عاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ [2].

و هكذا يظهر الفرق جلياً بين مكانة المرأة في الإسلام و مكانتها في النصرانية[3]

قوامة الرجل على المرأة

و يشغب النصارى بإثارة بعض المسائل يريدون منها لمز مكانة المرأة في الإسلام و المجتمع الإسلامي، و من هذه المسائل قوامة الرجل على المرأة في عصر يتنادى المتنادون فيه إلى مساواتها بالرجال.

و قد تجاهل هؤلاء وجود فرق في الاستعدادات الفطرية بين الرجال و النساء ، فكل أعطي من الخصائص ما يتناسب و دوره في الحياة.

فقد جعل الله من المرأة مربية في بيتها لأبنائها تعمل في صناعة الإنسان ، فيما أوكل إلى الرجل أمر ولايتها و الإنفاق عليها ، سواء أكانت فقيرة أم غنية ، و ولايته عليها ولاية رعاية لا ولاية استبداد أو تملك.

و قد أشار بولس إلى هذا التفوق الفطري المستلزم للقوامة فقال: " يا أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة في كل شيء " (أفسس ٥/٢٢-٢٤) ، و لم يبين بولس سبب هذا الامتياز للرجال. و يقول: " أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح ، و أما رأس المرأة فهو الرجل " (كورنثوس(١) ١١/٣)[4].

و لا يستطيع أحد أن ينكر تمايز كلٍ من الجنسين عن الآخر بخصائص خلقه الله عليها ، و حتى أدعياء المساواة لا يدعون أن قدرات الرجال و النساء واحدة ، و إلا فما تزال دول المساواة تحكم بالرجال دون النساء في سائر مستوياتها السياسية و الاجتماعية من رؤساء و وزراء و برلمانيين و....

ما جاء في ضرب النساء

و أما ما جاء في إباحة ضرب النساء في قوله ﴿ و اللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن و اهجروهن في المضاجع و اضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾ [5].

فإن ذلك خاص بالمرأة الناشز التي لم ترعو بزجر و لا هجر ، فالضرب غير المبرح أسلوب في معالجة نشوزها ، و هو بكل حال أهون من الوصول إلى حال الطلاق الذي يحرمه النصارى .

---

(١) سورة النساء ، من آية: ١٩.

(٢) سورة النساء ، من آية : ١٩.

(٣) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٦٨-٢٩٠ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢١٧-٢٢٠.

(٤) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢١٥ ، الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ، ص ١٨٧.

(٥) سورة النساء ، آية:٣٤.

هـــذا و لم يضـــرب رســـول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من نسائه قط ، بل إنه لما بلغه أن قوماً يضربون نسائهم غضب و قال:" لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها آخر اليوم "[1]، و لما أتته امرأة تستشـــيره في أمـــر زواجها أبان لها علة في أحد خاطبيها فقال: " و أما أبو الجهم فإنه ضراب للنساء " [2] ، و هكـــذا فـــإن الضرب المأذون به في شريعتنا ليس لحرائر النساء الكريمات ، و إنما هو دواء يلجأ إليه عندما يستفحل الداء .[3]

حل الطلاق وكونه من حقوق الرجل

و ممـــا يشعب به النصارى على مكانة المرأة في الإسلام إباحته للطلاق، و جعله في يد الرجال دون النساء.

و في الإجابة عن هذه الشبهة أكد علماؤنا أن حل الطلاق شرعية توراتية ، فقد أبيح الطلاق إلا في حالـــة واحدة ، و هي زواج رجل من فتاة قد زنى بها ، فيعطي لأبيها خمسين من الفضة ، و تكون له زوجة " لا يقدر أن يطلقها كل أيامه " (التثنية ٢٢/ ٢٨).

و أمـــا في العهـــد الجديد فيفترض أن يبقى التشريع قائماً حتى لا ينقض الناموس ، لكن متى يقول: " و جـــاء إليـــه (أي المسيح) الفريسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟ فأجاب و قال لهم: أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً و أنثى...فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان. قالوا: فلماذا أوصى موسى أن يعطي كتاب طلاق فتطلق ؟ قال لهم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، و لكن من البدء لم يكن هكذا ، و أقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا ، و تـــزوج بأخـــرى يزني...ليس الجميع يقبلون هذا الكلام " ، ثم حدثهم عن الخصيان الذين خصوا أنفسهم ابـــتغاء المـــلكوت فقال:" من استطاع أن يقبل فليقبل " (متى ١٩/٣-١٢) ، و قد فهمت الكنيسة من هذا النص تحريم الطلاق.

و يـــرى أحمد عبد الوهاب أن النص الإنجيلي ما هو إلا إضافة أخلاقية ، و لم يجره المسيح مجر الإلزام والتشريع بدليل قوله:" من استطاع أن يقبل فليقبل "، وكان قبل قد ذكر أن ليس كل أحد يطيق كلامه هذا.

ويرى أحمد عبد الوهاب أيضاً أن الاستثناء في قوله " إلا بسبب الزنا " قول دخيل على الإنجيل ، وأنه بشـــهادة العـــلماء من وضع الكنيسة ، بدليل أن حد المرأة المتزوجة – في التوراة – إذا زنت : القتل (انظر التثنية ٢٢/٢٢) .

و لم يكن لهذا النص الإنجيلي أن يغير سنة جارية في الحياة ، يلجأ إليها الزوجان عندما تستحيل بينهما الحيـــاة،لذلك ســـنت دول النصرانية في العصور الحديثة قوانين تسمح بالطلاق لأسباب مختلفة ، كالرضا من الزوجين أو سوء المعاملة أو الغياب الطويل ...وكل ذلك إقرار بضرورة وجود هذا التشريع .[4]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : النكاح ،باب : ما يكره من ضرب النساء ،برقم : ٤٩٠٨ في ١٩٩٧/٥ .

(٢) رواه ابن ماجة في سننه برقم: ١٨٦٩ في ٦٠١/١، وصححه الألباني برقم:١٥١٥ .

(٣) انظر: تعليق دمشقية على" القرآن والكريم والكتاب المقدس .أيهما كلام الله ؟ أحمد ديدات "، ص ٨٧.

(٤) انظر:تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١١٨-١٢٦ ، ١٣٦

كما بين علماؤنا النظم التي وضعها الإسلام لتشريع الطلاق والتي يجهلها الذين ينكرون على الإسلام إباحـــته،فقد رغـــب الإسلام في إمساك الرجل زوجته على كراهته لها ، ثم أذن له بطلاقها مرتين من غير أن يخرجها من بيتها قبل انتهاء عدتها ، و أن يكون طلاقه لها في طهر لم يجامعها فيه ، ثم ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعـــروف أو تســـريح بإحسان ﴾ [1] ، و للزوج رد زوجته حال عدتها ، فإن انقضت فلا بد من عقد و مهر جديدين ، فإن طلقها الثالثة لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

و يفـــرض القرآن للمطلقة حقاً على زوجها ، و هو المتعة ﴿ و للمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المـــتقين ﴾ [2] ، ويقول تعالى عن مقدار المتعة ﴿ و متعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين ﴾ [3].

و قد وضع الإسلام – كما الشرائع السابقة – الطلاق بيد الرجل لحكمة لا تخفى إذ رأينا من عاطفية المرأة ما يؤدي إلى تسرعها في الأمور، بينما الرجل بعقليته الغالبة أقدر على تحمل مثل هذا القرار.

كمـــا أن المرأة يجوز لها أن تطلب من القاضي أن يطلقها من زوجها بعد أن تبدي لذلك الأسباب الموجبة ، و يجيز فقهاء الإسلام لها أن تشترط في عقدها حقها في طلاق نفسها إن شاءت. و في كل ذلك ما يبرئ ساحة شريعة الإسلام من الغبن الذي ألحقه النصارى بها ، و يؤكد واقعية هذه الشريعة و مثاليتها في آن واحد[4].

حقوق المرأة والميراث

و يـــرى النصـــارى أن الإسلام يغبن المرأة حين يجعل لها من الميراث نصف ما للرجل ، كما يجعل شهادتها نصف شهادة الرجل.

و بداية فلئن كان القرآن يجعل للمرأة من الميراث نصف ما للرجل فإن التوراة تحرم المرأة من الميراث كلية حال وجود أشقاء لها " فكلم الرب موسى قائلاً...أيما رجل مات و ليس له ابن تنقلون ملكه إلى ابنته " (العدد ٢٧/٦-٨)، و يفهم من السياق أن وجود الابن يمنع توريث الابنة.

أما في شريعة الإسلام فإن الذكر و الأنثى قد يتساويان في الميراث كما في مسألة الكلالة ﴿ و إن كان رجل يورث كلالة أو امرأة و له أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثـــلث ﴾ [5]و قضى عمر بالتساوي بين الأخوة لأم ، قال الزهري: "و لا أرى عمر قضى بذلك حتى علم

-١٣٩ ، ١٥٢-١٥٥ ، تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، ص ٧٢.

(١) سورة البقرة ، آية: ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة ، آية: ٢٤١.

(٣) سورة البقرة ، آية:٢٣٦.

(٤) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٩٢-٢٩٨ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٢٢ ، الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ، ص ١٨٤ -١٨٦.

(٥) سورة النساء ، من آية:١٢.

ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ". [1]

و مرة أخرى ساوت الشريعة بين الوالدين في إرثهما من ولدهما ﴿ و لأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ [2]

و قضى الشارع الحكيم بتوريث الذكر ضعف الأنثى كما في التوارث بين الزوجين و توراث أولاد المتوفى ، لكن ذلك يتناسب مع المسئولية المالية الملقاة على عاتق الزوج أو الأخ ، إذ كل منهما ملزم بالإنفاق على زوجته أو أخته، و هذا غرم يستحق غنماً .

كما أن شرائع الإسلام تلزم الرجل نفقات لاتلزم المرأة كالمهر والدية التي يتحملها العصبة من الرجال دون النساء .

وهكذا حين جعل الله للذكر مثل حظ انثيين من الميراث لم يقض بهوان النساء ، إنما قسم المال تقسيماً مادياً بحتاً يتناسب والمسئوليات المنوطة بكل منهما[3].

شهادة المرأة

و أمـــا جعل شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد فذلك ليس مطرداً في سائر الشهادات ، فشهاداتها الأربع في اللعان تعدل شهادات زوجها.

و قـــد يجعـــل الشارع شهادة المرأة معتبرة في بعض المسائل و لا يقبل فيها شهادة الرجال كالأمور النســـائية التي لا يطلع عليها الرجال عادة كحيضة المطلقة و طهرها في قوله ﴿ و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء و لا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله و اليوم الآخر ﴾ [4].

فـــيما جعل القرآن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في المسائل التي لا تضبطها النساء عادة كما في بعض المعاملات المالية و التجارية كحفظ الدين الذي نصت عليه آية الدين.

و عليه فإن جعل شهادتها بنصف شهادة الرجل ليس إجحافاً بحقها أو استهانة بمقامها و إنسانيتها ، و إنما هو مراعاة لقدراتها و مواهبها. و إلا فإن أهليتها كأهلية الرجل تماماً في كثير من المعاملات كالبيع و الشفعة و الإجارة و الوكالة و الشركة و الوقف و العتق.....[5]

تعدد الزوجات

---

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره ، و عزاه لابن أبي حاتم ، ٦١١/١.

(٢) سورة النساء ، من آية:١١.

(٣) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٩٣-٣٠١ ، تعليق دمشقية على"القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات "، ص ٨٦، تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، ص ٧٠-٧٣.

(٤) سورة البقرة ، آية:٢٢٨.

(٥) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٣٠٢-٣٠٥ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٢٣-٢٢٤.

و قـــد تعـــلق النصارى طويلاً في شبهة تعدد الزوجات في الإسلام ، و تساءلت منظمة الآباء البيض التبشيرية لم لا يسمح الإسلام للمرأة بتعدد الأزواج.

و في بيـــان و دفـــع هذه الشبهة نقل علماؤنا نصوصاً مطولة من التوراة تتحدث عن تعداد الأنبياء و غيرهـــم للزوجات ، كما أنه أمر معتاد عند سائر المجتمعات البشرية ، و لا يوجد في العهد الجديد ما يمنع تعدد الزوجات ، فتحريم التعدد نقض للناموس ، و المسيح يقول : " ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإن الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء و الأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " (متى ٥/١٧-١٨).

و ثمة إشارات من المسيح يستنبط من دراستها جواز التعدد ، ففي المثال الذي ضربه المسيح للملكوت شـــبه الملكوت بعشر عذارى أخذن مصابيحهن و خرجن للقاء العريس ، و قد أخذت خمس منهن معها زيتاً للمصباح ، فلما مر العريس "المستعدات (الخمس) دخلن معه إلى العريس ، و أغلقن الباب"(متى ٢٥/١٠).

و في كلام بولس ما يفهم منه جواز التعدد لغير الكاهن حيث يقول:" فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة ...ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة" (تيموثاوس (١) ٣/١٢،٢).

و يـــرى أحمد بن عبد الوهاب أن ليس من حجة صحيحة في قول المسيح عن الزوجين : "يترك أباه و أمه ، و يلتصق بامرأته ، و يكون الاثنان جسداً واحداً ، إذاً ليسا بعد اثنين، بل جسد واحد " (متى ١٩/٥ -٦).فـــليس في النص ما يمنع تعدد الزوجات ، فهذه الوحدة المجازية يجوز أن يشترك بها أكثر من اثنين كما جاء في يوحنا في قول المسيح عن تلاميذه " ليكونوا هم أيضاً فينا " (يوحنا ١٧/٢١)[١].

و قد بقيت قضية تعدد الزوجات صيحة تنادي بها فرق مسيحية شتى مثل "الأنابشيت" في ألمانيا في أواسط القرن السادس عشر للميلاد ، وكان القس فونستير(١٥٣١) يقول :من يريد أن يكون مسيحياً حقيقياً فعليه أن يتزوج عدة زوجات. و بمثله نادت فرقة " اللامعدانيين " في نفس القرن ، و نادى به الألمان بقوة بعد الحـــرب العالمية الثانية ، و يجدر بالذكر هنا أن إرساليات التبشير في أفريقيا لا تمانع من بقاء الأفريقي المتنصر متزوجاً بأكثر من زوجة[٢].

و قد أباح الإسلام تعدد الزوجات الذي أباحته النبوات السابقة ، و شرط الشارع على الزوج العدل بـــين زوجاته فيما يقدر عليه ، و عفى عما لا يتعلق بقدرته كالمحبة ، كما حدد التعدد بأربع حسماً للفوضى والعبث[٣].

---

(١) انظـــر: تعـــدد نســـاء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١١٥-١١٨ ، ١٤٤-١٤٥ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ، ص ٥٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٣٢-٢٣٥ ، ٢٣٩ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيـــري ، ص ٣١٤ ، التبشـــير والاستشـــراق ، محمـــد عزت الطهطاوي ، ص ٢٠٢-٢٠٣ ، القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ٨٥.

(٢) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٤٠-٢٤١ ، التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٢٠٤.

(٣) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٣١ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين

وقـــد كانت إباحة الشارع لتعدد الزوجات شيئاً من حكمة الله الحكيم ، إذ واقع الأرض لا يصلح إلا بمـــثل هـــذا التشـــريع ، فعدد نساء البشر اليوم يربو على رجالها بأربعمائة مليون امرأة ، مما يجعل تعدد الزوجات ضرورة ملحة لكل مجتمع يخشى الفساد و الانحلال.

و قد تنبأ إشعيا بزيادة عدد النساء على الرجال فقال و هو يتحدث عن آثار الحروب:" فتمسك سبع نســـاء برجل واحد في ذلك اليوم قائلات: نأكل خبزنا ، و نلبس ثيابنا ، ليدع فقط اسمك علينا. انزع عارنا "(إشعيا ٤/١).كما أن تعدد الزوجات ينسجم مع ما جاء في التوراة من أمر آدم وذريته بكثرة التوالد والذرية ،فقـــد قـــال لآدم :" أثمـــروا واكثروا واملأوا الأرض " (التكوين ٢٨/١) ، فتعدد الزوجات سبب في كثرة النســـل،فيما القصر على زوجة واحدة يمنع الزوج من الاستمتاع بنعمة الإنجاب لضعف المرأة ثم عجزها عن الإنجاب في سن مبكرة عن الرجل.

كمـــا أن تعدد الزوجات يعين الرجل على العفة والفضيلة ، إذ من طبيعة الرجل أن يميل إلى التعدد لأسباب مختلفة كعقم الزوجة أو طمثها أو مرضها....، و قصر الزواج على زوجة واحدة يدفع إلى البغاء ، و هـــذا القـــس سويجارت يقول في مناظرته لديدات: " المسيحية تسمح لنا بواحدة فقط ، و لذلك أرتضي أفضلهن من أول قذيفة". و ما هي إلا شهور حتى ظهر على شاشات التلفاز يعتذر لشعب الكنيسة عن فعله الـــبغاء طوال سنين مع إحدى المومسات ، و يعلن اعتزاله العمل الكنسي ، ليكون دليلاً على حكمة الإسلام البالغة حين أباحت تعدد الزوجات.

و القـــس ســـويجارت ليـــس بدعاً بين أقرانه و أهل دينه ففضائح الرهبان تدوي بين اليوم و آخر ، و أصبح الأصل في المجتمعات النصرانية الاقتصار على زوجة مع تعدد العشيقات.

و صـــدق لوثـــر في نقده المرير لواقع الكنيسة و المجتمع النصراني حين قال: " إن نبضة الجنس قوية لدرجـــة أنـــه لا يقدر على العفة إلا القليل...من أجل ذلك الرجل المتزوج أكثر عفة من الراهب...بل إن الزواج بامرأتين قد يسمح به أيضاً، كعلاج لاقتراف الإثم ، كبديل عن الاتصال الجنسي غير المشروع " .

و من ذلك ندرك الحكمة التي من أجلها شرع تعدد الزوجات ، و لم يشرع تعدد الأزواج فذلك ضد فطرة الإنسان ، و هو مفض إلى اختلاط الأنساب التي هي من أجلّ ما يصونه الإنسان[1].

والمـــلحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣١٠-٣١١ ، الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ، ص ١٨٣ ، تعليق دمشـــقية عـــلى "القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص١٦٩" ، تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، ص ٨٣-٨٤.

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٥٦-١٦٥ ، ١٨٥ ، الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية ، حسين الجسر الطرابلسي ، ص ٩٥ ، أدلة اليقين في الـــرد عـــلى مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣١٣ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٢٣١ ، ٢٤٣-٢٤٨ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١١٢ ، الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبـــو خليل ، ص ١٨٢ ، القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص١٦٩-١٧٠ ، تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، ص ٧٨-٨١ .

المطلب الثالث: شبهات النصارى حول نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم.

وأثار النصارى سيلاً من الشبهات الباطلة التي انصب كذبهم وبهتانهم فيها على شخص نبينا صلى الله عليه وسلم ورسالته ، وقصدهم من ذلك إبطال الركن الثاني من أركان هذا الدين.

*معجزات النبي

و مـــن الشبهات التي أثارها النصارى ليشككوا في نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم القول بأنه لم يأت بمعجزات، و في إثبات ذلك تعلقوا ببعض الآيات القرآنية التي تأولوها على نحو باطل. يقول وهيب خليل في كـــتابه"اســـتحالة تحريف الكتاب المقدس":"إن موسى عليه السلام صنع معجزات ، أما رسول الإسلام فلم يصنع معجزات ، و هذا بشهادة القرآن" ، فقد تعلقوا بقوله تعالى ﴿ و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بهـــا الأولون ﴾ [1] و قوله ﴿ و قالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ [2] و أمثال ذلك من الآيات التي طلب فيها الكفار آية معينة فلم يجبهم إليها النبي صلى الله عليه وسلم [3].

و هذه الآيات التي تعسف النصارى في الاستدلال بها موضوعها الآيات التي طلبها المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم تعجيزاً فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ و قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينـــبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله و الملائكة قبيلاً * أو ترقى في السماء و لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قـــل ســـبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾[4] فعند طلب أمثال هذه المعجزات مع الإعراض عن المعجزة الحقيقيـــة لنبيـــنا صـــلى الله عليه وسلم و المعجزات الأخرى ، عند ذلك لم يستجيب الله عز و جل لطلب المشركين ، إذ أن طلبهم ليس لعدم قيام الحجة الكافية بل هو نوع من التعنت و التعجيز ، و قد كانوا كلما رأوا معجزة يقولون سحر مستمر أو ساحر مبين...فحتى لو نزلت هذه الآيات فلسوف يعيدون ذلك القول.

و قـــد قال تعالى عن معجزة القرآن ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون ﴾ [5].

و بعـــض هذه الآيات التي طلبوها مستحيل شرعاً كقولهم ﴿ لولا يكلمنا الله ﴾ و قد أجابهم الله على طلـــبهم لهذه الآيات ﴿ قل إنما الآيات عند الله و ما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ [6]﴿ قل إن الله قادر عـــلى أن ينزل آية و لكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [7]و عدم إجابة المشركين على تعنتهم لا تعني أن رسول الله

---

(١) سورة الإسراء ، من آية: ٥٩.

(٢) سورة الأنعام ، من آية: ٣٧.

(٣) مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ١١٥.

(٤) سورة الإسراء ، آية:٩٠-٩٣.

(٥) سورة العنكبوت ، آية:٥١.

(٦) سورة الأنعام ، آية ١٠٩.

(٧) سورة الأنعام ، آية: ٣٧.

صلى الله عليه وسلم لم يأت بآيات ، فإن هذا يرده التأمل في معجزة القرآن و ما نقل من معجزاته صلى الله عليه وسلم المبثوثة في كتب الحديث ودلائل النبوة[1].

ثم إن اشتراط النصارى المعجزة للدلالة على النبوة ليس بصحيح وفق دينهم و كتابهم ، فها هو يوحنا المعمدان يقول عنه متى: " يوحنا عند الجميع نبي " (متى ٢١/٢٦) ، و في موضع آخر " أفضل من نبي " (متى ١١/٩) ، و رغم ذلك لم يأت بآية واحدة ، يقول يوحنا " فأتى إليه كثيرون و قالوا إن يوحنا لم يفعل آية واحدة " (يوحنا ١٠/٤١).

ثم إن مثل هذه النصوص القرآنية التي يتعلق بها النصارى ورد في حق المسيح في الأناجيل ، يقول مرقس: " فخرج الفريسيون و ابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه ، فتنهد بروحه، وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل آية. ثم تركهم... " (مرقس ٨/١١-١٣).

و كان الشيطان قد جربه قائلاً:" إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب :إنه يوصي ملائكته بك...قال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجرب إلهك " (متى ٤/٦-٧) ، ولما وضع بين يدي هيرودس "فرح جداً ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة ، و ترجى أن يرى آية تصنع منه ، و سأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء " (لوقا ٢٣/٨-٩).

فما الذي يقوله النصارى في هذه النصوص ؟ و هل يرونها مبطلة لما جاء به المسيح من معجزات ؟![2] فكل ما يقولونه في حق المسيح نقوله في حق نبينا عليه وعلى أخيه عيسى أفضل الصلاة والسلام.

تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

و أثار النصارى شبهات تتعلق بكثرة عدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، و يلخص القس فندر شبهاتهم في هذا الباب فيقول: " إن المسلمين لا يجوز لهم أزيد من أربع زوجات ، و محمد – صلى الله عليه وسلم – لم يكتف بها ، بل أخذ تسعاً لنفسه ، و أظهر حكم الله في حقه : أن الله أجازني لأن أتزوج بأزيد من أربع.

الثاني: إن المسلمين يجب العدل عليهم بين نسائهم ، و أظهر حكم الله في حقه أن هذا العدل ليس بواجب عليه.

الثالث: أنه دخل بيت زيد بن حارثة ، فلما رفع الستر وقع نظره على زينب بنت جحش زوجة زيد ، فوقعت في نفسه ، و قال: سبحان الله . فلما اطلع زيد على هذا الأمر طلقها ، فتزوج بها ، و أظهر أن الله أجازني للتزوج.

---

(١) انظر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤/١٣٠٦-١٣٠٩ ، ١٣١٥ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/٦٤٢-٦٦٢ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ١٨٢-١٩٠ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ١١٥-١١٧ ، التثليث في المرآة ، كوثر نيازي ، ص ٤٨-٥١.

(٢) انظر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤/ ١٣١٠-١٣١٤ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/ ٦١٤-٦٢٤ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ١٩١-١٩٣.

الـــرابع: أنه خلا بمارية القبطية في بيت حفصة في يوم نوبتها فغضبت حفصة ، فقال محمد: حرمت مارية على نفسي،.ثم لم يقدر أن يبقى على التحريم ، فأظهر أن الله قد أجازه لإبطال اليمين بأداء الكفارة.

و الخـــامس: أنـــه يجوز في حق متبعيه إن مات أحدهم أن يتزوج الآخر زوجته بعد انقضاء عدتها، و أظهر حكم الله في حقه أنه لا يجوز لأحد أن يتزوج من زوجاته بعد مماته " .

و يستشـــهد النصـــارى بكثرة نساء النبي صلى الله عليه وسلم لإثبات ولع رسول الله صلى الله عليه وسلم - و حاشاه - بالدنيا فيقول الكندي : " قال بولس رسول الحق، رسول المسيح مخلص العالم:إن الذي لـــه زوجة إنما غايته أن يصرف عنايته إلى رضى زوجته ، و الذي لا امرأة له فعنايته مصروفة إلى رضى ربه " (انظـــر كورنثوس(١) ٧/٣٢-٣٣)...فمتى كان له الشغل الدائم المتصل بهذه الأمور الفراغ للصوم و الصلاة و العبادة و جمع الفكر و صرفه إلى أمر الآخرة " [١].

فأمـــا كـــثرة نسائه صلى الله عليه وسلم فإنه حال أشبه به الأنبياء السابقين كما قال تعالى ﴿ و لقد أرسلنا رسلاً من قبلك و جعلنا لهم أزواجاً و ذرية ﴾ [٢].

و يحكي الكتاب المقدس عن تعدد نساء الأنبياء فذكر لإبراهيم ثلاثاً سوى السراري ، و ذكر ليعقوب أربع زوجات فيما ذكروا لداود تسع زوجات و عشرات الإماء، و أما سليمان الذي تقول التوراة بأن الله قال عنه" أنا أكون له أباً ، و هو يكون لي ابناً " (صموئيل (٢) ٧ /١٤) و يقول عنه كتبة الأسفار أيضاً " أحب الملك نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : مؤابيات و عمونيات و أدوميات و صيدونيات و حثيات ، و من الأمـــم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم و لا يدخلون إليكم ، لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة.

و كانت له سبع مائة من النساء السيدات ، و ثلاث مائة من السراري ، فأمالت نساؤه قلبه ، و كان في زمان شيخوخة سليمان أن نساؤه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، و لم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه " (ملوك (١) ١١/١-٨).

و يجـــدر هنا أن نذكر أن داود على كثرة نسائه كان كاملاً مع الرب ، رغم أن التوراة تذكر زناه بامرأة أوريا الحثي- و حاشاه صلى الله عليه وسلم -.

فكما كان حال هؤلاء الأنبياء كان حال نبينا صلى الله عليه وسلم ، فلم تكن كثرة نساءه لتمنعه من أن يقوم بحق ربه على أكمل و أحسن وجه.

ثم كيـــف للنصـــارى أن يسقطوا حق النبوة من التعظيم بسبب كثرة الزوجات و هم لم يسقطوها للأنبياء و قد رموهم بأعظم الفواحش من زنا و خمر ؟ و هو بكل حال أشد من تعدد الزوجات[٣].

---

(١) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٤/ ١٣١٩-١٣٢١ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/٥٤٤.

(٢) سورة الرعد ، من آية:٣٨.

(٣) انظـــر: إظهـــار الحق ، رحمة الله الهندي ٤/١٣٢١-١٣٢٧ ، ١٣٥٠-١٣٥١ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمـــان الألوسي ١/٥١١-٥١٧ ، ٥٥٤-٥٥٥ ، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ، ص ٥٣ ، التبشـــير والاستشـــراق ، محمـــد عزت الطهطاوي ، ص ٢٠١-٢٠٢ ، تعدد نساء الأنبياء و مكانة المرأة في اليهودية و المســـيحية و الإســـلام ، أحمـــد عبد الوهاب ، ص ٧-٣٨ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد

و تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كانت لحكمة أبعد و أعمق مما تصوره النصارى ، فزواجه لم يكـــن لغرض دنيوي فحسب ، و لو كان دافع الزواج حاجة الجسد فقط لكان ذلك في شبابه أولى ، فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة و عمره خمسة و عشرون سنة ، و هي تكبره بخمس عشرة سنة ، و بقيت وحيدة عنده حتى وفاتها ، ثم تزوج بعد وفاتها بثلاث سنين من سودة بنت زمعة و عائشة بنت الصديق ثم بقية أزواجه ، و قد كان زواجه من عائشة و سودة و عمره ثلاث و خمسون سنة.

و قـــد كـــانت جميـــع أزواجه - خلا عائشة — ثيبات ، و فيهن من لا يرغب بزواجها لكبر سنها كسودة ، و فيهن من قاربت الأربعين كأم سلمة[1].

و أما عائشة فكانت البكر الوحيدة في نسائه و أصغرهن رضي الله عنهن ، و هنا يلمز النصارى فارق السن بينها و بين رسول الله ، و يغفلون عن خصائص البيئة العربية التي لا تجعل لفارق السن كبير اعتبار ، إذ تنصرف الهمم لإنجاب الذرية ، و كلما صغر عمر المرأة زادت خصوبتها.

ثم أن النصارى يرون من زواجه صلى الله عليه وسلم من عائشة ما يستحق القدح ، و لا يرون ذلك في زواج إبراهيم عليه السلام من هاجر و قد دخل عليها و عمره خمس و ثمانون سنة (انظر التكوين ١٦/١٦) كمـــا أن داود عليه السلام قد تزوج في شيخوخته أبيشج الشمونية ، و بينهما من العمر ما يقارب الخمسين سنة (انظر الملوك (١) ١/١-٤)[2].

و قد أوضح علماء الإسلام حكمة تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم و التي يجملها أنه بتعدد نساءه:

١-يكـــثر مشـــاهدة أحواله الباطنة ، فيزداد ظهور صدقه و ينتفي ما يرميه به المشركون من سحر و ســـواه. كمـــا أن اطـــلاع هؤلاء على أحواله الباطنة و كمالاته تظهر قيمته إذا علمنا أن منهن أم حبيبة و صـــفية ، و كلتاهما يومئذ ابنتا عدويه ، فلو لم يكن أكمل الخلق إيماناً و أحسنهم أخلاقاً لنفرتا منه ، و قد تحقق خلافه في حياتهما رضي الله عنهما .

٢- لتتشـــرف به قبائل العرب بمصاهرتهم له ، و يتألف قلوبهم بذلك إلى الإسلام ، كما يكثر بذلك عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على عدوه ، و يدرك هذا من عرف أهمية المصاهرة عند العرب ، و قد كان زواجه بجويرية بنت الحارث المصطلقية سبباً في إسلام قومها.

٣- و من حكم تعدد نسائه أن يكثر نقلة أحوال النساء إليه كما أن يتعلم نساءه منه و من أحواله ما يبلغنه إلى سائر النساء من أحكام خاصة بالنساء و يستحى من سؤاله عنها.

٤-ضـــرورة التشـــريع كما سيأتي تفصيله في قصة زواج زينب ، و أيضاً ليقتدي به رجال أمته في العدل بين النساء على كثرتهن و عدم الانشغال بهن عن أمر آخرته ، كما يقتدى به عليه السلام في إعالة من

شوقي الجزيري ، ص ٢٨٤-٢٨٥ ، ٢٨٧-٣٠٨/ المسيح في الأناجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص ٢٠٩.

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٤٠-٥٣ ، دين الله في كـــتب أنـــبيائه ، محمد صدقي أفندي ، ص ١٦٨ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣١٩.

(٢) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٥٥-٥٦.

لا معيل لها على كثرة أعبائه و واجباته عليه الصلاة و السلام[1].

و قد أنصف نظمي لوقا في كتابه " محمد في حياته الخاصة " حين قال : " هؤلاء زوجاته اللواتي بين بهـــن، و جمع بينهن لم تكن واحدة منهن هدف اشتهاء كما يزعمون، و ما من واحدة منهن إلا كان زواجه بها أدخل في باب الرحمة و إقالة العثار و المواساة الكريمة ، أو لكسب مودة القبائل و تأليف قلوبها بالمصاهرة و هي بعد حديثة عهد بالدين الجديد ، هي ضريبة واجبة إذن أو ضريبة مكانة و زعامة.. و ما كان من الهين عـــلى رسول قائد جيش و حاكم دولة محاربة أن يزيد أعباءه بما يكون في بيت كثير النساء من خلافات على صـــغائر الأمور...و لكنه الواجب : واجب الدعوة أو واجب النخوة...واجب أقدم البعض على استغلاله اســـتغلالاً منكراً ، فرأينا من يعضلها أن تجد زوجاً لا ترعى الحشمة و تذهب للرسول صلى الله عليه وسلم تعـــرض عليه نفسها متطاولة إلى شرف أمومة المؤمنين...و يسكت محرجاً لا يريد أن يجرح كرامة تلك المرأة المجترئة عسى أن تنصرف عنه و هو يعلم قبوله الزواج من مثلها سيفتح عليه باباً لا قبل له به ، و لولا أن أحد أصـــحابه جعل نفسه فداء للرسول في ذلك الزواج بالهبة ، لأوذي في حياته بإحدى خطتين : إما التورط في القبول أو المجاهرة بالرفض الصريح...

و أنقـــذه القـــرآن بعـــد ذلـــك من مثل هذا التورط الفادح ، فحرم عليه بصريح النص في سورة الأحـــزاب(الآيـــة :٥٢)[2]."وهو قوله ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً ﴾

و أما الإذن له صلى الله عليه وسلم بزيادة الزوجات عن أربع ، ثم منع المؤمنين من نكاح نسائه من بعـــده فهي من خصوصياته عليه السلام التي جعلها الله له فكما خصه بوجوب قيام الليل ، و أذن له بوصال الصيام ، و منعه من توريث ماله لورثته . فكما خصه بذلك خصه بهاتين الخصلتين.

و في التوراة أن الله يخص الهارونيين المسئولين عن الكهانة في بني إسرائيل بأحكام خاصة ، فلا عجب أن يخـــص نبي بها [3]. و قد قال تعالى ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ [4].

ثم إن تحريم نساءه من بعده أمر طبيعي إذ هو صلى الله عليه وسلم لأمته بمنزلة الأب ، و هن أمهات المؤمـــنين ، و لا يـــليق بالمرء أن يتزوج بمن لها اعتبارياً منزلة الأم ، كما أن الإذن بنكاح نساءه من بعده قد يطمع أحداً بنكاح إحداهن بعده ، فيتوق لموت النبي و هي مهلكة قطع الله طريقها بتحريم نكاح نسائه صلى الله عليه وسلم [5].

---

(١) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/٥٥٦-٥٥٧ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣١٥-٣١٨.

(٢) انظر: تعدد نساء الأنبياء ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٩٢-٩٣.

(٣) انظـــر: إظهـــار الحق ، رحمة الله الهندي ١٣٤٩/٤ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/ ٥٢٢ ، تعدد نساء الأنبياء ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٠٦-١٠٧.

(٤) سورة الأحزاب ، آية: ٣٨.

(٥) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/٥٣٠-٥٣١.

و أمـــا قصـــة زواجه من زينب و قد تلقفها النصارى من روايات لا تصح ، رواها الطبري و ابن إسحاق ، و يظهر ضعفها إذا تأملنا ما فيها من تناقضات ، و عرفنا أن وجود هذه الروايات في كتب المسلمين لا يعني صحتها ، و قد ذكر الطبري في مقدمة تاريخه وجود روايات منكرة عنده وعند القارئ يقول عنها : " فليعلم (أي القارئ) أنه لم يؤت من قبلنا ، و إنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا ، و أنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا" .

و قـــد أحسن ابن كثير حين قال عن هذه الروايات : "ذكر ابن أبي حاتم و ابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها..لكن الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنها (أي زينب) ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما جاءه زيد رضي الله عنه ليشـــكوها إليـــه قال : ﴿ أمسك عليك زوجك و اتق الله ﴾ [1]، و قد ذكر أصحاب السير أن زينب كانت تســـتعلي بنســـبها القرشـــي على زيد المولى ، فاستحالت الحياة بينهما ، فأتى زيد رسول الله صلى الله عليه وســـلم يشـــكوها و يســـتأذنه في طلاقها فأمره الرسول بإمساكها[2]، فقد استصعب أمر زواجها لما يعلمه الـــناس من أنها زوجة متبناه ، و لقد صرح القرآن الكريم بأن الأمر الإلهي كان لحكمة تشريعية و هي إبطال التبني.

و مما يؤكد ضعف رواية ابن إسحاق و روايتي الطبري أن زينب كانت ابنة عمته صلى الله عليه وسلم و هـــو الذي خطبها لزيد ، و محاسنها لا تخفى عليه و قد رآها منذ طفولتها ، فكيف يقال بأنه فتن بها بعد ذلك ، فكأنه لم يرها من قبل!![3].

فلا يجوز للنصارى أن يعجبوا من أمر الله نبيه بالزواج من مطلقة متبناه لإبطال عادة التبني المتجذرة في المجـــتمع العربي ، إذ هم يقولون بأمور أغرب من ذلك ينسبونها لله منها أنه أمر نبيه هوشع بنكاح زانية (انظر هوشـــع ١/٢-٣) ، و أمر إشعيا بأن يمشي مكشوف العورة عرياناً بين الرجال و النساء ثلاث سنين (انظر إشعيا ٢٠/٢-٤).

فتلك الأوامر و أمثالها تليق عندهم في حق الله ، و لا تحط من منزلة الأنبياء ، أما أن يتزوج رسول الله بمطلقة زيد بعد انتهاء عدتها فهذا يحط من منزلة النبوة[4].

و أما تحريم النبي صلى الله عليه وسلم لمارية ثم كفارته عن ذلك اليمين فهو أمر تقره الشريعة ، و يقع بـــه سائر الناس ، فيعود أحدهم عما كان قد عزم عليه ، و لكن العجب من أن النصارى لاتجيزه فيما يخص رســـول الله صلى الله غليه وسلم ، وقد جعلته جائزاً في حق الله عز و جل إذ جعلت الله عز و جل يندم على بعـــض فعلـــه أو أمره – كما سبق بيانه – و قد حكوا ذلك أيضاً عن المسيح عليه السلام كما في قصة المرأة الكنعانية التي أبى شفاء ابنتها ، ثم بعد جدل و رجاء من التلاميذ قبل ذلك (انظر متى ١٥/ ٢١-٢٨) و مثله

---

(١) سورة الأحزاب ، آية: ٣٧ ، و انظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير٦٤٧/٣.

(٢) انظر البداية والنهاية ،ابن كثير ١٤٨/٤ .

(٣) تاريخ الأمم و الملوك ، الطبري ٨/١ .

(٤) انظر: إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ١٣٥٠/٤ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ٥٢٢/١-٥٢٤ .

صنع لما طلبت منه أمه تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا فرفض ، ثم صنع ذلك (انظر يوحنا ٢/٣-٤).

والقصـــة التي تعلق بها النصارى ذكرت في سياق ما ذكره علماؤنا في سبب نزول سورة التحريم ، وهـــي رواية مرسلة إلى زيد بن أسلم ، وليس فيه رواية مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم .والصحيح في سبب نزول آيات سورة التحريم ما جاء في رواية البخاري أنه صلى الله عليه وسلم حرم على نفسه العسل ، فنـــزلت الآيات .[1]

ورغم هذا الركام من الأراجيف فإن كلمة الحق تأبى إلا أن تعلن عن نفسها صريحة مدوية من أولئك النصـــفين ،ومـــنهم الكاردينال ترانكون رئيس أساقفة أسبانيا حيث قال في قرطبة في المؤتمر الثاني للحوارعام ١٩٧٧ م :" يـــريدالمجمغ البابوي منهم أن يعربوا عن احترامهم لنبي الإسلام ، ولن أحاول هنا تعداد قيم نبي الإســـلام الرئيســـية ، الدينية منها والإنسانية ، غير أني أريد أن أبرز جانبين إيجابيين — ضمن جوانب أخرى عديدة — وهي إيمانه بتوحيد الله وانشغاله بالعدالة ".

وفي نفـــس المؤتمر قال د ميجل ايرنا ثدث :" لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلماً على مدى التاريخ مثل محمد . إن الأفكار حول الإسلام والمسلمين ونبيهم استمرت تسودها الخرافة حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ...لقد سبق أن أكدت قي مناسبة سابقة الاستحالة من الوجهة التاريخية والنفسية لفكـــرة النبي المزيف التي تنسب لمحمد ما لم نرفضها بالنسبة إلى إبراهيم وموسى وأصحاب النبوات الأخرى ...وفيما يتعلق بي فإن يقيني أن محمداً نبي لدرجة أني حاولت في دراسة لي كتبت عام ١٩٦٨ م أن أشرح أن محمداً كان نبياً حقاً من وجهة النظر الدينية المسيحية ".

وفي المؤتمر التبشيري الثالث للإنجليكانيين (١٩٦٣) قال كانون وارن :" لقد تجلى الله بطرق مختلفة ، ومن الواجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لنصر هلى القول بأن الله كان يتكلم في ذلك الغار الذي يقع في تلك التلال خارج مكة ".[2]

---

(١) الجـــامع لأحكـــام القرآن ، القرطبي ١ /١١٨-١٢٠ ، والحديث في صحيح البخاري ، برقم : ٤٩٦٦ في كتاب: الطلاق ، باب : ﴿لم تحرم ما أحل الله لك ﴾

(٢) الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة ، محمد عوض ، ص ٩٢-٩٤ .

المطلب الرابع:شبهات النصارى عن القرآن الكريم

لما كان القرآن الكريم الكتاب المقدس للمسلمين ،فهم يعتبرونه كلام الله ووحيه الخاتم ،حيث نـــزل عـــلى آخر رسله ، لما كان بهذه المثابة عند المسلمين كان من الطبيعي أن يتجه النصارى للطعن والثلب لهذا الكتاب الذي يبين ضلالهم ويزيف باطلهم ، ويقيم حجة الله عليهم .

وقد وجه النصارى إلى القرآن الكريم شبهات متنوعة متعددة راموا منها تزييف نسبة هذا الكتاب لله رب العالمين ، وتتمحور هذه الشبهات حول خمس محاورنتحدث عنها في هذا المطلب .

المحور الأول : حول المصدر

و يشـــكك النصـــارى في مصدر القرآن الكريم ، و يعتبرونه من صناعة محمد صلى الله عليه وسلم و يذكرون له مصادر أرضية، و يلخص القس أنيس شروش مزاعم النصارى في مصادر القرآن الكريم ، فيقول مخاطـــباً ديـــدات:" دعني أتحداك ٧٥% من القرآن الرائع في لغتي العربية الرائعة مأخوذ من الكتاب المقدس"، و يقول:"الواقع أن هناك نصوصاً عديدة من مقاطع العهد الجديد قد استعارها القرآن و اقتبسها ، هناك حوالي ١٣٠ مقطعـــاً في القـــرآن مســـتوحاة مـــن سفر المزامير ، و نجد الروايات غير القانونية المرفوضة(الأناجيل الأبوكريفا)عند النصارى موجودة في القرآن ، إن سورة آل عمران الآية ٣٥-٣٧ تحكي بدقة الرواية الإنجيلية الأسطورية التي تحكي قصة زكريا المشهورة و مولد ابنهما " [1].

و يـــتحدث القس شروش عن مصدر آخر للقرآن هو أشعار العرب ، فيقول عن امرئ القيس" كان من أعظم شعراء العرب القدامى قبل محمد ، و في إحدى قصائده...هناك أربع آيات مأخوذة منها تم إدخالها في القرآن من قبل محمد ، و تظهر في سورة القمر الآية ١، ٢٩، ٣١، ٤٦...".

و يوضح ذلك فيقول ﴿ اقتربت الساعة و انشق القمر ﴾ هذا في القرآن ، أما امرؤ القيس فيقول: دنت الســـاعة و انشـــق القمر." ، و لم يذكر شاهداً للثانية و الثالثة ، ثم ذكر لقوله تعالى ﴿ بل الساعة موعدهم و الساعة أدهى و أمر ﴾ فادعى أنها منقولة من قول امرئ القيس:

و إذا ما غاب عني ساعة كانت الساعة أدهى و أمر.

ثم ذكـــر القس أن ابنة امرئ القيس أدركت الإسلام ، و سمعت أبيات أبيها فعرفتها و طالبت بمعرفة كيف ظهرت أبيات أبيها فجأة في السورة[2].

و يتحدث القس عن مصادر الإسلام عموماً فيقول :" من المنطقي استنتاج أن الإسلام نابع من ثقافة قبيلة مشركة هي قبيلة محمد" و يقول:" لأنه لمن المدهش أن نكتشف أن محمداً لم يؤمن بالثالوث الأقدس و لا بألوهيـــة و لا قيام المسيح ، و لفهم السبب علينا معاينة عقيدة نسطور و أتباعه ، إنها طائفة مسيحية مهرقطة

---

(١) القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ٣٢ ، ٦٩ ، ١٣٤.

(٢) القـــرآن والكـــريم والكـــتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ٦٩ ، ٩٨ ، و انظر: هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص٤٦.

هاجـــرت إلى الجزيـــرة العـــربية قـــبل ١٤٠ سنة من مولد محمد ، لقد اكتسب محمد ذاك الإنكار من هذه الهرقطة...لقد هرب (نسطور) هو و أتباعه و تفرقوا في أماكن مختلفة من بلاد الفرس و الجزيرة العربية حيث احتكوا بأسرة النبي.

معظـــم المفكـــرين المســـيحيين يؤمنون ، و يشهد لهم التاريخ الإسلامي أيضاً أن محمداً كان يلتقي بنسطور (و لعله أراد بحيرا) خلال أسفاره إلى الشام ، و حين كان في سن ١٢ رأى بحيرا فيه علامات النبوة ، و بعد سنة أقنعه بذلك ، و سافر معه ، و علمه كل ما يتعلق بما نسميه قصص الكتاب المقدس " [١].

و في التمـــثيل للاقتباسات من الوثنية ذكر شروش تقبيل الحجر الأسود ، و مثله قال صاحب كتاب " الحـــق " و هو كاهن لم يذكر ابن الخطيب اسمه ، و زعم بأن الحجر الأسود من بقية آلهة العرب التي كانوا يعبدونها [٢].

و نلمس في هذه الشبهات الكثير من الكذب الصراح كالزعم بنقل القرآن من الكتاب المقدس أو من أنـــاجيل لا ترتضـــيها الكنيسة فهذا لا يصح بحال ، و يظهر بجلاء لكل من وقف على موضوعات الكتاب المقـــدس و موضـــوعات القرآن الكريم ، و قد تحدى ديدات القس بأن يأتي بمثال واحد ، فعجز عن ذلك . و ينقل ديدات عن العالم ولير قوله : " هناك فقرة واحدة في القرآن جرى اقتباسها من كتاب المزامير " و هي " الأبرار يرثون الأرض " (المزمور ١١/٣٧).

و قد ذكر القرآن وجود هذه الفقرة في المزامير فقال ﴿و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يـــرثها عبادي الصالحون﴾[٣] ،فالقرآن ذكر أن الفقرة موجودة في الزبور ، فيما نقل متى الفقرة ذاتها في إنجيله (انظر متى ٥/٥) و لم يشر إلى أنه اقتبسها من المزامير.

و يتســـاءل ديـــدات مراراً عن الـــ(٧٥%) المقتبسة من الكتاب المقدس ، و يقول :" أي شيء في الكتاب المقدس يستحق النسخ أو الاقتباس...هذا كتابك المقدس بالعربية ، و هذه نسخة من القرآن بالعربية لأسهل الأمر عليك " [٤].

و لا ريـــب في أنه لو كان الكتاب المقدس من عند الله لوجدنا صوراً أكثر من التشابه و التماثل التي تقتضـــيها وحدة المصدر و الهدف ، و لا يعني حينذاك بأن القرآن مقتبس من الكتب السابقة ، بل ذلك معناه أن الله كما أنزل هذه المعاني على الأنبياء السابقين أنزلها على رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم.

و مـــن الـــتماثل بين شرائع الله تعظيم الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام و عظمها لأمر الله ، ثم عظمها رسول الله لتعظيم الله لها فقد جعلها قبلة لعباده ، و تقبيل الحجر الأسود من ذلك التعظيم ، و قد قال عمـــر رضي الله عنه عندما وقف عليه يقبله " إني أعلم أنك حجر لا تضر و لا تنفع ، و لولا أني رأيت النبي

---

(١) القـــرآن والكـــريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ٦٨ ، ٧٠-٧١ ، و انظر: اللقاء بين الإسلام والنصرانية ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٦٥.

(٢) انظـــر: هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٣٢ ، القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ٧٢.

(٣) سورة الأنبياء ، آية:١٠٥ .

(٤) انظر: القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١٤٨-١٥٠.

صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك " [1].

و لم يكن تعظيم الرسول للكعبة تعظيم عبادة، إنما كان تعظيماً لشعائر الإسلام و هي منها ، فقد أمر الله نبيه إبراهيم ببناء هذا البيت و تطهيره لعبادته.

هذا و لم يعرف في العرب قط رغم عبادتهم للأصنام أن أحداً منهم عبد الكعبة أو الحجر الأسود.

و أما قول القس و غيره من النصارى عن بحيرا الراهب و نسطور فهو كلام لا دليل عليه البتة ، و الموجود في كتب التاريخ الإسلامي أن رسول الله سافر إلى الشام مرتين إحداهما في طفولته حيث لقيه بحيرا الراهب ، و طلب من أبي طالب أن يحذر على ابن أخيه ، و الثانية في شبابه حيث ذهب في تجارة خديجة ، و عاد بعدها مباشرة ، و من الكذب القول بأن بحيرا قد ذهب معه إلى مكة ، و أنه قد علمه قصص الكتاب المقدس ، بل إن مجرد المقارنة بين قصص الكتاب المقدس و القرآن الكريم المشابهة كقصة آدم و نوح و إبراهيم ، إن مجرد التأمل فيها و المقارنة بينها يكفي في رد هذه الشبهة.

و هذه الشبهة قديمة ذكرها القرآن الكريم و أجاب عنها قال تعالى ﴿و لقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون عليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين ﴾ [2] ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه و أعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً * و قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة و أصيلاً * قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات و الأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ [3]﴿و ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾ [4].

و من المعلوم أن أول ترجمة عربية للتوراة كانت بعد ظهور الإسلام بقرن من الزمان ، حيث كان أسقف اشبيلية يوحنا أول من ترجم التوراة إلى العربيةعام ٧٥٠م ، ثم ترجمها سعدية بن يوسف عام ٩٤٢م ، وكتبها بأحرف عبرية ، ثم كتبها يافث بن علي في أواخر ذلك القرن بأحرف عربية .[5]

و يعجب المرء كيف ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم الاطلاع على كتب لم يكن بمقدور الأحبار و الرهبان في ذلك الزمان أن يطلعوا عليها كاملة ، بل كيف يقال بأنه أخذ من الأناجيل غير القانونية التي اختفت في بلاد المسيحية ، و إن كشفت الدراسات و عمليات تنقيب الآثار عن بعض هذه الكتب في هذا الزمان، و لكن كيف لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصل إليها قبل قرون و في بلاد لا تعير لكتب أهل الكتاب أدنى اهتمام.

و بقيت أمية الرسول حجر عثرة أمام شبهات القس ، لذا يزعم شروش بأن رسول الله كان يقرأ و يكتب ، و يقول : " هذا كان مجرد دعوى لإظهار عظمة عمل محمد في إنتاج القرآن و ليثبت إعجاز القرآن ، و حجتي الدامغة : قيل لنا أنه حين رفض أهل مكة الاعتراف بالعبارة المكتوبة على وثيقة المعاهدة (محمد رسول الله)، و انصياعاً لمطالبهم حذف محمد لقب"رسول الله "، و خط بيده عوضاً عنها عبارة محمد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الحج ، باب:ما جاء في ذكر الحجر الأسود ، برقم:١٥٢٠.

(٢) سورة النحل ، آية:١٠٣.

(٣) سورة الفرقان ، آية:٤-٦.

(٤) سورة العنكبوت ، آية:٤٨ .

(٥) انظر :التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، ص ٢٦-٢٧ .

بـــن عـــبد الله. و إليكم حدثاً آخر يؤكد إلمامه بالكتابة و القرآن حين لوحظ احتضار محمد أوعز إلى زوجته المفضـــلة عائشة أن تحضر له قرطاساً ليخط عليه اسم خليفة من بعده" ، ثم ذكر شروش أنه رأى وثيقة عليها توقيع رسول الله كما أن عمل رسول الله في التجارة يوجب عليه أن يجيد القراءة و الكتابة و الحساب.

و أخـــيراً استشـــهد بقول الله ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ و ربك الأكرم * الذي علم بالقلم ﴾ [1].

وفي إبطال هذه الحجج اكتفى العلامة ديدات برمي القس بالكذب مستدلاً بتغييره للرواية في مسألة صلح الحديبية حيث ثبت أن رسول الله استعلم الصحابة عن مكان عبارة " رسول الله " ثم أزالها ، و أنه أمر علياً بكتابة: " ابن عبد الله ".[2] و يؤكد دمشقية في تعليقه على مناظرة شروش بأن لو كتب رسول الله بنفسه اسمه و اسم أبيه فإن ذلك لا يرفع الأمية عنه ، إذ لا شيء يمنع من أن يتعلم الإنسان رسم اسمه و هو لا يعرف الكتابة[3].و مثله يقال فيما رآه شروش من توقيع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صدق في زعمه.

و أما قصة الكتاب الذي أراد رسول الله كتابته فقد ذكره البخاري ، و ذكر بأنه قد كان عنده جمع من الصحابة و أنهم اختلفوا فلما رأى اختلافهم قال: " قوموا عني ، لا ينبغي عندي التنازع " [4].

فكما كانوا حوله يكتبون الوحي طلب منهم أن يكتبوا هذا الكتاب.

و أمـــا الآيـــات في أول سورة العلق فقد سبقها قول النبي صلى الله عليه وسلم " ما أنا بقارئ " ، فالمقصود باقرأ هو أن يتلو ما يسمعه من وحي يترل به جبريل.و لا يمكن أن يكون المقصود بالقراءة القراءة من كتاب إذ لم يدفع جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً مكتوباً ليقرأه .و إنما دفع إليه وحياً مقولاً فقرأه بعده.

و قد أثبت القرآن في غير موضع أمية النبي صلى الله عليه وسلم ، و لو كان قارئاً لما خفي ذلك على قومه فكذبوه ، فعدم تكذيبهم دليل على معرفتهم بصدقه.

و أما قول القس بأن القرآن منحول من شعر العرب و استدلاله بتماثل بعض الآيات مع شعر امرئ

---

(١) سورة العلق ، آية: ١-٤، و انظر شبهة النصارى في : القرآن والكريم والكتاب المقدس . أيهما كلام الله ؟ أحمد ديدات ، ٩٣-٩٥.

(٢) انظره في رواية ابن حبان برقم : ٤٨٦٩ في٢١٢/١١ ، وقد يشكل ظاهر رواية البخاري حيث جاء فيها " فأخذ رسول الله الكـــتاب - وليس يحسن يكتب – فكتب :هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح ...." فقد يفهم من الرواية أن ذلك كله قد كتبه بيده ،وليس بصحيح ، إذ يفهم من الروايات الأخرى والمروية عن البراء أيضاً أن الذي كتبه هـــو اسمـــه فقط ، ففي رواية مسلم وابن حبان " وكتب : بن عبد الله " ولم يذكر بقية السياق ، وفي رواية أخرى له يقول : " فكـــتب مكان رسول الله : محمداً "، ومما يذكر هنا أن الروايات المختلفة ذكرت سؤال النبي علياً عن موضع كلمة (رسول الله) ،كمـــا ذكرت أنه لم يكن كاتباً قبل ذاك أي قبل كتابته لاسمه واسم أبيه .ويكون معنى رواية البخاري السالفة أنه صلى الله عـــليه وســـلم أمر بكتابة هذا كله . انظر صحيح البخاري كتاب : الصلح ، باب : كيف يكتب :هذا ما صالح فلان .. برقم : ٢٥٥٢ وكتاب : المغازي ، باب :عمرة القضاء برقم : ٤٠٠٥.وانظر صحيح مسلم ١٤١٠/٣ برقم : ١٧٨٣ ، وابن حبان في صحيحه برقم : ٤٨٦٩ في ٢١٢/١١ ، والدارمي في سننه ٦٨٧/٢ برقم : ٢٤١٢ .

(٣) انظر القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١٧٤ –١٧٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، برقم : ١١٤.

القيس فهو مرفوض لأن التماثل في بعض الألفاظ لا يعني النقل على كل حال ، و وقوع التماثل أمر طبيعي إذ جاء القرآن بما تعهده العرب في كلامها من أمثلة و استعارات و سوى ذلك من ضروب البلاغة.ثم أن الشعر المنسوب لامرئ القيس هو المنقول عن القرآن كما قد سبق بيانه .[1]

المحور الثاني : حول ثبوته

أثـــار النصارى شبهات تتعلق بثبوت القرآن الكريم ، فالنصارى يعتقدون أن القرآن كان عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم نصوصاً متنافرة و حدها عثمان ، يقول سويجارت: " بعد وفاته (أي صلى الله عليه وسلم) كان يوجد عدد لا بأس به من نسخ القرآن المتداولة التي لم تستقر بعد...الخليفة عثمان كان عليه أن يوحـــد النصـــوص...لأن نصوصاً كثيرة من القرآن كانت موجودة ...بعث عثمان إلى كل إقليم إسلامي بنسخة مما تم نسخه ، و أمر أن تحرق جميع المواد القرآنية الأخرى...، إن لم تكن متناقضة فإني أستغرب لماذا أمر بإحراقها ؟".

و يقـــول الحـــداد الخوري عن اقتصار عثمان في جمعه للقرآن على حرف واحد : " بذلك أضاعوا عليـــنا معرفة ما كان في الأحرف الستة من مباينات و مناقضات و اختلافات بالنسبة إلى الحرف الذي أثبتوه و اقتصروا عليه".

و تحدث الحداد أيضاً عما أسماه " الإصدار الثالث للقرآن " ، و قصد به المصحف الذي نقطه الحجاج بن يوسف الثقفي ، و أراد الحداد أن يوهم بأن ثمة تبديلاً أو تغيراً طرأ على القرآن حينذاك".

و تحـــدث النصارى عن إسقاط المسلمين لبعض الآيات و السور القرآنية كآية رجم الزاني و سورة الحفد و الخلع ، و يقول الخوري معقباً :"و هكذا فقد أسقط عثمان من الصحف قرآناً كثيراً " [2].

و لـــرد على هذه الشبهة شرح علماؤنا كيفية نزول القرآن و حفظه من قبل الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم و بعده.

و قـــبل أن نشـــرع في تفصيل ذلك ننبه لأمرين هامين غفل عنهما النصارى أولهما: أن المسلمين لا يسمون كل ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً ، بل ما يطلق عليه " القرآن " هو ما لم ينسخ تلاوة من الوحي ، و هو الذي تدارسه جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم.

و الأمـــر الـــثاني: أن الأســـاس الـــذي حفظ القرآن ، و اعتمد عليه المسلمون هو حفظ الصدور و السطور ، و قد كان الاهتمام بتدوين القرآن في الصحف أمراً متمماً موثقاً لحفظ الصدور.

و قد نزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث و عشرين سنة ، فكان صلى الله عـــليه وسلم إذا نزلت السورة أو بعضها أمر الصحابة بكتابتها و وضعها في مكانها بين سور القرآن وآياته ، و كان له كتاب مختصون بكتابة الوحي.

و توفي رسول الله و لما يجمع هذا الكتاب المكتوب في مصحف واحد ، و ذلك لتتابع الوحي و عدم

---

(١) انظر : ص ٢٩٤ .

(٢) القرآن والمبشرون ، محمد عزت دروزة ، ص ٧٨ ، ٨٧-٨٨ ، ٣٦٧ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص١٢٢ .

انقطاعه ، و إن كان قد علم ترتيب السور و آياته.

و قـــد كان أصل تنزل القرآن على حرف واحد ، فأشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته فقـــال:"يا جبريل إني بعثت إلى أميين، منهم العجوز ، والشيخ الكبير، و الغلام و الجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط....."[1] فاستجاب الله له و جعل نزول القرآن على سبعة أحرف قال صلى الله عليه وسلم : " أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده و يزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف " [2]، و في رواية أخـــرى أن جـــبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقـــال أسأل الله معافاته و مغفرته . و إن أمتي لا تطيق ذلك...إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة حروف ، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا " [3].

و حـــذر رســـول الله من المراء في الأحرف السبع فقال:" أنزل القرآن على سبعة أحرف ، على أي حرف قرأتم أصبتم ، فلا تماروا ، فإن المراء كفر " [4].

و خـــبر نزول القرآن على سبعة أحرف خبر متواتر أراد الله به التيسير على الأمة عند قراءتها للقرآن الكريم ، و ليس في الأحاديث السابقة و غيرها ما يفهم منه أن هذه الأحرف كانت نصوصاً مختلفة ، بل غاية ما فيه هو التسهيل في قراءة القرآن.

و قد ذكر علماؤنا أن الأحرف هي وجوه في القراءة توافق لغات العرب مع السماح ببعض الإبدال لحـــروف بعـــض الكلمات أو إبدال بعض الكلمات بدلاً لكلمات أخرى تقاربها في المعنى أو ترادفها من غير مضادة و لا تناقض.

و قـــد حفظ عدد من الصحابة القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فلما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة خشي الصحابة من ضياع القرآن فجمعه زيد بن ثابت في مصحف واحد بعد أن تتبعه من مكتوبات الصحابة و محفوظاتهم ، واستوثق له بتواتر الصحابة وإجماعهم ، و كان هذا المصحف عند أبي بكر ثم عمر ثم حفصة رضي الله عن الجميع.

و في عهـــد عثمان أتى حذيفة بن اليمان من فتوح أذربيجان و أرمينيا يحذر عثماناً و يقول:" يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود و النصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرســـلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثـــابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، و قـــال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قـــريش فإنمـــا نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، و أرســـل إلى كـــل أفـــق بمصحف مما نسخوا ، و أمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن

---

(١) رواه الترمذي في سننه ، برقم:٣١٢٥ في ١٩٤/٥، وصححه الألباني برقم:٢٣٤٦ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، برقم: ٣٠٤٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، برقم:٨٢١ في ٥٦٢/١ ، و أبو داود برقم: ١٤٧٨ في ٦٧/٢.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه برقم : ٧٤ في ٢٧٥/١ ،وأبو يعلى في مسنده برقم : ٦٠١٦ في ٤١٠/١٠ .

يحـــرق " [1].و في رواية الترمذي" فاختلفوا في "التابوت" و" التابوة " ، فقال القرشيون بالأول، و قال زيد بالثاني ، فرفعوا اختلافهم إلى عثمان ، فقال: اكتبوه بالتابوت ، فإنه نزل بلسان قريش " [2].

و يفهـــم مـــن الحديث أن ما فعله عثمان هو نسخ صحف أبي بكر مع إعادة رسم الكتابة و جعلها حسب لغة قريش ، و أهمل الجمع الأخير من الأحرف السبعة ما تعارض مع الرسم العثماني ، و ليس في ذلك إهمال لنص القرآن ، بل عاد الصحابة للأصل الأول و هو لسان قريش بعد أن زال سبب التخفيف و الرخصة الـــتي أنزل الله من أجلها بقية الأحرف، و الذي دعا الصحابة لهذا الصنيع خوفهم من تفرق الأمة و اختلافها بسبب هذه الرخصة التي فات محلها ، و التي وقع الناس لجهلهم بحكمتها في المراء الذي حذر رسول الله صلى الله عـــليه وســـلم مـــنه. و قد كان فعل عثمان رضي الله عنه بإجماع الصحابة يقول علي رضي الله عنه : " لا تقولوا في عثمان إلا خيراً ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا " [3].

و قد امتثلت الأمة طائعة لأمر خليفتها، فأحرقوا ما في أيديهم من الصحف والمصاحف التي كانت قد كتبت قبل العرضة الأخيرة ففيها ما نسخت تلاوته ،كما فيها بعض الأجزاء الناقصة التي يخشى أن يظن بعد برهة بأنها هي الصحيح فقط .

و امتثال الصحابة و فعلهم إقرار لعثمان على صحة ما فعله، و دليل على أن ما فعله عثمان هو إعادة نسخ مصحف أبي بكر ، و لو كان في فعله شائبة لثاروا عليه ، كما ثار عليه البعض حين ولى بعض أقاربه ، و مـــن المعلوم أن عثمان لم يأمر عماله بمتابعة الناس في بيوتهم و معرفة من أحرق و من لم يحرق ، فقد فعل المسلمون ذلك بمحض إرادتهم .

و مـــا أثبته عثمان في مصحفه هو العرضة الأخيرة كما أثبتها مصحف أبي بكر ، لذا اسقط منه كل منســـوخ تـــلاوة ، و مما يدل على دقة عثمان في جمعه أن عبد الله بن الزبير يقول:" قلت لعثمان ﴿ و الذين يـــتوفون منكم و يذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾ [4] قد نسختها الآية الأخرى فـــلم تكتـــبها ؟ أو تدعهـــا ؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه عن مكانه" [5] فلم يرفع عثمان الآية و هي منسوخة بآية سورة البقرة رقم: ٢٣٤.

و أما الحجاج فقد اقتصر فعله على وضع النقط، و لم يصنع سوى ذلك ، و لو صنع باطلاً لشنع عليه أعداؤه في عهد بني أمية ثم بنو العباس ، و لكان فعله من الأمور التي يستمسك بها أعداء دولته ، لكن شيئاً من ذلك لم يكن[6].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: فضائل القرآن ، باب جمع القرآن برقم: ٤٧٠٢.

(٢) رواه الترمذي في صحيحه ، برقم: ٣٣١٥ في ٥/٢٨٤، وصححه الألباني برقم: ٢٤٨٠ .

(٣) ذكره الزرقاني من رواية أبي بكر الأنباري عن سويد بن غفلة .مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، المكتبة الفيصلية مكة المكرمة ،١/٢٦٢ . وقد رواه أبو بكر السجستاني بإسناد صحيح في كتابه المصاحف ١/٢١٤ .

(٤) سورة البقرة ، آية: ٢٤٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: التفسير ، باب: "و الذين يتوفون منكم" برقم: ٤٢٥٦.

(٦) انظـــر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ٢/١٤٨-١٧٤ ، دين الله في كتب أنبيائه ، محمد صدقي أفـــندي ، ص ١٤٢ ، القـــرآن والمبشرون ، محمد عزت دروزة ، ص ٨٠-٩٢ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين

وقـــد صدق وليم موير حين قال مافند دعاوي النصارى في كتابه " حياة محمد "، فقال :" إن نظم القـــرآن ومحـــتوياته تـــنطق في قوة بدقة جمعه ، فقد ضمت الأجزاء المختلفة بعضها إلى بعض ببساطة تامة ، لا تعســـف فيها ولا تكلف ولا أثر لأحد في هذا الجمع سوى التأكد والمراجعة لكل ما كتب ، وهو يشهد بإيمـــان الجامع وإخلاصه لما يجمع ، فهو لم يجرؤ على أكثر من تناول هذه الآيات المقدسة ووضع بعضها إلى جانب بعض " .[1]

والمـــلحدين ، محمـــد شوقي الجزيري ، ص ٢٥٥-٢٥٩ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٣٢-١٣٦ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٦٨-١٧٠ ، معجزات المسيح ، محمد عوض ،ص ٢٦ .

(١) حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٣٥ .

المحور الثالث :حول بعض المزاعم المثارة حول القرآن الكريم

زعم النصارى أيضاً أن في القرآن تناقضات و أخطاء تاريخية بل و لغوية كما زعموا أنه ليس بكتاب معجز بل يمكن للبشر أن يأتوا بمثله.

أولاً :التناقضات

و مـــن التناقضات التي تخيلها النصارى في آيات القرآن الكريم التناقض بين قوله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾[1] فهو يثبت النسخ في القرآن، و يرونه مناقضاً لقوله تعالى ﴿ و اتل ما أوحـــي إليك من ربك لا مبدل لكلماته ﴾[2] و لا تناقض فالآية الأولى تتحدث عن نسخ الله بعض الأحكام وفقاً لمصلحة العباد، فيما تذكر الثانية أن أحداً غير الله لا يستطيع أن يبدل كلماته[3].

و كـــذا توهم النصارى تناقضاً في قوله تعالى ﴿ في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾[4] و قوله تعالى ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾[5] وقالوا: اختلفت الآيتان في مقدار يوم القيامة. لكن شلبي لا يراه تناقضاً لأن العدد لا مفهوم له في النصين ، بل يراد منه الكثرة كما يقول الرجل: أرسلت خمسين رسالة ، و أتيتك عشرين مرة . و مراده الكثرة[6].

و كذا توهم النصارى تناقضاً في قوله تعالى ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾[7]، فرأوه مناقضاً لإقسامه به في قوله تعالى ﴿ و هذا البلد الأمين ﴾[8] فظنوا أن لا في الآية الأولى نافية ، و هي للتوكيد ، فتأتي في القسم كما في قوله ﴿فلا وربك لا يؤمنون ﴾[9] أي أقسم بربك [10].

و رأى النصـــارى أيضاً أن ثمة تناقضاً في مفهوم القضاء و القدر في القرآن الكريم فقد جاءت آيات تـــتحدث عـــن مسئولية الإنسان عن عمله ، و يرونه مناقضاً للنصوص التي تقرر هيمنة الله على هذا الكون ﴿ فيضـــل الله مـــن يشـــاء و يهـــدي مـــن يشاء ﴾[11] و قوله تعالى ﴿ و لقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن و الإنس ﴾[12] فأبان الجزيري عن معتقد المسلمين في القدر ، و يتلخص في أن الإنسان لا يؤاخذ و لا يعاقب إلا بكسبه ، و لكن أعمال الإنسان الخيرة و الشريرة مخلوقة لله يفعلها الإنسان باختياره ، و لولا خلق الله لها

---

(١) سورة البقرة ، آية: ١٠٦.

(٢)سورة الكهف ، آية: ١٢٧.

(٣) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٢٤.

(٤) سورة السجدة ، آية: ٤.

(٥) سورة المعارج ، آية ٤.

(٦) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٢٥.

(٧) سورة البلد ، آية: ١.

(٨) سورة التين ، آية: ٣.

(٩) سورة النساء ، آية: ٦٥.

(١٠) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٢٦.

(١١) سورة إبراهيم ، آية: ٢.

(١٢) سورة الأعراف ، آية: ١٧٩.

لما استطعنا فعلها.

و يـــرى الجزيري أن قوله ﴿ فيضل من يشاء ﴾ لا علاقة له بأفعال العباد ، بل هو في باب الإخبار في أن الله قادر على أن يضل أو يهدي من يشاء بإرسال الرسل أو ترك البشرية على ضلالتها ، لكنه برحمته أرسل الرسل.

و نقـــل قـــولاً آخر يفسر الآية و هو أن الله يخلق الهداية للعبد الذي أرادها و سعى إليها ،كما يخلق الضلال لمن أراد العماية و الغواية.

و أمـــا مـــا جاء عن ختم الله على قلوب العصاة و الكفرة ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمـــنون * ختم الله على قلوبهم و على سمعهم ﴾ [1]فليس معناه أنهم ولدوا كذلك و قد ختم الله على قلوبهم، بل هذا حصل لهم بمقتضى أعمالهم .

و يقـــرر الجزيـــري أن مثل هذا اللبس يمكن أن يطرح على النصارى ، فبينما جاءت نصوص تقرر مسئولية الإنسان عن عمله كما في (متى ١٢/ ٣٣٦-٣٧، ١٦/ ٢٥)، و غيرها جاء ما يفيد بأن الله يضل من يشاء، ففي سفر حزقيال " النبي إذا ضل و تكلم بكلام ، فأنا الرب أضللت ذلك النبي " (حزقيال ١٤/٩) ، و قد أضل الله فرعون فقال: " إني أقسي قلب فرعون " (الخروج ٣/٧) ، و يقول بولس عن الله " هو يرحم من يشاء و يقسي من يشاء، فتقول لي: لماذا يلوم بعد؟ لأن من يقاوم مشيئته! بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله ؟ ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا ؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتـــلة واحدة إناء للكرامة، و آخر للهوان ، فماذا إن كان الله و هو يريد أن يظهر غضبه و يبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك..." (رومية ٩/١٨-٢٢).

و في ســـفر إشعيا أن الله "مصور النور خالق الظلمة و صانع السلام و خالق الشر . أنا الرب صانع كل هذه " (إشعيا ٤٥/٧).

فهو خالق الشر بما فيه الكفر الذي يقع فيه الناس فكيف يوفقون بين هذه النصوص؟ [2]

و هكذا تعرض علماؤنا لما ساقه النصارى من نصوص توهموا منها التناقض و التعارض فأزالوا و بينوا حقيقة المراد من النصوص و ما فيها من عموم و خصوص أو ناسخ و منسوخ...[3]

ثانياً :الطعن في عربيته وبلاغته

و ذكـــر النصـــارى أيضـــاً أن في القرآن ألفاظاً غير عربية كأسماء الأنبياء السابقين و بعض الأسماء المستعارة من لغات أخرى مثل: استبرق، جهنم، ماعون، سندس، مشكاة...فوجود هذه الكلمات في القرآن كما يرى النصارى يقدح في عربية القرآن بل و بلاغته.

---

(١) سورة البقرة ، ٦-٧.

(٢) انظـــر: إظهـــار الحق ، رحمة الله الهندي ٣/٨٧٨-٨٨٣ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٢٧٧-٢٨٣.

(٣) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ٢/ ٤٠٠-٤١٣ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٢٦٥-٢٦٧ ، القرآن والمبشرون ، محمد عزت دروزة ، ص ٤٣٩.

و يرد الألوسي بأن وجود كلمات يسيرة لا تتجاوز الثلاثين غير عربية في القرآن أو في كلام عربي لا تخرجه عن عروبته ، ثم هذه الألفاظ ، و إن كانت في أصولها غير عربية فإن العرب عربتها بألسنتها فصارت عـــربية، و كان الإمام الشافعي يمنع أن تكون أصول هذه الكلمات أعجمية ، بل يراها عربية وإن وجدت في لغات أخرى فهي مما نقله العجم عن العرب ، و كان يقول " لا يحيط باللغة إلا نبي " .

و يرى محمد عزة دروزة أن سبب تعريب العرب لهذه الكلمات لأنها تتعلق بمسميات غير مستعملة في الحياة العربية، و صلت إلى العرب من الاحتكاك بالأمم أوزان ألفاظهم ، و ذلك قبل نزول القرآن الكريم[1].

و مما قاله النصارى مشككين في بلاغة القرآن و جزالته قولهم بأن في القرآن أخطاء نحوية ، و ضربوا لذلك أمثلة نورد بعضها.

و قد جهل هؤلاء أن القرآن سابق على قواعد النحو التي وضعها سيبويه و الخليل الفراهيدي معتمدين في استنباطهم لهذه القواعد على القرآن الكريم و بعض أشعار العرب فلا يمكن أن تكون هذه القواعد اللاحقة حكماً على الأصل الذي صدرت عنه.

ثم إن المتبصـــر العارف بلغة العرب يرى أن هذه المواضع التي أنكرها النصارى لم تخالف لغة العرب و ما عهد عنهم و إن ظهر ذلك للعامي أو الأعجمي.

فأمـــا قولـــه تعالى ﴿ إن هذان لساحران ﴾ [2] فجاءت فيه ﴿ إن ﴾ ساكنة، و هي ليست " إنّ " التي تستلزم نصب الاسم و رفع الخبر ، و يرى شلبي بأن لكلمة " هذان " توجيهان : الأول : أن اسم إن المخففة هـــو ضـــمير الشـــأن المحذوف ، و خبرها جملة ﴿ هذان لساحران ﴾.و الثاني: أنها للنفي بمعنى : ما هذان إلا ساحران، و في كلا الحالين ترفع كلمة ﴿ هذان ﴾[3].

و أشـــكل عـــلى النصارى أيضاً نصب لفظة ﴿ الصابرين ﴾ في قوله ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا و الصابرين في البأساء و الضراء و حين البأس ﴾ [4].

و يـــرى دمشـــقية عجمة القس شروش و هو يحتج على هذه الآية التي نصبت لفظة ﴿ الصابرين ﴾ لعطفهـــا عـــلى قوله ﴿و في الرقاب﴾ أو نصبها كان بسبب فعل محذوف ، و تقدير الكلام: أعني الصابرين. و سبب الإضمار هو الإشعار بفضل الصبر.[5]

و أمـــا تأنيث العدد في قوله ﴿ و قطعناهم اثني عشر أسباطاً أمماً ﴾ [6]فسببه أن التميز ليس ﴿ أسباطاً ﴾ بل: فرقة. و هي مؤنثة و وافقها العدد، و أما أسباطاً فهي بدل كل من كل[7].

---

(١) انظـــر الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ٢/ ٢٦٢-٢٦٣ ، القرآن والمبشرون ، محمد عزت دروزة ، ص ٣٨٣-٣٨٥ ، وتعليق دمشقية على " القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات"،ص ١١٨-١١٩.

(٢) سورة طه ، آية:٦٣.

(٤)انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٢١.

(٥)سورة البقرة ، آية: ١٧٧.

(٦)انظر: تعليق دمشقية على "القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص١١٩.

(٦) سورة الأعراف ، آية: ١٦٠ .

(٧)انظر تعليق دمشقية على"القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات" ، ص ١١٩ ، أدلة اليقين في الرد

و أما نصب قوله ﴿ المقيمين ﴾في قوله تعالى ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم و المؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك و المقيمين الصلاة ﴾ [1] فقد نصبت لأن الواو التي قبلها ليست بواو العطف، بل الواو المعترضة و ما بعدها نصب على المدح ، و تقدير الكلام: أعني المقيمين الصلاة .

فيما رفعت كلمة ﴿ الصابئون ﴾ في قوله ﴿ إن الذين آمنوا و الذين هادوا و الصابئون و النصارى من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحاً ﴾ [2]قال سيبويه: الرفع محمول على التقديم و التأخير ، و التقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا ....و الصابئون و النصارى كذلك ، و يورد الجزيري وجهاً آخر يجيز الرفع: أن ﴿ الصابئون ﴾ معطوفة على اسم محل إن ، و اسم إن ينصب لكنه يبقى مرفوعاً للمحل ، سواء كان محل الاسم قبل الخبر أو بعده .[3]

و هذه الصور و غيرها مما ذكر علماؤنا [4]يدل على جهل مثيري الشبهات من النصارى بقواعد اللغة كما يدل على عظمة القرآن و بيانه.

ثالثاً :الزعم بوجود الخطأ في القرآن

و زعم النصارى أيضاً بوجود أخطاء تاريخية في القرآن الكريم ، فذكروا أن إبراهيم هو ابن تارح و ليس آزر ، و أن الذي وجد موسى و رباه بعد أن ألقته أمه في اليم هو ابنة فرعون- و ليس زوجه -كما ذكر الكتاب المقدس،و عجبوا كيف يذكر القرآن بأن الذي صنع العجل هو السامري ، و السامرة مدينة في فلسطين لم تكن أيام موسى و وجدت بعده عام ٧٤٢. ق. م ، و رأوا أن الذي صنع العجل هو هارون عليه السلام ، و اعتبر النصارى أن من الخطأ ذكر هامان على أنه وزير لفرعون ، إذ هو وزير لملك فارس كما صرح سفر استير ، و بنى صرحه ببابل و ليس بمصر (و يقصدون برج بابل).

و قد رد علماؤنا على زعم النصارى بأن ما ذكروه ليس بحجة إذ أن التوراة المحرفة لا يمكن أن تكون حجة على القرآن الكريم.

و بالنسبة لما ورد في اسم أبي إبراهيم فإن المفسرين ذكروا أن آزر هو عم إبراهيم ، و سماه القرآن أباً له ، لأن العم بمقام الأب ، وهو استعمال معهود في اللغة ، ومستعمل في المجتمعات العربية حتى الآن.

و أما تسمية القرآن لصانع العجل لبني إسرائيل بالسامري فليس نسبة لمدينة السامرة التي بنيت فيما بعد ،بل هو اسم قديم ،فالسومريون اسم لحضارة قديمة وجدت الميلاد بأربعة آلاف سنة في جنوب العراق ،

على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣٢٠ .

(١) سورة النساء ، آية: ١٦٢.

(٢) سورة المائدة ، آية:٦٩.

(٣) انظر: فتح القدير ، الشوكاني ٩١/٢ ، دين الله في كتب أنبيائه ، محمد صدقي أفندي ، ص ١٤٥ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣٢٣.

(٤) انظر: أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣٢٠-٣٢٧ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١١٨ ، ١٢١-١٢٢ ، القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١١٨-١٢١.

واستمرت هذه الحضارة قائمة حتى عام ٢٠٠٠ ق.م ، وقد تميز السومريون بالمصنوعات الخزفية ، فلعل السامري الذي صنع العجل لبني إسرائيل منهم [١]، ومما يؤكد قدم هذا الاسم أن السامرة قد سميت بذلك نسبة لشامر الذي باع جبل السامرة بوزنتين من فضة (انظر ملوك (١)١٦/٢٤) ، وعليه فإن السامري اسم لرجل كان قبل مدينة السامرة ، و ليس من دليل يمنع ذلك ، و الياء الملحقة بالاسم ليست ياء النسب ، فهي كقولنا : الشافعي .

ثم إن كلمة " السامري" في أصلها كلمة عبرانية معناها: " الحارس " فقد يكون مقصود القرآن أن الذي أضل بني إسرائيل هو المعروف بالحارس.

و أما هامان فليس هناك ما يمنع أن يكون اسماً لأحد وزراء أو مستشاري فرعون ، و لا يمكن إقامة دليل على عدم وجود مستشار بهذا الاسم أو اللقب .

هذا و لم تتحدث التوراة عن الصرح الذي طلب فرعون بنائه ، و أما المؤرخون فإن منهم من يقول بأن البناء قد تمّ ، ثم دكه الله فليس هو برج بابل .[٢]

و أرى أن القرآن لم يتحدث عن بناء الصرح و إن ذكر جرأة فرعون على الله و استخفافه بقومه بأن أوهمهم بأنه إذا بنى الصرح سيغالب الله، لكن كما قال المفسرون فإن فرعون أعقل من أن يجهل عظمة الله ، و لن يجهل ضعف مثله و قعوده عن مقام الربوبية.

رابعاً:الزعم بوجود مبالغات في القرآن

و في نقد النصارى للقرآن ذكروا أن فيه مبالغات و أموراً هي للأسطورة منها أقرب للحقيقة ، و مثل القس شروش لذلك بما جاء في قصة الرجل الذي أماته الله و حماره مائة عام ، ثم بعثه ، و تساءل عن الحكمة من بعث الحمار ، و ذكر أيضاً باللمز والسخرية استخدام سليمان للجن و وصف الصرح الذي دخلته ملكة اليمن ، و مثله مسخ البشر إلى قردة و خنازير[٣].

و مثل هذه الإخبار لم يقم دليل ينهض بتكذيبها، و غرابتها غير كافية للحكم بردها ، ثم قد وقعت في موقع الأعجوبة المعجزة أو العقوبة الإلهية المتناسبة مع عظم الضلال الذي وقع به بنو إسرائيل قتلة الأنبياء ،فكان من المناسب أن يعاقبوا بعقوبة يشعرون بمرارتها طويلاً ، ولو أماتهم حينذاك لكان في الموت راحة لهم ، ومسخهم عقوبة أبلغ في لبعقوبة ، و الله على كل شيء قدير.

و أما مسخ عصاة بني إسرائيل إلى قردة و خنازير الوارد في قوله تعالى ﴿ و جعل منهم القردة و الخنازير و عبدة الطاغوت ﴾ [٤] فقد ذكر العلماء له معنيين : أولهما أن المسخ كان مسخاً للقلوب فقط أي أنه مجازي.و ثانيهما: و هو قول جمهور المسلمين أنه مسخ حقيقي . و أياً كان فإن النصارى الذين يقولون

---

(١) انظر : موسوعة المورد ،منير البعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣م، ١٣٨/٩ .

(٢) انظر: أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ٣٢٧-٣٤٢ ، القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١٢٩-١٣١.

(٢)انظر: القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١٠٢-١٠٣.

(٤) سورة المائدة ، آية: ٦٠.

بتقمص الخالق للمخلوق لا يليق بهم أن يعترضوا على مثل هذه العقوبة الإلهية ، كما أن المسيح يورد ما يفيد جواز وقوع هذا المعنى فيقول:" إن الله قادر على أن يحول هذا الحجر إنساناً " (انظر متى ٣/٩)[١]

المحور الرابع : حول إعجاز القرآن الكريم.

و إبطـــالاً لمعجزة القرآن فإن النصارى يرون بأن قوة الكتاب اللغوية و جزالته ليست بكافية للحكم بنـــبوة صـــاحبه ، و يذكـــرون بأنه قد كان في الدنيا أعمال أدبية صدر بعضها من أناس لا يعرفون القراءة و الكتابة كالإلياذة اليونانية و التي يقال بأن كاتبها هو الأعمى هوميروس، و كذلك الحال في قوانين حمورابي و المعلقات السبع للعرب.

و المسلمون لا يقولون بأن فصاحة كتاب و بلاغة كاتب دليل على نبوته ، بل يرون أن القرآن ظهر في أمـــة تتفاخر بنظمها و نثرها ، فدعاهم لمعارضة القرآن، فعجزوا ، فدعاهم ليأتوا بمثل سورة منه ، فعجزوا لمعرفتهم بعظمة هذا الكتاب ، و قد عرفوا قعودهم عن الإتيان بمثله ، و لو كانوا يرون في المعلقات السبع أو غيرهـــا ما يقارب القرآن في نظمه لقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، و لكسبوا منه التحدي، لكنهم في الحقيقة عجزوا عن مقارعته ، و أقر الوليد بن المغيرة – و هو للنبي صلى الله عليه وسلم عدو و خصم – أقر بعظمـــة القرآن فقال: " قد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن ، و إن له لحلاوة ، و إن عليه لطلاوة ، و إن أعلاه لمثمر ، و إن أسفله لمغدق، و إنه يعلو و لا يعلى عليه ، و إنه ليحطم ما تحته " و لذلك لم يجدوا أمام بيان القرآن إلا أن يقولوا ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾[٢].

ثم إن إعجـــاز القرآن لا يتوقف على بلاغته فقط، يقول ندسم الجسر:" إن إعجاز القرآن لا يقوم على بلاغته فحسب كما يظن البعض ، و لكن يمتد إلى ما فيه من آيات معجزات تحمل لعلماء الطبيعة أسراراً من حقـــائق الطـــبيعة، و لعـــلماء الاجتماع أسراراً في نواميس المجتمع ، و للفلاسفة أسراراً من حقائق الوجود، و لعلماء التاريخ أسرار من دقائق الأخلاق[هكذا]، و علماء النفس أسراراً من قواعد علم النفس ، و لعلماء التربية أسراراً من أساليب التربية.

و سر الإعجاز في تلك الآيات أنها نزلت على رسول الله محمد النبي الأمي وليد البيئة الأمية قبل قرون طويلة من انكشاف أسرار العلم التي وصلنا إليها اليوم " .[٣]

و بقي التحدي القرآني يدعو أرباب الفصاحة للإتيان بمثل هذا القرآن ، فما قدر على معارضته أحد عـــلى كثرة الأعداء ، و توافر البلغاء ، لكن القس أنيس شروش يرى أن هناك من لبى تحدي القرآن ، فيقول: " أذكركم أن شعراء قبل محمد (!) و بعده لبوا هذا التحدي ".

و لم يـــنقل لنا شروش من هذه المحاولات سوى ما ذكره من اقتباس من إحدى المحاولات الحديثة ، و قـــامت به " مجموعة صغيرة من المفكرين في أورشليم عملوا لتحقيق مشروع عمره ١٦سنة " ، و المشروع

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ١/١٥٠ ، تعليق الدمشقية على " القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات " ، ص ١٠٤.

(٢) سورة المدثر ، آية:٢٤.

(٣) رد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم ، محمد جمعة عبد الله ، ص ١٥٠.

كمـــا يظهر في السياق الآتي هو محاولة لصياغة الإنجيل على محاكاة القرآن ، و قد عرض لنموذج منه القس شـــروش فقـــال:" بسم الله الرحمن الرحيم. قل يا أيها الذين آمنوا إن كنتم تؤمنون بالله حقاً فآمنوا بي و لا تخافوا. إن لكم عنده جنات نزلاً. فلأسبقنكم إلى الله لأعدها لكم ، ثم لآتينكم نزلة أخرى ، و إنكم لتعرفون الســـبيل إلى قبـــلة العليا. فقال له توما الحواري: مولانا إننا لا نملك من ذلك علماً. فقال له عيسى: أنا هو الصـــراط إلى الله حقـــاً ، و من دوني لا تستطيعون إليه سبيلاً ، و من عرفني فكأنما عرف الله ، و لأنكم منذ الآن تعـــرفونه و تبصرونه يقيناً ، فقال له فيليب الحواري : مولانا أرنا الله جهرة تكفينا، فقال عيسى: أو لم تؤمـــنوا بعـــد و قد أقمت معكم دهراً ؟ فمن رآني فكأنما رأى الله جهراً "...النص مأخوذ من إنجيل يوحنا (١٤/١-٦) إنه نص جميل بلغة عربية جميلة ".

ثم عـــرض القس قولين آخرين اعتبرهما من بلاغة العرب التي حاذت أو فاقت بلاغة القرآن ، فقال: "مـــثال آخر لعلي بن أبي طالب : إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت ، و إنما الدنيا كبيت نسجه العنكبوت "، و القـــول الثاني : " كيفية المرء ليس يدركها ، فكيف كيفية الجبار في القدم ، هو الذي أنشأ الأشياء مجتمعاً فكيف يدركه مستحدث النسم ؟ ".[1]

و كتب من قبل مسيلمة "نقي كما تنقين ، لا الماء تدركين ، و لا الشراب تمنعين" و قال أيضاً :" ألم ترى كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج من بطنها نسمة تسعى ، من بين شراشيف و حشى " فيما قال النضر بـــن الحـــارث و كان من فصحاء قريش : " و الزارعات زرعاً. و الحاصدات حصداً. و الطاحنات طحناً. و العاجنات عجناً. و الخابزات خبزاً...."[2].

و كان الأقدمون قد عرفوا قدر معارضات مسيلمة و النضر فزادت يقينهم بالقرآن و إعجازه ، و ما على نصارى اليوم إلا أن يعرضوا جهد ستة عشر عاماً قامت به مجموعة من المفكرين بإعادة صياغة نص قديم، ثم يضعوه إزاء أسلوب القرآن الكريم لتظهر الثريا من الثرى. و قد صدق ابن المقفع عندما أراد معارضة القرآن ، ثم رأى عجزه عن مثل هذا البيان فقال: أشهد أن هذا لا يعارض، و ما هو من كلام البشر. ، و مثله صنع يحيى الغزال بليغ الأندلس .

و كـــان علماؤنا من قبل قد نقدوا أساطين الشعر العربي في الجاهلية و بعد الإسلام و بينوا ما تخلل شعرهم من نقص البشر و سوء التعبير ، و من ذلك نقد الباقلاني لمعلقة امرئ القيس[3].

و يكفي أن نعرض المقارنة و الدراسة نموذجاً سريعاً لمعنى جاء به القرآن و قالته العرب في حكمتها، فـــإن الـــناظر فيهما يقف على الفارق بين كلام البشر و كلام رب البشر ، فقد قالت العرب في قتل القاتل " القتل أنفى للقتل "، و قال القرآن ﴿ و لكم في القصاص حياة ﴾ [4].

---

(١) القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات ، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ٢/ ١٠٢ ، و انظر: لماذا أسلم صديقي ، إبراهيم خليل ص ٥٠-٥٤ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١١٨.

(٣) انظـــر: إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ط١ ، مطبعة محمد علي صبيح ١٣٧٠هـــ ، ص ١٨٥-٢١٠ ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ٣/ ٧٨١-٧٨٩ ، ٧٩٨.

(٤) سورة البقرة ، آية: ١٧٩.

و يحكي الدكتور إبراهيم خليل في كتابه" لماذا أسلم صديقي، و رأي الفاتيكان في تحديات القرآن " يحكي قصة طبيب مصري مسيحي قرر كتابة كتاب يرد فيه على تحدي القرآن ، يعنون له بعنوان : "و انتهت تحديات القرآن " .

و قد كتب الطبيب المصري رسالة ، و أرسل صورة منها إلى ألفي عالم أو معهد أو جامعة ممن تخصصوا بالدراسات العربية و الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، وكان مما سطره في خطابه قوله :" القرآن يتحدى البشرية في جميع أنحاء العالم في الماضي و الحاضر و المستقبل بشيء غريب جداً ، و هو أنها لا تستطيع تكوين ما يسمى بالسورة باللغة العربية...السورة رقم ١١٢ ، و هي من أصغر سور القرآن ، و لا يزيد عدد كلماتها عن ١٥ كلمة ، و يتبع ذلك أن القرآن يتحدى البشرية بالإتيان بـ(١٥) كلمة لتكوين سورة واحدة كالتي توجد بالقرآن....

سيدي: أعتقد أن مهاجمة هذه النقطة الهامة و الخطيرة ، و ذلك بالإتيان بأكبر عدد ممكن من السور كالتي توجد، أو - آمل أن تكون - أفضل من تلك الموجودة بالقرآن سيسبب لنا نجاحاً عظيماً لإقناع المسلمين بأنا قبلنا هذه التحديات ، بل و انتصرنا عليهم....فهل تتكرم يا يدي مشكوراً بإرسال ١٥ كلمة بالغة العربية أو أكثر من المستوى البياني الرفيع مكوناً جملة كالتي توجد في القرآن...".

و قد أثبت إبراهيم خليل العناوين الألفين التي أرسل لها الخطاب ، و تكررت محاولة الطبيب المسيحي أربع مرات طوال سنة ١٩٩٠م .

فكانت محصلة ثماني آلاف رسالة أرسلها أن وصلت إليه ردود اعتذار باهتة عرض صورها إبراهيم خليل ، منها اعتذار كلية الدراسات الشرقية و الإفريقية في جامعة لندن فقد كان ردها :" آمل أن نتفهم أن كليتنا و أعضاؤها يرفضون الخوض في المنازعات الدينية ، و بالتالي فإنه لا يمكننا إجابة طلبك "، و أما رد إذاعة حول العالم (مونت كارلو) فكان " الموضوع الذي طرحته موضوع هام ، لكننا كإذاعة لا نحب أن ندخل في حمى و طيس هذه المعركة ، إذ لا نظن أنها تخدم رسالة الإنجيل، فرسالتنا هي رسالة محبة ، و ليست رسالة تحدي...".

و أما رد الفاتيكان فقد جاء فيه "بوصفنا مسيحيون فنحن ٠لا نقبل بالطبع أن يكون القرآن هو كلام الله على الرغم من إعجابنا به حيث يعتبر القمة في الأدب العربي..و لقد أخبرني زميل مصري بأن أفضل أجزاء القرآن تذكره بأجزاء من الكتاب المقدس ، و لكن هذا بالطبع لا يعني أنه أوحي به من عند الله كما هو الحال في الكتاب المقدس ، و هناك نقطة عملية تعوق مسألة الإتيان بسورة من مثل القرآن ، و هي : من ذا الذي سيحكم على هذه المحاولة إن تمت بالفعل..." و لذلك اعتذروا عن إجابة طلبه ، فأعاد المراسلة جميع معاهد و مؤسسات الفاتيكان طالباً إجابة التحدي ، وعرض أن يكون هو الحكم بين القرآن والفاتيكان ، و طلب من الأب " ليو" في الفاتيكان أن ينقل أي جزء مكون من ١٥ كلمة من الكتاب المقدس ليعارض بها القرآن ، فكانت الإجابة مشابهة لإجابة المئات الذين لم يردوا على الطبيب، بل صمت مدقع .[1]

---

(١) انظر: لماذا أسلم صديقي ، إبراهيم خليل ، ص ٦٧-١١١.

﴿ فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة أعدت للكافرين﴾ [1]

و كنموذج للإعجاز القرآني عرض إبراهيم خليل لكلمة " علق " الواردة في قوله تعالى ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ [2] فلمادة " علق " في اللغة واحداً و ثلاثين معنىً ذكرها ابن منظور في قاموسه " لسان العرب " [3]، و هذه المعاني كما يرى إبراهيم خليل تنطبق جميعاً على الإنسان فقد " و صفت جميع صفات الإنسان التشريحية و الفسيولوجية و النفسية و العاطفية و الاجتماعية منذ كان جنيناً في بطن أمه حتى صار رجلاً يحب و يكره...

فالإنسان بحق من علق قد خلقه الله من السائل المنوي (العلوق) ، وعلقت بأمه (حملت به) ، فأصبح علقة (كدودة حمراء تكون في الماء تعلق بالبدن و تمتص الدم ثم إذا خرج من بطن أمه احتاج إلى الشراب و اللبن و الطعام (العليق و العلوق) ، و يطلق العلق أيضاً على ما يتبلغ به من العيش.

و الإنسان شديد الخصومة محب للجدل (علاقي معلاق)يكره (امرأة علوق) و يحب (علقت منه كل معلق)...إلى آخر تلك المعاني التي فصلت خصائص الإنسان و أطوار حياته الأولى.

و صدق العلماء الذين درسوا إعجاز القرآن حين قالوا:" إن القرآن رغم إيجازه المعجز في عدد كلماته، بل و في عدد حروفه إلا أن المعاني التي تجيء بها كل كلمة فيها إرباء و إنماء و زيادة ، أي أن كل كلمة تولد ، و تعطي من المعاني ما لا يحصر له ".

و مرة أخرى سارع الطبيب النصراني إلى مراسلة كليات و معاهد العالم طالباً منهم أن يأتوا بكلمة بديلة لـ" علق " تقوم مقامها أو تعطي نصف المعاني التي تعطيها كلمة " علق " ، و مرة أخرى لا مجيب!![4]

---

(١) سورة البقرة ، آية: ٢٤ .

(٢) سورة العلق ، آية: ٢.

(٣) انظر: لسان العرب ، ابن منظور ١٠/٢٦١-٢٧٠

(٤) انظر: لماذا أسلم صديقي ، إبراهيم خليل ،ص ١١٥-١١٩.

المحور الخامس :الزعم بأن القرآن أيد المعتقدات المسيحية.

و أثار النصارى في وجه علمائنا شبهة تأييد القرآن لعقائد النصرانية كألوهية المسيح و صلبه و التثليث و مثله قولهم بأن القرآن شهد بسلامة كتب النصارى من التحريف.

و قد تداول النصارى هذه الشبهة قروناً متعاقبة ، و قد انبرى للرد عليها علماء الإسلام من قبل القرافي و الطوفي و ابن تيمية ، و ما يزال النصارى حتى يومنا هذا يثيرون هذه الشبهات متأولين ومحرفين لبعض النصوص القرآنية ، و قد كان هذا الاتجاه واضحاً في كثير من الكتابات التي دسها النصارى بين أبناء المسلمين يدعون فيها أن القرآن الكريم قد وافقهم في هذه المسائل و من هذه الكتابات " منار الحق " الذي تبنت نشره الكنيسة المصرية ، و كتاب " استحالة تحريف الكتاب المقدس" لوهيب خليل ، و أسهم فيه الأنبا شنودة الذي كتب كتابه " القرآن والمسيحية "، و منها كتاب " الباكورة الشهية في الروايات الدينية " و لم يذكر اسم مؤلفه ، و صدر عن مطبعة النيل المسيحية عام ١٩٢٦م.

و أصدر الأب إبراهيم لوقا كتابه " المسيحية في الإسلام "و نيقولا غبريل كتابه" أبحاث المجتهدين في الخلف بين النصارى و المسلمين " و كتب أسقف آخر من البروتستانت لم يذكر البغدادي اسمه كتاب " الأقاويل القرآنية في الكتب المسيحية " ، و كتب القمص زكريا بطرس رسالته " بين المسيحية و الإسلام ".

و في كتابه " أديان العالم " كتب حبيب سعيد مبحثاً عنون له " عقيدة الثالوث في الإسلام "، و ينقل محمد جمعة عن المبشر جون تاكلي قوله:" يجب أن نستخدم القرآن، و هو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم المسلمين بأن الصحيح في القرآن غير جديد ، و أن الجديد فيه غير صحيح " .

و يقول المنصر الإنجليزي برجس : " يجب أن نستخدم القرآن ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه ، و سواء كانت الوسيلة هي الكذب أم الزيف ، فالمهم أن نثير في أنفسهم الشك ، و أن نطفئ في قلوبهم جذوة الإيمان بهذا الكتاب الذي يتفوق في جاذبيته و تأثيره على أي كتاب مقدس عرفه الناس من قبل " .[1]

دعوى تأييد القرآن لألوهية المسيح

و كان أهم المسائل التي تنادى بها النصارى للاستدلال عليها من القرآن ألوهية المسيح ، و قد تعلق النصارى بقول الله تعالى عن المسيح ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه ﴾ [2]، و قوله لمريم ﴿ إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ [3]يقول البابا شنودة عن لفظي " روح الله و كلمة الله " اللتان وردتا في حق عيسى : " و أياً كانت النتيجة فإن هذين اللقبين يدلان على مركز رفيع للمسيح في القرآن لم يتمتع به غيره" فالنصارى يفسرون الكلمة بالمفهوم اليوناني القائل بأن

---

(١) انظر: ذيل "الفارق بين المخلوق والخالق" ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٦٩٣ ، ٧٠٤ ، رد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم ، محمد جمعة عبد الله ، ص ٥ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين ، ص ٢٣ ، ٢٦-٢٧ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٢٤ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٥ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١١٧.

(٢) سورة النساء ، آية:١٧١.

(٣) سورة آل عمران ، آية: ٤٥.

الكلمة هي العقل الإلهي الضابط لحركات الموجودات ، فمادام المسيح هو كلمة الله أي عقله ، فهو أزلي لا ينفصل عن ذاته و لا يتخلف عنه في الوجود ابتداء ، و يقول القمص إبراهيم لوقا في رسالته عن التثليث :"إنه لا فرق بين الله و كلمته، كما لا فرق بين الإنسان و كلمته " .

و أما روح الله فهي عندهم جزء من ذاته كحال البشر فإذا وصف المسيح بها دل ذلك على ألوهيته.

و يضـــيف النصارى إلى هذين اللقبين ما جاء في القرآن من وصف لميلاد المسيح و معجزاته الباهرة و تلقيـــبه بالمسيح...يقول البابا شنودة : " لم يقتصر الأمر على كنه المسيح أو طبيعته من حيث هو كلمة الله و روح مـــنه ألقاهـــا إلى مريم ، و إنما الطريقة التي ولد بها و التي شرحها القرآن في سورة مريم كانت طريقة عجيـــبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة. زادها غرابة أنه يكلم الناس في المهد. الأمر الذي لم يحدث لأحـــد من قبل و لا من بعد " ، ثم يتحدث عن معجزات المسيح و يقول " لماذا يختص بهذه المعجزات التي لم يعملها أحد، و التي هي من عمل الله ذاته " .[1]

و يلحظ علماؤنا اجتزاء النصارى للنصوص التي أيدوا بها منطقهم ، فالآيات التي تحدثت عن المسيح فوصـــفته بأنه:" روح منه أو كلمة " وردت في سياق ذم النصارى و تثليثهم لا تأكيد عقائدهم ، فالآية من أولهـــا:﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم و لا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمـــته ألقاها إلى مريم و روح منه فآمنوا بالله و رسله و لا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد ســـبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات و ما في الأرض و كفى بالله وكيلاً * لن يستنكف المسيح أن يكون عبد لله...﴾ [2] فوصفته الآيات أيضاً بأنه رسول الله و أنه عبده.

و عـــندما تحـــدث القرآن عن المعجزات المسيح تحدث عن أنها وقعت بإذن الله ، فأهمل النصارى ما تناقض غرضهم ، و لما ذكر ميلاد المسيح العجيب ذكر أيضاً ميلاد آدم الذي يشبهه في بعض الوجوه ، و كما تحدث عن أعجوبة كلامه في المهد، ذكر بأنه قال ﴿ إني الكتاب و جعلني نبياً ﴾ [3]

و مـــثل هذا الاجتراء على النص القرآني و الانتقاء منه صنعه الحداد الخوري حين أورد قول الله ﴿ إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ [4] أوردها كدليل على بنوة المسيح لله. و أعرض عن الآية التي تليها فلم يذكرها و هي قوله ﴿ سبحان رب السماوات و الأرض رب العرش عما يصفون ﴾ ، و لا ريب أن هذا الصنيع يـــدل على عدم دلالة النصوص على ما يرومونه إلا باجتزائها، و هو صنيع مجاف لروح البحث عن الحقيقة و احترام الدليل.

و عـــند الـــنظر في تـــلك الأجـــزاء الـــتي أوردهـــا النصـــارى كشف علماؤنا لبس النصارى في استدلالهم.فبخصوص" الكلمة " فإن الأطير ينبه إلى أن الآيات لم تصف المسيح بالكلمة كما هو الأقنوم الثاني

---

(١) انظـــر: أدلـــة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ١٤٦ ، مواجهة صريحة بين الإســـلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ٤١ ، ٧٩ ، الله واحد أم ثالوث ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٠٤-١٠٥ ، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ، حسني الأطير ، ص ١٨٢-١٨٣.

(٢) النساء ، ١٧١-١٧٢.

(٣) سورة مريم ، آية٣٠.

(٤) سورة الزخرف ، آية: ٨١ -٨٢

من الثالوث، بل سمته كلمة ﴿ بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾[1] و قال ﴿ و كلمته ألقاها إلى مريم ﴾ .

و سبب تسمية المسيح " كلمة "جاء لأحد أمور ذكرها المفسرون و نقلها أصحاب الردود الإسلامية.

أ- أن المسيح لم يخلق وفق ناموس الطبيعة المعتاد ، بل خلق بأمر التكوين الإلهي " كن" فكان ، فقد خلق بكلمة الله التي ترجع إليها جميع المخلوقات التي ننسبها إلى السبب القريب (الأبوة) ، بينما المسيح ليس له سبب قريب فينسب إلى السبب الأصل الذي نشأ عنه وجوده.

فإن اعترض النصارى و قالوا: إذاً لماذا لم يسم آدم أيضاً كلمة من الله ؟ فيجيب عبد الرحيم محمد بأن سبب ورود ذلك في حق المسيح دون آدم أن ميلاد آدم لم يثير تلكم الريبة التي وجدناها في ميلاد المسيح عندما ولد من غير أب ، فقال القائلون : هو ابن الله .و قال آخرون : ابن زنى . و سوى ذلك فاستلزم بيان سبب وجوده ، و أنه ليس بذاك و لا ذا ،بل هو مخلوق بكلمة الله.

ب_أن المقصود بالكلمة البشارة التي بشر الله بها مريم.

ج- و ذكر السقا بأن المراد بأن المسيح يتكلم بكلام الله ، فسمي بذلك كلمة .[2]

و نبه علماؤنا بأن معنى الكلمة بمعنى أنها صفة الله المتولدة عنه أو أقنومه الثاني لم ترد في القرآن الكريم و لا في الكتب المقدسة سوى ما جاء في مقدمة يوحنا.

و تتبع علماؤنا مع التمثيل معاني " الكلمة " في الكتاب المقدس فوجدوها لا تخرج عن معانٍ: القول ، الوعد ، العقيدة ، التعليم ، الحكم ، المخلوق ، النظام أو الناموس. و ليس في كتب النصارى إطلاق لفظة الكلمة بمعنى : الإله المتجسد أو صفته المنفصلة عنه، أو المولودة ... و قريباً من هذه المعاني استعملت لفظة " الكلمة " في السياق القرآني[3].

و أما قوله تعالى﴿ وروح منه ﴾ فلفظة(منه) فيه ليست تبعيضية كما قال النصارى ، بل هي لابتداء الغاية أي أن المخلوق بدأ من الله، أو هي للبيان أي أن هذه الكلمة من الله، و ليست من الشيطان أو من غيره كما يقول اليهود في المسيح عليه السلام.

و أما قوله ﴿ ألقاها إلى مريم ﴾ فهو إلقاء مجازي كما يقال: فلان ألقى كلمة أو أمراً ، و مثله جاء في التوراة و الإنجيل (انظر الخروج ١٥/٤، المزمور ٥٠/١٦-١٧، مرقس ٢١/١).

ووصف المسيح بأنه روح منه يعني أن المسيح من روح الله، فـ(من) ليست تبعيضية ، بل هي —كما

---

(١) سورة آل عمران ، آية: ٤٥.

(٢) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/ ٧٤-٧٥ ، أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ١٤٨ ، هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٨٩ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ٤٣ ، القرآن والمبشرون ، محمد عزت دروزة ، ص ٤٠٣ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٤٠ ، ٤٤ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٧٨ ، اللقاء بين الإسلام والنصرانية ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٧٣ ، معجزات المسيح ، محمد عوض ، ص ٢٥.

(٣) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس ، عبد الله العلمي ، ص ٢٩٨-٣٠٢ ، اللقاء بين الإسلام والنصرانية ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٧٢ ، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ، حسني الأطير ، ص ١٨١ ، ٢٣٩ ، النصرانية في الميزان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ١٠٣-١٠٧.

سبق - بيانية أو لابتداء الغاية، كما قيل في آدم ﴿ و نفخت فيه من روحي ﴾ [1] و قال تعالى عن سائر المخلوقات ﴿ و سخر لكم ما في السماوات و الأرض جميعاً منه ﴾ [2].

و كلمة الروح وردت في القرآن بمعنيين:

الأول: جبريل عليه السلام. و الثاني: القوة و التأييد الإلهي.

و يرى المطعني أنه يصح أن يقال بأن المقصود بالروح هو النفخ كما جاء في شعر ذي الرمة " و أحيها بروحك " أي أشعلها بنفخك . و يرى السقا أنه يصح أن يقال بأن معنى ﴿ روح منه ﴾ هو إلهام منه ، و كما ورد هذا الاستعمال أيضاً في مواضع متعددة في الكتاب المقدس.

و أياً كان معنى الروح فإن عبد السلام محمد يؤكد بأنه حتى النصارى لا يقولون بأن المسيح هو روح القدس .

و ينقل عن سعيد الحاوي في كتابه " البرهان القويم في إثبات الثلاثة أقانيم " قوله: " الروح القدس المتحد مع الأب و الابن أقنوم خاص مميز له عن أقنوميهما ، فهو أقنوم ثالث في اللاهوت ".

و يقول ياسين منصور في رسالته " التثليث و التوحيد " عن الروح القدس :"هو ذات حقيقي و شخص حي و أقنوم متميز لكنه غير منفصل ، و هو أقنومية غير أقنوم الأب و غير أقنوم الابن ، و هو نظير الأب و الابن و مساوٍ لهما " .[3]

و زعم البعض من النصارى أن المسيح هو الحمل الفادي الذي ذكره القرآن في ثنايا قصة الذبيح في قوله تعالى ﴿ و فديناه بذبح عظيم ﴾ [4]. و مما لا خلاف فيه عند المفسرين أن الذبح هو كبش فدى الله به إسماعيل.

و بمثل هذا التمحل للنصوص فعلوا عندما فسروا قول الله ﴿ قلنا اهبطا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون ﴾ فقد زعم صاحب كتاب " الحق " أن الهدى المراد بالآية هو المسيح .[5]

و ما نبه إليه عبد السلام محمد آنفاً يصح في حق الكاثوليك ، و لا يصح في دفع مذهب الأرثوذكس الذين يرون أن الله هو المسيح و أنه روح القدس.

و أما ميلاد المسيح و معجزاته و نجاته و رفعه إلى السماء و تخصيصه باسم المسيح ، فكل ذلك لا

---

(١) سورة ص ، آية: ٧٢.

(٢) سورة الجاثية ، من آية:١٣.

(٣) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ١/ ٧٦-٧٧ ، القرآن والمبشرون ، محمد عزت دروزة ، ص ٤١٥ ، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ٤٣ ، ٤٦ ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص ٤٠-٤٥ ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٨٦-٨٧ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٢٣-١٢٤ ، اللقاء بين الإسلام والنصرانية ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٧٩ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ٣٨-٤١.

(٤) سورة الصافات ، آية: ١٠٧.

(٥) انظر: هذا هو الحق ، ابن الخطيب ، ص ٩٦-٩٧.والآية من سورة البقرة :٣٨ .

يخـــرج به عن مقام العبودية التي أوضحها القرآن الكريم بجلاء لا يقبل اللبس ، و قد سبق بيان ذلك حتى في كتب النصارى.

دعوى تأييد القرآن لعقيدة التثليث

و عقيـــدة التثـــليث التي لم يجد لها النصارى دليلاً في كتبهم المقدسة زعموا أنها موجودة في القرآن الكريم، و استدل لذلك حبيب سعيد في كتابه " أديان العالم " بالنصوص التي تذكر الله بصيغة الجمع أي جمع التعظيم كما في قوله تعالى ﴿ و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ [1]

و استدل آخرون بصيغة البسملة فاعتبروها صيغة مثلثة . يقول وهيب عزيز خليل في كتابه " استحالة تحـــريف الكـــتاب المقدس " : " البسملة المسيحية كالآتي: بسم الآب و الابن و الروح القدس ، و البسملة الإســـلامية: بســـم الله الرحمن الرحيم...و هاتين البسملتين هما صورة طبق الأصل من بعضهما ، فالمسيحية تعرف الأقنوم الأول بالأب ، بينما الإسلام يعرفه بالله ، و المسيحية تعرف الأقنوم الثاني بالابن بينما يصفه الإســـلام بالـــرحمن... "[2]و يزعم الحداد الخوري أن ما جاء في القرآن من تكفير المثلثة كما في قوله ﴿ و لا تقولـــوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد ﴾ [3] و قوله ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [4]، يزعم أن هذه النصوص وردت في غير ثالوث النصارى ، فيقول الحداد:" إن تقرير القرآن بكفر من يقول : إن الله هـــو المسيح ابن مريم ، و إن الآلهة ثلاثة ، و إن الله ثالث ثلاثة ، و إن هناك من يتخذ مريم إلهاً مع ابنها ، ليس موجهاً لجميع النصارى ، و إنما هو لبعض طوائفهم ". [5]

و عليه فإن الخوري يرى أن التكفير متوجه إلى اليعاقبة الأرثوذكس أو للقائلين بأن مريم أحد أطراف الثالوث ، أما سواهم من أهل التثليث فلا يكفرون.

و في الإجابة عن هذه الشبهة رأى علماؤنا تمحلاً في الاستدلال من النصارى لا يقبل ، فالبسملة فيها تكـــرار لصفات الواحد ، فالله هو الرحمن ، و هو الرحيم ، و هو الملك ، و هو القدوس...و له جل و علا تسعة و تسعين أسماً ، بل وله أسماء أكثر من ذلك ، لكنه ذات واحدة.

و أما ثالوث النصارى فالآب فيه ليس الابن و لا الروح القدس ، بل لكل ذاته المستقلة و خصائصه فالابن ابن الآب و ليس الأب أباً لنفسه ، و قد ربط النصارى بين أطراف الثالوث بالواو العاطفة التي تقتضي المغايرة ، فعطفهم إذاً عطف ذوات و ليس عطف صفات.

و لـــو صح مثل هذا السبيل في الاستدلال لكان قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ [6]دليلاً صحيحاً لمن يقول

---

(١) سورة الإسراء ، آية: ٥٩.

(٢) مواجهـــة صـــريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ١٢٧ ، و انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٧٥ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٢٣.

(٣) سورة النساء ، آية: ١٧١.

(٤) سورة المائدة ، آية ٧٣.

(٥) القرآن والمبشرون ، محمد عزت دروزة ، ص ٤١٦.

(٦) سورة الفاتحة ، آية: ٢.

بثنائية الله، و تكون خواتيم سورة الحشر دليلاً لمن يؤمن بتعدد الآلهة.[1]

و أمـــا تعـــلق النصارى بالألفاظ التي تحدثت عن الله بصيغة الجمع فهو مردود لأن الجمع فيها جمع تعظـــيم و ليس جمع تعداد ، و هو معهود في كلام الأمم ، كما ورد في القرآن آيات تحدثت عن الله فذكرته بصيغة الإفراد كقوله ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾ [2].

و قـــد ورد الإفراد والجمع جنباً إلى جنب في سورة العلق ، ففي أولها ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ و في آخرها ﴿ سندع الزبانية ﴾ [3].

و هذا المعنى اللغوي لا يحتاج إلى كثير علم و فهم لإدراكه[4].

---

(١) انظـــر: مواجهـــة صـــريحة بين الإسلام وخصومه ، عبد العظيم المطعني ، ص ١٢٩-١٣٠ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجـــازي الســـقا ، ص ١٢٣-١٢٦ ، حـــوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ٧٥ ، معجزات المسيح ، محمد عوض ، ص ٢٤ —٢٥ ، مناظرة العصر ، أحمد ديدات ، ص ١٠٣.

(٢) سورة طه ، آية: ١.

(٣) سورة العلق ، آية: ١ ، ١٨ .

(٤) انظـــر: أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين ، محمد شوقي الجزيري ، ص ١٤٣-١٤٤ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٢٤.

وبعد أخلص من كل ما سبق إلى نقاط هامة عدة :

١ – أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير لاينضب بتطاول الزمان وانصرام القرون .

٢ – المسيحية دين نحله بولس ومن بعده عن الوثنيات القديمة ، فاقتبسوا منها عقائد النصرانية المختلفة : تجسد الإله .موت الإله كفارة للخطايا . واختصاص الصليب بهذا الموت. عقيدة الثالوث الموحد . العشاء الرباني .....

٣ – النصرانية الحقة دين الله الذي أنزله على نبيه عيسى عليه السلام ،وهو دين التوحيد الخالص الذي نؤمن به كما نؤمن بالتوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله عز وجل وملؤها الهدى والنور وهذا الهدي لم تندرس آثاره إلى اليوم من الكتب المقدسة عند النصارى ،حيث يظهر التوحيد فيها جلياً كالشمس في رابعة النهار ،في حين لا تكاد هذه الكتب تدل على التثليث إلا بالتحريف والتعسف والتمحل في الفهم والاستدلال ..

٤ – الأسفار المقدسة بين يدي النصارى اليوم كتب لايعلم على وجه التحديد من كاتبها ، وهي كتب سيرة وتاريخ لم يزعم كتابها المجهولون أنهم يقدمون من خلالها كلمة الله ، وإن زعم النصارى أنها كتبت بإلهام .فإن التأمل بهذه الكتب يكشف زيف هذه الدعوى ، ويثبت بشرية هذه الكتب وخلوها عن الوحي وهدي النبوات .

٥ – هذه الأسفار المقدسة قدسها البشر ومنحوها في مجامعهم صفة القدسية والعلوية عبر مجامع عدة رفضت بعض هذه الأسفار ، ثم أقرتها ، وما يزال بعضها مرفوضاً إلى يومنا هذا بعد أن كان مجمعاً على قداسته .

٦ – الأسفار المقدسة عند النصارى لا تدل على الكثير من معتقدات النصارى ، بل هي في كثير من المسائل تنقض معتقدات القوم وتكشف زيفها وعوارها .ويعود ذلك لصدور النصارى بهذه العقائد عن فكر بولس المرفوض عند سائر التلاميذ أو عن المجامع المتأخرة التي صاغت العقائد تبعاً للفلسفات المختلفة

٧ – في الأسفار التي يتناقلها النصارى أثارة من نور الأنبياء تشهد لله بالتوحيد ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة ، ولليهود بالفسق والتحريف والتبديل .

٨ – صلب المسيح أمر زعم النصارى وقوعه، وادعوا عليه التواتر بين الأمم، وقد أثبتنا بطلانه بما ساؤنا وبعشرات النصوص الكتابية بطلان هذه القصة ونجاة المسيح من الصلب المزعوم.

٩ – عقيدة الفداء والخلاص وهم آخر تعلق به النصارى من غير مادليل صريح عن المسيح عليه

السلام، وقد أثبت علماؤنا بطلان هذا المعتقد بالأدلة الكتابية والعقلية.

١٠ - شبهات النصارى عن الإسلام تنبع من الكذب الفاضح أو التلبيس الخادع أو الجهل المطبق بطبيعة وأصول هذا الدين .

١١- جهود علماء القرن الرابع عشر خلاصة مباركة استثمرت جهود السابقين ، وأضافت عليها من المعطيات الجديدة ما أثرى الجدل الإسلامي النصراني في هذا القرن .

١٢- الدافع الذي دفع علماءنا لخوض الجدل مع النصارى إيمانهم بواجب البيان والتبليغ ، وإدراكهم للخطر الذي تشكله المؤسسات الاستعمارية النصرانية والهجمة التبشيرية الشرسة على بلاد المسلمين المختلفة .

١٣- جهود علمائنا المباركة تركزت في فني التأليف والمناظرة ، وقد أبدى علماؤنا في كل من الفنين ما يليق بمن يحمل سلطان العلم والحق والدليل .

والله ولي كل خير ويهدي إلى كل بر وهو وحده المستعان .

الفهرس العام

أولاً : فهارس الآيات

اسم السورة	من الآية	نص الآية	رقم الصفحة
الفاتحة	٢	الرحمن الرحيم	٨٧١
الفاتحة	٥	اهدنا الصراط المستقيم	٧٩
البقرة	٢	ذلك الكتاب لاريب فيه	٢٢٥
البقرة	٦	سواء عليهم أأنذرتهم	٨٥٩
البقرة	٣٠	وإذ قال ربك للملائكة	٥٥٣
البقرة	٣٦	فأزلهما الشيطان عنها	٨٣٧
البقرة	٣٨	قلنا اهبطوا منها جميعاً	٥٥٣، ٨٧٠
البقرة	٦٥	إن الذين آمنوا والذين هادوا	١٨
البقرة	٧٥	وقد كان فريق منهم يسمعون	٦٤٥
البقرة	٧٩	فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم	٢٢٦،٢٠٥،٢٠، ٥٨٥
البقرة	٨٧	وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس	١٩، ١٤١
البقرة	١٠٦	ماننسخ من آية أو ننسها	٨٥٨
البقرة	١٠٩	ود كثير من أهل الكتاب	١٧
البقرة	١١٠	وأيدتك بروح القدس	١٣٩
البقرة	١٢٠	ولن ترضى عنك اليهود ولا التصارى	١٧
البقرة	١٢٤	وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن	٧٧٩
البقرة	١٢٩	ربنا وابعث فيهم رسولاًمنهم	٧٧٦
البقرة	١٤١	تلك أمة قد خلت	٨٣٧
البقرة	١٧٤	إن الذين يكتمون ما أنزل الله	٢٠٥، ٢٢٦، ٦٤٧
البقرة	١٧٧	الموفون بعهدهم إذا عاهدوا	٨٦٠
البقرة	١٧٩	ولكم في القصاص حياة	٨٦٤
البقرة	٢٢٨	والمطلقات يتربصن بأنفسهن	٨٤١
البقرة	٢٢٩	الطلاق مرتان	٨٣٩
البقرة	٢٣٠	فإن طلقها فلا تحل له من	٨٣٧
البقرة	٢٣٤	وإذا طلقتم النساء	٨٣٧
البقرة	٢٤٠	والذين يتوفون منكم	٨٥٧
البقرة	٢٤١	وللمطلقات متاع بالمعروف	٨٤٠
البقرة	٢٣٦	ومتعوهن على الموسع قدره	٨٤٠
البقرة	٢٥٦	لاإكراه في الدين	٨٢٧
البقرة	٣٣٨	حافظوا على الصلوات	٤٠٤
البقرة	٢٨٨	ولهن مثل الذي عليهن	٨٣٧
آل عمران	١، ٢	الم*الله لا إله إلا هو	٢٣

اسم السورة	من الآية	نص الآية	رقم الصفحة
آل عمران	٣	وأنزل التوراة والإنجيل	١٤
آل عمران	٣	وأنزل التوراة والإنجيل	٢٠٣
آل عمران	٤	إن الذين يكفرون بآيات الله	١٤
آل عمران	٦	هو الذي يصوركم	١٥
آل عمران	٧	فأما الذين في قلوبهم زيغ	١٤
آل عمران	٧	آمنا به كل من عند ربنا	١٥
آل عمران	٧	فأما الذين في قلوبهم	٢٤، ١٠٩
آل عمران	٣٧	كلما دخل عليها زكريا	١٥
آل عمران	٣٩	إن الله يبشرك بيحيى	١٦
آل عمران	٤١	فمن حاجك	١٦
آل عمران	٤٢	وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك	١٥، ٧٧٠
آل عمران	٤٣	يامريم اقنتي لربك	١٥
آل عمران	٤٤	ذلك من أنباء الغيب	١٦
آل عمران	٤٥	إن الله يبشرك بكلمة منه	١٥، ٨٦٧، ٨٦٨
آل عمران	٤٦	ويكلم الناس في المهد	١٥، ٤٠٢
آل عمران	٤٩	أخلق لكم من الطين	١٥
آل عمران	٤٩	ورسولاً إلى بني إسرائيل	١٩
آل عمران	٤٩	وأنبئكم بما تدخرون	١٩
آل عمران	٤٩	وأحي الموتى بإذن الله	١٠٦
آل عمران	٥٠	ومصدقاً لما بين يدي	١٨
آل عمران	٥٢	نحن أنصار الله	١٦
آل عمران	٥٤	ومكروا ومكر الله	١٦
آل عمران	٥٥	إني متوفيك ورافعك	١٦، ٤٠٢، ٤٠٣
آل عمران	٥٥	ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك	١٦، ١٣٩
آل عمران	٥٩	إن مثل عيسى عند الله	١٥، ٢١، ٢٣-٢٤، ١٠٥
آل عمران	٦٤	قل ياأهل الكتاب تعالوا	٣، ٤٣، ١١، ٢٨٥
آل عمران	٦٧	ماكان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً	١٧ن ٢٤
آل عمران	٧١	يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق	٦٤٥، ٦٤٩
آل عمران	٧٨	يلوون ألسنتهم بالكتاب	٢٠
آل عمران	٧٩	ما كان لبشر أن يؤتيه	١٦
آل عمران	٨١	وإذ أخذ الله ميثاق النبين	١٦، ١٧، ٢٣٧ ، ٧٧٥ ، ٨١٥
آل عمران	٨٣	أفغير دين الله يبغون	١٧
آل عمران	٨٤	قل آمنا بالله	١٦
آل عمران	٨٧	وإن منهم فريقا ليلوون	١٥

اسم السورة	من الآية	نص الآية	رقم الصفحة
آل عمران	٩١	إن الدين عند الله الإسلام	١٧
آل عمران	٩٣	قل فأتوا بالتوراة	٢١، ٢٣٧
آل عمران	١٤٤	وما محمد إلا رسول قد خلت	٤٠٦
آل عمران	١٩٥	فاستجاب لهم ربهم أني	٨٣٦
النساء	٤	و آتوا النساء صدقاتهن	٨٣٧
النساء	١١	ولأبويه لكل واحد منهما	٨٤٠
النساء	١٢	وإن كان رجل يورث كلالة	٨٤٠
النساء	١٩	الرجال قوامون على النساء	٨٣٧
النساء	١٩	وعاشروهن بالمعروف	٨٣٧
النساء	٣٤	والاتي تخافون نشوزهن	٨٣٨
النساء	٤٦	من الذين هادوا يحرفون الكلم	٦٤٥
النساء	٥١	ويقولون للذين كفروا هؤلاء	١٤
النساء	٦٥	فلا وربك لايؤمنون	٨٥٨
النساء	٧٥	وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله	٨٢٧
النساء	٧٩	فويل للذين يكتبون الكتاب	٧٧٣
النساء	٨٢	أفلا يتدبرون القرآن	٢١، ٢٢١، ٦٥٨، ٧٣٢
النساء	١١٦	إن الله لا يغفر أن يشرك به	٥٥٣
النساء	١٢٣	ليس بأمانيكم ولا أماني	١٧، ٥٥٥
النساء	١٥٧	وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه	١٩، ٢٢، ٤٠٢، ٤٣٣،٤٠٣، ٤٧٠، ٢١
النساء	١٥٨	بل رفعه الله إليه	١٩
النساء	١٥٩	وإن من أهل الكتاب	١٩-٢٠، ٤٠٢
النساء	١٦٢	ولكن الراسخون في العلم	٨٦١
النساء	١٧١	ياأهل الكتاب لاتغلوا	١٨، ١٤٠، ١٤١، ٨٦٨
النساء	١٧١	ولا تقولوا ثلا ثة انتهوا	٨٧١
النساء	١٧١	إنما المسيح عيسى ابن مريم	٥٦، ١٣٩، ١٤٠، ٨٦٧
المائدة	١٤	ومن الذين قالوا إنا نصارى	٢٠، ٧٧٣
المائدة	١٥	ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا	٢٠٥، ٦٤٧
المائدة	١٧	لقد كفر الذين قالوا إنا لله هو المسيح	١٨
المائدة	١٨	نحن أبناء الله وأحباؤه	١٧
المائدة	١٩	ياأهل الكتاب قد جاءكم	٢١
المائدة	٤١	يحرفون الكلم من بعد مواضعه	١٨
المائدة	٤١	وآتيناه الإنجيل	١٨
المائدة	٤١	وقفينا على آثارهم	١٨

اسم السورة	من الآية	نص الآية	رقم الصفحة
المائدة	٤٤	إناأنزلنا التوراة فيها	٢٠٣، ٥٥٧
المائدة	٤٧	وليحكم أهل الإنجيل	٢٠، ٢٢٥
المائدة	٤٨	وأنزلنا إليك الكتاب	٢٢٥
المائدة	٥٩	قل يا أهل الكتاب هل تنقمون	١٧
المائدة	٦٠	وجعل منهم القردة والخنازير	٨٦٢
المائدة	٦٧	ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك	١١
المائدة	٦٩	إن الذين آمنوا والذين هادوا	٨٦١
المائدة	٧٣	لقد كفر الذين قالوا	٢٠، ١٠٠،٧٩، ١٤٣، ٨٧١
المائدة	٧٥	ما المسيح عيسىابن مريم إلارسول	٢١ ، ١٠٠، ٣٠٣
المائدة	٧٨	لعن الذين كفروا من بني إسرائيل	١٩
المائدة	٨٢	ولتجدن أقربهم مودة	٢١، ٢٢١
المائدة	٩٦	ولو أن أهل الكتاب	٢٢٥
المائدة	١١٠	وإذ علمتك الكتاب	١٩
المائدة	١١٠	وإذ كففت بني إسرائيل عنكم	٤٧١
المائدة	١١٠	وإذ تخلق من الطين	١٩
المائدة	١١٢	هل يستطيع ربك	١٩
المائدة	١١٦	وإذ قال الله ياعبسى بن مريم أأنت قلت للناس	١٨، ٣٦٧، ٣٧٣
المائدة	١١٦	وإذ قال الله ياعيسى أأنت	١١٣، ١٦٥، ٢٣٢
المائدة	١٤٤	قال الله إني مترلها	١٩
الأنعام	٢٠	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه	٧٧٦
الأنعام	٣٧	وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر	٨٤٤
الأنعام	٥٩	وعنده مفاتح الغيب	٦٢٧
الأنعام	٦٢	ثم ردوا إلى الله	٨٢٢
الأنعام	٩٠	أولئك الذين هدى الله	٦٢٩
الأنعام	٩١	قل من أنزل الكتاب	٦٤٧
الأنعام	٩٥	قد جاءكم رسول يبين لكم	٢٠
الأنعام	١٠٩	قل إنما الآيات عند الله	٨٤٤
الأنعام	١١٥	لا مبدل لكلماته	٢٢٥
الأعراف	١١	ولقد خلقناكم ثم صورناكم	٥٥٣
الأعراف	٢٠	قالا ربنا ظلمنا أنفسنا	٨٣٧
الأعراف	٢٨	إن الله لا يأمر بالفحشاء	٦٢٧
الأعراف	٤٣	ويقول الذين كفروا لست	٧٧٥
الأعراف	١٣٣	فأرسلنا عليهم الطوفان	٨٢٠
الأعراف	١٥٧	و يضع عنهم إصرهم	٦٢٨

اسم السورة	من الآية	نص الآية	رقم الصفحة
الأعراف	١٥٧	الذين يتبعون الرسول	٢٠، ٤٥١، ٧٧٦
الأعراف	١٦٠	وقطعناهم اثني عشر	٨٦٠
الأعراف	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً	٨٥٨
الأنفال	٣٨	قل للذين كفروا إن ينتهوا	٨٢٧
الأنفال	١٢٥	واتقوا فتنة لا تصيبن الذين	٤٥٤
التوبة	١١	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم	٢٣٤
التوبة	٢٩	لقد كفر الذين قالوا	١٤٢
التوبة	٣٠	ذلك قولهم بأفواههم	٤٧٧
التوبة	٣٠	المسيح ابن الله	١٨
التوبة	٣٠	يضاهئون قول	٥٢٢
التوبة	٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم	٢٠، ٢٢
هود	٦١	هو الذي أنشأكم في الأرض	٢٦٥
يوسف	٤٢	اذكرني عند ربك	٩١
الرعد	٣	وهو الذي مد الأرض	٨٢٤
الرعد	٣٨	ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك	٨٤٦
إبراهيم	٢	فيضل الله من يشاء	٨٥٨
إبراهيم	٤	وما أرسلنا من رسول	٥٦
إبراهيم	٩	ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم	٦٦٥
الحجر	٩	إنا نحن نزلنا الذكر	٢٢٥
الحجر	١٩	والأرض مددناها	٨٢٤
الحجر	٢٩	ونفخت فيه من روحي	١٤١
النحل	٥٨	وإذا بشر أحدهم بالانثى	٨٣٧
النحل	٩٧	من عمل صالحاً من ذكر أو انثى	٨٣٦
النحل	١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون	٨٥٣
النحل	١٢٥	ادع إلى سبيل ربك	٣، ١١، ٢٨٥
الإسراء	٢	وآتينا موسى الكتاب	٥٥٧
الإسراء	١٣-١٤	وكل إنسان ألزمناه	٥٥٤
الإسراء	٥٩	وما منعنا أن نرسل بالآيات	٨٤٤، ٨٧١
الإسراء	٧٠	ولقد كرمنا بني آدم	٥٥٣
الإسراء	٩٠	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر	٨٤٤
الإسراء	٩٤	أبعث الله بشراً رسولاً	١٣
الكهف	٥	كبرت كلمة تخرج	١٤٢
الكهف	٢٩	وقل الحق من ربكم	٨٢٧
الكهف	٤٩	ولا يظلم ربك أحداً	٦٢٧

اسم السورة	من الآية	نص الآية	رقم الصفحة
الكهف	٨٦	حتى إذا بلغ مغرب الشمس	٨٢١
الكهف	١٢٧	واتل ما أوحي إليك	٨٥٨
مريم	٢٨	يا أخت هارون	٢٤، ٢٣٢
مريم	٣٠	إني عبد الله آتني الكتاب	٨٦٨
مريم	٣٢	وبراً بوالدتي	٧٧٠
مريم	٣٣	السلام علي يوم ولدت	٨٢٠
مريم	٣٤	ذلك عيسى بن مريم قول الحق	١٨
مريم	٦٥	وما كان ربك نسياً	٦٢٧
مريم	٨٨-٩٥	وقالوا اتخذ الرحمن ولداً	٣٠٣
مريم	٩٠-٩١	تكاد السماوات يتفطرن منه	٢٠
طه	١٤	إنني أنا الله لاإله إلا أنا	١١٢، ١٢١، ٥٣٣-٥٥٤، ٨٧٢
طه	٥١	قال فما بال القرون الأولى	٦٦٥
طه	٦٣	إن هذان لساحران	٨٦٠
طه	٧٣	إنا آمنا بربنا ليغفر لنا	٥٥٤
طه	١٠٢	يوم ينفخ في الصور	١٤١
طه	١٠٢	يوم ينفخ في الصور	١٤١
طه	١٢١-١٢٢	وعصى آدم ربه	٥٢٠، ٥٥٣
الأنبياء	٧	قل هاتوا برهانكم	٣٠٣
الأنبياء	٢٢	لو كان فيهما آلهة	٣٤٩
الأنبياء	٢٤	وما أرسلنا من رسول إلا نوحي	٣٣٢
الأنبياء	٢٥	وجعلناها وابنها آية	١٤٢
الأنبياء	٦٨-٧٠	قالوا حرقوه وانصروا	٤٦٣
الأنبياء	٩١	ما يأتيهم من ذكر	٢٢٦
الأنبياء	٩١	فنفخنا فيه من روحنا	١٤١
الأنبياء	١٠٥	ولقد كتبنا في الزبور	٨٥٢
الحج	٢٩	وإن الله على نصرهم لقدير	٤٧١
الحج	٤٠	ولولا دفع الله الناس	١٣٩، ٨٣٠
الحج	٤٧	وإن يوماً عند ربك	٦٦٣
الحج	٦٩	إن الذين آمنوا والذين هادوا	١٣٩
المؤمنون	٥٠	وجعلنا ابن مريم وأمة	١٩، ٤٩٩
الفرقان	٤	وقال الذين كفروا إن هذا إلا	٨٥٣
الفرقان	٣٨	وعاداً وثمودا واصحاب الرس	٦٦٥
الشعراء	٥٤	إن هؤلاء لشرذمة	٦٦٣
الشعراء	١٩٦	وإنه لفي زبر الأولين	٢٠٤

اسم السورة	من الآية	نص الآية	رقم الصفحة
النمل	١٠٣	إنما يعلمه بشر لسان الذين	٢٢٣
النمل	٥٠	ومكروا مكراً ومكرنا	١٩٥
القصص	٣٠	فلما أتاها نودي أن يا موسى إني أنا الله	١٣٩، ١٢١
العنكبوت	٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب	٣، ١١، ١٢، ٢١
العنكبوت	٤٨	وما كنت تتلوا من قبله	٨٥٣
العنكبوت	٥١	أو لم يكفهم أنا أنزلنل	٨٤٤
لقمان	٢٧	ما نفدت كلمات الله	١٤٢
السجدة	٤	في يوم كان مقداره ألف سنة	٨٥٨
الأحزاب	٣٨	ما كان على النبي من حرج	٨٤٨
الأحزاب	٤٦	وداعياً إلى الله	٨٠٦
الأحزاب	٥٢	لايحل لك النساء منبعد	٨٤٨
سبأ	٢٤	وإنا أوإياكم لعلى هدى	٧٩
فاطر	٤	فقد كذبت رسل من قبلك	٢٢٥
يـــس	٨٢	كن فيكون	١٥٠
الصافات	١٠٧	وفديناه بذبح عظيم	٨٧٠
الصافات	١٠٩	سلام على إبراهيم	٧٨٠
الصافات	١١٣	وباركنا عليه وعلى إسحاق	٧٧٩
ص	٥	أجعل الآلهة إلهاً واحداً	١٣
ص	١٧	واذكر عبدنا داود	٦٣٣
ص	٧٢	ونفخت فيه من روحي	٨٦٩
الزمر	١٤	قل الله أعبد مخلصاًله	٨٢٧
الزمر	٥٣	قل يا عبادي الذين أسرفوا	٥٥٣
غافر	١٩	يعلم خائنة الأعين	٦٢٧
غافر	٦٨	هو الذي يحي ويميت	٧٩
الشورى	٧	قل آمنت بما أنزل الله	٢٢٥
الزخرف	٥٩	إن هو إلا عبد أنعمنا عليه	٣٠٣
الزخرف	٦١	وإنه لعلم للساعة	٤٠٢
الزخرف	٨١	إن كان للرحمن ولد	٨٦٨
الجاثية	١٣	وسخر لكم ما في السماوات والأرض	٨٧٠
الجاثية	١٦	ولقد آتينا بني إسرائيل	٧٨٢
الأحقاف	١١	ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة	٨٢١
الأحقاف	١٢	ومن قبله كتاب موسى	٥٥٧
الفتح	١٠	إن الذين يبايعونك	٩٤

اسم السورة	من الآية	نص الآية	رقم الصفحة
الفتح	٢٩	ليغيظ بهم الكفار	٧٨٤
الفتح	٢٩	محمد رسول الله	٢١، ٢٤٤، ٧٧٦
الحجرات	١٣	إن أكرمكم عند الله أتقاكم	٧٧١، ٨٣٦
ق	٣٨	ولقد خلقنا السماوات	٦٢٧
النجم	٣-٨	وما ينطق عن الهوى	٨١٠
النجم	٣٦-٤٣	أو لم ينبأ بما في صحف	٥٤٤
النجم	٣٦-٣٨	لاتزر وازرة وزر أخرى	٥٥٤
القمر	١	اقتربت الساعة	٨٥١
القمر	٤٦	بل الساعة موعدهم	٨٥١
المجادلة	٢٢	أولئك كتب في قلوبهم	١٥٩
الصف	٦	وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول	١٩، ٢٠٣، ٢٠، ٧١٧، ٧٧٦، ٨١٢
الصف	١٤	نحن أنصار الله فآمنت طائفة	١٩
الجمعة	٢	هو الذي بعث في الأميين رسولاً	٧٨٤
المعارج	٤	في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة	٨٥٨
نوح	١٩	والله جعل لكم الأرض	٨٢٤
المزمل	٥	إنا سنلقي عليك	٨٠٨
المدثر	٢٤	إن هذا إلا سحر يؤثر	٨٦٣
التحريم	١٢	فنفخنا فيه من روحنا	٤٠
النازعات	٣٠	والأرض بعد ذلك دحاها	٨٢٤
التكوير	٨	وإذا الموءودة سئلت	٨٣٧
الأعلى	١٤-١٩	قد أفلح من تزكى	٥٥-٥٥٤
البلد	١	لاأقسم بهذا البلد	٨٥٨
البلد	٣	ووالد وما ولد	٥٦، ١٣٩، ١٤٢
الشمس	١٣	ناقة الله	٨٩
التين	٣	وهذا البلد الأمين	٨٥٨
العلق	١	اقرأ بسم ربك الذي خلق	٨٥٤، ٨٧٢
العلق	١٨	سندع الزبانية	٨٧٢
الزلزلة	٧-٨	فمن يعمل مثقال ذرة	٥٥٤
القارعة	٩	فأمه هاوية	٩٥
الإخلاص	١-٣	قل هو الله أحد	١٤٣، ٣٣٢

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية والآثار

أفلا أخبرهم أنهم كانوا ٢٣٤،٢٤

أقرأني جبريل على حرف ٨٥٥

ألستم تعلمون أنه لا يكون ٢٣

إن الله خلق آدم على صورته ١٥٦

إن الله يأمرك أن تقرأ ٨٦٥

أنزل القرآن على ٨٥٦

إني أعلم أنك حجر (عمر) ٨٥٢

افترقت اليهود على إحدى ٢٥

بلى ٢٤

تفرقت اليهود على إحدى ١٢٣

خلق الله التربة يوم السبت ٦٦٣

فأخذ رسول الله الكتاب ٨٥٤

فإذا أحببته كنت سمعه ٩٤

فلما رأيت وجهه (ابن سلام) ٢٣٦

قوموا عني لاينبغي عندي ٨٥٤

كذبتما إنه يمنعكما ٢٣

لا يجلد أحدكم امرأته ٨٣٧

لاتسألوهم عن شيء ٧٧٥

لتتبعن سنن من كان قبلكم ٢٥

لعن الله اليهود والنصارى ٢٥

لقد سمعت قول الكهنة (ضماد) ٢٣٦

ما من نبي من الأنبياء ٢٢٩

مائة كتاب وأربعة كتب ٢٠٤

مابعث الله نبياً :آدم فمن (علي) ٧٧٥

ماحدثكم أهل الكتاب فلا ٢٤

معاذ الله أن أعبد غير الله ٢٣

وأما أبو الجهم فضرّاب ٨٣٩

واختلف من كان قبلنا ٢٥

والله لا يخزيك الله (خديجة) ٢٣٦

وكتب : بن عبد الله ٨٥٤

وما أقول ...أجل إنه عبد ٢٤

ياأمير المؤمنين أدرك (حذيفة) ٨٥٦

ياجبريل إني بعثت إلى ٨٥٥

يامعشر المسلمين كيف(ابن عباس) ٢٤

ثالثاً : فهارس الأعلام[1]

إبراهيم (الخليل) ١٦، ٥٩، ٨٦
، ٩٥ - ٩٧، ١١٣، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ٢٠١،
٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٢، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٣٣،
٣٣٤، ٤٤٩، ٤٦٢، ٤٦٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥٦٢،
٥٨٤، ٥٩٥، ٦٠٧، ٦٠٩، ٦١٢، ٦٢١، ٦٢٣ -
٦٢٥، ٦٢٩، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٢، ٦٦٤، ٦٨٨،
٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٧٦، ٧٧٨ -
٧٨٢، ٧٨٧، ٨٠٠، ٨٢٤، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٥٠،
٨٥٢، ٨٦١

إبراهيم الجبهان ٣٤٦، ٤٣٢

إبراهيم خليل أحمد ٢٨٤، ٢٨٨،
٢٩٠، ٢٩٦، ٣٦٦، ٤٢٠، ٤٦٣، ٦٠١، ٧٧١،
٧٧٧

إبراهيم خليل(الطبيب) ٨٦٤ - ٨٦٦

إبراهيم سعيد ٥٠٣

إبراهيم لوقا ٨٦٧، ٨٦٨

إبراهيم ميخائيل ٥٢٨

أبشالوم ٦٥٦

أبلوس ٦٩٧، ٣١٦

أبو الأعلى المودودي ١٢

أبو العباس السرخسي ١١

أبو الفتوح السامري ٥٨٨

أبو الفضل السعودي ٧٤، ٥٣ - ٧٦
، ٨٨ - ٩١، ٩٣، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٧، ١٢٨
، ١٢٩، ١٥٤، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٨، ٢١٧، ٢١٨،
٢٢٠

أبو بكر الصديق ٣١، ٨٥٦

أبو بكر الطرطوسي ١١

أبو حيان ٦٠

أبو سفيان ٢٣٦

أبو طالب ٨٥٣

أبو عبيدة الخزرجي = أحمد

أبو فكيهة ١٣

أبو مسلم الخولاني ٢٣٥

أبو ميسرة ١٣

أبو هريرة ٦٦٣

أبولونيوس ٣٣٨

أبي بن كعب ١٣٤

أبيا (أبيام) ٦٥٧، ٦١٥، ٦٦٢،
٧٣٣

أبياثار ٧٢٣

أبيشاي ٦٣٧

أبيشج ٨٤٧

أبيغانيوس ٣٩٥

أبيمالك ٢١٢

أبيهو ٦٢١

أبيون ٣٥٤

أتوم ٣٩٣

أتيس ٣٧٠، ٣٩٥، ٥٤٧

أثناسيوس ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٩،
٣٥٠، ٣٥٧، ٥١٨، ٣٦٣

أثناسيوس(الأنبا) ٨٠٥، ٨٠٦

أجربيا اتلأول ٤٧٧

أجور بن منقية ٥٧٥

أحاز ٧٣٣، ٧٥٠

أحاز٥٧٧ ٦٥٩

إحسان الحق رانا ١٢

إحسان حقي ٢٦١

أحمد (أبو عبيدة الخزرجي) ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٨،
١٠٠، ٨٦، ١٠٣، ١٥٧، ١٨٥ - ١٨٦، ١٨٨، ١٩٠، -
١٩٢، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٢٤، ٢٢١،
٢٢٩، ٢٢٧، ٢٣٤،

أحمد بن إدريس القرافي ٥٥ - ٥٩ ، ٨٨،
١٠٦، ١٠٧، ١١١، ١٢٥، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٨،
١٥٠، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٥، ١٧١، ١٨٩، ١٩٤،

---

(١) أثبت في هذه الفهرسة جميع الأعلام الواردة في الرسالة، وأهملت منها المواضع التي ورد فيها اسم المسيح عليه السلام لكثرة وروده، وأهملت أيضاً الإنجيليين الأربعة حينما يقصد بها الإنجيل لا التلميذ، وكانت الفهرست حسب الاسم إلا في الأعلام الذين لم ترد في الرسالة إلا أسماء شهرتهم ، فذكرتهم بها .

١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٠ - ٢١١، ٨٦٧
أحمد بن تيمية (شيخ الإسلام) ٣٥، ٦٧ -
٧٠،٨٠، ٨١،٩٠ - ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١١٠،
١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٧، ١٤١،
١٤٥، ١٥١، ١٥٣، ١٥٥ - ١٥٦، ١٦٤ - ١٦٥،
١٦٩، ١٧١، ١٨٨، ٢١٩،٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٨،
٨٦٧
أحمد بن حنبل ٦٦٣
أحمد حجازي السقا ٢٨٣، ٢٨٧،
٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٦٤،
٣٩٧، ٥٠٠، ٥٧٢، ٦٠١، ٦١٣، ٦٠٥، ٦٥١،
٦٦٢، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٦٢، ٧٥٠، ٧٩٨، ٨٠٩،
٨٦٩، ٨٧٠
أحمد خان بهادر ٢٧١
أحمد ديدات ١٢، ٢٨٤،
٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠،
٣٠٤، ٣١٥، ٣١٨ - ٣٢٠، ٣٤٣، ٤٠٤، ٤٢٥،
٤٥٠، ٤٦٣، ٤٩٠ - ٤٩٨، ٥٤٢، ٥٧٠، ٦١٩،
٦٢٧، ٦٣١، ٦٣٧، ٦٤٢، ٦٥٤، ٦٥٦، ٦٩١،
٧٣٤، ٧٥٠، ٧٦٥، ٧٦٨، ٧٧٢، ٨١٩، ٨٢٤،
٨٤٣، ٨٥١، ٨٥٢
أحمد شلبي ٢٨٨، ٢٩٣،
٣٣٠، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٩٧، ٥٢٤
أحمد عبد الوهاب ٢٨٣، ٢٨٧،
٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٦،٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٧، ٤٠٩،
٤١٧ - ٤٢١، ٤٢٧، ٤٤٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٥ -
٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٩٨، ٥٠٤، ٥٣١، ٥٧٨،
٦١٣، ٦١٦، ٦١٨، ٦٤٣،٧٤٨، ٧٥٩، ٧٦٤،
٧٦٥، ٧٦٦، ٧٧٢، ٧٧٣، ٨٣٩، ٨٤٢،
أحمد عثمان ٤٠٨، ٦٠٤
أخاب ٧٤١
أخزيا ٢١٣،٦١٥،
٦٥٦، ٧٣٤
أخناتون الكبير ٥٨٠
أخنوخ(إدريس) ١٩٥، ٤٧٣،
٥١٤، ٥٢٣
أخيم ٧٣٣
أخيمالك ٧٢٣
أدرمزد ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٦
آدم كلارك ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٨٩،
٥٩٧، ٦٠٦، ٦١٥، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٥٤، ٧٤٩
آدم كلارك ٣٣٦
آدم(أبو البشر) ١٥، ١٠٥، ١٥٦،
١٩٧ - ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٣٣١٨، ٣٤١، ٤٠١،
٤٤٩، ٥٠٥، ٥٠٧ - ٥١٢، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٩، ٥٢١
- ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٥٣، ٦٠٧، ٦٠٩، ٦٢٦،
٦٣٤، ٦٦٤، ٦٨٨، ٧٣٤،٧٦٢، ٨٣٥، ٨٤٣، ٨٦٨،
٨٦٩
أدموند ديلسون ٦٠٥
أدوين بلس ٢٥٢
أدوين ٣٩٣، ٣٩٦،٣٩٥
أرام ٧٣٣
أرتزكسيس ٥٧٤
آرثر دروز ٧٤٣
أرجون ٣٩٣
إرزاموس ٥٩٨
أرسطاليس ٢٩
أرسطو فايتز ٥٨٠
أرط مالس ٣٥٤
أركاديوس ٣٦٨
أركاديوس ٣٦٨
أرملن ٥٨٠
إرميا ٨٥، ٢٠٤، ٢٩٨،
٣٠٨، ٣١٨، ٣١٩،٤١١، ٤٥٤، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٧٧،
٦٥٠،٦٣٥، ٦٦١، ٧٢٤، ٧٣٦،٧٤٨، ٧٨٥
أرمينيوس ٧١٠
أرنست بيغن ٦٤٣
أرينيوس ٦٨٦، ٦٩٠، ٦٩٧
آريوس ١٢٦، ٣٣٩، ٣٤٠،
٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧،٨٣٢
آزر ٨٢٤
آزر ٨٦١
إزيس ٣٩٦
آسا ٧٣٣

أساف ٥٧٤
أسامة بن زيد ٨٣٠
إستفانوس ٣٧٤
إسحاق البطريك ٦١٠
إسحاق السامري ٧٨٣
إسحاق نيوتن ٧٦٥
إسحاق(النبي) ٥٩، ١١٣، ١٥٥، ١٥٨، ١٨٦، ١٩٧، ٢١١، ٣١٠، ٤٦٢، ٤٦٣، ٥٦٢، ٥٦٦، ٦٠٧، ٦١٢، ٦٢٤، ٦٢٩، ٦٤٩،٦٣٠، ٦٥٣، ٧١٤، ٧٣٢،٧٤١، ٧٧٩ - ٧٨٢، ٧٨٩، ٧٩٥، ٧٩٩، ٨٢٠، ٨٢٥
أسد رستم ٣٥٧
إسرائيل ولفنن ٤٣٤
أسقف نجران ٢٣٧
إسماعيل (النبي) ٣١، ٥٩، ١١٣، ١٨٦، ٢١٩، ٢٣٩، ٢٤١، ٣٠٨، ٦١٧،٦٤٩، ٦٥٠، ٧١٤،٧٨٨ - ٧٨٣، ٧٨٥، ٧٩١ - ٧٩٢، ٧٩٥، ٨٢٠، ٨٢٥
إشعيا بومان ٢٧٩
إشعيا ٨٥، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢٦٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٣٠٨، ٣٦٨، ٤٤٩، ٥٥٩، ٥٧٦، ٥٧٧، ٦١٦، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٨٥، ٧٩٤، ٨٢٤، ٨٤٢، ٨٥٩
أغروباس الأول ٦٩٢، ٦٩٨
أغرياس ٣٧٥
أغشتين (أغسطين) ٥١، ٥٨، ٨٥، ١١٢، ٢٢١، ٢٨٠، ٣٤٥، ٣٤٦، ٥١٠، ٥١١، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٦٨٧، ٧٠٠، ٨٣١، ٨٣٥
أغناطيوس ٦٨٩
أفرايم ١٨٤، ٣١٣
أفروديت ٥٧٩
أفلاطون ٣٩٥، ٣٩٦، ٧٥١، ٧٥٧
أفلوطين ٣٩٦
أكهارن ٧٧، ٧٥٦
أكيلا ٦٧٥
ألبعازر ٧٣٣
ألبود ٧٣٣
ألوغي ٦٩٠
إلياس زحلاوي ٧١٥
إلياس مقار ٥٩٢
ألياشيب ٥٧٣
أليصابات ٨٣٣
أم حبيبة (أم المؤمنين) ٨٤٧
أم سلمة (أم المؤمنين) ٨٤٧
أمنخوبي ٥٨٠، ٥٨١، ٥٩٨
أمنون بن واود ٦٣٢، ٦٣٩
آمون ٧٣٣
أمية بن الصلت ١٣
أميمة الشاهين ٢٨٩، ٣١١ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩، ٥٣٥
أنا مليجان ٢٥٨
أندرا ٥٤٧، ٥٤٩
أندرسن ٤٣٣
أندرواس ٤٧٩
أندرواس ٧٣٧
أندرياه ٧١١
أندموند جاكوب ٦٠٣
أنوسنت ٧١٣
أنوبيس ٥٧٩
آني ٣٩٦
أنيس شروش ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨ - ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٦، ٥٣٣، ٧٣١، ٨١٩٨٢١، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٣٤، ٨٥١ - ٨٥٤، ٨٦٠، ٨٦٢، ٨٦٣
أنيس فريحة ٢٥١
أهرمان ٥٤٧
أهوليات ٦٣٦
أوتار ٣٩٢
أوتيميوس ٣٦٨
أوجين يونج ٢٨١
أودونيس ٥٥١

أوريا الحثي ١٢٠، ٦٣٢، ٦٥٧، ٧٣٣، ٧٣٦، ٨٤٦
أوريانوس ٢٩٢
أوريجن ٣٩١، ٦٦٧، ٧٥٥
أوريغنوس ٣٣٢
أوزيريس ٣٩٦، ٤٣٤
أوسابيوس ٣٣٩، ٣٥٥، ٣٨٤، ٣٨٥
أوسكان ٧٧٨
أوغسطين (أسقف كانتري بري) ٣٩٤
أوفيلاس ٦١٠
أولاف ٨٣١
أومونيوس ٣٥٥
إياين وايت ٥٩٦
إيثان ٥٧٤
إيرا هاريس ٢٦٠
إيرونيموس ٥٩٢، ٦٨٩
إيرينا ٣٦٩
إيريناوس ٣٥٤
أيزيس ٥٤٨
إيسيد روح ٢٦٣
إيفانوس ٣٦٩
إيليّا (إياس) ٩٧، ١٩٠، ٢٣٩، ٣٢٧، ٢٦٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٥١٤، ٤٧٣، ٥٢٣، ٧٣٩، ٧١٩، ٨١٢
إيليا (الآتي) ٧٣٩، ٧٩٦، ٨١٢ - ٨١٥
إيميل لورد فيج ٣٦٢
أينوش ٢٠٨
أينوك باول ٤٠٨
أيوب ٥٧٤، ٦١٣
ابن أبي حاتم ٨٤٩
ابن اشير ٦٠٣
ابن الأرملة ١٠٤، ١٠٦
ابن الإسرائيلية ١٠٦
ابن الأمثل ٦٧
ابن الأنباري ٨١، ٩٢، ٩٥، ١٣٥، ١٤١، ١٤٢، ٢٢٩ - ٢٣١
ابن الخطيب ٢٩٣، ٨٢٠، ٨٢٣، ٨٢٤
ابن الراوندي ٣٢
ابن العسال ٣١
ابن العماد ٦٣
ابن القفع ٨٦٤
ابن القيم = محمد بن بكر
ابن النديم ٣٢
ابن حجر ٦٣
ابن سلام الجمحي ٢٩٤
ابن سينا ٥٠٠
ابن عرفان ٢٧١
ابن عزرا ٥٦٨
ابن كثير ٤٠، ٤٤، ٦٧، ٦٩، ٢٠٨، ٨٤٩
ابن منظور ٤٠٣، ٨٦٥
ابن نفتالي ٦٠٣
ابن هشام ٨٠٧
ابيفاوس ٦٩٠
ادوارد سيد ٨١٨
ادولف هرنك ٥٤٣، ٥٤٥
ادوين جونس ٨٠٧
ارازموس ٧٥٩، ٧٦٠
اراستس ٦٧٥
ارتحششتا ٢٩٢
ارثرويجال ٥٥٠، ٥٥١
ارجن ٦٩٧
ارسطو طاليس ٧١٤
اسبينوزا ٥٧٠، ٥٦٨، ٥٨٢، ٥٨٧ ٥٩١، ٦٥٣، ٦٧٦، ٧٤٢، ٧٩٢
استائدلن ٦٧٦
استاهلن ٥٧٧، ٦٥٦
استرخس ٣٩٠
استفانوس ٣١٧، ٣١١، ٣٣٧،
استير ٥٨٠، ٥٩٢، ٨٦١

اسكابحر ٦٩٩
اسكندر الثالث ٢٧٧
اسكندر النحاس ٣٨٨
اسكندر جديد ٢٦٣، ٣٤٦
اسكندر جيرسي ٥٨٢
اسكولا بيوس ٤٧٨
اسمث ٧٢٥
اكستاين ٧٣٩، ٧٦٥
اكستياين ٥٩٣، ٦٠٦
اكسيهومو ٧١١
اكليمنض ٧٠٩
اكويناس ٥١١، ٥١٢، ٥٢٩
الإسكندر المقدوني ٥٧٣، ٥٨٠
الأسود العنسي ٢٣٥
الأكيدر ٣١
الألوسي = نعمان
الاسكندر المقدوني ٨٠٣
الاسكندر (أسقف الاسكندرية) ٣٩٤
الباجي = علي الباجي
الباقلاني = محمد
البهاء ٢٧١
البوصيري = محمد بن سعيد
البوكيرك ٢٧٠
البيروني ٢٦
الجاحظ = عمرو بن بحر
الجامعة بن داود ٥٧٦
الجبائي ٣٨، ١٤٦
الجبرتي = حسن الجبرتي
الجويني = عبد الملك
الحداد الخوري ٢٨٥، ٨٢١، ٨٥٥، ٨٦٨، ٨٧١
الحسن بن أيوب ٣٤ - ٣٥، ٤٧، ٦٩، ٨١، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١١٦، ١٢٣، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٤، ١٩٣، ٧٧٧
الحسني ١٧٨
الحسين بن علي ٧٩٤
الخطيب السكندري = جعفر بن عبد الوهاب
الخليل الفراهيدي ٨٦٠
الدجال ٢٣٨
الذهبي = محمد
الرازي = محمد بن عمر
الزهري ٨٤٠
السامري ٨٦١
السبكي ٦٠
السحار ٥٤٤
السدي ٤٠٢
السكران بن عمرو ١٣
السمؤل ٥٣
الشافعي ٨٦٠
الشرفي = عبد المجيد
الشرقاوي = محمد
الشهرستاني ١٢٤
الشيرازي ٥٠٠
الضحاك ٤٠٢
العازرا ٥٧٠
العاقب ٢٣٤
العقاد ٥٠٠
العلاء الحضرمي ٢٣٥
الفاكه بن المغيرة ١٣
الفرد جارفي ٧٠٥
الفونسو ماريا دي ليكوري ٤٣٠، ٤٩٠
القاسم الحسني ٢٧، ٨١
القرافي = أحمد بن إدريس
القفال ٨٢٢
الكندي (من علماء المسلمين) ١٦٣، ١٦٤
المتبولي ٤٨٧
المرتضى الزبيدي ٢٦٨، ٢٦٩
المسعودي ٨٢٥
المعتصم ٣٤
المغيرة بن شعبة ٢٤، ٢٣٤
المقتدر ٤٢، ١٩٦
المقدسي = عبد الرحمن
المقوقس ٢٥

المهدي (السوداني) ٢٤٨، ٢٤٩
النجاشي ٢٣، ٧٠،
٢٣٤
النضر بن الحارث ٨٦٤
النوبختي ١١١
الهاشمي = عبد الله الهاشمي
الوراق = محمد بن هارون
الوليد بن المغيرة ٣٣١، ٨٦٣
الياقيم ٧٣٣
اليسع ١٠٦، ١٠٧،
٣٢٧
اليوثريوس ٥٥
امرؤ القيس ٨٥١، ٣٠٠، ٢٩٤،
٨٥٤ ، ٨٦٤
اندرواس ٣٦٨
اوزريس ٧٤٣
اوزوريس ٤٧٨، ٥٤٧،
٥٤٨، ٥٧٩، ٧٠٤
اوسبيوس ٦٨٠
ايبي لارد ٥٣٤
ايريناوس ٦٨٠، ٦٨٤،
٧١١
ايلجن ٥٨٢
اينشتاين ٤٩٧
اينوشنسيوس ٨٣٣
ايهورن ٥٨٢
بابليون الجاثليق ٥١، ١٩٦
بابياس ٦٧٠، ٦٨٠،
٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٦، ٧٠١
باخوس ٤٧٨
بارباس ٤١٠، ١٧٨،
٤١٣، ٤٢٦، ٤٣٦، ٤٧٦، ٤٧٧
باروخ بن نيريا ٥٧٧، ٦٥٠
باروخ ٦١٠
باري ٦٠٦
باسيليوس ٤٤٥، ٤٤١،
٤٦٣، ٦١٢، ٦٨٩، ٧٠٨
بالسي ٧٢٤
بتر سمث ٣٠٦، ٣٩٠، ٤٠٥
بتروز ٢٥٨
بحيرا ٨٥٢ - ٨٥٣
بحيرا ٢٩
بختنصر (نبوخذ نصر) ٥٦٣، ٥٨٧، ٦٦٠،
٦٦١، ٨٠٢ - ٨٠٤
براترند رسل ٣٥٤
برادلي ٣٠٩
براهما ٣٩٥
برثوولماوس ٧١١، ٧٣٧
برجس ٨٦٧
بردنوفسكي ٣٦٠
برطشنيدر ٦٧٦
بركة الله ٦٩١
برنابا ٤٦٤، ٤٧٩، ٤٨٨،
٥٠١، ٦٨٤، ٧٠٩، ٧١١ - ٧٢٠، ٧٣٧، ٧٥٢، ٧٨٢،
٧٩٥
برنابا ٣٠٨، ٣١٧، ٣٢٧،
٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٨ - ٣٩١، ٤١٠، ٤٣١،
٦٥٣
برناردشو ٦٤٣
برنيليوس ٣٨١، ١٨٧
بروتن ٧٥٩
بروسيوس ٤٧٧
بروكلوس ٦٩٣
برومسيس ٣٩٢
برومثيوس ٥٤٧
برونو بور ٧٤٣
بريسكلا ٦٧٥
بريسو ٢٧٦
بريفولت ٨٣٢
بريمروز ٤٩٣
بشير عبد المسيح ٢٥٢
بشير كعدان ٥٠٤
بصلئيل بن أروى ٦٣٦
بطرس الحواري (شمعون) ٤٠، ٩٣، ١٠١،

١٣١، ١٧٤، ١٧٥ – ١٧٧، ١٧٨، ٢١٦، ٢٢٤،
٢٣٨، ٢٤١، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٧،
٣٥٣، ٣٦٥، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٥، ٣٨٦،
٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٤١٢ – ٤١٤، ٤٤٣، ٤٢٤،
٤٢٧، ٤٢٨، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٤، ٤٦٨، ٤٦٩،
٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٨٩،
٥٠٤، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٣٠، ٥٣٢، ٥٥١، ٥٦٠،
٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٤، ٦٨٥،
٦٨٦، ٦٨٩، ٦٩١، ٦٩٧، ٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٩،
٧١١، ٧١٩، ٧٢٣، ٧٢٦، ٧٢٨، ٧٣٩،٧٣٧،
٧٤٤، ٧٤٥، ٧٦٤، ٧٨٨، ٧٩٥ – ٧٩٦

بطرس عبد الملك ٥٧٤

بطرس قرماج ٣٥٣، ٦٨٤،
٦٩٧

بعل ٤٧٥–٤٧٦،
٥٤٧

بكر التميمي ٢٨٣، ٣١٨،
٣٢٢،٤٥٥، ٥٢٢، ٦٤٤، ٧٣٠

بلفور ٢٧٨

بلمان استراتر ٤٨٠

بلهة ٦٠٨، ٦٣٠

بنصون ٧٠٣

بني قورح ٢٠٤، ٥٧٤

بنيامين بن يعقوب ٣١٤، ٦٠١

بنيامين بنكرتن ٧٢٦

بوبرو ٢٦٣

بوخص ٣٩٣

بوذا ٣٩٢ – ٣٩٥،
٤٧٨، ٤٧٨، ٥٤٨، ٧٠٣، ٧٠٤

بورمنت ٢٤٨

بوطر ٣٣٣

بوعز ٥٧١، ٧٣٦،
٧٣٣، ٨٣٤

بوفبيوس ٨٠٣

بوكستين ٢٤٨

بول برخت ٢٥٦

بول هاريون ٢٦٠

بولثمان ٧٥٨

بولس إلياس الخوري ٣٣٠، ٣٣١، ٥٣٦،
٧٢٧

بولس السمساطي ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦

بولس سباط ٥٢٧

بولس سلامة ٥٣٢

بولس (شاول) ٩٦، ١٠١، ١٢٦،
١٣١، ١٦١، ١٦٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٤،
٢٣٨، ٢٥٢، ٢٨٦، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢،
٣١٦ – ٣١٨، ٣٢٢، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٥٠، ٣٥١،
٣٥٤، ٣٦٥، ٣٧٤ – ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٦،
٤٠٧، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٧١، ٤٧٥،
٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٥٠٤، ٥١٠، ٥١٥، ٥١٨، ٥٢٢،
٥٢٦، ٥٣٠، ٥٣٥ – ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٥٠، ٥٥٧، ٥٥٨،
٦٣٣، ٦٣٩، ٦٤٣، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٧٥ – ٦٧٧،
٦٧٩، ٦٨٢، ٦٨٤ – ٦٨٧، ٦٩٥ – ٦٩٨، ٧٠٦، ٧٠٧
، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١٢، ٧١٦، ٧١٨، ٧٢٢، ٧٢٥، ٧٣٠،
٧٣٦، ٧٤١،٧٣٧، ٧٤٤، ٧٤٦، ٧٤٩، ٧٦٩، ٧٧٣،
٧٩٩، ٨٣٥، ٨٣٨، ٨٤٢، ٨٤٦، ٨٥٩، ٨٧٣

بولص الراهب ٦٨، ٨١

بوليكارب ٦٩٠، ٧١٢

بومارا ٧٠٢

بونويك ٥٤٨

بيّا ٥٠٣ – ٥٠٤

بيال ٧٠٣

بيد (الراهب) ٣٩٤

بيطر ١٤٩

بيكيت ٦٤٣

بيلاجوس ٥١٥

بيلاطس ١٤٨، ١٧٨، ١٩٠،
٤١٣، ٤١٤، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٥٠،٤٣٦،
٤٦٥، ٤٦٨، ٤٨٢ – ٤٨٤، ٤٨٨، ٤٨٩ – ٤٩٣، ٤٩٨
، ٤٩٩، ٥٠٤، ٧٣٠، ٧٨٧، ٧٩٦ – ٧٩٧، ٨٢١،

بينوا ٧٢

بيوس ٢٥٥

تاؤديوس ٣٤١

تاسيتوس ٣٣٤، ٤٣٣

تاماران ٦٤٣
تامس ٦٠٣، ٦٥٢
تاياس ٦٨٩
تداوس ٧٣٧
ترانكون ٨٥٠
ترتليان ٣٣٩، ٣٨٧
ترتليانوس ٣٨٤
تروفيمس ٦٧٥
تريكو ٦٨١
تشارلز الفريد ٦٩٢
تشارلز شاونسي ٣٦٠
تموز ٤٧٧، ٤٧٨
توري ٥٧٣
توفيق جيد ٣٤٧، ٣٤٨
توما (الحواري) ١٨٣، ١٨٤، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٥، ٤٧٩، ٤٩٦، ٧١١، ٧٣٧، ٨٦٣
توما الأكويني ٤٠١
توما اللاهوتي ٣٦٧
توماس أرنولد ٨٢٩
توماس أكمبسفي ٣٥٢
توماس ٣٦١
تيموثاوس ٣٦٨، ٣٨٨، ٤٧٩، ٦٧٦
تيودسيوس ٤٣٠، ٨٣١
ثامار بنت أبشالوم ٦٥٦
ثامار ٦٣٠، ٦٣٤، ٦٣٩، ٧٣٣، ٧٣٦
ثورنتن ٧٠٣
ثيو فليس ليندساي ٣٦١
جاد ٦٥٥
جارد سباركس ٣٦١
جارسلان ٣٩٧
جارلس الأول ٥٩٩
جاستن مارتر ٦٩٠
جاك مندلسون ٢٧٨
جالينوس ٢٩
جامس كينون ٣٧٨
جان استروك ٥٨٢
جان كاترول ٥٩٦
جان كالوين ٥١١
جان ملنر ٥٨٨
جربج الراهب ٢٥
جرجي زيدان ٤٣١
جرجيس ١٩٣
جردوبمينت ٧٤٩
جرمانوس لطفي ٧٦٦
جريجوري الأول ٣٩٤
جريجوري الثاني ٣٦٩
جستن ٦٤٧
جستيان الأول ٨٣٢
جعفر بن أبي طالب ٢٣
جعفر بن عبد الوهاب (الخطيب) ٥٧ – ٥٨، ٩١، ١٢٥، ١٢٧، ١٤٦، ١٥٧، ١٩٨، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠٧،
جلاسيس الأول ٧١٣
جلجامش ٥٨١
جمال الدين الأفغاني ٤٥٢
جواد بن ساباط ١٢
جورج إيلتون ٦٩٣
جورج التريابي ٥٧٣
جورج بوست ٥٧١، ٥٧٣، ٦٨٩، ٧٥٨
جورج سايل ٤٣١، ٤٨٣، ٨٢٩
جورج كوكس ٥٤٩
جورج كيرد ٤٠٩، ٤١٩، ٤٢١، ٧٥٤، ٧٥٩
جورج يتز ٢٥٣
جورجيو بندراثا ٣٦٠
جوستين ٧٠٨
جوستينوس ٦٨٩
جوفنيان ٧٧٣
جولد ساك ٥١٨
جون (البابا) ٦٧٧
جون (الملك) ٣٥٩

جون بريستلي ٣٦٠
جون بيدل ٣٦٠
جون تاكلي ٨٦٧
جون ستون ٧٦٨
جون طمسن ٥٧٤
جون فان ٢٧٨
جون فنتون ٤٠٩، ٤١٠، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٧٧، ٤٨٠، ٦٨١،٦٨٢،٧٤٦، ٧٤٨، ٧٤٩
جون موط ٢٥٨
جونز ٦٤٢
جوويل ٤١١
جويرية (أم المؤمنين) ٨٤٧
جويل بويد ٥١٢
جيبون ٨٣٢
جيرا سوانك ٢٥٤
جيروم ٥٩٤، ٦١٠، ٦٦٦،٦٨٥، ٦٨٨، ٧٣١،٧٨٧، ٧٩٢، ٨٣٥
جيكس ٧٠٣
جيم بيشوب ٤٩٤
جيمس (الملك) ٤٥٠، ٦١٠، ٦١٤، ٦٥٢، ٧٥٩، ٧٦٠
جيمس براون ٥١٦
جيمس تد ٣٤٦، ٥٥١
جيمس ميك ٦٩٩
جيمي سويجارت ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٣١،٥٦٢، ٥٦٧، ٦٧٢، ٧٥١، ٧٥٣، ٧٦٨، ٨٣٤، ٨٤٣
جيومان لوستير ٨٢٦
حاجي خليفة ٦٧
حافظ الجعبري ٢٩٧
حام ٦٢٩
حبقوق ٢٠٤، ٧٩٢
حبيب إسماعيل ٤٦٢
حبيب جرجس ٣٦٤، ٥١٧
حبيب سعيد ٤٣٩، ٦٧٧، ٨٢٣، ٨٦٧، ٨٧١
حجي ٢٠٤، ٥٨٨، ٨٠٠
حذيفة بن اليمان ٨٥٦
حزقيا ٥٧١، ٥٧٥، ٥٧٧، ٧٣٣
حزقيال ١٩٤، ٣٠٨، ٤٧٧، ٥٢٠، ٥٣٧، ٥٤٦، ٥٥٩، ٥٦٥، ٥٨٠، ٦٢١، ٦٢٥، ٦٣٨، ٦٤٦، ٦٤٣، ٦٥١، ٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦٥، ٦٧٦، ٧٨٤، ٧٨٨، ٨١١، ٨٣١، ٨٥٩
حسن الجبرتي (الحفيد) ٢٦٩، ٢٧٣
حسن الجبرتي ٢٦٨، ٢٦٩
حسني الأطير ٢٠٤، ٦٨٢، ٦٨٨، ٨٦٨
حصرون ٧٣٣
حفص بن البر ٥١
حفصة (أم المؤمنين) ٨٤٥، ٨٥٦
حلقيا ٥٨٦-٥٨٨، ٧١٧
حمورابي ٥٨٢، ٨٦٣
حنا جرجس ٧٥٨
حنا هس ٣٧١
حنان ١٧٦، ٤٢١
حنانيا ٣٦٧
حواء (أم البشر) ١٠٥، ٣٢١، ٥٠٧ - ٥٠٩، ٥١٦، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٣٣، ٦٠٧، ٨٣٥،٦١٧
حورس ٣٩٦، ٤٧٨
حيدر القرشي ١١، ٧٧٨
حيي بن أخطب ٢٣٧
خالد بن الوليد ٣١
خديجة (أم المؤمنين) ٢٣٦، ٨٤٧
خريسطفورس ٣٦٩
خسرو ٨٠٣
خلف الدمياطي ١١
خليل سعادة ٧١٣،٧١٤- ٧١٦
دافيد جنكنز ٣٦١ - ٣٦٢
دانتي ٢٥٨، ٧١٤
دانيال كمبوني ٢٥٧
دانيال (النبي) ١٨٤، ٢٠٤، ٢٤٢، ٢٩٣، ٣١٤، ٣٦٨، ٤٦٣، ٥٩٢، ٥٩٥، ٦٢٠، ٦٣٨

دانيلو ٣٥٤، ٦٦٧، ٧٣٤
داود (النبي) ٨٥، ٩٠، ٩٦، ١١٦، ١٥٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٥٦، ١٩٤، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٤٣، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٤٤، ٤٢٦، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٦١، ٥٤٦، ٥٥١، ٥٦٣، ٥٧١، ٥٧٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٩، ٦٣١ - ٦٣٢، ٦٤١، ٦٥٥، ٥٦٥، ٦٥٧، ٦٥٩، ٦٦١، ٧١٩، ٧٢٣، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٤٩، ٧٣٦، ٧٩٥، ٨٣٠، ٨٤٦
داود الضرير ٥٠٠
درايبر ٨٢٩
درشيور ٦٠٦
درمنغم ٤٩٨
دماسس ٧١٣
دندل هاريس ٧٤٧
دوان ٣٩٢
دوغلاس ٢٦١، ٢٩٦
دوفو ٥٨٣، ٥٨٥، ٦٤٤
دولا فوست ٢٧٨
دون مكاكري ٢٥٢
دون مير ٢٥١
دونلد جانسون ٦٦٥
دويتز ٢٤٧
دي بوش ٤٣٢، ٤٧٥، ٥٣٦
دي توت ٢٦٨
ديفاكي ٣٩٢، ٣٩٥، ٧٠٤
ديفيد فريزر ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦
ديكاردز ٢٥١
ديماس ٣٨٨
ديموس الأول ٦١٠
دين انج ٣٨٦
ديو نيسيوس ٣٩٤
ديوبن ٥٩٩
ديوكينش ٦٨٩
ديوني سيش ٧٥٦
ذي الرمة ٨٧٠
ذي فاوس ٧١٣
رؤابين بن يعقوب ٦٠٨، ٦٣٠
راجوس ٦٩٧، ٦٩٩
راحاب ٦٣١، ٧٣٣، ٧٣٦
راشدل ٣٦٢
راعوث ٦٢٩، ٧٣٣، ٧٣٦، ٨٣٥
راهب فرنسا ٤٢ - ٤٣، ١١٠، ١٩٦
رايد ٢٥٧
رجاء حارودي ٥٦٩
رحبعام ٥٦٣، ٥٨٦، ٦٥٧، ٧٣٣
رحبعام ٢٠٦
رحمة الله الهندي ١٢،٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٦ - ٢٩٨، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٥، ٣٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٦، ٦٠٠، ٦٢٦، ٦٤٥، ٦٦٦، ٦٧٤، ٦٨٠، ٦٨٥، ٦٨٩، ٧٠٧، ٧٢٧، ٧٣٠، ٧٣٥،٧٣٨، ٧٥٠، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٩، ٧٧٨، ٧٩٨، ٨٠٦، ٨١٠، ٨١١
رطشبندر ٦٩٣
رعوئيل (يثرون) (حوباب) ٦٥٦
رفاعة الطهطاوي ٢٦٩
رمضان الصفناوي ٢٩٧
رنيشارد ٥٧٦
روبرت إيزنمان ٦٠٥
روبرت ايزلز ٦٩٢، ٧٥٣
روبرت فاهاي ٤٩٨
روبرتسون ٣٩٧، ٥٥٠، ٧٤٣
روجي ٤١٨
روزفلت ٢٧٨
روغيه ٦٨٥، ٦٩٤
روفيجو ٢٧١، ٢٨٠

روكسيس ٥٧٤
روي ديكون سميث ٥٢٦، ٥٢٧
رويس ٦٨٤
رياض (المفتي) ٦٦٦، ٦٦٧
ريس ٦٧٧
ريستوم ٥٥١
ريسكا ٦٧٥
رينان ٣٧٨، ٤٣٤
زارح ٧٣٣
زرادشت ٥٩٤
زربابل ٧٣٣
زكريا (النبي) ١٥، ١٦، ٦٤
، ٢٠٤، ٣٤١، ٤١١، ٧٤٦، ٧٢٤، ٥٨٨، ٧٤٨
زكريا بطرس ٨٦٧
زكريا بن برخيا ٧٢٢
زكريا بن يهوياداع ٧٢٢
زكي باشا ٧٨٣
زكي شنودة ٣٤٦
زنوبيا ٣٥٦
زورستر ٤٧٨، ٥٥١،
٧٠٤
زوس ٣٩٤
زونجلي ٣٧١
زويمر ٢٥٠، ٢٥١،
٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩،
زيادة الراسي ٧٧، ٨٩، ٨١،
٩١، ٩٧، ١٠٨، ١٢٦، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٤٣، ٢١٣
- ٢٤٤، ٧٧٧
زيد بن أسلم ٨٤٩
زيد بن ثابت ٨٥٦
زيد بن حارثة ٨٤٥
زينب (أم المؤمنين) ٧٨، ٨٤٥،
٨٤٧، ٨٤٨
سارة (زوجة إبراهيم) ١٥٧، ٣١٠،
٧٤٢، ٧٧٩، ٧٨١، ٧٩٩
سارتر ٦٤٣
سالومة ١٨٠،
٤١٦، ٤٩٤، ٦٨٩
سام بن نوح ٦٠٧
سانت أرنو ٢٧٠
سبيليوس ٣٤٧، ٣٣٩
ستانلي شوبرج ٢٩٥، ٦٣٧، ٢٩٩،
٦٥٤، ٦٥٥، ٧٢٧، ٧٦٧، ٧٧١، ٧٧٢
ستفلأن جتون ٥٥٨
ستورم ٢٥٩
ستيفن باثوري ٣٥٩
ستيفن نيل ٢٨١، ٣٠٩
سرجيوس ٤٣٧، ٤٣٨، ٥٠١،
٥٠٢، ٦٠١
سرفيتوس ٣٦٠، ٨٣٢
سركيس الدرزي ٦١١
سرل ٦٩٨
سرنتهن ٦٩٨
سعد جدغاون ٦١٠
سعدية بن يوسف ٦١١، ٨٥٣
سعيد البطريق ١٣٣، ١٣٦، ١٣٨،
١٦٥، ١٧١، ٣٥٧، ٦٨٦، ٧٠١
سعيد الحاوي ٨٧٠
سقراط ٧٠٣
سكولا بيوس ٤٧٨
سلمان الفارسي ٧٠
سلمون ٧٣٣، ٧٣٦
سلن بريست ٢٦٨
سلوانس ٦٧٦
سلوس ٧٥٨
سليتوس ٥١٥
سليفاهانا ٣٩٢
سليم الجابي ٢٨٨، ٤٠٤، ٤٩٨
- ٥٠٠
سليمان (النبي) ٢٠٦، ٢٢٢، ٢٩٨،
٣١٢، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ٤٧١، ٥٥٩، ٥٦٣،
٥٦٩، ٥٧٤ - ٥٧٦، ٥٨٠، ٥٨٦، ٥٩٧ - ٥٩٨، ٦٢٣
، ٦٣٨، ٦٤٠، ٦٥٤، ٦٥٥، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٣،
٨٥٢، ٧٣٦، ٧٨٧، ٨٤٦، ٨٦٢

سليمان الباجي ٤٢، ١٠٠، ٨١،
، ١٩٩، ٢٢٠
سليمان الطوفي ٦٥ -
٦٧،١٨٤ - ١٨٧، ١٩٤، ١٩٠، ٢٢٦، ٢٢٩،
٢٣٤،٨٦٧
سليمان مفسر ٣١٢
سمث ٧٤٣
سمعان (رجل أورشليمي) ٣٤١
سمعان الحصروني ٦٥٩
سمعان القانوي ٧٣٧
سمعان القيرواني ١٧٨، ١٩١،
٤١٤، ٤٨٠، ٤٣٠، ٤٨٩، ٤٩٠
سملر ٦٠٠
سملران ٦٤١
سنجر ٣١١
سنوت ٥٤٥
سوتر ٥٥٠
سودة (أم المؤمنين) ١٣، ٨٤٧
سوستام ٨٣٥
سوسنس ٣٦٠
سوشيه ٢٨٠
سيبويه ٨٦٠ - ٨٦١
سيد أحمد ٢٥٣
سيد قطب ٨٢٢، ٨٢٧
سيفا ٣٩٥
سيلة ٣٠٩
سيمون ٢٧٩
سيمون ٥٧٦
سيوس ٤٣١
شارل العاشر ٢٦٦
شارل جنيبر ٣١١، ٣١٢،
٣٥٠، ٣٨٥، ٤٨٧، ٥٣٥
شارلمان ٨٣١
شالتئيل ٧٣٣
شامر ٨٦٢
شان ٢٧٠
شاول (الملك طالوت) ٢٠٦،
٢١٠، ٦٣١، ٥٦٣، ٦٤١، ٦٥٩، ٧٩٦
شفرة ٦٦٢
شكري الخوري ٢٥١
شلز ٧٢٤
شمؤئيل ٦٥٠
شمجر ٦٣٧
شمشون ٢٩٨، ٦٣٧، ٦٣٩،
٨٢٥، ٨٣٠
شمعون ٥٩٣
شميت ٧٥٤
شنودة (الأنبا) ٢٥٠، ٣٥٧، ٥٥٨،
٨٦٧، ٨٦٨
شهربانو بنت يزدجرد ٧٩٤
شورر ٧٥٤
شوفلر ٢٨٠
شوفي أبو خليل ٢٨٩، ٢٩٤
شوقي عبد الحكيم ٥٧٩
شولز ٧٦٥
شيت ٢٠٨
شيشق ٥٨٦
صابر جبرة ٣٩٨
صابر طعيمة ٤٠٤، ٤٩٨
صادوق ٧٣٣
صالح بن الحسين الجعفري ٥٣ - ٥٥، ٥٨،
٧٤،٨٩، ١٦٣، ١٦٤، ١٩٣، ١٩٤، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٣٠
صبري جرجس ٥٨١
صبري جوهرة ٦١٩، ٦٦٧
صدقيا ٥٦٣، ٦٦٠
صفنيا ٢٠٤
صفورة ٢١٣
صفية (أم المؤمنين) ٧٩٤
صفية (أم المؤمنين) ٨٤٧
صلاح الصفدي ٦٠
صموئيل (النبي) ٦١، ٦٤٦، ٣٦٨،
٦٥٥، ٦٥٦،
صموئيل ريماروس ٥٢٥
صموئيل شولتز ٥٧٤، ٥٧٥

صموئيل ٣٣٤، ٥٦٣،
٥٧٠ - ٥٧٢، ٧٢٣، ٧٤٩، ٧٨٨
ضماد ٢٣٦
طابيثا ١٠٦
طالوت = شاول الملك
طامس انكلس ٥٨٩، ٦٥٢
طامس نيوتن ٧٢٦، ٨٣١
طه حسين ٢٩٤
طيباروس ٢٤٣، ٣٨٤
طيطوس ٤٣٣
عائشة (أم المؤمنين) ٣٦، ٨٤٧،
٨٥٣
عازور ٧٣٣
عالي ٦٤٠
عاموس ١٠٣، ١٨٥،
١٨٦، ٢٠٤، ٥٥٩
عبد الأحد داود ٢٨٤، ٢٩٣،
٥٢٤، ٣٢٢، ٥٣٨، ٧٠٧، ٧٧٧، ٧٢٨، ٧٨٠، ٧٨٧
، ٧٩٨ - ٨٠١، ٨٠٦، ٨٠٩، ٨١٥، ٨١٦،
عبد الجبار (القاضي) ٣٦ - ٣٩،
٨١، ٩٥، ١٠٨، ١١١ - ١١٣، ١١٥، ١٢١، ١٢٨،
١٤٦، ٢١٧،
عبد الرحمن الأنباري ٤٤
عبد الرحمن المقدسي ٦٣
عبد الرحمن باجي زاده البغدادي ٢٨٣، ٢٨٩،
٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣٧، ٤١١، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٠،
٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٨، ٤٥٦، ٤٥٩،
٤٦٠، ٤٧٢، ٧٥٥، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٦، ٧٨٥،
٨٦٧
عبد الرحمن بن الحارث ٨٥٦
عبد الرحمن حبنكة ٢٦٥
عبد الرحمن دمشقية ٢٩٤، ٤٤٨،
٥٣٢، ٨٦٠
عبد الرحيم محمد ٢٨٨، ٢٨٩،
٥٨٩، ٦٦٢، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧٣٧، ٨٦٩
عبد السلام الدفتري ١١، ٧٨٣
عبد السلام محمد ٢٨٥، ٢٨٩، ٧٨٠
عبد العزيز آل معمر ٧٩، ٢٢٨، ٨٠،
عبد العزيز الدميري ٦٠، ٨١، ١٢٢
عبد العظيم المطعني ٢٨٥، ٨٢٣، ٨٧٠
عبد القادر الرهاوي ١١
عبد القادر القاهراني ٤٣٨
عبد الكريم الخطيب ٣٥١، ٣٥٠، ٤١٤،
٤١٨، ٤٢٣، ٤٢٨، ٥١٠، ٤٢١، ٥٢٨، ٥٣٧، ٧٢٨
عبد الله العلمي ٢٨٨، ٢٨٣، ٢٩١،
٣١٦، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٥
عبد الله الأنباري ٣٢
عبد الله الترجمان ٧٢-٨١، ٧٤، ١٠٠
، ١٠٥، ١٢٤، ١٢٨، ١٤٨، ١٤٩، ٢١٨، ٢١٩، ٧٧٧
عبد الله المشوخي ٢٨٧
عبد الله الهاشمي ٢٦
عبد الله بن الزبير ٨٥٦، ٨٥٧
عبد الله بن سلام ٧١، ٢٣٤، ٢٣٦،
٢٣٧
عبد الله بن عباس ٢٤، ٤٠٢، ٦٦٣
عبد الله دستان ١٢
عبد المجيد الشرفي ١٣، ٣٣، ١٤٤
عبد الملك الجويني ٤٠، ٤١، ٤٤،
١٤١، ٢٠٨
عبد الوحيد خان ١٢
عبد الوهاب النجار ٤١٩، ٤٠٤، ٤٦٠،
٤٦٧، ٨٠٦
عبد الوهاب طويلة ٢٨٩
عبيد الله بن حسان ٢٨
عتبة بن ربيعة ٢٣١
عثمان بن عفان ٣١، ٣٠٠، ٨٥٥،
٨٥٧
عدي بن حاتم ٢٥، ٧٠
عزرا ٤٠، ٢٠٦، ٢٠٧،
٢٣٣، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٥٠، ٥٦٥، ٥٧١ - ٥٧٣، ٥٨٧،
٥٩٢، ٥٩٥، ٦٠٥
عزريا ٣١٧
عزيا ٥٧٧، ٢٢٢، ٧٣٤

عزية طه ٢٨٧
عكرمة ٦٦٣
علاء أبو بكر ٢٨٩،
٢٩٢،٣٥٤،٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٦٠
، ٥٢٣،٧٥١
علي (ابن حزم) ٣٩ - ٤١،٧٤
، ٧٠، ٨٨،١١٣، ١٥٦ - ١٥٧، ١٦٦ - ١٦٨،
١٨٧، ١٨٨، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦ - ٢٠٩، ٢١١،
٢١٢،٢١٥ - ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦،
٢٢٧،
علي الباجي ٦٢، ٦٣،
٨١،٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٣ - ٢١٥، ٢٢٠،
علي الجاجموي ١١
علي الجوهري ٢٩١، ٢٩٧
علي بن أبي طالب ٨٢٥، ٨٦٤
علي بن أيوب ٣٤
علي بن ربن الطبري
٢٩،٣٢،٤٧،٨١، ٢١٨، ٢٢٨،٢٣١،
٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠
علي بن عباس ٥٠٠
عمر بن الخطاب ٣١، ٧٢٦،
٨٠٠، ٨١٩، ٨٢٨، ٨٤٠
عمر بن عبد العزيز ٣١
عمران (والد مريم) ٦٥، ٢٣٢
عمران (والد موسى) ٦١٧، ٦٥١
عمرو بن بحر الجاحظ ٢٧، ٢٨،
١١٠،٣٨، ١٤١، ٢١٤، ٢١٤
عمرو بن لحي ١٤
عمي ٦٢٩
عميناداب ٧٣٣
عوبديا ٢٠٤
عوبيد ٥٧١، ٧٣٣
عورئيل المحولي ٦٥٧
عوض سمعان ٢٩٥، ٣٥٣،
٥١٧، ٥٣٢، ٧١٥
عوف بن عوض ١١
عيسو ٦١، ٦١٨، ٦٣٠،
٧٨٨
غايس ٦٧٥
غراج ٣٨٥
غريغورس ٣٦٣، ٣٦٧
غلادستون ٢٧٨
غلام أحمد ٥٠٠
غوردون ٢٤٨، ٢٧٨
غوستاف لوبون ٨٢٩،٨٣١،٤٨٦،
٨٣٢
فؤاد حسنين ٥٧٠، ٥٧١، ٥٩٥
فارص ٧٣٣، ٧٣٦
فاستس ٦٨١، ٧٥٨
فاسكودي جاما ٢٦٦
فالير ٣٥٩
فالنتيان ٨٣١
فاليه ٢٨٠
فانت ٥٧٢
فايرسيوس ٧١٢
فايز عزام ٥٠
فخري عطية ٣٣٩-٣٤٠، ٤٤٢
فرامينو ٧١٣-٧١٥، ٧١٧
فرانسس دافس ٧٠٤
فرانسسداود ٣٥٩
فرانسيس جانسون ٢٧١
فرانك موريس ٤٩٨
فرانك كولي ٢٥٢، ٢٥٣
فرج الله عبد الهادي ٢٨٧
فردريك جرانت ٥٩٨
فرعون ٢٨، ٩٢، ٢١٢،
٣٤٢، ٥٣٧، ٥٦٢، ٦٠٩، ٧٥٠، ٨٢٠، ٨٥٩، ٨٦٢،
فرنج ٢٩٦، ٦٦٦، ٧٥٧
فريتاك ٢٥٣
فريجيا ٣٩٥
فريزر ٤٧٦
فشنو ٣٩٥
فلاديمير ٨٣٢

فلطمة ٦٠٢
فليو ٣٩٦
فنتيور ديني ٤٣٢
فنتيوريني ٤٩٨
فنحاس ٥٧٠، ٥٧١
فندر ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٣٦، ٦٤٨، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٩٨، ٧٦٥، ٨١٠ - ٨١١، ٨٤٥
فندلاي ٤٧٦
فنسنت تيلور ٤١٧
فهيم عزيز ٦٨٠، ٦٨٢، ٦٩٢، ٧٩٧
فوتيوس ٤٧٩
فوحي ٧٠٤
فوعة ٦٦٢
فونبهنك ٧٠٤
فونستير ٨٤٢
فوهي ٣٢٩
فيتوب أيب ٨٠٨
فيثاغورث ٧٥١، ٧٥٧
فيلبس (المحقق) ٦٨٠، ٦٨١
فيلبس (فيلب) ٨٦، ٣١٥، ٤٥٢، ٧٣٧، ٨٦٤
فيلون ٣٢٠
فيليب ٢٤٧، ٢٥٠
قابيل (قاين) ٢٠١، ٢١٠، ٦٠٧، ٣١٠، ٦١٧
قاديان ٢٧١
قارون ٥٣٧
قسطنس ٣٦٨
قسطنطين ٢١٧، ١٨٨، ٦١، ٣٣٩، ٣٥٦، ٣٦٨، ٣٩٥، ٨٣١
قهات (قاهت) ٦٥١، ٦٦٢
قورش ٧٩٦، ٨٠٣، ٥٧٧
قيافا ١٧٣، ١٧٦، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٥٠٣
قيدار ٧٨٥
كئي ٢٩٦
كابرس ٦٧٥
كار داود الجن ٥٨٢
كارل ماركس ٥٤٠
كارن ارمسترنج ٨٣٦
كاري ٢٤٧
كالفن ٣٥٩، ٣٧١
كالكستس الثالث (البابا) ٢٧٧
كالوين ٥١١
كامل سعفان ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٨٠، ٥٠٩، ٥٥١، ٥٧٩، ٥٨١، ٦١١، ٧٣٥، ٦١٧
كامي ٦٤٣
كانون وارن ٨٥٠
كتشنر ٢٤٩
كدل ٦٨٧
كربوكرات ٣٥٤، ٣٥٥
كرز بن علقمة ٧٠
كرشنا ٣٩٢-٤٧٨، ٣٩٣، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥١، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٤٣
كرنثوس ٣٥٤، ٣٥٥
كرنيليوس فانديك ٣٦٨.
كرنيوس (قائد المائة) ٤٣٥
كروتيس ٦٧٦، ٦٩٤
كرومر ٢٥٨
كريب وشلز ٦٠٠
كريسباخ ٣٠٦، ٧٥٤، ٧٦٥
كريستوفر ديفيز ٨١٧
كسينجر (الأب) ٦٨٥، ٧٠٩، ٧٣٠
كعب الأحبار ٧٠ - ٧١، ٦٦٣
كلمنت ٧٥٢
كليبر ٢٦٩، ٢٧٢
كليمندوس ٥٥١، ٧٩٤
كليمنس ٦٩٧، ٧١٢، ٧٥٧
كليمني اسكندريانوس ٧١٠

كليوباس ١٨٢
كنعان ٢١٠
كنعان بن حام ٦٢٩، ٦٤٨
كنوت ٨٣١
كنون فرار ٤٧٨
كني كات ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٦
كوائيليس شيس ٥١٥، ٥٣٤
كوب ٧٠٧
كوتز ٤٧٨، ٥٥١
كوتنهو ٥٠٢
كولمان ٣١١، ٦٨٢، ٦٨٦، ٦٩٤
كولي ٨٢٦
كوليت ٢٧١
كوليتر ٦٠١، ٧٥٢
كونفوشيوس ٧٠٤
كيبيرينوس ٤٧٨
كيتو ٥٨٧
كيث ٧٢٥
كيرانس ايرسولد ٣٥١
كيرب ٦٥٢
كيرلس ٣٥٤
كيرو ٣٥٦
كيزمان ٧٤٦
كينريم ٧٣٥
لأوكين ٣٩٤، ٤٧٨
لاتوثو ٣٩٣
لادن ٣٦٨
لافلييه ٣٩٥
لافيجري ٢٧٨، ٢٧٩
لاوتر ٣٩٤
لاوي ٦٠١، ٦٥١، ٦٦٢
لباوس (تداوس) ٦٩٨
لبيب ميخائيل ٥١٧، ٥٤٢
لعازر ٩٨، ١٠٦، ٣٢٩، ٣٦٨، ٥١٥، ٦٧٨، ٦٩٢
لفنجستون ٢٧٨
لكوتل ٤٧٨
لهاوزن ٥٨٢
لوتسدال ٧١٤
لوثر ٣٥٩، ٣٧١، ٥٤١، ٦١٥، ٦٧٧، ٧٣٠، ٧٦١، ٧٦٥، ٨٤٣
لودز ٥٨٢، ٥٨٣
لورانس براون ٢٧٩
لوراواغ ٧١٤
لوسيان ٣٥٦
لوط (النبي) ٢١٠، ٥٧٩، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٢٩
لوفيفر ٥٧١
لوقا (الإنجيلي) ٤٠، ٢١٦، ٢١٨، ٣٦٨، ٦٧٤، ٤٠٨، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٧ – ٦٨٩، ٧٠٢، ٧٣٧،
لونز ماركس (الأسقف) ٢٧٩
لويس التاسع ٢٧٧
لويس ماسينعن ٢٥١
ليكرك ٧٠٧
ليو ٨٦٥
ليون الملك ١٩٦
ليون جوتيه ٣٩٦
مؤاب ٦٢١
مارتير ٧٩٤
مارتين ليبر ٥٨٢
مارسون ٢٤٩
مارون غصن ٢٥١
مارية القبطية ٧٩٤، ٨٢٤، ٨٤٥، ٨٤٩
ماكوبي ٣٧٧
ماني كيز ٥٩٢
ماني ٨٠٧
مايا ٣٩٢، ٣٩٥، ٧٠٤
مايكل انجلو ٦٢٠

مايكل هارت ٣٢٨
مترا (متراس) ٣٩٤،
٣٩٦،٤٧٨، ٥٤٧، ٥٥٠، ٧٠٣
متوار ٣٩٢
متى (الإنجيلي) ٨٨،٤٠، ٢١٨
، ٤٠٨، ٤٠٩، ٦٧٨، ٦٧٩ - ٦٨٤، ٦٩١، ٧٠٢،
٧١١، ٧١٢ - ٧١٣
مجالون ٢٦٨
مجاهد ٤٠٢، ٦٦٣،
محمد (ابن القيم) ٦٩ - ٧٢،
٨٠، ٩٠، ٢٠٧،٢٠٦ ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١،
محمد (الباقلاني) ٣٥، ٩٧،٤٤،
١٤٤، ١٤٦، ٨٦٤
محمد (الذهبي) ٢٧، ٣٥ -
٣٦، ٣٩، ٤٢ - ٤٤،
محمد (القرطبي) ٥٠ - ٩٣،٥٣
، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٥ -
١٣٧، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٩، ١٦٧ - ١٦٩، ١٨٨،
١٩٤،١٩٢، ١٩٦، ٢٣١، ٢٣٩،
محمد أبو زهرة ٢٨٣، ٦٧٤
محمد آل حسن ٧٩٠
محمد الأعظمي ٣٩٦، ٥٩٧،
٧١٢،
محمد البسرة ٦٠
محمد الحوفي ٦٢٢
محمد الخضر حسين ٢٩٤
محمد السعدي ٢٨٩، ٦٠٥،
٦٧٧
محمد الشرقاوي ٢٨٤، ٢٨٨،
محمد العثماني ٢٩٢، ٣٩٠،
٣٩١، ٤٨٠، ٥١٠، ٥٣٤، ٥٣٥،٧١٦، ٧١٧
محمد الغزالي ٢٦٧، ٢٨٧،
محمد الفرت ٣٨٠،٢٨٨،
٤٢٤، ٤٥٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧١،
محمد المجذوب ٣٩٧، ٤٣٥،
٤٣٦
محمد بن إسحاق ٨٤٨،
٨٤٩
محمد بن إسماعيل البخاري ٢٠٨
محمد بن جرير الطبري ٢٣، ٤٦،٢٤، ٨٤٨
، ٨٤٩
محمد بن سعيد البوصيري ٦٠ -
١٦٨،١٦٦،٦٢، ١٨٨، ١٩٤، ٢١٧،
محمد بن عبد الوهاب ٢٦٨، ٢٦٩
محمد بن عمر الرازي ٤٨ - ١١١،٥٠،
١١٣، ٢٠٨، ٢٢٨، ٢٣٠، ٤٠٤،٢٣٤
محمد بن محمد (أبو حامد الغزالي) ٤٣ - ٤٤، ٨١،
٩٣، ٩٤، ٩٦، ١١٣، ١٣٢، ١٤٢،
محمد بن هارون (الوراق) ٣٢ - ٣٣، ٨١،
١٤٦،١١٤، ١٦٤،١٦٣، ١٨٤،١٦٩
محمد تامر ٢٤٩
محمد توفيق صدقي أفندي ٢٨٣، ٢٨٨، ٤٣٤،
٤٤٨، ٤٥٢ - ٤٥٥، ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٩٠، ٤٩٧، ٥٠١،
٥٠٩، ٥٢٠، ٥٢٦، ٥٢٧،
محمد جميل غازي ٢٩٦
محمد حسن عبد الرحمن ٢٨٨، ٥٢٦، ٥٣٧،
٥٣٩، ٥٤٤
محمد حميد الله ٦٠١
محمد رشيد رضا ٢٨٣، ٢٨٨، ٤٠٤،
٤٨٦، ٤٨٧، ٥٠٠، ٧١٨
محمد زكي النجار ٢٨٤
محمد شامة ٤٥
محمد شلبي شتيوي ٢٨٤، ٢٨٩،
محمد شوقي الجزيري ٢٨٩، ٨٥٩، ٨٦١
محمد طاهر التنير ٢٨٣، ٢٨٥،
٤٧٧،٢٩٣، ٥٤٩،
محمد عزت الطهطاوي ٢٨٩،٢٨٧،٢٨٤،
٥٩٨،٢٩١، ٧٥١، ٧٩٩، ٨٠٠
محمد عزت دروزة ٨٦٠،٢٨٥
محمد علي البار ٢٨٤، ٥٩٧،٢٨٧،
٦٠٥، ٦٢٠، ٦٤٢،
محمد علي الخولي ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩٢،
٢٩٤، ٣١١، ٣٧٦، ٣٨٠، ٤٦١، ٤٧١، ٥١٥، ٥٢٩،
٥٧٥، ٦١١، ٦٤٩، ٧٠٩، ٧٤١، ٧٤٥، ٧٦٣، ٧٦٩،

٧٧٢، ٧٩٠
محمد علي الشوكاني ٢٦٨،
محمد علي الطيبي ٧٧ - ٧٨
محمد علي باشا ٢٦٩
محمد عوض ٣٧٦، ٢٨٤،
٧١٥، ٧١٧، ٧١٩،
محمد مجدي مرجان ٢٨٤، ٢٨٨،
٣١٥، ٣٧٢، ٤٠٦،
محمد وزير خان ٢٩٦، ٦٩٨
محمد وصفي ٢٨٣، ٢٩١،
٢٩٢، ٣٤٠، ٣٧٠، ٧٥٦، ٤٢٨، ٧٦٤، ٧٦٦،
محمد (صلى الله عليه وسلم) ٢، ١٦، ٢٠،
٢٩، ٣٠، ٣٦، ٤٤، ٤٧ - ٤٩، ٥١ - ٥٣، ٥٥،
٦١، ٦٢، ٦٤، ١٨٧، ٢٢٨ - ٢٣١، ٢٣٧ - ٢٤٥
، ٢٥٠، ٢٨٩، ٢٩٣، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٦٠،
٤٦٥، ٤٧١، ٥٠١، ٥٠٢، ٥١٦، ٧١٦، ٧٥٧، ٧١٧
- ٧٧٨، ٧٨٢ - ٧٩١، ٧٩٨ - ٧٩٩، ٨٠٢،
٨٠٩، ٨١٤ - ٨١٧، ٨١٩ - ٨٢٤، ٨٢٦، ٨٤٥
- ٨٥٥، ٨٦٣، ٨٧٣
محمود شاكر ٢٦٨ — ٢٦٩
محمودبن شريف ١٢
مختار الزاهدي ١١
مديحة خميس ٤٥٩
مردخاي الكاهن ٥٧٣
مردوخاي ٥٧٣
مرقس(الإنجيلي) ٢١٨، ٣٥٣،
٣٧٤، ٣٨٦، ٣٨٩ - ٣٩٠، ٦٧١، ٤٠٨، ٦٧٤،
٦٧٧، ٦٧٩ - ٦٨٠، ٦٨٤، ٦٦٨، ٦٩٧، ٧٠١نن
٧٠٢، ٧٠٨، ٧١٢، ٧٣٧،
مركيون ٥٤٥
مريك ٨٣٠ - ٨٣١
مريم (أخت موسى) ٦٢١
مريم (أم يعقوب) ١٨٠، ١٨١،
١٩١، ٤٩٤
مريم (أم يوسي) ٤٩٢
مريم (العذراء) ١٥، ١٦، ٣٦
، ٣٧، ٦٥، ٨٥، ٩٣، ١١٣_١١٥، ١٢٩،
١٤٨، ١٥٣، ١٥٩، ١٩٤، ٢٣٢، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣١٨،
٣٤٢، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٧ - ٣٦٨، ٤٠٥، ٤٢٨، ٤٨٥،
٣٩٩، ٥٢٤، ٦٧٨، ٧٠٣، ٧١١، ٧٣٣ - ٧٦٤، ٧٣٥،
٧٧٠، ٨٦٨، ٨٧١
مريم جميلة ٣٩٧
مريم المجدلية ١٨٠، ١٨١، ١٩١،
٣٠٩، ٣٦٨، ٤١٥، ٤١٧، ٤٣٢، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٨٦،
٤٩٢، ٤٩٤ - ٤٩٦، ٧٦٦
مسيلمة ٨٦٤
مسيلمة ٣٠
مصطفى الشهابي ٢٦٥
مصطفى العرندي ٧١٣
مصطفى محمود ٥٨١
مصطفى‌شاهين ٣١٢، ٣٢١، ٤٠٤،
٦٧٠
معاوية ٣٠
معكة بنت أبشالوم ٦٥٦ - ٦٥٧
مكدونيوس ٣٤١
مكس مولر ٥٤٨
ملاخي ٦٠٤، ٧٦٣، ٨١٢،
٨١٣
ملخس ٤٢٠
ملكي صادق ٢٩٩، ٣٨٣، ٤٦٠،
٤٦١
مليتو السادريسي ٥٧٣
مليخا ٢١٨
ممدوح جاد ٣٠٥، ٣١٩، ٣٢٠،
٣٧٠، ٣٧٧، ٣٩١، ٤٥٠، ٤٥١، ٦٩٥، ٤٧٩
ممفرد ٦٤٧، ٧٥١
منان ٧٣٣
منتنس ٨٠٧
منثآت ٧٣٣
منسي يوحنا ٣٥٦
منسي ١٨٤، ٧٣٣
منصور حسين ٢٩١، ٣٢٠،
٤٠٥، ٣٥٩، ٤١٧، ٤٢٩، ٤٣٨ - ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٦٢ن
٤٧٣، ٤٧٥، ٤٨٢ - ٤٩٠، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٢٦، ٥٣٥،

٦١٢، ٧٠٨
منوح ٣٠٩، ٣١٠
منينغ ٤٠١
مهامي ٤٧٨
مهاويو ٤٧٨
موئيل ٥٧٥
موري ٥٤٨
موريس بوكاي ٢٨٤، ٥٨٥،
٥٩٩، ٦٠٣، ٦٦٣، ٦٨٥، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٤٢،
٧٧٧
موريس فورن ٥٧٨، ٧٥٧
موسى (الرسول) ٣٩، ٤٠، ٥١
، ٥٥، ٦١، ٦٨، ٩١، ١٠١، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩،
١١٣، ١١٦، ١٢٠، ١٢١، ١٤١، ١٥٠، ١٥٥،
١٥٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٣،
٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٣٣،
٢٣٤، ٢٣٥، ٥٣٨، ٥٤٢، ٥٥٧ - ٥٦٠، ٥٦٢ -
٥٧٠، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٨٢، ٥٨٥ - ٥٨٦، ٥٨٩،
٥٤٢، ٥٥٧ - ٥٦٠، ٥٦٢ - ٥٧٠، ٥٧٤، ٥٧٥،
٥٨٢، ٥٨٥ - ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩١، ٥٩٥، ٦٠٢،
٦٠٥، ٦٠٦، ٦١٢، ٦١٤، ٦١٧، ٦١٩ - ٦٢٤،
٦٢٧، ٦٣٠ - ٦٣١، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٩، ٦٤٥،
٦٤٦، ٦٤٨، ٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٦، ٦٦١، ٦٦٢،
٧١٩، ٧٤١، ٧٢٢، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩ - ٧٩٠،
٧٩٧، ٨١٢، ٨٢٠، ٨٢٥، ٨٣٠، ٨٣٩، ٨٤٤،
٨٥٠، ٨٦١
موشيدي ٦٠٣
موشيم ٧٥١، ٧٥٧
موكيون ٤٠٦
مونت فاكن ٥٩٩
مونتياك ٢٧٠
ميتاس ٧٢٣
ميجل ايرنا ٨٥٠
ميخا ٢٠٤، ٢٤١،
٣٢٧، ٧٤٩
ميخائيل مشاقة ٣٦٩
ميرب ٦٥٧
ميزونيا ٣٦٨
ميكال بنت شاول ٦٣٢، ٦٥٧، ٦٥٩
ميكايلس ٦٠٠
ميكايلس ٦٧٧
ميّل ٧٥٤
ميلا نكتون ٥٤١
مينو ٢٦٩
ميـــيز ٢٧٧
نابليون ٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦٦،
٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨
ناثالنا ٢٧٨
ناثان النبي ٣١٤
ناثان ٦٦٠
ناحوم ٢٠٤
ناراب ٦٢١
ناموس ٥٤٧
نايث ٣٩٥
نبيل الفضل ٢٩٠
نحشون ٧٣٣
نحميا ٢٩٨، ٥٩٩، ٥٧١،
٥٧٣، ٥٨٧، ٦٠٥،
ندرة اليازجي ٥١٢
نديم الجسر ٨٦٣
نرودك ٣٩٣
نسطور ١٢٥، ١٣١، ٣٩٥،
٨٥١ - ٨٥٣
نصر بن يحيى ٣٥، ٤٦ - ٤٧،
٤٨، ٩٥، ٨١، ٢٢٨
نظمي لوقا ٥١٦، ٨٤٧
نعمان الألوسي ٢٦، ٢٨٣، ٣٠٥،
٤١٠، ٤٨٤، ٨٥٩
نعمان الرومي ٩٧
نواب علي ١٢
نوح (الرسول) ٢١٠، ٢٣٧، ٥١٤،
٥١٥، ٥٨٣، ٥٨٥، ٦٠٩، ٦١٣، ٦١٦، ٦٢١، ٦٢٣،
٦٢٩، ٦٦٥، ٨٢٠، ٦٦٧
نورتن ٤٢١، ٥٦٨، ٦٨٠

نولاند ٧٢٠
نولدكه ٥٦٨
نيتشة ٥٤٥
نيرون ٧٠٨
نيرون، ٣٨٥
نيقوديموس ١٠٢، ٤٩٤،
٧١١
نيقولا (البابا) ٢٧٧
نيقولا غبريل ٨٦٧
نينهام ٤٠٩، ٤١٠،
٤١٧، ٤٨٠، ٧٥٥، ٧٦٢
هابيل ٢١٠، ٥١٥،
٦٠٧، ٧٢٢
هاجر ٣١، ٧٧٩ -
٧٨٢، ٧٨٧، ٨٠٠، ٨٤٧
هاران بن تاراح ٦٠٨
هارنج ٦٨٢ - ٦٨٣
هارون (النبي) ٦٥، ٢١٠، ٩١
، ٢١٢، ٢٣٣، ٨٦١
هارون (عاهر) ٢٣٣
هاشم جودة ٣٤٥، ٤١٠،
٤١٩، ٤٦٠، ٤٨٤، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٥٢،
هالي ٧٣٣
هامان (الفارسي) ٥٧٤، ٨٦١
هامان (المصري) ٢٨، ٨٦١،
٨٦٢
هانز كومب ٦٧٧
هاني رزق ٤٣٩، ٤٤١
هردر ٧٤٣
هرقل (إله عند الرومان) ٤٧٨، ٢٣٦،
٥٥١
هرقل (الملك) ٧٧٧، ٧٢، ٧٠، ٢٥
هرماس ٧٠٩
هرماس ٧٥٢
هرمن هوبفلد ٥٨٢
هشام بن المؤيد ١٨٨
هنري أبو خاطر ٥٣٢
هنري جسب ٢٥٧، ٢٨٠
هنري كلود ٢٧٥، ٢٧٦
هنري هاريس ٢٧٢
هوانكتي ٣٩٢
هوايت ٧١٣ - ٧١٤
هوتزمان ٧٠١
هوجو جريتوس ٥٧٦
هودجكن ٤٦٢
هورن ٣٣٦، ٤١١، ٥٧٨، ٦١٠، ٦٤٨،
٦٩٧، ٦٩٨، ٧٣١، ٧٠٠، ٧٦٥
هورينور ٥٤٧
هوشر ٥٧٣
هوشع ٦٢٥، ٨٤٩
هوك ٣٩٣
هيج ٥٩٩
هيجين ٥٤٩
هيركلوس ٤٧٨
هيرودس ٩٨، ١٠٣، ٢١٨،
٤٢١، ٤٢٣، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٨٩، ٦٨٢، ٧٠٣، ٧٤٩،
٨٤٥
هيريسسون ٢٧٠
هيزش أفالد ٥٨٢
هيلانة ٣٦٨
هيمنجواي ٦٤٣
هيوغرة ٦٧٠
وارد الكاثوليكي ٦٥٢، ٥٧٧، ٦٦٠،
٦٧٧، ٦٨٨، ٧٢٤
واندرهوت ٦٠٣
وانلي ٥٩٠
وتستين ٦٠٠، ٦٨٧
ورقة بن نوفل ١٣
وستين نونك ٣٩٢
وشمن ٥٧٧، ٦٤١،
ولديورانت ٣٩٧، ٥٨٠، ٥٨٣،
٧٤٣، ٧٤٦
ولز (ولس) ٥٥٠، ٦٨٤
ولير ٨٥٢

وليم أدي ٨١٤
وليم باتون ٣٨٦
وليم شانتج ٣٦١
وليم طرابلسي ٢٤٧
وليم مارش ٥٧١، ٥٧٣،
٥٩٩، ٦٠٠، ٦٩٢، ٧٠٧
وليم ميور ٧٥٨، ٨٥٧
ونما ٥٧٧
وهب بن منبه ٥٢
وهيب خليل ٢٨٥، ٨١٩،
٨٢٢، ٨٢٣، ٨٤٤، ٨٦٧، ٨٧١
ويش ٤٧٦
ويفل كوبر ٤٣٩
ويلز ٣٣٧
يابال ٢١٣
ياسين منصور ٣٤٢، ٣٤٧،
٣٤٨، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣، ٨٧٠، ٤٤٥
يافث بن علي ٦١١، ٨٥٣
يثرون ٢١٣
يحيى الغزال ٨٦٤
يحيى بن عدي الكندي ٢٦، ٣٢، ٣٣
، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٠، ٨٤٦
يحيى بن يحيى ٤٦
يحيى ربيع ٦٨٦
يدوع ٥٧٣
يسى ٧٣٣
يشبعام ٦٣٧
يشوع (النبي) ٥٩٩، ٥٦٤،
٥٦٥ - ٥٦٧، ٥٧٠، ٥٩٩، ٦٢٦، ٦٣١، ٦٤٢،
٦٤٥، ٦٤٦، ٦٥١، ٧٨٢، ٦٥٣، ٨٣١
يشوع(راجع من السبي) ٥٧٣
يعقوب السروجي ١٢٤
يعقوب النبي (إسرائيل) ٦١، ٦٥، ٦٦
، ٨٩، ١١٣، ١٥٥، ١٥٨، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٩،
٢٢٠، ٣٢٨، ٥٦٢، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٧٩، ٥٨٣،
٥٨٤، ٥٩٥، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٢، ٦١٣، ٦٢١،
٦٢٤، ٦٣٠، ٦٦١، ٦٦٦، ٦٦٤، ٧٢٦، ٧٣٢،
٧٤٢، ٧٨٦، ٨٤٦
يعقوب بن زبدى (الحواري) ٢١٦، ٢٢٢، ٣٢٢،
٣٢٤، ٣٤٤، ٣٧٨، ٣٨٨، ٣٩٠، ٤٦١، ٤٧٢، ٥٤١،
٥٤٣، ٦٧٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧١١، ٧١٩، ٧٤١، ٧٢٦،
٧٣٥، ٧٣٧
يعقوب (أبو يوسف النجار) ٧٣٣
يعقيم ٢٣٢، ٢٣٣
يكنيا ٧٣٣
يلدور ٤٧٨
يهورياقين الكاهن ٥٧٣
يهوديت ٥٩٢
يهوذا الأسخريوطي ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦،
١٨٩، ١٩٢، ١٩٥، ٢٢١، ٣٢٤، ٣٦٩، ٤٠٣، ٤١٢،
٤٢٠ - ٤٢٤، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٨، ٤٤٥، ٤٤٧،
٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦٤ - ٤٦٨، ٤٧٤، ٤٧٥،
٤٨١ - ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٤،
٦٧٤، ٧١٤، ٧١٥، ٧٢٣، ٧٣٧، ٧٢٤، ٧٣٩، ٧٤٨
يهوذا بن يعقوب ٢٤٣، ٣٠٨، ٣٤٤،
٦٠١، ٦٢٢، ٦٣٤، ٦٣٩، ٦٤٦، ٦٧٩، ٦٩٨،
٦٩٩، ٧٣٣،
يهوذا (الأسقف) ٦٩٩
يهورام ٦٥٦
يهوشع ٣٠٨
يهوياقيم ٣٠٨، ٥٧٧، ٧٣٦،
٧٩٧
يهوياكين ٦٥٦، ٦١٥، ٦٦٠،
يواكيم إرمياء ٧٠٨
يوثام ٥٧٧، ٧٣٣
يوحنا (الأسقف) ٨٥٣
يوحنا (الإنجيلي) ٤٠، ٤٣، ١٧٤،
٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٣٠٥، ٤٦٦، ٤٨٥، ٤٧٢،
٤٧٩، ٦٧٨، ٥٢٦، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٩ - ٦٩٤، ٦٩٧،
٦٩٩، ٧٠٢، ٧١٧، ٧١٩، ٧٢٦، ٧٥٦، ٧٣٧، ٧٦٢
يوحنا المعدان (يحيى النبي) ١٦، ٢٨، ٤٠، ٩٨،
١٠٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٢، ٢٨٧، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٧،
٣٣٧، ٤٥٧، ٤٨٧، ٥١٤، ٥٢٤، ٦٨٢، ٦٨٤، ٦٨٧،
٦٩٧، ٧٣٩، ٧٠١، ٧٩٠، ٧٩٦ - ٧٩٩، ٨١٣ - ٨١٥،

يوحنا بن فروخ ٢٨
يوحنا سيفر ٥٨٢
يوحنا فم الذهب ٤٢٥، ٧٢٤
يوحنا (ابن حاكم قبرص) ٤٣٠
يوحنا (الثالث والعشرون) ٥٠٣
يوحنا (الشيخ) ٦٧١، ٦٨٦
يودس ١٩٦
يورام ٧٣٤
يوسبيوس ٦٨٤، ٧٩٢
يوسف الحداد ٧١٥
يوسف الخوري ٦٩٤
يوسف النجار ٢٢٠، ٢٢٢،
٣٢٤، ٣٥٨، ٦٧٥، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥
يوسف بن هارون ٣٩
يوسف (التلميذ) ٤٩٢، ٤٩٤
يوسف (النبي) ٦٥، ٨٩، ٩١
، ١٠٧، ١٨٤، ١٨٥، ٥٨٤، ٦٠٩، ٦٥١، ٧١٩
يوسي بيس ٦٩٨
يوسيفوس ٤٣٣
يوشع النبي (يشوع) ٢٤٠،٢٣٧،
٢٤٢، ٣٢٧
يوشيا ٥٨٦
يوشيبا ٦٣٧
يوكابد ٦١٧
يولشير ٧٥٤
يوليانوس ٣٥٧
يوليوس قيصر ٤٢١
يونا ١٨١
يوناثان بن شاول ٦٤١
يوناثان ٥٧٣
يوناداب ٦٣٢، ٦٣٩
يونان (يونس النبي) ١٩١،١٠٢،
٢٠٤، ٢٢٠، ٤١١، ٤٩٦ - ٤٩٧،
يونيشس ٣٧٠
يوياداع ٥٧٣
يوياقيم ٥٧٣

خامساً : قائمة المصادر والمراجع[1]

* القرآن الكريم .

* الكتاب المقدس . طبعة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

* التوراة السامرية . ترجمة الكاهن : أبو الحسن إسحاق الصوري . نشرها : أحمد حجازي السقا . ط١ . دار الأنصار . القاهرة ، ١٣٩٨هـ .

* إنجيل برنابا . ترجمة : خليل سعادة . ط . دار الوثائق . الكويت ، ١٤٠٦ هـ .

---

* أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . ط١ . دار القلم . بيروت . دمشق ، ١٣٩٥هـ .

* الأجوبة الفاجرة عن الأسئلة الفاجرة . أحمد بن إدريس القرافي . (ت ٦٨٤) . ط١ . دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٦هـ .

* اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، وتطورات هامة في المسيحية . أحمد عبد الوهاب . ط١ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .

* الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة . محمد عبد الرحمن عوض . دارالبشير . القاهرة .

* أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية . جعفر بن عبد الوهاب الخطيب السكندري . (نسبه المحقق للقرافي) تحقيق : عبد الرحمن دمشقية . ط١ ، ١٤٠٨هـ .

* أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين . محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري . ط١ . دار الإرشاد ، ١٤٠٦ هـ .

* الأديان في القرآن . محمود بن شريف . ط٥ . شركة مكتبات عكاظ ، ١٤٠٤ هـ .

* الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد . الجويني . تحقيق : محمد يوسف موسى ، و علي عبد المنعم مكتبة الخانجي . مصر ، ١٣٦٩هـ .

* إرشاد الحيارى في ردع من مارى . عبد العزيز الدميري . مخطوط مصور عن مكتبة الهيئة العامة للكتاب المصري . القاهرة .

* الاستعمار . أحقاد وأطماع . محمد الغزالي . ط٢ . الدار السعودية للنشر . جدة ، ١٣٨٩ هـ .

* الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي . هنري كلود و اندريه برينان و ايف لاكوست . ترجمة : محمد عيتاني مكتبة المعارف . بيروت .

* الإسلام والتحدي التنصيري . عمر بابكور . معهد البحث العلمي . جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ .

* الإسلام في قفص الاتهام . شوقي أبو خليل . ط٤ . دار الفكر . دمشق ، ١٤٠٠هـ .

---

(١) المعلومات المدونة في القائمة هي كامل البيانات الموجودة على الكتاب .

* إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة . أحمد عبد الوهاب . ط١ .مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٩٧٢م.
* الأسفار المقدسة قبل الإسلام . صابر طعيمة . عالم الكتب . ط١ . بيروت ، ١٤٠٦هـ .
* إظهار الحق . رحمة الله الهندي . تحقيق : محمد أحمد ملكاوي . ط١. دار الحديث . القاهرة ، ١٤٠٤هـ.
* الأعلام . خير الدين الزركلي . ط دار العلم للملايين . بيروت ، ١٩٨٠م .
* الإعـلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . القرطبي . تحقيق : أحمد حجازي السقا . دار التراث العربي . القاهرة .
* إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . ابن القيم . المكتبة القيمة . القاهرة ، ١٤١٣هـ .
* أقانيم النصارى . أحمد حجازي السقا . ط١ . دار الأنصار . القاهرة ، ١٣٩٧هـ .
* الإلـه الذي لا وجود له . أحمد ديدات . ترجمة : رياض أحمد باهري . ط٢ . بيت الحكمة . القاهرة ، ١٤١٣هـ .
* الأناجيل . أحمد طاهر . دار المعارف .
* الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية . نجم الدين البغدادي الطوفي . (ت٧١٦هـ) . تحقيق : أحمد حجازي السقا . دار البيان . مصر .
* أجوبـة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية العاملة تحت تنظيم الآباء البيض . عبد الرحمن حبنكة الميداني . ط١. مكتبة المنارة . مكة المكرمة ، ١٤١٢هـ .
* إسرائيل حرفت الأناجيل . أحمد عبد الوهاب . ط١ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٩٧٢م .
* إنـباء الرواة عن أنباه النحاة . علي بن يوسف القفطي(ت ٦٤٦هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل . مكتبة دار الكتب . القاهرة ، ١٣٦٩هـ .
* الإنجيل . محمد شلبي شتيوي . الفلاح . الكويت . ط١ ، ١٤٠٦هـ .
* الإنجيل والصليب . عبد الأحد داود . القاهرة ، ١٣٥١هـ .
* إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم . حسن عز الدين الجمل . دار الكتاب العربي . بيروت ، ١٤٠٤هـ .
* الآثار الباقية في القرون الخالية . البيروني . مكتبة المثنى . بغداد .
* البحـث الصـريح في أيما هو الدين الصحيح . زيادة بن يحيى النصب الراسي . مخطوط مصور عن نسخة جامعة الملك سعود .
* الـبداية والنهاية . ابن كثير . تحقيق : أحمد ملحم ، و فؤاد السيد ، وعلي عبد الساتر ، و علي نجيب ، و مهدي ناصر الدين . ط١ . دار الريان للتراث . بيروت ، ١٤٠٨هـ .
* بذل المجهود في إفحام اليهود . للحكيم السموءل بن يحيى المغربي . (ت٥٧٠هـ) . تحقيق : عبد الوهاب طويلة . ط١. دار القلم . دمشق . الدار الشامية . بيروت ، ١٤١٠هـ .
* البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين . أحمد عبد الوهاب . مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة .
* براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح . محمد حسن عبد الرحمن . ط١ . دار الكتاب الحديث ، ١٤٠٩ هـ .
* البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل . أحمد حجازي السقا . دار البيان العربي . القاهرة ، ١٩٧٧م .
* بـين الإسلام والمسيحية . (كتاب أبي عبيدة الخزرجي) . (ت٥٨٢هـ) . تحقيق : محمد شامة . ط٢ .

مكتبة وهبة . مصر .

* بين القرآن والعهدين (القديم والجديد) . ياسين الخطيب . ط١ . المكتبة التجارية . مكة المكرمة ، ١٤١١ هـ .

* تاريخ الأمم والملوك . ابن جرير الطبري (ت ٣١١هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ط٢ . دار المعارف . مصر .

* تاريخ بغداد . الخطيب البغدادي . دار الكتب العلمية . بيروت .

* التبشير في أفريقيا . عبد الجليل ريفا . ط٢ . المطبعة العسكرية . كررى . السودان ، ١٩٨٣هـ .

* التبشير والاستشراق . محمد عزت الطهطاوي . ط١ . الزهراء للإعلام العربي ، ١٤١١هـ .

* التبشير و الاستعمار في البلاد العربية . مصطفى خالدي و عمر فروخ . منشورات المكتبة العصرية . صيدا ١٩٨٣م .

* التثليث في المرآة . مولانا كوثرنيازي . (بدون معلومات نشر) .

* التحريف في التوراة . محمد علي الخولي . ط١ ، ١٤١٠هـ .

* تحفة الأريب . عبد الله الترجمان . تحقيق : محمود علي حماية . ط٢ . دار المعارف ، ١٩٨٤م .

* تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة . أحمد عبد الوهاب . مكتبة وهبة . مصر ، ١٤٠٩هـ .

* التعصب و التسامح بين المسيحية والإسلام . (دحض شبهات ورد مفتريات) . محمد الغزالي . ط٣ . دار الكتب الحديثة . القاهرة ، ١٣٨٤هـ .

* تفسير القرآن العظيم . ابن كثير(ت ٧٧٤هـ) . دار المعرفة . بيروت ، ١٤٠٠هـ .

* تلبيس مردود . صالح بن حميد . ط١ . مكتبة المنارة . مكة . ١٤١٢هـ .

* التمهيد . أبو بكر الباقلاني . (ت٤٠٣) . تصحيح : رتشرد يوسف مكارثي . المكتبة الشرقية . بيروت ، ١٩٥٧م .

* تنصير المسلمين (بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري) . عبد الرزاق ديار بكرلي . ط١ . دار النفائس . الرياض ، ١٤١٠هـ .

* التنصير في القرن الافريقي و مقاومته . سيد أحمد يحيى . ط١ . دار العمير للثقافة والنشر ، ١٤٠٦هـ .

* التوراة . محمد شلبي شتيوي . ط١ . مكتبة الفلاح . الكويت ، ١٤٠٦هـ .

* التوراة . مصطفى محمود . دار المعارف . القاهرة .

* التوراة بين الوثنية والتوحيد . سهيل ديب . ط٢ . دار النفائس . ١٤٠٥هـ .

* التوراة عرض وتحليل . فؤاد حسين علي ، ١٩٤٦هـ .

* التوراة والإنجيل والقرآن والعلم . موريس بوكاي . ترجمة : حسن خالد . ط٢ . المكتب الإسلامي . بيروت ، ١٤١٠هـ .

* جامع البيان في تفسير القرآن . ابن جرير الطبري . ط٢ . دار المعرفة . بيروت .

* الجامع الصحيح . أبو عيسى الترمذي(ت ٢٩٧هـ) . تحقيق : إبراهيم عطوة عوض . ط١ . مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٨٢هـ .

* الجامع لأحكام القرآن . أبو عبد الله القرطبي . دار الكتب العربية . بيروت ، ١٤١٣هـ .

* الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . ابن تيمية . (ت٦٨٤هـ) . دار المدني . المدينة المنورة .
* الجـواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح . خير الدين الألوسي . (ت١٢٥٢هـ) . ط١ . دار البيان العربي . القاهرة . ١٤٠٨هـ .
* حجية التوراة . أحمد الحوفي . ط١ . مؤسسة الخليج العربي ، ١٤٠٩هـ .
* حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر . أحمد عبد الوهاب . ط١ . مكتبة وهبة ، ١٤٠١هـ .
* حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة . أحمد حجازي السقا . دار الفضيلة . مصر .
* حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح . عبد الودود شلبي . ط١ . الدار السعودية للنشر . جدة ، ١٤١٣ هـ .
* حول موثوقية التوراة والأناجيل . محمد السعدي . منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية . طرابلس . ليبيا ، ١٤٠٦هـ .
* خديعـة الشيطان . أحمد ديدات . ترجمة : رياض أحمد باهبري . بيت الحكمة . ط٢ . القاهرة . ١٤١٣ هـ
* الخطيـئة الأولى بـين اليهودية والمسيحية والإسلام . أميمة أحمد الشاهين الجلاهمة . دار زهراء الشرق . القاهرة .
* خلاصـة الترجيح للدين الصحيح . الطيبي الدمشقي . (مطبوع على هامش كتاب إظهار الحق) . طبعة المطبعة الخيرية .
* الداعـي إلى الإسـلام . ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) . تحقيق : سيد أحمد باغجوان . ط١ . دار البشائر الإسلامية . بيروت ، ١٤٠٩هـ .
* دراسـة تحليلـية نقدية لإنجيل مرقس تاريخاً وموضوعياً . محمد عبد الحليم مصطفى أبو السعد . ط١ ، ١٤٠٤هـ .
* دراسة عن التوراة والإنجيل . كامل سعفان . دار الفضيلة . القاهرة .
* دعوة الحق بين المسيحية والإسلام . منصور حسين عبد العزيز . ط٢ . مكتبة علاء الدين . الإسكندرية ، ١٩٧٢م .
* الديباج المذهب في معرفة أصحاب المذهب . ابن فرحون المالكي(ت٧٩٥هـ) . تحقيق : حمد الأحمدي أبو النور . دار التراث . القاهرة .
* دين الله في كتب أنبيائه . محمد توفيق صدقي أفندي . ط١ . دار المنار ، ١٣٣٠هـ .
* الديـن والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ابن ربن الطبري(ت ٢٤٧هـ) . تحقيق : عادل نويهض . ط دار الآفاق الجديدة . بيروت .
* ذيل تاريخ بغداد . ابن النجار . دار الكتب العلمية . بيروت .
* ذيل طبقات الحنابلة . ابن رجب الحنبلي(ت ٧١٥هـ) . دار المعرفة . بيروت .
* رحلة في أرجاء الكتاب المقدس . مديحة خميس . دار الفكر العربي .
* رد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم . محمد جمعة عبد الله . ط١ ، ١٤٠٥هـ .
* الـرد الجميـل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل . أبو حامد الغزالي(ت ٥٠٥هـ) . تحقيق : محمد عبد الله

الشرقاوي . ط٣ . دار الجيل . بيروت ، ١٤١٠هـ .

* الرد على النصارى . أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري(ت ٦٦٨هـ) . تحقيق : محمد محمود حسانين . ط١ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٤٠٩هـ .

* رسالة الحسن بن أيوب لأخيه . مضمنة في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية " .

* الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية . حسين بن محمد الجسر . (ت ١٣٢٧هـ) . إدارة الطباعة المنيرية ، ١٣٥٤هـ .

* رسالة الطريق إلى ثقافتنا . محمود محمد شاكر . (في مقدمة كتابه المتنبي) دار المدني . جدة . مكتبة الخانجي . مصر ، ١٤٠٧هـ .

* رسالة راهب فرنسا للأمير المقتدر بالله ، ورد الباجي عليها . تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي . دار الصحوة ، ١٤٠٦هـ .

* زاد المعاد في هدي خير العباد . ابن القيم (ت٧٥١هـ) . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط . ط١٥ . مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ .

* سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس . عبد الله العلمي (ت ١٣٥٥هـ) . ط١ ، ١٣٩٠ هـ .

* سنن ابن ماجة . محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي . ط١ . دار إحياء الكتب العربية .

* سنن أبي داود . أبو داود السجستاني (٢٧٥هـ)ط١ . دار الحديث ، ١٣٩١هـ .

* سير أعلام النبلاء . الذهبي (ت ٧٤٨هـ) . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . ط٩ . مؤسسة الرسالة .

* السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل . بكر بن السيد عمر التميمي . مطبعة المحروسة . مصر ١٣١٣هـ .

* الشامل في أصول الدين . الجويني . (ت٤٧٨هـ) . تحقيق : علي سامي النشار و فيصل بدير عون و سهيل مختار . منشأة المعارف . الاسكندرية ، ١٩٦٩م .

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) . المكتب التجاري للطباعة والنشر . بيروت .

* شرح الأصول الخمسة . القاضي عبد الجبار الهمذاني . تحقيق : محمود الخضيري . المؤسسة المصرية العامة للتأليف .

* شفاء الغليل في بيان ماوقع في التوراة والإنجيل من البديل . الجويني (ت ٤٧٨هـ) . تحقيق : أحمد حجازي السقا . ط٢ . مكتبة الكليات الأزهرية . مصر ، ١٣٨٩هـ .

* شهادة الإنجيل على أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . عبد الرحمن عبد الخالق . ط١ . الكويت ، ١٩٩٤هـ .

* صحيح ابن حبان . أبو حاتم البستي . (ت ٣٥٤هـ)ترتيب : علاء الدين بن بلبان . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وحسين أسد . مؤسسة الرسالة . بيروت ، ١٤٠٤هـ .

□ صحيح ابن خزيمة،محمد بن خزيمة (ت٣١١هـ) . تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي . المكتب الإسلامي

دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ١٣٧٥هـ .
* طبقات الشافعية الكبرى . السبكي (ت٧٧١هـ) . تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، محمود الطناحي . ط١ . مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٥هـ .
* طبقات المعتزلة . أحمد بن يحيى المرتضى . تحقيق : سوسنة ديفلد . نشر : دار فرانز شتايتر . فيسبادان ، ١٣٨٠هـ .
* طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون . أحمد عبد الوهاب . مكتبة وهبة . القاهرة .
* العقائد الإسلامية وإنجيل برنابا . عبد الحميد خالد سرحان . مكتبة الصحابة الإسلامية .
* العقائد المسيحية بين القران والعقل . هاشم جودة . ط٢ . المركز العربي للنشر و التوزيع .
* عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام و المسيحية . حسني يوسف الأطير . ط١ . دار الأنصار . ١٤٠٥ هـ .
* العقائد الوثنية في الديانة النصرانية . محمد طاهر . محمد المجذوب . دار الشواف ، ١٩٩٢م .
عقيدة الصلب والفداء . محمد رشيد رضا . الفتح للإعلام العربي ، ١٤١١هـ .
* على التوراة . علي بن محمد الباجي (ت٧١٤هـ) . تحقيق : أحمد حجازي السقا . ط١. دار الأنصار . مصر ، ١٤٠٠هـ .
* العناية الإلهية بين المسلمين و أهل الكتاب . أحمد حجازي السقا . مكتبة الإيمان . طبعة القاهرة ١٤١٢ هـ .
* غارة تبشيرية جديدة على أندنوسيا . أبو هلال الأندنوسي . ط٣ . دار الشروق . جدة ، ١٣٩٩هـ .
* الغارة على العالم الإسلامي . أ . ل . شاتليه . تاخيص وتعريب : محب الدين الخطيب ومساعد اليافي . ط ٤ . الدار السعودية للنشر والتوزيع . جدة ، ١٤٠٥هـ .
* الغفران بين الإسلام والمسيحية . إبراهيم خليل أحمد . ط١ . دار المنار . القاهرة . ١٤٠٩هـ .
* الفارق بين الخالق والمخلوق . عبد الرحمن البغدادي . ضبط وتعليق : عصام فارس الحرستاني . ط١ . مكتبة دار عمار . عمان ، ١٤٠٩هـ .
* الفصل في الملل والأهواء و النحل . ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) . ط١ . المطبعة الأدبية ، ١٣١٧ هـ .
* الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار . محمد البهي . ط٤ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٣٨٤هـ .
* الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع (هجري) / العاشر (ميلادي) . عبد المجيد الشرفي . ط الدار التونسية . تونس .
* الفهرست . محمد بن إسحاق النديم . ط١ . دار الكتب العربية . بيروت .
* فوات الوفيات والذيل عليها . محمد شاكر الكتبي . تحقيق : إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت .
* في مقارنة الأديان (بحوث ودراسات) . محمد عبد الله الشرقاوي . ط٢ . دار الجيل . بيروت ، ١٤١٠ هـ .
* قراءات في الكتاب المقدس . عبد الرحيم محمد . (بدون معلومات نشر) .
* القرآن الكريم والكتاب المقدس . أيهما كلمة الله ؟أحمد ديدات .

* القرآن والمبشرون . محمد عزت دروزة . ط٣ . المكتب الإسلامي . بيروت ، ١٣٩٩هـ .
* قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة . محمد أبو الغيط الفرت . ط١ . دار الطباعة المحمدية ، ١٤١٠هـ .
* قصص الأنبياء . عبد الوهاب النجار . ط٤ . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة .
* قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من الأساتذة ومن اللاهوتيين . هيئة التحرير : بطرس عبد الملك ، جون ألكساندر طمسن ، إبراهيم مطر . دار الثقافة .
* الكتاب المقدس في الميزان . عبد السلام محمد . ط١ . دار الوفاء ، ١٤١٢هـ .
* الكتب السماوية و شروط صحتها . عبد الوهاب عبد السلام طويلة . دار القبلة . جدة ، ١٤١٠هـ .
* الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف . يحيى محمد ربيع . دار الوفاء . المنصورة . ط١ ، ١٤١٥هـ .
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . مصطفى حاجي خليفة . دار العلوم الحديثة . بيروت .
* لسان العرب . ابن منظور (ت ٧١١هـ) . ط١ . دار صادر . بيروت .
* لسان الميزان . ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) . مجلس دائرة المعارف النظامية . حيدر أباد .
* اللقاء بين الإسلامية والنصرانية . أحمد حجازي السقا . دار البشير . القاهرة .
* الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم . محمد علي البار . ط . دار القلم . دمشق ، ١٤١٠هـ .
* الله واحد أم ثالوث . محمد مجدي مرجان . دار النهضة العربية .
* لماذا أسلم صديقي . إبراهيم خليل أحمد . مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة .
* المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس . ابن أبي دينار . تحقيق : محمد شحام . ط٢ . المكتبة العتيقة . تونس .
* ماذا يقول الكتاب المقدس و الغرب عن محمد صلى الله عليه و سلم . أحمد ديدات . ط١ . الدار المصرية للنشر والتوزيع . القاهرة ، ١٤٠٤هـ .
* ماهي النصرانية . محمد تقي العثماني . رابطة العالم الإسلامي . مكة المكرمة ، ١٩٨٤م .
* محاضرات في مقارنة الأديان . إبراهيم خليل أحمد . ط٢ . دار المنار . القاهرة ، ١٤١٢هـ .
* محاضرات في النصرانية . أبو زهرة . الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد . الرياض ، ١٤٠٤هـ .
* محمد في التوراة والإنجيل والقرآن . إبراهيم خليل أحمد . المكتبة التجارية . مكة المكرمة ، ١٤٠٩هـ .
* محمد في الكتاب المقدس . ديفيد بنجامين (عبد الأحد داود) . ترجمة : فهمي شما . مراجعة : أحمد محمد الصديق . مطابع الدوحة الحديثة .
* محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن . محمد عزت الطهطاوي . مكتبة النور .
* المختار في الرد على النصارى . الجاحظ(ت ٢٥٥هـ) . تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي . ط١ . دار الصحوة للنشر والتوزيع . القاهرة ، ١٤٠٥هـ .
* مختصر الأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرانية . محمد علي الطيبي . تحقيق : أحمد حجازي السقا . مكتبة الإيمان . المنصورة .
* مخطوطات البحر الميت . أحمد عثمان . ط١ . مكتبة الشروق ، ١٩٦٦م .

* المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم . محمد علي البلاط . دار القلم . دمشق ، ١٤١٠هـ .
* مسائل الإمامة ، ومقتطفات من " الكتاب الأوسط في المقالات " الناشئ الأكبر . تحقيق : يوسف فان . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ، ١٩٧١ م .
* مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء . أحمد ديدات . ترجمة : علي الجوهري . دار الفضيلة .
* المستدرك على الصحيحين . الحاكم النيسابوري(ت ٤٠٥هـ) . دار الفكر . بيروت ، ١٣٩٨هـ .
* المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم . أحمد حجازي السقا . ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية . مصر ١٣٩٨هـ .
* المسيح إنسان أم إله . محمد مجدي مرجان . تحقيق : عبد الرحمن دمشقية . مكتبة الحرمين .
* المسيح بين الحقائق والأوهام . محمد وصفي . دار الفضيلة .
* المسيح في الإسلام . أحمد ديدات . ترجمة : علي الجوهري . دار الفضيلة .
* المسيح في الإنجيل بشر . ممدوح جاد ، ١٣٩٣هـ .
* المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل . عبد الكريم الخطيب . ط١ . دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٥م .
* المسيح في مصادر العقائد المسيحية . أحمد عبد الوهاب . ط٢ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٤٠٨هـ .
* المسيحية . أحمد شلبي . ط١٠ . مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣م .
* مسيحية بلا مسيح . كامل سعفان . دار الفضيلة ، ١٩٩٤م .
* المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح . علاء أبو بكر . ط١ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٤١٨هـ .
* معجم الأدباء . ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) . دار إحياء التراث العربي . بيروت .
* معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير . إبراهيم الجبهان . ط٤ . عالم الكتب للنشر والتوزيع . الرياض ، ١٩٨١م .
* مقارنة بين الأناجيل الأربعة . محمد علي الخولي . دار الفلاح للنشر . عمان .
* مقارنة الديانات ((الديانات القديمة)) . محمد أبو زهرة . دار الفكر . القاهرة .
* مقامع الصلبان . أبو عبيدة الخزرجي = بين الإسلام والمسيحية .
* ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي . إبراهيم عكاشة . إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧هـ .
* الملل والنحل . أبو الفتح الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) . تحقيق : محمد سيد كيلاني . دار المعرفة . بيروت .
* المناظرة بين الإسلامية النصرانية . ط٢ . طبع بإشراف الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد . مكتبة دار خزيمة . الرياض ، ١٤١٢هـ .
* المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان . أحمد ديدات . جمع وترتيب : أحمد السقا . ط١ . مكتبة زهرة ، ١٤٠٨هـ .
* مناظرة العصر . أحمد ديدات و القس أنيس شروش . ترجمة : علي الجوهري . دار الفضيلة .
* مناظرتان في استكهولم . أحمد ديدات والقس شوبرج . دار الفضيلة .
* مناظرة في الرد على النصارى . فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) . تحقيق : عبد المجيد النجاردار الغرب الإسلامي . بيروت ، ١٩٨٦م .

* المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهندي و القسيس فندر . تحقيق وتعليق : محمد عبد القادر خليل . ط ١ . دار ابن تيمية للنشر ، ١٤٠٥هـ .

* المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل . أبو الفضل السعودي . مخطوط في مركز البحث العلمي . جامعة أم القرى . مكة المكرمة . رقم : ١٥(عقيدة) .

* منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب . عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر . (ت١٢٤٤هـ) ط١ . شركة فن الطباعة . مصر ، ١٣٥٨هـ .

* من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني . أحمد حجازي السقا . ط١ . دار الأنصار . القاهرة ، ١٣٩٨هـ .

* منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل . عزية طه . (دراسة مقارنة) . ط١ . دار البحوث العلمية . الكويت ، ١٤٠٧هـ .

* المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . يوسف بن تغري بردي(ت ٨٧٤هـ)تحقيق : أحمد يوسف نجاتي . دار الكتب المصرية . القاهرة ، ١٣٧٥هـ .

* منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود . تأليف وشرح محمد بن سعيد الأبوصيري . تحقيق : أحمد حجازي السقا . مطبعة المدينة المنورة . مصر ، ١٣٩٩م .

* المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد . عبد الرحمن العليمي المقدسي (ت ٩٢٨هـ) . تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط . ط١ . دار صادر . بيروت ، ١٩٩٧م .

* مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه . عبد العظيم المطعني . دار الأنصار . مصر .

* موقف الإسلام والكنيسة من العلم . عبد الله المشوخي . ط١ . مكتبة المنار . الزرقاء . الأردن ، ١٤٠٢ هـ .

* الميزان في مقارنة الأديان(حقائق ووثائق) . محمد عزت الطهطاوي . ط١ . دار القلم . دمشق ، ١٤١٣هـ .

* النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام . أحمد عبد الوهاب . ط١ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٤٠٠ هـ .

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . التلمساني . تحقيق : إحسان عباس . دار صادر . بيروت ، ١٣٨٨هـ .

* نفخ الروح والتسوية . أبو حامد الغزالي . تحقيق : أحمد حجازي السقا . مكتبة المدينة المنورة ط١ . مطبعة دار البيان ، ١٣٩٩هـ .

* النصرانية . مصطفى شاهين . دار الاعتصام .

* النصرانية في الميزان . محمد عزت الطهطاوي . ط١ . دار القلم . دمشق ، ١٤١٦هـ .

* النصرانية من التوحيد إلى التثليث . محمد أحمد الحاج . ط١ . دار القلم . دمشق ، ١٤١٣هـ .

* النصرانية والإسلام . محمد عزت الطهطاوي . ط٢ . مكتبة النور . مصر ، ١٤٠٧هـ .

* النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية . نصر بن يحيى المتطبب (ت٥٩٨هـ) . تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي . دار الصحوة . القاهرة ، ١٤٠٦هـ .

* نظرات في إنجيل برنابا . محمد علي قطب . مكتبة القرآن .

* نقد التوراة . أحمد حجازي السقا . مكتبة الكليات الأزهرية .
* هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)ط مكتبة المعارف . الرياض ، ١٤٠٤هـ .
* هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . إسماعيل باشا البغدادي . مكتبة المثنى . بغداد .
* هل بشر المسيح بمحمد؟نبيل الفضل . ط١ . رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩٠هـ .
* هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟أحمد ديدات . ترجمة : نورة النومان . دار الهجرة . دمشق ، ١٤٠٨هـ .
* هل مات المسيح على الصليب؟سليم الجابي . ط١ ، ١٩٩٥م .
* هذا هو الحق (رد مفتريات كاهن كنيسة) ، ابن الخطيب . ط٢ . المطبعة المصرية ، ١٣٩٩هـ .
* الوافي بالوفيات . صلاح الدين الصفدي . ط٢ . نشر : فرانز ستايز . فيسبال ، ١٣٩٤هـ .
* الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام . أحمد عبد الوهاب . ط١ . دار النهضة العربية . القاهرة ١٣٩٩هـ .
* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) . تحقيق : إحسان عباس . دار صادر . بيروت .
* يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء . رؤوف شلبي . ط٣ . دار التوحيد ، ١٤٠٥هـ .
* اليهودية والمسيحية . محمد ضياء الدين الأعظمي . ط١ . مكتبة الدار . المدينة ، ١٤٠٩هـ .
□ يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية . أحمد حجازي السقا . ط١ . دار التراث العربي ، ١٣٩٩هـ .

خامساً : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	٢
المقدمة	٣
قائمة الاختصارات	٧
الباب الأول :جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً	**١٠**
الفصل الأول : عرض جهود علماء المسلمين في الرد على النصارىخلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً	**١٠**
تمهيد	١١
الجدل النصراني في القرآن الكريم	١٣
الجدل النصراني في السنة النبوية	٢٣
عرض لجهود علمائنا المكتوبة خلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً	**٢٦**
أولاً: الردود الإسلامية التي يعتقد أصحابها عقيدة السلف	٢٧
ثانياً: الردود الإسلامية التي يعتقد أصحابها عقيدة الأشاعرة، ومن وافقهم من المتكلمين	٥٥
ثالثاً: ردود المسلمين من المعتزلة	٧٦
الفصل الثاني : خلاصة الجدل الإسلامي النصراني خلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً	**٨٢**
المبحث الأول ألوهية المسيح	٨٢
المطلب الأول:إبطال أدلة النصارى على ألوهية المسيح	٨٥
أدلة النصارى على ألوهية المسيح	٨٥
إبطال أدلة النصارى على ألوهية المسيح	٨٧
المطلب الثاني: نصوص كتابية تشهد ببشرية المسيح	٩٨
المطلب الثالث: معجزات المسيح	١٠٥
المطلب الرابع: إبطال ألوهية المسيح بالاستدلال العقلي	١١٠
النصرانية والعقل البشري	١١٠
الا تحاد عند النصارى	١١٢
إبطال العلماء المسلمين لجواز الاتحاد بالعقل	

الموضوع	الصفحة
متى حصل الاتحاد	١١٣
أين حصل الاتحاد	١١٤
ما هي آثار الاتحاد	١١٥
لم اختصت الكلمة بالاتحاد	١١٦
إبطال الاتحاد بلوازمه العقلية	١١٧
مغالطـــة النصارى في تشبيه مذهبهم في الاتحاد بقول المسلمين في الصفات	١١٨
المطلب الخامس: خلاف الفرق النصرانية في طبيعة المسيح	١٢٠
إبطال مذاهب الفرق النصرانية في الحلول	١٢٣
نقد علماء المسلمين لأمثلة النصارى المضروبة للحلول والاتحاد	١٢٧
المطلب السادس : شبهات النصارى	١٣٣
المبحث الثاني : التثليث	١٣٨
المطلب الأول : الجوهر والأقانيم	١٤٣
اختلاف الأقانيم واتفاقها	١٤٣
اختصاص الأقانيم	١٤٥
المطلب الثاني : نقد الأمانة	١٤٦
المطلب الثالث : نقد أدلة التثليث	١٤٨
نصوص التوحيد في التوراة	١٥٥
المطلب الرابع : نقد تفسيرات النصارى للأقانيم	١٦١
المطلب الخامس : نقد أمثلة النصارى للتثليث	١٦٣
المبحث الثالث : الصلب والفداء	١٧٠
المطلب الأول : إبطال القول بصلب المسيح	١٧٣
التوراة وحادثة الصلب	١٧٣
إبطال استدلالات النصارى على صلب المسيح	١٨٤
نقد روايات الأناجيل	١٨٥
المطلب الثاني : عقيدة الفداء والخلاص	١٨٩
عقيدة الفداء عند النصارى	١٩٦
	١٩٦

الموضوع	الصفحة
نقد عقيدة الفداء	١٩٨
المبحث الرابع : التوراة	٢٠٣
المطلب الأول : تاريخ التوراة وسندها	٢٠٦
المطلب الثاني : نقد متن التوراة	٢٠٨
المبحث الخامس : العهد الجديد	٢١٦
المطلب الأول : تاريخ الإنجيليين	٢١٦
المطلب الثاني : نقد متن الأناجيل	٢٢٠
شبه النصرانية حول سلامة التوراة والإنجيل من التحريف	٢٢٥
المبحث السادس : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم	٢٢٨
المطلب الأول : معجزات النبي صلى الله عليه وسلم	٢٢٩
المطلب الثاني : المسلك الشخصي والنوعي في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم	٢٣٦
المطلب الثالث : البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم	٢٣٧
الباب الثاني: دوافع واتجاهات علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري	**٢٤٥**
الفصل الأول : دوافع علمائنا في الرد على النصارى	٢٤٦
المبحث الأول : التبشير	٢٤٧
أهداف التبشير	٢٥٠
مؤتمرات التبشير	٢٥٥
مجالات جديدة للتبشير	٢٥٧
المبحث الثاني : الاستعمار	٢٦٥
دوافع الاستعمار الأوربي	٢٦٧
أعمال الاستعمار	٢٧٠
المبحث الثالث : العلاقة بين التبشير والاستعمار	٢٧٧
الفصل الثاني : اتجاهات علماء المسلمين في القرن الرابع عشر في الرد على النصارى	**٢٨٢**
المبحث الأول : تأليف الكتب في الرد على النصارى	٢٨٣

الموضوع	الصفحة
موضوعات الجدل بين المسلمين والنصارى	٢٨٦
وقفة في تقييم هذه الجهود	٢٩١
المبحث الثاني : المناظرات مع النصارى	٢٩٦
الباب الثالث: جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري	**٣٠٠**
الفصل الأول : عقائد النصرانية	**٣٠١**
المبحث الأول : ألوهية المسيح	٣٠٣
المطلب الأول : أدلة النصارى على ألوهية المسيح	٣٠٤
نصوص نسبت إلى المسيح الألوهية والربوبية	٣٠٨
نصوص بنوة المسيح لله	٣١١
نصوص الحلول الإلهي في المسيح	٣١٤
نصوص أزلية المسيح	٣١٨
نصوص أسندت الخالقية للمسيح	٣٢٢
النصوص المناقضة لألوهية المسيح	٣٢٣
المطلب الثاني : أدلة النصارى العقلية على ألوهية المسيح	٣٢٦
معجزات المسيح	٣٢٦
أدلة عقلية أخرى على ألوهية المسيح	٣٣٠
المبحث الثاني : عقيدة التثليث	٣٣٢
المطلب الأول : أدلة النصارى النصية على عقيدة التثليث	٣٣٣
النصوص التوراتية وعقيدة التثليث	٣٣٣
النصوص الإنجيلية وعقيدة التثليث	٣٣٥
المطلب الثاني : نشأة التثليث في النصرانية	٣٣٩
المطلب الثالث : نقد عقيدة التثليث	٣٤٤
المطلب الرابع : التوحيد في التاريخ النصراني	٣٥٣
التوحيد فيما قبل مجمع نيقية	٣٥٣
التوحيد فيما بعد مجمع نيقية	٣٥٦

الموضوع	الصفحة
الطوائف النصرانية الموحدة بعد ثورة الإصلاح الديني	٣٥٩
المطلب الخامس : عقائد الفرق النصرانية المعاصرة	٣٦٣
أولاً : الأرثوذكس	٣٦٣
ثانياً : الكاثوليك	٣٦٦
ثالثاً : البروتستنت	٣٧٠
المبحث الثالث : مصادر النصرانية	٣٧٣
المطلب الأول : بولس وأثره في النصرانية	٣٧٤
من هو بولس ؟	٣٧٤
بعض الملامح في شخصية بولس	٣٧٥
بولس الرسول	٣٧٩
بولس والعقائد النصرانية	٣٨٢
موقف التلاميذ من بولس	٣٨٨
المطلب الثاني : الوثنيات القديمة	٣٩٢
تجسد الإله في الوثنيات القديمة	٣٩٢
التثليث في الوثنيات القديمة	٣٩٥
الفصل الثاني : الصلب والفداء	**٣٩٩**
المبحث الأول : إبطال القول بصلب المسيح	٤٠١
صلب المسيح عند النصارى	٤٠١
صلب المسيح عند المسلمين	٤٠٢
المطلب الأول : إبطال صلب المسيح بنقد روايات الأناجيل	٤٠٨
مصدر حادثة الصلب	٤٠٨
تناقضات روايات الصلب في الأناجيل	٤١٢
تفرد أحد الإنجيليين في الرواية	٤١٩
النقد الضمني للرواية الإنجيلية	٤٢٣
المطلب الثاني : إبطال الصلب بالدليل التاريخي	٤٣٠
المطلب الثالث : إبطال الصلب بنبوءات التوراة	٤٣٧

الموضوع	الصفحة
المطلب الرابع : إبطال الصلب بنبوءات الأناجيل	٤٥٦
الشك في شخصية المصلوب	٤٦٧
إمكانية نجاة المسيح	٤٧٠
المطلب الخامس : مصادر قصة صلب المسيح	٤٧٥
المطلب السادس : كيفية نجاة المسيح من المؤامرة	٤٨١
نظرية القائلين بصلب غير المسيح	٤٨١
نظرية القائلين بإنزال المسيح عن الصليب حياً	٤٩١
اعتراضات النصارى	٥٠١
المطلب السابع : وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح	٥٠٣
المبحث الثاني : عقيدة الفداء	٥٠٦
المطلب الأول : خطيئة آدم والذنب الموروث	٥٠٧
المطلب الثاني: مبررات صلب المسيح	٥١٧
نقد علمائنا لمبررات الصلب	٥١٩
المطلب الثالث : عقيدة الخلاص	٥٢٩
الخلاص عند الكاثوليك والأرثوذكس	٥٣١
الخلاص عند البروتستنت	٥٣٣
نقض عقيدة الخلاص	٥٣٤
نشأة فكرة الفداء في النصرانية	٥٣٤
مسئولية الإنسان عن عماه	٥٣٦
هل لغير بني إسرائيل في صلب المسيح خلاص	٥٣٨
نقض الناموس	٥٤٠
الخلاص عند المسيح وتلاميذه	٥٤٢
المطلب الرابع : مصادر عقيدة الفداء والخلاص	٥٤٦
وراثة الذنب	٥٤٦
فكرة الفادي في الوثنيات القديمة	٥٤٧
تشابهات أخر بين الوثنيات القديمة والنصرانية	٥٥٠
المطلب الخامس : عقيدة المسلمين في الخطيئة والخلاص	٥٥٣

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث : أسفار التوراة والعهد القديم	**٥٥٦**
أسفار العهد القديم	٥٥٧
النصارى وأسفار العهد القديم	٥٥٨
موقف المسلمين من كتب العهد القديم	٥٦٠
المبحث الأول : تدوين التوراة	٥٦٢
المطلب الأول : إبطال نسبة الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام	٥٦٤
المطلب الثاني : إبطال نسبة أسفار الأنبياء إليهم	٥٧٠
المطلب الثالث : مصادر التوراة	٥٧٩
الوثنيات القديمة والتوراة	٥٧٩
المصادر اليهودية للتوراة	٥٨٢
المطلب الرابع : ضياع التوراة	٥٨٦
ملاحظات عامة تتعلق بتاريخ التوراة	٥٨٨
المطلب الخامس : قانونية التوراة	٥٩١
موقف الفرق النصرانية المعاصرة من أسفار العهد القديم	٥٩٣
المطلب السادس : تدوين التوراة	٥٩٥
الترجمة اليونانية	٥٩٦
النص السامري	٦٠١
النص العبري	٦٠٢
مخطوطات قمران	٦٠٤
الخلاف بين نصوص التوراة المختلفة	٦٠٧
المطلب السابع : ترجمات التوراة	٦١٠
تحريف التراجم	٦١١
التحريف بقصد إصلاح النص	٦١٤
التحريف في مواضع تخص موضوعات الجدل النصراني الإسلامي	٦١٦
المبحث الثاني : نقد متن التوراة	٦١٩

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول : الله وصفاته في التوراة	٦٢٠
المطلب الثاني : الأنبياء في التوراة	٦٢٩
المطلب الثالث : الصبغة البشرية للتوراة	٦٣٤
المطلب الرابع : أخلاق التوراة	٦٣٩
آثار الكتاب المقدس	٦٤٢
المطلب الخامس : التحريف في التوراة	٦٤٥
التحريف اللفظي	٦٤٥
التحريف المعنوي	٦٤٩
الكتب تتهم بني إسرائيل بالتحريف	٦٥٠
المطلب السادس : تناقضات التوراة	٦٥٤
المطلب السابع : أغلاط التوراة	٦٥٩
أغلاط التوراة بشهادة العلوم والمكتشفات الحديثة	٦٦٣
موقف النصارى من أخطاء الكتاب المقدس	٦٦٦
الفصل الرابع : العهد الجديد	**٦٦٩**
تمهيد	٦٧٠
المبحث الأول : تاريخ العهد الجديد وتدوينه	٦٧٣
المطلب الأول : إبطال نسبة دعوى الإلهام لكتبة العهد الجديد	٦٧٤
المطلب الثاني : إبطال نسبة الأناجيل والرسائل للحواريين	٦٧٩
أولاً : إنجيل متى	٦٧٩
ثانياً : إنجيل مرقس	٦٨٤
ثالثاً : إنجيل لوقا	٦٨٧
رابعاً : إنجيل يوحنا	٦٨٩
خامساً : رسائل العهد الجديد	٦٩٥
المطلب الثالث : مصادر الأناجيل	٧٠٠
مصادر النصرانية	٧٠٠
المصادر الوثنية القديمة	٧٠٣

الموضوع	الصفحة
المطلب الرابع : قانونية العهد الجديد	٧٠٦
الإنجيل الصحيح	٧٠٦
تدوين وقانونية العهد الجديد	٧٠٨
الأناجيل غير القانونية	٧١١
إنجيل برنابا	٧١٢
موقف علماء المسلمين من إنجيل برنابا	٧١٥
المبحث الثاني : نقد متن العهد الجديد	٧٢١
المطلب الأول : أغلاط الأناجيل	٧٢٢
الأغلاط بشهادة الكتب المقدسة	٧٢٢
أغلاط بشهادة الواقع	٧٢٥
أغلاط بشهادة العقل	٧٢٨
المطلب الثاني : تناقضات الأناجيل	٧٣٢
هل يحدث التناقض من المسيح	٧٣٩
التناقض بين العهد القديم والعهد الجديد	٧٤١
المطلب الثالث : التحريف في العهد الجديد	٧٤٤
أولاً : تحريف الصدر الأول	٧٤٤
التحريف في النقل عن الأسفار التوراتية	٧٤٧
تحريف كتاب العهد الجديد للنبوءات التوراتية	٧٤٩
ثانياً : تحريف النساخ	٧٥١
اختلاف مخطوطات العهد الجديد	٧٥٣
استعادة النص الأصلي	٧٥٥
من كتب العهد الجديد	٧٥٨
ظهور الطباعة وطباعة العهد الجديد	٧٥٩
ثالثاً : تحريف الطبعات	٧٦٠
المطلب الرابع : الأثر التشريعي والأخلاقي للعهد الجديد	٧٦٨
الفصل الخامس : نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم	**٧٧٤**

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٧٧٥
ذرية إسماعيل المباركة	٧٧٨
بشارة يعقوب عليه السلام بشيلون	٧٨٦
موسى عليه السلام يبشر بنبي ورسول مثله	٧٨٨
نبوءة موسى عن البركة الموعودة في أرض فاران	٧٩٠
المزامير تبشر بصفات نبي آخر الزمان	٧٩٣
داود يبشر بنبي من غير ذريته	٧٩٥
البشارة بالملكوت	٧٩٧
البشارة بمشتهى الأمم	٨٠٠
النبي دانيال يتنبأ بالملكوت	٨٠٤
المسيح يبشر بالفارقليط	٨٠٦
البشارة بإيليا	٨١٢
الفصل السادس : شبهات النصارى حول الإسلام	**٨١٧**
تمهيد	٨١٨
المطلب الأول : منهج النصارى في شبهاتهم عن الإسلام	٨١٩
المطلب الثاني : شبهات النصارى المتعلقة ببعض شرائع الإسلام	٨٢٦
أولاً : شبهة انتشار الإسلام بالسيف	٨٢٦
الاضطهاد الديني والنتشار النصرانية	٨٣١
ثانياً : شبهات النصارى حول وضع المرأة في شرائع المجتمع الإسلامي	٨٣٤
المرأة في النصرانية	٨٣٤
المرأة في المجتمع المسلم	٨٣٦
المطلب الثالث : شبهات النصارى حول نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم	٨٤٤
معجزات النبي صلى الله عليه وسلم	٨٤٤
تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم	٨٤٥
المطلب الرابع : شبهات النصارى حول القرآن الكريم	٨٥١
المحور الأول : حول المصدر	٨٥١

الموضوع	الصفحة
المحور الثاني : حول ثبوته	٨٥٥
المحور الثالث : حول بعض المزاعم المثارة حول القرآن الكريم	٨٥٨
أولاً : التناقضات	٨٥٨
ثانياً : الطعن في عربيته وبلاغته	٨٥٩
ثالثاً : الزعم بوجود الخطأ في القرآن الكريم	٨٦١
رابعاً : الزعم بوجود مبالغات في القرآن الكريم	٨٦٢
المحور الرابع : حول إعجاز القرآن الكريم	٨٦٣
المحور الخامس : الزعم بأن القرآن أيد المعتقدات المسيحية	٨٦٧
الخاتمة	**٨٧٣**
الفهارس	**٨٧٥**
أولاً : فهرس الآيات القرآنية	٨٧٥
ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية	٨٨٣
ثالثاً : فهرس الأعلام	٨٨٤
رابعاً : قائمة المصادر والمراجع	٩٠٦
خامساً : فهرس الموضوعات	٩١٦

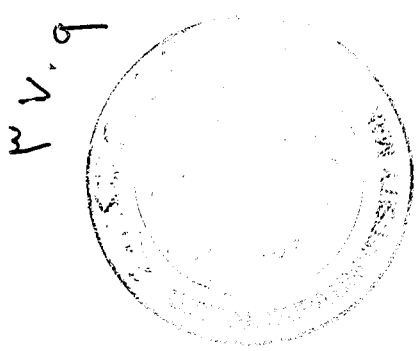

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القـــرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : محمد صنقذ بن محمود السقار ..... كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة .....
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه ..... في تخصص : العقيدة .....
عنوان الأطروحة : ((جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري (عرض ودراسة))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٧/ ٨ /١٤٢١هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي باجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : د/ محمد حسان كسبه	الاسم : د/ علي نفيع العلياني	الاسم : د/ علي حسن الأ
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : عبد الله الثبيتي

التوقيع :

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

٢٧٠٩

٣٠١٠٢٠٠٠٠٣٧٠٩

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

٠٠١٦٠١

آراء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري

(عرض و دراسة)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب : محمد منقذ محمود السقار

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد حسان كسبه

الجزء: الأول

العام الدراسي ١٤٢٠ هـ

العنوان: جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري (عرض ودراسة)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وبعد :

فلما كانت النصرانية أكثر الأديان انتشاراً وأكثرها نفوذاً وسلطاناً ، وأكثرها حرصاً على التبشير بباطلها والنيل من ديننا ومعتقداتنا كان من الطبيعي أن يتوجه العلماء المسلمون للرد على النصارى وبيان باطلهم.

والقرن الهجري الأخير أهم القرون لأنه حوى خلاصة الحوار والجدال بين المسلمين والنصارى.لذا خصصته بدراستي

وقد جعلت هذه الدراسة على مقدمة وأبواب ثلاثة وخاتمة .

في المقدمة تحدثت عن أهمية البحث ودوافعي إلى اختياره ومنهجي فيه ، ثم موضوعاته .

في الباب الأول عرضت لجهود علماء القرون الثلاثة عشر السابقة في فصلين عرفت في أولهما بالعلماء الذين ردوا على النصارى والموضوعات التي طرقوها ، وبينت ملامح المنهج الذي ساروا عليه في الرد على النصارى.

وفي الفصل الثاني بينت ما انتهى إليه علماؤنا المسلمون في موضوعات الجدل الرئيسة بين المسلمين والنصارى .

وفي الباب الثاني تحدثت عن دوافع العلماء المسلمين التي دفعتهم في هذا القرن للرد على النصارى ، وأهمها وجود الاستعمار والتبشير ، وتحدثت عن اتجاهات هذه الردود وتوزعها إلى كتب ومناظرات .

وفي الباب الثالث أبرزت جهود العلماء المسلمين في الرد على النصارى ، والتي تمثلت في ست موضوعات رئيسة (ألوهية المسيح والتثليث – الصلب والفداء – نقد التوراة – نقد العهد الجديد – نبوة النبي صلى الله عليه وسلم – شبهات النصارى حول الإسلام) ، وخصصت لكل منها فصلاً مستقلاً .

وأتبعت ذلك بذكر أهم نتائج البحث ، ثم بالفهارس العلمية ثم قائمة المصادر والمراجع .

وقد خلصت من دراستي إلى نتائج هامة أهمها :

– المسيحية بعقائدها وكتبها دين نحله بولس ومن بعده عن الوثنيات القديمة .

– النصرانية الحقة دين الله الذي أنزله على نبيه عيسى عليه السلام ، وهو دين التوحيد الخالص الذي نؤمن به كما نؤمن بالتوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله عز وجل ، وملؤهما الهدى والنور ، وهذا الهدي لم تندرس آثاره إلى اليوم من الكتب المقدسة عند النصارى.

– الأسفار التي يقدسها النصارى اليوم كتب لا يعلم على وجه التحديد من كاتبها ، وهي كتب سيرة وتاريخ لم يزعم كتابها المجهولون أنهم يقدمون من خلالها كلمة الله ، وإن التأمل في هذه الكتب يكشف زيف هذه الدعوى ، ويثبت بشرية هذه الكتب وخلوها عن الوحي وهدي النبوات .

– هذه الأسفار كتبها البشر ثم منحوها في مجامعهم صفة القدسية والعلوية .

– صلب المسيح أمر زعم النصارى وقوعه ، وقد أثبت علماؤنا وبعشرات النصوص المستمدة من كتب النصارى بطلان هذه القصة ونجاة المسيح من الصلب المزعوم.

– عقيدة الفداء والخلاص وهم آخر تعلق به النصارى من غير مادليل صريح عن المسيح عليه السلام ، وقد أثبت علماؤنا بطلان هذا المعتقد بالأدلة الكتابية والعقلية .

– شبهات النصارى عن ديننا تنبع من الكذب الفاضح أو التلبيس الخادع أو الجهل المطبق بأصول هذا الدين .

الطالب: محمد منقذ بن محمود السقار

المشرف: د/محمد حسان كسبه

عميد كلية الدعوة وأصول الدين

د/ عبد الله بن عمر الدميجي